

فناجح الأدب بالعربي

تأليف
البركتور عمر فروغ

الجزء الرابع

الأدب في المغرب والأندلس

منذ الفتح الإسلامي

إلى آخر عصر ملوك الطوائف

(أواخر القرن الخامس للهجرة - المئدي ضر لليلاد)

دار العلم للمالين



مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

رابطہ بدیل
lisanerab.com

أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanerab.com

رابطہ بدیل

تاريخ الأدب العربي

الجزء الرابع

الأدب في المغرب والأندلس

منذ الفتح الإسلامي

إلى آخر عصر ملوك الطوائف

(أواخر القرن الخامس للهجرة - الحادي عشر للميلاد)

تأليف

مؤلف

هو مجمع اللغة العربية في القاهرة
عضو المجمع الملكي العربي في دمشق
عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي

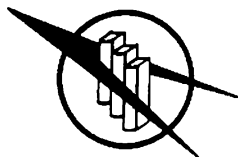
دار العلم للملايين

ص. سبب: ١٠٨٥ - بيروت
تأليف: ٢٣١٦٦ - لبنان

دار العلم للملايين

مؤسسة ثقافية للتراث والتربية والنشر

شارع مار التيس - خلف شركة الجاه
ص.ب. ١٠٨٥ - شتوتن ٣٠٤٤٥ - ٨١٣ ٤٧٤
مطبعة: ملايين، تكس، ٢٣١٦٦ ملايين
ببوت - لانتات



جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل
من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل - سواء التصويرية
أو الإلكترونية أم الميكانيكية - بإذن ذلك الناشر الموقر
والناشر على أن شرطه أو شروطه أو حفظ المعلومات واسترجاعها
- دون أن يذبح خط من التناشر.

الطبعة الخامسة

تيسان / أبريل ٢٠٠٦

الكلمة الأولى

هذا هو الجزء الرابع من سلسلة « تاريخ الأدب العربي ». إنه يبدأ تاريخ الأدب العربي في المغرب (الشمال الغربي من قارة إفريقيا) والأندلس (الجنوب الغربي من قارة أوروبا). ثم هو يتناول الحقبة الممتدة من الفتح الإسلامي (القرن الأول للهجرة = أواخر القرن السابع للميلاد) إلى انتهاء عصر دُول ملوك الطوائف في الأندلس، ثم يستمر إلى مُنتهى القرن الخامس للهجرة (مطلع القرن الثاني عشر للميلاد). ذلك لأن نقرأ من الذين شهدوا عصر ملوك الطوائف طالت حياتهم بعد ذلك قليلاً أو كثيراً.

ثم يلي هذا الجزء :

الجزء الخامس، ويتناول تاريخ الأدب في عصر المرابطين والموحدين، في القرن السادس وبعض القرن السابع للهجرة، إلى نحو سنة ٦٤٠ (١٢٤٢ م).

الجزء السادس، ويتناول تاريخ الأدب في عصر بني نصر وينتهي بالفتح العثماني في المغرب (للجزائر) نحو ٩٣٢ للهجرة (١٥٢٥ م)، وإن لم يُسبِّح الفتح العثماني في المغرب ما كان من الفتح العثماني في المشرق.

وغني عن البيان أن أقول هنا إنَّ الأعصر الحضارية (والأعصر الأدبية) لا تنطبق في العادة على الأعصر السياسية.

وأنا لم أفصل تاريخ الأدب في المشرق من تاريخ الأدب في المغرب لأنَّ الأدبيين مختلفان، ولكن عملي هذا كان في سبيل التسهيل على نفسي في معالجة الموضوع. وعسى أن يُقيض الله لي فسحة أستطيع أن أجمع في أثنائها تاريخ الأدب العربي (في المشرق وفي المغرب) في سلك واحد.

يجب ألا يستغرب القارئ إذا قلْتُ له إنَّ الأدب الأندلسي (وخصوصاً في النثر) كان تقليدياً واضحاً للأدب الشرقي، إذ كان الأدب الشرقي هو المثال الذي آتت به المغاربة في إنشاء أدبهم. لا شك في أنَّ الموشح فنٌّ مغربي (أندلسي)، ولكنَّ خصائص مغربية كثيرة اجتمعت في الموشحات كانت مشرقية في أصولها. ثمَّ لا نستطيع أن ننكر أن السهولة في التركيب (إلى جانب ضعف كثير فيه) كانت أكثر في المغرب منها في الشرق. وكذلك لم يُرزق المغرب أدباء كباراً من نَجَر البحريِّ والجاحظ والمتنبي وأبي العلاء المعريِّ وأمثالهم. ومع أنَّنا لا ندفع ابن هاني الأندلسي وابن دراج القسطلي وابن زيدون عن مكان الصدارة في الشعر، فإنَّ المفجعين هؤلاء الشعراء قد لقبوهم ألقاباً منها بحريُّ الغرب أو مُتنبِّي الغرب. أما في الفلسفة فلا شك في أن التقدم كان للمغاربة على المشارقة.

ثمَّ إنَّ أهل المغرب كانوا أكثر اهتماماً بأدب المشارقة من أهل الشرق بأدب المغاربة. ولقد استمرَّ ذلك إلى انتصاف القرن الحاضر الهجري. ولكنَّ أهل الشرق الآن يُكفِّرون عن ذلك الإهمال للتاريخ المغربي في أيامهم الماضية.

ولي في ختام هذه الكلمة الأولى من هذا الجزء رجاء إلى اخواننا في المغرب، هو أن يدركوا تقصير المشارقة في الإحاطة بتاريخ المغرب وبالذقة في معرفة الأماكن وضبط الأعلام المغربية (فإنَّ هذه الأسس لأعلام الأماكن والأشخاص كانت غريبة عن المشارقة مدَّة طويلة، بخلاف الأسس لأعلام الأشخاص والأماكن في الشرق فإنَّها كانت دائماً جزءاً من ثقافة المغاربة). وأنا واثق من أنَّ في هذا الجزء أيضاً أخطاء أو أوهاماً يسيرة أو غير يسيرة. فإذا وقع نظرهم على شيء مما ذكرت ثمَّ غفروا ذلك لنا أو كتبوا إليَّ به كنتُ لهم من الشاكرين.

ع. ف.

بيروت في خامس ربيع الأول ١٤٠١

. ١٩٨١/١/١١

فهرس هذا الجزء

صفحة

سنة الوفاة

بالمجري

الكلمة الأولى	٥	
فهرست الموضوعات	٧	
مقدمة	١٧	
تاريخ الأدب العربي في المغرب: المغرب والمشرق - البربر -		
الفتح في المغرب وفي الأندلس - طبقات الناس -		
الأدب في هذه الفترة - عصر الولاة: معركة بلاط		
الشهداء - أحداث المغرب - العصبية في الأندلس - سقوط		
الدولة الأموية في المشرق	٣٣	
المظاهر الأدبية في عصر الولاة	٤٦	
أبو الأجر الكلاي	٤٩	١٣٨
عبد الرحمن بن زياد	٥١	١٦٢
بنو أمية في قرطبة: عصر الأمراء المتوارثين -		
عبد الرحمن الداخل - الخوارج في أقطار		
المغرب - الولاة المتوارثون - الحياة السياسية في		
المغرب كله: إفريقية - ليبيا - المغرب الأوسط - المغرب		
الأقصى - الدولة الإدريسية - خصائص الأدب وأعلامه في		
عصر الأمراء المتوارثين - زرياب	٥٤	
عبد الرحمن الداخل	٨١	١٧٢
حريش الكندي	٨٣	١٨٦

٨٤.....	محمد بن بشير المعافري	١٩٨
٨٥.....	جودي بن عثمان	١٩٨
٨٦.....	الغازي بن قيس	١٩٩
٨٧.....	أبو الحشّي	
٨٨.....	الحكم الرضيّ	٢٠٦
٩٢.....	غريب الطليطلي	٢٠٧
٩٣.....	شبطون	٢١٢
٩٤.....	إدريس الأصغر	٢١٣
٩٧.....	حسانة التميمية	٢٣٠
٩٨.....	يحيى بن يحيى الليثي	٢٣٤
٩٩.....	عبد الرحمن الأوسط	٢٣٨
١٠٢.....	عبد الله بن الشمر	
١٠٤.....	عبد الملك بن حبيب	٢٣٨
١٠٦.....	عباس بن ناصح	٢٣٨
١٠٨.....	أفلح بن عبد الوهاب	٢٤٠
١١٢.....	سحنون	٢٤٠
١١٤.....	عبيد الله بن قارلمان	٢٥٠
١١٥.....	يحيى بن حكم الغزال	٢٥٠
١٢١.....	ابن قطن المهري القيرواني	٢٥٦
١٢٢.....	مؤمن بن سعيد	٢٦٧
١٢٢.....	العتبي الشاعر	٢٧٠
١٢٦.....	وليد بن غانم	٢٧٢
١٢٩.....	عثمان بن المثني	٢٧٣
١٣٠.....	الرازي المؤرخ	٢٧٣
١٣١.....	هاشم بن عبد العزيز	٢٧٣
١٣٥.....	عباس بن فرناس	٢٧٤
١٣٩.....	محمد البريدي	٢٧٦
١٤٠.....	بقي بن مخلد	٢٧٦

٢٨١	عبد الجبار السرقى	١٤٢.....
٢٨٣	تَمَام بن عامر	١٤٣.....
٢٨٤	سعيد بن جودي	١٤٤.....
٢٨٥	مجبر بن سفيان	١٤٦.....
٢٨٦	ابن عبد السلام الحشفي	١٤٧.....
٢٩٥	عيسى بن مسكين	١٤٩.....
٢٩٥	مهرية الأغلبية	١٥٠.....
٢٩٦	بكر بن حاد	١٥١.....
٢٩٨	أبو اليسر الشيباني	١٥٤.....
٢٩٩	مقدم بن المعافى	١٥٥.....
٣٠٠	الأمير عبد الله بن محمد	١٥٦.....
٣٠٧	محمد بن عاصم النحوي	١٥٩.....
٣٠٨	عبد الله بن المكفوف النحوي	١٦٠.....
٣١٨	أحمد بن إبراهيم اللؤلؤي	١٦٠.....
٣٢٠	أبو الأصمغ موسى بن محمد	١٦٢.....
٣٢٠	يزيد الفصيح	١٦٣.....

عصر الخلافة الأموية في قرطبة: رجال الدولة:
 غالب والمصحفي وابن أبي عامر- هشام بن الحكم
 وبداية الفتنة- خلفاء الفتنة- الدولة الفاطمية: الشيعة
 الفاطميون الاسماعيليون - المغرب الأوسط - ليبيا -
 الزهراء (في قرطبة) - الفقه - المذاهب الأخرى - أبو علي
 القالي - الجغرافية والتاريخ - علوم التعاليم - مظاهر
 الأدب وأعلامه في عصر الخلافة- النتاج الأدبي: الشعر- النثر

النقد	١٦٥.....	
ابن عبد ربّه	٢١٠.....	٣٢٨
القلفاط	٢٢٠.....	
الحكم القرطبي النحوى	٢٢٢.....	٣٣١

٢٢٤.....	خليل بن إسحاق	٣٣٢
٢٢٦.....	أبو العرب القيسي	٣٣٣
٢٢٩.....	عبد الله بن الناصر	٣٣٩
٢٣٢.....	قاسم بن أصبغ البياضي	٣٤٠
٢٣٣.....	حفصة الحجارية	
٢٣٣.....	أبو الحزم جهور بن أبي عبدة	
٢٣٥.....	سعيد ابن عبد ربه	٣٤٢
٢٣٧.....	الداروني	٣٤٣
٢٣٨.....	الرازي المؤرخ أبو بكر أحمد بن محمد	٣٤٤
٢٤٢.....	أبو وهب العبّاسي	٣٤٤
٢٤٤.....	أحمد بن محمد بن أضحي	٣٤٥
٢٤٦.....	أبو القاسم الفزاري	٣٤٥
٢٤٨.....	ابن الوزان القيرواني النحوي	٣٤٦
٢٥٠.....	اسماعيل بن بدر	٣٥١
٢٥٣.....	ابن مغيث الأنصاري	٣٥٢
٢٥٤.....	وليد بن عيسى الطبيخي	٣٥٢
٢٥٧.....	منذر بن سعيد البلوطي	٣٥٥
٢٦١.....	محمد بن يحيى الرباحي	٣٥٨
٢٦٣.....	الحسن بن المؤرخ (محمد بن الحارث)	
٢٦٦.....	ابن هاني الأندلسي	٣٦٢
٢٧٧.....	أبو حنيفة النعمان المغربي	٣٦٣
٢٧٩.....	علي بن محمد الإيادي	٣٦٥
٢٨٣.....	ابن فرج الحياضي	٣٦٦
٢٨٥.....	ابن القوطية	٣٦٧
٢٨٩.....	عريب بن سعد القرطي	٣٧٠
٢٩٤.....	جعفر المصحفي	٣٧٢
٢٩٧.....	ابن أبي حنيفة النعمان المغربي	٣٧٤
٢٩٩.....	أحمد بن قرلمان	٣٧٧

٣٠٠.....	أبو بكر الزبيدي	٣٧٩
٣٠٤.....	ابن جلجل	٣٨٥
٣٠٧.....	ابن أبي زيد القيرواني	٣٨٦
٣٠٩.....	يحيى بن هذيل الكفيف	٣٨٩
٣١٢.....	أبو القاسم بن العريف النحوي	٣٩٠
٣١٣.....	المنصور بن أبي عامر	٣٩٢
٣١٨.....	عبد الملك بن شهيد	٣٩٣
٣٢١.....	عبد الملك بن جهور	٣٩٣
٣٢٢.....	محمد بن الحسين الطبري	٣٩٤
٣٢٤.....	أبو مروان الجزيري	٣٩٤
٣٢٦.....	ابن أبي زمنين	٣٩٩
٣٢٨.....	ابن القزّاز البربري	٤٠٠
٣٢٩.....	ابن شخيص	٤٠٠
٣٣١.....	الطليق المرواني	٤٠٠
٣٣٤.....	عائشة بن أحمد القرطبية	٤٠٠
٣٣٥.....	السرقسطي المعافري	
٣٣٦.....	محمد بن مغيث المغربي	٤٠٢
٣٣٧.....	ابن الفرضي	٤٠٣
٣٣٩.....	يوسف بن هرون الرمادي	٤٠٣
٣٤٢.....	عبد الكريم النهشلي	٤٠٥
٣٤٥.....	عبد العزيز الحشني القيرواني	٤٠٦
٣٤٦.....	سليمان المستعين	٤٠٧
٣٤٨.....	أبو الحسن الكاتب المغربي	٤٠٨
٣٥٠.....	مريم الشلبية	
٣٥١.....	القزّاز النحوي القيرواني	٤١٢
(٣٧٥).....	(الحصري صاحب زهر الآداب)	
٣٥٤.....	محرز بن خلف	٤١٣
٣٥٧.....	المستظهر المرواني	٤١٤

٤١٤	خلف بن أحمد السعدي	٣٦٠.....
٤١٥	زيادة الله الطنجي	٣٦٠.....
٤١٧	صاعد البغدادي	٣٦٢.....
٤١٨	أحمد بن برد (الأكبر)	٣٦٥.....
	حسن بن مالك	٣٦٧.....
٤٢١	إبراهيم بن غانم الكاتب	٣٧٠.....
	أبو عبد الله بن الكتّاني	٣٧٢.....
٤٢٠	إسحاق بن إبراهيم	٣٧٣.....
(٤١٣)	الحصري (صاحب زهر الآداب)	٣٧٥.....
٤٢١	ابن درّاج القسطلّي	٣٧٧.....

عصر ملوك الطوائف: دويلات الأندلس -
في الشمال الافريقي - أوجه الحضارة - الثقافة
في الأندلس - الثقافة في المغرب الافريقي - الخصائص
الفنيّة عموماً - أغراض الشعر وفنونه -

النثر - النقد الأدبي ٣٨٥.....

نشأة الموشح وتعريفه: النظريات في نشأته -
فنّ التوشيح - نقي الموشحات - أجزاء الموشحة
وأسمائها - أعاربض الموشحة - الخرجة خاصّة -
الخصائص الأدبية في الموشح - أوائل الوشّاحين -

	ضعف الموشح لقوياً - موقف النقاد من الموشح	٤١٠.....
٤٢٢	عبادة بن ماء السماء	٤٤٧.....
٤٢٥	الرقيق القيرواني	٤٥١.....
٤٢٦	أبو عامر بن شهيد	٤٥٤.....
٤٢٧	ابن مغلّس البلسني	٤٦١.....
٤٢٦	ابن أبي الرجال	٤٦٢.....
٤٣٠	ابن خلوف الحروري	٤٦٤.....

٤٦٥	ابن الريبب القيرواني	٤٣٠
٤٦٩	أبو الفتوح الجرجاني	٤٣١
٤٧٠	آل عبّاد	
٤٧٠	أبو القاسم بن عبّاد	٤٣٣
٤٧٢	ابن الآبار الخولاني	٤٣٣
٤٧٣	أبو الحزم جهور	٤٣٥
٤٧٥	تمام بن غالب بن التيّاني	٤٣٦
٤٧٦	مكي بن أبي طالب	٤٣٧
٤٨٢	ابن الحنّاط الأعمى	٤٣٧
٤٨٧	أبو المغيرة بن حزم	٤٣٨
٤٩١	الأسعد بن بليطة	٤٤٠
٤٩٤	أبو الوليد إسماعيل بن محمد	٤٤٠
٤٩٧	أبو القاسم الافليبي	٤٤١
٤٩٨	أبو عمرو الداني	٤٤٤
٥٠٥	ابن الخياط الأندلسي	٤٤٧
٥٠٦	أمّ العلاء الحجازية	
٥٠٧	ابن البزلياني	٤٤٨
٥١٠	أحمد بن برد (الأصغر)	٤٥٠
٥١٤	ابن حصن الاشيلي	٤٥٠
٥١٧	إسماعيل بن أحمد التجيبي البرقي	٤٥٠
٥٢١	ابن الخياط الربيعي الصقلّي	
٥٢٤	محمد بن الحسين المغربي	٤٥٣
٥٢٦	عبد الملك بن غصن الحجازي	٤٥٤
٥٢٨	محمد بن عبد الواحد البغدادي	٤٥٥
٥٣٣	الحسن التجيبي القرطبي	٤٥٦

٥٣٤.....	ابن حزم الكبير	٤٥٦
٥٤٣.....	المرابطون في المغرب	
٥٥١.....	ابن رشيق	(٤٥٦)
٥٥٩.....	عبد الملك الطنجي	٤٥٧
٥٦٠.....	ابن سيده	٤٥٨
٥٦٤.....	ابن شرف القيرواني أبو عبد الله	٤٦٠
٥٧٠.....	أبو حفص الهوزني	٤٦٠
٥٧٢.....	أبو إسحاق الالبيري	
٥٧٨.....	ابن مقانا	
٥٨١.....	المظفر بن الأفطس	٤٦٠
٥٨٢.....	صاعد الطليطلي	٤٦٢
٥٨٤.....	ابن عبد البر الكبير	٤٦٣
٥٨٨.....	ابن زيدون	٤٦٣
٦٠٢.....	غانم الخزومي	
٦٠٥.....	أبو جعفر اللباني	٤٦٥
٦٠٧.....	أبو الحسن البلقيني	٤٦٥
٦١٠.....	الشقراطيسي	٤٦٦
٦١٥.....	ابن حيّان المؤرخ	٤٦٩
٦١٨.....	محمد بن خلصة	٤٧٠
٦٢٠.....	ابن الأجدادي	
٦٢٢.....	إدريس بن البيان	٤٧٠
٦٢٦.....	ابن عبد البر الصغير	٤٧٤
٦٣١.....	أبو الوليد الباجي	٤٦٤
٦٣٤.....	ابن خلّوف المغربي	٤٧٥
٦٣٦.....	الأعلم الشنتمري	٤٧٦

٤٧٧	ابن عمّار	٦٣٨
	ابن ارفع رأسه	٦٤٦
٤٧٩	ابن فضال عليّ	٦٥٠
٤٨٠	ابن جاج البطليوسي	٦٥٢
٤٨٠	ابن الحدّاد الوادي آشي	٦٥٥
٤٨٠	ابن الدبّاغ	٦٥٩
٤٨٣	ابن وهبون	٦٦٣
٤٨٤	المعتصم بن صلاح	٦٦٦
	عبد العزيز بن أرقم	٦٧٠
٤٨٤	الراضي العبّادي	٦٧٦
	السميسر الالبيري	٦٨٠
	ابن غرسيه	٦٨٣
٤٨٤	ولادة المروانية	٦٩٩
٤٨٧	أبو عبيد البكري	٧٠٢
٤٨٧	ابن المسال	٧٠٦
٤٨٨	أبو الحسن الحصري الضرير	٧٠٧
٤٨٨	المعتمد بن عبّاد	٧١٣
٤٨٨	الحميدي	٧٢٣
	(محمّد بن عبادة القرّاز)	(٧٤٤)
	ابن عبد الصمد	٧٢٥
٤٨٩	أبو مروان بن سراج	٧٣١
٤٨٩	أبو الوليد الوقّشي	٧٣٣
٤٩٠	ابن البين البطليوسي	٧٣٥
	أبو عيسى بن لبّون	٧٣٦
٤٩٦	عبد الملك بن هذيل بن رزين	٧٣٨
	أبو إسحاق الودّانيّ	٧٤٢

مقدمة

هذا الجزء الرابع من « تاريخ الأدب العربي » (منذ الجاهلية إلى مطلع العصر العثماني في الشرق والغرب) يبدأ به تاريخ الأدب عندنا في المغرب (من قارة إفريقية وقارة أوروبة). إنَّ هذا التفريق في الأجزاء بين أدب الشرق (في الأجزاء الثلاثة الأولى التي صدرت) وأدب المغرب (والأندلس) في الأجزاء الثلاثة الباقية - وهذا الجزء الرابع أولها - أمرٌ آليٌّ بَحَثٌ حَمَلَتْ عليه محاولةُ السهولةِ في التأليف.

ولا شكَّ في أنني لم أعان في كتابٍ وضعته من قبلُ ما عانيته من المشاقِّ في وضع هذا الجزء الرابع.

فمن المصاعب الأساسية قضيتان:

- تقليد المغاربة للمشاركة.

- كثرة اهتمام المغاربة بأدب المشاركة في مقابل اهتمام من المشاركة غير كافٍ بأدب المغاربة.

والشهورُ في تاريخ الأدب أن الأندلسيين كانوا يُقلِّدون المشاركةَ (كما ترى الإشارات إليه في أماكن مختلفة من هذا الكتاب - كما تجد نَفَرًا من الأندلسيين يروْنَ أنَّ المشاركة كانوا مُقَصِّرِينَ عن الأندلسيين في ميادين كثيرة، وخصوصاً في الأدب). ولكنَّ الواضحَ الجليَّ أنَّ الأدبَ الأندلسي كان أحياناً أغني في الأغراض (لاختلاف البيئة الطبيعية بين المغرب والشرق) وأعذب في اللفظ. ولكنَّ الأدبَ المغربي (وفيه أدبُ الأندلس أيضاً) كان نازلاً عن مستوى الأدب المشرقي في ناحيتين: في عُمق التفكير وفي متانة الأسلوب. نحنُ لا نجدُ في الأدب الأندلسي كاتباً كالجاحظ ولا شاعراً كأبي العلاء المعري (في سَمَةِ المَيِّدان الذي ورَّعا فيه جهودهما). وكذلك في

الأسلوب لا نرى تلك المتانة التي نعرفها للفرزدق، أو لجبرير مع العذوبة أو لا نرى مثل أسلوب المتنبي والشريف الرضي. وذلك لبعد المغرب (الإفريقي) والأندلس (في المكان والزمان) عن بيئة اللسان العربي الأولى - في الدرجة الأولى - ثم لقرب الأندلس خاصة من لغات أعجمية وحضارات مختلفة، أكثر مما كنا نرى في المشرق. وكذلك لا يجوز أن ننسى أن سلطة الخلافة في المشرق كانت أكثر رسوخاً وأوسع أثراً فيها حولها من السلطة السياسية في الأندلس خاصة.

ثم تأتي المفضلة الثانية:

لا شك في أن المغاربة كانوا دائماً أكثر عناية بتاريخ المشرق وأدبه من المشاركة بتاريخ المغرب وأدبه. فلما أردت أن أقدم على هذا الحِصَم الواسع - ذلك الذي ترى جانباً منه في هذا الجزء من عدد التراجم وسعيتها واختارات الملحق بها - دَعَك من دراسة العصور - وقفت في كثير من الأحيان أمام جدار غُفلي (لا منفذ فيه): الأسماء الغريبة، وقد ألفتها في أثناء تلك المدة. ولكن بقي في الأسماء أشياء تُرهق القويّ الجليد: أسماء كثيرة مثل: أبي عبد الله محمد وأبي محمد عبد الله - عشرات ومئات من مثل هذه الأسماء المكرورة في النسب الواحد وفي الأنساب المختلفة. أقول هذا وأنا واثق من أن إخواني في المغرب سيقعون على عدد من تلك الأخطاء، فأرجو ألا يضيئوا عليّ بالإشارة إليها، وأنا لهم شاكر على كل تصحيح أو تنقيح يقترحونه. وأما المشاكل العارضة - وفي هذا الجزء الرابع خاصة - فكان منها:

بدأت جمع المادة لهذه الأجزاء الثلاثة (من الرابع إلى السادس) منذ ثلاثين عاماً (منذ سنة ١٣٧١ للهجرة: عام ١٩٥١ م). ولقد اعتمدت في ذلك الحين (فيما كنت قد اعتمدته) «نفع الطيب» (طبع ليدن) و«الذخيرة» و«وقيات الأعيان» (طبع مصر)، إلى جانب عدد كبير من المصادر والمراجع. يجد القارئ جانباً منها (ذلك الجانب العام في جميع أصحاب التراجم - لا المصادر والمراجع الخاصة بأديب أديب) في قائمة ملحق هذه المقدمة.

في تلك الأثناء (١٣٧١ - ١٤٠١ هـ = ١٩٥١ - ١٩٨١ م) ظهرت طبعات

جديدة لكتب كانت قد طُبعت من قبل وظهرت كتب جديدة (مصادر ومراجع) فكنت مضطراً في معظم الأحيان إلى أن أعيد النظر في عدد كبير من الصفحات التي كنت قد أنشأتها من قبل، بحسب ما كنت أرى من المادة الجديدة أو القراءات الجديدة (ما أمكن) في تلك الطبقات الجديدة أو الدراسات الجديدة. ويقضي الحق أن نشير هنا إلى جهود الدكتور إحسان عباس بالعناية بتاريخ الأندلس خاصة، فإنه قد سهل الوصول إلى ذخائر هذا التاريخ (في الأدب والفكر) تسهلاً ظاهراً.

غير أن في الأدب الأندلسي ثغرة واسعة هي تلك الأسماء المتداخلة المتشابهة المتكررة، وقد أشرت إلى هذه المشكلة قبل أسطر قليلة.

ولكن يبدو أنني لم أكن وحدي في معاناة هذه المشكلة. إن الرجوع إلى فهرس عدد من الكتب يلقيك أحياناً أمام أسماء مفرقة في الفهارس في غير مواضعها أو مجموعة في غير مواضعها. وربما بحثت عن اسم في فهرس كتاب فلم تجده، مع أنه وارد في عدد من صفحات ذلك الكتاب. وربما كشفت عن اسم فرأيتة مُثبتاً في الفهرس مُشاراً إلى أنه واقع في عدد من الصفحات ثم تقلب تلك الصفحات فلا تجد لذلك الاسم أثراً. وفي اعتقادي أن هذا راجع إلى أن نفرأ من المؤلفين أو من الناشرين يعهدون إلى طلابهم أو إلى أصدقائهم بجزء من العمل الواجب عليهم هم أو يعهدون إلى هؤلاء بذلك العمل كله.

ولعلك واحد في كتابي هذا شيئاً قليلاً مما أشكو أنا الآن منه، ولكن مثل هذا الخطأ سيكون مني أنا ولن يكون بطبيعة الحال مقصوداً. ولعلي أكون على صواب إذا أنا قلت إن جميع الكتب الكبيرة لا تخلو من مثل ذلك.

وهناك مشكلة مزعجة في عمل الفهارس أحرص أنا على ألا أفرضا على قرائي. يكتفي نفر كثيرون من ناشري الكتب الكبيرة بأن يذكر الصفحات التي ترد فيها أسماء الأعلام وروداً صريحاً: محمد بن عبد الله الغلاني ٨، ١٦، ٤٧، ٢١٠، ٢١١، ٢١٣، ٤٥٠، ٥٠٥، الخ (بلا تفریق بين الصفحات التي يرد فيها ذلك الاسم وروداً عارضاً أو وروداً مقصوداً). وربما وجدت أن الصفحات ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١ الخ تتكلم على ذلك الاسم الذي ذكر أنه وارد في الصفحة ٤٧ صراحة أو أنها

صفحات ورد لصاحب ذلك الاسم نصّ من آثاره. لا شك في أنّ هذا المنهج يسهّل العمل على مرتّب الفهارس - وخصوصاً إذا لم يكن مرتّب الفهارس هو ناشر الكتاب نفسه - وإليك المثل التالي:

في أثناء إعداد ترجمة الحِجاري صاحب السُّهْب رجعتُ إلى فهرس كتاب «المُقَرَّب» فوجدت أن اسم الحِجاري هذا واردٌ في مائتي صفحة أو تزيد. نقلت هذه الصفحات على ثلاث بطاقات ثم مررتُ في تلك الصفحات واحدةً واحدةً فوجدتُ أن اسم الحِجاري قد ورد في معظم هذه الصفحات وُروداً عارضاً لا يوجب حكماً ولا يُفيد بحثاً. وبعد تلك الرحلة الطويلة الشاقّة وجدتُ نحوَ عشرين صَفْحَةً فيها شيء من النقد ثمّ بضع صفحاتٍ أخرى تتعلّق بحال الحِجاري.

وكذلك كان العملُ الآليُّ الذي قُمتُ به في هذا الجزء مُرهقاً جداً. إنّ تنضيدَ الحروف بالعقل الالكتروني (الكومبيوتر) - وخصوصاً في النصوص المشكولة - أمرٌ معقّدٌ من ناحية ثمّ هو مُتعبٌ في تصحيح «اللازم» من ناحية ثانية. كان المؤلفُ من قبلُ يأتي إليّ في اليوم بعد اليوم أو في الأسبوع بعد الأسبوع، ملزماً واحدةً (ستَ عشرةً صفحةً) أو ثلاثَ ملازمٍ أو أربعٍ في الأكثر فيصحّحها على مهلٍ وبالتّأني، كلّ ذلك مع الحرّية في التبدل الضروريّ والتعديل والتذييل. أمّا الآن، وفي الوقت الذي أكتب فيه هذه الأسطر، فقد جاءني من ثلاث مطابعٍ خمسون ملزمةً (ثمانمائةً صفحةً)، ثم من كلّ مطبعةٍ رجاءٌ لطيفٌ بأنّ أُسرّع في التصحيح، لأنّ «الكومبيوتر» منتظرٌ.

ثمّ إنّ «دار العلم للملايين» عهّدت - مشكورةً - إلى الأستاذ زهير فتح الله، وهو لي تلميذٌ قديمٌ، ثم كان منذ ذلك الحين صديقاً أيضاً، بمعاونتي في التصحيح. ورأى الأستاذ زهير فتح الله ألاّ يقصّرَ واجبه على تصحيح الأخطاء المطبعية، بل حرصَ أيضاً على أن ينفّيَ من هذا الكتاب ما أمكن من الهنات. ولقد اقترحَ عدداً من القراءات في عدد من الأحيان ثم عدداً من تفسير الأبيات أحياناً ممّا كان له وجه. ولقد كرّرتُ بصري في كلّ ما اقترحَ ثم قَبِلْتُ أشيئه ممّا كان قد اقترحه. فله على جُهودِهِ كلّها شكرى الجزيلُ.

ثم إنَّ الجزأين الباقيين من هذه السلسلة سيمثَّلان للطبع قريباً: إنَّ مادَّتَها كُلُّها موجودة، وقد جرى إعداد الجزء الخامس للطبع، ولكن يحتاجُ إلى أن أُمَرَّ عليه أنا ببصري مرَّةً أخرى.

والله من وراء القصد.

في السابع والعشرين من ربيع الأول ١٤٠١

١٩٨١/٢/٢.

عمر فروخ



مصادر ومراجع:

- ابن الأثير - الكامل في التاريخ لعمّر الدين أبي الحسن علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م.
- ابن الفرضي - تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تأليف أبي الوليد عبد الله بن محمد بن نصر الأزدي، القاهرة (عزّت الحسيني) ١٩٥٤ م.
- ابن قنفذ - وفيات ابن قنفذ أو كتاب الوفيات لأبي العباس أحمد بن حسن بن عليّ بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسطنطيني (عادل نويس)، بيروت (منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع) ١٩٧١ م.
- الإحاطة في أخبار غرناطة للوزير لسان الدين بن الخطيب، المجلد الأول (محمد عبد الله عنان)، مصر (دار المعارف) ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م. جزءان، القاهرة.
- أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر لأحمد بن محمد السلفي (احسان عباس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٣ م.
- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها (أميليو لافوانتي أي الكانترا)، مدريد (رفا دنييرا) ١٨٦٧ م.
- الأدب المغربي، تأليف محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي، بيروت (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني) ١٩٦٠ م.
- أزهار الرياض في أخبار عياض، تأليف شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلساني (مصطفى السقا - إبراهيم الأبياري - عبد الحفيظ شلي)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م.

الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تأليف سليمان الباروني، ؟ (المطبعة البارونية) ٢.

إعتاب الكتاب، تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار (صالح الأشر)، دمشق (مطبوعات مجمع اللغة العربية) ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م.

الأعلام للزركلي = الأعلام: قاموس تراجم، تأليف خير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة، ؟ (٩) ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م. - الطبعة الرابعة، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٧٩ م.

أعلام من طرابلس، تأليف علي مصطفى المصري، طرابلس - ليبيا (مكتبة دار الفكر) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.

أعلام الفكر الإسلامي

أعلام ليبيا، تأليف طاهر أحد الزاوي (مكتبة الفرجاني، طرابلس - ليبيا) ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م.

أعمال الأعلام في من بويج قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تأليف لسان الدين بن الخطيب السلمي (إ. ليفي بروفنسال) بيروت (دار المكشوف) ١٩٥٦ م.

أعيان الشيعة، تأليف محسن عبد الكريم الأمين، أجزاء كثيرة، دمشق وبيروت ١٩٣٦ م وما بعد.

إنباء الرواة على أنباء النحاة، تأليف جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، (محمد أبو الفضل إبراهيم)، القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م.

الأغودج - شعراء القيروان من أغودج الزمان، تأليف أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (زين العابدين السنوسي)، تونس (دار المغرب العربي) ١٩٥١ م.

بالنشيا - تاريخ الفكر الأندلسي، تأليف آنخل جنثالث بالنشيا (نقله حسين مؤنس)، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٥ م.

برنامج شيوخ الرعيني وهو أبو الحسن علي بن محمد الرعيني. الاشبيلي (إبراهيم

شَبَّوح)، دمشق (وزارة الثقافة والإرشاد القومي - مطبوعات مديرية أحياء التراث القديم، رقم ٤) ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ م.

Geschichte der Arabischen Litteratur, von Carl Brockelmann (mit Supplementbänden), Leiden (Brill) 1937-49.

بساط المقيت

البلغة

بغية المتمس في تاريخ الأندلس: علمائها وأمرائها وشعرائها وذوي النباهة فيها
مَن دخل إليها أو خرج عنها، ثمَّ وُشِّيَ به رياض الحميدي ونغم وألحم سداء وتمَّ
أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (فرنيسكو قوديره إي زبدن)، مجرط
(مطبع روخس) ١٨٨٤ م.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي،
مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ.

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي (ج. س. كولان
وإ. ليفي بروفنسال)، ليدن (بريل) ١٩٤٨ م، الجزء الثالث (إ. لافي
بروفنسال)، باريس (بولس كتنر) ١٩٣٠ م.

تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسني الزبيدي (الأجزاء
١-١٨ تحقيق علماء كثيرين)، الكويت (مطبعة حكومة الكويت)
١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م وما بعد.

تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة، تأليف احسان عباس، بيروت (دار
الثقافة) ١٩٦٠ و ١٩٦٩ م.

تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين، تأليف إحسان عباس، بيروت
(دار الثقافة) ١٩٦٢ م.

تاريخ الأدب الجزائري، تأليف محمد الطمار، الجزائر (الشركة الوطنية للنشر
والتوزيع) بلا تاريخ.

تاريخ الأدب العربي في صقلية، تأليف أمبرتو ريزيتانو، عمان (الجامعة الأردنية) بلا تاريخ.

تاريخ افتتاح الأندلس، تأليف أبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية، مصر (مطبعة التوفيق) بلا تاريخ.

تاريخ إفريقية والمغرب: قطعة منه لأبي إسحق إبراهيم بن القاسم الرقيق (المنجي الكمي)، تونس (رفيق السقطي)، ١٩٦٨ م.

تاريخ الجزائر العام، تأليف عبد الرحمن بن محمد الجيلاني، الجزائر (المطبعة العربية) ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م.

تاريخ العلماء والرواة للأندلس = ابن الفرضي.

تاريخ الفكر الأندلسي = بالنشيا.

تاريخ آلن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين لعبد الملك ابن صاحب الصلاة (عبد الهادي التازي)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٥ م.

تاريخ النقد الأدبي عند العرب، تأليف إحسان عباس، بيروت (دار الأمانة) ١٩٧١ م.

تالي وفيات الأعيان، تأليف فضل الله بن أبي الفخر الصقاعي (جاكлин سوبله)، دمشق (المعهد الفرنسي) ١٩٧٤ م.

تراجم أغلبية للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض (استخرجها من «مدارك القاضي عياض» محمد الطالبي)، تونس (المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية) ١٩٦٨ م.

تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، تأليف محمد عبد الله عنان، القاهرة (مكتبة الحانجي) ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م.

تعريف الخلف برجال السلف، تأليف أبي القاسم محمد الحفناوي، الجزائر (مطبعة بيبير فونتانه الشرقية) ١٩٠٦ م.

التكملة لكتاب الصلة، تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن

الأبّار (الفريد بل وابن أبي شنب) - وهو القسم المفقود من طبعة قدره
زيدين (مجريط ١٨٨٦ - ١٨٨٩ م) ومن طبعة فنزالش بلنسية (مجريط ١٩١٥ م)،
الجزائر (المطبعة الشرقية للأخوين فونطانا) ١٣٣٧ هـ = ١٩١٩ م.

جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس لأبي عبد الله محمد بن فتوح الحميدي (محمد
تاويت الطنجي)، القاهرة (مكتب نشر الثقافة الإسلامية) ١٩٥٢ م.

جيش التوشيح، تصنيف لسان الدين بن الخطيب (جلال ناجي ومحمد ماضور)، تونس
(مطبعة المنار) ١٩٦٧ م.

الحلة السراء لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبّار
(حسين مؤنس)، القاهرة (الشركة العربية للطباعة والنشر) ١٩٦٣ م.

خريدة القصر وجريدة العصر، تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد عماد الدين الكاتب
الأصفهاني:

- (قسم المغرب) الجزء الأول.

- (قسم المغرب والأندلس) (آدريتش آدرونوش)، تونس (الدار التونسية للنشر)
١٩٧١ - ١٩٧٢ م.

- (قسم الأندلس) (عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم)، القاهرة (دار نهضة مصر للطبع
والنشر).

دائرة المعارف الإسلامية (باللغة الانكليزية)، ليدن (بريل) ولندن (لوزاك)، الطبعة
الأولى ١٩١٣ م، الطبعة الثانية ١٩٦٠ م.

درّة المجال

دودو = كتب وشخصيات، تأليف أبي العيد دودو، الجزائر (الشركة الوطنية للنشر
والتوزيع) ١٩٧٠ م.

داية = تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، تأليف محمد رضوان الداية، بيروت (دار
الأنوار) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م.

الدباح المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تأليف برهان الدين إبراهيم بن علي

بن محمد بن فرحون البعمري، مصر (عبّاس بن عبد السلام بن شقرون) (١٣٥١ هـ -
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تأليف أبي الحسن عليّ بن بسّام الشنتريني (إحسان
عبّاس)، بيروت (دار الثقافة) ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م.
الذريعة إلى تصانيف الشيعة، تأليف محمد محسن آغا بزرك، النجف طهران
١٣٥٥ هـ.

الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك
المراكشي (إحسان عبّاس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٤ م.
رايات الميرّزين، لأبي الحسن عليّ بن موسى بن سعيد (أميليو غارثيا غوميز)، مدريد
(معهد دون خوان الفلانسي)، ١٩٤٢ م.
الرحلة المغربية جدّو.

رحلة التجاني لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد التجاني (حسن حسني عبد الوهاب)،
تونس (المطبعة الرسمية)، ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م.
روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تأليف عليّ بن عبد الله
ابن أبي زرع الفاسي، فاس ١٣٠٣ هـ.

الزبيدي = طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، (محمد أبو
الفضل إبراهيم)، القاهرة (دار المعارف) ١٩٧٣ م.
سركيس = معجم المطبوعات العربية والمعرّبة. جمعه ورتّبه يوسف اليان سركيس،
مصر (مطبعة سركيس) ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨ م.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحمي بن العواد الحنبلي، بيروت
(المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع) بلا تاريخ (نسخة بالتصوير؟).
شهيرات النساء، تأليف حسن حسني عبد الوهاب، تونس (المطبعة التونسية)
١٣٥٣ هـ.

الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (عرّت
القطّار الحسيني)، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٥٠.

صلة الصلة لأبي جعفر أحمد بن الزبير، بيروت (مكتبة خياط) بلا تاريخ (بالتصوير).
طبقات الأطباء = عيون الأنباء .

طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب محمد بن أحمد بن نعيم القيرواني (علي الشافى - نعيم حسن اليافى)، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٨ م.
الطمار = تاريخ الأدب الجزائري.

العبر في خبر من غير لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (نفر من العلماء)،
الكويت ١٩٦٠ م.

العرب في صقلية، تأليف احسان عباس، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٩ م.
العربي = مجلة العربي (الكويت).

عنوان الأريب عما نشأ في المملكة التونسية من عالم وأديب، تأليف محمد النيفر،
تونس (المطبعة التونسية) ١٩٥١ م.

عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس أحمد بن
أحمد الغبريني (رابح بونار)، الجزائر (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع)
١٣٨٩ هـ = ١٩٧٠ م.

عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تأليف موقق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن
أبي أصيبعة، مصر (المطبعة الوهبية) ١٢٩٩ هـ = ١٨٨٢ م.

الفهرست = كتاب الفهرست لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم الورّاق البغدادي
(فلوغل)، بيروت (خياط) ١٩٦٤ م (بالتصوير).

فهرسة ابن خير أبي بكر محمد بن عمر بن خليفة الأموي الاشيلي (فرنسيسكو قداره
زيدن وخليان رباره طراغو)، طبعة جديدة منقحة (زهير فتح الله).

بيروت (المكتب التجاري) - بغداد (مكتبة المثني) - القاهرة (مؤسسة الخانجي)،
١٢٨٢ هـ = ١٩٦٣ م (عن طبعة سرقسطة - إسبانية ١٨٩٣ م).

فوات الوفيات لصالح الدين محمد بن شاكر الكتي، مصر ١٢٨٣ هـ.

القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مصر (المطبعة الحسينية المصرية) ١٣٤٤ هـ .

القدح الملقى = اختصار القدح الملقى في التاريخ الملقى لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد، اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل (إبراهيم الأبياري)، القاهرة (الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية) ١٩٥٩ م .

قضاة الأندلس = تاريخ قضاة الأندلس: كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا لأبي الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي (إ. ليفي بروفنسال)، القاهرة (دار الكتاب المصري) ١٩٤٨ م .

القفطي = تاريخ الحكماء لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي (يوليوس ليرت)، ليبزيغ (ديترينغ) ١٩٠٣ م .

قلائد العقيان ومحاسن الأعيان لأبي نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسي (عبد سليلان الحرايري)، باريس؟ ١٢٧٧ هـ .

كتب وشخصيات = دودو .

المجلد في تاريخ الأدب التونسي، تأليف حسن حسني عبد الوهاب، تونس (مكتبة النار) ١٩٦٨ م .

المحمدون من الشعراء وأشعارهم لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي (حمد الجاسر)، الرياض (دار اليمامة) ١٩٧٠ م .

مختارات نيكل = مختارات من الشعر الأندلسي (جمعها المستشرق أ. ر. نيكل)، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٤٩ م .

المراقبة العليا = قضاة الأندلس .

المسلمون في صقلية = المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، تأليف أحمد توفيق المدني، الجزائر (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) ١٩٦٥ م .

المطرب من أشعار أهل المغرب لأبي الخطاب عمر بن حسن بن دحية (إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد البدوي)، القاهرة (المطبعة الأميرية)

١٩٥٤ م - .

المطمح = مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس لأبي نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسي، قسطنطينية (مطبعة الجوائب)، ١٣٠٢ هـ. (١٣٠٣ هـ).

معالم الإيمان.

المعجب في تلخيص أخبار المغرب لأبي محمد عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (دوزي)، أمستردام ١٩٦٨ م (بالتصوير؟).

مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق.

معجم الأدباء لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (أحمد فريد رفاعي)، القاهرة (مطبوعات دار المأمون) ١٩٣٦ م = ١٣٥٥ هـ.

معجم أعلام الجزائر.

المغرب في حلى المغرب، لنفر من المؤلفين آخرهم أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي (شوقي ضيف)، مصر (دار المعارف) ١٩٥٣ م.

المقتبس لحيّان بن خلف بن حيّان القرطبي:

- المقتبس في تاريخ رجال الأندلس (ملشور م. أنطونية)، باريس (بولس كتر الكتي)، ١٩٣٧ م.

- المقتبس في أخبار بلد الأندلس (عبد الرحمن علي الحجّي)، بيروت (دار الثقافة)، ١٩٦٥ م.

- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (عمود علي مكّي)، بيروت (دار الكتاب العربي) ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م.

مقدّمة ابن خلدون، بيروت (المطبعة الأدبية)، ١٩٠٠ م - بيروت (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني) ١٩٦١ م.

الملحق = بروكلمن.

م ع ع = مجلّة مجمع اللغة العربي بدمشق.

المنّ بالإمامة = تاريخ المنّ بالإمامة.

المنتخب المدرسي، تأليف حسن حسني عبد الوهاب.

النهل العذب من تاريخ طرابلس الغرب لأحمد بك، الأستانة (مطابع جمال أفندي)
١٣١٧ هـ.

النبوغ المغربي، تأليف عبد الله كتون، بيروت (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني)
١٩٦١ م.

النثر الفني في القرن الرابع، تأليف زكي مبارك، القاهرة (مطبعة دار الكتب
المصرية) ١٩٣٤ م.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني (إحسان
عبّاس)، بيروت (دار صادر) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨.

نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، لأحمد النائب الأنصاري
(علي مصطفى المصراقي)، بيروت (منشورات المكتب التجاري)، ١٩٦٣ م.

نكت الهميان في نكت الهميان لصلاح الدين بن أبيك الصفيدي (أحمد زكي
بك)، مصر (المطبعة الجاهلية) ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م.

نيكل = Hispano-Arabic Poetry and its Relation with the Old

Provençal Troubadours, by A.R. Nykl, Baltimore 1946.

نيل الابتهاج بتطريز الديباج (بهاش الديباج المذهب).

الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أبيك الصفيدي (علماء مختلفون)، أماكن
مختلفة (مطابع مختلفة)، ١٩٣١ م وما بعد.

وفيات ابن قنفذ = ابن قنفذ.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن
خلكان (إحسان عباس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٧٢ م.

تاريخ الأدب العربي في المغرب

المغرب هنا يُقال في مُقابل المشرق: إنَّ بَصَرَ والسودانَ (في قارة إفريقيا) ثم الحجازَ والشَّامَ (في قارة آسية) وما وراءَ هذه شرقاً هو المشرقُ، أما ليبيا وما وراءها غرباً (في قارة إفريقيا) ثم جزيرة سِقِلِيَّة أو صِقلِيَّة وشبه جزيرة إِبَارِيَّة - الأندلسُ - (من القارة الأوروبية) فَهِيَ الْمَغْرِبُ.

وسُكَّانُ المغرب في إفريقية وَخَدَّة جنسية، على ذلك أجمع الدارسون. وقد عُرِفَ الْمَغْرِبُ عندَ أهلِهِ بِأَسْمِ بلادِ الأمازيغ (أيِ الوطنيِّ الحرِّ)، كما عُرِفَ سُكَّانُهُ بِأَسْمِ الإيمازيغين (أي الرجالِ الأحرار). غيرَ أنَّ تَسْمِيَةَ سُكَّانِ المغرب بالبربر تَسْمِيَةٌ قَدِيمَةٌ عَرَفَهَا اليونانُ والرومانُ والأعرابيُّون^(١) وعَرَفَهَا العربُ وذكرَها أمرؤ القيس في شِعرِهِ. أما وَجْهُ اشتقاقِ الكَلِمَةِ «بربر» فقد غابَ - لِقَدَمِيهِ - عن رِوَاةِ اللُّغَةِ وَعِلْمِهَا.

والمغربُ في إفريقية وَخَدَّة جُغرافيَّةٌ، ولكنَّ هذه الوحدةَ خَضَعَتْ لِتَسْمِيَّاتٍ دَالَّةٍ على أَقْطَارِهَا. هذه التسمياتُ التي عَرَفَهَا العربُ منذَ الفتحِ كانتُ أربَعاً:

- بَرَقَّةٌ وطَرابُلُسُ (وهما اللَّتانِ تُعْرَفَانِ اليومَ باسمِ ليبيا). على أن بَرَقَّةً كانت في الأكثرِ تَابِعَةً في تاريخها لِبَصَرَ، بينما طَرابُلُسُ كانت في الأكثرِ تَابِعَةً لِلْمَغْرِبِ الْأَدْنَى.

(١) الأعرابيُّون هم سُكَّانُ شبه جزيرة العرب الأَوَّلون - وأكثرهم البدو - وهم الذين كانوا قد خرجوا في موجات متباعدة ثم استقرُّوا في العراق وسورية ومصر والحشة وعرفوا في مساكنهم الجديدة باسمِ الأُمُورِيِّين أو الآرامِيِّين أو الكنعانيِّين أو البابليِّين أو العرب أو غير ذلك. وكانت عادة المؤرِّخين المتأخِّرين أن يطلقوا على «الأعرابيين» اسم «ساميين»، نسبة في ظَنِّهم إلى سام بن نوح والاسم «ساميُّون» خطأ ليس هنا محلُّ تبيانِه. أمَّا الاسم «أعرابيُّون» فقد اقترحه الصديق الدكتور زكي عبد الرحمن النقَّاش - ولد ١٣١٣ (١٨٩٦ م) في كتابه «دور العروبة في تراثنا اللباني» (١٩٧٤ م).

- المغرب الأدنى (وهو المعروف اليوم باسم تُونِس)، وكان الرومان يُطلقون عليه اسم «إفريقية».

- المغرب الأوسط (وهو الجانب الأوسط من المغرب كله، ولا نعرف له حدوداً معينة لا من الشرق ولا من الغرب).

- المغرب الأقصى، وهو الجزء الذي يقع بعد المغرب الأوسط ثم يمتد غرباً إلى البحر الأخضر (المحيط الأطلسي).

ويحسُن أن نُثبت هنا عدداً من الملاحظات تتعلق بالمغرب (في إفريقية) كله:
أ - إن هذه التسميات لا تدل على أقطار معينة، وإن كانت تشير إلى أجزائه المغرب بإضافة بعضها إلى بعض.

ب - ومع أن البربر وخذةً جنسيةً في الأصل، فإنه قد طرأ عليهم جاليات فاتهمون (كما حدث في كل بقعة في العالم)، فإذا هم اليوم مزيج يغلب عليه العنصر البربري، إذ يبدو أن الجوالي كانت قليلة العدد بالإضافة إلى جمهور البربر، كما أن جيوش الفاتحين أيضاً لم تكن كثيرة العدد. ونحن نلاحظ اليوم أن البربر قبائل ذوو خصائص جنسية متفاوتة كما أن هذه القبائل تتكلم بضع لهجات. ويجب ألا ننسى أنه مرّ على المغرب كله فاتهمون أو جاليات من الكنعانيين الأعرابيين الذين عرفهم اليونان باسم الفينيقيين ثم من اليونان والرومان ومن الجرمان (الفندال والقوط) الآريين، وأن المغرب كان يتلقى موجات زنجية من الجنوب.

ج - والاعتقاد السائد في المغرب إلى اليوم أن البربر قحطانيون من عرب الجنوب هاجروا إلى بلادهم الحالية من جنوبي شبه جزيرة العرب - ولا نعرف حكم التاريخ في ذلك.

د - كان معظم سواحل المغرب، قبل الفتح الإسلامي، خاضعاً للروم البيزنطيين؛ وهم الذين كانوا مُستولين على الشام (في الشرق) قبل الفتح الإسلامي في الشرق. وقبل الروم كان الرومان يُسيطرون على معظم سواحل

المغرب. فلما جاء الفتح الإسلامي كان للنصرانية بمذهبيها الأرثوذكسي (الرومي الشرقي) والكاثوليكي (الروماني الغربي) شيء من الانتشار. أما معظم البربر، على الساحل وفي الداخل، فكانوا على الوثنية. ولقد كانت المنازعات الدينية نائرة في المغرب كما كانت في ذلك الحين نائرة في المشرق.

وسكان المغرب أهل بدو وأهل حضارة، فحياتهم من هذه الناحية شبيهة بحال العرب في شبه جزيرة العرب. على أن ظل الحضارة في المغرب أوسع فالعمران فيه أكثر وأقدم عهداً مما في شبه جزيرة العرب حيث نشأ الجنس العربي وتطورت اللغة العربية وجرى الأدب العربي على لسان أهل الأولين. وأما بدو المغرب فتختلف أيضاً من بدو المشرق في أمرين: إن البدو في المشرق دائمو الترحال ينتقلون بمواشيهم من مكان إلى مكان ينتبعون مساقط القيث، حتى إذا جف الماء التجمع في بقعة ونفذ عشبها ارتحلوا إلى مكان آخر. فبيوتهم من أجل ذلك خيام يحملونها معهم حيث ذهبوا. أما في المغرب فللبدو رحلتان: يرحلون في الشتاء إلى مكان يميلون فيه، ثم يعودون في الصيف إلى مكانهم الأول، ولذلك تراهم في بعض الأحيان يقيمون بيوتاً من حجر. ثم هم فوق ذلك يربون الماشية ويزرعون الأرض معاً.

وكثير من عادات أهل المغرب الإفريقي في الحياة الاجتماعية كان يشبه عادات أهل المشرق من البدو، ولا يزال كذلك إلى حد كبير.

الأندلس

أما شبه جزيرة إبارية (إيبيرية، الأندلس: إسبانية والبرتغال) فتقع في الطرف الجنوبي الغربي من قارة أوروبا وتقابل المغرب الأقصى.

لما جاء الفتح الإسلامي كان أهل البلاد الأصليون يعيشون في الأكثر على الزراعة عيشة نكداء. أما الحكم فكان في يد القوط الغربيين، وهم جرمان طارئون على شبه الجزيرة. وكان الحكم القوطي في دوره الأخير ضعيفاً متفككاً فاسداً. وكان أهل البلاد الأصليون يمانون منه ظلاً وإرهاقاً.

وكانت النصرانية دعى شبه الجزيرة الإيبيرية: كان الحكام القوط أنفسهم أريوسيين مُنشقين عن الكنيسة الكاثوليكية وعن عقيدة الروم الأرثوذكسية. وكان للكاثوليكية أتباع في البلاد التي كانت تحت سيطرة الرومان من قبل، كما كان لعقيدة الروم الأرثوذكس أتباع حيث كان للروم البيزنطيين سيطرة (على أجزاء من سواحل الجزيرة). ولم يكن النزاع الديني في إيبيرية أقل منه في المغرب الإفريقي ولا أقل مما كان في المشرق قبل الإسلام.

الفتح في المغرب وفي الأندلس

بعد أن فتح عمرو بن العاص مصر سار في سنة ٢٢ (٦٤٣ م) وفتح برقة صُلحاً. وقبل أن تنتهي سنة ٢٣ كان العرب قد فتحوا جميع ليبيا، في أيام عمر بن الخطاب. وفي أول سنة ٢٧ (حريف ٦٤٧ م) أذن الخليفة عثمان بن عفان لواليه على مصر عبد الله بن أبي سرح بأن يسير إلى فتح إفريقية (القطر التونسي). واستطاع العرب في عام واحد أن يفتحوا القطر التونسي.

غير أن الفتن التي حدثت في المشرق في أيام عثمان وعلي ومحاولات الروم في استرداد ما كانوا قد خسروه في المغرب - بعد أن توطد حكم العرب في المشرق - جعلت العرب يتراجعون عن إفريقية وعن أجزاء من ليبيا مرة بعد مرة.

ولم تثبت الحكم العربي في المغرب إلا بعد الفتح الرابع، سنة ٤٦ (٦٦٦ م) بقيادة عقبة بن نافع. وفي سنة ٥٠ (٦٧٠ م) بنى عقبة القيرواناً (مُسكرأ) وخط فيه مسجداً (عين اتجاهه نحو القبلة، أي نحو مكة)، فأصبح هذا المُسكر مع الأيام مركزاً مهماً لتجميع الجيوش والسكنى. وسرعان ما أصبح هذا «القيروان» مدينة عظيمة مشهورة ومركزاً من مراكز العلم والحضارة في العالم الإسلامي.

وتابع عقبة بن نافع نفسه الفتح في المغرب حتى وصل إلى ساحل البحر، على البحر الأخضر (البحيط الاطلنقي). غير أن عقبة ترك الحزم وعاد في عدد قليل من أتباعه، فانتهر الروم والإفرنجية فيه الغرصة وهاجموه عند تهودة في بلاد الزاب،

جَنُوبَ جِبَالِ أَوْرَاسَ قَرِيباً مِنْ بَسْكَرَةَ (فِي الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ) فَاسْتَشْهِدَ وَمَنْ مَعَهُ فِي
أَوَاخِرِ سَنَةِ ٦٣ (آبِ ٦٨٣).

وَقَضَى الْعَرَبُ عَشْرِينَ سَنَةً أُخْرَى أَوْ تَزِيدُ حَتَّى قَضَوْا عَلَى كُلِّ نَفُوذٍ لِلرُّومِ
وَالْإِفْرَنْجَةِ فِي الْمَغْرِبِ. عِنْدَئِذٍ اسْتَقَرَّ الْمَغْرِبُ إِلَى الْحُكْمِ الْعَرَبِيِّ وَبَدَأَ الْإِسْلَامُ يَنْتَشِرُ
فِيهِ.

وَفِي سَنَةِ ٨٦ (٧٠٥ م) جَاءَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى الْخِلَافَةِ فَفَصَّلَ إِفْرِيقِيَّةَ
وَسَائِرَ الْمَغْرِبِ عَنِ وِلَايَةِ مِصْرَ وَوَلَّى عَلَيْهَا مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ.

الفتح في الأندلس

كَانَ فَتْحُ الْأَنْدَلُسِ اسْتِمْرَاراً لِحَرَكَةِ الْفَتْحِ الْعَامَّةِ لِنَشْرِ الدَّعْوَةِ. ثُمَّ كَانَ الْعَرَبُ
يَخَافُونَ أَنْ يَثِيبَ الْقُوطُ وَالْإِفْرَنْجَةُ - وَمِنْ وَرَائِهِمُ الرُّومُ - عَلَى إِفْرِيقِيَّةٍ مِنْ جَدِيدٍ.

وَيَبْدُو أَنْ يُلْيَانَ كَانَ رَجُلًا مِنَ الْأَفَارَاقَةِ وَزَوْجًا لِبَنْتِ غَيْطَشَةَ (مَلِكِ الْقُوطِ
الشَّرْعِيِّ الْمَخْلُوعِ) وَالْيَا مِنْ قَبْلِ الْقُوطِ عَلَى سِنَةِ. وَكَذَلِكَ كَانَ نَاقِمًا عَلَى لُذْرِيقِ مَلِكِ
الْقُوطِ الْمُتَنَصِّبِ. وَقَامَ يُلْيَانُ بِمُفَاوَضَةِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ لِتَسْهِيلِ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ عَلَى
الْعَرَبِ. وَبَعْدَ أَنْ أُرْسِلَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ حَمَلَتَيْنِ اسْتِكْشَافِيَتَيْنِ فِي عَامَيْنِ مُتَوَالِيَيْنِ
بِقِيَادَةِ يُلْيَانَ (٩٠ هـ) ثُمَّ بِقِيَادَةِ مَوْلَاهُ طَرِيفِ (٩١ هـ) أُرْسِلَ حَمَلَةٌ لِلْفَتْحِ (٩٢ هـ
= ٧١١ م) بِقِيَادَةِ مَوْلَاهُ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ.

نَزَلَ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ عَلَى الْبَرِّ الْإِسْبَانِيِّ ثُمَّ اخْتَارَ مَكَانَ الْمَعْرَكَةِ الْمُقْبِلَةِ فِي إِقْلِيمِ
الْبُحَيْرَةِ، عِنْدَ مَدِينَةِ لَكَّةَ مِنْ كُورَةِ شَذُونَةٍ قَرِيباً مِنْ نَهْرِ لَكَّةَ. وَجَاءَ لُذْرِيقُ بِجَيْشٍ
كَثِيفٍ لِلْقِتَالِ الْعَرَبِ وَلَكِنَّهُ أَنْهَزَهُمْ لِإِرَاعَةِ الْخَطَةِ الَّتِي وَضَعَهَا طَارِقُ وَلِأَنَّ نَفَرًا كَثِيرِينَ
مِنْ أَنْصَارِ لُذْرِيقِ خَذَلُوهُ فِي إِبَانِ الْمَعْرَكَةِ. وَلَمْ يَغْشُرْ أَحَدٌ بَعْدَ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ عَلَى جُنَّةِ
لُذْرِيقِ.

وَقَسَمَ طَارِقُ الْجَيْشَ بَعْدَ مَعْرَكَةِ لَكَّةَ أَرْبَعَ فِرَقٍ سَارَتْ تَفْتَحُ فِي الْأَنْدَلُسِ بِسُرَرٍ
وَسُهولةٍ لِأَنَّ الشَّعْبَ الْإِسْبَانِيَّ كَانَ يَتَلَقَّى الْعَرَبَ بِالْتَرَحُّابِ حُبًّا بِالتَّخَلُّصِ مِنْ ظُلْمِ
حُكَّامِهِ الْقُوطِ.

وَوَصَلَتْ أَخْبَارُ الْفَتْحِ هَذِهِ إِلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ فَجَمَعَ جَيْشًا جَدِيدًا وَسَارَ بِهِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَالتَقَى بِطَارِقٍ عِنْدَ مَدِينَةِ طُلَيْطَلَةَ. وَفِي مَدَى عَامَيْنِ آتَيْنِ اسْتَطَاعَ طَارِقُ وَمُوسَى أَنْ يُتِمَّا فَتْحَ شِبْهِ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ إِلَّا جَانِبًا يَسِيرًا مِنْهَا (فِي الشَّالِ الْغُرِّي). أَمَّا غَنَائِمُ الْعَرَبِ فِي الْأَنْدَلُسِ فَكَانَتْ عَظِيمَةً جَدًّا أَعْظَمُهَا بِلَا رَيْبٍ بِلَادُ مَنْحَتِ الْعُرُوبَةِ وَالْإِسْلَامِ حَضَارَةٌ وَثِقَافَةٌ وَأَدْبَاءٌ وَفَنَاءٌ قَلَّ أَنْ عَرَفَ الْعَالَمُ مِثْلَهَا.

وَلَا نَعْلَمُ السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أُرْسِلَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ (٨٦ - ٩٦ هـ) إِلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ يَدْعُوهُ إِلَى الرُّجُوعِ إِلَى دِمَشْقَ. اسْتَخْلَفَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ ابْنَهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ عَلَى الْأَنْدَلُسِ وَأَسْكَنَهُ فِي إِشْبِيلِيَّةَ وَأَمَرَهُ بِمُتَابَعَةِ الْجِهَادِ لِتَوْطِيدِ الْفَتْحِ، ثُمَّ قَتَلَ، فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ ٩٥ (٧١٤ م)، وَمَعَهُ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ وَالْفَنَائِمُ. وَجَازَ مُوسَى إِلَى إِفْرِيقِيَّةٍ وَعَيْنَ ابْنِهِ مَرْوَانَ عَلَى طَنْجَةَ وَابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ عَلَى الْقَيْرَوَانِ. ثُمَّ تَابَعَ سَيْرَهُ إِلَى الْمَشْرِقِ، فِي أَوَّلِ سَنَةِ ٩٦ (أَيْلُول - سِبْتِمْبَرِ ٧١٤ م). فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى طَبْرِيقَةِ مَنْ أَرْضِ فَلَسْطِينِ وَأَفَاهُ رَسُولٌ مِنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ - وَهُوَ بَعْدُ وَلِيٌّ لِلْعَهْدِ - يَطْلُبُ إِلَيْهِ أَنْ يَتَرْتَبِثَ فِي الْمَسِيرِ حَتَّى يَكُونَ قُدُومُهُ عَلَى دِمَشْقَ وَسُلَيْمَانَ خَلِيفَةً، لِأَنَّ الْوَلِيدَ كَانَ مَرِيضًا مَرَضَ الْمَوْتِ. غَيْرَ أَنَّ مُوسَى أَغْذَى السَّيْرَ وَفَاهُ لِلْوَلِيدِ الَّذِي كَانَ قَدْ وَجَّهَ الْفَتْوحَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَوَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ وَالْوَلِيدُ حَيٌّ فِي الْأَغْلَبِ.

وَجَاءَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى الْخِلَافَةِ (٩٦ - ٩٩ هـ) فَاتَّبَعَ سِيَاسَةَ يَمْنِيَّةٍ، خِلَافًا عَلَى أَخِيهِ وَأَبِيهِ مِنْ قَبْلُ فِي اتِّبَاعِهَا سِيَاسَةَ قَيْسِيَّةٍ، فَأَسَاءَ إِلَى الْقَيْسِيِّينَ وَنَكَبَ الْقَوَادِ الَّذِينَ فَتَحُوا الْفَتْوحَ فِي الْمَشْرِقِ ثُمَّ أَلْقَى مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ فِي السِّجْنِ وَأَرْسَلَ مُحَمَّدَ بْنَ بَزِيدٍ وَالْيَأَى عَلَى الْمَغْرِبِ وَأَمَرَهُ بِأَنْ يَأْخُذَ آلَ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ بِالتَّعْذِيبِ وَالْقَتْلِ وَأَنْ يُغْرِمَهُمْ ثَلَاثِمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ. وَقَدْ كَانَ سَجَنُ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ وَمَقْتَلُ وَلَدَيْهِ عَبْدِ اللَّهِ وَعَبْدِ الْعَزِيزِ مِنَ الْوَصَائِتِ الَّتِي لَصِقَتْ بِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَبَدَ الدَّهْرِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا تَفْسِيرٌ أَوْ تَعْلِيلٌ سِوَى الْقَسْوَةِ وَالْفُظَاظَةِ وَالْحِقْدِ فِي قَلْبِ سُلَيْمَانَ. وَتَوَفَّى مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ فِي الْحَجَازِ بَائِسًا فَقِيرًا ذَلِيلًا (٩٨ = ٧١٦ م). أَمَّا طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ فَقَضَى بَقِيَّةَ عُمُرِهِ خَامِلًا لَا نَدْرِي كَيْفَ تَقَلَّبَ الدَّهْرُ بِهِ. ثُمَّ تَوَفَّى نَحْوَ سَنَةِ ١٠٢ (٧٢٠ م).

طبقات الناس (في الأندلس خاصة)

لَمَّا آسَتْبَبَ الْفَتْحُ فِي الْأَنْدَلُسِ أَصْبَحَ النَّاسُ طَبَقَاتٍ (مِنْ حَيْثُ الْعَصْبَةُ وَالذِّينُ):

١ - الْمُسْلِمُونَ:

(أ) الْعَرَبُ: الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْمَشْرِقِ وَنَسَلَهُمْ. فَإِذَا كَانُوا قَدْ جَاءُوا مَعَ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ أَوْ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ (فِي أَوَّلِ الْفَتْحِ) فَهَمْ «الْبَلَدِيُّونَ». أَمَّا إِذَا كَانُوا قَدْ جَاءُوا مَعَ بَلْجٍ بْنِ يَشْرِ بْنِ عِيَاضٍ الْقُسَيْرِيِّ عَلَى رَأْسِ جُنْدٍ أَهْلِ الشَّامِ، فِي آخِرِ عَصْرِ الْوَلَاةِ، فَهَمْ «الشَّامِيُّونَ».

(ب) الْبَرْبَرُ: أَهْلُ الْمَغْرِبِ الَّذِينَ انْتَقَلُوا إِلَى الْأَنْدَلُسِ مَعَ الْفَتْحِ أَوْ بَعْدَهُ.

(ج) الْمَوْلُودُونَ أَوْ الْمَوَالِي: وَهُمْ الَّذِينَ اعْتَنَقُوا الْإِسْلَامَ مِنْ نَصَارَى الْأَنْدَلُسِ.

٢ - غَيْرُ الْمُسْلِمِينَ:

الْمُسْتَعْرَبُونَ: نَصَارَى الْأَنْدَلُسِ الَّذِينَ تَعَلَّمُوا اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ فَأَصْبَحَتْ لِفَتْهُمْ يَنْثَرُونَ فِيهَا وَيَنْظِمُونَ.

الْعَجَمُ: نَصَارَى الْأَنْدَلُسِ الَّذِينَ لَمْ يَتَعَلَّمُوا اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ، وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ لُغَةً عِلِيَّةً هِيَ مَزِيْجٌ تَغْلِبُ عَلَيْهِ لَاتِينِيَّةٌ مُتَقَهَّرَةٌ.

الرُّومُ وَالْإِفْرَنْجُ وَالْقُوطُ أَسْمَاءٌ تَدَلُّ عَلَى غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ (الرُّومُ الْبِيزَنْطِيُّونَ وَالْإِفْرَنْجَةُ الْبَرَابَرَةُ، الْخ). وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ تُطْلَقُ أَيْضاً عَلَى النَّصَارَى عَامَّةً.

الْيَهُودُ.

الأدب في هذه الفترة

لَمْ يُؤَثَّرْ عَنْ عَصْرِ الْفَتْوحِ فِي الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ (٢٣ - ٩٤ = ٦٤٤ - ٦٩٥ م).

أدب، مع الإيقان بأن العرب كانوا في أثناء تلك الفتوح بحاجة إلى شعر وخطابة يستخدِمونها في حياتهم الحربية على الأقل. أما الشعر والنثر المرويان عن طارق بن زياد ففيهما موقفان: موقف راجح هو أن خطبة طارق^(١) والأبيات المنسوبة إليه منحوالة كلها. وهناك موقف مرجوح (ضعيف) هو أن هذا النثر والشعر لطارق بن زياد نفسه.

وعلى كل، فإننا إذا ألقينا شيئاً من الشعر أو النثر - في هذه الفترة - فإنه يكون قد جرى على لسان عرب من جنود الفتح فيعد حينئذ من أدب المشرق لا من أدب المغرب. من ذلك مثلاً أدب موسى بن نصير^(٢)، فموسى بن نصير كان عربياً فصيحاً بليغاً يُروى عنه شيء من الشعر والنثر.

ويبدو أن البربر في المغرب قد بدأوا يتعلمون القرآن والفقه والنحو منذ أيام

(١) تسب إلى طارق بن زياد خطبة مشهورة مطلعها: «أيتها الناس، البحر من ورائك والعدو من أمامك؛ وليس لك - والله - إلا الصدق والصبر.....».

طارق بن زياد بربري الأصل دخل في الإسلام وفي ولاء موسى بن نصير. ولما جاز طارق برجاله إلى الأندلس للفتح لم يكن قد مرَّ على إسلامه وتعلّم اللغة العربية إلا سنوات لا بزدن على خمس، فليس من المعقول أن تكون تلك الخطبة من قوله. ثم إن في هذه الخطبة صناعة هي أقرب إلى ما عرف في العصر الماسي. ولم ترد هذه الخطبة في مصدر نعرفه قبل نفع الطيب للمقري (ت ١٠٤١ = ١٦٣١ - ١٦٣٢ م). راجع الخطبة في نفع الطيب ١: ٢٤٠ - ٢٤١، رواها عن بعض المؤرخين.

وكذلك روي لطارق شيء من الشعر منه (نفع الطيب ١: ٢٦٥، عن «المهذب» (للحجاري) و«العرب» (لابن السمع).

ركبنا سفينةً بالهجاز مقبراً عسى أن يكون الله منّا قد اشترى...

وهذا أيضاً شعر منحول (راجع في طارق بن زياد، نفع الطيب ٢: ١٥٠ وما بعدها متفرقاً، وراجع في الشك في الشعر والنثر المرويين لطارق بن زياد، «الأدب المغربي»، ص ١٠٠ - ١٠٣) وراجع في إثبات هذا النثر وهذا الشعر لطارق بن زياد (ولأنّاد طارق بن زياد): «النوع المغربي»، ص ٤١ - ٤٢ (من المقدمة)، ٤١ - ٤٢ (من متن الكتاب)، ٣٧٣ - ٣٧٤ (من الخطبة).

(٢) ولد موسى بن نصير سنة ١٩ وتولى المغرب سنة ٨٦ ثم عاد إلى المشرق سنة ٩٦. أما وفاته فكانت في الأغلب سنة ٩٩ (٧١٧ م). راجع، في الكلام على موسى بن نصير، وفيات الأعيان ٣: ١٩ - ١٢٧، نفع الطيب ٢: ١٤٦ - ١٤٩، ١٥٥ - ١٥٦، ٢١٢ - ٢١٦، ٢١٨ - ٢٢٠، ٢٢٢ - ٢٢٧ ثم فيما يتطرق ببلاغته وشعره ٢٥٠ وما بعدها.

عُقْبَةُ بْنِ نَافِعٍ (ت ٦٣) فَقَدْ تَرَكَ عُقْبَةُ فِي الْبَرْبَرِ جَاعَةً مِنْهُمْ شَاكِرٌ صَاحِبُ الرِّبَاطِ. يَعْلَمُونَ الْبَرْبَرَ الْقِرَانَ وَأُمُورَ الْإِسْلَامِ. وَكَذَلِكَ فَعَلَ مُوسَى بْنُ نَصِيرٍ فَإِنَّهُ لَمَّا جَازَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ لِلْحَاقِ بِطَارِقِ تَرَكَ فِي الْمَغْرِبِ سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ يَعْلَمُونَ الْبَرْبَرَ الْقِرَانَ وَشَرَائِعَ الْإِسْلَامِ. وَقَدْ كَانَ الْمُنْذِرُ الْيَافِي^(١) يُحَدِّثُ فِي إِفْرِيْقِيَةِ بِأَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ.

عصر الولاة (٩٢ - ١٣٨ هـ)

بَعْدَ مَقْتَلِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُوسَى، فِي مَطْلَعِ سَنَةِ ٩٨، بَقِيَتْ الْأَنْدَلُسُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ بِلَا وَالٍ، ثُمَّ قَدَّمَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ أَيُّوبَ بْنَ حَبِيبِ اللَّخْمِيِّ، ابْنَ أُخْتِ مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ - وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا - لِيُؤْمَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ. بَعْدَئِذٍ آرَضَوْهُ وَالِيًا. غَيْرَ أَنَّ وَالِيَّ إِفْرِيْقِيَةَ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ أَرْسَلَ الْحُرَّ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّقَفِيَّ لِيَلِيَّ الْأَنْدَلُسَ مَكَانَ أَيُّوبَ ابْنَ حَبِيبٍ، فِي السَّنَةِ نَفْسِهَا.

فِي أَيَّامِ الْحُرِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ تَحَوَّلَتِ الْعَاصِمَةُ مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ إِلَى قُرْطُبَةَ لِأَنَّ إِشْبِيلِيَّةَ كَانَتْ مِيدَانًا وَاسِعًا لِنَشَاطِ الْإِسْبَانِ ضِدَّ الْحُكْمِ الْعَرَبِيِّ وَلِأَنَّ قُرْطُبَةَ أَقْرَبُ إِلَى طَرِيقِ الْقَوَافِلِ. وَمِنْذَ أَيَّامِ الْحُرِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَدَأَتْ غَزَوَاتُ الْعَرَبِ وَرَاءَ جِبَالِ الْبَرَانِسِ (فِي بِلَادِ الْإِفْرَنْجَةِ - فَرَنْسَةِ) لِأَنَّ الْبَابُوِيَّةَ وَمُلُوكَ أَوْرُوبَةَ كَانُوا قَدْ جَعَلُوا بِلَادَ الْإِفْرَنْجَةِ مَرْكَزًا يَمْوَنُونَ مِنْهُ الْإِسْبَانُ لِقِتَالِ الْعَرَبِ.

وَفِي سَنَةِ ٩٩ (٧١٧م) تُوُفِّيَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَخَلَفَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ. فَقَامَ عُمَرُ بِعَزْلِ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ عَنِ إِفْرِيْقِيَةِ وَوَلَّى مَكَانَهُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَبِي الْمُهَاجِرِ، كَمَا وَلَّى عَلَى الْأَنْدَلُسِ السَّمْعُ بْنَ مَالِكِ الْخَوْلَانِيَّ. وَكَانَ عُمَرُ قَدْ قَالَ لِلْسَّمْعِ أَنْ يَنْظُرَ فِي أُمُورِ الْأَنْدَلُسِ، فَإِذَا كَانَ فِيهَا خَطَرٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَلْيَقْفِلْهُمْ (يَرُدَّهُمْ) إِلَى إِفْرِيْقِيَةِ وَيَنْجِبْ مِنَ الْأَنْدَلُسِ. فَكَتَبَ السَّمْعُ إِلَى عُمَرَ بِأَنَّ لَا خَطَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَنَّ

(١) الْمُنْذِرُ الْإِسْلَامِي، وَيَعْرِفُ أَيْضًا بِاسْمِ الْمُنْذِرِ الْإِفْرِيْقِيِّ لِأَنَّهُ سَكَنَ إِفْرِيْقِيَةَ (الاستقصا ١: ٤١) نَفَعَ الطَّبِيبَ (٢: ٢٣٣)؛ رَاجِعِ اسْتِمْرَاعِ أَقْوَالِ الْمُؤَرِّخِينَ فِي الْمُنْذِرِ فِي «الْمُهَلِّ الْعَذْبِ» ٤١: ١٠ - ٤٣.

أَحْوَالُهُمْ مُسْتَقَرَّةٌ. عِنْدئِذٍ أُمِرَ عُمَرُ بِالْبَقَاءِ فِي الْأَنْدَلُسِ وَبِالْقِيَامِ بِعَدَدٍ مِنَ الْإِصْلَاحَاتِ. وَقَامَ السَّحْبُ بِغَزَوَتَيْنِ إِلَى فَرَنْسَةِ، سَنَةِ ١٠٠ وسنة ١٠٢، فَقُتِلَ فِي الثَّانِيَةِ مِنْهَا فَاسْتَطَاعَ أَحَدُ الْقَادَةِ فِي جَيْشِهِ - وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَافِقِيُّ - أَنْ يَنْسَحِبَ بِالْجَيْشِ بِمَهَارَةٍ فَائِظَةٍ. فَقَدَّمَهُ الْجَنْدُ وَجَعَلُوهُ وَالِيًا مُوقَّتًا عَلَى الْأَنْدَلُسِ.

وَفِي سَنَةِ ١٠١ (٧٢٠م) تُوُفِّيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَخَلَفَهُ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَوَلَّى يَزِيدُ عَلَى إِفْرِيْقِيَةِ يَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمٍ. فَلَمَّا وَصَلَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ إِلَى الْقَيْرَوَانِ (١٠٣ هـ) وَلَّى عَلَى الْأَنْدَلُسِ عُنْبَسَةَ بْنَ سُحَيْمٍ الْكَلْبِيِّ. وَغَزَا عُنْبَسَةُ فَرَنْسَةَ (١٠٥ - ١٠٧ هـ) فَصَعَّدَ فِي حَوْضِ نَهْرِ رُودَنَةِ (الرُون) حَتَّى وَصَلَ إِلَى لُوكْسُوِي (فِي مَقَاطِعَةِ سَاوُون الْعُلْيَا)، وَهِيَ أَبْعَدُ نَقْطَةٍ وَصَلَ إِلَيْهَا الْعَرَبُ فِي فَرَنْسَةِ.

معركة بلاط الشهداء : في فرنسا

وَمِنْ وُلَاةِ الْأَنْدَلُسِ الْمَشْهُورِينَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَافِقِيُّ، تَوَلَّى الْأَنْدَلُسَ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ سَنَةَ ١١٢ (٧٣٠م). قَادَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَافِقِيُّ جَيْشًا إِلَى فَرَنْسَةِ فَالْتَقَى بَيْنَ مَدِينَةِ تُورٍ وَمَدِينَةِ بَوَايَنِيَه (عَلَى نَحْوِ ٢٥٠ كِيلُو مِتْرًا مِنْ بَارِيسَ جَنُوبًا)، بِالْحَاجِبِ (كَبِيرِ الْبَلَاطِ) قَارْلُهُ وَمَعَهُ جُمُوعٌ لَا تُحْصَى مِنْ جَمِيعِ أَقْطَارِ أَوْرُوبَةِ (مِنَ النَّصَارَى وَمِنَ الْقَبَائِلِ الْجَرْمَانِيَةِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ بَعْدُ قَدْ دَخَلَتْ فِي النَّصْرَانِيَةِ). وَكَانَ عَدَدُ الْعَرَبِ قَلِيلًا جَدًّا، فَانْهَزَمُوا وَقُتِلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَافِقِيُّ وَكَثِيرُونَ مَعَهُ، فِي شَوَّالِ ١١٤ (أَوَاخِرَ ٧٣٢م). وَتُعْرَفُ هَذِهِ الْمَعْرَكَةُ بِاسْمِ بَلَاطِ الشُّهَدَاءِ لِكَثْرَةِ مَا اسْتُشْهِدَ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَبَعْدَ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ سُمِّيَ قَارْلُهُ « شَارْلَ مَارْتِل » (الْمُطْرَقَةُ).

فتنة ميسرة المضفري: في المغرب الأقصى:

فِي سَنَةِ ١١٥ وَلَّى هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى إِفْرِيْقِيَةِ عُيَيْدَ اللَّهِ بْنِ الْحَبْحَابِ. وَقَدْ حَدَّثَتْ فِي أَيَّامِهِ فَتْنَةٌ مَيْسَرَةُ الْمَضْفَرِيِّ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنَ الْبَربرِ تَقَبَّلَ دَعْوَةَ الصُّفَرِيَّةِ^(١) مِنَ الْخَوَارِجِ، فَأَرْسَلَ ابْنَ الْحَبْحَابِ عَلَى مَضْفَرَةٍ جَيْشًا بِقِيَادَةِ خَالِدِ بْنِ حَبِيبٍ فَانْهَزَمَ

(١) الصُّفَرِيَّةُ نَسَبٌ إِلَى زِيَادِ بْنِ الْأَصْفَرِ، وَقِيلَ نَسَبٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفَّارٍ (بَفَتْحِ الصَّادِ وَتَشْدِيدِ الْفَاءِ).

مَضْفَرَةٌ ولم يَثْبُتْ، فَقَتَلَهُ أَصْحَابُهُ لِأَنَّهُ أَنْهَزَهُمْ ثُمَّ وَلَّوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ خَالِدَ بْنَ حُمَيْدٍ الزَّنَاقِيَّ وَكُرُّوا عَلَى جَيْشِ خَالِدِ بْنِ حَبِيبٍ، عَلَى ضِفافِ نَهْرِ الشَّالِفِ، فَقُتِلَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَدَدٌ كَبِيرٌ حَتَّى عُرِفَتْ تِلْكَ الْمَعْرَكَةُ بِاسْمِ غَزْوَةِ الْأَشْرَافِ.

وَأَسْتَمَرَ الْأَضْطْرَابُ فِي الْمَغْرِبِ وَتَغَلَّبَ الْبَرْبَرُ عَلَى الْأُمُورِ وَقَاتَلُوا الْعَرَبَ فَأَرْسَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ جَيْشًا كَبِيرًا بِقِيَادَةِ كُلْثُومِ بْنِ عِيَّاضِ الْقُشَيْرِيِّ، وَعَلَى مُقَدِّمَةِ الْجَيْشِ بَلْجُ بْنُ بَشْرٍ (ابْنُ أُخْتِ كُلْثُومِ بْنِ عِيَّاضٍ). وَلَكِنَّ خَالِدَ بْنَ حُمَيْدٍ الزَّنَاقِيَّ تَغَلَّبَ عَلَى هَذَا الْجَيْشِ، عَلَى نَهْرِ سِبَاوٍ (أَوَاخِرُ ١٢٣ هـ = خَرِيف ٧٤١ م)، وَقَدْ قُتِلَ كُلْثُومُ بْنُ عِيَّاضٍ فِي الْمَعْرَكَةِ. ثُمَّ إِنَّ الزَّرَاعَ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ بَدَأَ فِي الْأَنْدَلُسِ وَكَادَ يَسْتَفْجِلُ، وَكَانَ أَمِيرَ الْأَنْدَلُسِ فِي ذَلِكَ الْحِينِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قَطَنِ فَاسْتَقْدَمَ بَلْجُ بْنُ بَشْرٍ مِنَ الْمَغْرِبِ مَعَ عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ (بَعْدَ أَنْهَارِمِهِمْ أَمَامَ الْخَوَارِجِ بِقِيَادَةِ خَالِدِ الزَّنَاقِيَّ).

بَعْدَ أَنْ تَغَلَّبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قَطَنِ، بِمُعُونَةِ بَلْجٍ وَأَهْلِ الشَّامِ، عَلَى الْبَرْبَرِ طَمِعَ بَلْجُ بِالْوِلَايَةِ عَلَى الْأَنْدَلُسِ. ثُمَّ حَدَثَ نِزَاعٌ طَوِيلٌ وَقِتَالٌ بَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قَطَنِ وَبَيْنَ بَلْجِ بْنِ بَشْرٍ قُتِلَ فِيهِ عَبْدُ الْمَلِكِ ثُمَّ قُتِلَ بَلْجُ أَيْضًا (نَحْوُ سَنَةِ ١٢٣ = ٧٤١ م).

وَأَضْطَرَبَتِ الْأُمُورُ فِي الْأَنْدَلُسِ. ثُمَّ أَضْطَرَبَ أَمْرُ بَنِي أُمَيَّةَ فِي الْمَشْرِقِ فَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ سُلْطَةٌ لَا عَلَى الْمَغْرِبِ وَلَا عَلَى الْأَنْدَلُسِ، فَأَخَذَ أَهْلُ كُلِّ قَطْرِ يَتَدَبَّرُونَ أُمُورَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ. وَأَنْقَسَمَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ خَاصَّةً ثَلَاثَةُ أَقْصَامٍ مُتَنَاجِرَةً: الْبَرْبَرُ وَالْبَلْدِيِّينَ وَالشَّامِيِّينَ (رَاجِعْ، فَوْقَ، ص ٣٩).

فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ تَوَلَّى الْأَنْدَلُسَ رَجُلٌ مِنَ الْيَمَانِيَةِ (عَرَبِ الْجَنُوبِ) اسْمُهُ أَبُو الْخَطَّارِ حُسَامُ بْنُ ضِرَارٍ الْكَلْبِيُّ. خَافَ أَبُو الْخَطَّارِ مِنْ تَجَمُّعِ الشَّامِيِّينَ حَوْلَ قُرْطَبَةَ فَفَرَّقَهُمْ: أَنْزَلَ أَهْلَ دِمَشْقَ فِي الْبَيْرَةِ (مِقَاطَعَةُ غَرْنَاطَةِ) لَشَبِّهِ الْبَيْرَةِ بِدِمَشْقَ وَسَمَّاها «دِمَشْقُ» - وَأَنْزَلَ أَهْلَ حِمَصَ فِي إِشْبِيلِيَّةَ، لَشَبِّهِ مِقَاطَعَةَ إِشْبِيلِيَّةَ بِحِمَصَ، وَسَمَّاها «حِمَصُ» - وَأَنْزَلَ أَهْلَ الْأُرْدُنِّ فِي مِقَاطَعَةِ رَيَّةَ (فِي أَرْضِ دُونَةِ وَمَالَقَةِ) وَسَمَّاها «الْأُرْدُنُّ» - وَأَنْزَلَ أَهْلَ فِلَسْطِينَ فِي شَدُونَةِ (وَهِيَ مِقَاطَعَةُ شَرِيشَ) وَسَمَّاها «فِلَسْطِينَ» - وَأَنْزَلَ أَهْلَ

مِصْر (وكانوا كثاراً) في مكانين: في مقاطعة باجة من جنوبي غربي الأندلس، وفي مقاطعة تَدميرَ من جنوبي شرقي الأندلس - وأنزل أهل قَنَسرينَ في مقاطعة جِيَان وسَمَاهَا «قَنَسرين».

أحداث المغرب

في هذه الفترة (١٢٦ هـ = ٧٤٤ م) تولى المَغْرِبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَبِيبٍ بْنُ أَبِي عَبْدِ بَنِ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ، وكان من الذين جاءوا مَعَ بَلَجٍ ثم جازَ مَعَ بَلَجٍ إِلَى الأندلس ثم أخرجهُ أَبُو الحَطَّارِ مِنَ الأندلس خوفاً مِنْهُ وَمِنْ طُمُوحِهِ إِلَى السُّلْطَةِ. فِي هَذِهِ الْمَدَّةِ اشْتَعَلَ المَغْرِبُ كُلَّهُ بِفِتْنِ الخَوَارِجِ مِنَ الصُّفَرِيَّةِ وَالإِبَاضِيَّةِ، فَبَيْنَ طَرَابُلسِ المَغْرِبِ وَالْمِغِيطِ الأَطْلَسِيِّ، ثُمَّ جَعَلَ بَعْضُ الخَوَارِجِ يُقَاتِلُ بَعْضاً. وَاسْتَطَاعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَبِيبٍ أَنْ يَضْبِطَ المَغْرِبَ كُلَّهُ وَأَنْ يُخَيِّدَ تِلْكَ الفِتْنَ إِلَى حِينٍ.

العصبيَّات في الأندلس (بين القيسية واليانية)

لَمْ تَخَفْ نِيَّةُ أَبِي الحَطَّارِ فِي تَفْرِيقِ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى الصُّمَيْلِ بْنِ حَاتِمٍ قَائِدِ جُنْدِ قَنَسرينَ، فَلَمْ يَرْضَ أَنْ يَنْتَقِلَ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ قَرِطَبَةَ إِلَى جِيَانٍ. جَمَعَ الصُّمَيْلُ وَجُودَ قَوْمِهِ القَيْسِيَّةِ وَعَرَّضَ عَلَيْهِمْ خُطْبَتَهُ لِلتَّغَلُّبِ عَلَى أَبِي الحَطَّارِ. وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّا نَحْنُ القَيْسِيَّةُ قَلِيلُو العَدَدِ، بَيْنَمَا الْيَانِيَّةُ، قَوْمُ أَبِي الحَطَّارِ، كَثِيرُونَ وَلَكِنَّهُمْ مَنْقَسِمُونَ. وَالرَّأْيُ أَنْ نَسْتَمِيلَ مِنْهُمْ قَوْماً لِيَسُوا عَلَيَّ وَفَاقِي مَعَ أَبِي الحَطَّارِ ثُمَّ نُقَدِّمَ رِجْلاً مِنْهُمْ لِلْوِلَايَةِ يَكُونُ لَهُ الأَسْمُ وَلَنَا الرِّسْمُ (الحُكْمُ الفِعْلِيُّ). فَاسْتَأْذَنَ الصُّمَيْلُ بَنِي لَخْمٍ وَبَنِي جُذَامٍ ثُمَّ جَعَلَ ثَوَابَةً بَيْنَ سَلَامَةِ الجُذَامِيِّ وَالْيَ الأندلس. وَوَقَعَتِ الحَرْبُ بَيْنَ الصُّمَيْلِ وَبَيْنَ أَبِي الحَطَّارِ فَانْهَزَمَ أَبُو الحَطَّارِ وَوَقَعَ فِي الأَسْرِ فَحَبَسَهُ الصُّمَيْلُ. وَنَجَّى أَبُو الحَطَّارِ مِنَ السَّجْنِ وَلَكِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَسْتَعِيدَ نَفْوَذَهُ السِّيَاسِيَّ.

تَوَفَّى ثَوَابَةً بَيْنَ سَلَامَةٍ فَجَاءَ فَاتَّفَقَ الصُّمَيْلُ مَعَ الْيَانِيَّةِ عَلَى أَنْ تَتَعَاقَبَ الْوِلَايَةُ بَيْنَ الْيَانِيِّينَ وَالْقَيْسِيِّينَ: يَكُونُ الْوَالِي فِي عَامٍ قَيْسِيّاً وَفِي الْعَامِ الَّذِي يَلِيهِ يَانِيّاً، وَهَكَذَا دَوَالِيكَ. ثُمَّ إِنَّهُ أَقْنَعَ الْيَانِيَّةَ بِأَنْ يَكُونَ الْبَدْءُ بِقَيْسِيٍّ لِأَنَّ قَيْساً هِيَ الْقَبِيلَةُ الَّتِي يَنْتَمِي

إِلَيْهَا الرُّسُولُ، ثُمَّ قَدِمَ لِلوَلَايَةِ يَوْسُفَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْرِيِّ، وَكَانَ رَجُلًا مِنْ نَسْلِ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ مُتَقَدِّمًا فِي السِّنِّ لَكِنَّ الْعَرِيكَةَ لَيْسَ لَهُ أَعْدَاءٌ. فَقَبِلَ الْجَمِيعُ بِهِ وَجَعَلَ الصُّمَيْلُ يَخُكُّهُمْ مِنْ وَرَائِهِ، ثُمَّ لَمْ يَبْقِ الصُّمَيْلُ بِمَا كَانَ قَدْ وَعَدَ الْيَانِيَّةَ بِهِ فَظَلَّتِ الْوَلَايَةُ بَعْدَ ذَلِكَ لِيَوْسُفَ الْفَهْرِيِّ اسْمًا وَلِلصُّمَيْلِ فِعْلًا.

ثُمَّ وَقَعَ الْقِتَالُ بَيْنَ الْيَانِيَّةِ بِقِيَادَةِ يَحْيَى بْنِ حُرَيْثٍ (وَمَعَهُمْ أَبُو الْخَطَّارِ) وَالْقَيْسِيَّةِ بِقِيَادَةِ الصُّمَيْلِ (وَمَعَهُمْ يَوْسُفُ الْفَهْرِيِّ)، فِي أَوَائِلِ سَنَةِ ١٣٠ (أَوَاخِرُ ٧٤٧م) فَانْهَزَمَ الْيَانِيَّةُ وَهَرَبَ ابْنُ حُرَيْثٍ وَأَبُو الْخَطَّارِ، وَلَكِنْ جُنُودُ الصُّمَيْلِ أَدْرَكُوهُمْ فَضَرَبَ الصُّمَيْلُ غُنَقِيَّتَهَا وَأَعْنَاقَ نَفَرٍ آخَرِينَ مِنَ الْأَسْرَى الْيَانِيَّةِ.

وَوَقَعَتِ الْوَحْشَةُ بَيْنَ يَوْسُفَ الْفَهْرِيِّ وَالصُّمَيْلِ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا كَانَ يَخْشَى عَلَى نَفْوِذِهِ السِّيَاسِيَّ مِنَ الْآخَرِ.

سقوط الدولة الأموية في المشرق

كَانَ لِسُقُوطِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي الْمَشْرِقِ (١٣٢ = ٧٤٩م) وَقِيَامِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ أَثَرٌ فِي الْمَغْرِبِ وَفِي الْأَنْدَلُسِ: انْقَسَمَ أَهْلُ الْبِلَادِ فَرِيقَيْنِ، مِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَرَى الْأَسْتِمْرَارَ فِي الْوَلَاةِ لِلْأُمَوِيِّينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَرَى مُنَاصَرَةَ الْعَبَّاسِيِّينَ. وَكَذَلِكَ طَمِعَ كَثِيرُونَ بِأَنْ يَسْتَبَدُّوا بِبَعْضِ الْبِقَاعِ مُسْتَقِلِّينَ عَنِ الدَّوْلَتَيْنِ. فَكَثُرَتِ الثُّورَاتُ فِي الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ مَعًا. وَتَحَرَّكَ الْخَوَارِجُ فِي الْمَغْرِبِ وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْبُرْبُرِ فَضَعُفَتِ سُلْطَةُ الْوَلَاةِ الْعَرَبِ عَنِ ضَبْطِ الْبِلَادِ. وَفِي الْمَغْرِبِ الْأَدْنَى خَاصَّةً (الْقَطْرِ التُّونِسِيِّ) وَقَعَ النِّزَاعُ بَيْنَ آلِ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ عَلَى الْحُكْمِ. وَكَذَلِكَ تَحَرَّكَ الْجَلَالِقَةُ (سُكَّانُ الْجَانِبِ الشَّمَالِيِّ الْغَرْبِيِّ مِنَ إِسْبَانِيَّةٍ، وَهُوَ الْبَقْمَةُ الَّتِي لَمْ يَسْتَوْلِ عَلَيْهَا الْعَرَبُ) وَجَمَلُوا يُغَيِّرُونَ عَلَى أَطْرَافِ الْأَنْدَلُسِ فِي الشَّمَالِ فَجَلًّا قَسْمٌ كَبِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَنِ تِلْكَ الْأَطْرَافِ.

المظاهر الأدبية في عصر الولاة

حَلَّ الْعَرَبُ لُغَتَهُمْ مَعَهُمْ إِلَى الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ فَكَانَتْ تَنْتَشِرُ بِأَنْتِشَارِ الْإِسْلَامِ؛ غَيْرَ أَنَّ الْحَاجَةَ ظَلَّتْ مُلِحَّةً إِلَى مَنْ يُعَلِّمُ الْبَرَبَرَ فِي الْمَغْرِبِ وَالْمَوْلَدِينَ (المسلمين من الإسبان) فِي الْأَنْدَلُسِ أُمُورَ الدِّينِ وَاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ. أُرْسِلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَشْرَةَ مِنْ التَّابِعِينَ (مِنْ أَهْلِ الْجِيلِ الَّذِي تَلَا جِيلَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ) إِلَى الْمَغْرِبِ لِيُفَقِّهُوا أَهْلَ الْمَغْرِبِ فِي الدِّينِ؛ مِنْ هَؤُلَاءِ حِبَّانُ بْنُ أَبِي جَبَلَةَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَافِعٍ وَسَعْدُ بْنُ مَسْعُودٍ التُّجِيبِيُّ. وَنَشَأَ فِي الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ طَبَقَةٌ مِنَ الْمُؤَدِّبِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَبْنَاءَ الْخَاصَّةِ فِي الْبُيُوتِ وَيَعْلَمُونَ أَبْنَاءَ الْعَامَّةِ فِي الْجُمُوعِ وَالْمَسَاجِدِ. وَنَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّ الْغَازِيَّ بْنَ قَيْسٍ^(١) - فِي مَطْلَعِ شَبَابِهِ، قَبْلَ دُخُولِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ (١٣٨ هـ = ٧٥٦ م) - كَانَ مُلْتَزِمًا لِلتَّأْدِيبِ (التَّعْلِيمِ) فِي قَرْطَبَةِ بَعْدَنُذِ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ وَلَقِيَ الْإِمَامَ مَالِكََ بْنَ أَنَسٍ وَتَفَرَّأَ مِنْ شُيُوخِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ كَالْأَصْمَعِيِّ (الزَيْدِيِّ ٢٧٦ - ٢٧٧).

أَمَّا النَّزْرُ الْيَسِيرُ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْنَا مِنَ النَّثْرِ وَالشَّعْرِ فِي عَصْرِ الْوَلَاةِ (٩٣ - ١٣٨ هـ) فَقَدْ قَالَهُ مَشَارِقَةُ مِنَ الطَّارِئِينَ عَلَى الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ. مِنْ ذَلِكَ مَثَلًا أَنَّ عُبَيْدَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ تَوَلَّى إِفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبَ سَنَةَ ١١١ (٧٢٩ م) بَعْدَ بَشْرِ بْنِ صَفْوَانَ فَأَخَذَ نَفَرًا مِنْ عُمَّالِ بَشْرِ وَأَصْحَابِهِ وَأَسَاءَ إِلَيْهِمْ وَنَكَلَ بِهِمْ. وَكَانَ فِي هَؤُلَاءِ أَبُو الْخَطَّارِ بْنُ ضِرَارٍ الْكَلْبِيُّ^(٢) - وَكَانَ شَرِيفًا فِي قَوْمِهِ مَعَ فَصَاحَةٍ وَبِرَاعَةٍ؛ وَكَانَ قَدْ

(١) راجع ترجمته، تحت، ص ٨٦.

(٢) القاموس ٢: ١٢٢، وفي تاج العروس (الكويت) ١١: ١٩٩، هو حُصَامُ بْنُ ضِرَارٍ بْنِ سَلَامَانَ بْنِ خَيْمٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ حُصَيْنٍ بْنِ ضَمْضَمٍ بْنِ عَدِيِّ بْنِ حَابٍ شَاعِرٍ وَلِيَ الْأَنْدَلُسَ (فِي خِلَافَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ) وَأَظْهَرَ الْعَصْبِيَّةَ لِلْبُلَانِيَّةِ عَلَى الْمَضْرِبَةِ وَقَتْلَهُ الصَّمِيلَ (بِالتَّصْفِيرِ) بْنِ حَاتِمٍ بْنِ شَمْرٍ (بَفَتْحِ فَكْسَرِ) بْنِ =

وَلِيَّ فِي إفريقية ولَايَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي أَيَّامِ بَشْرِ - فَمَزَلَهُ عُبَيْدُ وَنَكَلَ بِهِ، فَكَتَبَ أَبُو
الْخَطَّارُ إِلَى الْخَلِيفَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا^(١):

أَفَاتُمُ، بَنِي مَرَوَانَ، قَيْسًا دِمَاءَنَا؛ وَفِي اللَّهِ إِنْ لَمْ تُنْصَفُوا حَكَمٌ عَدْلٌ^(٢).
كَأَنْتُمْ لَمْ تَشْهَدُوا مَرْجَ رَاهِطٍ وَلَمْ تَعْلَمُوا مَنْ كَانَ ثُمَّ لَهُ الْفَضْلُ^(٣).
تَغَافَلْتُمْ عَنَّا كَأَنْ لَمْ نَكُنْ لَكُمْ صَدِيقًا؛ وَأَنْتُمْ مَا رَعَيْتُمْ لَهَا - فَعِلٌ^(٤).

وَمِثْلُ ذَلِكَ خَبَرُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَنْبَابِ^(٥):

كَانَ الْحَنْبَابُ (وَالدُّ عُبَيْدُ اللَّهِ) مَوْلَى لِبْنِي سَلُولٍ، وَقَدْ أَغْتَقَهُ رَجُلٌ اسْمُهُ الْحَجَّاجُ
السَّلُولِيُّ. وَنَشَأَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ الْحَنْبَابِ فَكَانَ رَئِيسًا نَبِيلًا وَأَمِيرًا جَلِيلًا بَارِعًا فِي
الْفَصَاحَةِ وَالْخَطَابَةِ حَافِظًا لِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارَهَا وَوَقَائِعِهَا. ثُمَّ تَرَقَّتْ بِهِ الْحَالُ
فَأَصْبَحَ، فِي رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ ١١٦ (٧٣٤م) وَالْيَا عَلَى إفريقية وَعَلَى الْمَغْرِبِ كُلِّهِ،
وَعَلَى الْأَنْدَلُسِ أَيْضًا فِيهَا بَعْدُ. وَهُوَ الَّذِي بَنَى الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ فِي تُونِسَ وَدَارَ الصِّنَاعَةِ
(لِبْنَاءِ السَّفَنِ) فِيهَا.

وَوَرَدَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَنْبَابِ، فِي ذَلِكَ الْعَامِ نَفْسِهِ، عُقْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ السَّلُولِيُّ
يَهْنُئُهُ بِالْوِلَايَةِ فَأَكْرَمَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ. فَفِيضَ أُنْبَاءِ عُبَيْدِ اللَّهِ لِأَنَّ أَبَاهُمْ وَالْيَا إفريقية

= ذِي الْجَوْشَنِ (بِالْفَتْحِ) الضَّيَّامِيُّ. رَاجِعْ أَيْضًا جُذُودَ الْمُقْبِسِ ١٨٨، الْحَلَّةُ السَّرَاءُ ٦١: ١ - ١٦٦، نَفْحُ
الطَّيِّبِ ١: ٢٣٨ (قَتَلَ أَبُو الْخَطَّارُ سَنَةَ ١٢٩)، ٢: ٢٢ - ٣٦؛ دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةُ ١:
١٣٤ - ١٣٥؛ الْأَعْلَامُ لِلزُّرْكَانِيِّ ١٨٧: ٢ (١٧٥).

(١) الْحَلَّةُ السَّرَاءُ ١: ٦٤، ١٦٥؛ رَاجِعِ الْبَيَانَ الْمَغْرِبَ ١: ٥٠.

(٢) - يَا بَنِي مَرَوَانَ، لَقَدْ جَعَلْتُمْ دِمَاءَنَا فَيْثًا (غَنِيمَةً لِبْنِي قَيْسٍ أَعْدَائُنَا) سَلَطْتُمْ أَعْدَاءَنَا عَلَيْنَا.

(٣) كَأَنْتُمْ نَسِيتُمْ أَنَّنَا نَحْنُ (الْبَايَةُ مِنْ عَرَبِ الْمَجْنُوبِ) كَمَا حَلَفْنَا بِكُمْ فِي مَعْرَكَةِ مَرْجِ رَاهِطٍ (٨٦ هـ)، وَهِيَ
الْمَعْرَكَةُ الَّتِي وَقَعَتْ قَرِبَ دِمَشْقَ وَانْتَصَرَ فِيهَا مَرَوَانُ بْنُ الْحَكَمِ وَأَحْلَفَهُ الْبَايَةَ عَلَى الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ
وَعُومَةٍ وَكَانُوا مِنْ أَتْبَاعِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ مُنَافِسِ الْأُمَوِيِّينَ فِي طَلَبِ الْخِلَافَةِ. فِي الْأَصْلِ: «تَمْ». (بِالْتَّاءِ
بِنَقْطَتَيْنِ مِنْ قَوْفِهَا) وَالْأَصَحُّ أَنْ تَكُونَ «تَمْ» (بِالْتَّاءِ الْمُنْقُوطَةِ ثَلَاثَ نَقَطٍ) هُنَاكَ (فِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ).

(٤) مَا رَعَيْتُمْ لَنَا فَعِلٌ: لَمْ تَدْرِكُوا الْعَمَلَ الَّذِي قَضَا بِهِ فِي سَبِيلِكُمْ

(٥) الْبَيَانَ الْمَغْرِبَ ١: ٥١ - ٥٣.

والغرب يبالغ في إكرام رَجُلٍ من عُرَضِ الناس. فَجَمَعَ عبيدُ الله بن الحبّابِ الناسَ وقامَ فيهم خطيباً فقال:

أُثِمّا الناسُ: إِنَّ بَنِي هَؤُلاءِ غَرَبَتْهُمُ غِرَّةُ الشَّيْطَانِ لِعِمْرَةِ السُّلْطَانِ^(١) فَأَرَادُوا أَمْرًا أَخْرَجَ بِهِ عَنِ الْحَقِّ، وَأَنْكَرُوا مَا رَأَوْا مِنْ بَرٍّ^(٢) لِهَذَا الرَّجُلِ. وَإِنَّا أَخِيرُكُمْ أَنَّهُ مُؤَلَايَ، وَأَنْ أَبَاهُ أَعْتَقَ^(٣) أَيُّ! وَأَنَا أَكْرَهُ كِتْمَانَ أَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ شَهِيدٌ عَلَيَّ بِهِ^(٤)!

وَفِي سَنَةِ ١٣٧ (٧٥٤م) ثَارَ الْحَبَّابُ بَيْنَ رَوَاحَةَ وَعَامَرُ بْنُ عَمْرِو الْعَبْدَرِيُّ وَحَاصِرَا الصُّمَيْلِ بْنِ حَاتِمٍ فِي سَرَقُشْطَةَ وَضَيْقًا عَلَيْهِ الْحَصَارُ. وَاجْتَمَعَ أَقْوَامٌ مِنْ أَنْصَارِ الصُّمَيْلِ لِنَجْدَتِهِ وَلَكِنْ لَمْ يَجِدُوا سَبِيلًا إِلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ وَالْحَصَارُ مَضْرُوبٌ عَلَيْهِ. وَأَرَادُوا أَنْ يُبَشِّرُوهُ بِالنَّجْدَةِ وَيُشَدِّدُوا مِنْ عَزِيمَتِهِ فَاحْتَالُوا بِأَنْ رَمَوْا إِلَيْهِ، مِنْ فَوْقِ السُّورِ، بِحِجَارَةٍ جَعَلُوا مَعَ كُلِّ حَجَرٍ مِنْهَا وَرَقَةً فِيهَا هَذَانِ الْبَيْتَانِ^(٥):

أَلَا أَبَشِّرُ بِالسَّلَامَةِ، يَا حِدَارُ؛ أَتَاكَ الْعَوْتُ وَانْقَطَعَ الْحِصَارُ^(٦)؛
أَتَتْكَ بَنَاتُ أَعُوجَ مُلْجَهَاتٍ عَلَيْهَا الْأَكْرَمُونَ وَهُمْ نِزَارُ^(٧)؛

فَقُرِئَتِ الْأَبْيَاتُ عَلَى الصُّمَيْلِ - وَكَانَ أُمِّيًّا لَا يَخْطُ وَلَا يَقْرَأُ الْخَطَّ - فَقَالَ لِمَنْ حَوَّلَهُ: «أَبَشِّرُوا، يَا قَوْمُ! فَقَدْ جَاءَكُمْ الْعَوْتُ، وَرَبُّ الْكُمْبَةِ^(٨)». ثُمَّ عُرِضَ عَلَى الصُّمَيْلِ أَنْ يُنَاصِرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ (الِدَاخِل) وَيُزَوِّجَهُ ابْنَتَهُ (تَمَكِينًا لِلتَّحَالُفِ بَيْنَهُمَا)

(١) خدعهم الشيطان بما أصبح لهم من عزة (قوة) السلطان (الحكم).

(٢) البر: الطاعة والإحسان.

(٣) أعتق: حرّر (أنقذ من العبودية).

(٤) الله شهيد عليّ به: الله يعرفه ويوجب عليّ أن أكافيه فاعله.

(٥) أخبار مجموعة ٦٨.

(٦) الجدار كتابة عن الحصار. أبشر بالسّلام، يا حدار = ثق أن المحاصرين لم يمزقوك. العوت: النجدة،

المساعدة، الانقاذ من البأس والضيق.

(٧) بنات أعوج: الخيل. كان أعوج حصاناً أصلاً تنسب إليه الخيل الكريمة. نزار: عرب الشمال.

(٨) ورَبُّ الْكُمْبَةِ = أقم (بصاحب) الكُمْبَةِ: الله.

فقال: أَرَوَيْ^(١) في أمري. بعدئذٍ رَجَعَ في قوله وقال: «تَأَمَّلْتُ الأَمْرَ فوجدته صَمْبَ المَرَامِ؛ فبارَكَ اللهُ لَكُمَا في رَأْيِكُمَا وَمَوْلَاكُمَا! فَإِنْ أَحَبَّ غَيْرُ السُّلْطَانِ^(٢) فَلَهُ عِنْدِي أَنْ يُوَاسِيَهُ يَوْسُفُ وَيُزَوِّجَهُ وَيَخْبُوهُ. أَنْطَلِقَا رَاشِدَيْنِ!» وَلَمَّا عَزَمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْحَرْبِ قَالَ يَوْسُفُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْرِيُّ لِلصَّمِيلِ: «مَا الرَّأْيُ؟» فَقَالَ لَهُ الصَّمِيلُ: «بَادِرُهُ السَّاعَةَ، قَبْلَ أَنْ يَسْتَفْجِلَ أَمْرُهُ»^(٣).

أَبُو الْأَجْرِبِ الْكِلَابِيُّ

١ - هُوَ أَبُو الْأَجْرِبِ جَمْعُونَةُ بْنُ الصِّمَّةِ الْكِلَابِيِّ مِنَ الْعَرَبِ (البدو) الطَّارِثِينَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ، كَانَ يَرَحُلُ (حِينًا) وَيَحِلُّ (حِينًا) بِأَكْنَافِ قُرْطُبَةَ. وَقَدْ كَانَ فَارِسًا شَجَاعًا حَتَّى سُمِّيَ «عَنْتَرَةَ الْأَنْدَلُسِ».

لَا نَعْلَمُ مَتَى دَخَلَ أَبُو الْأَجْرِبِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ، وَلَكِنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ يَهْجُو الصَّمِيلَ ابْنَ حَاتِمِ الْكِلَابِيِّ حِينًا ثَارَتِ الْعَصَبِيَّةُ (الْفِتْنَةُ وَالْقِتَالُ) بَيْنَ وَالِي الْأَنْدَلُسِ أَبِي الْخَطَّارِ حَسَامِ بْنِ ضِرَارِ الْكِلَابِيِّ (وَكَانَ يَمِينًا مِنْ عَرَبِ الْجَنُوبِ) وَالصَّمِيلِ قَائِدِ جُنْدِ قَسْرِينِ (جِيَانِ)، وَكَانَ قَيْسِيًّا (مِنْ عَرَبِ الشَّالِ)، سَنَةَ ١٢٦ (٧٤٤م). وَكَانَ أَبُو الْأَجْرِبِ قَيْسِيًّا كَالصَّمِيلِ، وَلَكِنَّ الْعَصَبِيَّةَ الْعَرَبِيَّةَ لَمْ تَنْقَسَ دَائِمًا أَنْقَسَامًا وَاضِحًا، بَلْ كَانَ فِي كُلِّ فَرِيقٍ مِنَ الْمُتَنَازِعِينَ عَادَةٌ جَاعَةٌ مِنْ عَرَبِ الشَّالِ وَجَمَاعَةٌ مِنْ عَرَبِ الْجَنُوبِ.

ظَفِرَ الصَّمِيلُ بِأَبِي الْأَجْرِبِ ثُمَّ عَفَا عَنْهُ فَانْقَلَبَ أَبُو الْأَجْرِبِ بِمَدْحِ الصَّمِيلِ وَيُكَيِّفُ حَتَّى كَانَ مُعْظَمُ شَعْرِهِ فِي مَدِيحِ الصَّمِيلِ. فَأَقْسَمَ الصَّمِيلُ أَلَّا يَرَى أَبَا الْأَجْرِبِ إِلَّا أَعْطَاهُ (مَالًا) - كَمَا كَانَ قَدْ فَعَلَ هَرْمُ بْنُ سَيَانَ مَعَ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ -.

(١) رَوَى فِي الأَمْرِ: قَلْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَتَأَمَّلَهُ بِأَنَاءَةٍ وَصَبْرٍ.

(٢) السُّلْطَانُ: الْحَكْمُ. «وَأَسَاءَ: عَزَاهُ؛ سَاوَاهُ بِنَفْسِهِ. يَوْسُفُ = يَوْسُفُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْرِيِّ أَمِيرُ الْأَنْدَلُسِ (وَكَانَ الصَّمِيلُ وَزِيرًا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْرِيِّ). مَجْبُوهٌ: يَعْطِيهِ (مَالًا).»

(٣) بَادِرُهُ: آسِيقُهُ (إِلَى الْقِتَالِ). اسْتَفْجَلَ الأَمْرَ (أَصْبَحَ فَعْلًا) شَدِيدًا نَصَبَ مَطْلَبَتِهِ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ الصَّمِيلِ فِي سَجْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَنَةَ ١٤٢ هـ. وَكَذَلِكَ قَتَلَ يَوْسُفُ الْفَهْرِيُّ فِي السَّجْنِ أَيْضًا سَنَةَ ١٤٢ هـ.

من أجل ذلك كان أبو الأجرَب يُعَبِّ لِقَاء الصُّمَيْل (يَلْقَاهُ فِي فترات مُتَباعِدة). ثم اقتصرَ على زيارته في العيدين فقط (عيد الفِطْرِ وعيد الأَضْحَى).

وتُوفِّي أبو الأجرَب في أعقاب عَصْرِ الوَلاةِ في الأندلس، قبل وقعة المَصارَة (على ثلاثة وعشرين كيلو متراً غرب قرطبة). وكانت وقعة المَصارَة في التاسع من ذي الحِجَّة ١٣٨. (١٣ / ٥ / ٧٥٦م).

٢ - كان أبو الأجرَب جَعونَةً من قُدماء شُعراء الأندلس، وكان من طَبقة جَرِير والفَرَزْدَق في المَشْرِق يجري على مذاهب العَرَب (البدو) في الشِعْر لا على مذاهب المُحدَثين^(١). وكان أبو نواس يُعجِبُ به^(٢).

٣ - مختارات من شعره

- يبدو أنه لم يبق لنا من شعر أبي الأجرَب إلّا هذان البيتان، وليسا من المديح:

ولقد أراني من هَوَايَ يَنْزِلُ عالٍ، ورأسي ذو غدائرَ أفرَع^(٣)،
والعيشُ أغيدُ ساقطُ أفنائه، والماءُ أطيبُ لَنَا والمرتع^(٤)!

٤ - ** جذوة المقتبس ١٧٧ - ١٧٨؛ (الدار المصرية) ١٨٩ - ١٩٠ (رقم ٣٦١)؛ بقية الملتص ٢٤٤ - ٢٤٥؛ (رقم ٦٢٦)؛ المغرب ١: ١٣٢ - ١٣٣؛ نفع الطيب، راجع: ٣، ١٧٧، ٢٢٥.

(١) راجع نفع الطيب ٣: ١٧٧.

(٢) راجع نفع الطيب ٣: ٢٢٥.

(٣) من هَوَايَ يَنْزِلُ عالٍ: شاكياً أتمتع بالهوى تمتعاً كاملاً. غدائر جمع غديرة: صغيرة (خصلة من الشعر). أفرع: طويل.

(٤) أغيد: جميل، ناعم. فيه سمة وطيب. ساقط أفنائه (أغصانه): أغصانه متدلية مثقلة بالفاكهة، كناية عن طيب العيش. المرتع: المرعى - وأطيب للأكل والشرب لنا (نحن الشباب).

عبد الرحمن بن زياد

١ - هو أبو خالد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المَعافِرِي الإفريقي، وُلِدَ في بَرْقَة (شرقي ليبيا اليوم)، سَنَة ٧٤ (٦٩٤م) وَهُوَ أَوَّلُ مولودٍ للمسلمين في إفريقية.

أخذ عبد الرحمن بن زياد عن جماعة من علمه المَغْرِب وَرَحَلَ إلى المشرق مراراً: رحل مرة في أيام هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥) ومرة في أيام مروان بن محمد (١٢٧ - ١٣٢ هـ)، وقد ولّاه مروان بن محمد قضاء القيروان. وَرَحَلَ مرة أخرى في صدر الدولة العبّاسية وصَحِبَ أبا جعفر المنصورَ قبل أن يَلِيَ الخِلافة.

ولما سقطت الدولة الأموية وقامت الدولة العبّاسية، سَنَة ١٣٨ (٧٤٩م) كان واليَ على إفريقية، منذ سَنَة ١٢٧، عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عُبْدَةَ بن عُقْبَةَ بن نافع، فأقرّه أبو العبّاس السَّفّاحُ (١٣٢ - ١٣٦) عليها ثم أقرّه المنصورُ (١٣٦ - ١٥٨) أيضاً.

ثم حَدَّثَ ما حَمَلَ عبد الرحمن بن حبيب على خَلْع طاعة المنصور، وَجَرَتْ أحوالٌ قُتِلَ فيها عبد الرحمن بن حبيب (١٣٧ هـ)، فاستطاع ابنه حبيب، في حديثٍ طويل، أن يتولّى على إفريقية. ثم رأى، تأييداً لمركزه أن يُرْجَعَ بإفريقية إلى طاعة العبّاسيين فأرسل، في ذي الحِجَّة من سَنَة ١٣٧ (أواخر الربيع من عام ٧٥٥م)، إلى المنصور وفدأ فيه عبد الرحمن بن زياد (ابن الأثير ٥: ٣١٤ - ٣١٥).

وَوَقَعَ عبد الرحمن بن زياد في الأسر (لسبب لا نَعْرِفه) ففداه المنصورُ وَرَدَّهُ إلى إفريقية وولّاه القضاء في القيروان. ويبدو أن مُدَّتَهُ في القِضْل طالت حتى جاء يزيدُ ابنَ حاتم والياً على إفريقية (١٥٤ - ١٧٠). فطَلَبَ منه إنفاذ حُكْمٍ على وجهِ مُعَيَّن فلم يقبلَ عبد الرحمنُ فَعَزَلَهُ.

وكانت وفاة عبد الرحمن بن زياد سَنَة ١٦٢ (٧٧٨م) في الأغلب (ابن الأثير ٦: ٥٩، راجع البيان المغرب ١: ٨٠) وقِيلَ سَنَة ١٥٦ (ابن الأثير ٦: ١٢) شذرات الذهب ١: ٢٤٠) أو سَنَة ١٥٧ (ابن الأثير ٦: ١٢).

٢ - كان عبد الرحمن بن زياد تقياً ورعاً وزاهداً واعظاً ومحدثاً، تولى القضاء فكان عادلاً في أحكامه صلباً في مسلكه. وكان أديباً بليغاً شاعراً.

وقد كان عبد الرحمن بن زياد بن أنعم من العلماء، روى عنه الحديث جماعة (راجع تراجم أغلبية ٩، ٢٧، ٧١، ٧٧، ١٤٤، ثم ٤٣٦؛ نفح الطيب ١: ٢٧٨، ٥٧٥: ٢، ٥٨: ٣).

٣ - مختارات من آثاره

- لما كان عبد الرحمن بن زياد في العراق اشتاق إلى القيروان فقال:

ذَكَرْتُ الْقَيْرَوَانَ فَهَاجَ شَوْقِي، وَأَيْنَ الْقَيْرَوَانُ مِنَ الْعِرَاقِ!
مَسِيرَةُ أَشْهُرٍ لِلْيَسْرِ نَصًّا عَلَى الْإِبِلِ الْمُضْمَرَةِ الْعِنَاقِ^(١).
فَأَنْبَلِغُ أَنْعَمًا وَبِسِي أَيْهِ وَمَنْ يُرْجَى لَنَا وَلَهُ التَّلَاقِي:
بَأَنَّ اللَّهَ قَدْ خَلَّى سَبِيلِي وَجَدَّ بِنَا الْمَسِيرُ إِلَى مِزَاقِي^(٢).

- كانت لعبد الرحمن بن زياد أحاديث مرّت فيها الفقرة التالية:

أنا أوّل مولود في الإسلام بأفريقية - إذا رأيت الهدية دخلت إلى القاضي من باب فأعلم أنّ الأمانة خرجت من كوة داره - ما أمرتُ أراه بباب هشام إلا أرى اليوم طرفاً منه بالقيروان - ما يُدركُ المألُ والشرف إلا في صُحْبَتِكَ وصحبة من هو مثلك وإني تركتُ عجزاً (بالقيروان) وإني أحبُّ مُطالعتها^(٣).

(١) العيساء: الناقة. النص: حث الدابة على السير الشديد. المضمرة = الضامرة: التحيلة الحصر القادرة على المجري بسرعة ومدة طويلة. العنق: الأصيل، الكريم.

(٢) خلى سبيلي: أخرجني من الأسر! سمح بعودتي إلى الوطن. ناقة مزاق: سريعة جداً (القاموس ٣: ٢٨٣). والملموح هنا أنّ «مزاق» اسم مكان.

(٣) ما أمر (من الظلم...). بباب هشام (بن عبد الملك) أي في الدولة الأموية. اليوم (أي في أيام الدولة العباسية) طرفاً (جانباً، قمّاً، شيئاً منه). عجز (كناية عن أمه). المطالعة: النظر إلى الشيء باستمرار.

- ومن أحاديثه قوله:

أُسرْتُ أنا وجماعةً معي . فرُفِئنا إلى الطاغية . فبينما نحنُ في حبسه إذ غشيهُ عيدٌ فأقبلَ علينا فيه من الحارِّ والباردِ ما يفوقُ المقدارَ^(١) . فبينما نحنُ كذلك إذ خَطَرَتْ امرأةٌ نفيسةً^(٢) على الطاغية فأخبرتْ بحسنِ صنيعِ الملكِ بالعرب . فمزقتْ ثيابَها ونشرتْ شعرَها وسودتْ وجهَها وأقبلتْ إليه بمنظرٍ شاهٍ^(٣) . فقال: ما لكِ؟ فقالت: إنَّ العربَ قتلوا أبني وزوجي وأخي وأبي، وأنتَ تفعلُ بهمُ الَّذي رأيتُ؟.....

٤ - * * طبقات علماء إفريقية وتونس ٩٥-١٠٥ تراجم أغلبية - راجع الفهرست ص ٤٣٦، ابن الأثير ٥: ٣١٥، ٦: ١٢، ٥٩: البيان المغرب ١: ٨٠، شذرات الذهب ١: ٢٤٠، عنوان الأريب ١: ١٩-٢٠، مجمل الأدب التونسي ٣٢-٤، الأعلام للزركلي ٤: ٧٨ (٣: ٣٠٧).

-
- (١) الطاغية: الظالم (ملك الروم!). غشيهِ عيد: حلَّ عيد من أعياد قومه. من (الطعام) الحارِّ والبارد (من أنواع الطعام)، ما يفوق (يزيد على) المقدار (الضروري).
(٢) خطرت (جاءت تتبختر). نفيسة على الطاغية: عزيزة، ذات مكانة عنده.
(٣) سودت وجهها: وضعت عليه لوناً أسود (كناية عن الحزن). شاه (مشوه?).

بنو أمية في قرطبة

تَنَقِّمُ الدولة الأموية في قرطبة حِقَبَتَيْنِ: حِقْبَةَ الأمراء المتوارثين، مِنْ سَنَةِ ١٣٨ إلى سنة ٣١٦ (٧٥٥ - ٩٢٩ م)، وهم الأمراء الذين حكموا الأندلس من غير أن يَتَسَمَّوْا بِأَسْمِ خَلِيفَةٍ؛ ثُمَّ حِقْبَةَ الخلفاء، مِنْ سَنَةِ ٣١٦ إلى سنة ٤٢٢ (٩٢٩ - ١٠٣١ م).

عصر الأمراء المتوارثين (١٣٨ - ٣١٦ هـ)

لَمَّا سَقَطَتِ الدولة الأموية في المَشْرِقِ (١٣٢ = ٧٤٩ م) تَتَبَعَ العبَّاسيون أمراء البيت الأموي المالك بالقتل. وكان مِنْ نَجَا من القتل عبدُ الرحمن بنُ معاوية بنِ هشام بن عبد الملك بن مروان فاستطاع أن يَصِلَ إلى الأندلس وأن يَجْمَعَ حَوْلَهُ أنصاراً منهم الصَّمِيلُ بن حاتم. ولكن قِتالاً نَشِبَ بَيْنَ عبدِ الرحمن بنِ معاوية وعبد الرحمن الفهري انتصر فيه عبدُ الرحمن بنُ معاوية فَبُويعَ له بالإمارة في قرطبة يومَ عيدِ الأضحى (العاشر من ذي الحِجَّة) ١٣٨ (١٣ / ٥ / ٧٥٦ م). ثم دخل عبدُ الرحمن الفهريُّ في طاعة الأمير عبد الرحمن بنِ معاوية. وقد سُمِّيَ عبدُ الرحمن بنُ معاوية عبدَ الرحمن الداخلَ لِأَنَّهُ أَوَّلُ من دخل الأندلس من الأمويين في أحوال قاسية جداً.

حاول الخليفة العبَّاسيُّ أبو جعفر المنصورُ (١٣٦ - ١٥٨) أن يُبَيِّرَ في الأندلس فِتْنَةً على عبدِ الرحمن الداخل، ولكن عبدَ الرحمن الداخلَ تَغَلَّبَ على تلك الفِتْنَةِ وَشَيْكَاً. فأدرك أبو جعفر المنصورُ أن لا فائدة من مُقاومة عبدِ الرحمن الداخل وسأه صَفَرُ قُرَيْشٍ إعجاباً به وبمَقْدِرَتِهِ على الدخولِ إلى الأندلس والاستيلاء على المُلْكِ فيها.

ثارت على عبد الرحمن الداخل فتنة كثيرة فتغلب عليها كلها، وقد قُتِلَ الصَّمِيلُ بْنُ حَاتِمٍ وعبدُ الرحمن الفهريُّ في فتنةٍ من تلك الفتن، سنة ١٤٢ (٧٥٩ م). وقطَعَ عبدُ الرحمن الداخلُ صلته بإفريقية وتركها للمُتَنَازِعِينَ فيها. ثم إنه لم يُحاول أن يُغيظَ العباسيين فلم يتسم بالخلافة احتراماً لحقهم فيها وتجنباً للنزاع معهم.

الخوارج في أقطار المغرب

لما جد الأمويون في المشرق في تتبع الخوارج، انتقل عددٌ من فرق الخوارج إلى المغرب كالأزارقة^(١) والصُفْرية^(٢) والإباضية (وسياقي الكلام على النشاط السياسي للخوارج مُفَرَّقًا في أماكنه). ولكن لا بدُّ هنا من كلمة في «الإباضية» لأنهم كانوا أبعد أثرًا في تاريخ المغرب: من طرابلس (في غربي ليبيا) إلى المغرب الأقصى على شاطئ المحيط الأخضر (الاطلنطقي). وهم وحدهم الذين استطاعوا أن يؤسّسوا دولةً بالمعنى المألوف، هي الدولة الرُستميّة.

الإباضية أتباع عبد الله بن إِباض^(٣) التيمي. وهو من التابعين (الذين أدركوا صحابة رسول الله ولم يدركوا رسول الله نفسه). ويبدو أنه من أهل الكوفة ثم خرجَ

(١) الأزارقة أتباع نافع بن الأزرق (ت نحو ٦٥) كانوا كثيرون التشدد في كل شيء: حكموا على مخالفهم بالشرك واستباحوا قتل المخالفين لهم مع نساءهم وأطفالهم (راجع «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي، ص ٥٠ - ٥٤). قالوا: كلّ ذنب صاحبه مشرك.

(٢) الصُفْرية هم أتباع زياد بن الأصفر، في المشهور، بتشددون كالأزارقة، ولكن لا يقولون بقتل النساء والأطفال من مخالفهم. (الفرق بين الفرق، ص ٥٤ - وما بعد).

(٣) راجع ترجمة مبسطة لعبد الله بن إِباض: الاعلام للزركلي ٤: ١٨٤-١٨٦ (٦١-٦٢). وفي النشأة السياسية للمذهب، راجع «مختصر تاريخ الإباضية» وفي آراء الإباضية، راجع الفرق بين الفرق ٦١ وما بعد.

ويبدو أنَّ الصُفْرية كانوا ذوي النشاط الملحوظ في المغرب كلّ منذ ظهرت دعوة الخوارج عامة، وخصوصاً في قبيلة برغواطية، سنة ١٢٢ (ابن عذاري ١: ٥٢، شذرات الذهب ١: ١٦٠). واستطاع أمير إفريقية محمد بن الأشعث الخزاعي (١٤٣-١٤٨)، في مطلع إمارته أن يهزم الإباضية في معركة قتل فيها زعيمهم أبو الخطاب. فلما علم بذلك عبد الرحمن بن رستم الإباضي فرّ إلى نواحي تيمرت فاخطنها ونزلها (١٤٤=٧٦١ م). وبذلك انتقل المذهب الإباضي في المغرب من حركة فقهية إلى تنظيم سياسي، ومن جماعة دينية إلى دولة.

إلى الحِجَازِ لِيَشْتَرِكَ فِي قِتَالِ الْجَيْشِ الْأُمَوِيِّ، فَقَدْ كَانَ مُعَاوِيَةُ بْنُ يُزَيْدٍ قَدْ أَرْسَلَ مُسْلِمَ ابْنَ عَقْبَةَ الْمُرِّيَّ، سَنَةَ ٦٣، بِجَيْشٍ كَثِيفٍ لِقِتَالِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ خَلَعُوا بَيْعَةَ بَنِي أُمَيَّةَ. وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبَاضٍ فِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ (٤٠ - ٦٠ هـ) ثُمَّ بَقِيَ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ عَبْدِ الْمَلِكِ (ت ٨٦ = ٧٠٥ م).

وَالْإِبَاضِيَّةُ لَيْسُوا، عَلَى الْحَضَرِ، مِنَ الْخَوَارِجِ. وَيَبْدُو أَنَّ الَّذِي حَمَلَ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْفُقَهَاءَ عَلَى عَدْوِهِمْ فِي الْخَوَارِجِ أَمْرَانِ: عِدَاؤُهُمْ لِبَنِي أُمَيَّةَ ثُمَّ تَشَدُّدُهُمْ فِي عِدَدٍ مِنْ مَسَائِلِ الْإِعْتِقَادِ وَالْعِبَادَةِ. فَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ سَارَّ مَذْبَذَةَ بِسِيرَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ثُمَّ لَأَنَّ لِقَوْمِهِ الْأُمَوِيِّينَ فِي إِعْطَائِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا أَكْثَرَ مِمَّا يَسْتَحِقُّونَ فِي جَمْعِهِ الْأَمْوَالِ وَفِي مَخَالَفَةِ عُمرَ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ، ثُمَّ نَفَى أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِيَّ عَنِ الْمَدِينَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ تَمَّا لَا يَجُوزُ فِي الْإِسْلَامِ. ثُمَّ أَسْتَمَرَ عِدَاؤُهُمْ لِجَمِيعِ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ الَّذِينَ كَانَتْ دَوْلَتُهُمْ دُنْيَوِيَّةَ ظَلَمَةٍ. وَهُمْ يُجَلِّونَ الْإِمَامَ عَلِيًّا وَيُجَلِّونَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ. ثُمَّ إِنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْخَوَارِجَ كَانُوا أَوْلَى عَلَى الْحَقِّ ثُمَّ فَارَقُوهُ. وَهُمْ يَتَبَرَّأُونَ مِنْ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ وَأَتْبَاعِهِ.

وَبَعْدَ ابْنِ إِبَاضٍ رَأْسَ الْحَرَكَةِ أَبُو الشَّعْثَاءِ جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ الْأَزْدِيُّ (١٨ - ٩٣ هـ)، وَلَدَ قَرَبَ نَزَوَى فِي عُثْمَانَ (بَضَمَ الْعَيْنَ وَاهْمَالَ الْمِيمَ: فِي الطَّرْفِ الْجَنُوبِيِّ الشَّرْقِيِّ مِنْ شِبْهِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ). وَكَانَ عَالِمًا كَبِيرًا وَفَقِيهًا مُجْتَهِدًا. وَيُرَى سُلَيْمَانُ الْبَارُوْنِيُّ (مُخْتَصِرُ تَارِيخِ الْإِبَاضِيَّةِ ٢٩) أَنَّ الْمَذْهَبَ كَانَ يُجِبُّ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ لِأَنَّ ابْنَ إِبَاضٍ نَفَسَهُ كَانَ لَا يَبْتَأُ أَمْرًا إِلَّا بِمَشُورَتِهِ وَرِضَاهُ! وَلِجَابِرٍ كِتَابٌ فِي الْفَقْهِ عُنَوَانُهُ «دِيَوَانُ جَابِرٍ» فَقَدْ فِيهَا بَعْدُ.

وَمُنْذُ هَذَا الْحِينِ، فِي أَيَّامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ، كَانَتْ الْمَذَاهِبُ الْخَارِجِيَّةُ قَدْ انْتَقَلَتْ إِلَى الْمَغْرِبِ وَأَخَذَتْ تُرْسِلُ جُذُورَهَا إِلَى كُلِّ جِهَةٍ. وَقَدْ شَجَّعَ عَلَى ذَلِكَ تَحَلِّيُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ عَنِ الْإِهْتِمَامِ بِشَأْنِ الْمَغْرِبِ لَكِي يَتَوَقَّفَ عَلَى الْإِهْتِمَامِ بِالْأَنْدَلُسِ وَحَدَّهَا.

وَأَدْرَكَتِ الْخِلَافَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ ذَلِكَ فَجَعَلَتْ تُرْسِلُ إِلَى الْمَغْرِبِ وَلَاةَ عَلَى أَقْطَارِهِ

يتملأوا الفراغ الذي أحدثه سقوط الخلافة الأموية في المشرق وانصراف عبد الرحمن الداخل عن مشاكل المغرب.

والجدير بالذكر أن الإباضية الذين كانوا يميلون إلى العباسيين - إلى رجال البيت العباسي - أخذوا الآن يُقاومون الولاة العباسيين ويثورون عليهم.

لم يُحاول الأمير عبد الرحمن أن يُحارب الإِسبان، ولا اتفق أن غزا الإِسبان الأراضي الداخلة في حُكم عبد الرحمن. ولكن لما غزا ملكُ الفرنجية شارلمان الأندلس (١٦١ هـ = ٧٧٨ م) تصدّى له عبدُ الرحمن وهزّمه. ثم تقطّع جيشُ شارلمان في أشك تلك الهزيمة في ممر روتشبالس (في الأفرنسية: رونسو) عبر جبال البرانس (البرينيه). ومن هذه الهزيمة نشأت الملحمة الفرنسية القديمة: أغنيّة رولان.

توفي عبدُ الرحمن الداخل (١٧٢ = ٧٨٨ م) فخلفه أبْنه هشامُ الرَضِيّ، وقد نازعه أخواه سليمان وعبدُ الله الحُكَم ولكنّه تغلبَ عليهما ثم أرضاهما بال دَفْعِهِ إليهما فانتقلا إلى المغرب وصفا الحُكَم هشام. وفي سنة ١٧٦ قام ملكُ جيلقية برمودة الأول بمهاجمة الأندلس، ولكن هشاماً الرَضِيّ هزمه. ثم تابعت غزواتُ العرب إلى جيلقية.

وفي أيام هشام الرَضِيّ انتقل المذهب المالكي إلى الأندلس. والذي يلاحظ أن المذاهب الشيعية ومذاهب الخوارج التي كثر انتشارها كلها في المغرب لم ينتشر شيء منها في الأندلس.

وبعد هشام جاء أبْنه الحُكَم، سنة ١٨٠ (٧٩٦ م). وأول ما اصطدم به الحُكَم سقوطُ مدينة برجلونة (برشلونة) في يد شارلمان (١٨٥ = ٨٠١ م). ثم كانت هيجتا الربض، وذلك أن الدعاة العباسيين ودعاة الفاطميين الشيعة انبثوا بين طبقات العامة في الربض (الضاحية الجنوبية من قرطبة) يُثيرون النِّقمة على الحُكَم. ثم زادت النِّقمة على الحُكَم لأنّه كان مُندفعاً في لذاته ظالماً في فرض الضرائب وفي مُعاملة الناس. وقد كان اتَّخذ حرساً من النصارى وجعل لهم رئيساً منهم أيضاً هو ربيعة بن تيودولفو. فأجتمع الفقهاء - وأبرزهم يومذاك يحيى بن يحيى الليثي وطالوت بن

عبد الجبار - مع العامة وقاموا بهنجتَيْن (ثورتين). فبعد الهيجة الأولى، سنة ١٨٩ (٨٠٧ م) قَتَلَ الحَكَمُ اثْنين وسَبْعين رَجُلًا من رؤساء الفتنة. وبعد الهيجة الثانية، سنة ٢٠٢ (٨١٨ م)، أَجْلَى عن الأندلس سِتِّين ألفاً هاجروا إلى المغرب ومِصرَ وجزيرة كريد. ومنذ ذلك الحين عُرِفَ الحَكَمُ بِأَسْمِ الحَكَمِ الرِّبَضي.

وفي تلك الأثناء، سَنَةَ ١٩١ (٨٠٧ م)، قام عَمْرُوسُ بْنُ يُوْسَفَ والي طُلَيْطَلَةَ بالقضاء على رؤساء الفتن في وَقْعَةٍ عُرِفَتْ بِأَسْمِ وَقْعَةِ الحُفْرَةِ، لأنَّه كان يُلقَى الضحايا في حُفْرَةٍ كَبِيرَةٍ وراء قصر طُلَيْطَلَةَ.

وبعد الحَكَمِ (ت ٢٠٦ = ٨٢٢ م) جاء أَبْنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الأوسط^(١)؛ وفي أَيَّامِهِ كان عامُ الجاعة (٢٠٧ هـ). وفي أَيَّامِهِ أَيْضاً كانتْ غَزْوَةُ الجُوسِ الأَرْدُمَانِيِّينَ (الشَّالِيِّينَ) مِنْ سُكَّانِ سَكَانْدِينَايَةِ فِي شَمَالِ أوروْبَةِ، وَمِنْ الدِّفَارِكِ خَاصَّةً فَقَدْ هَاجَمَ الجُوسُ الأَنْدَلَسَ بِجِجَاعَاتٍ كَبِيرَةٍ وَعَلَى دُفْعَاتٍ مُتَلَاخِقَةٍ. وَمَعَ أَنَّ أَهْلَ الأَنْدَلَسِ صَدَّوْا هَؤُلَاءِ الجُوسَ فَقَدْ قُتِلَ مِنَ المُسْلِمِينَ فِي الأَنْدَلَسِ عَدَدٌ كَبِيرٌ جَدًّا. ثُمَّ كَانَتْ حَرَكَةُ الاستخفاف:

هذه الحركة نَظَمَتَهَا البَابُوِيَّةُ ودَوْلَةُ الإفرنجية (فرنسة) وكانَ رَئِيسَهَا فِي الأَنْدَلَسِ الرَّاهِبُ أُولُوغِيُوسُ؛ وَأَمَّا مُمَوَّلُهَا فَكَانَ أَلْبَارُو الْيَهُودِيُّ. وَكَانَ مَدَارَ الحَرَكَةِ أَنَّ يَقُومَ رَاهِبٌ أَوْ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ مِنَ الْعَامَّةِ قَرَبَ الْجَامِعِ أَوْ فِي سَاحَةِ عَامَّةٍ ثُمَّ يَشْتُمُّ مُحَمَّدًا. فَكَانَ عَوَامُ الْمُسْلِمِينَ يَثُورُونَ إِلَى هَذَا «الْمُسْتَخَفِّ» فَيَضْرِبُونَهُ أَوْ يَقْتُلُونَهُ. وَلَكِنْ رَجَالَ الدِّينِ الْمُسِيحِيِّ فِي الأَنْدَلَسِ نَفْسَهَا شَجَبُوا هَذِهِ الْحَرَكَةَ الطَّائِشَةَ؛ ثُمَّ تَمَكَّنَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الأوسطُ بِحِكْمَتِهِ مِنْ تَخْفِيفِ حِدَّتِهَا.

وَكَثُرَتْ الثَّرْوَةُ فِي أَيَّامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأوسطِ فَانْتَسَبَتِ الْحَضَارَةُ وَعَمَّ التَّرَفُ فَأَقَامَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِلَاطًا جَمَعَ فِيهِ أَسْبَابُ التَّرَفِ وَاللَّهُوِ ثُمَّ اسْتَقْدَمَ زُرْيَابَ مُغْنِيَّ الْعِرَاقِ وَتَلْمِيزَ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ كَمَا نَقَلَ طِرَازُ الْحَيَاةِ الْعَبَّاسِيَّةِ إِلَى بِلَاطِ قُرْطُبَةَ.

(١) يقال لعبد الرحمن بن الحكم: عبد الرحمن الأوسط (الثاني) بالإضافة إلى عبد الرحمن بن معاوية الداخل (الأول) وإلى عبد الرحمن بن محمد الناصر (الثالث).

وفي أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣) ثم القضاء على حركة الاستخفاف، ولكن ثارت فتنة أوسع مدى وأكثر خطراً هي ثورة عمر بن حفصون، وكان رجلاً يتظاهر بالإسلام فجمع حوله باسم الدين جمعاً من العامة، ومن ذوي الاتجاهات المختلفة وآستولى على رقعة واسعة من الأندلس وشغل الأمراء بحرب طويلة شديدة. وقد كانت البابوية ودولة الفريجة وراء هذه الحركة أيضاً.

ثم جاء الأمير منذر بن محمد فبقي في الحكم سنتين. ثم خلفه أخوه الأمير عبد الله (٢٧٥ - ٣٠٠)، والأحوال مضطربة في كل مكان حتى بلغت الدولة الأموية في قرطبة ذرّة ضعفها. وبدأت الأندلس تتجزأ دويلات.

تنازع آل الحجاج وآل خلدون الحكم على إشبيلية وما حولها ثم استبد بإمارة إشبيلية آل الحجاج ونزح آل خلدون إلى إفريقية (تونس)، سنة ٢٨٦ (٨٩٩ م). واستقل آل نجيب استقلالاً تاماً بسرقة قسطة وقلعة أيوب وما حولها، كما آستولى بنو ذي النون على طليطلة.

ثم إن أمراء الأمويين أخذوا يتنازعون في سبيل التفرد بالحكم في قرطبة نفسها. فخاف الأمير عبد الله مغبة هذا النزاع وأراد أن يوطد الملك للعرب في الأندلس فقتل أبنائين من أبنائه: محمداً ومطرفاً وعدداً من إخوته ثم جعل ولاية المهدي لحفيده عبد الرحمن بن محمد المقتول وأحاطه بنف من الرجال الذين كان يثق بهم.

وكانت وفاة الأمير عبد الله، سنة ٣٠٠ (٩١٢ م)، والضعف والاضطراب في ذروتها.

الحياة السياسية في المغرب كله

(في أثناء عصر الأمراء المتوارثين في قرطبة)

(١) في إفريقية: المغرب الأدنى (القطر التونسي)

أراد العباسيون أن ينسطوا نفوذهم على المغرب فأرسل أبو جعفر المنصور، في

سنة ١٤٤، محمد بن الأشعث والياً على القيروان، فقام ابن الأشعث بقتال أبي الخطاب عبد الأعلى، رئيس الخوارج فهزمه ودخل القيروان. وفي سنة ١٤٨ جاء الأغلب بن سالم التميمي لنشر الدعوة العباسية وقاتل الخوارج الصُفْرية مدة طويلة ثم أصيب، في أثناء قتالهم، بسهم فأتى متأثراً بذلك، سنة ١٥٠ (٧٦٧ م). وقد ظل الأمر في القيروان وما حولها مضطرباً بحركات الخوارج حتى قامت الدولة الأغلبية.

في سنة ١٨٣ استنجد محمد بن مقاتل العكّي بعامل الزاب (المغرب الأوسط) إبراهيم بن الأغلب، فأسرع إبراهيم إلى القيروان واستطاع أن يُقرّر الأمن ويضبط الأمور. عندئذ أمر هرون الرشيد بعزل محمد بن مقاتل العكّي عن إفريقية وبتولية إبراهيم بن الأغلب عليها. واقترح إبراهيم بن الأغلب على هرون الرشيد أن يفوض إليه شيئاً من الاستقلال الداخلي فيتنازل عن مائة ألف دينار كانت ترد إليه من بغداد لإدارة إفريقية ثم يبعث هو من إفريقية إلى بغداد بمائة ألف دينار في العام. فكتب الرشيد إلى إبراهيم بن الأغلب (١٨٤ = ٨٠٠ م) يُوليه إفريقية على هذا الشرط. فأقام إبراهيم بن الأغلب دولة في القيروان اتسعت فيما بعد حتى امتدت من برقة (على حدود مصر) إلى وُلِّي على مقرية من فاس الحاضرة.

وفي أيام إبراهيم بن الأغلب رحل الإمام أبو سعيد سَخُونُ بن سعيد إلى المشرق (١٨٨ - ١٩١). فلما عاد ثبت مذهب الإمام مالك في المغرب.

ومن أشهر الأمراء الأغلبية زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب (٢٠١ - ٢٢٣ هـ) بعث القاضي أسد بن الفرات على رأس أسطول كبير ففتح جزيرة صقلية، سنة ٢١٢ (٨٢٧ م)، وقام بإصلاحات كثيرة.

وبنى إبراهيم الأصغر (٢٦١ - ٢٩٠)، تاسع الأمراء الأغلبية، مدينة رقادة ونقل العاصمة إليها من مدينة العباسية. وفي أيامه اتسع الفتح العربي في جزيرة صقلية ثم سار هو بنفسه على رأس جيش كبير للفتح في شبه جزيرة إيطاليا، فأصيب بسهم في أثناء حصار مدينة كسنتة (كوستنزا) فمات.

(٢) ليبيا

كانت ليبيا تابعة في إدارتها السياسية لإفريقية (القطر التونسي). في سنة ١٤٠ قاد عبد الملك بن أبي الجعد الورفجومي قبائل ورَفْجومة فاستولى على القيروان وقتل وإيها حبيب بن عبد الرحمن. وفي السنة التالية جمع أبو الخطاب عبد الأعلى بن عبد الرحمن بن السَّمْع المَعافري، وكان من وجوه العرب، جُموعاً من العرب والبربر وقصد طرابلس الغرب وآستولى عليها. ثم إنه سار إلى القيروان وأخرج منها قبائل ورَفْجومة وقتلهم. وفي هذا القتال سقط عبد الملك الورفجومي صريعاً.

وبلغ أبا الخطاب عبد الأعلى أن الخليفة أبا جعفر المنصور أرسل ولاية للاستيلاء على طرابلس الغرب فاستخلف على القيروان عبد الرحمن بن رُسْتَم الفارسي وعاد هو إلى طرابلس للدفاع عنها. فنشأت بذلك دويلة أئمة نفوسة الإباضيين (١٤٠ هـ) في الجانب الجبلي من الجنوب الغربي من ليبيا. (قبل قيام الدولة الإباضية في تيهرت من المغرب الأوسط: الجزائر اليوم).

وتاريخ ليبيا في هذه الحقبة ثورات متلاحقة وحروب. ومع أن الدولة الأغلبية قد استولت على ليبيا فإن قبائل هَوارة ونفوسة ولواتة وغيرها ظلت تأبى الخضوع للعباسيين وللأغالبة.

(٣) المغرب الأوسط (الجزائر)

كان المغرب الأوسط أيضاً مضطرباً بحركات الخوارج الصُفْرية والإباضية زمناً طويلاً. ثم لما قتل أبو الخطاب عبد الأعلى المَعافري في حرب الوالي العبّاسي مُحَمَّد بن الأشعث هَرَبَ عبد الرحمن بن رُسْتَم (خليفة أبي الخطاب على القيروان) إلى قبيلة لماية في جبل سوفجج (في المغرب الأوسط) فاجتمع عليه الإباضية فانتقل بهم وبين كان معه أيضاً إلى تيهرت المعروفة اليوم باسم تاقدمت. وبعد أمِد طويل، في سنة ١٦٠ (٧٧٦ م) بايع الإباضية بالإمامة لعبد الرحمن بن رُسْتَم وأقاموا دولة

إباضية، وصلت حدودها شرقاً إلى طرابلس الغرب وقابس وجزيرة جربة. ولما تُوُفِيَ عبدُ الرحمن بن رُسْتَمَ (١٧١ - ٢٨٧ م) بُويع بالإمامة بعده لابنه عبد الوهاب. ثم جاء الإمام أفلح بن عبد الوهاب فحكمَ خمسين سنةً (١٩٠ - ٢٤٠).

والإباضية يكرهون أن يَدْعُوَهُمُ النَّاسُ «خوارج» لأنهم يسيرون في الحكم والحياة بحسب القرآن الكريم والسنة النبوية ولكن بمفهوم الأئمة الإباضية. ومع أن الأئمة الإباضية كانوا يتوالون في الدولة الرستمية من الأب إلى ابنه، فإن هؤلاء كانوا يميئون بالانتخاب، أو على الأصح بموافقة أهل الحل والعقد، إذ كانوا لا يؤمنون بخلافة وراثية، وإن كان نظام الحكم في دولتهم - من الناحية العملية - خلافة وراثية كما كان الشأن في الدولة الأموية والدولة العباسية.

(٤) المغرب الأقصى

بعد قتل ميسرة الضفري قام بأمر قبيلة برغواطية طريف بن صالح البرغواطى فتنبأ لأتباعه، سنة ١٢٧، وأمرهم بمخارفات وبدع. وبعد مدة طويلة سافر إلى المشرق وانقطعت أخباره.

ثم اضطرب الأمر في المغرب وتداول الاستيلاء عليه عبد الرحمن بن حبيب ثم أخوه إلياس بن حبيب ثم حبيب بن عبد الرحمن. بعدئذ عاد الإباضية إلى القوة لما استولى أبو الخطاب عبد الأعلى على طرابلس والقيروان والمغرب. ثم علا أمر الصُفْرية في آل مدرار المكناسيين بناحية المغرب فنقضوا طاعة العرب وولوا على أنفسهم عيسى بن يزيد الأسود من موالي العرب ومن رؤوس الخوارج واختطوا مدينة سجلماسة، سنة ١٤٠. وكان ملك بني مدرار في سجلماسة طويلاً جداً (١٤٠ - ٣٠٩) ولكن كثير الاضطراب.

الدولة الإدريسية

بعد معركة فتح (قرب مكة، سنة ١٦٩) نجح إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ووصل إلى المغرب ونزل في وُلَيْي عند أميرها إسحق بن

عبد الحميد الأوزبي، سَنَ ١٧٢ (٧٨٨ م) فبايعته قبائل أوزبَة على الإمارة. وغزا إدريسُ عدداً من القبائل - وكانت منها قبائل لم تكن قد دخلت في الإسلام بعدُ فأسلمت - ودخلت كلها في طاعته. ويُقال إن هرون الرشيد لما علم بأمر إدريس في المغرب أرسل إليه من سقاه سقاً فأت، سنة ١٧٧ (٧٩٣ م).

ولم يكن لإدريس ولد، بل كانت له أمة اسمها كنزة حامل في شهرها السابع. فعهد البربر بالأمر إلى مولى لإدريس اسمه راشد رثيماً تضع كنزة حملها. وولدت كنزة غلاماً سمي إدريس بأسم أبيه، وقام راشد على تربيته وتثقيفه. ولما بلغ إدريس الحادية عشرة بُوع بالإمامة وأُجمع عليه أهل المغرب الأقصى، وأصبح يُعرف بأسم إدريس الأزهر أو إدريس الثاني.

ولما ضاقت مدينة وُلي بالدولة الجديدة خطَّ إدريس الثاني مدينة فاس، سَنَ ١٩٢. ولما تم بناء فاس خطب إدريس خطبة قال فيها:

..... اللَّهُمَّ، إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي مَا أَرَدْتُ بِنَيْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ مُبَاهَاةً وَلَا مَفَاخِرَةً وَلَا سُمْعَةً وَلَا مُكَابِرَةً، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ تُعْبَدَ فِيهَا وَيُتْلَى كِتَابُكَ وَتُقَامَ حُدُودُكَ^(١) وَشَرَائِعُ دِينِكَ وَسُنَّةُ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اللَّهُمَّ، وَفَقَّ سُكَّانُهَا وَقُطَّانُهَا لِلْخَيْرِ وَأَعْنَهُمْ عَلَيْهِ، وَاكْفِهِمْ مَوْنَةَ أَعْدَائِهِمْ، وَأَذِرْ عَلَيْهِمُ الرِّزْقَ، وَأَعِزِّدْهُمْ سَيْفَ الْفِتْنَةِ وَالشِّقَاقِ؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وبرز شيء من المنافسة والمداوة بين إدريس الثاني والأغالية (لأن الأغالية كانوا من أنصار العباسيين) ثم استقرت الأمور بين الدولتين.

وبعد وفاة إدريس الثاني، سَنَ ٢١٣ (٨٢٨ م) خلفه ابنه محمد، ولكن أولاد إدريس تنازعوا وهاجت بينهم الفتن وتقساموا الملك.

ومن محاسن ملك الإدارة في المغرب بنك جامع القرويين، بنته أم البنين فاطمة بنت محمد الفهري من أهل القيروان. وكان البدء ببنك هذا الجامع - الذي

(١) الحد: الحاجز (الفاصل) بين شيئين. حدود الله: نواحيه (الأعمال المحرمة).

أصبح أقدم الجامعات في العالم - سنة ٢٤٥ (٨٥٩ م).

ومن الدُولَات التي نشأت في المغرب الأقصى، في هذه الحِقْبَة، دُولَة بني مِدرار في سِجِلْمَاسَة في بلاد تافيلالت، شرقَ مدينة مَرَّاكُش على بُعد نحو ثلاثين وخمسين كيلومتراً، قريباً من الصحراء، وكانت دولة إِبَاضِيَّة صُفْريَّة. وأوَّلُ رؤسائه هذه الدُولَة أبو القاسم سَمْعُو المِكناسي (١٥٥ - ١٦٧). ثم خَلَفَهُ أَبْنَاهُ إِبِلَاسُ وَالْيَسْعُ. وفي أيام اليَسْع (١٧٤ - ٢٠٨) اتَّسع مُلْكُ سِجِلْمَاسَة وَاسْتَبَحَرَ فيها العُمَران.

خصائص الأدب وأعلامه

في عصر الأمراء المتوارثين

في هذه الفترة، في عصر الأمراء المتوارثين، من سنة ١٣٨ إلى سنة ٣١٦ (٧٥٦ - ٩٢٩ م)، تطوَّر الأدبُ في الأندلس وفي المغرب كُلِّهِ نظوراً كبيراً: ترقى الشعرُ من الحماسة الجافية في الرَّجَزِ إلى الوصف الجيِّد والأغراض الوجدانية في الأوزانِ المطربة. ويُقال إنَّ التوشيحَ المُتَرَفَّعَ نشأ في هذا الدَورِ على يَدَي مُقَدِّمِ بْنِ مُعَاوِي القَبْرِي (ت ٢٩٩ هـ) غير أنَّ الخصائصَ العامَّةَ من الفنون والأغراض والأسلوب ظَلَّتْ كُلُّهَا مَشرقيةً. ثم لم يَصِلْ إلَيْنَا مَوْشَحَاتٌ من نَظْمِ مُقَدِّمِ بْنِ مُعَاوِي.

أما في الحِقْبَة الأولى من هذه الفترة، في بَقِيَّة القرنِ الثاني للهجرة، فقد كان الجانبُ الأوفرُ من قائلِي هذا الشعرِ والنثرِ مِنَ المَشارقة الذين طَرَأُوا هُمُ أَنْفُسُهُمْ على المغرب والأندلس جُنوداً وولاءة أو مِنْ أولئك الذين كان أسلافُهُمْ قد طَرَأُوا على المغرب والأندلس. أمَّا الذين تَعَرَّبُوا مِنَ البَرَبَرِ وجعلُوا يَنْظُمُونَ وَيَنْثَرُونَ في هذه الفترة فكانوا لا يَزَالُونَ قَلِيلِينَ جِدّاً، وكانت خِصَائِصُهُمُ الأدبية لا تَزَالُ ضَعِيفَةً غيرَ مَصْقولة.

لأمراء البيتِ الأمويِّ في الأندلس - سواءٍ منهم مَنْ تَوَلَّى المُلْكَ وَمَنْ لم يَتَوَلَّهْ - شعرٌ بَعْضُهُ جيِّدٌ. وفي هذا الجزء نَفَرٌ منهم جميعاً خَصَّوا بِتَراجِمٍ مُستقلة: عبدُ الرحمن الداخل (١٣٨ - ١٧٢) وأَبْنَاهُ هِشَامُ (وقد وُلِدَ في قُرطُبة سنة ١٣٨) وحفيدهُ الحَكَمُ

أَبْنُ هِشَامٍ (١٨٠ - ٢٠٦) وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطُ (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ (٢٧٥ - ٣٠٠) آخِرُ الْأُمَرَاءِ الْمُتَوَارِثِينَ.

ثُمَّ هُنَاكَ أَثَارٌ أَدْبِيَّةٌ لِتَفَرُّعٍ آخَرِينَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ جَاءُوا مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخْلِيِّ أَوْ لَحِقُوا بِهِ بَعْدَ مُدَيَّدَةٍ مِنْهُمْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ (ت. نَحْوَ ١٦٠) وَمِنْهُمْ حَبِيبُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْوَلِيدِ (ت. ١٦٠) وَمِنْهُمْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ بَشَرَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ بَشَرَ بْنِ مَرْوَانَ قَتَلَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّصُورُ الْعَبَّاسِيُّ أَبَاهُ فَتَجَا هُوَ وَقَصَدَ الْأَنْدَلُسَ فَدَخَلَهَا فِي صَدْرِ إِمَارَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخْلِيِّ. وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ بَشَرَ هَذَا كَانَ شَاعِرًا رَوَى لَهُ ابْنُ الْأَثَّارِ شَيْئًا مِنَ الرِّثْلَةِ وَالْفَخْرِ وَمِنَ الْهَجَاءِ وَالْفُزْلِ. فَمِنْ غَزَلِهِ: (الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ٥٩):

وَبَنَفْسِي مَنْ عِنْدَهَا الْيَوْمَ قَلْبِي عَلِيقٌ فِي جِبَالِهَا مَعْمُودٌ^(١).
كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ تَنَاهَيْتُ عَنْهَا عَادَنِي مِنْ غَرَامِهَا مَا يَعُودُ^(٢).
فَبِقَلْبِي مِنْ لَاعِجِ الْحُبِّ مِنْهَا كُلُّ يَوْمٍ سُقَمٌ وَحُزَنٌ جَدِيدُ^(٣).

وَنَعُدُّ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ - مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْبَيْتِ الْأُمَوِيِّ - فِي الْأَنْدَلُسِ أَيْضًا إِبْرَاهِيمَ أَبْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَرْثَانَ الْأَوْدِيَّ، وَهُوَ مِنَ الْمَوْلَدِينَ^(٤)، أَوْرَدَ لَهُ ابْنُ الْأَثَّارِ (الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ٨٨) شَيْئًا مِنَ الْغَزْلِ الرَّقِيقِ:

يَا بِي أَنْتَ مِنْ غَزَالٍ مَلِيحٍ لَيْسَ فِيهِ لَمَنْ تَأُولُ لَوْلَا^(٥).
رَوْضَةُ الْحُسْنِ فِيكَ تُزْهِى، وَلَكِنْ كُلُّ حَوْلٍ يَبْقَى رَبِيعَكَ حَوْلًا^(٦)!

(١) مَعْمُودٌ: مَضْرُوبٌ بِالْمَعْمُودِ (مَعْدَبٌ).

(٢) تَنَاهَى: (هَذَا): تَوَقَّفَ، انْتَهَى. تَنَاهَيْتُ عَنْهَا: نَسِيتُ حَبْلَهَا. عَادَنِي: رَجَعَ إِلَيَّ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

(٣) لَاعِجٌ: حَرِيقٌ.

(٤) الْمَوْلَدُ (فِي الْأَنْدَلُسِ) الْمُسْلِمُ مِنَ الْإِسْلَامِ.

(٥) تَأُولُ الْكَلَامِ: نَظَرَ فِي بَاطِنِهِ (أَشَارَ إِلَى الْمَقْصُودِ مِنْهُ). لَيْسَ فِيهِ «لَوْلَا»: لَيْسَ فِيهِ مَا يَخْتَلِفُ النَّاسُ فِيهِ، لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ الْأَرْاءُ.

(٦) تَزْهِى: تَفْتَخِرُ، تَعْجِبُ (بِالْبَنَاءِ لِلْمَجْهُولِ) بِنَفْسِهَا. الْحَوْلُ: الْعَامُ، السَّنَةُ. الرَّبِيعُ عِنْدَكَ (كَرْمِكَ) بِدَوْمِ طَوْلِ الْعَامِ.

ويبدو من مراجعة الحلة السيرة^(١) أَنَّ الشعراء والنائرين في إفريقية والمغرب من الطائفتين عليهما كانوا غير قليلين؛ من هؤلاء الحسن بن حرب الكندي ويزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ثم ابن أخيه الفضل بن روح بن حاتم ثم عبدويه وسواهم.

من أوائل الأدباء والمترسلين في إفريقية خالد بن ربيعة الإفريقي^(٢) رَحَلَ إلى الشام في خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥) وتشقّق بأشياء من اللّغة والنحو والأدب وكان من أوائل الذين خدّموا في ديوان الإنشاء في دمشق فنشأت بينه وبين عبد الحميد بن يحيى الكاتب (قتله العباسيون سنة ١٣٢) مودة. ويبدو أنّه عادَ إلى إفريقية بعد سقوط الدولة الأمويّة فأتصل بعبد الرحمن بن حبيب الفهري (ت ١٦٢) وإلى القيروان من قبل العباسيين فولاه عبد الرحمن شؤون ولايته في المغرب. وكان خالد بن ربيعة مترسلاً بليغاً له رسائل وله مجموع في الأدب نحو مائتي ورقة (ألف سطر). وكانت وفاته سنة ١٤٠.

وَنَارَ الْحَسَنِ بْنِ حَرْبٍ الْكِنْدِيِّ عَلَى الْأَغْلَبِ بْنِ سَالِمٍ ، فِي سَنَةِ ١٥٠ (٧٦٧ م)
فَكَتَبَ الْأَغْلَبُ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ حَرْبٍ يَتَهَدَّدُهُ :

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي مَقْسَالًا يَسِيرُ بِهِ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ حَرْبٍ .
فَإِنَّ الْبَغْيَ أَبْعَدُهُ وَبِالْأَمْرِ عَلَيْكَ ، وَقُرْبُهُ لَكَ شَرُّ قُرْبٍ (٢) .
فَإِنْ لَمْ تَدْعُنِي لِتَنَالَ سِلْمًا وَعَفْوِي فَأَذُنُ مِنْ طَمْعِي وَضُرِّي (١) ؛
فَرَدَّ الْحَسَنُ بْنُ حَرْبٍ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ (٥) :

(١) راجع ١: ٦٩ - ٧٠، ١٧٢، ٢: ١٣٥٦ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢٩ - ٣٠.

(٢) الفهرست ١١١٨ تاريخ إفريقية وتونس للرقيق القيرواني ١١٣٤ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٣٨-٣٩ الأعلام للزركلي ٢: ٣٣٦ (٢٩٥).

(٣) الوبال: الهلاك.

(٤) ادن: اقترَب (فعل أمر). طعنني (بالرمح) وضربي (بالسيف): حربي، قتالي.

(٥) الحلة السبراء ١: ٧٠-١٧٢ يحمل تاريخ الأدب التونسي ٢٩-٣٠. - بين رواية الحلة السبراء (١: ٧٠ حاشية) ورواية يحمل تاريخ الأدب التونسي (ص ٣٠) خلاف غير قليل.

أَلَا قَوْلُوا لِأَغْلَبَ غَيْرِ سُرٍّ مُقْلَقَلَةً عَنِ الْحَسَنِ بْنِ حَرْبٍ^(١)
بَأَنَّ الْمَوْتَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنِي؛ وَكَأْسُ الْمَوْتِ أَكْرَهُ كُلِّ شُرْبٍ.
رَوَيْدُكُمْ، فَيَوْمُكُمْ وَيَوْمِي، وَإِنْ بَعُدَا، مَصِيرُهَا لِقُرْبٍ!

ثُمَّ وَقَعَ الْقِتَالُ بَيْنَ الْأَغْلَبِ بْنِ سَالِمٍ وَالْحَسَنِ بْنِ حَرْبٍ فَقَتِلَ الْأَغْلَبُ، فِي شَهْرِ شَعْبَانَ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ فَرَّثَاهُ الْحَكَمُ بْنُ ثَابِتِ السَّعْدِيِّ، وَهُوَ شَاعِرٌ مُجِيدٌ مِنْ نَسْلِ الشَّاعِرِ الْجَاهِلِيِّ سَلَامَةَ بْنِ جَنْدَلٍ (ت ٣٢ قَبْلَ الْهِجْرَةِ) بِأَيَّاتٍ جَيَادٍ مِنْهَا^(٢):

لَقَدْ أَفَدَ الْمَوْتُ الْحَيَاةَ بِأَغْلَبٍ غَدَاةً غَدَاً لِلْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ مُقْلَقًا^(٣).
تَبَدَّتْ لَهُ أُمُّ الْمَنَايَا فَأَقْصَدَتْ، إِذَا كَانَ يَلْقَى الْمَوْتَ فِي الْحَرْبِ صَمًا^(٤).
أَخَا غَزَاوَاتٍ مَا تَرَأَى جِيَادَهُ تُصَيِّحُ عَنْهُ غَارَةً حَيْثُ يَمَّا^(٥).
أَتَتْهُ الْمَنَايَا فِي الْقَنَا فَأَخْزَمَتْهُ وَغَادَرَتْهُ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلِ مُنْطَمًا^(٦).
كَأَنَّ عَلَى أَنْوَابِهِ مِنْ دِمَائِهِ عَبِيطًا، وَبِالْخَذْيَيْنِ وَالنَّحْرِ عِنْدَمَا^(٧).
فَبَاتَ شَهِيداً نَالَ أَكْرَمَ مَيْتَةٍ وَلَمْ يَبْغِ عُمْراً أَنْ يَطُولَ وَيَسْتَقَا^(٨)!

(١) مخفلة: رسالة..

(٢) الحلة السراء ١: ٧١.

(٣) غداة = في الغداة (الصباح). غدا: خرج باكراً (كانت الحرب النبيلة تبدأ في الصباح، ولا تكون غدرًا في الليل). مملًا: كاشفًا عن وجهه (كان الفارس المشهور بشجاعته وكثرة من قتله في الحروب يتلثم حتى لا يعرفه غرماؤه فيثأروا منه) فخرج الأغلب مملًا لأنه لا يريد أن يتخفى عن غرماؤه ولأنه لا يبالي بالأعداء.

(٤) أم المنايا: الموت الشديد. أقصد الرجل خصمه: أصاب منه مقتلًا. صم: قصد، سار إلى. ويبدو أن عجز هذا البيت جملة معترضة. والكلماتان «إذا كان» قراءة شخصية في مجمل تاريخ الأدب التونسي (١). وفي الحلة السراء «فنى حين» (اجتهاداً من المحقق، لأن مكان الكلمتين محو في المخطوط).

(٥) «أخا» مفعول به من الفعل «أقصدت» (في البيت السابق). نصيح: تغزو القوم في الصباح. يم: قصد.

(٦) أتته المنايا (الموت) في القنا (قتلاً بالرمح) أخزمته (قتلته وهو في مقتبل عمره). غادرته: تركته. ملقى الخيل: ميدان القتال. مملًا: متروكاً (لا يدافع عنه أحد).

(٧) عبيط: دم مسفوح قريباً (من مدة يسيرة). النحر: بين الصدر والعنق. العنم: الدم الأحمر.

(٨) لم يشأ أن يطول عمره فتكرر حينئذ أسقامه (أمراضه وأوجاعه).

ثم قُتِلَ الحُسَيْنُ بنُ حَرْبٍ في أواخرِ شَعْبَانَ فُجِئَ به إلى تُونِسَ فُصِّلَبَ يَوْمَ السَّبْتِ
آخرَ يَوْمٍ من شَهْرِ شَعْبَانَ نَفْسِهِ (١٥٠ هـ). ويبدو أَنَّ الحَكَمَ بنَ ثَابِتِ السَّعْدِيِّ لم
يُعَمَّرْ بعدَ ذلك طويلاً، ولعلَّ موته كان في أواخرِ سَنَةِ ١٥٠ نَفْسِهَا^(١).

ومن هؤلاء عِبْدَوَيْهِ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ الجارودِ العَبْدِيُّ، أحدُ الثَّائِرِينَ في
إفريقية، قَاتَلَ الفَضْلَ بنَ رَوْحٍ بنِ حَاتِمٍ والي القَيْرَوَانِ (١٧٧ - ١٧٨ هـ) وَقَتَّلَهُ.
وَجَهَّزَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مالِكُ بنُ المُنْذِرِ الكَلْبِيُّ والي مِيلَةَ جِشَاً وَقَاتَلَ ابْنَ الجارودِ لِيَنَارَ
بِالْفَضْلِ بنِ رَوْحٍ، وَلَكِنْ مَالِكاً قُتِلَ أَيْضاً في المَعْرَكَةِ. عِنْدَئِذٍ سَارَ العَلَاءُ بنُ سَعِيدٍ بنِ
مَرْوَانَ المُهَلَّبِيَّ والي الزَابِ لِيَقْتَالَ ابْنَ الجارودِ، وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ بَيْنَ العَلَاءِ وَبَيْنَ
ابْنِ الجارودِ قِتَالٌ لِأَنَّ هَرُونَ الرَّشِيدَ كان قَدِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَمِيلَ ابْنَ الجارودِ
وَيَسْتَقْدِمَهُ إلى بَغْدَادَ.

لَمَّا أَلْتَقَى مالِكُ بنُ المُنْذِرِ بابْنَ الجارودِ أَنهَزَمَ أصحابُ مالِكٍ فَتَرَجَّلَ مالِكٌ عَنْ
فَرَسِهِ ثُمَّ هَجَمَ في نَفَرٍ مِمَّنْ بَقِيَ مَعَهُ من أصحابِهِ وَهُوَ يَقُولُ (الحلّة السِّيراء ١:
٨٧ - ٨٨):

يا موتُ، إِنِّي مالِكُ بنُ المُنْذِرِ أَهْنَيْكَ حَشَوِ البَيْضِ والسُّنُورِ^(٢)؛
أَقْتُلْ من صابَرٍ أو لَمْ يَصْبِرِ كَأَنِّي أَفْعَلُ ما لَمْ يُقْدِرِ^(٣).
فَخَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُ الجارودِ وَهُوَ يَقُولُ^(٤):

إِلَيَّ قَاذُنٌ، مالِكُ بنُ مُنْذِرٍ أَنَا الَّذِي قَتَلْتُ رَبَّ المُنْبَرِ^(٥)،
جَرَعْتُهُ كَأَنَّ المِجَامِ الأَحْمَرَ. فَأَصْبِرْ - سَتَلْقَاهُ - وَإِنْ لَمْ يَصْبِرِ^(٦)!

-
- (١) الحلّة السِّيراء ١: ١٧١ يحمل تاريخ الأدب الأندلسي ٣٠.
(٢) هتك: شق، مَزَقَ، قطع. البيضة: الخوذة (إناء معدني) يضمها المحارب على رأسه. السُّنُور: الدرع.
حشو البيض: الرُّؤُوس. حشو السُّنُور: الأبدان.
(٣) ما لم يقدر: ما لم يأت وقته بعد (أو ما لا يقدر عليه أحد).
(٤) الحلّة السِّيراء ١: ٨٧.
(٥) ادن: اقترب (فعل أمر). رَبَّ المنبر: صاحب العرش (الملك).
(٦) المِجَام: الموت.

وَلَمَّا أَرَادَ الْعَلَاءُ بْنُ سَعِيدٍ أَنْ يَخْرُجَ لِقِتَالِ ابْنِ الْجَارُودِ كَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ (الحلّة
السيراء ١: ٨٧):

لَعْمَرُكَ، يَا عَبْدُوَيَّ، مَا كُنْتُ تَارِكاً دَمَ الْفَضْلِ أَوْ يَكْسُونِي التُّرْبَ نَائِراً^(١).
نَذَرْتُ دَمِي فَانْظُرْ، إِذَا مَا لَقَيْتَنِي، عَلَى مَنْ يَكْأَسِيهَا تَدَوُّرُ الدَّوَائِرِ^(٢).
سَتَلَمُّ، إِنْ أَنْشَبْتُ فِيكَ مَخَالِي، إِلَى أَيِّ قِرْنٍ أَسْلَمْتُكَ الْمَقَادِرِ^(٣).
فَقَالَ عَبْدُوَيَّ بْنُ الْجَارُودِ يَرُدُّ عَلَى الْعَلَاءِ بْنِ سَعِيدٍ^(٤):

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَائِرٌ قَدْ قَتَلْتُهُ بَقْضِي؛ وَمَا يَنْفَكُ لِلْفَضْلِ نَائِرٌ^(٥).
قَضَيْتُ لِنَفْسِي النَّارَ فِي قَتْلِ مَالِكٍ؛ وَإِنِّي لَهَا قَتَلْتُ الْعَلَاءَ لِنَاذِرٍ^(٦).
فَمَا لِلْعَلَاءِ خَيْرَةٌ فِي لِقَائِي، وَلَيْسَ لَهُ فِي النَّاسِ - إِنْ قَرَّ - عَاذِرٌ^(٧)!

ثم هُنَالِكَ فِي هَذِهِ الْحَقِيقَةِ، فِي إِفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ أَيْضاً^(٨)، مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ بْنُ
حَكِيمِ الْعَكِّيِّ، وَتَمَامُ بْنُ تَمِيمِ الدَّارِمِيِّ وَالْأَغْلَبُ بْنُ سَالِمٍ (ت ١٤٩) وَابْنُهُ إِبْرَاهِيمُ
أَبْنُ الْأَغْلَبِ الْمَشْهُورُ وَيَخْيُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ النُّعْمَانِ التَّمِيمِيِّ وَخُرَيْشُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
وَعِمْرَانُ بْنُ مُجَالِدٍ (تُوفِّيَ قَبِيلَ ٢٠٠) وَعَامِرُ بْنُ الْمُعَمَّرِ بْنِ سِنَانِ التَّمِيمِيِّ وَحَمَزَةُ بْنُ
السَّبَّالِ الْمَعْرُوفُ بِالْحَرَوِيِّ وَغَيْرُهُمْ. ثم هُنَالِكَ بُهْلُولُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَذْغَرِيُّ

(١) مَا كُنْتُ تَارِكاً دَمَ الْفَضْلِ (بْنِ رُوحِ بْنِ حَاتِمٍ): لَنْ أَتْرَكَ الْأَخْذَ بِثَأْرِهِ. يَكْسُو فِي التُّرْبِ نَائِرٌ: يَقْتَلُنِي نَائِرٌ
(أَخْذَ بِثَأْرِهِ).

(٢) نَذَرْتُ دَمِي: أَعْلَنْتُ أَنَّكَ سَتَقْتُلُنِي. الدَّوَائِرُ: الْمَصَائِبُ (الْمَوْت). دَارَتْ الدَّائِرَةُ بِكَأْسِهَا عَلَى النَّاسِ:
أَمَاتَتْهُمْ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ.

(٣) إِنْ أَنْشَبْتُ فِيكَ مَخَالِي (أَطَافِرِي): إِذَا تَمَكَّنْتُ مِنْكَ، إِذَا لَقَيْتُكَ. الْقِرْنُ: الْبَطْلُ النَّدِ لِفِيهِهِ.
- إِذَا ظَفَرْتُ بِكَ بِيَدِي سَتَلَمُّ أَتَى شَجَاعٌ قَوِيٌّ مِثْلَكَ أَوْ أَكْثَرُ.

(٤) الْحَلَّةُ السِّيرَاءُ ١: ٨٦.

(٥) اِنْتِقَاماً لِقَتْلِ الْفَضْلِ بْنِ رُوحِ بْنِ حَاتِمٍ وَآلِي الْقَيْرَوَانِ (أَوَّلُ ١٧٧ - أَوَاسِطُ ١٧٨ هـ).

وَسَيَبْقَى هُنَالِكَ قَبَائِرٌ يَنْتَقِمُونَ لِقَتْلِهِ حَتَّى يَفْنَوْا جَمِيعَ الَّذِينَ كَانُوا خُصُومَهُ.

(٦) مَالِكُ بْنُ الْمُنْذَرِ وَالْعَلَاءُ بْنُ سَعِيدٍ (رَاجِعِ الصَّفْحَةَ السَّابِقَةَ). - قَتَلْتُ مَالِكاً وَأَخَذْتُ عَلَى نَفْسِي (عَزَمْتُ)
عَلَى قَتْلِ الْعَلَاءِ.

(٧) مَا لَهُ خَيْرَةٌ (بِكَسْرِ فَتْحٍ): اخْتِيَارٌ (لَا بَدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَجَارِبَنَا).

(٨) الْحَلَّةُ السِّيرَاءُ ١: ٨٨ وَمَا بَعْدَ.

(المضغري)، وَهُوَ مِنَ الْبَرْبَرِ، وَسَيَرِدُ ذِكْرُهُ فِي تَرْجَمَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ.
وَيَحْسُنُ أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّ دَرَسَةَ الْفِقْهِ وَالنَّحْوِ قَدْ بَدَأَتْ فِي الْأَنْدَلُسِ فِي الْمَغْرِبِ
مِنْذَ هَذَا الطَّوَرِ الْبَاكِرِ.

وَكَذَلِكَ رُوِيَ لِرِجَالِ الْعُدُوَّةِ فِي إِفْرِيقِيَّةَ (الْقَطَرِ التُّونِسِيِّ) وَالْمَغْرِبِ شَعْرٌ وَنَثَرٌ مِمَّنْ
تَوَلَّوْا الْإِمَارَةَ فِي أَقْطَارِهِمْ وَمِمَّنْ لَمْ يَتَوَلَّوْهَا، وَمِمَّنْ الَّذِينَ تَرَجَّعُوا أَنْسَابُهُمْ إِلَى الْعَرَبِ أَوْ
إِلَى الْبَرْبَرِ. وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا الشَّعْرَ صَحِيحٌ وَلَكِنْ يَبْدُو عَلَيْهِ أَيْضاً تَقْلِيدٌ كَثِيرٌ لِلْمِشَارَقَةِ
وَأَكْثَرُهُ فِي الْحِمَاسَةِ وَالْفَخْرِ.

ثَارَ عِمْرَانُ بْنُ مُجَالِدٍ بْنِ يَزِيدَ الرَّبْعِيِّ^(١) عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ (١٤٠ - ١٩٦ هـ)
(هـ) وَهَاجَمَ الْقَيْرَوَانَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ التَّغْلِبَ. ثُمَّ هَرَبَ إِلَى نَوَاحِي الزَّوَابِ^(٢) وَطَلَّبَ
الْأَمَانَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ فَأَمَّنَهُ إِبْرَاهِيمُ. ثُمَّ لَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ وَخَلَفَهُ ابْنُهُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدُ اللَّهِ
(١٩٧ - ٢٠١ هـ) جَدَّدَ عِمْرَانُ طَلَبَ الْأَمَانِ فَأَجَابَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَى مَا طَلَّبَ وَلَكِنْ
عَادَ فَقَدَّرَ بِهِ وَقَتْلَهُ (نَحْوَ ١٩٨). وَلِعِمْرَانَ الرَّبْعِيُّ - وَهُوَ يُنَازِلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ
حَوْلَ الْقَيْرَوَانِ - رَجَزٌ مِنْهُ:

يَا رُسُلَ الْمَوْتِ، أَنَا عِمْرَانُ، أَنَا الَّذِي أَنْتُمْ لَهُ أَغْوَانُ^(٣).
تُصَنِّقُ مِنْ خِيفَتِي الْفُرَّانِ يَضْحَكُ عَنْ أَيَّامِنَا الزَّمَانُ^(٤).
نَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ حَتَّى دَانُوا نَقْتُلُ أَهْلَ النَّكْتِ حَيْثُ كَانُوا^(٥)!

-
- (١) الْحَلَّةُ السِّيَرَاءُ ١: ١٠٤. كَانَ عِمْرَانُ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ ثُمَّ ثَارَ عَلَيْهِ.
(٢) الزَّوَابُ مَقَاطِعَةٌ فِي الشَّامِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْجَزَائِرِ الْيَوْمِ وَعَاصِمَتُهَا بِسْكَرَةَ (عَلَى نَحْوِ ثَلَاثَةِ كِيلُومِتَرٍ مِنْ
مَدِينَةِ الْجَزَائِرِ جَنُوباً فِي شَرْقٍ).
(٣) رَسُولُ الْمَوْتِ هُوَ الَّذِي يَأْتِي إِلَى الْإِنْسَانِ الَّذِي انْتَهَتْ مَدَّتُهُ فِي الْأَرْضِ فَيَقْبِضُ رُوحَهُ.
وَالشَّاعِرُ يَقُولُ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ (يَقْتُلُ الْأَعْدَاءَ فِي الْمَعَارِكِ) وَإِنْ مَلَكَ الْمَوْتُ بِسَاعِدِهِ فِي
مَهْمَتِهِ!
(٤) يَضْحَكُ: تَصِيْبُهُ الصَّاعِقَةُ، يَسْقُطُ فَاقْدَأْ وَعِيَهُ (يَمُوتُ). يَضْحَكُ عَنْ أَيَّامِنَا الزَّمَانُ (يَسْرُ بِنَجَاحِنَا فِي
الْمَعَارِكِ).
(٥) ضَرَبْنَا: قَاتَلْنَا. دَانُوا: اتَّبَعُوا الدِّينَ (أَسْلَمُوا) أَطَاعُوا. النَّكْتُ: الْإِخْلَافُ بِالْوَعْدِ.

وكان حمزة بن السَّال المعروف بالحرون^(١) أحدَ القَوَادِ الرُّسُلِ الشُّجْعَانِ فِي جُنْدِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ. وَقَدْ قُتِلَ حَمْزَةُ هَذَا فِي إِحْدَى مَعَارِكِهِ فِي تُونِسَ فِي صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ٢٠٩ (أيار - مايو ٨٢٣ م). وَلِحَمْزَةِ رَجَزٌ جَيِّدٌ سَهْلٌ مِنْهُ (فِي نُصْرَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ):

إِنْ غَابَ إِبْرَاهِيمُ عَنَّا أَوْ حَضَرَ فَإِنِّي أَنْصُرُهُ فِيمَنْ نَصَرَهُ.
وَاللَّهِ، لَا أَرْجِعُ إِلَّا بِظَفَرٍ، لَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ إِلَّا بِقَدَرٍ.
وَكُلٌّ مِنْ خَالَفَنَا فَقَدْ كَفَرَ!

وَمِنْ أَمْرَاءِ الْأَغْلَابَةِ أَبُو مُحَمَّدٍ زِيَادَةُ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ (٢٠١ - ٢٢٣ هـ) تَشَقَّفُ بِاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَقَالَ الشَّعْرُ الْجَيِّدُ^(٢).

لَمَّا اسْتَعْلَى الْجُنْدُ فِي الْقَيْرَوَانِ وَكَادَ الْأَمْرُ يَخْرُجُ مِنْ يَدِ زِيَادَةِ اللَّهِ، قَالَ زِيَادَةُ اللَّهِ يَصِفُ تِلْكَ الْحَالَةَ، كَيْفَ تَبَدَّلَتْ بَيْنَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ:

يَا وَيْحَ نَفْسِي حِينَ أَرْكَبُ غَادِيَاً بِالْقَيْرَوَانِ تَخَالْفِي مُخْتَالَا،
فِي فِتْنَةٍ مِثْلَ النُّجُومِ طَوَالِهَا، وَتَخَالْفِي بَيْنَ النُّجُومِ هِلَالَا!
وَالْيَوْمَ أَرْكَبُ فِي الرُّعَاعِ وَلَا أَرَى إِلَّا الْعَبِيدَ وَمَغْتَرَاً أَنْذَالَا.

وَجَاءَ إِلَى زِيَادَةِ اللَّهِ رَسُولٌ مِنَ الْمَأْمُونِ الْعَبَّاسِيِّ يَحْمِلُ رِسَالَةً يَطْلُبُ الْمَأْمُونُ فِيهَا مِنْ زِيَادَةِ اللَّهِ أَنْ يَخْطُبَ عَلَى مَنَابِرِ إِفْرِيقِيَّةَ (تُونِسَ) لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ بْنِ الْحُسَيْنِ وَالِي خُرَّاسَانَ (أَنْ يَذْكُرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فِي خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ) فَلَمْ يَرْضَ زِيَادَةُ اللَّهِ وَخَاطَبَ الرَّسُولَ بِقَوْلِهِ:

« قَدْ عَلِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ طَاعَتِي لَهُ وَطَاعَةُ آبَائِي لِآبَائِهِ وَتَقَدَّمَ سَلْفِي فِي طَاعَتِهِمْ، ثُمَّ

(١) الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ١٠٧ - ١٠٩.

(٢) الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ١٦٣ - ١٧٦.

يَأْمُرُنِي الْآنَ بِالْعَمَلِ لِعَبْدٍ خُرَاعَةٌ^(١). هذا، والله، أُمْرٌ لَا يَكُونُ أَبَدًا..

وقال زيادةُ الله في تَفَاحَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ذَكَرْتُهُ بِحَبِيبِهِ:

وَلَا بَسَةَ قُوبَ اصْفَرَارٍ بِلَا جِسْمٍ ثُمَّ بَانَفَاسٍ الْحَبِيبِ لِمُسْتَمٍّ^(٢).
تَجَمَّعَ مَعْشُوقٌ لَدَيْهَا وَعَاشِقٌ، فَذُو نَظَرٍ يَرْنُو إِلَيْهَا وَذُو سَمٍّ^(٣).
سَأْفَنِيكَ أَوْ أَفْنَى عَلَيْكَ تَذَكُّرًا لِمَنْ أَنْتَ عَظُمْتَ مِنْهُ فِي الرَّشَفِ وَاللَّثَمِ^(٤).
فَقَدْ هَجَّتْ فِي قَلْبِي لَطْفَى لِتَذَكُّرِي، وَعُنْوَانُهُ فِي مَقْلَتِي دَمْعَةٌ تَنْهِي^(٥).
كَأَنِّي أُذْنِي - حِينَ أَدْنِيكَ - مِنْ بِهِ أَثَرَتْ اِشْتِيَاقِي فِي عِنَاقٍ وَفِي ضَمٍّ^(٦).

ومن بني الأغلب الذين رَغِبُوا عَنِ الْمُلْكِ يَعْقُوبُ بْنُ الْمُضَاءِ فَقَدْ انْصَرَفَ إِلَى الزُّهْدِ وَنَزَعَ السَّوَادَ (تَرَكَ لُبْسَ الشَّيَابِ السَّوَدَ شِعَارَ الْعَبَّاسِيِّينَ وَشِعَارَ الدَّوْلَةِ). وَانْتَقَلَ يَعْقُوبُ إِلَى الْعِرَاقِ وَمَاتَ هُنَاكَ. وَلِيَعْقُوبَ هَذَا شِعْرٌ فِي الشَّيْبِ وَالشَّيَابِ يُخَاطَبُ فِي الْبَيْتِ الْآخِرِ مِنْهُ مَنْ قَالَ لَهُ: « قَدْ شَيْتَ »:

فَإِنْ تَكُ لِمَتِّي كَيْسَتْ بِيَاضًا وَبُدِّلَ لِي الْمَشِيبُ مِنَ الشَّيَابِ،
فَقَدْ عُمِّرْتُ ذَا فَرْعٍ أَثِيثٍ كَأَنَّ سَوَادَهُ حَنَكُ الْغُرَابِ.
فَلَا تَعْجَلْ، رُؤَيْدَكَ، عَنْ قَرِيبٍ كَأَنَّكَ بِالْمَشِيبِ وَبِالْحِضَابِ.

ثُمَّ نَحْنُ نَشْمُ نَفْعَةً أُمُومِيَّةً مِنْ نَفْسِ جَرِيرٍ فِي أُبْيَاتِ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَغْلَبِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ (ت ٢٤٢ = ٨٥٦م) وَهُوَ يَفْتَخِرُ قَائِلًا (الْحَلَةَ السَّيْرَاءَ ١ : ١٧٠):

-
- (١) عبد الله بن الحسين فارسيّ النسب من خراسان ولكن ينتسب بالولاء إلى بني خُرَاعَةَ العرب.
 - (٢) بلا جسم، لأنَّ الأصْفَرَارَ فِي التَّفَاحَةِ جُزْءٌ مِنْهَا (وَلَا يُمْكِنُ تَبْدِيلُهُ كَالثُّوبِ الْعَادِيِّ).
 - (٣) تَجَمَّعَ مَعْشُوقٌ لَدَيْهَا وَعَاشِقٌ (٢).
 - (٤) سَأْفَنِيكَ بِكَتْرَةٍ مَا أَثَمَّ مِنْكَ... (لَأَنَّكَ تَذَكَّرْتَنِي بِحَبِيبِي فَأَعَامَلْتُكَ كَمَا كُنْتُ أَوَدُ أَنْ أَعَامِلَهُ. أَوْ أَفْنَى عَلَيْكَ تَذَكُّرًا... أَوْ أَذُوبُ أَنَا (أَمُوتُ) لِأَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصِلَ فَيْكَ إِلَى غَايَتِي مِنْ حَبِيبِي (سَيَكُونُ تَذَكُّرُكَ لِي بِالْحَبِيبِ، مَعَ حَرَمَانِي مِنْ لِقَائِهِ، سَبَبًا لِنَحْوِي أَوْ مَوْتِي).
 - (٥) اللَّطْفَى: لُحْيَةُ النَّارِ. دَمْعِي الَّذِي يَهِي (يَتَسَاقَطُ) عُنْوَانُ (دَلِيلُ) عَلَيَّ مَا أَشْكُو مِنْ نَارِ الْبَعْدِ عَنِ الْحَبِيبِ.
 - (٦) حِينَ أَسْكُكُ بِيَدِي وَأَدْنِيكَ (أَقْرَبُكَ مِنْ أَنْفِي) أَتَحَيَّلُ أَتَنِي أَضَمَّ حَبِيبِي.

أليس أبي وَجْدِي أوطاني - وجدُّ أبي وعَمَّايَ - الرِّقَابَا؟
وَرِثْتُ الْمُلْكَ وَالسُّلْطَانَ عَنْهُمْ فَصِرْتُ أَعَزَّ مِنْ وَطِيءِ التُّرَابِ.
أنا المَلِكُ الَّذِي أَسْمُو بِنَفْسِي فَأَبْلُغُ بِالسُّمُو بِهَا السَّحَابِ.

ولكنَّ التقليدَ والضعفَ باديانِ على هذه الأبيات بوضوح .

وإلى جانبِ الشعرِ في إفريقيةَ (تونس) كانت الحركةُ العلميةُ في الفقه هي التي نقلتِ المغرب إلى المذهبِ المالكيِّ وأثَّرت في مجرى تاريخه .

فمن أوائلِ الذين يُعَدُّون في هذا النِّطاقِ خالداً بنُ أبي عِمْرانِ التُّجِيبِيَّ، وُلِدَ في تُونِسَ وتلقَّى العلمَ على أبيه وآخرينَ ثم رَحَلَ إلى الحِجَازِ فَرَوَى عن نَفَرٍ من التابعينَ منهمُ القاسمُ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ أبي بَكْرِ الصِّدِّيقِ (٣٧ - ١٠٧ هـ) وعن سالمِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ (ت ١١٧) وعن سُلَيْمَانَ بنِ بِسَارٍ (ت ١٠٧). ثم عادَ خالداً إلى إفريقية في مطلعِ القرنِ الثاني للهجرة يَحْمِلُ فِقْهاً كثيراً ورواياتٍ (في الحديث) صحيحةً . وكان ثقةً فيها يروي ويقول . وتولَّى خالداً قضاءَ إفريقية ، وكانت وفاته سنة ١٢٧ . ولم تقتصر روايةُ خالداً على الحديثِ والقراءةِ (قراءة القرآن الكريم) والفقه ، بل كانت له رواياتٌ من التاريخِ عن فَتَحِ إفريقيةَ والمغربِ نرى كثيراً منها في كتاب «فتوح الشام» للواقدي وفي كتاب «فتوح مصر والمغرب» لابن عبد الحكم .

ومن حَمَلَةِ العلمِ في تونسَ أبو مُحَمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ فَرَّوخِ الفارسيُّ من سُيُوخِ أهلِ إفريقيةَ وفقِيهِ الْقَيْرَوَانِ . وُلِدَ سنةَ ١١٥ (٧٣٣ - ٧٣٤ م) ، قيل في الأندلس ، ثم سكن الْقَيْرَوَانَ . رَحَلَ إلى المشرقِ فأخذ عن مالكِ بنِ أنسٍ في الحِجَازِ ثم انتقل إلى العراقِ فَلَقِيَ في الكوفةِ أبا يحيى زكريّا بنَ أبي زائدةَ (ت نحو ١٤٨ = ٧٦٥ م) وسُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ (ت ١٦١) وأخذَ عنهما كثيراً من الحديثِ ، كما أخذَ عن أبي حنيفةٍ كثيراً من الفقه .

وعادَ عبدُ اللهِ بنُ فَرَّوخِ إلى القيروانِ وأقرأ بها الحديثَ والفقه . وكانت له أيضاً

عنايةً بالتفسير. وعَرَضَ عليه رَوْحُ بْنُ حَاتِمٍ والي إفريقية (١٧١ - ١٧٤ هـ) القضاء في القيروان فأبى. ثم إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ فَرُوحٍ ذهب إلى الحج. وفي أثناء عَوْدَتِهِ مَرَّ بَنَصْرَ فَنَوَّقِيَّ بِهَا، سَنَةَ ١٧٥ (٧٩١ - ٧٩٢ م) وَدُفِنَ فِي سَفْحِ جَبَلِ الْمُقَطَّم^(١).

ومن هؤلاء عليُّ بْنُ زِيَادِ الْعَبْسِيِّ من أبناء تُونِسَ سَمِعَ الْمُوطَأَ في المدينة من الإمام مالك (ت ١٨٣). وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ الْمُوطَأَ إلى المغرب.

ويجيء هنا أيضاً عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ الْيَحْصِيَّ من أهلِ الْقَيْرَوَانِ رَحَلَ إلى الحجاز وأخذ الحديثَ عن مالكٍ ثم دَخَلَ الْبَصْرَةَ والكوفة وتلقَى الْعَرَبِيَّةَ (النَّحْو) عن سَيِّبُونِهِ (ت ١٨٠) وَالْكِسَائِيَّ (ت ١٨٩)، ثم عَادَ إلى الْقَيْرَوَانِ يَنْشُرُ مَا حَمَلَهُ مَعَهُ من العلم. وكانت وفاته في سَنَةِ ٢٢٦ (٨٤٠ - ٨٤١ م).

في القرن الثالث الهجري:

وبحسبُ هنا، في استكمال صورة العصر، أن نذكرَ مُؤَرِّخَيْنِ أحدهما ابنُ سَلَامٍ بن عُمَرَ (أو عَمْرُو)، وَهُوَ أَوَّلُ الْمُؤَرِّخِينَ الْإِبَاضِيِّينَ الَّذِينَ نَعْرِفُهُمْ في المغرب. بَلَغَ أَشَدَّهُ بَيْنَ سَنَةِ ٢٤٠ و ٢٦٠ (٨٥٤ - ٨٧٣ م) وكان كتابه في التاريخ يتعلّق بانتشار الإسلام في جبل نفوسة (جنوبي غربي ليبيا) بالإضافة إلى تراجم نَفَرٍ من أئمة الإباضية الأولين كأبي الخطّاب عبد الأعلى (بُويعَ سَنَةَ ١٤٠) وأبي حاتم يعقوب بن حبيب (١٥٤ - ١٥٥ هـ) وبالإضافة إلى شيء من صلة الإباضية في تيهرت (في الجزائر اليوم) بإخوانهم في المشرق. وكان ابنُ سَلَامٍ من كبار الإباضية في القُطْر التونسي (دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٢٧).

والمُؤَرِّخُ الثاني هو ابنُ الصغير مؤلّف تاريخ يتناول حياة الأئمة الرُسَمَاءِ في تاهرت (وتلفظ أيضاً تيهرت وتيارت) نَقَلَ مِنْهُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبِرَادِي (ت بعد ٨١٠) وأحدُ بنِ سَعِيدِ الشَّماخي في كتابه «النَّيِّر» (ت ٩٢٨). وكتابه في الأكثر

(١) طبقات علماء إفريقية وتونس ١٠٧ - ١١١، ١١٧٣، مجمل تاريخ الأدب التونسي لحسن حسي عبد الوهاب ٣٧ - ١٣٨، الأعلام للزركلي ٤: ٢٥٢.

مجموع روايات أكثر منه تاريخاً سياسياً متصلاً. ولعل ابن الصغير قد بقي على قيد الحياة إلى سنة ٣١٠ (٩٢٢ م) أو إلى ما بعد ذلك بقليل.

وفي هذا القرن نجد الأدباء الذين ولدوا في الأندلس والمغرب ونشأوا فيها وظلّت معظم خصائص أدبهم مشرقية، من هؤلاء بنو أمية في الأندلس وكان من هؤلاء جميعاً: الأمير عبد الرحمن الأوسط وابنه الأمير محمد وحفيده الأمير عبد الله (ت ٣٠٠ هـ) ثم يعقوب بن الأمير عبد الرحمن الأوسط ومطرف بن الأمير محمد. وفي صف هؤلاء كلهم نجد في المغرب نفراً من الإدارة ومن الأغالية ونفراً من أهل المغرب كسليمان بن وانسوس المكناسي.

في هذا القرن نشأ نفراً من الذين يستحقون لقب شاعر. ومع أن خصائص هؤلاء الشعراء كانت لا تزال في الأكثر مشرقية، تجري في نطاق الشعر الجاهلي أو الشعر الأموي أو الشعر العباسي، فإن نفراً منهم قد خرج عن نطاق التقليد وعن شعر الحماسة إلى فنون منها الرثاء والوصف والغزل والخمر.

وإذا كان بعض الشعر في الأندلس قد فارق عدداً من خصائصه المشرقية، فإن النثر ظلّ أبداً مشرقياً، فإننا لم نر في النثر أجمع - في الخطابة والترسل والتأليف - ما رأيناه في الشعر كنشأة الموشح مثلاً. ثم إن الشعر عند عدّه فناً وجدانياً شخصياً أكثر من النثر في العادة - قد تأثر بالبيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية في الأندلس إلى حد بعيد. أما النثر فلم يجر عليه مثل ذلك، إلا إذا نظرنا إلى عدد من الألفاظ والتراكيب التي جدت على لسان أهل الأندلس. غير أن مثل هذه الألفاظ والتراكيب تجد في البيئة الواحدة في العصور المختلفة فلا دخل كبيراً لها هنا في خصائص اللغة والأسلوب.

كان هشام بن عبد الرحمن الداخل (١٣٩ - ١٨٠ هـ) أول الأمراء الذين ولدوا في الأندلس. أراد رجل يوماً أن يغريه بشراء ضيعة تباع في دين، فقال له هشام (قبل أن يتولى الخلافة):

«أنا أريدُ امرأة (الخلافة) إن بلغتْ غنيتُ عنها، وإن قطعَ في دونه خيرُها.

وَلَا ضُنْطَانُ رَجُلٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ اكْتِسَابِ ضَيْعَةٍ » (الحلّة السراء ١: ٤٢ - ٤٣):

الْبَذَلُ - لَا الْجَمْعُ - فِطْرَةُ الْكَرَمِ ؛ فَلَا تُرْزِ بِمَيَّ مَا لَمْ تُرْزِ شَيْمِي .
مُلْكُ الْوَرَى وَالْعِبَادِ قَاطِبَةً - لَا مُلْكُ بَعْضِ الضِّيَاعِ - مِنْ هِمَمِي ١ .

هذا النثر وهذا الشعرُ مشرقيّان في خصائصهما .

وكان أبو القاسم المُطَرِّفُ بْنُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ شَاعِرًا مُجِيدًا وَبَارِعًا فِي الْغِنَاءِ ، وَهُوَ أَشْعَرُ أَوْلَادِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ ، تُوُفِّيَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ (٢٣٨ - ٢٧٣) ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً . وَفِي شِعْرِهِ (الحلّة السراء ١: ١٢٨ - ١٣٠) جِدٌّ وَهَزَلٌ . فَمِنْ شِعْرِهِ يَرِثِي أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ :

أَخْ كَانَ ؛ إِنْ لَمْ يُنْزِعِ النَّاسُ أَصْبَحْتَ مَوَاهِبُهُ لِلنَّاسِ وَهِيَ مَرَايِعُ (١) .
كَثِيرٌ عَلَيْكَ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَمَا كَثُرَتْ مِنْ رَاحَتِكَ الصَّنَائِعُ (٢) .
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ ، إِنَّ النَّدَى لَهُ زَوَالٌ وَإِنَّ السَّغْيَ بَعْدَكَ ضَائِعُ (٣) .
وَقَالَ فِي الشَّيْبِ :

إِنَّ شَيْبًا وَصَبُوءَ لَمُحَالٌ ، قَدْ أَنَى أَنْ يَكُونَ عَنْهَا زَوَالٌ (٤) .
رَكِبَ الشَّيْبُ لِمَتِّي خَلَلَ الشَّعْرَ سِرَ لَوْقَتِ حَالَتِ بِهِ الْأَحْوَالُ (٥) .
فَرَزَعَ النَّفْسَ عَنْ مُزَاجٍ وَلَهْوٍ . تِلْكَ حَالٌ مَضَتْ وَجَاءَتْ حَالُ (٦) .

(١) إِذَا لَمْ تَكُنِ الْأَرْضُ خَصْبَةً (فِي عَامِ مَا) وَهَبَ النَّاسُ مِنَ الْأَمْوَالِ مَا يَجْعَلُ حَيَاتِهِمْ كُلَّهَا رِبْعًا .

(٢) كَثُرَ حُزْنُ النَّاسِ عَلَيْهِ بِمَقْدَارِ كَثَرَةِ الصَّنَائِعِ (أَوَّجَهُ الْمَعْرُوفُ وَالْكَرَمُ) عَلَى النَّاسِ .

(٣) بَعْدَكَ لَنْ يَكُونَ نَدَى (كَرَمٌ) وَلَنْ يَبْقَى فَائِدَةٌ مِنَ السَّيِّئِ (تَقْصِدُ الْكَرَمَاءَ لِلْعَطَاءِ : لِأَنَّهُ لَنْ يَبْقَى بَعْدَكَ كَرَمَاءُ مِثْلِكَ) .

(٤) وَصَبُوءَ - مَعَ صَبُوءٍ (حَبًّا ، مِيلَ إِلَى اللَّهِ) . أَنَى : قَرَبٌ ، حَانَ ، وَجِبَ . عَنْهَا (عَنِ الصَّبُوءِ) . زَوَالٌ : (هَذَا) تَرَكَ (لِلصَّبُوءِ) .

(٥) رَكِبَ الشَّيْبُ لِمَتِّي (كَثُرَ فِي مَقْدَمَةِ رَأْسِي) وَتَسَرَّبَ خِلَالِ (بَيْنَ) سَائِرِ شَعْرِي . لَوْقَتِ حَالَتِ بِهِ الْأَحْوَالُ : فِي وَقْتِ تَبَدُّلِ أَحْوَالٍ (مِنْ قُوَّةٍ إِلَى ضَعْفٍ ، الْخ) .

(٦) زَعُ فَعَلَ أَمْرًا مِنْ وَزَعٍ يَزَعُ (بِمَعْنَى نَهَى ، زَجَرَ ، مَنَعَ) - يَقُولُ حُسَيْنُ مُؤَنِّسٍ (مُحَقِّقُ كِتَابِ الْحَلَّةِ السَّيْرَاءِ وَمُعَلِّقُ حَوَاشِيهِ) أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ يَبْدَأُ فِي الْأَصْلِ (فِي الْمَخْطُوطِ) بِكَلِمَةِ « فَرَعَ » فَاخْتَارَ هُوَ أَنْ يَهْدِيَهَا وَيَجْعَلَهَا « فَدَعَ » . وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّهُ يَدْرِكُ أَنَّ « فَرَعَ » (الْفَاءُ حَرْفُ عَطْفٍ ، وَ« زَعُ » فَعَلَ أَمْرًا مِنْ وَزَعٍ يَزَعُ) بِمَعْنَى فَازَجَرَ (النَّفْسَ عَنْ ...) .

وقال في الخمر واللهو:

أشهى من الكأسِ حاملُ الكاسِ أرعاهُ ما طافَ حَوْلَ جُلَاسِي .
يَنقُلُ من أَجلِهِ الجَلِيسُ ولو كان من النُّسكِ آمَنَ الناسُ^(١)!

ومن أمرائهم المتوارثين الشعراء أيضاً محمد بن عبد الرحمن تولى الإمارة أربعاً وثلاثين سنة (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ)، وتمتزجُ الحماسةُ في شعره بالفضل. من ذلك قوله (الحلة السراء ١: ١١٩ - ١٢٠):

قَفَلْتُ وَأَعَمَدْتُ السِوْفَ عَنِ الحَرْبِ، وَمَا أَغَمَدْتُ عَنِّي السِوْفَ مِنَ الحُبِّ^(٢)،
أَقْرُبُةً، هل لي إِلَيْكَ وَفَادَةٌ تَقَرُّ بِعَيْنِي أَوْ تَهْهَدُ مِنْ جَنِي^(٣)؟
عَدائي عَدُوٌّ عَنِ حَبِيبِ فَرْزُتِهِ بِجَيْشٍ تَضِيقُ الأَرْضُ عَنْ عَرْضِهِ الرَّحْبِ^(٤).
إِذَا اسْوَدَّ مِنْ لَيْلِ الدَّرُوعِ تَبَلَّجَتْ أَسِنَّةُ فِيهِ عَنِ الأَنْجَمِ الشُّهْبِ^(٥).
وله في الخمر (الحلة السراء ١: ١٢٠):

ذَكَرَ الصَّبُوحَ فَظَلَّ مُضْطَجِعاً بِتَمَلُّلِ الإِبْرِيقِ وَالْقَدَحِ^(٦).
مَا زَالَ حَيًّا وَهُوَ يَثْرُبُهَا حَتَّى أَمَاتَتْهُ الكُؤُوسُ ضَحَى.

في النقد والتقليد:

إِنَّ الأَحْوََالَ الاجْتِمَاعِيَّةَ وَالْخِصَائِصَ الأَدَبِيَّةَ لَا تَسْتَقِرُّ فِي الأَعْصَرِ فَجْأَةً، بَلْ عَلَى

-
- (١) يشغل في نظري كلُّ حاضر معنا، ولو كان ناسكاً شديد النك، لأنني أغار على هذا الساقى الجميل من كلِّ إنسان.
- (٢) قفلت: رجعت (من الحرب منصوراً) وهادنت العدو، ولكن الحب لم يهادني (لم يغمد سيفه عني).
- (٣) تقرُّ بعيني: تقرُّ بها عيني (أصبح مسروراً). تههد من جني (تههد الأرض لجني) تجعلني مستريحاً.
- (٤) كنت مسروراً مع حبيبي فاعتدى عليَّ عدوٌّ ففركت حبيبي لأقوم بغزوة على العدوِّ كبيرة تضيق عنها الأرض.
- (٥) إذا ظهر هذا الجيش وكأنه قطعة سوداء كالليل (لكثرة ما فيه من الدروع، من الجيود) ظهرت فيه رؤوس الرماح (لكثرتها) كالأنجم الشهب (النجوم البيضاء) فأصبح كالنهار.
- (٦) الصبوح: شرب الخمر صباحاً. وكان مسروراً يشرب الخمر، فلما استمرَّ شربه إلى الضحى (بعد أن تطلو الشمس فوق الأفق الشرقي) مات (غاب عن الوعي).

التدريج قليلاً قليلاً وشيئاً بعد شيء. ثم يحسن أن نلاحظ أن أحوال الاجتماع وخصائص الأدب لا تغيب، عند الانتقال من عصر إلى عصر، مرة واحدة، بل تبقى منها بقايا راسبة في المجتمع وبادية إلى جانب الأحوال والخصائص الجديدة. ويجوز لنا أن نقول: إن في كل عصر رواسب من جميع العصور التي سبقتة مفرقة في نواحيه المختلفة.

ليس في ما لدينا من النتاج الأدبي في عصر الأمرلة المتوارثين ما يدل على حركة للنقد، ولكن لعلنا نجد رأياً هنا ورأياً هناك، كما قال عبد الملك بن حبيب السلمي (ت ٢٣٨، راجع ترجمته):

والشعر لا يسلس إلا على فراغ قلبٍ واتساع الخلق!

ومن وجوه النقد «المقياس» الذي نقيس به الشعر الجيد والشعر غير الجيد. إنه الإعجاب أول أسس النقد الفطري، في مقابل النقد العلمي الذي هو منهج ذو قواعد قائمة على الأسباب والنتائج بعد النظر في القطعة المعروضة للنقد. في النقد الفطري (في الاجتماع وفي الأدب) نعجب بالرجل فنحب كل شيء يصدر منه. أما في النقد العلمي فإننا ننظر إلى القطعة بقطر النظر عن صاحبها. وقد ننقد قطعتين لأديب واحد، فتثبت إحداها على النقد وتسقط الثانية منها عند النظر.

والمعارضة (تقليد الشاعر لشاعر آخر) وجه من وجوه النقد الفطري. أليس هو مظهراً من مظاهر الإعجاب والحكم لشاعر بأنه أحسن؟

نجد ليحيى بن حكيم الغزالي (ت ٢٥٠) قصيدة في الخمر عارض بها أبا نواس معارضة قريبة جداً، قيل إنها خدعت أدباء بغداد (راجع نفح الطيب ٢: ٢٦٠ - ٢٦١). من هذه القصيدة ليحيى الغزالي:

فلما أتيت الحان ناديت ربّه فتار خفيف الروح نحو ندائي^(١).

(١) الحان: الحانة (دكان لبيع الخمر).

قَلِيلٌ هَجُوعَ الْعَيْنِ إِلَّا تَمَلَّأَ عَلَى وَجَلٍ مِنِّي وَمِنْ نُظْرَائِي^(١).
 قُلْتُ: «أَذَقْتُهَا». فَلَمَّا أَذَاقَهَا طَرَحْتُ إِلَيْهِ رَنِيظِي وَرِدَائِي^(٢).
 وَقُلْتُ: «أَعِزَّنِي بِذَلَّةٍ أُسْتَبْرِزَ بِهَا» بَذَلْتُ لَهُ فِيهَا طَلَاقَ نَسَائِي^(٣).

إِنَّمَا لَا نُخْطِئُ فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ نَفْسَ أَبِي نَوَاسٍ (ت ١٩٩ هـ) وَلَا أَلْفَاظَهُ
 وَتَرَائِكِيهِ. فَمِنْ مَدِيحِ أَبِي نَوَاسٍ لَهْرُونَ الرَّشِيدِ قَصِيدَةً فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْحَمْرِ مِنْهُ:

...إِلَى بَيْتِ حَانٍ لَا تَهْمُ كِلَابُهُ عَسَلِيَّ وَلَا يُنْكَرُنَ طَوْلَ ثَوَائِي^(٤).
 فَإِنْ تَكُنَّ الصَّهْبَاءُ أَوْدَتْ بِتَالِدِي فَلَمْ تُؤَفِّي أَكْرَمَتِي وَحَيَائِي^(٥).
 فَا رِمْتُهُ حَتَّى أَتَى دُونَ مَا حَوَتْ يَمِينِي حَتَّى رَنِيظِي وَجِدَائِي^(٦)!

لَمَّا أَخْرَجَ الْوَزِيرُ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ سِجْنِهِ لِيُسَاقَ إِلَى الْقَتْلِ (٢٧٣ هـ)
 كَتَبَ إِلَى جَارِيَةٍ لَهُ اسْمُهَا عَاجُ يَقُولُ (الحلة السيرة ١: ١٤٠ - ١٤١):

وَإِنِّي عِدَائِي أَنْ أَزُورَكَ مُطَبِّقٌ وَبَابٌ مَنِيْعٌ بِالْحَدِيدِ مُضَيَّبٌ^(٧).
 وَفِي النَّفْسِ أَشْيَاءٌ أَيْتٌ بَغَمَهَا كَأَنِّي عَلَى جَرِّ النَّضَا أَتَقَلَّبُ^(٨).
 وَكَمْ قَائِلٌ قَالَ: «أَنْجُ، وَبِحُكِّ سَالِمًا» فِي الْأَرْضِ عَنْهُمْ مُتَرَادٌ وَمَذْهَبٌ
 فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الْفِرَارَ مَذَلَّةٌ وَنَفْسِي عَلَى الْأَسْوَأِ أَحْلَى وَأَطْيَبُ^(٩).

(١) التملة: (الشيء القليل)، ما يحاول الإنسان أن يكتفي به. الوجل: الخوف. النظراء: الأكفاء،
 المتساوون في المرتبة. (صاحب الحانة يكون غير مسلم. من أجل ذلك يخاف من المسلمين الآتين إليه
 لئلا يكونوا من رجال الشرطة المتخفين).

(٢) الرهطة: رداء من قطعة واحدة ومن نسج لين نفيس غال (دفع ذلك ثمنًا للخمر).

(٣) - أقسمت ميمناً أن أطلق امرأتِي إِذَا لَمْ أَرِدْ لَهُ تِلْكَ الْبِذْلَةَ.

(٤) هَرُّ الْكَلْبِ: نَجْجٌ وَكَثْرٌ عَنْ أَنْبَاءِهِ. الثَّوَاءُ: الْمَكْتُ وَالْبَقَاءُ.

(٥) أَوْدَتْ بِهِ الْأَحْدَاثُ: أَهْلَكَتْهُ. التَالِدُ: الْمَالُ الْقَدِيمُ (الموروث). وَقَاهُ الْأَمْرُ: مَنَعَهُ إِيَّاهُ أَوْ دَفَعَ الْأَمْرَ
 عَنْهُ، حَمَاهُ.

(٦) رَمَتُ (بَكَرَ الرَّاءُ) أَرَمَ: تَرَكْتُ (غَادَرْتُ الْمَكَانَ). أَتَى دُونَ مَا حَوَتْ يَمِينِي: أَخَذَ مِنِّي كُلَّ مَا كُنْتُ
 أَمْلِكُ.

(٧) عِدَائِي: شَتْلِي، مَنَعْنِي. مُطَبِّقٌ: السَّجَنُ تَحْتَ الْأَرْضِ. مُضَيَّبٌ: مَقْفَلٌ بِضَبَّةٍ (بِفَتْحِ الضَّادِ: حَدِيدَةٍ
 عَرِيضَةٍ يَشُدُّ بِهَا الْبَابَ إِلَى الْمَجْدَارِ).

(٨) النَّضَا: شَجَرٌ شَدِيدُ الْاشْتِمَالِ وَالْحَرَارَةِ.

(٩) الْأَسْوَأُ جَمْعُ سُوءٍ (شَرٍّ).

سَارُضِي بِحُكْمِ اللَّهِ فِي مَا يَنْوِيْنِي؛ وَمَا مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَهْرَبٌ^(١).

ففي هذه الأبيات نفسٌ جاهليٌّ عليه أثرُ النابغة.

وأحسنُ من أبياتِ هاشمِ بنِ عبدِ العزيزِ أبياتُ سَوارِ بنِ حَمْدُونِ القيسي:
(ت ٢٧٧) قال (الحلة السيرة ١: ١٥٠):

وَلَمَّا رَأَوْنَا رَاجِعِينَ إِلَيْهِمْ تَوَلَّوْا سِرَاعًا خَوْفَ وَقَعِ الْمَنَاصِلِ^(٢).

لَقَدْ سَلَ سَوارٌ عَلَيْكُمْ مُهَنَّدًا يَجِدُّ بِهِ الْهَامَاتِ جَذَّ الْمَفاصلِ^(٣).

بِهِ قَتَلَ اللَّهُ النَّزِينَ تَحَزَّبُوا عَلَيْنَا وَكَانُوا أَهْلَ إِفْكِ وَبَاطِلٍ.

ولكنَّ النفسَ لا يزالُ جاهليًّا برُغمِ الألفاظِ الإسلامية.

زرياب: الغناء

في سَنَةِ ٢٠٧ (٨٢٢ م)، في الأغلب، في مَطْلَعِ عَهْدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ
(٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) أَنتَقَلَ زِرْيَابُ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى قُرْطُبَةٍ.

كان زِرْيَابُ، وهو أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ نَافِعٍ^(٤)، تَلْمِيزُ إِسْحَاقَ الْمُوصِلِيَّ (ت ٢٣٥)،
مَغْنِيًّا نَابِغًا وَضاربًا عَلَى الْعُودِ قَدِيرًا، وَقَعَتْ وَخْشَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَسَاتِذِهِ إِسْحَاقَ فِي خَيْرِ
طَوِيلٍ (راجع نَفْحَ الطَّيِّبِ ٣: ١٢٢ وما بعد) فَفَادَرَ بَغْدَادَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ. وَحَظِيَ
زِرْيَابُ عِنْدَ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ حَظًّا عَظِيمًا وَعَلَتْ مَكَانَتُهُ فِي الْجَمْعِ
الْأَنْدَلُسِيِّ وَقَلَّدَهُ النَّاسُ فِي كَثِيرٍ مِنْ تَمَطُّ حَيَاتِهِ.

وَفِي الْأَنْدَلُسِ زَادَ زِرْيَابُ أَوْتَارَ عُودِهِ وَتَرًّا خَاصًّا وَسَطًّا (فِي الْمَكَانِ وَفِي الْقُوَّةِ)
وَسَمَّاهُ الْأَوْسَطَ وَجَمَلَهُ فِي وَسَطِ الْأَوْتَارِ الْأَرْبَعَةِ تَحْتَ الْمَثَلِثِ وَفَوْقَ الْمَثْنَى، وَاتَّخَذَ

(١) ناب: أصحاب.

(٢) المناصل جمع منصل (بضم الميم والصاد): السيف.

(٣) جذ: قطع. الهامة: الرأس.

(٤) زرياب، تاليف محمود أحد الحفني (في أعلام العرب، رقم ٥٤)، القاهرة (الدار المصرية للتأليف
والترجمة) بلا تاريخ، نفع الطيب ٣: ١٢٢ - ١٣٥، الأعلام للزركلي ١٨٠: ١٨١ - (فيه شيء من
التحقيق). مجلة «العربي» (الكويت) ٤ ٦٢١ ص ١٠٢.

مِضْرَابَ الْعُودِ (الرِيْشَةُ الَّتِي يُعْزَفُ بِهَا) مِنَ الرِيْشِ الْكِبَارِ فِي جَنَاحِ النِّسْرِ، بَدَلْ قِطْعَةِ الْخَشَبِ الْمُرْهَفَةِ (الْمُرْقَقَةِ)، لِأَنَّ قِطْعَةَ الْخَشَبِ الْمُرْهَفَةِ تَتَشَعَّتْ فَتُحْدِثُ عِنْدَ الضَّرْبِ عِدَدًا مِنَ النَّقَرَاتِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ.

وكانت وفاة زرياب في الثاني والعشرين من صفر من سنة ٢٣٨ (١٣ / ٨ / ٨٥٢ م) - قبل وفاة عبد الرحمن الأوسط بأربعين يوماً. وقد كانت مدة زرياب في الأندلس قريبة جداً من مدة عبد الرحمن الأوسط على عرش الأندلس. وخلف زرياب ثمانية أبناء وبنتين يعرفون الغناء. وكان أروع أبنائه في ذلك قاسم. وكانت حمدونة أروع أولاد زرياب في الغناء، ولكن عليّة عاشت طويلاً بعد حمدونة فأخذ الناس عنها من الغناء أكثر مما أخذوا عن أختها وإخوتها.

ولقد كان للغناء في الأندلس تأثير كبير سراه عند الكلام على نشأة فن التوشيح.

عبد الرحمن الداخل

١ - هو أبو المطرف عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، وأمه بربرية من سبني المغرب تسمى راح أو رداح. وكان مولد عبد الرحمن في قرية تدعى دير حسنة قرب دمشق، سنة ١١٣ (٧٣١ م)؛ وقد توفي أبوه وتركه صغيراً.

استطاع عبد الرحمن الداخل أن يدخل الأندلس ويقيم فيها ملك بني أمية الذي سقط في المشرق فبيع له بالإمارة في قرطبة يوم الأضحى من سنة ١٣٨ (الجمعة عاشوراء ذي الحجة = ١٣ / ٥ / ٧٥٦ م). وكانت وفاته في عشر جمادى الآخرة من سنة ١٧٢ (١٥ / ١١ / ٧٨٨ م) - راجع أحداث حياته السياسية، فوق، ص ٥٤.

٢ - كان عبد الرحمن الداخل عمرانياً جليلاً ومهندساً بارعاً فهو مضمّم جامع قرطبة الشهير رتب أعيدته الكثيرة على شكل يمكن كلّ مُصلٍّ من أن يرى الإمام. وقد كان قلب الجامع يبدو وكأنه غابة من النخيل.

لعبد الرحمن الداخل شعر كثير مشهور (البيان المغرب ٢ : ٦٠)، ولكن الذي

وصل إلينا منه قليل جداً. وشعره الباقي لنا في الحنين إلى أرض المشرق وفي الحماسة والوصف؛ وهو شعرٌ وُجداني. وله أيضاً رَجَزٌ (راجع «أخبار مجموعة»، ص ١١٧ - ١١٨).

٣ - مختارات من شعره

- لما نزل الأمير عبد الرحمن بُنَيَّة الرُّصَافَة (بقرطبة) نظر إلى نخلة فهاجت شَجْنَهُ (حزنه) وتذكّر وطنه فقال:

تبدّثْ لنا وَسطَ الرُّصَافَة نخلةً تناءتْ بأرض الغرب عن بلد النخل^(١).
فقلتُ: شبيهي في التغرُّب والنَّوى وطولُ التناي عن بَنِي وعن أهلي.
نشأتْ بأرضٍ أنتَ فيها غريبةٌ؛ فمثلُك في الإقصاء والمنتأى مثلي.
سَقَتُك غواذي المَزَن في المنتأى الذي يسُحُّ، ويستمرّي السّاكِنينِ بالوَبَل^(٢).
- وقال أيضاً في وصف هذه النخلة:

يا نخلُ، أنتَ فريدةٌ مثلي في الأرض نائيةٌ عن الأهل^(٣).
تبكي، وهل تبكي مُكَمَّمةٌ عجماءٌ لم تُجبلْ على جبلي^(٤)؟
ولو أنّها عقلتْ إذا لَبَّكتْ ماءُ الفُراتِ ومنبتِ النخل^(٥).
لكنّها حرّمتْ، وأخرجني بغضي بني العباس عن أهلي^(٦).

- (١) الرصافة = رصافة (مرقاً للسفن على النهر) قرطبة. تناءت: بعدت.
(٢) غواذي: غيوم تأتي في الصباح. المزن: المطر. المنتأى: المكان البعيد. سح المطر: تساقط بكثرة واستمرار. يستمرّي: يستحلب (يسبب خروج اللبن من صرع الناقة أو البقرة) = يسبب سقوط المطر. الساكنين: نجاين في السماء. الوبل: المطر الشديد. يستمرّي الساكنين: (كتابة عن الإتيان بطر كثير).
(٣) فريدة: مفردة، موجودة وحدها.
(٤) كُتت (بالبناء للمجهول) النخلة أخرجت كماها (بكر الكاف): العنق (بكر العين) الذي يكون فيه غرها. وكُتت أيضاً: غطيت (بالبناء للمجهول) حتّى يصبح بلعها غمراً. تبكي. (= كأنها تبكي). عجماء (لا تستطيع الكلام). لم تجبل على جبلي (لم يجعل الله طبيعتها مثيل طبيعتي = طبيعة بشرية).
(٥) لو كانت تغفل (لو كانت من البشر) ... ماء (نهر الفرات) ومنبت النخل. (بلاد الشام).
(٦) حرمت بلاد الشام عليّ فتركتها.

- ٤ - صقر قریش، تألیف علی أدهم، القاهرة (مطبعة المتكطف والمكظم) ١٩٣٨ م.
- صقر قریش، تألیف عبد الرحمن كحيلة (أعلام العرب ٧٦)، القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) ١٩٦٨ م.
- ★ أخبار مجموعة ٤٦ - ١٢٠؛ ابن الفرزي ١١؛ جذوة المتنبس ٩ - ١٠؛ (الدار المصرية) ٨ - ١٠؛ بغية المتنبس ٦٥؛ الحلة السراء ١: ٣٥ - ٤٢؛ نفع الطيب ١: ٢٨٢ - ٢٨٣، ٣٣٢ - ٣٣٤، ٥٤٥ - ٥٤٦، ٥٥٨ - ٥٦٣ (جامع قرطبة)، ٣: ٢٧ - ٥٥، ٥٨ - ٦٠؛ البيان المغرب ٢: ٤٤ - ٦٠؛ وسوى ذلك من كتب التاريخ العامة؛ نيكول ١٧ - ١٩؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٨١ - ٨٢؛ الأعلام للزركلي ٤: ١١٣ - ١١٤ (٣: ٣٣٨).

خُرَيْشُ الْكِنْدِيِّ

- ١ - هو خُرَيْشُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خُرَيْشِ الْكِنْدِيِّ، وَهُوَ مِنَ الْعَرَبِ (الْبَدْوِ) الَّذِينَ آتَتْهُمُ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ (تونس) قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْهَا الْمُسَوَّدَةُ (دُعَاةُ بَنِي الْعَبَّاسِ). وَخَلَعَ خُرَيْشٌ طَاعَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ وَالتَفَتَ حَوْلَهُ جُوعٌ مِنَ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ فَحَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِالثَّوْرَةِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَعْلَبِ وَالْيَ تُونَسَ مِنْ قَبْلِ هَرُونَ الرَّشِيدِ. فَبَعَثَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَعْلَبِ إِلَيْهِ عِمْرَانَ بْنَ مُجَالِدٍ فَلَقِيَهُ عِمْرَانُ فِي سَبْحَةِ تُونَسَ وَقَاتَلَهُ. فَأَنْهَزَهُمْ خُرَيْشٌ وَقُتِلَ هُوَ وَجَاعَاتٌ مِنْ أَتْبَاعِهِ، وَذَلِكَ سَنَةَ ١٨٦ (٨٠٢ م).
- ٢ - لخُرَيْشِ الْكِنْدِيِّ شَعْرٌ وَنَثَرٌ يَجْرِيَانِ عَلَى الْخِصَائِصِ الْمَشْرِقِيَّةِ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ.

لَمَّا خَلَعَ خُرَيْشٌ طَاعَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ وَثَارَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَعْلَبِ كَتَبَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ابْنِ الْأَعْلَبِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَقَمْتُ عَنْ الْخُرُوجِ قَبْلَ يَوْمِي هَذَا^(١) لِأَنِّي كُنْتُ أَنْتَظِرُ أَنْ تُفْنِكَمُ الْحَرْبُ^(٢). فَلَمَعْمُرِي، لَقَدْ أَرَانَا اللَّهَ فِيكُمْ مَا قَوَى بِهِ أَهْلَ دَعْوَةِ الْحَقِّ

(١) أَقَمْتُ عَنْ الْخُرُوجِ... تَرَكْتُ الْغِيَامَ بِشُورَةٍ قَبْلَ الْيَوْمِ.

(٢) أَنْ تُفْنِكَمُ الْحَرْبُ (بِالْقِتَالِ بَيْنَ الْمُصِيبَاتِ، بِقِتَالِ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ).

عليكم^(١). فلما وُلِّيتَ أَنْتَ وَعَلِمْتَ أَنَّهُمْ مَقْسُومُونَ بَيْنَ خَوْفٍ مِنْكَ وَرَجَاءٍ لَكَ عَرَفْتَ قَلَّةَ طَمَعِهِمْ فِيكَ^(٢). ولو كان أَحَدٌ مِمَّنْ وَلِيَ هَذَا الشَّعْرَ - مِمَّنْ لَا نَرَى طَاعَتَهُ - يَسْتَحِقُّ أَنْ نَرْضَى بِوَلَايَتِهِ لَكُنْتُ أَنْتَ..... وَلَسْتُ أَطْلُبُكَ^(٣) إِنْ خَرَجْتَ عَنِ الشَّعْرِ، فَلَا تُرِذْ أَنْ تُصَلِّيَ^(٤) بِحَرِيٍّ؛ وَلَيْكُنْ رَأْيُكَ طَلَبَ سَلَمِي. وَالسَّلَامُ.

فَارْجِعْ عَنِ الْغَرْبِ أَوْ أَلْقِ السَّلَامَ بِهِ لَا تَخْتَرِمَكَ الْمَنَازِلَ حِينَ تَلْقَانَا^(٥).
وَسَوْفَ تَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ يَسْمَعُ لِي إِذَا التَّقْتُ بَنَوَاحِي الْفَحْصِ خِيَلَانًا^(٦).

٤ - ★ ★ - الحلة السراء ١: ١٠١ - ١٠٤.

مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ الْمَعَارِفِيُّ

١ - هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ بَشِيرِ بْنِ شُرَاحِيلَ الْمَعَارِفِيِّ أَصْلُهُ مِنْ عَرَبٍ بِمِصْرَ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى الْأَنْدَلُسِ مَعَ بَلْجِ بْنِ بَشِيرٍ وَنَزَلُوا فِي تَدْمِيرَ. وَقَدْ أُنْتَقَلَ سُلْفُهُ إِلَى بَاجَةَ (جَنُوبَ غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ).

تَلَقَّى مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ الْعِلْمَ فِي قُرْطُبَةَ. ثُمَّ رَحَلَ فَسَمِعَ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ فِي مِصْرَ. وَحَجَّ وَلَقِيَ مَالِكَ بْنَ أَنْسَ فَقَبِلَ الْمَدِينَةَ وَسَمِعَ مِنْهُ. ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ إِلَى بَلَدِهِ بَاجَةَ. وَيَبْدُو أَنَّهُ جَاءَ إِلَى قُرْطُبَةَ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَصْبَحَ كَاتِبًا لِلْقَاضِي الْمُصَنَّبِ بْنِ عِمْرَانَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَاجَةَ بَعْدَ وَفَاةِ الْمُصَنَّبِ.

وَأَسْتَدْعَى الْأَمِيرُ الْحَكَمُ بْنُ هِشَامٍ (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) مُحَمَّدَ بْنَ بَشِيرٍ وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْقَضَاءَ فَأَبَى فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ثُمَّ عَادَ فَقَبِلَ وَتَوَلَّى الصَّلَاةَ وَالْقَضَاءَ. ثُمَّ إِنَّ الْحَكَمَ عَزَلَ

(١) أَهْلُ دَعْوَةِ الْحَقِّ: بَنُو عَلِيٍّ مِنَ (الْإِدَارَةِ؟).

(٢) عَرَفْتَ قَلَّةَ طَمَعِهِمْ فِيكَ: ضَعُفَ أَهْلُهُمْ بِمَعَارِبَتِكَ وَالتَّغَلُّبِ عَلَيْكَ.

(٣) وَلَسْتُ أَطْلُبُكَ: لَا أَتَقَدَّمُ وَأَبْدَأُ بِقِتَالِكَ.

(٤) تُصَلِّيَ بِحَرِيٍّ: تَذُوقَ طَعْمِ حَرِيٍّ (وَهَزِيمَتِكَ).

(٥) اخْتَرَمْتَهُ الْمَنِيَّةَ (الْمَوْتَ): مَاتَ بِأَكْرَأَ (ثَابِتًا).

(٦) الْفَحْصُ: كُلُّ مَوْضِعٍ يُسَكَّنُ (فِي مَنَخْضٍ مِنَ الْأَرْضِ؟). وَفِي الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ عِدَّةٌ مِنَ الْأَمَاكِنِ تُعْرَفُ بِاسْمِ الْفَحْصِ، نَحْوُ فَحْصِ الْبَلُوطِ، الْخ. خِيَلَانًا: خَيْلِي (فَرَسَانِي، جُنُودِي) وَخَيْلِكَ.

محمد بن بشير، ولكن رده بعد مدة وجيزة إلى منصبه.

وكانت وفاة محمد بن بشير سنة ١٩٨ (٨١٣ - ٨١٤ م) في قرطبة.

٢- كان محمد بن بشير من القضاة المتشددين في الحق حتى أنه رد شهادة الأمير الحكم بن هشام، كما كان قليل الاهتمام بأحوال الدنيا ثم لم يكن يبالي بنمذحه ولا بمن يذمه. وكان أديباً له أبيات فيها شيء من الشكوى والنكته.

٣- مختارات من شعره.

إنما * أزرى بقذري أنني لست من بابة هذا البلد^(١).
ليس منهم غير ذي مقليبة لذوي الألباب أو ذي حسد^(٢).
يتحامون لِقائي مثلاً يتحامون لقاء الأسد.
مطلعي أثقل، في أغنيهم وعلى أنفسهم، من أحد^(٣).
لو رأوني وسط بحر لم يكن أحد يأخذ منهم يدي^(٤).

★ بنية الملتس ٥١ - ٥٣ (رقم ٦٩) قضاة الأندلس ٣٧ - ٥٣ المغرب ١: ١٤٤ - ١٤٥
التكملة ١: ١٩٠، نفع الطيب ٢: ١٤٣ - ١٤٩ الأعلام للزركلي ٦: ٢٧٧ (٥٢).

جودي بن عثمان

جودي بن عثمان العبسي الموروري، من مولدي الأندلس، ولد في طليطلة ثم سكن موزور، وكان مولى لآل طلحة العبسين.

ذهب جودي إلى غرناطة فدرس النحو ثم رحل إلى المشرق فلقب الكسائي (ت ١٨٨) والرواسي (ت ١٩٠) والفراء (ت ٢٠٧) وغيرهم. وهو أول من أدخل كتاب

(*) تروى لمؤمن بن سعيد (ت ٢٦٧ هـ - راجع تحت ص ١٢٣).

(١) أزرى: عاب (انحط بقذري، خفض منزلي). بابة: نوع، صنف، مستوى (أنا أعلى منهم منزلة).

(٢) مقليبة: بفص.

(٣) أحد: جبل قرب المدينة.

(٤) ما كان أحد منهم يريد انتشالي (انقاذي).

الكِسَائِيَّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَنَقَلَ تَعْلِيمَ الْعَرَبِيَّةِ (النحو) مِنْ مَذْهَبِ الْبَصْرِيِّينَ إِلَى مَذْهَبِ الْكُوفِيِّينَ (رَاجِعِ الْجُزْءَ الثَّانِيَّ)، وَخُصُوصاً مَذْهَبَ سِيبَوِيهِ (ت ١٨٠). وَكَانَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ مِنْ قَبْلُ يَدْرُسُونَ اللُّغَةَ وَالنَّحْوَ فِي النُّصُوصِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ كُتُبٌ ذَاتُ مَنْهَجٍ مُعَيَّنٍ (مُقَسِّمَةُ أَبْوَاباً وَمَوْضُوعَاتٍ). ثُمَّ إِنَّ جُودِيَّ أَلَّفَ كِتَاباً فِي النَّحْوِ.

وَكَانَ جُودِيٌّ لَمَّا عَادَ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ سَكَنَ فِي قَرْطَبَةَ وَتَصَدَّرَ فِيهَا لِلتَّعْلِيمِ، وَكَانَ يُؤَدِّبُ أَوْلَادَ الْأَمْراءِ الْمُتَوَارِثِينَ.

وَتَوَفَّى جُودِيٌّ بَنُ عُمَانَ فِي قَرْطَبَةَ سَنَةَ ١٩٨ هـ (٨١٣ - ٨١٤ م).

★★ الزُّبَيْدِيُّ ٢٧٨ - ٢٧٩؛ مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ٧: ٢١٣ - ٢١٤؛ إِنْبَاءُ الرِّوَاةِ ١: ٢٧١ - ٢٧٢؛ بَغِيَّةُ الرِّوَاةِ ٢١٣ - ٢١٤؛ دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ (ط ١) ٢: ٥٧٤ - ٥٧٥.

الغازي بن قيس

كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْغَازِيُّ بَنُ قَيْسٍ مُوَلَّدًا مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ. وَلَمَّا دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَنْ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ (سَنَةَ ١٣٨) كَانَ الْغَازِيُّ بَنُ قَيْسٍ يَشْتَغِلُ بِالتَّأْدِيبِ (التَّعْلِيمِ) فِي قَرْطَبَةَ. ثُمَّ إِنَّهُ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ ثُمَّ عَادَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فِي أَيَّامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ (١٣٨ - ١٧٢ هـ).

وَأَذْرَكَ الْغَازِيُّ بَنُ قَيْسٍ - فِي رَحْلَتِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ - الْأَصْمَعِيَّ (ت ١٥٥) وَرَوَى عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ (ت ١٥٧) وَشَهْدَ مَالِكَ بَنِ أَنْسَرٍ (ت ١٧٩) وَهُوَ يُؤَلِّفُ الْمَوْطَأَ وَرَوَاهُ عَنْهُ وَحَفِظَهُ وَقِيلَ إِنَّ الْغَازِيَّ بَنُ قَيْسٍ أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ كِتَابَ الْمَوْطَأِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ، كَمَا أَذْرَكَ نَافِعُ بَنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَ(ت ١٦٩) أَحَدَ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ (لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ) وَقَرَأَ عَلَيْهِ وَأَدْخَلَ قِرَاءَتَهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ.

وَلَمَّا دَخَلَ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ (١٣٨ هـ) وَجَدَ فِيهَا يَحْيَى بَنَ يَزِيدَ اللَّخْمِيَّ قَاضِيًا فَاقْبَتَهُ عَلَى الْقَضَاءِ وَلَمْ يَعْزِلْهُ إِلَى أَنْ مَاتَ (النِّبَاهِيُّ ٢١). فَيَقَالُ إِنَّ الْأَمِيرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَرَادَ أَنْ يُعَيِّنَ لِلْقَضَاءِ الْغَازِيَّ بَنُ قَيْسٍ فَأَمَى الْغَازِيُّ فَوَلَّى عَبْدَ الرَّحْمَنِ عِنْدَئِذٍ مُعَاوِيَةَ بْنَ صَالِحٍ الْحَضْرَمِيَّ الْحِنَظِيَّ (ت ١٦٨).

ثم إنَّ الأميرَ هشامَ بنَ عبدِ الرحمن (١٧٢ - ١٨٠ هـ) والأميرَ الحكمَ بنَ هشام (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) جَعَلَاهُ مُؤَدِّباً لأَوْلَادِهِمَا.

وكانت وفاةُ الغازي سَنَةَ ١٩٩ (٨١٤ م) وقد أَسَنَ في الغالب.

★ الزبيدي ٢٨٦ - ٢٨٧، ابن الغرضي ٣٨٧: ١ (رقم ١٠١٥)؛ جذوة المقتبس ٣٠٥ (الدار المصرية) ٣٢٤ (رقم ٧٤٨)؛ بغية الملتنس ٣٢٥ (رقم ١٢٧٢)؛ بغية الوعاة ٣٧١؛ الأعلام للزركلي ٣٠١: ٥ (١١٣).

أبو المَخَشْيِ

١ - هو أبو يحيى عاصمُ بنُ زيد بنِ يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عدي بن زيد التميمي العبادي المعروف بأبي المَخَشْيِ، دخل أبوه إلى الأندلس مع جُند الشام، في أواخر سنة ١٢٣ (خريف ٧٤١ م)، ثم نزل بقرية شَوْش.

ويبدو أن أبا المَخَشْيِ نفسه قد وُلِدَ في الأندلس فنشأه أبوه على قول الشعر، فسبَّ شاعراً وأنقطع إلى سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية، ومدحه مرّةً بقصيدة منها:

وليس كمثل من إن سيم عرفاً يُقَلِّبُ مُقَلَّةً فيها أزواراً!

ففيظَ هشامُ بن عبد الرحمن من قول أبي المَخَشْيِ - لأنَّه كان أحولَ، كما كانت بينه وبين أخيه سليمانَ وَخَشَةً - فأمر بأبي المَخَشْيِ فُسِّلت عيناه. فنظم أبو المَخَشْيِ قصيدةً جاء بها إلى الأمير عبد الرحمن، فرقَّ له عبد الرحمن وأعطاه ألفي دينارٍ (ضِعْفَ دِيَةِ العَيْنَيْنِ).

وكانت وفاة أبي المَخَشْيِ في أيام الأمير الحكم بن هشام (١٨٠ - ٢٠٦ هـ).

٢ - أبو المَخَشْيِ من فعول الشعراء المتقدمين في الأندلس مقتدرٌ على قول الشعر، بذوي الأسلوب واضح المعنى سهل الألفاظ والتراكيب. كان مداحاً كثير الفخر جسوراً على الأعراض. وقد هاجى شاعراً أسمه أين هُبيرة (المغرب ٢: ١٢٤) وكان هجاء كلِّ واحدٍ منها لخصمه مُقَدِّعاً. وهو حسن الوصف، وقد اشتهر بقصيدة طويلة قالها في العمى بعد أن سَمَلَ هشامُ عينيه. وله رَجَزٌ أيضاً.

مطلع القصيدة التي قالها أبو المخشى في العمى:

خَضَعْتُ أُمُّ بِنَاقِي لِلْمَدَى أَنْ قَضَى اللَّهُ قَضَاءَهُ فَمَضَى .
وَرَأْتُ أَعْمَى ضَرِيحاً إِنَّمَا مَشِيَهُ فِي الْأَرْضِ لَمْسٌ بِالْعَصَا .
فَأَسْتَكَانْتُ ثُمَّ قَالَتْ قَوْلَةً ، وَهِيَ حَرَى ، بَلَفَتْ مِنِّي الْمَدَى ^(١) .
فَفُؤَادِي قَرِحٌ مِنْ قَوْلِهِمَا : مَا مِنْ الْأَدْوَاءِ دَاءٌ كَالْعَمَى ^(٢) .
وَإِذَا نَالَ الْعَمَى ذَا بَصَرٍ كَانَ حَيًّا مِثْلَ مَيِّتٍ قَدْ تَوَى ^(٣) .
وَكُلَّ أَنْ النَّاعِمَ الْمَسْرُورَ لَمْ يَكُ مَسْرُوراً إِذَا لَاحَ الرَّدَى ^(٤) .

- وقال في مقاساة الموم:

وَهُمْ ضَافِنِي فِي جَوْفِ يَمٍّ كِلَا مُوجَّيْهَا عِنْدِي كَبِيرٌ ^(٥) .
فَبِتْنَا وَالْقُلُوبُ مُعَلَّقَاتٌ وَأُجْنِحَةُ الرِّيحِ بِنَا تَطِيرُ ^(٦) .

٤ - * * جذوة المقتبس ٣٧٧ (الدار المصرية) ٤٠١ - ٤٠٢ (رقم ٩٥٢ أو ٩٥٣) ؛ بغية
الملتص ٥١٣ (رقم ١٥٤٣) ؛ المغرب ٢ : ١٢٣ - ١٢٤ ؛ الذيل والتكملة ٥ :
١٠٢ - ١٠٣ ؛ نفح الطيب ٤ : ١٦٧ ؛ نيكل ١٩ :

الحكم الربضي

١ - هو أبو العاصم الحكم الربضي بن هشام الرضي بن عبد الرحمن

- (١) استكان: خضع وذل. حرى: شديدة الحر (من الحزن). قوله بلفت مني المدي: أثرت في (أحزنتني كثيراً). المدي: الناية.
- (٢) قرح = مقروح (فيه قرحة بالضم) مجروح.
- (٣) توى: مكث في الأرض، هلك.
- (٤) الردى: الموت.
- (٥) ضافئ: نزل عندي ضيفاً. يم: بحر (من الموم). كلا موجيها: موج اليم (البحر) وموج بحر الموم (يبدو أن الشاعر كان يخاف ركوب البحر).
- (٦) بتنا: قضينا الليل (في بحر الماء). القلوب معلقات (مضطربات) بين الخوف والاطمئنان.

الداخل - وأمه أُم وَلَدِ أَسْمَا زُخْرَفُ - وَلَدَ سَنَةَ ١٥٤ (٧٧٠ م)، وهو الابن الثاني لهشام الرضي، قَدَّمَهُ أبوه على أخيه البكر عبد الملك في ولاية العهد. بُويع بالحكم في ربيع صفر ١٨٠ (١٨ / ٤ / ٧٩٦).

لَمَّا جَاءَ الْحُكْمُ إِلَى الْحُكْمِ نَارَعَهُ أَخَوَاهُ سُلَيْمَانُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَثَارَا عَلَيْهِ. أَمَّا سُلَيْمَانُ فَقُتِلَ (١٨٤ هـ). وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَلَمْ يَكُنْ صُلْبَ الْعَوْدِ كَأَخِيهِ سُلَيْمَانٍ، فَلَمَّا قُتِلَ سُلَيْمَانُ طَلَّبَ عَبْدُ اللَّهِ الْأَمَانَ مِنْ أَخِيهِ الْحُكْمِ فَأَمَّنَهُ وَفَرَضَ عَلَيْهِ الْإِقَامَةَ فِي بَلَنْسِيَّةٍ، فَعُرِفَ مِنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ بِالْبَلَنْسِيِّ. ثُمَّ اسْتَمَرَّ عَبْدُ اللَّهِ الْبَلَنْسِيُّ عَلَى الطَّاعَةِ فَكَانَ أَخُوهُ الْحُكْمُ يُرْسِلُهُ لِإِخْضَاعِ الثَّائِرِينَ أَوْ لِقَزْوِ بِلَادِ الْفَرَنْجَةِ (الإِسْبَانِ).

وَمِنْذُ مَطْلَعِ إِمَارَةِ الْحُكْمِ بَدَأَتْ عَلَيْهِ الثَّوَرَاتُ فِي سَرْقُسْطَةَ وَطَلَيْطَلَةَ وَمَارِدَةَ وَغَيْرِهَا. وَلَكِنْ أَعْظَمَ الْفِتَنِ فِي أَيَّامِهِ كَانَتْ فِي رِبَاضِ قَرْطَبَةِ (الضاحية الجنوبية منها) وَفِي طَلَيْطَلَةَ:

كَانَ هِشَامُ الرُّضِيِّ (وَالدُّ الْحَكَمُ) تَقِيًّا حَلِيمًا فَكَانَ لِلْفُقَهَاءِ فِي أَيَّامِهِ نَفُوذٌ كَبِيرٌ. أَمَّا الْحُكْمُ فَكَانَ أَيْضًا تَقِيًّا يُقَرِّبُ إِلَيْهِ الْعُلَمَاءَ وَالْفُقَهَاءَ، وَلَكِنَّهُ كَانَ حَازِمًا شَدِيدًا عَلَى الْخَالِفِينَ لَهُ قَاسِيًا فِي مُعَامَلَةِ خُصُومِهِ. فَاجْتَمَعَ عَمَّاهُ سَلَمَةُ وَأُمِّيَّةُ (أَبْنَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ) وَالْفَقِيهَانِ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى اللَّيْثِيُّ وَطَالُوتُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ وَأَخَذُوا يُشِيرُونَ عَلَيْهِ الْعَامَّةَ. ثُمَّ نُقِلَ إِلَيْهِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرِيدُونَ خَلْعَهُ. وَيَبْدُو أَنَّ الدُّعَاءَ الْفَاطِمِيَّ وَالِدُّعَاءَ الْعَبَّاسِيَّ كَانُوا وَرَاءَ هَذِهِ الْحَرَكَةِ. فَلَمَّا حَدَّثَتِ الثَّوَرَةُ عَلَيْهِ بِرِبَاضِ قَرْطَبَةِ أَخْضَعَ الثَّائِرِينَ بِقَسْوَةٍ وَأَمَرَ بِقَتْلِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ.

وَمِنْ أَخْطَاءِ الْحُكْمِ أَنَّهُ اتَّخَذَ بَعْدَ هَيْجَةِ الرِّبَاضِ الْأُولَى حَرَسًا مِنْ نَصَارَى الْأَنْدَلُسِ وَجَعَلَ الْقَائِدَ عَلَيْهِمُ الْقَوْمُسَ رَبِيعَةَ بْنَ تَبُودُولْفُو (النَصْرَانِي)، فَكَانَ هَؤُلَاءِ أَيْضًا يَكِيدُونَ لَهُ. فَحَدَّثَتْ فِي الرِّبَاضِ هَيْجَةٌ ثَانِيَةٌ (فِي رَمَضَانَ سَنَةَ ٢٠٢) فَكَانَ الْقَضَاءُ عَلَيْهَا أَشَدَّ قَسْوَةً إِذْ قَتَلَ الْحُكْمُ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الرِّبَاضِ وَنَفَى آخَرِينَ عَنِ الْأَنْدَلُسِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عُرِفَ بِلَقَبِ «الرَّبِضِيِّ»:

وَكَذَلِكَ كَانَ أَهْلُ طَلَيْطَلَةَ كَثِيرِي الْفِتَنِ فَدَبَّرَ الْحُكْمُ لَهُمْ مَكِيدَةً ثُمَّ أَوْقَعَ بِهِمُ (١٩١)

(هـ) وَقَعَةَ عُرِفَتْ بِاسْمِ يَوْمِ الْحُفْرَةِ.

وَكَثُرَتْ غَزَاوَاتُ الْحَكَمِ لِلْبِلَادِ الَّتِي كَانَتْ بَاقِيَةً فِي يَدِ الْإِسْبَانِ. إِنَّ الْبَابُوِيَّةَ وَالْإِفْرَنْجِيَّةَ وَصَلُوا أَيْدِيَهُمْ بِأَيْدِي نَصَارَى الْأَنْدَلُسِ وَأَخَذُوا يُهَاجِمُونَ الْبُلْدَانَ الْإِسْلَامِيَّةَ. وَكَانَ شَارْلَمَانُ مَلِكُ فَرَنْسَا وَإِمْبَرَاطُورُ الْغَرْبِ (ت ٨١٤ م = ١٩٩ هـ) يَقُودُ الْحَمَلَاتِ عَلَى شَمَالِي الْأَنْدَلُسِ بِنَفْسِهِ، فَكَانَ الْحَكَمُ يَرْسِلُ الْجِيُوشَ لِفَتْوَى الْبِلَادِ الْخَاضِعَةِ لِلْأَمْرَاءِ الْإِسْبَانِ أَوْ لِلْفِرَنْجِيَّةِ فِي شَمَالِي الْأَنْدَلُسِ. وَفِي سَنَةِ ١٨٧ سَقَطَتْ بَرْشَلُونَةُ فِي يَدِ شَارْلَمَانَ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ الْحَكَمِ فِي آخِرِ سَنَةِ ٢٠٦ هـ (رَبِيعِ ٨٢٢ م).

٢ - كَانَ الْحَكَمُ حَازِماً، وَلَكِنْ حَزْمُهُ كَانَ يَبْلُغُ بِهِ أحياناً إِلَى حَدِّ الْقَسْوَةِ. غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ عَادِلاً. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْمُرْتَزَقَةَ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، مِنْ النِّصَارِيِّ وَالْوِثْنِيِّ (مِنَ الْإِسْبَانِ وَالْفِرَنْجِيَّةِ وَالْجُرْمَانِ وَسَوَاهِمِ) وَكَانَ يَسْمِيهِمْ «الْحُرُوسَ» (لِعُجْمَتِهِمْ: لَجَهْلِهِمُ اللَّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ). وَلَمْ يَقْتَصِرْ اعْتِمَادُهُ عَلَى الْعَرَبِ، بَلْ قَرَّبَ إِلَيْهِ الْعَرَبَ وَالْبَرْبَرِ وَالْمَوْلُودِينَ (الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ الْأَصْلِيِّينَ) وَالصَّقَالِبَةَ (السُّلَافَ، سَكَانَ شَرْقِيَّ أَوْرُوبَةِ)، وَإِنْ كَانَتْ كَلِمَةُ «صَقَالِبَةَ» تُطْلَقُ فِي الْأَنْدَلُسِ عَلَى جَمِيعِ الْأَوْرُوبِيِّينَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ يَمَنْ دَخَلُوا فِي الْجَيْشِ الْأَنْدَلُسِيِّ خَاصَّةً. وَفِي أَيَّامِ الْحَكَمِ بَدَأَتْ الْعَصْبِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ تَضَعُفُ إِذْ كَثُرَ فِي أَيَّامِهِ اخْتِلَاطُ الْعَرَبِ بِالْمَوْلُودِينَ مِنْ طَرِيقِ الزَّوْاجِ.

وَكَانَ الْحَكَمُ «أَدِيباً مُفْتَنّاً (كَثِيرَ التَّفَنُّنِ): خَطِيباً مُفَوَّهاً وَشَاعِراً مُجَوِّداً تُحْذَرُ صَوَلَاتُهُ وَتُسْتَنْدَرُ أَيْيَاتُهُ» (الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ٤٣). وَمُعْظَمُ شِعْرِهِ الْحَمَاسَةُ وَالنَّسِيبُ وَالْوَصْفُ.

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ

لِلْحَكَمِ الرِّبْضِيُّ شَيْءٌ مِنَ النَّسِيبِ مِنْهُ:

ظِلٌّ مِنْ قَرَطٍ حُبِّهِ مَمْلُوكاً وَلَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَاكَ مَلِكاً.

إن بكى أو شكا الهوى زهداً ظلماً وبُعَاداً يُدني حِاماً وشيكاً^(١).
 تركَّنه جاذِرُ القَصْرِ صَبَاً مُسْتَهَاماً عَلَى الصَّعِيدِ تَرِيكاً^(٢).
 يَجْمَلُ الحَدَّ مَائِلاً فَوْقَ تُرْبٍ وَهُوَ لَا يَرْضَى الحَرِيرَ أَرِيكاً^(٣).
 هَكَذَا يَحْسُنُ التَّدْلُّلُ بِالْحَرِّ إِذَا كَانَ فِي الهَوَى مَمْلُوكاً

وكانت له خمسُ جَوَارٍ مُصْطَحَبَاتٍ مُتَفَقَاتٍ. وَلَعَلَّهُ أَغَارَهُنَّ يَوْماً فَاتَّفَقْنَ عَلَى أَنْ يُظْهِرْنَ لَهُ شَيْئاً مِنَ الدَّلَالِ والتَّمْنَعِ، فقال:

قُضِبَ مِنَ البَانِ مَاسَتْ فَوْقَ كُثْبَانٍ وَلَئِنْ عَنِّي وَقَدْ أَرْزَمَنْ هِجْرَانِي^(١).
 نَاشِدُهُنَّ بِحَقِّي فَاعْتَرَمَنْ عَلَى الـ حِصْيَانٍ حَتَّى حَلَا مِنْهُنَّ عِصْيَانِي^(٢).
 مَلَكْنِي مُلْكٌ مَن ذَلَّتْ عَزَائِمُهُ لِلْحُبِّ ذُلٌّ أَسِيرٍ مُوْتَقِي عَانٍ^(٣).
 مَن لِي بِمُغْتَصِبَاتِ الرُّوحِ مِنْ بَدَنِي يَفْصِيصَنِي فِي الهَوَى عِزِّي وَسُلْطَانِي!

- وقال بعد أن قضى على الفتنة في الربض:

رَأَيْتُ صُدُوعَ الأَرْضِ بِالسِّيفِ رَاقِعاً، وَقَدْ مَآ لَأَمْتُ الثَّنْبُ مَذْ كُنْتُ يَابِغاً^(٧).
 فَائِلٌ تُعَوِّرِي هَلْ بِهَا الْيَوْمَ ثَغْرَةٌ أَبَادِرُهَا مُسْتَنْضِي السِّيفِ دَارِعاً^(٨).

(١) الحمام، الموت، وشيك: قريب.

(٢) الجوذِر (بضم فكون فضم): الغزال الصغير (الفتاة الجميلة). الصَّب: الحب. المستَهَام: الذي كاد يجر من شدة الحب. الصَّعِيد: الأرض. التَّرِيك: عنقود (العنب) أو عنق (بكسر العين) النخل إذا جرد من ثمره (شيء متروك لا قيمة له).

(٣) المائل (الواقف - الموضوع). الأريكة: الكرسي الفاخر، العرش.

(٤) القَضِب (كتابة عن القامة الجميلة) البان: شجر أغصانه تامة الاستقامة. ماس: قابل. الكَتِيب: تلة الرمل (كتابة عن عجيزة المرأة أو رديفها). وَلَى: ذهب، انصرف، مال. أَرْزَم: قصد.

(٥) حَلَا مِنْهُنَّ عِصْيَانِي: أحببت عصيانهن لي.

(٦) مُوْتَقٍ: مقيد. العاني: الذليل، الأسير.

(٧) الصَّدع (بالفتح): الشق. رَأَب (أصلح الشق بالجمع بين جزئيه). لَأَم: رأب. الثَّنْب (بالفتح) الانفراج بين جبلين (الشق). اليافع: الذي لم يبلغ الحلم بعد.

(٨) الثغر: المكان الذي يمشى بجبهه العدو منه. ثغرة: انفراج في سياج ونحوه. نضا السيف: أخرجه من قرابه. الدارع لايس الدرع.

تُبْنُكَ أَيْ لَمْ أَكُنْ فِي قِرَاعِهِمْ يَوَانٍ، وَقَدْ مَا كُنْتُ بِالسَّيْفِ قَارِعاً^(١)
وَأَنِّي إِذَا حَادُوا حِذَاراً مِنَ الرَّدَى قَلَسْتُ أَخَا حَيْدٍ عَنِ الْمَوْتِ جَارِعاً^(٢)
حَمَيْتُ ذِمَارِي فَانْتَهَكْتُ ذِمَارَهُمْ؛ وَمَنْ لَا يُحَامِ ظِلَّ خَزْيَانَ ضَارِعاً^(٣)
وَلَا تَنَاقُيَا سِجَالَ حُرُوبِنَا سَقَيْتُهُمْ سَجَلًا مِنَ الْمَوْتِ نَاقِعاً^(٤)
وَهَلْ زِدْتُ أَنْ وَقَيْتُهُمْ صَاعَ قَرْضِهِمْ فَلَاقُوا مَنَاهَا قُدْرَتُ وَمَصَارِعاً^(٥)
فَهَاكَ بِلَادِي، إِنْسِي قَدْ تَرَكْتُهَا مَهَاداً وَلَمْ أَتْرُكْ عَلَيْهَا مُنَازِعاً^(٦)

٤ - * أخبار مجموعة ١٣٢ - ١٣٣ ابن الفرضي ١: ١١٢ جذوة المقتبس ١١ (الدار المصرية) ١٠، الحلة السراء ١: ٤٣ - ٥٠ المغرب ١: ٣٨ - ٤٥ البيان المغرب ٢: ٦٨ - ١٨٠ فوات الوفيات ١: ١٨٧ - ١٨٨ نفح الطيب ١: ٣٣٨ - ٣٤٤ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٣ - ٧٤ نيكل ١٩ - ٢١، مختارات ١١ - ١٢، الأعلام للزركلي ٢: ٢٩٧ (٢٦٧ - ٢٦٨).

غريب الطليطي

- ١ - هو أبو عبد الله غريب بن عبد الله الثَّقَفِي المعروف بِالْقُرْطَبِيِّ (نفح الطيب ٤: ٣٣٢) والمَشْهُور بِالطُّلَيْطِيِّ، كَانَ ذَا طُغْيَانٍ وَذَا اسْتِخْفَافٍ بِالْعُمَالِ (وَلَاةُ الْبُلْدَانِ) أَسْنَدَ إِلَيْهِ أَهْلُ طُلَيْطَلَةَ أَمْرَهُمْ. ثُمَّ إِنَّهُ ثَارَ فِي قُرْطُبَةَ وَاسْتَفْجَلَ أَمْرَهُ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ (المقتبس ٧٦) سَنَةَ ٢٠٧ (٨٣٢ م).
- ٢ - غَرِيبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ شَاعِرٌ قَدِيمٌ مَشْهُورٌ الطَّرِيقَةِ فِي الْفَضْلِ وَالْخَيْرِ وَالزَّهْدِ. وَكَانَ النَّاسُ يَتَدَاوَلُونَ شَيْئاً مِنْ شِعْرِهِ.

-
- (١) القراع: الضرب بالسيف. الواي: الضعيف.
 - (٢) (إذا الملوك) حادوا (مالوا) حذار (حذر: خوف) الردى (الموت).
 - (٣) الذمار: ما تجب على الإنسان حايته. الصارع: الضعيف.
 - (٤) السجل: الدلو العظم. الناقع: (سم) شديد قاتل.
 - (٥) وقيتهم صاع قرضهم (دينهم - بفتح الدال): قاتلتهم قتالاً مثل قتالهم لي.
 - (٦) مهادا: مستوية، مستقرة، هادئة.

- جاء في نفع الطيب (٤: ٣٣٢) من شعر غريب الطليطي:

أَيُّهَا الْآمِلُ مَا لَيْسَ لَهُ طَالَمَا غَرَّ جَهْلًا أَمْلَهُ.
رُبَّ مَنْ بَاتَ يُنْسِي نَفْسَهُ خَانَهُ، دُونَ مُنَاهُ، أَجْلَهُ.
وَفَتَى بَكَرَ فِي حَاجَاتِهِ عَاجِلًا، أَغْقَبَ رَيْثًا عَجَلَهُ!
قُلْ لِمَنْ مَثَلٌ فِي أَشْعَارِهِ: يَذْهَبُ الْمَرْءُ وَيَبْقَى مَثَلُهُ:
نَافِسُ الْمُخِينِ فِي إِحْسَانِهِ، فَسَيَكْفِكَ مُبِينًا عَمَلُهُ!

٤- * * المغرب ٢: ٢٣- ٢٤؛ جذوة المقتبس ١٣٠٧؛ بغية الملتبس ٤٢٨ (رقم ١٢٨١)؛
الذيل والتكملة ٥: ٩٩٥ (ص ٥٢٢)؛ نفع الطيب ٤: ٣٣٢؛ مجمل تاريخ الأدب
التونسي ٤٢.

شبطون

هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادِ اللَّخْمِيِّ الْمَعْرُوفُ بِشَبْطُونٍ، مِنْ أَهْلِ قَرْطُبَةٍ، سَمِعَ مِنْ حَمِيهِ مَعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحِ الْحِمَاصِيِّ (ت ١٥٨) ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فَسَمِعَ الْمَوْطَأَ مِنَ الْإِمَامِ مَالِكٍ (ت ١٧٨) فِي الْمَدِينَةِ كَمَا سَمِعَ مِنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ (ت ١٩٨) فِي مَكَّةَ. وَسَمِعَ فِي مِصْرَ مِنَ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ (ت ١٧٥).

وَشَبْطُونٌ هُوَ الَّذِي أَدْخَلَ الْمَوْطَأَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ مُكَمَّلًا مُتَّقِنًا وَنَشَرَ فِيهَا الْمَذْهَبَ الْمَالِكِيَّ - وَقِيلَ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ (ص ٨٦) الْغَازِي بْنُ قَيْسٍ (ت ١٩٩) - وَكَانَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ يَتَفَقَّهُونَ مِنْ قَبْلُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي عَمْرٍو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْزَاعِيِّ (٨٨- ١٥٧ هـ)، أَوْ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي الْأَصَحِّ.

وَأَبَى شَبْطُونٌ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ - فِي أَيَّامِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ (ت ١٨٠) - أَنْ يَتَوَلَّى الْقَضَاءَ ثُمَّ تَوَلَّى - فِيمَا يَبْدُو - قَضَاءَ مَدِينَةِ طُلَيْطَلَةَ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٢١٢ (٨٢٧ م) فِي الْأَغْلَبِ.

★★ جذوة المقتبس ٢١١ (الدار المصرية) ٢٣٨ (رقم ٥٠٤)؛ بغية الملتبس ٣٠٤ (رقم ٨٤٤)؛
الديباج المذهب ١١٢٧؛ نفع الطيب ٤٥ : ٤٦ - ٤٧. شذرات الذهب ١ : ٣٣٩ - ٣٤٠.

إدريس الأصغر

١ - في سنة ١٤٥ (٧٦٢ م) ثار محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب (وكان محمد يُلقب: النفس الزكية) في المدينة (الحجاز) على أبي جعفر المنصور العباسي وتسمى «محمدًا المهدي». ولكنه قُتِلَ وشيكًا. فثار أخوه إبراهيم في البصرة (العراق) في أواخر ١٤٥ (أوائل ٧٦٣ م) فقتل أيضاً.

وفي سنة ١٦٩ (٧٨٦ م) ثار الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب في المدينة في جماعة من أهله وأنصاره ولكنه انهزم في وقعة فخ (على ثلاثة أميال من مكة) في تاسع ذي الحجة من سنة ١٦٩ (١٢ / ٦ / ٧٨٦ م) وقتل. وكان ثمن نجا من القتل في تلك المعركة إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى فهرب إلى المغرب الأقصى فنصرة البربر واجتمعوا عليه وبايعوه في مدينة وئيلي وهي قاعدة جبل زهرون (ولعلها المسماة اليوم «قصر فرعون»)، وذلك في ربيع رمضان من سنة ١٧٢ (٦ / ٢ / ٧٨٩ م). واتخذ مستناراً مولى له اسمه راشد.

ولما اتسع ملك إدريس في المغرب غيظ العباسيون فأرسلوا إليه سليمان بن جرير المعروف بالشماخ. فاتصل سليمان بإدريس ونال عنده مكانة ثم احتال في سبه بكارورة من طيب. وكانت وفاة إدريس في فاتح (أول) ربيع الآخر من سنة ١٧٧ (١٥ / ٧ / ٧٩٣).

وكان للمولى (الإمام الخليفة) إدريس جارية بربرية اسمها كنزة مات عنها وهي حُبلى. فقام راشد بتدبير أمر البلاد. وفي ثالث رجب من سنة ١٧٧ (١٤ / ١٠ / ٧٩٣ م) وضعت كنزة غلاماً سمي إدريس وعُرف بإدريس الأصغر (أو الأزهر)، وقام راشد بتدبير أمر إدريس الأصغر. ويبدو أن العباسيين قد استطاعوا أن يدسوا إلى راشد من يقتله، سنة ١٨٦ هـ (٨٠٢ م) فقام بكفالة إدريس عندئذ أبو خالد يزيد ابن الياس العبدي.

ولما بَلَغَ إدريسُ الأصغرُ الحاديةَ عَشْرَةَ بايعه البربرُ خليفةً لأبيه، في غُرَّةِ ربيعِ الأولِ من سنة ١٨٨ (١٨ / ٢ / ٨٠٣ م).

وضافتُ مدينةُ وُلِّيَ بالناسِ فشرعَ إدريسُ الأصغرُ ببناءِ مدينةِ فاسَ في سنة ١٩٢ (٨٠٨ هـ) وجعلها عُدُوَّتَيْنِ (جانبيين): عدوةَ الأندلسيين نَزَلَ فيها من وَقَدَ عليه من الأندلس وعدوةَ القُرَويين نزل فيها من جاء إليه من مدينة القَيْرَوان، وبني في كُلِّ عدوةٍ جامعاً.

وما زال إدريسُ الأصغرُ جاداً في توسيعِ رُقعةِ ملكه وفي نشرِ العمرانِ حتَّى كانت وفاته في ثانيِ جُمادى الآخرةِ من سَنَةِ ٢١٣ (١٨ / ٨ / ٨٢٨ م) في إبَّانِ شبابه.

٢ - يبدو أن إدريسَ الأصغرَ كان كثيرَ الذكاءِ حتَّى استطاع أن يَتَشَقَّفَ ويخطُبَ الخطبَ البليغةَ ويقولَ الشعرَ المتينَ في الحاديةَ عَشْرَةَ من العُمُرِ (ولعلَّ بعضَ ذلك منسوبٌ إليه). ثم إنَّه كان قديراً جَواداً ومُصلحاً عُمَرائياً. وأكثرُ شِعْرِ إدريسَ الأصغرِ يدورُ على الحماسةِ والفخرِ والأدبِ (الحكمة). وأما نثرُه فخطبٌ فيها التأكيدُ على حقِّ أسْرتهِ في المُلْكِ لِصِلَتِها برسولِ الله، وفيها أشياءٌ من النصيحِ الدينيِّ والسياسةِ الإدارية.

٣ - مختارات من آثاره

- لما فَرَغَ إدريسُ من بناءِ مدينةِ فاسَ وحضرتِ الجمعةُ الأولى، خطبَ خطبةً قال في آخرها:

اللَّهُمَّ، إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي ما أَرَدْتُ بِنِيْلِهِ هَذِهِ الْمَدِينَةَ مُبَاهَاةً وَلَا مُفَاخَرَةً وَلَا رِيَاءً وَلَا سِنْعَةً وَلَا مُكَابَرَةً، وَإِنَّا أَرَدْتُ أَنْ تُعْبَدَ بِهَا وَيُتْلَى بِهَا كِتَابُكَ وَتُقَامَ بِهَا حُدُودُكَ وَشَرَائِعُ دِينِكَ وَسُنَّةُ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا. اللَّهُمَّ، وَفَقَّ سُكَّانَهَا وَقَطَّانَهَا لِلْخَيْرِ وَأَعْنَهُمْ عَلَيْهِ وَأَكْفِهِمْ مَوَوْنَةَ أَعْدَائِهِمْ وَأَذْرِزْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ وَأَغْضِذْ عَنْهُمْ سَيْفَ الْفِتْنَةِ وَالشَّقَاقِ. إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

- قِيلَ لَمَّا بُويعَ إدريسُ الأصغرُ بالخِلافةِ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ:

الحمد لله أَحَمَدُهُ وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأَسْتَعِينُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَأَعُوذُ بِهِ مِنْ شَرِّ نَفْسِي
وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ إِلَى
الثَّقَلَيْنِ^(١) بِشِيرَاءٍ وَنَذِيرٍ أَوْ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا^(٢) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا^(٣). أَيُّهَا النَّاسُ،
إِنَّا قَدْ وَكَلْنَا هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي يُضَاعَفُ فِيهِ لِلْمُحْسِنِ الْأَجْرُ وَ(يُضَاعَفُ) عَلَى الْمُسِيءِ
الْوِزْرُ. وَنَحْنُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، عَلَى قَصْدٍ^(٤)، فَلَا تَمْدُوا الْأَعْنَاقَ^(٥) إِلَى غَيْرِنَا فَإِنَّ الَّذِي
تَطْلُبُونَهُ مِنْ إِقَامَةِ الْحَقِّ إِنَّا نَجِدُونَهُ عِنْدَنَا.

- وَقَالَ إِدْرِيسُ الْأَصْفَرُ يُحَاطَبُ الْبُهْلُولُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَذْغَرِيِّ وَيُحَذَّرُهُ مِنْ
الْخُرُوجِ عَنِ الطَّاعَةِ وَمَنْ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ:

كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِمَكْرِ ابْنِ أَغْلَبٍ وَمَا قَدْ رَمَى بِالْكَيْدِ كُلَّ بِلَادٍ.
وَمِنْ دُونِ مَا مَتَّكَ نَفْسُكَ خَالِيًا وَمَتَّكَ إِبْرَاهِيمُ خَرْطُ قَتَادٍ^(٦)!

- وَكَتَبَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ يَدْعُوهُ إِلَى الطَّاعَةِ:

أَذْكُرُّ إِبْرَاهِيمَ حَقَّ مُحَمَّدٍ وَعِثْرَتِهِ، وَالْحَقُّ خَيْرٌ مَقُولٍ^(٧).
وَأَدْعُوهُ لِلْأَمْرِ الَّذِي فِيهِ رُشْدُهُ، وَمَا هُوَ - لَوْلَا رَأْيُهُ - بِمَجْهُولٍ.
فَإِنَّ آثَرَ الدُّنْيَا فَإِنَّ أَمَامَهُ زَلَّازِلَ يَوْمٍ لِلْعِقَابِ طَوِيلٍ!

(١) الثَّقَلَانِ: الْأَنْسَ (بِكسر الهمزة) وَالْمُحْسِنِ.

(٢) الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ٣٣: ٤٦، سُورَةُ الْأَحْزَابِ.

(٣) الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ٣٣: ٣٣، سُورَةُ الْأَحْزَابِ.

(٤) قَصْدٌ: اعْتِدَالٌ.

(٥) مَدَّ عُنُقَهُ: نَظَرَ إِلَى مَا عِنْدَ الْآخَرِينَ، طَمَعٌ، تَار.

(٦) الْقَتَادُ: نَبَاتٌ لَهُ شَوْكٌ قَاسٍ. الْخَرْطُ: نَزَعُ الْوَرَقِ مِنَ الْفَصَنِ بِأَنْ تَمْسَكَ أَعْلَى الْفَصَنِ بِيَدِكَ ثُمَّ تَحَاوِلُ أَنْ
تَجَرِدَ وَرَقَهُ بِالْمُرُورِ بِقَبْضَتِكَ عَلَيْهِ. دُونَ ذَلِكَ خَرْطُ الْقَتَادِ (أَيُّ شَقَّةٍ عَظِيمَةٍ).

(٧) الْعِثْرَةُ: قَوْمُ الرَّجُلِ وَعَشِيرَتُهُ.

٤ - * * كتب التاريخ عامة. وتحسن مراجعة تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير (يهدي بفهرسيها). ثم أنظر مقدمة ابن خلدون ٣٨ وما بعد، ٤٠٢ س؛ الاستقصا في تاريخ المغرب الأقصى ١: ٧٠-١٧١ الوافي بالوفيات ٨: ٣١٤-٣١٥، ٣١٩-٣١٩ الحلقة السراء ١: ٥٠-١٥٦ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٠٣١-١٠٣٢ الأعلام للزركلي ١: ٢٦٦ (٢٧٨).

حَسَّانَةُ التَّمِيمِيَّةُ

١ - هِيَ حَسَّانَةُ بِنْتُ أَبِي الْخَشْيِ الشَّاعِرِ (أنظر، فوق، ص ٨٧)، مَاتَ أَبُوهَا فِي أَيَّامِ الْحَكْمِ الرَّبَيعِيِّ (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) فَوَقَدَتْ عَلَى الْحَكْمِ مُسْتَمِيحَةً لِفَضْلِهِ فَكُتِبَ الْحَكْمُ إِلَى عَامِلِهِ عَلَى الْبِيرَةِ بِأَنْ يُخْرِجَ عَلَيْهَا رَاتِبًا وَيُخَيِّنَ إِلَيْهَا. وَكَانَتْ حَسَّانَةُ فِي ذَلِكَ الْهَيَئَةِ بِكَرًّا لَمَّا تَتَزَوَّجُ بَعْدُ.

وَلَمَّا جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكْمِ (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) كَانَ الْعَامِلَ عَلَى الْبِيرَةِ جَابِرُ بْنُ لَبِيدٍ، وَكَانَتْ حَسَّانَةُ فِيهَا يَبْدُو قَدْ تَزَوَّجَتْ قَبْلَ مَدَّةٍ وَرُزِقَتْ أَوْلَادًا ثُمَّ مَاتَ زَوْجُهَا. وَقَطَعَ جَابِرُ بْنُ لَبِيدٍ الرَّاتِبَ الَّذِي كَانَ جَارِيًا عَلَى حَسَّانَةَ فَجَاءَتْ حَسَّانَةُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكْمِ تَشْكُو إِلَيْهِ جَابِرًا فَعَزَّلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَرَدَّ عَلَى حَسَّانَةَ مَا كَانَ جَارِيًا عَلَيْهَا فِي أَيَّامِ أَبِيهِ الْحَكْمِ.

وَلَمَلَ وَفَاةَ حَسَّانَةَ كَانَتْ نَحْوَ سَنَةِ ٢٣٠ (٨٤٤ - ٨٤٥ م).

٢ - كَانَتْ حَسَّانَةُ التَّمِيمِيَّةُ قَدْ تَأَدَّبَتْ وَتَعَلَّمَتِ الشَّعْرَ، وَشِعْرُهَا الْبَاقِي لَنَا مَشْرِقِي النَّهْجِ مَتْنُ الْأُسْلُوبِ وَفِيهِ شَيْءٌ مِنَ الرِّقَّةِ بَرُّغْمٍ أَنْ مَا بَقِيَ مِنْهُ يَدُورُ حَوْلَ الْمَدِيحِ وَالْعِتَابِ وَالِاسْتِعْطَافِ.

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهَا

- لَمَّا وَفَدَتْ حَسَّانَةُ التَّمِيمِيَّةُ عَلَى الْحَكْمِ أُنْشِدَتْهُ:

إِنِّي إِلَيْكَ، أبا العاصي مُوجَّعَةٌ - أبا الْخَشْيِ سَقَّتَهُ الْوَائِكُفَ الدَّيْهَ-^(١)

(١) سَقَّتَ الدَّيْهَ (جمع دية): السحابة المطيرة) أبا الْخَشْيِ وَكَفَأَ: (مطرًا غزيرًا).

قد كنتُ أرتعُ في نُهَاه عاكفةً؛ فاليومَ آويَ إلى نُعْمِكَ، يَا حَكَمُ!
أنتَ الإمامُ الذي أنقَذَ الأنامُ له ومَلَكْتَهُ مقاليدَ النُهي الأُمِّ^(١).
- ولها تُخاطِبُ الحَكَمَ أيضاً تشكو إليه جابراً عاملَ البيرة:

إلى ذي الندى والمجد سارتُ ركائبي على شَحَطٍ تَصَلَّى بنارِ المَواجِرِ^(٢)
لِيَجُزَّ صَدْعِي، إِنَّهُ خَيْرُ جَابِرٍ، وَيَمْنَعُنِي من ذي الظُلَامَةِ جَابِرُ^(٣).
فإنِّي وأطفالي بِقُبْضَةٍ كَفَّه كذبي الريش أضْحَى في مَخَالِبِ كاسِرِ^(٤).
جديرٌ لِيَنْشَلِي أن يُقالَ مَرُوعَةٌ لموتِ أبي العاصي الذي كان ناصري.
سَقَاهُ الحَبَا! لو كان حَيًّا لَّا أَعْتَدِي عليَّ زَمَانٌ باطِشٌ بَطِشَ قَادِرِ^(٥).

٤ - * * * نفع الطيب ٤: ١٦٧ - ١٦٨.

يحيى بن يحيى الليثي

هو أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاسن بن شمال بن منفايا الليثي، من قبيلة مصمودة البربرية (في المغرب). أما نِسْبَتُهُ إلى بني الليث فهي بالولاء.
دخل يحيى بن يحيى إلى الأندلس في مَطْلَعِ شَبَابِهِ فَسَمِعَ من يحيى بن مُضَرَّ القَيْسِيِّ الأندلسيِّ (ت ١٩٠) ومن شَبْطُونٍ (ت ٢١٢). ثم إِنَّهُ رَحَلَ إلى المشرق - وكان عُمُرُهُ آنذاك ثَمَانِي وَعِشْرِينَ سَنَةً - فسمع في بَصْرَ من الليث بن سعدٍ (ت ١٧٥) وسمع في مَكَّةَ من سَفِيَّانَ بنِ عُيَيْنَةَ (ت ١٩٨)، كما سمع في المدينة من الإمام مالك (ت ١٧٩).

ولمَّا عاد يحيى بن يحيى الليثي إلى الأندلس، بعدَ وَفَاةِ الإمام مالك، صارت إليه

(١) مقاليد (مفاتيح) النهي (العقل).

(٢) الندى: الكرم. الركائب جمع ركوب: الجمل أو الناقة يافر الناس عليها. الشحط: البعد. المَواجِر: نصف النهار. صلي بالنار يصل: تعرّض لحرّها.

(٣) ليحبر صدعي: ليصلح أمري (جبر الصدع: جمع بين الشقين). جابر الأول: المصلح. جابر الثانية (في القافية): حاكم البيرة الذي تشكو حَسَانَةَ من سوء معاملته.

(٤) ذو الريش: الطير الصغير. الكاسر: الطير الكاسر الذي بهطاد الطيور الصغيرة.

(٥) الحيا: المظر.

رئاسة المذهب في الفقه فانتشر المذهب المالكي على يديه انتشاراً واسعاً وتفقّه عليه جماعة لا يُحصَوْنَ عدداً، وكان فقيه الأندلس غير مُنَارِعٍ .

وكانت وفاة يحيى بن يحيى الليثي في ٢٢ من رَجَب ٢٣٤، وقيل ٢٣٣ (٨٤٨ م)، ودُفِنَ في مقبرة بني عامر في ظاهر قرطبة.

* * ابن الغرزي ١٧٦-١٧٨ (رقم ١٥٥٦) جذوة المقتبس ٢٥٩-٢٦١ (الدار المصرية) ٣٨٢-٣٨٤ (رقم ٩٠٩)؛ بغية الملتبس ٤٩٥-٤٩٨ (رقم ١٤٩٧) المغرب ١: ١٦٣-١٦٥؛ وفيات الأعيان ٦: ١٤٣-١٤٤؛ الديباج المذهب ٣٥٠؛ ابن قنفذ ١١٧٢؛ شذرات الذهب ١: ٣٣٩-٣٤٠؛ نفع الطيب ٢: ٩-١١٢ بروكلمن ١: ١٧٦، الملحق ١: ٣٠٠-٣٠١؛ دائرة المعارف الإسلامية (ط ١) ٤: الأعلام للزركلي ٩: ٢٢٣-٢٢٤ (٨: ١٧٦).

عبد الرحمن الأوسط

١ - هو أبو المطرّف عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، وأمه اسمها حلاوة، وُلِدَ سَنَةَ ١٧٦ (٨٩٢ م) وبُويجَ بالإمارة سَنَةَ ٢٠٦ هـ (٨٥٢ م).

وكانت أيامه أيام ازدهار وترف: «لم يَلْقَ المُسلمون معه بُؤساً ولم يَرَوْا يوماً عبوساً» وهو أول من جرى على سُنَنِ الخلفاء في الزينة والشكل وترتيب الخدمة. ثم كما الخلافة^(١) أُنْبِئَهُ الجلالة. وفي أيامه دخل الأندلس نفيسُ الفِطَاءِ وغرائبُ الأشياء، وسيقَ إليها ذلك من بَغْدَادِ. وفي أيامه أَسْتَبَحَرَتِ الحَضَارَةُ في الأندلس فأنصرفَ هُوَ إلى المَلَذَّاتِ واحتجبَ عن الناس وملأ قصره بأسباب اللُّهُوِ والجواري والمغنين والمغنيات. وهو الذي استدعى زُرَيْبَابَ مُغَنِّيَ العِراقِ، مِنْ بَغْدَادِ إلى الأندلس.

وكانت لعبد الرحمن الأوسط جارية تُسَمَّى طَرُوبَ، وكان بها دَنِفًا، فصَدَّت عنه وأغلقت على نفسها بيتاً فأمرَ بأن تُجْعَلَ على البابِ خرائطُ (أو عِيَّةٌ) مملوءةٌ بالدراهم

(١) في أيام عبد الرحمن الأوسط لم يكن الأمويون قد تلقبوا بالخلافة بعد. والنص هنا يذكر الخلافة على سبيل التجوُّز والتشبيه.

حتى سَتَرَتْ تلك الخرائطُ البابَ أَسْرَضَهُ لها وَاسْتَعْطَافاً. فَلَمَّا فَتَحَتْ طَرُوبُ
البابِ وَأَخَذَتْ الخرائطَ وَجَدَتْ فِيهَا نَحْواً مِنْ عِشْرِينَ أَلْفاً. ثُمَّ أَمَرَ لها أَيْضاً بِعَقْدِ
قِيمَتِهِ عَشْرَةَ أَلْفِ دِينَارٍ.

وَتُوْفِّي عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطُ فِي الثَّالِثِ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ ٢٣٨ (٨٥٢ م)
فَجَاءَ.

٢ - جَمَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطُ فِي بِلَاطِهِ جَمَاعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ وَكَانَ
يُكْرِمُهُمْ وَيُخَيِّنُ إِلَيْهِمْ. وَكَانَ هُوَ نَفْسُهُ شَاعِراً مُكْتَبِراً وَصَاحِبَ بَدِيعَةٍ. وَشِعْرُهُ
وُجْدَانِيٌّ يَدُورُ عَلَى الْوَصْفِ وَالْغَزْلِ. وَكَانَتْ لَهُ أَيْضاً تَوَاقِيعٌ بَلِيفَةٌ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ تَوَاقِيعٌ بَلِيفَةٌ مِنْهَا:

مَنْ لَمْ يَعْرِفْ وَجَةَ مَطْلَبِهِ كَانَ الْهِرْمَانُ أَوَّلَى بِهِ.

- وَوَصَفَ مَرَّةً جَارِيَتَهُ طَرُوباً^(١) وَقَدْ لَبِسَتْ عِقْدًا أَهْدَاهَا إِلَيْهَا فَاسْتَكْثَرَ بَعْضُ
الْحَاضِرِينَ ثَمَنَهُ (عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ) فَقَالَ:

«إِنَّ لَاسِيَةَ أَنْفُسٍ مِنْهُ خَطَرًا وَأَرْفَعُ قَدْرًا. وَلِئِنْ رَاقَ مِنْ هَذِهِ الْحَصْبَاءِ مَنَظَرُهَا
وَرُصِفَ فِي النَّفْسِ جَوْهَرُهَا، فَلَقَدْ بَرَأَ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ جَوْهَرًا يُغْنِي الْأَبْصَارَ وَيَذْهَبُ
بِالْأَلْبَابِ. وَهَلْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ زَبَرٍ جَدِّهَا وَجَوْهَرِهَا أَقْرَأُ لِعَيْنٍ وَأَجْعُ لَزِينٍ مِنْ
وَجْهِ أَكْمَلَ اللَّهُ فِيهِ الْحُسْنَ وَنُضْرَتَهُ وَأَلْقَى عَلَيْهِ الْجَمَالَ وَبَهْجَتَهُ!».

ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى الشَّاعِرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّمْرِ، وَكَانَ حَاضِراً، فَقَالَ لَهُ: هَلْ بِمَحْضُرِكَ
شَيْءٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى؟ فَأَنْشَدَ عَبْدُ اللَّهِ أَبْيَاتَهُ: أَتَقْرَنُ حَصْبَاءَ الْيَوَاقِيتِ وَالشُّذُرِ...

فَأَعْجَبَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ الْأَمِيرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطَ وَطَرِبَ لها طَرَباً شَدِيداً ثُمَّ
أَنْشَدَ مُرْتَجِلاً:

(١) رَاجِعْ، فَوْقَ، ص ٩٩.

قَرِصُكَ يَا أَبْنَ الشُّمْرِ عَنِّي عَلَى الشَّعْرِ
إِذَا شَافَهُتُهُ الْأَذُنُ أَدَّى بِسَحْرِهِ
وَهَلْ بَرَأَ الرَّحْمَنُ مِنْ كُلِّ مَا بَرَأَ
تَرَى الْوَرْدَ فَوْقَ الْيَاسَمِينِ بِجَنْدِهَا
فَلَوْ أَنَّنِي مُلْكْتُ قَلْبِي وَنَاطِرِي
وَجَلَّ عَنْ الْأَوْهَامِ وَالْفَهْمِ وَالْفَكْرِ .
إِلَى الْقَلْبِ إِبْدَاعاً فَجَلَّ عَنْ السَّحْرِ .
أَقْرَ لِعَيْنٍ مِنْ مُنْعَمَةٍ بِكَرٍّ؟
كَمَا قُوفَ الْرَوْضِ الْمُنُورُ بِالزُّهْرِ^(١) .
نَظَمْتُهَا مِنْهَا عَلَى الْجَمِيدِ وَالنَّجْرِ!

- وَخَرَجَ إِلَى الْغَزْوِ فَطَالَتْ غَيْبَتُهُ عَنْ قَرِطَبَةَ وَتَذَكَّرَ طَرُوبَ، وَكَانَتْ أَعْظَمَ جَوَارِيهِ مَكَانَةً عِنْدَهُ وَنَفُوداً فِي بِلَاطِهِ، وَقِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ قَلِيلَةَ الْوَفَاءِ لَهُ حَتَّى إِنَّهَا شَارَكَتْ فِي مُؤَامَرَةِ عَلَى خَلْعِهِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ قَالَ فِيهَا:

فَقَدْتُ الْهَوَى مُذْ فَقَدْتُ الْحَبِيبَا،
وَأَمَّا بَدَتْ لِي شَمْسُ النِّهَا
فِيَا طَوَّلَ شَوْقِي إِلَى وَجْهِهَا،
وَيَا أَحْسَنَ الْخَلْقِ فِي مُقَلَّتِي
لِئِنْ حَالَ دُونَكَ بُعْدُ الْمَرَا
لَقَدْ أَوْرَثَ الشَّوْقُ مِنِّي الضَّنَى
عِدَائِي عَنْكَ مَزَارُ الْعَبْدَى
كَأَنَّ تَخَطُّبْتُ مِنْ سَبَسَبِ
أَلَا قِي بُوْجْهِي حَرَّ الْمَجْجِيرِ
أُرِيدُ بِسَدَاكَ ثَوَابَ الْآلِهِ،
فَمَا أَقْطَعُ اللَّيْلَ إِلَّا نَحْبِيَا .
رِ طَالِمَةً ذَكَرْتَنِي طَرُوبَا .
وَيَا كَبِدَا أَوْرَثْتَنِي دُوبَا^(٢)،
وَأَوْفَرَهُمْ فِي فَوَادِي نَصِيبَا،
رِ مِنْ بَعْدِ أَنْ كُنْتُ مِنِّي قَرِيبَا
وَأَضْرَمَ فِي الْقَلْبِ مِنِّي لَهْبَا،
وَقَوْدِي إِلَيْهِمْ لُهُمَا مَهْيَا^(٣) .
وَجَاوَزْتُ بَعْدَ دُرُوبِ دُرُوبَا^(٤)،
إِذَا كَادَ مِنْهُ الْحَصَا أَنْ يَدُوبَا^(٥) .
وَمِنْ غَيْرِهِ أَبْتَغِيهِ مُشْبَا!

(١) قُوفَ: لَوْنٌ . التَّفْوِيفُ: اجْتِمَاعُ الْأَلْوَانِ مُتَجَاوِرَةً . الْمُنُورُ (بِفَتْحِ الْوَاوِ الْمَشْدَدَةِ وَكَسْرِهَا): الْمُتَفَتِّحُ بِالْأَزْهَارِ .

(٢) الدُّوبُ: جَعْدَةٌ: أَثَرُ الْجَرَحِ الْبَاقِي .

(٣) اللُّهُامُ: الْجَيْشُ الْعَظِيمُ . مَهْيَا: يَهَابُهُ النَّاسُ .

(٤) السَّبَسَبُ: الْأَرْضُ الْفَاحِلَةُ الْوَاسِعَةُ . الدَّرَبُ: الْمَرِّ فِي الْجَبَلِ .

(٥) الْمَجْجِيرُ: نَصْفُ النَّهَارِ .

أَنَا ابْنُ الْهَاشِمِيِّينَ مِنْ غَالِبٍ أَشْبُ حُرُوباً وَأُطْفِئُ حُرُوباً^(١)
سَمَوْتُ إِلَى الشَّرْكِ فِي جَحْفَلٍ مَلَأْتُ الْحُرُونَ بِهِ وَالسُّهُوبَ^(٢).

٤ - * * * المقتبس (راجع الفهرس فيه)؛ جذوة المقتبس ١١ (الدار المصرية) ١٠: الحلة
السراء ١: ١١٣ - ١١٩؛ المغرب ١: ٤٥ - ٥١؛ البيان المغرب ... أعمال
الأعلام ٢٢: نفح الطيب ١: ٣٤٤ - ٣٥٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ١:
٨٢ - ٨٣؛ نيكل ٢١ - ٢٢؛ مختارات نيكل ١١٤؛ الأعلام للزركلي ٤: ٧٦
(٣: ٣٠٥).

عبد الله بن الشمر

١ - هو عبدُ اللهِ بنُ الشَّمرِ بنِ نُميرِ القُرطبيّ، كان أبوه الشَّمرُ من موالي بني
أُمَيَّةَ ومن أهل العلم بالعربية.

نشأ عبدُ اللهِ بنُ الشَّمرِ جامعاً لكثير من الخصال التي تُحبُّه إلى الناس: لطيفاً
المعاشرة جامعاً لفنون من العلم والأدب. وقد صحَّبَ عبدُ الرحمن بنَ الحَكَمِ قبل أن
يَلِيَ عبدُ الرحمن الإمارةَ (سنة ٢٠٦ = ٨٢٢ م) ثم بعد أن تولَّى الإمارة. وقد كان في
كلِّ هذه الحِقْبَةِ نديماً لعبدِ الرحمن ومُنَجِّماً له وشاعره (راجع نفح الطيب ٣: ٦١٣).

ولمَّا غزا عبدُ الرحمن بنَ الحَكَمِ أرضَ جِيلِيقَةَ^(٣)، سَنَةَ ٢٢٥ (٨٤٠ م)، كان
عبدُ اللهِ بنُ الشَّمرِ مَعَهُ. ثم تُوُفِّيَ أبْنُ الشَّمرِ بُعِيدَ ذَلِكَ.

٢ - كان عبدُ اللهِ بنُ الشَّمرِ مُتَفَنِّئاً في عددٍ من العلوم بارِعاً في التنجيم خاصَّةً
جَيِّدَ الشَّعرِ مطبوعاً. وفنونُ شِعْرِهِ، فَيَا يَبْدُو، المَدِيحُ والعِتَابُ والوصفُ والمُجَاع.

(١) الهشاميين: هاشم بن عبد شمس (في الجاهليين) وهشام بن عبد الملك الأموي.
وفي نسب قريش (والأموئيون منهم) أجداد هم: لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، وجده أيضاً هشام بن
عبد الرحمن الداخل.

(٢) الجحفل: الجيش العظيم: الحزن (يفتح الماء وسكون الزاي): الأرض القاسية التي يصعب السير
فيها. السهب: الأرض المستوية التي يسهل السير فيها.

(٣) جيليقية: الطرف الشمالي الغربي من شبه جزيرة الأندلس.

- خرج عبد الرحمن بن الحكم مرةً لصيدِ الغرائق (والغرنوق طائرٌ مائي يُشبه الكركي)، وكان البردُ شديداً، فقال ابنُ الشَّمرِ، وكان معه:

ليستَ شِعْري أَمِنْ حديدٍ خُلِقْنَا أَمْ نُحِثْنَا مِنْ صَخْرَةٍ صَمَلَهْ؟
كلَّ عامٍ في الصيفِ نَحْنُ غُرَاةٌ، والغرائقُ صيدُنَا في الشتاءِ
إذ تَرى الأرضَ - والجليدُ عليها واقعٌ - مثلَ شُقَّةٍ بيضاءِ .
وكانَ الأنوفَ تُجْدَعُ مِنَّا بالمَواصي لَزُغْزُعٍ ورُخَاءِ^(١) .
نَطْلُبُ الموتَ والمَلاكَ بِالحَا حِ، كَأَنَّا نَشْتاقُ وقتَ الفناءِ .

- جرى ذاتَ يومٍ حديثٌ طويلٌ بينَ عبدِ الرحمنِ بنِ محمدٍ ووزيرِهِ في الموازنة بين جاريةٍ وعقيدٍ من الجواهر (اللؤلؤ) كانت تلبسه، فطلبَ عبدُ الرحمنِ مِن ابنِ الشَّمرِ أن يقول شيئاً في هذا المعنى فقال:

أَتَقَرُّنُ حَصْبَاءَ الْيَوَاقِيتِ وَالشَّدْرِ إِلَى مَنْ تَعَالَى عَنْ سَنَا الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ^(٢)؟
إِلَى مَنْ بَرَتْ قِدْماً يَدُ اللَّهِ خَلَقَهُ، وَلَمْ يَكْ شَيْئاً غَيْرَهُ أَبَداً يَبْرِي^(٣)؟
فَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ صِنْفَةِ اللَّهِ جَوْهَراً تَضَاهَى عَنْهُ جَوْهَرُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ^(٤)!

٤ - * * أخبار مجموعة ١٣٦-١٣٨؛ ابن الفرضي ٢٦٨ رقم (٦٩١)؛ المقتبس ٦٥-٦٦، راجع الفهرست أيضاً؛ الحلة السراء ١: ١١٦-١١٨؛ المغرب ١: ١٢٤-١٢٧؛ البيان المغرب ٢: ٨٥-٩٢؛ نفع الطيب - راجع الفهرس ١؛ نيكل ٢١؛ مختارات ١٣-١٤ .

- (١) تجدد: تقطع. المواصي: جمع موسى: سكين حادة. الزعزع: الريح الشديدة. الرخاء: الريح اللينة.
- إذا اشتدَّ البردُ وتجمَّدت الأعضاء (كالأذن والأنف) يسهل انفصالها.
(٢) قرن: جمع، (شبه، وازن بين شيئين). الحصباء: الحصى، الحجارة الصغيرة. الشذرة: القطعة الصغيرة من الذهب، الخرزة الصغيرة يفصل بها بين الحبتين من اللؤلؤ في العقد. السنا: ضوء البرق.
(٣) برت - برأت: خلقت. ولم يكن غيره (أي الله) يبري (يرأ) شيئاً.
(٤) الجواهر: اللؤلؤ.

عبد الملك بن حبيب

١ - هو أبو مروان عبد الملك بن حبيب^(١) السلمي المزداسي الإلبيري القرطبي الأندلسي، من موالى بني سليم، وُلِدَ في حصن واط قرب غرناطة (في كورة البيرة) بُعيد سنة ١٨٠ (٧٩٦ م).

عاش عبد الملك بن حبيب في صدر حياته مُدَّةً في البيرة وقرطبة وتَفَقَّه فيها ثم رَحَلَ إلى المشرق فحجَّ ولَقِيَ نفراً من أصحاب مالك بن أنس ومن غيرهم: سَمِعَ من عبد الملك بن الماجشون (ت ٢١٢) وأسد السنَّة أسد بن موسى الأموي (ت ٢١٢) وأصبغ بن الفرج (ت ٢٢٥) ومن إسماعيل بن أبي أونس وعبيد الله بن موسى الكوفي وسواهم. ولا يُمكنُ أن يكون عبد الملك بن حبيب، الذي وُلِدَ سَنَةَ ١٨٠، قد لَقِيَ مالك بن أنس الذي تُوُفِّيَ سَنَةَ ١٧٩، كما زعم نفرٌ من الذين ترجوا لعبد الملك بن حبيباً.

ولمَّا عاد عبد الملك بن حبيب إلى الأندلس سَكَنَ قرطبة إلى أن تُوُفِّيَ في رابع رَمَضانَ من سَنَةِ ٢٣٨ (١٨ / ٢ / ٨٥٣ م) في الأغلب. وكان قبلَ وفاته قد وَقَفَ جَمِيعَ أَمْلاكِهِ على جامع قرطبة.

٢ - كان عبد الملك بن حبيب عالماً مشهوراً مُتَصَرِّفاً في عددٍ من فُنُونِ العلم من التفسير والحديث والفقِّه والتاريخ والشعر والطب والفلك. وقد عُرِفَ بلقب «عالم الأندلس»؛ ومنهم مَنْ يَجْمَعُهُ صِنَواً لشبطين (راجع، فوق، ص ٩٣) فلقد كان له أثرٌ في انتقالِ أهلِ المَغْرِبِ والأندلس من مذهبِ أهلِ الحديث إلى مذهب الإمام مالك.

وعبد الملك بن حبيب مُصَنِّفٌ مُكثِرٌ، فمن كتبه: كتاب مكارم الأخلاق - أصول الفرائض (إرث) - كتاب الورع - غريب الحديث - طبقات الفقهاء - تفسير موطأ مالك - الواضحة (شرح على موطأ الإمام مالك) - «التاريخ»

(١) في البيان المغرب لابن عذاري (٢: ١١٠): «هو عبد الملك بن سليمان بن مروان بن جبهة بن عباس بن مرداس السلمي، يكنى أبا هارون».

(وعنوانه طويل يُوجزُ محتوياته. كتابٌ في ابتداء خَلْق الدنيا وَذِكْر ما خلق الله فيها مِنْ ابتداء خلق السموات وخلق البحار والجبال والجنّة والنار وخلق آدمَ وحواء وما كان من شأنها مع إبليسَ وعِدّة الأنبياء نَبِيًّا نَبِيًّا إلى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليهم أجمعين وعِدّة الكتب المُنزلة وعدة الخلفاء إلى حين استفتاح الأندلس... وفي آخر الكتاب فصولٌ في الفقه والأخلاق والآداب وطائفة من الأشعار ثم فصل عن قضاة الأندلس).

والذي يبدو أَنَّ النسخة التي وصلت إلينا من هذا الكتاب الكبير هي من صُنِعَ أبْن أبي الرَّقَّاع تلميذُ عبدِ الملكِ بنِ حبيبٍ أضافَ فيها إلى ما كان قد رواه عن أبْن حبيبٍ أشياء كثيرة، مِنْ ذلك أنه استمرَّ في سِلْسِلَةِ أمرِ الأندلس إلى سَنَةِ ٢٧٤ هـ (٨٨٨ م)، بينما كانت وفاةُ عبدِ الملكِ بنِ حبيبٍ سَنَةَ ٢٣٨ هـ (راجع بروكلمن ١: ١٥٦).

٣ - مختارات من شعره

- قال عبد الملك بن حبيب يشكو الدهر:

صَلَّاحُ أُمْرِي وَالَّذِي أَبْتَغِي هَيِّنْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي قُدْرَتِهِ.
أَلْفٌ مِنَ الْبَيْضِ، وَأَقْلَلُ بِهَا لَعَالِمٍ أَزْرَى عَلَى بُغْيَتِهِ^(١).
زُرْبَابٌ يَأْخُذُهَا قَفْلَةً وَصَنَعَنِي أَشْرَفُ مِنْ صُنْعَتِهِ^(٢).

- وَكَتَبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الزَّجَّالِي رِسَالَةً خَتَمَهَا بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ، وَهِيَ أَيْضًا فِي الشُّكْوَى:

كَيْفَ يُطَيِّقُ الشَّعْرَ مَنْ أَصْبَحَتْ حَالَتُهُ الْيَوْمَ كَحَالِ الْفَرَقِ.
إِذَا قَرَضْتُ الشَّعْرَ أَوْ رُمْتُه حَالَتُ هُمُومِي دُونَهُ فَانْفَلَقِ.

(١) ألف من البيض: ألف درهم (من الفضة).

(٢) زُرْبَابُ الْفَتْنَى (راجع ص ٨٠). يَأْخُذُهَا قَفْلَةً (يَأْخُذُ أَلْفَ دَرَاهِمٍ فِي غَنَاءٍ قَفْلَةً - لِحْوَ شَطْرَيْنِ فِي آخِرِ الْأَغْنِيَةِ).

والشعرُ لا يَنْسُ إِلَّا عَلَى فَرَاغِ قَلْبٍ وَاتِّسَاعِ الْخُلُقِ.

- ٤ - * * ابن الفرضي ١: ٣١٢-٣١٥ رقم (٨١٦)، الزبيدي ٢٨٢-٢٨٣ جذوة
المقتبس ٢٦٣-٢٦٥ (الدار المصرية) ٢٨٢-٢٨٤ (رقم ٦٢٨) بغية الملتص
٣٦٤ (رقم ١٠٦٣)، انباه الرواة ٢: ٢٠٦-٢٠٧، المغرب ٢: ٩٦، الديباج
١٥٤؛ بغية الوعاة ٣١٢، شذرات الذهب ٢: ٩٠، نفع الطيب ١: ٤٦، ثم ٢:
٥-٨ بروكلن ١: ١٥٦، الملحق ١: ٢٣١، ابن قنفذ ١٧١، الطمع
٣٦-٣٧: بالنيثيا ١٩٤-١٩٥، دائرة المعارف الإسلامية ٣:
١٧٧٥، الأعلام للزركلي ٤: ٣٠٢ (١٥٧).

عبّاس بن ناصح

١- هو أبو القلاء عبّاسُ بنُ ناصحِ الثَّقَفِيِّ الجَزِيرِيِّ، نَسَبُهُ إِلَى الجزيرة الخضراء
(جَنُوبِي الأندلس). وَقِيلَ إِنَّ أَبَاهُ ناصحاً كان عبداً لمُزاحِمَةَ بنتِ مُزاحِرِ الثَّقَفِيِّ
الجَزِيرِيِّ (المغرب ١: ٣٢٤).

وُلِدَ عبّاسُ بنُ ناصحٍ فِي الجزيرة الخضراء وَنشأ فيها. ثُمَّ إِنَّهُ جَعَلَ يَتَرَدَّدُ عَلَى
قُرْطُبَةَ وَيَتَّصِلُ بِالْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ الرَبَضِيِّ (١٨٠-٢٠٦ هـ) وَيَمْدَحُهُ. فَوَلَّاهُ الْحَكَمُ
القضاءَ عَلَى الجزيرة الخضراء^(١).

وَرَحَلَ عبّاسٌ إِلَى المشرق، قِيلَ ذَهَبَ لِيَرَى أَبَا نُؤَاسٍ وَغَيْرَهُ مِنْ شُعْرَاهُ
العِرَاقِ^(٢). وَقِيلَ أَرْسَلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ (٢٠٦-٢٣٨ هـ) إِلَى العِرَاقِ فِي
النِّهَاسِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ، فَأَتَاهُ بِالسُّنَدِ هِنْدِ^(٣) وَغَيْرِهِ.

- (١) نقل السيوطي (بغية الوعاة ٢٧٦) عن الزبيدي وابن الفرضي أَنَّ عبّاسَ بْنَ ناصحٍ وَلِيَ قضاءَ (القضاء
فِي) بِلْدِهِ وَ(فِي) مَدِينَةٍ شَذُونَةٍ. وَفِي الْمَغْرِبِ (١: ٣٢٤): أَنَّ الزبيدي قَالَ فِي كِتَابِهِ «طَبَقَاتُ الْعُلَمَاءِ»
إِنَّ عبّاسَ بْنَ ناصحٍ «وَلِيَ قِضَاءَ بِلْدِهِ مَعَ شَذُونَةٍ»!
- (٢) ابن الفرضي ١: ٣٤١. وَيَذْكُرُ ابْنُ الْفُرْضِيِّ أَيْضاً (١: ٣٤٠-٣٤١) أَنَّ ناصحاً رَحَلَ بِابْنِهِ عبّاسَ،
وَهُوَ صَغِيرٌ، إِلَى الْمَشْرِقِ، فَتَنَّا عبّاسَ فِي مِصْرَ وَتَرَدَّدَ فِي الْحِجَازِ طَالِباً لِلْفَرَبِ؛ ثُمَّ رَحَلَ بِهِ إِلَى
العِرَاقِ فَلَقِيَ الْأَصْمَعِيَّ (ت ٢١٦ هـ). وَرَجَعَ عبّاسٌ إِلَى الْأَنْدَلُسِ، فَلَمَّا سَمِعَ بِذِكْرِ أَبِي نُؤَاسٍ رَحَلَ
إِلَى الْمَشْرِقِ ثَانِيَةً. وَلَا أَرَى هَذِهِ الرِّوَايَاتِ تَتَّقِ اسْتِثْقَالَ مَعْقُولاً.
- (٣) السندهند كتاب فِي الفلكِ والحساب (راجع تاريخ العلوم عِنْدَ الْعَرَبِ، لِلْمُؤَلِّفِ، ص ١٢٣-١٢٦).

وكانت وفاة عباس بن ناصح سنة ٢٣٨ (٨٥٢ - ٨٥٣ م) في الأغلب.

٢- كان عباس بن ناصح من ذوي الفصاحة علماً باللغة^(١) والنحو والفقه والحديث والتعاليم (العلوم المدنية: الرياضيات وما يتصل بها)، ولكن غلب عليه الشعر، وكان شعره جزلاً متيناً يشبه ما ألفه قدماء الشعراء في المشرق.

٣- مختارات من آثاره

في الحلة السراء (١: ٤٨):

قال عثمان بن المثنى النخوي المؤدب: قديم بعد الوقعة علينا عباس بن ناصح قرطبة، أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم، فاستشدي شعر الأمير الحكم في الحج (راجع، ص ٥٧)، فأنشدته إياه. فلما بلغت إلى قوله:

وهل زدت أن وفيتهم صاع قرضهم فلاقوا منايا قذرت ومصارعا،

- قال عباس (بن ناصح):

.... لو أن الحكم يخشى الخصومة (يوم القيامة) بينه وبين أهل الربض لقام بعذره فيهم هذا البيت. وفي رواية: إذا كانت (تلك) الخصومة بينه وبين أهل الربض (عندي) جبرته (عطفت عليه)، فإن هذا البيت ليحاجج عنه يوم القيامة (لأنه نسب مقتل خصومه إلى انتهاء آجالهم لا إلى محاربته هو لهم).

- قال عباس بن ناصح في طول الحياة (بغية الوعاة ٢٧٦):

ما خير مدة عيش المرء لو جعلت كمدة الدهر، والأيام تُفنيها^(٢)؟
فارغب بنفسك أن ترضى بغير رضا^(٣) وابتنع نجاتك بالدنيا وما فيها.

(١) ذكره الفيروزآبادي في «البلغة في تاريخ أئمة اللغة» (ص ١٠٣).

(٢) هذا البيت يفهم على معنيين: لا خير في مدة، مها تكن طويلة، ما دامت في آخر الأمر ستفنيها.

- لا خير في طول الحياة، ولو كانت طول الدهر (بلا نهاية)، إذا فنيت (إذا أصبح الإنسان عاجزاً عن التمتع بما فيها).

(٣) بغير رضا (وإن لم يكن في الحياة ما ليس يدعو إلى الرضا).

- وفي نفع الطيب (١: ٣٤٣) أَنَّ عَبَّاسَ الشَّاعِرَ سَمِعَ امْرَأَةً فِي مَدِينَةِ وَادِي
الْحِجَارَةِ تَسْتَفِيتُ بِالْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ لِكَثْرَةِ اعْتِدَاءِ الْإِسْبَانِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. فَلَمَّا عَادَ
عَبَّاسٌ إِلَى قُرْطُبَةٍ دَخَلَ عَلَى الْحَكَمِ وَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً كَانَ قَدْ نَظَّمَهَا فِي ذَلِكَ، مَطْلَعُهَا:

تَمَلَّمْتُ فِي وَادِي الْحِجَارَةِ مُسَهَرًا أُرَاعِي نَجُومًا مَا يُرِذْنَ تَغَوُّرًا^(١).
إِلَيْكَ، أَبَا الْعَاصِي، نَضَيْتُ مَطِيتِي تَسِيرُ بِهِمْ سَارِيًا وَمُهْجَرًا^(٢).
تَدَارِكُ نِسَاءَ الْعَالَمِينَ بِنُصْرَةٍ، فَإِنَّكَ أُخْرَى أَنْ تُغِيثَ وَتَنْصُرَا!

- وفي طبقات الزبيدي (ص ٢٨٦) أَنَّ أَبَا نَوَاسٍ سَأَلَ عَبَّاسَ بْنَ نَاصِحٍ إِشَادَ
قَصِيدَةٍ فَأَنْشَدَهُ: فَأَدَّتُ الْقَرِيضَ، مِنْ ذَا فَادٍ^(٣)!

٤ - * * الزبيدي ٢٨٤ - ٢٨٦؛ ابن الفرضي ١: ٣٤٠ - ٣٤١ (رقم ٨٨١)؛ المغرب ١:
٤٥، ٣٢٤ - ٣٢٥؛ إنباه الرواة ٢: ٣٦٥ - ٣٦٧؛ بغية الوعاة ٢٧٦؛ نفع
الطيب ١: ٣٤٣، ٢: ٢٦١ - ٢٦٢، ٣: ٤٢٤ (الرقم في الفهرست يبدو أَنَّهُ
خطأ)، دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٢.

أَفْلَحُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ

١ - هو أَبُو سَمِيدٍ أَفْلَحُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رُسْتَمِ الْإِمَامِ الثَّالِثِ
فِي الدَّوْلَةِ الْإِبَاضِيَّةِ فِي تَيَهَّرَتْ بُوَيْعٌ لَهُ بِالْإِمَامَةِ (سَنَةِ ١٩٠) يَوْمَ وَفَاةِ أَبِيهِ. وَمَعَ أَنَّهُ
كَانَ ذَا عِزٍّ وَحُزْمٍ ضَابِطًا لِأُمُورِهِ فَقَدْ كَثُرَتْ عَلَيْهِ الْفِتَنُ وَالْحُرُوبُ. مِنْ أَشْهُرِ
حُرُوبِهِ وَأَكْبَرِهَا حَرْبُهُ مَعَ خَلْفِ بْنِ السَّمْعِ بْنِ أَبِي الْخَطَّابِ عَبْدِ الْأَعْلَى (وَكَانَ السَّمْعُ
هُوَ الْإِمَامُ الْأَوَّلُ بِطَرَابُلُسَ وَوَزِيرًا لِأَفْلَحِ ثُمَّ وَالِيَهُ عَلَى جَبَلِ نَقُوسَةَ). وَلَكِنْ خَلَفًا
طَمِعَ فِي الْإِمَامَةِ (الْعَامَّةِ) وَنَصَبَ الْحَرْبَ لِأَفْلَحِ. فَوَلَّى أَفْلَحُ عَلَى جَبَلِ نَقُوسَةَ أَبَا

(١) مُسَهَرًا: مُصَابًا بِهِمْ يَذْهَبُ بِنُومٍ. تَغَوَّرَ النُّجُومُ = غَارَتْ: غَابَتْ.

(٢) أَبُو الْعَاصِي كُنْيَةُ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ الرِّضِيِّ. نَضَيْتُ الثَّوبَ وَأَنْضَيْتُهُ: أَهْلَيْتُهُ. الْمَطِيتَةُ: الدَّابَّةُ. نَضَيْتُ
مَطِيتِي: أَنْضَيْتُ مَطِيتِي بِطُولِ الطَّرِيقِ وَوَعُورَتِهِ.

(٣) السَّارِي: الْمَاسِفِرُ فِي اللَّيْلِ. الْمُهْجَرُ: السَّائِرُ فِي الْمُهْجَرِ (نِصْفِ النَّهَارِ، فِي وَقْتِ الْحَرِّ الشَّدِيدِ).
لَمْ يَذْكُرِ الزَّبِيدِيُّ غَيْرَ هَذَا الشَّطْرِ، وَيَبْدُو أَنَّهُ مَطْلَعُ الْقَصِيدَةِ. فَادُ فَلَانُ فَلَانًا: أَصَابَ فَوَادَهُ. فَأَدَّتُ
الْقَرِيضَ (الشَّعْرَ): بَرَعَتْ فِيهِ، بَلَفَتْ فِيهِ الْغَايَةَ.

الحسن أيوب بن العباس. ويبدو أن أبا الحسن هذا تُوُفِّيَ وشيكاً فولَّى أفلحُ بعده أبا عبيدة عبد الحميد الجنائوي (الأزهار الرياضية ٢: ١٥٢) فحارب أبو عبيدة خلفاً وتغلب عليه في ثالث عشر رجب من سنة ٢٢١. وقد نصب الحرب أيضاً لأفلح رجلٌ يُعرفُ بابن فندين، كما كان عددٌ من القبائل يخرجُ عن طاعته مرةً بعد مرةً.

وكانت لأفلح صلاتٌ حسنةٌ بملوك السودان (الغربي) وبلوك الأندلس الذين عاصرَ منهم ثلاثة هم الحكم الأول (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) وعبد الرحمن الأوسط ومحمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ). ولما بنى محمد بن إبراهيم بن الأغلب قُربَ مدينة تيهرتَ مدينةً سماها «العباسية» سارَ إليها أفلحُ وأحرقها، سنة ٢٢٧^(١) وكتبَ بذلك إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط فأرسلَ إليه عبد الرحمن مائة ألف درهم^(٢).

وكانت وفاة أفلح سنة ٢٤٠ (٨٥٥ م) بعد أن بقيَ في الإمامة خمسين سنةً.

٢ - كان أفلحُ بن عبد الوهاب فقيهاً، كما كان أديباً له نشرٌ ونظم. ولم يكن في نثره ونظمه ابتكارٌ، بل كانت آثاره مجموعاً من الآراء العامة المعروفة السائدة، إلا أن سبكه لهذه الآراء والأقوال المعروفة كان سبكاً سائفاً جليلاً ذا أثرٍ في النفوس. وتكاد تكونُ جميعُ آرائه وتعاييره اقتباساً من القرآن والحديث. ولآثاره قيمةٌ واضحةٌ هي أنها تمثلُ رأيَ الإباضية في الدين والأخلاق وفي المسلك العملي في الحياة.

٣ - مختارات من آثاره

- النصيحة العامة:

من أفلح بن عبد الوهاب إلى من بلغه كتابنا هذا من المسلمين. أما بعدُ، فالحمدُ

(١) في تاريخ ابن الأثير (٦: ٥١٩) أن هذه الحادثة كانت في سنة ٢٣٩ (نقلًا عن فتوح البلدان للبلاذري، ص ٢٣٤)، فتكون الحادثة حينئذ في أيام الأمير محمد.

(٢) يقول الباروني (الأزهار الرياضية ١٨٦ - ١٨٧) أن أفلح كان يهادي ملوك الأندلس بالمال، وأن أفلح لم يتقرب بإحراق العباسية تقريباً للوك الأندلس، بل كان ملك الأندلس هو الذي تقرب من أفلح بالمال.

الله الذي هدانا للإسلام وأكرمنا بمحمدٍ عليه السلام. وأبقانا بعد تناسخ^(١) الأمم حتى أخرجنا في الأمة المكرمة التي جعلها أمةً وسطاً شاهدةً لنبيئها بالتبليغ ومُصدقةً لجميع الأنبياء وشاهدةً على جميع الأمم بالبلاغ من الأنبياء عليهم^(٢) السلام منّا من الله ورحمة. أرسل إلينا نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ووعدّه بالنصر على الأعداء وضمن له الفلج والفلبة ووعدّه بالعصمة^(٣) وقال له عز وجل: «يا أيها الرسول، بلغ ما أنزل إليك من ربك. وإن لم تفعل فإيّاك رسالتي». والله يفتيك من الناس^(٤). فأدى ما أمره الله به ونصح لأمرته ودعا إلى سبيل ربه وجاهد عدوه وغلظ على الكفار ولان للمؤمنين، فكان لهم كما وصفه الله تعالى رؤوفاً رحيماً. حتى انقضت مدته وفيت أيامه واختار له ربه ما عنده فقبضه^(٥) إليه محمود السعي مشكور العمل صلى الله عليه وسلم. فلم تبق خصلة من خصال الخير الدالة على الرشد إلا دعا إليها وسنها أو قرضها أو أوجبها، ولم تبق خصلة من خصال الشر الداعية إلى الهلكة إلا زجر عنها وأمر باجتنابها رحمة من الله لعباده. فله الحمد على ذلك كثيراً. ثم أمر تعالى بالجهاد في سبيله والقيام بحقه والأخذ بأمره والآنهاء عما نهى عنه، وقرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإغاثة الملهوف والقيام مع المظلوم والقمع^(٦) للظالمين لكيلاً تقوم للشيطان دعوة ولا تثبت لأهل حزيه قدم ولا ينفذ لهم حكم....

(١) تناسخ الأمم (هنا) تطور بعض الأمم من بعض وترقيها في سلم الحضارة.

(٢) هذه الجملة مقتبسة من ثلاث آيات: من سورة البقرة (١٤٣: ٢) «وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً» ثم من سورة آل عمران (١١٠: ٣) «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» ثم من سورة النساء (٤: ٤١) «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً؟» - هذا مثال واحد، ومنظم جل أفلق تشبه ذلك.

(٣) العصمة (هنا): الحماية من الناس (دفع ضرر الناس عن الرسول)، راجع الآية المستشهد بها: الفلج الظفر.

(٤) راجع سورة المائدة (٥: ٦٧).

(٥) اختار له ربه ما عنده (عند ربه): فضل له الحياة الأخرى على هذه الحياة الدنيا. قبضه إليه: توفاه (نقله من الحياة الدنيا إلى الحياة الأخرى).

(٦) الملهوف: المظلوم الذي يطلب من الناس مساعدتهم. القمع: القهر والإذلال.

ثم أَعَدُّكُمْ أَهْلَ الْبِدْعِ الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوا حَقًّا فَيَتَّبِعُوهُ وَلَمْ يَلْقُوا أَهْلَ الْعِلْمِ
فَيَقْتَسِبُوا مِنْهُمْ الدِّينَ. عَاشُوا مَعَ أَهْلِ الْجَهْلِ فَخَلَا بِهِمُ الشَّيْطَانُ وَنَفَخَ فِي قُلُوبِهِمُ
الْكِبْرَ وَأَوْزَنَهُمُ الْعُجْبَ فَاسْتَحْيُوا^(١) أَنْ يَقُولُوا فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ «لَا نَعْلَمُ». فَأَقْتُوا
بِرَأْيِهِمْ^(٢) أَقْوَامًا جَهْلَةً لَا يَعْرِفُونَ مَا يُقَالُ لَهُمْ: قَلَّدُوهُمْ^(٣) دِينَهُمْ وَأَلْزَمُوا أَنْفُسَهُمْ
الرَّأْيَ فَاتَّبَعُوهُمْ عَلَى بِذَعَتِهِمْ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ...
فَاخْذَرُوا، مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ وَمَنْ حَلَّ بِهِ هَذِهِ الْمَزَلَّةُ وَرَضِيَهَا
لِنَفْسِهِ. وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَنْ كَانَ كَهَذَا فَقَدْ صَارَ مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ وَأَوْلِيَائِهِ....

هذا، وقد بَالَفْتُ إِلَيْكُمْ فِي النَّصِيحَةِ وَشَرَحْتُ لَكُمْ الْمَوْعِظَةَ وَرَضَيْتُ لَكُمْ بِمَا رَضَيْتُ
بِهِ لِنَفْسِي وَنَهَيْتُكُمْ عَمَّا أَنْهَى عَنْهُ نَفْسِي نَصِيحَةً لِلَّهِ وَاجْتِهَادًا فِي طَلَبِ رِضَائِهِ....

- فَضْلُ الْعِلْمِ. قَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ:

لِلَّهِ عُصْبَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّ لَهُمُ	فَضْلًا عَلَى النَّاسِ عُثْبًا وَحُضَارًا ^(١) .
الْعِلْمُ عِلْمٌ، كَفَى بِالْعِلْمِ مَكْرَمَةً.	وَالْجَهْلُ جَهْلٌ، كَفَى بِالْجَهْلِ إِذْ بَارًا ^(٢) .
لِلْعِلْمِ فَضْلٌ عَلَى الْأَعْمَالِ قَاطِبَةً،	عَنِ النَّبِيِّ رَوَيْنَا فِيهِ أَخْبَارًا ^(٣) .
يَقُولُ: طَالِبُ عِلْمٍ بَاتَ لَيْلَتُهُ	فِي الْعِلْمِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ أَخْطَارًا
مَنْ عَابَدَ سَنَةً لِلَّهِ مُجْتَهِدًا	صَامَ النَّهَارَ وَأَخْيَا اللَّيْلَ إِسْهَارًا.
وَقَالَ: إِنَّ مِدَادَ الطَّالِبِينَ عَلَى	يُنْيَابِهِمْ وَعَلَى الْقُرْطَاسِ أَسْطَارًا ^(٤) .

(١) الكبر: الجبر والتعاطف على الناس. العجب: الزهو (الافتخار) بالنفس. استحيًا: غلبه الحياء أو الخجل.

(٢) أتقى برأيه: فسر أمور الدين بعقله هو من غير رجوع إلى القرآن أو الحديث أو أعمال الصحابة.

(٣) الممّوح هنا أن العامة من الناس تابعوا الفقهاء في الاعتقاد والعبادات. ويمكن أن تعني أن الفقهاء قلدوا العامة الذين (فرضوه عليهم - جعلوه كالقلادة في أعناقهم).

(٤) إنك تستفيد من العالم إذا حضرت عليه شخصيًا أو إذا قرأت في كتبه (ولو بعد موته).

(٥) الإدبار: تولى (ذهاب) النجاح والتوفيق عن الإنسان.

(٦) وصل إلينا عن النبي أحاديث في فضل العلم.

(٧) المداد: الحبر. الطالبون: طالبو العلم (التلاميذ). القرطاس: الورق. الأسطار: السطور.

- إن الحبر سواء أكتبت به سطوراً من العلم أو سقط على الثياب خطأ...

مثل^(١) دم الشهداء المُكْرَمِينَ: لهم أَكْرَمُ بِهِمْ مِنْ ذَوِي الْفَضْلِ الْمُبِينِ، لهم ولا تَكُنْ جَامِعاً لِلصَّخْفِ تَخْزِنُهَا فَاطْلُبْ مِنَ الْعِلْمِ مَا تُقْضِي الْفُرُوضُ بِهِ وَأَجْمَلُهُ اللَّهُ، لا تَجْعَلُهُ مَقْخَرَةً، مَوْلَاكَ يَعْطَمُ مَا تُخْفِي الصُّدُورُ، فلا ولا تُدَاهِنَ إِذَا مَا قُلْتَ مَسْأَلَةً، وعاشِرُ النَّاسِ - وانظُرْ مِنْ تَعَايِيرِهِ - فَرُبُّ مُكْثِرٍ صَخْبٍ لَا يَزَالُ يَرَى

فَضْلٌ؛ فَأَكْرَمُ بِأَهْلِ الْعِلْمِ أَخْيَاراً. إِرْثُ النُّبُوَّةَ فِي أَيْدِيهِمْ صَارَ^(٢). كَالْعَيْرِ يَحْمِلُ بَيْنَ الْعَيْرِ أَشْفَاراً^(٣). وَأَعْمَلُ بِعِلْمِكَ مُضْطَرّاً وَغِنَاراً^(٤). وَلَا تُرَاقِبْ بِهِ بَدَوّاً وَأَخْضَاراً^(٥). يَكُنْ لَكَ الْحِلْمُ مِنْ مَوْلَاكَ غَرَاراً^(٦). أَضْرَزْتَ بِاللَّيْنِ - إِنْ دَاهَنْتَ - إِضْرَاراً^(٧). قَصْدًا، وَلَا تُكْثِرَنَّ الصَّخْبَ إِكْثَاراً^(٨). لِنَفْسِهِ قَرْنَسُهُ السَّوْءِ أَشْرَاراً.

٤ - * * * الأزهار الرياضية ٢: ١٦٦ - ١٢٢٢ معجم أعلام الجزائر ١: ٣٤٢ (٥: ٢)؛ تاريخ الجزائر العام ١: ١٩٨ الطاهر ٣١.

سحنون

١ - هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب التَّنُوخِيُّ، المعروف باسم سحنون (بفتح السين أو بضمها)، وُلِدَ فِي الْقَيْرَوَانِ فِي أَوَّلِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ١٦٠ (١١ / ٦ / ٧٧٧ م).

- (١) «مثل» فيها عيب (ينقص فيها مدّ: يجب أن يكون مكانها كلمة على وزن معنى أو رمي).
- (٢) في الحديث: العلماء ورثة الأنبياء.
- (٣) العير: الحمار. في القرآن الكريم: «كمثل الحمار يحمل أشفارا» (٥: ٦٢)، سورة الجمعة. يحمل كنباً ولا ينتفع بما فيها. العير (بالكسر): القافلة.
- (٤) ما تقضي الفروض به: ما يملك أمور الدين (أو: ما تقرأه في صلاتك، مثلاً). اعمل بعلمك مضطراً وغناراً (في كلّ حال) في أمور الدين وفي غير أمور الدين.
- (٥) أحضار (المقصود جمع حضر ضدّ البدو).
- (٦) - إذا لم يعاقبك ربك اليوم على ذنب اقترفته فلا تنسّر بذلك وتغني في اقتراف ذلك الذنب تكراراً، فقد تعاقب على ذلك كله غداً.
- (٧) المداينة: المصانة: (موافقة الناس على رأي أنت تعتقد في نفسك خلافة).
- (٨) عاشر الناس قصداً (باعتدال) لا تستكثر من الأصدقاء ولا تندفع في صداقة أحد بلا ضابط.

بدأ سحنونُ دراسته في تونس ثم رَحَلَ (١٨٨ هـ) إلى القاهرة فدرس على الفقيه المالكي أبي عبد الله عبد الرحمن بن خالد العتقي (١٣٢ - ١٩١ هـ). وهو صاحبُ المدونة (في الفقه المالكي) أخذها عن مالك بن أنس، ثم أخذها عنه سحنون. ودرَسَ سحنونُ على نفرٍ كثيرين أيضاً. وزار سحنونُ الشامَ ثم عاد إلى القيروان (١٩١ هـ = ٨٠٧ م) وبدأ نشرَ مذهبِ مالكٍ في المغرب.

وتولَّى سحنون قضاء القيروان في رَمَضان من سنة ٢٣٤ (نيسان - أبريل ٨٤٩ م) في أيام أبي العباس محمد بن الأغلب (٢٢٦ - ٢٤٢ هـ). وكانت وفاة سحنون في التاسع من رَمَضان من سنة ٢٤٠ (٧ / ٣ / ٨٥٥ م)، وقيل في رَجَب.

٢ - كان سحنونُ حافظاً للعلم ثقةً زاهداً في الدنيا متواضعاً سليم الصدر ولكن شديداً على أهل البدع. ولسحنون أثرٌ كبيرٌ في انتشار مذهبِ مالكٍ في المغرب. وكان سحنونُ مُصَنِّفاً، له: المدونة في مذهب الإمام مالك - كتاب الأجوبة - كتاب آداب المعلمين (بروكلمن، الملحق ١ : ٣٠٠).

في وفيات الأعيان (١ : ٥٢٣) أن القائد القاضي أسد بن الفرات (توفي في بلرم عاصمة صقيلية سنة ٢١٣ هـ) وكان قد رَحَلَ إلى مصر وسمع من عبد الرحمن بن القاسم وبدأ تأليف كتاب في مذهب الإمام مالك. وكان هذا الكتاب يُعرفُ باسم «الأسدية». ثم إن سحنوناً حرَّرَ هذا الكتاب ونقَّحه وزاد فيه فأصبح عندنا يعرف اليوم باسم «المدونة».

وذكر ابنُ خلدون (المقدمة ٨٠٧) أن الناس اتبعوا «مدونة سحنون، على ما فيها من اختلاط المسائل في الأبواب، فكانت تُسمى المدونة والمُخلطة».

٣ - مختارات من آثاره

- لسحنون أقوالٌ حكيمةٌ منها:

أشقى الناس من باعَ آخرته بدُنياه، وأشقى منه من باعَ آخرته بدنيا غيره

- أجزأ الناس على الفتيا أفلهم علماً؛ يكون عند الرجل باب واحد من العلم فيظن أن الحق كله فيه - من فيه الرجل مَطْعَمُهُ وملبسه ومدخله ومخرجه وصحبته لأهل الخير؛ وليست العبادة ببطاطاة الرأس .

٤ - المدونة الكبرى، القاهرة ١٣٢٤ - ١٣٢٥ هـ؛ القاهرة ١٩٠٥ - ١٩٠٦ م .

كتاب آداب المعلمين (تحرير حسن حسني عبد الوهاب)، تونس ١٩٣١ م .

★ ★ تراجم أغلبية ٨٦ - ١٣٦ علماء إفريقية وتونس ١٨٤ - ١٨٧ وفيات الأعيان ٣ :

١٨٠ - ١٨٢ ابن قنفذ ١٧٤ الديباج المذهب ١١٦٠ بروكلمن ١ : ١٨٦ ، الملحق ١ :

٢٩٩ - ٣٠٠ : دائرة المعارف الإسلامية (ط ١) ٤ : ٦٤ - ٦٥ مجلة العربي (٨ / ٦٥ ،

ص ١١١) ، الأعلام للزركلي ٤ : ١٢٩ (٤ : ٥) .

عبيد الله بن قارلُمان^(١)

١ - هو عبيدُ الله بنُ قارلُمان بنُ بدر، كان مولى للأمير عبد الرحمن بن الحكم آين هشام (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) ومن نُدمانه . ولعل وفاته كانت قبل انتصاف القرن الثالث (قبل ٨٤٦ م) .

٢ - عبيدُ الله بنُ قارلُمان من الشعراء المتقدمين، وكان مُقلِّداً فيما يبدو، ولم يكن من فحول الشعراء .

٣ - مختارات من شعره

- جلس الأمير عبد الرحمن بن الحكم يوماً للفَصْدِ^(٢) وفرّق على من حَضَرَهُ من مواليه ونُدمانه مبالغ من المال . وكان ابنُ قارلُمان غائباً في بادِيَتِهِ (في ضيعة له قُرْبَ قُرْطُبة)، فلما عَلِمَ بذلك أَسْرَعَ إلى قُرْطُبة رجاء أن ينال ما ناله غيره لهذه المناسبة، وأنفَذَ إلى الأمير عبد الرحمن رُقعةً فيها الأبيات التالية:

(١) راجع في تخرّيج الأسم « قارلمان »، تحت: أحمد بن قارلمان (ت ٣٧٧ هـ) .

(٢) الفصد من وسائل الطب القديم: استخراج شيء من الدم من جسم الإنسان (في الربيع) تخفيفاً .

يَا مَلِكًا حَلَّ ذُرَى الْمَجْدِ وَنَمَّ بِالْإِنْعَامِ وَالرِّفْدِ^(١)،
 طَوْبَى لِمَنْ أَسْمَعْتَهُ دَعْوَةَ فِي يَوْمِ إِجْمَاعِكَ لِلْفُسْدِ
 فَظَلَّ ذَاكَ الْيَوْمَ مِنْ قَصْفِهِ مُسْتَوْطِنًا فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ^(٢)،
 وَقَدْ عَدَانِي أَنْ أُرَى حَاضِرًا، جَدُّ مَتَى يُحْظِرُ الْوَرَى يُكْدِ^(٣)،
 فَأَنْتَعِشِ الْعَثْرَةَ مِنْ عَائِرِ عَدَّتْ عَلَيْهِ أَنْجُمُ الْفُرْدِ^(٤)،
 وَأَمْنُنْ بِإِصْفَادِي بِطَأْمٍ لَمْ يَزَلْ يَشْمَلُ أَهْلَ الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ^(٥)،

فَوَقَعَ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي أَسْفَلِ رُقْعَةٍ ابْنِ قَرْطَبَانَ: « مِنْ آثَرِ (فَضْل) التَّضَجِّعِ
 فَلْيَرَضْ بِحِظِّهِ مِنَ النَّوْمِ ».

فَعَاوَدَهُ ابْنُ قَرْطَبَانَ بِرُقْعَةٍ أُخْرَى فِيهَا أُبَيَاتٌ مَطْلَعُهَا:

لَا نِمْتُ إِنْ كُنْتُ، يَا مَوْلَايَ، مَخْرُومًا.

فَأَمَرَ لَهُ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِصَلَاةٍ.

٤ - * * أخبار مجموعة ١٣٩ - ١٤١، الحلة السيرة ١: ١١٨ - ١١٩.

يحيى بن حَكَمَ الْفَزَالِ

١ - هو يحيى بن حَكَمَ الْبَكْرِيِّ الْجَيَّانِي، أَصْلُهُ مِنْ جَيَّانَ، وَقَدْ كَانَ مَوْلَدُهُ فِي
 نَحْوِ سَنَةِ ١٥٤ (٧٧١ م)، وَقِيلَ فِي سَنَةِ ١٥٦: وَكَانَتْ إِقَامَتُهُ فِي قَرْطَبَةَ.

كَانَ يَحْيَى بْنُ حَكَمٍ رَجُلًا فَارِعًا الطَّوِيلَ قَوِيَّ الْبُنْيَةِ جَمَّ النَّشَاطِ جَمِيلًا، وَلَقَدْ

(١) الرِّفْدُ: الْعَطَاءُ. نَمَّ بِالرِّفْدِ: أَعْطَى جَمِيعَ النَّاسِ. فِي هَذِهِ الْأُبَيَاتِ رَوَايَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا.

(٢) الْقَصْفُ: اللَّهْوُ.

(٣) عَدَا: مَرَّ بِهِ، فَاتَهُ. جَدُّ: حَظٌّ. يَحْظِرُ: يَحْمِلُ (لِلنَّاسِ) حَظًّا. يَكْدِي: يَبْخُلُ، وَأَكْدَى فَلَانٌ فَلَانًا عَنْ
 الشَّيْءِ: رَدَّهُ عَنْهُ (يَحْظِرُ وَيَكْدِي مَجْزُومَتَانِ بِاسْمِ الشَّرْطِ «مَتَى»).

(٤) أَنْهَضَنِي مِنْ عَثْرَتِي (غَلَطَتِي). عَدَّتْ عَلَيْهِ: اعْتَدَتْ عَلَيْهِ، ظَلَمَتْهُ. أَنْجَمُ الْفُرْدِ (بِضْمِ الْفَاءِ) الْأَنْجَمُ الَّتِي
 تَبْدُو وَحْدَهَا مُتَفَرِّقَةً فِي أَطْرَافِ السَّمَاءِ (رَاجِعِ تَاجَ الْعُرُوسِ - الْكُوَيْتِ ٨: ٤٨٣، ٤٨٧).

(٥) الْأَصْفَادُ: الْعَطَاءُ.

أَحْتَفَظَ بِنَشَاطِهِ وَجَاهِهِ إِلَى زَمَنِ شَيْخُوخَتِهِ، فَلَقَّبَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كُلَّهُ بِالْغَزَالِ.

من أشهر الأحداث في حياة يحيى بن حكيم أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطَ أَرْسَلَهُ سَفِيرًا إِلَى بِلَادِ الْجُوسِ فِي (إحدى جُزُرِ الدانمارك)، نحو سنة ٢٠٥ (٨٢٠ - ٨٢١ م) فأظهر إعجاباً بالملكة «تود». ويبدو أيضاً أَنَّهُ سَفَرَ إِلَى بِلَاطِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ^(١). وقيل إِنَّ زُرْيَابَ لَمَّا جَاءَ إِلَى قَرْطِبَةَ، سَنَةَ ٢١٧ (٨٣٢ م) نَشَأَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَحْيَى بْنِ حَكِيمٍ نُفْرَةٌ فَهَجَاهُ يَحْيَى وَأَقْدَعَ فِي هَجَائِهِ. فَغَضِبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطُ وَنَفَى يَحْيَى عَنْ بِلَاطِهِ (وزعموا عن الأندلس) فذهب يحيى إلى العراقِ بُعِيدَ وَفَاةٍ أَبِي نُوَاسٍ (ت ١٩٩ = ٨١٤ م) وَبَقِيَ هُنَالِكَ نَحْوَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ. وَلَكِنَّ زَمَنَ إقامته في العراقِ وَزَمَنَ سَفَارَتِهِ إِلَى بِلَادِ الْجُوسِ يَتَدَاخَلَانِ تَدَاخُلًا شَدِيدًا.

وَتُوُفِّيَ يَحْيَى بْنُ حَكِيمٍ الْغَزَالُ فِي مَطْلَعِ ٢٥٠ (٨٦٤ م).

٢ - كان يحيى بن حكيم الغزال متعدد نواحي الشخصية. وكان مشاركاً في عددٍ من العلوم منها الفلسفة والفلك. وكذلك كان لبقاً حسن الحديث مما جعله ناجحاً في الحياة السياسية وفي السفارة.

وكذلك كان أديباً وشاعراً مطبوعاً صاحب بديهة وأبتكار في المعاني، وإن كان في أسلوبه يَطْبَعُ عَلَى غِرَارِ المِشَارِقَةِ مَعَ قَلَّةِ عِنَايَةٍ بِالِدِّيَاخَةِ، إِذَا كَانَتِ الدِّيَاخَةُ تَحَوَّلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كِهَالِ التَّعْبِيرِ عَنِ الْمَعْنَى (كما كان شأنُ ابن الرومي). وفنون شعره المدحُ والهجاء والغزل والمُجُونُ والخمرِيَّاتُ (وإن لم يكن يشرب الخمر) والحكمة مع

(١) صدر في سفارة الغزال هذه كتاب هو

The Poet and the Spae-Wife

An attempt to reconstruct al-Ghazal's embassy to the Vikings,

by W. E. D. Allen.

Dublin (Allen Figgis and Co. Ltd). 1960.

ومؤلفه لا يوافق المشرق الفرنسي ليفي برونسال على رأيه في أن سفارة الغزال كانت إلى القسطنطينية، بل يرى أنها كانت إلى جزيرة إيرلندا، (غرب جزيرة انكلترا) حيث كانت إيرلندا تحت حكم الفايكنج الشماليين، وأن هذه السفارة كانت بين الشهر الأول من عام ٨١٥ للميلاد (شوال ٢٤٤) ومتنصف الصيف من ذلك العام (ص ٥٤).

شيء من التشاؤم. وله أيضاً قصصٌ، فقد نظّم أَرْجوزَةً طويلة في فتح الأندلس وفي الوقائع التي دارت بين المسلمين وملوك النصارى. وشاعت هذه الأرجوزة بين الناس. (نفع الطيب ١: ٢٨٢)، ولكنها ضاعت فيما بعد^(١).

٣ - مختارات من شعره

- كان بعضُ أمراء الأندلس قد ولّى يحيى الغزال قَبْضَ الأعشار (نصيب الدولة من المواسم) وخَزَنَها. وبدأ قحطٌ في البلاد فباع يحيى الغزالُ الحبوبَ التي في الأهرام بالثمن الرائج فَتَفَقَّتْ بِسُرْعَةٍ. فَغَضِبَ الأمير وطالب يحيى بثمان المثل (بعد ارتفاع الأسعار) فلم يستطع يحيى ذلك لأنَّ الفرق بين الثمن الذي باع به يحيى الحبوب والثمن الذي غلا كان ثلاثين ألفَ (درهم). فأمر الأميرُ بِسَجْنِ يحيى الغزال وتقييده. فَتَظَمَ يحيى الغزالُ في سِجْنِهِ قصيدةً يَسْطُرُ فيها القضيةَ من وَجْهَةِ نظره هو، قَرَضِيَ الأميرُ وأطلق سراحَ يحيى.

وفي المطرب أن الأميرَ الذي وقعت في أيامه هذه الحادثة هو عبدُ الرحمن ابنُ الحكم (٢٠٦-٢٣٨ هـ). لكن مطلعَ القصيدة يدلُّ على أن شاعرَها كان في الخمسين من العمر (ويحيى الغزالُ كان في أيام عبد الرحمن بن الحكم في صدر شبابه)، إلا إذا قَلَبْنَا أن يكونَ المطلعُ تقليدياً عامّاً وليس تجريداً (خطابَ الشاعرِ نفسه). وفي ما يلي عددٌ من أبياتِ القصيدة المذكورة:

بعضَ تصاييكَ على زينب. لا خيرَ في الصبوة للأشيب^(٢).
أبمدَ خمسينَ تَقْضِيَتَها وافيةً تصبو إلى الرِّبِّ^(٣)
من مُبْلِغٍ عني إمامَ الهدى الوارثَ المجدَ أباً عن أب

(١) في جذوة المقتبس (ص ١٨٦) وبغية الملتبس (ص ٢٥٨) راجع الأعلام للزركلي ٢: ١٧٠. أن حبيب بن أحمد الشطجيري (ت نحو ٤٣٠ هـ)، وهو أديب شاعر من أهل قرطبة جمع ديوان يحيى بن الحكم الغزال ورتبه على الحروف.

(٢) الصبوة: جهلة الشباب. التصاي: تكلف ذلك، التظاهر بالشباب.

(٣) الربوب: الغزال الصغير.

أَنِّي إِذَا أَطْلَبَ مُدَاحَهُ قَصَدْتُ فِي الْقَوْلِ فَلَمْ أَطْنَبْ^(١) .
 لَا فَكَّ عَنِّي اللَّهُ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَذْكَرْتَنَا مِنْ عُمَرَ الطَّيِّبِ^(٢) ؛
 وَأَصْبَحَ الْمَشْرِقُ مِنْ شَوْقِهِ إِلَيْكَ قَدْ حَنَّ إِلَى الْمَغْرِبِ :
 مِنْبَرُهُ يَهْتَفُ مِنْ شَوْقِهِ إِلَيْكَ بِالسَّهْلِ وَبِالْمَرْحَبِ .
 أَطْرَبَهُ الْوَقْتُ الَّذِي قَدْ دَنَا ، وَكَانَ مِنْ قَبْلِكَ لَمْ يَطْرَبِ .
 هَذَا بِهِ الْوَجْدُ ، فُلُو مِنْبَرٌ طَارَ لَوَافِي خَطْفَةِ الْكُوكِبِ^(٣) .
 إِلَى جَمِيلِ الْوَجْهِ ذِي هَيْئَةٍ لَيْسَ لِحَامِي الْغَايَةِ الْمُغْضَبِ^(٤) .
 لَا يُمَكِّنُ النَّاطِرُ مِنْ رُؤْيَا إِلَّا السَّاحَ الْخَائِفِ الْمَذْنِبِ^(٥) .
 إِنْ تُرِيدَ الْمَالُ فَإِنِّي أَمْرُو لَمْ أَجْعِ الْمَالَ وَلَمْ أَكْسِبِ^(٦) .
 إِذَا أَخَذْتَ الْحَقَّ مِنِّي فَلَا تَلْتَمِسِ الرِّيحَ وَلَا تَرْغَبِ^(٧) .
 قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْنَا مَعَا إِنْ كَانَ رَأْسُ الْمَالِ لَمْ يَذْهَبِ^(٨) !

- لَمَّا كَانَ يَحْيَى بْنُ حَكِيمٍ الْغَزَالُ فِي بِلَادِ الْمَجُوسِ لَفَتْ نَظَرَ الْمَلِكَةِ « تَوْذَ » فَسَأَلَتْهُ
 يَوْمًا : كَمْ عُمْرُكَ ؟ فَقَالَ لَهَا : عَشْرُونَ عَامًا ! فَقَالَتْ لَهُ : وَلَكِنْ فِي رَأْسِكَ شَعْرًا أَيْضًا !
 فَأَنْشَدَ مُرْتَجِلًا :

-
- (١) أطنب: بالغ، زاد على الحد المطلوب. قصد: اعتدل (جاء بالقصد: بالفدر المطلوب المقبول الكافي).
 (٢) لا فكَّ الله قيدي ولا أخرجني من السجن إن لم يكن فيك شيء من صفات عمر بن الخطاب.
 (٣) وافي: جاء إلى جوارك. خطفة (لمعة) الكوكب: بسرعة.
 (٤) حامي الغاية: الأسد. المغضب: الغضبان (في الحق).
 (٥) لا يستطيع أحد أن يطيل النظر إليه لهيبته.
 (٦) إذا كنت تريد مالاً فلا تطلبه مني، لأنني رجل لم أجمع في حياتي مالاً ولم أستطع أن أكسب من المال ما يبقى منه شيء للخزن.
 (٧) أنا أعطيتك جميع الثمن الذي بعت به الحبوب فلا تحاول أن تحصل مني على ربح (لأنني لا أملك مالاً).
 (٨) من حسن حظي وحظك أنني دفعت إليك ثمن الحبوب (كان يحيى الغزال معروفاً بالإنهاء في الشهوات وبالإسراف وكان من الممكن أن يتصرف بالثمن الأصلي فيضيع المال كله).

كَلَّفْتَ، يَا قَلْبِي، هَوَى مُتَعِبَا
إِنِّي تَعَلَّقْتُ بِمَجُوسِيَّةٍ
أَقْصَى بِلَادِ اللَّهِ فِي حَيْثُ لَا
يَا تَوَدُّ، يَا رُودَ الشَّبَابِ الَّتِي
يَا بِأَبِي الشَّخْصَ الَّذِي لَا أَرَى
إِنْ قُلْتُ يَوْمًا إِنْ عَيْنِي رَأَتْ
قَالَتْ: «أَرَى فَوْدِيَه قَدْ نَوَّرَا»،
قُلْتُ لَهَا: «مَا بِالْه؟ إِنَّهُ
فَأَسْتَضْحَكْتُ عُجْبًا بِقَوْلِي لَهَا؛
- وَقَالَ فِي النَّسَاءِ:

قَالَتْ: «أُحِبُّكَ!» قُلْتُ: «كَاذِبَةٌ»
هَذَا كَلَامٌ لَسْتُ أَقْبَلُهُ: غُرِّي بِذَا مِنْ لَيْسَ يَنْتَقِدُ.
الْشَيْخُ لَيْسَ يُجِبُّهُ أَحَدٌ.

- وَقَالَ فِي الْخَمْرِ (وَتَجِدُ عَلَى قَوْلِهِ شَيْئًا مِنْ مَنْحَى أَبِي نَوَاسٍ):

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّرْبَ أَكَدْتُ بِمَاؤُهُمْ
فَلَمَّا أَتَيْتُ الْحَانَ نَادَيْتُ رَبِّي
تَأَبَّطْتُ زَيْمِي وَأَحْتَسِبْتُ عَنَافِي (٧).
فَثَابَ خَفِيفَ الرُّوحِ نَحْوُ نَدَائِي (٨).

(١) الضيفم: الأسد.

(٢) تعلقت (أحببت) مجوسية (امرأة على دين المجوس) - يقصد تود الدفاريكية. ومع أن سكّان الدفارك في ذلك الحين كانوا نصارى، فإن قسماً من سكّان شمالي أوروبا كانوا لا يزالون في ذلك الحين على الوثنية. وكان العرب يستونهم كلّهم «مجوساً».

(٣) الرود: الرأد، الرود (المرأة الشابة، الليثة). الأزوار: مدخل العنق من الثوب.

(٤) لم أعد: لم أجاوز. لم أعد أن أكذب: ما عدت (تجاوزت) الكذب (في قولي): كذبت.

(٥) الفود: الشعر عند الأذن. نور (الزهر) تفتح، كان أبيض.

(٦) نتج (بالبناء للمجهول) المهر (الحصان الصغير): ولد، ولدته أمه.

(٧) أكدت ساءؤهم: قلّ مطرها (افتقروا، احتاجوا). الزق: وعاء للخمر. العناء: التعب.

احتسبت عنافي: جعلت تعمي احتساباً (في سبيل الله) - هنا: في سبيل إخواني.

(٨) الحانة محلّ بيع الخمر، جمعها حان. والشاعر يستعمل «الحان» هنا مكان الحانة. ثاب: أقبل.

قليل هجوع العين إلا تَعَلَّةٌ على وجل مني ومن نظرائي^(١)
 فقلت: «أَذِقْنِيهَا»، فلمَّا أذاقها طرحتُ إليه رِيْطِي وردائي^(٢).
 وقلت: أَعِزِّي بِذَلَّةٍ أُسْتِزُّ بِهَا بذلتُ له فيها طَلاقَ نسائي^(٣).
 فوالله ما بَرَّتْ يَمِينِي وَلَا وَقْتُ له، غير أَنِّي ضامن بوفائي^(٤).
 فَأَبَيْتُ إِلَى صَخِي وَلَمْ أَكُ آبِياً فكلُّ يَفْدِينِي وَحَقَّ فِدائي^(٥).
 تَدَارَكْتُ فِي شُرْبِ النَّبِيذِ خَطَائِي وفارقتُ فيه شيمتي وحياتي^(٦).

- وقال يحيى بن الحكم الغزالي يَصِفُ أهوالَ بحرِ الشَّالِ، ويُخاطِبُ رفيقاً له
 اسمه يَحْيَى (أو هو يخاطب نفسه!):

قَالَ لِي يَحْيَى، وَصِرْ نَا بَيْنَ مَوْجِ الْجِبَالِ،
 وَتَوَلَّيْنَا رِيَّاحٌ مِنْ دَبُورٍ وَشَالٍ^(٧)
 شَقَّيْنَا الْقَلَمَيْنِ وَأَنْ جَبَّتْ عُرَى تِلْكَ الْجِبَالِ^(٨)

(١) التَعَلَّةُ = ما يتعلَّل به الإنسان عن شيء يحتاج إليه: يَمُضُ عينيه ولكن لا ينام حتَّى ينوِّمَ فقط أَنَّهُ
 نائم فيدخل على نفسه شيئاً من الراحة. وجل: خوف. نظراء: أنداد، أمثال، أشباه، (كان بيع
 الخمر ممنوعاً، ولذلك كان الخمارون يخافون من الذين يأتون إليهم لشراء الخمر لئلا يكونوا من رجال
 الشرطة. فكان إذا طرق أحد باب الحانة - وكانت الحانات سرية - تاوم صاحب الحانة حتَّى يقوم
 القادم بمركات ويقول أقوالاً تدلُّ قطعاً على أَنَّهُ زبون وليس رجل شرطة).

(٢) فلما ذقت خمره وأعجبته أعطيته رِيْطِي (ثوبي الحرير) وردائي (ثوبي السايغ: الذي ألبسه فوق ثيابي
 الأخرى) ليمطين بقيمتها خمرأ.

(٣) طلبت منه ثوباً رخيصاً أُسْتَر به وحلفت له بالطلاق أَنِّي سأردُّه إليه.

(٤) إلى الآن لم أَرَدْ إليه ذلك الثوب، ولكنني عازم على ردِّه. ما بَرَّتْ يَمِينِي: ما وفيت بيمينِي (بفسي،
 بجلفي بالطلاق).

(٥) فأبت: فرجعت (إلى أصحابي بخرم). ولم أَكُ آبِياً = ما كنت أَظُنُّ أَنِّي أستطيع أن أرجع إلى أصحابي
 شيء من الخمر. يَفْدِينِي: يقول لي: فداك نفسي (يمدحي). وَحَقَّ فِدائي: كنت مستحقاً ذلك.

(٦) أدركت: فعلت الأمر دراكاً (مرات متوالية). فارقت: خالفت (فعلت غير ما تجبى الأخلاق).

(٧) الدبور: الريح الغربية (والمقصود هنا أَنَّها شديدة). الشال (بفتح الشين): الريح الشمالية (المقصود:
 باردة وشديدة).

(٨) القلع (بكسر القاف): شراع (بكسر الشين) السفينة. انجَبَّتْ: تفلطت. العرى (جمع عروة بضم العين):
 (هنا) المكان الذي تربط به أشعة السفينة بالسارية أو بمجانب المركب.

وتطلى ملك المو ت إلينا عن حبال^(١).

فرأينا الموت رأيًا إل عين حالاً بعد حال:

«لم يكن للقوم فينا، يا رفيقي، رأس مال^(٢)».

- وقال في تأمل الناس والنظر إلى حقيقتهم:

ومن أنعام خالقنا علينا بأن ذنوبنا ليست تفوح.

فلو فاحت لأصبحنا هروباً فرادى بالقلا ما نستريح^(٣)،

وضاق بكل منتحل صلاحاً - لتتن ذنوبه - البلد الفسح^(٤).

٤- يحيى بن الحكم الغزال، تأليف محمد صالح البنداق (ت اوائل ١٩٨٠ م)، بيروت (دار

الآفاق الجديدة) ١٩٧٩ م.

** القتبس ١١-١٣، ٦٤-٦٦، ٦٩-٧٠، ١٣٤، ١٨١-١٨٢، ١٨٥-١٨٦، ١٩٤

جذوة القتبس ٣٥١-٣٥٣ (الدار المصرية) ٣٧٤-٣٧٥ (رقم ٨٨٧ أو ٨٨٨)، بغية

اللمتس ٤٨٥-٤٨٦ (رقم ١٤٦٧)، المغرب ١: ٣٢٤-٣٢٥ البيان المغرب ٢: ٩٣،

نفع الطيب ٢: ٢٥٤-٢٦٢ نيكل ٢٤-٢٧، مختارات نيكل ٢٥-٢٦ بروكلين،

الملحق ١: ١٤٨: دائرة المعارف الإسلامية ٢: ١٦٠٣٨ الاعلام للزركلي ٩: ١٧٣ (٨)

(١٤٣).

ابن قطن المهري القيرواني

هو أبو الوليد عبد الملك بن قطن المهري القيرواني^(٥) لقي جماعة من علماء اللغة

والنحو منهم أبو مالك أمان بن الصمصامة بن الطيرماح الأعرابي وأبو المنيع

الأعرابي ثم أصبح شيخ أهل اللغة والعربية (النحو) في بلده وزمانه. له من الكتب:

(١) تملى: مثنى وهو متبخر ومحرّك يديه (ليلفت - بفتح الياء وكر الفاء - انتباهنا: ليخيفنا). ملك

الموت: عزرائيل. حبال: جانت.

(٢) القوم (هنا): أصحاب السفينة - لم تكن أنا وأنت عند أصحاب السفينة «رأس مال» (شيئاً ثميناً)

يحافظون عليه.

(٣) هروباً فرادى: هاربين متفرّقين (يهرب بعضنا من بعض).

(٤) منتحل صلاحاً: ذلك الذي يدّعي أنه صالح ويتظاهر بذلك.

(٥) هو غير عبد الملك بن قطن القهري (ت ١٢٣) الذي كان والياً على الأندلس.

تفسير مغازي الواقدي - الألفاظ - اشتقاق الأسماء (زاد فيه على ما كان قد جاء به قُطْرُب^(١)). وكذلك كان خطيباً بليغاً وشاعراً عادياً وكاتباً مقتدرًا: كَتَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يَوْمًا كِتَابًا وَأَطَالَ فِيهِ عَلَى غَيْرِ فَائِدَةٍ فَرَدَّ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ الْمَهْرِيُّ يَقُولُ: « خَيْرٌ مِنَ الإِطَالَةِ السُّكُوتُ، وَفِي الْقَصْدِ إِلَى الْحَاجَةِ قَطْعٌ لِمَسَاقَةِ الإِطَالَةِ ».

وَعُمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قُطَيْبٍ الْمَهْرِيُّ طَوِيلًا، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ لِمَشْرِ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٢٥٦ (٨٧٠/٨/١١ م).

★ الزبيدي ٢٤٩-٢٥٣ إنباء الرواة ٢: ٢٠٨-١١٢ الوافي بالوفيات ٦: ١٩٤ بغية الوعاة ١٣١٤ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٧٦ الأعلام للزركلي ٤: ٣٠٩ (١٦٢) ١ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٦٠.

مؤمن بن سعيد

١- هو مؤمن بن سعيد بن إبراهيم بن قيس، كان جدّه إبراهيم مولى للأمير عبد الرحمن الداخل. رَحَلَ مؤمن بن سعيد إلى المشرق فلقِيَ أبا تمام (ت ٢٣٢) وروى عنه شعره. فلما عاد إلى الأندلس جعل الناس يقرأون عليه شعر أبي تمام.

وكان مؤمن بن سعيد مؤدباً لأولادِ أمراء قرطبة. وكذلك اتصل بهاشم بن عبد العزيز وبغيره من رجال الدولة. ولكنَّ فَلَاتِ لِسَانِهِ أَوْقَعَتِ الْوَحْشَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ.

في سَنَةِ ٢٦٢ خرج القائد هاشم بن عبد العزيز لقتال الثائر عبد الرحمن بن مروان الجليقي (وكان من الذين يَتَظَاهَرُونَ فِي الْأَنْدَلُسِ بِالْإِسْلَامِ) عَلَى غَيْرِ أَهْبَةٍ صَحِيحَةٍ ثُمَّ أَوْغَلَ فِي اللَّحَاقِ بَابِ مَرْوَانَ فَقُتِلَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ رِجَالِهِ وَوَقَعَ هُوَ أَسِيرًا فِي يَدِ ابْنِ مَرْوَانَ الْجَلِيقِيِّ. فَسَمِتَ بِهِ مُؤْمِنُ بْنُ سَعِيدٍ وَهَجَاهُ (مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ تُوجِبُ ذَلِكَ سِوَى قُبْحِ لِسَانِهِ). فَلَمَّا خَرَجَ هَاشِمٌ مِنَ الْأَسْرِ، بَعْدَ عَامَيْنِ، أَوْغَرَ صَدْرَ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ عَلَى مُؤْمِنِ بْنِ سَعِيدٍ فَغَضِبَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ عَلَى مُؤْمِنِ بْنِ سَعِيدٍ وَحَبَسَهُ.

(١) راجع الجزء الثاني.

وظلَّ مؤمنٌ بن سعيدٍ في السَّجنِ حتَّى تُوفِّيَ في الرَّابِعِ من رَجَبِ ٢٦٧
(٨٨١/٢/٩ م).

٢- كان مؤمنٌ بن سعيدٍ شاعراً مشهوراً مُكثِراً مُحبباً مطبوعاً، وكان فحلَّ شعراء قرطبة في زمانه. ولكنَّ شعره ضاع ولم يبقَ منه سوى نُتْقٍ أَكثَرُها في الهجاء. وكان مؤمن بن سعيدٍ يُهاجِي ثمانيةَ عَشَرَ شاعراً فيعلوهم. من هؤلاء عَبَّاسُ بنُ فِرْناسٍ وديكُ تيسرِ الجِنِّ (أحمدُ بن محمد الكتاني) والعُتبي. ولقد كان كثيرَ التَّهكُّمِ بالناسِ شديدَ الهجومِ على أَعْرَاضِهِمْ لا يهابُ سَوْقَةً ولا وزيراً حتَّى سَمَّاهُ الحِجَارِيَّ دِغْبَلَ الأندلسِ؛ لِشِدَّةِ هِجَاؤِهِ (راجع نفع ٣: ٥٣٨).

٣- المختار من شعره

- قال مؤمنٌ بن سعيدٍ في الشكوى والنسيب:

حُرْمَتُكَ ما عدا نظراً مُضِيراً بقلبي بين أضلاعي مُقَمِّر:
فَعَيْنِي مِنْكَ في جَنَاتِ عَدْنٍ مُخَلَّدَةٌ وَقَلْبِي في الجَحِيمِ !

- وقال شاعراً بهاشم بن عبد العزيز، عند أسرِهِ، يُخاطِبُ أبا حَفْصٍ (ابن عَمِّ هاشم وعدوّه):

تَصَبَّحَ، أبا حَفْصٍ، على أنسِ هاشمٍ ثلاثَ زُجاجاتٍ وخمسَ رَواطِمِ^(١)،
وَبُحَّ بالذي قد كُنتَ تُخْفِيهِ خِيفَةً: فقد قَطَعَ الرَحْنُ دولةَ هاشمِ.

- ولَمَّا صَنَعَ عَبَّاسُ بن فِرْناسٍ لِنَفْسِهِ جَنَاحِينَ وطارَ بِهَا قال فيه مؤمن بن سعيد:
يَطُمُّ على العَنَقَاءِ في طَيَرانِها إذا ما كسا جِثَّانَهُ ريشَ قَشَمٍ^(٢).

(١) تصبَّح: اشرب الخمر صباحاً. ثلاث زجاجات (من خر). خمس رواطم (لا تفهم في هذا البيت إلَّا إذا كانت كتابة عن النكاح): مع خمس رواطم (٢ الرطوم: المرأة الضيقة....).

(٢) طَمَّ الطائر النجرة: علاها (يَطُمُّ على العنقاء في طيرانها: يزود عليها في الطيران). القشم: النسر المسنّ (التامَّ العمر القوي). العنقاء: طائر خرافي كبير قوي.

- وقال يشكو من أهل بلده. (تروى لمحمد بن بشير المعافري - ت ١٩٨ هـ - فوق، ص ٨٥):

إنّا أزرى بقذري أنّني لستُ من بابةِ هذا البلدِ^(١).
ليس منهم غيرُ ذي مَقْلِيّةٍ لِذوي الألبابِ أو ذي حسدِ^(٢).
يتحامونَ لِقائي مثلاً يتحامونَ لقضاء الأسدِ.
طلعتني أثقلُ في أعينهم وعلى أنفسهم من أحدِ^(٣).
لو رأوني قعرَ بحرٍ لم يكن أحدٌ يأخذُ منهم يدي^(٤).

٤ - * * * المقتبس ١٢٢ وما بعد، ١٦٦ وما بعد؛ جذوة المقتبس ٣٣٠ (الدار المصرية) ٣٥١ (رقم ٨٢٦)؛ بغية الملتبس ٤٥٦ - ٤٥٧ (رقم ١٣٧٦)؛ الوافي بالوفيات ٦: ١٩٤؛ بغية الوعاة ١١٨٥ بروكلمن، الملحق ١: ٧٣٧؛ الأعلام للزركلي ٨: ٢٩١ (٧: ٣٣٤).

العتبي الشاعر^(٥)

١ - هو محمد بن عبد العزيز العتبي من شعراء دولة الأمير محمد (٢٣٨ - ٣٧٣ هـ) كان منقطعاً إلى الأمير القاسم بن محمد. فلما تولى الأمير عبد الله بن محمد الحكم (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ) آتاه أخاه قاسماً بأنه يعمل على خلعهم فأمر بسجنه. ومات الأمير القاسم في سجنه مسموماً. ولعل وفاة العتبي الشاعر كانت نحو ٢٧٠ (٨٨٣ م).

(١) أزرى به الشيء: نقص من قدره، عابه. البابة: النوع، المستوى.

(٢) مقليّة: بغض، كره.

(٣) أحد: جبل (قرب المدينة).

(٤) قعر بحر: في قعر بحر.

(٥) محمد بن عبد العزيز العتبي الشاعر غير محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي (ت ٢٥٤ أو ٢٥٥) الفقيه (نفع الطيب ٢: ٥١، ٢١٥ - ٣١٦، ٦٢٧؛ شذرات الذهب ٢: ١٢٩؛ بروكلمن ١: ١٨٦، الملحق ٣٠٠ - ٣٠١؛ الأعلام للزركلي ٦: ١٩٧. وفي الوافي بالوفيات (٣: ٣٠): محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي المتوفى في عشر السنين بعد المائتين. وهناك نفر آخرون أسماؤهم محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي (الذيل والتكملة ٤: ٦٨٣ - ٦٨٥) كلهم محدثون.

٢ - كان العُتْبِيُّ الشاعرُ من نُبله الشعراء مُنقطعاً إلى الأميرِ القاسمِ كما كان الشاعرُ مؤمناً بنُ سعيدٍ (ت ٢٦٧؛ راجع، ص ١٢٢) منقطعاً إلى أخيه الأميرِ مَسلَمَةَ. وكان بين الشاعرين مُهاجاةٌ. وللعُتْبِيِّ، نثرٌ وشعر. ومن فنون شعره فخرٌ ومديحٌ وهجاءٌ ومجونٌ ووصفٌ وخمر. ثم إنَّ ألفاظه جَزَلَةٌ وتراكيبه متينة ونَفْسَه مُشرقي. وفي شعره شيءٌ من الصنعة.

٣ - مختارات من شعره

- قال مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمُعْزِزِ الْعُتْبِيُّ يمدح الأميرَ قاسمَ بْنَ مُحَمَّدٍ^(١):

... في جَنَّةٍ بإزاءِ النجمِ ساميةٍ أهدتُ لها طيِّبها جَنَّتْ رِضْوَانُ^(٢).
وأوجِهْ كنجومَ الليلِ زاهرةٍ حَفَّتْ بيدِ دُجَى من آلِ مَروانِ^(٣).
أعلى قريشٍ محلًّا في أرومتِها، وجُودُهُ لِمَرْجِي جُودِهِ دانِ^(٤).
غَمَرُ النِّوَالِ له كَفَّانٍ قد حَوَّنَا مِن المكارمِ ما لم تَحِوْ كَفَّانِ^(٥).
أغرُّ أَشْبَهَ آبَاءَ له سَلَفُوا: جُوداً بِجُودِ وإِحْسَاناً بِإِحْسَانِ^(٦).
فَأَشْرَبَ على جِدَّةِ الدنيا وزَهْرَتِها وجُودَةَ العيشِ ما كَرَّ الجديدانِ^(٧).

- وقال يمدح الأميرَ مُحَمَّدًا (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ)، وذلك سنة ٢٦٤ هـ:

سائِلٌ بِمَارِدَةِ سَيُوفِ مُحَمَّدٍ خَلَّيْنِ مَارِدَةً كَأَنَّ لَمْ تَمُرْدِ^(٨).

(١) قاسم بن محمد أخو الأمير عبد الله (٢٧٥٠ - ٣٠٠ هـ) اتهمه أخوه بأنه يكيد له فيجنيه. ومات القاسم في السجن مسموماً.

(٢) رضوان: خازن الجنة.

(٣) حَفَّتْ: أحيطت. دجى (ظلام الليل).

(٤) الأرومة: الأصل. دان: قريب.

(٥) غمر: (الماء) الكثير. النوال: المطاء.

(٦) أغرّ: أبيض (كتابة عن شرف الأصل).

(٧) الجديدان: الليل والنهار.

(٨) مرد، يمد (بفتح الراء وضمتها): طفى وجاوز حدّه. يجانس الشاعر بين ماردة وتمرد.

عَمَطَتْ مَسَالَةَ الْأَمِيرِ وَهَيَّجَتْ حَرْباً أَبَاحَتْهَا لِكُلِّ مُهَنْدٍ (١).
يَتَرَكْنَ أَبْنَاءَ النِّفَاقِ كَأَنَّهُمْ بِالْقَاعِ صَرَغَى قَهْوَةً أَوْ مَرْقَدٍ (٢).
وَكَأَنَّ عَاكِفَةَ النُّسُورِ عَلَيْهِمْ أَبْنَاءُ حَامٍ يَغْكِفُونَ بِمَسْجِدٍ (٣).
قَضَتِ الصَّوَارِمُ بِالْحُتُوفِ عَلَيْهِمْ؛ وَإِذَا قَضَى بَقْضِيَّةٍ لَمْ يُرَدِّدِ (٤).
كَمْ خَائِنٍ مِنْهُمْ تَمْنَى - إِذْ رَأَى بِيضَ الصَّوَارِمِ - أَنَّهُ لَمْ يُؤَلِّدِ!

٤ - * * * المقتبس ١٥٧ - ١٥٨ ، ٢٠١ - ٢١١ ، ٣٢٣ - ٣٢٤ ، ٣٣٦ ، ٣٥٩ - ٣٦٠
المغرب ١ : ١٣٤ ؛ الحلة السراء ١ : ١٢٨ ، ١٤٧ ؛ البيان المغرب ٢ : ١١٢ ،
١١٣

وليد بن غانم

١ - هو وليدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ الحميدِ بنِ غانمٍ ، كان جدُّه عبدُ الحميدِ من موالي عبدِ الرحمنِ الداخلِ ومن قُوَّادهِ . وأمَّا أبوه عبدُ الرحمنِ فقد تولَّى الوزارةَ والحِجَابَةَ لِلْحَكَمِ بنِ هَاشِمٍ (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) ثم لآبِنِهِ وَخَلِيفَتِهِ عبدِ الرحمنِ الْأَوْسَطِ (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) . وكانت وفاةُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ الحميدِ في الحِجْسِ سَنَةَ ٢١٠ هـ (٥) .

ويبدو أَنَّ أَسْرَةَ وَلِيدِ بنِ غَانِمٍ كَانَتْ قَدْ آتَتْقَلَّتْ إِلَى كُورَةِ الْمُوسَطَةِ (١) ، وَكَانَ قَوْمُهُ مِنْ أَجْنَادِ الدَّوْلَةِ .

-
- (١) غمط النعمة: كفرها ولم يشكرها . الأمير محمد منح أهل ماردة سلماً (عفواً وحسن معاملة) فلم يتقابلوا ذلك بالطاعة .
(٢) القاع: الأرض المنخفضة . قهوة: خمر . المرقد: المهدر .
(٣) النُسُور السود (كأنهم من أبناء حام) تطيل المكث على جنهم .
(٤) الحتف: الهلاك . وإذا قضى (الأمير محمد) .
(٥) راجع تطبيقاً لحدود علي مكي (المقتبس ٤٥٠) . فعلى هذا يجب أن يكون وليد بن غانم قد بلغ نحو سبعين سنة من العمر .
(٦) المقتبس ١٤١ . الموسطة: كورة قريبة من كورة ربة (المقتبس ٣٩٣) . وه كورة ربة التي منها مالقة .
• نفع الطيب ١ : ٢٦٣ في جنوب الأندلس .

لا نَعْرِفُ شَيْئاً من أخبار وليد بن غانم قبل أن يتولَّى مَنْصِبَ صاحبِ المدينة
للأمير محمد (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ). ثم رُفِعَ إلى مَنْصِبِ الوزارة. وفي سَنَةِ ٢٦٣ هـ خرج
تحت إمرة الأمير مُنذر^(١) لقتال عبد الرحمن بن مروان الجَلِيقِي^(٢). أمّا وفاته
فكانت في شعبان من سَنَةِ ٢٧٢ (مطلع عام ٨٨٦ م)^(٣).

٢ - كان وليد بن غانم « من المحكوم لهم بالتبزي في العقل والفضل وجودة
الرأي وحسن السيرة وسداد المذهب » وفيّاً لأصدقائه. وكان أديباً مُزسلاً وبليغاً،
وقيل إن له شعراً. ونثره ينكشف عن متانة وفهم للغة مع إحاطة بعدد من وجوه
المعرفة.

٣ - مختارات من آثاره

- خرج الوزير هاشم بن عبد العزيز في حملة على الناصر عبد الرحمن بن مروان
الجَلِيقِي فهزّمه عبد الرحمن وأسرّه. ووصل الخبر إلى الأمير محمد فلام هاشماً ورماه
بالعجز والطيش. وكان الوليد بن غانم في المجلس فدافع عن هاشم، وكان صديقاً له،
فقال (المقتبس - مكّي - ص ١٧٨):

أصلح الله الأمير. إنه لم يكن على هاشم التخيير في الأمر ولا الخروج على
القدر^(١)، بل استفرغ نصحهُ وأعمل جهده وحامى استطاعته، فأسلمه الله بخذلان
من معه ونكول من أطاف به^(٢). فجوزي عن نفسه ولطافه خيراً! أصلح الله
الأمير. إنا كان هاشم عبدك ونشء صبيعتك وسيفاً من سيوفك وسهماً من سهامك،

(١) قبل أن يتولّى الحكم.

(٢) عبد الرحمن بن مروان الجَلِيقِي من أهل ماردة (شمال غربي قرطبة بنحو مائة وستين كيلومتراً) ثار
سنة ٢٥٤ هـ. وطالت فتنة ابن مروان الجَلِيقِي ووصل يده بألفونس الثالث ملك قشتالة. وظل ابن
مروان الجَلِيقِي ناثراً إلى أيام عبد الرحمن الناصر.

(٣) في المقتبس أن وفاته كانت ٢٩٢، ويبدو أنه خطأ.

(٤) ما كان يستطيع أن يبدل القضاء والقدر.

(٥) الخذلان ترك نصرة الذي ينتظر منك النصرة. النكول: الرجوع عما بعد به الإنسان.

نَفَذَ أَمْرُكَ فِيهِ وَأَسْتَقْدِمَ لِلدِّفَاعِ عَنْ سُلْطَانِكَ حَتَّى قُلَّ^(١) فِي مَرْضَاتِكَ. فَالْأَوَّلَى بِكَرَمِ الْأَمِيرِ وَشَرَفِ خَلِيقَتِهِ أَنْ يُحْسِنَ خِلَافَةَ هَاشِمٍ فِي عَقِبِهِ وَيَحْفَظَهُ فِي سَاقِبَتِهِ^(٢) وَيُهَوِّنَ عَلَيْهِ بِلَاءَهُ بِإِمْضَاءِ وَلَدِهِ عَلَى خِدْمَتِهِ وَخِلَاقَتِهِ بِحَضْرَتِهِ^(٣) حَتَّى يَمُنَّ اللَّهُ تَعَالَى بِبَيْمَنِ الْأَمِيرِ فَيُطْلِقَ سَرَاحَهُ وَيُقِيلَ عَثْرَتَهُ^(٤).

- وَبَلَغَ إِلَى هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَا قَالَهُ وَلِيدُ بْنُ غَانِمٍ فَكَتَبَ إِلَيْهِ فِشْكْرُهُ عَلَى وَفَائِهِ وَكَرَمِ أَخْلَاقِهِ. فَرَدَّ عَلَيْهِ وَلِيدٌ بَرَسَالَةً فِيهَا:

أَسْأَلُ اللَّهَ رَاغِباً إِلَيْهِ فَكَ أَسْرَكَ وَتَعْجِيلَ تَخْلِيصِكَ وَتَسْيِيرَ إِطْلَاقِكَ. وَرَدَّ كِتَابُكَ، يَا سَيِّدِي، فَسَكَنَ مِنْ حَرْقِي بِكَ وَأُطْفَأَ مِنْ غُلَّتِي^(٥) فِيكَ وَهَدَأَ مِنْ عَوِيلِي عَلَيْكَ. فَيَا لَهْفِي عَلَى فِرَاقِ غُرَّتِكَ وَفُقْدَانِ رُؤْيُكَ لَهْفاً مَا إِنْ يَنْقَطِعُ وَلَا يَنْصَرِمُ^(٦). وَلَتَنْ صِرْتَ - خَلَصَكَ اللَّهُ - مِنْ حُكْمِ اللَّهِ إِلَى مَشِيتِهِ، وَمِنْ نَافِذِ أَمْرِهِ إِلَى سَابِقِ عِلْمِهِ^(٧)، لَمَا قَصَّرْتَ فِي الْمَحَامَاةِ عَنْ سُلْطَانِكَ وَدِينِكَ وَالتَّعَرُّضِ لِلشَّهَادَةِ بِمُجْهِدِكَ^(٨) فَمَا إِنْ تَجِدُ لِلْإِيجِكِ وَالْإِيمِكِ خَلَّالاً فِي عِرْضِكَ وَحَزْمِكَ^(٩) وَلَا إِضَاعَةً فِي تَذْيِيرِكَ وَضَبْطِكَ.

٤ - * * المقتبس ١٤١ ، ١٧٣ - ١٧٥ ، ١٧٧ - ١٧٩ ، ٢٧١ ، ٣٨٨ - ٣٩٢ ،
٤٤٩ - ٤٥٠ : الحلة السراء ١ : ١٤١ ، ٢ : ٣٧٤ : نفع الطيب ٣ :
٣٧٢ - ٣٧٣ : الأعلام للزركلي ٩ : ١٤٠ (٨ : ١٢٠).

(١) كسر (شبهه بالسيف الذي إذا قل لم يقطع).

(٢) أن يحسن خلافته (الاهتمام برعاية أهله) في عقبه (نسله، أهل بيته).

(٣) يدخل ابنه (ابن هاشم بن عبد العزيز) في خدمة الدولة اعترافاً بفضل هاشم.

(٤) يفتديه من الأسر.

(٥) الغلّة: المطش (حرقه الحزن).

(٦) «إن» هنا وفيها بلي زائدة بعد «ما» النافية.

(٧) ... لو رجعت إلى ما كنت فيه (من الحرمة)....

(٨) التعرّض: للشهادة (للموت في الجهاد).

(٩) اللاحى: اللاتم. لما وجد أحد فيك نقصاً.

عثمان بن المثنى

١ - هو أبو عبد الملك عُثْمَانُ بْنُ الْمُثَنَّى الْقَيْسِيُّ الْقُرْطُبِيُّ، وُلِدَ نَحْوَ سَنَةِ ١٨٠ (٧٩٦ م) - وَقِيلَ عَاشَ تِسْعاً وَتِسْعِينَ سَنَةً (فَيَكُونُ مَوْلَاهُ حِينَئِذٍ سَنَةَ ١٧٤) - رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فَلَقِيَ جَاعَةً مِنْ عِلْمِهِ وَاللُّغَةَ وَالنَّحْوَ مِنْهُمْ أَبْنُ الْأَعْرَابِيِّ (ت ٢٣١). وَقَدْ لَقِيَ أَبَا تَمَّامٍ وَقَرَأَ عَلَيْهِ دِيْوَانَهُ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَدْخَلَ دِيْوَانَ أَبِي تَمَّامٍ إِلَى الْأَنْدَلُسِ.

وكانت وفاة عُثْمَانَ بْنِ الْمُثَنَّى بعد شهر صفر من سنة ٢٧٣ (٨٨٦ م).

٢ - كَانَ عُثْمَانُ بْنُ الْمُثَنَّى شُجَاعاً مُكْثِراً لِلْفَزْوِ فِي الثُّغُورِ (شَالِي الْأَنْدَلُسِ عِنْدَ الْحُدُودِ الْمُصَاقِبَةِ لِلْإِمَارَاتِ الْمَسِيحِيَّةِ). وَكَذَلِكَ كَانَ مُؤَدِّباً لِأَوْلَادِ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) وَلَأَوْلَادِ ابْنِهِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ). وَهُوَ مِنْ أَيْمَةِ النَّحْوِ، وَلَهُ شَيْءٌ مِنَ النِّظْمِ. فِي الْمَقْتَبَسِ (٢٧٤ - ٢٧٥) قَصِيدَةٌ مَدَحَ بِهَا الْأَمِيرَ مُحَمَّدًا، لَمَّا أَسْقَطَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ ثُلُثَ الْعُشُورِ عَنِ الرَّعِيَّةِ، تُحْسِنُ فِيهَا بِنَفْسِ أَبِي تَمَّامٍ (وَهَذَا مَعْقُولٌ جِدًّا لِحُبِّ عُثْمَانَ بْنِ الْمُثَنَّى لِأَبِي تَمَّامٍ) فِي رِثَائِهِ مُحَمَّدِ بْنِ حُمَيْدٍ الطُّوسِيِّ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ:

- قَالَ عُثْمَانُ بْنُ الْمُثَنَّى يَمْدَحُ الْأَمِيرَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ:

غدا في أسارى الإمام محمد	إمام الهدى بدرٌ وفي كفِّه بحر ^(١) .
تلافى رعاياه بإسقاط ثلث ما	عليهم بما استوفى... قبله العشر ^(٢) .
وأوسعهم عدلاً ورفق سياسة	فطابت به عنه الأحاديث والذكر.

(١) الأسارى (جمع أسرار): خطوط في الوجه. بدر (كتابة عن المهابة من حقيقة الملك). بحر (كتابة عن الكرم).

(٢) تنقص في الأصل كلمة «الذي».

لقد حَسَدَتْ أَرْضُ الْعِرَاقِ أَرْضَهَا على عدله فينا كما حَسَدَتْ مِصْرُ^(١)
هو الدهرُ في تصريفه الفقرَ والغنى، كذلك في أحداثه النفعَ والضُرَّ.
إذا ذَخَرَ الْأَمْلَاقُ كَسْباً فما له سوى المجدِّ والمعروفِ كَسْبٌ ولا ذَخْرُ^(٢)

٤ - * * الزبيدي ٢٨٨:٤ ابن الفرضي رقم ١: ٣٤٦ (رقم ٨٩١)، طبعة القاهرة ٣٠٢؛
المقتبس ٢٧٤ - ٢٧٥ المغرب ١: ١١٢ - ١١٣؛ الحلة السراء ١: ٤٨؛ بغية
الوعاة ١٣٢٤؛ البلغة ١٤١؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٧٦ (٢١٣).

الرازي المؤرّخ

هو مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ (بشير بن جناد بن لقيط الكِنَافِي) الرازيُّ من أهل الري
(خراسان - فارس) كان يَفِدُّ من المشرق على أمراء بني أُمَيَّةَ في الأندلسِ مُتَجَرِّراً
بالْجُلِّيِّ والعقَاقِيرِ وسواها من عُرُوضِ التِّجَارَةِ الثَّمِينَةِ. ويبدو أَنَّهُ اسْتَقَرَّ في الأندلس
سَنَةَ ٢٤٩ (٨٦٤ م) فسكن قرطبة ونال حَظَوَةً عند الأميرِ مُحَمَّدٍ (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ)
فانْتَدَبَهُ الأميرُ مُحَمَّدٌ للإصلاحِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْمُوَلَّدِينَ (المسلمين من أصلٍ إسبانيٍّ)،
بنواحي غرناطة، في سَنَةِ ٢٧٣. وقد تُوَفِّيَ الرازيُّ في إلبيرة بعد رُجُوعِهِ من هذه
الرحلة، في ربيعِ الثاني ٢٧٣ (أيلول - سبتمبر ٨٨٦ م)^(٣)، في أيامِ الأميرِ المُنْذِرِ
الذي جاء إلى الإمارة في صَفَرٍ من سَنَةِ ٢٧٣ (تموز - يوليو ٨٨٦ م).

كان الرازيُّ هذا مُتَفَنِّناً في عددٍ من العلوم وكانَ مُؤَرِّخاً أَلَفَ «كتاب

(١) اقرأ: أرضنا.

(٢) الأملاك جمع ملك مثل ملوك.

(٣) في نفع الطيب (١١١:٣) أن مُحَمَّدَ بن موسى الرازي تُوَفِّيَ في ربيعِ الآخر من سنة ٢٧٣. وقد ذكر
ابن الفرضي أن مولد ابنه أحمد كان في ذي الحجة من سنة ٢٧٤، ونقل ذلك عنه السيوطي في بغية
الوعاة (ص ١٦٨) وأغفل جنثالث بالنشأ (تاريخ الفكر الأندلسي ١٩٧). وهذا محال لأنه يجعل وفاة
أحمد بعد مولد أبيه بعشرين شهراً. ولو أننا قبلنا من جنثالث بالنشأ أن تكون وفاة مُحَمَّدٍ في
٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م مع الإصرار على مولد ابنه أحمد في ذي الحجة من ٢٧٤ لَطَلَّ الفرق بين وفاة
الوالد ومولد ابنه أكثر من عام. والمخرج: إمّا أن تكون وفاة الوالد في سنة ٢٧٤ هـ أو يكون مولد
الابن في سنة ٢٧٣ هـ.

الرايات « (١) ذَكَرَ فِيهِ دُخُولَ الْعَرَبِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ عَلَى رَايَاتِهِمْ (أَيِ بِحَسَبِ قِبَائِلِهِمْ وَبِحَسَبِ الْبُعُوثِ الَّتِي جَاءُوا فِيهَا جَيْشاً بَعْدَ جَيْشٍ). وَكِتَابُ الرَّايَاتِ ضَائِعٌ، وَلَكِنَّا نَجِدُ نَتَقاً مِنْهُ فِي عَدِيدٍ مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ.

- ** - الْمُقْتَبَسُ ٢٦٥ - ٢٦٦: التَّكْمِلَةُ ١: ٣٦٦ (رَقْمُ ١٠٤٨)؛ نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣: ١١١؛ بِالنِّشَاءِ ١٩٣ - ١٩٦؛ دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ (ط ١) ٣: ١١٣٦؛ الْأَعْلَامُ لِلزُّرْكَلِيِّ ٧: ٣٣٨ (١١٧).

هاشم بن عبد العزيز

١ - هُوَ أَبُو خَالِدٍ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ جُعْفَرِ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ أَبَانَ بْنِ عَمْرِو. وَكَانَ عَمَرُو هَذَا مَوْلَى لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ (ت ٣٥ = ٦٥٦ م). ثُمَّ إِنَّ أَهْلَهُ كَانُوا قَدِ انْتَقَلَوْا إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَاسْكَنُوا الْبِيرَةَ فَأَصْبَحَ لَهُمْ فِيهَا رِئَاسَةٌ وَجَلَالَةٌ.

وُلِدَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ (فِي الْبِيرَةِ) فِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ)، وَلَمَّا شَبَّ أَصْبَحَ مِنْ أَشْيَاعِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ مُخْتَصِصًا بِالْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ)، فَكَانَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُقَرِّبُهُ فَقَدِ اتَّخَذَهُ وَزِيْرًا ثُمَّ وَلَّاهُ كُورَةَ جَبَانَ.

وَخَاضَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ حُرُوبًا كَثِيرَةً، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَثِيرَ التَّوْفِيقِ. فِي سَنَةِ ٢٦٢ (٨٧٦ م) قَادَ جَيْشًا لِقِتَالِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَرْوَانَ الْجَلِيقِيَّ بِنَوَاحِي بَطْلَيْوَسَ فَأَوْغَلَ بِالْجَيْشِ بِلَا اسْتِعْدَادٍ تَامٍّ وَلَا أَحْتِيَاظٍ كَافٍ، فَقُتِلَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ عَسَاكِرِهِ

(١) الْمَقْصُودُ بِالرَّايَاتِ: الرَّايَاتُ الَّتِي كَانَتْ تَحْمِلُهَا الْقِبَائِلُ الْعَرَبِيَّةُ الَّتِي دَخَلَتْ إِلَى الْأَنْدَلُسِ (عَدَدُ الْقِبَائِلِ الَّتِي دَخَلَتْ الْأَنْدَلُسَ فِي زَمَنِ الْفَتْحِ): رَايَاتَانِ لِمُوسَى بْنِ نَصِيرٍ: عَقْدَ لَهُ إِحْدَاهَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عَلَى إِفْرِيقِيَّةٍ وَمَا وَرَاءَهَا (يَكُونُ وَالْيَا عَلَى مَا يَفْتَحُهُ فِي إِفْرِيقِيَّةٍ وَمَا وَرَاءَهَا مِنَ الْبِلَادِ)، وَالثَّانِيَةَ عَقْدَهَا لَهُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى إِفْرِيقِيَّةٍ أَيْضًا وَمَا يَفْتَحُهُ وَرَاءَهَا مِنَ الْعَرَبِ، ثُمَّ رَايَةٌ ثَالِثَةٌ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ (وَقَدْ دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ مَعَ أَبِيهِ مُوسَى)... وَذَكَرَ مُحَمَّدُ الرَّازِيُّ أَيْضًا بَيِّنَاتٍ الْعَرَبِ (الْأَسْرُ الْعَرَبِيَّةُ الْمَشْهُورَةُ) الَّتِي دَخَلَتْ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَلَمْ تَكُنْ تَحْمِلُ رَايَاتٍ (لِقَلَّةِ عِدَدِهَا، وَلِأَنَّهَا تَنْسَبُ إِلَى الْقِبَائِلِ الَّتِي كَانَتْ تَحْمِلُ رَايَاتٍ).

وَجُرِحَ هو نفسه وأسير، ففداه الأميرُ محمدٌ بمبلغٍ كبيرٍ فخرج من الأسر سنة ٢٦٤. وفي سنة ٢٦٨ (٨٨١ م) سار بجيش إلى قتال أهل سرقسطة - وكان معه المنذرُ بنُ الأميرِ محمدٍ - فانتصر هاشمٌ في تلك الغزوة وحطَّم سرقسطة وفتح عدداً من الحصون حولها، ولكنه أساء الأدب مع المنذر حتى حقد عليه المنذرُ.

ولما جاء المنذرُ إلى الإمارة، في ثالث ربيع الأول من سنة ٢٧٣ (٨ / ٨ / ٨٨٦ م) - وقيل في ثامن ربيع الأول - أَوْهَمَ هاشماً أنه نسي ما كان بينهما واستحجبه (جعله حاجباً: رئيساً للوزارة)، ثم نكبه وحبسه وعذبه وقتله، في ٢٦ شوال من سنة ٢٧٣ (٢٥ / ٣ / ٨٨٧ م).

٢ - كان في هاشم بن عبد العزيز عددٌ من الخصال الحميدة فقد كان فارساً شجاعاً ورئيساً كريماً مُحِبّاً وذا قُوَّةٍ وجَلَدٍ في الحرب وصبرٍ في المصائب. ولكنه كان أيضاً حقوداً لجوجاً سيئاً التصرف في أموره مع الناس. ثم إنه كان كاتباً بليغاً وشاعراً بارعاً متين الأسلوب واضح التعبير. وفنون شعره الفخر والعتاب والأدب (الحكمة) والهجاء. وكان يرتجل الشعر أيضاً.

٣ - مختارات من آثاره

- كان الوزيرُ الوليدُ بن عبد الرحمن بن غانم صديقاً لهاشم بن عبد العزيز. فلما أَسِرَ هاشمُ جرى ذِكْرُهُ في مجلس الأميرِ محمدٍ، والوليدُ حاضرٌ، فَسَبَّ الأميرُ محمدٌ إلى الطيش والعجلة والاستبداد في الرأي حتى أدى ذلك إلى أنهمازاه في المعركة وأسرهُ. فدافع الوليدُ عن هاشم ونسب أنهمازه وأسرهُ إلى عوامل كثيرة منها سوء الحظ. فذهبَ غَضَبُ الأميرِ محمدٍ وسمى في تخلص هاشم من الأسرِ بِفِديةٍ كبيرة. وبلغَ ذلك إلى هاشم فكتبَ إلى الوليدِ (نفع الطيب ٣: ٣٧٣):

«الصدقُ مَنْ من صدَقَكَ في الشدةِ لا في الرِّخاءِ، والأخُ من ذَبَّ (١) عنك في الغيبِ لا في الشَّهيدِ، والوفى مَنْ وَفَى لك إذا خَانَكَ زمانٌ. وقد أتاني مِنْ كَلَامِكَ بَيْنَ

(١) ذب: دافع.

يَدَيَّ سَيِّدِنَا - جَمَلَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ سَرْمَدًا^(١) - مَا زَادَنِي بِمَوَدَّتِكَ اِغْتِبَاطًا
وَبَصَادِقَتِكَ اِرْتِبَاطًا. وَلِذَلِكَ مَا كُنْتُ أَشَدُّ يَدَيَّ عَلَى وَصْلِكَ بِإِخَائِي. وَأَنَا الْآنَ بِمَوْضِعٍ
لَا أَقْدِرُ فِيهِ عَلَى جَزَاءٍ غَيْرِ الثَّنَاءِ. وَأَنْتَ أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى أَنْ تَزِيدَ مَا بَدَأْتَ بِهِ بِأَنْ
تُنِيمَ مَا سَرَعْتَ فِيهِ حَتَّى تَتَكَمَّلَ لَكَ الْمِنَّةُ وَيَسْتَوْثِقَ عِقْدُ الصَّدَاقَةِ ... ».

- وَقَالَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي الْفَخْرِ بِأَحْوَالِ الْمَزَلِ وَأَحْوَالِ الْجِدِّ:

أَهْوَى مُعَانَقَةَ الْمِلَا ح وَشُرْبَ أَكْوَاسِ الطَّلَى^(٢).
وَيَسُرُّنِي حُسْنُ الرِّيَا ض وَقَدْ تَوَشَّتْ بِالْحُلَى^(٣).
وَأَذُوبُ مِنْ طَرَبٍ إِذَا مَا الصَّبْحُ جَرَدَ مُنْصُلًا^(٤).
وَأَهْمُ فِي قَوْدِ الْجِيُوشِ شِ وَنَيْلِ أَسْبَابِ الْمُلَا^(٥).
وَأَهْرُ مُرْتَاحًا، إِذَا سَرَتِ الْمَوَاضِي فِي الطَّلَا^(٦).
قُلْ لِلَّذِي يَنْبَغِي مَكَا نِي: هَكَذَا أَوْ لَا فَلَآ

- وَكَانَ أَحَدُ أَبْنَاءِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَدْ خَاطَبَ أَبَاهُ هَاشِمًا بِرُقْعَةٍ فِيهَا شِعْرٌ
ضَعِيفٌ، فَوَقَّعَ عَلَى ظَهْرِ تِلْكَ الرُّقْعَةِ بَدِيعَةً:

لَا تَقُلْ - إِنَّ عَزَمْتَ - إِلَّا قَرِيبًا رَائِقًا لَفْظُهُ ثَقِيفًا رَصِينًا^(٧)

(١) سَيِّدِنَا (يَقْصِدُ الْأَمِيرَ مُحَمَّدًا). سَرْمَدًا: أَمَدًا دَائِمًا.

(٢) الْمَلَا ح جمع مليحة: المرأة ذات اللون الحسن. أَكْوَاس جمع كأس (غير قاموسية). وَجَمَعَ
كَأْس فِي الْقَامُوسِ كَوَسٌ وَكُؤُوسٌ وَكَاسَاتٌ وَكَأَسٌ. الطَّلَى = الطَّلَاءُ (بِالْكَسْرِ فِيهَا):
الْحُمْرُ.

(٣) تَوَشَّتْ: (تَطَرَّزَتْ) بِالْحُلَى (بِالْأَزْهَارِ الَّتِي تُشَبِّهُ الْمَعَادِنَ الثَّمِينَةَ الَّتِي تُتَحَلَّى بِهَا النِّسَاءُ).

(٤) الْمُنْصُلُ: السِّيفُ (نِصْلُ السِّيفِ). جَرَدَ الصَّبْحُ مُنْصُلًا: بَدَأَتْ أَنْوَارُ الصَّبْحِ تَبْدُو فِي
الشَّرْقِ كَأَنَّهَا سَيُوفٌ (لَأَنَّ النَّهَارَ وَقْتُ الْعَمَلِ).

(٥) قَوْدُ الْجِيُوشِ: قِيَادَةُ الْجِيُوشِ (فِي الْحَرْبِ).

(٦) أَهْرُ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ؟) أَطْرَبُ. أَفْرَحُ. الْمَوَاضِي: السُّيُوفُ. الطَّلَا جمع طَلَاةٍ (بِالضَّمِّ
فِيهَا): الْعَنْقُ (أَيُّ فِي الْمَارِكِ).

(٧) الْقَرِيبُ: الشَّعْرُ. الثَّقِيفُ: الْمَهْدَبُ (الْحَالِي مِنَ الْخَطَا).

أَوْ دَعِ الشُّعْرَ، فهو خيرٌ من الغثِ ح، إذا لم تَجِدْ مقالاً ثميناً!

- وكتب إلى جاريته - واسمها عاج - من سجنه أبياتاً هي (وفيها شيء من نفسِ النابغة ونفس أبي فراس):

وإني عداي أن أزوركِ مطبقٌ	وبابٌ منيعٌ بالحديد مُضَبَّبٌ ^(١)
فإن تَعَجَّبي، يا عاجُ، مما أصابني،	ففي رَيْبِ هذا الدهرِ ما يُتَعَجَّبُ ^(٢)
وفي النفسِ أشياءٌ أُبَيْتُ بِغَمِّها	كأنِّي على جِرِّ الفُضَى أَتَقَلَّبُ ^(٣)
تَرَكْتُ رَشَادَ الْأَمْرِ إِذْ كُنْتُ قَادِراً	عليه فَلَاقَيْتُ الَّذِي كُنْتُ أَرْهَبُ
وكم قائلٍ قال: أَنجُ، وَنَحْكَ، سَالِياً،	ففي الْأَرْضِ عَنْهُمْ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبٌ ^(٤)
فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الْفِرَارَ مَذَلَّةٌ،	ونفسي على الْأَسْوَءِ أَخْلَى وَأَطْيَبُ
سَارِضِي بِحُكْمِ اللَّهِ فِيمَا يَنْوِبُنِي،	وما من قضاءِ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَهْرَبُ
فمن يَكُ مَسْروراً بِحَالِي، فَإِنَّهُ	سَيَنْهَلُ فِي كَأْسِي وَشَيْكاً وَيَشْرَبُ ^(٥) !

- وقال هاشمُ بنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ (المقتبس ١٣٤):

كان الأميرُ مُحَمَّدٌ (راجع، فوق، ص ٥٨) أَبْصَرَ النَّاسَ بِالرَّأْيِ وَأَنْفَذَهُمْ لَوَجْهِهِ، فَكَانَ يَجْمَعُنَا لِلْمَشُورَةِ عَلَى رَسْمٍ مِنْ قَبْلِهِ، فَتَجْتَهُدُ وَيَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا مَا يَحْضُرُهُ. فَإِنْ وَافَقَ مَا قَدْ اتَّفَقَ هُوَ أَمْضَاهُ عَنْ تَحْصِيلٍ. وَإِنْ كَانَ فِي الرَّأْيِ خَلَلٌ نَاطَرْنَا عَلَى خِطِّهِ وَقَلَّبْنَا لَنَا وَجُوهَهُ وَعَدَلْنَا عَنْهُ بِحِجَاجٍ وَتَبْيَانٍ لَا نَكَادُ نَدْفَعُهُ فَتُصْنِي أَفْهَامُنَا إِلَيْهِ وَنُخْتَارُهُ.

(١) عداه: فاته. مطبق: (يَضُمُّ الْمِمَّ وَكسر الباء): السَّجَنُ تَحْتَ الْأَرْضِ. مُضَبَّبٌ: مَقْفَلٌ بِمَدِيدَةٍ تَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ فِي الْمَدَارِ.

(٢) ما يَتَعَجَّبُ (الإنسان) مِنْهُ: أُمُورٌ عَجِيبَةٌ غَرِيبَةٌ.

(٣) الفُضَى شَجَرَةٌ يَصْنَعُ مِنْهُ فَحْمٌ ذُو نَارٍ شَدِيدَةِ الْحَرَارَةِ (وَجَمْعُهَا: غُضَى).

(٤) مُسْتَرَادٌ: مَكَانٌ بَعِيدٌ يَنْزِلُهُ الْإِنْسَانُ لِلنَّجَاةِ مِنْ أَعْدَائِهِ. انْذَهَبُ: مَكَانٌ يَذْهَبُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ.

(٥) سَيَنْهَلُ (يَشْرَبُ) مِنْ كَأْسِي: سَيَصِيبُهُ مِثْلُ الَّذِي أَصَابَنِي.

٤ - * * المقتبس ١٣٤ وما بعد، ١٥٧ - ١٧١، ١٧٧ - ١٧٨، ٢٣٧ - ٢٣٩،
 ٢٤٨ - ٢٥١، ٣٤١، ٣٤٤ - ٣٤٥، ٣٦٠ - ٣٦٤، ٣٦٨ - ٣٧٨،
 ٣٨٦ - ٣٨٩ جذوة المقتبس ٣٤٢ - (الدار المصرية) ٣٦٤ (رقم ٨٦٤) بقية
 الملتبس ٤٧٠ (رقم ١٤٢٣)؛ البيان المغرب ١: ١٠٢ - ١٠٥؛ وأماكن أخرى؛
 المغرب ١: ٥٢ - ٥٣، ٢: ٩٤ - ٩٥؛ الحلة السراء ١: ١٣٧، ١٤٢،
 ١٦١ - ١٦٢، ٢: ٣٧٣ - ٣٧٦؛ نفح الطيب ٣: ١٣٠ - ١٣١؛
 ٣٧٢ - ٣٧٣؛ الأعلام للزركلي ٩: ٤٨ (٨: ٦٦).

عبّاس بن فرناس

١ - هو أبو القاسم عبّاس بن فرناس^(١) بن زردوس (ورداس؟) الأندلسي،
 أصلُ أهله من بربرٍ تآكُرُنا (إقليم رُنْدَة - من جنوبي الأندلس) ومن موالي بني أمية.
 وُلِدَ في أعقاب القرن الثاني للهجرة (أوائل القرن التاسع للميلاد)، وقد عاش في
 بلاط قُرطبة، في أيام الحَكَمِ الرَبَيعي (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) وعبد الرحمن الأوسط
 ومحمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ). وكان مَسْكَنُهُ في الرَبَضِ (الضاحية) الغربي
 من قرطبة. ويقال إنّه زار العراق.

اشتهر عبّاس بن فرناس بالبراعة في فنونٍ نظريّة وتَجَرِيبِيّة فَتَسَبَّبَ إليه عددٌ من
 المُخْتَرَعَاتِ منها صِنَاعَةُ الرُّجَاجِ من الحجارة، ومنها المِنْقَالَةُ^(٢). وكان بارِعاً في
 الرِياضِيَّاتِ والفِيزِيَاءِ والكِيميَاءِ والفَلَكِ والمُوسِيقَى. على أَنَّ أشهرَ ما عُرِفَ به كان
 محاولَتَهُ الطِّيرانَ: فقد كَسَا جِسْمَهُ بِمَجْرِيَرٍ مُلَصَّقٍ عليه ريشٌ كثيرٌ وجعل لنفسه منه
 جَنَاحَيْنِ مُتَحَرِّكَيْنِ ثمَّ صَعِدَ إلى مكانٍ عالٍ وألقى بنفسه فطار مسافةً يسيرةً، ولكنّه

(١) الفرناس: رئيس الدهاقين (أصحاب الأراضي الواسعة) والأسد، والشجاع؛ والاسم عربى
 أيضاً. فإن رجلاً من بني سليط العرب كان اسمه فرناساً (راجع في ذلك كله القاموس
 ٢: ٢٣٦).

(٢) المنقالة (ويقال: المنقانة): آلة لحساب الوقت أو ساعة (راجع تعليقا في نفح الطيب ٣:
 ٣٧٤، الحاشية ٢).

كان قد غَفَلَ عن أن يجعلَ لنفسه ذِيلاً من ريش (مثل زِمِك الطائر)^(١) فوقَ على مُؤَخَّرته، ولكنّه نجا من الموت. وَيَجِبُ أن يكونَ قد فَعَلَ ذلك في أوائل كُهولته. وكانت وفاة عَبَّاسِ بْنِ فَرْناسٍ في نحو ٢٧٤ (٨٨٧ م) وقد أَسْنَى، قيل قد زادتْ سِنُهُ على ثمانين سَنَةً.

٢ - كان عَبَّاسُ بْنُ فَرْناسٍ فيلسوفاً حاذقاً فَعَرَفَ بحكيم الأندلس، كما كان عالماً ذا عقلٍ مُبْدِع. وكذلك كان من علماء النحو^(٢) أديباً مشهوراً وشاعراً مُجيداً. وفنونه المدح (مدح جميع أمراء بني أُمَيَّة الذين عاصرهم) والهجاء، وقد هاجى مُؤمِنَ ابن سَعِيدٍ^(٣) فأفحشَ كلُّ واحدٍ منها على خصمه. وله وصفٌ بارع. ومع إجماع الرواة على جُودَةِ شعره وكثرتِه، فإنهم لم يحفظوا لنا منه إلّا عدداً من الأبيات.

٣ - مختارات من شعره

- في المُحَرَّم من سَنَةِ ٢٤٠ (تموز - يوليو ٨٥٤ م) ثارَ أهلُ طُلَيْطَلَةَ واستنجدوا بِمَلِكِ جَلْقِيَّة فجاءتهم جوعٌ كبيرةٌ من الإِسبان. فَلَقِيَهُمُ الأميرُ مُحَمَّدٌ على وادي سَلِيطٍ (أحدِ روافدِ نهرِ تاجه جَنُوبَ طُلَيْطَلَةَ) وهَزَمَهُمْ هزيمةً مُنكرةً قُتِلَ فيها من الإِسبانِ نحوُ عِشرين ألفاً. فقال عَبَّاسُ بْنُ فَرْناسٍ في ذلك (ابن عِذارى ٢: ١١١، راجع ٩٤ - ٩٥ ونفع الطيب ١: ٣٥٠ في معركة وادي سَلِيط):

وَمُخْتَلِفِ الأصواتِ مُؤْتَلِفِ الرُّخْفِ لَهُومِ الفَلا عَبلِ القنابلِ مُلْتَفِ^(١).
إِذا أَوَمَّصَتْ فيه الصَّوارمُ خِلْتها بُروفاً تراءى في الجِهامِ وتَسَخَفِ^(٥).

(١) الزمك (بكسر فـ فكر فتشديد) والزمكى (بكسر فـ فكر فتشديد أيضاً): ذنب الطائر أو أصله ومنبته (القاموس ٣: ٣٠٥).

(٢) بغية الوعاة، ص ٢٧٦.

(٣) راجع فوق، ص ١٢٢.

(٤) مختلف الأصوات (جيش) متمعد أنواع السلاح (فكل نوع من السلاح يحدث صوتاً معيناً). مؤتلف الزحف: موحد السير (لأنه موحد الهدف). لهوم: أكل. الفلا: الأرض الواسعة (يقطع المسافات الشاسعة بسرعة). عبل: مكتنز. شديد العضلات. القنابل: جماعات الخيل. ملتف: متقارب، موحد، منظم.

(٥) الصوارم جمع صارم: سيف. خلتها: ظننتها. الجهام: السحاب الذي لا مطر فيه.

كَانَ ذُرَى الْأَعْلَامِ فِي مِيلَانِهِ
وإن طَحَنَتْ أَرْحَاؤُهَا كَانَ قُطْبُهَا
سَمِيَّ جِتَامِ الْأَنْبِيَاءِ عَمَّيْدِ،
بَكَى جَبَلَا وَادِي سَلِيطٍ فَأَعْوَلَا
دَعَاهُمْ صَرِيخُ الْحَيْنِ فَاجْتَمَعُوا لَهُ
فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِبَغْضِهَا
كَأَنَّ مَسَاعِيرَ الْمَوَالِي عَلَيْهِمْ
بِنَفْسِي ثَنَانِينَ الْوَعَى حِينَ صَمَّمْتُ
قِرَاقِيرُ فِي يَمِّ عَجَزَنْ عَنِ الْقَذْفِ (١)
حِجَا مَلَكٍ نَذَبَ شَائِلُهُ عَفَ (٢)
إِذَا وَصِفَ الْأَمْلَاكُ جَلَّ عَنْ الْوَصْفِ (٣)
عَلَى النَّفْرِ الْعُبْدَانِ وَالْعُصْبَةِ الْغُلْفِ (٤)
كَمَا اجْتَمَعَ الْجُمْلَانُ لِلْبَمْرِ فِي وَقْفِ (٥)
فَوَلَّوْا عَلَى أَعْقَابٍ مَهْزُولَةٍ كُثْفِ (٦)
شَوَاهِينُ جَادَتْ لِلْفَرَانِيْقِ بِالنَّسْفِ (٧)
إِلَى الْجَبَلِ الْمَشْحُونِ صَفًّا عَلَى صَفِّ (٨)

- (١) الذرى جمع ذروة (بالكسر أو الضم): الرأس. القصة (بالكسر): الأعلام جمع علم: الجبل. في ميلانه: تحركه في مسيره. الفرقرور (بالضم): السفينة الطويلة العظيمة. الميم: البحر. القذف: الاندفاع والسير! - هذا الجيش كبير جداً إلى حد أن الجبال ترى كأنها سفى عاتقة فيه.
- (٢) إن طحنت أرحاؤها (الرحى: حجر الطاحون): إذا بدأت المعركة. القطب: المحور القائم الثابت في الطبقة الأسفل من الرحى يدور عليه الطبقة الأعلى. القطب (ها) سد القوم. القائد. الحجى: العقل. ندب: ماض حازم في الأمور. عاقل. شائله: أخلاقه. صفاته (القياس: ندبة شائله - والتركيب هنا أعسر). العف: المغيف (عن الاعتداء).
- (٣) الأملاك جمع ملك (يفتح فكون): ملك (يفتح فكرر).
- (٤) أعول: رفع صوته بالبكاء. العبدان: العبيد. الأغلف: الذي لم يجتث (كتابة عن الإيسان النصارى. والعبدان كتابة عن المسلمين الذين كانوا في جيش ملك الإيسان من الثائرين).
- (٥) الحين (بالفتح): الموت. الجمل (بضم ففتح): دوبة سوداء كريمة الرائحة. للبمر: لإلقاء البمر (لإخراج القدر من الجسم). في وقف: في سطر أو صف واحد (٤).
- (٦) فولوا (هروا) على أعقاب (وراء ٢) مهزولة (خيل هزيلة، ضعيفة). كثف (جمع أكتشف: الحصان الذي له التواء في ذيله). والكثف لهُضاً: الذين لا سلاح معهم.
- (٧) المسمر (جمعها مساعر) والمسار (جمعها مساعير): الذي يوقد (يبدأ) الحرب، الشجاع. الموالى: الموالون (وهي أيضاً: المسلمون من غير العرب، في الأندلس). الشاهين: طائر قوي تصاد به الطيور. الفرونق (بضم الفين): طائر مائي جيل ضعيف. النسف: التبديد والتفريق (الإهلاك). جادت: تكرمت، أعطت (جاءت ٤).
- (٨) التثني (يكسر التاء) نوع من الزواحف (المقصود هنا: الحية العظيمة، الشجاع). صمم: اتجه إلى، سار، قصد. بنفسي (أفندي بنفسي). صفاً على صفّا (كتابة عن كثرة جيوش الأعداء).

يقول ابن يوليش لموسى وقد ونى: أرى الموت قُدّامى وتحتي ومن خلفي^(١).
 قَتَلْنَا لَهُمُ الْفَأَ وَالْفَأَ وَمِثْلَهَا وَالْفَأَ وَالْفَأَ بَعْدَ الْفَأِ إِلَى الْفِ،
 سَوَى مِنْ طَوَاهِ النَّهْرِ فِي مُسَلَّحِهِ فَأَغْرَقَ فِيهِ، أَوْ تَذَادُّاً مِنْ جُرْفٍ^(٢)

- كان محمود بن أبي جليل جواداً وعاملاً للأمير عبد الرحمن بن الحكم على
 كورة..... فاتفق أن عمِلَ قُبَّةَ أَدَمَ (خيمة كبيرة من جلد) ونصبها عند وادي
 (نهر) لَكُّهُ وأَدَبَ فيها مَأْدُبَةً دعا إليها أشراف الكورة. وبعد المأدبة غنى أحد بني
 زرياب:

ولو لم يَشْقِنِي الطاعنون لَشَاقَنِي حَتَامٌ تَدَاعَتْ فِي الدِّيَارِ وَفُوعُ^(٣)؛
 تَدَاعَيْنِ فَاسْتَبَكَيْنِ مَنْ كَانَ ذَا هَوَى: نَوَاحٍ مَا تَجْرِي لَهْنٌ دُمُوعِ.

فلما تقضى غنائه ابن زرياب مدَّ عباسُ يده إلى العود فأخذه وغنى البيتين ثم
 وصَلَهَا (بيتين) من عنده بديهة فقال:

شَدَدْتُ بِمَحْمُودٍ يَدَا حَيْنِ خَانَهَا زَمَانٌ لِأَسْبَابِ الرِّجَاءِ قَطُوعِ.
 بَنَى لِسَاعِ الْجُودِ وَالْمَجْدِ قُبَّةً إِلَيْهَا جَمِيعُ الْأُجُودِ رُكُوعِ.

- ولما ثار أهل طليطلة غزاهم الأمير محمد ثم احتال فهدم القنطرة (الجسر) الذي
 على نهرها (نهر تاجه) فقال عباس بن فرناس يسوع (يُبرر) هدمها:

أَضْحَكْتُ طَلِيطِلَةَ مُعْطَلَّةً مِنْ أَهْلِهَا فِي قَبْضَةِ الصُّغْرِ.
 تَرَكْتُ بِلَا أَهْلٍ تَوَهَّلَهَا مَهْجُورَةً الْأَكْنَابِ كَالْقَبْرِ.
 مَا كَانَ يُبْقِي اللَّهَ قَنْطَرَةً نَصِيتُ لِحَمَلِ كِتَابِ الْكُفْرِ!

(١) موسى بن موسى قائد في الثغور (شمال الأندلس). ابن يوليش (لعله القائد الإسباني). هذه المعركة
 كانت في أيام أزدون ابن أذفونش (ألفونس) صاحب (ملك) جيليقية (الجانب الشمالي الغربي من
 إسبانية). ونى: تم.

(٢) المسلح: الطريق الطويل الممتد (والمسلح المطر الكثير). تذاذاً: اضطرب في مشيه (سقط).
 الجرف: شق الوادي، صخر فوق هاوية.

(٣) شاقه الأمر: جعله يشاق إليه، يرغب فيه. تداعت الحمام: دعا بعضها بعضاً (صوتت إحداها
 فصوتت الثانية بعدها وثالثة إلخ).

- وقال يَصِفُ رَوْضَةً:

تَرى وَرْدَهَا وَالْأَقْحُونَ كَانَهُ بِهَا شَفَقَةٌ لِنَسَاءِ^(١) ضَاكِكُهَا ثَغْرُ.

٤ - * * الزبيدي ٢٩١ - ٢٩٢؛ المقتبس ١٢٤ - ١٢٥، ٢٢٧ - ٢٣٤ جذوة المقتبس ١٣٠٠ (الدار المصرية) ٣١٨ (رقم ٧٣١) بغية الملتبس ٤١٨؛ المغرب ١: ١٣٣٣ نفع الطيب ١: ١٦٢، ٣: ٣٧٤، ٣٧٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١١؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٧، (٣: ٢٦٤).

مُحَمَّدُ الْبَرِيدِيُّ

١ - هو أبو العباس محمد بن أحمد البريدي من أهل إفريقية (تونس)، جعله الأمير أبو إسحاق إبراهيم الثاني (٢٦١ - ٢٩٠ هـ) أحد بني الأغلب، كاتبة الخاص. ثم قُضِبَ عليه وسجنه. وكانت وفاته (أو مقتله في السجن، في الأغلب)، سنة ٢٧٦ (٨٨٩ م).

٢ - كان محمد البريدي من مشاهير كُتَّاب الدولة الأغلبية وأدبائها الطُرفاء، ناثراً ومُترسلاً وشاعراً. وأسلوبه في نثره وشعره سهل متين.

٣ - مختارات من آثاره

- كَتَبَ مُحَمَّدُ الْبَرِيدِيُّ مِنْ سِجْنِهِ إِلَى الْأَمِيرِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ يَسْتَعْفِفُهُ:

«أَعَزَّ اللَّهُ الْأَمِيرَ. مِنْ كَرَمِ الْعَفْوِ وَعُلُوِّ قَدْرِهِ وَجَلِيلِ خَطَرِهِ^(٢) أَنْ تَسْمَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ فَسَمَى نَفْسَهُ الْغَفُورَ الرَّحِيمَ. وَالطَّبِيعُ الْبَشَرِيُّ مُرَكَّبٌ عَلَى النِّقْصِ مَقْرُونٌ بِالزَّلَلِ، إِلَّا مَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ، وَأَوْدَعَهُ السَّادَاتِ وَالْأَمْرَاءَ، مِنْ طَهَارَةِ الْأَخْلَاقِ وَنَزَاهَةِ الْأَنْفُسِ. وَلَسْتُ - أَيَّدَ اللَّهُ الْأَمِيرَ - مِمَّنْ يَدَّعِي الْعِصْمَةَ وَالْبَرَاءَةَ مِنَ الْهَفْوَةِ.

(١) الورد: الزهر الأحمر. الأقحوان: زهر بثلاثة بيض ووسطه أصفر. اللصاء: السمراء (وكان العرب يسمون السمرة في الشتاء). ضاحكها ثغر (الصورة غير واضحة).

(٢) الخطر: المكانة الرفيعة والشرف (قيمة العفو وحسن الاتصاف به).

ولست أمت إليك^(١) إلا بفضلِكَ علي وإحسانِكَ إلي. ولا أعرفُكَ بل أذكُرُكَ أنَّ مَنْ غَرَسَ غَرْساً غَرَساً فَوَاجِبُ الْآلِ يَجْتَنُّهُ وَإِنْ أَبْطَأَ بُسُوقُهُ^(٢)، بل يَمُدُّهُ بِمَدِّ مَوَارِدِهِ الْعَذْبَةِ حَتَّى تَمْتَدَّ حَيْطَانُهُ^(٣) وَتُورِقَ أَغْصَانُهُ. أعاذُكَ اللهُ، بما أودعه (فيكَ) من معالي الأخلاقِ، مِنْ تَرْكِ الْعَفْوِ عَنْ مُقِرِّ مُعْتَرِفٍ لَا يَعْرِفُ إِلَّا فَضْلَكَ وَلَا يَرْجُو إِلَّا عَدْلَكَ...

- ودخل بعضهم على محمد البريدي في السجن وأخبره أن الأمير يريد قتله، فقال:

تَخَوُّقُنِي بِمَخْلُوقٍ ضَعِيفٍ يَهَابُ مِنَ النَّبِيَّةِ مَا أَهَابُ^(٤).
لَهُ أَجَلٌ، وَلِي أَجَلٌ. وَكُلُّ سَيَلُغٍ حَيْثُ بَلَغَهُ الْكِتَابُ^(٥).

٤ - * * * مجمل تاريخ الأدب التونسي ٦٥ - ٦٧.

بقي بن مخلد

هو أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد القرطبي، وُلِدَ في قرطبة في رَمَضانَ من سَنَةِ ٢٠١ (مطلع الربيع ٨١٧م) وَسَمِعَ من أبي عبد الله محمد بن عيسى المُعَاوَرِي القرطبي (ت ٢٢٢) ومن يحيى بن يحيى الليثي (ت ٢٣٨).

وَرَحَلَ بقي بن مخلد إلى المشرق مرتين مكث في الأولى منها أربعَ عَشْرَةَ سَنَةً وفي الثانية نحو عشرين عاماً؛ لَقِيَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ (ت ٢٤٠ هـ) وَصَحْبِهِ وَتَوَقَّعَتِ الصَّلَاةَ بَيْنَهُمَا. وَأَخَذَ أَيْضاً عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّافِعِيِّ (٢٣٧ هـ) وَعَنْ أَبِي الْمُنْصَبِ الزُّهْرِيِّ

(١) مَثَ رَجُلٍ إِلَى آخَرٍ: تَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِقَرَابَةِ بَيْنَهُمَا.

(٢) اجْتَنَّتِ النَّبَتَةُ: انْتَزَعَهَا مِنَ الْأَرْضِ بِمُجْذُورِهَا. أَبْطَأَ بَسُوقُهُ: تَأَخَّرَ نَوَّهٌ وَاسْتَقَامَهُ.

(٣) يَمُدُّهُ: يَزِيدُهُ، يَمِينُهُ. الْمَوَارِدُ: مَصَادِرُ الْمَاءِ. تَمْتَدُّ تَتَسَّعُ. الْحَائِطُ (هنا): الْبَسْتَانُ (مَجْمُوعُ الْأَغْرَاسِ) لِأَنَّ عَلَى الْبَسْتَانِ حَائِطاً (سُورَ).

(٤) يَهَابُ: يَخَافُ. النَّبِيَّةُ: الْمَوْتُ. - سَمِعْتُ يَوْمَ مَا كَمَا سَمِعْتُ أَنَا الْآنَ.

(٥) الْأَجَلُ: الزَّمَنُ الْمَعْيَنُ مِنَ الْحَيَاةِ. الْكِتَابُ (هنا): وَقْتُ نَزُولِ الْمَوْتِ (مَوْعِدُ اسْتِحْقَاقِ الدِّفْنِ).

(ت ٢٤٢ هـ) وغيرهما. ولقد أخذ عن جميع أصحاب المذاهب ولم يَقْصُرْ هَمَّهُ على الأخذِ عَمَّنْ كان يعتنق مذهبهم كما كان يفعل غيره.

إلى ذلك الحين كان الغالب على أهل الأندلس حفظ رأي الإمام مالك والاكتفاء بكتب الفروع (أبواب الفقه الجزئية: الصلاة - الزكاة - الحضانة - الشراكة، الخ)، فلما عاد بقي بن مخلدٍ من المشرق حاول أن يحمل الفقه في الأندلس على الاستناد في آرائهم وأحكامهم إلى القرآن والحديث فانتشر الحديث في الأندلس. وكذلك حاول أن ينشر في الأندلس مذهب الإمام الشافعي في أيام الأمير محمد (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ)، ولكنه لقي مقاومة من نفرٍ من خصومه أشهرهم ابن مرتيل (ت ٢٤٠ هـ) شيخ المالكية في عصره.

وكانت وفاة بقي بن مخلد في ٢٩ جُمادى الثانية من سنة ٢٧٦ (٢٩ / ١٠ / ٨٨٩ م).

كان بقي بن مخلدٍ من المفسرين للقرآن الكريم ومن حفاظ الحديث ومن أئمة الدين والفقه على المذهب الشافعي ومن الزهاد الصالحين.

ولابن بقي من الكتب: تفسير القرآن الذي فضله ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) على كل تفسير آخر، وعلى تفسير الطبري أيضاً، وله كتاب في الحديث «المصنف الكبير» فيه الأحاديث على أسماء الصحابة، ثم رتب الأحاديث المروية عن كل صحابي على أبواب الفقه، فهذا الكتاب مُسَنَّدٌ (منسوبة أحاديثه إلى رواتها) ثم مُصَنَّفٌ (مرتب على أبواب الفقه).

- تاريخ خليفة بن خياط برواية بقي بن مخلد (حققه سهيل زكار)، دمشق (منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي) ١٩٦٧ - ١٩٦٨ م.

★ ★ المقتبس ٢٦١ - ٢٦٥، ابن الفرضي ٩١ - ٩٣ (رقم ٢٨٣)، جذوة المقتبس ١٦٧ - ١٦٨ (الدار المصرية) ١٧٧ - ١٧٩ (رقم ٣٣١)؛ بغية الملتبس ٢٢٩ - ٢٣٢، الصلة لابن بشكوال ١٢١، معجم الأدباء ٧٥: ٧ - ٨٥، قضاة الأندلس ٦٣ - ٦٥، نفع الطبيب ٢: ٤٧، ٥١٨، ٥٢٠، دائرة المعارف الإسلامية ١: ٩٥٦ - ٩٥٧، بروكلمان ١٧٢، الملحق ١: ٢٧١، الأعلام للزركلي ٣: ٣٣ (٦٠).

عبد الجبار السرقى

١- هو عبد الجبار بن خالد بن عمران السرقى (وسرت مرقاً في أواسط ساحل ليبيا اليوم)، وُلِدَ سَنَةَ ١٩٤ (٨١٠ م) ولأزم سحنوناً (ت ٢٤٠) ما ترك مجلسَ علمٍ له لم يحضره. وكان صديقاً لحمد بن القطان^(١) وشريكاً يعمَلانِ في القُطْنِ معاً في سوق الأحَدِ ثم تقاطعا بسببِ كُتُبِ مُحَمَّدِ بْنِ مَهْدِيٍّ البكري^(٢): كان عبد الجبار يقرأها، وكان حمديس يريد أن يَصْرِفَهُ عن قِراءتها. وقد تقاطعا أربعاً وعشرين سَنَةً ولكن لم يَسِ أَحَدٌ منها إلى الآخرِ بفعلٍ أو بقولٍ. ولما مات عبد الجبار صَلَّى عليه حمديس. وجلسَ عبد الجبارِ للإفادةِ فَسَمِعَ منه جماعةٌ كثيرةٌ العددِ.

وكانت وفاة عبد الجبارِ في أولِ رَجَبٍ من سَنَةِ ٢٨١ (٧ / ٩ / ٨٩٤ م).

٢- كان عبد الجبار السرقى شيخاً صالحاً مُتَعَبِّداً يُضْرَبُ به المَثَلُ في الفضلِ والدين. وكان ذا فهمٍ لمعاني العِلْمِ، وله أقوالٌ كثيرةٌ تجري مجرى الحكمة.

٣- مختارات من أقواله

- من أقوال عبد الجبار السرقى (تراجم أغلبية ٢٩٨ - ٢٩٩):

مَنْ قَلَّ كلامُه قَلَّتْ آثامُه - الصومُ عن الكلامِ أثقلُ (على النفس) من الصومِ عن الطعامِ - من خلا برِّه لم يَعمِدِ النورَ من قلبه، ومن خلا بغيره لم يَعمِدِ الرِّيَاةَ في ذنبه - لولا الفضولُ لَصَفَّتِ العقولُ ولَأَصْبَحَ الجهولُ عندك (وهو) معقولٌ - مَنْ وَبَّخَكَ فقد نَفَعَكَ، ومن نفَعَكَ فقد رَفَعَكَ - كُنْتُ أخلو (بنفسي) لأعلمَ فِصْرَتُ أَخْلُو لأغْمِ - من كان بالليلِ نائماً وبالنهارِ هائماً فمَيَّ (يصبح غافلاً)؟^(٣). وقال (ص ١٢٨، ٣٣٧):

(١) حمديس القطان هو أحد بن محمد الأشعري (٢٣٠ - ٢٨٩ هـ) كان على مذهب الأشاعرة الذين يفضلون الرواية الدينية على التخريج العقلي (في مسائل الإيمان والعبادات).

(٢) يبدو أن محمد بن مهدي البكري كان من المعتزلة الذين يقدّمون العقل على الروايات الدينية. وكان سحنون (راجع، فوق، ص ١١٢) يقول: «ابن مهدي هذا ضالٌّ مضلٌّ» (تراجم أغلبية، ص ٢٩٦).

(٣) في الأصل: متى ينال النائم!

تَرَكَ الْحَرَامَ أَفْضَلَ مِنْ مَلَهُ الْأَرْضُ إِلَى عِنَانٍ^(١) السَّهْلَ ذَهَبًا وَفِضَّةً كُسِبَتْ (مِنْ وَجْهِهَا الشَّرْعِي) وَأُنْفِقَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يُرَادُ بِهَا إِلَّا وَجْهُهُ (وَجْهَ اللَّهِ).

٤- * * * تراجم أغلبية ٢٩٤-٢٩٩، الأعلام للزركلي ٤: ٤٨ (٣: ٢٧٤).

تَمَامُ بْنُ عَامِرٍ^(٢)

١- هو أَبُو غَالِبٍ تَمَامُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ غَالِبٍ بْنِ تَمَامٍ بْنِ عُلْقَمَةَ، وَلِدَ سَنَةَ ١٨٤ هـ (٨٠١ م). وَقَدْ وَلِيَ الْوِزَارَةَ لِلْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ (٢٣٨-٢٧٣ هـ) وَلَوْلَدِيهِ الْمُنْذِرُ وَعَبْدُ اللَّهِ (٢٧٥-٣٠٠ هـ). وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ ٢٨٣ (صَيْفِ ٨٩٦ م).

٢- كَانَ تَمَامُ بْنُ عَامِرٍ عَلَّامًا وَأَدِيبًا وَإِخْبَارِيًّا، كَمَا كَانَ شَاعِرًا مُكْثِرًا، وَلَهُ أَرْجُوزَةٌ فِي تَارِيخِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ وَقْتِ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ (ت ٢٣٨) قَلَّدَ فِيهَا أَرْجُوزَةَ بِحْمِيِّ بْنِ الْحَكَمِ الْغَزَالِ (رَاجِعْ، فَوْقَ، ص ١١٥). وَشِعْرُهُ سَهْلٌ عَذْبٌ وَأَغْرَاضُهُ الْمَدْحُ وَالْقَصَصُ وَالنَّسِيبُ وَالْمِجَازُ، وَلَهُ مَقْطُوعَةٌ فِي ذَمِّ الشُّطْرَنْجِ.

٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ

- كَانَتْ أُمُّ الْوَلِيدِ بْنِ خُلْفٍ بْنِ رُومَانَ (رُومَانَسُ) فَتَاةً بَارِعَةً فِي الْمَجَالِ سَبَاءَةً لِلْأَلْبَابِ نَضْرَانِيَّةً، رَأَاهَا تَمَامٌ فَهَامَ بِهَا وَتَزَوَّجَهَا، فَكَانَ أَنَسٌ يُلُومُونَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ:

(١) عِنَانُ (بِالْكَسْرِ) السَّمَاءُ: نَوَاحِيهَا وَ(بِالْفَتْحِ): مَا بَدَأَ لَكَ مِنْهَا.

(٢) هُنَاكَ ثَلَاثَةُ أَشْخَاصٍ بِاسْمِ تَمَامٍ بْنِ عُلْقَمَةَ: وَهَذَاكَ نَفَرٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ لِلْأَدَبِ يَخْلُطُونَ بَيْنَهُمْ. إِنَّ تَمَامَ بْنَ عُلْقَمَةَ هَذَا الَّذِي أوردَتْ تَرْجُمَتَهُ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٢٨٣ هـ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ تَمَامُ بْنُ عُلْقَمَةَ أَوْ

تَمَامًا الَّذِي كَانَ مِنْ أَنْصَارِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاحِلِ (ت ١٧٢ هـ)، كَمَا ذَكَرَ ابْنُ الْأَبَارِ فِي «الْحَلَّةِ

السَّيَاءِ» (١: ١٤٣)، فَإِنَّ النَّقِيبَ (الْمُنَاصِرَ) لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاحِلِ مَاتَ سَنَةَ ١٩٨ هـ (الْمَغْرِبُ ١: ٤٤).

وَبَرَدَ ذِكْرُ تَمَامٍ بْنِ عُلْقَمَةَ أَحَدِ كِبَارِ النُّقَبَاءِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاحِلِ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٣: ٣٢، ٤٥، ٤٦-٤٥ رَاجِعْ ابْنَ عِذَارِي ١: ٥٣، ٥٤). وَهَذَاكَ تَمَامُ بْنُ عُلْقَمَةَ (ت ٤٣٦ هـ)، وَسَأَتِي تَرْجُمَتَهُ.

(٣) قَبْلَ ١٩٤ أَوْ ١٩٧ (مَطْلَعُ الْقُرْنِ الثَّانِي لِلْمِيلَادِ).

يُكَلِّفُنِي الْعُذَّالُ صَبْرًا عَلَى الَّتِي أَبِي الصَّبْرُ عَنْهَا أَنْ يَجِلَّ مَحَلُّهَا (١).
 إِذَا مَا قَرَعْتُ النَّفْسَ يَوْمًا فَأَبْصُرْتُ سَبِيلَ الْهُدَى عَادَ الْهُوَى فَأَضَلَّهَا (٢).
 وَكَمْ مِنْ عَزِيمِ النَّفْسِ لَمْ يَلْقَ ذِلَّةً أَقَادَ الْهُوَى مِنْ نَفْسِهِ فَأَذَلَّهَا (٣).
 عَجِيزْتُ لِمَذُولٍ عَلَى حُبِّ نَفْسِي يُكَلِّفُهُ عُذَّالُهُ أَنْ يَمَلَّهَا (٤)!

٤- * * * المقتبس ١٧٩- ١٨٤: الحلة السراء ١٤٣: ١٤٤- ١٤٤: نفع الطيب ٣: ٣١، ٤٥،
 ٤٩، ٥٠، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٧٠٢، بروكلمان، الملحق ١: ١٤٨،
 الأعلام للزركلي ٢: ٦٩- ٧٠ (٨٦).

سعيد بن جودي

١- هُوَ سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ جُودِيٍّ السَّعْدِيُّ، كَانَ بَنُوياً خَانِصاً وَفَارِساً شُجَاعاً مِنْ
 نَسْلِ الطَّارِثِينَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ مَعَ جِيُوشِ الْفَتْحِ أَوْ مَعَ بُلُجٍّ بْنِ بَشْرِ الَّذِي جَاءَ بِجِيُوشِ
 مِنْ أَهْلِ الشَّامِ.

لَمَّا ثَارَ عُمَرُ بْنُ حَفْصُونَ - وَكَانَ مِنَ الْمُؤَلَّدِينَ وَمِنْ النَّبِينَ يَتَظَاهَرُونَ بِالْإِسْلَامِ - قَاتَلَهُ
 سَعِيدُ بْنُ جُودِيٍّ. غَيْرَ أَنَّ سَعِيداً أُسِرَ ثُمَّ خُلِّصَ مِنَ الْأَسْرِ، سَنَةَ ٢٧٦.

وَكَانَ سَعِيدٌ أَمِيرًا فِي كُورَةِ الْبَيْرَةِ (قُرْبَ غَرْنَاطَةِ)، فِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ (٢٧٥-
 ٣٠٠ هـ)، وَلَكِنَّهُ ثَارَ عَلَى الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ لَمَّا أَخَذَتْهُ الْعَصْبِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ (الْبَنُوِيَّةُ) عَلَى بَنِي
 مَرْوَانَ الْحَاكِمِينَ فِي قَرْطَبَةِ.

وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ جُودِيٍّ مُحِبًّا مُغَامِراً أَحَبَّ جَارِيَةً مُغْنِيَةً كَانَتْ لِلْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ
 (قَبْلَ أَنْ يَصِلَ الْأَمِيرُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى الْحُكْمِ) يُكْنَى عَنْهَا بِاسْمِ جَيْحَانَ، وَقَدْ تَتَمَّ بِهَا وَلَمْ

(١) العذال جمع عاذل: اللام (الذي يلوم الآخرين على الحب خاصة).

أَنْ يَجِلَّ الصَّبْرُ عَلَى الْمَهْجُورَةِ (أَنْ أَصْبَرَ عَنْهَا ثُمَّ أَسَاهَا).

(٢) - أَلُومُ نَفْسِي عَلَى أَنْتِي مَخْطِئِي، فِي حَتَّى لِأَمِّ الْوَلِيدِ هَذِهِ تَمْ يَغْلِبُنِي حَتَّى فَاسْتَمَرَ فِي حُبِّهَا.

(٣) - كَمْ مِنْ إِنْسَانٍ لَمْ يَذَلَّ فِي حَيَاتِهِ أَبَدًا وَلَكِنَّهُ أَحَبَّ بَارَادَتَهُ وَأَذَلَّ نَفْسَهُ لِلْمُحِبِّبِ.

(٤) - لَا يُمْكِنُ أَنْ أُنْسَى حُبَّ أُمِّ الْوَلِيدِ. إِنَّمَا مِثْلُ نَفْسِي. فَهَلْ رَأَيْتُ أَحَدًا يَسْمَعُ قَوْلَ الْآخَرِينَ وَيَكْرَهُ
 نَفْسَهُ.

يَسْتَطِيعُ الْوُصُولَ إِلَيْهَا فَاشْتَرَى جَارِيَةً وَسَمَّاها جَيْحَانٌ . غَيْرَ أَنَّ جَيْحَانَ الْجَدِيدَةَ لَمْ تُنْسِهَ
هَوَى جَيْحَانَ الْقَدِيمَةِ .

وَوَاعَدَ سَعِيدٌ امْرَأَةً عَلَى الْلقاءِ فَعَلِمَ زَوْجُهَا بِذَلِكَ فَدَبَّرَ مَقْتَلَ سَعِيدٍ ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ
سَنَةِ ٢٨٤ (آخِرَ عَامِ ٨٩٧ م) . وَقِيلَ كَانَ مَقْتَلُهُ بِعَامِلٍ سِيَاسِيٍّ لِكُرْهِهِ إِمَارَةَ بَنِي أُمَيَّةَ
فِي الْأَنْدَلُسِ . وَقَدْ رثاه الْمُقَدَّمُ بْنُ الْمَعافَى (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣ : ٥٣٨) .

٢- كَانَ فِي سَعِيدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ جُودِيٍّ «عَشْرُ خِصَالٍ تَفَرَّدَ بِهَا فِي زَمَانِهِ لَا يُدْفَعُ
عَنْهَا: الْجُودُ وَالشَّجَاعَةُ وَالْفُرُوسِيَّةُ وَالْجَمَالُ وَالشَّعْرُ وَالْخَطَابَةُ وَالشَّدَّةُ وَالطَّمَنُ وَالضَّرْبُ
وَالرَّمَايَةُ» . وَكَانَ أَدِيباً خَطِيباً وَشَاعِراً مُجِيداً أَكْثَرَ شِعْرِهِ الْحَمَاسَةَ وَالْفَزْلَ مَعَ شَيْءٍ مِنْ
الشَّكْوَى فِيهَا .

٣- الْمُخْتَارُ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُودِيٍّ يُظْهِرُ الْكُرَّةَ لِبَنِي أُمَيَّةَ ، مَخَاطَباً الْأَمِيرَ عَبْدَ اللَّهِ :

بِأَبْنِي مَرَوَانَ ، شُدُّوا فِي الْمَرْبِ نَجْمَ النَّائِرُ مِنْ وَادِي الْقَصَبِ
بِأَبْنِي مَرَوَانَ ، خَلُّوا مُلْكَنَا ، إِنَّمَا الْمُلْكُ لِأَبْنَاءِ الْعَرَبِ ^(١) !
قَرَّبُوا الْوَرْدَ الْمُحَلَّى بِالذَّهَبِ أَسْرِجُوهُ إِنَّ نَجْمِي قَدْ غَلَبَ ^(٢)
- وَقَالَ يَتَغَزَّلُ وَيَنْسِبُ بِجَيْحَانَ :

سَمِعِي أَبِي أَنْ يَكُونَ الرُّوحُ فِي بَدَنِي ، فَاغْتَاصَ قَلْبِي مِنْهُ لَوَعَةَ الْحَزَنِ .
أَعْطَيْتُ جَيْحَانَ رُوحِي عَنْ تَذَكُّرِهَا ، هَذَا ، وَلَمْ أَرَهَا يَوْمًا وَلَمْ تَرَنِي .
كَأَنِّي وَاسْمَهَا ، وَالذَّمُّ مُنْكَبٍ مِنْ مُقَلَّتِي ، رَاهِبٌ صَلَّى عَلَى وَتَنِي .

- وَقَالَ يَصِفُ مَيْلَهُ فِي الْحَيَاةِ وَالْحُبِّ :

لَا شَيْءَ أَمْلُحُ مِنْ سَائِي عَلَى عُنُقِي ^(٣) وَمِنْ مُنَاقَلَةٍ كَأَسَا عَلَى طَبَقِي ،

(١) الْعَرَبُ هُنَا بِمَعْنَى الْبَدُو .

(٢) الْوَرْدُ : الْحَصَانُ الْوَرْدُ (الْأَحْمَرُ) .

(٣) كُنَايَةٌ عَنِ اللَّهْوِ بِالنِّسَاءِ .

ومن مُواصلَةٍ من بَعْدِ مَقْبَلَةٍ، ومن مراسلةِ الأحبابِ بالحدائقِ.
جريتَ جَرَيَّ جَمُوحٍ في الصَّبَا طَلَقًا وما خرجتُ لَصَرْفِ الدَّهْرِ عن طَلْقِي^(١)؛
ولا أَتَنَنَيْتُ لداعي الموتِ يَوْمَ وَغَى كما اتَّخِيتُ وحبلُ الحبِّ في عُنُقِي^(٢)!

٤- * * جذوة المقتبس ٢١٣ (الدار المصرية) ٢٢٩ (رقم ٤٦٦)؛ بغية الملتبس ٢٩٤ (رقم ٧٩٥)؛ المغرب ٢: ١٠٥-١٠٦؛ الحلة السراء ١٥٤: ١-١٦٠؛ الأعلام للزركلي ١٤٨: ٣ (٩٥).

مَجْبِرُ بْنُ سُفْيَانَ

١ - هو مُجْبِرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سُفْيَانَ مِنَ الْأَسْرَةِ الْأَغْلَبِيَّةِ. تَوَلَّى عِدَّةَ مَقَاطَعَاتٍ فِي إِمَارَةِ بَنِي الْأَغْلَبِ. ثُمَّ وَلَّاهُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ الثَّانِي (٢٦١ - ٢٩٠ هـ) عَلَى جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةِ^(٣). فَلَمَّا كَانَ فِي الْبَحْرِ أَسْرَهُ الرُّومَ وَحَمَلُوهُ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فَاتَ فِيهَا أُسِيرًا.

٢ - لِمُجْبِرِ بْنِ سُفْيَانَ «رُومِيَّةٌ» (قَصِيدَةٌ قَالَهَا فِي أُسْرِهِ فِي بِلَادِ الرُّومِ) وَهِيَ طَوِيلَةٌ، تُذَكِّرُنَا بِقَصِيدَةِ أَبِي فِرَاسٍ الْحَمْدَانِيِّ (ت ٣٥٧): «أَرَاكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شَيْمَتَكَ الصَّبْرُ»، مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ مُجْبِرًا تُوُفِّيَ قَبْلَ أَبِي فِرَاسٍ بِنَحْوِ سَبْعِينَ سَنَةً! وَالْقَصِيدَةُ سَهْلَةٌ رَقِيقَةٌ.

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ.

قَالَ مُجْبِرُ بْنُ سُفْيَانَ فِي سِجْنِهِ فِي الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، مَا الَّذِي فَعَلَ الدَّهْرُ بِأَخْوَانِنَا، يَا قَيْرَوَانُ وَيَا قَصْرُ^(١)!
وَعَن، وَإِنْ طَحَطَحَتْنَا رَحَى النُّوَى فَلَمْ يَجْتَمِعْ شَمْلٌ لَدَيْنَا وَلَا وَفْرُ^(٢)!

- (١) الجموح: الحصان النشيط النافر. طلقاً الأول: حرّاً بلا قيد. طلق. الثانية: بشاشة الوجه.
- (٢) ما رجعت من المعركة مسروراً بسلامتي كما تعودت أن أرجع مسروراً من مغامرات الحب.
- (٣) صقلية أو صقلية جزيرة كبيرة عند الطرف الجنوبي من شبه جزيرة إيطاليا فتحها الأغلبية على يد أسد بن الفرات، سنة ٢١٦ للهجرة.
- (٤) القيروان عاصمة الأغلبية. القصر مدينة قديمة للأغلبية جنوب القيروان.
- (٥) طحطح الرجل الشيء: كسره وبذّده (فرقه). الرحي: الطاحون. النوى: البعاد (الغربة). الشمل: المجتمع. لم يجتمع شملهم: لم يلتقوا (ظلوا متفرقين في الأرض). الوفر: الفنى. - أنا في الأسر بعيد عن أهلي وفقير.

رَأَيْنَا وَجْهَ الدَّهْرِ وَهِيَ عَوَابِسُ بِأَعْيُنٍ خَطْبٍ فِي مَلَا حِظْهَا شَرُّ^(١) .
لَعَلَّ الَّذِي نَجَّى مِنَ الْجُبِّ يَوْسُفَا ، وَفَرَجَ عَنْ أَيُّوبَ إِذْ مَسَّهُ الضَّرُّ^(٢) ؛
وَخَلَصَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ نَارِ قَوْمِهِ ، وَأَعْلَى عَصَا مُوسَى فَنَدَلَ لَهُ السِّحْرُ^(٣) ،
يُصَبِّرُ أَهْلَ الْأَسْرِ فِي طَوْلِ أَسْرِهِمْ عَلَى مُفْضَلَاتِ الْأَسْرِ لَا سَلَمَ الْأَسْرِ^(٤) .

٤ - * * * مجمل تاريخ الأدب التونسي ٦٧ - ٦٨ .

أَبْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْحُشْنِيُّ

١ - هو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ زَيْدٍ (بغية الوعاة ٦٧) بن الحسن بن كليب (أو كلب) الحُشْنِيُّ من أَهْلِ كُورَةِ جَيَّانَ، وَلَدَ سَنَةَ ٢١٧ (٨٣٢ - ٨٣٣ م) .

انتقل ابنُ عَبْدِ السَّلَامِ الحُشْنِيُّ إِلَى قُرْطَبَةَ وَسَكَنَهَا وَأَخَذَ عَنْ ابْنِ أَبِي مِطْحَنَةَ (أبي مُحَمَّد عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّرِيحِيِّ الْمُرْسِيِّ . وَقَدْ رَحَلَ، قَبْلَ ٢٤٠ (٨٥٤ - ٨٥٥ م)، إِلَى الْمَشْرِقِ وَتَطَوَّفَ فِيهِ خَمْسًا وَعَشْرِينَ سَنَةً وَأَخَذَ عَنْ نَفَرٍ كَثِيرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، فِي مِصْرَ وَالْحِجَازِ وَفِي الْعِرَاقِ خَاصَّةً . ثُمَّ إِنَّهُ رَجَعَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَأَخَذَ عَنْهُ كَثِيرُونَ . وَأَرَادُوهُ أَنْ يَتَوَلَّى الْقَضِيَّةَ فَلَمْ يَقْبَلْ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ٢٦ مِنْ رَمَضَانَ ٢٨٦ (٨٩٩ / ١٠ / ٥ م) فِي قُرْطَبَةَ .

٢ - كَانَ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الحُشْنِيُّ عَالِمًا وَحَافِظًا لِلْحَدِيثِ فَصِيحَ اللِّسَانِ بَصِيرًا

-
- (١) الخطب: الأسر الشديد يكثر فيه التخاطب (الأخذ والرد). بأعين خطب: بحيرة (بعميون حائرة) ولكن في ملاحظتها (نظراتها) شرر (النظر بمؤخرة العين، من الغضب).
- (٢) الجب: البئر (كان أبناء يعقوب قد ألقوا - بفتح القاف - أخاهم يوسف في بئر أو حفرة عميقة على طريق مصر). الضر: سوء حال البدن (بالمرض الشديد).
- (٣) كان قوم إبراهيم الوثنيون قد أرادوا أن يجرقوه لأنه كان يدعوهم إلى التوحيد. ولما دعا فرعون من كان عنده من السحرة لمناظرة موسى تحدهاء بمضهم بالسحر. فألقى السحرة العصي والحبال وأوهماوا الناس بحرهم أنها حيات تتلوى. فألقى موسى عصاه فاخفت حيات السحرة.
- (٤) المضلة: المسألة لا يهتدي أحد إلى وجه حلها.

بكلام العرب. وقد أذخَلَ إلى الأندلس عِلماً كثيراً من الحديثِ واللغة ومن أشعارِ
الجاهليين. وله عددٌ من التأليف في شرح الحديث.

٣ - مختارات من شعره

- لما عادَ ابنُ عبدِ السلام الحُشني إلى الأندلس - بعدَ غيابِ خمسِ وعشرينَ سنةً -
بدا له كأنَّه لم يغبَ عن الأندلس قطُّ، فقال:

كأن لم يكن بيني ولم تَكُ فرقةٌ إذا كان من بعد الفراق تلاق^(١).
كأن لم تُورقْ بالعراقيين مُقلتي، ولم تُمر كُفُ الشوق ماءً مائي^(٢)،
ولم أُرِر الأعرابَ في حَبَتِ أرضهم بذات اللوى من رامةٍ وبراق^(٣)،
ولم أضطبح بالبيد من قهوة النوى بكأس سقانيها الفراقُ دهاق^(٤).
بلى، وكأنَّ الموتَ قد زارَ مضجعي فحوَّلَ مِنِّي النفسَ بين تراق^(٥).
أخي، إنَّما الدنيا محلَّةٌ فرقةٌ ودارُ غرورٍ آذنتُ بفراق.
تزوَّد، أخي، من قبل أن تسكنَ الثرى وتلتفَّ ساقٌ للنشورِ باق^(٦)!

٤ - * الزبيدي ١٢٩٠ ابن الغرضي ٢: ١٦ (الدار المصرية ٢: ١٤-١٥)؛ المقتبس
٢٥٠-٢٥٨ م، ٢٦٠، ٢٦٥؛ جذوة المقتبس ٦٣-٦٥ (الدار المصرية) ٦٨-٧٠.
(رقم ١٠٠)؛ بغية الملتبس ٩٢-٩٣ (رقم ٢٠٢)؛ بغية الوعاة ٦٧؛ نفع الطيب ٢:
٢٣٦، ٦٤٩؛ الأعلام للزركلي ٧: ٧٦-٧٧ (٢٠٥: ٦).

-
- (١) البين: الفراق، البعاد.
(٢) مرى يمرى: مسح وعصر (وحاول استخراج اللبن من الضرع). لم تجعلني أبكي المائق والمؤق: طرف
العين.
(٣) الحبت: الأرض الواسعة أو المنخفضة. ذات اللوى ورامة وبراق أساء لأماكن.
(٤) اضطبح: شرب الخمر صباحاً. القهوة: الحمر. النوى: البعاد. (فضيت في البادية وقتاً طويلاً بعيداً
عن أهلي). الدهاق: المترع: الملائن.
(٥) التراقي جمع ترقوة (في أعلى الصدر ترقوتان مشرقتان). بلغت الروح التراقي: أشرف صاحبها على
الموت.
(٦) الثرى: التراب. سكن الثرى: مات ودفن. التفت الساق بالساق: كتابة عن الازدحام حتى تشبك
أرجل نفر من الناس بأرجل نفر آخرين).

عيسى بن مسكين

١ - هو عيسى بن مسكين بن منصور بن خديج بن محمد الإفريقي، كان مَوْلده في قرية مَسْجِد عيسى قُرْب المُنَسْتِير (على الساحل الجنوبي الغربي من تونس) سنة ٢١٤ (٨٢٩م).

سَمِعَ عيسى بن مسكين في المغرب جميع كُتُب سَحْنُون من سَحْنُون (ت ٢٤٠) نفسه ومن ابنه مُحَمَّد بن سَحْنُون (ت ٢٥٦)، وسمِع في مِصْر من الحارث بن مسكين (ت ٢٥٠) ويونس بن عبد الأعلى الصدّقي (ت ٢٦٤) ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢٦٨) ومحمد بن إبراهيم بن زياد المَوَازِ (ت ٢٨١)، وسمِع في الشام من أبي جعفر الإيلي، كما سمع من نَفَرٍ آخَرِينَ.

وأراد إبراهيم بن أحمد بن الأغلب أن يُؤلِّيَ عيسى بن مسكين القضاء فأبى عيسى حتّى أجمعَ الناسُ على وجوب توليته. فهدّده إبراهيم بالعقاب إن لم يفعل فقبِلَ، بعد شروطٍ اشترطها منها: «أهلك» - في الحقّ - وبنو عمّك وجندك وفقراء الناس وأغنيائهم سواء. ولا توجّه ورائي، ولا أهنيء ولا أعزّي ولا أشيع ولا أتلقي. فمضى لم تقب لي بشرط (منها) عزّلت نفسي. فقبل إبراهيم منه ذلك ثمّ عرّضَ عليه الكُسوة والصيلّة (اللتين تُخلعان عادةً على القضاء) فلم يقبل عيسى ذلك. وكانت وفاة عيسى بن مسكين سنة ٢٩٥ (٩٠٧ - ٩٠٨م).

٢ - كان عيسى بن مسكين من أهل الفقه والورع ثقةً متفناً في العلوم من الحديث والفقه واللغة وغيرها، كما كان فصيحاً يُجيد الشعر.

٣ - مختارات من آثاره

- قال عيسى بن مسكين يصف نفسه في الشيخوخة:

لما كبرتُ أتّسّي كلُّ داهيةٍ، وكلُّ ما كان منّي زائداً نقصاً.
أصافحُ الأرضَ إن رُمْتُ القيامَ، وإن مَشَيْتُ تَصَحَّبَنِي ذاتُ اليمينِ عصاً!

- وكانت له أقوالٌ حكيمةٌ منها:

أَشْرَفُ الْفِتْنَى تَرْكُ الْمُنَى - فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمُ مَجَواهِرِ الرِّجَالِ - الْمَعَاشُ مُذَلٌّ
لَأَهْلِ الْعِلْمِ - قَارِبِ النَّاسِ فِي عُقُوبِهِمْ تَسَلُّمٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ - خَلُّوا لَهُمْ دُنْيَاهُمْ يُخْلُوا بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ آخِرَتِكُمْ.

٤- * * * تراجم أغلبية ٢٣٢-٢٥٣، ١١ الديباج المذهب ١٧٩-١٨١ عنوان الأريب
٢٤-٢٥.

مَهْرِيَّةُ الْأَغْلَبِيَّةِ

١ - هي الأميرة مَهْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَسَنِ بْنِ غَلْبُونِ التَّمِيمِيِّ مِنْ بَنِي الْأَغْلَبِ مُلُوكِ
الْقَيْرَوَانِ، نَشَأَتْ فِي مَدِينَةِ رَقَادَةَ فِي بَيْتِ مَجْدٍ وَشِعْرِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهَا فِي مَكَّةَ، سَنَةَ ٢٩٥
(٩٠٨ م).

٢ - مَهْرِيَّةُ الْأَغْلَبِيَّةُ أَدِيبَةٌ شَاعِرَةٌ مُجِيدَةٌ تَمِيلُ إِلَى التَّصَوُّفِ، لَهَا رِثَاءٌ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهَا

- قَالَتْ مَهْرِيَّةُ الْأَغْلَبِيَّةُ تَرثِي أَخَاهَا^(١) (وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنْ شِعْرِهَا إِلَّا هَذِهِ
الْقِطْعَةُ):

لَيْتَ شِعْرِي، مَا الَّذِي عَانَيْتُهُ بَعْدَ طَوْلِ الصَّوْمِ مَعَ نَفْيِ الْوَسَنِ^(٢):
مَعَ غُرُوبِ النَّفْسِ عَنْ أَوْطَانِهَا وَالتَّخَلِّيِ عَنْ حَبِيبِ وَسْكَنِ^(٣).
يَا شَقِيقُ، لَيْسَ فِي وَجْدٍ بِهِ غَلَّةٌ تَمْنَعُنِي مِنْ أَنْ أَجَنَ^(٤).

(١) هو أبو عقاب غلبون، كان في أوَّل حياته شاعراً ماجناً ثم تاب وأقبل على العلم فدرس الحديث وبرع
في الأدب. ثم إنَّه رحل إلى مَكَّةَ وجاور فيها فلحقَّت به أخته مَهْرِيَّةُ. وكانت وفاته في مَكَّةَ سنة
٢٩١ هـ (راجع الأعلام للزركلي ٥: ٣١٤).

(٢) ما الذي عَانَيْتُهُ... ما أكثر ما قاسَيْتُهُ في سلوك طريق التَّصَوُّفِ الصَّحِيحِ مِنْ كَثَرَةِ الصَّيَامِ وَقَلَّةِ
الْوَسَنِ (النَّوْمِ).

(٣) السَّكَنُ: الزَّوْجُ.

(٤) الْأَصُوبُ: يَا شَقِيقِي (لِسَلَامَةِ الْأَعْرَابِ مَعَ الْحَافِظَةِ عَلَى وَزْنِ الشَّعْرِ). أَجَنَ: أَصْبَحَ مَجْنُونَةً. الْمَقْصُودُ:
حَبِيبِي لَمْ يَجْعَلْنِي أَجَنَ (حَزَنًا عَلَيْهِ).

وكما تَبَلَّسَى وُجُوهُ فِي الثَّرَى، فكذا يَبْلَى عَلَيْهِنَ الْحَزَنُ^(١)!

٤ - * * معالم الإيمان ٢: ١٤٤ - ١٤٥، شهورات النساء ١٣٥، مجمل تاريخ الأدب التونسي ٦٤ المنتخب المدرسي ١٣٢، بساط العقيق (والكتب الأربعة الأخيرة لحسن حسي عبد الوهاب)، الأعلام للزركلي ٨: ٢٦٠ (٧: ٣١٥).

بكر بن حماد

١ - هو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سهر (أو سهل) بن اسماعيل الزناتي التاهري، وُلِدَ في تاهرت (الجزائر اليوم)، نحو سَنَةِ ٢٠٠ (٨١٥ - ٨١٦ م) ونشأ فيها. في سنة ٢١٧ انتقل بكر بن حماد إلى القيروان وقرأ فيها على عَوْنِ بن يوسف الخزاعي (ت ٢٣٩) وسمِعَ من سحنون (ت ٢٤٠)، ثم سار وشيكا إلى المشرق وقصد بغداد فأخذ عن نَقَرٍ من علمائها ولَقِيَ نفراً من أدبائها. ويبدو أنه تكسَّب في بغداد بالشعر.

وفي سَنَةِ ٢٧٤ (٨٨٧ م) نَجِدُ بكر بن حماد ثانية في القيروان يتصدَّرُ لتدريس العلم والأدب. ويبدو أن اهتمامه الأوَّل كان التَّكْسِبَ بالشعر: مَدَحَ الأمير إبراهيم بن أحد الأغلي (٢٦١ - ٢٩٨ هـ)، وكان طاعية سقاكا للدماء، ومَدَحَ أحد بن سُفيان بن سودة. وكان بكر بن حماد يتردَّدُ في أثناء ذلك على بلده تاهرت، وقد اشترك في الفتن التي نَشَبَتْ سَنَةَ ٢٨٢ (٨٩٥ م) على أبي يوسف بن محمد سادس الأئمة الرُّسَمِيِّين في دُوَيْلَةِ بني رُستَمَ في تاهرت.

وَوَشَّى بعضهم ببكر بن حماد إلى الأمير إبراهيم بن أحد، فغادر بكر القيروان راجعا إلى تاهرت - وكان معه ابنه عبد الرحمن - سَنَةَ ٢٩٥ (٩٠٧ م). وفي أثناء الطريق خَرَجَ عليه اللصوص، قُرِبَ قلعة ابن حمة (شمال تاهرت)، فقتل ابنه عبد الرحمن وجرح هو جراحاً أودت به بُعِيدَ ذلك في شَوَّالٍ من سَنَةِ ٢٩٦ (صيف ٩٠٩ م)، ودفن في داره في آرشقول بجوفي (جنوبي) مدينة تيهرت.

(١) ولكنَّ الحزن ينفضي مع مرور الأيام.

٢ - يبدو أن بكر بن حاد كان رجلاً متقلب الهوى مثل معظم الذين يتكسبون بالشعر: هجا عمران بن حطان الخارجي (ت ٨٤ هـ) لأن عمران كان قد أثنى على عبد الرحمن بن ملجم الذي قتل الإمام علياً، وهجا المعتصم العباسي وقال فيه « فليس له دينٌ وليس له لبٌّ » (عقل). ثم عاد فمدح المعتصم وحرّضه على دغيل الخزاعي الشيعي. وثار على الإمام الإباضي أبي حاتم يوسف بن محمد الرُستمي ثم عاد فاعتذر إليه.

وكان من المشتغلين بالحديث؛ ولكن شهرته إنّما هي في الشعر. وهو شاعرٌ مُجيدٌ متفنّن في أبواب الشعر متين السبك حسن الديباجة سهل التراكيب فصيح الألفاظ يُجيد في القصائد الطوال وفي المقطعات. وفنون شعره المديحُ والعتابُ والهجاء والرثاء والوصف والفزل والزهد.

٣ - مختارات من شعره

قال بكر بن حاد يعتذر إلى أبي حاتم يوسف بن محمد الرستمي عن اشتراكه في الفتنة التي ثارت على أبي حاتم:

ومؤنسة لي بالعراق تركتها	وعصنُ شبّابي في الفصون نصيرُ.
فقلت، كما قال النواصي قبلها:	(عزيزُ علينا أن نراك تسي) (١).
فقلت: جفاني يوسف بن محمد؛	فطال عليّ الليل وهو قصير (٢).
أبا حاتم، ما كان ما كان بفضة،	ولكن أنت بعد الأمور أمور (٣).
وأكرهني قومٌ خشيئت عقابهم	فداريتهم، والدائرات تدور (٤).
وأكرم عفو يؤثر الناس أمره	إذا ما عفا الإنسان هو قدير

(١) النواصي: أبو نواس الشاعر. الشطر المضمّن من قصيدة لأبي نواس يمدح بها الحبيب عامل مصر في أيام هرون الرشيد.

(٢) جفاني: مال عني، تركني، أهملني. طال عليّ الليل: أهمني، أحرزني.

(٣) ما الأولى حرف نفي، والثانية اسم موصول = لم يكن الذي كان (حدث). بفضة: كرها بك. أنت بعد الأمور أمور: تقلبت الأحوال كثيراً.

(٤) الدائرات تدور: الأحوال تتبدل (وتأتي بالمصائب).

- وقال في الغزل والنسيب:

خُلِقْنَ الغواني للرجالِ بِلَيْسَةٍ، فَهَنْ موالينا ونَحْنُ عبيدُها.
إذا ما أَرَدْنَا الوردَ في غيرِ حينِهِ أَتَنَّا به في كلِّ حينٍ خُبودُها.

- وقال يصف البرد في مدينة تاهرت:

ما أَخْشَنَ البردَ ورِيْعانَهُ وأطرفَ الشمسَ بتاهرتِ!
تبدو من الغيمِ إذا ما بَدَتْ كأنَّها تُنْشَرُ من ثَخْتِ^(١).
فنحن في بحرٍ بلا لُجَّةٍ تجري بنا الريح على السَمْتِ^(٢).
نفرحُ بالشمس إذا ما بَدَتْ كَفَرَحَةِ الذِّمِّيِّ بالسَّبْتِ^(٣).

- وقال يمدح أحد بن سفيان: (الحلّة السراء ١: ١٨٣):

وقائلي: زارَ الملوك فلم يُفِدْ؛ فيا ليتَه زارَ ابنَ سُفيانَ أحمدا^(١).
فنى يُنْخِطُ المالَ الذي هو ربُّه ويُرضي العوالي والحسامَ المَهْندًا^(٥).

- وقال يرثي ابنه عبد الرحمن:

وهوَنَ وَجَدِي أَنِّي بِكَ لاحِقٌ وأن بَقائي في الحياة قليلُ،
وأن ليس يبقَى للحبيبِ حبيبُهُ، وليسَ بباقي للخليل خليلُ.
ولو أن طولَ الحُزْنِ مَما يَرُدُّه لَلازمي حزن عليك طويل^(٦).

(١) التخت: صوان (صندوق) الثياب. - كأن الغم ثياب جديدة (تستخرج من صندوقها لأول مرة): تنشر في السماء.

(٢) حيناً يغطي الضباب تاهرت ويمعها نصبح كأننا في بحر هادئ (بلا أمواج) أو لا يفرق أحد فيه (بلا لجة: معطم الماء). تجري بنا الريح (كأننا تجري بنا الريح) على السمت: في خطٍّ مستقيم (سير دائماً في اتجاه واحد لا نستطيع أن نتَّجهَ ميئاً أو ياراً لأننا لا نرى حولنا شيئاً نقصده أو نهتدي به).

(٣) الذمي: غير المسلم إذا كان يعيش في الدولة الإسلامية (هنا: اليهودي).

(٤) لم يفد: لم يستفد، لم يحصل على فائدة.

(٥) ربّه = ربّ المال: صاحبه، مالكه. العوالي: الرماح (العالية نصل حديد في أعلى القناة أو القصبه، في أعلى الرمح). الحسام المَهْند: السيف المصنوع في الهند (السيف الجيّد، الذي ينتصر الحارب به).

(٦) مَما يَرُدُّه = يردّ الميت (يسكون الياء: الذي مات).

٤ - الدرّ الوقاد من شعر بكر بن حاد (تقديم وجمع وشرح محمد بن رمضان شادي) مستفام
بالجزائر (المطبعة العلوية) ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م.
* * * الحلة السراء ١: ١٧٣ - ١٧٤، ١٨٣، وفیات ابن قنفذ ٥٤، راجع فهارس * طبقات
علماء أفريقيا والمغرب ٤، ابن عذارى ١: ١٥٣ - ١٥٤، رياض النفوس ٢: ١٦ - ١٩،
معالم الايمان للدباغ ٢: ١٩٢، الأزهار الرياضية ٧٠ وما بعد، تاريخ الأدب الأندلسي
٧٢، تاريخ الجزائر العام ٢: ٣١، الطمار ٣٢ وما بعد، مجلة العربي، نيسان ٦٣ (ص
٧٨). الأعلام للزركلي ٢: ٣٧ (٦٣).

أبو اليسر الشيباني

هو أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني المعروف بالرياضي، كان مولده في بغداد
سنة ٢٠٠ (٨١٥ - ٨١٦ م) وسمع فيها الحديث والفقه والنحو. وقد لقي في بغداد
أيضاً نفراً كثيرين من أهل العلم والأدب منهم ابن قتيبة (ت ٣٢٢) وأبو تمام (ت ٢٣١)
ودعبل الخزاعي (ت ٢٤٦) وعلي بن الجهم (ت ٢٤٩) وسعيد بن حميد الكاتب (ت
٢٥٠) والمجاحظ (ت ٢٥٥) وسليمان بن وهب الكاتب (ت ٢٧٢) وأحمد بن أبي طاهر
طيفور المؤدب الكاتب (ت ٢٨٠) والبحري (ت ٢٨٤) ومحمد بن يزيد البرد (ت ٢٨٦)
وثعلب إمام الكوفيّين في النحو واللغة (ت ٢٩١).

وبعد أن تطوّف أبو اليسر في المشرق كثيراً انتقل إلى المغرب في أيام أمير
القيروان إبراهيم بن أحمد بن محمد الأغلب (٢٦١ - ٢٨٩ هـ) وكتب له. ثم كتب لابنه
أبي العباس عبد الله (٢٨٩ - ٢٩٠). وكان في أيام زيادة الله آخر الأمراء الأغالبة
(٢٩٠ - ٣٠٤ هـ) على بيت الحكمة. في هذه الأثناء كلّها كثر تطوّف أبي اليسر في
المغرب والأندلس. وقد كانت وفاته بالقيروان. سنة ٢٩٨ (٩١٠ - ٢٩٠ م)، وقد أسنّ
كثيراً.

كان أبو اليسر الشيباني جيل الخلق نزية النفس، عالماً أديباً شاعراً كاتباً ومترسلاً
بليغاً ومشاركاً في كثير من فنون العلم والأدب حسن الخط حسن التأليف، ألف من
الكتب: سراج الهدى (في القرآن ومشكله وإعراجه) - لقيط المرجان - المرصعة

- المَدْبَجَة - المُونَسَة - الوحيدة - قُطِب الأدب. وهو الذي أَدخل إلى أفريقية رَسَائِل المَحْدَثِينَ وَأَشْعَارَهُمْ وَطَرَاتِفَ أَخْبَارِهِمْ.

★ التكملة ١٧٣، نفع الطيب ٣: ١٣٤ - ١٣٥، الأعلام للزركلي ١: ٢٢ (٢٨).

مقدم بن معافى القبري

١ - هو مُقَدِّمُ بَنُ مُعَافَى القَبْرِيِّ، نَسَبُهُ إِلَى مَدِينَةِ قَبْرَةَ (وقبرَة كورة من أعمال قُرطبة قَصَبَتْهَا أَوْ عَاصِمَتُهَا قَبْرَةُ أَيْضاً). نَعْرِفُ مِنْ أَحْدَاثِ حَيَاتِهِ أَنَّهُ كَانَ شَاعِرَ بِلَاطِيٍّ فِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ). وَلَعَلَّ مَوْلَاهُ كَانَ سَنَةَ ٢٢٥ (٨٤٠ م). أَمَّا وَفَاتُهُ فَكَانَتْ فِي حُدُودِ سَنَةِ ٢٩٩ (٩١٢ م). وَلَعَلَّهُ كَانَ ضَرِيرًا^(١).

٢ - يَبْدُو أَنَّ مُقَدِّمَ بَنُ مُعَافَى كَانَ شَاعِرًا مَذَاحًا، اتَّصَلَ بِبِلَاطِيٍّ قُرطبة أَيَّامَ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ، كَمَا مَدَحَ سَعِيدَ بَنَ سُلَيْمَانَ بْنِ جُودِيٍّ (ت ٣٨٤ = ٩٩٤ م)، الَّذِي كَانَ فَارِسًا شَاعِرًا. وَكَذَلِكَ مَدَحَ سَعِيدَ بَنَ الْمُبَذَّرِ بْنِ سَعِيدِ الْبَلُّوطِيِّ. غَيْرَ أَنَّ أَهَمَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِمُخَصَّصَاتِ مُقَدِّمِ هَذَا أَنَّ مُؤَرِّخِي الْأَدَبِ يَنْسِبُونَ إِلَيْهِ اخْتِرَاعَ الْمَوْشَحِ^(٢). غَيْرَ أَنَّ مَوْشَحَاتِ مُقَدِّمِ لَمْ تَصِلْ إِلَيْنَا، وَلَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ شِعْرِهِ إِلَّا أَبْيَاتٌ يَسِيرَةٌ.

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ:

- قَالَ مُقَدِّمُ بَنُ مُعَافَى يَرِثِي سَعِيدَ بْنَ جُودِيٍّ (نفع الطيب ٣: ٥٣٨):

مَنْ ذَا الَّذِي يُطِيمُ أَوْ يَكُو	وَقَدْ حَوَى حِلْفَ التَّنْدِي رَمْسُ؟
لَا أَخْضَرَتِ الْأَرْضُ، وَلَا أَوْرَقَ الْ	حُودُ، وَلَا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ
بَعْدَ ابْنِ جُودِيٍّ الَّذِي لَنْ تَرَى	أَكْرَمَ مِنْهُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ.
دَمُوعُ عَيْنِي فِي سَبِيلِ الْأَمَى	عَلَى سَعِيدٍ أَبَدًا حُبْسُ.

(١) بروكلمان، الملحق ١: ٤٧٧.

(٢) راجع، تحت، الكلام على الموشح. ثم نفع الطيب ٧: ٥ - ٦ (عن مقدمة ابن خلدون) ينسب ابن بسام (الذخيرة) اختراع الموشح إلى رجل ضريب من قبيلة اسم محمد بن حمود أو محمود.

- وله قصيدة أوَّها :

أَشْجَيْتَ إِنْ طَرَبْتَ حَمَامَةً وَادِي مَيَّادَةً فِي نَاعِمِ مَيَّادٍ ؟
تَلَهُوْا وَمَا مُنِيتُ بِجَفْوَةِ زَيْنَبٍ يَوْمًا ، وَلَا بِجَيَالِهَا الْمُفْتَادِ .
لَا تَرَجُحْ - إِذْ سَلَبْتَ فُؤَادَكَ زَيْنَبَ - عَيْشًا ؛ فَمَا عَيْشٌ بِغَيْرِ فُؤَادٍ !

- قِيلَ لِمُقَدِّمِ بْنِ مُعَاوِيٍّ : أَتَرْتَنِي سَعِيدَ بْنَ جُودِيٍّ وَقَدْ ضَرَبَكَ ؟ فَقَالَ :

وَاللَّهِ ، إِنَّهُ نَفَعَنِي حَتَّى بَذَنِيهِ . وَلَقَدْ نَهَانِي ذَلِكَ الْأَدَبُ (القصاص ، العقاب) عَنْ
مَضَارٍّ جَدَّةٍ كُنْتُ أَقَعُ فِيهَا عَلَى رَأْسِي ، أَفَلَا أُرْعَى لَهُ ذَلِكَ ؟ وَاللَّهِ ، مَا ضَرَبَنِي إِلَّا وَأَنَا
ظَالِمٌ لَهُ ، أَفَأَنْبَى عَلَى ظُلْمِي لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ ؟

وَقِيلَ لَهُ : لِمَ لَا تَهْجُو مُؤْمِنَ بْنَ سَعِيدٍ ؟ فَقَالَ :

لَا أَهْجُو مَنْ لَوْ هَجَا النُّجُومَ مَا اهْتَدَى أَحَدٌ بِهَا !

٤ - * * * الحلة السرياء ١ : ١٥٦ ، جذوة المقتبس ٣٣٣ ، بغية الملتبس ٣٦٠ - ٣٦١ (رقم
١٣٨٦) ، نفع الطيب ٣ : ٥٣٨ ، ٧ : ٦ .

الأمير عبد الله بن محمد

هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، واسم أمه بهار . كان مولده
في نصف ربيع الآخر من سنة ٢٢٩ (١٢ / ١١ / ٨٤٣ م) .

بُويعَ عبد الله في نصف صفر من سنة ٢٧٥ (٢٩ / ٤ / ٨٨٨ م) ، والأندلس في
أحلك أيامها لكثرة الفتن ، فلقد بلغت فتنة ابن حفصون في عهده ذروة اشتدادها .
وكان أنصار ابن حفصون يصلون في غاراتهم إلى أخواز قرطبة . وكذلك استبد بنو
حجاج وبنو خلدون بـينطقي إشبيلية وقرمونة كما استبد آل نجيب بـسرقسطة وما
حولها (في الشمال) وبنو ذي النون بطليطلة .

وفي أيامه نبعت الدولة الفاطمية في القيروان ، وكانت دولة منوثة للأمويين في
الأندلس .

وَكثُرَتْ غَارَاتُ الإِسْبَانِ عَلَى أَطْرَافِ الْبِلَادِ فَقَامَ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ بِغَزَوَاتٍ كَثِيرَةٍ إِلَى بِلَادِ الإِسْبَانِ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْغَزَوَاتُ كَانَتْ ضَعِيفَةً الْآثَرِ.

وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيَهِ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ فَسَادُ قُلُوبِ إِخْوَتِهِ وَأَبْنَائِهِ عَلَيْهِ حَتَّى بَلَغَتْ الْجُرْأَةُ بِهِمْ إِلَى أَنْ تَأْمُرُوا عَلَيْهِ. فَلَمَّا عَرَفَ ذَلِكَ قَتَلَ نَفَرًا مِنْهُمْ. ثُمَّ لَمْ يَجِدِ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ أَحَدًا مِنْ إِخْوَتِهِ وَأَبْنَائِهِ الْبَاقِينَ يَصْلُحُ لِلْإِمَارَةِ فَبَايَعَ بِالْإِمَارَةِ الْحَفِيدَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَقْتُولِ (الَّذِي أَصْبَحَ الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِر).

وَكَانَتْ وَفَاةُ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ فِي مُسْتَهْلِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٣٠٠ (١٦ / ١٠ / ٩١٢ م).

٢ - كَانَ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ شَاعِرًا مَطْبُوعًا لَهُ أَشْعَارٌ حِسَانٌ فِي الْغَزَلِ وَالزُّهْدِ وَشِيءٍ مِنَ التَّوْقِيعِ وَالرِّسَالِ.

٣ - الْمُخْتَارُ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي صَبَاهِ يَتَغَزَّلُ:

وَيْلِي عَلَى شَادِنٍ كَحِيلٍ فِي مِثْلِهِ يُخْلَعُ الْعِذَارُ^(١).
كَأَنَّمَا وَجَنْتُ سَاهُ وَرَدُّ خَالَطَهُ النَّوْرُ وَالْبَهْسَارُ^(٢).
قَضِيبُ بَانٍ إِذَا تَنَنَّى يُدِيرُ طَرْفًا بِهِ أَحْوَارُ^(٣).
فَصَفَوْ وَدِّي عَلَيْهِ وَقَفَّ مَا أَطْرَدَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ^(٤).

- وَقَالَ فِي الْغَزَلِ أَيْضًا:

يَا مُهْجَةَ الْمُشْتَاقِ، مَا أَوْجَعَكَ! وَيَا أَسِيرَ الْحُبِّ، مَا أَخْشَعَكَ^(٥)!

(١) الشادن: الغزال الصغير. الكحيل: الذي تكثف رموش عينيه فتبدو أطراف جفونه سوداء.

(٢) النور (يفتح النون) الزهر الأبيض. النهار: الزهر الأصفر.

(٣) البان شجر أغصانه شديدة الاستقامة والطول. تننى: غابِل. الأحوار أو الحور أن يكون بياض العين شديد البياض وسوادها شديد السواد.

(٤) أطرد: تناهى واستمر.

(٥) المهجة: دم القلب، القلب. ما أخشعك: ما أكثر خضوعك وطاعتك للمحبوب.

ويا رسولَ المينِ من لَحْظِهَا بالردِّ والتبليغِ ما أَسْرَعَكَ:
تَذَهَّبُ بالسُّرِّ وتَأْتِي به في مجلسٍ يَخْفَى على مَنْ مَعَكَ
كَمْ حَاجَةً أَنْجَزَتْ إِبْرَازَهَا! تَبَارَكَ الرَّحْمَنُ، مَا أَطْوَعَكَ!
- وله في الزهد:

يَا مَنْ يُرَوِّغُهُ الْأَجَلَ، حَتَّى مَ يُلْهِيكَ الْأَمَلَ^(١)؟
حَتَّى مَ لَا تَخْشَى الرَّدَى وَكَأَنَّهُ بِكَ قَدْ نَزَلَ^(٢)؟
أَغْفَلْتَ عَنْ طَلَبِ النِّجَاةِ، وَلَا نَجَاةَ لِمَنْ غَفَلَ؟
هِيَمَاتٍ تَشْغُلُكَ الْمُنَى، وَلَمْ يَدُومَ بِكَ الشُّغْلُ^(٣)؟
فَكُلَّ يَوْمٍ لَمْ يَكُنْ، وَكَأَنَّ نَعْيِكَ لَمْ يَزَلْ^(٤).

- وأذنب بعضُ موالِي الأميرِ عبدِ الله يوماً فقال له الأميرُ عبدُ الله (ابن عذارى
١٥٤: ٢): إِنَّ مَخَايِلَ الْأُمُورِ لَتَدُلُّ عَلَى خِلَافِ قَوْلِكَ وَتُنْبِئُ عَنْ بَاطِلِ تَنْصَلُّكَ^(٥).
ولو أَفْرَزْتَ بِذَنْبِكَ وَاسْتَغْفَرْتَ لَجُزْمِكَ لَكَانَ أَجَلُكَ بِكَ وَأَسَدَلُ لِسَرِّ الْعَفْوِ
عَلَيْكَ^(٦).

فقال له المذنبُ: قدِ اشتمَلَ الذَّنْبُ عَلَيَّ وَحَاقَ الْخَطَأُ بِي^(٧). وَإِنِّي أَنَا بَشَرٌ، وَمَا
يَقُومُ لِي عُذْرٌ.

فردَّ عليه الأميرُ عبدُ الله: مَهْلًا عَلَيْكَ، رُوَيْدًا بِكَ. تَقَدَّمْتَ لَكَ خِدْمَةٌ وَتَأَخَّرْتَ
لَكَ تَوْبَةٌ، وَمَا لِلذَّنْبِ بَيْنَهَا مَدْخَلٌ. وَقَدْ وَسَّعَكَ الْغُفْرَانُ^(٨).

(١) راوغه: داووه، يبدو مبتعداً عنك، يقترب وبالعكس.

(٢) الردى: الموت. وكأنه قد نزل: سينزل عمّا قريب جداً.

(٣) إنَّ الأماشي الكاذبة تنسك الموت، فلماذا يدوم اشتغالك بالأماشي الكاذبة؟ الشغل (يفتح ففتح أو يضم
ضم).

(٤) كأنَّ اليوم الذي أنت فيه (أنت حيّ فيه) لم يأت، وكأنَّكَ لا تزال مهتداً بالموت.

(٥) مخايل (جمع مخيلة بفتح الميم وكسر الحاء): دلائل، علامات. تنصل من الذنب: أظهر أنه بريء منه.

(٦) الجزم: الذنب الكبير. أجل بك: أبقى بك وأحسن لك. أسدل (فعل تفضيل) (٧) حاق: أحاط (٨)

تقدّمت لك خدمة (اهتم بأمورنا) وتأخّرت لك توبة (لقد تبت أخيراً): قد وسّعتك الغفران: غفرنا لك!

- وأُملي الأميرُ عبدُ الله (على بعضِ كُتَّابه) كتاباً إلى بعضِ عُمَّاله:

أما بعدُ، فلو كان نَظَرُكَ فيما خَصَصْنَاكَ بهِ واهْتَبَأُكَ بهِ على حَسَبِ مُوَاتَرَتِكَ^(١) بالْكُتُبِ واشتغالِكَ بذلك عن مُهمِّ أَمْرِكَ لَكُنْتُ من أحسنِ رِجالِنَا عِنةً^(٢) وأَتَمَّهُمْ نظراً وأَفْضَلِهِمْ حَزْماً. فَأَقْلَلْ من الكُتُبِ فيما لا وَجْهَ له ولا نَفْعَ فيه، وَأَصْرَفْ هِمَّتَكَ وَفِكْرَتَكَ وَعِنايَتَكَ إلى ما يَبْدُو فيه أَكْنَفَاؤُكَ وَيَظْهَرُ فيه غَنَاؤُكَ^(٣)، إِنْ شَاءَ اللهُ.

٤ - * * * المقتبس ١٩٥ - ١٢٠٠: الحلة السراء ١: ١٢٠ - ١٢٤: البيان المغرب ٢: ١١٥٢
نفع الطيب ١: ٣٥٢ - ٣٥٣ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٤٩ نيكل
٢١ - ٢٢: الأعلام للزركلي ٤: ٢٦٢ (١١٩).

مُحَمَّدُ بنُ عاصِمِ النَحْوِيِّ

هو أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ عاصِمٍ^(١) (وقيل مُحَمَّدُ بنُ موسى بنِ هاشم بنِ يزيد) القُرْطُبِيُّ النَحْوِيُّ المعروفُ بِاسْمِ الْأَقْثَنِينِ (أَوْغُسْطِينِ)، مولى الأميرِ المنذرِ بنِ مُحَمَّدٍ (ولمَّله دخل الإسلامَ على يَدَيْهِ).

رَحَلَ مُحَمَّدُ بنُ عاصِمٍ إلى المشرقِ وزارَ الشَّامَ والعِراقَ وأخذَ عن نَفَرٍ من عُلَمَائِهَا، وَأَنْتَسَخَ «الْكِتَابَ» (كِتَابَ سِيَبَوَيْهِ، في النحو) من نُسخةٍ سِيَبَوَيْهِ نَفْسِهَا وأخذَ الْكِتَابَ بِالرِّوَايَةِ عن سِيَبَوَيْهِ نَفْسَهُ. وَهُوَ نَحْوِيٌّ مشهورٌ لم يُقْصَرْ في علمِ النحوِ عن أصحابِ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ الْمُبَرِّدِ^(٢). ثُمَّ هُوَ مُصَنِّفٌ له: طَبَقَاتُ الْكِتَابِ بِالْأَنْدَلُسِ - شَوَاهِدُ الْحُكْمِ - الْمَوْفُوقُ - الرَّائِقُ - فُضَائِلُ الْمُسْتَبَصِرَةِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٣٠٧ (مطلع ٩٢٠ م).

(١) لو كان اهتمامك بما جعلنا الأمر فيه لك وحدك واهتباك (إسراعك) في تنفيذه على حسب (عقدار) مواترتك (متابعتك، مولاتك، إكثارك) من الكتب (الرسائل إلينا).....

(٢) العناية (بالعين المهملة): تمب، اهتمام.

(٣) الفناء (بفتح الفين): النفع.

(٤) راجع نفع الطيب ٣: ١٧٤ - ١٧٥.

(٥) راجع تاريخ الأدب العربي للمؤلف ٢: ٣٥٤

★★ الزبيدي ٣٠٥: ابن الفرضي ٣١٠:٢ جذوة المقتبس ٧٤، ٨٢ (الدار المصرية) ٧٩ - ٨٠ -
(رقم ١٢٢)؛ بغية الملتصق ١١٦:١٠٧ (رقم ٢٤٣، ٢٦٨)؛ إنباه الرواة ٣: ٢١٦؛ الوافي
بالوفيات ٩٠:٥ - ٩١؛ بغية الوعاة ١٠٨ - ١٠٩.

عبد الله المكفوف النحوي

هو أبو محمد عبد الله بن محمد (وقيل: محمود) النحوي القيرواني من أهل سرت أدرك أبا الوليد عبد الملك بن قطن المهري (ت ٢٥٦ هـ) وأخذ عنه. ثم صحب حمدوناً النحوي (أبا عبد الله محمد بن إسماعيل) القيرواني المغربي الإفريقي المعروف بالنخعة (يبدو أن وفاته كانت بعد سنة ٢٠٠ بأمد). ثم عظمت مكانة عبد الله المكفوف فقصده الطلاب من أنحله إفريقية (نونس) ومن المغرب. وكانت وفاته سنة ٣٠٨ (٩٢٠ - ٩٢١ م).

كان عبد الله المكفوف قويّ الذاكرة جداً عالماً بغريب اللغة وبالنحو والشعر وأخبار العرب. وله كتاب «العروض» (وهو من أفضل ما وضع في هذا الفن) ثم كتاب آخر في «صفة أبي زيد الطائي» (ت ٦٢ هـ). وله أيضاً أشعار قصائد وأراجيز.

★★ الزبيدي ٢٥٧ - ٢٥٩ نكت الحميان ١٨٤ - ١٨٥ إنباه الرواة ٢: ١٤٧ - ١٤٩؛ بغية الوعاة ٢٩٠؛ البلغة في تاريخ أئمة اللغة ١١٢ - ١١٣.

أحمد بن إبراهيم اللؤلؤي

١ - هو أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن أبي عاصم اللؤلؤي، ولد في القيروان، سنة ٢٧٢ (٨٨٥ - ٨٨٦ م). وكان اللؤلؤي كثير الملازمة لأبي محمد المكفوف النحوي (ت ٣٠٨) كثير الأخذ عنه. مات كهلاً سنة ٣١٨ (٩٣٠ م).

٢ - كان اللؤلؤي من نخبة القيروان ومن العلماء النقّاد في اللغة والنحو والحفظ والمقدرة في شرح دواوين العرب. وكان شاعراً مجيداً سهل القول للشعر كثير الطبع على أشعار القدماء. ولم يدخ أحداً تكسباً، إذ كان أبوه مؤسراً (الوافي

بالوفيات ٦: ١٩٨). ثم إنّه، في آخر عمره، ترك الشعر وتوفّر على الحديث والفنّه. وكان مؤلفاً له كتاب الضاد والطاء.

٣- مختارات من شعره:

- قال أحمد بن إبراهيم اللؤلؤي في النسيب، وعلى شعره هذا نفحة من نفس أمرى القيس:

أيا طلل الحَيِّ الذي تحمّلوا بوادي القضا، كيف الأجيّة والحال؟
وكيف قضيبُ البانِ والقمرُ الذي بوجنته ماء الملاحه سيال؟
كأن لم تدُرْ ما بيننا ذهبيّة عبيريّة الأنفاس عذراء سلسال؟
ولم أتوسّد ناعماً بطن كُفّه ولم يحو جسمينا مع الليل سربال؟
فبانّت به عني- ولم أذر- بفتّة طوارق هذا البين، والبين قتال؟
فلما استقلت طعنهم وحُدوجهم دَعَوْتُ، ودَمَعُ العين في الحَدَّ هَطال؟
سُفِيتُ نجيع السّم إن كان ذا الذي تحدّثه الواشون عني كما قالوا؟
- وله من النسيب الرقيق أيضاً:

لا تقتُل الصبَّ فما حلَّ لك، يا مالكا أسرف في ما ملك!

٤- * الزبيدي ٢٦٥-٢٦٦؛ إنباه الرواة ١: ٢٧-٢٨؛ الوافي بالوفيات ٦: ١٩٩؛
معجم الأدباء ٢: ٢١٨-٢٢٤؛ بغية الوعاة ١: ١٢٧؛ الأعلام للزركلي ١: ٨١ (٨٥).

- (١) الطلل: أثر الخيمة بعد تقويضها. تحمّلوا: رحلوا. وادي القضا في الحجاز (وهو يستعمل رمزاً عن سكن الأجيّة).
- (٢) قضيب البان: كتابة عن القامة الرشيقة (المرأة الجميلة). وفي رواية: يحتال مكان سيال.
- (٣) ذهبيّة: خرّ. عبيريّة: طيّبة الرائحة. عذراء (من وعاء للخمر فتح لأول مرّة). سلسل وسلسال: ماردة سلة الجمرى في الحلق.
- (٤) سربال: كساء طويل (جسمنا الليل في لباس واحد: قريباً بعضنا من بعض).
- (٥) بان: ابتعد. البين: البعاد. الطارقة: الحادث المفاجيء.
- (٦) الطعن: الحمولة (الثاقّة) تسافر عليها امرأة. الحدج: (شبه بيت تحمله الإبل. استقلّ الطعن: رحلوا).
- (٧) في الأصل: نجيع (دم) وهو خطأ. اقرأ: نقيع (ناقع، منقوع) مركز، شديد (سمّ قاتل بسرعة) وفي الوافي بالوفيات ٦: ١٩٩).

حرمّت مناي منك إن كان ذا الذي تقولكـــــــــــــــــه الواشون عني كما قالوا.

هذا البيت الأخير تضمين للقاضي عبد الله بن محمد الملنجي ابن أخت علويّه.

أبو الأصبع موسى بن محمد

١- هو أبو الأصبع موسى بن محمد بن سعيد بن موسى، لعل مولده كان نحو سنة ٢٥٠ (٨٦٤م). تولى أبو الأصبع خطه القطع (جباية الأموال من المقاطعات التي يستبد بها نفر متنفذون أو ثائرون) للأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ) ثم تقلب في عدد من المناصب. ولما جاء الأمير عبد الرحمن بن محمد إلى العرش جعل أبا الأصبع وزيراً له. ثم ولّاه الحجابة، سنة ٣٠٩ (٩٢١م).

وكانت وفاة أبي الأصبع موسى بن محمد في منتصف صفر من سنة ٣٢٠ (٩٣٢/٣/٢٦م).
٢- أبو الأصبع موسى بن محمد من أهل العلم والأدب والشعر، يقول الشعر رويةً وبديهةً. وكان حسن التحديث في الجدد والمزحل. وشعره كثير المعاني سهل عذب. وأبرز فنونه الأدب والوصف.
٣- مختارات من آثاره:

- جرى ذكر الشيب وذمه في مجلس للأمير عبد الله - وكان يكره الشيب - فسأل عن أحسن ما يُروى في هذا الباب، فقال له أبو الأصبع: أحسن ما قيل فيه عندي - في رأيي - قول الأول [أي قول شاعر قديم]:

أقول لضيف الشيب، إذ حل مفريقي: نصيبك مني جفوة وقطوب.
حرام علينا أن نتالك عندنا كرامة بر أو يمسك طيب!

فاستحسن الأمير عبد الله اليتيم وأمر أبا الأصبع أن يزيد فيها. فزاد عليها أبو الأصبع في المجلس نفسه أبياتاً هي:

فيا شر ضيف حل لي؛ وحلوله يُخبرني أن المات قريب،
وأن جديدي كل يوم إلى بلى وأنّي من ثوب الشباب سلب^(١).
فما طيب عيش المرء إلا شبابه؛ وليس إذا ما بان عنه نطيب.
سأقربك، يا ضيف المشيب، قري القلى فما لك عندي في سواه نصيب^(٢).

(١) البلى: النهوض، الغناء. سلب: سلب. ثوب سلب (ثوب خلع صاحبه عنه).

(٢) القري (بكر الفاء): الضيافة. القلى: البعض. سأقربك (سأطعمك) قري القلى: لن أكرمك.

وأبكي على ما قد مضى من شيبتي بكاءً مُحِبًّا قد جفاه حبيب.

٤ - * * الحلة السراء ٢٣٣: ١ - ٢٣٧.

يزيدُ الفصيح

١- هو أبو خالد يزيدُ بنُ طَلْحَةَ العَبْسِيُّ المعروفُ بالفصيح من أهلِ إشبيلية، أخذَ عن الخنصِبِ الكَلْبِيِّ اللُّغَوِيِّ وعن مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّلامِ الحَنْتِيِّ (ت ٢٨٦) ومُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْغَازِي (ت ٢٩٦). وزادَ الفَرَضِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحَدَ العُتْبِيِّ ومُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَرْزِينَ (رقم ١٦٠٨)؛ وذلك مُتَّبَعًا لِأَنَّ العُتْبِيَّ تُوُفِّيَ سَنَةَ ٢٥٥.

وكانَ ليزيدَ الفصيحِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حِجَّاجِ اللَّخْمِيِّ المُسْتَبِدِّ بِحُكْمِ إشبيلية وَقَرْمُونَةَ صِلَةً شَخْصِيَّةً (راجع الزبيدي ٢٩٤) ثمَّ صِلَةً رَسْمِيَّةً فِي الْأَغْلِبِ حَتَّى يَكْتَبَ كِتَابًا إِلَى أَهْلِ قَرْمُونَةَ (أَوْ قَرْمُونِيَّة) يَحْضُهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ لِسُلْطَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحِجَّاجِ. وكانتْ وَفَاةُ يَزِيدَ الفصيحِ سَنَةَ ٣٢٠ (٩٣٢م).

٢- كانَ يَزِيدُ الفصيحُ بارعًا فِي اللُّغَةِ والنحو والفقه ومشهورًا بالفصاحة والبلاغة والخطابة. وله نثرٌ وشعرٌ من الشعر.

٣- مختارات من آثاره

- قال يَزِيدُ بنُ طَلْحَةَ العَبْسِيُّ الفصيحُ:

إِنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ مِنْ جِهَةِ الْمَغَالِبَةِ، وَلَكِنْ مِنْ جِهَةِ الْإِنْصَافِ وَالْحَقِيقَةِ.

- وكتبَ إِلَى أَهْلِ قَرْمُونَةَ (على لسانِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حِجَّاجٍ!) يَحْضُهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ:

إِنَّ أَحَقَّ مَا رَجَعَ إِلَيْهِ الْغَالُونَ وَلَحِقَ بِهِ التَّالُونَ، وَأَثَرُهُ الْمُؤْمِنُونَ وَتَعَاظَاهُ^(١) بَيْنَهُمُ الْمُسْلِمُونَ- مِمَّا سَلَّ وَسَرَّ وَنَفَعَ وَضَرَّ- مَا أَصْبَحَ بِهِ الشَّمْلُ مُلْتَمِسًا وَالْأَمْرُ مُنْتَظِمًا، وَالسِّيفُ

(١) الغالون: المغالون، المتطرفون؛ والأغلب أن معناها هنا: السابقون (الذين قبلنا). التالون: الذين يأتون بعد غيرهم. أثره: فضله. تعاطاه المسلمون: تعاملوا به فيما بينهم.

مغمودٌ ورواقُ الأمن ممدودٌ^(١). وليس من ذلك شيءٌ أولى، بإحرازِ الثوابِ ولا أخرى، من الدخولِ في الطاعةِ وتركِ الشُّذُوذِ عن الأُمَّةِ^(٢). فإلى الله نرغبُ المَعُونَةَ على أحسنِ بصائرنا في وَهْيِ يَرْقُمُهُ وَشَعْبِ يَلَامُهُ وَسِلْكِ يَنْظِمُهُ^(٣)، وَأَنْ يَجْعَلَ مَا حَضَضْنَاكُمْ عَلَيْهِ مِنْ اجْتِمَاعِ الْإِلْفِ والدُّخُولِ فِي الطَّاعَةِ آخْتِبَاراً! يَصِلُ مِنْهُ لَنَا (اقرأ: إلينا) خَيْرُ الدَّارَيْنِ^(٤) وَيُحْمَلُ عَنَّا فِيهِ حَقُّ الْخِلَافَةِ الْمَرْضِيَّةِ الَّتِي هِيَ مِنْ اللَّهِ صَلَاحٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَسُنةٌ مُتَّبَعَةٌ لِتَأْلِيفِ الشَّمْلِ وَحَقْنِ الدِّمَاءِ وَتَحْصِينِ الْفُرُوجِ والأَمْوَالِ^(٥).

- وله:

فَالْبَسْتِي قُنْصاً مِنَ الْفَضْلِ وَالنَّدَى	وَأَلْبَسْتُهُ قُنْصَ الْبَدِيعِ مِنَ الشَّعْرِ ^(١) :
رِياضاً وَحَلِيّاً لَا يَزَالُ لِبَاسُهُ	مِنَ اللَّوْلُوهِ الْمَكُونِ وَالسُّنْدُسِ الْخُضْرِ ^(٢)
كَأَنَّ دَقِيقَ الْبَحْرِ بَعْضُ نَشِيدِهَا	وَلَكِنَّهَا دَقَّتْ فَجَلَّتْ عَنِ الْبَحْرِ ^(٣)
تَفَضَّلَ بِالْفَضْلِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ	وَأَذْرَكَ مَاءَ الْوَجْهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْرِيَ ^(٤) .

٤- * * الزبيدي ٢٩٤-٢٩٦ الغرضي رقم ١٦٠٨ بغية الوعاة ٤١٧ البلفة في تاريخ
أُمَّة اللغة ٢٨٤-٢٨٥ الأعلام للزركلي ٩: ٣٢٧ (٨: ١٨٤).

- (١) والسيف مغمود (الواو هنا واو الحال. عمد السيف وأعمده فهو مغمود ومعمد: وضعه في قرابه).
- (٢) الأُمَّة: أولى الأمر (الحكّام).
- (٣) فإلى الله نرغب... (في الجملة أحلال: كلمات ماضية). الوهي في الثوب: النعقة المهرثة. يرقمه (فاعلها: اسم الجلالة، الله). الشعب: النقي، الكر. بلأمة: يجمعه، يصلحه. السلك: الحيط نجّمع به الحرز. ينظمه: يسلك به الحرز على نظام معين. الإلف: الأليف (الموافق في المشرب والسلوك) آخْتَارَا^(٥).
- (٤) الداران: الدنيا والآخرة.
- (٥) تحصين الفروج والأموال: حابة الأعراض والأموال.
- (٦) تفضّل عليّ بمال فأعطيته بدل ذلك شمرّاً جيلاً. هذا من قول أبي نَاف: فما فاتني ما عنده من حياته ولا فاته من فاخر الشعر ما عندي.
- (٧) السندس: نسيج رفيع من الديباج (الحرير). - ثياب (سندس) خضر.
- (٨) إنشاد هذه القصيدة يفعل فعل البحر الدقيق (الحقيقي، البارع). ولكن هذه القصيدة كانت أبرع من البحر فجعلت (عظمت وارتفعت) فأصبحت بذلك أبعد فعلاً من البحر.
- (٩) أعطاني على قدره هو (أي كثيراً) قبل أن يجري ماء وجهي: قبل أن أذل نفسي بؤاؤه.

عصر الخلافة الأموية في قرطبة

كان الحُكْمُ الأمويُّ في الأندلس، منذ تولى عبدُ الرحمن الداخلُ الإمارةَ في قرطبة سنة ١٣٨ هـ (٧٥٦ م) إلى سقوط الخلافة الأموية سنة ٤٢٢ (١٠١٣ م)، مائتين وثلاثاً وثمانين سنة تنقسم أربع فتراتٍ ظاهرة:

فترة الأمراء المتوارثين (١٣٨ - ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م)

فترة ازدهار الخلافة (٣١٦ - ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م)

فترة استبداد المنصور بن أبي عامر (٣٦٦ - ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م)

فترة الفتنة (٣٩٢ - ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م)

تعاقبَ على العرشِ الأموي في الأندلس ثمانية أمراء من غير لَقَبٍ بالخِلافة، في مدى مائةٍ واثنين وسبعين سنة ثَبَتَ الأمويون فيها دَعَائِمَ مُلْكِهِمْ وِبدَأَ في مُلْكِهِمْ هذا بروزُ حضارةٍ جديدةٍ في السياسة وفي الحياة الاجتماعية. وكانت هذه القوة الناشئة يُطِلُّ منها خطرٌ كبيرٌ على أوروبا. فَاجْتَمَعَ الإفرنجية والبابوية على أن يُثْبِرُوا في الأندلس « حركة الاستغفاف »، وذلك أن ينهَضَ شخصٌ نصرانيٌّ (رجل أو امرأة)، أو راهبٌ في كثيرٍ من الأحيان) في مجمعٍ من الناس أو عند بابٍ لأحد المساجد فيشتُمُ مُحَمَّدًا. ثارت هذه الحركة التي كان النصارى يُسمونها حركة الاستشهاد في أيام عبدِ الرحمن الأوسطِ أبْنِ الحُكْمِ (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ). ولكنَّ الخليفةَ والقضاةَ عالجوا هذه الحركة بحكمة فلم يَحْكَمُوا بالقتل على أولئك المستحقين. فانتَهت تلك الحركة لأنها لم تُؤدِّ إلى نتيجة عملية من الفوضى والقتل.

ثم وَضَعَ الإفرنجُ والبابوية في الساحة رجلاً نصرانياً يُسمي نفسه عُمَرَ بنَ حَفْصُونِ

ويتظاهر بالإسلام فجمع حوله عدداً كبيراً من الناقمين وقاتل الدولة الأموية وكاده يَصِلُ إلى قُرْبَةِ نفسها. بدأت هذه الحركة في أيام مُحَمَّد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) ثم استمرت في أيام المُنْذِرِ ثم في أيام عبد الله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ). في هذه الحِقْبَةِ من الضَّغف والتنازع بين أمراء البيت الأموي رَجَعَ الأمير عبد الله إلى نفسه، ووجد أولاده غير صالحين لأن يَخْلِفُوهُ، فعَهَدَ بالأمر بعده إلى حفيد له هو عبدُ الرحمن بن محمد (وكان الأمير عبد الله قد قتل ابنه محمداً هذا) وهياً له مُستشارين حازمين مُخلصين.

- وجاء عبدُ الرحمن بن مُحَمَّد إلى العرش، سَنَةَ ٣٠٠ (٩١٢ م)، وعُمُرُهُ ثلاثٌ وعِشْرُونَ سَنَةً، فاستطاع في مَدَى سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً أَنْ يَقْضِيَ على ثورةِ المُسَمَّى عُمَرَ بنِ حَفْصُونَ وأن يُعيدَ الأمنَ والنظامَ والهَيْبَةَ إلى الأندلس. ثم رأى أن الحِلَافَةَ العَبَّاسِيَّةَ قد ضَعُفَتْ كثيراً في أيامِ المقتدرِ والمعتضدِ والمرضى والقاهر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ). بالتنازع على العرش. ثم التَفَّتْ شِمالاً فإذا أوروبَّةٌ تَحْكُمُها - شكلاً على الأقل - بابويَّةٌ في عصرٍ كان للحُكْمِ الدينيِّ وجاهَةٌ في كُلِّ مكان. ففي أوَّلِ ذي الحِجَّةِ من سَنَةِ ٣١٦ (١٣ / ١ / ٩٢٩ م) نادى عبدُ الرحمن بنفسه خليفةً وتلقَّبَ «عبدُ الرحمن الناصر لدينِ الله»، فأصبحتْ إمارةُ الأمويين في قُرْبَةِ منذ ذلك اليوم خِلافَةً.

وفي أيامِ عبدِ الرحمن الناصرِ بلغتِ الأندلسُ ذروةَ القُوَّةِ والحِصانةِ والوجاهَةِ والسُلْطَةِ حتَّى كادتْ تَكْثِفُ نورَ بغدادَ وحتَّى كان الأمراءُ الإِسبانيُّونَ النصارى يحتكمون إليه في خِلافاتهم الداخلية (راجع، تحت: بناء الزهراء، ص ١٧٨).

- وتُوَفِّي عبدُ الرحمن الناصرُ، سَنَةَ ٣٥٠ (٩٦١ م)، بعدَ أن حَكَمَ خَمِينَ سَنَةً، فخلَّفه ابنُه الحَكَمُ المُستَنْصِرُ، وكان رجلاً كثيرَ الاهتمامِ بالعلمِ والفلسفةِ جَمَعَ في بلاطه مكتبةً قبلَ إنْهَا ضَمَّتْ أربعين ألفَ مُجلَّدٍ. ومعَ انصرافِ الحَكَمِ المُستَنْصِرِ عن شُؤُونِ الدولةِ فإنَّ دولَّتَه عَاشَتْ قُوَّةً بفضلِ الهَيْبَةِ التي كانتْ لها من أَيَّامِ أبيه. ولكن ذلك كُلُّهُ فَسَحَ المجالَ لِشيءٍ من الاضطرابِ في شُؤُونِ الدولةِ ولشيءٍ من الاستبدادِ يطمحُ إليه نَفَرٌ من رجالِها ولشيءٍ من الجرأةِ، في الأعداءِ الداخليينَ والخارجيينَ، على

الثورة أو على الحزب.

كان للحكم المستنصر مخْطِيةٌ بُكْنِسَتْ اسْمُها أورورا، وكان هو يُسمِّيها صُبْحَ (ترجمة كلمة «أورورا») ويناديها «جَفَرُ» تحبباً. وقد رُزِقَ (٣٦٠ هـ) منها غلاماً سمَّاه هِشاماً ثمَّ جَعَلَه (سنة ٣٦٥ هـ) ولياً للعهد.

رجال الدولة: غالب والمصحفي وابن أبي عامر

كان غالبُ بنُ عبدِ الرحمن الصَّقْلِيُّ قائداً قديراً مُظَفَّراً حتَّى سُمِّيَ «ذا السِّفِينِ». وكان جعفرُ بنُ عُثْمَانَ المَصْحَفِيُّ كاتباً للحكم المستنصر (حينما كان الحكم لا يزال ولياً للعهد) ثمَّ أصبحَ وزيراً له. وكان محمدُ بنُ أبي عامر شاباً ذكيّاً نشيطاً طموحاً استطاع أن يدخلَ في خدمة الدولة باكراً وأن يتَّصلَ بالبلاط ثمَّ يكونَ ناظراً على أملاك السيدة صُبْحَ.

هشام بن الحكم وبده الفتنة

تُوُفِيَ الحكمُ المستنصرُ، سَنَةَ ٣٦٦ (٩٧٦ م) فخلفه ابنُه هِشامُ باسم هشامِ المؤيَّدِ، وكان لا يزالُ قاصراً قليلَ العلمِ والاهتمامِ بمُعاملةِ أمورِ الدولة. اتَّخَذَ هِشامُ المؤيَّدُ جَعْفراً المَصْحَفِيَّ حاجباً (رئيساً للوزارة) وجَعَلَ مُحَمَّدَ بنَ أبي عامرٍ وزيراً للمصْحَفِيِّ.

اتَّفَقَ أن هاجمَ الإسبانُ شاليَّ الأندلس، فكان رأيُ غالبٍ والمصْحَفِيِّ مُفاوضةَ العدوِّ لأنَّ هزيمته في المعركة أمرٌ مُستَبَعِدٌ. أمَّا ابنُ أبي عامرٍ فقد أكَّدَ أن العدوَّ سينهزمُ في المعركة ثمَّ اقترح أن يقودَ هو الجيشَ بنفسه. وكانت صِبحُ الوصيةِ على ابنها تخافُ أن يفقدَ ابنُها عرشه فالت إلى رأيِ ابنِ أبي عامرٍ. وشاء القَدَرُ أن ينتصرَ ابنُ أبي عامرٍ على الإسبانِ فَعَلَتْ مَزلَّتُه كثيراً وتدنَّتْ منزلةُ غالبٍ والمصْحَفِيِّ كثيراً (مع أن غالباً كان القائد الذي خاضَ المعركة فعلاً، ولكنَّ الحملةَ كانت بِقيادةِ ابنِ أبي عامرٍ).

طَمَحَ ابنُ أبي عامرٍ الآن إلى الاستبدادِ بِالسُّلْطَةِ فَحَجَبَ هِشاماً وسَفَلَه بِالترَفِ واللَّهو ثمَّ نَكَبَ المَصْحَفِيَّ وَغَدَرَ بِغالبٍ، في حديثٍ طويلٍ، فأصبحتِ الدولة كلها في

يديهِ. عندئذٍ تسمى « المنصور بن أبي عامر » وبُنِي مدينة سَاحِلِها الزاهرة (تقليداً للزهراء التي بناها عبد الرحمن الناصر) وأقامَ فيها بلاطاً وأصبحَ الحاكمُ الفعليُّ في الأندلس. وقد حاربَ المنصورُ بنُ أبي عامرِ الإسبانَ ووَسَّعَ رُقعةَ الأندلسِ وقامَ بخمسينَ غزوةً انتصرَ فيها كُلِّها. وكانت وفاته سنة ٣٩٢ (١٠٠٢ م) في مدينة سالم وهو آيبٌ من غزو بلاد الجلالة.

خلفاء الفتنة

معنى الفتنة هنا تنازعُ الأحزاب المختلفة في قرطبة على الخلافة. وقد امتدت هذه الفتنة ثلاثين سنة، من وفاة المنصور ابن أبي عامر (٣٩٢ هـ) إلى سقوط الدولة الأموية في قرطبة (٤٢٢ هـ).

بعد المنصور بن أبي عامر تولى الحجابة في الأندلس ابنه عبد الملك المظفر، وكان قديراً شجاعاً قريب الصفات من أبيه فاستمر في حجب هشام وفي الاستبداد في تسيير أمور الخلافة.

ولما توفي عبد الملك المظفر (٣٩٨ هـ) خلفه أخوه عبد الرحمن الملقب « شنجول »، أي شائجة الصغير (لأن أمه كانت حفيدة ملك بنبلونة الفيرنجي). غير أن عبد الرحمن هذا كان ضعيفاً مُنْصَرَفاً إلى مَلذَّاتِهِ فَأَنْحَدَرَتِ الأندلسُ في أيامِهِ إلى الفتنة والفوضى. جاء عبد الرحمن شنجولُ وعلى عرش الأندلس هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩ هـ) الذي كان المنصور بن أبي عامر قد حجبه واستبدَّ بِمُحْكَمِ البلاد مكانه. ثم طمع عبد الرحمن شنجول بالملك فأقنع هشاماً المؤيد بأن يجعله ولياً للمهد. ففاط ذلك بني مروان فعملوا على خلع هشام (جمادى الآخرة ٣٩٩) ثم نصبوا مكانه محمداً المهدي بن عبد الجبار الأموي. وبما أن محمداً المهدي كان يُسَمَّى « الحزب » الأموي العربي، فقد غَضِبَ البربرُ فهاجوا قُرْطُبةَ وخلعوا محمداً المهدي ونصبوا مكانه سليمان المستعين بن الحكم بن سليمان (وهو أيضاً من البيت المرواني المالك) في ربيع الأول من سنة ٤٠٠. ولكن المروانيين أعادوا محمداً المهدي في شوال من سنة ٤٠٠؛ وبعد شهرين استطاع أنصار هشام المؤيد أن يخلعوا محمداً المهدي ثانية وأن يعيدوا هشاماً إلى العرش.

وبعد ثلاث سنّواتٍ، في شوالٍ من سنّة ٤٠٣ (١٠١٣ م)، اقتحم البربر قرطبةً ونصبوا خليفَتَهُمْ سُلَيْمانَ المستعينَ على عرشِ الخلافةِ مرّةً ثانيةً. وبعد أن سالتِ الدماءُ في قرطبةَ أنهاراً أمرَ سُلَيْمانُ المستعينُ بقتلِ هشامِ المؤيد. وعاشَ سُلَيْمانُ في خلافتهِ الجديدةِ ثلاثَ سنّواتٍ وثلاثةَ أشهرٍ. ثم إنَّ البربرَ تَخَلَّوْا عن سُلَيْمانَ المستعينِ والتَفَّوْا حولَ رَجُلٍ منهم هو عليُّ بنُ حَمُودٍ وجعلوه خليفةً وَسَمَّوْهُ الناصرَ لدينِ الله. ولكنَّ العربَ عادوا فقتلوا عليَّ بنَ حَمُودٍ وردّوا إلى العرشِ المُقَلَقَلِ رَجُلًا مروانيًّا هو عبدُ الرحمنِ المُرْتَضَى بنُ مُحَمَّدٍ، في رَمَضانَ ٤٠٨ (١٠١٨ م). وبعدَ شهرَينِ فقط جاءَ القاسمُ ابنُ حَمُودٍ إلى عرشِ قرطبةَ، ثم خَلَفَهُ، بعد أربع سنّواتٍ ابنُ أخيه يحيى بن حَمُود، ثم عاد القاسمُ ثانيةً إلى العرشِ. ثم عادَ الأمرُ في قرطبةَ إلى العربِ فجاءَ إلى عرشِ الخلافةِ المُتَزَعِزِعِ عبدُ الرحمنِ المُسْتَظْهَرُ بنُ هشامٍ؛ ثم بعدَ شهرَينِ جاءَ مُحَمَّدُ المُسْتَكْفَى- وقد كانتِ ابنتُهُ ولادَةُ أشهرَ منه في تاريخِ السياسةِ وتاريخِ الأدبِ- ثم عاد البربرُ يحيى بن عليّ بن حَمُود؛ ثم أعاد العربُ رَجُلًا مروانيًّا إلى الخلافةِ هو هشامُ المُعْتَدُّ بنُ عبدِ الرحمنِ المرتضى فحكم حُكْمًا مُعْتَدِّلًا أربعَ سنّواتٍ آتتهُ بقتله، سنّة ٤٢٢ (١٠٣١ م). وبسقوطِ الدولةِ الأمويّةِ في قرطبة.

الدولة الفاطمية

ينتسبُ الفاطميّون إلى فاطمة الزهراء بنتِ مُحَمَّدٍ رسولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وزوجِ عليٍّ بن أبي طالبٍ (كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ). وريًّا قيل: العبّيدون والدولة العبّيدية (نسبة إلى عبّيد الله المهديّ أولِ أئمّتهم- خُلفائهم- في المغرب).

الشيعة- الفاطميّون: الاسماعيليّون

الشيعةُ هم القائلون بأنَّ الإمامةَ (الخلافةَ) تكونُ بالنصِّ والتَّعْيِينِ لأنّها مِنْ أُمُورِ الدينِ (العقيدة) التي لا يَجُوزُ أن تُتْرَكَ إلى نَظَرِ الناسِ، وأنَّ الرسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أَسْرَأَ إلى عليٍّ بن أبي طالبٍ بأنَّ الخلافةَ ستكونُ فيه وفي نَسْلِهِ. ثم إنَّ الأئِمَّةَ الشيعةَ (منذ عليٍّ) كانوا يُوصي بعضهم إلى بعضٍ. وهذا خلافُ رأيِ أهلِ السُنّةِ

والجماعة الذين يَرَوْنَ أن الخلافة أمر دُنْيَوِيٌّ وأن الأمة تختار من تشاء خليفة بالانتخاب.

والشيعة فرقان كبيران: آلثنا عشرية أو الإمامية الذين يَعُدُّون اثني عشر إماماً، ابتداءً بعليّ بن أبي طالب، هم: عليّ - الحسن - الحسين بن عليّ - عليّ زين العابدين - محمد الباقر - جعفر الصادق - موسى الكاظم - عليّ الرضا - محمد الجواد - عليّ الهادي - الحسن العسكري - محمد المهدي المنتظر (الذي غاب وسيَرُجَع). ثم هنالك السبعية أو الاسماعيلية الذين يَقِفُونَ عند سبعة أئمة ظاهرين آخرهم إسماعيل بن جعفر الصادق (ولا يأخنون بأخيه موسى الكاظم).

والشيعة الإمامية - في النظر إلى القرآن الكريم - من أهل الظاهر مع تأويل الآيات عند الحاجة على مقتضى قوانين البلاغة وقواعد اللغة العربية، فهم في ذلك كأهل السنة والجماعة.

أما الشيعة السبعية أو الاسماعيلية فهم، بخلاف أهل السنة والجماعة وبخلاف الشيعة الإمامية، من أهل الباطن يعتقدون أن آيات القرآن ظاهراً وباطناً، ثم لهم في ذلك تأويلات باطنية تخرجُ بالقاتل بها عن الإسلام جُمْلَةً. هذا الفرق من الشيعة هو الذي يُسمّى أصحابه أنفسهم «فاطميين»، وهم أهل الدولة الفاطمية.

ويرى الفاطميون أن جعفر الصادق أعلن أن ابنه إسماعيل قد مات ثم ستره خوفاً عليه من الأمويين. ثم يأتي في سلسلة نسل إسماعيل، عند الفاطميين: محمد المكنوم فجعفر المصدق فمحمد الحبيب فعبّيد الله المهدي. وليس لهذه السلسلة من النسب سند من التاريخ المعروف.

وبدأ الفاطميون دعوة سريّة في مدينة سَلَمِيّة، شرق حِصص (في الشام) ثم انتقلوا بها إلى المغرب.

في أواخر القرن الثالث للهجرة جاء أبو عبد الله الصنعائي الشيعي إلى المغرب داعياً إلى الرضا من آل محمد ثم تألف أقساماً من البربر واستطاع أن يتغلب على

الأغالبة، سَنَ ٢٩٦ (٩٠٩ م) في مَرَكَة الأُرْبُس، إلى الشَّمال الغربي من القَيروان قَريباً من حدود الجزائر اليوم. ثم إنَّه دخل القَيروان وأخذ البيعةَ فيها لعبيدِ الله المَهديِّ الفاطميِّ (معَ أن نفراً من المؤرِّخين لا يروُنَ نَسَبَ عبيدِ الله هذا صحيحاً في أولادِ فاطمة). وبما أن أهلَ القَيروان كانوا كلُّهم من السُّنة فقد انتقلَ عبيدُ الله إلى نُقطةٍ من مُنتَصَفِ الساحل الشرقيِّ (من القطر التُّونسي اليوم) وبني فيها مدينة المَهديَّة واتَّخذها عاصمةً.

وبعدَ عبيدِ الله المَهديِّ جاء ابنه القائم (٣٢٢ - ٣٣٤ هـ) ثم إسماعيلُ المنصور ثم أبو تميم مَعَدُّ المَعزِّ لدين الله (٣٤١ - ٣٦٥ هـ) فأتت مَمْلَكَتُهُ من البحر المُحيط إلى بَرْقَة (على حدود مصر). وفي سنة ٣٥٨ (٩٦٩ م) وَجَّهَ المَعزُّ قائدهَ جوهراً الصِقْلِيَّ إلى مصر فانتزعها من يدِ الإخشيديين، ثم فَتَحَ الرملةَ (في فلسطين) ودمشقَ في العام التالي. وفي رَمَضانَ من سَنَ ٣٦٢ (٩٧٤ م) بنى جوهراً الصِقْلِيَّ مدينةَ القاهرة فانتقلَ إليها المَعزُّ لدين الله، كما بنى الجامع الأزهر (نسبة إلى فاطمة الزهراء: البيضاء). ومن ذلك الحين أصبحت القاهرةُ عاصمةً للدولة الفاطمية.

ولما انتقل المَعزُّ من المغرب عَهْدَ بخلافتهِ هنالك إلى بُلْكَيْنَ بنِ زيري. وجاء بعد بُلْكَيْنَ ابنه المنصور (٣٧٣ - ٣٨٦ هـ) ثم جاء أبو منادٍ باديسُ بنُ المنصور فاستبَحَرَتِ الحضارةُ، وفي أيَّامه بلغت إفريقيةُ ذِروَةَ عالِيَةٍ من القوَّة والثروة. وبعد باديس جاء ابنه المَعزُّ (٤٠٦ - ٤٥٣ هـ). وقد سقطت الخلافةُ الأموية في قرطبةَ قبل أن يَخْلَعَ المَعزُّ بنُ باديسَ طاعةَ الفاطميين وقبل أن تشوَرَ نِعمةُ العامة على الشيعةِ في القَيروان.

أما في المَغْرِبِ فقد انتهت دَوْلَةُ الادارسةِ سَنَ ٣١٣ هـ وخَلَفَتْها دَوْلَةُ آل أبي العافية المِكناسيين الخوارجُ، وكان أولُهم موسى بنُ أبي العافية (٣٠٥ - ٣٤١ هـ) فخلَعَ طاعةَ الفاطميين ومالَ إلى بني مروانَ في الأندلس.

وأما في ريف المَغْرِبِ فقامت دَوْلَةُ الأدارسةِ الثانيةُ فكان أولُ حُكَّامها القاسمُ كَنُونٌ (٣٢١ - ٣٣٧ هـ) ثم جاء ابنه أبو العَيشِ أَحَدُ ثم ابنه الآخرُ الحسن بن كَنُون (٣٤٣ - ٣٧٥ هـ). ومال الحسن بن كَنُون إلى طاعةِ الفاطميين لأنَّ جَوْهراً الصِقْلِيَّ

كان قادماً على رأس جيشٍ لإعادة سُلطة الفاطميين إلى المغرب. ثم لما زال خطرُ ذلك انقلب الحسنُ بن كُتُون إلى صداقةِ الروائيين في الأندلس من جديد.

بهذا تكونُ الدولة الفاطمية التي قامت سنة ٢٩٦ (٩٠٩ م) قد حَلَّت في المغرب محلَّ الدولة الأغلبية بالقُيْرَوَان (١٨٤ - ٢٩١ هـ) والدولة الرستمية بتاهرت (١٦٠ - ٢٩٦ هـ) ومحلَّ أمراء نفوسة - بجبل نفوسة إلى الجنوب الغربي من ليبيا اليوم (١٤٠ - ٣١٠ هـ) ومحلَّ دولة الأدارسة بفاس (١٧٢ - ٣٤٣ هـ) وبنى مدرار؟ بـبجِلْهامة (١٥٥ - ٣٥٢ هـ) ثم - في سنة ٢٩٦ - محلَّ الأغلبية في صقلية (٢١٢ - ٢٩٠ هـ)، كما استولوا على الجزر الثلاث مالطة وسردانية وكورسيكة. ثم حلَّ الفاطميون أيضاً، سنة ٣٥٨ (٩٦٩ م) في مصر محلَّ الدولة الإخشيدية.

الفاطميون في المغرب وصقلية

وقد عاشت الدولة الفاطمية في المغرب مُنافسةً لدولة بني أمية في الأندلس، ولكن لم تنجح لها دعوةٌ في الأندلس. غيرَ أن المغرب قد عانى من حكم الفاطميين شذائذ كثيرة، إذ عمد الفاطميون إلى فرض آرائهم السياسية ومذهبهم الفقهي بالحسنى وبالقهرِ وكانوا يحاولون القضاء على المذهب المالكي وهو المذهب السائد في أقطار المغرب وفي الأندلس أيضاً. وحاول الفاطميون أن ينشروا مذهبهم في صقلية أيضاً وفي طرابلس (ليبيا اليوم).

لم يَرْضَ المسلمون في صقلية بحكم الفاطميين الجديد، لا لأنَّ الفاطميين كانوا شيعةً أعداءَ لبني العباس في بغداد فقط، وهوى الصقليين كان معَ بني العباس فحسب، بل لأنَّ الولاة الفاطميين على صقلية أيضاً كانوا قُساة ظالمين غادرين فاستمرت الفتن والقتال في صقلية على الفاطميين وولايتهم نحوَ جيلي من الدهر (٢٩٦ - ٣٣٧ هـ). ولقد فعلَ ولاةُ الفاطميين في صقلية من المظالم ما حَمَلَ الناسَ على أن يستنجبوا بالروم على إزالة الحكم الفاطمي! لقد حاولوا ذلك مراراً!

ولكن التاريخ جرى مجرى أحسنَ عدلاً.

في سنة ٣٣٦ هـ (٩٤٧ - ٩٤٨ م) أرسل الفاطميون إلى صقلية والياً هو الحسنُ بنُ

عليّ بن أبي الحسين الكلّبي. ومع أنّ الحسنَ هذا كان والياً للفاطميّين ومنْ أشياعهم، ومع أنّه سار في أوّل أمره بالصفّ والظلم، فإنّه أرعوى بعد قليلٍ عن ظلمه ومالَ إلى أن يستقل بصقلية عن السلطة الفاطمية مع الإبقاء على السيادة الاسمية على صقلية للفاطميّين. وهكذا ظلّت صقلية تابعة للعبيديّين (الفاطميّين في القيروان) ثم بقيت على ذلك الولاء الاسميّ لهم لما انتقلوا من القيروان إلى القاهرة، سنة ٣٥٨ هـ. والفقهاء المالكية قاوموا إرادة العبيديّين. ولم ينشأ اتّجاه فقهي في صقلية إلا في أواخر القرن الرابع. في ذلك الحين (وبعد أن نقل الفاطميون دولتهم إلى مصر) بدأ نفر من الذين كانوا يميلون إلى المذهب الفاطميّ (بموامل مختلفة) يجدون شيئاً من الصعوبة في البقاء في القيروان (بين كثرة من أتباع المذهب المالكي) فهاجروا إلى صقلية علّهم يجدون تلك الجزيرة أرحب لهم. ولكن ذلك لم يزد على أن هيأ الجو لشيء من الجدال بين نفر من رجال المذهبيّين برغم ميل الولاة الفاطميّين في صقلية إلى المتقربين إليهم بنصرة المذهب الفاطمي.

ونحن لا نكاد نعرف شيئاً ذا أثر من التراث العلمي أو العقلي أو الأدبي في صقلية، في أيام حكم العبيديّين - ذلك الحكم الذي امتدّ في صقلية إلى سنة ٣٣٧ (٩٤٨ م) وقام مقامه حكم الأمراء الكلبيين.

المغرب الأوسط (الجزائر).

لما قامت الدولة العبيدية (الفاطمية) في المغرب خضع لها القطر الجزائري أيضاً. ولكن سرعاناً ما ثار أهل المغرب الأوسط على العبيديّين وقتلوا ابن حبّوس عامل تاهرت الفاطميّ (٣١٢ = ٩٢٥ م) ثم استمرّ القتال بين زناتة وأحلافها من قبائل كتامة وصنهاجة وبين الشيعة خسين عاماً. ونجحت الدعوة الأموية في القطر الجزائري أيضاً فثار أبو يزيد مخلد بن كنداد الخارجي المعروف بلقب صاحب الحمار أيضاً (٣٣٢ = ٩٤٣ م) على الفاطميّين فانضمّ إليه جماعات من خوارج زناتة ومن أهل السنة فاستولى أبو يزيد على كثير من بلدان القطر الجزائري. ومع أن الفاطميّين

تغلبوا على أبي يزيد وأتباعه وقتلوه، سنة ٣٣٦، فإن الثورة على الفاطميين في الجزائر ظلت ناشطة. وكان الناثرون على الفاطميين - في هذه الحقة يدعون^(١) لعبد الرحمن الناصر الخليفة الأموي في الأندلس. غير أن هذا لم يمنع - مع الأسف - من تنازع القبائل البربرية في المغرب الأوسط خاصة.

في ليبيا

كانت ليبيا في أيام الفاطميين في المغرب تابعة للفاطميين، فلما انتقل المعز الفاطمي إلى مصر عهد إلى بلقين بن زيري بالإشراف على ليبيا كلها ما عدا منطقة طرابلس وما حولها (سرة وأجداية) فإن المعز جعلها تابعة له مباشرة. ويحسن أن نعلم أن ليبيا تقسمت في ذلك الحين بين حكام محليين: استقل بنو خطاب في زويلة (٣٦٠ هـ)، كما استقلت منطقة قران. وكذلك استقل الإباضية (وهم فرقة معتدلة من الخوارج) في جبل نفوسة.

وحاول باديس بن المنصور بن زيري (٣٨٦ - ٤٠٦ هـ) أن يمد سلطته إلى برقة (شرقي ليبيا)، ولكن الفاطميين هزموه. وفي سنة ٣٩٦ كانت حركة أبي ركة: في سنة ٣٩٥ جاء من الأندلس رجل اسمه الوليد بن هشام من نسل بني أمية ودعا إلى نفسه فبايعه جماعات من البربر من لواتة وزناتة وبني قرّة ثم قوي أمره في برقة وحكمها سنة كاملة (٣٩٦ هـ). ولكن الحاكم بأمر الله الفاطمي تغلب عليه وقتله. غير أن أمر برقة لم يستقر للفاطميين، فإن بني قرّة ظلوا لا يخضعون لسلطان الفاطميين.

وفي مطلع القرن الخامس كانت طرابلس (ليبيا) متنازعة بين العبيدين الفاطميين في القاهرة وبين الصنهاجيين المالكيين (خصوم الفاطميين) في القيروان. وكان الولاة المحليون ينتقلون بولائهم من هؤلاء إلى أولئك ومن أولئك إلى هؤلاء،

(١) يدعون لعبد الرحمن الناصر: يذكرون اسمه على النبر في خطبة الجمعة: اقراراً له بالسلطة السياسية أو الرئاسة الدينية على الأقل.

يَحْسَبُ مَصَالِحَهُمُ الْآيَةِ. وَكَثِيراً مَا كَانَ الْإِنْتِقَالُ بَيْنَ الْوَلَائَيْنِ يُرَافِقُهُ اقْتِتَالٌ يَهْلِكُ فِي أَثْنَائِهِ جَوْعٌ غَفِيرَةٌ.

وَقَبْلَ أَنْ يَنْقُضِيَ قَرْنٌ وَاحِدٌ مِنَ الزَّمَنِ عَلَى الْحُكْمِ الْفَاطِمِيِّ فِي الْمَغْرِبِ، كَادَ الْمَذْهَبُ الْمَالِكِيُّ يَنْدَثِرُ فِي لِيْبِيَا، فَقَدْ كَانَ وَلَاةُ الْفَاطِمِيِّينَ قَدْ حَظَرُوا كُلَّ شَيْءٍ (فِي الْحَيَاةِ الدِّينِيَّةِ) غَيْرِ مَذْهَبِ أَسْيَادِهِمْ حَتَّى صَلَاةِ الضُّحَى وَصَلَاةِ التَّرَاوِيحِ^(١) - ذَانِكَ مَظْهَرَانِ عَادِيَانِ، وَلَكِنَّهُمَا شَدِيدَا الدَّلَالَةِ عَلَى اتِّجَاهِ الْفَاطِمِيِّينَ فِي الْحُكْمِ.

وَلَقَدْ تَصَدَّقَ أَبُو الْحَسَنِ النَّمَرُ (٣٤٨ - ٤٣٢ هـ) - تَلْمِيزُ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ الْقَيَّرَوَانِي (ت ٣٨٦ هـ) لِلتَّيَّارِ الْفَاطِمِيِّ عَامِلاً عَلَى رَدِّ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ إِلَى مَكَانَتِهِ (فِي طَرَابُلُسَ - لِيْبِيَا). وَبَعْدَ صِرَاعٍ طَوِيلٍ فِي مَيْدَانِي الثَّقَافَةِ وَالسِّيَاسَةِ أُسِرَ وَنُفِيَ. وَلَكِنْ كَفَّاحُهُ لَمْ يَذْهَبْ سُدًى^(٢).

السودان المغربي (أو الغربي)

السودانُ فِي عُرْفِ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْجُغَرَاْفِيِّينَ الْعَرَبِ هُوَ الْإِقْلِيمُ الْأَوَّلُ (الْمِنْطَقَةُ الْأُولَى) شَمَالُ خَطِّ الْإِسْتَوَاءِ (لَأَنَّ الْقَدَمَةَ اعْتَقَدُوا أَنَّ مَا يَقَعُ جَنْبَ خَطِّ الْإِسْتَوَاءِ غَيْرُ مَسْكُونٍ - وَلَا يَصْلُحُ لِلْمَسْكَنِ). فَالسُّودَانُ إِذَنْ، بِهَذَا النِّظَرِ، اسْمٌ يَشْمَلُ الْبِلَادَ الْمُتَعَدَّةَ فِي أَوَاسِطِ قَارَةِ إِفْرِيقِيَّةٍ، مِنَ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ شَرْقاً إِلَى الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ (الْمُحِيطِ الْأَطْلَسِيِّ) غَرْباً. هَذِهِ الْبِلَادُ كُلُّهَا كَثِيرَةٌ الْحَرِّ كَثِيرَةُ الْمَيَاءِ (بِرُغْمِ بَقَاعِ مِنَ الصَّحَارَى) وَفِيهَا نَهْرَانِ عَظِيمَانِ سَمَّاهُمَا ابْنُ خُلْدُونٍ (الْمَقْدَمَةُ - بِيْرُوت: دَارُ الْكِتَابِ اللَّبْنَانِيِّ، ص ٩٢ - ٩٤) «نَهْرُ النَّيْلِ». يَعْتَقِدُ ابْنُ خُلْدُونٍ أَنَّ هُنَالِكَ نَهْرًا كَبِيرًا يَنْبُعُ مِنْ جِبَالِ الْقَمَرِ (بِفَتْحِ الْقَافِ أَوْ بضمها) وَرَأَاهُ (جَنْبَ خَطِّ الْإِسْتَوَاءِ). هَذَا النَّهْرُ هُوَ نَهْرُ النَّيْلِ.

(١) صَلَاةُ الضُّحَى رَكَعَاتٍ (أَقْلَاهَا اثْنَتَانِ) يَتَطَوَّعُ الْمُسْلِمُ بِهَا كُلَّ يَوْمٍ بَعْدَ أَنْ تَعْلُو الشَّمْسُ بِمِقْدَارِ رَمَحٍ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ. وَالتَّرَاوِيحُ رَكَعَاتٌ وَثَرِ (ثَلَاثٌ، خَمْسٌ، ...، سَبْعٌ، وَاحِدَةٌ وَعِشْرُونَ، الْخ) تُصَلَّى فِي رَمَضَانَ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ (وَتَكُونُ صَلَاةُ الْعِشَاءِ بَعْدَ اخْتِفَاءِ الشَّمْسِ) - الضُّوْءُ الْأَحْمَرُ الَّذِي يَبْدُو عَلَى الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ بَعْدَ غِيَابِ الشَّمْسِ - بَعْدَ نَحْوِ سَاعَةٍ وَنِصْفِ سَاعَةٍ مِنْ غِيَابِ الشَّمْسِ).

(٢) رَاجِعْ «أَعْلَامَ مَنْ طَرَابُلُسَ»، تَأَلَّفَ عَلِيُّ مَصْطَفَى الْمَصْرَاتِي، ص ٣٥ وَمَا بَعْدَ.

ثم إن هذا النهر ينقسم فرعين: يمر فرع منه شمالاً حتى يصب في البحر الأبيض المتوسط (وهذا نيل مصر)، كما يطفئ الفرع الثاني منه غرباً حتى يصب في البحر المحيط (المحيط الأطلسي)، وهذا الفرع - عند ابن خلدون - هو نيل السودان أو نهر السودان.

بعد هذه الصورة الخاطئة بحسن أن نقول:

السودان المغربي (أو السودان الغربي أو بلاد السودان) هو البقعة الواسعة التي يقع فيها حوض نهر صنهاجة (السنغال) وحوض نهر السودان (النيجر) أو ما يُعرف اليوم باسم «غربي» (قارة) إفريقية «جنوب الجزائر والمغرب».

إن الفتح الإسلامي للمغرب ولأندلس فتح أبواب السودان المغربي لدخول الإسلام. ففي سنة ١١٦ (٧٣٤ م) غزا عبید الله بن أبي عبيدة الفهري أرض السوس (جبال المغرب الجنوبية) وبلاد السودان. ولكن الإسلام لم يدخل إلى السودان بالحرب، بل من طريق التجارة حيناً ومن طريق الدعوة حيناً آخر. ومع أن انتشار الإسلام أخذ في الاتساع، في تلك البلاد، منذ القرن الرابع (العاشر للميلاد)، فإن تعريب السودان المغربي لم يتم باكراً ولم يستقر كثيراً، فلا نجد - من أجل ذلك - في تلك الحقبة أدبه كتبوا باللغة العربية، وإن كنا (منذ ذلك الحين) نجد علماء اهتموا بالفقه لحاجة الناس إلى الفقه في عباداتهم وفي معاملاتهم التجارية والاجتماعية أيضاً.

صقلية

صِقْلِيَّة (القاموس المحيط ٤: ٣) جزيرة كبيرة مُصَاقِبَةٌ للطرف الجنوبي من البر الطويل (شبه جزيرة إيطالية) أهلها مزيج من شعوب قديمة. ثم نزل فيها الكنتانيون (الفيثيقيون) ثم استعمرها الإغريق (اليونان القدماء) وحكموها. وعظم النزاع عليها مدة بين الإغريق والقرطاجيين (أحفاد الكنتانيين في قرطاج - تونس) ثم بين الرومان والقرطاجيين. وفي القرن الخامس للميلاد - في أثناء هجرات البرابرة وأناسياهم في أوروبا - نزل فيها الفاندال والقوط الشرقيون. ثم استردّها الروم

(اليونان المتأخرون: البيزنطيون) عام ٥٣٥ م (٨٧ قَبْلَ الهجرة).

بدأ العربُ غزوَ صِقْلِيَّةَ منذ أيام مُعاوية (٤٠ - ٦٠ هـ) ولكن لم يَتِمَّ لهم استقْرارٌ في أرضها.

وَأَتَتْ صِقْلِيَّةٌ من الحُكْمِ الرومي طويلاً - خِلَالَ ثَلَاثَةِ قُرُونٍ مُتَوَالِيَةٍ - كما كانت تَبْنِي جَمِيعَ البلادِ الرومية وجميعَ البلاد التي كانت خاضعةً للروم. في هذه الأثناء أَمَحَتْ المظاهرُ العُمرانيَّةَ والحضارية في صِقْلِيَّةَ وتضاءَل فيها عددُ السكَّان. واشتَدَّ سوءُ الأحوالِ السياسيَّةِ والاقتصاديَّةِ فَثَارَ فيها رجلٌ شريفٌ من أهلها، ومن أصلٍ روميٍّ، اسمُهُ فيمي (أوفيموس) على قُسطنطين بِطريق (قائد) صِقْلِيَّةَ وحاكميها من قِبَلِ ملكِ الروم ميخائيل الثاني الأُلُتُغ (٨٢٠ - ٨٢٩ م) وحكَمَ الجزيرةَ ثم استنْجَدَ بزيادةِ الله بن إبراهيم بن الأُغْلَب (٢٠١ - ٢٢٣ هـ). وفي النِصْفِ من ربيعِ الأوَّلِ من سَنَةِ ٢١٢ (مُطْلِعِ الصَّيْفِ من عام ٨٢٧ م) أُرْسِلَ زِيَادَةُ اللهِ أَسطولاً إلى صِقْلِيَّةَ بقيادة القاضي أُسْدِ بْنِ الفَرَاتِ (١٤٢ - ٢١٣ هـ)، يُسَانِدُهُ أَسطول فيمي، ففتحَ مازَرَ (عند الطرفِ الجنوبي الغربي) ثم انتقل إلى سَرَقُوسَةَ (عند الطرفِ الجنوبي الشرقي) - وهي عاصمةُ الجزيرة - فَجَرَّتْ عِنْدَهَا مَعْرَكَةٌ عَظِيمَةٌ قُتِلَ فيها فيمي. ثم تُوْفِيَ أُسْدُ بْنُ الفَرَاتِ في أَثناءِ حصارِ سَرَقُوسَةَ، سَنَةَ ٢١٣ هـ، من جِرَاحٍ أَصَابَتْهُ. وفي سَنَةِ ٢١٦ هـ فَتَحَ المسلمون بَلَرَمَ (على الشاطئِ الشمالي من الجزيرة).

وَطَالَ حِصَارُ سَرَقُوسَةَ خَمْسِينَ سَنَةً واستمرَّتِ الحَمَلَاتُ على صِقْلِيَّةَ حَتَّى فَتَحَ المسلمون سَرَقُوسَةَ سَنَةَ ٢٦٥ هـ (٨٧٨ م). ولكنَّ الاستيلاءَ على الجزيرةِ كُلِّهَا لم يَتِمَّ إِلَّا في سَنَةِ ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م)، في العام الذي انقَضَتْ فيه دولَةُ بني الأُغْلَبِ وقامت فيه الدولةُ الفاطميَّةُ في المَغْرِبِ.

العمران:

إِنَّ السِّلْمَ والأمنَ يُنْتِجُ منها استقْرارٌ وأطمِنانٌ فَتَتَسَّعُ الحَيَاةُ الاقتصاديَّةُ ويستَجِرُ العُمرانُ، كما يقول ابنُ خَلْدُون. ويكفي في آحتلاءِ صورةِ العُمرانِ في

أيام عبد الرحمن الناصر في الأندلس أن نُشير إلى « الزهراء »، وهي المقرّ الرسميّ الجديد الذي بناه عبدُ الرحمن الناصر إلى الشمال الغربي من العاصمة قرطبة على جبل المروس (ويقال له اليوم بالإسبانية: سيارا مورانا - بالألف الأولى والألف الثالثة مالتين) مُطلّة على نهر الوادي الكبير.

وإذا نحن قلنا: « الزهراء » فيحسن أن نفهمها على ثلاثة أوجه: الجامع والقصر والمدينة. أمّا الجامع فقد عمل في بنائه من حُدّاق الفعلة كلّ يوم ألف نسمة منهم ثلاثمائة بَنّا ومائتا نجارٍ وخمسمائة من الأجرّاء وسائر (أرباب) الصنائع. فاستتمّ بناؤه وإتقانه في مُدّة ثمانية وأربعين يوماً.... وطول المسجد أجمع من القبلة إلى الجوف^(١) - سبوى المحراب - سبعة وتسعون ذراعاً، وعرضه من الشرق إلى الغرب تسعة وخمسون ذراعاً. وطول صومعته (بُشدّته) في الهواء أربعون ذراعاً وعرضها عشرة أذرع في مثلها (نفع الطيب ١ : ٥٦٤). وكان الفراغ من بنائه في الثاني والعشرين من شعبان من سنة ٣٢٩.

وأما القصر فقد « أطبق الناس على أنه لم يُبنَ مثله في الإسلام البتّة. وما دخل إليه قطُّ أحدٌ من سائر البلاد النائية والنحلي المختلفة من ملكٍ وإريدٍ ورسولٍ وأفدٍ وتاجرٍ جهبذٍ - وفي هذه الطبقات من الناس تكون المعرفة والفطنة - إلا قطع أنه لم يرَ له شَبهاً، بل لم يسمع به، بل لم يتوهّم مثله.... ولو لم يكن فيه إلا السطح^(٢) المُرْد^(٣) على الروضة المباهي بمجلس الذهب والقبّة عجيب ما تضمّنه من إتقان الصنعة وفخامة الهمة وحسن المُستشرف^(٤) وبراعة الملبس والجلّة - ما بين مرمرٍ

(١) القبلة (بكر القاف) هي سمت الذي يتجه فيه المصلّي المسلم نحو مكّة. والقبلة في الأندلس هي نحو الشرق الجنوبي. أمّا الجوف فهو الوسط من الأندلس.

(٢) بقصد: « السقف ».

(٣) المردّ: الذي فيه طول (وأنّاس) مع ملاءة.

(٤) فخامة الهمة (٤): علو همة بانيه. المستشرف: النظر من مكان عال.

مسنونٍ وذَهبٍ موضونٍ^(١) وَعَمَدٌ كَأَنَّا أُفْرِغَتْ فِي الْقَوَالِبِ^(٢) وَنَقُوشٌ كَالرِّيَاضِ وَبِرَكٍ عَظِيمَةٍ مُّحَكَّمَةٍ الصَّنَعَةِ وَحِيَاضٍ وَتَمَائِيلٌ عَجِيبَةٍ الْأَشْخَاصِ لَا تَهْتَدِي الْأَوْهَامَ إِلَى سَبِيلِ اسْتِقْصَاءِ التَّعْبِيرِ عَنْهَا - «لَكَفَاهُ فَخْرًا». (نفع الطيب ١ : ٥٦٥ - ٥٦٦).

وكان عبدُ الرحمن الناصرُ قد أتمَّ، في أوائلِ سَنَةِ ٣٢٩ هـ، «بُنيانَ القنّاةِ الغريبةِ الصَّنعةِ التي جرى فيها الماءُ العَذْبُ من جبلٍ قُرْطُبَةٍ إلى قصرِ الناعورةِ غربَ قرطبةِ في المناهرِ المهندسةِ وعلى الحنايا المعقودة^(٣)، يجري ماؤها بتدبيرِ وصَنعةٍ مُّحَكَّمَةٍ إلى بركةٍ عظيمةٍ عليها أسدٌ عَظِيمُ الصَّوْرةِ بَدِيعُ الصَّنعةِ شَدِيدُ الرُّوْعَةِ مَطْلِيٌّ بِذَهَبٍ إِبْرِيْزٍ^(٤) وَعَيْنَاهُ جَوْهَرَتَانِ لَهَا وَمِيزٌ شَدِيدٌ، يَجْرِي الْمَاءُ إِلَى عَجْزٍ هَذَا الْأَسَدِ فَيَمُجُّهُ^(٥) فِي تِلْكَ الْبَرْكَةِ مِنْ فِيهِ. فَيَهْرُ النَّاطِرُ بِحُسْنِهِ وَرُوْعَةِ مَنْظَرِهِ وَتَجَاجِيَةِ صَبِّهِ فَتُسْقَى مِنْ مَجَاجِهِ^(٦) حَنَانُ هَذَا الْقَصْرِ عَلَى سَعَتِهَا، تَفِيضُ عَلَى سَاحَاتِهِ وَجَنَابَاتِهِ وَيُمَدُّ النُّهْرُ الْأَعْظَمُ^(٧) بِمَا فَضَّلَ مِنْهَا» (نفع الطيب ١ : ٥٦٤ - ٥٦٥).

وَبَدَأَ «عبدُ الرحمن الناصرُ لدينِ الله بُنيانَ (مدينة) الزَّهْرَاءِ أَوَّلَ سَنَةِ ٣٢٥، وَكَانَ مَبْلُغٌ مَا يُنْفَقُ فِيهَا كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الصَّخْرِ الْمُنْحَوْتِ الْمَنْجُورِ الْمُعْدَلِ^(٨) سِتَّةَ آلَافِ صَخْرَةٍ،

(١) مرمر (نوع من البلاط الجيد: الرخام). مسنون: مصقول أو ذو أشكال مختلفة. موضون: مضطرب (موضوع طبقات على أشياء أخرى) أو مزكّل (مجموعاً أشكالاً معينة في مادة ثانية من الخشب أو الفضة الخ).

(٢) عمد = أعمدة (جمع عمود). كأنها أفرغت في القوالب: مستوية ويشبه بعضها بعضاً.

(٣) المنهر: شق في الحصن (في بناء) يجري فيه الماء. المهندس: المصنوع على قواعد من أصول البناء. الحنيئة: القوس، القنطرة الصغيرة. المعقود من البناء: المبني بجارية يسلك بعضها بعضاً للاستئناس (من غير ملاط: طين).

(٤) الروعة: الهيبة (الجمال مع إلقاء الرعب في الناظر). الإبريز: الذهب الخالص، الصافي.

(٥) وميض: بريق. عجز: مؤخرة. مج: لفظ الشيء من فمه.

(٦) حاجة: انصباب الماء بكثرة. مجاج: خروج الماء من فم (الأسد).

(٧) أمذ: زاد في، صب في. النهر الأعظم: نهر الوادي الكبير الذي تقوم عليه قرطبة.

(٨) المنحوت: المقشور، المجهول أملس. المنجور: المقشور أيضاً (ولكن تستعمل للخشب). المعدل: المسوى (المجهول بعضه موافقاً لبعض).

سوى الصخر المُصَرَّفِ في التبليط.... وكان يَخْدِمُ في (بناء) الزهراء كلَّ يوم ألفاً وأربعمائة بَغْلٍ... وكان يَرِدُ (إلى) الزهراء من الجير والجص^(١) في كلِّ ثالث من الأيام ألفاً ومائة جَمَلٍ....» وقد قُدِّرَتِ النَّفَقَةُ على بناء مدينة الزهراء في كلِّ عام بثلاثمائة ألف دينارٍ مُدَّةَ خَسةٍ وعشرين عاماً من خلافة عبد الرحمن الناصر (نفع ١ : ٥٦٧ - ٥٦٨) سوى ما أُنفِقَ على بنائها في مَدَى خَسةٍ عَشَرَ عاماً أخرى في خلافة الحَكَمِ المستنصر.

من مظاهر الثقافة

كان أهلُ الأندلس يقرأون القرآن الكريم بقراءة^(٢) أهلِ المشرق إلى أيام مُجاهدٍ العامريِّ مؤسسِ الدولة العامرية في دانية (بشرق الأندلس) وجزيرة مَيُورقة وما حولها والمتوفى سنة ٤٣٦ هـ (١٠٤٤ - ١٠٤٥ م). وكان لِمُجاهدٍ العامريِّ عنايةٌ بهذا الفنِ لِمَا كان مولاه المنصورُ بن أبي عامر (ت ٣٩٢ هـ) قد حَرَّصَ على تعليمه القراءة على أَئمةِ القُرَّاء. وقد عاصَرَه أَثنان من كبار القُرَّاء : آبن حَمُوش وأبو عمرو الداني.

وُلِدَ ابنُ حَمُوش (ت ٤٣٧ هـ - راجع ترجمته) في القَيْرَوانِ. وبعدَ رِحْلةٍ إلى المشرق عادَ إلى القَيْرَوانِ وأقرأ بها. ثم انتقل (٣٩٣ هـ) إلى قُرْبَةِ وَخَطَبَ بِجامعِها وأقرأ. وأمَّا أبو عمرو عُمَانُ بنُ سَعِيدٍ بنِ عُمَانَ الداني (٣٧١ - ٤٤٤ هـ) فهو من أهل دانية بِشرقِ الأندلس، رَحَلَ إلى المشرق ثم عاد بعلم كثيرٍ في قراءة القرآن وتفسيره.

وكان جُمُهورُ أهلِ المغرب وأهلِ الأندلس يكتفون بالرواية عن السَلَفِ فلا يَرَوْنَ

(١) الجير: الكلس قبل حرقه (قبل مزجه بالماء). الجص: الكلس المعالج بالماء حتى يصبح ملاطاً.

(٢) قراءة القرآن: أداء أحكام لفظه بإعطاء الأحرف حقها من المخرج من الفم وإعطاء المدود حقها من الزمن (بالطول أو القصر) مع مراعاة الجمع بين عدد من الأحرف بالإدغام وغيره. وكان أهل المشرق يدخلون في القراءة شيئاً من التنعيم. أمَّا القراءات (بالجمع) - أو الأحرف، على الأصح - فهي ألفاظ يسيرة نزل بها الوحي بلفات القبائل، نحو: (١٢: ٨٧، سورة يوسف): «يا بَنِيَّ، اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا من يوسف وأخيه (أو فتجسسوا، بالجمع). ثم هنالك قراءات مشهورة وقراءات شاذة. فليراجع ذلك كله في مواضعه.

أَنْ يُقَسَّرَ أَحَدٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ شَيْئاً مِنَ الْقُرْآنِ حَتَّى جَاءَ بَقِيَّةُ بْنُ مَخْلَدٍ (ت ٢٧٢).
ثُمَّ لَانُوا فَاشْتَغَلَ مَكِّي بْنُ حَمُوشٍ بِشَيْءٍ مِنَ التَّفْسِيرِ.

وَبِمَا أَنَّ الْمَالِكِيَّةَ أَكْثَرُ اعْتِدَاداً عَلَى الرِّوَايَةِ عَنِ السَّلَفِ مِنْهُمْ عَلَى التَّفْسِيرِ بِالرَّأْيِ فَقَدْ
كَانَ مُعْظَمُ فُقَهَائِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ. مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ
مُحَمَّدَ بْنِ وَشَّاحٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ اللَّبَّادِ (٢٥٠ - ٣٣٣ هـ) الْقَيَّرَوَانِي، كَانَ مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ
الْمَالِكِيَّةِ وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ: فَضَائِلُ مَالِكٍ بْنِ أَنَسٍ - الْآثَارُ وَالْفَوَائِدُ - كَشَفُ الرِّوَاقِ عَنْ
صُرُوفِ الْجَامِعَةِ لِلْأَوَاقِ (٢) (فِي تَقْسِيمِ الْإِرْثِ). وَكَانَ قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ الْبِيَّانِي (ت ٣٤٠ -
لَهُ تَرْجَمَةٌ مُفْرَدَةٌ) مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ. وَكَذَلِكَ كَانَ أَبُو عَثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
عَبْدِ رَبِّهِ (ت ٣٤٢) فَقِيهاً وَطَبِيباً وَأَدِيباً شَاعِراً. ثُمَّ هُنَاكَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ شُعْبَانَ،
وَيُعْرَفُ بِابْنِ الْقُرْطُوبِيِّ (؟ - نَحْوَ ٢٧٣ - مَيَّسَر ٣٥٥ هـ)، مِنْ أَكْبَارِ فُقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ فِي
عَصْرِهِ وَأَحْفَظِهِمْ لِمَذْهَبِ الْمَالِكِ.

اتَّسَعَتْ دِرَاسَةُ الْفِقْهِ فِي هَذَا الْعَصْرِ فِي الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ، كَثِيراً. فَجَعَلَ أَنَّ مُحَمَّدُ بْنُ
عُمَرَ بْنِ الْقُوْطَيْبَةِ الْأَنْدَلُسِيِّ (ت ٣٦٧ هـ) كَانَ مُؤَرِّخاً مَشْهُوراً، كَمَا أَنَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنَ أَبِي زَمَنِينَ الْقُرْطُوبِيِّ (٣٢٢ - ٣٩٩ هـ) كَانَ مِنَ الْأَدْبَاءِ الشُّعْرَاءِ، فَلِنَّهَا كَلِمَتُهَا كَانَتْ
لَهَا عِنَايَةٌ كَبِيرَةٌ بِالْفِقْهِ.

وَعَرَفَ الْمَغْرِبُ، فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ، نَفَرًا مِنْ أَشْهُرِ الْفُقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ. مِنْ هَؤُلَاءِ أَشْهُرُ
فُقَهَاءِ الْمَغْرِبِ فِي عَصْرِهِ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ الْقَيَّرَوَانِيُّ (ت نَحْوَ ٣٨٦ هـ) ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ مَوْلَفُ
«الْمَدْخَلِ إِلَى عِلْمِ الدِّينِ وَالدِّيَانَةِ» (بِرُوكْلَمَنْ ١: ١٨٨) ثُمَّ تَلْمِيزُهُ أَيْضاً خَلْفُ بْنُ أَبِي
الْقَاسِمِ الْأَزْدِيِّ الْبِرَازَعِيِّ الَّذِي أَلَّفَ (٣٧٢ هـ) كِتَابَ تَهْذِيبِ الْمُدَوَّنَةِ وَالْمُخْتَلَطَةِ. ثُمَّ
جَاءَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْخَالِقِ بْنُ شَبْلُونٍ (ت ٣٩١ هـ)، وَلَقَدْ كَانَ الْإِعْتَادُ عَلَيْهِ فِي
الْقَيَّرَوَانِ فِي الْفُتْيَا وَالتَّدْرِيسِ بَعْدَ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ. ثُمَّ هُنَاكَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
إِبْرَاهِيمَ الْأَصْبَغِيِّ (ت ٣٩٢ هـ) - مِنْ أَهْلِ أَصِيلَةَ فِي الْجَانِبِ الشَّمَالِيِّ الْغَرْبِيِّ مِنَ
الْمَغْرِبِ - كَانَ عَالِماً بِالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالْكَلَامِ. وَبَعْدَ أَنْ تَطَوَّفَ فِي الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ
اسْتَقَرَّ نَهَائِيًّا فِي الْأَنْدَلُسِ فِي أَيَّامِ الْحُكْمِ الْمُسْتَنْصَرِ (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ).

ولا بدّ من الإشارة إلى فقيهين كبيرين في أعقاب هذا العصر: أبي الحسن عليّ بن محمّد القيروانيّ القاسبيّ (٣٢٤ - ٤٠٣ هـ) شيخ المالكية في عصره، كان حافظاً للحديث عالماً بالفقه أصوله وفروعه ومشاركاً في علم الكلام كثير التأليف في الأصول والفروع؛ ثم موسى بن عيسى بن حاج الغفجوميّ - نسبة إلى غفجوم وهي فخذ من زناتة - والمشهور بأبي عمران القاسي (٣٦٨ - ٤٣٠ هـ) طاف البلاد فسمع العلم في القيروان وقرطبة ومصر وبغداد ومكة. وكان يُقرأ القرآن بالقراءات السبع ويُجوّدها مع المعرفة بالحديث ورجاله وبالفقه. ثم كانت وفاته في القيروان وقبره في ظاهرها معروف يُزار ويُشار إليه.

ومع أنّ الفقه المالكي كان هو الغالب في المغرب والأندلس، فإنّ المغرب والأندلس كليهما قد عرّفا اتجاهات قليلة البروز أو كثيرة البروز من مذاهب أخرى. أمّا في المغرب فانتشر، في وقت من الأوقات، فقهان: الفقه الإباضي والفقه الفاطمي.

بعد انقضاء حكم الرُستَميّين في تاهرت بالاستيلاء الفاطمي (٢٩٦ هـ) انسحب الإباضية إلى جبل نفوسة وأقاموا لأنفسهم حكماً محلّياً وحكومةً يجب أن تكون شُروعية، كما هو معروف من قواعد المذهب. والمفروض في هذه الحكومة المحليّة أن يكون أمراؤها علماء. فمن الأئمة (بالمعنى السياسي والمعنى الديني معاً) من تُعرف أسماهم: أبو عمر ميمون ثم أبو الفضل سهل ثم أبو يحيى زكريّا الأرجاني. وقد تار هؤلاء على العبّيديّين. ويرى سليمان الباروقي (مختصر تاريخ الإباضية ٥٢) أنّ هؤلاء جميعهم كانوا في المائة الرابعة من الهجرة والنصف الأوّل من المائة الخامسة. ولعلّ أبا زكريّا يحيى بن الخير الجنوّويّ - وهو من جبل نفوسة أيضاً - (راجع بروكلمان، الملحق ١: ٦٩٢) كان من هؤلاء أو بُعيد عصرهم. لقد كان من علمائهم على الحصر، دَرَسَ على سليمان بن أبي هارون وعرفنا له كتابين طبعاً فيما بعد: كتاب الوضع في الفروع (القاهرة ١٣٠٥ هـ) وكتاب النكاح والطلاق (القاهرة، بلا تاريخ).

وفي هذه الحِقْبة ألف القاضي أبو حنيفة الثّمانيّ بن محمّد بن منصور (ت ٣٦٣ هـ)

كتابه: «دعائم الإسلام في الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله». هذا الكتاب مصدر للفيقه الفاطمي.

أما في الأندلس فبرز، في هذا العصر أيضاً، اتّجاهان فيقيهان: المذهب الشافعي الذي ظلّ قاصراً على نفر من الفقهاء ثمّ المذهب الظاهري الذي نقيّ انتشاراً أوسع قليلاً.

يبدو أنّ أوّل دخول المذهب الشافعي إلى الأندلس كان على يد المُحدّث قاسم بن محمّد بن سيّار القرطبي البياضي (ت ٢٧٨) وكان يعمل في التوثيق ويُعرفُ بصاحب الوثائق. رحل قاسم بن محمّد إلى المشرق في أواسط القرن الثالث للهجرة ولقيَ نقرأ من أصحاب الشافعي ثمّ عاد إلى الأندلس ووضع تأليف في هذا المذهب منها كتاب الإيضاح في الردّ على المقلّدين. وقد روى عنه أيضاً أسلم بن عبد العزيز بن هاشم (ت ٣١٩) وكان من الأئمة القضاة، تولّى قضاء الجماعة في أيام عبد الرحمن الناصر، وثقة من الرواة يميل إلى مذهب الشافعي. وروى عنه أحمد بن خالد بن الجباب (٢٤٦-٣٢٢ هـ).

ومن كبار الأندلسيين الذين أخذوا بمذهب الشافعي بقي بن مخلد (ت ٢٧٢ هـ) وله ترجمة مفردة. ويبدو أن الأمير محمّد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٣٢٢ هـ) قد سكّنت عن نشاطه في الدعوة لهذا المذهب الذي تلقّاه عنه نفرٌ كثيرون. وليس ذلك بمستغرب فالأمويون الذين كانوا قد جاءوا من الشام أصبح المذهب الشافعي مذهباً لقومهم وقطرحهم. ومن أواخر الذين مالوا إلى المذهب الشافعي في عصر الأمراء المتوارثين أبو زكريا يحيى بن عبد العزيز المعروف بابن الحرّاز القرطبي (ت ٢٩٥). وقد تصدّر للتدريس في القيروان وفي قرطبة وتكلّم في فيقه الشافعي.

كان الأمير عبد الله بن عبد الرحمن الناصر فيقيهاً شافعيّاً، ويبدو أنّ فقدان أمّله في الخلافة دفعه إلى الاهتمام بالعلم وإلى شيء من العمل السياسي (وله ترجمة مفردة). وكان من أنصار المذهب الشافعي أحمد بن عبد الوهاب بن يونس المعروف بابن صلاح الله (صلّى الله) المتوفى سنة ٣٦٩ (وقيل ٣٩٨)، كان يأخذ بالرأي (بتفسير المداير

الدينية بالعقل) فَأَتَمَّهُمْ فَقَهَاءُ الْمَالِكِيَّةِ بِأَنَّهُ مَعْتَزِلِي. وَالْحَكْمُ الْمُسْتَنْصَرُ نَفْسُهُ (٣٥٠-٣٦٦ هـ) كَانَ يَسْتَحْسِنُ الْمَذْهَبَ الشَّافِعِيَّ وَيُكْرِمُ أَهْلَهُ مِنَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ وَمِنْ غَيْرِهِمْ، وَقَدْ عَيَّنَ أَبُو عَمْرٍو يَوْسَفَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْهَمْدَانِيَّ (ت ٣٨٣) مِنْ أَهْلِ شَذَوْنَةَ- وَكَانَ شَافِعِيًّا- عَلَى قِضَاءِ قُلْسَانَةَ، وَعَيَّنَ أَخَاهُ عَلَى الصَّلَاةِ فِي شَرِيشَ- وَفِي نِطَاقِ الْمَذْهَبِ الظَّاهِرِيِّ:

وُلِدَ أَبُو سُلَيْمَانَ دَاوُودُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ خَلْفٍ الْأَصْغَهَانِيُّ (٢٠١-٢٧٠ هـ) فِي الْكُوفَةِ. ثُمَّ إِنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادَ. وَكَانَ أَعْتَادُهُ فِي الْفَقْهِ عَلَى الظَّاهِرِ (يَأْخُذُ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَأَحَادِيثِ الرُّسُولِ مِنْ غَيْرِ لُجُوءٍ إِلَى تَأْوِيلٍ أَوْ رَأْيٍ أَوْ قِيَاسٍ). فَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَدْ أَوْجَدَ الْمَذْهَبَ الظَّاهِرِيَّ وَعُرِفَ هُوَ بِدَاوُودَ الظَّاهِرِيِّ.

وَمَعَ أَنَّ الْمَذْهَبَ الظَّاهِرِيَّ كَانَ قَدِ انْتَقَلَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ عَلَى يَدِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ هِلَالٍ (ت ٢٩٢)، فَإِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي عَمِلَ عَنْ نَشْرِ الْمَذْهَبِ وَالِاحْتِجَاجِ لَهُ وَالِدَفَاعِ عَنْهُ كَانَ مُنْذَرُ بْنُ سَعِيدٍ الْبَلُوطِيُّ (٢٧٢-٣٥٥ هـ). غَيْرَ أَنَّ هَذَا الْمَذْهَبَ ظَلَّ، فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، قَاصِرًا. وَفِي أَيَّامِ النُّصُورِ بْنُ أَبِي عَامِرٍ (٣٦٦-٣٩٢ هـ) خَفَّتِ الدَّعْوَةُ إِلَى الْمَذْهَبِ الظَّاهِرِيِّ لِأَنَّ النُّصُورَ وَقَفَ إِلَى جَانِبِ فَقْهِهِ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيَّ خُصُومَ الْمَذْهَبِ الظَّاهِرِيِّ.

مِنْ الْمُنْتَظَرِ أَنَّ تَكُونَ الْحَضَارَةَ وَالثَّقَافَةَ فِي صِغَلِيَّةٍ جَانِبًا مِنَ الْحَضَارَةِ وَالثَّقَافَةِ فِي إِفْرِيْقِيَّةٍ (الْقَيْرَوَانِ) وَالْمَغْرِبِ. وَيَبْدُو أَنَّ الْحَيَاةَ فِي دَوْرِهَا الْأَوَّلِ (فِي عَهْدِ الْأَغَالِبَةِ) كَانَتْ دِينِيَّةً فِي مُجْمَلِهَا فَقَدْ أَكْثَرَ الْمُسْلِمُونَ الْأَوَّلُونَ فِي صِغَلِيَّةٍ مِنْ بَنَاءِ الْمَسَاجِدِ: كَانَ الْأَخُّ وَأَخُوهُ أَوْ الْأَبُ وَابْنُهُ يَبْنِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مَسْجِدًا قَرِيبًا أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ. وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى آتِنَاشَارِ الْإِسْلَامِ وَعَلَى عُمُقِ الشُّعُورِ الدِّينِيِّ فِي النَّاسِ فَحَسَبُ، بَلْ كَانَتْ الْمَسَاجِدُ مَرَاكِزَ لِلْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ أَيْضًا.

وَكَذَلِكَ يَبْدُو أَنَّ الْفِقْهَ الْمَالِكِيَّ كَانَ السَّائِدَ فِي صِغَلِيَّةٍ، وَلَا غَرْوَ فَإِنَّ فَتْحَ صِغَلِيَّةٍ بَدَأَ بِأَسَدِ بْنِ الْفَرَاتِ. وَأَسَاسُ الْعِلْمِ عِنْدَ أَتْبَاعِ مَالِكٍ الْيَوْمَ كِتَابُ (الْمَدُونَةِ) وَقَدْ جَمَعَهَا أَسَدُ بْنُ الْفَرَاتِ فِي «الْأَسَدِيَّةِ».... وَكَانَ أَسَدُ بْنُ الْفَرَاتِ تَلْمِيزًا لِلْإِمَامِ

مالك^(١) (فلسفة التشريع ط ٤ ، ص ٥٦).

ومن فقهه المالكية في صِغَلِيَّةَ أبو يحيى محمد بن قادم (ت ٢٤٣) تلميذ أسد بن الفرات ثم عبد الله بن حَمْنُونٍ (أو حَمْنُونِيهِ) الكلبي الصِغَلِيَّ (ت ٢٧٠ هـ) ودُعامة بن محمد الفقيه (ت ٢٩٧ هـ) تلميذ سَحْنُونٍ (ت ٢٤٠ هـ). ثم هنالك أبو لُقْمَانُ بن يوسف الفَسَّافِي (ت ٣١٩ هـ) وقد درَّسَ المَدُونَةَ في بَلَرَمَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً. ولا نَعْلَمُ متى دَرَسَهَا: أي عهدِ الأغالبة أم في مَطْلَعِ عهدِ المُبِيدِيَّينَ؟

اللغة

اقتصَرَ الأندلسيون في الاهتمام باللغة والنحو- في هذا العصر- على الاهتمام بكتِّبِ المشاركة. وقد أَدخَلَ كتابَ العين^(٢) إلى الأندلس ثابت بن عبد العزيز السرقسطي (ربما في أواخر القرن الثالث^(٣)) كما ألف أبو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩) مُختَصراً لكتاب العين ثم كتاباً في الاستدراك (لكلمات جديدة) على كتاب العين نفسه.

والمعاجم في الأندلس بدأت مُختَصرات^(٤) لكتب المشاركة، ولم يكن فيها مِنَ الابتكار إلا قليلاً. حتَّى كتابُ «نَوَادِرِ اللُّغَةِ» للقالي - وقد وَضَعَهُ القالي في الأندلس- يُشَبِّهُ كتابَ «الكامل» للمبرِّد^(٥).

ووضع محمد بن أبان بن سيِّد بن أبان القرطبي (ت ٣٥٤ هـ)^(٦) مُعْجَماً كبيراً (في نحو مِائَةِ سِغْرِ) بناه على الأنواع لا على الحروف وسمَّاه «كتاب العالم». وذكر آخِل

(١) قاسم - ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بن مطرف بن سليمان بن يحيى العوفي السرقسطي عالم بالحديث والفقه واللغة والنحو والشعر، رحل هو وأبوه إلى المشرق وحجَّاهم عاداً إلى الأندلس. وقاسم (٢٥٥-٣٠٢ هـ) أول من أدخل كتاب العين إلى الأندلس. وبدأ قاسم تأليف كتاب الدلائل في شرح الحديث (بذكر ما أغفله أبو عبيدة وابن فتيبة من غريب الحديث). ولكنه مات قبل أن يتمه فأتمه أبوه ثابت (٢١٧-٣١٣ هـ).

(٢) كتاب العين أول القواميس العربية، وهو للخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (١٠٠-١٧٠ هـ).

(٣) الزبيدي ٣٠٩.

(٤) راجع تاريخ الفكر الأندلسي ١٨٩.

(٥) أبو المَبَّاس المبرِّد البصري (ت ٢٨٦ هـ) من علماء اللغة والنحو.

(٦) تاريخ الفكر الأندلسي ١٨٩ بقية الوعاة ٤: ابن الفرضي ٣٦٢.

جنثالث بالنشيا (تاريخ الفكر الأندلسي ١٨٩) أن المؤلف المشرقي سعيداً الرباعي (ت ٤١٦) قد نهج في تأليفه «كتاب اللآلي» نهج ابن سيد الأندلسي. ولكن في نسبة الابتكار في هذا النوع من التأليف إلى الأندلسيين موضعاً للنظر.

إلا أن الإشارة تحسن هنا إلى كتاب الزبيدي «طبقات النحويين واللغويين» (في المشرق والمغرب والأندلس) للدلالة على اهتمام المغاربة كلهم بهذا الموضوع، كما تحسن الإشارة إلى أبي علي القالي. مرت ترجمة أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي في الجزء الثاني. وسأقي هنا بعدد من الملاحظات البارزة التي تتعلق به لأنه يمثل في الأندلس اتجاهاً مشرقياً واضحاً زاد في أثر المشاركة في المغاربة.

وُلد أبو علي القالي سنة ٢٨٨ (٩٠١ م) في بلدة منازكرَد (منازجرد) على الفرات الشرقي قرب بحيرة «وان» من ديار بكر (شمال الشام والعراق)، في الجنوب الشرقي من آسية الصغرى (تركية) اليوم.

طاف القالي في منطقته ثم جاء إلى الموصل، سنة ٣٠٣ هـ. بعدئذ دخل بغداد سنة ٣٠٥ هـ وأقام فيها إلى سنة ٣٢٨ وكتب فيها الحديث. ثم إنه خرج من بغداد قاصداً الأندلس. وكان دخوله إلى قرطبة في السابع والعشرين من سنة ٣٣٠ (١٧/٥ / ٩٤٢ م). وكانت وفاة القالي في قرطبة في أوائل ربيع الآخر أو جمادى الأولى من سنة ٣٥٦ (في أواخر الشتاء من عام ٩٦٦ م).

أخذ القالي الحديث عن جماعة منهم القاضي يوسف بن يعقوب البصري (٢٠٨- ٢٩٧ هـ) وأبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي البغدادي (٣١٣- ٣١٧ هـ) المعروف بآبن بنت منيع وكان محدث العراق في عصره. ومنهم الحسين بن إسماعيل الحاملي البغدادي (٢٣٥- ٣٣٠ هـ). غير أن شيوخه في اللغة والنحو والأدب كانوا أوسع شهرة وأوضح نسباً. كان منهم: أبو اسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (٢٤١- ٣١١ هـ) وأبو الحسن علي بن سليمان المعروف بالأخفش الأصغر (ت ٣١٥) وأبو بكر محمد بن السري بن السراج (ت ٣١٦) وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣- ٣٢١ هـ) وأحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٣٢٢).

بهذا يكون القالي قد نَقَلَ إلى الأندلس رُبْدَةَ علمِ اللغة وعلم النحو.

ولمَّا وَقَدَ القالي على الأندلس حَمَلَ مَعَهُ عدداً كبيراً من الكُتُب وأقرأها بلاريب، فكان لها تأثيرٌ كبيرٌ في اتِّجَاهِ الأندلسيين في الدراسة والثقافة. كانت هذه الكتب لِمَجَاعَةٍ من أعلام المشاركة منهم^(١): الفراء (ت ٢٠٧) والمازني (ت ٢٤٩) والمبرد (ت ٢٨٦) وتَمَلَّبُ (ت ٢٩١) والأخفش الأصغر (ت ٣١٥) وابنُ دريد (ت ٣٢١) وابنُ قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِيَّ (ت ٣٢٢) ونِفْطَوَيْهِ (ت ٣٢٣) وابنُ أبي الأَزهَر (ت ٣٢٥) وابنُ الأنباري (ت ٣٢٨) وابنُ دُرُسْتَوَيْهِ (ت ٣٤٧).

وعُني القالي بإقراء شعرٍ نَقَرَ من الشعراء الجاهليين والإسلاميين والمُحَدِّثِينَ (العبَّاسيين). من هؤلاء: طَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ والنابغةُ الذُّبْيَانِي وعُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ وَحاتمُ الطائي وزُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلمَى وَعَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ والأعشى الكبير ثم الحنساء والمُحْطِيشَةُ وَحَسَّانُ ابْنُ ثَابِتٍ وَجَبِلُ بُشَيْنَةَ وَعُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَذُو الرُّمَّةِ والطِّرِمَاحُ بْنُ حَكِيمٍ ثم أبو نُوَاسٍ.

الجغرافية والتاريخ

وفي الجغرافية والتاريخ ألف المغاربة الكُتُبَ تقليداً للمشاركة. ألف أبو عبد الله مُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ التاريخيُّ الوراقُ (٢٩١ - ٣٦٢ هـ) للحكم المستنصر كتاباً ضخماً «مسالك إفريقيا وممالكها» وألف في أخبار ملوكها وحروبها كتاباً جمّاً، كما ألف كتاباً في أخبار عددٍ من المدن مثل تِهْرَتَ وَوَهْرَانَ وَسِجِلْمَاسَةَ والبصرة. ومُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ هذا

(١) راجع «فهرسة... ابن أبي خبير الأشبيلي» (ت ٥٧٥ هـ)، ص ٣٩٨ وما بعد. وللدكتور حسن جاك الدين دراسة هي: «أدباء بغداديين في الأندلس» (بغداد- منشورات مكتبة النهضة) ١٩٦٢-١٩٦٣ م، بذل فيها جهداً شكوراً لإحصاء هذه الكتب وتنسيقها، ولكن هذا الإحصاء والتنسيق لا يزالان بحاجة إلى إعادة نظر. وفضله أنه رأى أثر هذه الكتب في حركة العلم في الأندلس. ولأبي عليّ القالي ترجمة نافعة في «طبقات النحويين واللغويين» (ص ٢٠٢-٢٠٥: أبو عليّ البغدادي) لتلميذه أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ). ولقد عدّه تلميذه الزبيدي (بعض الزاي) مع المشاركة.

أندلسي الأصل نشأ في القيروان ثم هاجر إلى قرطبة^(١).

وقد كانت الغاية من تأليف كتب الجغرافية معرفة الطرُق إلى الحج خاصة ومعرفة الطرق بين بلاد العالم الإسلامي. ولقد ألف ابن خرداذبة البغدادى (ت نحو ٢٨٠ هـ) كتاب المسالك والممالك، قبل الوراق بنحو قرنين من الزمن.

واشتهر في التأليف في التاريخ ثلاثة أجيال من آل الرازي وأصلهم من الرّي في فارس بالمشرق: محمد بن موسى (ت ٢٧٣ هـ) وابنه أحمد (٢٧٤ - ٣٢٤ هـ) ثم حفيده عيسى (ولعل وفاته كانت في الثلث الأخير من القرن الهجري الرابع).

أما محمد فينسب إليه كتاب الرايات، وقد ضاع إلا مقاطع يسيرة مفرقة في عدد من المصادر. وأما ابنه أحمد فهو مؤرخ الأندلس ألف أربعة كتب ضاعت أيضاً. وأحد كتبه «صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان فيها» يشبه كتاب «تاريخ بغداد» لأحمد بن أبي طاهر طيفور الحراساني (٢٠٤ - ٢٨٠ هـ). ولعيسى أيضاً كتابان: تاريخ الأندلس ثم حجاب خلفه الأندلس، وقد ضاعا.

ومع أن هذه الكتب كلها قد ضاعت، فإن أسماءها وما بقي من بعضها (مُفرقاً في المصادر) يدل على اتجاه أصحابها في تأليف التاريخ.

ومن الكتب المهمة في التاريخ كتاب عنوانه «أخبار مجموعة» يبدأ بفتح الأندلس وينتهي بمقدّر من الحوادث في أيام عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ). من أجل ذلك يميل نفر من الدارسين إلى الاعتقاد بأن الكتاب من هذا العصر. ولكن منهم من يرى أنه أحدث من ذلك عهداً. وبما أن الكتاب لا يظهر عليه اسم مؤلف فقد ظن نفر آخرون من الدارسين أنه من تأليف جماعة من المؤرخين المتوالين في الزمن^(٢). وهناك كتاب صغير هو «تاريخ افتتاح الأندلس» لابن القوطية (ت ٣٦٧ هـ)، وهو يسرد الأخبار من لدن الفتح إلى آخر أيام الأمير عبد الله بن محمد (ت ٣٠٠) على غاية من الوجازة مع شيء من الزهو الملموح بالقوط، لأن جدّه ابن القوطية

(١) جذوة القتبس ١٩٠ بغية المنس ١٣١؛ بروكلمان، الملحق ١: ٢٣٣.

كانت سارة حفيدة غَيْطَسَةَ الذي وَقَفَ يومَ الفتح إلى جانب المسلمين آنتقاماً من لُذْرِيْقَ الذي كان قد آنتزع منه الملك.

وكان عَرِيبُ القرطبي (ت ٣٦٩) قد اختصر بعضَ تاريخ الرُّسُل والملوك «لأبي جعفر محمد بن جرير الطَّبْرِيّ» (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) ثم أضاف إليه أشيئه من تاريخ الأندلس. ثم هنالك كتاب كبيرٌ في التاريخ لأحمد بن عبد الملك بن شُهَيْدٍ (ت ٣٩٢) مَبْنِيٌّ على السِّنَنِ، وهو النَّهْجُ الذي كان الطَّبْرِيّ قد اتَّبعه.

الرياضيات والطبيعات

تأخَّرَ اتَّسَاعُ النشاطِ العلميِّ في مَبْدَائِيِ الرياضيات والطبيعات في الأندلس، ثم ظلَّ الأندلسيون خاصَّةً يُشاركون في علومٍ كثيرةٍ من الحساب والمهندسة والفلك إلى جانب الطبِّ والفقه والفلسفة أحياناً. واقتصر نشاطُ أهلِ المغربِ في الأكثر على الطبِّ. وإذا نحن قارنًا جهودَ المغاربة والأندلسيين - حتَّى أواخرِ هذا العصرِ الذي نُجمل خصائصه العامَّة هنا - في هذه العلوم بمجهود المشاركة لم نَجِدْ للمغاربة والأندلسيين براعةً تُوجِبُ عَدَّهم إلى جانبِ العُلَماءِ المشاركة^(١).

لعلَّ أوَّلَ مَنْ يَسْتَحِقُّ الذِّكْرَ في هذا الباب، ومن هذه البايّة، ادريسُ بن ميم (٢) الإشبيلي القرطبي (ولعلَّ وفاته كانت نحو ٣٦٠ هـ)، كان نحوياً بصيراً بحدِّ المنطق حاذقاً بعلم الحساب والتنجيم شاعراً مطبوعاً ومن عُلَماءِ الكلام (الزبيدي ٣٣٢). ولقد كان على شعره طلاوة. فمن شعره:

أَرْجِ النفسَ بالدموعِ ففِيها	من جَوَى الشَّوقِ راحةٌ للنفوسِ ^(٢)
وقريضٌ يَفْضُ من زَهَرِ الرِّوْ	ضٍ ويُزْرِى على حُلِيِّ العروسِ ^(٣)
ظَلَّ إِدْرِيسُ شاكراً فِيه نَعْمى	أُسْدِيَّتْ أَنْفَاً إلى إِدْرِيسِ!

(١) راجع تاريخ العلوم عند العرب ١٣١ وما بعد.

(٢) الجوى: اشتداد الحزن أو المرض من الحب.

(٣) أزرى: غاب. أزرى على حليّ العروس: أظهر نقص فبمنها بالإضافة إليه نفسه

ومثل إدريس هذا محمد بن عبدون الجبلي العُدري كانت له رحلة إلى المشرق (٣٦٠ - ٣٦٧ هـ) ومشاركة في عددٍ من العلوم (طبقات الأطباء ٢: ٤٦). ولكن لا بدَّ من وقفةٍ قصيرة عند مسلمة بن أحمد الجريطي (ت ٣٩٨ = ١٠٠٧ م) إمام الرياضيين في الأندلس في عصره، دخلت العلوم الرياضية إلى الأندلس على يديه وكثُر تلاميذه فيها. عُني مسلمة بالفلك وبزيج^(١) الخوارزمي (ت ٢٣٢) خاصة وحوله من السنين الفارسية (الشمسية) إلى السنين العربية (الهجرية القمرية) ثم اختصره وأصلحه. وله كتاب اختصر فيه تعديل الكواكب من زيج البتاني (ت ٣١٧) (٢).

ثم هنالك أبو القاسم أصبغ^(٣) بن محمد بن السمع الغرناطي (٣٦٨ - ٤٣٦ هـ) له من الكتب: المدخل إلى علم الهندسة (في تفسير كتاب الأركان لأقليدس) - كتاب الهندسة الكبير (٩ معالجة الأشكال الهندسية ذوات الخطوط المستقيمة والمقوسة والمنحنية)^(٤) - طبيعة العدد (خواص الأعداد: المتواليات)^(٥) - ثار العدد (في المعاملات: الحساب التجاري) - التعريف بالأصطرلاب - العمل بالأصطرلاب - زيج على مذهب السند هند^(٦) يتألف من قسمين: أحدهما الجداول (وفيها مواقع النجوم وحركاتها) والثاني منها رسائل الجداول (شرح لها ٢).

- (١) الزيج: جدول فيه مواقع النجوم ومطالعها ومفاريها. والخوارزمي أكبر علماء الرياضيات في الإسلام وموجد علم الجبر.
- (٢) البتاني من كبار علماء الفلك.
- (٣) طبقات الأطباء ٢: ٣٩، بروكلن ١: ٦٢٣، الملحق ٨٦١.
- (٤) المقوسة (التي هي قوس): جزء من دائرة (يقال للقوس اليوم: المنحنية). والمنحنية هنا هي التي يقال لها اليوم: الخط المنكسر.
- (٥) المتواليات: سلاسل أعداد على نسق مخصوص. فالسلسلة الحسابية الطبيعية (تبدأ بالواحد) نحو: ١، ٢، ٣، ٤، ٥... الخ أو يفرق معلوم هو اثنين مثلاً نحو ١، ٢، ٤، ٨، ١٦... الخ أو ١، ٣، ٥، ٧... الخ، أو يفرق خمسة نحو ١، ٥، ١٠، ١٥، ٢٠... الخ. هذه كلها تسمى متواليات حسابية. أما المتواليات الهندسية فتكون بأن يكون كل حد (عدد) فيها ضعف الذي قبله، نحو: ١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢... الخ أو ثلاثة أضماؤه ١، ٣، ٩، ٢٧، ٨١... الخ.
- (٦) الزيج جداول فيها تعيين مواقع النجوم وحركاتها (على مدار السنة) أصله هندي. وهو يتناول الفلك والانساب (الثلاث) في الأكثر.

وقريب من أصبغ هذا أبو القاسم أحمد بن محمد بن عمر بن الصفار^(١) من تلاميذ مسلمة بن أحمد المرحيطي (أو المرحيطي أيضاً)^(٢) كان بارعاً في علم العدد والهندسة والنجوم، وقد تصدّر في قرطبة لتعليم ذلك كله. وله زيغ مختصر على مذهب السند هند وكتاب العمل بالأصطرلاب حسن العبارة قريب المأخذ. وفي صدر الفتنة انتقل من قرطبة إلى دانية ثم توفي فيها سنة ٤٢٦ هـ. وكان لابن الصفار أخ يسمى محمداً مشهوراً بعمل الأصطرلاب لم يكن قبله في الأندلس أبرع منه في ذلك.

ولا بد من ذكر أبي الحسن علي بن أبي الرجال^(٣) الشيباني المغربي القيرواني من أهل مدينة فاس، وقد عاش مدة في بلاط المعز بن باديس الصنهاجي (٤٠٦ - ٤٥٤ هـ) في القيروان. ويبدو أنه كانت له رحلة إلى المشرق وأنه شارك في الأرصاد^(٤) التي قام بها أبو سهل ونجاش بن رستم القوهي (أو الكوهي) في بغداد سنة ٣٧٨ هـ. ولابن أبي الرجال تأليف أشهرها كتاب البارع في أحكام النجوم (في التنجيم) وقد كان له أثر كبير في أوروبة خاصة فقد نُقل إلى العبرية وطُبِعَ بها مرتين (البندقية في إيطاليا ١٤٨٥ م وباسل في سويسرة ١٥٥١ م) كما نُقل إلى اللاتينية وطُبِعَ بها خمس مرات، وإلى الإسبانية والبرتغالية. وكانت وفاة ابن أبي الرجال في سنة ٤٣٢ هـ (١٠٤٠ م) أو بعد ذلك بقليل.

عني أهل المغرب وأهل الأندلس بالطب والنبات لصلة النبات بالداواة.

في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) ورد من المشرق طبيب يُعرف بالحرّاني وكانت معه مجربات في الطب منها معجون لوجع البطن كان يبيع

(١) طبقات الأطباء ٤٠: ٢.

(٢) المرحيطي: نسبة إلى مجريط (مدريد: عاصمة إسبانية اليوم) وفي الصلة لابن بشكوval (ص ٥٨٩): المرحيطي (بتقديم الراء على الجيم). وفي طبقات الأطباء (٢: ٣٩، ٤٠، ٤٥): المرحيطي (بالهاء المهملة)، ولمله خطأ مطبعي. راجع أيضاً بروكلس: ٢٥٦: ١، الملحق ٤٠١: ١.

(٣) راجع تاريخ الفلك عند العرب تأليف ناليو ١١٥، بروكلس ٢٥٦: ١، الملحق ٤٠١: ١ تاريخ العلوم عند العرب تأليف فروخ ١٧٩.

(٤) الأرصاد جمع رصد (بفتح ففتح) - مراقبة حركات النجوم لتعيين مطالعها ومغاربها وسيرها.

الشربة منه بخمسين ديناراً، وكان يبيعه رائجاً. فحسده جماعة من الأطباء وجاء إليه نفر منهم فيهم حمد بن أبان وجواد الطبيب النصراني واشتروا منه شربة بخمسين ديناراً وحملوا يذوقونها ويشمونها. ثم رجعوا إليه فقالوا: قد علمنا أن في المعجون كذا وكذا من العقاقير. فقال لهم: «أصبتم العقاقير وأخطأتم مقاديرها» ثم أشركهم في تجارته ثلثاً ينفردوا بصنع المعجون. (طبقات الأطباء ٢: ٤٢، راجع ٤١).

ثم هنالك أحمد وعمر ابنا يونس بن أحمد الحراني- ولعلها ابنا الحراني الأنبي الذكري- زارا المشرق (٣٣٠- ٣٥١ هـ) ثم عادا واتصلا بالحكم المستنصر (٣٥٠- ٣٦٦ هـ). ولكن عمر توفي وشيكا وبقي أحمد منقطعاً إلى الحكم يطببه ويطب أهل بيته. وكان أحمد بارعاً جداً في الأدوية المفردة والأدوية المركبة، وبارعاً في مداواة أمراض العيون. ويبدو أنه عاش إلى أواخر الدولة الأموية. ولعريب بن سعيد القرطبي (ت ٣٧٠ هـ) كتاب «خلق الجنين وتدبير الحبال والمولود».

ثم يأتي في هذا العصر أبو داود سليمان بن حسان بن جليل (ت ٣٩٩) وكان طبيباً مختصاً بهشام المؤيد (٣٦٦- ٣٩٩ هـ، في المرة الأولى) له من الكتب: تاريخ (أو طبقات) الأطباء والفلاسفة، ويسمى أيضاً: تاريخ الحكماء (ألفه سنة ٣٧٧)- أدوية الترياق- كتاب تفسير الأدوية المفردة (الواردة في كتاب «الأدوية المفردة» تأليف ذيوسقوريدس العين زربي اليوناني من أحياء القرن الأول بعد الميلاد)، ولعله كتاب الحشائش لابن جليل أيضاً.

ومن كبار الأطباء ابن الجزار القيرواني (ت ٤٠٠ هـ)، وقد كان أبوه وعمه طبيبين. كان ابن الجزار طبيباً بارعاً ومؤلفاً كثيراً في موضوعات مختلفة. فمن كتبه في الطب: زاد المسافر وقوت الحاضر (طعام الإنسان في السفر والحضر)، أوها كتابان فيكون «زاد المسافر» (في علاج الأمراض)- الاعتاد (في الأدوية المفردة)- البغية (في الأدوية المركبة)- العدة لطول المدة (كتاب كبير في الطب)- قوت المقيم (عشرين مجلداً)- طب الفقراء- البلغة (في حفظ الصحة)- كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها- كتاب في الفرق بين العلل التي تشبه أسبابها وتختلف أعراضها

(عَلامَاتُهَا) - مُجَرَّبَاتٌ فِي الطِّبِّ.

وكان ابنُ الجَزَّارِ يُنَزِّهُ نَفْسَهُ عَنِ أَنْ يَتَنَاوَلَ أَجْراً مِنَ الْمَرِيضِ أَخْذاً بِيَدِهِ. فَجَعَلَ عَلَى بَابِ دَارِهِ سَقِيفَةً وَأَعَدَّ فِيهَا غُلاماً لَهُ اسْمُهُ رَشِيقٌ وَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَمِيعَ الْأَدْوِيَةِ. فَكَانَ إِذَا فَحَصَ مَرِيضاً أَرْسَلَهُ إِلَى رَشِيقٍ لِيَأْخُذَ مِنْهُ الدُّوْلَةَ وَيُدْفَعُ إِلَيْهِ الْمَالُ. فَكَانَ بِذَلِكَ قَدْ أَسَّسَ نِظَامَ الصِّيدَلَةِ بِالفصلِ بَيْنَ الطَّبِيبِ وَالصِّيدَلَانِي.

وَمِنَ الَّذِينَ دَرَسُوا عَلَى ابْنِ الْجَزَّارِ فِي الْقَيْرَوَانِ عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ بَرْتَقْيَ أَخْذاً عَنِ ابْنِ الْجَزَّارِ « كِتَابُ زَادِ الْمَسَافِرِ » ثُمَّ أَدْخَلَهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ.

وَأَشْهُرُ الْأَطْبَاءِ فِي الْأَنْدَلُسِ أَبُو الْقَاسِمِ خَلْفُ بْنُ عَبَّاسٍ الزَّهْرَاوِيُّ - نِسْبَةً إِلَى الزَّهْرَاءِ قُرْبَ قُرْطَبَةٍ حَيْثُ وُلِدَ - بَرَعَ فِي الْجِرَاحَةِ خَاصَّةً. لَهُ كِتَابُ « التَّصْرِيفِ لِمَنْ عَجَزَ عَنِ التَّأْلِيفِ ». وَيَذْكُرُ الزَّهْرَاوِيُّ تَعْقِيمَ الْجُرُوحِ بِالْكَمِيِّ وَبِالْقَوَابِضِ (الْمَوَادِّ الْمَرَّةِ وَالْحَرِيفَةِ) وَيَتَكَلَّمُ عَلَى جِرَاحَةِ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ وَالْأَسْنَانِ وَالْفَتَقِ وَعَلَى تَقْنِيتِ الْحَصَى فِي الْمَثَانَةِ وَعَلَى التَّوْلِيدِ وَعَلَى رِبْطِ الشَّرِيَانِ لِمَنْعِ النَّزِيفِ. وَهُوَ يُوَكِّدُ حَاجَةَ الْمُسْتَغْلِينَ بِالطِّبِّ إِلَى تَشْرِيحِ الْأَجْسَامِ مِثَّةً وَحَيَّةً. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٤٠٤ (١٠١٣ - ١٠١٤ م).

الفلسفة

بَدَأَ التَّفَكُّيرُ الْفَلَسَفِيُّ فِي الْأَنْدَلُسِ - مُسْتَقِلاًَّ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْمَذَاهِبِ الدِّينِيَّةِ - مَعَ احْتِكَاكِ الْمَغَارِبَةِ فِي أَثْنَاءِ رِحْلَتِهِمْ إِلَى الْمَشْرِقِ بِأَهْلِ الرَّأْيِ الْفَلَسَفِيِّ وَأَهْلِ الْإِعْتِرَالِ (النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ وَالبَحْثِ الْمُنْطَقِيِّ فِي الْعَقَائِدِ). وَأَوَّلُ مَنْ تَحَسَّنَ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْبَابِ يَحْيَى بْنُ مَحْبِيٍّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ السَّمِينَةِ (ت ٣١٥)، وَكَانَ بَصِيراً بِالْجِسَابِ وَالنَّجُومِ وَالطِّبِّ وَالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْأَخْبَارِ (التَّارِيخِ). وَكَانَتْ لَهُ رَحْلَةٌ إِلَى الْمَشْرِقِ رَجَعَ مِنْهَا وَقَدْ تَعَلَّقَ بِأَشْيَاءَ مِنَ الْجَدَلِ الْفَلَسَفِيِّ وَأَصْبَحَ مُعْتَزَلِيَّ الْمَذْهَبِ (طَبَقَاتُ الْأَطْبَاءِ ٢ : ٣٩).

وَأَوَّلُ الَّذِينَ اتَّجَهُوا اتِّجَاهاً فِلَسَفِيّاً عَلَى الْخَصَرِ فِي الْأَنْدَلُسِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْرَةَ (٢٦٩ - ٣١٩ هـ) عَرَفَ أَشْيَاءَ مِنَ الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ وَمَالَ إِلَى الْإِعْتِرَالِ وَإِلَى

التأويل الباطني في الدين. من أجل ذلك كان يكتُم أمره أشدَّ الكِتَان. ثم اضطرَّ إلى أن يخرج من قرطبة فانتقل إلى القيروان. ولكنه عاد بعد ذلك إلى قرطبة ولزم فيها بيتاً نائياً عن الناس. وكانت آراء ابن مسرة خليطاً من الآراء اليونانية المتأخرة وأكثرها يدور حول تحيّل هذا العالم ووجوده من الاعتقاد بمادّة روحانية تتألف منها الكائنات (المادّية) في مقابل العالم العقلي الذي يتألف من الجواهر الخمسة. وفي فلسفته أشياء كثيرة وثنية.

وكثُر أتباع ابن مسرة وخصوصاً في أيام الحكم المستنصر لما كان من تشجيع الحكم للعلم ولتساهله في انتشار الآراء المختلفة. فلما توفّي الحكم المستنصر، سنة ٣٦٦ (٩٧٦ م) حدثت حملة على آراء ابن مسرة وعلى أتباعه ثم اشتدت هذه الحملة في أيام المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢ هـ).

مظاهر الأدب وخصائصه وأعلامه

في عصر الخلافة

كان أمراء بني أمية ينظرون إلى دولتهم في قرطبة بالأندلس على أنها استمرار لدولتهم في دمشق بالشام. فهذا النظر القومي العصبي مضافاً إلى الجامع الديني الروحي جعل أهل الأندلس كلهم يرون في المشرق مثلاً أعلى وقُدوة في الحياة الاجتماعية وفي الفقه والعلم والتفكير والأدب. من أجل هذا كله لا يستغربين أحد إذا لم يحتلف الأدب الأندلسي في الشعر والنثر من الأدب المشرقي - في خصائصه المعنوية وخصائصه اللفظية - اختلافاً ظاهراً. وتما يروى في هذه الحال أنه لما وصل كتاب «العقد» لابن عبد ربّه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) إلى المشرق وأطلع عليه صاحب بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ) قال: «هذه بضاعتنا ردت إلينا!» فإن كتاب «العقد» هذا كتابٌ مشرقي في اتجاهه وموضوعاته وأسلوبه وروحه ومُنْتَخَباته. ولولا أن فيه فضلاً يتعلّق بأمراء الأمويين في قرطبة لما أدرك أحد أن للكتاب صلة بالأندلس.

أولك ما يُلَفَّتُ النظرَ في الشعر الأندلسي أن الجانبَ الفكريّ فيه ضعيفٌ بالإضافة إلى ما نَعْرِفُهُ من الشعر المشرقي في طوره الجاهليّ أيضاً. إنَّ التَّنَوُّعَ والاتِّساعَ والمُعَمَّقَ التي نراها في شعر المشاركة لا نراها في شعر المغاربة، فليس في شعراء المغرب والأندلس جبايرةُ فكرٍ وعلمٍ من أمثال امرئ القيس وطرفة بن العبد والفرزدق وبشار بن بُرْدٍ وأبي نواسٍ وأبي تمامٍ والمتنبيّ والمعرّي. لقد كان من مُثْلِهِمُ العُليا أن يُقال في ابن هاني الأندلسي «متنبي الغرب» وفي ابن زيدون «بُحترى المغرب»!

النتاج الأدبي

إنَّ إعجابَ الأندلسيّين والمغاربةِ بالمشاركة- في السياسة والاجتماع- قد بَرَزَ أيضاً في النتاج الأدبي وفي خصائصه المعنوية واللفظية. وإذا كانت الأغراض الأدبية قد عَرَفَتْ بعض الاختلاف والابتكار، لاختلاف البيئة العامة واختلاف عددٍ من أحوال المُجْتَمَعِ في الغرب الإسلامي منها في الشرق الإسلامي- قليلاً أو كثيراً- فإنَّ الخصائص اللفظية لم تختلف في العصر الذي نُعالِجُه اختلافاً ظاهراً إلا في التركيب اللغوي الذي خَسِرَ شيئاً من مَنَاتِهِ.

في الشعر:

أما فنون الشعر فقد بَقِيَتْ الفنون المشرقية: المدح والفخر والحامسة والرياء والهجاء والوصف والغزل والنسيب والعتاب والأدب (الحكمة). غير أن الأغراض (الموضوعات الجزئية) في عددٍ من هذه الفنون قد عَرَفَتْ أشيئاً جديدة، وخصوصاً في الوصف الذي اتَّسع في الأندلس خاصة اتِّساعاً عظيماً، وعلى الأخص وُصِفَ المارك البحرية ثم وُصِفَ الرياض من عالم الطبيعة وُصِفَ المُنشآت من عالم العُمران (كوصفِ المدن وريائِها مثلاً). ولقد رَقَّتْ في هذه الفنون كلّها عاطفة الشاعر واتَّسع خياله. ولكن الشعرَ عامةً ظلّ- من حيث المعاني المُبتَكِرة والمداير البعيدة الغور- أدنى طبقة من الشعر المشرقي. ثم إنَّ المداير الفلسفية الصحيحة لم تَحِدْ طريقها إلى

الشعر الأندلسي، لأن دراسة الفلسفة نفسها قد تأخرت في الغرب الإسلامي عنها في الشرق الإسلامي، ولأن سيادة مذهب ديني واحد (هو المذهب المالكي) لم يُشجّع على إبداء الآراء المختلفة كما كان الشأن في المشرق مع تعدد المذاهب والأديان والفلسفات. ولا شك في أننا نجد في الشعر المغربي عامة، في باب الأدب (الحكمة)، خطرات من الفكر المُثَقَّب قد تبلّغ إلى ما عند ابن الرومي وعند المُتَنَبِّي أحياناً. ولكننا لا نجدُها تبلّغ - من حيثُ القصد والمنطق والشمول والجرأة الصحيحة - إلى ما نجدُ عند أبي العلاء المَعْرِي.

غير أنه كان لانتشار المذهب الفاطمي (وهو مذهب باطني حُلُولي)^(١) في المغرب - ولدى نفر قليلين من الأدباء المُتَكسِّبِينَ - أثرٌ في تقبُّل عددٍ من المدارك الخارجة عن التوحيد. من أشهر هؤلاء الأدباء الشاعر ابن هاني الأندلسي (ت ٣٦٢) فقد قال في مدح الميرزا لدين الله الفاطمي (٣٤١ - ٣٦٥ هـ):

ما شئتَ، لا ما شاءتِ الأقدارُ! فاحْكُم، فانتَ الواحدُ القهارُ!
وسوى ذلك مما تراه في ترجمته.

ولا شك في أن الوصف - وصف الطبيعة - كان أُنهى مظاهر الشعر الأندلسي، لِجَمالِ البيئة الطبيعية في الأندلس وتَنوّعِ مظاهرها. ومع الإيقان بأن الأندلسيين كانوا بارعين جداً في وصف الجنان والأنهار والأشجار والأزهار وفي وصف السماء وما فيها، فإنهم لم يَكسِفُوا في ذلك نور ابن الرومي (ت ٢٨٣) وابن المُعْتَزِّ (ت ٢٩٦) والصنوبري (ت ٣٣٤) في ذلك الفن ولا في أغراضه. بيد أن هذا كله لا يمنع الدارس من أن يكون مُنصِفاً فيرى للأندلسيين في وصف الطبيعة - وفي غير وصف الطبيعة - خيالاً جميلاً ولَفَتاتٍ كثيرة بارعة. غير أن تراحم الصور أحياناً ثم محاولة الإغراب أحياناً أخرى كانا يُفقدان تلك الأخيلة كثيراً من وضاءتها. هذا الوصف

(١) الفاطمي، الباطني (انظر، فوق، ص ١٧). مذهب الحلول: الاعتقاد بأن الله يمكن أن يتمثل بالبشر، يحمل في جسم بشري.

البارع لمظاهر الطبيعة كان في الأندلس - منذ هذا الدور الباكر - أحد مَقَوِّمَاتِ الأدب الأندلسي.

ولقد رأينا في صورة العصر السابق (عصر الأمراء المتوارثين) آنكاه يحبى الغزال (ت ٢٥٠) في الحمريات على أبي نواس. ويحسُن أن نُشير هنا إلى أن ابن درّاج القسطلّي (ت ٤٢١) - بعد الغزال بجيلين من الدهر أو يزيدان^(١) - قد آنكا في إحدى مدائحه (والغاية هنا ضربٌ مثلي فقط) على قصيدة بعينها لأبي نواس نفسه، في الفن والغرض والنفس والبحر والقافية. ولم ينس ابن درّاج أن يودّع امرأته - قبل أن يذهب إلى المدوح - وأن يُمنّيها عطاءً جزيلاً، كما فعل أبو نواس تماماً. وهذا يتضح بأدنى نظرٍ من مقارنة قصيدة ابن درّاج «دعي عَزَمَاتِ المُستَضَامِ تَسِيرُ» بقصيدة أبي نواس «أجارة بَيْتَيْنَا، أبوك غَيُورُ». وفي مختارات ابن درّاج جانب من قصيدته المذكورة.

ثم بالغَ المغاربة والأندلسيون في محاكاة المشاركة في الأغراض، حتى في وصف الصحراء والبادية، ووصف الأطلال والنياق، مع أن الغالب على الأندلس خاصة كثرة الأنهار والرياض.

أما الأسلوب فإنه أصبح في هذا الدور - عموماً - أكثر رشاقة وأناقة، مع فصاحة الألفاظ وسهولة التراكيب ووضوح المعاني، وإن كان ذلك الأسلوب ذاته قد ركّ تركيبه قليلاً أو كثيراً. غير أن الشاعر الفصيح لم يَدْخُل شيئاً من الألفاظ العامية في شعره ولا تركّ الإعراب. ويُلفتُ النظر أن الأندلسيين والمغاربة قد استعملوا ألفاظاً عربية لم تبق - منذ ذلك الحين - مألوفة في المشرق، كما اجتهدوا في اشتقاق صيغٍ مُتنوعة أو في استحداث معانٍ جديدة لصيغٍ قديمة بحسب ما اقتضته أحوال بيئاتهم. وهذا ما حملَ المُستشرق الهولندي راينهاردت دوزي على تصنيف قاموس لهذه الألفاظ والصيغ والمعاني^(٢). ورُبما لجأتُ أنا إلى الإشارة إلى عدد من الصيغ

(١) الجبل ثلاث وثلاثون سنة.

(٢) R. G. Dozy. (1828-1882)

والمعاني التي تَرَدُّ في النصوص الأندلسية من هذا الجزء، ثم لا تكون قد وَرَدَتْ في القواميس العربية الْمُعْتَمَدَة، بأنْ أَحْصَرُهَا بَيْنَ أَهْلَةٍ أَوْ بَأَنْ أَنْصَرَ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَرَدِّ فِي الْقَامُوسِ (وَتَكُونُ الْإِشَارَةُ عَادَةً إِلَى الْقَامُوسِ الْمُحِيط لِلْفِرَوَزَابَادِي).

وَأَمَّا فِي الْخِصَائِصِ اللَّفْظِيَّةِ فَإِنَّ الشَّعْرَ الْأَنْدَلِسِيَّ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِي التَّرَكِيبِ تِلْكَ الْمَنَانَةُ الَّتِي صَنَعَتْ رَوْعَةَ الشَّعْرِ الْمَشْرِقِيِّ. وَلَمَّا قَصَرَ الْأَنْدَلِسِيُّونَ فِي اخْتِرَاعِ الْمَعَانِي وَالْقَوَاصِ عَلَيْهَا تَمَلَّقُوا بِالْأَلْفَاظِ الْجَمِيلَةِ وَبِالتَّنْمِيقِ وَالزُّخْرَفِ. وَلَا يُنْكَرُ أَحَدٌ عَلَيْهِمُ أَلْفَاظَهُمْ ذَاتَ الطَّلَاوَةِ وَالرَّنِينِ فِي التَّرَاكِيبِ السَّهْلَةِ. وَلَقَدْ نَحَا مُعْظَمُ شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ نَحْوَ الْبُخْتَرِيِّ (ت ٢٨٦ هـ) فِي الْإِتْكَاءِ عَلَى الْأَلْفَاظِ الْفَصِيحَةِ الْخُلُوعِ وَالتَّرَاكِيبِ السَّهْلَةِ الْعَذْبَةِ وَالْمَعَانِي الْمَأْلُوفَةِ الْقَرِيبَةِ الْمَأْخِذِ. وَلَكِنَّ الْبُخْتَرِيَّ ظَلَّ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ زَعِيمَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ اخْتَارُوا أَنْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ الْأَلْفَاظِ الرَّائِقَةِ وَيَنْشُرُوا لَوَاهُ الدِّيَابِجَةِ الْأَنِيقَةِ.

وَفِي هَذَا النَّوْرِ بَدَأَ الْإِهْتِمَامُ بِالْمَلَّاحِمِ. قَالَ ابْنُ خَلْدُونٍ (المقدمة ٦٠٢): كَتَبَ النَّاسُ فِي حَدَثَانِ الدُّوَلِ مَنْظُومًا وَمَنْشُورًا وَرَجَزًا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبُوا. وَفِي أَيْدِي النَّاسِ (أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ مَتَرَفَقَةٌ) مِنْهَا، وَتُسَمَّى الْمَلَّاحِمُ. وَبَعْضُهَا فِي حَدَثَانِ الْمِلَّةِ عَلَى الْعُمُومِ، وَبَعْضُهَا فِي دَوْلَةٍ (دَوْلَةٍ) عَلَى الْخُصُوصِ. وَكُلُّهَا مَنْسُوبَةٌ إِلَى مَشَاهِيرَ مِنْ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ. وَلَيْسَ لَهَا أَصْلٌ يُعْتَمَدُ عَلَى رِوَايَتِهِ عَنْ وَاضِعِهِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَيْهِ.

وَأَوَّلُ إِشَارَةٍ إِلَى الْمَلَّاحِمِ نَجِدُهَا فِي آثَارِ يَحْيَى بْنِ حَكَمٍ الْغَزَالِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٥٠ (راجع ترجمته).

وَمِنْ الْمَلَّاحِمِ الثَّابِتَةِ الْمَعْرُوفَةِ أَرْجُوزَةُ لَابِنِ عَبْدِ رَبِّهِ (ت ٣٢٨) تَبْلُغُ أَرْبَعِمِائَةً وَخَمْسِينَ بَيْتًا فِيهَا وَصْفٌ لِحُرُوبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ، مِنْ سَنَةِ ٣٠١ إِلَى سَنَةِ ٣٢٣ (٩١٣ - ٩٣٣ م). وَلَكِنَّ إِهْتِمَامَ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ فِي مَلْحَمَتِهِ كَانَ بِسَرْدِ الْأَحْدَاثِ التَّارِيخِيَّةِ، وَلَمْ يُعْنِ بِالْفَنِّ الْمَلْحَمِيِّ، مِنْ التَّرْزِينِ بِالْخَيَالِ وَمِنْ بَرَاعَةِ الْقَصَصِ وَوَصْفِ الْبُطُولَاتِ وَحَبْلِ الْمَفَاجِئَاتِ وَتَدَخُّلِ الْقُوَى الْخَارِقَةِ لِلطَّبِيعَةِ فِي سَبِيلِ حَلِّ الْعَقْدِ (تَمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي الْمَلَّاحِمِ الَّتِي هِيَ عَلَى النَّمَطِ الْيُونَانِيِّ).

وَيَقَالُ إِنَّهُ كَانَ لَابِنِ عَبْدِ رَبِّهِ مُوشَّحَاتٌ (راجع ترجمته). وَلَكِنْ لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا شَيْءٌ

منها. ولم يُورد ابنُ عبدِ ربِّهِ شيئاً من مُوسَّحاتِه - ولا من مُوسَّحاتِ غيره - في كتابِه «العقد»، معَ كُثرةِ ما يُورد من شِعْرِ غيره وشِعْرِ نفسِه في هذا الكتاب.

ومَعَ كُلِّ هذا التجديدِ الطارىءِ على الأدبِ الأندلسيِّ - في الشِعْرِ وفي النثر - فإنَّ الرَّجَزَ (وهو فنُّ بَدَوِيٌّ جافٌ وتَاجٌ يُطَرِّىُّ بَسِيطٌ - حَتَّى قِيلَ فيه: إِنَّه جَارُ الشِعْرِ) ظَلَّ معروفًا في الأندلسِ، لا في الألفِيَّاتِ الفِقهِيَّةِ والتَّحْوِيَّةِ وما شَابَها فَقَطْ، بل في الإنشادِ الوُجْدانيِّ أيضاً. وقد ظَلَّ الرَّجَزُ مألُوفاً إلى أواخرِ العَصْرِ الأندلسيِّ. وفي نَفَحِ الطَّيْبِ نحوُ مِائَةِ شَاهِدٍ تَطُولُ أو تَقْصُرُ من هذا البحرِ^(١).

فمن الرَّاغِزِينَ في عَصْرِ الحِلَافَةِ أبو المُطَرِّفِ عبدُ اللَّهِ بنُ مُحَمَّدٍ الأَصَمُّ (ت ٣٣٥)، «كَانَ نَحْوِيًّا لُغَوِيًّا فَصِيحَ اللِّسَانِ شَاعِرًا مُجَوِّدًا. وَأَكْثَرُ أَشْعَارِهِ عَلَى مَذَاهِبِ الْعَرَبِ، وَلَهُ أَرَاغِيزٌ فَصِيحَةٌ» (الزبيدي ٣٣١).

وللشاعرِ الرَّمَادِيِّ (ت ٤٠٣) المشهورُ رَجَزٌ في موضوعِ حَضَرِيٍّ مِنْ وَصْفِ الحَمْرِ ووصفِ الطَّبِيعَةِ (نَفَحِ الطَّيْبِ ٤ : ٧٤):

نَوْمٌ وَغَيْثٌ مُسَبَّلٌ	وَقَهْوَةٌ	تَسَلَّلُ ^(١)
تَدُورُ بَيْنَ فِتْيَةٍ	بِخَلْقِهِم	تُمَثِّلُ ^(٢)
وَالْأَفَقُ مِنْ سَحَابِهِ	طَلٌّ ضَعِيفٌ	يَنْزِلُ ^(٣)
كَأَنَّهُ مِنْ فِضَّةٍ	بُرَادَةٌ تُقَرَّبُ	تُغْرَبُ ^(٤)

وَمَرَّ ابْنُ شُهَيْدٍ (ت ٤٢٦) بِرَجُلٍ مِنْ مَعَارِفِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ زَنْبِيلٍ فِيهِ حَرَشَفٌ^(٦) فَأَصْرَ

(١) راجع معج الطيب ٨ : ٤٤٨ - ٤٥٢ (فهرست الرجز).

(٢) الدَّوَى فِي الْأَصْلِ مَرْتَلَةٌ لِلنَّجْمِ يَجِدُ فِي زَمَانِهَا مَطَرٌ. الْغَيْثُ: الْمَطَرُ النَّافِعُ. الْمَسِيلُ: الْكَذِبُ (المطول). السَّيْمَرُ: الْقَهْوَةُ. الْحَمْرُ الْمَطْوُوحَةُ بِالْمَاءِ. سَلْسَلٌ = تَسَلْسَلٌ: مِنْ «سَلَسَلَ» صَبَّ (الماء) شَيْئًا فَتَسَلَسَلَ. (أخر كانت شرب قليلاً قليلاً).

(٣) عُلْفُهُمْ يُمَثِّلُ (كانت رقبة دمه، لبنة مثل أخلاقهم الكريمة).

(٤) الطَّلُّ: الْمَطَرُ الْخَفِيفُ.

(٥) الْبُرَادَةُ: الْمَطْعُ الصَّغِيرُ الْمَعْصَلَةُ مِنْ طَعْمِهِ كَبِيرُهُ مِنَ الْمَعْدِنِ بَعْدَ حِكْمِهَا يَمْرُدُ.

(٦) الزَنْبِيلُ: وَعَاءٌ كَبِيرٌ مَصْنُوعٌ مِنْ حَوْصِ الْبُخْلِ (قفه). الْحَرَشَفُ، أَوْ الْحَرَشَفُ، وَالْحَرَشُوفُ: شَوْكَةٌ =

عليه الرجلُ أَنْ يَصِفَ ذلكَ الحَرْشَفَ، فقال ابنُ شَهِيدٍ ارجعاً (نفع الطيب ٣: ٢٤٦) أَشْطَرًا مِنْهَا:

هَلْ أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ، يَا خَلِيلِي، قَنَافِذًا تُبَاعُ فِي زَنْبِيلٍ^(١)؟
 مِنْ حَرْشَفٍ مُعْتَمِدٍ جَلِيلٍ ذِي إِبْرٍ تُنْفِذُ جِلْدَ فِيلٍ^(٢).
 كَأَنَّهَا أَنْيَابُ بَنَاتِ الْقَوْلِ لَوْ نَخَسَتْ فِي أَسْتِ امْرِئٍ ثَقِيلٍ،
 لَقَفَرَتْهُ نَحْوُ أَرْضِ النَّيْلِ^(٣)

في النثر:

إِنَّ النَثْرَ الْعَرَبِيَّ (فِي الْمَغْرِبِ وَفِي الْمَشْرِقِ أَيْضًا) لَمْ يَتَطَوَّرْ بِالسُّرْعَةِ الَّتِي تَطَوَّرَ بِهَا الشَّعْرُ لِسَبَبَيْنِ. أَوَّلُ ذَلِكَ السَّبَبَيْنِ أَنَّ النِّتَاجَ فِي النَثْرِ - فِي الْخَطَابَةِ وَالتَّرْسُلِ وَالنَّقْدِ وَالْمُنَاطَرَاتِ وَالتَّصْنِيفِ - كَانَ يَقُومُ فِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى عَلَى «الرِّوَايَةِ» (نَقْلُ الْآرَاءِ عَنِ الْمُتَقَدِّمِينَ بِلَفْظِهَا مَا أُمَكَّنَ) حِرْصًا عَلَى صِحَّةِ تِلْكَ الْآرَاءِ وَإِضْفَاءِ لِسْمِءٍ مِنَ الثِّقَةِ عَلَيْهَا. فَالْبُحُوثُ فِي اللُّغَةِ وَالصَّرَفِ وَالنَّحْوِ وَالْأَدَبِ وَالتَّارِيخِ ثُمَّ فِي الْفِقْهِ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ كَانَتْ كُلُّهَا قَائِمَةً عَلَى الرِّوَايَةِ. وَكَلَّمَا كَانَ الرَّائِي أَقْرَبَ زَمَنًا إِلَى الذَّنِّ يَزْوِي عَنْهُمْ، وَكَلَّمَا كَانَتْ أَلْفَاظُهُ أَقْرَبَ إِلَى أَلْفَاظِهِمْ، كَانَتْ الثِّقَةُ بِهِ أَكْبَرَ وَالْاعْتَادُ عَلَيْهِ أَكْثَرَ. وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّهُ كَانَ لِرِوَايَةِ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، عَلَى هَذَا الْمَنْهَجِ، أَثَرٌ أَكِيدٌ بَالِغٌ فِي جَرَيَانِ سَائِرِ قُبُورِ الْمَعْرِفَةِ فِي الْإِسْلَامِ هَذَا الْمَجْرَى. وَثَانِي ذَلِكَ السَّبَبَيْنِ أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا - وَمَا يَزَالُونَ - مَيَّالِينَ إِلَى الِاسْتِشْهَادِ فِي ثَنَائِهِمْ بِالْآيَاتِ الْكُرْعِيَّةِ

«الدَّخْنُ، أَرْضِي شَوْكِي (الْفَرْشَةُ تَرْكِي)»: نَبَاتٌ مَأْكُولٌ يَتَأَلَّفُ مِنْ قَرَصٍ مَغْطًى بِطَبَقَاتٍ مُثَلَّثَةٍ لِبَفِيَّةٍ تَنْتَهِي بِطَرَفِ (إِبْرِي).

(١) قَنَفِذُ (بَضْمٌ فَسْكَوْنٌ فَضْمٌ): الشَّيْءُ يَفْتَحُ فَسْكَوْنًا فَيَفْتَحُ (بَضْمٌ فَسْكَوْنٌ)، الدَّلْدَلُ (بَضْمٌ فَسْكَوْنٌ)، الدَّلْدُولُ (بِالضَّمِّ): حَيَوَانٌ يَشْبَهُ الْجُرَذِينَ وَلَكِنْ أَكْبَرَ حَجًّا، جَسْمُهُ مَغْطًى بِشَوْكٍ مِثْلُ الْإِبْرِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَطْلُقَهَا عَلَى عَدُوِّهِ دِفَاعًا عَنْ نَفْسِهِ. وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْفِيَ رَأْسَهُ فِي بَطْنِهِ فَيَتَكَوَّرُ وَيَصْبِحُ كَرَّةً مَغْطَاةً بِشَوْكٍ، وَلِذَلِكَ يَسَمُّهُ الْعَامَّةُ «كِبَابَةَ الشَّوْكِ».

(٢) مُعْتَمِدٌ: مُعْتَرٍ (حَسَنُ النُّوعِ، مَرْغُوبٌ فِيهِ). جَلِيلٌ: كَبِيرُ الْحَجْمِ. تُنْفِذُ: تَخْرِقُ.

(٣) نَخَسَ: شَكَّ. الْاِسْتِ: الْمَقْعَدَةُ (بِالْكَسْرِ)، مُؤَخَّرَةُ الْبَدَنِ. قَفَرَتْهُ (لَيْسَتْ فِي الْقَامُوسِ): جَعَلَتْهُ يَهْفُزُ.

والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال المتقدمين من الشعر والأمثال، مما يدعو إلى ثبوت الخصائص الأدبية واستمرارها، (فيما يتعلق ببناء الجمل) على مناهج متقاربة. وإذا نحن استعرضنا كتاب «العقد» لابن عبد ربّه (ت ٣٢٨) وكتاب «الأمال» لأبي عليّ القالي (ت ٣٥٦) وخطب منذر بن سعيد البلوطي (ت ٣٥٥) وكتاب «زهر الآداب» للحصري (ت ٣١٣) ووصيّة ابن بُرْدِ الأكبر (ت ٤١٨) ورسائل ابن شهيد - وكلّ هذه ترجع إلى أيام الخلافة المرّوانية في الأندلس - لم نجد فيها كلّها ما يدلّ على اختلافها من أمثالها من نتائج المشاركة. وأنصع الأدلة على هذا أن أبا عليّ القالي - وهو مشرقيّ - انتقل إلى الأندلس سنة ٣٣٠ (٩٤٢ م) - قد أملى كتابه «الأمال» في مدينة الزهراء. ومعنى هذا أن أسلوب النثر الذي جاء به التالي من المشرق كان الأسلوب المألوف - في ميادين العلم والأدب - في الأندلس.

والنثر أنواع منها الخطابة والترسل والمحاضرات والمناظرات، ومنها التقدّم والتأليف. وما دام المنصرون الغالبان في هذه الأنواع هم الرواية والاستشهاد، فمن المنتظر ألا يكون بين هذه الأنواع من النثر فروق شاسعة.

وللخطابة أغراض: تبليغ أوامر الدولة أو الموعظة والتحذير أو الحث على عقد الأحلاف والصداقات. وفي هذه كلّها يحسن أن يكون الموضوع قريباً من السامع وأن يكون الأسلوب الذي يجري فيه ذلك يُشبه ما خطب به القاضي أحد بن بقي بن مخلد (ت ٣٣٤) فقال (المراقبة العليا ٦٥):

اللهم، وقد دعاك هذا النفر من عبادك الساعون لثوابك المجتمعون ببابك، فزعا من عقابك وطمعا في ثوابك، وقبلهم^(١) من الذنوب ما أحاط به علمك وأحصاه حفظك. فعدّ عليهم في موفيقهم^(٢) هذا برحمة توجب لهم جنتك وتجيرهم من عذابك. وإذا كانت أغراض الرسائل في الغرب الإسلامي - سواء أكانت تلك الرسائل سياسية إدارية أم إخوانية شخصية - هي أغراضها في الشرق الإسلامي، فلا مفر من

(١) قبلهم: عندهم، عليهم.

(٢) عاد فلان على فلان: رجع إليه - ارجع عليهم برحمتك بعد غضبك.

أَنْ يَكُونَ أَسْلُوبَهَا فِي الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ وَاحِدًا أَوْ كَانَتْهَا وَاحِدًا. فِي سَنَةِ ٣٩٣ (١٠٠٢ م) كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْمُظَفَّرُ بْنُ النُّصُورِ بْنُ أَبِي عَامِرٍ رِسَالَةً إِلَى الْمُعِزِّ بْنِ زَيْرِي بْنِ عَطِيَّةِ الصَّنَهَاجِيِّ مَلِكِ فَاسٍ يُقْرَأُ عَلَى عَمَلِهِ^(١). مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ (الاستقصا ١ : ٩٤):

.... إِلَى كَافَّةِ أَهْلِ فَاسٍ وَكَافَةِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ سَلَمَهُمُ اللَّهُ..... إِنَّ الْمُعِزَّ بْنَ زَيْرِي بْنِ عَطِيَّةَ - أَكْرَمَهُ اللَّهُ - تَابَعَ رُسُلَهُ لَدُنَّا وَكُتِبَهُ^(٢)، مُتَنَصِّلًا مِنْ هُنَاتِ دَفَعْتَهُ إِلَيْهَا ضَرُورَاتٍ^(٣)، وَمُسْتَغْفِرًا مِنْ سَيِّئَاتِ حَطَّتْهَا مِنْ تَوْبَتِهِ حَسَنَاتٍ^(٤). وَالتَّوْبَةُ مِمْحَاةٌ لِلذَّنْبِ^(٥) وَالِاسْتِغْفَارُ مُنْقِذٌ مِنَ الْعَيْبِ..... وَقَدْ وَعَدَ مِنْ نَفْسِهِ اسْتِشْعَارَ الطَّاعَةِ وَلُزُومَ الْحَادَّةِ^(٦) وَأَعْتَقَادَ الْإِسْقَامَةَ وَحُسْنَ الْمَعُونَةِ وَخِفَةَ الْمَوْتِ^(٧). فَوَلَّيْنَاهُ مَا قَبْلَكُمْ، وَعَهْدْنَا إِلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ بِالْعَدْلِ فِيكُمْ وَأَنْ يَرْفَعَ الْجَوْرَ عَنْكُمْ وَأَنْ يُعَمِّرَ سُبُلَكُمْ^(٨)، وَأَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِكُمْ وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِكُمْ، إِلَّا فِي حُدُودِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى^(٩).....

وَمِنْ النِّتَاجِ الْمُبْتَكَّرِ فِي الْأَنْدَلُسِ الْكِتَابَةُ الْخَيَالِيَّةُ الَّتِي يُصَلِّهَا أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ آمِينَ شَهِيدٍ (ت ٤٢٦) فِي كِتَابِهِ «التَّوَابِعُ وَالزَّوَابِعُ»، وَفِيهِ كَلَامٌ عَلَى عَالَمِ الْجِنِّ (رَاجِعْ تَرْجُمَةُ ابْنِ شَهِيدٍ). أَلَّفَ ابْنُ شَهِيدٍ هَذَا الْكِتَابَ سَنَةَ ٤٢١ (١٠٣٠ م) - قَبْلَ أَنْ يُؤَلَّفَ الْمَعْرِيُّ «رِسَالَةُ الْغُفْرَانِ» بَيْنَ سَنَةِ ٤٢٢ وَسَنَةِ ٤٢٤ (١٠٣١ - ١٠٣٣ م). وَمِنْ

-
- (١) كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) قَدْ بَسَطَ سُلْطَانَهُ عَلَى أَسْرَافِ الْمَغْرِبِ حَتَّى اسْتَمَرَ ذَلِكَ زَمَانًا بَعْدَهُ. أَقْرَأَهُ عَلَى عَمَلِهِ (مَنْصِبِهِ): بُنِيَتْ فِيهِ.
 - (٢) تَابَعَ رُسُلَهُ: أَرْسَلَهُمْ تَبَاعًا وَجَعَلَهُمْ كَثِيرِينَ.
 - (٣) الْهِنَةُ (بِالْفَتْحِ): الشَّيْءُ الْقَلِيلُ (مِنْ الْخَطَا).
 - (٤) حَطَّتْهَا: أَنْزَلَتْهَا عَنْ طَهْرِهِ، غَفَرَتْهَا) مِنْ نَوْبَتِهِ (بِحَسَنِ تَوْبَتِهِ).
 - (٥) مِمْحَاةٌ (بِالْكَسْرِ): خَرْقَةٌ تَزَالُ بِهَا الْأَوْسَاجُ.
 - (٦) لُزُومُ (بِالْفَاءِ عَلَى) الْحَادَّةِ: الطَّرِيقُ الْوَاسِعَةُ (السُّلُوكُ فِي الطَّاعَةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ).
 - (٧) حَسَنُ الْمَعُونَةِ: الْمُسَاعَدَةُ (بِالْقِيَامِ بِمَا يَتَعَمَّدُ بِهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْجِيُوشِ وَمِنْ سِيَاسَةِ الدَّوْلَةِ). خِفَةُ (قَلَّةِ) الْمَوْتِ (تَكْلِيفُ الْإِنْسَانِ مَا يَتَقَلُّهُ).
 - (٨) الْجَوْرُ: الظُّلْمُ. يَمَعِّرُ سُبُلَكُمْ (طَرَفَكُمْ) بِمَجْلُهَا عَامِرَةٌ، أَهْلَةٌ، أَمْنَةٌ.
 - (٩) يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِكُمْ (وَيُثَبِّبُهُ عَلَى إِحْسَانِهِ) وَيَتَجَاوَزُ عَنْ مُسِيئِكُمْ (يَنْسِي سَيِّئَاتِهِ الْمَاضِيَةَ). حُدُودُ اللَّهِ: مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ.

الممكن، كما يقول بروكلمن (الملحق ١: ٤٥٣)، أن يكون المعري قد تأثر بـابن شهيد في ذلك.

ثم يأتي النقد. لا شك في أن النقد يبدأ بفهم القطعة المعروضة على النظر. من أجل ذلك كانت «الشروح» أول خطوات النقد لما فيها من محاولة الكشف عن المعاني ومن ترجيح بعض المعاني على بعض. ومع أن الشروح تبدأ محاولة بسيطة لفهم اللغوي، فإنها كثيراً ما تتسع فتتناول الفهم الأدبي (مقصد الأديب الشاعر أو الناثر من قوله) والفهم البياني (تعبير الأديب عن مقاصده) والفهم البلاغي (الصور المختلفة لتعبير الأديب عن معانيه المفردة). من ذلك كله مثلاً:

ذكر الزبيدي (ت ٣٧٩) أنه سأل ابن الوزان النحوي (ت ٣٤٠) عن اعتراض العلماء على تفسير الإمام الشافعي (ت ٢٠٤) في قوله تعالى: «ذلك أذن أن تعملوا» (٤: ٣، سورة النساء) ففسر الشافعي «تعملوا» بمعنى «يكثروا عيالكم». فقال ابن الوزان (الزبيدي ٣٧٩): أخطأ الشافعي. يقال: عال (الرجل) يعمل إذا افتقر، وأعال (يعمل) إذا كثر عياله.....

وهناك ملاحظة من النقد من طريق الشرح اللغوي ذكرها الزبيدي أيضاً في معرض الكلام على «الشجي» (الذي أثقله الهم) - كما وردت في شعر أبي عبد الله محمد بن الحكيم الأندلسي (ت ٣٣١): «أهي شج أم شجي؟ وما القياس في ذلك وما المروي عن العرب (راجع الزبيدي ٣٠١). وكذلك ذكر الزبيدي (ص ٣٣١) أن أبا عمر أحمد بن مضاء المعروف بابن الحصار (ت في أواسط القرن الرابع) كان نحويًا ذكيًا، وكان قليل المطالعة لكتب النحاة «لأنه كان يعول على قيايه وتعليه» (في فهم وجوه التخريج والإعراب).

وليست بنا حاجة إلى قول هو أن المغاربة كانوا يقدمون رأي المشاركة في النقد، وفي النتاج الأدبي الأندلسي نفسه. قال أحد الأندلسيين الذين رحلوا إلى المشرق (الزبيدي ٣٠١ - ٣٠٢): «استنشدني المروج ببغداد لأهل بلدنا فأنشدته لأحد بن

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ^(١) قَصِيدَةً وَثَانِيَةً، فَلَمْ يَسْتَحْصِنْ شَيْئاً مِمَّا أُنْشِدَتْهُ. فَأَنْشَدَتْهُ لِمُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى:

بِمَا غَزَا لِي عَنْ لِي فَأَبَدَ حَزَرَ قَلْبِي تَمَّ وَلَيْ^(٢)،
أَنْسَأْتُ نَفْسِي بِفُؤَادِي، يَا مُنَى نَفْسِي، أَحْلَى!

حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِ الشَّعْرِ. فَقَالَ: هَذَا الشَّعْرُ بِحَتْمِهِ، لَا مَا أُنْشَدْتَنِي بِهِ آتِئاً^(٣).

وَأَرَادَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ، فِي مَطْلَعِ خِلَافَتِهِ، أَنْتَسَاخَ شِعْرِ حَبِيبِ^(٤) فَأَخْضَرَ جَمَاعَةً فِيهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَرْقَمِ النَّخْوِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ وَالْوَزِيرُ أَبُو الْأَصْبَغِ مُوسَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَاجِبِ (ت ٣٢٠) وَالشَّاعِرُ الْقَلْفَاطُ وَابْنُ فَرَجٍ الْمَعْرُوفُ بِالْبِيسَارِيِّ أَوْ بَابِنِ الْبِيسَارِيِّ - وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْعَرَبِيَّةِ (النَّخْوِ) وَمِنْ طَبَقَةِ ابْنِ الْحَكِيمِ وَالْقَلْفَاطِ. وَشَاوَرَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي أَيْ الْقَصَائِدِ يَحْسُنُ أَنْ يُقَدَّمَ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ^(٥) فَقَالَ ابْنُ أَرْقَمٍ: «إِنَّمَا يُفْضَلُ الشَّعْرُ وَيُقَدَّمُ لِغَرَابَتِهِ وَحُسْنِ مَعْنَاهُ. وَشِعْرُهُ (شَعْرُ أَبِي تَمَّامٍ) الَّذِي وَصَفَ فِيهِ الْقَلَمُ^(٦) لَمْ يَتَقَدَّمْهُ (فِيهِ) عَلَيْهِ مُتَقَدِّمٌ وَلَا لَحِقَهُ فِيهِ مُتَأَخِّرٌ». وَاخْتَلَفَ الْمُجْتَمِعُونَ فِي ذَلِكَ. ثُمَّ اتَّفَقَ أَنْ حَضَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْغَائِي^(٧) فَسُئِلَ رَأْيَهُ فِي ذَلِكَ (مَنْ) غَيْرِ أَنْ يَعْرِفَ آرَاءَهُ الْمُخْتَلِفِينَ) فَقَالَ: إِنَّ أَهْلَ بَدَادٍ لَا يُفَضِّلُونَ عَلَى شَعْرِ أَبِي تَمَّامٍ فِي الْقَلَمِ شَيْئاً لِغَرَابَةِ مَعْنَاهُ.

وَلَكِنْ بَيْنَمَا كَانَ الشُّعْرَاءُ وَالنُّقَادُ يَذْهَبُونَ فِي تَنَقُّوهِ الشِّعْرِ مَذْهَبَ الْقَدَمَاءِ، مِنْ

(١) المملوح أَنَّهُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ صَاحِبُ الْمَقْدِ (ت ٣٢٨).

(٢) عَنْ: بَابِنَ، ظَهَرَ، بَدَأَ. مَرَّ بِسُرْعَةٍ. انْتَزَعَ: سَلَبَ. وَلَيْ: انْطَلَقَ، ذَهَبَ.

(٣) بِحَتْمِهِ: بِسَلْبِهِ (٤)، رَاجِعِ الْقَامُوسَ ٤: ١٠٢. آتِئاً: سَابِقاً، مِنْ قَبْلِ.

(٤) الزَّيْنَبِيُّ ٣٠٦ - ٣٠٧. وَبَوَّعَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ بِالْخِلَافَةِ سَنَةَ ٣١٦. حَبِيبٌ هُوَ أَبُو تَمَّامٍ.

(٥) فِي صَدْرِ الْكِتَابِ. يَبْدُو أَنَّ الْمُرَادَ كَانَ جَمْعُ عَدَدٍ مِنْ مَخْتَارَاتِ شَعْرِ أَبِي تَمَّامٍ.

(٦) قِطْعَةٌ مَطْلَعُهَا:

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي يَشَابُهُ نَصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّي وَالْمَفَاصِلِ.

(٧) كَذَا فِي الزَّيْنَبِيِّ ٣٠٧. فِي أَنْبَاءِ الرِّوَاةِ (٣: ٧٠): أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْغَائِي.

جَزَالَةُ اللَّفْظِ وَمَتَانَةُ الْأَسْلُوبِ وَصِحَّةُ الْمَعْنَى وَشَرَفُهُ، كَانَتْ طَبَقَةً مِنَ الْعَامَّةِ قَدْ أَصْبَحَ
أَفْرَادُهَا لَا يَفْقَهُونَ تِلْكَ الْقَوَانِينَ الْأَدَبِيَّةَ. ذَكَرَ الزُّبَيْدِيُّ (ص ٣٣٧، راجع ص ٣٣٥)
أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ بَحْيَى الرَّبَاحِيَّ الْأَزْدِيَّ^(١) كَانَ يُعَافِي^(٢) الشِّعْرَ فَلَا يَتَّقِي لَهُ مِنْهُ
شَيْءٌ مَقْبُولٌ. ثُمَّ حَسَّنَ شِعْرَهُ وَسَلَسَ طَبْعَهُ^(٣). وَكَانَ الرَّبَاحِيُّ صَدِيقًا لِلزُّبَيْدِيِّ وَلِعَبِدِ اللَّهِ
أَبْنِ حُمُودِ الزُّبَيْدِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ فَكَتَبَ إِلَيْهَا بِقَصِيدَتَيْنِ مَطْلَعَاهُمَا:

خَلِيلِي مِنْ فَرْعِي زَبِيدٌ وَمَذْجُجٍ قِفَا وَاسْتَمَا. قَدْ يُسَعِدُ الشَّجِي الشَّجِي^(٤).
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي أَرْقُتُ، وَشَاقَنِي خِيَالٌ سَرَى وَهْنًا وَلَمَّا يُعْرَجُ^(٥)؟
* يَا خَلِيلِي، عَرَّجًا بِمُحِبٍّ هَيْضُ سَقَمًا فَمَا يَرِيهِ الْفِرَاشُ^(٦).

وَلَمَّا تُوُفِّيَ أَحَدُ بَنِي مُوسَى بْنِ حُدَيْرٍ رَثَاهُ الرَّبَاحِيُّ بِقَصِيدَةٍ بَنَاهَا عَلَى مَذَاهِبِ
الْعَرَبِ وَخَرَجَ فِيهَا عَنْ مَذَاهِبِ الْمُحَدِّثِينَ فَلَمْ يَرْضَهَا الْعَامَّةُ.

تَمَّ يَحْسُنُ أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَرْبَعَةٍ مِمَّنْ عُنُوا بِالنَّقْدِ وَهُمْ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ (ت ٣٢٨)
وَالطَّبَّيخِي (ت ٣٥٢) وَعَبْدُ الْكَرِيمِ النَّهْشَلِي (ت ٤٠٥) وَابْنُ شُهَيْدٍ (ت ٤٢٦)، وَلَمْ
كُلُّهُمْ فِي هَذَا الْجُزْءِ تَرَاجُمٌ مُسْتَقَلَّةٌ.

وَفِي النَّقْدِ (أَوْ تَنْوِقِ الْأَدَبِ وَالْحُكْمِ عَلَى قَائِلِيهِ) نِزَاعٌ قَدِيمٌ مَا يَزَالُ جَدِيدًا هُوَ
« الْمَيْلُ إِلَى الْقَدِيمِ أَوْ إِلَى الْحَدِيثِ »: « الْأَدَبُ الْقَدِيمُ أَفْضَلُ وَأَبْرَعُ وَأَحَقُّ بِالْحِفْظِ وَالرِّوَايَةِ »

-
- (١) راجع ترجمته (ت ٣٥٨).
 - (٢) كان يعافي الشعر: يحاول نظم الشعر.
 - (٣) سلس طبعه: لأن طبعه للشعر (وانقاد الشعر له).
 - (٤) زيد ومذجج من قبائل اليمن. أمد: أعان (على حل المم). الشجي: الحزين.
 - (٥) الشجي (يفتح فكسر) - شج (بكسرتين لأنه منقوص)، ووردت ياء « الشجي » في الشعر مشددة (القاموس ٤: ٣٤٧). والشاعر هنا حذف الشدة وأعرب الياء.
 - (٦) أرق فلان: ذهب نومه. شاقه: حرك شوقه إلى المحبوب. خيال: طيف (ما يرى في المنام). سرى: سار ليلاً. وهناً: في منتصف الليل. عرج: مال إلى مكان (زار).
 - (٦) هيض (مجهول من هاض): كسر عظمه (يقصد: لأن عظمه - بمرض يخف به الكلس في العظام فيبعجز المريض حينئذ عن النهوض أو الاستواء). رام: بارح، ترك.

أمر الأدب الحديث؟ ذلك النزاع الذي عَرَفَهُ المَشْرِقُ قد عَرَفَهُ فيما بعدُ المَغْرِبُ أيضاً. وحينما نرى كلمة «العرب» في النصوص المَغْرِبِيَّةِ عامَّةً لا يكون العربُ هنا في مُقابلِ العَجَمِ (في المَذْرَكِ القوميِّ)، بل يكونُ العربُ بمعنى «البدو» (في مُقابلِ أهلِ الحَضَرِ أو أهلِ المَدَن). أمَّا المُحَدِّثُونَ فهمُ الناشئون في كلِّ جيلٍ (لأنَّ كلَّ جيلٍ بالإضافة إلى الجيلِ الذي سَبَقَهُ مُحَدِّثٌ، وبالإضافة إلى الذي جِئَ بعده قديمٌ). ولكن يبدو أنَّ المَغْرِبَ لم يَعرِفْ ذلكَ النزاعَ الحادَّ في النَقْدِ ولا ذلكَ الانتصارَ المُتطَرِّفَ لشاعرٍ دونَ شاعرٍ على ما عَرَفْنَا في المَشْرِقِ من أمرِ المُخْتَلِفِينَ في الفَرَزْدَقِ وجَرِيرٍ أو في أيِّ تَمامٍ والبُحْتَرِيِّ أو في المُتَنَبِّيِّ ما له وما عليه. ولقدِ اصْطَحَبَ المَذْهَبَانِ (طريقةُ العَرَبِ وطريقةُ المُحَدِّثِينَ) في المَغْرِبِ فكنتَ ترى ذَينِكَ المَذْهَبَيْنِ في نظمِ الشاعرِ جَنباً إلى جنبٍ في ديوانِهِ (وقد رأينا مثلاً ذلكَ أيضاً في المَشْرِقِ عندَ أيِّ نَواصِرٍ مثلاً).

وابنُ عبدِ رَبِّهِ صاحبُ «العَقِيدِ» (ت ٣٢٨) أولُ مَنْ تحسَّنَ الإشارةُ إليه في حركةِ النَقْدِ في الأندلس. ولكنَّ فضلَ ابنِ عبدِ رَبِّهِ لم يكنْ في الإِتِّيانِ بِمُجَدِّدٍ في هذا الموضوعِ، بل في نَقْلِ المَذَارِكِ الأَسَاسِيَّةِ في النَقْدِ من المَشْرِقِ إلى المَغْرِبِ. فأوَّلُ ما يَذْهَبُ إليه ابنُ عبدِ رَبِّهِ أنَّ الشِعْرَ الجَيِّدَ لا يَضُرُّهُ تَأخُّرُ صاحِبِهِ في الزَّمَنِ، كما أنَّ الشِعْرَ الرَدِيَّ لا يَنْفَعُهُ أنْ يَكُونَ صاحِبُهُ مَعْدُوداً في القُدَماءِ. والإِجَادَةُ في النِّتَاجِ الأدبيِّ والحِذْقُ في النَقْدِ يَقْتَضِيَانِ طَبِيعَةً (أَسْتَعْدَاداً) وصِنَاعَةً (تَتَقَفّاً) بِنُفُوسِ الأَدَبِ وبالعلومِ المُخْتَلِفَةِ ومُدَارَسَةٍ (اِخْتِبَاراً). والاختِبَارُ أَرْجَحُ في المِيدَانَيْنِ مِنَ الصِّنَاعَةِ (التَعَلُّمِ). وهنالكُ المُفَاضَلَةُ بَيْنَ اللَّفْظِ والمعْنَى والحُكْمُ بأنَّ المعْنَى الجَيِّدَ مُحْتَاجٌ في بُرُوزِهِ إلى لَفْظٍ جَيِّدٍ. هذه المَذَارِكُ الأَسَاسِيَّةُ في النَقْدِ (مَعْرِفَةُ النِّتَاجِ الجَيِّدِ في الأَدَبِ) مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ ابنِ سَلَامٍ المُجَمِّعِيِّ (ت ٢٣١) وابنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيِّ.

وَيُمْكِنُ أَنْ نُدْخِلَ وَلِيدَ بَنِ عَيْسَى الطَّبْخِيَّ (ت ٣٥٢) في النُّقَادِ. لقد كانَ في أَثْنَاءِ شَرْحِهِ لِلأَشْعَارِ يُرْجِّحُ بَيْنَ المعَانِي المَرْوِيَةِ أو المُمَكَّنَةِ، كما كانَ يَغْرِضُ أحياناً لأَوْجِهَ البَلَاغَةِ، على ما نرى في تَرْجَمَتِهِ (راجع، تحت، ص ٢٥٤).

أمَّا عبدُ الكَرِيمِ النَهْشَلِيُّ (ت ٤٠٥) فهو نَاقِدٌ على الحَقِيقَةِ رَجَّحَ سَبْقَ النَّثْرِ على

الشعر فأصابَ في الترجيح وأخطأ في تحليل ذلك. وجعل الشعر أربعة أنواع: المديح والهجاء والحكمة واللمهو. وعَرَضَ لمكانة اللفظ والمعنى في جَوْدَةِ الشعر، ووصل بين جودة الشعر والأخلاق. وأفضل الشعر عنده ما بَقِيَ محفوظاً على وجه الدهر. ثم هو يرى أن النظرَ إلى الشعر يختلف باختلاف الزمان والمكان (من حيث الأغراض) على «ألا يخرج عن حُسْنِ الاستواء وحدِّ الاعتدال وجَوْدَةِ الصُّنْعَةِ».

وأما ابنُ شهيد (ت ٤٢٦) فقد أبدى رأياً فلسفياً في النقد قائماً على الحِسِّ الشخصي عند النظر إلى القطعة المعروضة للمعين، ولم يُحاول أن يَصْغَ بين يَدَيِ القارئ آلاتَ عملية لتطبيق الأشعار (لجعل بعضها فوق بعض في درجات الجودة)، كما فعلَ عبدُ الكريم النهشلي.

وأولُّ مطالع ابن شهيد في فلسفة النقد أنه يُريد، وهو الأديبُ البارِعُ نظماً ونثراً، أن يجعلَ علمه اللغية في مَعَزَلٍ عن مَيْدانِ النقد، لأنَّ إصابة الناقد إنَّما تكون في طبيعته (استعداده الذاتي) أكثر مما تكونُ في الأدواتِ الخارجية (المعارف اللغوية والتاريخية وسواها). وهو يرى الاعتدالَ في التجنيس والقصد (الاعتدال) بين طريقة العرب (أسلوب القدماء) وطريقة المحدثين (اتِّجاه أبناء كلِّ جيل جديد).

وإذا كان ابنُ شهيد لم يأتِ في بابِ النقد بأشياءَ جديدةٍ - أو نستطيعُ الجزمَ بأنَّها جديدةٌ - فإنه عبَّرَ عنها تعبيراً جديداً، إذ أدخل العُنْصُرَ الذاتي (الشخصي) في عمل الناقد. ثم هو يوافق عبد الكريم النهشلي في أن الشعر الجيّد يتَّصفُ بصفة الدوام ويبقى مَرَوِيّاً على وَجْهِ الأيام.

الأدب في صقلية

ومن الأمراء الكلبيين حكام صِقْلِيَّة نَفَرٌ من الشعراء المُجِدين، ولكن من الذين ظلَّ شِعْرُهُم تقليداً واضحاً للمشاركة في كلِّ شيءٍ حتَّى لَيَصُغُبُ جدّاً أن ترى فيه لمحة من صِقْلِيَّة. من هؤلاء مثلاً الأميرُ أبو القاسم عبدُ الله بنُ سليمان يَخْلَفُ^(١) فقد تَصَرَّفَ

(١) راجع «المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا» تأليف أحد توفيق المدني (نشرته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر) - تاريخ المقدِّمة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٥ م) - ص ٢١٣ - ٢١٤.

في وجوه الأغراض. وأجاد الوصف والتشبيه، إلى جانب عددٍ من الكتب له في الردّ على العلماء (الفقهاء؟) وفي تطبيقي الشعراء (جعلهم طبقاتٍ على أزمانهم أو فنونهم أو مكانتهم). قال الأمير أبو القاسم في الخمر والغزل ووصف الطبيعة:

أَسَاقُ صُبْحِي بَصْبَحِ الدِّانِ وَأَصْرَفُ لَيْلِي بِصِرْفِ الْعُقَارِ^(١).
 أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَنَا بِالْبُرُوجِ بَخِيلُ الضِّيَاءِ جَوَادُ الْقِطَارِ^(٢).
 كَأَنَّ الشَّقِيقَ بِهَا وَجَنَةً بآخرها لَمَعَةٌ من عِذار^(٣)؛
 كَأَنَّ الْبِنْفَسَ فِي لَوْنِهِ آخِلاً طُ الظَّلَامِ بِسُوءِ النِّهَارِ.
 وَأَتَرُجُّهَا كَحَقَاقِ النَّضَارِ تُصَفِّفُ أَوْ كَثِيفِي الْجَوَارِي^(٤).
 أَقْنَمْنَا نُسَابِقُ صَرَفَ الزَّمَانِ بِدَاراً إِلَى عَيْشِنَا الْمُسْتَعَارِ^(٥).
 نُحِيبُ بِصَوْتِ الْقِنَانِ الْقِيَانَ إِذَا مَا أَجَابَتْ غِنَاءَ الْقَمَارِ.
 نَشْمُ الْخُدُودَ شَمِيمَ الرِّيَاضِ وَنَجْفِي النُّهُودَ اجْتِنَاءَ الثَّارِ.
 وَنُسْقَى عَلَى النَّوْرِ مِثْلَ النُّجُودِ مِثْلَ الْبُدُورِ اغْتَلَّتْ لِلْمَدَارِ^(٦).
 نَعْمِنَا بِهَا وَكَأَنَّ النُّجُومَ دَرَاهِمُ من فِضَّةٍ فِي نِشَارِ^(٧).
 إِذَا مَا لَقِيتَ اللَّيَالِي بِهَا فَأَنْتَ عَلَى صَرَفِهَا بِالْخِيَارِ^(٨)!

(١) الدن (بالفتح): وعاء كبير للحمر. العقار: الخمر. صرف: خالصة (غير ممزوجة).

(٢) البروج (لعله اسم مكان). القطار: المطر (يوم غائم مطر).

(٣) الشقيق (شقائق النعمان) كناية عن الحمرة. العذار: الشعر الثابت في الوجه.

(٤) الأترج: نوع من الليمون (يكون كبيراً وأصفر). الحقاق (بالكسر) جمع حق (باضم): وعاء صغير. النضار: الذهب.

(٥) صرف: أحداث (مصائب). بداراً: استباقاً (نحاول نحن أن نلتقي الصباح مثلاً قبل أن يأتي الصباح حتى لا نصيب من عمرنا دقيقة سدى).

(٦) النور (بالفتح): الزهر. مثل النجوم: الحب (بفتح ففتح) وهي نقّاحات صغيرة تطوف على وجه الحمر في الكأس. ورثياً بدأ البيت: ونسقى (بالبناء للمجهول)..... فيكون المعنى: وسقينا في جنيّة ملوثة بالأزهار ندمان مثل البدور (بجهاهم) حيناً اعتلت في المدار (في مدارها: ارتفعت إلى كبد السهل) مثل النجوم (خراً يطفو الحب على سطحها). حينئذ تصيح « مثل البدور » فاعلاً.

(٧) النجوم (نجوم السه أو نجوم الكأس: الحب؟) في نثار: قطع صغيرة (من ذهب) كتابة عن الحمر.

(٨) إذا دهمتك مصائب الدهر فإذا شئت فاشرب الحمر (لكي تنسى تلك المصائب).

وكانَ في النِصْفِ الأوَّلِ من القَرْنِ الخامسِ للهجرة (النصف الأول من القرن الحادي عشر للميلاد) نفرٌ من الشعراء منهم الفقيه أبو بكر عتيق السَّمَنطاري^(١)، نسبة إلى سامانترية إحدى قرى صقلية، وكان يَنْظِمُ شعراً من شعر العلماء العاديين كقوله:

فَتَنُّ أَقْبَلْتُ وقومٌ غفولٌ وزمانٌ على الأنام يَصُولُ.

- ويبدو أن من هؤلاء أيضاً أبو عبد الله بن الطوبي، وقد كان كاتب الإنشاء في صقلية. وهو شاعرٌ مُتَقَلِّبُ الرأي في الدنيا يدعو حيناً إلى الزهد والتصوُّف الحقيقيين ويجئن أحياناً في الغزل المذكر خاصة. قال في التصوُّف والمتصوِّفين:

ليس التصوُّفُ لُبْسُ الصوفِ ترقعه، ولا بُكاءُك إن غنى المُنُونَا؛
ولا صياحٌ ولا رقصٌ ولا طَرَبٌ ولا تَفَاشٍ كأن قد صيرتَ مجنوناً^(٢).
بل التصوُّفُ أن تصفو بلا كَدَرٍ وتَتَّبِعَ الحقَّ والقرآنَ والدينا،
وأن تُرى خائفاً لله ذا نَدَمٍ على ذُنُوبِكَ طولَ الدهرِ محزوناً.
وكذلك قال في الغزل المذكر:

أنظُرْ إلى حَسَنِ وحُسنِ عِذارِهِ لَترى مَحاسِينَ تَسَحَّرُ الأبصارا^(٣).
فإذا رأيتَ عِذارَهُ في حَدِّهِ أبصرتَ ذا لَيْلٍ وذاك نَهَاراً!

غير أننا نرى في هذه الحقبة أيضاً مَنْ أدرك سوء الحال في صقلية فنَفَثَ ذلك في شعره. قال أبو محمد القاسم بن عبد الله التميمي:

-
- (١) المسلمون في صقلية، تأليف مورينو ٤٣، ٤٤.
(٢) تَفَاشٍ (غير موجودة في القاموس) والمقصود التظاهر بأن الإنسان قد أغشى عليه (من شدة الخوف من الله).
(٣) العذار: الشعر النابت في الوجه.

وما كنتُ أشقى الغرب لو كان لم تكن
مُنينا بذاتِ البنين حتَّى كأننا
يُغيرُ الفتى منا على مالِ نفسه،
وكانت بلادُ الروم طوعَ سُيوفنا
فإن نال مِنّا الناسُ أو قلّ كُثرنا
أَتُونَا، ولكن بالدروع، أساوداً،
وطيبُ حياةِ المرء في عزِّ مؤنّه.

صِغْلِيَّةٌ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ لَائِمٌ^(١)
نرى أن مَنْ يَنْفِي سِوَى الْبَغْيِ غَاشِمٌ^(٢)
وَيَقْتُلُهُ غَدْرًا أَخُوهُ الْمَلَأَمُ.
إِذَا رَامَهَا مَنَّا عَلَى الْبُعْدِ رَأَمٌ^(٣)
فَقَدْ تَقَتَّلَ الْحُمَى وَتُرْدِي السَّهَامُ^(٤)
وَلَكِنْ أَتَيْنَا وَالسَّيْفُ عَزَائِمٌ^(٥)
وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا أَنْ تَمُوتَ الْكَرَائِمُ.

این عید ربّه

١- هو شهابُ الدين أبو عمرَ أحمدُ بنُ عبدِ ربِّهِ بنِ حبيبِ بنِ حُدَيْرِ بنِ سالمِ القرطبيُّ، وكان سالمُ القرطبيُّ مولَى هشامِ بنِ عبدِ الرحمنِ الداخلِ.

وُلِدَ أَحَدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي عَاشِرِ رَمَضَانَ ٢٤٦ (٢٩ / ١١ / ٨٦٠ م) فِي قُرْبَةِ وَنَشَأَ فِيهَا. وَتَلَّقَى الْعِلْمَ عَلَى نَفَرٍ مِنْهُمْ بَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ (ت ٢٧٦ هـ) وَمُحَمَّدُ بْنُ وَصَّاحٍ (ت ٢٨٦) وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْحُشْنِيِّ (ت ٢٨٦).

وكان أحمد بن عبد ربّه شاعر بلاطٍ للأمير المنذر (٢٧٣- ٢٧٥ هـ) وللأمير عبد الله (٢٧٥- ٣٠٠ هـ) ولعبد الرحمن الناصر بعدهما. وكذلك كان صديقاً للشاعر

(١ و ٢) نحن أشتيا في صفلية لأن صفلية جزء من الغرب (الأندلس) الشقي. منيا: أصنا (بالبناء للمجهول) بذات البين (بالبغضاء والعداوة). يبني: يطلب. البني: الظم. غاشم: ظالم. تعودنا الظلم: من الناس حتى إذا رأينا رجلاً لا بظلم سبناه ظالماً. أو نظنه غشياً جاهلاً (راجع المعجم الوسيط، ص ٦٥٩). وما كنت (٢) للمخاطبة المؤنثة: أشتى الغرب (بغير منقوطة) أو (للمتكلم المفرد: أشتى العرب (بغير مهملة ومضمومة).

(٣) رام: أراد، قصد. - كُنَّا نَحْنُ نَتَغَلَّبُ عَلَى بِلَادِ الرُّومِ....

(٤) نردى: تهلك. السموم (بالفتح): الريح الحارة.

(٥) الروم (النصارى) يتعلّبون علينا لأنهم يلبسون دروعاً (عندهم وسائل كثيرة للقتال)، ونحن نقاتل معاً (بأيدينا) بدل السيوف (ليس عندنا سلاح).

القفاط (ت نحو ٣٣٣) ثم قَسَدَ ما بَيْنَها وَتَهاجيا .

وفُلج ابنُ عبدِ ربِّه أَعواماً ثم تَوَقَّى في قُرطبة في ثامنَ عَشَرَ جُمادى الأولى من سنة ٣٢٨ (٣/ ٣ / ٩٤٠ م).

٢- أبو عَمَرُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ أَدِيبٌ وَاسِعُ الإحاطة بِفنونِ العلمِ والأدب . ثم هو شاعرٌ مُكثِّرٌ صحيحُ الأسلوبِ متينُ السبكِ سهلُ التركيبِ يَغْلِبُ على شعرِه مَنطِقُ العلماءِ ، وَمَعَ ذلكَ فنحنُ نَجِدُ على شعرِه شيئاً من الطلاوة . وليس في شعرِه من الصِّناعة إلا ما جاء عفواً ، مَعَ وجودِ شيءٍ من التكلُّفِ المعنويِّ فيه . وقد ضاعَ شعرُ ابنِ عبدِ ربِّهِ إلا ما أورده ابنُ عبدِ ربِّهِ نفسُه في كتابه «العقد» . أما فنونُ شعرِه فهي المديحُ وفيه شيءٌ من التكلُّفِ والمبالغة ، ثم الرثاءُ وهو عنده كثيرٌ ومعظمه في أهله رقيقٌ صادقُ العاطفة . وغزلُه كثيرٌ رائقٌ ، ولعلَّ أحسنَ شعرِه الغزلُ والرثاءُ . وفي هجائه فكاهةٌ ودُعابةٌ وشيءٌ من الإقذاعِ أحياناً . وله أيضاً وصفٌ للطبيعة لا يَبْلُغُ فيه مبلغُ شعراءِ الأندلس . أما زُهدُه ففيه تكلُّفٌ كثيرٌ لأنَّه حاولَ أن يَأْتِيَ بمعارضةٍ في الزهدِ لكلِّ متطوعةٍ في الغَزَلِ كان قد قالها في شبابه . إنَّ هذا جعلَ زُهدَه كثيراً ولكن لم يرفعهُ إلى مستوى عالٍ . وابنُ عبدِ ربِّهِ أرجوزةٌ من بابِ الملاحمِ أبياتها أربعُمائةٍ وخمسةٌ وأربعون قالها في غَزَواتِ عبدِ الرحمنِ الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) وتناول فيها بطبيعة الحال الغَزَواتِ الأولى . وشعرُ ابنِ عبدِ ربِّهِ قصيدٌ وَرَجَزٌ .

كان ابنُ عبدِ ربِّهِ مُفَرِّماً بشعرِه يُورده في كتابه «العقد» عند كلِّ مُناسبة . وَمَعَ ذلكَ فلم يُورِذْ لنفسِه (ولا لغيرِه) شيئاً من الموشحات . ولقد خُدِعَ نفرٌ من النقادِ ومؤرِخي الأدبِ بِجملةِ ابنِ خَلَدونِ (المقدمة ، ١١٣٨) تَنسِيبُ موشحاتٍ إلى «أبي عَمَرُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ» . وَمَعَ أن ابنَ خَلَدونِ نفسَه يَدُكِّرُ أن ابنَ عبدِ ربِّهِ هذا هو صاحبُ «العقد» (كتاب العقد الفريد) ، فالحقيقةُ أن صاحبَ الموشحات هو ابنُ أخي ابنِ عبدِ ربِّهِ هذا (وكنيته واسمُه ككنية عمِّه واسمِه أيضاً: أبو عَمَرُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ) . وعلى كلِّ فإنَّه لم يَصِلْ إلينا من موشحاتِ صاحبِ العقد (إذا كان صاحبُ العقد قد نظم موشحات) ولا من موشحاتِ ابنِ أخيه شيءٌ .

غَيْرَ أَنْ شَهْرَةَ أَبِي عُمَرَ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ هِيَ فِي النَّثْرِ - وفي كتابه «العقد» خاصة^(١). جَمَعَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي كِتَابِهِ الْعَقْدَ أَخْبَاراً وَأَقْوَالاً وَاخْتِيَارَاتٍ مِنَ النَّثْرِ وَالشَّعْرِ يَتَعَلَّقُ الْقِسْمُ الْأَوْفَى وَالْأَوْفَرُ مِنْهَا بِالْمَشْرِقِ حَتَّى قَالَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ (ت ٣٨٥ هـ)، وَقَدْ رَأَى هَذَا الْكِتَابَ، جَلَّتْهُ الْمَشْهُورَةُ: «هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا، ظَنَنْتُ أَنْ هَذَا الْكِتَابَ يَشْتَمِلُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَخْبَارِ بِلَادِهِمْ، وَإِنَّا هُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى أَخْبَارِ بِلَادِنَا. لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ».

جَعَلَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ كِتَابَهُ خَمْسَةً وَعَشْرِينَ بَاباً وَشَبَّهَ بِعَقْدٍ فِيهِ خَمْسَةٌ وَعَشْرُونَ حَجَرًا كَرِيماً: وَاسْطَةً (فِي وَسْطِ الْعَقْدِ، وَتَكُونُ أَكْبَرَ حَبَاتِ الْعَقْدِ) ثُمَّ أَرْبَعَةٌ وَعَشْرُونَ حَجَرًا كُلُّ حَجَرَيْنِ مِنْهَا مُتَاَثِّلَانِ مِنْ جَنْسٍ وَاحِدٍ يَحْتَلَّانِ مَكَائِنَ مُتَقَابِلِينَ مِنْ طَرَفَيْ الْعَقْدِ عَلَى جَانِبِي الْوَاسِطَةِ. فَمِنْ أَبْوَابِ الْعَقْدِ: اللَّوْلُؤَةُ فِي السُّلْطَانِ، الْفَرِيدَةُ فِي الْحُرُوبِ، الزَّبْرَجْدَةُ فِي الْأَجْوَادِ، الْجُمَانَةُ فِي الْوُفُودِ،

وَقَدْ جَمَعَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ مَادَّةَ كِتَابِهِ مِنْ مَصَادِرَ مُخْتَلِفَةٍ: مِنَ الْكُتُبِ السُّلُوبِيَّةِ، وَمِنْ دَوَائِمِ الشُّعْرَاءِ، وَمِنْ كُتُبِ ابْنِ الْقَفَّعِ وَالْجَا حِظِّ الْمَبْرَدِ ثُمَّ أَلَحَّ بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ عَلَى كِتَابِ «عَيُونِ الْأَخْبَارِ» لِأَنَّ قُتَيْبَةَ حَتَّى أَنْ بَعْضَ أَبْوَابِ الْعَقْدِ نَسَخَ وَاضَحٌ مِنْ أَبْوَابٍ مِمَّا ثَلَّةَ فِي كِتَابِ عَيُونِ الْأَخْبَارِ.

أَمَّا قِيَمَةُ كِتَابِ «الْعَقْدِ» فَتَرْجِعُ إِلَى أَنَّهُ فِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى كِتَابٌ مُتَمَعٍ يَقْرَأُ الْإِنْسَانُ فِيهِ أَخْبَاراً طَرِيفَةً حَتَّى يُلْفِتَ الْحَالُ بِالْمُؤَلِّفِ إِلَى أَنْ رَوَى أَشْيَاءَ مِنْ بَابِ الْخُرَافَةِ. ثُمَّ إِنَّ الْمُؤَلِّفَ جَمَعَ مَوْضُوعَاتٍ مُخْتَلِفَةً فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ، وَلَكِنْ أَحْسَنَ تَصْنِيفَ هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ وَتَرْتِيبَهَا وَعَرَضَهَا. وَفِي الْكِتَابِ نَازِجٌ جَبِلَةٌ مِنَ الشُّعْرِ وَالنَّثْرِ وَالْأَقْوَالِ. ثُمَّ إِنَّ الْمُؤَلِّفَ قَصَدَ إِلَى الْعِبَرَةِ الْحَسَنَةِ وَالتَّهْذِيبِ الْخُلُقِيِّ (وَإِنْ كَانَ قَدْ أَتَى أحياناً بِأَشْيَاءَ خَارِجَةٍ عَلَى الْمَأْلُوفِ) - وَالْكِتَابُ أَيْضاً «مَرْجِعٌ بِمُنَايَةِ مُصَدِّرٍ»: أَيِ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ أَخَذَ أَخْبَاراً وَأَشْعَاراً مِنْ كُتُبِ ضَاعَتْ، فَأَصْبَحْنَا لَا نَعْرِفُ هَذِهِ الْأَخْبَارَ إِلَّا مِنْ كِتَابِهِ.

(١) إِنَّ الْعُقُودَ «الْعَقْدَ الْفَرِيدَ» تَطَوَّرَ مَتَأَخَّرَ زَادَ فِيهِ كَلِمَةُ «الْفَرِيدَ» أَحَدُ الْمَطَالَعِينَ أَوْ النَّاثِرِينَ.

وَمَعَ أَنَّ الْمَادَّةَ الَّتِي فِي كِتَابِ « الْعَقْد » مُعْظَمُهَا نَقُولُ لَا تَدُلُّ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ عَلَى أَسْلُوبِ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ، فَإِنَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَصِلَ فِي الْكِتَابِ إِلَى مَقَاطِعَ هِيَ بَلَا رَبِّهِ مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ وَتَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَسْلُوبَ الرَّجُلِ كَانَ مُوجِزاً وَاضِحاً قَرِيبَ الْمَعَانِي يَرْتَبِطُ بَعْضُ جُمْلِهِ بِبَعْضِهَا الْآخِرِ ارْتِبَاطاً مَنْطِقِيّاً.

٣ - مختارات من آثاره

- قال ابن عبد ربّه في الفَرَزَلِ والنسبِ أشبه رقيقة. وقد كَثُرَ الاستشهادُ بأبياته

التالية:

يَا لَوْلُوَا يَنْبِيِ الْعُقُولِ أُنَيْقَا، ورشاً بتقطيعِ القلوبِ رَفِيقَا^(١)،
 مَا إِنْ رَأَيْتُ- وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ- دُرّاً يَعُودُ مِنَ الْحَيَاءِ عَقِيقَا^(٢).
 وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى عَاسِنِ وَجْهِهِ أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ فِي سَنَاءِ غَرِيقَا^(٣).
 يَا مَنْ تَقَطَّعَ خَصْرُهُ مِنْ رِذْفِهِ، مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَكُونُ رَفِيقَا!

- وله الأبيات الصادقة العاطفة في رثاء ابنه:

وَكَبِدَا! قَدْ تَقَطَّعْتَ كَيْدِي! قَدْ حَرَقْتَهَا لَوَاعِجُ الْكَمَدِ^(١).
 مَا مَاتَ حَيٌّ لِمَيِّتٍ أَسْفَا أَعْذَرُ مِنَ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِ.
 يَا رَحْمَةَ اللَّهِ، جَاوَرِي جَدّاً دَفَنْتُ فِيهِ حُشَاشِي بِيَدِي^(٥).

(١) لَوْلُو (هنا: كناية عن انشراح الألبان الجميل). أنيق: جبل يعجب العين. الرشأ: الفزال الصغير (الفتاة انشابة الجميلة). نرفيق: الكثير العناية في العمل.

(٢) الدرّ: اللؤلؤ. العقيق: حجر كريم أحمر. دُرّ يعود من الحياء عقيقاً: وجهه (الأبيض كالدرّ) يعود (يصبح) من الحياء والمخجل عقيقاً (أحمر).

(٣) السناء: النور. أبصرت وجهك في سناء غريقاً: ترى صورة وجهك في وجهه (كأن وجهه مرآة).

(٤) اللعج: (الحب أو الحزن) المحرق (الشديد الحرارة والألم). الكمد: الحزن.

(٥) الجدث: القبر. الحشاشة: بقية الحياة (كناية عن ولده).

لا صبر لي بعده ولا جلدٌ، فُجِعْتُ بالصبر فيه واجلد^(١).

- وقال ابن عبد ربّه في مقدّمة كتاب العقْد:

وقد نظّرتُ في بعضِ الكتبِ الموضوعَةِ فوجدتها غيرَ متفرّقةٍ في فنون الأخبار، ولا جامعةٍ لِجَمَلِ الآثار. فجعَلْتُ هذا الكتابَ كافياً جامعاً لأكثرِ المعاني التي تجري على أنواعِ العامّةِ والخاصّةِ، وتدورُ على ألسِنَةِ الملوكِ والسُّوقَةِ. وحَلَّيْتُ كُلَّ كتابٍ (فصل) منها بشواهدٍ من الشعرِ تُجانِسُ الأخبارَ في معانيها وتوافقه (توافق الشعر) في مذاهبها.

- وقال يَصِفُ تَوَلَّى عبدَ الرحمنِ الناصرِ حفيدَ الأميرِ عبدِ الله وخليفته؛ وفي هذه القطعةِ تأتقُ ظاهرُ:

ثم وَلِيَ الْمَلِكُ الْقَمَرُ الْأَزْهَرُ الْأَسَدُ الْغَضَنفَرُ الْمَيْمُونُ النَّقِيبَةُ الْحَمُودُ الضَّرِيبَةُ^(٢)، سَيِّدُ الْخُلَفَاءِ وَأَنْجِبُ النُّجَبَاءِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ... فتَوَلَّى الْمَلِكُ وَهُوَ جَمْرَةٌ تَحْتَدُّمٌ وَنَارٌ تَضْطَرِّمٌ وَشِقَاقٌ وَنِفَاقٌ^(٣). فَأَخْمَدَ نِيرَانَهَا وَسَكَنَ زَلَازِلَهَا، وَافْتَتَحَهَا عَوْدًا كَمَا (كَانَ قَدْ) افْتَتَحَهَا بَدْءًا^(٤) سَمِيَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَقَدْ قُلْتُ وَقِيلَ فِي غَزَوَاتِهِ كُلِّهَا أَشْعَارٌ قَدْ جَالَتْ فِي الْأَمْصَارِ وَشَرَّدَتْ فِي الْبُلْدَانِ حَتَّى أَتَهَّمَتْ وَأَنْجَدَتْ وَأَعْرَقَتْ^(٥).

ولولا أَنَّ النَّاسَ مُكْتَفُونَ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْهَا لَأَعَدْنَا ذِكْرَهَا أَوْ ذَكَرَ بَعْضُهَا. وَلَكِنَّا سَنَذْكُرُ مَا سَبَقَ إِلَيْنَا مِنْ مَنَاقِبِهِ الَّتِي لَمْ يَتَقَدَّمْ إِلَيْهَا مُتَقَدِّمٌ وَلَا أُخْتٌ لَهَا وَلَا نَظِيرٌ.....

(١) الجلد: القوّة واحتال المصاعب.

(٢) الأزهر: الأبيض. الغضنفر: الأسد الغليظ الجثّة (القويّ الشديد). الميمون: المبارك. النقيبه: الطيبة. الضريبة (كالنقيبه). النجب: الذي له فضل على غيره وشهرة، الذي ينجب أولاداً ناهين، الذكي.

(٣) جرة تحتدم (تشتمل) بالفن والثورات. شقاق: خلاف، نزاع (بين أصحاب الملك أنفسهم).

(٤) افتتحها عوداً: فتحها (ردّها إلى حكم بني أميّة من حكم الإسبان أو الثوار من المسلمين) كما كان حدّه عبد الرحمن الداخل انتزعها (بدءاً) لبني أميّة من أنصار بني العبّاس.

(٥) اهتمت: نزلت إلى تمامه (شاطىء الحجاز). أنجدت: صعدت إلى نجد (المضبة الوسطى في شبه جزيرة العرب). أعرفت (وصلت إلى العراق) - عمت واشتهرت.

ومن مناقبه أَنَّ الملوكَ لم تَزَلْ تَبْنِي على أَقدارها ويُقضى عليها بآثارها^(١). وأَنَّهُ
بَنَى في المَدَّةِ القليلةِ ما لم تَبْنِ الخلفاءُ في المَدَّةِ الطويلةِ.... ومن مناقبه أَنَّهُ أَوَّلُ من
سَمَّى أميرَ المؤمنين من خُلفاءِ بني أُمَيَّةٍ بالأندلس.

- ولابن عبد ربّه أبياتٌ رفاقٌ بارعات، منها:

صِلْ من هَوَيْتَ وإنْ أبْدَى مُعَاتِبَةً؛	فَأُطِيبُ العَيْشَ وَصُلِّ بينَ إلفَيْنِ.
واقطعْ حَبَائِلَ خِذْنِ لا تُلَاثِمُهُ،	فَقَلَّما تَسَعُ الدُّنْيَا بغيضين ^(٢) !
- اشربْ على المَنَظرِ الأنيقِ،	وأَمْزُجْ بريقَ الحبيبِ ريقِي؛
وَأَحْلُلْ وشاحَ الكعابِ رِفْقاً	خَوْفاً على خَصْرِها الرقيقِ ^(٣) .
وقُلْ لِمَنْ لَمْ يَلَمْ في التَّصايي:	خَلِّ قَلِيلاً عَنِ الطَّرِيقِ!
- أَنْتَ دَائِي، وفي يديكَ دَوَائِي،	يا شِفائي من الجَوَى وبَلَائِي ^(٤) .
إِنَّ قَلْبِي يُحِبُّ مَنْ لا أُسَمِّي	في عَناءٍ، أُعْظِمُ به من عَناءٍ!
كيفَ لا، كيفَ أنْ أَلِدَّ بعيشِ	ماتَ صبري به وماتَ عزائي.
أُثَمِّها اللائمونَ، ماذا عليكم	أَنْ تَعِشُوا وَأَنْ أَمُوتَ بدائي؟
ليسَ مَنْ ماتَ فَاسْتراحَ بَمَيِّتٍ،	إِنَّمَا المَيِّتُ مَيِّتُ الأَحْياءِ!
- وَدَعَتْنِي بِزَفْرَةٍ وَأَعْتَنَاقِ	ثمَ نَادَتْ: متى يَكُونُ التَّلَاقِي؟
وتصدَّتْ فَأَشْرَقَ الصُّبْحُ منها	بينَ تلكَ الجيوبِ والأطواقِ ^(٥) .
يا سَقِيمَ الجفونِ من غيرِ سَقَمٍ،	بينَ عَيْنَيْكَ مَضْرَعُ العِشاقِ.
إِنَّ يَوْمَ الفراقِ أَفْطَحُ يَوْمَ،	لِيَتَنِي مِتُّ قَبْلَ يَوْمِ الفراقِ!

(١) الملوك في العادة تعمل ما تقدر عليه ثم تحكم نحن على أعمالهم بما يكون لهذه الأعمال من نتائج.....

(٢) الحَدَن: الصديق، الأليف.

(٣) الوشاح: قطعة من النسيج تجعلها المرأة على أعلى جسمها. الكعاب والكاعب: الفتاة أول صباها.

(٤) الجوى: ألم الحب.

(٥) الجيب: مدخل الثوب في العنق. الطوق: حلقة توضع في العنق.

- من أرجوزة ابن عبد ربه:

سُبْحَانَ مَنْ لَمْ تَخَوْهُ أَقْطَارُ وَلَمْ تَكُنْ تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ؛
وَمَنْ عَنَتَ لَوَجْهِهِ الْوُجُوهُ، فَمَا لَهُ نِدٌّ وَلَا شَبِيهٌ^(١).
لَكِنَّهُ يَدْرِكُ بِالْقَرِيحِ وَالْعَقْلُ وَالْأُنْبِيَّةُ الصَّحِيحَةُ^(٢).
مَعْرِفَةُ الْعَقْلِ مِنْ الْإِنْسَانِ أَتُبْتُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْعِيَانِ.
وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالتَّمَجِيدِ وَبَعْدَ شُكْرِ الْمُبْدِئِ الْمُعِيدِ^(٣)،
أَقُولُ فِي أَيَّامِ خَيْرِ النَّاسِ وَمَنْ تَحَلَّى بِالنَّدَى وَالْبَاسِ^(٤)،
وَمَنْ أَبَادَ الْكُفْرَ وَالنَّفَاقَا وَشَرَّدَ الْفِتْنَةَ وَالشَّقَاقَا،
وَنَحْنُ فِي حَنَادِسٍ كَاللَّيْلِ وَقِتْنَةٍ مِثْلِ عُثَاءِ السَّيْلِ^(٥)،
حَتَّى تَوَلَّى عَابِدُ الرَّحْمَنِ ذَاكَ الْأَعْرُ مِنْ بَنِي مِرْوَانَ.
قَدْ أَشْرَقَتْ بَنُورُهُ الْبِلَادُ وَانْقَطَعَ التَّنْفِيبُ وَالْفَسَادُ.
خَلِيفَةُ اللَّهِ الَّذِي أَصْطَفَاهُ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ وَأَجْتَبَاهُ^(٦).
أُجَيَّا الَّذِي قَدْ مَاتَ مِنْ مَكَارِمِ مِنْ عَهْدِ كَعْبٍ وَزَمَانٍ حَاتَمٍ^(٧).
هُوَ الَّذِي جَمَعَ شَمْلَ الْأُمَّةِ وَجَابَ عَنْهَا دَامَسَاتِ الطُّلَمَةِ^(٨)،

-
- (١) عنا يمتنو: خضع. الند: النيل.
(٢) القرية: المقدرة على إدراك الأمور والحكم عليها. الأنبياء الصحيحة: مقدمات المنطق، خطوات التفكير المنظم.
(٣) المبدئ والمعيد: الله (هو بدأ الخلق أول مرة وهو سيعيد الناس إلى الحياة يوم القيامة).
(٤) الندى: الكرم. البأس: القوة.
(٥) الهندس (بضم فسكون فضم): اشتداد الظلام. غشاء السيل: الأقدار الخفيفة التي يجرفها السيل فتطفو على سطحه. المقصود في الأصل بهذه الاستمارة: الضعف والشيء لا قيمة له. والشاعر يقصد (أن الفتن) كثيرة شديدة متلاحقة.
(٦) اصطفاه: اختاره. اجتباه: قرَّبه.
(٧) كعب بن مامة وحاتم الطائي من الأجواد (من الكرماء) في الجاهلية.
(٨) الدامس: المظلم. جاب ليست في القاموس بالمعنى الذي أرادته الشاعر. هو يقصد «أزاح».

وَجَدَدَ الْمَلِكَ الَّذِي قَدْ أَخْلَقَا حَتَّى رَسَتْ أَوْتَادُهُ وَأَسْتَوْتُمَا^(١).
 وَأَفْتَتَحَ الْحَصُونَ حِصْنًا حِصْنًا وَأَوْسَعَ النَّاسَ جَمِيعًا أَمْنًا .
 وَجَمَعَ الْمُدَّةَ وَالْعَدِيدَ وَكَثَّفَ الْأَجْنَادَ وَالْحَشُودَ^(٢) .
 وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أَنْتَحَى جَيَانَا فَلَمْ يَدْعُ بِأَرْضِهَا شَيْطَانَا^(٣) .
 فَأَضْبَحَ النَّاسُ جَمِيعًا أَمْنَةً قَدْ عَقَدَ الْإِلَّ لَهُمُ وَالذِّمَّةَ^(٤) .
 وَانْصَرَفَ النَّاسُ إِلَى الْقَلِيعَةِ فَصَبَّحُوا الْعَدُوَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ^(٥) .
 ثُمَّ التَقَى الْعِلْجَانُ فِي الطَّرِيقِ: الْبَنَبَلُوتِيُّ مَعَ الْجَلِيتِيِّ^(٦) .
 فَأَعْقَدَا عَلَى أَنْتَهَابِ الْمَكْرِ وَأَنْ يَمُوتَا قَبْلَ ذَاكَ الْخَضِرِ .
 وَأَقْبَلُوا بِأَعْظَمِ الطُّغْيَانِ قَدْ جَلَّلُوا الْجِبَالَ بِالْفُرْسَانِ^(٧) ،
 فَأَشْرَعَتْ بَيْنَهُمُ الرَّمَا حُ وَقَدْ عَلَا التَّكْبِيرُ وَالصِّيَاحُ^(٨) .
 وَالتَّقَتِ الرَّجَالُ بِالرِّجَالِ وَأَنْفَسُوا فِي غَمَرَةِ الْقَتَالِ ،
 فِي مَوْقِفٍ زَاغَتْ بِهِ الْأَبْصَارُ وَقَصُرَتْ فِي طَوْلِهِ الْأَعَارُ .
 حَتَّى بَدَتْ هَزِيمَةُ الْبُشْكَسِ كَأَنَّهُ مُخْتَضِبٌ بِالْوَرَسِ^(٩) .

- (١) أخلق: تهرأ، ضعف. رست: لبنت. استوتق الأمر (والكلمة في القاموس لا تأتي بهذا المعنى): أصبح موثوقاً به مضموناً وفي أمان.
- (٢) العدة: الآلات والسلاح. العديد: العدد الكثير (من الجند). الحشد (بالفتح): الناس المجموعون لأمر ما.
- (٣) انتحى: قصد. جيان: مدينة في جنوبي الأندلس... شيطان: (تأثر).
- (٤) الإلّ والذمة: العهد.
- (٥) القليعة... صبح الرجل القوم: جاءهم في الصباح.
- (٦) بنبلونة: بلدة في أقصى الشمال. البنبلوتي (أمير إسباني مسيحي؟) والجلتيقي (ابن مروان الجليقي): تأثر مسلم مرتد.
- (٧) جَلَّلُوا: غَطَّوْا (بفتح الطاء). جَلَّلُوا الْجِبَالَ بِالْفُرْسَانِ (لكثرة عددهم).
- (٨) التكبير (قول: الله أكبر) من المسلمين. والصياح من الإسمان.
- (٩) البشكس: أمير البشكس أو الجلالة (سكان الشمال الغربي من إسبانية) أو قائدهم. الورس: صباغ أصفر مائل إلى الحمرة (من الخوف أو الغضب).

لَمَّا أَتَتْهُ مَيْتَةُ الْخَنْزِيرِ وَأَنَّهُ صَارَ إِلَى السَّيْرِ^(١)،
كَاتَبَهُ أَوْلَادُهُ بِالطَّاعَةِ وَبِالدُّخُولِ مَدْخَلَ الْجَمَاعَةِ^(٢)؛
وَأَنْ يُقَرِّمَهُ عَلَى الْوَلَايَةِ: عَلَى دُرُورِ الْخَرْجِ وَالْجَبَايَةِ^(٣)؛
فَاخْتَارَ ذَا ذَاكَ الْإِمَامُ الْمُفْضِلُ، وَلَمْ يَزَلْ مِنْ رَأْيِهِ التَّفْضِيلُ.
ثُمَّ لَوَّى الشَّيْطَانُ رَأْسَ جَعْفَرٍ وَصَارَ مِنْهُ نَافِخًا فِي الْمُنْخَرِ^(٤)؛
فَنَقَضَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ وَاسْتَعْلَمَ التَّشْغِيبَ وَالنَّفَاقَا
فَاعْتَاقَهُ^(٥) الْخَلِيفَةُ الْمُؤَيَّدُ وَهُوَ الَّذِي يُشْقَى بِهِ وَيُسْعَدُ.
فَجَنَّدَ الْجُنُودَ وَالْكِتَابِيَا وَقَوَّدَ الْقَوَادَ وَالْمَقَانِبَا^(٦).
ثُمَّ أَمْتَحَى مِنْ قَوْرِهِ بُشْتَرَا فَلَمْ يَدْعُ فِيهَا قَضِيًّا أَخْضَرَا
حَتَّى إِذَا حَلَّ عَلَى تَطِيلَةٍ بَكَتْ عَلَى دِمَائِهَا الْمَطْلُولَةُ^(٧).
وَهُمْ أَنْ يُدِيحَ دَارَ الْحَرْبِ وَأَنْ تَكُونَ رِذَاهُ فِي الدَّرَبِ^(٨).
ثُمَّ أَسْتَشَارَ ذَا النُّهَى وَالْحَجَرَ مِنْ صَحْبِهِ وَمِنْ رِجَالِ الثُّغَرِ^(٩).

- (١) الخنزير هنا: عمر بن حفصون كان يتظاهر بالإسلام ولم يكن مسلماً (كما ظهر فيما بعد حينما نبش قبره).
(٢) وقد شغل عمر بن حفصون بثورته الأمراء الأندلسيين مدة طويلة، وكان يتلقى المساعدات من الإيبان ومن الأوروبيين خارج إسبانية.
(٣) بعد موت عمر بن حفصون استمر أولاده في الثورة على أمراء قرطبة. ولكنهم كانوا أحياناً - إذا ضعفوا - تظاهروا بطلب الصلح والعفو.
(٤) درور الخرج: تقديم ضرائب وافية عن أراضيهم.
(٥) ثم... عاد (جعفر بن عمر بن حفصون) إلى الثورة.
(٦) اعتاقه: عاقه، منعه وصده (عن إنزال ضرر بالناس). المؤيد: المعان (بضم الميم)، الذي يعينه الله.
(٧) قوّد... عين قوَاداً. المنسوب (ببكر الميم وفتح النون): جماعة من الفرسان دون المائة.
(٨) تطيلة بلدة إلى الشمال الشرقي من سرقطة. المطلول: الذي يذهب دمه هدراً، لا يتصره أحد ولا يأخذ بثأره أحد. بكت. لعلها: بكت (بتشديد الكاف: جعلت الناس يبكون عليها). وهذا أصح في الوزن وفي المعنى.
(٩) أداخ: أخضع وأذل. دار الحرب: بلاد العدو رذاه: عون (ق) له، محطة. الدرب: الطريق في الجبل (أخضع تطيلة حتى لا تكون خطراً وراءه إذا هو قطع الجبال التي وراءها لمحاربة الإيبان).
(٩) النهى والحجر: العقل. الثغر: المكان الخوف، القريب من بلاد العدو (شمال الأندلس).

فكلهم أشار ألا يُدْرِبُوا
 وشتموا أن وراء الفلج
 فقال: لا بُدَّ من الدخول؛
 فاستنصر الله وعبي ودخل،
 وعاد بالرغبة والدعوى
 فقدم القواد بالحثود
 فانهزم العليج، وكانت ملحمة
 لم يَغْزُ فيها وانتحى بُشْتَرَا
 واحتلها بالعزيز والتمكين
 وعاضها الإصلاح من فسادهم
 حتى خلا ملحود كل قبر
 عصابة من شيعه الشيطان
 ولا يجوز الجبل الموشى^(١)،
 حسين ألفاً من رجال العليج^(٢)،
 وما إلى « حاشاه » من سبيل^(٣)،
 فكان فتحاً لم يكن له مثل^(٤)،
 واستنزل الصير من السماء^(٥)،
 وأتبع المدود بالمدود^(٦)،
 جاوز فيها الساقة المقدمة^(٧)،
 فرمها بما رأى ودبراً^(٨)،
 ومحو آثار بني حفصون^(٩)،
 وطهر القبور من أجسادهم،
 من كل مُرتد عظيم الكفر،
 عدوة لله والسلطان

٤- كتاب المقد (المطبوع باسم « المقد الفريد »)، بولاق (المطبعة الأميرية) ١٢٩٣ هـ،
 القاهرة (المطبعة العثمانية) ١٣٠٢ هـ، (مطبعة إبراهيم عبد الرازق) ١٣٠٢ هـ (٢)،
 (المطبعة الشرقية) ١٣٠٢ هـ؛ (مطبعة شرف) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة ١٣١٤ هـ، ١٣١٦ هـ

- (١) أدرب: جاوز (أو دخل) الدرب (المر في الجبل) لبغزو وراء: المؤتب (الكثير الرجال والسلاح).
- (٢) شتم: (هول بنشر أخبار غير صحيحة أو للتخويف). الفج: الطريق الواسع (والملموح هنا): الطريق في الجبل. العليج: الرجل الغليظ (والكافر الذي لا يعرف اللغة العربية)، ملك الإيبان.
- (٣) وما إلى « حاشاه »: إلى استثنائه، إلى تركه.
- (٤) عباً الجيش: جمه ورتبه.
- (٥) عاد: لجأ.
- (٦) المدود: (يقصد جمع مدد- يفتح ففتح- ألف رجل ينضمون إلى جيش).
- (٧) الساقة: جماعة ملحقة بالجيش (وتكون الساقة لإعداد الطعام ونقل السلاح وإصلاحه). والمقدمة: القسم الأول المتقدم في الجيش. جاوز فيها...: هرب الجيش كله (٤).
- (٨) فيها: في سنة ٣١٦ هـ. انتحى: قصد بيشتر: حصن كان فيه عمر بن حفصون. رم القلعة: أصلح ما خرب فيها وزاد في قوتها.
- (٩) بنو عمر بن حفصون الذين استمروا في الثورة بعد موته.

هـ: (المطبعة الأزهرية) ١٣٢١ هـ، القاهرة (المطبعة الجبالية) ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م)؛
القاهرة ١٩٢٨ م (١٣٤٦-١٣٤٧ هـ)؛ (مصطفى محمد) ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م)؛ (تحرير
أحمد أمين- أحمد الزين- إبراهيم الأبياري) القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر)
١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) وما بعده؛ (تحقيق محمد سعيد الريان) القاهرة ١٩٤٩ م
(١٣٦٨ هـ)، الطبعة الثانية (١٩٥٣ م. ١٣٩٣ هـ (١٩٧٢ م)؛ (تحرير عبد الستار فراج)
القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر)، الطبعة الثانية ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م.

★★ ديوان ابن عبد ربّه الأندلسي - مع دراسة لحياته وشعره (نشره محمد
ألتونجي)، دمشق (منشورات مؤسسة ومكتبة الخافقين) ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧
- فهارس تحليلية لكتاب العقد الفريد، القاهرة ١٣٢١ هـ؛ (استخراج محمد شافع) كلكتا
١٩٣٥-١٩٣٧ م.

- ديوان ابن عبد ربّه (جمعه وحققه وشرحه محمد رضوان الداية)، بيروت (منشورات
الرسالة) ١٩٧٩.

- ابن عبد ربّه وعقده، تأليف جبرائيل جبّور، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣٣ م،
(دار الآفاق) ١٩٧٩ م.

- دراسة العقد الفريد، مقال لشفيق جبوري (مجلة مجمع اللغة العربية ٢٧: ١٧ و ١٦٥):
ابن الفرضي ٤٩: ١- ٥٠، جذوة المقتبس ٩٤- ٩٦، بغية الملتبس ١٣٧- ١٤٠ (رقم
٣٢٧)، المقتبس ٢٤١- ٢٤٣، المطمح ٥١- ٥٣، المطرب ١٥١- ١٥٦، معجم الأدباء
٤: ٢١١- ٢٢٤، وفيات الأعيان ١: ١٦٠- ١١٢، الوافي بالوفيات ٨: ١٠- ١٤،
البيان المغرب ٢: ٢٢٥، نفح الطيب ٧: ٤٩- ٥٢، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧٦-
٦٧٧، بروكلمان ١: ١٦١، الملحق ١: ٢٥٠- ٢٥١، نيكل ٣٥- ٤٣، مختارات نيكل
١٧- ١٨، الأعلام للزركلي ١: ١٩٧- ١٩٨ (٢٠٧)، داية ٢٧٩- ٢٩٢.

القلقاط

١- هو أبو عبد الله محمد بن يحيى القرطبي المعروف بالقلقاط، لا نعرف من حياته
الأولى إلا أنه كان أحد المعلمين. ويبدو أنه كان قديم العهد بصناعة التعليم حتى
أصبحت له جُرأة على العبث بزُملائه المؤدبين. وكان القلقاط يدرس النحو.
أما أحداث حياته البارزة فتكاد تتجمع في أيام الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-
٣٠٠ هـ) وأيام عبد الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠ هـ). قال الحميدي (جذوة ٩٢):
«وأظنه كان في أيام الحكم المستنصر» (٣٥٠- ٣٦٦ هـ).

غير أننا إذا حسَبنا أنه مدَح إبراهيم بن حَجَّاجِ الثَّائِرِ في إشبيلية (ت فجاءه ٢٨٨) ثم هجاء، كما هجا الأمير عبد الله بن محمد (ت ٣٠٠)، وإذا علمنا أنه كان صديقاً لابن عبد ربّه (ت ٣٢٨) ثم فسَدَ ما بينهما فهجاء، وأنه كان صديقاً لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل الحكيم (ت ٣٣١) لا نستبعد أن يكون القَلْطَاطُ قد عاش رَدْحاً في القرن الهجري الرابع. ثم إنَّ عبد الرحمن الناصر قد عهدَ إليه وإلى نفرٍ آخرين بِنسخِ شعر أبي تمام وترتيبه، ولا يمكن أن يكونَ عبدُ الرحمن الناصرُ قد تفرَّغَ لذلك قبل أن هدأت أحوالُ الأندلس وتسمّى هو بالخلافة (٣١٦ هـ). فلعلَّ هذا كلّه يميلُ بنا إلى الاعتقاد بأن القَلْطَاطَ ظلَّ على قيد الحياة إلى نحو ٣٢٥ أو ما بعدها أيضاً.

٢- « القَلْطَاطُ » لقبُ محمد بن يحيى الأديب (تاج العروس ٥: ٢١٢) من نُحاة قُرطبة المشهورين ومن اللُّغويين المُتدبرين. ثم إنه كان أديباً مُتدبراً في الشعر مُجَوِّداً مطبوعاً يُقَصِّدُ (يَنْظِمُ القصيدة) فيُحَسِّنُ ويُطِيل. لكن لم يصل إلينا من شعره إلّا قليل. وكانت فنونُ شعره المديح والهجاء والغزل الرقيق السهل ووصف الطبيعة. لكنَّ توثيقه على الناس (بالهجاء) جعله قليلَ الحظوة عندهم. وشهرته بالهجاء خاصة.

٣- مختارات من شعره

- قال محمد بن يحيى القَلْطَاطُ يَصِفُ الرياضَ:

مُرْنٌ تُغْنِيهِ الصَّبَا، فإذا هَمِي لَبَّتْ حَيَاهُ رَوْضَةٌ غَنَاءُ^(١)؛
فالأرض من ذاك الحيا مَوْشِيَّةٌ، والروض من تلك السماء سماءُ^(٢).

(١) المزن: المطر. الصبا: ريح الشرق. تغنيبه الصبا (بصوت الرعد): أي يجعل المطر كثيراً (الرعد مرور شرارة كهربائية في الغيم تحيل في العادة بخار الماء الذي هو في الغيم ماء). والملاحظ أن المطر يهز بعد الرعد مباشرة. همي: سقط بكثرة. الحيا: المطر. الروضة الغناء: الكثيرة الأزهار (أو الكثيرة الأطياف التي تألف الرياض حيناً يكون ماؤها كثيراً وأزهارها كثيرة). لبت (استجابت). حياه (ماء مطره) روضة غناء (أنيست نباتاً ناضراً كثيراً ذا أزهار مختلفة).

(٢) موشية: فيها وشي (زركشة وزخرف من كثرة أنواع النبات والأزهار). السله الأولى: المطر. السماء الثانية (استعارة): مثل السماء (يشبه الأزهار التي في تلك الروضة بالنجوم التي تظهر في السماء النجوم - جمع نجم: من النبات ما لا ساق له، والأجرام السماوية).

ما إن وَشَتْ كَفَّ صَنَاعُ ما وَشَى ذاك الغِناءُ بها وذاك الماءُ^(١)
 زُهرٌ لها مُقَلٌّ جَوَاحِظُ تارةً ترنو، وتاراتٍ لها إغضاء^(٢)
 - وقال في النسيب:

يَا غِزْلاً عَنْ لِي فَاذْ تَرَّ قَلْبِي ثُمَّ وَلَّى،^(٣)
 أَنْتَ مِنِّي بِفُؤَادِي - يَا مُنَى قَلْبِي - أُولَى.

٤- * * الزبيدي ٣٠١-٣٠٥ جذوة المقتبس ٩١-٩٢ (الدار المصرية) ٩٨ (رقم ١٦٥)؛
 بغية الملتبس ١٣٤-١٣٥، المغرب ١: ١١١، إنباه الرواة ٣: ٢٣١، راجع
 ٢٣٣، الوافي بالوفيات ٥: ١٩٢ (راجع ٢٠٠-) في ص ٩٢ (الحاشية ٤) أَنْ
 الصفدي خلط بين محمد بن يحيى الرباحي (ت ٣٥٨) ومحمد بن يحيى القلفاوط، بغية
 الوعاة ١١٤: ١١٤ نفح الطيب ٣: ٢٩٤-٢٩٥، البلغة ٢٤٩، ٢٥٢-٢٥٥ (ترجستان
 موجزة ومبسطة)؛ نيكل ٣٧.

الحكيم القرطبي النحوي

١- هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المعروف بالحكيم القرطبي كان مولده في
 قرطبة نحو سنة ٢٥١ (٨٦٥ م).

أخذ الحكيم القرطبي عن المحدث محمد بن وضاح (ت ٢٨٦) وعن اللغوي والمحدث
 محمد بن عبد السلام الحنشي (ت ٢٨٦ أيضاً) وأخذ المنطوق عن المتفلسف محمد بن عبد
 الله بن مسرة (٢٦٩-٣١٩ هـ)، ولكن يبدو أنه لم يتأثر بشيء من تطرف ابن مسرة
 وزندقته. وكذلك أخذ عن محمد بن الغازي (ت ٢٩٦ هـ) ما كان محمد بن الغازي قد

(١) الصناعات: البارع في عمل ما. «إن» زائدة. وشى: زركش، زَنَ بالألوان. الغناء: صوت الرعد.
 الماء = ماء السماء: المطر.

(٢) زهر (بضم الزاي): كل حيوان أو نبات برّاق اللون المقلّة: جسم العن (يشبه الأزهار بالميون).
 جوا حظ جمع جاحظة (بارزة، يقطعة). ترنو: تنطلق (كأنها تنظر). الأغضاء: تقارب جفني العين أو
 انطباقها (من النسيب). المقصود: بعض الأزهار متفتحة كثيراً، وبعضه يكون قليل التفتح. ولعل
 الكلمة «إغضاء» لا «إغضاء».

(٣) عَنْ: ظهر. ابتز: سلب، سرق. روي هذان البيتان (فوق ص ٢٠٤).

جَلَبَهُ مَعَهُ مِنَ الْمَشْرِقِ مِنَ الشَّعْرِ وَاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ مِنَ الْأَشْعَارِ الْمَشْرُوحَةِ رِوَايَةً عَنْهُ وَسَاعَاً عَلَيْهِ .

والحكيمُ القرطبيُّ كان مُؤدِّباً للحكَمِ المستنصر بن عبد الرحمن الناصر . كما كان صديقاً للشاعر القَلْطاط (ت ٣٢٥) .

وكانت وفاة الحكيمِ القرطبيِّ في عاشر ذي الحِجَّة من سنة ٣٣١ (٢٦ / ٨ / ٩٤٣ م) .

٢- كان الحكيمُ القرطبيُّ بارِعاً في اللغة والنحو والحساب والمنطق يُنعمُ النظرَ في كلِّ شيءٍ ، فإذا بحثَ في أمرٍ أثار معانيه الدقيقة . ولكنه كان عيباً في المُخاطبات . ومعَ أنه لم يُعنَ بنظم الشعر فقد وصل إلينا منه بضعة أبياتٍ فيها نفسٌ ولَفَتَاتٌ ثم سهولةٌ في التعبير .

٣- مختارات من شعره

- سهرَ الشاعر القَلْطاط عند الحكيمِ القرطبي ليلةً ثم باتَ عنده وطال نومُهُ حتَّى كادتِ الشمسُ تُشرق . فانتبه القَلْطاط فقال يُخاطبه مُتندِّراً به يُسمِّيه ديكاً ثم يُعَاتِيهِ لأنَّهُ لم يَصُحَّ في الوقتِ المُناسب حتَّى يَنْهَضَ القَلْطاط لصلاة الصُّبح :

يا ديكُ، ما لك لم تَصْرُخْ فتنهِنَا ؟ لقد أسأتَ بنا، ديكَ الدَّجاجاتِ !

يا أَكْلاً للقدى، يا سالِماً عَبْثاً على الحَصيرِ بهيمٍ البهيماتِ !

فأجابه الحكيمِ القرطبي :

لقد صرختُ مراراً جَمَّةً عدداً قبلَ الصباح، وبعدَ الصبح، تاراتِ .

لكن عِلْمُكَ نَواماً وذا كَلَلٍ قليلٌ ذَكَرَ لجَبَّارِ السملواتِ

- وللحكيمِ القرطبيِّ أيضاً يُخاطب من أسمه ابنُ تَقِي (في النسيب) :

سَلْ تَقِيّاً، بالله، يا ابنَ تَقِي : هل ترى قَتْلَ مُسْتَهَامِ شَجِي ؟

كلِّما جَنَّ لَيْلُهُ باتَ يَرْعَى أنجماً هائِلاً بطَرْفِ خَفِي

- يا سَمِيَّ النَّبِيِّ، حَسْبُكَ مَا بِي؛ لَا تُزِدْنِي جَوَى، بِحَقِّ النَّبِيِّ
- ٤- * * الزبيدي ٣٠٠، ابن الفرضي ١: ٣٤٩ (رقم ١٢٣٠)، معجم الأدباء ١٨: ١٣٠،
الوافي بالوفيات ٢: ٢١٠، بغية الوعاة ٢٢، البلغة ٣١٠.

خليل بن إسحاق

١- هو أبو العباس خليل بن إسحاق بن وازد من أهل طرابُلُس (الغرب) ومن أبناء الجُند فيها. برع في عددٍ من وجوه العلم وأحاط بعددٍ من فنون الأدب. وضحيب الصوفية مدّة. ويبدو أنّه كان رجلاً صالحاً، فمن أعماله أنّه أشرف على بناء الجامع الكبير الذي تمّ بناؤه سنة ٢٩٩ (٩١٢م) ثم زاد فيه المنارة (٣٠٠هـ).

وفي سنة ٢٩٩ ثار أهل طرابُلُس على الفاطميين، فحاصره عبيدُ الله المهديّ- أول خلفاء الدولة الفاطمية- مدينة طرابُلُس حصاراً شديداً ثم فتحها بعد مقاومة عنيفة، سنة ٣٠٣، وفرضَ عليها غرامة باهظة، قيل: أربعمائة ألف دينار! في هذه الأثناء كان خليل بن إسحاق قد مالَ إلى الدعوة الفاطمية وأعتنقها فولاهُ عبيدُ الله المهديّ جمع تلك الغرامة، فأستطاع في جمعها وعَدَب الناس في تحصيلها. وتقلب خليل ابنُ إسحاق في عددٍ من مناصب الدولة: تولى جمع الضرائب كما تولى قيادة فريق الحَيَالَة.

غير أن عبيدَ الله المهديّ عادَ ففَضِبَ عليه وأهمله. فلما جاء القائمُ بأمرِ الله (٣٢٢-٣٣٤ هـ) ابنُ عبيدِ الله المهديّ أَمَنَ خليل بنُ إسحاق وولاهُ على جزيرة صقلية (٣٢٥-٣٢٩ هـ) فأكثرَ فيها من الظلم وسفك الدماء وكان يفتخر ويزعمُ أنّه قتل في صقلية ألفَ ألف (مليون) نفس .

ثم إن القائمُ بأمرِ الله صَرَفَ خليل بنُ إسحاق عن صقلية وولاهُ على جيشٍ لقتال أبي يزيدَ مَخْلَدِ بنِ كَيْدَادِ الحارِجيّ (٣١٦-٣٣٦ هـ) المعروف بلقبِ «صاحب الحمار». ولكنَّ أبا يزيدَ حاصره في مدينة القيروان ثم أخذه فقتله، سنة ٣٣٢ هـ (٩٤٣-٩٤٤م) وصلَّبه.

٢- كان خليلُ بنُ إسحاقَ شديدَ التقلبِ في حياته؛ وسببُ انتقاله من الحَيرِ والصَّلاحِ إلى الظُّلمِ وسفكِ الدماءِ والانتقامِ يخفى علينا اليومَ. ومعَ ذلكَ فإنه كان شاعراً مُجيداً عذبَ الألفاظَ سهلَ التراكيبِ رقيقَ المعاني. وأكثرُ شعره مديحٌ للفاطميين.

٣- مختارات من شعره

- قال خليلُ بنُ إسحاقَ يمدحُ عبيدَ اللهِ المهديِّ بقصيدةٍ منها:

قفْ بالمنازلِ وأسألنِ أطلالها. ماذا يَصُرُّكَ لو أردتَ سؤالها^(١)؟
هل أنتَ أولُ من بكى في دِمْنَةٍ. دَرَسَتْ وَغَيَّرَتْ الحوادثُ حالها^(٢)!
يا دارَ زَيْنَبَ، هل تُرَدِّينَ البُكا. عن مُقْلَةٍ سَفَعَتْ عليكِ سِجالها^(٣)؟
بُذِلَتْ، بالأُنسِ الخرائدِ كالدمى، وَخَشَ الفلاةَ طِباءُها ورِثالها^(٤).
صَلَّى الآلَةُ على النَّبيِّ مُحَمَّدٍ، وعلى الإمامِ وزادَهُ أمثالها:
إِنَّ الإمامَ أَقامَ سُنَّةَ جَدِّهِ. لِلْمُسْلِمِينَ كما جَذَوْتَ نِعالها^(٥)،
وَهَدَى بِهِ اللهُ البَرِيَّةَ بَعْدَما. طَلَبَ القُوَّةُ الظالمونَ ضَلالها.
إِنَّ الخِلافةَ، يا ابنَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ، حَطَّتْ إِلَيْكَ عَنِ النَّبيِّ رِحالها^(٦).

(١) الطلل: مكان الحيفة بعد أن ينتزعها أهلها ويبرحلوا عن المكان الذي كانوا فيه.

(٢) الدمة: الطلل. درس المنزل: أَسَحَتْ آثاره.

(٣) سَفَعَت العين: سَالَ دمعها. سَفَعَتْ سِجالها (السجل بفتح السين: الدلو العظيم): بَكَت كثيراً.

(٤) في القاموس (٣: ١٩٨): الأُنوس من الكلاب ضدَّ العقور وجمعها أنس (بضمّ فمّ). ويقصد الشاعر بقوله بالأُنس الخرائد: النساء الجميلات اللواتي يأنسُ بهنَّ الرجل عادة. الدمية: التمثال، الصورة (المرأة الجميلة). الرِثال جمع رَأُل: ولد النعامة.

(٥) السُنَّة: الطريقة، المنهج. نَطَّ الحياة. جَدُّهُ: مُحَمَّدُ رسول الله (يعتقد الفاطميون أنَّ عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية من نسل فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم). كما حَذَوْتَ نِعالها: كما فَصَلْتَ أديمَ إحدى الثملين على الثمل الأخرى (يعني: يسلك كما كان يسلك رسول الله تماماً) - وفي هذه الاستمارة في هذا المكان قبح ظاهر.

(٦) يا ابن بنت محمد: يا ابن فاطمة بنت محمد: يا من أنت من نسلها. حَطَّتْ الخِلافةَ إِلَيْكَ رحالها: وجدت فيه الخليفة الحقيقي (يعتقد الفاطميون أنَّ الإمام علياً وحده كان خليفة، ثم بقي الناس بلا خليفة حتى جاءت الدولة الفاطمية).

ولقد عَهِدْتُ لآلِ زَيْنَبَ حَبْرَةً فيها ودُنْيَا أَقْبَلْتُ إِقْبَالَهَا^(١).
 بِيضُهُ نَاعِمَةٌ يَجُولُ وَشَاحُهَا، وَتَهْزُ دِقَّةُ خَصْرُهَا أَكْفَالَهَا^(٢).
 وَكَأَنَّ فِي فِيهَا بُعِيدَ رُقَادِهَا عَسَلًا أَصَابَ مِنَ السَّمَاءِ زُلَالَهَا^(٣).
 وَلَقَدْ عَصَيْتُ عَوَازِلِي فِي حُبِّهَا. وَالنَفْسُ تَقْضِي فِي الْهَوَى عُدَّالَهَا^(٤).

٤- الحلة السراء ١: ٣٠٢-٣٠٤، أعلام ليبيا ١٠٥.

أبو العرب التميمي

١- هو أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم القديرواني المغربي الإفريقي، كان جدّه تَمِيمُ بنُ تَمَامٍ من أمراء العرب (البُدُو) وأميراً على تونس.

بدأ أبو العرب التميمي تلقّي العلم على محمد بن يحيى بن السلام^(٥) ثم سَمِعَ من جماعة منهم: أبو موسى عيسى بن مسكين الإفريقي المحدث الفقيه اللغوي (ت ٢٧٧) وحبیبُ أنْ نصر بن سهل (ت ٢٨٧) وأبو جعفر حمديس بن محمد القطان (ت ٢٨٩) ويحيى بن

(١) الخبرة (يفتح الماء): السرور والنعمة (النصرة والرواق، العادة). ودنيا أقبلت: خصب ونعيم وازدهار.

(٢) يجول وشاحها: يتحرك وشاحها على كتفيها (كتابة عن أن جسمها أهيئ رشيق غير ضخم). الكفل (يفتح ففتح): الردف (بكسر الراء). - لعلّه يقصد: ضخامة أردافها تنعب خصرها التحيل الضعيف فتجعله يهتز بغير إرادته!

(٣) بعيد رقادها: بعد نومها بوقت قليل (عند استيقاظها). الزلال: الماء الصافي. السماء المطر.

(٤) العذلة (بضمّ ففتح) والعذال (بفتح فتشديد) اللاتم (الذي يلوم الحبّ على حبّه)، والجمع منها عذلة (بفتح ففتح) وعذال وعذّل (بضمّ فتشديد فيها). والعواذل جمع عاذل: عرق يخرج منه دم الاستحاضة في المرأة (القاموس ٤: ١٤). والشاعر يقصد بالعواذل جمع عاذلة (لائمة للمحبّ على حبّه).

(٥) في المَقْدَمَة لناشري كتاب «طبقات علماء إفريقية وتونس» (ص ٢٤) أن أبا العرب ولد بين سنة ٢٥٠ وسنة ٢٦٠ ثم على لسان أبي العرب: «أثبت وأنا حدث إلى دار محمد بن يحيى بن السلام (كذا) فرأيت عنده الطلبة. وقيل لي إن الزّي الذي كنت ألبسه ليس زّي طلبه العلم. ثم جاء في الصفحة ١١٣ (من الكتاب المنشور) أن محمد بن يحيى قد مات سنة ٢٦٢ هـ. ومعنى هذا أن أبا العرب لم يكن (لما مات محمد بن يحيى) في سنّ من يطلب العلم. فإذا تشدّدنا وأجزنا أن يكون أبو العرب قد ولد في سنة ٢٦٠ هـ فيكون عمره يوم توفّي محمد بن يحيى سنتين! وإذا تساهلنا فقبلنا أن يكون قد ولد سنة ٢٥٠ هـ فيكون عمره يوم وفاة محمد بن يحيى اثني عشرة سنة.

جعفر التونسي الحافظ (للحديث) الزاهد (ت ٢٨٩) وأبو عثمان سعيد بن إسحاق الكلبي (ت ٢٩٥) وأبو يوسف جبلة بن حَمَوْد بن عبد الرحمن الصدفي الفقيه (ت ٢٩٧) أو (٢٩٩) وأبو عثمان سعيد بن الحداد الفقيه (ت ٣٠٢ هـ).

وقد احترَف أبو العرب تربية أولاد العرب ونسخ الكتب. سمع منه أيضاً جماعة منهم نفرٌ من الأعلام. من هؤلاء جميعاً ابنه تَمَامٌ وتَمِيمٌ ثم الفقيه المشهور ابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦ هـ) ومحمد بن الحارث الحُشني (ت بعد ٣٦٦ هـ).

وفي رَجَب من سنة ٣٣٣ (٩٤٥ م) حَضَّ أَهَالِي القيروان على القتال إلى جانب أبي يزيد أحمد بن يزيد الخارجي صاحب الحمارِ ضِدَّ العُبَيْدِيِّين (الفاطميّين) ولكنه أُسِرَ وحُبِسَ ثم مات في ٢٢ من ذي القعدة في الأغلب من سنة ٣٣٣ (٧ / ٧ / ٩٤٥ م) - وفي الديباج المذهب (ص ٢٥٠) سنة ٣٠٣.

٢- كان أبو العرب التميمي رجلاً صالحاً عارفاً بالحديث ورجاله ثقة، وكان فقيهاً حافظاً للمذهب المالكي. وقد كان كثير التآليف في الحديث والفقه والتاريخ. ويبدو أن معظم كتبه في الحديث والفقه أبواب (أي فصول وليست كتباً مستقلة). له من الكتب (الفصول) في الفقه: الوضوء والطهارة - الجنائز - في الصلاة - ذكر الموت وعذاب القبر. ثم له طبقات علماء إفريقية - (مجموع من التراجم لعلماء القيروان وتونس مبني على الرواية والإملاء) - عبَادُ إفريقية - مناقب بني تميم - فضائل مالك - كتاب سحنون (ذكر مناقبه وسيرته في قضائه، ص ١٨٥) - كتاب التاريخ في سبعة عشر جزءاً (ص ٢٧، ٣٦) وقيل في أحد عشر جزءاً (ص ٣٨)، وهو الكتاب الذي كسبه لقب «رافع لواء التاريخ في إفريقية» (ص ٢٧، راجع ٣٦) - المِحَن - موت العلماء (جزءان) - عوالي حديثه^(١).

(١) عوالي الحديث: الأحاديث التي جرى جمعها وتخريجها في زمن متقدم. فالأحاديث الواردة مثلاً في «السنن» للنسائي (ت ٣٠٣ هـ) فإنها تعد في عوالي الحديث بالإضافة إلى الأحاديث الواردة في «المستدرک» للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) ولم ترد عند النسائي، فإنها لا تعد من عوالي الحديث بل من نوازلها. والمعروف أن الحاكم النيسابوري قد استدرك أحاديث لم ترد في «الصحاحين» في صحيح (مجموع أحاديث البخاري) (ت ٢٥٦ هـ) وصحيح مسلم (ت ٢٦١ هـ). فالأحاديث الواردة ■

وأسلوب أبي العرب عادي واضح، ولكنه كثير الإيجاز إلى حد الإخلال أحياناً. وكذلك كان له نظم صحيح المعنى من مثل شعر العلماء.

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو العرب التميمي في الصديق الذي يتغير:

إذا وَلَّى الصديقُ لِغَيْرِ عُنْزٍ فزادَ اللهَ حَلَّتَه انقطاعاً^(١)
إلى يومِ التَّنَادِ بلا رجوعٍ . فإن رَامَ الرجوعَ فلا استطاعاً^(٢)!
إذا وَلَّى أخوكَ قَوْلُ عَنِّهِ وزدَّهُ، وراءَ ما والاك، باعاً^(٣).
ونادِ وراءه: «يا ربَّ، تَمَّ» ولا تجعلِ لِفُرْقَتِهِ اجتماعاً.

- وقال في الضَّعْفِ من التَّقدُّمِ في السن:

ضَعُفْتُ جِلَّتِي وَقَلَّ أَصْطِبَارِي، وإلى اللهِ أَشْتَكِي كُلَّ ما بي:
وَهَنَ الْعَظْمُ بَعْدَ أَنْ كانَ صُلْباً، وفقدتُ الشَّبابَ أَيَّ شَبَابٍ^(٤).

- سحنون (طبقات علماء إفريقية وتونس ص ١٨٤ - ١٨٥)، وهو نص إنشائي لا

رواية:

قال أبو العرب: ومن شيوخ أهل إفريقية أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التَّنُوخِي، من صليبة العرب^(٥)، وأصله من الشام من أهل حِمَص. وأبوه سعيد قَدِمَ مع الجند، وهو من أهل حمص. كان (سحنون) جامعاً للعلم فقيه البدن (٩) اجتمعت فيه

■ عند البخاري ومسلم هي من عوالي الحديث بالإضافة إلى الأحاديث التي استدرَكها الحاكم عليها. إن لعوالي الحديث ونوازله درجات ليس هذا الكتاب مكاناً للتفصيل فيها.

(١) الحَلَّة (بالضَّم) الصداقة والمحبة التي تتخلَّل القلب.

(٢) التناد: التنادي: يوم القيامة.

(٣) والاك (كذا في الأصل). إقرأ: ولَاك (ولَّى عنك). الباع: مدى الذراعين مبسوطين. أي زده بعداً جديداً فوق ما اتعد عنك.

(٤) وهن: ضعف. أي شباب! ذلك الشباب الناضر الذي كان لي.

(٥) صليبة العرب: من العرب المخلص الذين لم يتفق اختلاط في أنسابهم.

خِلَالُ^(١) ما أَجْتَمَعَتْ في غيره: الفِقهُ البارِعُ والورعُ الصادقُ والصرامةُ في الحقِّ والزهادةُ في الدنيا والتخشُّعُ في الملبسِ والمطعمِ والسماحةُ والتَّركُ^(٢)، لا يَقْبَلُ من السلطان شيئاً، وكان ربِّها وصلِّ، بَعْضُ إِخْوَانِهِ بِالثَّلَاثِينَ دِينَاراً^(٣). وكان (سحنون) أَوَّلَ من شَرَدَ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ من المسجد الجامع، وكان فيه حَلَقَاتٌ لِلصُّفَرِيَّةِ وَالْإِبَاضِيَّةِ (والمعتزلة يتناظرون فيه) وَيُظْهِرُونَ زَيْفَهُمْ^(٤). وقد كان حافظاً للعلم، ولم يكن يَهَابُ سُلْطَاناً في حقِّ يُقِيمُهُ... وَلِيَّ الْقَضَاءِ سَنَةً أَرْبَعَ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ، وهو يَوْمُئِذٍ ابْنُ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، ولم يأخذْ على القضاةِ أَجْراً. وتُوفِّيَ، رَحِمَهُ اللهُ، يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِسَبْعَةِ أَيَّامٍ مَضَتْ من رَجَبِ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ.

٤- طبقات علماء إفريقية- ذكر علماء تونس (نشرها محمد بن أبي شنب المتوفى ١٣٤٧ هـ- ١٩٢٩ م منفصلين)، الجزائر ١٩١٤ م. ثم نشرها منقولين إلى- الفرنسية، الجزائر ١٩٢٠ م- طبقات علماء إفريقية وتونس (تقديم وتحقيق علي الشاذلي ونعيم حسن اليافي)، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٨ م.

* * راجع مقدّمة «طبقات علماء إفريقية وتونس» الوافي بالوفيات ٢: ٣٩ الديباج المذهب ٢٥٠ بروكلمن، الملحق ١: ٢٣٨ الأعلام للزركلي ٦: ٢٠٠ (٣٠٩: ٥)، الجمل في تاريخ الأدب التونسي ١٨٠ عنوان الأريب ٢٨.

عبد الله بن الناصر

١- هو أبو محمد عبدُ الله بنُ عبدِ الرحمن الناصر لدينِ الله، سَمِعَ من جُمْلَةٍ من

- (١) خلال جمع خَلَّة (بالفتح): الخصلة (بالفتح)، الصفة.
- (٢) الترك: الترك لا هو حقٌّ للشخص كيلا يكون في أخذه إساءة إلى غيره!.
- (٣) وصل... أعطى.
- (٤) الصفرية من الخوارج الذين فارقوا الإمام علياً لأنّه قبل بالتحكيم بينه وبين معاوية بعد معركة صفين. وهم يعدّون أصحاب الذنوب في المتركين ولكن لا يقولون بقتل ناسئهم وأطفالهم. والإباضية أتباع عبد الله بن أباض، يقال فيهم إنهم خوارج، ولكنهم أقرب إلى أن يكونوا سلفيّة، غير أنهم يتشدّدون في أشياء كثيرة كالخوارج (راجع الفهرس الهجائي). المعتزلة هم الذين يريدون إقامة البراهين على صحّة العقائد الإيمانية بالبرهان العقلي ولا يكتفون بالافتناع بما ورد من ذلك في الروايات الدينية. الزبغ: الميل عن الحق، الباطل.

العلماء منهم المُحدثُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَيْمَنَ (٢٥٢ - ٣٣٠ هـ) والمؤرخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ^(١) والمؤرخُ المُحدثُ مُسْلِمَةُ بْنُ الْقَاسِمِ (٢٩٣ - ٣٥٣ هـ) ومُحَمَّدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْقُرَشِيُّ (ت ٣٦٥ هـ) وغيرهم. وقد أخذ المذهب الشافعي عن حَسَّانِ بْنِ سَعْدٍ^(٢) وأُحَدِّثَ ابْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ. وكان صديقاً لسعيد بن قَرَجٍ الجبَّالِيِّ (أخي أُحَدِّثَ بْنِ قَرَجٍ صاحبِ كتابِ الحداثق والمتوفى سنة ٣٤٤).

وغيظَ عبدُ الله هذا لأنَّ أباه عبدَ الرحمنِ الناصرَ جعلَ ولايةَ العهدِ لأخيه الحكم. ثم نُقِلَ إلى عبدِ الرحمنِ الناصرِ خبرُ مؤامرةٍ لخلعه ولقتلِ الحكم، قيل فيها ابنه عبدُ الله وأُحَدِّثَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ وأُحَدِّثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَطَّارِ (ت ٣٤٥ هـ). فحُسِبُوا كُلُّهُمْ فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٣٣٨. ثم إنَّ عبدَ الرحمنِ الناصرَ أمرَ بقتلِ ابنه في ١١ أو ١٢ من ذي الحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٣٣٩ (٢٠ أو ٢١ / ٥ / ٩٥١ م).

٢- من غرائبِ الاتفاقِ أن عبدَ الله بنَ عبدِ الرحمنِ الناصرِ كان فقيهاً شافعيّاً وأنَّ أخاه عبدَ العزيز كان حنفيّاً بينما الحكمُ كان مالكيّاً. ولا غرابة في أن يكونَ مقتلُ عبدِ الله قد أدَّى بالمذهبِ الشافعيِّ إلى الرُّكُودِ في الأندلس.

وكان عبدُ الله بنُ الناصرِ فقيهاً مُتَنَسِّكاً حَتَّى سُمِّيَ الزاهدَ، كما كان مُحِبّاً للعلم والعلماء بصيراً بلسانِ العربِ وشاعراً مطبوعاً مُحْسِناً وَمُصَنِّفاً لكتبِ الأدب والتاريخ. له من الكُتُبِ: العليلُ والقتيلُ (في أخبارِ بني العباسِ بَلَغَ به إلى الرازي بنِ المقتدر المتوفى سنة ٣٢٩ هـ) - المُسَكِّنَةُ في فضائلِ بَقِيٍّ بْنِ مَخْلَدٍ.

(١) هو أُحَدِّثُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ من موالِي بني أُمَيَّة كان في حزبِ عبدِ الله بنِ الناصر ولم يكن بفارقه. ولما عرف عبدُ الرحمنِ الناصرُ بِمُؤامرةِ ابنه عبدِ الله وبمساعدةِ ابنِ عبدِ البرِّ هذا أمرَ بِسجنِها مع رفاقها في المؤامرة. وقد توفى ابنُ عبدِ البرِّ في السجن (٢٨ رمضان ٣٣٨). وهو من فقهاء قرطبة ومن المؤرخين له «تاريخ فقهاء قرطبة» (راجع ابن الفرضي ١: ٢٧، الحلة السواء ١: ٢٠٧، الأعلام للزركلي ١: ١٩٩).

(٢) في تاريخ الفكر الأندلسي (ص ٤٣٤): حسان بن سعد و (ص ٤٣٥): الحسن بن سعد!

٣- مختارات من آثاره

- قال عبدُ الله بنُ عبدِ الرحمنِ الناصِرِ في الشكوى من المحبوب:

أَمَا فُؤَادِي فَكَأَنَّمْ أَلَمَهُ لَوْ لَمْ يَبُحْ نَاطِرِي يَا كَتَمَهُ^(١).
مَا أَوْضَحَ السُّقَمَ فِي مَلَاخِظِ مَنْ يَهْوَى، وَإِنْ كَانَ كَاتِبًا سَقَمَهُ^(٢)!
ظَلَلْتُ أَبْكِي، وَظَلَّ يَنْزِلُنِي مَنْ لَمْ يُقَاسِرِ الْهَوَى وَلَا عَلِمَهُ^(٣).
إِلَيْكَ مِنْ عَاشِقٍ بِكَيْ أَسْفَا حَبِيبِهِ فِي الْهَوَى وَإِنْ ظَلَمَهُ^(٤).
ظَلَلْتُ جُيُوشَ الْأَسَى تُقَاتِلُهُ مُذْ نَذَرْتُ أَعْيُنُ الْمِلَاحِ دَمَهُ^(٥).
- ومن نثره:

إِنَّ هَذِهِ الْوَجُوهَ الْحَسَانَ خَلَابَةٌ، وَلَكِنَّا لَا نَتَغَلَّغُلُ فِي نَظَرِهَا وَلَا نَدْعِي الْعِفَّةَ عَنْهَا بِالْجُمْلَةِ^(٦). وفيها اعتبارٌ وتذكُّارٌ بِالْخُورِ الْعَيْنِ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ تَمَالَى^(٧) - إِنَّ مِثْلَكَ فِي الْفُقَهَاءِ لَمَعْنُومٌ. وَمِنْ عَقْلِ الْمَرْءِ أَلَّا يُفْنِيَ عُمُرَهُ فِي مَا لَا يُنْفِقُهُ عَصْرُهُ^(٨).

٤ * * جذوة المقتبس ٢٤٤ (الدار المصرية) ٢٦٢ - ٢٦٣ (رقم ٥٥٥) = بغية المتنص
٣٣، المغرب ١: ١٨٢، الحلة السراء ١: ٢٠٦، نفح الطيب ٣: ٥٨٢ - ٥٨٣
الأعلام للزركلي ٤: ٢٣٠ (٩٦).

-
- (١) قلبي أخفى أله من حبه، ولكن عيني ظهر فيها هذا الألم.
(٢) الملاحظ جمع ملحظ: اللعظ (الرؤية) أو موضعه (العين). - مرض القلب من الحب (وكل مرض آخر) يظهر في العيون واضحاً جداً.
(٣) يعذلني: يلومني.
(٤) إليك من عاشق (كذا في الأصل). أقرأ: إليك عن (أبعد، ابتعد، اترك)..... وإن ظلمه حبيبه.
(٥) الأسى: الحزن. نذر دمه: أباح دمه (سمح لجميع الناس أن يقتلوه).
(٦) خلب: خدع، فتن (سلب العقل). لا تتغلغل..... لا نمن النظر (إلى الحسان) ولا نستطيع أن نردَّ بعرضنا عنهن بالكلفة.
(٧)في الجنة
(٨) العاقل لا يعمل عملاً لا يكون له قيمة في عصره أو لا يكون هنالك راغبون فيه.

قاسم بن أصبغ البَيَّاني

هو أبو محمد قاسم بنُ أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء البَيَّاني؛ كان جدّه الأعلى عطاء مولى الوليد بن عبد الملك.

وُلِدَ قاسمُ بنُ أصبغ في بَيَّانة يومَ الإثنين في الثاني والعشرين من ذي الحجة من سنة ٢٤٧ (بغية الوعاة ٣٧٥) أو ٨٦٢/٢/٢٦ م، وسكَنَ قُرطبةَ.

سَمِعَ في قُرطبة نفراً من العلماء منهم ابنُ وضّاح ومحمد بن عبد السلام الحُشَنِي. ثم رَحَلَ إلى المشرق فوصل إلى بغدادَ سَنَةَ ٢٧٦ هـ (٨٨٩ - ٨٩٠ م) فسمِعَ من محمد بن عيسى التِّرْمِذِي (ت ٢٧٩ هـ) والحرث بن أبي أسامة التميمي (ت ٢٨٢ هـ) وإسماعيلَ ابنِ اسحق الأزدي القاضي (ت ٢٨٢ هـ). وأراد أن يسمَعَ من أبي داوود السجستاني، ولكن لم يُدركه لأنَّ أبا داوود كان قد تُوُفِيَ سَنَةَ ٢٧٥ هـ (٨٨٩ م)، قبل أن يدخلَ قاسمُ بن أصبغ بغدادَ ببغضِ عامٍ. وكانت وفاة قاسم بن أصبغ في ١٤ جادى الأولى من سَنَةِ ٣٤٠ (٩٥١/١٠/١٨ م). وفي شذرات الذهب (٢: ٣٥٧) أنه عاش ثلاثاً وستين سنة (لعله خطأ صوابه ثلاث وتسعون) لأنَّ ذهنه تغيَّر قبل ثلاث سنوات من وفاته، كما جاء أيضاً في شذرات الذهب.

كان قاسمُ بنُ أصبغ من أئمة العلم حافظاً للحديث ثقةً كثيراً من الحِفظ، بارعاً في الفقه وفي علم اللغة. وقد اشتهر في الحديث خاصة شهرةً عظيمةً حتَّى أن الناس كانوا يرحلون إليه لسَماع الحديث. وكانت له تصانيفُ منها: أحكام القرآن- الناسخ والمنسوخ- المصنَّف (في الحديث، ألفه على ترتيب سنن أبي داوود السجستاني وخَرَجَ ما فيه من الأحاديث: ذكر طرق روايتها، وذلك أنَّه لم يدرك أبا داوود ليتخرَّجَ عليه فتخرَّجَ على كتابه)- الكبير (في الحديث)- المجتنب (كتاب حديث مصنَّف على أبواب الفقه، صنَّفه قاسم بن أصبغ لأمير المؤمنين الحكم المستنصر، اختصره من كتابه «الكبير» وبدأ اختصاره في المحرم من سنة ٣٢٤ هـ)- غرائب حديث مالك بن أنس مما ليس في «الموطأ»- فضائل قريش- كتاب في الانساب.

- ** ابن الفرضي ١: ٤٠٦-٤٠٨ (رقم ١٠٧٠) جذوة المقتبس ٣١١ (الدار المصرية) ٣٣٠-
 ٣٣١ (رقم ٧٦٩)؛ بغية المتلسم ٤٣٣-٤٣٤ (١٢٩٨)؛ معجم الأدياء ١٦: ٢٣٦-
 ٢٣٧؛ بغية الوعاة ١٣٧٥؛ نفع الطيب ٢: ٤٧-٤٩؛ شذرات الذهب ٢: ٣٥٧؛ دائرة
 المعارف الإسلامية ٤: ٧١٧-٧١٨؛ الأعلام للزركلي ٦: ٧ (١٧٣: ٥).

حفصة الحِجَارِيَّة

١- هِيَ حَفْصَةُ بِنْتُ حَمْنُونٍ، مِنْ أَهْلِ وَادِي الْحِجَارَةِ، كَانَتْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الثَّرْوَةِ
 وَالْوَجَاهَةِ تَمْلِكُ عَبِيداً. وَكَانَتْ وَفَاتَهَا فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ (الْعَاشِرِ لِلْمِيلَادِ).

٢- كَانَتْ حَمْدُونَةُ الْحِجَارِيَّةُ عَالِمَةً وَأَدِيبَةً شَاعِرَةً لَهَا شَعْرٌ كَثِيرٌ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شَعْرِهَا

- قَالَتْ حَمْدُونَةُ الْحِجَارِيَّةُ تَذَمُّ عَبِيدَهَا:

يَا رَبِّ، إِنِّي مِنْ عَبِيدِي عَلَى جَمْرِ الْقَضَى، مَا فِيهِمْ مِنْ نَجِيبٍ:
 إِمَّا جَهْلٌ أَوْ بَلَاءٌ مُتَعَبٌّ، أَوْ فَطْنٌ مِنْ كَيْدِهِ لَا يُجِيبُ!

- وَقَالَتْ فِي النَّسِيبِ:

لِي حَبِيبٌ لَا يَنْشِي لِعِتَابٍ؛ وَإِذَا مَا تَرَكْتُهُ زَادَ تِيهَا.
 قَالَ لِي: هَلْ رَأَيْتَ لِي مِنْ شَبِيبٍ؟ قُلْتُ: أَيْضاً، وَهَلْ تَرَى لِي شَبِيباً!

٤- **. المغرب ٢: ٣٧-٣٨؛ نفع الطيب ٤: ٢٨٥-٢٨٦؛ الأعلام للزركلي ٢: ٢٩٢-
 (٢٦٤).

أَبُو الْحَزْمِ جَهْورُ بْنُ أَبِي عَبْدِ (١)

١- هُوَ أَبُو الْحَزْمِ جَهْورُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (ت ٢٩٦) بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْقَمَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ
 عَبْدِ الْغَاثِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ مَالِكٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَابِرٍ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مَمْلُوكاً لِلْخَلِيفَةِ
 الْأُمَوِيِّ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ (ت ٦٥ هـ). وَكَانَ حَسَّانٌ - وَكُنْيَتُهُ أَبُو عَبْدِ - هُوَ الَّذِي
 دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ (سَنَةَ ١١٣)، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ الْأُسْرَةُ). ثُمَّ إِنَّ عَبْدِ اللَّهِ، وَكَانَ يُكْنَى أَبَا

(١) حتى هذه الترجمة أن تأتي بعد ترجمة «الرازي المؤرخ» (ص ٢٣٨-٢٤١).

عُثْمَانُ، قد تَقَلَّبَ في مناصب الدولة طويلاً، ولكنه أثر أخيراً أن يعتزل المناصب وأن يهجر المجتمع إلى أن تُوفِّي سنة ٢٩٦.

وأما جَهْوَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ صاحبُ هذه التَرْجَمَةِ فلا نَعْرِفُ من أحداث حياته إلا ما ذكره ابنُ الأَثَرِ (ت ٦٥٨) من أنه تَصَرَّفَ في الكُورِ (تَوَلَّى المقاطعات) والأمانات والقيادة والمدينة ومن أنه وَرَرَ للخليفة عبد الرحمن الناصر (الحلَّة السراء ١: ٢٤٧). وجاء في البيان المغرب (٢: ٢٢٠)، في أخبار سَنَةِ ٣٤٤، أن الخليفة عبد الرحمن الناصر «قَلَدَ الوزيرَ جَهْوَرَ بْنَ أَبِي عَبْدِ النَّظَرِ في جميع كُتُبِ أَهْلِ الخِدْمَةِ». وإذا كان والدُ جَهْوَرَ قد تُوفِّي سَنَةَ ٢٩٦، فلا يُنْتَظَرُ أن يكونَ جَهْوَرُ نفسه قد عاشَ طويلاً بعد ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م).

٢- كان أبو الحزم جهور بن عبد الله بن أبي عبدة الوزيرُ شاعراً مكثرًا، أكثر شعره الوصف والنسيب والأدب (الحكمة).

٣- مختارات من شعره

- قال أبو الحزم جهورُ بْنُ أَبِي عَبْدِ يَصِفُ الْوَرْدَ وَيُفَضِّلُهُ (على الأزهار)، ويردُّ في ذلك على ابن الرومي الذي فضَّلَ التَرْجِسَ على الورد^(١). قال أبو الحزم:

الوردُ أَحْسَنُ مَا رَأَتْ عَيْنٌ، وَأَزْ كَى مَا سَقَى مَاءَ السَّحَابِ الْجَائِدُ^(٢).
خَضَعَتْ نَوَاوِيرُ الرِّيَاضِ لِحُسْنِهِ فَتَذَلَّلَتْ تَنْقَادُ وَهْيَ شَوَارِدُ^(٣).

(١) قال ابن الرومي (٢٨٣ هـ):

للترجس الفضل المبين لأنه زهر ونور وهو نبيت واحد.

- البين: المظاهر، الواضح. الزهر: الورق الملون (أحمر، أصفر، الخ). النور: يفتح النون: الورق الأبيض. يقول ابن الرومي: الترجس أفضل وأحسن لأنه زهرته تتألف من لونين: أوراق الوسط فيها صفراء والأوراق المحيطة بيضاء.

(٢) أزكى: أحسن وأطيب رائحة. الجائد: الكريم.

(٣) النواوير (جمع نَوَارٍ بضم النون وتشديد الواو)، والنَّوَارُ جمع نَوَّارَةٍ (بضم فتشديد أفعالاً): الزهر الأبيض اللون. فتذللَّت: اعترفت جميع الأزهار بفضل الورد مع أنها شوارد: عاصية لا تخضع لأحد....

وإذا تبدى الورد في أغصانه
وإذا أتى وفد الربيع مبشراً
ليس المبشر كالمبشر بأسميه؛
وإذا تمرى الورد من أوراقه
ذَلُّوا: فذا مَيَّتَ وهذا حاسد.
بطلوعِ صَفْحَتِهِ فَنِعَمَ الوافد^(١).
خَبِرَ عليه من النُبُوَّةِ شاهد^(٢).
بَقِيَّتْ عوارِفُه فهنَّ خوالد^(٣).

- وقال في العتاب والنسيب:

يا عاتباً لي بالصُدو
أَخْلَيْتَ من قلبي مكا
وَأَنَا أَجْبُوكَ، لو وَتَد
د، أَلَا ذَكَرْتَ قَبِيحَ غَدْرِكَ^(١)؟
نَا كَانَ معموراً بِذِكْرِكَ^(٢)؛
ت، وَأَسْتَدِيمُ طويلَ عُمرِكَ^(٣)!

٤- * جذوة المقتبس ١٧٧ (الدار المصرية) ١٨٨-١٨٩ (رقم ٣٦٠)، الحلة السراء ١: ٢٤٥-٢٥٢ (وفيه مناقشة لتحقيق نسبة أشعار أبي الحزم جهور ومناقشة خلط نفر من أصحاب المصادر بينه وبين أبي الحزم جهور الذي استبدت بقرطبة بعد سقوط الخلافة الروانية)؛ راجع أيضاً نفح الطيب ١: ٢٠٣-٢٠٤ (وفيه أيضاً حاشية في الموضوع نفسه).

سهيد بن عبد ربّه

١- هو أبو عثمان سعيد بن إبراهيم (عبد الرحمن) بن محمد بن عبد ربّه بن حبيب ابن محمد بن سالم، وسالم هذا المولى الأمير هشام الرضي بن عبد الرحمن الداخل. ثم هو

- (١) الترجس يسبق الورد في الظهور (فكأنّ الترجس يشرنا بقدوم الورد)....
- (٢) ... والمبشر (بكسر الشين) يكون أدنى مكانة من المبشر (بفتح الشين) به. والدليل على ذلك أن عيسى بن مريم جاء مبشراً بمحمد صلى الله عليه وسلم. في القرآن الكريم (٦١: ٦) سورة الصف: وإذ قال عيسى بن مريم: يا بني إسرائيل، إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد....
- (٣) الموارف جمع عارفة: الإحسان. الخالد: الباقي الذي لا يزول. - وإذا تمرى الخ: إذا ذهبت أيام الورد بقي لنا ما نضعه من الورد (ماء الورد، الخ).
- (٤) أنت تلومني لأنني تركت لقاءك، مع أنك أنت قد خنت عهدنا.
- (٥) أنت هجرتمني مع أنني لم أكن أحبّ أحداً غيرك (لم يكن في قلبي سواك).
- (٦) ومع ذلك فأنا أستديم (أطلب دوام) حياتك، وأرجو أن تثق بقولي....

ابن أخي ابن عبد ربّه (ت ٣٢٨) صاحب كتاب «العقد». تَكَسَّبَ بِالطِّبِّ وَعَمِيَ فِي
أَوَاخِرِ أَيَامِهِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٣٤٢ (٩٥٣ - ٩٥٤ م).

٢- كَانَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَشَاعِراً مُحَسَّناً. غَيْرَ أَنَّهُ شُغِلَ
بِالطِّبِّ وَالْفَلَكَ. وَمِنْ آثَارِهِ: أَرْجُوزَةٌ فِي الطِّبِّ - كِتَابٌ فِي الْأَقْرَابِادِينَ (الْأَدْوِيَةِ) -
وَتَعَالِيْقُ مُجَرَّبَاتٍ (فِي الطِّبِّ).

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- بَعَثَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَوْماً إِلَى عَمِّهِ أَحَدَ (صَاحِبِ كِتَابِ «الْعَقْدِ») يَدْعُوهُ إِلَى
أَنْ يَحْضُرَ إِلَيْهِ لِيُؤَانِسَهُ. فَلَمْ يُجِبْهُ عَمَّهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ مَعَاتِباً:

لَمَّا غَدِمْتُ مُؤَانِساً وَجَلِيْساً نَادَمْتُ بُقْرَاطاً وَجَالِينُوساً^(١).
وَجَعَلْتُ كُتُبَهَا شِفَاءً تَقْرُدِي، وَهِيَ الشِّفَاءُ لِكُلِّ جُرْحٍ يُوسَى^(٢).
وَوَجَدْتُ عِلْمَهَا إِذَا حَصَلَتْهُ يُذَكِّي وَيُحْيِي لِلْجُسُومِ نَفُوساً^(٣)!

- وَقَالَ فِي أَوَاخِرِ عُمُرِهِ:

أَمِنْ بَعْدِ غَوْصِي فِي عُلُومِ الْحَقَائِقِ وَطَوْلِ انْبِسَاطِي فِي مَوَاهِبِ خَالِقِي^(٤)،
وَفِي حِينِ إِشْرَافِي عَلَى مَلَكُوتِهِ، أَرَى طَالِباً رِزْقاً إِلَى غَيْرِ خَالِقِي^(٥)؟
وَأَيَّامُ عُمْرِ الْمَرءِ مُتَعَةً سَاعِيَةً تَجِيءُ حَتِيثاً مِثْلَ لَمْحَةٍ بَارِقِي^(٦).

(١) بقراط أو أبقرراط (ت ٣٦٥ ق. م.). طبيب يوناني قديم مشهور بالبراعة في المداواة. وجالينوس (ت نحو ٢٠٠ م) طبيب يوناني متأخر في الزمن ولكن بارع في التشريح والتطبيب.

(٢) يوسى = يوسى (الجهول من يأسو): يداوى.

(٣) أذكى فلان النار: أوقدها. والشاعر يقصد هنا أن قراءة كتب بقراط وجالينوس تذكى الإنسان (تجعله ذكياً).

(٤) في هذين البيتين نزعة إلى التصوّف.

(٦) متعة: استفادة، سرور. ساعة: وقت قصير. المنيث: المستمر (السرير).

وقد آذنت نفسي بتقويض رجليها، وأسرع - في سوقي إلى الموت - سائقي^(١).

وإني وإن أوغلت، أو سرت هارباً من الموت في الآفاق فالموت لاحقي^(٢)!

٤- * * جذوة المقتبس ٢١٣ تم ٣٧٥ - ٣٧٦ (الدار المصرية) ٢٢٩ تم ٤٠٠ (رقم ٤٦٥ تم ١٩٤٩/١٩٤٨) بغية الملتبس ٢٩٣ (رقم ٧٩١) طبقات الأطباء ٢: ٤٤ - ٤٥، ابن جليل ١٠٤ - ١٠٦ وفيات ابن قنفذ ٢١٤، الأعلام للزركلي ٣: ١٥٠ (٩٧).

الداروني

١- هو أبو محمد حسن بن محمد التميمي العنبري الداروني، نسبة إلى دارون - وهي منزل (محطة للتوافل قرب القيروان). وكان يعرف بابن أخت العاهة (١).

كان الداروني مُعْجَباً بقومه تميم وبَنَسَبِهِ فيهم شديد الافتخار بهم إلى درجة تخرُّج عن الحد المعقول. وكان كثير الحب للبادية يكره أهل الحضر وأهل البدو بمن يعملون في الصناعات والزراعة والتجارة. وكانت وفاة الداروني سنة ٣٤٣ (٩٥٤ - ٩٥٥ م).

٢- كان الداروني إماماً في اللغة وفي العلم بالشعر مشغوفاً بالشعراء القدماء وبذي الرمة خاصة، عارفاً بأخبار العرب وأنسابها وأيامها. وكذلك كان شاعراً مُجِيداً غزير الشعر جيّد الطبع مقتدراً على المعاني.

٣- مختارات من شعره

- أملق (أعسر واقتقر) الداروني يوماً فكتب إلى أبي جعفر المروزي، وكان يخدم الشيعة (الفاطميين):

كَتَمْتُ إِعْسَارِي وَأَخْفَيْتُهُ خَوْفاً بَأَن أَشْكُو إِلَى مُغِيرٍ،

(١) آذنت بالذ: قاربت. تقويض الرجل: نزع الخيمة من مكانها (استعداداً للرحيل)، كتابة عن قرب الموت.

(٢) أوغل الرجل في الغابة: سار فيها بعيداً. في الآفاق: أطراف البلاد (الأماكن البعيدة عن الحضر المناطق المعمورة والمناطق المهجورة: سيلحق في الموت أيها ذهبت.

وَأَنْ يَقُولَ النَّاسُ إِنِّي فَتَى لَمْ أَصُنِ الْعِرْضَ وَلَمْ أَضْبِرْ .
فَإِنْ تَكُنْ فِي حَاجَةٍ شَاكِيًا ، فَأَشْكُ إِلَى مِثْلِ أَبِي جَعْفَرٍ .
فَهَوَّ لَهَا أَمَلَتْهُ أَهْلُهُ ؛ وَمَا أَرَاهُ الْيَوْمَ بِالْمُوسِرِ !

١- ** طبقات الزبيدي ٢٦٧-٢٦٨ ، بغية الوعاة ١٢٣٦ ، البلغة ٦٦ .

الرازي المؤرخ

١- هو أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى^(١) الرازي، وُلِدَ في عَاشِرِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٢٧٤ (٢٦ / ٤ / ٨٨٨ م). وقد سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِي هَذَا مِنْ أَحَدِ بْنِ خَالِدٍ^(٢) وَقَاسِمِ بْنِ أَصْبَغٍ وَغَيْرِهِمَا . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ثَانِي عَشْرِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٣٤٤ (١١ / ١ / ٩٥٥ م).

٢- كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى الرَّازِيُّ وَاسِعَ الْحِفْظِ لِلْأَخْبَارِ فَعُرِفَ بِاسْمِ « الْمَوْرَخِ » وَ « بِالتَّارِيخِيِّ » لِكَثْرَةِ اشْتِغَالِهِ بِالتَّارِيخِ . وَكَانَ أَيْضًا مَتَمِيزًا بِالْجُغْرَافِيَةِ أَدْبِيًّا وَشَاعِرًا وَلُغَوِيًّا وَنَحْوِيًّا ؛ وَمُؤَلِّفًا مُكْثَرًا ، لَهُ : أَخْبَارُ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ وَكُتَابُهُمْ وَخِطَطُهُمْ (الوافي بالوفيات ٨ : ١٣١) - كِتَابُ أَنْسَابِ مَشَاهِيرِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ (خِصَّةُ أَجْزَاء)، وَيُسَمَّى الْاسْتِيْمَابُ (الحلّة السرياء ١ : ٢٤٥) - كِتَابُ صِفَةِ قَرْطَبَةِ وَخِطَطِهَا وَمَنَازِلِ الْعِظَاءِ بِهَا - كِتَابُ كِبَارِ الْمَوَالِي الْأَنْدَلُسِيِّينَ أَوْ أَعْيَانِ الْمَوَالِي - أَخْبَارُ عُمَرَ بْنِ حَفْصُونَ - أَخْبَارُ مَرْوَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَلِّيِّ - أَخْبَارُ بَنِي قَسِيٍّ وَالتَّجِيبِيِّينَ وَبَنِي الطَّوَيْلِ وَالثَّغَرِ (ولعله كِتَابُ الْمَوَالِي) هَذِهِ الْكُتُبُ لَمْ تَصِلْ إِلَيْنَا ، وَلَكِنَّ الْمَوْرَخِينَ الْمُتَأَخِّرِينَ نَقَلُوا مِنْهَا فِي كُتُبِهِمْ تَنْقَلًا كَثِيرًا .

(١) راجع تنمّة نسبه في ترجمة أبيه محمد بن موسى الرازي (ت ٢٧٣ هـ).

(٢) في « تاريخ العلماء والرواة للعلم في الأندلس » لابن الفرضي ثلاثة أسماؤهم أحمد بن خالد : أبو عمر أحمد بن خالد بن الجباب القرطبي الفقيه المحدث (١ : ٤٢)، ثم أبو القاسم أحمد بن خالد بن يزيد الأسدي من أهل بجانة ويعرف بابن أبي هاشم، كان محدثًا، وقد توفّي في سادس شوال من سنة ٣٦٨ (١ : ٥٩)، ثم أبو عمر أحمد بن خالد بن عبد الله الجذامي المحدث المتوفّي في ٢٦ من ذي القعدة من سنة ٣٧٨ (١ : ٦٨ - ٦٩).

- قال أحمد بن محمد بن موسى الرازي في نسب عبيد الله الملقب بالمهدي أول ملوك الشيعة في المغرب (الحلة السراء ١: ١٩٠):

واختلف الناس في نسب عبيد الله. فقال قوم: هو عبيد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. قال: وأخبرني الثقة عن أبي القاسم أحمد بن اسماعيل الرسي الحسني أنه قال: بالله الذي لا إله إلا هو، ما عبيد الله منّا. ولا أقول هذا لِمَا فعل، فقد فعلَ مَنْ لا يُشكَّ في نسبه أكثر من فعله وأشنع^(١).

- وقال في وصف الأندلس (نفع الطيب ١: ١٢٩ - ١٣١):

بلد الأندلس هو آخرُ الإقليم الرابع^(٢) إلى المغرب. وهو عند الحكماء بلدٌ كريمُ البقعة طيبُ التربة خصبُ الجناب منبجسٌ بالأنهار الغزار والعيون العذاب^(٣)، قليلُ الهوام^(٤) ذوات السموم، معتدلُ الهواء والجو^(٥) والنسيم، ربيعُه وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال..... تتصل فواكههُ أكثرُ الأزمنة وتدوم متلاحقةً غيرَ مفقودة. أمّا الساحل منه ونواحيه فيبادرُه بياكوره^(٦). وأمّا الثغر^(٧) وجهاته والجبال المخصوصة منه يبرد الهواء فيتأخّر بالكثير من ثمره. فإذّة الخيرات بالبلد مُتأديةً في كلّ أوان. وله خواصٌ في كرم النبات يوافق في بعضها أرضَ الهند.... منها أن المَحَلَب - المقدم في الأفاويه والفضل في أنواع الأشنان^(٨) - لا يَنْبُتُ بشيء من الأرض إلا بالهند

(١) لا أتهمه بذلك لأفعاله الشيعة، فقد فعل غيره (تم كانوا أشرف نسباً) أفعالاً أشنع من أفعاله.

(٢) الإقليم الرابع: المعتدل (يقع الإقليم الأول على خط الاستواء، ويقع الأقليم السابع عند القطب الشمالي).

(٣) منبجس: متفجّر، سائل. الغزير: الكثير. العذاب (بكسر العين): جمع عذب (حلو).

(٤) الهوام: (الحشرات الصغيرة).

(٥) الجو: المنخفض في الأرض (وهنا: حال الهواء من البرد والحر).

(٦) يبادر بياكوره: يعطي أشياء من ثمره باكراً.

(٧) الثغر: المكان الذي يحشى منه هيمه العدو (وهنا: شالي الأندلس المصائب لأمرأه النصارى).

(٨) المحلب: نوع من الطيب المستخرج من النبات (يؤكل). الأفاويه: أنواع الفلفل. الأشنان (ينفتح الهمة أو كسرهما): أنواع من النبات يستخدم ورقه في الفسل والتنظيف (كالصابون).

والأندلس. ولالأندلس المدن الحصينة والمعقل النينة والقلاع الحريزة والمصانع الجليلة^(١)، ولها البر والبحر والسهل والوعر..... والأندلس أندلسان في اختلاف هبوب رياحها وجريان أنهارها: أندلس غربي وأندلس شرقي. فالغربي منها ما جرت أوديته إلى البحر المحيط الغربي^(٢)، ويُطر بالرياح الغربية. ومبتدأ هذا الحوز^(٣) من ناحية المشرق مع المفازة الخارجة من الجوف إلى بلد شنتمرية^(٤) طالماً إلى حوز اغريطة المجاورة لطليلة^(٥) مائلاً إلى الغرب ومجاوراً للبحر المتوسط الموازي لقرطاجنة الخلفاء التي من بلد لورقة^(٦)، (ثم الحوز الشرقي المعروف بالأندلس الأقصى^(٧) وتجري أوديته إلى الشرق، وهو من حد جبال البشكنس، هابطاً مع وادي إبره إلى بلد شنت مرية^(٨)). ومن جوف هذا البحر وغربه المحيط. وفي القيلة^(٩) منه البحر الغربي الذي منه يجري البحر المتوسط الخارج إلى بلاد الشام، وهو البحر المسمى ببخر تيران^(١٠)، ومعناه الذي يشق دائرة الأرض، ويسمى البحر الكبير.

- وقال أحمد بن محمد بن موسى الرازي (المقتبس ٨٩):

كان الأمير عبد الرحمن (بن الحكم)^(١١) مقدّم الطبقة في البلاغة مطبوعاً على الكتابة

- (١) المصنع (هنا): البناء العظيم (وفي الأصل: الخوض تجمع فيه المياه).
- (٢) الوادي (في المغرب): النهر. المحيط الغربي (الاطلنطيكى).
- (٣) الحوز: جانب من الأرض ذو حدود معينة.
- (٤) المفازة: الصحراء. شنتمرية: بلدة في أقصى الجنوب الغربي من الأندلس (البرتغال اليوم)، وأسماها فارو).
- (٥) طليلة جنوب مدريد.
- (٦) قرطاجنة الخلفاء (أو الخلفاء) مرقاً في الجانب الجنوبي الشرقي من الأندلس. لورقة بلدة داخلية غرب قرطاجنة.
- (٧) الأندلس الأقصى الجانب الشمالي الشرقي.
- (٨) جبال البشكنس: في الشمال عند اتصال اسبانية بفرنسة. نهر إبره يصب عند طرطوشة (على الشاطئ الشمالي الشرقي). شنتمرية الشرق: بلدة إلى الشرق الشمالي من مدريد.
- (٩) الجوف: الجنوب. (وسط اسبانية). المحيط (الاطلنطيكى). القيلة (الجنوب الشرقي): اتجاه المصلّى في الأندلس نحو مكة.
- (١٠) يبدو أن الإشارة هنا إلى البحر الأبيض المتوسط (ولفظه في الأجنبية مديترانيوم).
- (١١) عبد الرحمن بن الحكم رابع الأمراء المتوارثين في الأندلس (٢٠٦-٢٣٨ هـ).

مُتقدراً على ما حاولَ من سَنَيِ المنثورِ والمنظومِ مؤثراً لِمَنْ يُحْسِنُهَا مُقَرَّباً بوسيلتيها^(١). وكان له التوقيعُ الوجيزُ^(٢) والقريضُ المُستحسن.

- وقال أيضاً (المقتبس ١٢٩ - ١٣٠):

كان لخلافة الأمير محمد بن عبد الرحمن غَضَارَةٌ^(٣) ولأيامه زهرةٌ ولسلطانته جلالَةٌ سَرَتْ إلى المشرق من قِبَلِ مَنْ تجاوزَ الأندلسَ من أهلِ العُدوةِ^(٤)، فأضحى لديهم طيِّبَ الخبرِ جميلَ الأثرِ اعتقدَ له من أجلِهِ كثيرٌ من ملوكِ أهلِ العُدوةِ الولايةَ^(٥)، وألقوا إليه بالموَدَّةِ وأبَدُوا إليه الحبَّةَ وأعتمدوه بالمشاركةِ فيما يُحدثُ اللهُ إليهم من مِحنةٍ^(٦). قَبَلُوا منه صِحَّةَ عقْدٍ^(٧) ونَحِيْزَةً صَغَوْا بها إليه فداموا له على المُواصلةِ. وكان أَكْلَفَهُمْ بما لَدَيْهِ من أُملاكٍ^(٨) أهلُ العُدوةِ بنو مدرارٍ ملوكُ سِجِلْمَاسَةَ وبنو أَفْلَحَ بنِ عبدِ الوهَّابِ الرُّسْتَمِيِّ أمراءُ تَاهَرْتِ^(٩) وغيرُهم.

٤- * الزبيدي ١٣٢٧ جذوة المقتبس ٩٧، راجع أيضاً ٩٦-٩٧ (الدار المصرية) ١٠٤ مرتين (رقم ١٧٤ و ١٧٥)، بغية الملتبس ١٤٠ (رقم ٣٣٠، راجع أيضاً رقم ٣٢٩)، ابن الفرضي ١: ٥٤-٥٥ معجم الأدباء ٤: ٢٣٥-٢٣٦ الوافي بالوفيات ٨: ١٣١، بغية الوعاة ١٦٨، نفع الطيب ٣: ١٧٣-١٧٤ دائرة المعارف الإسلامية ط ١، ٣: ١١٣٧ بروكلمن ١: ١٥٦-١٥٧، الملحق ١: ٢٣١، الأعلام للزركلي ١: ١٩٩-٢٠٠. (٢٠٨).

(١) يقرب إليه البارعين فيها.

(٢) التوقيع: جملة يدوئها الخليفة أو الوالي أو القاضي في أسفل القصة (الطلب، المروض المقدم إليه) وتكون حكماً بتنفيذ الطلب أو رفضه.

(٣) محمد بن عبد الرحمن حاسم أمراء الأندلس (٢٣٨-٢٧٣ هـ). غضارة: السمة (بفتح السين) والنعمة.

(٤) العُدوة (بضم العين أو كسرهما): الجانب. (هنا) الشاطئ الشمالي من قارة إفريقيا. من تجاوز (في رحلته: أسفاره) الأندلس.

(٥) اعتقد له الولاية: أقر له بالطاعة وبجته في الحكم.

(٦) واعتمدوه بالمشاركة.... سألوهم رأيه وعونه على التغلب على ما يزل بهم من الأحداث (اعتداء الأعداء عليهم).

(٧) العقد: العهد، يضره الإنسان في نفسه.

(٨) أكلفهم: أشدهم تعلقاً به وحباً له. النحيزة: الطبيعة. صفا: مال إلى... الأملاك (الملوك).

(٩) راجع، فوق، ص ٦١.

أبو وهب العبّاسيُّ

١- هو أبو وهب عبد الرحمن العبّاسيُّ من بني العبّاس، مَوْلَدُهُ (في بغداد) نحو سَنَةِ ٢٥٤ (٨٦٨ م)؛ طرأ على الأندلس وسكن قُرطُبَةَ وأخفى نَسَبَهُ. وكانت وفاته سَنَةَ ٣٤٤ (٩٥٥ م).

٢- كان أبو وهب العبّاسيُّ زاهداً ورِعاً قليلَ الاحتفالِ بأمور الدنيا، مَعَ أَنَّهُ كان مُتَفَنِّناً في أطرافِ من العلوم. وله كلامٌ في الزُّهد والوعظ متينُ الأسلوب. ومثلُ ذلك شعرُهُ مَعَ سَهولَةٍ في التركيب وحلاوةٍ في اللفظ.

٣- مختارات من شعره

- ومّا ينسب إلى أبي وهب العبّاسي (نفع الطيب ٤ : ١١٤):

قد تَخَيَّرْتُ أَنْ أَكُونَ مُخِفّاً ليس لي من مَطِيَّهمْ غَيْرُ رَجُلِي^(١).
فإذا كُنْتُ بَيْنَ رَكْبٍ فَقَالُوا: « قَدِّمُوا لِلرَّحِيلِ »، قَدِّمْتُ نَعْلِي^(٢).
حيثما كُنْتُ لَا أَخْلَفُ رَحْلاً، من رَأَيْ فَقَدْ رَأَى وَرَحْلِي^(٣).
- وقال في الزهد (نفع الطيب ٣ : ٢٢٦):

تَنَامُ، وَقَدْ أَعِدَّ لَكَ السُّهَادُ؛ وَتَوَقَّنْ بِالرَّحِيلِ، وَلَيْسَ زَادُ^(٤)!
وَتُضَيِّحُ مِثْلَ مَا تُمَسِّي مُضِيْعاً، كَأَنَّكَ لَسْتَ تَدْرِي مَا الْمُرَادُ.
أَتَطْمَعُ أَنْ تَقْوَزَ غَدًا هَنِيْئاً وَلَمْ يَلِكْ مِنْكَ فِي الدُّنْيَا أَجْتِهَادُ.
إِذَا فَرَطْتَ فِي تَقْدِيرِ زَرْعٍ، فَكَيْفَ يَكُونُ - مِنْ عَدَمٍ - حَصَادُ!

-
- (١) الحَفْءُ: الذي لا يحمل متاعاً أو أثقالاً (ليس معه أشياء يحملها في انتقاله). المَطِيَّ جمع مطية: الدابة التي تُسْتَعْمَدُ في الركوب.
(٢) الركب: الجماعة يركبون (ينتقلون، يسافرون) معاً.
(٣) الرحل (هنا): متاع البيت، الأثاث.
(٤) السهاد: السهر (الحزن من التفكير في المواقف). الرحيل: (هنا) الموت. الزاد (هنا) العمل الطيب الذي ينفع الإنسان في آخرته.

- كان أبو وهب العباسي إذا أصبح، ونظَرَ إلى استيلاء النور على الظلمة، رفع يَدَيْهِ إلى السماء وقال:

اللَّهُمَّ، إِنَّكَ أَمَرْتَنَا بالدُّعَاءِ إِذَا أَسْفَرْنَا^(١) فَاسْتَجِبْ لَنَا كَمَا وَعَدْتَنَا. اللَّهُمَّ، لَا تَسَلِّطْ عَلَيْنَا فِي هَذَا الْيَوْمِ مَنْ لَا يُرَاقِبُ^(٢) رِضَاكَ وَلَا سَخَطَكَ. اللَّهُمَّ، لَا تَجْعَلْ رِزْقَنَا عَلَى يَدِ سِوَاكَ. اللَّهُمَّ، آمَحْ مِنْ قُلُوبِنَا الطَّمَعُ فِي هَذِهِ الْفَانِيَةِ^(٣) كَمَا مَحَوْتَ بِهَذَا النُّورِ هَذِهِ الظُّلْمَةَ. اللَّهُمَّ، إِنَّا لَا نَعْرِفُ غَيْرَكَ فَتَسَّأَلُهُ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا غِيَاثَ مَنْ لَا غِيَاثَ لَهُ:

- ومن شعره:

أَنَا فِي حَالَتِي الَّتِي قَدْ تَرَانِي أَحْسَنُ النَّاسِ إِنْ تَفَكَّرْتَ حَالًا:
مَنْزِلِي حَيْثُ شِئْتُ مِنْ مُسْتَقَرٍّ الْأَرْضِ أَسْفَى مِنَ الْمِيَاهِ زُلَالًا^(٤)؛
لَيْسَ لِي كُنُوءٌ أَخَافُ عَلَيْهَا مِنْ مُغِيرٍ، وَلَا تَرَى لِي مَالًا^(٥).
أَجْعَلُ السَّاعِدَ الْيَمِينَ وَسَادِي، ثُمَّ أَتْنِي إِذَا انْقَلَبْتُ الشَّالَا^(٦).
قَدْ تَلَذَّذْتُ حِقْبَةً بِأُمُورٍ فَتَدَبَّرْتُهَا فَكَانَتْ خِيَالًا^(٧)!

٤- * * الغرب ١: ٥٨ - ٥٩؛ نفع الطيب ٣: ٢٠٧، ٢٢٩؛ نيكل ١٢١٢؛ مختارات نيكل ١٤٨.

-
- (١) أسفر الرجل: سافر باكراً (نهض من نومه). - الدعاء مطلوب في كلِّ حين، ولا وجه بتقييده بزمن معين أو بمجال معين.
- (٢) رقب الشيء وارتقبه انتظره. لا يراقب (لا ينتظر، لا يؤمن. لا يخشى).
- (٢) السخط: الغضب. الفانية: الحياة الدنيا.
- (٤) الزلال: الماء الصافي.
- (٥) المغير: المهاجم (الخصم).
- (٦) الوسادة: الحدة. 'أتني (أطوي) الشمال (اليد اليسرى). مرة أجعل وسادتي يدي اليمنى ومرة أجعلها يدي اليسرى.
- (٧) حِقْبَة: مدة طويلة. تدبَّر الأمر: نظر فيه وفكَّر فيه.

أحمد بن محمد بن أضحى

١- هو أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن خالد الغريب بن يزيد بن الشير بن عبد شمس بن غريب الهمداني الإلبيري، من أهل همدان وهي قرية على مقربة من غرناطة. وعُرف جدّه خالد بلقب الغريب لأنه كان أوّل مولود من العرب الشاميّين (الذين جاءوا مع بلج بن بشر - راجع، فوق، ص ٣٩) في كورة البيرة. وكان والدّه محمد صاحب حصن الحمة من أعمال البيرة ومن أنصار الأمير عبد الله بن محمد.

أما أحمد بن محمد بن أضحى نفسه فلا نعرف من أحداث حياته إلا أنه كان في أيام عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ = ٩١٢ - ٩٦١ م). ولعل وفاته كانت في حدود سنة ٣٤٥ (٩٥٦ م)^(١).

٢- في الحلة السيرة (١: ٢٢٩) أن أحمد بن محمد بن أضحى «كان من أحسن الناس وجهاً وأفصحهم لساناً وأشبههم نفساً وأوسعهم أدباً». وكان شاعراً مجيداً وخطيباً قديراً عارفاً بأشياء من العلم (كما نرى من خطبته)

لابن أضحى هذا بيتان من الرجز ألحَقهما بخطبته بين يدي عبد الرحمن بن محمد، هما:

الله أعطاك التي لا فوقها وقد أراد المُلحون عوقها

(١) في الحلة السيرة (١: ٢٢٩) أن أحمد بن محمد بن أضحى قدم مع أبيه في وفد من قومه على الناصر عبد الرحمن بن محمد داخلين في طاعته. إن قدومهم هذا يجب أن يكون سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م) حينما جاء أبو مطرف عبد الرحمن بن محمد إلى الإمارة. أمّا قول ابن الأثير (الحلة السيرة ١: ٢٢٩): «على الناصر عبد الرحمن بن محمد» وقول لسان الدين بن الخطيب (الإحاطة ١: ١٥٧): «قدم على الخليفة عبد الرحمن» فمن باب التجوّر (لأنّ عبد الرحمن بن محمد لم يأخذ لنفسه البيعة بالخلافة ولا تلقب بلقب «الناصر» إلا في سنة ٣١٦ هـ. وبما أنّ لسان الدين قال عن أهل أحمد بن محمد بن أضحى «جميعهم من أهل البلاغة والبيان والأدب والشعر البارِع» (الإحاطة ١: ١٥٦)، فإنّ تقدّم أحمد بن محمد ابن أضحى لإلقاء خطبة وإنشاد قصيدة عن الوفد يدلّ على أنّه كان في ذلك الحين من أسنم أو من احسنهم أدباً. ولعلّ الاحتمال الثاني هو الأصحّ هنا، وهذا أيضاً يندر أن يتفق للإنسان قبل الثلاثين من عمره.

عنك، ويأبى الله إلا سَوْفَهَا إليك، حتى قَلْدُوكَ طَوْفَهَا^(١).
 فإذا هو عَنَى بقوله « التي لا فَوْفَهَا » الخِلَافَةُ فيكون وفودُه على عبدِ الرحمن بن
 مُحَمَّد سَنَةً ٣١٦ للهجرة أو بعدها بقليل.

٣- مختارات من آثاره

- قَدِمَ أَحَدُ بَنِي مُحَمَّد بنِ أَصْحَى الإلبيريِّ على أَبِي مُطَرِّفِ عبدِ الرحمن بنِ مُحَمَّدٍ
 فخطب بين يديه وقال:

الحمدُ لله المُحتجبِ بنورِ عَظَمَتِهِ عن أَبْصارِ بَرِيَّتِهِ، والدالِّ بِجُدُوثِ خَلْقِهِ على
 أَرْزَلِيَّتِهِ... وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له إقراراً بِوَحْدَانِيَّتِهِ... وأشهدُ
 أن مُحَمَّداً عبدهُ ورسولهُ انتخبَهُ من أَطيبِ البُيُوتاتِ... ثم أكرمهُ بِرسالَتِهِ وأنزلَ عليه
 مُحْكَمَ تَزيلِهِ واختارَ له من أَصحابِهِ وأشياعه خَلْقاً جَعَلَ مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ
 وبِهِ يَغْدُلُونَ^(٢). وَجَعَلَ اللهُ الأَمِيرَ- أَعَزَّهُ اللهُ- وارثاً ما خَلَفُوهُ من معاليهِم وبابى ما
 أسَّسُوهُ من مَشاہِدِهِم حتَّى أَمِنَ الْمَسالِكُ^(٣) وَسَكَنَ الْخائِفَ، رَحْمَةً من اللهِ أَلْبَسَهُ
 كِرامَتَها وطَوَّقَهُ فَضيلَتَها. واللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ. واللهُ ذو الفضلِ العظيمِ.

- وقال في العتاب والاعتذار:

هَوَى كَدَّرَ الْواشُونَ مِنْهُ الَّذِي صَفَا وَنَمَّوا بِأَغْمَى الْإِفْكِ عَنِّي مُزْخَرَفًا^(٤).

(١) الشاعر هنا لم يجعل الشطر وحدة المعنى. ولو أردنا ترتيب هذين البيتين بحسب المعنى (كما يفعل نفر
 من الشعراء المعاصرين لنا بأشعارهم من باب التجديد) لكان الترتيب كما يلي:

الله أعطاك التي لا فوقها،

وقد أراد الملحدون عوقها عنك.

ويأبى الله إلا سوفها إليك،

حتى قلدوك طوقها.

(٢) راجع القرآن الكريم ٥٩:٧ (سورة الأعراف): « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون »
 (يحكمون بالعدل بين الناس بحسب أمره).

(٣) المشاهد: الآثار الحضارية. المسالك: الطرق (كان عبد الرحمن بن محمد قد جاء إلى الإمارة والبلاد
 مضطربة جداً بالثورات، وبثورة عمر بن حفصون خاصة).

(٤) زَيْنُ الْكَلَامِ بالكذب ونقله على غير وجهه. الْأَفْكَ: الاختلاق، الكذب. مَزْخَرَفًا: مَذْذُوقًا، مَكْذُوبًا
 فيه.

وَسَوَّا، وَأَصَاخَتْ أُذُنُ خَلِّي، فَمَا وَقَوَا
وهلاً - كما أَنْصَفْتَهُ فِي مَحَبَّتِي -
فَلَا كَانَ وَاشِرَ كَانَ دَاكُ ضَمِيرِهِ
وَلَا يَفْرَحُوا أَنْ أَوْقَدُوا الْمَجْرَ جَاجِئاً
بِتَلْيِغِهِ مَا لَمْ أَقْلُهُ، وَلَا وَفَى^(١)!
ثَنَاهُمْ عَلَى الْأَعْقَابِ مِنْهُمْ فَأَنْصَفَا^(٢)
هُوَآءَا، فَلَمَّا أَنْ رَأَى هَجْرَنَا اشْتَفَى^(٣).
فَعَمَّا قَرِيبٍ يَنْطَفِي، أَوْ قَدِ انْطَفَى^(٤)!

٤- الحلة السراء ١: ٢٢٨-٢٢٩، الإحاطة ١: ١٥٦-١٥٩.

أبو القاسم الفزاري

١- هو أبو القاسم محمد بن عبد الله الفزاري، وُلِدَ فِي الْقَيْرَوَانِ وَنَشَأَ فِيهَا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٣٤٥ (٩٥٦-٩٥٧ م).

٢- كَانَ أَبُو الْقَاسِمِ الْفَزَارِيُّ رَجُلًا مُتَقَلِّبَ الْهَوَى يَتَكَسَّبُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ دَوْلَةٍ قَائِمَةٍ. لَمَّا تَغَلَّبَ مَخْلُودُ بْنُ كَيْدَادٍ^(٥) عَلَى عَدِيدٍ مِنَ الْمُدُنِ التُّونِسِيَةِ وَانْتَزَعَهَا مِنْ يَدِ الْفَاطِمِيِّينَ ثُمَّ خَضَعَتْ لَهُ الْقَيْرَوَانُ (٣٣٣ هـ) مَدَحَهُ أَبُو الْقَاسِمِ الْفَزَارِيُّ بَعْدَ مِنْ الْقِصَائِدِ هَجَا فِيهَا الْفَاطِمِيِّينَ وَتَعَرَّضَ لِلْمَذْهَبِ الْفَاطِمِيِّ. وَلَمَّا تَمَكَّنَ الْفَاطِمِيُّونَ مِنْ هَزِيمَةِ مَخْلُودٍ وَاسْتَرْدَادِ الْقَيْرَوَانِ، وَشَيْكَأَ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ بَذَلُوا الْأَمَانَ لِأَهْلِ الْقَيْرَوَانِ مَدَحَهُمْ أَبُو الْقَاسِمِ الْفَزَارِيُّ بِقَصِيدَةٍ يَرْفَعُهُمْ فِيهَا فَوْقَ جَمِيعِ الْمَشَاهِيرِ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، وَيُشِيدُ بِالنَّصْرِ الْفَاطِمِيِّ (٣٣٤-٣٤١ هـ). وَالْقَصِيدَةُ مَتْنُهُ السَّبْكُ سَهْلَةُ التَّلَاوَةِ بَرُّغْمٍ اِزْدَحَامِيهَا بِأَسْمَاءِ الرِّجَالِ.

(١) الوشاية حل الكلام من شخص إلى شخص بقصد الإنسداد بينها. أصاخ: أسمى، استمع. الخل: الصديق. ما كان هؤلاء الناس أوفياء (صادقين) في الكلام الذي نقلوه، ولا كان هو صديقاً وفيّاً لي لَمَّا صدق هذا الكلام.

(٢) ثاهم على الأعقاب: ردّهم خائبين (لم يسمع منهم).

(٣) كان هذا الواشي مبغضاً لنا وكان يرى نفسه محتقراً (حينما كان يني ولا نسمع منه). فلما سمع منه خلّي (صديقي) تلك الوشاية بطل شعوره بمقاراة نفسه.

(٤) الجاهم: الشدبد الحرارة.

(٥) راجع، فوق، ص ١٧٣.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو القاسم الفَرَّارِيُّ من القصيدة التي يَرَفَعُ فيها من شأنِ الفاطميين:

لَعَمْرُكَ، ما أَوْسُ بنُ سَعْدَى بقومه ولا سَيِّدُ الأوبارِ قيسُ بنُ عاصم^(١)،
ولا كان ذو الجَدَيْنِ بينَ كتابي لهاميمٌ من بَكَرٍ وحيٍّ للهِازِمِ^(٢)،
وربُّ مَمَدٍّ والأَحاليفِ حَوْلُهُ عُبَابُ كَمْوَجِ اللَّجَّةِ المتلاطمِ^(٣)،
ولا حاجِبُ ذو الفوسِ يَخْطُرُ حَوْلُهُ قُرُومٌ كأَسَدِ الفِيلِ من آلِ دارمِ^(٤)،
ولا خالِدُ سُمِّ الدُّمَادِ ابنُ جعفرِ ولا الحارثُ الشَّهْمُ الفَوَادِ ابنُ ظالمِ^(٥)،
ولا كان بَسْطامُ بنُ قيسِ بنِ خالدِ وعمرُو بنُ كُلْثومِ شِهَابُ الأَرَامِ^(٦)،
ولا عَلَمُ الأجوادِ كَعْبُ بنُ مامةٍ عقيدُ الشَّلَا المَحْضِ دونَ اللّوأمِ^(٧)،
بِأَمْنَعِ مِنِّي في جوارِ خليفةٍ عطوفٍ على أَهْلِ البيوتاتِ راحمِ^(٨)،
كريمِ المساعي والأَيادي، سَمَتَ بِهِ أَبُوهُ صِدْقِي من ذُؤَابَةِ هاشمِ^(٩)....

- (١) أوس ابن حارثة الطائي من السادات الكرماء وسعدى أمه. وقبس بن عاصم سيّد بني تميم قال فيه رسول الله: «هذا سيّد أهل الوبر».
- (٢) ذو الجَدَيْنِ (من كان جدّه لأبيه وجدّه لأمّه عظيمين)، وهو عبد الله بن عمرو بن الحارث فارس الضحياء (اسم لعدد من الحيل المشهورة). وفي «مجلد تاريخ الأدب التونسي» (ص ٨٤): «ذو الجَدَيْنِ (بالهاء المهملة): مسعود بن بسلام، وكان شريفاً في قومه. الكتيبة: قطعة من الجيش (المشاة أو الفرسان). الهاميم جمع لهوم (بضم اللام): الجيش العظيم، العدد الكبير. اللهازم: لقب بني تميم الله بن ثعلبة (القاموس ٤: ١٧٩). وفي مجلد الأدب التونسي (ص ٨٤): بطن من بني شيبان.
- (٣) ربّ مَمَدٍّ (من مجلد تاريخ الأدب التونسي): قصي بن كلاب لأنه جمع كلمة قومه. الأحاليف (يقصد الأحلاف جمع حليف) ستّ قبائل من فريش اجتمعوا على أن ينصر بعضهم بعضاً وأن يكونوا عوناً على غيرهم (وهم أبناء عبد مناف، وهؤلاء متأخرون عن قصي، ولكن الشاعر جعلهم حول قصي). العباب: معظم السيل، أو ارتفاعه أو موجه.
- (٤) حاجب بن زرارة رهن قومه عند كسرى حتّى لا يعتدي قومه بنو تميم على مراعي القبائل الأخرى عند الفرات، ووفت بنو تميم بذلك. دارم من بني تميم.
- (٥) خالد بن جعفر الكلبي والحارث بن ظالم النطفاني مشهوران بالشجاعة.
- (٦) بسلام بن قيس سيّد بني بكر، وعمرُو بن كُلْثوم سيّد بني تغلب. الشهاب: اللامع، المشهور. والشهاب حجر يخرج من مداره حول كوكب فيصل مشتعل إلى الأرض (كناية عن الشجاعة والشدّة). الأَرَام (جمع أَرَمَ: حيّة) حيّ من تغلب.
- (٧) كعب بن مامة من مشاهير الأجواد في الماهلية.
- (٨) البيوتات: الأمر (جمع أسرة) المشهورة ذوات المكانة.
- (٩) ذُؤَابَة: أعلى الأشياء (الشريف المقدم في قومه).

- وقال يفتخرُ بالقيروانِ ويُفَضِّلُها على بَغْدَادَ:

فهل للقيروانِ وساكنيها عَدِبلٌ حينَ يفتخرُ الفَخُورُ^(١)
بِلادَ حَنَوتِها عِلْمٌ وِجْلٌ وإِسْلَامٌ ومَعْرُوفٌ وَخَيْرٌ^(٢).
عِراقُ الشَّامِ بَغْدَادُ، وَهَـذِي عِراقُ القَرَبِ بَيْنَها كَثِيرٌ^(٣)!
ولستُ أَقِيسُ بَغْدَاداً إِلَيها. وَكَيْفَ تُقاسُ بالسَّنَةِ الثُّهُورُ؟
بَنّاها كُلُّ بَذْرِيٍّ كَرِيمٍ كَأَنَّ صِفاحَ أَوْجُهِهِمْ بُدُورٌ^(٤).
هَمَّ صَلَّوا بِمَسْجِدِها بِراحاً وَليسَ لَها جِدارٌ مُسْتَدِيرٌ^(٥).

٤- * * * مجمل تاريخ الأدب التونسي ٨٣.

ابن الوزان القيرواني النحوي

١- هو أبو القاسم إبراهيم بن عثمان المعروف بابن الوزان القيرواني النحوي، كان كثير السّاع (التعلّم) من ابن عيّنون قرأ عليه شرح « غريب الحديث » لأبي عبيد^(١)

- (١) عدبل: مثيل.
- (٢) الخير (بالكسر) كالخير (بالفتح).
- (٣) الشام (هنا): المشرق. العراق أعظم أقطار الشرق، وتونس أعظم أقطار المغرب.
- (٤) البدرى: الذي حارب مع الرسول في معركة بدر (أولى معارك الإسلام، في السنة الثانية للهجرة، ٦٢٤ م).

(٥) براحا: حينما كانت أرضه براحاً (أرضاً لا زرع فيها ولا شجر = غير مبنية) - ليس المهم أن يكون هناك بناء يسمّى مسجداً، بل المهم أن يجتمع الناس للصلاة.

- (٦) ابن عيّنون (أبو عليّ القالي، ت ٣٥٦ هـ). لم أعر على كتاب في غريب الحديث لأبي عبيد. هنالك كتب عنوانها « غريب الحديث » للنضر بن شيب (ت ٢٠٣ هـ) وقطرب (ت ٢٠٦ هـ) وأبي عبيدة ممر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) وأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت نحو ٢٢٣ هـ) والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) وإبراهيم الحاربي المتوفى سنة ٢٨٥ هـ (بروكلمان ١: ١٢٩، الملحق ١: ١٨٨) وأبي العباس ثعلب (ت ٢٩١ هـ) ومحمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) ولآخرين أحدث عهداً من ابن الوزان. ولعل المقصود هنا هو أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي صاحب « غريب الحديث ». ويبدو أن كلمة « شرح » في طبقات الزبيدي (ص ٢٦٩) زائدة. ولعل الأصوب ما ذكره السيوطي (بغية الوعاة ١٨٣): « وكان (ابن الوزان) يحفظ العين وغريب أبي عبيد المصنّف (يقصد: يحفظ كتاب العين للخليل بن أحمد وغريب الحديث لأبي عبيد بن سلام والمصنّف « وفي معجم الأدباء لياقوت الحموي (٢٠٣: ١) وكان يحفظ كتاب العين للخليل ابن أحمد وغريب المصنّف لأبي عبيد. وفي «إنباء»

وكان صديقاً لأبي محمد عبد الله بن محمود المكفوف (ت ٣٠٨ هـ). وكانت وفاته في عاشر المحرم من سنة ٣٤٦ (١٣ / ٤ / ٩٥٧ م).

٢- كان ابن الوزان القيرواني النحوي فقيهاً على مذهب أهل العراق^(١). وكذلك كان إماماً في النحو واللغة والعروض. وكان في ذلك يميل إلى مذهب البصريين مع معرفته الواسعة بذهب الكوفيين. ثم كان يفضل المازني في النحو وابن البكيت في اللغة. وهو حسن الاستخراج يستخرج من مسائل اللغة والنحو أموراً لم يتقدمه فيها (لم يكن فيها أحسن منه) أحده. وكان غاية في استخراج المعنى^(٢). وفي أواخر أيامه نظم شيئاً من الشعر لم يرضه ولا أحب أن يؤسم به (أن ينسب ذلك الشعر إليه). وكانت له تصانيف كثيرة في اللغة والنحو.

٣- شيء من آثاره

- مما روي عن ابن الوزان (طبقات الزبيدي ٢٧٠ - ٢٧١):

... والعرب تقول: «رَجُلٌ وَرَجُلٌ» (بضم الجيم أو بتسكينها)، وهي لغة بني تميم وبني ربيعة... وعلى هذا جاء «سُرْق» (بتسكين الراء مكان سُرُق بكسر الراء). واللام تُدغم في الراء، وقال أكثر القراء «قُرَيْي» (مكان: قُل ربي) لأنها من حافة اللسان متقاربتان. ولا تُدغم الراء في اللام (إذا جاءت الراء أولاً) لأن الراء فيها تكرير.

و «الذي» فيها خَمْسُ لغات: الذي يباة خفيفة (بلا تشديد)، والذي (بتشديد

= الرولة (١: ١٧٣): وحفظ كتاب العين للخليل بن أحمد.... وكتاب المصنف لأبي عبيد. ويبدو أن فائري المراجع المذكورة (طبقات النحويين واللغويين، ومعجم الأدباء، وبغية الوعاة) قد أخطأوا في قراءة أصولهم أو توهموا شيئاً غير موجود أو غفلوا في أثناء تصحيح الملام. ويكون تصحيح ذلك كله كما يلي: قرأ ابن الوزان القيرواني كتاب العين للخليل بن أحمد وكتاب غريب الحديث وكتاب غريب المصنف لأبي عبيد بن سلام الهروي. فغريب الحديث وغريب المصنف كتابان (راجع معجم الأدباء ١٦: ٢٥٥ الأسطر ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥).

(١) مذهب أهل العراق في الفقه الأخذ بالرأي وإمامهم الأكبر أبو حنيفة.

(٢) المعنى: الغامض، الأجبية (راجع طبقات الزبيدي ٢٧٠).

(الياء)، وَالَّذِ يَجْذِفُ الْيَاءَ وَكَسَرَ الذَّالَ؛ وَالَّذِ يَأْسُكُنُ الذَّالَ وَيَرِدُ فِي حَالِ الرِّفْعِ وَالْجَرِّ وَالنَّصْبِ.

- وَسُئِلَ عَنْ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: « ذَلِكَ أَذْنَى أَلَّا تَعْمَلُوا »^(١) وَأَنَّ الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ (ت ٢٠٤ هـ) قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ أَلَّا يَكْثُرَ عِيَالُكُمْ. فَقَالَ ابْنُ الْوَرَّانِ:

أَخْطَأُ (الشَّافِعِيَّ)، يُقَالُ: عَالَ يَعْيلُ، إِذَا افْتَقَرَ؛ وَأَعَالَ، إِذَا كَثُرَ عِيَالُهُ؛ وَعَالَ يَعْولُ عَوْلًا، إِذَا جَارَ (ظَلَمَ)، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: « أَلَّا تَعْمَلُوا » (فِي هَذِهِ الْآيَةِ). وَعَالَ الشَّيْءُ يَعْولُ عَوْلًا، إِذَا زَادَ، وَمِنْهُ: عَالَتِ الْفَرِيضَةُ^(٢). وَعَالَتِ الشَّيْءُ يَعْولُنِي إِذَا أَثْقَلَنِي، وَمِنْهُ قَوْلُ الْخَنَسَلَةِ: « وَيَكْفِي الْعَشِيرَةَ مَا عَالَهَا ». وَيُقَالُ: عَالَ يَعْولُ عَوْلًا إِذَا تَبَخَّرَ.

- وَقَالَ ابْنُ الْوَرَّانِ: وَجَاءَ فَعِلَ يَفْعِلُ (بِكَسْرِ الْعَيْنِ فِي الْمَاضِي وَالْمُضَارِعِ) فِي ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ (كَلِمَاتٍ)؛ قَالُوا: حَسِبَ يَحْسِبُ وَيَسَّسَ يَسَّسُ وَيَسَّسَ يَسَّسُ. وَجَاءَ (ذَلِكَ) فِي ثَمَانِيَةِ أَحْرَفٍ مِنَ الْمُعْتَلِّ الْفَاءِ (الْفِعْلُ الَّذِي أَوَّلُهُ حَرْفُ عِلَّةٍ): وَرِمَ يَرِمُ، وَوَرِيَ الزَّنْدُ يَرِي (خَرَجَتْ مِنْهُ شَرَرٌ مِنْ نَارٍ)، وَوَرِثَ يَرِثُ، وَوَرَعَ يَرَعُ، وَوَلَّى يَلِي، وَوَفَّقَ يَفِيقُ، وَوَفَّقَ يَفِيقُ، وَوَلَّهَ يَلِّهُ وَيَوَّلَّهُ، وَوَهَلَ يَهْلُ وَيَوَهِّلُ.

٤- * * الزبيدي ٢٥٨، ٢٦٩-٢٧١ معجم الأدياء ١: ٢٠٣-٢٠٤ البلغة ٦: ١٦٢
الرواة ١: ١٧٢ الوافي بالوفيات ٦: ٤٥٠ الديباج المذهب ٩١: بغية الوعاة
١٨٣: شذرات الذهب ٢: ٢٧٣.

اسماعيل بن بدر

١- هو أبو بكر إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد من أهل قرطبة كان مولى لبني أمية، سمع الحديث من بقي بن مخلد ومن محمد بن عبد السلام الحشني ومحمد بن

(١) القرآن الكريم ٣: ٤، سورة النساء.

(٢) الفريضة: النصب من الإرث. عالت الفريضة: نقصت (راجع ذلك في كتب الأحوال الشخصية، في باب تقسم الإرث).

وضَّاحٍ وَمُطَرِّفٍ بِنِ قَيْسٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بِنِ مَسْرَّةَ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بِنِ يَحْيَى . (ابن الفرضي، رقم ٢١٦).

وكان إسماعيل بنُ بدرٍ مُتَّصِلًا بَعْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) فَوَلَّاهُ النَّاصِرُ الْخَاصَةَ (إدارة أُملاكه الْخَاصَّة) فِي ربيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٣٠٠ هـ ثُمَّ وَلَّاهُ إِشْبِيلِيَّةً. وَكَذَلِكَ وَلَّاهُ أَحْكَامَ السُّوقِ (الْحِسْبَةِ): الْحَافِظَةَ عَلَى الْأَخْلَاقِ فِي الْأَسْوَاقِ وَمِرَاقِبَةَ الْبُضَائِعِ وَأَسْعارِهَا).

وكانت وفاةُ إسماعيلَ بنِ بدرٍ سَنَةَ ٣٥١ (٩٦٢ م) وَقَدْ عُمِّرَ طَوِيلًا.
- اشْتَغَلَ إسماعيلُ بنُ بدرٍ بِالْحَدِيثِ، وَلَكِنَّ الشَّيْعَرَ غَلَبَ عَلَيْهِ. وَكَانَ شَاعِرًا مُكْثَرًا مُجِيدًا، لَهُ مَدْحٌ وَرِثَاءٌ وَوَصَفٌ وَخُرَبَاتٌ. وَفِي شِعْرِهِ مِثْلَةُ وَرِقَةٍ أَيْضًا.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ إسماعيلُ بنُ بدرٍ يَرِثِي ابْنَهُ أَحْمَدَ، وَقَدْ مَاتَ صَغِيرًا:
غَرَسْتُ قَضِيْبًا زَعَزَعَتْهُ يَدُ الرَّدَى فَعَلَّوْا دُمُوعَ الْعَيْنِ تَبْكُ عَلَى غَرَسِي.
وَهَذَا حَمَامُ الْأَيْكِ يَبْكِي هَدِيْلَهُ، فَمَا لِهَدِيْلِي لَا تَنْوِبُ لَهُ نَفْسِي^(١)!
- مَا حُزْنُ يَعْتَوِبَ عَلَى يَوْسُفَ أَشَدُّ مِنْ حُزْنِي عَلَى أَحْمَدَ.
أَحْمَدُ مَلْحُوْدٌ- وَهَلْ نَسْتَوِي؟- وَذَاكَ لَمْ يُقْبَرْ وَلَمْ يُلْحَدْ^(٢).
وَكَانَ يَرْجُوهُ؛ وَهَلْ أُرْتَجَى. هَذَا وَقَدْ غَمَضْتُهُ بِالْيَدِ^(٣).
- وَأَهْدَى إِلَى بَعْضٍ مِنْ يَغْرِفُهُ تَوْتًا وَكَتَبَ مَعَهُ:
تَفَاءَلَسْتُ بِالتَّوْتِ التَّانِي لِزَوْرَةٍ؛ وَذَلِكَ فَالٌ- مَا عَلِمْتُ- صَدُوقُ^(٤).

(١) الْمَدِيْلُ: صَوْتُ الْحَمَامِ. وَهُوَ أَيْضًا فَرْخُ الْحَمَامِ (الْقَامُوسُ ٤: ٦٧، السُّطْرُ الْأَخِيرُ).

(٢) الْقَبْرُ هُوَ الْحَفْرُ الَّتِي يَدْفَنُ الْمَيِّتَ فِيهَا. وَاللَّحْدُ شَيْءٌ يَكُونُ فِي عَرْضِ الْقَبْرِ.

(٣) إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ جَفَّ جَسَمُهُ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَسْرِعُ أَهْلُ الْمَيِّتِ بِمَدِّ أَعْضَائِهِ وَتَمْيِيزِ عَيْنِيهِ كَيْلَا تَنْظَلَ أَعْضَاؤُهُ عَلَى غَيْرِ طَبِيعَتِهَا وَكَيْلَا تَنْظَلَ مَفْتُوحَتَيْنِ.

(٤) التَّانِي: (لَعَلَّهُ يَقْصِدُ: الْأَمْلَ، الرَّجَاءَ، انْتِظَارَ زَوْرَةٍ).

فَاهْدَبْتُهُ غَضًّا حَكِي حَدَقَ الْمَاهَا، لَهُ مَنْظَرٌ بِالْحُسْنِ مِنْهُ يَرُوقُ^(١).
وَبَعْضُ حَكِي الْيَاقُوتَ مِنْهُ احْمَرَاهُ؛ وَمَا مَجَّهَ لِلذَّائِقِينَ رَحِيقُ^(٢).
فَذَا سَبَجٌ- فَيَا يُرَى لِأَسْوَدَادِهِ، وَذَا- لِأَحْمَرَارِ اللَّوْنِ مِنْهُ- عَقِيقُ^(٣).

- قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ بَدْرِ يَصِفُ غَزْوَةً قَامَ بِهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ إِلَى بِلَادِ الْإِسْبَانِ
وَيَذْكُرُ آثَارَ الْخُرَابِ الَّذِي أَتَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. لَا حَظَّ أَنَّهُ يُشَبَّهُ الْجَيْشَ بِالْبَحْرِ وَيُشَبَّهُ
الْبَيْضَ (السُّيُوفَ) بِالْبَيْضِ (النِّسَاءِ):

وَذِي لَجَبٍ كَالْبَحْرِ عَبَّ عُبَابُهُ فَضَاقَ بِهِ رَحْبُ الْفَضَا وَالتَّنَافُ^(٤)
قَرِيبُ الْخَطَا نَاقِي الْمَدَى مَالِي الْمَلَا، يَجْمَعُ تَرَاهُ وَاقِفًا غَيْرَ وَاقِفٍ^(٥)
تَرَكْنَا بِهِ أَرْضَ الْعَدُوِّ كَأَنَّهَا مَجَاهِلُ لِلْمُرْتَادِ غَيْرَ مَعَارِفٍ^(٦)؛
غَدَّتْ بَعْدَ سَحَبِ الْبَيْضِ فِيهَا ذُبُولُهَا مَجَرَّ ذُبُولِ الطَّامَسَاتِ الْمَوَاصِفِ^(٧).

٤- * * أخبار مجموعة ١٦٥- ١٦٦، راجع ابن الفرضي ٨٠ (رقم ٢١٦)؛ راجع جذوة

- (١) النَّفْسُ: الطَّرِيقُ، الْمَطْوَفُ حَدِيثًا. الْحَدَقَةُ: الْعَيْنُ. الْمَاهَا: بَوَعٌ مِنَ الطَّيْبِ أَيْبِصُ اللَّوْنِ، كَبِيرُ الْعَسِينِ.
رَاقٍ: سَرُّ النَّاطِلِ.
- (٢) حَكِي: شَابَهَ. مَجَّهَ: أَخْرَجَهُ مِنْ فَمِهِ. الرَّحِيقُ: الْمِسْلُ الْمَوْجُودُ فِي قَلْبِ الزَّهْرَةِ.
- (٣) السَّبَجُ: خُرُزُ أَسْوَدَ (الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ ٤١٤؛ تَاجُ الْعُرُوسِ، الْكُوفِيُّ ٦: ٢٧). الْعَقِيقُ: حَجَرٌ كَرِيمٌ أَحْمَرُ
اللَّوْنِ.
- (٤) ذُو لَجَبٍ: (جَيْشٌ) ذُو أَصْوَاتٍ كَثِيرَةٍ (لِكثَرَةِ عَدَدِهِ وَسِلَاحِهِ). الْعُبَابُ: كَثَرَةُ الْمَاءِ، السَّبِيلُ الْعَظِيمُ،
ارْتِفَاعُ الْمَوْجِ. عَبَّ عُبَابُهُ: عَظُمَ مَوْجُهُ وَتَلَاطَمَ. الرَّحْبُ: الْوَنَاحِ. التَّنَوُّفُ: الْفَلَاةُ (الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ).
- (٥) قَرِيبُ الْخَطَا: الْجُنُودُ يَمْشُونَ فِيهِ بِخَطَوَاتٍ قَصِيرَةٍ (لِازْدِحَامِهِمْ وَضِيقِ الْمَكَانِ بِهِمْ). نَاقِي الْمَدَى: بَعِيدُ مَا
بَيْنَ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ. تَرَاهُ وَاقِفًا غَيْرَ وَاقِفٍ: هُوَ يَلُاقِ بِقَعَةٍ كَبِيرَةٍ جَدًّا مِنَ الْأَرْضِ فَلَا تَدْرِكُ الْعَيْنُ أَنَّهُ
يَتَحَرَّكُ.
- (٦) الْمَهْلُ: الْأَرْضُ لَا عِلَامَاتٍ فِيهَا (خُرَابٍ). الْمُرْتَادُ: الْآتِي إِلَى مَكَانٍ يَطْلُبُ شَيْئًا (عَشْبًا، مَاءً، نَخًا).
الْمَرْفَةُ: الْعِلَامَةُ فِي الطَّرِيقِ يَهْتَدِي بِهَا السَّائِرُونَ.
- (٧) غَدَّتْ: أَصْبَحَتْ. بَعْدَ سَحَبِ الْبَيْضِ فِيهَا ذُبُولُهَا: بَعْدَ الْمَعْرَكَةِ- فِي الْبَيْتِ اسْتِعَارَةً جَمِيلَةً: يَقُولُ الشَّاعِرُ
إِنَّ الْبَيْضَ (السُّيُوفَ) بَعْدَ أَنْ تَنَزَّهَتْ (يُشَبَّهُ السُّيُوفَ الْبَيْضَ، الْمَجْلُوءَةَ، الْقَاطِعَةَ، بِالنِّسَاءِ الْبَيْضِ
الْجَمِيلَاتِ) طَفَرَتْ بِسُرْعَةٍ وَسَهُولَةٍ كَأَنَّهَا كَانَتْ تَنَزَّهَتْ. جَرَّرَتْ ذُبُولُهَا: سَارَتْ مَتَأْنِيَةً تَتَبَخَّرُ (سَرَنَ
مَتَأْنِيَاتٍ يَتَبَخَّرُنَ). مَجَرَّ ذُبُولِ الطَّامَسَاتِ الْمَوَاصِفِ: مَكَانٌ تَمُرُّ بِهِ الرِّيَّاحُ اسْدِجِدَةً تَحْمَلُ الرَّمَالَ
وَتَطْمِسُ (تَغْطِي) بِهَا كُلَّ أَثَرٍ.

المقتبس ١٥٣، وبغية الملتبس ٢١٥ (رقم ٥٤٣)؛ الحلة السراء ١: ٢٥٤-٢٥٦،
راجع ١٩٩-١٢٠٠م في الأعلام للزركلي ١: ٣٠٥ (٣١٠).

ابن مغيث الأنصاري

١- هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن مغيث الأنصاري من أشراف قرطبة، وُلد في ربيع الأول من سنة ٢٨٥ هـ (نيسان - أبريل ٨٩٨ م).

روى ابن مغيث عن خالد بن سعد ومحمد بن أحمد الإشبيلي الزاهد وأحمد بن سعيد ابن حزم وإسماعيل بن بدر وغيرهم. ولقي حظوة ومكانة عند الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦ هـ) قبل مجيئه إلى الخلافة وبعد مجيئه إلى الخلافة. وقد زهد في أواخر أيامه، وكان جشمه قد ضعف. ثم توفى في صدر شوال من سنة ٣٥٢ (٢٢/١٠/٩٦٣ م).

٢- كان ابن مغيث الأنصاري من أهل الذكاء والمعرفة كاتباً شاعراً وأديباً ناقدًا ومؤلفاً له كتاب «أشعار الخلفاء من بني أمية» (في الأندلس وفي المشرق) وضعه بطلب من الخليفة الحكم وجعله على مثال كتاب أبي بكر الصولي (ت ٣٣٥ هـ): «أشعار أولاد الخلفاء». وله أيضاً كتاب التوابين.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن مغيث الأنصاري في النسيب:

أتوا حِسْبَةً إِذْ قِيلَ: «جَدُّ نَحْوُلُهُ فلم يَبْقَ من لَحْمٍ عَلَيْهِ وَلَا عَظْمٍ»^(١)؛
فَعَادُوا قَمِيصاً فِي فَرَّاشٍ فَلَمْ يَرَوْا وَلَا لَمَسُوا شَيْئاً يَدُلُّ عَلَى جِسْمٍ^(٢).
طَوَاهِ الْهُوَى فِي ثَوْبٍ سَقَمٍ مِنَ الضَّنَى، فَلَيْسَ بِمَحْسُوسٍ بِعَيْنٍ وَلَا وَهْمٍ^(٣)!

(١) في الأصل: إن جد نحوله: كثر هزال (بالضم) جسمه. حِسْبَةٌ: طاعة لله (واشفاقاً على) لا حياء ولا رجاء نفع في.

(٢) عادوا: زاروا (المريض).

(٣) الضنى: شدة النحول والمريض الذي طال مرضه.

- وقال:

أَوْثَقُ عَمَلِي فِي نَفْسِي مَلَامَةٌ صَدْرِي^(١): أَنِّي آوَيْ إِلَى فِرَاشِي وَلَا يَأْوِي إِلَى صَدْرِي
غَائِلَةٌ مُسْلِمٌ.

٤- * * جذوة المقتبس ٢٣٥-٢٣٦؛ (الدار المصرية) ٢٥٢-٢٥٣ (رقم ٥٣٣) بغية
الملتبس ٣١٩-٣٢٠ (رقم ٨٨٣)، الصلة ١: ٢٣٧. الأعلام للزركلي ٤: ٢٦٤
(١٢٠).

وليد بن عيسى الطبيخي

١- هو أبو العباس وليدُ بن عيسى بن حارث بن سالم الأمويُّ بالولاء، عُرف
بالطبيخي لأنه أهدى إلى مؤدِّبه الحكيم أبي عبد الله محمد بن اسماعيل القرطبي
(٢٥١-٣٣١ هـ) طعاماً، فقال له مؤدِّبه: ما هذا؟ فقال: «طبيخٌ أجدتُ صنْعَه
لك». فلقبه مؤدِّبه الطبيخي.

وتلقَّى الطبيخيُ العلمَ على نفرٍ منهم أبو عبد الله الغايي أَخَذَ عنه شِعْرَ أبي تمام
(الزبيدي ٣١٥). ثم إنه اتَّخَذَ التَّعْلِيمَ صنْعَةً واقتصر على تعليم أبناء السَّراة ولم
يُتَعَرِّضَ لتعليم أبناء العامة. وكان يُحْسِنُ تَقْرِيبَ قُضَايَا العلم من الأفهام. وكانت وفاة
الطبيخي في شَوَّالٍ من سَنَةِ ٣٥٢ (خريفَ عام ٩٦٣ م).

٢- كان الطبيخي عالماً باللغة والشعر، وكان له حظٌّ من المربية (النحو): كان
واسعَ الأطلاع على كتب المشاركة كثيرَ الاحتجاج (ضرب الأمثلة) بالقرآن والأمثال،
كما كان جامعاً لكثير من أخبار أهل الأندلس له «شرح ديواني مسلم بن الوليد
الأنصاري». والطبيخي ناقدٌ أيضاً: كان جيِّدَ التَّفَقُّطِ إلى أوجه البلاغة حسنَ
الترجيح بين المعاني خاصة. ومع أن شروحه كانت مُفَرَّدَةً (يشرحُ الشِعْرَ بيتاً بيتاً)،
فإنها كانت مُوجِزةً ثم كانت، مع هذا الإيجاز، شاملةً للأوجه اللغوية والنحوية
والبلاغية والتاريخية، ولكنه قلَّ ما يشيرُ إلى وجه البلاغة- كما فعل لما قال (في شرح
البيت ٦٤ من القصيدة الأولى، ص ١٧): «وجعل للدين دعائم على الاستمارة».

(١) أحسن عملي أن آوي إلى فراشي (أن ينتهي يومي) من غير أن أكون قد غضبت من مسلم أو أغضيت.

هذا مع العلم بأن ديوانَ مُسلم بن الوليد مملوء بأوجه الصناعة وبالفريب النادر الجميل منها، كقوله مثلاً (في القصيدة الأولى):

يكسو السُيوفَ دِمْلَه الناكثين به ويجعل الهامَ تيجانَ القنا الذُّبُلِ.

٣- مختارات من آثاره

- من شرح ديوانِ مُسلم بن الوليد^(١): (القصيدة الأولى، البيت التاسع والخمسون، ص ١٥-١٦):

(والمَارِقُ أَبْنُ طَرِيفٍ قَدْ دَلَفَتْ لَهُ بِعَسْكَرٍ لِّلْمَنَايَا مُسْبِلٍ هَطْلٍ)^(٢)

كان ابن طريف الخارجي قد أضرَّ بهرون الرشيد إضراراً شديداً لا يقوم له أحد من قواده^(٣) فاستشار هرون فيه بني برمك فأشاروا إليه بيزيد وكانوا على بغضة^(٤) فأرادوا به إحدى حالتين إما أن ينهزم فيسقط حرمة^(٥) بذلك وإما أن يقتل فيستريحوا منه فأخرجه هرون إليه^(٦) فجعل يماكره ويقول له إني ابن عمك من شيبان ولا أريد بك إلا خيراً وإنا أخرجت إليك رغماً فطاولة^(٧) بذلك شهراً حتى انكسر حدُّ أصحابه واطمأنوا فقال بنو برمك لهرون إن يزيد قد حالف ابن طريف إذ هو من رهطه ودلّس^(٨) عليك فبعث هرون إليه يقول له إما أن تناسب^(٩) الرجل وإما قتلتك

(١) مسلم بن الوليد شاعر عباسي (ت ٢٠٨ = ٨١٣ م) يمدح بهذه القصيدة أحد مشاهير القواد يزيد بن يزيد الشيباني بعد انتصاره على الثائر الخارجي الوليد بن طريف الشيباني، سنة ١٧٩، في أيام هرون الرشيد. وقد تركت هذا النص بلا شكل ولا تنقيط. ولكن لم يكن بد من شرح عدد من الألفاظ والتراكيب.

(٢) دلف اليه: مار إليه ببطء (وخدعة). العارض: الحباب الكثير يمتدّ في عرض الأفق. المسبل (الملقي ماءه) المهطل (الكثير المطر).

(٣) لا يقوم له أحد من قواده: لم يستطع أحد أن يتغلب عليه، بل كان هو يتغلب عليهم.

(٤) بنو برمك كانوا وزراء في مطلع الخلافة العباسية. كانوا على بغضة (كره ليزيد بن يزيد).

(٥) فيسقط حرمة (فتسقط حرمة).

(٦) فأخرجه هرون الرشيد إليه (بعث هرون الرشيد بيزيد بن يزيد لقتال الوليد بن طريف).

(٧) أخرجت (بالبناء للمجهول) فطاولة: (هنا) تأخّر في قتاله.

(٨) دلّس: كتم العيب الذي في السلعة (غشّ، خدع).

(٩) تناسب (تخارب).

فجمع يزيد أصحابه إلى نفسه وقال لهم إنما هم الخوارج وإن لهم صدمة واحدة فمن صبر لها لم ينل^(١) بعدها وإنّي حامل بنفسي من ذلك على الاجتهاد^(٢) فاصبروا معي ثم عبى جيوشه وترحل^(٣) هو وأصحابه ولقيه فكان بينهم قتال عظيم ووقعت الهزيمة على الخارجي ابن طريف فقتل فأصبحت أخته وقد لبست درعها في عسكرها تدعو براز يزيد فحمل عليها يزيد فضرها وأنشدت ترثي أخاها:

أيا شجر الخابور^(٤) ما لك مورقا؟ كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يريد الزاد إلا من التقى

- وقال في شرح البيت الثاني والعشرين من القصيدة الرابعة عشرة (ص ١٠٤):

(نستودع الليل أسرارَ الموم إذا باح النعاسُ بعجزِ الصاحب الوافي)

يقول: «نستودع الليل أسرار الموم»، نكلّم في همومنا الليل فكأننا نودعه إيّاها. (ويقول): «إذا باح النعاس بعجز الصاحب الوافي» أي إذا أظهر النعاس عجز الصاحب الوافي، أي الفاتر^(٥) الذي قد كلّ من المشي وغلّبه النوم فباح النعاس بعجزه، كما تقول: بُحْتُ بالامرء، أي أظهرته وتركته كئانه. ومعناه أنّه يقطع الليل بجِدٍّ ونشاط إذا كلّ أصحابه وأثقل النوم بهم^(٦) على رحالهم والنوق. تمشي بهم. وأمّا قوله: «نستودع الليل أسرار الموم» فهو مثل ما تُحدث وتزل على فلان فتقول له كذا وكذا ويصلنا بكذا وكذا، فكأنّه يُخبر الليل بذلك لأن أصحابه قد سَكروا من النوم.

(١) ينل (بالبناء للمجهول): لم يصب (بالبناء للمجهول)، لم يجرح أو يقتل.

(٢) على الاجتهاد: بقدر علمي وطاقتي.

(٣) عبى وعبأ (الميش) جمعه وأعدّه للقتال. ترحل: سار.

(٤) الخابور: نبت أو شجر له زهر أصفر زاهي المنظر جيّد الرائحة تزقّ به الحدائق.

(٥) الوافي: التّعب (بضم فسكون ففتح)، الذي أعجزه التعب. كلّ: تعب.

(٦) بهم: موجودة في الأصل.

٤- (شرح) ديوان أبي الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري الشهير بصريح الغواني (حرره... دي خويه)، ليدن (بريل) ١٨٧٥ م؛ (نشره سامي الدقّان)، مصر (دار المعارف) ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م.

★ الزبيدي ٣٢٩، راجع ٣٠٣ - ٣٠٤؛ ابن الفرضي ٢: ١٥٩ (رقم ١٥١٢)؛ بغية الوعاة ١٤٠٥ الأعلام للزركلي ٩: ١٤٣ (٨: ١٢٢)؛ الداية ٧٩ - ٩٣.

منذر بن سعيد البلوطي

١- هو القاضي أبو الحكم مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ نَجِيحٍ، أَصْلُ أَهْلِهِ مِنْ بَرَابِرَةِ نَفْزَةِ أَحَدِ فُرُوعِ كَرْنَةِ، أَتَقَلُّوا إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَسَكَنُوا فِي قَحْصِ الْبَلُوطِ (قرب قرطبة).

وُلِدَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ، سَنَةَ ٢٦٥ (ياقوت ١٩: ١٧٤) فِي عَمَلَةِ النَّشَارَيْنِ بِالرَّبَضِ (الضاحية) الشَّرْقِيِّ مِنْ قَرْطَبَةِ، وَقِيلَ كَانَ مَوْلَدَهُ سَنَةَ ٢٧٣.

دَرَسَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ فِي قَرْطَبَةِ عَلَى عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى (ت ٢٩٧ هـ) أَحَدِ أَئِمَّةِ الْفِقْهِ وَعَلَى ابْنِ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى اللَّيْثِيِّ (ت ٢٣٤).

وَفِي سَنَةِ ٣٠٨ (٩٢٠ م) رَحَلَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ إِلَى الْمَشْرِقِ فَمَرَّ بِمِصْرَ فَسَمِعَ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ أَحَدِ بَنِي مُحَمَّدٍ الْمِصْرِيِّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ النَّحَّاسِ (ت ٣٣٨) وَمِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحَدِ بَنِي مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ وَلَّادٍ (ت ٣٣٢). ثُمَّ إِنَّهُ حَجَّ وَسَمِعَ فِي مَكَّةَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْذَرِ النَّيْسَابُورِيِّ. وَطَالَتِ رِحْلَتُهُ فِي الْمَشْرِقِ أَرْبَعِينَ شَهْرًا.

عَادَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ مِنَ الْمَشْرِقِ وَمَكَثَ فِي الْأَنْدَلُسِ عِشْرِينَ سَنَةً أَوْ تَزِيدُ لَا نَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِهِ فِي أَثْنَائِهَا. وَنَفَهَ أَنَّهُ زَارَ طَرطُوشَةَ (نفع ٢: ٥١١) فِي سَنَةِ ٣٣٤ (٩٤٥ - ٩٤٦ م) جَاءَ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ إِلَى قَرْطَبَةِ رُسُلُ مَلِكِ الرُّومِ قُسْطَنْطِينَ السَّابِعِ (٩١٢ - ٩٥٩ م) يَحْمِلُونَ مِنْهُ رِسَالَةً؛ كَمَا وَصَلَ إِلَيْهَا فِي ذَلِكَ الْحِينِ وَفُودُ مُلُوكِ الْفَرَنْجَةِ. فَاحْتَفَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ بِهَذِهِ الْوُفُودِ فِي قَصْرِ قَرْطَبَةِ وَسَطَّ أَجَبَةٌ عَظِيمَةٌ وَأَرَادَ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْخُطَبَاءِ أَنْ يَقُومُوا بَيْنَ يَدَيْهِ أَمَامَ الْوُفُودِ وَيَذْكُرُوا مَا قَامَ بِهِ فِي تَوْطِيدِ الْخِلَافَةِ وَمَا كَانَ لَهُ مِنْ جَلَالِ الْفَتْوحِ وَالْأَعْمَالِ. فَنَهَضَ الْفَقِيهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ

البر الكسنياني ليتكلم فأخذته هيبة الموقف وأرتج عليه ثم سَقَطَ أرضاً مغشياً عليه. فقيل لأبي عليّ القالي (ت ٣٥٦ هـ) - ضيف عبد الرحمن الناصر - : « قُمْ فَأَرْقَعْ هَذَا الْوَهْيَ ». فقام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه؛ ثم انقطع به القول فوقف ساكتاً.

فلما رأى مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ ذَلِكَ « قام من ذاته فوصل أفتتاح أبي عليّ لأوّل خطبته بكلام عجيب وفصلٍ مُصَيَّبٍ يَسُحُّهُ سَحًّا كَأَنَّا يَحْفَظُهُ قَبْلَ ذَلِكَ بِمَدَّةٍ، وبدأ من المكان الذي (كان قد) وَصَلَ إِلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ الْبَغْدَادِي « القالي » (النباهي ٦٦). فكانت تلك الحُطْبَةُ سَبِيلَ حَظْوَتِهِ عِنْدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِر.

بُعِيدَ تِلْكَ الْحَادِثَةِ، فَمَا يَبْدُو، عَيْنُهُ النَّاصِرُ قَاضِيًا فِي مَدِينَةِ مَارِدَةَ ثُمَّ جَعَلَهُ عَلَى قِضَاءِ الثُّغُورِ الشَّرْقِيَّةِ. وَفِي رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ ٣٣٩ (مطلع خريف ٩٥٠ م) أَصْبَحَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ قَاضِيًا الْجَمَاعَةِ فِي قُرْطَبَةٍ. وَمَعَ أَنَّ مُنْذِرَ بْنَ سَعِيدٍ كَانَ مِنْ أَتْبَاعِ الْمَذْهَبِ الظَّاهِرِيِّ، فَإِنَّهُ كَانَ يَقْضِي عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ. وَكَانَ عَادِلًا بَيْنَ الْخُصُومِ شَدِيدًا فِي الْحَقِّ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمَةٌ. وَقَدْ بَقِيَ فِي الْقِضَاءِ سِتُّ عَشْرَةَ سَنَةً إِلَى حِينَ وَفَاتِهِ فِي ٢٨ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٣٥٥ (١٥ / ١١ / ٩٦٦ م). وَدُفِنَ فِي الرَّبِيعِ الْغَرْبِيِّ مِنْ قُرْطَبَةٍ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِ.

٢- كَانَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ الْبَلُوطِيُّ فَقِيهًا مُتَفَنَّئًا فِي ضُرُوبِ الْعِلْمِ يَعْرِفُ الْمَذْهَبَ الظَّاهِرِيَّ وَمَذْهَبَ الْإِمَامِ مَالِكٍ قَادِرًا فِي الْجَدَلِ. وَكَانَ أَدِيبًا شَاعِرًا مَتَرَسِّلًا لَهُ أَشْعَارٌ مَطْبُوعَةٌ وَخُطْبٌ عَجِيبَةٌ وَرِسَالٌ بَلِيفَةٌ، كَمَا كَانَ مُؤَلِّفًا. وَمَعَ مَتَانَةِ خُلُقِهِ فَقَدْ كَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ حَسَنَةٌ. وَشِعْرُهُ الْقَلِيلُ الْبَاقِي فِي الزَّهْدِ وَالشُّكُوى مِنَ الدَّهْرِ وَمِنَ النَّاسِ حِينًا وَفِي الْفَخْرِ بِالنَّفْسِ حِينًا آخَرَ. وَشِعْرُهُ صَحِيحٌ مَتِينٌ. أَمَّا خُطْبُهُ فَبَارِعَةٌ جَدًّا تَغْلِبُ عَلَيْهَا السَّهُولَةُ وَتَسْمُ بِالْتَّبَسُّطِ فِي الْقَوْلِ وَالْإِتْيَانِ بِالْمَعَانِي الْقَلِيلَةِ الْيَسِيرَةِ الْقَرِيبَةِ الْمُتَنَاوِلِ مِمَّا يُسَهِّلُ عَلَى السَّامِعِينَ اسْتِعَابَهَا فَيَكُونُ ذَلِكَ أَدْعَى إِلَى تَأْثِيرِهَا فِيهِمْ. وَيزِيدُ فِي تَأْثِيرِهَا فِي السَّامِعِينَ بَرُوزُ الْعُنْصُرِ الدِّينِيِّ فِيهَا مِنَ الْوَعْظِ بِالْتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ وَإِخْرَاجِ ذَلِكَ كُلِّهِ مَخْرَجَ الْخِطَابِ لِلْحَاضِرِينَ مَعَ كَثْرَةِ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ.

ولقد كان مُنذرٌ بنُ سعيدٍ عظيمَ الاستيلاء بخطبه على السامعين.

٣- مختارات من آثاره

- قال منذر بن سعيد البلوطي يذكر الموت:

الموت حَوْضٌ وَكُلُّنَا يَرُدُّ؛ لَمْ يَنْجُ مِمَّا نَخَافُهُ أَحَدٌ^(١).
فَلَا تَكُنْ مُغْرَمًا بِرِزْقِ غَدٍ، فَلَسْتَ تَدْرِي بِمَا يَجِيءُ غَدُ.
وَخُذْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ؛ وَيَسْلَمْ الرُّوحُ مِنْكَ وَالْجَسَدُ.
وَالْخَيْرَ وَالشَّرَّ لَا تَدْعُهُ، فَمَا فِي النَّاسِ إِلَّا التَّشْنِيعُ وَالْحَسَدُ.
- وقال يشكو من الدهر والناس (قبل إقبال الدنيا عليه):

هَذَا الْمَقَالُ الَّذِي مَا عَابَهُ قَتْدُ، لَكِنَّ صَاحِبَهُ أَزْرَى بِهِ الْبَلْدُ^(٢).
لَوْ كُنْتُ فِيهِمْ غَرِيبًا كُنْتُ مُطَرِّفًا، لَكِنِّي مِنْهُمْ فَأَعْتَالِي النِّكَدُ^(٣).
لَوْلَا الْخِلَافَةُ- أَبْقَى اللَّهُ بَهْجَتَهَا- مَا كُنْتُ أَبْقَى بِأَرْضٍ مَا بِهَا أَحَدُ!

- تَتَفَّ من خطبته يومَ دخلت الوفودُ على عبد الرحمن الناصر:

أَمَّا بَعْدَ حَيْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالتَّعْدَادِ لِأَلَانِهِ^(١)..... فَإِنَّ لِكُلِّ حَادِثَةٍ مَقَامًا-
وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ. وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ. وَإِنِّي قَدْ قُضْتُ فِي مَقَامِ كَرِيمٍ، بَيْنَ يَدَيِ
مَلِكٍ عَظِيمٍ. فَاصْغُوا إِلَيَّ- مَعْشَرَ الْمَلِكِ- بِأَسْمَاعِكُمْ وَأَيُّقِنُوا عَنِّي بِأَفْئِدَتِكُمْ^(٢)..... وَإِنِّي
أُذَكِّرُكُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ عِنْدَكُمْ وَتَلَافِيهِ لَكُمْ بِخِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي لَمْتُ شَعْنَكُمْ وَأَمَنْتُ

(١) يرد: يذهب إلى الماء (ليستقي أو ليشرب). جميع الناس سيموتون.

(٢) القند: ضعف الرأي من الحرم (التقدم في السن). الكذب. أزرى به (عابه، خفض منزلته). البلد (أنه) من أهل البلد- أهل البلد لا يجيئون النابه منهم، بل يجيئون الغريب عن بلدهم.

(٣) مطرّفًا: طرفيًا: جديدًا، بهيجًا. غاله وَاغْتَالَهُ: قتلَه. اهلَكَ. النكد: صعوبة العيش وضيقة، الشؤم.

(٤) الآله جمع إلى (بكسر الهمزة أو فتحها): النعمة.

(٥) الملأ: أشراف القوم. الفؤاد: القلب. أيقنوا عني بأفئدتكم: كونوا واثقين بما أقول.

سِرْبِكُمْ ورفعت (١) قوتكم: كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ..... وَمُسْتَنْذَلِينَ فَنَصَّرَكُمْ. وَلَآهَ اللَّهُ رِعَايَتَكُمْ وَأَسْنَدَ إِلَيْهِ إِمَامَتَكُمْ أَيَّامَ ضَرْبِ الْفِتْنَةِ سُرَادِقُهَا عَلَى الْآفَاقِ وَأَحَاطَتْ بِكُمْ شُعْلُ النِّفَاقِ (٢).....

أُنْشِدُكُمْ اللَّهَ - معاشرَ الملأ - أَلَمْ تَكُنِ الدَّمَاءُ مَسْفُوكَةً فَحَقَّقَهَا، وَالسُّبُلُ مَخُوفَةً فَأَمَّنَهَا (٣) وَالْأَمْوَالُ مُنْتَهَبَةً فَأَحْرَزَهَا وَحَصَّنَهَا (٤)؟ أَلَمْ تَكُنِ الْبِلَادُ خَرَابًا فَمَمَرَهَا وَتَغَوَّرَ الْمُسْلِمِينَ مُهْتَضِمَةً فَعَاها وَنَصَرَهَا (٥)؟ فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِخِلَافَتِهِ وَتَلَافِيهِ جَمَعَ كَلِمَتِكُمْ بَعْدَ افْتِرَاقِهَا بِإِمَامَتِهِ حَتَّى أَذْهَبَ عَنْكُمْ غِيظَكُمْ وَشَفَى صُدُورَكُمْ وَصِرْتُمْ يَدًا عَلَى عَدُوِّكُمْ بَعْدَ أَنْ كَانَ بِأَسْكُمْ بَيْنَكُمْ (٦) ... فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَبِلَمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِشَغِيكُمْ عَلَى أَعْدَائِهِ أَعْوَانًا حَتَّى تَوَاتَرَتْ (٧) الْدِيكَمُ الْفِتُوحَاتُ، وَتَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِخِلَافَتِهِ أَبْوَابَ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ، وَصَارَتْ وَفُودُ الرُّومِ (٨) وَافِدَةً عَلَيْهِ وَعَلَيْكُمْ، وَأَمَّا الْأَقْصَيْنِ وَالْأَذْنَيْنِ مُتَّجِهَةً إِلَيْهِ وَإِلَيْكُمْ: يَأْتُونَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ وَبِلَدٍ سَحِيقٍ لِيَأْخُذُوا بِجَبَلٍ (٩) بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا. وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ؛ وَلِهَذَا الْأَمْرُ مَا بَعْدَهُ.....

٤- * * الزبيدي ٣١٩- ٣٢٠، جذوة المقتبس ٣٢٦- ٣٢٧ (الدار المصرية) ٣٤٨- ٣٤٩ (رقم ٨١١)؛ بغية الملتبس ٤٥٠- ٤٥٢ (رقم ١٣٥٧)؛ ابن الفرضي ٢: ١٤٢- ١٤٣؛ مطمح الأنفس ٣٧- ٤٦؛ تاريخ قضاء الأندلس ٦٦- ٧٥؛ انباء الرواة

- (١) التلافي: تجنب الأمور (المؤذية). ٢ الثمت: جمع القوم ووحد أمورهم. أمّن السرب (جماعة الغنم أو الابل السارحة): نشر الأمن في بلد.
- (٢) السراق: الحيمة الكبيرة. ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق: انتشرت في كل مكان.
- (٣) حقن الدماء: حى الناس من القتل. مخوفة: يخاف السائرون فيها (من الاعتداء عليهم).
- (٤) أحرزها: وضعها في حرز (مكان أمين) وحصنها (أحاطها بما يحفظها).
- (٥) التغور جمع ثمر: المكان الذي يثلى منه بحمى العدو برأ أو بجرأ. مهتزمة: مفتتحة، منقوصة (ممندى عليها).
- (٦) البأس الشدة، الحرب. - بأسكم بينكم: كنتم في شقاق وقتال (فيا بينكم).
- (٧) التواتر: التوالي، التتابع (أن تأتي الأشياء متتفة من كل مكان وبلا انقطاع).
- (٨) الروم: النصارى عموماً من أي جنس كانوا.
- (٩) الفج: الطريق في الجبل. عميق وسحيق (ها) بمعنى بعيد. لياخذوا بجبل منكم: ليمقدوا معكم معاهدة، ميثاقاً (في سبيل حابة أنفسهم).

٣ : ٣٢٥ معجم الأدباء ١٩ : ١٧٤ - ١٨٥ : ابن الأثير ٨ : ٢٤٣ - ٢٤٤ بغية
 الوعاة ١٣٩٨ : نفع الطيب ١ : ٣٦٨ ، ٣٧٦ ، ٥٧٠ ، ٥٧٦ : ٢ : ١٦ - ٢٢ : شذرات
 الذهب ٣ : ١٧ : بروكلمن ، الملحق ١ : ٤٨٤ : نيكل ٣٣ - ٣٥ ، مختارات نيكل
 ٢٧ : الأعلام للزركلي ٨ : ٢٢٩ (٧ : ٢٩٤).

محمد بن يحيى الرباحي

١- هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي الأنديسي
 الرباحي^(١)، أصله من جيان ومثله في قرطبة. « وكان يُعرف بالقلنطاط أيضاً » (بغية
 الوعاة ١١٣).

رحل إلى المشرق وأخذ في مصر عن أبي جعفر بن النحاس (٢٣٨ هـ) كتاب
 سيبويه، وعن ابن ولاد (ت ٣٣٢ هـ)، وكان ابن ولاد يهتم أيضاً بسيبويه وله كتاب
 « تفسير أبيات (شواهد) سيبويه ».

وعاد الرباحي إلى قرطبة وتصدّر للتدريس وأقرأ كتاب سيبويه فكثر المتفونون
 حول خلقته لبراعته ولطريقته المبتكرة في إقراء النحو.

وكانت وفاته في رمضان من سنة ٣٥٨ (صيف ٩٦٩ م).

٢- كان الرباحي بارعاً في علم النحو مُقتدياً في نظم الشعر على النهج العربي
 البدوي. له أرجوزة في رثاء أحمد بن موسى بن حدير^(٢) أوغل في بنائها على مذهب
 العرب وفي الخروج فيها عن مذهب المحدثين فلم يرضها العامة.

وكان الرباحي قد طالع كُتُبَ علماء الكلام ونظر في كتب المنطق فبرع في
 الاحتجاج وفي سياقة الأدلة حتى كان يجادل الفقهاء والأطباء وأهل التنجيم - وليس
 ذلك كله من اختصاصه - فيجول معهم في دقائق صناعاتهم وربما غلبهم بالحجة.
 واستفاد الرباحي من هذه الخاصة في نفسه فكان يفتد مجلساً للمناظرة (في النحو) في

(١) نسبة إلى قلعة رباح (بنقطة واحدة تحت الباء) قرب طليطلة، وكان أبوه أو جدّه قد سكنها.

(٢) كان موسى بن محمد بن حدير من الذين ساعدوا عبد الرحمن الناصر على الوصول إلى الخلافة ثم أصبح
 حاجباً (رئيساً للوزارة) (الظاهر أن المثنى ابنه).

كلَّ جُمُعَةٍ. «ولم يكن عند مُؤدِّي العَرَبِيَّة ولا عند غيرهم، مِنَّ (١) عَنِي بالنحو، كبير علمٍ حتَّى وَرَدَ الرَّبَاحِيُّ عليهم. وذلك أن المؤدِّين إِنَّا كانوا يُعانون إقامة الصِّناعة في تلقين تلاميذهم العوامل وما شاكلها، وتقريب المعاني لهم. ولم يأخذوا أَنفسهم بعلم دقائق العربية (النحو) وغوامضها والاعتلال لمائلها. ثم كانوا لا يَنْظُرُونَ في إمالة ولا ادغام ولا تصريف ولا أُبْنِيَّة، ولا يُجيبون في شيء منها حتَّى نَهَجَ لهم (الرباحي) سبيلَ النظر، وأَعْلَمَهُمْ بما عليه أهلُ هذا الشأن في المَشْرِقِ، مِن استقصاء الفنِّ بوجهه واستيفائه على حُدوده وأنهم بذلك (أي المشاركة) استحَقُّوا اسمَ الرِّياسة».

٣- مختارات من آثاره

- كَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ يُحْيَى الرَّبَاحِيُّ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الزُّبَيْدِيِّ (ت ٣٧٩ هـ) بقصيدة في مَطْلَعِهَا:

خَلِيلِي مِنْ قَرْنِي زَيْدٌ بِنِ مَذْحِجٍ قفا واسمعا، قد يُسَعِدُ الشَّجِي الشَّجِي (٢).

ألم تعلم أنني أرقستُ، وشاقني خيالٌ سرى وهناً ولما يمرج (٣).

- ورثي الرباحيُّ أَحْمَدَ بْنَ مُوسَى بْنِ حَديِرٍ بأرجوزة قلَّدَ فيها مقصورة ابنِ دُرَيْدٍ (٤) أوَّلُهَا ثُمَّ أَحَدُ أَبْيَاتِهَا اللَّذَانِ يَلِكَانِ:

إحدى الرِّزَايا ولا أُعْطِيَ السَّوَى رُزْءٌ به دَهْرِي ولو عَزَّ العَزَا (٥).

(١) في الزبدي (ص ٣٣٦، السطر الثالث من أسفل) «من عني بالنحو» (المقصود أن النحاة لم يكونوا بعد قد تعمَّقوا في فقه النحو وفي طريقة تعليمه).

(٢) زبید (بضم الزاي للتصغير): قوم من مذحج (بفتح فسكون فكسر) من عرب الجنوب. الشجي الحزين. الشجي الأولى مفعول به والثانية فاعل (أو بالعكس). سعد: بعين (إذا اجتمع حزينان، قريباً تعرَّى كل واحد منهما إذا رأى مصيبة الآخر أشدَّ من مصيبتة هو).

(٣) سرى: مرَّ، سار ليلاً. وهنا: بعد منتصف الليل. لم يمرج: لم يتوقَّف، لم يَل (لم يجعل طريقه) إلى مكاني.

(٤) ابن زيد (ت ٣٢١ هـ) - راجع الجزء الثاني.

(٥) إحدى الرزايَا (المصائب الكبار). السوى (بكسر السين وضماً): العدل، التساوي (لا أُعْطِيَ السوى: لا أجعل مصيبة مساوية لها). عزَّ العزاء: قلَّ، صعب نسيان هذه المصيبة.

سائل بطش والفين قبلهم والحضر والحي الحلال من سبا^(١)!

٤- * * الزبيدي ٣٣٥ - ١٣٤٠ ابن الغرضي ٧١ - ٧٢ (رقم ١٢٩٣) جذوة المقتبس ٩١
(الدار المصرية ٩٨ (رقم ١٦٤) بغية الملتبس ١٣٤ الوافي بالوفيات ٥ : ١٩٢
بغية الوعاة ١١٣ .

الحشني المؤرخ

١- هو أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الحشني، ولد في القيروان ودرس فيها وفي تونس وسكن مدة في سبنة.

دخل الحشني الأندلس سنة ٣١١ أو ٣١٢ (٩٢٤ م) حدثاً، ودرس في قرطبة على قاسم بن أصبغ (ت ٣٤٠ هـ) وعلى معاصره محمد بن عبد الملك بن أيمن.

وأراد الخليفة عبد الرحمن الناصر أن يوَلِّي الحشني القضاء في جيان فأبى الحشني إياه شديداً، ولكنه قبل، في أيام الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) أن يتولى المواريث في مدينة بجاية من أعمال المرية. وبعد وفاة الحكم عميل الحشني بالعطارة (بيع العطور والبذور وبيع مواد لها صلة بالأدوية الخفيفة والكيمياء).

وتوفي محمد بن حارث الحشني في الثالث من صفر من سنة ٣٧١ (٩٨١/٨/٨ م) وفي تحقيق سنة وفاته اختلاف بين سنة ٣٦١ وسنة ٣٧١ هـ.

٢- محمد بن حارث الحشني محدث وفقه ومؤرخ، له من الكتب: كتاب القضاء بقرطبة- كتاب علماء إفريقية (القطر التونسي)- أخبار الفقهاء والمحدثين- الاتفاق والاختلاف للملك بن أنسر وأصحابه. ويبدو أنه كان لأبي عبد الله محمد بن حارث الحشني شمر كثير مشهور بدلنا القليل الذي بقي لنا منه على شيء من التانة وعلى أن من أغراضه الزهد والحكمة.

(١) طسم: قبيلة عربية بادت (انقرضت). الحضر: بلد (أو قصر) في العراق. الحي الحلال (سكر الحاء) الأتوم النازلون في مكان مؤقتاً. سبا: أهل سبا (أهل اليمن).- أسأل جميع الناس (من البدو والحضر، ومنذ أقدم الأزمنة)...

٣- مختارات من آثاره

- قال محمد بن حارث الحُشني في مقدمة كتاب «القضاء»، بعد أن ذكر اهتمام الأمير الحكم المستنصر^(١) بالعلوم وتدوينها وأنه هو الذي أمر بتأليف هذا الكتاب:

لما كان القاضي أعظم الولاة خطراً بعد الإمام الذي جملة الله زماماً للدين وقواماً^(٢) للدين، لما يتقلده القاضي من تنفيذ الأحكام في الدماء والفروج والأموال والأعراض^(٣) وما يتصل بذلك من ضروب المنافع ووجوه المضار، وكانت العقبي من الله في ذلك فطيعة المقام هائلة الموقف مخوفة المطلع^(٤)، ختلفت في ذلك الهمة من عقلاء الناس وعلمائهم. فقبل كثير منهم الفضل رغبة في شرف العاجلة^(٥) ورجلة لمعونة الله عليه واتكالا على سعة عفو فيه، ونفراً آخرون منه رهبة من مكروه الآجلة^(٦) وحذاراً من الله فيما يكون منهم وعلى أيديهم. وقد سلف من رجال الأندلس، من أهل حاضريتها العظمى^(٧)، رجالاً دُعوا إلى القضاء فلم يُحيبوا رهبة..... من منتظر العاقبة^(٨). وقد رأيت أن أدون ذكركم وأصيف مقاماتهم بين يدي خلفائهم وإشفاقاً بما دعاهم إليه أمراؤهم، وأن أجمل لذلك باباً في صدر الكتاب^(٩)، ثم أصير

(١) الحكم المستنصر كان ابن عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) وخليفته.

(٢) الخطر: القيمة المكانة، الشرف. زمام: رهن، قياد، ضابط. القوام: النظام، الأصل، العباد.

(٣) في الدماء (القصاص على القتل والجروح) والفروج (الزواج والطلاق وما يتعلق بها) والأموال (الزكاة والصدقات والضرائب) والأعراض (جمع عرض بكسر العين: شرف الإنسان ثم جمع عرض بفتح ففتح: البضائع، وهي المقصودة هنا: أي أمور التجارة من البيع والشراء الخ).

(٤) ضروب: أنواع. العقبي: النتيجة (ما يصير إليه الإنسان في الآخرة). فطيعة: شديدة، شنيعة. المطلع: المظهر

(٥) العاجلة: الدنيا.

(٦) الآجلة: الآخرة (يوم القيامة).

(٧) سلف: مضى (عاش قبل أيامنا). الحاضرة: العاصمة (قرطبة).

(٨) خوفاً من الحساب على أعمالهم يوم القيامة.

(٩) وإشفاقاً (المطف هنا غير واضح). صدر: أول.

إلى ذكرِ ولايةِ القضاءِ قاضياً على ما كانت عليه دولُهُم^(١).....

- قال أبو عبد الله محمد بن حارث الحنسي في يحيى بن معمر الالهاني^(٢) (المقتبس

: (٥٤):

يحيى بن معمر بن عمران بن منير بن عبيد بن أتيّف الالهاني من العرب
الشاميّين^(٣)، وكان من أهل إشبيلية، منزله منها بمفرانة - قرية بقرب الحاضرة وعليها
تمر السابلة^(٤). وكان في وقته فقيه إشبيلية وفارصها^(٥). وكانت له رحلة لقي فيها
أشهب بن عبد العزيز^(٦) وسمع منه ومن غيره من أهل العلم. وكان ورعاً زاهداً فاضلاً
عقفاً مقبلاً على عجارة ضيعته وترقيح^(٧) معيشته. فانتهى خبره إلى الأمير عبد
الرحمن^(٨)، وقد احتاج إلى قاضٍ، فاعتماه^(٩) للقضاء واستقدمه إلى قرطبة وقلّده
قضاه الجامة بها. فصدق الظن به واعتدى من خير القضاة في قصديرته وحسن
هذيه وصلابة قناته وإنفاذ الحق على من توجّه عليه لا يحفل لومة لائم فيه.

- ومن مشهور شعر أبي عبد الله (محمد بن حارث) الحنسي (المقتبس ٢٥٧-٢٥٨):

كأن لم يكن بينك فرقة إذا كان من بعد الفراق تلاق^(١٠)؛

كأن لم تورتق بالعراقيين مقلتي، ولم تمر كفى الشوق ملك مآقي^(١١)،

(١) الدولة: الدور (المدة التي يقضيها الإنسان بعد غيره) - دولة دولة: مرة بعد مرة.

(٢) توفي يحيى بن معمر قبل ٢٣٤ هـ.

(٣) راجع، فوق، ص ٣٩.

(٤) الحاضرة: العاصمة (هنا: قرطبة). تمر السابلة (السائرين في السبيل: الطريق): الطريق العام (بين مدينة ومدينة).

(٥) الفارض: الذي يتولى قسمة الارث بين أصحاب الحق (والعالم بذلك).

(٦) أشهب بن عبد العزيز فقيه مالكي من أهل مصر (ت ٢٠٤ هـ = ٨١٩ م).

(٧) الترقيح: إصلاح أمر المبيشة.

(٨) هو عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) رابع الأمراء المتوارثين في الأندلس.

(٩) اعتماه: قصده (طلبه).

(١٠) البين: البعد، الفراق.

(١١) العراقيان: البصرة والكوفة (القطر العراقي). مرى اللبن من ضرع البقرة: مسّ الضرع برفق ليخرج منه اللبن.

ولم أزر الأعراب في حَبْتِ أَرْضِهِمْ بذات اللوى من رامية وبراق^(١)،
ولم أصطَبِحْ بالبيد من قهوة الندى بكأس سقانيها الفراق دهاق^(٢).
بلى، وكان الموت قد زار مضجعي فحول مني النفس بين تراق^(٣).
أخي، إنما الدنيا حلة فرقة ودار غرور أدنست بفراق^(٤).
نزود، أخي، من قبل أن تسكن الثرى وتلتسف ساق للنشور بساق^(٥).

٤- كتاب القضاة بقرطبة (رييرا)، مدريد ١٩١٤ م؛ (عزت الطار)، القاهرة

١٣٧٢ هـ.

- كتاب علماء إفريقية (محمد أبو شنب)، الجزائر ١٩١٦، ١٩٢١ م.

* * * المقتبس (راجع الفهرس)، جذوة المقتبس ٤٩ - ٥٠ (الدار المصرية) ٥٣ (رقم ٤١) ابن
الغرضي ٢: ٢١٤ - ٢١٥ (رقم ١٤٠٠)؛ معجم الأدباء ١٨: ١١١؛ الواقي بالوفيات ٢:
٣١٥؛ المغرب (٢: ٥٤)؛ بغية الوعاة ٥٢. الديباج المذهب ٢٥٩ - ٢٦٠؛ بروكلمن
١: ١٥٧، الملحق ١: ١٢٣٢؛ الأعلام للزركلي ٦: ٣٠٣ (٧٥).

ابن هاني الأندلسي

١- يَرْجِعُ نَسَبُ ابْنِ هَانِيٍّ الْأَنْدَلُسِيِّ إِلَى يَزِيدَ بْنِ حَاتِمَ بْنِ قُبَيْصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ
أَيِّ صُفْرَةَ الْأَزْدِيِّ، وَقِيلَ بَلْ إِلَى أَخِيهِ رَوْحِ بْنِ حَاتِمَ. كَانَ يَزِيدُ بْنُ حَاتِمَ قَدْ جَاءَ
إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ (سنة ١٤٥ هـ) لِقِتَالِ عُمُرُو بْنِ حَفْصٍ. ثُمَّ لَمَّا تَوَقَّيْ يَزِيدُ (سنة ١٧٠ هـ)
خَلَفَهُ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ أَخُوهُ رَوْحٌ.

وُلِدَ أَبُو الْقَاسِمِ (وَقِيلَ: أَبُو الْحَسَنِ) مُحَمَّدُ بْنُ هَانِيٍّ^(١) بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدُونِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ

(١) الحب من الأرض: التحفص (الذي يكون فيه عادة ماء) الواسع.

(٢) اصطَبِحَ: شرب الحمر صباحاً. القهوة: الحمر المطبوخة بالنار. دهاق: مملوءة. قهوة الندى..... (٥).

(٣) التراقي جمع ترقوة (بضم التاء): عظم في أعلى الصدر. فحول مني الخ: قربني من الموت.

(٤) أذن: أوشك، اقترب.

(٥) الشور: يوم القيامة. التعت الساق (العظم الأدنى من رجل الإنسان): اشتبكت (كتاية الازدحام والاضطراب).

(٦) كان هاني بن محمد بن سعدون (والد صاحب هذه الترجمة) من قرية من قرى المهديّة في إفريقية (القطر التونسي) ثم انتقل إلى الأندلس. وكان أديباً شاعراً.

هاني الأندلسي^(١) سَنَةَ ٣٢٠ (٩٣٢ م) أو ٣٢٦ في قرية سكون؟ من قُرى إشبيلية. ونشأ في إشبيلية، ثم انتقلت أسرته إلى إلبيرة (قرب غرناطة)، ولذلك أصبح يُعرف أيضاً باسم ابن هاني الإلبيري. وقد تلقى علومه في مدينة قرطبة.

واتصل ابن هاني الأندلسي أولاً ما اتصل بولاية إشبيلية، ولكن يبدو أنه لم يتل حظوة لدى رجال الدولة الروانية فانتقل إلى المغرب، وعمره إذ ذاك سبع وعشرون سَنَةَ (٣٤٧ أو ٣٥٣ هـ) ثم اتصل برجال الدولة الفاطمية. ومن المستبعد أن يكون ابن هاني قد اعتنق المذهب الفاطمي في الأندلس ثم اضطر إلى مغادرة الأندلس من أجل ذلك، فقد قيل إنه اتصل في المغرب بجوهر الصقلي ومدحه فأعطاه جوهر مائتي درهم. ثم سأل عن رجل كريم يقصده فدلوه على جعفر بن فلاح وعلى جعفر ابن علي بن حنون المعروف بابن الأندلسية - وكان جعفر بن علي وأخوه يحيى والييين على المسيلة (المحمدية) إحدى مدن الزاب (في المغرب الأوسط)، فسار إليهما ومدحهما ونال عندهما حظوة كبيرة. ثم بلغ خبر ابن هاني إلى المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١-٣٦٥ هـ) فاستقدمه المعز إلى القيروان وبالغ في إكرامه.

في أواخر شوال من سَنَةِ ٣٦١ (صيف ٩٧٢ م) انتقل المعز لدين الله إلى القاهرة فخرج ابن هاني معه مشيعاً. ثم إنه عاد وجاء بأهله وسار يريد مصر. فلما كان في برقة وجد مقتولاً، في ٢٣ من رجب من سَنَةِ ٣٦٢ (٢٩ / ٤ / ٩٧٣ م) في الأغلب. ولم يتفق المؤرخون على سبب مقتله.

٢- يدلُّ شعر ابن هاني الأندلسي على أنَّ ابن هاني كان مُلمّاً بِمَدَى من العلوم كعلم اللغة والفقه والكلام وعلم الهيئة (الفلك)، ولكنَّ اختصاصه كان في الأدب. وهو شاعرٌ كثيرٌ مُجيدٌ جعله مُعظمُ النقاد في مُقدِّمة شعراء المغرب كلِّهم، والمقاربة يُقرِّنونه بالمتنبي، وقد سَمَّوه «متنبي المغرب أو متنبي الغرب».

وابن هاني الأندلسي مُفرَّم بالألقاب الطنانة ذات الجلبة من غير ضرورة تدعوه إلى

(١) تمييزاً له من ابن هاني الحكمي أبي نواس ومن ابن هاني محمد بن إبراهيم بن مفضل (ت ٥٦٠ هـ).

استعمالها حتى أفسدَ بذلك بعضَ شعره، كما يذكُر ابنُ رَشِيقٍ^(١). وربّما أَكْثَرَ ابنُ هاني من الألفاظِ الغريبةِ وربّما جاء بالصيغِ التي لا تَرُدُّ في القواميس، نحو: دَمَع، مُمَنَّقِي، صَدَقَاء (مستقيمة)، الخَطِيء (الخطأ)، المُخْطِئ (المُخطئ). غيرَ أنَّ بنه جُمِلَهُ مَتِينٌ. والغالبُ على شَكْلِ القصيدةِ عندهُ شَكْلُ المُعَلَّقة، وقد يَقْتَرِبُ من المُعَلَّقة حتى يُقَارِبُ بالألفاظِ أَلْفَاظَ عَنْتَرَةٍ وَزُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيمٍ وغيرِها. وكثيراً ما كان يَطْبَعُ شعره على غِرَارِ شعرِ المتنبي في الخصائصِ اللفظيةِ والخصائصِ المعنويةِ وفي الأغراضِ.

والغالبُ على الديوان الذي وَصَلَ إلينا مِن ابنِ هاني الأندلسي المديحُ؛ ثم فيه شيءٌ من الرثاءِ وقليلٌ من الهجاء. والوصفُ والفزلُ والحكمةُ أغراضُ بارزةٌ في هذا الديوان. ومعَ أنَّ الحكمةَ قليلةٌ في ديوان ابنِ هاني الأندلسي فإنّها بارعةٌ جداً لما فيها من التحليلِ المنطقي المُتَسَقِّ ولما فيها أحياناً من الابتكارِ.

ويَسْتَمِلُ ديوانُ ابنِ هاني على أربعةِ آلافِ بيتٍ في قصائدَ طوالٍ عادةً، وقد بَلَّغَتْ إحداها مائتي تَيْتٍ. فمن هذه الأبياتِ ١٦٣١ بيتاً في جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ وآلِهِ و ١٧٧٤ بيتاً في المُعِزِّ لَدِينِ اللَّهِ وَخَدَهُ. وليسَ في الديوان الذي بينَ أيدينا شيءٌ من الشِّعرِ قاله ابنُ هاني في الأندلسِ قَبْلَ مَجِيئِهِ إلى المغربِ.

ومُعْظَمُ قصائدِ ابنِ هاني الأندلسي مملوءٌ بالألفاظِ والمُدارِكِ الفاطميةِ وبالمبالغةِ بالمديحِ والرثاءِ بها حتى يَخْرُجَ بذلك إلى الكُفْرِ^(٢). ولا رَبِّبَ في أن ابنِ هاني كان يأتي

(١) قال ابن رَشِيقٍ في «العمدة» (المكتبة التجارية، ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م): «ومنهم (من الشعراء) فرقة أصحابِ جلبة وقمعة بلا طائل معنى إلّا القليلُ النادر كأي القاسم بن هاني.... فإنه يقول في أوّل مذهبته: أصاحت فقالت: وقع أجرد شيطم! (تبيان المعاني ٦٥٧).... وليس تحت هذا كله إلّا الفساد وخلاف المراد.... وكانت عند أبي القاسم مع طبعه صنعة: فإذا أخذ في الحلاوة والرقّة وعمل بطبعه وعلى حِجَّتِهِ أشبه الناس ودخل في جملة الفضلاء، وإذا تكلف الفجامة وسلك طريق الصنعة أضرب بنفسه وأتعب سامع شعره... (العمدة ١: ١٠٤ - ١٠٥).

(٢) من المشهور في ديوان ابنِ هاني الأندلسي قوله في مطلع قصيدة:

ما شئت، لا ما شاءت الأقدار. فاحكم، فأنت الواحد القهار.
فكأنما أنت النبي محمد، وكأنما أنصارك الأنصار.

ونقرأ في البيان المغرب (٢: ٢٩٢ - ٢٩٣) أن النصور بن أبي عامر (ت ٢٩٣ هـ) كان =

بهذه المبالغات إرضاءً للممدوحين واستكثاراً لمطالبيهم. وإيفاله في تلك المبالغات يدلُّ على أنَّه لم يكن يَسْتَشِيرُ في نفسه ما كان يُعَبِّرُ عنه بلسانه، لأنَّ أصحابَ المذهبِ الفاطميِّ أنفسهم لم يُصَرِّحُوا بِبُيْلِ ما صرَّحَ بِهِ هُوَ.

٣- مختارات من شعره

- قال ابنُ هاني يمدحُ الأميرين طاهراً والحسينَ ابْنَيْ المنصورِ باللهِ الفاطميِّ (وهما أخوا المِعْزَ لدين الله):

انْسَحُوا عن ناظري كُحْلَ السَّهَادِ	وانْقُضُوا عن مَضْجَعِي شَوْكَ الْقَتَادِ ^(١) ،
أَوْ خُنُوا مِنِّي مَا أَبْقَيْتُمْ؛	لَا أَحِبُّ الْعَيْشَ مَسْلُوبَ الْفُؤَادِ ^(٢) .
هَلْ تُجِيرُونَ مُجِيباً مِنْ هَوَى!	أَوْ تَفْكَوْنَ أَسيراً مِنْ صِفَادِ ^(٣) !
وَإِذَا كَانَتْ صَلَاةٌ فَعَلَّسِي	هَاشِمَ الْبَطْحَاءِ أَرْبَابِ الْعِبَادِ ^(٤) ؛
هَمْ أَقَرُّوا جَانِبَ الدَّهْرِ، وَهَمْ	أَصْلَحُوا الْأَيَّامَ مِنْ بَعْدِ النَّسَادِ؛
أَهْلُ حَوْضِ اللَّهِ يَجْرِي سَلَسَلَا	بِالطَّهْرِ الْعَذْبِ وَالصَّفْوِ الْبُرَادِ ^(٥) .
أَسْوَاهُمْ أَتَيْتَنِي يَوْمَ النَّدَى؟	أَمْ سِوَاهُمْ أُرْتَجِي يَوْمَ الْمَعَادِ ^(٦) ؟

= يكره الجدل والآراء الدهرية والاستخفاف بشيء من التريفة. وأتفق أن كان في أبيه شاعر من شعرائه اسمه عبد العزيز بن الخطيب قال: «ما شئت...» (البيتين)، فضربه خمسة سوط وجبه ثم نفاه عن الأندلس. فإذا نحن قبلنا قول ابن عذاري في البيان المغرب وجب أن يكون هذان البيتان وأمثالهما ثم الاتجاه الفاطمي في الأندلس أعدم من ابن هاني الأندلسي.

(١) السهاد: السهر، العجز عن النوم. القتاد: نبات له شوك قاس - ساعدوني على أن أنام وعلى أن يكون نومي مريحاً.

(٢) ما أبقيتم: ما أبقيتكم من جسمي. - أخذتم قلبي ونومي.... وتركتكم شيئاً من جسمي، فخذوه أيضاً.

(٣) هل تشفقون عليّ بحبِّ لكم أو تطلقون سراح أسيركم؟ الصفاد: الوثاق (رباط من جلد أو من حديد).

(٤) (وإذا صلى أحد فضلاته لتقديس بني هاشم أصحاب بطحاء مكّة - لا بني هاشم الذين كانوا يسكنون خارج مكّة - لأنَّ هاشم البطحاء هم أرباب العباد = الذين يحكمون الناس في الأرض بوصية من الله!).

(٥) هم يقفون يوم القيامة على الحوض ويسقون الناس (هم الذين يجري حساب الناس يوم القيامة على أيديهم).

(٦) الندى: الكرم. المعاد: الحشر، القيامة.

هُمُ أَبَاحُوا كُلَّ مَنُوعِ الْجَمَى وَأَذَلُّوا كُلَّ جَبَّارِ الْعِصَادِ (١).
 - وقال يرثي والدَةَ جَعْفَرٍ وَيَحْيَى أَبْنَيَّ عَلِيٍّ:
 صَدَقَ الْفَنَاءُ وَكَذَّبَ الْعُمُرُ، العَطَاتِ وَبَالِغِ النُّذُرِ (٢).
 إِنَّا- فِي آمَالِ أَنْفُسِنَا طُولٌ، وَفِي أَعْمَارِنَا قِصَرٌ (٣)-
 لَنَرَى بِأَعْيُنِنَا مَصَارِعَنَا لو كَانَتِ الْأَلْبَابُ تَعْتَبِرُ (٤).
 مِمَّا دَهَانَسَا أَنَّ حَاضِرَنَا أَجْفَانُنَا، وَالْفَائِسَ الْفِكْرَ (٥).
 فَإِذَا تَدَبَّرْنَا جَوَارِحَنَا فَأَكْلَهُنَّ الْعَيْنُ وَالنَّظَرُ (٦).
 لو كَانَ لِلْأَلْبَابِ مُنْتَحِنٌ مَا عُدَّ مِنْهَا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ.
 أَيُّ الْحَيَاةِ أَلْذُّ عِيشَتَهَا مِنْ بَعْدِ عِلْمِي أَنَّنِي بَشَرٌ (٧)؟
 خَرِسْتُ- لَعَمْرُ اللَّهِ- أَلَسُنَا لَمَّا تَكَلَّمْ فَوْقَنَا الْقَدَرُ.
 تَفْنَى النُّجُومُ الزُّهْرُ طَالَعَةُ وَالنَّيَّانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ.
 وَلَئِنْ تَبَدَّدَتْ فِي مَطَالِيهِمَا مَنَظُومَةٌ فَلَسَوْفَ تَنْتَبِرُ.
 أَعْقِلَةَ الْمَلِكِ الْمُشِيْعَا، هَذَا الشَّاءُ، وَهَذِهِ الزُّمَرُ (٨)!

- (١) الحمى: المكان الذي يدافع أهله عنه، الحصن السبع.
 (٢) صدق الفناء (الموت) إذ أتى على كلِّ إنسان. وكذب العمر: خاب أمل كلِّ إنسان في أن يعيش (إلى الأبد أو طويلاً).
 (٣) حياتنا أقصر من أن تكفي لتحقيق آمالنا.
 (٤) إِنَّا نَرَى مَصَارِعَنَا بِأَعْيُنِنَا: نرى غيرنا يموتون ونوقن أننا سنموت مثلهم. ولكن ألبابنا (عقولنا) لا تعتبر (لا تنتظ).
 (٥) خطانا (في تقدير الحياة والموت) أننا نلهم في حاضرتنا بما نراه أعيننا ثم نفعل عما سيأتي به المستقبل، لأنَّ المستقبل مدرك بالفكر والعقل (ونحن لا نفكر كثيراً).
 (٦) نحن نمتد الحكم في الأمور على عيوننا (على النظر إلى حاضرتنا) مع أن العين أكل (أضعف) حواس الإنسان.
 (٧) إذا أدرك كل واحد منا أنه بشر (أي أنه سيموت) لم يلتذ بشيء في هذه الحياة.
 (٨) المشيعها في متن الديوان (تبيين المعاني ٣١٥) مضبوطة بكسر العين، والصواب (تأنا نرى في شرح البيت نفسه أيضاً) فتحها، فيصبح نسق الكلام: يا عقيلة الملك التي بشيعها (يسير وراءها إلى قبرها) ثنائي (رتائي)، هذا (الفخم) وهذه الزمر (الجماعات الكثيرة من الناس)... فيكون البيت كله منادى، ويكون جواب النداء في البيت التالي.

شَهِدَ النَّهْمُ، وَإِنْ سَقَاكِ حَيًّا، أَنْ النَّهْمَ إِلَيْكَ مُفْتَقِرٌ (١).
وَلَقَدْ نَزَلَتْ بَنِيَّةٌ عَلِمْتَ مَا قَدْ طَوَّهَ فِيهِ تَفْتَحِرُ (٢)؛
تَفْدُو عَلَيْهَا الشَّمْسُ بَارِغَةً فَتَحِجُّ نَاسِكَةً وَتَغْتَمِرُ (٣).
وَبَنُو عَلِيٍّ لَا يُقَالُ لَهُمْ: صَبْرًا! وَهَمَّ أَسَدُ الْوَعْيِ الضَّبْرُ (٤).
أَنْظُرْ تَتِمَّةَ الْقَصِيدَةِ فِي صَفْحَةِ ٢٧٦.

- وَقَالَ يَدْحُ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ:

فُتِقَتْ لَكُمْ رِيحُ الْجِلَادِ بِغَمِيرٍ، وَأَمَدَكُمْ فَلَقُ الصَّبَاحِ السُّفِيرِ (٥)؛
وَجَنَيْتُمْ ثَمَرَ الْوَقَائِعِ يَانِعًا، بِالنُّصْرِ مِنْ وَرَقِ الْحَدِيدِ الْأَخْضَرِ (٦).
أَبْنَى الْعَوَالِي السَّمَهْرِيَّةِ وَالسُّيُو فِي الْمَشْرِفَةِ وَالْعَدِيدِ الْأَكْثَرِ،
مَنْ مِنْكُمْ الْمَلِكُ الْمُطَاعُ كَأَنَّهُ تَحْتَ السَّوَابِغِ تُبْعُ فِي حِمِيرِ (٧)؛
فِي فِتْنَةٍ صَدَأَ الْحَدِيدِ عَبِيرُهُمْ وَخَلَقُهُمْ عَلَقُ النَّجِيعِ الْأَخْمَرِ (٨).

(١) الحيا: الطر.

(٢) البنية: البناء (هنا: القبر). القبر يعلم قدومك فهو مفتخر بأنه حوى جسدك الميت.

(٣) تطلع الشمس كل يوم على قبرك ليجع ناسكة (ممنّدة، لأن الحج إلى قبرك فرض) ثم لا تكتفي بالحج الذي هو فرض فتغتمر (تجحف، تطوّعا تراعى، تتأمل قبرك مرّات كثيرة في اليوم الواحد).

(٤) - نسل الإمام علي لا يعرفون (بالبناء للمجهول = بضم الياء، وفتح الزاي المتدّدة) عن موانع يقول الناس لهم: صبرا! لأنهم في الدرجة الأولى ليسوا بشرا عاديين، بل هم صور مختلفة للمرءة الآلهة. وكذلك هم في صورهم البشرية أسود شجعان من عادنهم الصبر في الوعي (الحرب، وفي جميع الندائد). الصبر (بالضاد المعجمة) جمع صبور (كما في متن تبيين المعاني ٣١٨): الأسد الشديد (ولعلّ صر بالصاد المهملة وبضمّ فضمّ توافّق المعنى أيضا).

(٥) الجلاذ: الحرب، القتال. راحة: راحة. فتقت الريح: أخرجت (بالسواء للمجهول). - أنه تشمّون (يفتح الشين) راحة القتال طيبة كالغبير (مع أن راحة الحثث في ميدان القتال تكون كريهة) = أنهم تحمّون القتال. أمذك: أعانكم، ساعدكم. فلق الصباح المسمر: اشتقاق المعر واصحا (الصبح أحسن ساعات اليوم = كان حظكم في القتال عظيما).

(٦) الوقائع: المعارك. يانعا: ناضجا. الأخضر: الأسود. في البيت استمارة الشجر للحرب، والورق للسيوف، والثمر للفتح (للنصر، للظفر) = نلتم الظفر في الحروب بمعدّ السيف.

(٧) نبع: لقب ملوك اليمن. حمير (بن سبأ): أبو قبيلة (جانب من سكّان اليمن، كبار اليمن).

نحت السوابغ (الدروع): في الحرب.

(٨) العبير: الرائحة الطيبة. الخلوقة (يفتح الخاء): نوع من الطيب. علق: الدم (أو الدم الجامد) أو شديد الحمرة من الدم، عنصر الدم (الكريات الحمراء). النجيع: دم الجوف، الدم المائل إلى السواد.

لا يَأْكُلُ الرِّحَانُ يَلْوُ طَعْمِيهِمْ مِمَّا عَلَيْهِ مِنَ الْقَنَا الْمُتَكَسِّرِ^(١).
 قد جاوروا أجمَ الضواري حَوْلَهُمْ، فإذا هُمْ زأروا بها لم تَزَارُ^(٢).
 قَوْمٌ يَبِيتُ عَلَى الْحَشَايَا غَيْرُهُمْ، وَمَبِيتُهُمْ فَوْقَ الْجِيَادِ الضُّمَرِ^(٣).
 وَتَظَلُّ تَسْبَحُ فِي الدِّمَاءِ قِبَابُهُمْ فَكَأَنَّهُنَّ سَفَائِنٌ فِي أَجْحُرِ^(٤)
 إِنَّا لَتَجْمَعُنَا وَهَذَا الْحَيِّ مِنْ بَكْرِ أَدِمَّةٍ سَالِفٍ لَمْ تُغْفَرْ^(٥)؛
 أَخْلَافُنَا فَكَأَنَّنَا مِنْ نِسْبَةٍ؛ وَلِدَاتُنَا فَكَأَنَّنَا مِنْ عُنْصُرِ^(٦).
 لِي مِنْهُمْ سَيْفٌ إِذَا جَرَدْتُهُ يَوْمًا ضَرَبْتُ بِهِ رِقَابَ الْأَعْصُرِ^(٧)!
 - وقال يمدحُ الخليفةَ المَعْرِزِيَّ لِدِينِ اللَّهِ:

مَا شِئْتُ، لَا مَا شَلَّتِ الْأَقْدَارُ. فَاحْكُمْ، فَأَنْتَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ^(٨)!
 وَكَأَنَّا أَنْتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ، وَكَأَنَّا أَنْصَارُكَ الْأَنْصَارُ^(٩).

- (١) الرحان: الدب. الثلو: القطعة من الجنة، العضو السلخ من الجسم. الطمين: المقتول طمناً (بالرماح). القنا جمع قناة: الرمح.
 (٢) الاجم جمع أجمة: الشجر الكثير المتنام (الكثيف). الضواري جمع ضار: الحيوان المولع بأكل اللحم -... تحافهم الضواري في بيوتها.
 (٣) الحشية: الفراش. يبيت على الحشية: يقضي الليل نائماً (منعاً غافلاً عن الكفاح أو مهملًا للكفاح). الجياد: الخيل الأصيلة. الضمر جمع ضامر (غcil البطن). - مبيتهم فوق الجياد: في الحرب.
 (٤) الفية: الخيمة من الأدم (الجلد)، وتكون للملوك. تسبح في الدماء (لكثرة حروبهم).
 (٥) الذمام (بكر الدال): الحق، الحرمة (ما تحب المحافظة عليه فيكون بذلك حراماً على غير أهله). سالف: (زمن) قديم. لم تغفر: لم تنكث، لم يتدر بها.
 (٦) اللدات في الأصل: النساء اللواتي هنَّ في سنِّ واحدة. من عنصر: من أصل (واحد).
 (٧) لي منهم (من بني هاشم الفاطميين) سيف (رجل انتصر به). إذا جردته: إذا استجرت به. ضربت به رقاب الأعصر: تغلبت به على جميع الأزمات (على كل منلوى أو خصم).
 (٨) في هذا البيت كفر صريح، أو هو شطح (تعبير خارج عن المألوف) قبيح. غير أن الباطنية (والإسماعيلية الفاطميين منهم) يرون أن لهذا البيت تفسيراً باطنياً فلسفياً: إِنَّ اللَّهَ لَا يَبَاشِرُ الْأُمُورَ بِنَفْسِهِ، بَلْ هُوَ يَجْرِي أَحْدَاثَ الْحَيَاةِ كُلَّهَا فِي خَلْقِهِ أَوْ عَلَى يَدَيِ خَلْقِهِ مِمَّنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ (راجع تبيين المعاني، المقدمة ٥٧- ٥٨).
 (٩) أنصارك: أعوانك، رجال شيعتك. الأنصار: أهل المدينة الذين نصرُوا مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ.

أَنْتَ الَّذِي كَانَتْ تُبَشِّرُنَا بِهِ فِي كُتُبِ الْأَخْبَارِ وَالْأَخْبَارِ^(١).
هَذَا الَّذِي تُجَدِّي شَفَاعَتَهُ غَدَاً حَقًّا، وَتَحْمَدُ أَنْ تَرَاهُ النَّارِ^(٢)،
مَنْ آلٍ أَحْمَدُ كُلُّ فَخْرٍ لَمْ يَكُنْ يُنْمِي إِلَيْهِمْ - لَيْسَ فِيهِ فَخَارُ^(٣).
وَالْحَيْلُ تَمْرَحُ فِي الشَّكِمِ كَأَنَّهَا عِقْبَانُ صَارَةً شَاقَهَا الْأَوْكَارِ^(٤)،
وَعَلَى مَطَاهَا فِتْنَةٌ شَيْعِيَّةٌ مَا إِنْ لَهَا إِلَّا الْوَلَاءُ شِعَارُ^(٥).
أَبْنَاهُ فَاطِمَ، هَلْ لَنَا فِي حَشْرِنَا لَجَأٌ سِوَاكُمْ عَاصِمٌ وَمُجَارُ^(٦)؟
أَنْتُمْ أَجْيَاءُ الْآلِهِ، وَالْأَلِهَ خُلَفَاؤُهُ فِي أَرْضِهِ الْأَبْرَارِ^(٧)؛
أَهْلُ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَالْمُهْدَى فِي الْبَيْنَاتِ وَسَادَةُ أَطْفَارِ،
وَالْوَحْيِ وَالتَّوْبِيلِ وَالتَّخْرِيرِ سَمِّ وَالتَّحْلِيلِ، لَا خُلْفٌ وَلَا إِنْكَارِ.
إِنْ قِيلَ: مَنْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَكُنْ إِلَّاكُمْ خَلَقَ إِلَيْهِ يُشَارِ!
لَوْ تَلْفِسُونَ الصَّخْرَ لَانْبَجَسَتْ بِهِ وَتَفَجَّرَتْ وَتَدَفَّقَتْ أَنْهَارُ^(٨)،
أَوْ كَانَ مِنْكُمْ لِلرِّفَاتِ مُخَاطِبٌ لَبَّوْا وَظَنُّوا أَنَّهُ إِنْشَارُ^(٩).

- (١) الأخبار: علماء الدين. الأخبار: الروايات الدينية.
(٢) تجدي: تنفع. غداً (يوم القيامة). وتحمد أن ترا: (إذا رآته النار جهنم).
(٣) ينمي إليهم: ينسب إليهم، يتصل بهم.
(٤) تمرح: تلعب (من النشاط). الشكم: حديدة اللجام التي توضع معترضة في فم الحصان. العقاب (بضم العين): طير من الجوارح، النسر. صارة: اسم جبال في بلاد بني أسد (وفي أماكن أخرى). كأنها عقبان صارة شاقها الأوكار: (لتطمع أولادها بما جاءت به من العلم).
(٥) المطا: الظهر. الولاء: الطاعة والوفاء (لعلي بن أبي طالب). شعار: علامة.
(٦) فاطم ترخم فاطمة (بنت محمد رسول الله). الحشر: جمع الناس يوم القيامة للحساب. لجأ: التجاء، حماة. عاصم: مانع، حام، مدافع. مجار: اسم مكان من أجار، مكان يجتمعي به الإنسان (يوم القيامة من عذاب النار).
(٧) وآله (١) -... أنتم خلفاء الله في الأرض (تحيكمون باسمه وبعهد منه).
(٨) انبجس بالصخر أنهار = انبجست من الصخر أنهار: خرجت، نبعت. تفجرت: نبع بكثرة.
(٩) الرفات: الحطام (بضم الهاء المهملة)، الأشياء المتكسرة كأنها مدقوقة (بقايا الأموات). إنشار: إحياء الموتى وبعثهم من القبور. - لو خاطب أحد منكم الموتى لأجابوه وقاموا من قبورهم وظنوا (أيقنوا)، وقد جاءت «ظن» بمعنى أيقن في القاموس وفي القرآن الكريم).

أُمَيْرٌ دِينِ اللَّهِ، إِنَّ زَمَانَنَا
شَرَفَتْ بِكَ الْآفَاقُ، وَانْقَسَمَتْ بِكَ
جَلَّتْ صِفَاتُكَ أَنْ تُحَدَّ بِقَوْلٍ!
- وقال يمدحُ يَحْيَى بنَ عَلِيٍّ الأَنْدَلُسِيِّ:

فَتَكَاتُ طَرَفُكَ أَمْ سُيُوفِ أَيْبِكَ، وَكُؤُوسُ خَمَرٍ أَمْ مَرَاثِفُ فَيْكِ^(١)؛
أَجِلَادُ مُرْهَفَةٍ وَقَتُكَ مَحَاجِرُ؟ مَا أَنْتِ رَاحِمَةٌ وَلَا أَهْلُوكِ^(٢).
يَا بِنْتَ ذَا السَّيْفِ الطَّوِيلِ نَجَادُهُ، أَكْذَا يَجُوزُ الْحُكْمُ فِي نَادِيكَ^(٣)؟
قَدْ كَانَ يَدْعُونِي خِيَالُكَ طَارِقًا حَتَّى دَعَانِي بِالْقَنَا دَاعِيكَ^(٤)
عَيْنُكَ أَمْ مَفْضَاكِ مَوْعِدُنَا؟ وَفِي وَادِي الْكَرَى نَلْفَاكِ أَوْ وَادِيكَ^(٥)
مَنْعُوكِ مِنْ سِيَةِ الْكَرَى وَسُرُورًا، فُلُو عَثْرُوا بِطُفَيْفِ طَارِقِ ظَنُوكِ^(٦).
وَدَعُوكِ نَشْوَى، مَا سَقُوكِ مُدَامَةً؛ فَإِذَا تَنَنَّى عِطْفُكَ أَتَهْمُوكِ^(٧).
فَإِذَا تَنَنَّى عِطْفُكَ أَتَهْمُوكِ^(٨).

- (١) بأو: عَزَّ، افتخار. جل: كبر، عظم، تعال عما سواه.
- (٢) أهذا الذي يقتل الناس (ما تفعل بهم عيونك في الحب) أم (ما تفعله في الممارك) سيوف أيبك (قومك). وهل هؤلاء الناس السكارى في الحياة. من الحمر التي يشربونها أم من القنات التي يجنونها من فمك (من حبك)؟
- (٣) إن قتل الناس بالسيف مرةً والفتك بهم بلعاطك (بعمونك) مرةً أخرى فوق ما يحتمل الناس. لا أنت ترحين الناس ولا قومك يرحونهم!
- (٤) يا بنت ذا (هذا) السيف الطويل نجاده (يا بنت هذا الرجل الطويل القامة، وهذا الرجل الشجاع). النادي المجلس (كتابة عن رؤساء القوم). - أهكذا حكمكم أبداً في الناس: بالظلم (بقلة المبالاة بالهجين)؟
- (٥) قد كنت أراك في المنام (فأحبتك) ثم رأيتك عياناً. القنا جمع قنات: الرمح (كتابة عن أنه رأى التي يتفرق بها وكانت ذات قامة طويلة كالرمح، فازداد حباً لها).
- (٦) هل سيبقى حظي منك النظر من بعيد (عينك) أم سلتقي (في مفناك) في مسكنك. وهل سيبقى وصلي لك في وادي الكرى (في المنام) أو سيكون في واديك (في بلدك، في القيلة).
- (٧) السنة (بكسر السين: النعاس). الكرى النوم - حرموا عليك النوم وسروا (ساروا بك ليلاً - لثلاً تستطعين الاغفاء - وحتى لا يستطيع طيفك، أي خيالك أن يزور أحد في النوم) فلو اتفق أن شاهدوا طيفاً لظنوا أنه طيفك بعثت به إلى أحد المحبين فمضوا ووصله إليهم.
- (٨) إنك في عنفوان شبابك ودلالك ولذلك تتأودن - تتاهلن - فكانوا يقولون عنك إنك نشوى (كرانة) مع أنهم ما سقوك خمرًا قط (ولا غفلوا عن مراقبتك حتى يمكن أن تصل إليك خمر فتشربها) ومع ذلك كلما تَنَنَّى (اهتزَّ، تأمل) عطفك ظَنُوكِ (أتهموك) قد شربت خمرًا.

حَسِبُوا التَّكْحَلَ فِي جُفُونِكَ حِلْيَةً . بِاللَّهِ ، مَا بِأَكْفُهُمْ كَعَلُوكَ ^(١) .
وَجَلُوكَ لِي إِذْ نَحْنُ غُصْنَا بَانَةً ، حَتَّى إِذَا اخْتَفَلَ الْهَوَى حَجَبُوكَ ^(٢) .
وَلَوَى مُقَبِّلِكَ اللَّثَامُ ، وَمَا دَرَوْا أَنْ قَدْ لُثِمْتَ بِهِ وَقَبْلَ فُوكَ ^(٣) .
فَضَعِي اللَّثَامَ ، فَقَبْلَ خَدِّكَ ضُرِّجَتْ رَايَاتُ يَحْيَى بِالذِّمْرِ الْمَسْفُوكِ ^(٤) .
يَا خَيْلَهُ ، لَا تَسْخَطِي عِزَمَاتِهِ ؛ وَإِذَا سَخِطْتَ فَقَلِّمِي يُرْضِيكَ ^(٥) .
عُوجِي بِجِنَحِ اللَّيْلِ ، فَالْمَلِكُ الَّذِي يَهْدِي النُّجُومَ إِلَى الْعُلَا هَادِيكَ ^(٦) .
يَدُكَ الْحَمِيدَةُ قَبْلَ جُودِكَ ، إِنَّهَا يَدُ مَالِكٍ تَقْضِي عَلَى مَمْلُوكٍ ^(٧) .

(١) التكحل في القاموس اكتساء الأرض بالنبات - حسوا (ظنوا) التكحل (سمة منبت الاشجار في أجفان العين) حلية (زينة، تطرية: تلويهاً صناعياً). أقسم بالله إنهم لبسوا هم الذين جعلوا كحلأ في جفونك، ولكن الله خلقك كذلك.

(٢) وجلوك لي (أبرزوك لي في أحسن زينتك) ونحن غصنا بانه (ناعمين كأغصان شجر البان- أي ونحن صغيران في السن لا ندرى ما معنى الهوى)، حتى إذا احتفل، أي امتلأ (قلباناً) بالهوى حجبوك (حالوا بيني وبينك ومنعونا من الاجتماع).

(٣) المقبل: الغم. اللثام: غطاء يوضع على الوجه ويراد منه ستر الغم. لوى مقبلك اللثام: التوى اللثام على مقبلك، كثر وقوع اللثام على فمك (كأن اللثام يقبل فمك)؛ راجع في القاموس (٤: ٣٨٧): «لاوت الحية (فاعل) الحية (مفعول به) = انطوت (النفث) عليها».

(٤) ضعي اللثام: ارفعي اللثام عن فمك (عن وجهك) ولا تظني أنك تسترين بها جمالك النادر (احرار خديك) فإن هذه الحمرة التي جعلت خدك جميلاً قد كانت موجودة من قبلك على رايات يحى بن علي (من خوضه المارك وكثرة القتال فيها والانتصار على الأعداء) - وفي هذا البيت نخلص من الغزل إلى المديح بارع جداً.

(٥) - يا أيتها الخيل التي يحوض بها يحيى بن علي المارك الكثيرة وفي البلاد البعيدة، لا تغضي من ذلك، فإنك إذا غضبت فلن يرضيك (إن يترك عادته في خوض المارك).

(٦) عاج: مال إلى، عطف، أتجه إلى جانب ما. الجنح (بكر الجيم، ويجوز ضمها): الطائفة (المدة) من الليل. - أيتها الخيل (راجع تفسير البيت السابق)، لا تصرّي- إن لم يكن بد من الذهاب إلى المارك- على أن تذهبي فقط في النهار؛ بل لا تخشي (بفتح الشين) أيضاً أن تذهبي في الليل لأن الملك (يحيى بن علي) هو الذي يدل النجوم في الليل على مواقعها في السماء، فهو يستطيع أيضاً أن يدلّك في الليل على طريقك إلى المارك.

(٧) - قبل أن تموت يدك الجود (على الناس بالمال) كانت حميدة (تهب الناس الحياة والخير....)، ولا غرو فإنها ليست فقط يد إنسان عادي فلك مالا فتشكرهم به على المحتاجين، بل هي يد من يملك الناس ويغضي على الناس الذين هم ملكه (بضم الميم) في جميع أمورهم.

وَأَرَى الْمُلُوكَ - إِذَا رَأَيْتُكَ - سَوْقَةً، وَأَرَى عُفَاتَكَ سَوْقَةً كَمُلُوكِ^(١)
وَقَعَاتُ نَصْرِكَ فِي الْأَعَادِي حَدَثَتْ عَنْ يَوْمٍ بَذَرٍ قَبْلَهَا وَتَبُوكِ^(٢) .
هَلْ أَنْتَ تَارِكُ نَصْلَ سَيْفِكَ حِقْبَةً فِي غِمْدِهِ أَمْ لَيْسَ بِالْمُتْرُوكِ^(٣) !
الآبيات التالية تنمة القصيدة ص ٢٧١ .

وَلَعَبِيرُ عَيْشٍ أَنْتَ لَا بِسُهُ عَيْشٌ جَنَى نَمْرَاتِهِ الْكِبَرِ^(٤) .
وَحُدُودُ تَغْيِيرِ الْمُعَمَّرِ أَنْ يَسْمُو صُعُوداً ثُمَّ يَنْحَسِرَ^(٥) .
وَالسَيْفُ يَبْلَى وَهُوَ صَاعِقَةٌ، وَتَنَالُ مِنْهُ الْهَامُ وَالْقَصْرُ^(٦) .
وَالْمَرَّةُ كَالظِّلِّ الْمَدِيدِ ضُحَى، وَالْفَيْءُ يَخْشِرُهُ فَيَنْحَسِرُ^(٧) .
أَبْقَتْ حَدِيثاً مِنْ مَآثِرِهَا يَبْقَى، وَتَتَفَدُّ قَبْلَهُ الصُّورُ^(٨) .
قَسَمْتُ عَلَى ابْنَيْهَا مَكَارِمَهَا؛ إِنَّ التُّرَاثَ الْمَجْدُ لَا الْبَدْرُ^(٩) .

(١) إذا قارنت الملوك بك كنت أنت وحدك ملكاً، وأصبح الذين يسعون (يفتح الميم) الآن ملوكاً سوقة (من عامة الناس). أما عفاتك (الذين يأتون إليك فيطلبون عطاياك) والذين هم سوقة (يرجمون بمد أن تعطيتهم الأموال) وكأنهم ملوك (لغناهم ووجاهتهم).
(٢) إن ممالكك التي انتصرت بها على الأعداء تشبه معركة بدر (٢ هـ = ٦٣٤ م) وتبوك (سنة ٩ هـ) ، وكما أن محمداً رسول الله قد ثبتت الإسلام بمعاركه، فإنك أنت قد ثبتت الدعوة الفاطمية (الاسماعيلية) بمعاركك!

(٣) - أراغب أنت في أن تترك سيفك في غمده (تهادن الناس مدة ما) أم تريد أن تظل معاركك متصلة؟

(٤) أفضل أعمار البشر ما كان في آخره أحسن مما كان في أوله.

(٥) المعمر: الذي يعيش عمراً طويلاً.

(٦) والسيف يبلى (يدركه البلى - بكسر الباء - : الفناء) وهو صاعقة: موت (القاموس ٣: ٣٥٤). وتنال منه (تفرضه، تشققه) الهام (الرؤوس) والقصر (الرقاب) - السيف يسبب الموت للناس ثم هو أيضاً يموت. ومع أن السيف حديد والرؤوس والرقاب من عظم ولحم، فإن كثرة قطع السيف للرؤوس والرقاب تؤثر فيه.

(٧) الظل يكون في أول النهار. والفيء يكون في آخر النهار - حصره: أزاله (كما أن ظل الأشياء يقصر جداً إذا تكبدت الشمس السهل، فكذلك عمر الإنسان يقصر إذا مرَّ عليه الزمن).

(٨) المآثر: الحامد، الصفات الحميدة. تنفذ قبله الصور = يرى أهل العقيدة الفاطمية أن صور الوجود لا تنفذ (لا تنتهي لأنها محييات للمرة الإلهية)، ومع ذلك فإن هذه الصور تنفذ ومآثر هذه الميتة لا تنفذ (لأن هذه الميتة تمثل تجلياً حقيقياً لله عندهم).

(٩) الإرث الحقيقي هو المجد وليس البدر (جمع بدرة: عشرة آلاف درهم).

وإذا صَحِبْتَ العِيشَ أَوَّلُهُ صَفْوٌ، فَهِنَّ بَغْسَدُهُ كَدْرٌ^(١).
وإذا انْتَهَيْتَ إِلَى مَدَى أَمَلٍ دَرَكًا فَيَوْمٌ وَاحِدٌ عُمْرٌ^(٢)!

- ٤- ديوان ابن هاني، بولاق ١٢٧٤ هـ؛ القاهرة ١٢٧٦ هـ؛ بيروت (١٨٨٤ م) (١٣٠٢ هـ)، ١٨٨٦ م، ١٣٢٦ هـ.
- تبين المعاني في شرح ديوان ابن هاني (صَحَّحَهُ وَهَذَبَهُ زَاهِدٌ عَلِيٌّ)، حيدر آباد ١٣٢٦ هـ، ١٣٥٢ هـ ١٩٣٣ م، مصر ١٣٣٢ هـ، مصر (دار المعارف) ١٩٥٢ م.
- ابن هاني الأندلسي. تأليف عارف نامر، بيروت ١٩٦١ م.
- ابن هاني الأندلسي: درس ونقد، تأليف منير ناجي، بيروت (دار النشر للجامعيين) ١٩٦٢ م.
- * * مطمح الأنفس ٧٤-٧٩، المغرب ٢: ٩٧-٩٩، المطرب ١٩٢-١٩٥ (الخرطوم) ١٧٥-١٧٨، معجم الأدياء ١٩: ٩٢-١٠٥، خريدة القصر (مصر) ١: ٢٤٨-٢٨٢، الوافي بالوفيات ١: ٣٥٢-٣٥٥، وفیات الأعيان ٤: ٤٢١-٤٢٤، الإحاطة ٢: ٢١٢-٢١٥، نفع الطيب ٣: ٤٤٣-٤٤٤، ٤: ٤٠-٤٦، ٨٦-٨٧، شذرات الذهب ٣: ٤١-٤٤، أعيان الشيعة ٧: ١١٢-١٣١، نيكل ٢٨، مختارات نيكل ١٥-١٦، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٨٥ وما بعده، بروكلمن ١: ٩١، الملحق ١: ١٤٦-١٤٧، الأعلام للزركلي ٧: ٣٥٤ (١٣٠)، بالنشأ ١٦، ٦٣-٦٤.

أبو حنيفة النعمان المغربي

١- هو النُّعْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَنْصُورٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَيَّوْنِ التَّمِيمِيِّ الدَّاعِي الإِسْمَاعِيلِيَّ الْمَغْرِبِيَّ، لُقِّبَ أَبُو حَنِيفَةَ كَيْ يُضَاهِيَ الْفَاطِمِيَّونَ بِهِ أَبُو حَنِيفَةَ النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ فَقِيهَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ.

وُلِدَ أَبُو حَنِيفَةَ النُّعْمَانُ الْمَغْرِبِيُّ بُعِيدَ سَنَةِ ٢٨٠ (٨٩٣ م)، فِيمَا يَبْدُو، وَنَشَأَ عَلَى الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ. وَلَا نَعْلَمُ مَتَى انْتَقَلَ إِلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِيَّةِ الْاِثْنِي عَشَرِيَّةِ. وَفِي نَحْوِ سَنَةِ ٣١٢ (٩٢٤ م) اتَّصَلَ أَبُو حَنِيفَةَ النُّعْمَانُ الْمَغْرِبِيُّ بِالْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ (٢٩٧-٣٢٢ هـ)

(١) إذا عاش الإنسان مدة طويلة في سعادة ونعم هان عليه في آخر حياته شيء من الكدر (الموت).
(٢) وإذا أدركت كل آمالك في الحياة بسرعة فيكفي أن تعيش ذلك اليوم الواحد فقط!

أول الأئمة الفاطميين في القيروان. ثم استمر في خدمة القائم بن المهدي (٣٢٢-٣٣٤ هـ) والمنصور بن القائم (٣٣٤-٣٤١ هـ) والمعز بن المنصور.

وفي سنة ٣٣٣ (٩٤٤-٩٤٥ م) اعتنق المذهب الفاطمي (الإسماعيلي) وعكف على دراسة التاريخ والفلسفة والفقه ثم أخذ يضع الكتب في نُصرة المذهب الإسماعيلي. وفي سنة ٣٣٥ ولّاه الإمام القائم قضاء طرابلس الغرب ثم جعله قاضي المغرب. وقد بدأت مكانة أبي حنيفة المغربي ترتفع في أيام المنصور الفاطمي ثم بلغت أوجها في أيام المعز.

ولما انتقل المعز لدين الله الفاطمي إلى القاهرة، في رمضان من سنة ٣٦٢ صحبه أبو حنيفة النعمان إليها وتقلد فيها القضاء. غير أنه لم يعيش بعد ذلك طويلاً فقد توفى في القسطنطينية، في مُستَهَلَّ رَجَب ٣٦٣ (٢٨ / ٣ / ٩٧٤ م).

كان أبو حنيفة النعمان المغربي من أهل العلم بالقرآن والفقه، وهو مؤسس الفقه الإسماعيلي. وبما أنه كان يستشير الأئمة الفاطميين، والمعز منهم خاصة، في كل ما يعرض له عند التأليف، فقد عد كتابه دعائم الإسلام خاصة مصدراً للفقه الإسماعيلي.

ولأبي حنيفة من الكتب: كتاب الدعوة للعبّيديين- افتتاح الدعوة وابتداء الدولة- المجالس المستنصرية والمواقف والتوقيعات (ألفه للمعز)- اختلاف أصول المذهب- أساس التأويل الباطن- تأويل الشريعة- تأويل الدعائم- ينبوع- الاقتصار- المستطاب- الأخبار في الفقه- شرح الأخبار- مختصر الأخبار في ما روي عن الأئمة الأطهار- الهمة في آداب أتباع الأئمة.

- دعائم الإسلام (أصف علي أصغر فيضي)، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥١- ١٩٦٠ م.
- الهمة في آداب أتباع الأئمة (محمد كامل حسين)، القاهرة (دار الفكر العربي) بعيد ١٩٥٠ م.

- أساس التأويل (عارف تامر)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٠ م.
- كتاب الاقتصار: في الفقه (محمد وحيد ميرزا)، دمشق (المعهد الفرنسي للدراسات العربية) ١٩٥٧ م.

★★ - منتخات إسماعيلية (تحقيق الدكتور عادل المُوا)، دمشق (مطبعة الجامعة السورية) ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م.

★★ * وفیات الأعيان ٥: ٥١٥ - ٥٢٥، الذريعة ٣: ٢٥١ بروكلمن ١: ٢٠١، الملحق ١: ٣٢٤ - ٣٢٥، أعلام ليبيا ٣٥٦، الأعلام للزركلي ٩: ٨ (٤١: ٧).

علي بن محمد الأيادي

١- هو علي بن محمد الإيادي، نشأ في مدينة تونس والتحق بخدمة الدولة العبيدية (الفاطمية) في القيروان والمهدية في أيام القائم بأمر الله (٣٢٢ - ٣٣٤ هـ) وأيام إسماعيل المنصور (٣٣٤ - ٣٤١ هـ)، وكان مُعظَّمه لَدَى الملوك وعند الخاصة والعامة. وعُمِّر علي بن الإيادي طويلاً وكانت وفاته سنة ٣٦٥ (٩٧٦ م).

٢- كان علي بن الإيادي شاعراً سهلاً الكلام عذب القول رائق النظم متين السبك يُحِين الوصف والفزل والمدح، وقد سار شعره في أيامه على الأئسية.

٣- مختارات من شعره

- قال علي بن الإيادي يَصِفُ رَوْضَةً في يومٍ دَجَنٍ (يومٍ غائمٍ مُمطرٍ):
نَمَ بِالرَّوْضِ خَفَقَ الرِّيحُ، واقتَدَحَ الشَّرْقُ زِنَادُ الصَّبَاحِ^(١).
وأَجَلَّ الوَزْدُ شُعَاعَ الضُّحَى وَأَبْتَسَمَتْ فِيهِ ثُغُورُ الْأَاحِ.
وقام في الدَّوْحِ لِنَعْمِ الدُّجَى حَتَّامٌ تُظَرِّبُنَا بِالصِّيَاحِ^(٢).
مُذْ وَلِدَ الصُّبْحِ وَمَاتَ الدُّجَى صاحتُ، فلم نَذِرْ غِنَاً أَوْ نُوحِ.
ويومٍ دَجَنٍ حُجِبَتْ شَمْسُهُ وأشرقَتْ في تَيْلِهِ شَمْسُ رَاحِ^(٣)،

(١) تم...: الريح دلت على مكان الروض (لأنها حملت منه رائحة الأزهار). واقتدح...: الزناد: حديد تقدح بها النار من الحجر الصوان. طلوع الصبح أضواء الجهة الشرقية.

(٢) الدوح جمع دوحة: الشجرة العظيمة. نعي الدجى: نشر الخبر بموت (انتهاء) الليل.

(٣) يوم دجن: يوم فيه غيم (لا تظهر فيه الشمس). الراح: الحمر.

فما ظَنَّنَا الصُّبْحَ إِلَّا دُجَى، ولا حَسَبْنَا اللَّيْلَ إِلَّا صَبَاحٌ^(١).
 - وقال يصف فرساً للأمير جعفر بن الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله:
 وَأَقْبَبَ من لحق الجياد كأنه قَصْرٌ تَبَاعَدَ رُكْنُهُ عن ركنه^(٢).
 وَكَأَنَّا أَنْفَجَرَ الصَّبَاحَ بَوَجْهِه حُسْنًا، أَوْ أَحْتَبَسَ الظَّلَامُ بَمَنْتِهِ^(٣).
 حُلُوُّ الصَّهِيلِ يُخَالُ في لَهَوَاتِهِ حَسَادٌ يَصُوعُ بِدَائِئِهِ من لُحْنِهِ^(٤).
 قَدْ رَاحَ يَحْمِلُ جَعْفَرُ بنَ مُحَمَّدٍ حَمْلَ النسيمِ لِوَابِلٍ من مُزْنِهِ .
 قَبْدُ الْعُيُونِ إِذَا بَصُرْنَ بِشَخْصِهِ، وَرِضَا الْقُلُوبِ إِذَا أَصْطَلَّتْ بِضِغْنِهِ^(٥).
 يَسْتَوْقِفُ اللَّحْظَاتِ في خُطَوَاتِهِ بِكَمَالٍ خَلَقْتَهُ وَدِقَّةَ حُسْنِهِ .
 مُتَجَبِّرٌ، يُنْبِي بِعَيْتِ نَجَارِهِ إِشْرَافُ كَاهِلِهِ وَدِقَّةَ أَذُنِهِ^(٦).
 وَكَأَنَّهُ فَلْنُكَ، إِذَا حَرَكْتَهُ

جَارٍ عَلَى سَهْلِ الْبِلَادِ وَحَزْنِهِ^(٧).

- وقال يَصِفُ أُسْطُولَ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْفَاطِمِيِّ (فِي عُرْضِ الْبَحْرِ فِي الْمَهْدِيَةِ

- (١) الصبح كان من نتيجة احتجاب الشمس كأنه دجى (ليل): أَمَا اللَّيْلُ الْمَظْمُ فَيَدَا مِنْ نَوْرِ الْخَمْرِ كَأَنَّهُ نَهَارٌ .
- (٢) أَقْبَبَ: عالي الصدر. لحق (ليست في القاموس بمعنى يوافق هذا البيت). الجياد: الخيل. لحق الجياد (بضم اللام والحاء) جمع لاحق (٩): سابق أو لحق الجياد (بفتح ففتح - مصدر - بمعنى ضموه بطن الفرس (وذلك محمود في الخيل). كأنه قصر (عظيم الجسم). تباعد ركنه من ركنه (لعل التباعد بين كنفَي الفرس من محامده).
- (٣) يحمّد في الفرس أن يكون له غرّة (سحّة كبيرة) بيضاء في مقدّمة رأسه وأن يكون جسمه أسود خالصاً (لا لون آخر فيه). التّن: الظهر.
- (٤) الصهيل: صوت الخيل. اللّهوات جمع لهاء (بفتح اللام): قطعة لحم تتدلّى من أعلى مقدّم الحنجرة. الحادي: سائق الإبل (يفني للإبل فتستمرّ في سيرها).
- (٥) جسمه جميل حتّى أن العيون تطلّ تنتظر إليه كأنها مقيدة (مربوطة) به. الضغن: الحقد، والشوق إلى الوطن، وللضغن صلة مجري الخيل (إذا ركض هذا الحصان أرضى القلوب لأنّه سريع حدّاً).
- (٦) يني بعنق (بكر العين وفتحها) نجاره (كرم أصله) إشراف (علوّ) كاهله (كنفه) ودقة (صغر) أذنيه.
- (٧) الفلك: السفينة الكبيرة. إذا حركته: إذا دفعته للجري. جار (يستهل السير). الحزن (بفتح الحاء): الأرض الصلبة.

يخوضُ معركةً)، ويبدو أن الأبيات الخامس وما يليه تحتاج إلى إعادة ترتيب:

واغْجَبَ لَأَسْطُولِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ وَلِحُسْنِهِ وَزَمَانِهِ الْمُسْتَرْبِ.
لَيْسَتْ بِهِ الْأَمْوَاجُ أَحْسَنَ مِنْظَرٍ يَبْدُو لِمَنِ النَّاطِرُ الْمُتَجَسِّبِ.
مِنْ كُلِّ مُشْرِفَةٍ عَلَى مَا قَابَلَتْ إِشْرَافَ صَدْرِ الْأَجْدَلِ الْمُتَنَصِّبِ (١).
دَهَاهُ قَدْ لَيْسَتْ ثِيَابَ تَصْنَعُ تَنِي الْعُقُولَ عَلَى ثِيَابِ تَرْهَبِ (٢).
مِنْ كُلِّ أَيْضَ فِي الْهَوَلِ مُنْشَرٍّ مِنْهَا وَأَسْوَدَ فِي الْخَلِيجِ مُقَيَّبِ (٣).
سَجَرُوا جَوَاحِمَ نَارِهَا فَتَقَاذَفُوا مِنْهَا بِالنَّارِ مَارِجٍ مُتَلَهَّبِ (٤).
وَتَحْتُهَا أَهْدَى الرِّجَالِ إِذَا وَنَتْ بُصْعَدَ مِنْهَا بُعِيدَ مُصَوَّبِ (٥).
جَوْفَهُ تَحْمِلُ كَوَكَبًا فِي جَوْفِهَا يَوْمَ الرِّهَانِ وَتَسْتَقِلُّ بِمَرْكَبِ (٦).
يَعْلُو بِهَا حَذْبُ الْعُبَابِ مَطَارَةٌ فِي كُلِّ لُجٍّ زَاخِرٍ مُغْلَوْلِبِ (٧).
مِنْ كُلِّ مَسْجُورٍ الْحَرِيقِ إِذَا انْبَرَى مِنْ مِجْنَةٍ أَنْفَصَلَتْ أَنْصَلَاتُ الْكَوْكَبِ (٨).
عُرْيَانٌ يَغْذِفُ بِالْدُخَانِ كَأَنَّهُ صُبْحٌ يَكْرَهُ عَلَى الظَّلَامِ الْغَيْبِ (٩).

(١) الأجل: الصقر.

(٢) دهاء: سوداء اللون. لبست ثياب تصنع: لها أنواع من الشراع (لأغراض مختلفة من السير مع الريح). ثياب ترهب: ثياب سود (لأنَّ الجزء الذي ينفوخ من السفينة في الماء يطلى بالزفت لمنع تسرب الماء بين شقوق الخشب).

(٣) أبيض في الهواء منشَر: الشراع. أسود في الخليج متَيَّب: نصف السفينة الأسفل المطلي بالنار.

(٤) سجر: أوقد (النار). جاحم: الجمر الشديد الاشتعال. المارج: الشعلة من اللهب. تقاذفوا: قذف بعضهم (بالتار) بعضاً - يصف الشاعر هنا القتال بالنار اليونانية.

(٥) إذا هدأت الريح فأبطأ سير السفينة حتَّى الرجال (باستخدام المجاذيف). المصعد: الصاعد. بعيد: بعد. مصوب: هابط (يبدو أنه قد كان للسفينة طيقتان من المجاذيف). ونت: تعبت.

(٦) في نفخ الطيب (٤: ٥٨)..... موكبا..... موكب. (بهذا يصبح المعنى أوضح): كل سفينة تحمل في جوفها عدداً كبيراً من الجند، والسفن في الأسطول كثيرة العدد.

(٧) في نفخ الطيب:.... مطارة... معلول (ومطلوب بالعين المهملة ليست في القاموس ولا في التاج). - ترتفع السفينة بذلك (بالمجاذيف) فوق حذب العباب (الحناء الماء العظيم: الموج). مطارة.. في كل لُجٍّ (المكان الواسع من البحر) زَاخِرٍ (هائج، مضطرب) مغْلَوْلِبٍ (بالعين المنقوطة) الكثير.

(٨) من كل مسجون الحريق (كرة من نار: من النار اليونانية: مزيج من النفط والزفت الخ) إذا انبرى (ظهر، عرض) من سجنه (من المكان الذي يحد فيه) انفصلت (أسرع، سبق). الكوكب: (هنا): الشهاب.

(٩) عريان (كتلة خالصة من النار) يغذف بالدخان (ينفصل منه الدخان). كأنه صبح يهجم على ليل مظلم. في نفخ الطيب: عريان يقدمه... ظلام غيب. (وهو أصح).

فَرَجُوا جَوَانِبَهُ مَجَازِفَ أَنْعَبَتْ شَاوَ الرِّيحَ لَهَا وَلَمَّا تَنَعَبَ^(١)
وَالْبَحْرُ يَجْمَعُ بَيْنَهَا فَكَأَنَّهُ لَيْلٌ يُقَرِّبُ عَقْرَباً مِنْ عَقْرَبٍ^(٢)
تَنْصَاعَ مِنْ كُتْسٍ كَمَا نَفَرَ الْقَطَا طَوَّراً، وَتَجْتَمِعُ أَجْتِمَاعَ الرَّبْرِ^(٣)
وَعَلَى مَرَائِجِهَا أَسُودَ خِلَافَةً تَخْتَالُ فِي عُدَدِ السِّلَاحِ الْمُرْهَبِ^(٤)

٤- * * نفح الطيب ٤: ٥٧- ٥٨؛ مجمل تاريخ الأدب الأندلسي ٩٦- ١٠١.

ابن فرج الجياني

١- هو أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج من أهل جيان ولكنه سكن قرطبة وأصبح من شعراء الحكم المستنصر (٣٥٠- ٣٦٦ هـ) فقربه المستنصر. وللمستنصر ألف ابن فرج كتاب الحقائق. ثم نُقل للمستنصر أن ابن فرج هجاه فأمر المستنصر به فالتقى في السجن. وكانت وفاته في السجن في صفر من سنة ٣٦٦ (أيلول- سبتمبر ٩٧٦ م) بعد وفاة المستنصر بأيام (راجع الحلة السراء ١: ٢٥٠).

٢- ابن فرج الجياني معدود في الأدب والسماء، ولم يكن في القرن الرابع أحد أكثر منه اعتناءً بالتأليف في شعره الأندلس يريد إظهار فضيلهم على شعراء المشرق. ولابن فرج كتاب «الحدائق» عارض فيه كتاب الزهرة لابن داود الإصبهاني^(٥)، إلا أن ابن داود ذكر مائة باب في كل باب مائة بيت. وأبو عمر (ابن فرج الجياني) ذكر مائتي باب في كل باب مائتا بيت. وليس فيها باب حكرز أبو الفرج اسمه تقليداً لأبي بكر. ولم يُورد (ابن فرج) فيه لغير الأندلسيين شيئاً (معجم الأدباء ٤: ٢٣٧). وكتاب الحدائق مفقود. وقد عرّفه ابن الأبار القضاعي (ت ٦٥٨ هـ) ونقل

(١) في نفح الطيب: شرعوا جوانبه... شادي الرياح... مدّوا من جوانب السفن مجاذيف على نسق واحد. هذه المجاذيف تدفع السفينة قدماً إلى الإمام في وجه الرياح التي تثير الموج الذي يحاول عرقلة سير السفن.

(٢) أصبح البحر كله كأنه ليل (لكثرة السفن المملّية بالقطران)....

(٣) وهي حيناً تفتنل بسرعة (مثل طيور القطا) فتتفرق (كما تقتضي إدارة المعركة) ثم تعود فتتجمع مثل الربرب (القطيع من الظباء).

(٤) في نفح الطيب: السلاح المذهب (المحلّى بالذهب). المرهب: الخيف.

(٥) أبو بكر محمد بن داود (٢٥٥- ٢٩٧ هـ) كان فقيهاً وأديباً وشاعراً.

منه أشياء في « الحلة السيرة ». والمقرّي (ت ١٠٤١ هـ) لم يعرف الكتاب بل ذكره اعتاداً على الذين عرفوه من قبل. وابن فرج أيضاً كتاب « المنتزين والقائمين بالأندلس وأخبارهم »^(١).

ثم هو شاعرٌ مُكثِّرٌ مشهور وافرُ الأدب، وشعره رقيقٌ عذبٌ عفيف وفيه حكمة.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن فرج الجيّاني في النسب:

وما زالَ الهوى سَكناً لقلبي أفرُّ إليه من نُوبِ الخطوبِ،
وألتذ الفرام المحض منه واستحلي به حتّى كُروبي.
كذاك الحبُّ ضيفٌ ليس بآتي إلى غيرِ الكرامِ من القلوب.

- وله مقطوعة في النسب مشهورة هي:

وطائفة الوصالِ عَفَفْتُ عنها، وما الشيطانُ فيها بالمطاعِ^(٢).
بَدَتْ في الليلِ سافرةً فباتتُ دَياجِي الليلِ سافرةً القناعِ^(٣).
وما من لمظيةٍ إلّا وفيها إلى فتنِ القلوبِ لها دَواعِ^(٤).
فمَلَكْتُ النُهيَ جَمَحاتِ شوقي لأَجريَ في العَفافِ على طِباعي^(٥).
وَبِيتَ بها مَبِيتَ السُّقْبِ يظلم فيمنعُه الكِعامُ عن الرِّضاعِ^(٦).
كذاك الرِّوضُ ما فيه لِيَشلي سِوى نظري وشَمٍّ من مَناع.

(١) في معجم الأدباء (٤: ٢٣٧، الحاشية ٢): الأصل الذي في مكتبة أكسفورد « المنتزين والقائمين » (بلا واو). فما يدلُّ على أن الكتاب موجود.

(٢) لم أطلع الشيطان فأعصى الله فيها.

(٣) أصبح الليل من ضوء وجهها نهاراً.

(٤) فتن القلوب: تذهيها (أو استالتها) لتخالف الخلق الكريم. دواع جمع داعية: سبب.

(٥) النهي: العقل. جمعة الشوق: الرغبة في مجابة الطريق المستقيم.

(٦) السقْب: ولد الناقة الذكر ساعة يولد. الكعام والكمامة (كلاهما بالكسر): ما يجعل على فم الحيوان كيلاً بعض (بفتح العين) أو يأكل.

ولستُ من السوائم مُهَمَّلاتٍ فأتخذُ الرِّياضَ من المراعي!

- وقال يصف الرُّمَّانَ السَّفْري^(١):

ولابية صَدَفًا أَحْمرا أَتَتْكَ وَقَدْ مُلِئْتَ جَوْهرا^(٢)،
كَأَنَّكَ فَاتِحُ حُقٍّ لَطِيفٍ تَضَمَّنَ مَرْجَانَهُ الْأَحْمرا^(٣):
حُبُوبًا كَيْسَلٍ لِثَاتِ الْحَبِيبِ رُضَابًا إِذَا شِئْتَ أَوْ مَنْظرا^(٤).
وَلِلسَفْرِ تُمزَى وَمَا سَافَرْتَ فَتَشْكُو النَّوَى أَوْ تُقَاسِي السُّرى^(٥).
بَلَى؛ فَارَقْتَ أَيْكَهَا نَاعِمًا رَطِيبًا وَأَغْصَانَهَا نُضْرًا^(٦)،
وَجَاءَتْكَ مُعْتَاضَةً إِذْ أَتَتْكَ بِأَكْرَمَ مِنْ عَوْدِهَا عُضْرًا^(٧):
بَعُودٍ تَرَى فِيهِ مَاءَ النَّدى، وَيُورِقُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْمِرًا،
هَدِيَّةً مَنْ لَوْ غَدَتْ نَفْسُهُ هَدِيَّتَهُ ظَنَّهُ قَصْرًا!

- وقال في كتاب «الحدائق» يَصِفُ أشعارَ الخلفاء (الحلَّة السِّراء ١: ٢٠٥):

وهم يُجْلَوْنَ عَنِ الشَّعْرِ أَقْدَارَهُمْ كَمَا يَرْتَفِعُونَ عَنْ أَنْ يُرَوَّى عَنْهُمْ أَوْ يُؤْخَذَ مِنْ
أَقْوَالِهِمْ، وَإِنَّمَا يَنْبَسُطُونَ بِهِ فِي سَرَائِرِهِمْ فَلَيْسَ يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ مِنْهُ إِلَّا الشَّاذُّ الْقَلِيلُ.
وَلَعَلَّ مَا سَقَطَ (منه) عَنَّا أَفْضَلُ مِمَّا سَقَطَ إِلَيْنَا^(٨). فَأَمَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ-

(١) نسة إلى سفر (يسكون الغاء) بن عبيد الكلاعي. كان عبد الرحمن الداخل قد استقدم من الشام شيئاً من الرُّمَّانِ الْحَيْدِ. فلَمَّا وَصَلَ ذَلِكَ الرُّمَّانُ كَانَ فِي الْحَاضِرِينَ سَفَرٌ مِنْ عَبِيدٍ فَأَعْطَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ شَيْئاً مِنْهُ. فَأَعْتَنَى سَفَرُ بَزْرَاعَةِ بَزْرِ الرُّمَّانِ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قَرْيَةِ رِيَّةٍ فَخَرَجَ حَسَنُ الصُّورَةِ غَزِيرُ الْمَاءِ طَيِّبُ الطَّعْمِ صَغِيرُ الْبِزْرِ طَرِيَّةً.

(٢) قشراها أَحْمَرٌ وَحَبُّهَا أَبْيَضٌ (!).

(٣) الْحَقُّ: وَعَاءٌ صَغِيرٌ.

(٤) اللَّثَاتُ جَمْعُ لَثَةٍ (يَكْسُرُ اللَّامَ وَبِلَا شِدَّةٍ عَلَى التَّاءِ): اللَّحْمُ الَّذِي تَكُونُ فِيهِ الْأَسْنَانُ فِي الْفَمِ. الرُّضَابُ: الرِّيقُ مَا دَامَ فِي الْفَمِ.

(٥) النَّوَى: الْبَعْدُ وَالْفَرَاقُ. السُّرى: السَّفَرُ لِيْلًا.

(٦) الْأَيْكُ جَمْعُ أَيْكَةٍ: النَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمُلْتَفُّ (الْمُتَمَعِّعُ عَلَى بَعْضٍ). النَّاضِرُ: الْأَخْضَرُ الطَّرِيقُ.

(٧) اسْتَنْتَ عَنْ أَصْلِهَا الْأَوَّلِ (فِي الشَّامِ) وَتَبَدَّلَتْ بِهِ عُنْصُرُكَ أَنْتَ (أَصْلُكَ) لِأَنَّهُ أَكْرَمَ مِنْ أَصْلِهَا.

(٨) الَّذِي لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنْ شَعْرِ الْمُسْتَنْصِرِ أَكْثَرَ مِنَ الَّذِي وَصَلَ مِنْهُ إِلَيْنَا.

أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ - فَهُوَ فَوْقَ أَنْ يُعْلَنَ بِهِ أَوْ يُنْشَرَ اسْمُهُ عَلَيْهِ. وَلَعَلَّ لَهُ مِنْهُ مَا لَا نَعْرِفُهُ. فَأَمَّا الْأَدَوَاتُ الَّتِي يُقَالُ بِهَا، بَلِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا كُلُّ عِلْمٍ^(١)، فَبَيَّ مَعَهُ بِأَزِيدَ مِمَّا كَانَتْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ أَوْ تَكُونُ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ^(٢).

- وَقَالَ فِي كِتَابِ «الْحَدَائِقِ» يَذْكُرُ الْمَرْيَّةَ (المغرب ٢: ١٩٣ - ١٩٤):

حَدَّثَ فِيهَا مِنْ صَنْعَةِ الْوُشِيِّ وَالِدِيَّاجِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ، وَمِنْ صِنَاعَةِ الْحَزِّ وَجَمِيعِ مَا يُفَعَّلُ مِنَ الْحَرِيرِ، مَا لَمْ يُنْصَرِ مِثْلُهُ فِي الْمَشْرِقِ وَلَا فِي بِلَادِ النَّصَارَى. وَأَعْظَمَ مَبَانِيهَا الصُّادِحِيَّةُ الَّتِي بَنَاهَا الْمُعْتَصِمُ بْنُ صَادِحٍ. وَمِنْ مَتَفَرِّجَاتِهَا مِنْى^(٣) عَبْدُوسٍ وَمِنْى غَسَّانَ، وَالتَّجَادُ وَبِرْكَةُ الصُّفْرِ وَعَيْنُ النَّطِيَّةِ. وَنَهْرُهَا مِنْ أَحْسَنِ الْأَنْهَارِ.

٤- * * المطمح ٧٩- ٨٠، جذوة المقتبس ٩٧- ٩٨ (الدار المصرية) ١٠٤- ١٠٥ (رقم ١٧٦) = بنية الملتبس ١٤٠ (رقم ٣٣١)، معجم الأدباء ٤: ٢٣٦- ٢٣٨، المغرب ٢: ٥٩، المطرب (الخرطوم) ٥- ٦، الوافي بالوفيات ٨: ٧٧- ٧٨، الحلة السراء ١: ١٢٦، ١٣٠، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢١٨، ٢٥٠، نفع الطيب ١: ٤٦٨، ٦٠٤، ٦٠٥، ٢: ٥٠١، ١٧٣، ١٧٥، ١٩٦، ٢٦٥، ٢٦٦، ٤٣٧، ٤٦٤- ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨، ١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١٥٦٤، ١٥٦٥، ١٥٦٦، ١٥٦٧، ١٥٦٨، ١٥٦٩، ١٥٧٠، ١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣، ١٥٧٤، ١٥٧٥، ١٥٧٦، ١٥٧٧، ١٥٧٨، ١٥٧٩، ١٥٨٠، ١٥٨١، ١٥٨٢، ١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦، ١٥٨٧، ١٥٨٨، ١٥٨٩، ١٥٩٠، ١٥٩١، ١٥٩٢، ١٥٩٣، ١٥٩٤، ١٥٩٥، ١٥٩٦، ١٥٩٧، ١٥٩٨، ١٥٩٩، ١٦٠٠، ١٦٠١، ١٦٠٢، ١٦٠٣، ١٦٠٤، ١٦٠٥، ١٦٠٦، ١٦٠٧، ١٦٠٨، ١٦٠٩، ١٦١٠، ١٦١١، ١٦١٢، ١٦١٣، ١٦١٤، ١٦١٥، ١٦١٦، ١٦١٧، ١٦١٨، ١٦١٩، ١٦٢٠، ١٦٢١، ١٦٢٢، ١٦٢٣، ١٦٢٤، ١٦٢٥، ١٦٢٦، ١٦٢٧، ١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣٠، ١٦٣١، ١٦٣٢، ١٦٣٣، ١٦٣٤، ١٦٣٥، ١٦٣٦، ١٦٣٧، ١٦٣٨، ١٦٣٩، ١٦٤٠، ١٦٤١، ١٦٤٢، ١٦٤٣، ١٦٤٤، ١٦٤٥، ١٦٤٦، ١٦٤٧، ١٦٤٨، ١٦٤٩، ١٦٥٠، ١٦٥١، ١٦٥٢، ١٦٥٣، ١٦٥٤، ١٦٥٥، ١٦٥٦، ١٦٥٧، ١٦٥٨، ١٦٥٩، ١٦٦٠، ١٦٦١، ١٦٦٢، ١٦٦٣، ١٦٦٤، ١٦٦٥، ١٦٦٦، ١٦٦٧، ١٦٦٨، ١٦٦٩، ١٦٧٠، ١٦٧١، ١٦٧٢، ١٦٧٣، ١٦٧٤، ١٦٧٥، ١٦٧٦، ١٦٧٧، ١٦٧٨، ١٦٧٩، ١٦٨٠، ١٦٨١، ١٦٨٢، ١٦٨٣، ١٦٨٤، ١٦٨٥، ١٦٨٦، ١٦٨٧، ١٦٨٨، ١٦٨٩، ١٦٩٠، ١٦٩١، ١٦٩٢، ١٦٩٣، ١٦٩٤، ١٦٩٥، ١٦٩٦، ١٦٩٧، ١٦٩٨، ١٦٩٩، ١٧٠٠، ١٧٠١، ١٧٠٢، ١٧٠٣، ١٧٠٤، ١٧٠٥، ١٧٠٦، ١٧٠٧، ١٧٠٨، ١٧٠٩، ١٧١٠، ١٧١١، ١٧١٢، ١٧١٣، ١٧١٤، ١٧١٥، ١٧١٦، ١٧١٧، ١٧١٨، ١٧١٩، ١٧٢٠، ١٧٢١، ١٧٢٢، ١٧٢٣، ١٧٢٤، ١٧٢٥، ١٧٢٦،

وُلِدَ أَبُو بَكْرٍ بن القوطية في إشبيلية ونشأ فيها وسمعَ مِنْ مُحَمَّدٍ بن عبد الله بن الفرق وسعيد بن جابر وحسن بن عبد الله الربيدي. ثم انتقل إلى قُرْبُبة وسمع من قاسم بن أصبغ (ت ٣٤٠) وابن الأغش وأبي الوليد الأعرج ومحمد بن عبد الوهاب ابن بُغيث ومن طاهر بن عبد العزيز. وكذلك روى عن القاضي أبي الحزم خَلْفِ بن عيسى بن سعيد الحثير الوُثَشي.

وقد عَرَفَ أَبُو عَلِيٍّ القالي (ت ٣٥٦) الحَكَمَ المُسْتَنْصِرَ بالله (٣٥٠-٣٦٦ هـ) فَضَّلَ ابن القوطية وأنه مِنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْبَلَدِ بِاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ.

وتولَّى ابن القوطية القضاء وَخُطَّ الشَّرْطَةُ.

وكانت وفاة ابن القوطية في ٢٣ ربيع الأول سنة ٣٦٧ (٦/ ١١ / ٩٧٧ م) بعد أن طَالَ عُمُرُهُ.

٢- ابن القوطية نَحْوِيٌّ وَمَوْزَّخٌ، وكان يَنْظِمُ الشَّعْرَ أحياناً وَيُجِيدُ في المطالع والمقطعات. وله من الكتب: تصاريف الأفعال- المقصور والمدود- تاريخ افتتاح الأندلس (والحوادث فيه متخلخلة وفيه روايات شعبية كثيرة- ويبدو أن هذا الكتاب لأحد تلاميذه استملأه عنه).

٣- مختارات من آثاره

من شعر ابن القوطية في الوصف:

صَحِيحَ الثَّرَى وبدا لَكَ أَشْبِثُ شَارُهُ، واخْضَرَ شَارِيَهُ وَطَرَّ عِذارُهُ^(١).
وَرَبَّتْ حَدَائِقُهُ، وَأَزَّرَ نَبْتُهُ، وَتَبَسَّمتْ أَنْوارُهُ وَثارُهُ^(٢).

(١) الثرى: التراب (وجه الأرض). أخضر: أسود. طرّ: ظهر، بدا. العذار: الشمر الثابت على جانبي الوجه. يشبه الشاعر سطح الأرض بوجه الرجل فيقول: بدأ النبات على وجه الأرض وعلا قليلاً (مع مجيء الربيع).

(٢) في معجم الأدباء (١٨: ٢٧٦) وفي الوافي بالوفيات (٤: ٢٤٣) رنت (بالنون) والصواب: ربت (بالباء) حدائقه (كثر فيها النبات). أزر النبات: التفّ وكثر. الأنوار جمع نور (بفتح النون): الزهر الأبيض اللون.

واهْتَرَزَ قَدْ الْفُضْنُ لَمَّا أَنْ كَسَى وَرَقًا كَدِيحًا يَرُوقُ إِزَارَهُ^(١).
وَتَمَعَّمَتْ صُلُغُ الرُّبَى بِنَبَاتِهَا، وَتَرْنَمَتْ بِلُحُونِهَا أَطْيَارُهُ^(٢).

- من كتاب « تاريخ افتتاح الأندلس »:

..... وحكى الشيخ ابن لبابة رَحِمَهُ اللهُ، عن مَنْ أذْرَكَهُ مِنَ الشُّيُوخِ، أَنَّ
أَرْطَبَاسَ^(٣) كَانَ مِنْ عُقَلَاءِ الرِّجَالِ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ وَأَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ..... مَيْمُونُ
الْعَابِدُ- جَدُّ بَنِي حَزْمِ الْبَوَائِبِ وَهُوَ أَحَدُ مَوَالِي الشَّامِيِّينَ^(٤). فَلَمَّا رَأَاهُ أَرْطَبَاسُ
دَاخِلًا قَامَ إِلَيْهِ وَالتَزَمَهُ وَجَمَلَ يَقُوْدُهُ إِلَى كُرْسِيِّهِ الَّذِي قَامَ مِنْهُ، وَكَانَ مُصَمَّدًا^(٥)
بِالذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ. فَأَبَى الرَّجُلُ الصَّالِحَ الْجُلُوسَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: « لَا بَعْلَ لِي هَذَا »
وَجَلَسَ عَلَى الْأَرْضِ. وَجَلَسَ (أَرْطَبَاسُ) مَعَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: « مَا جَاءَ بِمِثْلِكَ إِلَى مِثْلِي؟ »
فَقَالَ لَهُ مَيْمُونُ: « قَدِمْنَا إِلَى هَذَا الْبَلَدِ وَظَنْنَا أَنَّ ثَوَانًا^(٦) لَا يَطُولُ فِيهِ، وَلَمْ نَسْتَعِدَّ
لِلْمَقَامِ. فَحَدَّثَ مِنَ الْاضْطِرَابِ عَلَى مَوَالِينَا بِالْمَشْرِقِ^(٧) مَا نَتَوَهَّمُ مَعَهُ أَنَّا لَا نَعُودُ إِلَى
مَوْضِعِنَا بِهِ. وَقَدْ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْكَ، فَأَرِيدُ مِنْكَ أَنْ تُعْطِنِي ضَيْعَةً مِنْ ضِيَاعِكَ أَعْتَمَرُهَا
بِيَدِي، وَأُوْدِّي إِلَيْكَ الْحَقَّ مِنْهَا وَآخِذُ الْحَقَّ ». فَقَالَ لَهُ أَرْطَبَاسُ: لَا، وَاللَّهِ، مَا أَرْضَى

(١) الديباح: نسج من حرير. يروق: يحسن في العين. الإزار: ثوب بلفاً به الجسم.

(٢) كانت الرمي (التلال) صلماً (لا نبات عليها، تشبيهاً لها بالرأس الذي فقد شعره) فتعممت: لبست
عمامة النبات.

(٣) كان أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة فقيهاً مالِكياً وقاضياً في إلبيرة (الأندلس) قرب
غرناطة. وكانت وفاته في الإسكندرية نحو سنة ٣٣٠ للهجرة. أدركه: لحق زمانه، كان في أيامه.
الشيوخ: الأئمة، كبار رجال العلم. أَرْطَبَاسُ (أو أَرْطَبَاشُ أو أَرْطَبَان) هو الأمير أُرْدِيسْتِ بن
غَيْطِشَةَ كان من الذين انضموا إلى طارق بن زُهَاد ضد لَدَرْجِ الذي كان قد اغتصب الملك من غَيْطِشَةَ
(فتبئزاً). وعاش أَرْطَبَاسُ في قرطبة مكرماً ومنح شيئاً من السلطة على قومه. وكان لأَرْطَبَاسُ بنت
هي سارة القوطية (وكان ابن القوطية صاحب هذا النص من نسلها).

(٤) الْبَوَائِبُ: الحجاب الوزراء (٤). الشاميون: العرب الذين جاءوا مع بلج بن بشر بن عياض (ت ٢١٤
هـ) من الشام (سورية) إلى الأندلس في أيام القتال بين القيسية واليبانية في أواخر عصر الولاة قبل
وصول عبد الرحمن الداخل.

(٥) التزمه: اعتنقه. مصمداً: مكسو، ملفوف، مغطى.

(٦) ثوانا: مكثنا، بقاؤنا.

(٧) موالينا (أنصارنا وأحلفنا).

أَنْ أُعْطِيَكَ ضَيْعَةً مُنَاصَفَةً. ودعا (أرطباس) بوكيل له وقال له: «ادْفَعْ إِلَيْهِ المِشْرَ الذي على وادي شَوْشٍ وما فيه من البقر والغنم والعبيد، وادْفَعْ إِلَيْهِ القلعة بِجَيَّانٍ وَهِيَ المَعْرُوفَةُ بِقَرِيَّةِ حَزْمٍ».

- وقال في السوسن (الزنيق) والورد:

اشربْ على السَّوسَنِ الفَضَّ الذي نَمَا وباكرِ الأُنْسَ والوردَ الذي نَجَا^(١)،
كَأَنَّا ارْتَضَعْنَا خَلْفِي سَائِيهَا: فَأَرْضِعْتِ لَبَنًا هَذِي، وَذَاكَ ذِمًّا^(٢).
خِلَانٍ: قَدْ كَفَرَ الكَافُورُ ذَاكَ، وَقَدْ عَقَّ العَقِيقُ أَحْمَرًا ذَا وَمَا ظَلًّا^(٣).
كَأَنَّ ذَا دُمِيَّةٍ نُصَّتْ لِمُعْتَرِضٍ وَذَاكَ خَدُّ غَدَاةِ البَيْنِ قَدْ لُطِمَا^(٤)،
أَوْ لَا، فَذَاكَ أَنَابِيْبُ اللَّجِينِ وَذَا جَمَرُ الفَضَا حَرَكْتَهُ الرِّيحُ فَاضْطَرَمَا^(٥)!

٤- كتاب الأفعال (في اللغة) (نشره غويدي) لندن ١٨٩٤ م (تحقيق علي فودة)، القاهرة

(مطبعة مصر: شركة مساهمة مصرية) ١٩٥٢ م.

- تاريخ افتتاح الأندلس، باريس ١٨٦٧ م؛ مدريد ١٨٦٨ م؛ (أعيد طبعه باعتماد ريبيرا)، مدريد ١٩٢٦ م؛ (نشرة هوداس) باريس ١٨٨٩ م؛ مصر (مطبعة التوفيق) بلا تاريخ؛ (نشره عبد الله الطباع)، بيروت (دار النشر للجامعيين) ١٩٥٧ م.

★ ★ مطمح الأنفس ٥٨- ٥٩؛ جذوة المقتبس ٧١- ٧٢ (الدار المصرية) ٧٦- ٧٧ (رقم ١١١)، بغية الملتبس ١٠٢ (رقم ٢٢٣)؛ ابن الفرضي ٢: ٧٨- ٧٩؛ إنباه الرواة ٣: ١٧٨؛ معجم الأدباء ١٨: ٢٧٢- ٢٧٧؛ وفيات الأعيان ٤: ٣٦٨- ٣٧١؛ بغية الوعاة ٨٤- ٨٥؛ شذرات الذهب ٣: ٦٢- ٦٣؛ (وفيات سنة ٣٦٧ هـ)؛ الوافي بالوفيات ٤: ٢٤٢- ٢٤٣؛ البلغة ٢٣٧؛ نفع الطيب ٣: ٧٣- ٧٤؛ الديباج المذهب ٢٩٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٤٧- ٨٤٨؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٠١ (٦: ٣١١).

(١) نعم: لأن ملمسه، وكان طرياً نضيراً. نجم: نبت حديثاً (خرجت زهرة الورد من كاسها: الأورق الحضر التي كانت تغلقها).

(٢) الخلف (بالكسر): حلة الثدي. الساء: المطر. كأن الورد (الأحمر) والسوسن (الأبيض) رضعاً من ساء واحدة (من مطر واحد) ولكن من ثديين مختلفين: رضع الورد من ثدى فأصبح أحمر، ورضع السوسن من ثدى آخر فأصبح أبيض.

(٣) الكافور: مادة شائعة تميل إلى البياض. العقيق: حجر كريم أحمر. كثر: غطى، ستر، غلف. عوق: ذبح ذبيحة.

(٤) الدمية: الصورة، التمثال. نعم: رفع. المعترض: الذي يعترضك؛ يقف مقابلاً لوجهك. البين: الفراق. قد لطم (حزناً على فراق المحبوب).

(٥) اللجين: الفضة. الفضا: شجر خشبه كثيف يتقد بشدة.

عريب القرطبي

١- هو عَرِيبُ بْنُ سَعْدٍ مِنْ مَوَالِي الْأَنْدَلُسِ وَمِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ يَتَّصِلُ نَسَبُهُ بِبَنِي التُّرْكِ (الذيل والتكملة ٥: ١٠١ - ١٤٢) لَا نَعْرِفُ مِنْ أَحْدَاثِ حَيَاتِهِ إِلَّا تَتَفَاءً: اسْتَعْمَلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ عَلَى كُورَةِ أَشُونَةَ، سَنَةَ ٣٣١ ثُمَّ اسْتَكْتَبَهُ الْحَكَمُ الْمُسْتَنْصِرُ (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) بْنُ النَّاصِرِ. وَقَدْ كَانَتْ لَهُ مَكَانَةٌ أَثِيرَةٌ عِنْدَ الْحَاجِبِ جَعْفَرِ الْمُصَحَّفِيِّ (قُتِلَ ٣٧٢ هـ) وَمَكَانَةٌ رَفِيعَةٌ عِنْدَ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ (٣٩٢ هـ). وَلَعَلَّ وَفَاتَهُ كَانَتْ نَحْوَ سَنَةِ ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م).

٢- كَانَ فِي عَرِيبِ الْقُرْطُبِيِّ بَأَوْ (فَخْر أَوْ تَعَاظُمَ) شَدِيدٌ أَدَّى إِلَى انْخِفَاضِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ جَعْفَرِ الْمُصَحَّفِيِّ وَعِنْدَ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ فِي حَدِيثَيْنِ طَوِيلَيْنِ. وَلَكِنَّهُ كَانَ أَدِيبًا بَارِعًا وَشَاعِرًا مَطْبُوعًا وَمُؤَرِّخًا وَاسِعَ الْمَعْرِفَةِ بِالتَّارِيخِ جَامِعًا لِلْأَخْبَارِ. ثُمَّ إِنَّهُ كَانَ أَيْضًا ذَا حِظٍّ مِنَ اللُّغَةِ وَمِنَ النَّحْوِ، كَمَا كَانَ طَبِيبًا مَاهِرًا وَذَا عِنَايَةٍ بِكُتُبِ الْأَطْبَاءِ الْقَدَمَاءِ وَالْمُحَدَّثِينَ. غَيْرَ أَنَّ شُهْرَتَهُ كَانَتْ فِي التَّارِيخِ خَاصَّةً، فَلَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، فِي هَذَا الْبَابِ، عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ سَمِيدِ الْعَنْسِيِّ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ مَدَحَ بِهَا ابْنَ عَمِّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ (بْنِ سَمِيدٍ) فَقَالَ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٢: ٢٧٥): «وإِنْ سَرَدَ التَّارِيخَ قُلْتُ: عَرِيبٌ».

وكان عَرِيبُ الْقُرْطُبِيُّ مُصَنِّفًا اشتهر له كتابٌ عُنوانُهُ «صِلَةُ تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ»^(١) بِدَآءِ سَنَةِ ٢٩١ (وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي وَقَفَ الطَّبَرِيُّ عِنْدَهَا فِي تَارِيخِهِ). ثُمَّ اسْتَمَرَّ عَرِيبٌ فِي السَّرْدِ إِلَى سَنَةِ ٣٢٠. وَفِي كِتَابِ «الذَّيْلِ وَالتَّكْمِلَةِ»: لِعَرِيبٍ هَذَا «تَارِيخُهُ الَّذِي اخْتَصَرَهُ مِنْ تَارِيخِ أَبِي جَعْفَرِ الطَّبَرِيِّ وَأَضَافَ إِلَيْهِ أَخْبَارَ إفْرِيقِيَّةِ وَالْأَنْدَلُسِ، وَهُوَ كِتَابٌ مُنْتَعٍ». وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ (الْمُخْتَصَرُ مِنْ تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ) غَيْرُ كِتَابِ «صِلَةِ تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ» الَّذِي طَبَعَهُ دِي خُوِيهِ وَالَّذِي أُلْحِقَ أَيْضًا بِالْجُزْءِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ «تَارِيخِ الرُّسُلِ وَالْمُلُوكِ» لِلطَّبَرِيِّ فِي طَبْعَةِ الْقَاهِرَةِ^(٢). وَقَدْ أَصَابَ إِحْسَانُ عَبَّاسٍ لَمَّا

(١) المطبعة الحسينية ١٣٣٦ هـ.

قال^(١): «وأحسب أن هذا النشور لا يُمثل ما يقوله ابن عبد الملك (المراكشي) في هذه الترجمة».

ولعرب أيضاً من الكتب: كتابُ خلق الجنين وتدريب الحبالى والمولودين (كتاب خلق الإنسان وتدريب الأطفال) - كتابُ عُيون الأدوية - كتاب الأنواء^(٢)، وهو مُفيدٌ ومُسْتَعْمَلٌ ومُعْتَمَدٌ (الذيل والتكملة) - تقويمُ قُرْطُبَة^(٣).

٣ - مختارات من آثاره

- اتفق أن جاء عرب مرة إلى مجلس الحاجب جعفر المصنفى، وكان المجلس مكتظاً، فأجلسته المصنفى في مكان قريب منه ولكن كان بينهما رجل آخر، فكتب عرب في رُفْعَةٍ يَتَيْنِ ثم ناول الرُفْعَةَ للمصنفى. والبيتان هما:

حَالٌ بَيْنِي وَبَيْنَ وَجْهِكَ فِي الْمَجْدِ . لَيْسَ شَخْصٌ عَلَى الْقُلُوبِ ثَقِيلُ .
مَا تَوَهَّمْتُ قَبْلَهَا أَنَّ شَخْصاً بَيْنَ قَلْبِي وَنَاطِرِي سَيَحُولُ^(٤).

- بدأ عرب صِلَةَ تاريخ الطبري كما يلي:

(ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ ٢٩١): ذِكْرُ ما دَارَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنْ أَخْبَارِ بَنِي الْعَبَّاسِ : فِيهَا كَتَبَ الْوَزِيرُ الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْكَاتِبِ^(٥)، وَكَانَ الْمُكْتَفَى^(٦) قَدْ وُلَّاهُ حَزْبَ الْقُرْمَطِيِّ صَاحِبِ الشَّامَةِ^(٧) وَصَيَّرَ إِلَيْهِ أَمْرَ الْقَوَادِ وَالْجِيُوشِ، فَأَمَرَهُ

(١) الذيل والتكملة ٥ : ١ : ١٤٢ (الحاشية الثانية).

(٢) الأنواء (أحوال الجو).

(٣) راجع نصاً من مطلقه في المختارات من هذه الترجمة.

(٤) بين قلبي (المقصود: المدح جعفر المصنفى) وناطري (عيني، بصري). حال: اعترض.

(٥) محمد بن سليمان الكاتب الحنفي قائد تقدير تولى قتال القرامطة في الشام (توفي بعد ٣٩٧ هـ).

(٦) المكتفى: الخليفة العباسي علي بن أحمد (المتنشد) بن الموفق بن المتوكل تولى الخلافة نحو ست سنوات (٣٨٩ - ٣٩٥ هـ) ومات شاباً (ولد ٣٦٣ هـ).

(٧) هو أحمد بن زكرويه القرمطي صاحب الشامه قاتل العباسيين في العراق والشام ثم انهزم وأخذ أسيراً فنجى به إلى المكتفى بالله العباسي فأمر بقتله.

بمناهضة^(١) صاحب الشامة والجذ في أمره وجنح القواد والرجال على محاربتهم. فسار إليه محمد بن سليمان بجميع من كان معه وأهل النواحي التي تليه من الأغراب وغيرهم حتى قربوا من حاة^(٢) وصار بينهم وبينه نحو أثني عشر ميلاً، فلَقُوا أصحاب القُرْمُطِيِّ هُنَالِكَ يَوْمَ الثَّلَاثاءِ لَيْسَتْ خَلَوْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ^(٣). وكان القُرْمُطِيُّ قد قَدَّمَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ فِي ثَلَاثَةِ آلافٍ فَارِسٍ وَكثِيرٍ مِنَ الرِّجَالِ فِي مُقَدِّمَتِهِ، وَتَخَلَّفَ هُوَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ رِداءً لَهُمْ، وَجَعَلَ السَّوَادَ^(٤) وَرَاءَهُ. وَكَانَ مَعَهُ مِثَالُ جَمْعَةٍ. فَالْتَقَى رِجَالُ السُّلْطَانِ بِمَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْقَرَامِطَةِ لِحَرْبِهِمْ. وَالتَحَمَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ، وَصَبَرَ الْفَرِيقَانِ. ثُمَّ أَنْهَزَ أَصْحَابُ الْقُرْمُطِيِّ وَأَسِيرَ مِنْ رِجَالِهِ بَشَرٌ كَثِيرٌ وَقُتِلَ مِنْهُمْ عَدَدٌ عَظِيمٌ وَتَفَرَّقَ الْباقُونَ فِي الْبُوَادِي. وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُ السُّلْطَانِ لَيْلَةَ الْأَرْبَعاءِ^(٥) يَقْتُلُونَهُمْ وَيَأْسُرُونَهُمْ.....

- وقال عَرِيبٌ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي الْيُسْرِ^(٦) إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ الشَّيْبَانِيِّ (نفع الطيب ٣:

١٣٤ - ١٣٥):

... كَانَ شَاعِراً مُرْسِلاً حَسَنَ التَّأْلِيفِ. وَقَدِيمَ الْأَنْدَلُسَ عَلَى الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٧)، وَذَكَرَ لَهُ مَعَهُ قِصَّةٌ ذَكَرَهَا ابْنُ الْأَثَّارِ فِي كِتَابِهِ «إِفَادَةُ الْوَفَادَةِ»^(٨) وَحَكَى أَنَّ لَهُ مُسْتَنْدَافاً فِي الْحَدِيثِ وَكِتَاباً فِي الْقُرْآنِ سَمَّاهُ «سِرَاجَ الْهُدَى» وَالرَّسَالَةَ الْوَحِيدَةَ

(١) مناهضة: مقاومة.

(٢) حاة بلدة في الشام بين حمص وحلب.

(٣) ١٠٠٠/١٢/٦ م.

(٤) الردء: المعين، الناصر (قوة احتياطية). جعل السواد (سواد العراق، القسم الجنوبي منه) وراءه (كي يستطيع الحرب إليه إذا انهزم في الشام).

(٥) في يوم الثلاثاء نفسه (ليلة الأربعاء هي مساء يوم الثلاثاء).

(٦) هو أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني المعروف بالرياضي (٢٢٣ - ٢٩٨ هـ) من الأدباء والكتّاب. أصله من بغداد جال في البلاد ودخل الأندلس ثم انتقل إلى القيروان وتولى فيها بيت الحكمة في أيام آخر الأمراء الأغالبة زيادة الله بن عبد الله الأغلبي. وكانت وفاته في القيروان.

(٧) جاء إلى إمارة الأندلس ٢٣٨ هـ وتوفي سنة ٢٧٣ هـ.

(٨) للمؤرخ أن ابن الأثير هذا هو محمد بن عبد الله القضاعي (٥٩٥ - ٦٥٨ هـ). ولم أعثر في مصدر آخر على اسم كتابه «إفادة الوفاة». وليست التكملة لابن الأثير بين يدي الآن.

والمؤنسة وقطب الأدب وغير ذلك من الأوضاع^(١). قال وكتبَ لبني الأغلب حتى أنصرفت أيامهم، ثم كتبَ لعبيد الله حتى مات^(٢). ومن الرواة عنه أبو سعيد عثمان ابن سعيد بن الصيقل^(٣) مؤلف زيادة الله بن الأغلب^(٤). وأسند إليه الحافظ بن الأبار جملةً منه على غيره. وناولني جميعه وحدثني به عن أبي عبد الله بن زرقون عن^(٥) الحولاني^(٦) عن أبي القاسم حاتم بن محمد^(٧) عن أبي غالب تمام بن غالب^(٨) بن عمر الغوي عن أبيه أبي تمام^(٩) عن أبي سعيد المذكور - يعني ابن الصيقل - عن أبي اليسر عن حبيب^(١٠). وهو إسناد غريب^(١١). انتهى^(١٢).

- من مطلع «كتاب عريب في تفصيل الأزمان ومصالح الأبدان» (أو تقويم قرطبة):

هذا كتابٌ جُمِلَ مذكراً بأوقات السنة وفصولها وعدد الشهور وأيامها ومجاري الشمس في بُروجها ومنازلها^(١٣) وحدود مطالعها وقدر ميلها وارتفاعها^(١٤) واختلافها في

- (١) راجع في أبي اليسر الشيباني ترجمة له في نفح الطيب (٣: ١٣٤ - ١٣٥).
- (٢) هو المهدي الفاطمي عبيد الله بن محمد مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب بويع له سنة ٢٩٧ وتوفي سنة ٣٢٢ هـ.
- (٣) زيادة الله بن الأغلب هذا هو آخر أمراء الأغالية (ت ٣٠٤ هـ).
- (٤) هو أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي - راجع ترجمته تحت (ت ٦٣٤ هـ).
- (٥) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون (ت ٥٨٦ هـ) قبه مالكي، محدث، وكان مسند الأندلس (في علم الحديث وروايته).
- (٦) الحولاني - لعله أبو جعفر أحمد بن محمد بن الأبار الحولاني (ت ٤٣٣ هـ) - راجع ترجمته تحت.
- (٧) حاتم بن محمد؟
- (٨) تمام بن غالب النيباني (ت ٤٣٦ هـ) أديب لغوي أندلسي.
- (٩) هو أبو تمام حبيب بن أوس الشاعر العبّاسي المشهور.
- (١٠) أسناد غريب (فيه رجال مجهولون؟).
- (١١) «انتهى» موجودة في الأصل، ولعل في هذا النص في نفح الطيب شيئاً من التصرف.
- (١٢) البرج مجموعة من النجوم تمرّ بها الشمس في أثناء السنة. المنازل (جمع منزلة) المدد التي تقضيها الشمس في كلّ برج من البروج الأثني عشر.
- (١٣) يختلف مطلع الشمس على الأفق الشرقي بين فصل وفصل (في الصيف يكون أبعد إلى الشمال). قدر ميل الشمس (بين فصل وفصل عن كبد السماء). استواء الشمس (أعلى نقطة ترتفع إليها الشمس في السماء - في نصف الصيف). كلّما ارتفعت الشمس كان ظلّ الأشياء أقصر.

الظِّلَ عند استوائها، و (في) تصرّف الأزمان وتعاقِب الأيام بالزيادة والنقصان^(١) و (في) فصل البرد والحرّ وما يَبْنِيها من التوسُّط والاعتدال^(٢) و (في) ميقات كلِّ فصلٍ وعدَدِ أيامه على مذهب أهل التعديل والحساب ومذهب الأوائل^(٣) من الأطباء الذين حدّوا الأزمنة والطبائع^(٤)، إذ كان يَبْنِيهم في فصل السّنة اختلافٌ سيأتي عليه الاستِجلاب^(٥) ويَقَعُ في موضِعِهِ من هذا الكتاب، إن شاء الله؛ وذكر ما لا غنى عنه للناس من معرفة الزراعة وحين الفِراسة^(٦) وتعاهد كثير من أسباب الفِلاحة وإمكان جني الثّارات وضَمّ الذّخر والأقوات^(٧) وأبتداء نُضْج الفواكه ومواقيت النّتاج^(٨) وغير ذلك من مرافقِ الناس ومصالحهم، والأزمنة التي توافق تَنْقِيَةَ أجسامهم بالدواء والفصد^(٩) وأوقات جمع العقاقير والأشربة والمرَبّيات في أوانها وحين إمكانها^(١٠) و (في) علم تصرّف الرياح ومذاهبِ العرب في الأنواء والأمطار^(١١) إذ كانتِ (العرب) تُعْنَى بها وتَحْتَاج إلى تحديد مَطالِع النجوم ومَسَاطِعها^(١٢) والمُطِير والمُخَوِي^(١٣) منها لتَقْلِيْبِهِمْ في الطلَبِ للمعاشِر والانتقال إلى مواضع المياه^(١٤).....

- (١) تزايد طول النهار في الصيف (مع قصر الليل) وتزايد طول الليل في الشتاء (مع قصر النهار).
- (٢) من التوسُّط والاعتدال (حينما يتقارب الليل والنهار في الطول (في الربيع والخريف) يكون الجو معتدلاً (بين الحر والبرد).
- (٣) أهل التعديل والحساب (علماء الفلك). القدماء (من اليونانيين خاصة).
- (٤) حدّ (الأطباء) صلة طبيعة البشر (بالقوة أو بالمرض) بحسب فصول السنة (٤).
- (٥) الاستِجلاب (سيأتي ذكره في هذا الكتاب).
- (٦) الزرع للحبوب والنبات السنوي. والفرس للأشجار.
- (٧) ضَمّ الذّخر والأقوات (اتّخاذ الحبوب وغيرها للمؤونة).
- (٨) النّتاج: ولادة الأنعام (الغنم والأبل الخ).
- (٩) استعمال الأدوية بحسب الفصول (كالمسهل) أو الفصد أي استخراج الدم (في أول الربيع).
- (١٠) تخمير الأدوية (من البائات التي تنضج في الفصول المختلفة) والأشربة (من منقوع النبات) والمرَبّيات تكتيف عصير الفواكه، كلٌّ بحسب أوانه (زمانه).
- (١١) النّوء: الزمن الذي يكون فيه سقوط المطر (وصلة ذلك بظهور عدد من النجوم في السماء).
- (١٢) مطالع النجوم (الزمن الذي تبدو النجوم فيه ظاهرة في السماء مدّة طويلة أو قصيرة. المساط: غياب النجوم من السماء).
- (١٣) المخوى: الزمن أو الشهر لا يكون فيه مطر.
- (١٤) بسبب رحلة البدو (تنقلهم في البادية وراء الماء والعشب).

صلة تاريخ الطبري (دي خويه)، ليدن (بريل) ١٨٩٧ م؛ في الجزء الثاني عشر من تاريخ الرسل والملوك للطبري (ملحق)، مصر (المطبعة الحسينية ١٣٣٦).

- تقويم قرطبة (بالعربية مع ترجمة فرنسية) (نشره دوزي)، ليدن (بريل)، الطبعة الثانية (شارل بلا)، ١٩٦١ م.

* * الذيل والتكملة ٥ : ١ : ١٤١ - ١٤٣ نفح الطيب ٣ : ١٣٤ ، ١٨٢ دائرة المعارف الإسلامية ١ : ٦٢٨ بروكلمن ١ : ١٤٩ (السطر الخامس)، الملحق ١ : ٢١٧ (السطر الخامس والعشرين)، بالثنيا ٤٨٧ - ٤٨٨ الأعلام للزركلي (٤ : ٢٢٧).

جعفر المصنف

١- هو أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيلة من بربر بَنَسِيَّة، بدأ حياته العامة بأن كان مُؤدِّباً للحَكَم بن عبد الرحمن الناصر. ثم إنَّ الناصر ولَّاه على جزيرة ميورقة. ولما جاء الحَكَم إلى الخلافة (٣٥٠ هـ) استوزره. لم يكن جعفر المصنف حذيراً من دهره فاستنام إلى الأيام ونثر أهله في مرافق الدولة. ودخلَ محمد بن أبي عامر (ت ٣٩٢) في خدمة الدولة فأدركَ أنه لا يستطيع الوصولَ إلى هدفه من الاستبداد بالدولة إلا إذا أزاح المصنف من طريقه. فلما توفَّى الحَكَم المُستنصر وخلفه أبنته هشامُ كان هشامُ وفيّاً لذكرى أبيه فرَفَعَ المصنف إلى رُتَبَةِ الحِجَابَةِ (رئاسة الوزارة)، في عاشر صَفَر من سَنَةِ ٣٦٦ (٧ / ٩ / ٩٧٦ م)، بعدَ مجيئه إلى الخلافة بِبَضْعَةِ أَيَّامٍ.

غير أنَّ محمد بن أبي عامر - وكان قد نالَ حظوةً عند صُبحِ أمِّ هشامٍ وأصبح له سلطةٌ على هشامٍ نفسه - ما زال بهشامٍ القاصرِ حتَّى أمرَ هشامُ بِصَرْفِ المصنف من الحِجَابَةِ، في ثالثَ عَشَرَ صَفَرَ من سَنَةِ ٣٦٧ (٢٥ / ٣ / ٩٧٨ م) وبَنَكْبَةِ المصنف وأهله. وبدأ محمد بن أبي عامر - وكان قد استولى على الدولة وتسمَّى المنصور - بِصَادِرِ أموالِ المصنف وأموالِ أهله ويقتلُ نفراً منهم. ثم إنه ألقى جعفر المصنف نفسه في السجن وأمرَ أخيراً بِقَتْلِهِ سَنَةَ ٣٧٢ (٩٨٢ - ٩٨٣ م).

٢- كان جعفر المصحفي أحد شعراء الأندلس المحسنين المتصرفين في أنواع الشعر من المديح والخمر والأوصاف والغزل غاية في كل ذلك في الرقة والإبداع والحسن، وكان يقول مُرتَجِلاً (البيان المغرب ٢: ٢٥٤) وهو شاعرٌ مُكثِرٌ.

٣- مختارات من شعره

- قال المصحفي في نكبتِه:

تأملتُ صَرَفَ الحادِثاتِ فلم أزلْ	أراها تُوافي عندَ مَقْصِدِها الحُرَّاءَ ^(١) .
فله أيا مَضَّتْ لِسَبِيلِها،	فإنِّي لا أنسى لها أبداً ذِكْراً.
تجافَتْ بها عَنَّا الحوادثُ بُرْهَةً	وأبَدَتْ لنا منها الطَّلَاقَ والبِشْرا ^(٢) ؛
ليالي لم يَدِرِ الزمانُ مَكَانَنا،	ولا نَظَرَتْ مِنّا حَوادِثُهُ شِراً.
وما هذه الأيامُ إِلَّا سَحائبٌ	على كُلِّ حالٍ تُمَطِّرُ الخَيْرَ والشرَّ.
* أَجاري الزمانَ على حالِهِ	مُجَاراةَ نَفْسي لأنفاسِها ^(٣) .
إذا نَفْسٌ صاعِدٌ شَفْها	توارَتْ به بين جَلالِها ^(٤) .
وإن عَكَفْتُ نَكْبَةً للزمانِ	عَكَفْتُ بِصَدْرِي على رأسِها ^(٥) .
* لا تَأْمَنَنَّ مِنَ الزمانِ تَقَلُّباً؛	إنَّ الزمانَ بأهلِهِ يَتَقَلَّبُ.
ولقد أراني والليوثُ تَخافُني،	فأخافُني من بَعْدِ ذاكِ التَّعَلُّبِ ^(٦) .
حَسْبُ الكَرِيمِ مَذَلَّةٌ ونَقِصَةٌ	ألا يَزَالُ إلى لَئيمٍ يَطلُبُ.
وإذا أَتَتْ أُعْجوبةٌ فَاضِرٌ لها،	فالدهرُ يأتي- بعدُ- ما هو أَعْجَبُ.
* لي مُدَّةٌ لا بَدَأُ أَبْلُغُها؛	فلإذا انقَضَتْ أَيامُها مِتُّ.

(١) صرف الحادِثات: المصائب.

(٢) تجافى: ابتعد، تجسّب.

(٣) أسلك مع الزمان كما يتبغى، مجازاة نفسي لأنفاسها (تماماً).

(٤) شَفْها: أصابها فأغفلها أو أضعفها. نوارت به بين جلالها (كتمته عنّ حولها، عن الناس).

(٥) إذا نزلت في مصيبة قضيت على تلك المصيبة (صبرت عليها).

(٦) لعلّه يشير إلى التصور بن أبي عامر.

لو قابلتني الأسدُ ضاريةً - والموتُ لم يُقدِرْ - لما خِفْتُ^(١).
 فانظرْ إليَّ وكنْ على حَدَرٍ، فَيُمَثِّلُ حَالِكَ أَمْسٍ قد كُنْتُ.
 * صَبَرْتُ على الأيامِ حتَّى تَوَلَّتْ؛ وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَمَرَّتِ.
 فَوَاعَجِبًا لِلْقَلْبِ، كيف اعترافه، وَلِلنَّفْسِ بَعْدَ الْعِزِّ كيف استذَلَّتِ.
 وما النفسُ إِلَّا حيثُ يَجْعَلُهَا الْفَقْ؛ فَإِنْ طَمِعَتْ نَاقَتْ وَإِلَّا تَسَلَّتْ^(٢).
 وكانتْ على الأيامِ نَفْسِي عَزِيزَةً، فَلَمَّا رَأْتُ صَبْرِي على الذُّلِّ ذَلَّتْ.
 فَقُلْتُ لها: يا نفسُ، مَوْتِي كَرِيمَةٌ؛ فَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَنَا تَمَّ وَلَّتْ.

- وقال المصنفُ يُعْرَضُ بالمتنصُرِ ابن أبي عامرٍ (لأنَّه هو الذي كان قد ساعدَ

على تقديم ابن أبي عامرٍ في مراتبِ الدولة):

غَرَسْتُ قُضِيْبًا خِلْتُهُ عُوْدَ كَرَمَةٍ وَكُنْتُ عَلَيْهِ فِي الْحَوَادِثِ قَيًّا^(٣).
 وَأَكْرَمَهُ دَهْرِي فَيَزِدَادُ خُبْنَهُ؛ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَصْلٍ كَرِيمٍ تَكْرَمًا.
 - وقال في كِتَابِ السَّرِّ:

يَا ذَا الَّذِي أُوْدَعَنِي سِرَّهُ، لَا تَرْجُ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنِّي.
 لَمْ أَجِرْهُ بَعْدَكَ فِي خَاطِرِي، كَأَنَّهُ مَا مَرَّ فِي أُذُنِي.

- ولِجَعْفَرِ بْنِ عُثْمَانَ الْمُصْحَفِيِّ فِي الْفَزْلِ وَالنَّسِيبِ:

أَمَّا، وَالْهَوَى، مَا كُنْتُ أَغْرِفُ مَا الْهَوَى وَلَا مَا دَوَاعِي الشَّوْقِ حَتَّى تَكَلَّمَ.
 دَعَانِي بَلْفَظٍ لَوْ دَعَا يَذْبُلًا بِهِ لِلْبَيَاءِ مُشْتَقًّا وَوَأَفَاهُ مُفْرَمًا^(٤).

(١) الأسد الضاري (الجانح) لأنه يكون أكثر شراسة وأكثر جرأة.

(٢) ناقة: اشتاقت، رغب.

(٣) عود كرمة (عنب)، أي طنته غرة كرمة نبيلة.

(٤) يذبل اسم جبل.

* إِنَّ فَاةَ أَشْرَبَتِ الضُّلُوعَ هَوَى
 لَا تُتَكْرَمُ كَلَفَ الضُّلُوعَ بِهِ
 * لَعَيْنِيكَ فِي قَلْبِي عَلَيَّ عُيُونُ،
 لَنْ كَانَ جَسْمِي مُخْتَلَقًا فِي يَدِ الْمَوَى،
 نَصِيبي مِنَ الدُّنْيَا هَوَاكَ، وَإِنَّهُ
 - وَلَمَّا فِي وَصْفِ الْحَمْرِ:

صَفْرَاءُ تَطْرُقُ فِي الرُّجَاجِ، فَإِنْ سَرَتْ
 عَبَثَ الزَّمَانِ بِجَسْمِهَا فَتَسْتَرَتْ
 خَفِيَّتَ عَلَى شَرَابِهَا فَكَأَنَّا
 فِي الْجِسْمِ دَبَّتْ مِثْلَ صَيْلٍ لَادَغٍ^(١)
 عَنْ عَيْنِهِ بِرِدَاءِ نَوْرِ سَابِغٍ
 يَجِدُونَ رِيًّا فِي إِنَاءٍ فَارِغٍ

٤- * مطمح الأنفس؛ جذوة المقتبس ١٧٥-١٧٦ (الدار المصرية) ١٨٧-١٨٨ (رقم ٣٥٣)، بغية اللئس ٢٤٠ (رقم ٦١٤)، الحلة السراء ٢٥٧ وما بعد، نفح الطيب ٤٠٢:١ وما بعد ٥٩٢-٥٩٤، ٨٦:٣، ٩٠، ٥، ٦٠٠-٦٠٢، ٤:١٦، الذخيرة ٤٦:٤:١ وما بعد، البيان المغرب ٢:٢٥٤ وما بعد، نيكل ٤٩-٥١، الأعلام للزركلي ١١٩:٢ (١٢٥).

ابن أبي حنيفة النعمان

١- هو أبو الحسن عليُّ بن أبي حنيفة النُّعْمَانُ الْقَيَّرَوَانِيُّ^(١)، وَلَدَ (في القيروان) في ربيع الأول من سنة ٣٢٩ (خريف ٨٤٣ م) ونشأ فيها. انتقل إلى القاهرة في صحبة

-
- (١) الكلف: شدة التعلق بالحبوب. الوجيب: الحفنان.
 (٢) الشجن (يفتح ففتح): الحزن.
 (٣) علق: متهرئ. غص: طري، جديد.
 (٤) صفراء (خر) تطرق (٩) والملموع أن معناها: تها. الصل: الهيئة الخبيثة، الشديدة السم. لادغ (وهو بلدغ): يضرب بنابه.
 (٥) الملموع أنه ابن القاضي النعمان بن محمد (ت ٣٦٣ هـ) واضع المذهب الفاطمي ومؤلف ودعم الإسلام - انظر أعلاه ص ٢٧٧ -

المُعزِّ الفاطمي، سَنَة ٣٥٨ هـ. ثم تَوَلَّى القضاء في جميع البلاد التي كانت خاضعةً للنفوذ الفاطمي. وكانت وفاته في سادسِ رَجَبٍ من سَنَةِ ٣٧٤ (٤ / ١٢ / ٩٨٥ م) ودُفِنَ في القَرافة (مصر).

٢- كان ابنُ أبي حنيفةَ النعمانِ عارفاً بفنونٍ كثيرةٍ منها القضاء والفقه والنحو والأدب. وكان شاعراً وُجِدَ نائياً تَغَلَّبَ عليه الصِّناعةُ. ومن فنونه الحكمةُ والنسبُ.

٣- مختارات من شعره

- قال ابنُ أبي حنيفةَ النعمانِ في صديق له صدوق:

ولي صديقٌ ما مَسَّنِي عَدَمٌ مُذْ وَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى عَدَمِي ^(١).
أَغْنَى وَأَقْنَى، وما يُكَلِّفُنِي تَقْبِيلَ كَفٍّ لَهُ وَلَا قَدَمٍ ^(٢).
قام بأمرِي لَمَّا قَعَدْتُ بِهِ؛ وَنَمْتُ عَنْ حَاجَتِي وَلَمْ يَنْمَ ^(٣).

- وله في النسبِ مَعَ الإشاراتِ البارعةِ إلى مناسِكِ الْحَجِّ على سبيلِ الموازنةِ والجناسِ:

رُبُّ خَوْدٍ عَرَفْتُ فِي عُرَفَاتِ سَلَبْتَنِي بِحُسْنِهَا حَنَايَ ^(١).
حَرَمْتُ، حِينَ أُحْرِمْتُ، نَوْمَ عَيْنِي وَاسْتَبَاحْتُ حَيَّيَ بِاللَّحْظَاتِ ^(٢).
وَأَفَاضْتُ مَعَ الْحَجِيجِ فَفَاضَتْ مِنْ جُفُونِي سَوَائِقُ الْعَبَرَاتِ ^(٣).
وَلَقَدْ أَضْرَمْتُ عَلَى الْقَلْبِ جُزْأً مُحْرِقاً إِذْ مَشَتْ إِلَى الْجَمَرَاتِ ^(٤).

(١) العدم: الفقر. مَذْ عَرَفْتُ أَنِّي فَقِيرٌ أَغْنَانِي.

(٢) أَقْنَى: جَمَلٌ لِي مَا أَقْنَيْتَنِي (أَمْلَكُهُ، نَرَوْهُ). وَلَمْ يَطْلُبْ مِنِّي أَنْ أَتَدَلَّلَ لَهُ.

(٣) قَعَدْتُ بِأَمْرِي: عَجَزْتُ عَنْ تَدْبِيرِ أُمُورِي.

(٤) الخود: المرأةُ الجميلة. عُرَفَات: هَضْبَةٌ شَرْقُ مَكَّةَ يَقِفُ عَلَيْهَا الْحَجَّاجُ.

(٥) أُحْرِمْتُ: دَخَلْتُ فِي الْإِحْرَامِ (نِيَّةُ الْقِيَامِ بِالْحَجِّ).

(٦) أَفَاضَ الْحَجِيجُ: رَجَعُوا مِنَ الْوُقُوفِ بِعُرَفَاتِ.

(٧) الجمرات: سَبْعُ حَصَى صَغِيرَةٍ يَرْمِي بِهَا كُلُّ حَاجٍ فِي الْمُحْصَبِ (حِينَ ذَهَبَتْ لِرَمِيِ الْجَاهِرِ أَوِ الْجُمَرَاتِ).

لم أنل من مَنى النفسِ حتَّى خِفْتُ بالخَيْفِ أن تكونَ وفاتي^(١).

٤- * * وفیات الأعیان ٥: ٤١٧-٤١٩ عنوان الأريب ١: ٣٧-٣٨.

أحمد بن قرقمان^(٢)

هُوَ أَبُو عُمَرَ أَحْمَدُ بْنُ قَرْقُمَانَ مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةٍ، سَمِعَ مِنْ قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغَ (ت ٣٤٠ هـ) وَالْحَسَنِ بْنِ سَعْدٍ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ثَامِنَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٣٧٧ (٨/ ٤ / ٩٨٨ م).

قال ابنُ الفَرَضِيِّ: «كَانَ (ابنُ قَرْقُمَانَ هَذَا) حَافِظًا لِلْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ، وَكَانَ يُؤَدِّبُ^(٣) بِالْقُرْآنِ. وَكَانَ مِنَ الْعُبَادِ الْمُتَبَتِّلِينَ، لَقِيَتْهُ وَلَمْ أُكْتَبْ عَنْهُ، وَلَا حَدَّثَ فِيهَا أُعْلَمُ».

٤- * * ابن الفرضي ١: ٦٧ (رقم ١٨٢)، أعمال الأعلام ٥٠.

(١) بعد الوقوف في عرفات بيت الحجّاج ليلة في منى ثم يتابعون سيرهم إلى مكة لطواف الإفاضة. الخيف مكان قرب منى.

(٢) للدكتور احسان عباس في «كتاب التشبيهات» (ص ٣٢٥) تعليق قيم على الأبيات التالية (ص ٢١، رقم ١٠).

أرى أرجل الجوزاء غير بوارح وأيدي الثريا كالسقيم صحبهما.
وهمت ولم تقض السبيل كأنها من الأين صرعي أنخنيتها جروحها.
وللبدر إشراق عليها كأنه رقيب على ألا يتم جنوحها.

قال في تعريف قائلها عيسى بن قرقمان: «عيسى بن عبد الله بن قرقمان (بالزاي) أبو الأصبغ الخازن الملقب بالزبربركة.... شاعر مشهور....، ويرد اسمه ابن قرقمان (بالراء المهملة في بعض المصادر). وكان واحداً من الذين اعتقلهم صاحب المدينة (رئيس الشرطة) عام ٣٦١ لأنهم يجتمعون على (نظم أشعار في المهجاء يتناولون بها أعراض الناس). وذكر الزبيدي من اسمه فرج أبو محمد ابن قرقمان (قرلمان في المطبوعة) وقال: وكان الأغلب عليه علم النجوم وكان شاعراً مطبوعاً وسكن إشبيلية.... وهنالك ابن قرقمان آخر هو عبيد الله وكان من موالى عبد الرحمن بن الحكم (المتوفى ٢٣٨ هـ) والمختصين به وكان شاعراً أيضاً». (انتهى تعليق احسان عباس موجزاً). وفي النسخة التي بين يدي من «طبقات النحويين واللغويين» (تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مصر ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م، ص ٣٣٤): قرلمان (بالفاء والزاي) ثم ضححت في التصويبات (ص ٤٠٨): قرلمان (بالقاف وبالزاي أخت الراء). ويبدو أن ابن قرقمان الذي ترجم له هنا غير هؤلاء الثلاثة (راجع المصادر والمراجع). ثم إنني أنضّل ضبط الاسم قرلمان (أو على الأصح: قارلمان: قارله مانيوس أو قارل الكبير).

(٣) يؤدّب بالقرآن: يقرئ القرآن للصبيان (في بيوتهم).

أبو بكر الزبيدي

١- هو أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢٠) بن عبد الله بن مذجع بن محمد بن عبد الله بن بشر الزبيدي الإشبيلي، وُلِدَ في إشبيلية، سنة ٣١٦ هـ (٩٢٨ م) ودرَسَ في قرطبة على نفرٍ منهم: قاسم بن أصبغ (ت ٣٤٠ هـ) وأبو عثمان سعيد بن فحلون (٢٥٢-٣٤٦ هـ) وأحمد بن سعيد بن حزم (ت ٣٥٠) وأبو عليّ القالي (ت ٣٥٦) ومحمد بن يحيى الرباحي (ت ٣٥٨).

عهدَ الحكمُ المُستنصر إلى أبي بكر الزبيدي^(١) بتأديب وليّ عهده هشام (وُلِدَ سنة ٣٥٤)، فعلمه الزبيدي الحساب والعربية. ولما جاء هشامُ إلى الخلافة (٣٦٦ هـ) جعل أبا بكر الزبيدي قاضياً في إشبيلية (بروكلمان ١: ١٤٠)، ولعله في ذلك الحين تولى أيضاً خطة الشرطة. ثم ألف أبو بكر الزبيدي كتاباً في الردّ على مذهب محمد بن عبد الله بن مسرة (٣١٩ هـ)، وكان مذهبه مزيجاً من آراء المعتزلة ومن الآراء الإشراقية والباطنية والصوفية. ولعله بدأ تأليف هذا الكتاب بعد استبداد المنصور ابن أبي عامر بالحكم (٣٦٧ هـ)، لأنّ المنصور كان ينصرُ مذهب أهل السنة ويكره مذهب الفلاسفة.

وكانت وفاة أبي بكر الزبيدي في إشبيلية، في أول جُهادي الثانية من سنة ٣٧٩ (٩٨٩ / ٩ / ٦ م).

٢- قال ابن خلكان (٤: ٣٧٢) عن أبي بكر الزبيدي: «كان أوحَدَ عصره في علم النحو وحفظ اللغة، وكان أخبرَ أهل زمانه بالإعراب والمعاني والنوادر (الألفاظ القليلة الاستعمال) إلى علم السير والأخبار. وله كتب تدلّ على وفور علمه». والزبيدي شاعرٌ مكثرٌ تغلّب على شعره نفحةٌ من التصوّف وأكثرُ فنونه الزهد والحكمة مع شيءٍ من التعريض والتهكم. وله شيءٌ من الغزل والنسيب والشكوى. ومن كتبه: مختصرُ كتاب العين (للخليل بن أحمد) - طبقات النحويّين واللغويّين

(١) منتصف ذي القعدة من سنة ٣٦٢ (١٦ / ٨ / ٩٧٣ م)

(بالمشرق والأندلس من زمن أبي الأسود الدؤلي إلى زمن شيخه أبي عبد الله الرباحي النحوي) - هتك ستور الملحدين (في الرد على ابن مسرّة وأتباعه) - كتاب لحن العامّة (ما يلحن فيه عوامّ الأندلس) - كتاب الواضح (في العربية: النحو) - كتاب الأبنية (في النحو).

٣- مختارات من آثاره

- اشتاق أبو بكر الزبيدي - وهو في قرطبة - إلى إشبيلية فاستأذن أمير المؤمنين الحكم في الرجوع فلم يأذن له، فكتب أبو بكر إلى جارية له اسمها سلمى في إشبيلية:

وَبَحْكَ، يَا سَلَمُ، لَا تُرَاعِي؛ لَا بُدَّ لِلْبَيْنِ مِنْ زَمَاعٍ^(١).
لَا تَحْسَبَنَّ صَبْرْتُ إِلَّا كَصَبْرِ مَيْتٍ عَلَى النِّزَاعِ^(٢).
مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ عَذَابٍ أَشَدَّ مِنْ وَقْفَةِ الْوَدَاعِ.

- من مقدّمة كتاب طبقات النحويين واللغويين:

..... ولم تزل العرب تنطق على سجيّتها في صدر إسلامها وماضي جاهليّتها حتّى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان فدخل الناس فيه أفواجا وأقبلوا إليه أرسالا^(٣)، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة واللغات المختلفة ففسد الفساد في اللغة العربية، واستبان^(٤) منها الإعراب الذي هو حلّيتها والموضح لمعانيها..... فعظم الإشقاق من فشو ذلك وغلبته حتّى دعاها^(٥) الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم إلى أن سببوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه.

(١) لا تراعي: لا تخافي، لا ترهي. البين: البعاد، البعد، الفراغ. الزماع: المضاء في الأمر والعزم عليه.

لا بدّ للبين من زماع: لا بدّ من أن يوطن الإنسان نفسه على البين وبصر.

(٢) النزاع (بسكون الزاي): والنزاع (وليست في القاموس): قلع الحياة، خروج الروح من البدن.

(٣) الأرسال: الجماعات.

(٤) استبان: (في الأصل): وضع وظهر. ويقصد المؤلّف: ذهب (منها الإعراب).

(٥) دعا علماء اللغة.

ولم تزل الأئمة من الصحابة ومن تلاهم من التابعين يحضون على تعلم العربية وحفظها والرعاية لمانيها إذ هي من الدين بالمكان المعلوم: فيها أنزل الله كتابه المهيمن على سائر كتبه، وبها بلغ رسوله عليه السلام وظائف طاعته وشرائع نهيه. وكذلك كانوا يحضون على رواية الشعر الذي هو حكمة العرب في جاهليتها وإسلامها، وديوانها الذي أقامته مقام الكتاب^(١) لما تقدم من مآثرها وأيامها، فكانوا يتناشدونه في مجالسهم ويتذكرون به في محافلهم.....

وإن أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله - رضي الله عنه - لما اختصه الله به ومنحه الفضيلة فيه من العناية بضروب العلوم والإحاطة بصنوف الفنون، أمرني بتأليف كتاب يشتمل على ذكر من سلف من النحويين واللغويين في صدر الإسلام ثم من تلاهم من بعده... إلى زماننا هذا، وأن أطبقهم^(٢) على أزمانهم وبلادهم بحسب مذاهبهم في العلم ومراتبهم، و(أن) أذكر مع ذلك موالدهم وأسنانهم ومدد أعمارهم وتاريخ وفاتهم على قدر الإمكان في ذلك، وبحسب الإدراك له، وأجلب جملة من نتف أخبارهم والحكايات المتضمنة لفضائلهم المشتمة على محاسنهم ليكون ذلك شكراً لجميل سفيهم وحيد مقامهم، إذ كان ذلك من حقهم على من أدوا إليه علمهم وأعملوا في صلاحه جهدهم، وكان في تقييد أخبارهم وتخليد مآثرهم ما يبغي لهم لسان الصديق الذي هو بدل البقاء والخلد.....

- لأبي بكر الزبيدي مقطعات فيها لفئات بارعة. من هذه المقطعات:

أبا مُسلم، إنَّ الفتيَّ بجَنَانِهِ ويقولُه لا بالمراكبِ واللِّبْسِ^(٣)
وليس ثياب المرء تُغني قِلامَةً إذا كان مقصوراً على قِصرِ النفسِ^(٤).

(١) الكتاب: الكتابة والتدوين.

(٢) أجملهم طبقات، جماعات متقاربة في الزمن أو في المرتبة.

(٣) الجنان (بالفتح): القلب (العلم، الشجاعة، الخير الخ). القول: اللسان (حسن التعبير، الكلام الجميل).

الركب (الدابة): البرذون (بكر الباء وفتح الدال): البغل، الحصان، الخ. اللبس (بالكسر): ما

يلبس، الكسوة، الثوب.

(٤) تغني: تفيد. قلامة: ما يقطع عادة من الظفر. قصر النفس: على مقياس الجسم لدفع الحر أو البرد (٢).

وليس يُفِيد العلمَ والحِلْمَ والحِجَا، أبا مسلم، طولُ القمود على الكرسي^(١).
 ★ الفقر في أوطاننا غُرْبَةً، والمال في الغربة أوطانُ.
 والأرض شتَّى كلها واحد، والناس إخوان وجيران.
 ★ أتركِ الهمَّ إذا ما طَرَفَكَ، وكلِّ الأمرِ إلى مَنْ خلقَكَ^(٢).
 وإذا أَتَلَ قومٌ أحداً، فإلى ربِّكَ فامدُّ عُنُقَكَ^(٣).
 ما طلبتُ العلومَ إلَّا لأَني، لم أزل من فنونها في رياضِ.
 ما سواها له بقلبي حظٌّ، غيرَ ما كان للعيون المِراضِ^(٤).
 ★ أشعرنَ قلبَكَ يا ساءَ، ليس هذا الناسَ ناساً.
 ذَهَبَ الإبريز منهم، فَبَقُوا بمُــــدُّ نَحاسِ^(٥).
 سامريُّـــــــين يقولو، نَ جيمعاً: «لا مِساساً»^(٦).

٤- كتاب الاستدراك (باعثناء كويدي)، روما ١٨٩٠ م.

- طبقات النحويين واللغويين (تحقيق محمد أي الفضل إبراهيم)، مصر (محمد سامي أمين الحانجي)، ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م.

- لحن العوام (نشره رمضان عبد التّواب)، القاهرة (مكتبة دار العروبة) ١٩٦٤ م (تحقيق عبد العزيز مطر)، الكويت (مكتبة الأمل) ١٩٦٨ م.

★ * ابن الفرضي ٩٢: ٢ (رقم ١٣٥٥)؛ جذوة المقتبس ٤٣-٤٦؛ (الدار المصرية) ٤٦-٤٩ (رقم ٣٤) بغية الملتبس ٥٦-٥٧ (رقم ٨٠)؛ مطمح الأنفس ٥٣-٥٥؛ إنباء الرواة ٣: ١٠٨-١٠٩؛ الحمدون من الشعراء (حيدر آباد) ٢٥٠-٢٥٦؛ معجم الأدباء ١٨: ١٧٩-١٨٤؛ المغرب ١: ٢٥٠-٢٥١؛ وفيات الأعيان ٤: ٣٧٢-٣٧٤؛ الوافي

(١) الجلوس على الكرسي: احتلال المناصب الرفيعة كالوزارة والقضاء. إن نيل المناصب لا يجعل الإنسان عالماً ولا حلياً ولا عاقلاً.

(٢) طرفك الهم: أتى عليك ما يهلكك (يجزئك). كل (يكسر فسكون) فعل أمر من وكل: عهد (بالأمور) إلى، سلم، قوض.

(٣) امدد عنقك: ارفع رأسك بالدعاء.

(٤) العيون المراض (المريضة): الفاترة، الناعة.

(٥) الإبريز: الذهب.

(٦) «لا مِساس» (٣٠: ٩٧، سورة طه): لا تمسني (لا تطلب مني شيئاً).

باليوفيات ٢: ٣٥١؛ الديباج المذهب ٢٦٣؛ شذرات الذهب ٣: ٩٤-٩٥ بغية الوعاة
٣٤؛ نفح الطيب ٤: ٦-١٨ بروكلمن ١: ١٣٩-١٤٠، الملحق ١: ٢٠٣؛ نيكل ٤٦-
٤٧، مختارات نيكل ٣٤-٣٥؛ الأعلام للزركلي ٦: ٣١٢ (٨٢).

ابن جُلجل

١- هو أبو أيوب أبو داود سليمان بن حسان المعروف بابن جُلجل، يبدو أنه وُلِدَ
في قُرطبة سنة ٣٢٢ (٩٣٤ م).

بدأ ابن جُلجل تلقّي العلم باكراً، قال هو في العاشرة من عمره، فسمع الحديث
من أبي حزمٍ وهب بن مسرة (ت ٣٤٦) وأبي بكرٍ أحمد بن الفضل الدينوري (ت
٣٤٩ هـ) ومحمد بن هلالٍ وإسحاق بن إبراهيم ومن أحمد بن سعيد الصدقي المتجالي
(٢٧٤-٣٥٠ هـ) والأسعد بن عبد الوارث. وأخذ النحو عن محمد بن يحيى الرباحي
(ت ٣٥٨ هـ) قرأ عليه كتاب سيبويه في سنة ٣٥٨ نفسها. غير أن ابن جُلجل عُني
بالطب خاصة وبلغ منه الغاية وهو لا يزال في مطلع شبابه. إلا أن شهرته تأخرت
كثيراً حتى أصبح طبيباً للخليفة هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩ هـ).
ولعل وفاة ابن جُلجل كانت سنة ٣٨٥ (٩٩٥ م).

٢- يبدو أن ابن جُلجل قد عُني بعددٍ من فنون المعرفة. ومع أنه اهتم بعلم
الطب خاصة، فالواضح أنه كان أقدر على التأليف منه على التطبيق. له من
الكتب: تفسير أسئلة الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس (العين زربي)- مقالة في
ذكر الأدوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتاب صناعة الطب- مقالة في أدوية
الترياق- رسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المتطببين- طبقات الأطباء والحكام
(ألفه سنة ٣٧٧).

٣- مختارات من آثاره

- مقدمة كتاب «طبقات الأطباء والحكام» لابن جُلجل، ثم خاتمه^(١):

سألت، أيها الشريف الأديب^(٢)، أن أكتب إليك يا تاذي إلي علمه، مما

(١) ص ٤١-٤٢ ص ١١٦- هذه الترجمة ومعظم حواشي المختارات مأخوذان من طبعة فؤاد سيد لكتاب
«طبقات الأطباء والحكام».

(٢) لم يسم ابن جُلجل «الشريف» الذي ألف هذا الكتاب برسمه وقدمه إليه، وإن كان الملموح أنه أحد
أبناء الخلفاء المرصين في الأندلس.

تَصَفَّحْتُ مِنْ كُتُبِ الْمَاضِينَ وَسَيَرِ الْمُتَقَدِّمِينَ، عَنْ أَوَّلِ مَنْ وَضَعَ صِنَاعَةَ الطِّبِّ وَتَكَلَّمَ فِيهَا فِي بَنَةِ الزَّمَانِ وَقَبْلَ الطُّوفَانِ وَبَعْدَهُ، وَفِي أَيِّ زَمَانٍ كَانَ كُلُّ مِتَكَلَّمٍ فِيهِ مِّنْ شَعْنِ اسْمِهِ وَفَاشَا ذِكْرَهُ^(١) وَصَحَّتْ بَرَاعَتُهُ وَتَمَّتْ حِكْمَتُهُ وَخَلَدَ عِلْمًا نَافِعًا وَذَكَرًا بَاقِيًا.

وَذَكَرْتَ أَنَّكَ لَمْ تَرَ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي ذَلِكَ كِتَابًا مَرَضِيًّا وَلَا كَلَامًا مُفْنِعًا مُشَبِّهًا، فَصَادَفْتَ مِنِّي نَشَاطًا إِلَى تَقْيِيدِ مَا سَأَلْتَ وَرَغِبْتَ، إِذْ كَانَ عِنْدِي مَا رَجَوْتَ أَنْ أَحْسِمَ بِهِ عَنْكَ الشُّبْهَةَ وَأُبَلِّغَكَ مِنْ ذَلِكَ الْغَايَةَ^(٢)، إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ وَلَمَّا رَجَوْتَ مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ مِنْ إِحْيَا ذِكْرٍ قَوْمٍ قَدْ دَرَسَ ذِكْرُهُمْ وَآمَحَى أَثَرُهُمْ. وَلَمْ أَصِلْ، أَيُّهَا الشَّرِيفُ، إِلَى عِلْمٍ مَا قَيَّدْتَهُ لَكَ فِي رِسَالَتِي هَذِهِ إِلَّا بَعْدَ النَّظَرِ وَالبَحْثِ لِلْكِتَابِ الْقَدِيمَةِ كِكِتَابِ الْأُلُوفِ لِأَبِي مَفْشَرِ النَجْمِ^(٣) وَكِتَابِ هَرُوسِيَشِ صَاحِبِ الْقِصَصِ^(٤) وَكِتَابِ الْقُرَوَانِقَةِ لِيرُومَ التَّرْجُمَانِ^(٥) وَكَأَخْبَارِ رَأْيَتِهَا لِحِكْمَاءِ الْيُونَانِيَةِ أَسْتَدَلْتُ بِهَا عَلَى مَكَانٍ كُلِّ حَكِيمٍ مِنْهُمْ وَدَرَجَتِهِ وَفِي دَوْلَةٍ مِنْ كَانَ مِنَ الْمُلُوكِ.

فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى عِلْمِ ذَلِكَ - وَكَانَ السَّبَبُ فِي تَأْلِيفِي هَذَا الْكِتَابِ تَحْرِيكًا لِي - لَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي عُذْرًا فِي التَّخَلُّفِ عَنْ إِسْعَافِكَ فِيمَا سَأَلْتَهُ وَرَغِبْتَهُ. فَقَيَّدْتُ ذَلِكَ وَوَجَّهْتُ بِهِ إِلَيْكَ. فَكُنْ بِهِ سَعِيدًا، وَمِنْ اللَّهِ مُوَفَّقًا رَشِيدًا. فَقَدْ نَحَلَّكَ بَارِيكَ بِنِخْلَةٍ^(٦) مِنَ الْعُلَا فَضَّلَكَ بِهَا مِنْ ذَوِي الِهْمَمِ النَاقِصَةِ الْمُظْلَمَةِ، كَمَا قَالَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْإِنْجِيلِ

(١) شَعْنٌ (كَذَا فِي الْأَصْلِ). وَالْمَقْصُودُ «شَاعَ». فَاشَا ذِكْرَهُ: اُنْتَشَرَ صِبْته.

(٢) حَسْمُ الشُّبْهَةِ: بَيِّنَ الْأَمْرَ الْمُخْتَلَفَ فِيهِ، رَدَّ الْبَاحِثَ إِلَى الْيَقِينِ. بَلَّغَ الْغَايَةَ: مَنتهى مَا يَهْصِلُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ (مِنْ الصَّوَابِ).

(٣) أَبُو مَفْشَرِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَلَاسْكِيَّ (ت ٢٧٢ هـ) لَهُ كِتَابُ الْأُلُوفِ فِي بَيوتِ الْعِبَادَاتِ (فِيهِ ذِكْرُ الْهَيَاكِلِ وَالبَنِيَانِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَحْدُثُ بِنَاؤُهَا فِي الْعَالَمِ فِي كُلِّ أَلْفِ عَامٍ).

(٤) هَرُوسِيَشِ أَوْ بَاوُلُوسُ أَوُرُوسِيُوسُ مُؤَرِّخُ إِسْبَانِي عَاشَ فِي الْقَرْنَيْنِ الرَّابِعِ وَالخَامِسِ الْمِيلَادِيَيْنِ. وَكِتَابُ الْقِصَصِ كِتَابٌ فِي تَارِيخِ الرُّومِ فِي الْعَصُورِ الْقَدِيمَةِ.

(٥) الْقَدِّيسُ يِرُومُ (جِيروم) أَحَدُ عُلَمَاءِ الْكَنِيسَةِ فِي عَصْرِهِ (ت ٤٢٠ هـ) لَهُ كِتَابُ قُرُونِيَقَا أَوْ «حَوَالِيَاتُ» (كِتَابُ تَارِيخٍ مَرْتَّبٍ عَلَى السَّنِينَ).

(٦) نَحَلَّكَ (وَهَبَكَ) (بَارِيكَ: خَالَقُكَ).....

الطاهر: كل نِخْلَةٍ يُوهَبُهَا الشَّخْصُ مِنَ الْعَقْلِ فَيَهِيَ نَازِلَةٌ مِنْ بَابِ النُّورِ مِنَ الْعُلَا^(١).
فاشكر الله على مَوْهَبَتِهِ، وَجَدَّه عَلَى نِخْلَتِهِ، وَاضَرَّعْ إِلَيْهِ فِي الْإِسْتِزَادَةِ مِنْ فَضْلِهِ
فَالْعَوْنُ مِنْهُ وَبِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ.....

.... قد ذكرتُ، أَيُّهَا الشَّرِيفُ، مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمِي وَبَلَّغَهُ إِدْرَاكِي مِنْ وَصْفِ
الْحُكَمَاءِ وَالْأَطْبَاءِ الْمَشْهُورِينَ غَيْرِ الْمَشْكُوكِ فِيهِمْ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الزَّمَانِ
الَّذِي كُنَّا فِيهِ وَهُوَ زَمَنُ الْمُؤَيَّدِ بِاللَّهِ بِحُوزَةِ الْأَنْدَلُسِ^(٢). وَذَكَرْنَا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ. وَلَمْ نَذْكُرْ مَنْ كَانَ بِالْمَشْرِقِ مَشْهُورًا - مِنْ لَدُنْ دَوْلَةِ الرَّاضِي إِلَى أَيَّامِ الطَّائِعِ
لِلَّهِ^(٣) - إِذْ لَمْ تَكُنْ حَوَازِنَا وَلَا جِهَتُنَا، وَلَا ظَهَرَ رَجُلٌ بَارِعٌ فِي تِلْكَ الدَّوَلِ فَيَكُونُ
مَعْرُوفًا بِرِثَاسَتِهِ وَمَشْهُورًا بِإِحْسَانِهِ مَعَ تَرَاحِي تِلْكَ الدَّوَلِ بِمَا دَخَلَ فِيهَا مِنْ مُلْكِ
الدَّيْلَمِ وَالْأَتْرَاقِ الَّذِينَ لَا نَفَاقَ^(٤) لَشَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ عِنْدَهُمْ. وَإِنَّا يَظْهَرُ الْحُكَمَاءُ بِظُهُورِ
دَوَلِ الْمُلُوكِ الطَّالِبِينَ لِلْحِكْمَةِ. وَاقْتَصَرْنَا عَلَى مَنْ عَرَفْنَا بِنَاجِيَتِنَا بِالْأَنْدَلُسِ إِذْ كَانُوا
مَشْهُورِينَ مَعْرُوفِينَ ظَاهِرِينَ فِي دَوَلِ أَيْمَةِ الْعِلْمِ طَالِبِينَ وَعَنِ الْحِكْمَةِ بَاحْثِينَ، مُلُوكِ
أَبْنَاءِ مُلُوكِ^(٥). وَاقْتَصَرْنَا عَلَى ذِكْرِ الْمَشْهُورِينَ الظَّاهِرِينَ الْخَادِمِينَ، وَأَضْرَبْنَا عَنْ ذِكْرِ
مَنْ كَانَ فِي زَمَانِهِمْ يَمِّنُ لَمْ يُؤَازِرْهُمْ وَلَا حَلَّ مَحَلَّتْهُمْ، إِذْ لَمْ يَكُونُوا فِي اتِّسَاعِ الذِّكْرِ مِثْلَ
هَؤُلَاءِ. وَوَصَفْتُ صِفَاتِهِمْ وَأَقْدَارَهُمْ وَمَا ظَهَرَ لَهُمْ مِنَ النُّوَادِرِ وَالْأَخْبَارِ. وَاقْتَصَرْنَا
عَلَى قَلِيلٍ مِنْ كَثِيرٍ لِئَلَّا يَمَلَّ قَارِئُهُ وَلِيَسَهَّلَ عَلَى النَّفْسِ حِفْظُهُ. وَالْكَلَامُ إِذَا طَالَ
تَقَلَّ. وَحَسْبُنَا أَنْ نَبْهِنَا وَأَنْبَانَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِأَحْسَنِهِ وَأَخَفِّهِ.....

٤- طبقات الأطباء والحكماء (بتحقيق فؤاد سيّد)، القاهرة (مطبوعات المعهد الفرنسي

-
- (١) ترد في المصادر العربية أعداد (جل) من التوراة ومن الإنجيل مختلفة كثيراً أو قليلاً أو غير معروفة
في التوراة والأنجيل الموجودة بأيدي الناس.
- (٢) المؤيد بالله: هشام الثاني بن الحكم (عاشر خلفاء الأندلس ٣٦٦ - ٣٩٩ هـ). حوزة الأندلس (ناحية
الأندلس، ملك الأندلس).
- (٢) الراضي بالله العبّاسي (٣٢٢ - ٣٢٩ هـ) والطائع لله العبّاسي (٣٦٣ - ٣٨١ هـ).
- (٤) النفاق (يفتح النون): الزواج، الانتشار، الاقبال على الأشياء.
- (٥) ملوك أبناء ملوك (كذا في الأصل)، والأصوب «ملوكاً أبناء ملوك».

للآثار الشرقية: نصوص ونقول لمؤلفين مشاورة، رقم ١٠)، القاهرة (مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية) ١٩٥٥ م؛ بغداد مكتبة المثنى.

★ * جذوة المقتبس ٢٠٨ (الدار المصرية) ٢٢٥ (رقم ٤٥٣)، بغية الملتبس ٢٨٥ (رقم ٧٦٧)، وفيات الأعيان ١٦٠:٥ (نقول عنه)، طبقات الأطباء ١: ٢١، ٢٧، ٢٨، ٤٩، ٥٤، ٧٧، ٨٠ (نقول عنه لا ترجمة له)، القفطي ١٩٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٥٥-٧٥٦، تاريخ الفكر الأندلسي ٤٦٥؛ بروكلمن ١: ٢٧٢، الملحق ١: ٤٢٢؛ الأعلام للزركلي (١٩٧٩) ٣: ١٢٣.

ابن أبي زيد القيرواني

١- هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن القيرواني النّفْزِيّ، نسبةً إلى قبيلة نَفْزَة أو نَفْزَاوَة، وُلِدَ في القيروان سنة ٣١٠ (٩٢٢-٩٢٣ م) وتعلم على أبي بكر محمد بن أحمد بن اللباد (ت ٣٣٣) وعلى غيره.

رَحَلَ ابنُ أبي زيدٍ إلى المشرق وحجَّ وسَمِعَ من جماعة من العلماء ثم عاد إلى القيروان وقضى فيها مُعْظَمَ حياته. ولقد عانى محنةً شديدةً من الدولة العبيدية (الفاطمية، الإسماعيلية) التي سادت في المَغْرِبِ (٢٩٧-٣٦٢ هـ). وكانت وفاته في ٣٠ شَعْبَانَ من سنة ٣٨٦ (١٧/ ١١ / ٩٩٦ م).

٢- كان ابنُ أبي زيدٍ إمامَ علماء القيروان في زمانه، وهو الذي لَخَّصَ المذهبَ المالكيَّ فَسَّهَلَ بذلك انتشاره فأصبح هو يُعْرَفُ بِلقَبِ «مالكِ الأصغرِ». ثم هو مُصَنَّفٌ أكثرُ له من الكتب: الرسالة (في الفقه) - كتاب النوادر (جمع فيه ما في أمّهات كتب الفقه على المذاهب المختلفة من المسائل ومن أقوال الفقهاء واختلافهم) - مناسك الحج - السنن - العقيدة - مختصر المدونة - الأمر والاقتداء - النهي عن الشذوذ عن العلماء - إيجاب الائتم بأهل المدينة - مسألة النكاح بغير بينة - الذَّبُّ (الدفاع) عن مذهب مالك - الدعاء - تفسير مسألة الأعيان في الخمس - أحكام المعلمين والمتعلمين - الجامع في السنن والأدب في الرق - جملة

مختصرة من واجب أوامر الدين - باكورة السعد - بديعية^(١). وكان له شعر عادي،
بعضه شعر ديني (بديعيات: شعر في مدح محمد رسول الله).

٣- مختارات من آثاره

- كَتَبَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ إِلَى مُحَرَّرِ بْنِ خَلْفٍ التُّونِسِيِّ رِسَالَةً فِي تَعْلِيمِ الْوُلْدَانِ أُمُورَ
الدِّينَانِ، جَاءَ فِي مَطْلَعِهَا:

أَمَّا بَعْدُ - أَعَانَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَلَى رِعَايَةِ وَدَائِعِهِ وَحِفْظِ مَا أَوْدَعَنَا مِنْ شَرَائِعِهِ -
فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكَ جُمْلَةً مُخْتَصَرَةً مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّينَانِ تَمَّا تَنْطَقُ بِهِ
الْأَلْسِنَةُ وَتَعْتَقِدُهُ الْقُلُوبُ وَتَعْمَلُهُ الْجَوَارِحُ (مَعَ) شَيْءٍ مِنَ الْأَدَابِ مِنْهَا وَجُمْلٍ مِنْ
أَصُولِ الْفِقْهِ وَفَنُونِهِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. (ذَلِكَ) لِأَنَّ
رَغَبْتَ فِيهِ مِنْ تَعْلِيمِ ذَلِكَ لِلْوُلْدَانِ كَمَا تُعَلِّمُهُمْ حُرُوفَ الْقُرْآنِ لِيَسْبِقَ إِلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ
فَهْمِ دِينِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ مَا تُرْجَى لَهُمْ بَرَكَتُهُ وَتُخَمَدُ لَهُمْ عَاقِبَتُهُ. فَأَجَبْتُكَ إِلَى ذَلِكَ لِأَنَّ
رَجَوْتُهُ لِنَفْسِي وَلَكَ مِنْ ثَوَابِ مَنْ عَلَّمَ دِينَ اللَّهِ أَوْ دَعَا إِلَيْهِ.

وَأَعْلَمْتُ أَنَّ خَيْرَ الْقُلُوبِ أَوْعَاها لِلْخَيْرِ، وَأَرْجَى الْقُلُوبِ لِلْخَيْرِ مَا لَمْ يَسْبِقِ الشَّرَّ
إِلَيْهِ. وَأَوَّلَى مَا غَنِيَ بِهِ النَّاصِحُونَ وَرَغِبَ فِي أَجْرِهِ الرَّاغِبُونَ إِيصَالُ الْخَيْرِ إِلَى قُلُوبِ
أَوْلَادِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُرْسَخَ فِيهَا، وَتَنْبِيَهُمْ عَلَى مَعَالِمِ الدِّينَانِ وَحُدُودِ الشَّرِيعَةِ لِيُرَاضُوا
عَلَيْهَا، فَإِنَّهُ رُوِيَ أَنَّ تَعْلِيمَ الشَّيْءِ فِي الصِّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ. وَقَدْ مَثَلْتُ لَكَ مِنْ
ذَلِكَ مَا يَنْتَفِعُونَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، بِحِفْظِهِ، وَيَشْرَفُونَ بِعِلْمِهِ، وَيَسْتَعِدُونَ بِاعْتِقَادِهِ وَالْعَمَلِ
بِهِ.....

٤- الرسالة، فاس بلا تاريخ؛ القاهرة بلا تاريخ؛ ثم القاهرة ١٣٣٨ هـ؛ (نشرها رسل
وسهروردي مع ترجمة إلى الإنكليزية)، لندن ١٩٠٦ م؛ (نشرها؟ فانيان في مجموعة أشرف
عليها أستاذة مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس، مع ترجمة فرنسية)، باريس
١٩١٤ م.

(١) راجع في كتبه فهرسة ابن خير ٢٤٦ - ٢٤٧، مقدمة ابن خلدون ٨٠٧ - ٨٠٠، ١١٠٤٣، بروكلمن ١؛
١٨٧ - ١٨٨، الملحق: ١ - ٣٠١ - ٣٠٢.

★ ★ الديباج المذهب ١٣٦-١٣٨، وفيات ابن قنفذ ٢٢١؛ شذرات الذهب ٣: ١٣١؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٩٥؛ بروكلمن ١: ١٨٧-١٨٨، الملحق ١: ٣٠١-٣٠٢؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٣٠-٢٣١ (سقط من الطبعة الرابعة ١٩٧٩)؛ المجلد في تاريخ الأدب التونسي ١٠٦.

يحيى بن هذيل القرطبي الكفيف

١- هو أبو بكر يحيى بن هُذَيْل بن الحَكَم بن عبد الملك بن اسماعيل التميمي القرطبي الكفيف، كان مولده نحو سنة ٣٠٠ (٩١٢-٩١٣ م). سَمِعَ الحديثَ من أحمدَ ابنِ غالب، وأخذَ عن ابنِ القوطية (ت ٣٦٧ هـ). وقَدِمَ يحيى بنُ هذيلٍ إلى المشرقِ (شرق الأندلس!) فأخذَ عنه الرَّمَادِيُّ الشَّاعِرُ (ت ٤٠٣ هـ) وغيره (معجم الأدياء ٢٠: ٣٩). وكانت وفاة يحيى بن هُذَيْلٍ سنة ٣٨٩ (٩٩٩ م)^(١).

٢- كان يحيى بن هُذَيْلٍ من أهلِ العلم والأدب والشعر ذا بديهة- قيل فيه: عالم أدبهِ الأندلس (نفع الطيب ٤: ٣٦)- ولكن غلبَ عليه الشعرُ. وشعره جيدٌ رائعٌ تكثرُ فيه المقطعاتُ الوجدانيةُ في النسيبِ والحكمة.

٣- مختارات من شعره

- لأبي بكر يحيى بن هذيل مقطعات منها:

لا تَلْمِني على الوقوفِ بدارٍ أهلها صَبَرُوا السَّقامَ ضَجِيمي^(٢):

جعلوا لي إلى هواهم سبيلاً ثم سَدُوا عليَّ بابَ الرُّجوعِ!

- وقال في النسيب أيضاً:

شاهدتهم وأنا أخافُ عِناقهم سُحّا على أجسامهم أن تُحَرِّقا^(٣)؛

فتركتُ حظي من دُنُوِّي مِنْهُمْ؛ ومن الوفاء بأن تُحِبَّ وتصدِّقا.

(١) من نكت المهيان ومعجم الأدياء. وفي معجم الأدياء أيضاً: وقد جاوز التسعين. وفي جذوة المقتبس

ووفيات الأعيان: توفي سنة ٣٥٦ أو ٣٥٨ وهو ابن ستّ وعشرين سنة.

(٢) الوقوف بدار: الوقوف في مكان كان يسكنه الأحبة.

(٣) سُحّا: بجلا، ضناً. - أخاف إن دنوت منهم (اقتربت إليهم) لأعاقبهم أن يحترقوا من شدة نار حبي.

وأقلُّ فِطلي يومَ بانوا أنِّي قبلت آثارَ الطيِّ تشوقاً^(١)
ولَوْ أَنَّ عُدْرَةَ شاهدتُ من مَوْقي شيئاً لحدَرها بالآ تشقاً^(٢)

- في نفع الطيب (٣: ١٥٣ - ١٥٤): قال الحميدي: أنشد بحضرة بعض ملوك الأندلس قطعة لبعض أهل المشرق، وهي:

وماذا عَلَيْنهم لو أجابوا فسلموا، وقد عَلِموا أَنِّي المَشوقُ المَتِّمُ^(٣)
سَرَوًا ونجومُ الليلِ زُهرٌ طوالعُ، على أَنهم بالليل للناسِ أنجُمُ^(٤)
وأخفوا على تلك المطايا سيرهم فنمَّ عليها في الظلامِ التَّيسُمُ^(٥)
فأقَرَطَ بعضُ الحاضرين في استِحسانها، وقال: هذا ما لا يَقْدِرُ أندلسيُّ على مثله، وبالحضرة أبو بكر يحيى بن هذيل فقال بديها:

عَرَفْتُ بِمَرْفِ الرِّيحِ أَن تَيَّمُوا، وأين استقلُّ الطاعنون وخيموا^(٦)
خَليلي، رُدَّاني إلى جانبِ الحمى، فليست إلى غيرِ الحمى أتيَمُ.
أَبَيْتُ سَمِيرَ الفَرَقْدَنِ كَأَنَّا وسادي قَتَادُ أو ضِجَمي أرَقُمُ^(٧)
وأخوَرُ وَسنانُ الجفونِ كَأَنَّهُ قَضِيبٌ من الرِّيحانِ لَدُنْ مُنَمُّ^(٨)

- (١) بأنوا: ابتعدوا، رحلوا. الطيِّ جمع مطية: الراحلة، الدابة التي يسافر الناس عليها.
- (٢) عُدرة = بنو عُدرة. بنو عُدرة قبيلة كانت تسكن في بادية الحجاز اشتهر أفرادها بالحب، وبأن أحدهم كان إذا أحب ترك طعامه وشرابه ونومه ورتباً مات من شدة حبه. يقول الشاعر: لو أَنَّ بني عُدرة شاهدوا أثر الحب في أنا لتركوا هم الحب خوفاً من نتائجه على الحب.
- (٣) المشوق: المشتاق. الحب. المتيم: الذي ذلَّه الحب وأضناه (أقمه وأمرضه).
- (٤) سري: سار ليلاً. زهر: لامعات (لشدة ظلام الليل). طوالع: عاليات في كبد السماء (في نصف الليل).
- (٥) المطية: الدابة التي يسافر الناس عليها - سافروا على تلك المطايا في منتصف الليل حتَّى يخفوا سيرهم (سفرهم) عن الحب.
- (٦) العرف: الرائحة الطيبة. تيمم: قصد، اتجه. وأين استقل = ومن أين استقل (بدأ السفر، نهض من مكانه ليسير). الطاعن: المسافر. خيم: نزل، نصب خيامه ليسكن.
- (٧) أبيت: أفضي الليل. سمير الفرقدين: ساهراً مع الفرقدين. الفرقدان: النجم القطبي (وهو نجم مزدوج يتألف من نجمين) وهو لا يغيب أبداً - يقصد الشاعر أن الحب يجعله يسهر الليل كله فلا ينام أبداً.
- (٨) المحور (بفتح ففتح) شدة بياض العين وشدة سوادها. وسنان الجفون: ناعس العينين. الريحان: نبت له رائحة طيبة. لدن: طرياً. التَّم: الذي لا يكلفه أهله أعبالاً متعبة، ولذلك يظل جسمه ليناً ناعماً مشوقاً.

نظرتُ إلى أجفانهِ وإلى الهوى فأيقنتُ أنّي لستُ مِنْهُنَّ أسلمُ^(١).
- قال يحيى بن هذيل القرطبي في المباهاة ببناء القبور:

أرى أهل الثراء إذا تُوقُوا بنّوا تلك المراصد بالصخور^(٢).
أبّوا إلّا مُباهاةً وفخراً على الفقراء حتّى بالقبور.
عجبتُ لمن تأنقَ في بَنائه أميناً من تصاريِف الدهور،
ألم يَبْصُرْ بما قد خرّبتَه الد هورٌ من المدائن والقصور^(٣)؟
وأقوامٍ مَضَوْا قَوْماً فقوماً وصار صغيرهم إثرَ الكبير^(٤)؟
لَعَمْرُ أبيهم، لو أَبْصَرُوهم لما عَرَفُوا الغنيَّ من الفقير،
ولا عَرَفُوا العبيدَ من الموالى، ولا عَرَفُوا الإناثَ من الذكور^(٥).
إذا أَكَلَ الثرى هذا وهذا، فما فضلُ الجليلِ على الحقير؟

٤- * * القتبس (الحجّي- بيروت) ٢٠٥-٢٠٦، ابن الفرضي ٢: ١٩٣ (رقم ١٦٠٢)، جذوة القتبس ٣٥٨-٣٥٩ (رقم ٩٠٧) (الدار المصرية) ٣٨٠-٣٨١ (رقم ٩٠٨)، بغية الملتبس ٤٩٥-٤٩٦ (رقم ١٤٩٥)، معجم الأدياء ٢٠: ٣٩-٤٠، نكت الهيان ٣٠٧-٣٠٨ وفيات الأعيان ٤: ٣٦٩، ٧: ٢٢٩، نفع الطيب ٣: ٧٣-٧٤، ١٥٣، ٤: ٣٦، نيكل ٦٠-٦١، مختارات نيكل ٤٠-٤١، الأعلام للزركلي ٩: ٢٢٢-٢٢٣ (٨: ١٧٥-١٧٦).

-
- (١) مِنْهُنَّ = من أجفانه.
(٢) المرصد: مكان رصد النجوم (المكان المرتفع)، يقصد: بنوا (بفتح النون) قبورهم عالية مشرفة (ليراها الناس).
(٣) بصر (بفتح فضم) به: علم، أدرك.
(٤) صار: انتهى إلى مصيره.
(٥) المولى: السيد.

أبو القاسم بن العريف القرطبي

١- هو أبو القاسم الحسين بن الوليد بن نصر المعروف بابن العريف النحوي. أخذ ابن العريف النحوي عن ابن القوطية (ت ٣٦٧). ثم أنه رحل إلى المشرق فأقام في مصر مدة سَمِعَ في أثائها من الحافظ ابن رشيقي ومن أبي طاهر الذهلي وغيرهما. بعدئذ عاد إلى الأندلس فجعله المنصور بن أبي عامر مؤدباً لأولاده. وكان بين ابن العريف وبين أبي بكر الزبيدي (ت ٣٧٩) وصاعد البغدادي (ت ٤١٧ هـ) وغيرهما مناظرات كان المنصور بن أبي عامر يعرضها. ولكن المناظرات بين صاعدي وابن العريف اشتدت فانقلبَت منافسةً فعداوة (أنظر مختارات من شعره). وكانت وفاة أبي القاسم بن العريف في طليطلة، في رَجَب من سنة ٣٩٠ (أواسط ١٠٠٠ م).

٢- كان أبو القاسم بن العريف أديباً وإماماً في العربية (النحو)، عارفاً بصنوف الآداب وشاعراً رقيقاً مقتدرًا في تقليد أساليب الشعراء (على ما ترى في المختارات، وإن كنت لم أجِدْ له في المصادر التي بين يدي شعراً أصيلاً واضحاً النسبة إليه). وكانت له مصنفات منها: كتاب في النحو - كتاب شرح الجمل (للزجاج) - كتب الرد على أبي جعفر النحاس في كتابه «الكافي» - رسالة في إعراب قولهم: إن الضارب الشام والده كان زيدا (يستقصي فيها ثمانية وثيغاً وعشرين وجهاً!!) - معاني الحروف وأقسامها (فهرسة ابن خير ٣٢٠).

٣- مختارات من شعره

- لما قال صاعد البغدادي في مجلس المنصور بن أبي عامر يصف ورده:

أَتَنُكَ، أبا عامر، ورده يُذَكِّرُكَ الْمَلِكُ أَنْفَاسَهُ
كَعَذْرَاهُ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ ففطنت بأَكْثَمِهَا^(١) رَأْسَهَا

زعم ابن العريف أن صاعداً سرق الأبيات من العباس بن الأحنف ثم ادعى أنه رأى نسخة لها في كتاب قديم في بيته. زعم ابن العريف أن الأبيات هي:

(١) أكام جمع كم (بالضم): الأوراق الخضر التي تنطوي الزهرة قبل أن تتفتح الزهرة.

غَسَدَتْ إِلَى قَصْرِ عَبَّاسٍ، وَقَدْ جَدَّلَ النَّوْمُ حُرَّاسَهَا^(١)،
فَالْفَيْتُهَا- وَفِي فِي خَيْرَهَا-
فَقَالَتْ: «أَسِرْتُ عَلَى هَجْمَةٍ؟»
وَمَدَّتْ يَدَيْهَا إِلَى وَرْدَةٍ
كَمِذْرَاءٍ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ
وَقَالَتْ: «خَفِ اللَّهَ، لَا تَفْضَحَنَّ
فَوَلَّيْتُ عَنْهَا عَلَى خَجَلَةٍ وَمَا خِنْتُ نَاسِي وَلَا نَاسَهَا.

٤- * ابن الفرضي ١: ١٣٤-١٣٥ (رقم ٣٥٦) جذوة المقتبس ١٨٢-١٨٣ (الدار المصرية) ١٩٤-١٩٥ (رقم ٣٧٧) بغية الملتبس ٢٥١-٢٥٢ (رقم ٦٥٥) معجم الأدباء ١٠: ١٨٢-١٩١ بغية الوعاة ٢٣٧-٢٣٨ البلغة ٧١-٧٢ نفع الطيب ١: ٥٨٢-٥٨٤، ٣: ٧٧-٧٨ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٧١٣ الأعلام للزركلي ٢: ٢٨٧ (٢٦١).

المنصور بن أبي عامر

١- هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن الوليد بن يزيد ابن عبد الملك المفايري القحطاني (من عرب الجنوب)، وأمه أم عبد الله بريمة بنت يحيى بن زكريا التميمية (من عرب الشمال) من بني برطال في قرطبة. وكان عبد الملك المفايري هو الذي دَخَلَ الأندلسَ مَعَ طارق بن زياد ثم سَكَنَ بلدة طُرُشَ في الجزيرة الخضراء (جنوبي الأندلس) حيث أقام لنفسه أسرةً وجيهةً قويةً. وأمّا أبو حفص عبد الله (والد المنصور بن أبي عامر) فكان معروفًا بالتقوى والعلم وبالزهد في مناصب الدولة، وقد مات عند طرابُلس الغرب، في أثناء رجوعه من الحج، في أواخر أيام عبد الرحمن الناصر (ت ٣٥٠).

وأمّا المنصور بن أبي عامر نفسه فقد وُلِدَ (في طُرُش) سَنَةَ ٣٢٦ (٩٣٧-٩٣٨ م).

- (١) جنك: صرع (ألقى بالخصم أرضاً)، قتل. غدا: ذهب في الصباح.
- (٢) الحذر: مخدع الفتاة في البيت. صدغ السكر أناسها (ندمانها، الذين يؤانسونها): أفقدهم وعيهم.
- (٣) أسرت على هجمة: هل جئت إلينا والذين حولي نيام؟
- (٤) عباس (بالضمة) جمع عباس (بالفتح): عاذل، غاضب، خصم.

ولما شَبَّ قَدِمَ إلى قُرْطُبَةَ طلباً للعلم فتلقَى اللغة على أبي عليّ البغداديّ القاليّ (ت ٣٥٦) وأبي بكر بن القوطيّة (ت ٣٦٧)، كما سَمِعَ الحديثَ من أبي بكر بن مُعاوية القُرشيّ. ثم إنَّ ابنَ أبي عامر أصبح كاتباً لدى القاضي أبي بكر محمد بن إسحاق بن السليم (٣٠٦ - ٣٦٧ هـ).

وفي سَنَةِ ٣٥٦ (٩٦٧ م) عَهَدَ الحَكَمُ المُستنصرُ إلى ابنِ أبي عامر بجميعِ شُؤُونِ ابنِهِ الأميرِ هشامٍ وجعله ناظرًا على أُملاكِ زوجته صُبُح^(١). وفي سَنَةِ ٣٥٨ أصبحَ قاضيًا للجُنْدِ في إشبيلية وَلَبَّاهُ (٣٦١ هـ) أصبحَ صاحبَ الشَّرْطَةِ. وقدِ اسْتَطاعَ ابنُ أبي عامر بلباقته ودهائه وَكَرَمَهُ أَنْ يَنَالَ حظوةً لدى أَهْلِ البَلَطِ جميعهم.

ولما مات الحَكَمُ المُستنصرُ بُويعَ لهشامُ بالخِلافةِ، في رابعِ صَفَرٍ من سَنَةِ ٣٦٦ (١٢ / ٩٦٧ م)، وَلُقِبَ «المُؤَيَّدَ»، قبلَ أَنْ تَتِمَّ لَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً، فَأقامتْ أُمُّهُ صُبُحُ نَفْسَهَا وصِيَّةً عليه. في ذلكَ اليومِ جَعَلَ هشامُ خَطَطَ الشَّرْطَةِ الوُسْطَى والسِّكَّةِ والمُوارِيثِ لابنِ أبي عامر. وفي عاشرِ صَفَرٍ جَعَلَ هشامُ الحِجَابَةَ (رئاسةَ الوزارة) لـجَعْفَرِ ابنِ عَثْمَانَ المُصْحَفِيِّ (راجع، فوق، ص ٢٩٤) وجعلَ ابنُ أبي عامرَ وزيراً للمُصْحَفِيِّ.

وفي سَنَةِ ٣٦٦ نفسها كَثُرَ الاضطرابُ في أَقاصي الأندلسِ وخِيفَ من هُجُومِ النصارى على شِمالِ الأندلسِ، فَعَقَدَتْ صُبُحُ مَجْلِسًا ضمَّ رِجالَ الدولة وفيهم غالبُ بنُ عبدِ الرحمنِ الصَّفَلِيِّ - وكانَ قائداً قديرًا تَوَلَّى الجَيْشَ والغَزَواتِ منذَ أيامِ عبدِ الرحمنِ الناصر - وجعفرُ بنُ عَثْمَانَ المُصْحَفِيِّ وابنُ أبي عامر. فَأَجَمَعَ أَهْلُ المَجْلِسِ على وَجوبِ تَجهِيزِ جيشٍ كبيرٍ لِلجِهادِ، فلمَ يَجْزُ أَحَدٌ على القيامِ شَخْصِيًّا بالحَرْبِ. فَتَقَدَّمَ ابنُ أبي عامر لتَوَلَّى مِثْلَ هَذِهِ الغَزْوَةِ. وكانتْ صُبُحُ حريصَةً على تثبيتِ مكانَةِ ابنِها بِكُلِّ سَبِيلٍ فَأَعْطَتْ ابنَ أبي عامرَ كُلَّ ما طَلَبَهُ من مالٍ وجُنْدٍ. وكانَ ابنُ أبي

(١) السَّيِّدَةُ صَبَحُ البُشْكُنِيَّةُ (من البُشْكُنْس: سكان الطرف الشمالي الغربي من إسبانية) كانت زوج الحَكَمِ المُستنصر وأُمُّ ابنِهِ هشامٍ. وكانَ الحَكَمُ يسمِّيها «جَعْفَر» تحبُّبًا. كانت امرأةً قديرةً. وكانت - بلا ريب - ذاتَ أثرٍ كبيرٍ في رفعِ مكانَةِ ابنِ أبي عامر. وفي الروايات كلامٌ كثيرٌ على صلة صَبَحُ بابنِ أبي عامر واختلافٍ أَكْثَرَ.

عامر داهية فجعل غالباً القائد الأعلى للجيش (حتى إذا هُزم الجيش كان اللوم على غالب) وتولى هو القيادة الفعلية. وسار الجيش في رَجَب من سَنَةِ ٣٦٦ (آذار - مارس ٩٧٨ م). وانتصر ابنُ أبي عامر نصراً عظيماً فزاد ذلك في مكانته عند الناس. وعند صُنْح.

وفي أواخر تلك السَنَةِ نفسها أدرك ابنُ أبي عامر مدى قُوته ومدى ضَعْفِ مَنْ حوله فاستبدَّ بالأمرِ وحَجَبَ هشاماً فأصبحَ الحاكمَ الفعلي في الأندلس. ثم بدأ في التفكير بالتخلُّص من خصومه. وفي سَنَةِ ٣٦٨ للهجرة بدأ ببناء مدينة الزاهرة، شرقَ قرطبة على النهر الأعظم (نهر الوادي الكبير) وجعلها مقراً له وعاصمةً للأندلس (لأنَّ الزهراء مقرُّ عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر كانت مقراً لخصومه السياسيين). وتمَّ بناء الزاهرة سَنَةِ ٣٧٠ هـ فانتقل ابنُ أبي عامر إليها. وفي السَنَةِ التالية تَلَقَّبَ «المنصور» فأصبح يُعرَفُ في التاريخ باسم المنصور بن أبي عامر.

وقد دبر المنصور بنُ أبي عامر مقتلَ نفرٍ كثيرين كان يخشاهم على نفوذه الشخصي أو على الدولة المرَوانية في الأندلس: دبر مقتلَ غالب الصقلي (٣٧٠ هـ) والمُصْحَفي (٣٧٢ هـ) وجعفر بن علي بن حَمْدُون (٣٧٢ هـ) والشريف الحسني الإدريسي حَسَن بن قَنُون (٣٧٥ هـ) وكان في المغرب فجهَّز عليه جيشاً كبيراً. ولما استسلم حَسَن بن قَنُون للجيش أمر المنصورُ بحمله إلى قرطبة ثم دبر مقتله.

وقاد المنصور بنُ أبي عامر حَسَنَ غزوة بنفسه (أو: غانِي وخَسَن) كان مُظَفَّراً فيها كُلُّها، وبَسَطَ سلطانَ العرب في الأندلس بعد أن كان ذلك السلطان قد تراجَعَ في شِمالِي البلادِ وشرقيها. وضَبَطَ البلادَ ضَبْطاً مُحْكَمًا.

وكان المنصور بنُ أبي عامر مُصاباً بالَنْقَرَسِ^(١). وقد تَوَقَّيَ في مدينة سالم، وهو راجعٌ من الغزو، ليلة الاثنين لِثَلَاثِ لَيَالٍ بَقِيَ من رَمَضَانَ في سَنَةِ ٣٩٢ (٨ / ٨ / ٨).

(١) النقرس: دام الملوك (مرض يحدث في مفاصل القدم) ويبدو أنه ناشيء عن تجمع الرواسب في مفاصل العظام. وسَمِيَ «دام الملوك» (الأغنياء) لكثرة ترف هؤلاء في مأكَلهم ولإخلاصهم إلى الراحة فتكثر الرواسب في أجسامهم.

١٠٠٢ هـ) مَبْطُوناً^(١). وجاء في « تاريخ العرب » (المطول) للدكتور فيليب حتّي^(٢):
« أمّا المؤرّخُ الراهبُ الذي دَوّنَ هذه الحادثة فقد علّق عليها بإيجازٍ مُعبراً عن سُموهِ
نصارى إسبانيةٍ تجاهها فكَتَبَ: في سَنَةِ ١٠٠٢ ماتَ المنصورُ فدفنَ في جَهَنَّمَ ».

٢- قال ابنُ خلدون: ومن الوزراء أولئك « الذين عَظُمَت آثارُهُم وعَفَّتْ^(٣) على
الملوك أخبارُهُم كالْهَجَّاجِ وبني المُهَلَّبِ والبرامكة وبني سَهْلِ بنِ نُوْبَخْتِ وكافورِ
الإخشيدي وابن أبي عامرٍ وأمثالِهِم فغيرُ نَكِيرِ الإِلماعُ بأبائِهِم والإشارة إلى أحوالِهِم
لانتِظامِهِم في عِدادِ الملوك ».

وقد كان المنصورُ بنُ أبي عامرٍ من دُهاةِ العرب والحازمين في الأمور وذوي
الشجاعة والبأس. وكذلك كان قاسياً شديدَ القسوةِ في سبيلِ الحِفاظِ على الدولة وفي
سبيلِ نفسِهِ أحياناً كثيرةً. وكان له أيضاً أشياء متفرقة من النُشرِ الحِكميِّ ومن الشعرِ
المتين، وإن لم يكن على شعرهِ نضارةٌ ولا عُدوبةٌ لأنّه من شعرِ العلماء والفرسان.

٣- مختارات من آثاره

- لما غَضِبَ المنصورُ بنُ أبي عامرٍ على جَعْفَرِ المُصْحَفِيِّ وألقاه في السِجْنِ كتبَ
جَعْفَرُ إلى المنصورِ يتذلَّلُ له وَيَعْرِضُ عليه نفسَهُ ليكونَ مُؤدِّباً لابْنِهِ عبدِ اللهِ وعبدِ
الملك. فقال المنصورُ:

« أَرادَ (جعفر) أن يَسْتَجْلِهَنِي وَيُسْقِطَنِي عندَ الناسِ، وقد عَهِدوا مِنِّي بِبابِهِ مُؤَمَّلًا
ثم يَرَوْنَهُ اليومَ بِدِهليزي مُعَلَّمًا ».

- وَعَلِمَ أن امرأةً مُسلمَةً كانتِ أسيرةً مُنذُ زمنٍ في كَنِيسَةٍ عندَ غُرسِيهِ ملكِ
البُشْكُنْسِ (برُغمِ معاهدةٍ بَينَها تَقْضي بِإِطلاقِ جَميعِ الأسرى) فقال:

« كان قد عاهدني ألا يَبقَى في أرضِهِ مأسورةٌ ولا مأسورٌ ولو حَمَلْتَنِي في حواصِلِها

(١) البطون: الذي يشتكي بطنه (انتفاخ بطنه من ماء أو نحوه).

(٢) تاريخ العرب لحتّي (نقله إلى العربية أدورد جرجي وجبرائيل جبّور) بيروت ١٩٥١، ٣: ٦٣٥.

(٣) المَقْصُمة (بيروت، مكتبة المدرسة، ١٩٦١) ص ٥٢.

النسور. وقد بَلَّغَنِي، بعدُ، مُقَامُ فُلَانَةٍ الْمُسْلِمَةِ بتلك الكنيسة: ووالله، لا أنتهي عن أرضه حتى أَكْتَسَحَهَا .

- وقال يوماً: « إِنَّ الْمَلِكَ لَا يَنَامُ إِذَا نَامَتِ الرَّعِيَّةُ. وَلَوْ اسْتَوْفِيَتْ نَوْمِي لَمَا كَانَ فِي دُورِ هَذَا الْبِلَادِ الْعَظِيمِ عَيْنٌ نَائِمَةٌ ».

قال المنصورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ يُعَبِّرُ عَنْ طُمُوحِهِ إِلَى الْاِسْتِيلَاءِ عَلَى الْمَشْرِقِ لِكَشْفِ الظُّلْمِ عَنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ:

مَنَعَ الْعَيْنَ أَنْ تَذُوقَ الْمَنَامَا حُبُّهَا أَنْ تَرَى الصِّفَا وَالْمَقَامَا^(١).
لِي دِيُونٌ بِالْمَشْرِقِ عِنْدَ أَنَاسٍ قَدْ أَحَلُّوا بِالْمُشْعَرَيْنِ الْحَرَامَا^(٢).
إِنْ قَضَوْهَا نَالُوا الْأَمَانِي، وَإِلَّا جَعَلُوا دُونَهَا رِقَاباً وَهَامَا^(٣).
عَنْ قَرِيبٍ تَرَى خُيُولَ هِشَامٍ يَمْلُغُ النِّيلَ خَطُوهَا وَالشَّامَا^(٤)!
- وقال في الحماسة والفخر:

رَمَيْتُ بِنَفْسِي هَوْلَ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَخَاطَرْتُ، وَالْحُرَّ الْكَرِيمَ مُخَاطِرُ.
وَمَا صَاحِي إِلَّا جَنَابٌ مُشَيَّعٌ وَأَسْمَرُ خَطِيٌّ وَأَبْيَضُ بَاتِرُ^(٥).
وَإِنِّي لَزَجَجْتُ الْجِيُوشَ إِلَى الْوَعَى أَسوداً تُلَاقِيهَا أَسودُ خَوَادِرُ^(٦).

-
- (١) الصفا والمقام (مقام إبراهيم) في بكة من الشاعر (مناسك الحج). حيث تحب أو تمن العبادَة).
(٢) ديون (هنا): ثار. أناس (من الحكام). قد أحلوا الحرام: ظلموا حتى أصبح ما يحرم فعله مسموحاً (عادة).
(٢) إن قضوها (إن أصلحوا هذا الظلم من تلقاء أنفسهم). جعلوا دونها رقاباً (أجبروني على قطع تلك الرقاب) وهاماً (جع هامة: رأس).
(٤) هشام: المؤيد (الخليفة الأهوي في الأندلس) وكان المنصور بن أبي عامر قد حجبه (استند مكانه في الحكم). الشام والشام: سورية.
(٥) صاحي: رفيقي. جنان: قلب. مشيع: شجاع. أسمر: رمح. خطي (من بلاد الخط: الشاطئ الشرقي من شبه جزيرة العرب، وكانت الرماح، أو القصب الفارسي الذي تصنع منه الرماح تجلب إليه من الهند) كناية عن جودة تلك الرماح. أبيض: سيف. باتر: قاطع.
(٦) أَرْجِي وَجْجِي: أرسل، همت. أسود: أبطال. خوادرجع خادر (وهو الأسد الذي يكون له خدره: في الأجنة أو العانة الصغيرة) كناية على الشجاعة في ذلك الأسد والمفاجئة.

وَسُدْتُ بِنَفْسِي أَهْلَ كُلِّ سِيَادَةٍ وَفَاخَرْتُ حَتَّى لَمْ أُجِدْ مِنْ أَفَاخِرِ .
وَمَا شِدْتُ بُيُنَانًا، وَلَكِنْ زِيَادَةً عَلَى مَا بَنَى عَبْدُ الْمَلِكِ وَعَامِرٌ^(١) .
رَفَعْنَا الْمَعَالِي بِالْعَوَالِي حَدِيثَةً، وَأَوْرَثْنَاهَا فِي الْقَدِيمِ مُعَايِرٌ^(٢) .

*** ٤ منصور الأندلس، تأليف علي أدهم، القاهرة (الباني) بلا تاريخ (في سلسلة أعلام الإسلام).

*** راجع كتب التاريخ العامة؛ ثم بغية الملتبس ١٠٥-٠٧ (رقم ٢٤٢) الذخيرة ٤: ٥٦-٧٨ (راجع الفهارس أيضاً)؛ المغرب ١: ١٩٤-١٩٨؛ الحلة السراء ١: ٢٦٨-٢٧٧؛ المعجب ٦٢ وما بعد (مع شيء من التقطع)؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣-١٣؛ البيان المغرب ٢: ٢٥٣ وما بعد؛ نفح الطيب ١: ٣٩٦-٤٢٢، ٥٧٨-٦٠٤، ٧٦: ٣-١٩٨؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٣: ٢٥٤-٢٥٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ٩٩-١٠٠ (٦: ٢٢٦).

عبد الملك بن شهيد^(٣)

١- هو أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن شهيد بن عيسى بن شهيد بن الوضاح الأشجعي الأندلسي القرطبي، وُلِدَ فِي قُرْبَةِ .
وَتَلَقَّى الْحَدِيثَ خَاصَّةً عَلَى قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغَ (ت ٣٤٠) وَوَهْبِ بْنِ مَسْرَةَ .
وَتَوَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شَهِيدٍ الْوِزَارَةَ لِلْحَاجِبِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ وَنَالَ حِظْوَةً عِنْدَهُ، كَمَا بَقِيَ مُتَّصِلًا بِبِلَاطِ الْخَلِيفَةِ الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ (٣٥٠-٣٦٦ هـ). وَكَذَلِكَ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ جَهْوَرٍ أَحَدِ وَزَرَاءِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ (٣٠٠-٣٥٠ هـ) مَسَاجِلَةٌ وَمُنَافَاةٌ .

مَرَضَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شَهِيدٍ فِي شَيْخُوخَتِهِ بِالنَّقْرَسِ (وَرَمَ وَوَجَعَ فِي مَفَاصِلِ الْكُعْبَيْنِ وَأَصَابِعِ الرِّجْلَيْنِ) فَكَانَ يُحْمَلُ فِي مِحْفَةٍ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَفَارِقْهُ نَشَاطُهُ وَلَا مَرَحُهُ .

(١) مَا شَدْتُ (بَنَيْتُ بِنَاءً جَدِيدًا) وَلَكِنْ زِيَادَةً (زِدْتُ عَلَى الْبِنَاءِ الَّذِي كَانَ قَدْ بَنَاهُ) عَبْدُ الْمَلِكِ وَمُعَايِرُ (مِنْ) أَجْدَادِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ .

(٢) الْعَوَالِي: الرِّمَاحُ (بِالْحَرْبِ، بِالْقُوَّةِ) .

(٣) كَانَ ثَلَاثَةً مِنْ آلِ شَهِيدٍ وَزَرَاءَ وَأَدْبَاءَ، أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَحَدٍ هَذَا ثُمَّ وَالِدُهُ أَبُو عَمْرِو أَحَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ؛ ثُمَّ أَبُو عَامِرُ أَحَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ أَحَدٍ (ت ٤٢٦ هـ)، وَسَتَأْتِي نَرْجَسُهُ .

وكانت وفاة عبد الملك بن شهيد سنة ٣٩٣ هـ (١٠٠٢ م).

٢- كان عبد الملك بن شهيد شاعراً ناثراً كاتباً ومؤلفاً. كان في شعره مَرَحٌ وحبٌّ للخمر والنساء، كما كان له شيءٌ من الوصف والفضل والهجاء والحكمة. وكانت له معرفةٌ جيدةٌ بالبلاغة والشعر وبشعره المشرق والتاريخ. وله كتابٌ «التاريخ الكبير في الأخبار» رتبهُ على السنين من سنة ٤٠ إلى أيامه.

٣- مختارات من شعره

- قال عبد الملك بن أحمد بن شهيد (جذوة المقتبس):

أقصرَ عن شأوي فعادَيْتَنِي. أقصِرْ، فليس الجهلُ من شائي^(١).

إن كان قد أغناكَ ما تحتوي بُخلًا، فإنَّ الجودَ أغناني.

- خضر عبد الملك بن شهيد، وهو مريضٌ بالنقرس، بعضَ مجالس الأُنس، عندَ

المنصور بن أبي عامر، فاستخفَّ الطربُ، فقام- برُغمِ مرضه- يرقُصُ. ثم قال مرتجلاً:

هاكَ شيخاً قادَه السُكْرُ لكا قام في رَقَصَتِهِ مُستهلكاً^(٢).

لم يُطِقْ يرقُصُها مُستَثْبِتاً فأنسى يرقُصُها مُستمسكاً^(٣)،

عاقَه مِنْ هُزْها مُعتدلاً نِفْرسٌ أخنى عليه فأتكا،

من وزيرٍ فيهِمْ رَقاصٌ قام للسُكْرِ يُناغي مَلِكاً^(٤).

أنا لو كنتُ كما تُعرِفني قُمتُ إجلالاً على رأسي لكا.

فَهَمَّه الإبريقُ مِنِّي ضاحكاً ورأى رَعَثَةً رِجْلي فبكى.

- وقال في الخمر (نفع الطيب ٣: ٢٦٠):

أما ترى بَرْدَ يَوْمِنا هذا صَيَرنا للكمون أفذاذا^(٥)؟

(١) أقصرت أو قصرت عن شأوي (شوطي: المدى أو المسافة التي أستطيع أنا الركض فيها).

(٢) مستهلكا: عاجزاً عن إقامة جسمه.

(٣) مستثبِتاً: ثابت القدمين منتصباً (معتمداً في وقوفه على نفسه).

(٤) يناغي (يلالط في الحديث) ملكاً (رجلاً عظيماً ذا سلطة).

(٥) الكمون (الاختباء في البيوت). أفذاذا (متفردين).

قد فطرت صيحة الكبود به حتى لكادت تعود أفلاذ^(١).
 فاذع بنا للشمول مضطلياً نفضاً سيراً إليك إغذاذا^(٢).
 واذع السسى بها وصاحبه تدع نبيلاً وتدع أنساذا^(٣).
 ولا تبال أبا الملاء زها بجمر قطربل وكلواذا^(٤).
 ما دام من أرملاط مشربنا دغ دير عقى وطيزنا باذا^(٥).

- وقال في الغزل يخلط الجون بالعفة:

ويلى على أحور تياو أجد فيه، وهو بي لاه^(١).
 أقبل في بيض حكين الطيا: بيض تراق حر أفوا^(٢).
 يأمر فيهن وينهى، ولا يفصينه من أمر ناه.
 حتى إذا أمكنني أمره تركته من خشية الله!

٤- * جذوة المقتبس ٢٦١ (الدار المصرية ٢٨٠ (رقم ٦٢٢) بغية الملتبس ٣٦٢ (رقم ١٠٥٧)؛ الصلة ١: ٣٣٨-٣٣٩ (رقم ٧٥٩)؛ الحلة السراء ١: ٢٣٩-٢٤٠ (المغرب ١: ١٩٨-١٩٩ بغية الوعاة ٣١١ (وفيه وفاته ٤٩٣ بالأحرف، وهو خطأ)؛ نفع الطيب ١: ٤٠٠-٤٠١، ٥٨٥-٥٨٦، ٣: ٢٦٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٣٨-٩٤٠ نيكل ٤٧-٤٩ مختارات نيكل ٣٠-٣١؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٠٠ (١٥٦).

- (١) فطرت: قطعت. الكبود جمع كب (بفتح فكس). أفلاذ جمع فلذة (بالكسر): قطعة.
- (٢) الشمول: الحمر (الباردة أو المبردة). مضطلياً: تمرض جسمك للنار (في الشتاء) - أدعنا إلى مكان دافئ. أغذ السير: أسرع.
- (٣) واذع معنا شخصاً اسمه «شمول» ورجلاً آخر صاحباً لشمول.
- (٤) لا تبال أبا الملاء (٢): لا تحفل (لا تهتم) برجل اسمه أبو الملاء. زها: أعجب (بضم فسكون فكس)، أفتخر. قطربل وكلواذا قريبتان في العراق مشهورتان بالأعشاب (وبالحمر).
- (٥) المموج أن أرملاط من الأندلس. أمّا طيزنا باذا ففي العراق، دير عقى (٢).
- (٦) الأحور: شديد بياض العين وشديد سواد سواد العين. التياو: الذي يعجب بصفاته ويرى نفسه فوق أنداده.
- (٧) بيض: ناه بيض (جيلات). حكين: شابين. الطيا: جمع طيبة (الغزال). الترقوة: جانب الصدر الأعلى. بيض تراق: كناية عن الشباب والمجال.

عبد الملك بن جهور^(١)

١- هو عبدُ الملك بنُ جهورٍ، لم أجد فيما بينَ يديّ من المصادر، أكثرَ من أَنَّهُ كان وزيراً في أيام عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠ هـ)، وَأَنَّهُ كانَ بينه وبينَ ابنِ شُهيد عبد الملك بن أحمد (ت ٣٩٣) شيء من التحاسد. وكانت وفاة عبد الملك بن جهور في سنة ٣٩٣ (١٠٠٢-١٠٠٣ م).

٢- كان عبدُ الملك بنُ جهورٍ وزيراً جليلاً من عِلْيَةِ الرجال وسَرَوَاتِ الكُتَاب في فضلِ آدابهم واتساعِ أفهامهم مَعَ المُرُوءَةِ الظاهرةِ والسيرةِ الجميلةِ. وكان كاتباً شاعراً، وشِعْرُهُ وَجْدَانِيٌّ يَدُورُ عَلَى الوَصْفِ وَالْفَزْلِ وَالنَسِيبِ وَالْعِتَابِ.

٣- مختارات من شعره

- قال عبد الملك بن جهور في الغزل والعتاب^(٢):

بها أحسنَ الناسِ في عينيّ مبتسماً وأعذبَ الخلقِ عندي منطِقاً وفياً^(٣)،
حلّت بقلبي من عينيك نازلةً من الهوى صيرتني في الورى علماً^(٤).
لم تبقَ جارحةٌ مني أقلبها إلا بعثتَ عليها بالهوى سقماً^(٥).
فارحَمَ مُقامَ محبٍّ ما شكا وبكى تبرُّماً بالذي يُلْقَى ولا نديماً^(٦).
*أجلكَ أن تَحِلَّ بك الأمانى، فكيف بأن أراك وأن تراني^(٧)؟
وأكرهُ أن يثلكَ التمني حذاراً أن ييوحَ به لساني.

- (١) آل جهور أسرنان تتداخل أسله أعضائها. ويبدو أن في هذه الترجمة شيئاً من التداخل.
- (٢) من عادي أن أعدّ كتي للطح منسوخة على الآلة الكاتبة. ولكن المقاطع الثلاثة الأولى معدة للطبع على ورقة بخط اليد نسخت بلا ريب في عام ١٩٧٦ حينما تركت بيتي في الطريق الجديدة بسبب الأحداث المؤسفة في لبنان (أعرف ذلك من أوراق شبيهة مؤرخة)، مما يدل على أنني وجدت هذه الأبيات منسوبة في كتاب ما إلى عبد الملك بن جهور.
- (٣) منطوقاً: كلاماً. فها (كتاية عن جمال الفهم).
- (٤) نازلة: مصيبة. علماً: مرفوقاً، مشهوراً.
- (٥) جارحة: عضو.
- (٦) مقام (بالضم): موقف، حالة. التبرم: الملل، الضجر.
- (٧) لا أريد أن تكون مستجيباً لكل أمنية من كل إنسان (لأن جميع الناس يحبونك ويتمنون لقاءك، ولكن كيف السبيل إلى أن نجتمع نحن الاثنين (٢))

ولو أني استطعتُ، لِفَرَطِ شَجْوِي عليك، لَمَّا رَأَى الحَافِظَانُ^(١).
وما أَشْكَو إِلَيْكَ بِغَيْرِ دَمْعِي: بَيَّانُ الدَّمْعِ أَعْرَبُ مِنْ بَيَانِي^(٢)!
- وقال بين الوصف والنسيب:

قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ بِالْتَّرَجِسِ الْغَضِّ خَضِرَ حَكْسِي لَوْنٌ عَاشِقِي مَعْمُودِ:
فِيهِ رِيحُ الْحَبِيبِ عِنْدَ التَّلَاقِي وَاصْفَرَّارُ الْمُحِبِّ عِنْدَ الصَّدُودِ.

ومن شعر أَبِي مَرْوَانَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ جَهْوَرٍ (جذوة المقتبس ٢٦٣) (٣):

أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ أَحْلَى مِنَ الْمُنَى وَأَعَذْبُ مِنْ وَصْلِ مَحَا آيَةِ الصَّدِّ.
فَجَدَدْتُ لِي شَوْقًا إِلَيْكَ مُذْكَرًا وَأَذَكِي الَّذِي فِي الْقَلْبِ مِنْ لَوْنَةِ الْوَجْدِ^(٤).
وَإِنِّي عَلَى أَضْعَافٍ مَا قَدْ وَصَفْتَهُ لَدَيْكَ مِنَ الشَّوْقِ الْمُبْرِجِ وَالْمُجْهِدِ^(٥).
فَلَوْ أَنَّنِي أَقْوَى أَطِيرُ صَبَابَةً، جَعَلْتُ جَوَائِي نَحْوَ أَرْضِكُمْ قَصْدِي
عَلَيْكَ سَلَامٌ مِنْ مُحِبٍّ مُتَتِمٍّ بِرَأْسِ بَعِينِ الْقَلْبِ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ^(٦).
* إِنْ كَانَتْ الْأَبْدَانُ نَائِيَةً فَنفوسُ أَهْلِ الظَّرْفِ تَأْتَلِفُ.
يَا رَبُّ مَفْتَرِقِي قَدْ جَمَعْتِ قَلْبَيْهَا الْأَقْلَامُ وَالصُّحُفُ.

٤- * * جذوة المقتبس ٢٦٣ (الدار المصرية) ٢٨٢ (رقم ٦٢٦) نيكل ٤٨-٤٩، بالشيا ٦٣، ٢٠١.

محمَّد بن الحسين الطنبي

١- هو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّنْبِيُّ، نِسْبَةً إِلَى طُبْنَةَ عَاصِمَةَ

- (١) الشَّجْوُ: الحزن. الحَافِظَانِ (الملكان اللذان يكتبان على الإنسان أعماله الصالحة وأعماله الطالحة) (٤).
(٢) كلام دَمْعِي أَوْضَحُ مِنْ كَلَامِ لِسَانِي.

- (٣) الأبيات التالية جواب على كتاب (رسالة) جاءت إليه من صديق له (أنظر البيت الأول).
(٤) أَذَكَى: أَوْقَدَ، زَادَ فِي حَرَارَةِ الشَّيْءِ. اللَّوْنَةُ: الْحَرَقَةُ فِي الْقَلْبِ أَوْ الْأَلَمُ مِنْ حُبٍّ أَوْ مَرَضٍ. الْوَجْدُ: الْحُبُّ الشَّدِيدُ.

- (٥) شَوْقِي إِلَيْكَ أَضْعَافُ شَوْقِكَ إِلَيَّ. الْمُبْرِجُ: الشَّدِيدُ (الْمَوْلَمُ). الْمُجْهِدُ: التَّحِبُّ.
(٦) الْمُتَتِمُّ: الَّذِي ذَلَّلَهُ الْحُبُّ وَأَمْرَضَهُ وَذَهَبَ بِعَقْلِهِ.

مقاطعة الزاب في المغرب الأوسط (القطر الجزائري)، الحائِ التميمي نسبةً إلى زيد مناة بن تميم.

وُلِدَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الطُّبْنِيُّ نَحْوَ سَنَةِ ٣٠٠ (٩١٣ م) فِي طُبْنَةَ. ثُمَّ إِنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ سَنَةَ ٣٣١ (٩٤٢ م) وَافْدَأَ عَلَى النُّصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ. وَسَكَنَ الطُّبْنِيُّ فِي قَرْطَبَةَ وَنَالَ حَظَوَةً عِنْدَ النُّصُورِ فَوَلَّاهُ النُّصُورُ خُطَّةَ الشَّرْطَةِ ثُمَّ اتَّخَذَهُ نَدِيماً.

وَكَانَتْ وَفَاةُ الطُّبْنِيِّ لثَلَاثِ لَيَالٍ بَقِيَْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٣٩٤ (٢٧ / ١٠ / ١٠٠٣ م).

٢- كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الطُّبْنِيُّ عَالِماً بِأَخْبَارِ الْعَرَبِ وَأَنَسَابِهِمْ أَدِيباً مُتَقَنّاً وَشَاعِراً مُكْتَبِراً مُجِيداً.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الطُّبْنِيُّ فِي الْغَزَلِ، وَهُوَ تَمَّا يَنْصِي بِهِ:

صَدَقْتَ ظَنِيَّةَ الرُّصَافَةِ عَنَّا، وَهِيَ أَشْهَى مِنْ كُلِّ مَا يُتَمَنَّى.
هَجَرْتَنَا، فَمَا إِلَيْهَا سَبِيلٌ غَيْرَ أَنَا نَقُولُ: كَانَتْ وَكُنَّا!
- وَقَالَ فِي الْخَمْرِ:

وَاجْتَمَعْنَا بَعْدَ التَّفَرُّقِ دَهْرًا فَظَلَّلْنَا نَقْطَعَ الْعُمْرَ سُكْرًا.
لَا يَرَانِي إِلَّا إِلَهٌ إِلَّا طَرِيحًا حَيْثُ تُلْقَى الْفُصُونُ حَوْلِي زَهْرًا،
قَائِلًا كُلًّا فَتَحَتْ جَفُونِي مِنْ نَعَاسِ الْخُمَارِ: زِدْنِي خَمْرًا!
- وَقَالَ فِي الْمَهْجَاءِ:

وَوَغْدٍ إِنْ أَرَدْتُ لَهُ عِقَابًا عَفَا عَنْ ذَنْبِهِ حَسْبِي وَدِينِي.
يُؤْتِبُنِي بِقَبِيئَةٍ مُسْتَطِيلٍ وَيَلْقَانِي بِوَجْهِ مُسْتَكِينٍ^(١).

(١) إِذَا كُنْتَ غَائِبًا عَنْ مَجْلِسِهِ أَخَذَ يُؤْتِبُنِي (بِلُغَتِي، بِوَجْهِي، بِمَنْفَعِي) وَهُوَ مُسْتَطِيلٌ (يُذَكِّرُ تَفَضُّلَهُ عَلَيَّ وَتَمَالِيهِ فَوْقِي). وَإِذَا اتَّفَقَ أَنْ كُنْتُ مَعَهُ فِي مَجْلَسٍ وَاحِدٍ أَقْبَلَ عَلَيَّ بِتَقَرُّبٍ إِلَى بَذْلَةٍ وَخُضُوعٍ.

وقالوا: «قد هجأك». فقلت: «كلبٌ عَوَى جَهْلًا إلى ليث العَرين». * * - ٤ ابن الفرضي ٢: ١١٩ - ١٢٠ (رقم ١٤٠٦)، جذوة المقتبس ٤٧ (الدار المصرية) ص ٥٠ (رقم ٣٨)، بغية الملتبس ٥٨ (رقم ٨٤)، الصلة ٢: ٥٦٢ المغرب ١: ٣٠١ - ٣٠٢، وفيات ابن قنفذ ١١٤٩، أعلام الجزائر ١١٤٩، نيكل ١٦١، الأعلام للزركلي ٦: ٣٢٩ (٩٨).

أبو مروان الجزيري

- ١- هو أبو مروان عبدُ الملكِ بنُ إدريسَ الأزديُّ الجريُّ من أهلِ قُرطُبَة، ولأه المنصورُ بنُ أبي عامرِ الشُرطَة ثم ولأه ديوانُ الإنشاء (الوزارة). ويبدو أن أبا مروانَ الجزيريَّ كان يتجرأ على المنصورِ فكان المنصورُ يَسْجِنُه مرَّةً بعدَ مرَّة. وقد سَجَنَه مرَّةً في برجِ طُرطوشَة ومرَّةً في سجنِ الزاهرة. ثم رَدَّه بعدَ السجنِ إلى الوزارة. وبَقِيَ أبو مروانَ الجزيريُّ في الوزارة إلى أيامِ المظفَّرِ بنِ المنصور. وغَضِبَ المظفَّرُ عليه فسَجَنَه ثم قَتَلَه في السجن، سَنَة ٣٩٤ (١٠٠٣ - ١٠٠٤ م).
- ٢- أبو مروانَ الجزيريُّ كاتبٌ مُتَرَسِّلٌ وشاعرٌ مُكثِرٌ يُشَبَّهُ بِمُحَمَّدِ بنِ عبدِ الملكِ الزَيَّاتِ^(١) في البلاغة والعبقريَّة. وفنونه المدحُ والعتابُ والوصفُ والحِكْمة. وأكثرُ شِعْره في المنصورِ بنِ أبي عامرٍ مديحاً أو في المناسبات.

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو مروانَ الجزيريُّ يَصِفُ البَدْرَ في ليلةٍ فيها غَمٌّ يَخْجِبُ البَدْرَ حيناً بعدَ حينٍ: ويخاطب المنصور:

أرى بَدْرَ السَّماءِ يَلُوحُ حيناً فيَبْدو ثم يَلْتَجِفُ السَّحابُ،
وذلك أَنَّهُ لَمَّا تَبَدَّى وأَبْصَرَ وَجْهَكَ أَسْتَحْيَا وغاباً!

(١) راجع الجزء الثاني (توفي ابن الزيات سنة ٢٣٣).

- وقال وهو في السجن:

شَحِطَ الْمَزَارُ، فَلَا مَزَارَ، وَتَافَرَتِ عَيْنِي الْمَجُوعَ فَلَا خِيَالَ يَغْتَرِي^(١).
أَزْرَى بَصِيرِي وَهُوَ مُشْدُودُ الْعُرَى، وَأَلَانَ عُودِي وَهُوَ صُلْبُ الْمَكْسِرِ^(٢)،
وَطَوَى سُرُورِي كُلَّهُ وَتَلَذَّذِي بِالْعَيْشِ طَيِّ صَحِيفَةٍ لَمْ تُنْشَرِ.
هَإِنَّمَا أَلْقَى الْحَبِيبَ تَوْهْمًا بِضَمِيرٍ تَذْكَارِي وَعَيْنٍ تَذْكَرِي.
عَجَبًا لِقَلْبِي يَوْمَ رَاعَيْتَنِي النَّوَى وَدَنَا وَدَاعِي كَيْفَ لَمْ يَنْتَفِظْ^(٣)!

- وقال يُخَاطِبُ الْمَنْصُورَ بَنَ أَبِي عَامِرٍ عَلَى لِسَانِ إِحْدَى بَنَاتِهِ وَكَانَ اسْمُهَا يَنْفَسَجُ:

.... إِذَا تَدَافَعَتِ الْحُصُومُ- أَيْدَ اللَّهِ مَوْلَانَا الْمَنْصُورَ- فِي مَذَاهِبِهَا وَتَنَافَرَتْ فِي مَفَاخِرِهَا فَإِلَيْهِ مَفْرَعُهَا. وَهُوَ الْمَقْتَعُ فِي فَصْلِ الْقَضِيَةِ بَيْنَهَا لِاسْتِيلَاتِهِ عَلَى الْمَفَاخِرِ بِأَسْرِهَا وَعَلَيْهِ بَسِيرُهَا وَجَهْرُهَا. وَقَدْ ذَهَبَ الْبَهَارُ وَالنَّرْجِسُ^(٤) فِي وَصْفِ مَحَاسِنِهَا وَالْفَخْرُ بِمَنَاقِبِهَا كُلِّ مَذْهَبٍ. وَمَا مِنْهَا إِلَّا ذُو فَضِيلَةٍ، غَيْرَ أَنَّ فَضْلِي عَلَيْهَا أَوْضَحُ مِنَ الشَّمْسِ الَّتِي تَعْلُونَا وَأَعَذِبُ مِنَ النَّهَامِ الَّذِي يَسْتَقِينَا.

و (إِذَا) كَانَا قَدْ تَشَبَّهَا فِي شِعْرِهَا بِبَعْضِ مَا فِي الْعَالَمِ مِنْ جَوَاهِرِ الْأَرْضِ وَمَصَابِيحِ السَّمَاءِ،، فَإِنِّي أَتَشَبَّهُ بِأَحْسَنِ مَا زَيَّنَ اللَّهُ بِهِ الْإِنْسَانَ وَهُوَ الْحَيَوَانُ النَّاطِقُ، مَعَ أَنِّي أَعْطَرُ مِنْهَا عَطْرًا وَأَحَدُ خُبْرًا، وَأَكْرَمُ إِمْتَاعًا شَاهِدًا وَغَائِبًا وَيَانِعًا وَذَابِلًا. وَكَلَاهُمَا لَا يُبْتَعُ إِلَّا رَيْثُمَا يَنْبَغُ^(٥). ثُمَّ إِذَا ذَبِلَ تَسْتَكْرِهُ النَّفُوسُ شَمَّهُ وَتَسْتَدْفَعُ الْأُكْفُ ضَمَّهُ. وَأَنَا أُمْتِنُ يَابَسًا وَرَطْبًا وَتَذْخِرُنِي الْمُلُوكُ فِي خَزَائِنِهَا وَسَائِرُ (اقْرَأْ):

(١) شحط (ابتعد). المجوع: النوم. خيال: منام، طيف. يغتري (يأتي إلى).

(٢) أزرى: غاب (أزرى بصيري: إن السجن جعل الناس يهزأون بي لأني ظهرت أمامهم ضعيفاً). مشدود العرى: قوي.

(٣) راعيتني أخافتني. النوى: البعاد. تنظّر: تقطّع.

(٤) البهار: النبات الأصفر اللون، والأزهار التي تظهر في الربيع. النرجس: زهر حقيقي (بري) أبيض البتلات أصفر الوسط (غير الأقماع).

(٥) الامتناع: إدخال السرور على النفس. اليانع (في الأصل): الثمر إذا نضج.

جميع) الأطبَّه، وأَصْرَفُ في منافع الأعضاء. فَإِنْ فَغَرَا بِاسْتِقْلَالِهَا عَلَى سَاقٍ هِيَ
أَقْوَى مِنْ سَاقِي، فَلَا غَرَوَ أَنَّ الْوَشْيَ ضَعِيفٌ وَالْهَوَى لَطِيفٌ وَالْمِسْكُ خَفِيفٌ. وليس
الْجَدُّ يُذَرِّكُ بِالصِّرَاعِ..... (ثم) لِمَوْلَانَا أُمُّ الْحَكَمِ فِي أَنْ يَفْصِلَ (بَيْنَنَا) بِحُكْمِهِ الْعَدْلِ.
وأقول:

شَهِدَتْ لِنُورِ الْبَنْفَسِ النَّسْ
مِنْ لَوْنِهِ الْأَحْوَى وَمِنْ إِيْقَاعِهِ^(١).
لِمَشَابِهِ الشَّمْرِ الْأَعْمُ أَعَارَهُ
قَمَرُ الْمَنِيرِ الطَّلُقُ نَوْرَ شُعَاعِهِ^(٢).
مِلْكُ جَهْلِنَا قَبْلَهُ سُبُلَ الْعُلَا
حَتَّى وَضَعْنَ بِنَهْجِهِ وَشِرَاعِهِ^(٣).
فِي سَيْفِهِ قِصْرٌ لِطُولِ نِجَادِهِ
وَتَهَامٍ سَاعِدِهِ وَفُتْحَةٍ بَاعِهِ^(٤).
ذُو هِمَّةٍ كَالْبَرْقِ فِي إِسْرَاعِهِ
وَعَزِيمَةٍ كَالْحَيْنِ فِي إِيْقَاعِهِ^(٥).
تَلْقَى الزَّمَانَ لَهُ مُطِيعاً سَامِعاً
وَتَرَى الْمُلُوكَ الشُّمَّ مِنْ أَتْبَاعِهِ^(٦)!

٤- * جذوة المقتبس ٢٦١ (الدار المصرية) ٢٨٠ (رقم ٦٢٤)؛ بغية المتلمس
٣٦٢-٣٦٣ (رقم ١٠٥٨)؛ الذخيرة ٤٦: ٤٦-٥٢؛ الصلة ٣٢٩-٣٣٠؛ اعتبار
الكتاب ١٩٣-١٩٦؛ فنج الطيب ١: ٥٢٩-٥٣٣، ٥٨٦-٥٨٨؛ الأعلام
للزركلي ٤: ٣٠١ (١٥٦).

ابن أبي زَمَنِين

١- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى الإلبيري، وُلِدَ في إلبيرة في ذي
الحِجَّة من سَنَةِ ٣٢٤ (تشرين الأول - أكتوبر ٩٣٦ م).

- (١) النُّور: الزهر. الأحوى: الأسمر (هنا: الأزرق القاتم).
- (٢) مشابه جمع شبه (على غير قاعدة). الشمر الأعم (الواخر، الكثير).....
- (٣) هذا البيت وما يليه في مدح المنصور بن أبي عامر (ولا صلة لها بوصف البنفسج). وضع: ظهر، بان.
النهج: الطريق الواضح، الطريقة. الشراع (في القاموس) القلع (بالكسر) الذي تسير به المراكب.
(لعله يقصد: ما شرعه المددوخ للناس).
- (٤) سيفه قصير لأن ذراعه طويلة يصل بها إلى العدو (ولو كان السيف نفسه قصيراً).
- (٥) النجاد: ما يحمل به السيف. لطول مجاده (كناية عن طول قامته).
- (٦) الحين: الموت. الإيقاع: إنزال الأذى بالناس.
- (٦) الأشم: العالي فضبة الأنف (وكان ذلك عندهم دليلاً عن النسب الملكي الصحيح).

درس ابنُ أبي زمنين الفقهَ والشعرَ في مدينة بَيَّانة. وكان فقيهاً مُقدِّماً وزاهداً مُتَبَتِّلاً يَلْحَقُهُ الخشوعُ إذا تلا القرآنَ أو سَمِعَهُ يُتْلَى فَتَسِيلُ دُمُوعُهُ على خَدَيْهِ.

تُوفِّي أبو عبد الله بن أبي زمنين في البيرة، في ربيعِ الثاني من سَنَةِ ٣٩٩ (كانون الأول - ديسمبر ١٠٠٨ م).

٢- ابنُ أبي زمنين فقيهٌ وزاهدٌ وشاعرٌ واعظٌ تَغَلَّبَ على شِعْرِهِ نَفْحَةُ دينيَّةٍ مَعَ شيءٍ من التشاؤم، ويبدو أن شعره كان كثيراً مُتداولاً بين الناس. وكانت له تاليفٌ منها: تفسير القرآن - أصول السنن - مُنتَخَبُ الأحكام - قدوة الغازي - وغير هذه في الزهد والوعظ وأخبار الصالحين - المُقَرَّبُ في اختصار المدونة - المذهب في الفقه -

٣- مختارات من شعره

- لابن أبي زمنين هذه الأبيات في الزهد والوعظ:

الموتُ في كلِّ حينٍ ينشُرُ الكفنا،	ونحن في غفلةٍ عما يُرادُ بنا.
لا تَطْمَئِنِّ إلى الدنيا وبهجتها	وإن توشَّختَ من أثوابها الحسنا.
أئنَّ الأحيَّةُ والجيران، ما فعلوا؟	أين الذين هُمُ كانوا لنا سَكناً؟
سقاَهُمُ الدهرُ كاساً غيرَ صافيةٍ	فصيرَتْهم لأطباقِ الثرى رُهْناً ^(١) .
تبكي المنازلُ منهم كلَّ منسجمٍ	بالمكْرُماتِ، وترثي البرَّ والمِننا ^(٢) .
حَسْبُ الحِمامِ، لو أَبْقاهم وأمهْلهم،	ألاً يَظُنُّ على مَعْلُوءٍ حسناً ^(٣) .

٤- * * جذوة المقتبس ٥٣ (الدار المصرية) ٥٦-٥٧ (رقم ٥٧)؛ بقية الملتص ٧٧-٧٨

(١) رهن (بضمتين) جمع رهن (يسكون الماء). بين أطباقِ الثرى رهن: محبسون بين طبقات الأرض (موتى).

(٢) منسجم بالمكْرُمات: كثير الكرم. المنسجم: المطر أو الدمع السائل، المنهمر. البر: الإحسان إلى الأقربين. المنة: المروءة الذي يتبرع الإنسان به لغيره (من غير استحقاق).

(٣) الحمام: الموت. المَعْلُوء: الأرض. حسناً (في القافية) مكررة، ولعلها خطأ.

(رقم ١٦٠) مطمح الأنفس ٤٩ - ٥٠، الوافي بالوفيات ٣ : ٣٢١،
 الديباج المذهب ٢٦٩ - ٢٧١، أعيال الأعلام ٥٢، وفيات ابن قنفذ ٢٢٤ - ٢٢٥،
 شذرات الذهب ٣ : ١٥٦، دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٦٩٤، بروكلمن ١ : ٢٠٥،
 الملحق ١ : ٣٣٥، نيكل ٤٤، مختارات نيكل ٤٣، الأعلام للزركلي ٧ : ١٠١ (٣ :
 ٢٢٧).

ابن القزّاز البربري

هو سعيد بن عثمان بن سعيد بن محمد بن سعيد بن عبد الله بن يوسف بن سعيد
 البربري، ويُعرف بابن القزّاز اللّغويّ وبلحية الزّبل، من أهل قرطبة، وُلِدَ سنة
 ٣١٥ هـ (١١١٩ م).

روى ابن القزّاز البربري عن قاسم بن أصبغ ومحمد بن محمد بن عبد السلام
 الحُشَينيّ وأحمد بن بشر بن الأغبر وابن عبد البرّ صاحب التّاريخ وسعيد بن فحلون
 وأخذ عن أبي عليّ القاليّ وصحبه. وقد فُقِدَ في وقعة قنتيش، في نصف ربيع الأوّل
 من سنة ٤٠٠ (١١٠٩ / ١١ / ٦ م).

وكان ابن القزّاز البربري من العلماء في الحديث، والفقه ولكن براعته الأولى كانت
 في اللّغة والنحو، «ومن طريقه صَحَّتْ اللّغة بالأندلس بعد أبي عليّ (القالي) ومن
 طريقه ابن أبي الحُبّاب وأبي بكر الزُّبيدي» (الصلة ٢٠٦). وله كتاب في الردّ على
 كتاب «الفصوص» (في النوادر والغريب) لصاعد البغدادي اللّغوي.

★ ★ الصلة ٢٠٤ - ٢٠٦ (رقم ٤٦٧)، جذوة المقتبس ٢١٥ (رقم ٤٧٥)، بغية الملتبس ٢٩٨
 (رقم ٨٠٩)، إنباء الرواة ٢ : ٤٤ - ٤٧، بغية الوعاة ٢٥٦، بروكلمن، الملحق ١ : ٥٣٩.

ابن شخيص القرطبي

١- هو أبو عبد الله محمد بن مطرف من أهل قرطبة اتصل بالمنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢ هـ) ثم بابنه المظفر من بعده وكان يجالس المظفر. ومات قبل سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م).

٢- كان ابن شخيص القرطبي « من أهل الأدب المشهورين ومن أعيان الشعراء المُقَدَّمين سالكاً في أساليب الجِدِّ والهُزْل، وشعره كثيرٌ مشهور ». وتجد له عدداً من المختارات^(١) في كتاب التشبيهات للكتّاني (ت ٤٢٠ هـ). ولابن شخيص قصائد ومقطعات. وفنونه الوصف والفرزل والمدح والهجاء، وربما نحا نحواً بدوياً في مديحه ونحواً سوقيّاً في هجائه.

٣- مختارات من شعره

- قال محمد بن شخيص في الوصف:

كَأَنَّ انْتِشَارَ الطَّلِّ فِي الْوَرْدِ أَدْمَعُ تَبَدَّى عَلَى زَهْرِ الْخُدُودِ انْتِثَارُهَا^(٢)
كَأَنَّ جَنِيَّ الْأَقْحَوَانِ بَرُوضِهَا تُنَوِّرُ الْعَذَارَى حِينَ رَاقَى أَثْفَارُهَا^(٣)

- وقال في الوصف أيضاً:

وَلَمَّا آمَتَرَى فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ بَعْضَهُمْ أَقَامَ لِأَبْصَارِ الْجَمِيعِ مِثَالَهَا^(٤)
فَلَلْعَيْنِ أَنْوَارُ الْبَسَاتِينِ حَوْلَهَا، وَلِلْسَمْعِ تَفْجِيرُ الْمِيَاهِ خِلَالَهَا^(٥)

(١) اثنتا عشرة قطعة تجمع سنة وأربعين بيتاً.

(٢) الطل: نقاط الماء التي تسقط في الصباح الباكر على الأغصان عادة. - كأن الورد خدود، وكأن الطل دموع.

(٣) الأقحوان زهر يتألف من دائرة صغيرة صفراء حولها بتلات بيض تشبه الأسنان الأمامية. الجني: الناضر (الزاهي اللون) الطري (الحديد). الأثفار: بدء ظهور الأسنان (الأسنان الجديدة، وتكون صحيحة بيضاء مستوية، الخ).

(٤) لآ شك قوم في شكل الجنة (جهلوا صورتها ووصفها) أنشأ هو في الأرض شهاً لها.

(٥) الأنوار جمع نور (بفتح النون): الزهر الأبيض.

كَأَنَّ يَوَاقِينَأَ أَذِيَّتْ فَأَشْرَبَتْ سَطُوحَ الْمَبَانِي صِبْنَهَا وَصِقَالَهَا^(١).

- وقال في النسيب (ويبدو أَنَّ الأبيات التالية والأبيات السابقة من قصيدة واحدة في المديح):

- وقال في تفضيل الوردِ لَأَنَّهُ نَبْتُ سَوِيٍّ (يأتي في أوائل فصل الربيع بعد أن تكون النفوسُ قد أَشتاقتْ إليه) وتصغير شأنِ الآسِ لَأَنَّهُ نَضَارٌ (دائمُ الخضرة، ولذلك يَمْلَهُ الناسُ):

وَمُتَمَلِّئَةُ الْأَجْفَانِ مَا زِلْتُ مُشْفِقًا عَلَيْهَا، وَلَكِنِّي أَلَدُّ أَعْتَلَاهَا^(٢).
جَفُونُ أَجَالِ الْحُسْنِ فِيهِنَّ قَتَرَةٌ فَحَلَّ عُرَى الْأَجَالِ مُنْذُ أَجَالِهَا^(٣).
فَهَلْ مِنْ شَفِيعٍ عِنْدَ لَيْلَى إِلَى الْكَرَى، لَعَلِّي إِذَا مَا نِمْتُ أَلْقَى خِيَالَهَا.
يَقُولُونَ لِي: صَبْرًا عَلَى مُطْلٍ وَعَنْدِهَا، وَمَا وَعَدْتَ لَيْلَى فَأَشْكُو مِطَالَهَا^(٤).
وَمَا كَانَ ذَنْبِي غَيْرَ حِفْظِي عُهْدَهَا طَيِّبِي هَوَاهَا وَأَحْتَالِي دَلَالَهَا^(٥).

أَرَادَ الْوَرْدُ بِالْآسِ انْتِقَاصًا فَقَالَ الْوَرْدُ: لَسْتُ أَزُورُ إِلَّا
وَأَنْتَ تُدِيمُ تَتَقَبَّلًا طَوِيلًا عَلَى شَوْقِي كَمَا زَارَ الْخَيَالَ^(٦).
فَتَسَامُكَ الْمَيُونُ لَذَاكَ بَغْضًا تَدُومُ بِهِ كَمَا رَسَتْ الْجِبَالَ.
وَتَرْقُبُنِي كَمَا رُقِبَ الْهِلَالُ^(٨)!

- وقال في الهجاء مع الهزء:

قَسْتُ بِالشَّعْرِ مَشْرَأً فَلِذَا هُمْ صَوْرُ الْإِنْسِ فِي طِبَاعِ الْحَمِيرِ.

(١) انعكس لون الزهر على سطوح الابنية!!

(٢) متملة الأجفان: ناعمة العينين. ألدُّ اعتلالها: أجد لذة في نمس عينيها.

(٣) أجال الحسن فيهن قتره: جعل في عينيها كلتيهما قتره (فتوراً، نمساً). حلَّ عرى الآجال (الأعمار): قصر أعمار الناس.

(٤) المطل (بالضم) والمطال (بكر الميم): الماطلة، تأخير الوفاء بالوعود بأعذار مختلفة.

(٥) طيبي (المصدر طي) مضافاً إلى الضمير المتصل (الباء) هواها: إغفائي حتى لها عن الناس.

(٦) فقال الآس للورد.

(٧) الخيال: الطيف الذي يرى في المنام.

(٨) تسام: تمل. ترقبني: تنتظرنني. كما رقب الهلال: كما ينتظر الناس هلال (المعيد).

كَلَّمَا جِئْتَهُمْ لِأَتَيْدَ شِعْرِي طَمَعُوا مِنْ نَوَالِهِم بِالْبَيْسِ^(١)،
فَكَاتَى وَصَفَّتْ فَلَكَةَ بُوْقٍ فِي قَمِي أَوْ صَفَّتْ أَنْبُوبَ كِيرٍ^(٢)!

٤- * * جذوة المقتبس ٨٤ (الدار المصرية) ٩١ رقم ١١٤٤ بغية الملتبس ١١٩ (رقم ٢٧٠)، نيكل ٤٣.

الطليق المرواني

١- هو أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصري، وُلِدَ فِي سَنَةِ ٣٥٠ هـ (٩٦١ م)، قُبِيلَ وَفَاةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ. وَنَحْنُ لَا نَعْرِفُ مِنْ أَحْدَاثِ حَيَاتِهِ إِلَّا قِصَّةَ سَجْنِهِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا:

كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَرْوَانَ قَدْ رَبَّى مَعَ ابْنِهِ مَرْوَانَ جَارِيَةً وَوَعَدَهُ بِأَنْ يُزَوِّجَهُ إِيَّاهَا ثُمَّ اسْتَأْثَرَ هُوَ بِهَا. وَلَحِقَتْ مَرْوَانَ غَيْرَةٌ - وَكَانَ قَدْ أَحَبَّ الْجَارِيَةَ - فَقَتَلَ أَبَاهُ. وَكَانَتْ تِلْكَ الْحَادِثَةُ فِي أَيَّامِ حِجَابِةِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ فَسَجَنَ الْمَنْصُورُ مَرْوَانَ فِي الْمَطْبِقِ (وَهُوَ سِجْنٌ فِي مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ قَرَبَ قَرْطَبَةَ) وَعُمُرُهُ آنَ ذَاكَ نَحْوُ سِتِّ عَشْرَةِ سَنَةٍ. وَقَدْ مَكَثَ مَرْوَانُ فِي سِجْنِهِ سِتِّ عَشْرَةِ سَنَةٍ أَيْضاً أَطْلَقَهُ فِي نِهَائِهَا الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ لِأَنَّ الْمَنْصُورَ - فِيمَا قِيلَ - رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ «يَأْمُرُهُ أَنْ يُطْلِقَهُ فَأَطْلَقَهُ». مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عُرِفَ مَرْوَانُ هَذَا بِالطَّلِيقِ الْمَرْوَانِيِّ وَالطَّلِيقِ الْقُرَشِيِّ. وَكَانَ يُعْرَفُ أَيْضاً بِلَقَبِ الشَّرِيفِ الْمَرْوَانِيِّ وَالشَّرِيفِ الْقُرَشِيِّ (لِنَسَبِهِ فِي الْبَيْتِ الْأُمَوِيِّ الْمَالِكِ فِي قَرْطَبَةَ). وَتَوُفِّيَ الطَّلِيقُ الْمَرْوَانِيُّ نَحْوَ سَنَةِ ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ - ١٠١٠ م).

٢- كَانَ الطَّلِيقُ الْمَرْوَانِيُّ أَدِيباً وَشَاعِراً، وَهُوَ فِي بَنِي أُمَيَّةَ كَعْبِدُ اللَّهِ بْنِ الْمَعْتَزِ فِي بَنِي الْعَبَّاسِ «مَلَا حَةَ شِعْرٍ وَحُسْنَ تَشْبِيهِ»؛ وَقَدْ نَظَّمَ مُعْظَمَ شِعْرِهِ وَهُوَ فِي السِّجْنِ فِي قَتِيَّاتٍ شَقْرٍ. وَلَهُ قَصِيدَةٌ عَلَى رَوِيِّ الْقَافِ فَرِيدَةٌ فِي بَابِهَا.

٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ الطَّلِيقُ الْمَرْوَانِيُّ فِي الْغَزْلِ وَالْخَمْرِ وَوَصَفِ الطَّبِيعَةِ:

- (١) النوال: العطاء. البير: القليل.
(٢) فلكة (٢) البوق: آلة يَزْمُرُ بِهَا. الْكِيرُ مَنَافَخُ الْحَدَّادِ. سَدَّوْا أَذَانَهُمْ (كَيْلَا يَسْمَعُوا الصَّوْتَ) وَهَرَبُوا (كَيْلَا تَنْسَخَ أَثْوَابُهُمْ).

غُصْنٌ يَهْتَزُّ فِي دِغْصِرٍ نَقَا يَجْتَنِي مِنْهُ فُوَادِي جُرْحَا^(١).
 أطلَعَ الحُسْنَ لَنَا مِنْ وَجْهِهِ قَمَرًا لَيْسَ يُرَى مُمَحِقَا^(٢).
 وَرَنَا عَنْ طَرْفِ رِيمٍ أَخْوِرِ لَحْظُهُ سَهْمٌ لِقَلْبِي فُوقَا^(٣).
 وَتَنَاهَى الْحُسْنَ فِيهِ - إِنَّا يَحْسُنُ الْغُصْنُ إِذَا مَا أَوْرقَا^(٤).
 رَبَّ كَاسٍ، قَدْ كَسَتْ جِنَحَ الدُّجَى ثَوْبَ نُورٍ مِنْ سَنَاهَا يَفْقَا^(٥)،
 ظَلْتُ أَسْتَبِيهَا رَشًا فِي طَرْفِهِ سِنَّةٌ تُورِثُ عَيْنِي أَرْقَا^(٦).
 فَكَأَنَّ الْكَاسَ فِي أَنْعُلِهِ صُفْرَةُ النَّرْجِسِ تَعْلُو الْوَرْقَا^(٧)؛
 أَصْبَحْتُ شَمًا وَفُوهُ مَغْرِبًا وَيَدُ السَّاقِي الْمُحْيِي مَشْرِقَا.
 فَإِذَا مَا غَرَبْتُ فِي قَمِيهِ تَرَكْتُ فِي الْخَدِّ (مِنْهَا) شَفَقَا^(٨)!
 وَغَامَ هَطِيلٌ شُوبُوبُهُ نَادَمَ الرُّوضَ فَغَتَّى وَسْقَى^(٩)؛

- (١) الدغص: قطعة من الرمل مستديرة (تلة صغيرة، أو جانب من تلة كبيرة). نقا: رمل أبيض. - كناية عن الجزء الأوسط من المحبوب!
- (٢) القمر المَحْقُ: القمر حينما لا يكون له نور (في آخر الشهر).
- (٣) رنا: تطلع وأدام النظر. الطرف: طرف العين، النظر. الريم: الغزال الأبيض. الأحور: شديد بياض بياض العين وشديد سواد سوادها. فوق السهم: صوبه.
- (٤) تناهى: (هنا) بلغ النهاية والغاية، كمل. يحسن الغصن إذا ما أورك: اكتسى بالورق (في الربيع). يقصد الشاعر أن محبوبه لما شبَّ وظهر الشعر في وجهه أصبح أجمل من ذي قبل (تشبيهاً له بالغصن إذا أورك في الربيع).
- (٥) الجنح (بكسر الجيم): الجانب. الدجى: الظلام، الليل. السنا: اللعنان. البيقق: الأبيض. - نور الحمر في الكأس ردَّ الليل أبيض كأنه نهار.
- (٦) ظلت (بكسر الظاء) = ظلت (بكسر اللام الأولى): بقيت، استمرت. الرشا: الطهي الصغير إذا قوي وبدأ يثني مع أمه. الطرف: العين. السنة (بكسر السين): النعاس (فتور العين دلالة على الحس والإغراء). الارق: السهر (من شدة الحب).
- (٧) الاغلى: أطراف الأصابع. - صفرة النرجس تملو الورق = يمكن أن تمثل صورتين (أ) كقلب النرجس الأصفر بين ورق (بفتح الراء) زهرة النرجس (بتلات الزهرة)، كناية عن إمساك الساقى بالكأس؛ أو (ب) كزهرة النرجس الأصفر تحمله يد جيلة بيضاء كأنها من ورق (بكسر الراء) أي من فضة.
- (٨) الشفق: اللون الأحمر الذي يبقى على الأفق بعد غياب الشمس.
- (٩) الشوبوب: الدفعة (بضم الدال) من المطر. المطل: المتتابع مرّة بعد مرّة، الكثير المطلن أو التهطل (السقوط والانهيار). - يقول: الغمام ينادم الروض: يسقي الروض من مائه ويغتنيه برعده.

فكَأَنَّ الرُّوضَ مِنْهُ مُطِيقٌ، وَكَأَنَّ الْمُهْضَبَ جَانِبَ أُطْبَاقٍ^(١).
خَلَعَ الْبِرْقُ عَلَى أَرْجَائِهِ ثَوْبَ وَشِيٍّ مِنْهُ لَمَّا أُبْرِقَا.
وَكَأَنَّ الْعَارِضَ الْجَوْنَ بِهِ أَذْهَمَ طَلَّ عَلَيْهِ بُلْقَا^(٢).
فِي لَيَالٍ ظَلَّ سَارِي نَجْمِهَا جَائِزاً لَا يَسْتَبِينُ الطَّرْقَا^(٣).
وَقَدْ الْبِرْقُ لَنَا مِصْبَاحُهَا فَتَنَى جَنَحَ دُجَاهَا مُشْرِقَا^(٤).
وَشَدَا الرِّعْدُ حَيْنِيئاً فَجَرَّتْ أَكُوسُ الْمُزْنِ عَلَيْهِ غَدَقَا^(٥).
فَانْتَشَى شُرْباً وَأَضْحَى مَائِلاً مِثْلَ نَشْوَانٍ وَقَدْ خَرَّ لَقَى^(٦).
وَعَدَتْ نَحْنُو لَهُ الشَّمْسُ وَقَدْ أَلْحَقَتْهُ مِنْ سَنَاها نُفْرُقَا^(٧).
وَكَأَنَّ الْوَرْدَ يعلوه النَّدى وَجَنَةُ الْمُعْشَقِ تَنْدَى عَرَقَا!

- وقال في النسيب:

أَقُولُ وَدَمْعِي يَسْتَهْلُ وَيَسْفَحُ وَقَدْ هَاجَ فِي الصَّدْرِ الْقَلِيلُ الْمَرْجُ^(٨):

- (١) (الصورة في البيت غير واضحة، والكلمات: مطيق، هضب، أطبقا ليس لها في القاموس معان ثلاث استعملها في هذا البيت). المطبق: السجن تحت الأرض. أطبق: سجن.
- (٢) (العارض: الغيم المفلل يحمل مطراً. الجون (هنا): الأسود (لكثرة ما فيه من المطر). أذهم (فرس؟) أسود. طلل عليه: أنزل على الروض طلاً (مطراً خفيفاً). بلقا جمع أبلق: فرس أبيض- الصورة غير واضحة. كأن الغيمة السوداء فرس أذهم (أسود) أحاطت به بلق (خيل بيضاء)- غيوم بيضاء (٤).
- (٣) ليلة شديدة السواد كثيرة المطر لا يستطيع فيها أحد أن يبر ولا النجوم أيضاً.
- (٤) وقد: أوقد، أشعل، أضاء. تنى: ردّ (جمل). تنى جنيح دجاءها مشرقاً: جعل (البرق) جانباً من الليل مضيقاً.
- (٥) غدقا: كثيراً. الندى: الماء الكثير.
- (٦) انتشت (سكرت) أغصان الروض (لكثرة ما سقط عليها من المطر- كأن هذا المطر خر) فالت كثيراً فأصبحت تشبه السكران الذي «خر» (سقط من كثرة الشراب) لقي (مطروحاً على الأرض) ..
- (٧) ثم حنت له (حننت عليه، عطفته) الشمس فأشرقت وألحقت الروض (عطفته بلحاف) من سناها (نورها) بنمرق (بساط ملون)- في الغيم الكثيف يظهر كل شيء داكناً. أمّا في نور الشمس فيبدو كل شيء بلونه الطبيعي.
- (٨) استهل: طلع، بدأ. يسفح: أنصب، سال بكثرة. القليل: الشوق إلى الماء، العطش، عطش الحب. المرج: الموجع، الشديد.

دعوني من الصبر الجميل فإنني
لقد هيج الأضحى لنفسي جوى أسمى
كأن بعيني حلق كل ذبيحة
فيا ليت شمري هل لمولاي عطفة
يحين إلى البدر الذي فوق خده
تقنع بدر التيم عند طلوعه
فقلت له: «يا بدر، أسفر فقد غوى
لعمري لذاك البدر أجل منظراً
وأحسن من بدر التام وأملح.
عليه رقيب للعدى ليس يرح» (١).
وإحدى من بدر التام وأملح.

٤- ★ ★ جذوة المقتبس ٣٢١، (الدار المصرية) ٣٤٢-٣٤٣ (رقم ٧٩٩) بغية الملتبس
٤٤٧ (رقم ١٣٤٣)، المغرب ١: ١٨٦ ١٨٧، المطرب ٧٢ وما بعد (وفيها
استطراد)، الذخيرة ١: ٥٥٣ وما بعد؛ الحلة السراء ١: ٢٢٠-٢٢٥؛ المن
بالإمامة ١٥٩-١٦٤؛ نفع الطيب ٣: ٣٨٨-٣٨٩، ٥٨٦-٥٨٨؛ الأعلام
للزركلي ٨: ٩٦ (٧: ٢٠٨)؛ نيكل ٦١-٦٤، مختارات نيكل ٣٧-٣٨.

عائشة بنت أحمد

١- هي عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم من أهل قرطبة لا نعرف من أخبار

- (١) الأضحى = عيد الأضحى. الجوى: الحرق الشديد. المرض المتناول. الأسى: الحزن. جوى أسمى (على
الإضافة): حزن شديد طويل الأمد. أروح: أكثر راحة للنفس. الموت القطيع أهمل على
الإنسان من هذا الحزن الناشئ من (بماد) الحبيب.
- (٢) حيناً أرى الذباح تدحج في عيد الأضحى (والحبيب بعيد عني) أشعر أن السكين الذي ير محلها
(يدبحها) كأنه ير بي أنا (يدبحني أنا). كأن بصدري قلبها: أنا أشعر في الحب بما تشمر هي به عند
الذبح.
- (٣) بدر التم (بكسر التاء) والتام (بفتح التاء): البدر ليلة أربع عشرة. تقنع: أرحى القناع على وجهه.
سرى: مار ليلاً. - استقر البدر باليوم كيلاً يخرج محبوبي (إلى الزهرة في ضوء القمر)، وحينئذ يظهر
بدري (محبوبي) أجل من بدر السماء.
- (٤) أسفر: اكشف عن وجهه. غوى عليه رقيب للعدا: وضع أعدائي على حبيبي رقيباً قد غوى (ضل)،
فهو يتشدد في منعه من الخروج ليلاً ونهاراً. يرح: يترك، يغادر (لا يترك مراقبة المحبوب).

حياتها إلا أنها كانت تمدحُ الملوك (الرؤساء والأعيان) وأنها عَشِقَتْ أحدَ أبناءِ المنصور
أَبْنِ أَبِي عامِرٍ (ت ٣٩٢ هـ)، وأنها ماتت سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ - ١٠١٠ م) عذراء لم
تتزوج قط.

٢- كانت عائشة بنتُ أحدٍ من أدقِّ الناسِ فهماً وأوسعهمِ علماً وكانت أديبةً
شاعرة ذات فصاحة، كما كانت حَسَنَةً الخطِّ تكتبُ المصاحفَ. وربما ارتجَلَتِ الشعرَ.

٣- مختارات من شعرها

- دخلت عائشة بنتُ أحدَ على المظفرِ بنِ المنصورِ بنِ أَبِي عامِرٍ (ت ٣٩٩ هـ)
وبينَ يَدَيْهِ وَلَدٌ فَارْتَجَلَتْ:

أراك الله فيه ما تريدُ،	ولا برحمتِ معاليه تزيدُ.
فسوفَ تراهُ بذراً في سماءٍ	من العلياء كواكبُه الجنودُ.
وكيفَ يجيبُ شَيْئُ قد نمتُهُ	إلى العلياء ضراغمةً أسودُ؟
فأنتم، آلَ عامرٍ، خيرُ آلٍ:	زكا الأبناءُ منكم والجُددُ ^(١) .
وليدُكم لَدَى رأيٍ كشيخٍ	وشيعُكم لَدَى حَرْبٍ وليدُ.

- ولها قصيدةٌ وجدانيةٌ مطلعُها:

لولا الدموعُ لَمَّا خَشِيتُ عَذولاً، فهي التي جعلتُ إليك سبيلاً^(٢).

٤- * * الصلاة ٦٥٤: نفع الطيب ٤: ٣٩٠ تاريخ الفكر الأندلسي ٧٣: الأعلام للزركلي
٤: ٤ (٣: ٢٣٩ - ٢٤٠).

السرقسطي الماعري

١- هو أبو عثمان سعيدُ بنُ مُحَمَّدٍ الماعري السرقسطي المعروف بابنِ الحدادِ والملقبُ

(١) زكا: طاب، صلح (بفتح اللام).

(٢) العذول: الذي يلوم الناس على أعمالهم.

بالجمار^(١)، لعل مولده نحو ٣٤٠ هـ (٩٥١ م) في سَرَقُطَة. ثم يبدو أنه انتقل مع أهله إلى قُرطبة ونشأ فيها وتلقى العلم على جماعة منهم ابن القوطية (ت ٣٦٧ هـ) فلازمه وأصبح أشهر تلاميذه، كما روى عن صاعِدِ الرَّبَعِيِّ البَغْدَادِيِّ (ت ٤١٧ هـ). واستشهد السَرَقُطِيُّ المَعَارِيُّ في قُرطبة في أيام الفِتنَة (بعد ٤٠٠ هـ = ١٠٠٩ م).

كان السَرَقُطِيُّ المَعَارِيُّ ذا اتِّجَاهٍ دِينِيٍّ حَمَلَهُ عَلَى التَّطَوُّعِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ فِي السُّنَنِ مِنْ عُمُرِهِ. وَكَانَ نَحْوِيًّا وَأَدِيبًا، لَهُ « كِتَابُ الْأَفْعَالِ » - عَلَى غِرَارِ كِتَابِ شَيْخِهِ « كِتَابُ الْأَفْعَالِ » - (وَلَكِنَّهُ بَسْطٌ لَهُ: مَقْدَمَةٌ وَتَوْضِيحٌ وَتَوْسِيعٌ!)، إِلَّا أَنَّهُ اقْتَصَرَ فِيهِ عَلَى الْغَرِيبِ مِنَ الْأَفْعَالِ وَمِنْ مَعَانِي الْأَفْعَالِ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الشَّوَاهِدِ. وَقَدْ أَنْتَهَى مِنْ تَأْلِيفِهِ بَعْدَ وَفَاةِ ابْنِ الْقَوْتُوبَةِ وَقَبْلَ وَفَاتِهِ هُوَ بِبِضْعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ. وَكِتَابُ السَرَقُطِيِّ المَعَارِيِّ أَمُّ الْكُتُبِ فِي مَوْضُوعِهِ، إِذْ لَمْ يَقْدِرِ الْمُؤَلِّفُ فِيهِ نَفْسَهُ بِمَذْهَبٍ مُعَيَّنٍ، بَلْ أَوْرَدَ آرَاءَ الْبَصْرِيِّينَ كَأَيِّ زَيْدٍ (الْأَنْصَارِيِّ) وَالْأَصْمَعِيِّ وَابْنِ دُرَيْدٍ وَأَبِي حَاتِمٍ (السَّجِسْتَانِيِّ) وَآرَاءَ الْكُوفِيِّينَ كَأَبِي الْأَعْرَابِيِّ وَابْنِ السَّيِّكِيِّ وَأَبِي عُبَيْدَةَ (مَقَرِّ) أَبِي الْمُثَنَّى) إِلَى جَانِبِ آرَاءِ نَفَرٍ آخَرِينَ مِنَ النُّحَاةِ.

٤- * * الصلة ٢٠٩ (رقم ٤٧٨)؛ فهرست ابن خير ٣٥٦، ١٤٧٣ بروكلمن؛ بروكلمن، الملحق ١: ٢٠٣، الأعلام للزركلي (٣: ١٠١) - وفي هذه الترجمة تفاصيل أكثر مما نجد في هذه المصادر والمراجع المذكورة سقط مني مواضع أخذها.

محمد بن مغيث المغربي

١- هو مُحَمَّدُ بْنُ مُغِيثِ الْمَغْرِبِيِّ، وُلِدَ سَنَةَ ٣٥٢ هـ (٩٦٣ م) وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٤٠٢ هـ (١٠١٢ م) بَعْدَ مَرَضٍ أَقْعَدَهُ، وَقَدْ بَدَأَ الْهَرَمَ عَلَيْهِ.

٢- مُحَمَّدُ بْنُ مُغِيثِ الْمَغْرِبِيِّ شَاعِرٌ مَطْبُوعٌ مُرْسَلُ الْكَلَامِ مَلِيحُ الطَّرِيقَةِ يَقَعُ عَلَى

(١) أَبُو عَثَانَ سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَدَّادِ الْمَلَقَبُ بِالْجَمَّارِ هَذَا غَيْرُ أَبِي عَثَانَ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَدَّادِ مِنْ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الثَّلَاثَةِ مِنَ النُّحَاةِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ (طَبَقَاتُ الزَّيْبِيدِيِّ ٢١٦، رَاجِعْ بَقِيَّةَ الْوَعَاةِ ٢٥٧) وَغَيْرُ أَبِي عَثَانَ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدِ الْقُرْطُبِيِّ النَّحْوِيِّ (رَاجِعْ بَقِيَّةَ الْوَعَاةِ ٢٥٧) وَغَيْرُ سَعِيدِ بْنِ فَتْحُونَ السَّرَقُطِيِّ الْمَلَقَبُ بِالْجَمَّارِ (رَاجِعْ نَعْمَ الطَّيِّبِ ٢: ١٧٥، ٥٠٢).

النُكْبَ وَيُصِيبُ (مواقع) الكلامِ وَيُقِيمُ (يُثْبِرُ) حَرْبَ الشعراءِ (العداوةَ بَيْنَ الشعراءِ).
وكانَ مُنْهَمِكاً في الخمرِ كَثِيرَ الهِجاءِ مُقْذِعاً، حَسَنَ التَّعْلِيلِ في شِعْره.

٣- مختارات من شعره

- رَزَقَ أَحَدُ الرُّسُلِ بِنْتاً فَحَزَنَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ بْنُ مُغِيثٍ:
لَا تَأْسَ إِنْ رُحْتَ أَباً لَا بِنَةَ تَكْظُمُ أَشْجَاناً إِلَى كَاظِمَةَ^(١)؛
فَإِنْ أَبْنَاهُ نَبِيُّ الْهُدَى كُلُّهُمْ مِنْ وَلَدِي فَاطِمَةَ^(٢)!

- جاءَ مُحَمَّدٌ بْنُ مُغِيثٍ إِلَى عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ مُهَذَّبٍ فَجَحَبَهُ (رَفَضَ عَبْدَ الْمَجِيدِ أَنْ
يَسْتَقْبِلَهُ) فَقَالَ مُحَمَّدٌ بْنُ مُغِيثٍ يَهْجُوهُ، وَكَانَ لِعَبْدِ الْمَجِيدِ قُرُوحٌ فِي رَأْسِهِ يَكْرَهُ أَنْ تَظْهَرَ
كَمَا كَانَ لَهُ عَبْدٌ اسْمُهُ سَعِيدٌ يُؤْثِرُهُ^(٣):

رَزْتُ عَبْدَ الْمَجِيدِ زَوْزَةً مُشْتَا قِي إِلَيْهِ فَصَدَّ عَنِّي صُدُوداً؛
فَكَانِي أَتَيْتُهُ أَنْزَعُ الْعِمْدَ سَمَةً عَنْ رَأْسِهِ وَأَخْصِي سَعِيداً.

ابن الفَرَضِيِّ

١- هُوَ أَبُو الْوَلِيدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسَفَ بْنِ نَصْرِ الْأَزْدِيِّ الْقُرْطُبِيُّ، وُلِدَ فِي
قُرْطُبَةٍ، فِي ٢٣ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٣٥١ (٢٢ / ١٢ / ٩٦٢ م).
تَلَقَّى ابْنَ الْفَرَضِيَّ الْعِلْمَ عَلَى كَثِيرِينَ مِنْهُمْ فِي الْأَنْدَلُسِ يَحْيَى بْنُ مَالِكٍ بْنُ عَائِذٍ (ت
٣٧٦ هـ) وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ الْخَرَّازِ.

وَفِي سَنَةِ ٣٨٢ هـ (٩٩٣ م) رَحَلَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ مِنَ الْأَنْدَلُسِ فَسَمِعَ فِي الْقَيْرَوَانِ مِنْ
ابْنِ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيِّ (ت ٣٨٦ هـ) وَمِنْ أَبِي الْحَسَنِ الْقَاسِمِيِّ (ت ٤٠٣ هـ). وَسَمِعَ فِي
مِصْرَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمُهَنْدِسِ. وَبِمَا أَنْ رَحَلَتْهُ إِلَى الْمَشْرِقِ لَمْ

(١) لَا تَأْسَ: لَا تَحْزَنْ. تَكْظُمُ: تَرُدُّ، تَتَمَعَّ، تَحْبِسُ (تَصْبِرُ عَلَى الْقَضْبِ). الشَّجْنُ (يَفْتَحُ فَتْحَ): الْحُزْنُ.

كَاظِمَةُ (بِلْدَةٍ فِي الْكُوَيْتِ تَسَمَّى الْيَوْمَ: الْجَهْرَةُ). تَكْظُمُ أَشْجَاناً إِلَى كَاظِمَةَ (٤). (تَزِيدُ أَحْزَانَ نَفْسِكَ).

(٢) نَبِيُّ الْهُدَى: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. فَاطِمَةُ ابْنَةُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ تَزَوَّجَهَا الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَجَاءَهُ مِنْهَا
الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ. وَجَمِيعُ نَسْلِ رَسُولِ اللَّهِ كَانَ مِنَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ابْنِي فَاطِمَةَ.

(٣) يُؤْثِرُهُ: يَفْضَلُهُ عَلَى غَيْرِهِ (وَالشَّاعِرُ يَتَمَعَّ عَبْدَ الْمَجِيدِ بِالْفَاحِشَةِ).

بَسَمَرٌ سَوَى سَنَتَيْنِ فَقَطْ (٣٨٢-٣٨٤ هـ) فلا بدَّ من أن يكون قد وصل إلى مَكَّة في أواخر سَنَةِ ٣٨٢ هـ (في آخر عام ٩٩٢ أو أول عام ٩٩٣ م) فحجَّ ثم سمع من أبي يعقوب يوسف بن أحمد بن الدخيل الصيدلاني المكي.

وبعد أن عاد ابن الفرضي إلى الأندلس تقلَّد القضاء في بَلَنَسِيَّةَ، في أيام الخليفة محمَّد المَهْدِيَّ (٣٩٩-٤٠٠ هـ). ثم إنَّه انتقل إلى قرطبة. وفي قرطبة قُتِلَ ابْنُ الفرضي في الفتنة، في السادس من شَوَّالٍ من سَنَةِ ٤٠٣ (٢٠ / ٤ / ١٠١٣ م)، لَمَّا دخل البربرُ إلى قرطبة وأعادوا سُلَيْمَانَ المُسْتَعِينِ إلى سُدَّةِ الخِلافة.

٢- أبو الوليدُ بنُ الفَرَضِيِّ مُحَدِّثٌ بارعٌ في علوم الحديث وفقه وخطيب و ذو حظٍّ وافٍ من الأدب. وهو أيضاً شاعر مقلِّ - وعند ابن خَلَّكان (وفيات ١٠٦: ٣) شاعر مكثر- وشمره لطيف تَقَلَّبُ عليه العاطفة الدينية. غير أن شهرة ابن الفرضي إِنَّمَا هي في تَأليفه التاريخية عرفنا منها: تاريخ العلماء والرِّوَاةَ للعلم في الأندلس - تاريخ شعراء الأندلس - المؤتلف والمختلف في أسماء الرجال.

٣- مختارات من آثاره

- رَوَى ابنُ خَلَّكانٍ لأبي الوليدِ بنِ الفرضي هذه المُنَاجاةَ (وفيات ١: ٤٧٩):
أَسِيرُ الخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ واقِفُ
عَلَى وَجَلٍّ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ،
يَخَافُ ذُنُوباً لَمْ يَغِيبْ عَنْكَ غَيْبُهَا
وِيرْجُوكَ فِيهَا، فَهُوَ رَاجٍ وَخَائِفُ.
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْجُو سِوَاكَ وَيَتَّقِي؟
وَمَا لَكَ فِي فَضْلِ الْقَضَاءِ مُخَالَفُ.
فِيَا سَيِّدِي، لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي،
إِذَا نُشِرَتْ - يَوْمَ الْحِسَابِ - الصَّحَائِفُ!
وَكُنْ مُؤَنِّسِي فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا
يَصُدُّ ذَوُّ الْقُرْبَى وَيَجْفُو الْمُؤَالَفُ.
لَكِنَّ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الْوَاسِعُ الَّذِي
أَرْجِي لِإِسْرَافِي فَإِنِّي لَتَالِفُ!

- لَمَّا رَحَلَ ابنُ الفرضي عن الأندلس (٣٨٢ هـ) قال:

وَمَا لِي حَيَاةً بَعْدَكُمْ أَسْتَلِدُّهَا، وَلَوْ كَانَ هَذَا لَمْ أَكُنْ بَعْدَهَا حُرّاً.
مَضَتْ لِي شُهُورٌ، مُنْذُ غَيْبَتُمْ، ثَلَاثَةٌ، وَمَا خِلْتَنِي أَبْقَى - إِذَا غَيْبْتُمْ - شَهْرًا.

سَأَسْتَعْتِبُ الدَّهْرَ الْمَفْرَقَ بَيْنَنَا. وهل نأفمي إن صيرت أستعجب الدهر؟
أَعْلَلُ نَفْسِي بِالنَّسَى فِي لِقَائِكُمْ؛ وَأَسْتَسْهِلُ الْبَرَّ الَّذِي جُبْتُ وَالْبَحْرَا.
وَيُونُسِي طَيِّ الْمَرَا حِلِّ بَعْدَكُمْ: أرواحُ على أرضٍ وأغدو على أخرى.
- وقال في مقدمة كتابه « تاريخ العلماء والرواة للعلم في الأندلس »:

هذا كتابُ جمعناه في فقهه الأندلس وعلمائهم وروايتهم وأهل العناية منهم مُلَخَّصاً
على حروفِ الْمُعْجَمِ قَصَدْنَا فِيهِ قَصْدَ الْاِخْتِصَارِ- إذ كانت نيتنا قديماً أن نُؤَلِّفَ في
ذلك كتاباً مُوَعِيّاً على المُدُنِ يشتمل على الأخبار والحكايات، ثم عاقَت عوائقُ عن
بلوغ المُرادِ فيه- فجمعنا هذا الكتابَ مُختَصِراً.

وَعَرَضْنَا فِيهِ ذِكْرُ أَهْلِ الرِّجَالِ وَكُنَاهُمْ وَأَنَسَابِهِمْ وَمَنْ كَانَ يَفْلِبُ عَلَيْهِ حِفْظُ
الرَّأْيِ مِنْهُمْ، وَمَنْ كَانَ الْحَدِيثَ وَالرِّوَايَةَ أَمْلَكَ بِهِ وَأَغْلَبَ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى
الْمَشْرِقِ رِحْلَةٌ، وَعَمَّنْ رَوَى وَمَنْ أَجَلُ مَنْ لَقِيَ، وَمَنْ بَلَغَ مِنْهُمْ مَبْلَغُ الْأَخْذِ عَنْهُ وَمَنْ
كَانَ يُشَاوِرُ فِي الْأَحْكَامِ وَيُسْتَفْتَى، وَمَنْ وَلِيَ مِنْهُمْ خُطَّةَ الْقَضَاءِ، وَمِنْ الْمَوْلَدِ وَالْوَفَاةِ مَا
أَمْكَنَتْنِي عَلَى حَسَبِ مَا قَيَّدْتُهُ.....

٤- تاريخ علماء الأندلس (كوديرا)، مدريد ١٨٩٢ م= تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس،
(عني بشره وصححه ووقف على طبعه السيد عزت المطارحسبني)، القاهرة
١٣٧٣هـ= ١٩٥٤م.

★ ★ جذوة المقتبس ٢٣٧- ٢٣٩ (الدار المصرية) ٢٥٤- ٢٥٦ (رقم ٥٣٧)، بغية المتلصص
٣٢١- ٣٢٣ (رقم ٨٨٨)، المغرب ١: ١٠٣- ١٠٤، مطمح الأنفس ٥٧- ٥٨، الذخيرة
١: ٦١٤- ٦١٦، الصلة ١: ٢٤٦- ٢٥٠، وفيات الأعيان ٣: ١٠٥- ١٠٦، شذرات
الذهب ٣: ١٦٨، نفع الطيب ٢: ١٢٩- ١٣٠، بروكلمن ١: ٤١٢، الملحق ١: ٥٧٨-
١٥٧٩، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٦٢، الأعلام للزركلي ٤: ٢٦٥ (١٢١).

يوسف بن هرون الرمادي

١- هو أبو عمرَ يوسفُ بنُ هرونَ الكِنْدِيُّ، وُلِدَ فِي قُرْطَبَة، سَنَة ٣١٤ هـ
(٩٢٦ م). وقد عُرِفَ بِلَقَبِ الرَّمَادِيِّ فِي مُقَابِلِ «أَبُو حَنِيس» مِنَ الْإِسْبَانِيَةِ الدَّارِجَةِ:
cenisa (الرماد)؛ وَيَبْدُو أَنَّهُ لَا صِلَةَ لِلْقَبْرِ هَذَا بِبِلْدَةِ الرَّمَادَةِ فِي الْمَغْرِبِ.

أخذ الرماديُّ الأدبَ عن أبي بكرٍ يحيى بن هُذيل الكفيف (ت ٣٨٦ هـ) أحدِ علماء الأدبِ في الأندلس، ثم عُنِيَ بالفلسفة القديمة.
ولما دخل أبو عليُّ القالي إلى الأندلس (٣٣٠ هـ = ٩٤٢ م) مدحه الرماديُّ بقصيدةٍ بارعةٍ، برُغم صِغَرِ سِنِّه يومذاك.

وتكسب الرماديُّ بالشعر، وكان شاعرَ الحكمِ المُستنصِرِ (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ)، فعَلَتْ منزلتهُ. وكذلك قصدَ شعره عبدُ الرحمن بنُ محمدِ التُّجِيبِيَّ في سَرَقُطَّةَ وفرحون بنُ عبدِ الله في شَنْتَرينِ الغربِ. غير أن أكثرَ اتِّصاله كان بالحاجِبِ المنصورِ بن أبي عامرٍ (٣٦٦ - ٣٩٢ هـ) ولكن لما وقعتِ المنافسةُ بينَ الحاجِبِ المنصورِ والوزير جعفرِ أبنِ عثمانِ المصْحَفِيِّ وَقَفَ الرماديُّ في جانبِ المصْحَفِيِّ. فلما تغلبَ المنصورُ على المصْحَفِيِّ أمرَ بِسَجْرِ الرماديِّ (٣٦٨ هـ = ٩٧٨ م) ثم عفا عنه (٣٧٦ هـ).

وكانت وفاةُ الرماديِّ في ١٢ من ذي الحِجَّة ٤٠٣ (٢٤ / ٦ / ١٠١٣ م).
٢- يوسفُ بنُ هرونَ الرماديُّ شاعرٌ وُجِدانيٌّ مُكثِرٌ مشهورٌ عند الخاصةِ والعامَّةِ لأنَّه كان بارعاً في عددٍ من فنونِ الشعرِ التي تنفُقُ عندَ الفريقين. وفي شعره شيءٌ من الطَّبَعِ وشيءٌ من التَّصْنِيعِ والتكَلُّفِ، وكان مُغرماً باستخراجِ الصورِ الشعريةِ المستغرَبةِ والمعانيِ المبتكرةِ؛ ومع ذلك فقد كان سريعَ القولِ. وفنونُ الرماديِّ المدحُ والهجاءُ والوصفُ والغزلانِ والمُجُونُ والخمرُ. وهو يجري في الخمرِ على أثرِ أبي نُوَاسٍ. ولعلَّ تطلُّبه للصورِ الشعريةِ والمعانيِ المبتكرةِ هو الذي دعا أهلَ الأندلسِ إلى أن يُسمَّوه «متنبِّي الغربِ» (لقباً أطلق أيضاً على آبن هاني وابنِ درَّاجِ القسطلِيِّ).
وللرمادي كتاب الطيرِ ألفه في السجنِ.

٣- مختارات من شعره

- يبدأ ابن دِخْيَةَ (ت ٦٣٣ هـ) كتابَ «المُطَرَّبِ من أشعارِ أهلِ المغربِ» بالرماديِّ ويقول: «أُنشدَ مُقدِّمُ شعراءِ الأندلسِ أبو عُمَرَ يوسفُ بنُ هارونَ الرماديُّ لنفسه:

وليلة راقبت فيها الهوى والراح لا تنزل عن راحتي،
وربَّ يومَ قَنَطُره مُنْضِجٌ أُبْرَزَ، في خَدَيْهِ، لي رَشْعُهُ
فُتَّعَتِ الْجَنَّةَ من جَنِبِهِ مُروءةٌ في الحُبِّ تَنْهَى بأن - وقال في النسيب والخمر:

بَدْرٌ بدا يَحْمِلُ شَمْساً بَدَتْ، وَحَدُّها في الحُسْنِ من حَدِّهِ^(١)؛
تَغْرُبُ في فِيهِ، وَلَكِنَّها من بعدِ ذا تَطْلُعُ في خَدِّهِ!

- وقال في معذبه (محبوبه الذي يعذبه) يحاول أن يختار له محلاً يحفظه من كل سوء :

في أيِّ جارحةٍ، أَصُونُ مُعَذِّبِي، سَلِمْتُ من التعذيب والتنكيل^(٢)؟
إن قُلْتُ في بَصْرِي فَنَمَّ مَدَامِعِي؛ أو قُلْتُ في كَيْدِي فَنَمَّ غَلِيلِي^(٣).
لَكِنْ جَعَلْتُ له المَسامحَ موضعاً وَحَجَبْتُها عن عَذَلٍ كُلِّ عَذول.

- لَمَّا دَخَلَ أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي إِلَى الْأَنْدَلُسِ (٣٣٠ هـ = ٩٤٢ م). مَدَحَهُ الرَّمَادِيُّ بِقَصِيدَةٍ بَارِعَةٍ، وَكَانَ الرَّمَادِيُّ لَا يَزَالُ حَدَّثًا. قَالَ:

- (١) الوَسْنان: الذي يخاله النعاس.
- (٢) النَّدَامان (بالفتح): الندم الواحد: الذي يشارك في شرب الخمر). النَّدَامان (بالضم): جمع نديم.
- (٣) رَشْعُهُ: عرقه. الوَسْن: (الورد) الأبيض. الطَّل: الندى. - لَمَّا علا العرق وجنتيه تداخل عليها عرقه الأبيض ولونها الأحمر.
- (٤) الجيب: مدخل العنق في الثوب. رضوان: خازن الجنة. - بَتَّ في دعوة رضوان (منتحاً مع حبيبي) من غير معصية (راجع البيت التالي).
- (٥) بدر (كناية على السامي الجميل) يحمل شمساً (كأساً من الخمر). حَدُّها من حَدِّهِ (صفاتها جميلة كصفاته).
- (٦) الجارحة: العضو في الجسم (اليَد، العين الخ).
- (٧) الغليل: الحرّ (من الحبِّ أو الحزن).

مَنْ حَامٌّ بَيْنِي وَبَيْنَ عَذُولِي؟ الشَّجْوُ شَجْوِي وَالْعَوِيلُ عَوِيلِي^(١).

وبعد شيء من الغزل والنسيب قال الرمادي يوازن بين الغرب (الأندلس) بعد وصول أبي عليّ القالي إليه والشرق بعد أن غادره القالي (ويشبه القالي بالروض):

رَوْضٌ تَعَاهَدَهُ السَّحَابُ كَأَنَّهُ مُتَعَاهِدٌ مِنْ عَهْدِ إِسْمَاعِيلِ^(٢).
قِسْهُ إِلَى الْأَعْرَابِ تَعَلَّمَ أَنَّهُ أَوْلَى مِنَ الْأَعْرَابِ بِالتَّفْضِيلِ^(٣):
حَازَتْ قِبَائِلُهُمْ لُغَاتٍ فُرِّقَتْ فِيهِمْ؛ وَحَازَ لُغَاتِ كُلِّ قَبِيلِ^(٤).
فَالشَّرْقُ خَالٍ بَعْدَهُ، فَكَأَنَّا نَزَلَ الْحَرَابُ بِرَبْعِهِ الْمَاهُولِ.
وكَأَنَّهُ شَمْسٌ بَدَتْ فِي غَرْبِنَا وَتَغَيَّبَتْ عَنْ شَرْقِهِمْ بِأَقُولِ^(٥).

٤- * جذوة المقتبس ٣٤٦-٣٤٩ (الدار المصرية) ٣٦٩-٣٧٣ (رقم ٨٧٨)؛ بنية الملتبس ٤٧٨-٤٨١ (رقم ١٤٥١)؛ المغرب ١: ٣٩٢-٣٩٤؛ المطرب ٣-٤٤ وفيات الأعيان ٧: ٢٢٥-٢٢٩؛ معجم الأدباء ٢٠: ٦٢-٦٤؛ مطمح الأنفس ٦٩-١٧٤؛ شذرات الذهب ٣: ١٧٠-١٧٢؛ نفع الطيب ٣: ٧١-٧٢، ٧٥، ٣٦٤-٣٦٥؛ ٤: ٣٥-٤٠، ١٧٤؛ بروكلمن ١: ٣١٨-٣١٩، الملحق ١: ٤٧٨؛ دائرة المعارف الإسلامية (ط ١) ٣: ١١١٣-١١١٤؛ نيكول ٥٨-٦٠، مختارات نيكول ٤١-٤٣؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣٣٦ (٨: ٢٥٥).

عبد الكريم النهشلي

١- هو أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي، وُلِدَ في المَسِيلَة (المحمدية) من بلاد الزاب (في القطر الجزائري) ونشأ فيها.

- (١) العذول: الذي يلوم المحبَّ على شدة حبه للمحبوب. الشجو: الحزن. العويل: البكاء بصوت مرتفع.
- (٢) تعاهده السحاب (استمرَّ هطول المطر عليه). اسماعيل: أبو العرب. من عهد اسماعيل (منذ زمن بعيد جداً) كان هذا المدوح يعرف اللغة العربية منذ عهد اسماعيل (هو عربي أصيل ونسبه قديم في المروبة). والمدوح (القالي) اسمه اسماعيل أيضاً.
- (٣) الأعراب (البدو الذين ينطقون باللغة العربية الفصحى سليقة و سليمة صحيحة).
- (٤) كلُّ قبيلة (بدوية) تتغن لفة واحدة (لفتها). أمَّا المدوح (القالي) فإنه يتغن لغات جميع القبائل.
- (٥) الأقول: غياب الشمس وراء الأفق (في المساء).

في سنة ٣٤٥ هـ (٩٥٦ - ٩٥٧ م) انتقل عبد الكريم النهشلي إلى القيروان، في أيام المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١ - ٣٦٥ هـ)، ولقي فيها الشاعر ابن هاني والشاعر علي بن الأيادي وغيرهما.

ويبدو أن عبد الكريم النهشلي دخل في خدمة بني زيري الصنهاجيين، منذ أوائل عهدهم بخلع دعوة الفاطميين واستبدادهم بالحكم في المغرب، فكان كاتباً لهم في ديوان الرسائل ثم نال عندهم حظوة وصحبهم في حروبهم في المغرب الأدنى والمغرب الأوسط، وكان يُناديهم أيضاً. وقد صحب منهم المنصور بن بُلُقَيْن (٣٧٣ - ٣٨٦ هـ) وابنه باديس (٣٨٦ - ٤٠٦ هـ).

وكانت وفاة عبد الكريم النهشلي في المهديّة في الأغلب، سنة ٤٠٥ هـ (١٠١٣ - ١٠١٤ م).

٢- كان عبد الكريم النهشلي عالماً في اللغة عارفاً بأيام العرب وأشعارهم، كاتباً مُرسلاً وأديباً ناقداً قديراً وشاعراً مُحسناً، قيل يُجيدُ القصائد الطوال ولا يكادُ يصنعُ مقطوعاً. ولكن لعلّه لم يُجاوِز في شعره نظمَ خمسِ قطعٍ (العمدة ١: ١٦٣). وهو يذهب في شعره مذهبَ التروية (التفكير) ولا يرغُلُ أو يبتدئ. وشعره الرثاء والوصف والخمر، ولم يقل في الهجاء اقتداءً بأستاذه علي بن الأيادي.

وله كتاب «المتع» في علم الشعر وعمله وفي النقد على نمط كتاب الشعر لقدامّة ابن جعفر وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري. وعلى كتاب «المتع» اعتمد ابن رشيقي القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) في كتابه «العمدة في صناعة الشعر ونقده»: في الموضوعات وأسماء الأبواب، كما نقلَ منه فصولاً كاملة. ويبدو أنّه كان لعبد الكريم النهشلي كتبٌ أخرى أيضاً لم تصل إلينا أسماؤها.

ويبدو أن قيمة كتاب «المتع» إنّما هي في الجمع والتنظيم أكثرَ منها في الابتكار. قسّم الشعر أربعة أقسام: مديحاً وهجواً وحكمةً ولهُواً (غزلاً وخمراً). ثم عاد فقسّمه من وجهٍ آخر فقال: من الشعر ما هو خيرٌ كلّهُ (الزهدُ والوعظُ والمثلُ) ثم

ما هو ظَرْفُ كُلِّهِ (النوع والتشبيه وما يُفْتَنُ فيه من المعاني والآداب) ثم ما هو شَرُّ كُلِّهِ (الهجاء) ثم شعر التكسب (مخاطبة كلِّ إنسان من حيث هو والإتيان إليه من حيث قَهْمُهُ).

وعبد الكريم النهشلي يفضلُ المعنى على اللفظ ثم هو يؤكدُ أثرَ البيئة وأثرَ الزمن في مرتبة الشعر (يَحْسُنُ في بيئةٍ أو في زمنٍ ما لا يحسنُ في بيئةٍ أخرى أو في زمنٍ آخر).

٣- مختارات من آثاره

- قال عبد الكريم النهشلي في الشكوى:

أواجدةٌ وَجدي حَامَةٌ أَهْكَ تَمِيلُ بِهَا مَيْلَ النَّزيفِ غُصُونُهَا^(١)؟
 نشاوى وما مالتُ بَحْزَرٍ رِقَابُهَا، بَوَاكِ وَمَا قَاضَتْ بِدَمْعِ عُيُونِهَا^(٢).
 أفيقي، حَامَاتِ اللَّوَى، إِنَّ عِنْدَنَا لِشَجَوَاكِ أَمْثَالًا يَمُودُ حَنِينُهَا^(٣).
 وكلُّ غريبٍ الدارِ يدعو هُمومَه غَرَائِبَ مَحْسُودًا عَلَيْهِ شُجُونُهَا^(٤)!
 - وقال عبد الكريم النهشلي (العمدة ١: ١٠٧):

الكلامُ الْجَزَلُ أَغْنَى عَنِ الْمَعَانِي اللَّطِيفَةِ مِنَ الْمَعَانِي اللَّطِيفَةِ عَنِ الْكَلَامِ الْجَزَلِ. قَالَ
 بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ: الْمَعْنَى مِثَالُ وَالْلفظُ حَنْوٌ. وَالْحَنْوُ يَتَّبِعُ الْمِثَالَ وَيَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِهِ وَيَشَبُّ
 بِشَبَابِهِ.

- في اختلاف الشعر بحسب الأمكنة والأزمنة (من كتاب «الممتع»):
 قد تختلفُ الْمَقَامَاتُ والأزمنةُ والبلادُ فيحسنُ في وقتٍ ما لا يحسنُ في آخرَ،

-
- (١) الوجد: شدة الحب أو الحزن: الأهكة (مكان فيه شجر ملتصق كثيف). الزيف: (هنا) السكران. الفصون تبايل هذه الهامة بشدة كما يتبايل السكران الشديد السكر في شيه.
 (٢) نشاوى جمع نشوى (سكرى، سكرانة). بواك جمع باكية.
 (٣) اللوى: التلة المستديرة من الرمل (ويكون عند سفحها ماء وشجر ؟). الشجوى ليست في القاموس. والشاعر يقصد الشجو (الحزن). يمود (يرجع مرة بعد مرة) حنينها (صوتها الدال على حزنها).
 (٤) كلُّ غريب (من داره وبلاده) يعتقد أن همومه غريبة (أعظم من هموم كلِّ شخص آخر) مع أن أشخاصاً آخرين يمسونه على تلك الهموم اليسيرة القليلة الناهية.

وَيُسْتَحْسَنُ عِنْدَ أَهْلِ بَلَدٍ مَا لَا يُسْتَحْسَنُ عِنْدَ أَهْلِ غَيْرِهِ. وَنَجْدُ الشُّعْرَاءِ الْحَذَاقُ تُقَابِلُ كُلَّ زَمَانٍ بِمَا اسْتَجِيدَ فِيهِ وَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ عِنْدَ أَهْلِهِ بَعْدُ، وَإِلَّا تَخْرُجُ (أقرأ: خرجت) عَنْ حُسْنِ الْإِسْتَوَاءِ وَحَدِّ الْإِعْتِدَالِ وَجُودَةِ الصَّنْعَةِ. وَرَبِّمَا اسْتُعْمِلَتْ فِي بَلَدٍ الْفَاطَةُ لَا تُسْتَعْمَلُ كَثِيرًا فِي غَيْرِهِ، كَاسْتِعْمَالِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ بَعْضَ كَلَامِ أَهْلِ فَارَسَ فِي أَشْعَارِهِمْ وَنَوَادِرِ حِكَايَاتِهِمْ.

وَالَّذِي اخْتَارَهُ أَنَا التَّجْرِيدُ وَالتَّحْسِينُ الَّذِي يَخْتَارُهُ عُلَمَاءُ النَّاسِ بِالشِّعْرِ، وَيَقِي غَايِرُهُ عَلَى الْدَّهْرِ وَيَعْدُ عَنْ الْوَحْشِيِّ الْمُسْتَكْرَهِ وَيَرْتَفِعُ عَنِ الْمَوْلَدِ الْمُنْتَحَلِ^(١) وَيَتَضَمَّنُ الْمَثَلَ السَّائِرَ وَالتَّشْبِيهَ الْمَصِيبَ وَالْإِسْتِعَارَةَ الْحَسَنَةَ.....

الشُّعْرُ أَصْنَافٌ: فَشِعْرٌ هُوَ خَيْرٌ كُلُّهُ، وَذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ بَابِ الزُّهْدِ وَالْمَوَاعِظِ الْحَسَنَةِ وَالْمَثَلِ الْعَانِدِ عَلَى مَنْ تَمَثَّلَ بِهِ بِالْخَيْرِ وَمَا أَشَبَّ ذَلِكَ؛ وَشِعْرٌ هُوَ ظَرْفٌ كُلُّهُ، وَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْأَوْصَافِ وَالنُّعُوتِ وَالتَّشْبِيهِ وَمَا يُفْتَنُ^(٢) بِهِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَدَابِ؛ وَشِعْرٌ هُوَ شَرٌّ كُلُّهُ، وَذَلِكَ الْمَهْجَاءُ وَمَا تَسَرَّعَ بِهِ الشَّاعِرُ إِلَى أَعْرَاضِ النَّاسِ؛ وَشِعْرٌ يُكْتَسَبُ بِهِ، وَذَلِكَ أَنْ يَحْمِلَ (الشَّاعِرُ) إِلَى كُلِّ سَوْقٍ مَا يَنْفَقُ فِيهَا وَيُخَاطِبُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ حَيْثُ هُوَ وَيَأْتِي إِلَيْهِ مِنْ جِهَةٍ فَهَيْهَ.....

٤- * * * العمدة لابن رشيقي (في أماكن كثيرة مختلفة)؛ تاريخ النقد الأدبي عند العرب
لاحسان عباس ١٤٤٠-١٤٤٤ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١١١-١١١٤ مجلّة
الفكر (تونس) تموز (جويلية) ١٩٥٩ م، ص ٥-٨.

عبد العزيز الحشني القيرواني

١- عبد العزيز بن أبي سهل الحشني الضريقي القيرواني النحوي المعروف بابن
البقال الضريقي من أهل القيروان تصدّر فيها لتعليم اللغة والنحو والأدب والشعر.
وكان باديس بن المنصور بن بلكين (٣٨٦-٤٠٦ هـ) يحترمه ويكرمه جداً. وقد توثّق

(١) المولد المنتحل (هنا): الكلام المأخوذ من لهجات غربية ثم لم يجر أخذه في صوغه على مقاييس العرب.

(٢) افتن الرجل في القول: أتى بأفانين (بأنواع) منه مختلفة (وفاتنة: جميلة).

في السنة التي تُوُفِّي فيها باديئ، سنة ٤٠٦ هـ (١٠١٥-١٠١٦ م)، وقد أَسَنَ جِدًّا.

٢- كان عبدُ العزيز الحُشنيُّ القيروانيُّ طَيِّبَ النفسِ كثيرَ الحياءِ عالماً في اللغة والنحو والأدب، وكان شاعراً مطبوعاً سَهْلَ الكلامِ لطيفَ التركيبِ قريبَ مآخِذِ المعاني. وفنونه الوصفُ والعِتابُ والغزلُ والنسيبُ والحِكْمة.

٣- مختارات من شعره

- قال عبدُ العزيزِ الحُشنيُّ في العِتابِ:

ولستُ كَمَنْ يَعْزِي عَلَى الْمَجْرِ مِثْلَهُ، وَلَكِنِّي أُرْدَادُ وَصْلاً عَلَى هَجْرِي.
وما ضَرَفِي إِتْلَافُ عُمْرِي كُلِّهِ إِذَا نِلْتُ يَوْماً مِنْ لِقَائِكَ فِي عُمْرِي!

- أَرَادَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ جَرَّ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْحُشْنِيِّ إِلَى دَعْوَى (إِلَى شَهَادَةٍ فِي دَعْوَى يُجَانِبُ فِيهَا الْعَدْلَ) فَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ يَخَاطِبُهُ:

لَكُمْ عَلَيَّ وَفَاءٌ مَا حَيِّتُ، وَلَا أَغْدُو رِضَاكُمْ وَلَا أَرْضِي بِهِ أَحَدًا.
لَا تَسْأَلُونِي عَنْ دِينِي فَأَسْخِطُكُمْ؛ لَا يَفْتِ دِينِي بِدُنْيَاكُمْ إِذَنْ أَبَدًا!

- وقال في العِتابِ والنسيبِ:

يَا غُصْنًا غَضًّا مِنَ الْأَسْرِ وَدُرَّةً وَهِيَ مِنَ النَّسَاسِ،
صَوَّرَكَ اللَّهُ عَلَى صُورَةٍ كَانَتْ بِهَا أَسْبَابُ وَسْوَاسِي.
تَرِيدُ ذِكْرِي لَكَ فِي خَاطِرِي أَكْثَرَ مِنْ تَرْدِيدِ أَنْفَاسِي.
نَيْيَسَتْ وَدَّيْ وَتَنَاسَيْتَنِي، وَلَيْسَ قَلْبِي لَكَ بِالنَّاسِي.
وَلَيْسَ لِي مِنْكَ سِوَى حَسْرَةٍ تَجُولُ بَيْنَ الشَّوْقِ وَالْيَاسِ.

٤- كتابُ الرِّوَاةِ ٢: ١٧٨-١٨٠ نكت المِهيَانِ ١٩٤-١٩٥ بَغِيَّةُ الْوَعَاةِ ٣٠٨.

سليمان المستعين

١- هو أبو أيوبَ سُلَيْمَانُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ، وَلِدَ سَنَةَ ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م). وَلَمَّا بَلَغَ سُلَيْمَانُ أَشُدَّهُ كَانَتْ الْأَنْدَلُسُ قَدْ تَقَسَّمتْ بِالْفِتْنَةِ بَيْنَ الْعَرَبِ

والبربر خاصة. وكان البربر أنفسهم على جانبي الفتن مع المتنازعين. فلما قُتل مُحَمَّدُ الْمَهْدِيُّ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ، في سادس شوالٍ من سَنَةِ ٣٩٩ (١ / ٦ / ١٠٠٩ م) بايَعَ البربرُ سُلَيْمَانَ بِالْخِلَافَةِ فتلَقَّبَ «الْمُسْتَعِينُ»، ولكنه لم يَسْتَطِعْ دُخُولَ قُرْطُبَةَ إِلَّا فِي رَجَبِ الْأَوَّلِ (وقيل في رَجَبِ الثَّانِي) من سَنَةِ ٤٠٠ (نحو تشرين الثاني - نوفمبر ١٠٠٩ م).

ثم إِنَّ سُلَيْمَانَ خَرَجَ بِمَجْمُوعِ أَتْبَاعِهِ مِنَ الْبَرْبَرِ بِجَوْلٍ فِي أَقْطَارِ الْأَنْدَلُسِ لِلْقَضَاءِ عَلَى خُصُومِهِ، فَكَانَ الْبَرْبَرُ الَّذِينَ مَعَهُ يَخْرِبُونَ وَيَقْتُلُونَ وَيُدْمِرُونَ. وفي شَوَّالٍ من سَنَةِ ٤٠٣ (رَجَبِ ١٠١٣ م) دَخَلَ قُرْطُبَةَ ثَانِيَةً فَاتَّخَذَ لِقَبًا ثَانِيًا هُوَ «الظَّافِرُ بِجَوْلِ اللَّهِ».

وكان معَ الْمُسْتَعِينِ رَجُلٌ من نَسْلِ الْأُدَارِسة يُقَالُ لَهُ عَلِيُّ بْنُ حَمُودٍ فَوَلَّاهُ الْمُسْتَعِينُ عَلَى سَبْتَةِ وَطَنْجَةَ فِي الْعُنُودِ الْإِفْرِيقِيَّةِ (المغرب). ولكنَّ عَلِيَّ بْنَ حَمُودٍ كَانَ يَطْمَحُ إِلَى مَا فَوْقَ الْوِلَايَةِ فَتَارَعَ عَلَى الْمُسْتَعِينِ ثُمَّ سَارَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَدَخَلَ قُرْطُبَةَ وَقَتَلَ سُلَيْمَانَ لِثَمَانِي لَيَالٍ (أو تسع) بَقِيْنَ مِنَ الْحَرَمِ من سَنَةِ ٤٠٧ (١٧ أو ١٨ / ٦ / ١٠١٦ م).

٢- كَانَ سُلَيْمَانُ الْمُسْتَعِينُ أَدِيبًا فَصِيحًا وَشَاعِرًا مُكْثِرًا لَهُ رِسَالٌ وَقِصَائِدٌ فِي فَنُونٍ كَثِيرَةٍ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ سُلَيْمَانُ الْمُسْتَعِينُ فِي الْفَخْرِ:

عَجَبًا يَهَابُ اللَّيْتُ حَدَّ سِنَانِي، وَأَهَابُ لِحْظَةِ فَوَاتِرِ الْأَجْفَانِ^(١).
وَأَقَارِعُ الْأَهْوَالِ لَا مُتَهَيِّبًا، مِنْهَا سَوَى الْإِعْرَاضِ وَالْهَجْرَانِ^(٢).
وَتَمَلَّكْتُ نَفْسِي ثَلَاثَ كَالْدُمَى زُهْرُ الْوَجُوهِ نَوَاعِمُ الْأَبْدَانِ^(٣).

(١) السنان: حديدة جارحة في رأس الرمح. فواتر الأجفان (ناعسات العيون: من صفات الجمال) كناية عن النساء الجميلات.

(٢) أنا أكافح جميع أهوال الحياة، ولكن أضعف (أعجز - بكسر الجيم) إذا أعرضت عني (هجرتي) النساء الجميلات.

(٣) ثلاث (ثلاث نساء). الدمية: الصورة الجسدية. أزهري: أبيض.

ككواكسب الظلمه لُحْن لِنَاظِرٍ من فوقِ أغصانٍ على كُثْبَانٍ^(١).
هذي الهلالُ ، وتلكُ بنتُ المشتري حُسْنًا، وهذي أُخْتُ غُصْنِ البانِ^(٢).
حَاكَمْتُ فِيهِنَّ السُّلُوَ إِلَى الصِّبَا فَقَضَى بِسُلْطَانٍ عَلَى سُلْطَانٍ^(٣).
فَأَبْحَنَ مِنْ قَلْبِي الْحَمَى وَتَنَبَّيْ فِي عِزِّ مُلْكِي كَالْأَسِيرِ الْعَانِي^(٤).
لَا تَعْدِلُوا مِلْكَأً تَذَلُّ لِلْهَوَى؛ ذُلُّ الْهَوَى عِزٌّ وَمُلْكٌ ثَانٍ.
مَا ضَرَّ أَنِّي عَبْدُهُنَّ صَبَابَةً وَبَنُو الزَّمَانِ وَهُنَّ مِنْ عِبْدَانِي
إِنْ لَمْ أُطِيعْ فِيهِنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى كَلَفًا بَيْنَ فَلَسْتُ مِنْ مَرَوَانٍ^(٥).

٤- * * جذوة المقتبس ١٩- ٢١ (الدار المصرية) ١٩- ٢٢ بغية الملتبس ٢١- ٢٢
المعجب ٤٢- ٤٥ الحلة السراء ٢: ٥- ١١٢ البيان المغرب ٣: ٩١ وما بعد إلى
١١٢٠ فوات الوفيات ١: ٢٢٣- ٢٢٤ الذخيرة ١: ٣٥- ٤٨ الخ؛ نفع الطيب
٤٢٨: ٤- ٤٣١؛ الأعلام للزركلي ٣: ١٨٤- ١٨٥ (١٢٣).

أبو الحسن الكاتب المغربي

١- هُوَ أَبُو الْحَسَنِ (أَوْ الْحَسَنِ) مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ، وُلِدَ فِي الْقَيْرَوَانِ سَنَةَ
٣٣٤ هـ (٩٤٥- ٩٤٦ م) فِي بَيْتِ رِثَاسَةٍ وَكِتَابَةٍ وَوَجَاهَةٍ وَشِعْرِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ
٤٠٨ هـ (١٠١٧- ١٠١٨ م).

- (١) لحن (لجاعة الإناث الغائبات من «لاح» طهر، بدا). الفصن كتابة عن القوام المشوق. الكتيب:
الجانب المستدير من الرمل (كتابة عن أوسط الجسم)- القمر (أو الكوكب) الأبيض الشرق فوق
الفصن (القائمة المشوقة) فوق الكتيب (وسط الجسم المتلوه) من أوصاف المرأة الجميلة.
- (٢) المشتري: كوكب يدور حول الشمس. غصن البان: غصن سستيم تشبه به القائمة المشوقة الجميلة.
- (٣) السلو: النسيان. الصبا: الشباب. بسلطان: بقوة (بقوة الشباب). على سلطان: ملك (خليفة).- جعلت
الصبا حكماً أستثيره في نسيانين أو الاستمرار في حبّهن، فحكم الصبا عليّ (وأنا سلطان، ملك،
خليفة) بأن أستمّر في حبّهنّ.
- (٤) أباح الشيء: مكّن منه جميع الناس. الحمى: ما تحب حايته من مسكن أو شرف الخ. شاه: رده.
العاني: الدليل (وتستعمل عادة للأسير).- هؤلاء النسوة الثلاث استولين على قلبي (إرادتي) وجعلنني
(وأنا ملك في أوج القوة) أسيراً ذليلاً لهنّ.
- (٥) كلفا بين: محباً لهنّ شديد التعلق بين. لست من مروان: لست من بني مروان... (١).

٢- كان أبو الحسن الكاتب المغربي حسن الشعر في الوصف والمدح والغزل مع التصنيع أحياناً.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو الحسن الكاتب المغربي يصف الموج:

انظر إلى البحر وأماجسه فقد علاها زبد متسق؛
تعالها العين إذا أقبلت خيلاً بدت في حلبة تستيق،
حُمراً ودُهماً؛ فإذا ما دنت من شاطئ البحر علاها بلق^(١).

- وقال يمدح محمد بن أبي العَرَب (ت ٣٩٦ هـ). وكان ابن أبي العرب والياً على إفريقية (تونس) منذ سنة (٣٨٢ هـ):

شأكرُ نعمك التي انبسطت بها يدي وإساني فهو بالجِد ينطق؛
وأنتي لِمَا أوليتني من صنعة ومن مِنّة تغدو عليّ وتطرق^(٢).
وكلّ امرئ يرجو نَداك موقّ، وكلّ امرئ يُثني عليك مُصدّق.

- وقال في الغزل:

أبرق سرى أم وجهه ليلي تَبَلَجاً فشقّ بأيدي النور أقمصة الدجا^(٣)؟
لئن بيّنت بالبين وخدّاً لقلبي أثار جوى هجرانها متأججاً،^(٤)
فما صدّعت إلا حساً مُتصدّعا ولا هيّجت إلا فؤاداً مُهيجاً.
تُريك الشقيق الغضّ منها محاجراً مكحلةً منها، وخدّاً مُضرجاً^(٥).

(١) الأدهم: الأسود. البلق: البياض (إذا ركض الخيل تراكم على جسمها عرق أبيض). وإذا اقتربت الأمواج العالية من الشاطئ بدت ببيضاء (لاختلاط مائها بالهواء).

(٢) تطرق: تطلع عليّ، تأتيني.

(٣) تبلج الصبح: أضاء.

(٤) البين: الفراق، البعاد. الوجد: شدة الحب. الجوى: ألم الحب.

(٥) عيناها تشبهان شقائق النعمان (من حيث السعة لا من حيث اللون). ولكنها مكحلّتان بسواد (يشبه البقع السوداء الموجودة على بتلات الشقائق الحمراء). مضرج: أحمر (من التلطيح بالدم).

- وَحَسَبُ نَوَّرَ الْأَقْحُوَانِ إِذَا بَدَا - وَكَفُّ الْحَيَا يَجْلُوهُ - تُفَرِّغُ مُفْلَجًا^(١).
 كَانَ دَنَانِيرًا بِهِ وَدَرَاهِمًا تُثَرِّنَ عَلَيْهَا مُفْرَدًا وَمُزَوَّجًا.
 ٤- * * * الأَنُودُج (السُّوسِي) ١١٧-١٢١ الوافي بالوفيات، ٢: ٢١٤-٢١٦.

مريم الشلبية

١- هي الحَاجَّةُ مَرِيْمُ بِنْتُ أَبِي يَعْقُوبَ الْفُصُولِي^(٢) أَصْلُهَا مِنْ شِلْبَ، وَلَكِنَّهَا سَكَنْتْ إِشْبِيلِيَّةَ وَكَانَتْ لَهَا فِي إِشْبِيلِيَّةَ شُهْرَةٌ. وَقَدْ كَانَتْ تُعَلِّمُ النَّسْلَ. وَأَسْتَنْتْ مَرِيْمُ كَثِيرًا وَمَاتَتْ بَعْدَ سَنَةِ ٤٠٠ (١٠١٠ م) بِأَمْدٍ.

٢- كَانَتْ مَرِيْمُ الشَّلْبِيَّةُ أَدِيبَةً شَاعِرَةً جَزَلَةً الشَّعْرِ مَشْهُورَةً؛ وَفِي تَرَكَيبِهَا شَيْءٌ مِنَ الضَّعْفِ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شَعْرِهَا

- بِمَثِ ابْنِ الْمُهَنْدِ^(٣) إِلَى مَرِيْمَ الشَّلْبِيَّةِ بِدَنَانِيرَ وَكُتِبَ إِلَيْهَا مَعَ هَذِهِ الدَّنَانِيرِ بِأَبْيَاتٍ مَطْلُوعًا: « مَا لِي بِشُكْرِ الَّذِي أَوْلَيْتَنِي مِنْ قَبْلِ^(٤) (ب) »، فَكُتِبَتْ إِلَيْهِ:

مَنْ ذَا يُجَارِيكَ فِي قَوْلٍ وَفِي عَمَلٍ وَقَدْ بَدَّرْتَ إِلَى فَضْلٍ وَلَمْ تُسَلِّ^(٥) ؟
 مَا لِي بِشُكْرِ الَّذِي نَظَّمْتَ فِي عُنُقِي مِنْ اللَّالِي وَمَا أَوْلَيْتَنِي مِنْ قَبْلِ^(٥) .
 حَلَّيْنِي بِحُلَى أَصْبَحْتُ زَاهِيَةً بِهَا عَلَى كُلِّ أَنْثَى مِنْ حُلَى عَطْلٍ^(٦) .

(١) تُفَرِّغُ مُفْلَجٌ: فَمَ أَسْنَانُهُ مَفْتَرَقٌ بَعْضُهُا عَنْ بَعْضٍ. تَرَبَّكَ (هِيَ) الشَّقِيقُ (مَفْعُولٌ بِهِ أَوَّلٌ) عَاجِرٌ (مَفْعُولٌ بِهِ ثَانٍ).

(٢) فِي «بَغِيَةِ الْمُلْتَمَسِ» الْفُصُولِي (بِفَتْحِ الْفَاءِ وَالصَّادِ) وَفِي غَيْرِ بَضْمِ الْفَاءِ وَفَتْحِ الصَّادِ.

(٣) فِي نَفْعِ الطَّيِّبِ «الْمُهْدِي» (وَهُوَ فِي الْأَغْلَبِ خَطَأً- رَاجِعُ الْبَيْتِ الْأَخِيرِ).

(٤) (ب) مِنْ قَبْلِ (يَكْسِرُ وَفَتْحٌ): طَاقَةٌ، قُدْرَةٌ.

(٥) بِدَرٍّ: سَبَقَ. لَمْ تَسَلْ: لَمْ تُسَأَلْ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ).

(٥) مِنْ قَبْلِ (بَضْمٌ فَضْمٌ) مِنْ قَبْلِ (يَبْدُو أَنَّ ابْنَ الْمُهَنْدِ كَانَ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا مَرَارًا قَبْلَ ذَلِكَ).

(٦) الْعَطْلُ (بَضْمٌ فَضْمٌ): الْعَاطِلُ (الْمَرْأَةُ الْجَمِيلَةُ جَلَاءً طَبِيعِيًّا فَتَسْتَفْنِي عَنْ التَّرْنِيمِ بِالْحُلَى).

لِلَّهِ أَخْلَاقُكَ الْفَرْهُ الَّتِي سَقِيَتْ مَاءَ الْفُرَاتِ فَرَّقَتْ رِقَّةَ الْفَزَلِ.
 أَشْبَهَتْ فِي الشَّعْرِ مِنْ غَارَتْ بِدَائِمُهُ وَأُنْجِدَتْ وَغَدَّتْ مِنْ أَحْسَنِ الْمَثَلِ^(١).
 مَنْ كَانَ وَالِدُهُ الْقَضْبَ الْمُهَنْدَ لَمْ يَلِدْ مِنَ النَّسْلِ غَيْرَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ^(٢).
 - وَقَالَتْ لَمَّا أَسْنَتْ وَبَلَّغَتْ سَبْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً:

وَمَا يُرْتَجَى مِنْ بِنْتِ سَبْعِينَ حِجَّةً وَسِعَ كُنُوسُ الْعَنَكُوتِ الْمُهْلَهْلِ^(٣)
 تَذِيبُ دَيْبِ الْطِفْلِ تَسْعَى إِلَى الْعَصَا وَتَمُشِي بِهَا مَشْيَ الْأَسِيرِ الْمُكَبَّلِ^(٤)

٤- * * جذوة المقتبس ٣٨٨ (الدار المصرية) ٤١٢-٤١٣ (رقم ٩٨٦)؛ بغية المتمس ٥٢٨-٥٢٩ (رقم ١٥٨٤)؛ الصلة ٥٦-٥٧ (رقم ١٥٣٧)؛ نفع الطيب ٤: ٢٩١؛
 الأعلام للزركلي ٨: ٩٩ (٧: ٢١٠).

الْقَرَّازُ النَحْوِيُّ الْقَيْرَوَانِيُّ

١- هو أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي النحوي القيرواني المشهور بالقرَّاز القيرواني^(٥)، وُلِدَ فِي الْقَيْرَوَانِ لِحَوْ سَنَةِ ٣٢١ هـ (٩٣٢ م).

رَحَلَ الْقَرَّازُ الْقَيْرَوَانِيُّ إِلَى الْمَشْرِقِ فَتَزَلَّ فِي مِصْرَ وَدَخَلَ فِي خِدْمَةِ الْعَزِيزِ الْفَاطِمِيِّ (٣٦٥-٣٨٦ هـ) وَأَلَّفَ لَهُ كِتَابَ «الْجَامِع» فِي اللُّغَةِ. وَحَجَّ الْقَرَّازُ الْقَيْرَوَانِيُّ ثُمَّ زَارَ الْعِرَاقَ وَلَقِيَ الْحَسَنَ بْنَ بِشْرِ الْأَمْدِيِّ (ت ٣٧٠ هـ) صَاحِبَ كِتَابِ «الْمُوازنة بين أبي تَمَّامٍ وَالْبُحْتَرِيِّ». ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ وَتَصَدَّرَ فِيهَا لِلتَّعْلِيمِ. وَكَانَتْ، وَفَاتُهُ فِي

(١) بدائمه: أبيات شعره البديعة. غارت: نزلت إلى الغور (يفتح الفين المعجمة: الأرض المنخفضة).

أنجدت: صعدت إلى نجد (المكان المرتفع) - أشعاره: اشتمرت في كل مكان.

(٢) المضب: السيف القاطع. المهند: السيف من صنع الهند. البيض: السيوف. الأسل: الرماح (يلد البيض والأسل: يلد الشجعان).

(٣) المهلهل: الرقيق (الضعيف).

(٤) المكبل: المقيد.

(٥) يرى المنجي الكمي أن لقب القرَّاز أضيف إلى اسم أبي عبد الله محمد بن جعفر التميمي، وأن هذا الرجل لا يعرف إلا بالقرَّاز ولا بـابن القرَّاز، ومع ذلك فقد ألف المنجي الكمي كتاباً عن هذا الرجل وسَمَّى الْكِتَابَ «الْقَرَّازُ الْقَيْرَوَانِيُّ» (راجع المصادر والمراجع) وراجع الْقَرَّازُ الْقَيْرَوَانِيُّ لِلْمَنْجِيِّ الْكَمِيِّ (ص ٨-١٥).

القيروان سنة ٤١٢ هـ (١٠٢١ - ١٠٢٢ م).

٢- القَرَازُ النحويُّ القيروانيُّ شيخ القيروان في العربية، أي النحو (راجع نفع الطيب ٢: ١١٠) أديبٌ مشهورٌ ناثِرٌ شاعرٌ مُجيدٌ مطبوعٌ مصنوعٌ (معجم الأدباء ١٨: ١٠٧)، وهو أيضاً لغويٌّ نحويٌّ. والشعرُ الباقي لنا من القَرَازِ القيروانيِّ مقاطعاتٌ وُجْدانيةٌ تمتازُ بالسَّلاسةِ والسَّهولةِ. ثم هو ناقدٌ أيضاً. وتصانيفُ القَرَازِ القيروانيِّ^(١) كثيرةٌ: كتابُ الحروف - إعراب (القصيدة) الدرّيدية وشرحها - كتابُ المعترض - كتابُ المَفرق - ما يجوزُ للشاعر في الضرورة - الجامع في اللغة (وهو كتابٌ واسعٌ جداً في اللغة مرتَّبٌ على حروف المعجم) - المُثَلَّث (المُثَلَّث أو المُثَلَّثات لفظة ثلاثية ساكنة الوسط يأتي أولُها مفتوحاً ومكسوراً ومضموماً ثم يختلف معنى هذه اللفظة باختلاف حركة أولها) - كتاب فيه ذكرُ شيء من الحُلَى (الصفات الجسمية كاللون والقَدَّ وصفات الأعضاء وذكر العيوب الجسمية، وربما ذُكِرَ النَّسَبُ: نحو: رومي، إفرنجي، تُركي، بربري حينما تدلُّ هذه الصفاتُ على خصائصٍ جسدِيَّةٍ بارزة) - كتابُ العَشَرَات (ذكر القَرَازُ الألفاظ التي تبلغ معاني اللفظة الواحدة منها عشرة معاني مختلفة أو تزيدُ على عشرة) - كتابُ المِثَال (وَعَدَ القَرَازُ بتأليفه، ولا نعلم إذا كان قد ألفه) - كتابُ الظاء أو كتابُ الضاد والطاء (الكلمات التي يستوي معناها إذا كُتبت مبدوءة بضادٍ أو بطاء!) - الكلمات المشاكلة الصور - كتابُ التعريض والتصريح (مجموع حكاياتٍ فيها تعريضٌ ظاهر من الأجوبة المضمرة) - شرح رسالة البلاغة (وهو كتابٌ كبير) - ما أُخِذَ على المتنبي من اللحن والخطأ - أبياتٌ معاني من شعر المتنبي - معاني الشعر - شرح رسالة الشيخ أبي جعفرِ العَدَوِيِّ - أدبُ السلطان والتأدب له.

٣- مختارات من آثاره

- من مقدّمة كتاب العشرات:

.... أَمَا بَعْدُ - جَعَلَ اللهُ الشَّيْخَ الرَّئِيسَ أَبَا عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْقَرَبِ الْكَاتِبَ، أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ وَأَدَامَ عَزَّهُ وَنَعْمَاءَهُ - فَقَدْ اتَّصَلَ بِي مَا ذَكَرُهُ مِنْ كِتَابِ الْعَشَرَاتِ

(١) راجع «القَرَازُ القيروانيُّ للمنجي الكمي»، ص ٤٤ وما بعدها.

لأبي عمرو ومحمّد بن عبد الواحد المعروف بالزاهد فرَغِبْتُ في ما رَغِبَ فيه، ومِلْتُ إلى النَظَرِ في ما مَالَ إليه رَغْبَةً (في) أَنْ أُؤَلِّفَ كتاباً في معناه أُوَدِّي به بعضَ ما يَلْزَمُنِي من حَقِّه راجياً أَنْ يَقَعَ في التَّأْلِيفِ بموافقتِهِ. ورأيتُ أبا عمرو قد أَخَذَ في بابِ من العلم مُتَسِعٍ (ثم هو) يَسْلُكُ طريقاً في التَّأْلِيفِ غَيْرَ مُتَمَتِّعٍ: يَجِدُ المُوَلِّفُ فيه من المِثَالِ ما وَجَدَهُ أبو عمرو من العَشَرَاتِ. ولستُ أَقْصِدُ به وجودَ ما ذَكَرناه من المِثَالِ في أبوابِ ما صَنَفَهُ من العَشَرَاتِ، غَيْرَ أَنَّا لَا نَذَرِي ما السَّبَبُ المَانِعُ من تَكَثُّرِهِ، وما العائقُ القاصرُ عن بَسيرِهِ. فَأَرَدْنَا أَنْ نَأْتِيَ في أبوابِهِ على حَدِّ ما رَسَمَ في كتابِهِ من المِثَالِ بأَضْعَافٍ ما جِئْنَا بِهِ من العَشَرَاتِ. ثُمَّ عَلِمْنَا مَعَ ذَلِكَ أَنَّا لَوْ تَكَلَّفْنَاهِ وَجِئْنَا بِهِ عَلَى ما ذَكَرْنَاهُ لَمَّا كَانَ غَرِيباً في التَّأْلِيفِ وَلَا مُسْتَظَرِّفاً من التَّصْنِيفِ، إِذْ كَانَ الكَلَامُ كُلُّهُ لَا يَخْرُجُ عَنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: مَعَانٍ مُفْتَرِقَاتٍ يُعْبَرُ عَنْهَا بِالْفَاظِ مُخْتَلِفَاتٍ، كَقَوْلِ أَبِي عمرو: «الْمَنَعُ مِشْيَةُ قَبِيحَةٍ، وَالْمَنَعُ السَّرَطَانُ، وَالْمَنَعُ الطُّولُ» وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ.... وَمَعَانٍ مُتَّفَقَاتٍ يُعْبَرُ عَنْهَا بِالْفَاظِ مُتَّفَقَاتٍ، وَهَذَا الْبَابُ قَلِيلُ التَّأْلِيفِ، مِثْلُهُ غَرِيبٌ، فَأَلَفْنَا ما وَجَدْنَا فِيهِ مِنَ العَشَرَاتِ إِلَى ما يَزِيدُ عَلَيْهَا وَسَمِينَاهُ مِنْهَا. وَخَشِينَا أَنْ يُتَوَهَّمَ عَلَيْنَا تَقْصِيرٌ فِي ما ضَمِينَاهُ مِنَ المِثَالِ فِي ما أَتَى بِهِ أَبُو عمرو مِنَ العَشَرَاتِ، فَقَدَّمْنَا أَمَامَ ما قَصَدْنَاهُ بَاباً نَدُلُّ بِهِ عَلَى الْقُدْرَةِ عَلَى ما ضَمِينَاهُ مُبَوَّباً عَلَى بابِ مِنْ كِتَابِ أَبِي عمرو موجودٍ لِيُعْلَمَ قَدْرُ الزِّيَادَةِ عَلَيْهِ وَيُوجَدَ ما ضَمِينَاهُ فِيهِ. فَمِنْ قَوْلِ أَبِي عمرو: «الْمَنَعُ مِشْيَةُ قَبِيحَةٍ، وَالْوَدْعُ الْمُقْبِرَةُ، وَالْمَنَعُ السَّرَطَانُ، وَالسَّطْعُ الْأَخْذُ، وَالْكَنَعُ النَّقْدُ، وَالْقَلْعُ الْكِيفُ، وَالْمَنَعُ الطُّولُ، وَالسَّلْعُ الشَّقْ، وَالْقَنَعُ أَنْ يَطَاطَىءَ (الْإِنْسَانُ) رَأْسَهُ، وَالْوَقْعُ الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ». فَهَذِهِ عَشْرَةُ أَبِي عمرو.

وَقُلْنَا مَوْصُولاً بِذَلِكَ: وَالنَّخَعُ قَتْلُ النَّفْسِ أَسْفَاً، وَالْبَذْعُ اخْتِرَاعُ الشَّيْءِ، وَالْبَطْعُ الْقَطْعُ، وَالْبَكْعُ اسْتِقْبَالُ الرَّجُلِ (رَجُلًا) بِمَا يَكْرَهُ، وَالْبَلْعُ كَثِيرُ الصَّمْتِ، وَالْبَصْعُ ضَيْقُ مَخْرَجِ الْمَاءِ، وَالْبَضْعُ قَطْعُ اللَّحْمِ.... الخ..

- من مقدّمة كتاب «ضرائر الشعر»:

هذا كتابٌ أَذْكَرُ فِيهِ- إِنْ شَاءَ اللَّهُ- ما يَجُوزُ لِلشَّاعِرِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ مِنَ الزِّيَادَةِ

والتقصان و(من) الاتساع في سائر المعاني من التقديم والتأخير والقلب والإبدال وما يتصل بذلك من المحجج عليه وتبين ما يمر من معانيه فأردّه إلى أصوله وأقيسه على نظائره. وهو باب من العلم لا يسع الشاعر جهله ولا (هو) يستغني عن معرفته ليكون له حجة لما يقع في شعره مما يضطر إليه من استقامة قافية أو وزن بيت أو إصلاح إعراب. وذلك أن كثيراً ممن يطلب الأدب - وأخذ نفسه بدراسة الكتب - إذا مر به بيت لشاعر من أهل عصره أو لطالب من نظرائه فيه تقديم أو تأخير أو زيادة أو نقصان أو تغيير حركة عما حفظ من الأصول المؤلفة له في الكتب أخذ في التشنيع عليه والطنن على علمه....

- قال القزاز القيرواني في الغزل والنسيب:

إذا كان حظي منك لحظة ناظر على رقية لا أستديم لها لحظاً،
رضيتُ بها في مدة الدهر مرة؛ وأعظم بها من حُسْنِ وجهكِ لي حظاً.

ولو نظر بعين الحق لعلَّ لم يعلم أن ذلك لا يخرج إلا من وجهين: إما أن يكون ذلك جائزاً لعلَّ تغيبت عنه ولم يبلغ النهاية من علمها، وهو كذلك؛ (ثم) وهه الذي لعلّه، إن نُبّه عليه أو أعاد (هو) نظره فيه رجع عنه إلى الصواب وتحطّاه إلى ما لا مطمئن فيه من الكلام، إذ كان غير معصوم من الخطأ ولا ممنوع من الزلل. فليس للناظر في الأصول - مع تأخيره عن الإحاطة بسائر الفروع - الهجوم على ما لعلّه جائز عند المتقدمين في العلم (من) الناظرين بعين الحق.....

- وله في النسيب (الوأي بالفويات ٢ : ٣٠٥؛ معجم الادباء ١٨ : ١٠٨):

أجيتُ غلبتُ أنك نور عيني وأني لا أرى حتّى أراكا،
جعلتُ مفيب شخصك عن عياني يُفيب كلّ مخلوق سواكا.

للاطلاع على طبعات كتب « القزاز القيرواني » ومراجع ترجمته راجع ص ٣٧٤
محرز بن خلف

١ - هو محرز بن خلف بن رزين التميمي. يتصل نسبه بأبي بكر الصديق. كان من أهل إفريقية (القطر التونسي)، ومولده فيها نحو سنة ٣٤٠ (١٠٣٨ - ١٠٣٩ م). ويبدو أنه بدأ منذ مطلع حياته بتربية الصبيان وتعليمهم أمور الدين ومكارم

الأخلاق. وقد لَقِيَهُ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ نَصْرِ التَّمِيمِي الْبُخَارِيُّ^(١) وَصَحَبَهُ. وَكَانَتْ وَفَاةُ مُحَرِّزِ بْنِ خَلْفٍ سَنَةَ ٤١٣ (١٠٢٢ - ١٠٢٣ م). وَمَدْفَنُهُ مَعْرُوفٌ فِي الْمَدْرَسَةِ الَّتِي كَانَ يُعَلِّمُ فِيهَا فِي دَاخِلِ تُونِسَ الْحَاضِرَةِ.

٢- كَانَ مُحَرِّزُ بْنُ خَلْفٍ رَجُلًا صَالِحًا وَوَاعِظًا ذَا تَأَثِيرٍ وَهَيْبَةٍ فِي النُّفُوسِ، كَمَا كَانَ وَرِعًا جَلِيلًا وَذَا مِيلٍ إِلَى التَّصَوُّفِ. لَهُ «حِرْزُ الْأَقَامِ» وَهِيَ قَصِيدَةٌ صُوفِيَّةٌ ذَكَرَ بَرْوَكْلَمَنْ (الْمُلْحَقُ ١: ٧٨٥) أَنَّهَا تُنْسَبُ إِلَيْهِ. أَمَّا الْمُقَرِّيُّ الْجَدُّ (ت ٧٥٩ هـ) فَجَاءَ فِي تَأْثِيتهِ الَّتِي قَالَ إِنَّهُ تَمَّمَ بِهَا تَأْثِيَةَ ابْنِ الْفَارَضِ (نَفْعِ الطَّيِّبِ ٥: ٣٣٥):
وَفِي حِرْزِ أَقْسَامِ الْمُؤَدَّبِ مُحَرِّزٍ وَحِزْبِ أَصِيلِ الشَّاذِلِيِّ وَبُكْرَةٍ...

وَكَذَلِكَ كَانَ عَمْرُؤُ بْنُ خَلْفٍ أَدِيبًا نَائِرًا شَاعِرًا لَهُ شِعْرٌ فِي الزَّهْدِ وَفِي الْوَصْفِ. وَشِعْرُهُ بَارِعٌ وَأُسْلُوبُهُ سَهْلٌ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ مُحَرِّزُ بْنُ خَلْفٍ يَصِفُ أَطْلَالَ مَدِينَةِ قَرْطَاجَنَةِ (قَرْطَاجَةَ قُرْبَ تُونِسَ الْحَاضِرَةِ):

خَلِيلِي، مُرَا بِالْمَدِينَةِ وَأَسْمَا
طُلُولًا بِهَا تَبْكِي لِفُقْدَانِ أَهْلِهَا،
مَدِينَةَ قَرْطَاجَنَةِ ثُمَّ وَدَّعَا^(٢)
كَمَا نَدَبَ الْأَطْلَالَ كِسْرَى وَتُبَّعَا^(٣).
وَقَوْلَا لَهَا: مَا بَالُ رَبِّعِكَ دَارِسًا؟
وَمَا بَالُ وَفْدٍ قَدْ بَنَّاكَ وَوَدَّعَا^(٤)

(١) هُوَ أَبُو زَكَرِيَّا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ أَحَدِ بْنِ نَصْرِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَزَاحِمَ بْنِ غِيَاثِ التَّمِيمِيِّ الْبُخَارِيِّ حَافِظَ الْحَدِيثِ وَمُحَدِّثٌ، أَصْلُهُ مِنْ بُخَارَى وَنَزَلَ مَدَّةً فِي مِصْرَ، جَاءَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةٍ وَصَحَبَ مُحَرِّزَ بْنَ خَلْفٍ وَجَالَ فِي الْمَغْرِبِ وَدَخَلَ الْأَنْدَلُسَ. مَوْلَدُهُ سَنَةَ ٣٨٢ وَوَفَاتَهُ سَنَةَ ٤٧٠ هـ.

(٢) اسْمَا (تَنْبِيهَا) إِلَى مَا يُمْكِنُ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ هَذِهِ الْمَدِينَةُ عَنْ سَكَّانِهَا الْفَنَنِ انْفَرَضُوا:

(٣) «طُلُولًا» مَنُومٌ بِهِ مِنْ «وَدَّعَا» فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ. كِسْرَى (لَقَبُ مُلُوكِ الْفَرَسِ) وَتُبَّعٌ (لَقَبُ مُلُوكِ الْيَمَنِ). لَا وَجْهَ لِنَصْبِ «تُبَّعٍ» (وَكِسْرَى طَبْعًا) إِلَّا إِذَا قُلْنَا: «كَمَا تَدَبُّ الْأَطْلَالَ» (بِالْفَرْعِ: فَاعِلٌ كِسْرَى وَتُبَّعَا).

(٤) الرَّبِّعُ: الْمَكَانُ الْمَأْهُولُ. دَارِسٌ: قَدْ امْتَحَنَ مَعَالِهِ. الْوَفْدُ: الْقَوْمُ يَأْتُونَ ثُمَّ يَرْجِعُونَ.

وخلّاك- مِنْ بَعْدِ اجْتِنَاعٍ وَغِيْطَةٍ وَمِنْ بَعْدِ تَشْيِيدٍ- خَلَاءٌ وَبَلْقَاءٌ^(١)،
تُصَفِّقُ فِيكَ الرِّيحُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ وَفَرَّقَ مِنْكَ الدَّهْرُ مَا قَدْ تَجَمَّعَا!
ثمَّ ذَكَرَ الطَّيَاطِرَ (التياترو: المَسْرَح) الذي فيها فقال:

وَمِنْ بَعْدِهِ الرُّومَانُ، يَاصَاحُ، قَد بَنَى
وَأَلَّفَ مِنْ بَعْدِ المَرِيضَةِ فَرَضَهَا،
تَرَاهَا كَيْثِلُ الْعِقْدِ فِي الْجَيْدِ نُظِمَتْ،
فَلَمَّا أَتَتْهُى بُنْيَانُهُمْ ثُمَّ أَوْصَلُوا
وَفَرَّقَهُ بَيْنَ القُصُورِ جَدَاوِلًا
فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ مَا بَنَوْهُ وَشَيَّدُوا
فِيَا صَاحِي، إِنْ جُرْنَا بِرُبُوعِهَا،
فَلَنْ نَسْمَعَا إِلَّا الصَّدَى- بَعْدَ هَاتِفٍ-
طَيَاطِرَهَا ثُمَّ القَنَاةَ فَأَبْدَعَا^(٢)،
وَشَدَّ بَعْضُ بَعْضَهَا فَتَجَمَّعَا^(٣).
فَلَا بَعْضُهَا يَمْلُوعُ عَلَى البَعْضِ إَصْبَعَا^(٤).
بِهَا مِنْ زُلَالِ المَاءِ مَا قَدْ تَفَرَّعَا^(٥)،
وَأَفَرَطَهُ حَتَّى أَعَمَّ وَأَشْمَعَا
وَمَا مَتَّعُوا فِي الدَّهْرِ مَعَ مَنْ عَمَّتَا^(٦).
خَلِيلِي، إِلَّا نَادِيَانِي وَسَمَّعَا^(٧)،
مُجِيبًا لَهَا، ثُمَّ الرِّيَاحَ الزُّعَازِعَا^(٨)!

- وكتب إلى الأمير المعزِّ الصنهاجي^(٩) في التوصية ببعض (بفردٍ مِنْ) تلاميذه

- (١) خلاء (من المكان) وبلقما (خالية من كل شيء).
- (٢) يستعمل الرومان مفرداً (بمعنى الشعب الروماني). القَنَاة: قناة بحر الماء. في عنوان الأريب (ص ٣٧) عدد من هذه الأبيات خمس....
- (٣) هذا البيت يصف المدرج في المسرح. المَرِيضَةُ (الباحة المستوية في وسط المسرح للتمثيل؟). الفرضة (بالضَمِّ) من النهر: مشرب الماء منه. وجمعها فرض (بضم ففتح). والملموح من البيت التالي أن الشاعر يقصد المقاعد في المدرج أو الصفوف المدرجة نفسها.
- (٤) تراها (أي صفوف المدرجات التي هي دوائر حول المسرح) كأنها عقد متعدد الأسباط وأنه أي المسرح- عنق.
- (٥) الزلال: الماء العذب الصافي. تفرع الماء (أي كان مشتتاً في أماكن مختلفة فجاء به بوساطة هذه القناة مجموعاً إلى قرطاجة (كما يلفظها أهل تونس، اليوم).
- (٦) وما مَتَّعُوا به...
- (٧) البيت غامض لسوء تركيبه. الملموح: يا صاحبي وخليتي، إذا مررتما بقرطاجة فنادياني وسَمَّعَا (ارفعَا الصوت عالياً).
- (٨) الهاتف: النادى. الزعازع: الريح الشديدة.
- (٩) المعزِّ الصنهاجي بن باديس (٤٠٦-٤٥٢ هـ).

بسم الله الرحمن الرحيم . حَقَّقَ اللهُ الْحَقَّ فِي قُلُوبِ الْعَارِفِينَ^(١) مِنْ عِبَادِهِ وَنَقَلَ الْمُذْنِبِينَ إِلَى مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَتِهِ . أَنَا رَجُلٌ عَرَفْتُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ أَسْمِي ، وَهَذَا مِنَ الْبَلَاءِ^(٢) . وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ . وَرَبِّمَا أَنَا فِي الْمُضْطَرِّ يَسْأَلُ الْحَاجَّةَ : فَإِنْ تَأَخَّرْتُ خِيفْتُ ، وَإِنْ سَاعَدْتُ فَهَذَا أَشَدُّ^(٣) . وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَيْكَ فِي مَسْأَلَةِ رَجُلٍ مِنَ الطَّلَبَةِ طُولِبَ بِدَرَاهِمٍ ظُلْمًا ، وَلَا شَيْءَ لَهُ^(٤) . وَحَامِلٌ رُقْعَتِي يَشْرَحُ لَكَ مَا جَرَى . فَعَامِلٌ فِيهِ مِنْ لَا بُدَّ مِنْ لِقَائِهِ ، وَاسْتَحْ تَمَنَّيْتُ بِنِعْمَتِهِ وَجَدْتُ نَعِيمَ الْعَيْشِ^(٥) . وَاحْذَرِ بَطَانَةَ السُّوءِ فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَرِيدُونَ دَرَاهِمَكَ . وَشَاوِرْ فِي أَمْرِكَ مِنْ يَتَّقِي اللَّهَ : وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا . وَاسْتَعِزَّ بِاللَّهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ^(٦) . وَالسَّلَامُ .

٤- * * * نفع الطيب ٣ : ٦٣ ، ٥ : ١٣٣٥ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١١٦ - ١١٩ ، بروكلمن ، الملحق ١ : ٧٨٥ ، ٢ : ١٠٠٩ عنوان الأريب ٣٥ - ٣٧ .

المُسْتَظْهِرُ بِاللَّهِ الْمُرَوِّاتِي

١- هو أبو المطرّف عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصري ، وَلِدَ سَنَةَ ٣٩١ هـ (١٠٠١ م) وعاش في أيامِ ضَعْفِ الْخِلَافَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ وَمِحْنَةِ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ عَلَى اقْتِسَامِ مَغَازِمِ الْحُكْمِ . قَدَّمَ الْعَامَّةُ عَلَيْهِمْ فَفَاجَأَ بِهِمْ غَرْنَاطَةَ وَقُرْطُبَةَ وَأَزَالَ دَوَائِلَ الطَّوَائِفِ الَّتِي كَانَتْ لِبَنِي حَمُوْدٍ فِي الْبُلْدَيْنِ . فَتَنَصَّبَهُ الْعَامَّةُ خَلِيفَةً فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٤١٤ (أَوَاخِرُ ١٠٢٣ وَأَوَائِلُ ١٠٢٤ م) وَعُمُرُهُ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، فَتَلَقَّبَ الْمُسْتَظْهِرَ .

- (١) العارف: الصوفي المتقدم في طريق التصوف . والعارف: المطلع على بواطن الأمور .
- (٢) هذا من البلاء (الشهرة التي تحمل الناس على أن يطلبوا من المشهور أموراً كثيرة تخرج عن نطاق قدرته) .
- (٣) إن تأخرت عن تلبية حاجته خفت أن يصيبه ضرر فأشعر بالتقصير ، وإن حاولت مساعدته خفت أن أطلب من الحاكم ما لا يجوز طلبه .
- (٤) لا شيء له (لا يملك المبلغ الذي طلب منه - لا وجه حق في طلب المبلغ منه) .
- (٥) فعامل فيه من إلغ (أي الله) .
- (٦) راجع القرآن الكريم في هذه الآيات الثلاث (٦٥ : ٢ - ٤ ، سورة الطلاق) .

بدأ المُستظهرُ بتوزيع المناصب على الناس لمن يستحقّها ولمن لا يستحقّها، فلم يكن له ولا لهم حَيَبَةٌ ولا حَقِيقَةٌ من حَقائق الحكم. ثم اتَّفَق أن جاء إليه رَجُلَانِ من البربر فأكرمهما (ربّما دفعاً لشرّها أو شرّ قَومِهما) فأساء العامّة الظنّ به وظنّوه يريدُ إعادة سُلطة البربر إلى قُرطبة فهجموا عليه وقتلوه في ٢٦ من ذي القعدة من سَنَةِ ٤١٤ نفسِها (١٠ / ٣ / ١٠٣٤ م).

٢- جاء في « الذخيرة » (١ : ٤٨) أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ هِشَامٍ (المستظهر) كَانَ ذَكِيًّا أَدْبِيًّا اكْتَسَبَ اخْتِبَارًا مِنْ تَقْلِيهِ فِي الْبِلَادِ تُطَارِدُهُ الْخَوَافُ (ولكنّه لم يستفد من هذا الاختبار فائدة تُذكر). وَكَانَ حَسَنَ الْكَلَامِ جَيِّدَ الْقَرِيحَةِ مَلِيحَ الْبَلَاغَةِ يَتَصَرَّفُ فِي الْخُطَابَةِ بِدِيَهَةٍ وَرَوِيَّةٍ (ارْتِجَالًا وَاسْتِعْدَادًا) وَيَصُوغُ قِطْعًا مِنَ الشَّعْرِ مُسْتَجَادَةً. وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ أَيْضًا كَرِيمَ النَّفْسِ عَفِيفًا لَمْ يَشْرَبِ الْخَمْرَ وَلَا وَقَعَ مُحَرَّمًا. وَبَرَعَ فِي الْعِتَابِ وَالْفَزْلِ وَالْوَصْفِ وَفِي الْفَخْرِ أَيْضًا.

٣- مختارات من شعره

- خَطَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هِشَامٍ (المستظهر) حَبِيبَةَ بِنْتِ سُلَيْمَانَ الْمُسْتَعِينِ (وَكُنِيَئُهَا أُمُّ الْحَكَمِ)، وَلَكِنْ أَمَّا شَنْفٌ (أَوْ مُشْنَفٌ) وَعَدَّتْهُ بِهَا ثُمَّ أَخْلَفَتْ. وَاعْتَذَرَتْ إِلَيْهِ بِعُذْرٍ غَيْرِ مَقْبُولٍ، فَقَالَ (الذخيرة ١ : ٥٦):

وَتَأْبَى الْمَعَالِي أَنْ تُجِيرَ لَهَا عُذْرًا.	وَجَالِبَةٌ عُذْرًا لِتَصْرِفَ رَغْبَتِي؛
وَهَلْ حَسَنٌ بِالشَّمْسِ أَنْ تَمْنَعَ الْبَدْرَ؟ ^(١)	يُكَلِّفُهَا الْأَهْلُونَ رَدِّي سَفَاهَةً،
جَلَالَةٌ قَدْرِي، أَنْ أَكُونَ لَهَا صِهْرًا؟	وَمَاذَا عَلَى أُمِّ الْحَبِيبَةِ، إِذْ رَأَتْ
مُحْدَرَةً مِنْ صَيْدٍ أَبَانَهَا غُرًّا ^(٢) .	تَعَلَّقَتْهَا مِنْ عِبْدٍ شَمْسٍ غَرِيرَةٍ
يَضُرُّكَ مِنْهُ أَنْ تَكُونِي لَهُ فِطْرًا؟	لَقَدْ طَالَ صَوْمُ الْحُبِّ عَنْكَ، فَا الَّذِي

(١) تمنع (منبئية للمعلوم): لا يليق بالشمس (المرأة الجميلة) أن تمنع (ترفض الزواج) بالبدن (بالرجل الجميل الكريم). تمنع (منبئية للمجهول): لا يجوز لأحد أن يمنع الشمس من الاقتران بالبدن.
(٢) عبد شمس: بنو أمية. محدرة (ينحدر نسبها). الصيد (بالكسر جمع أصيد: الشريف). الفرّ جمع أغرّ: أبيض (ذو أصل ومكانة).

وإني لأستغي بمرّي بداركم
والصق أحثاني ببرد ثرابها
فإن تصرفني، يا ابنة المم، تصرفي
وإني لأزجو أن أطوق مفخري
وإني لطمان إذا الخيل أقبلت
وإني لأولى الناس من قومها بها
وعندي ما يصي الحلبة ثيباً
جال وأداب وخلق موطاً

هدوءاً، وأستغي لساكنها القطراً^(١)
لأطفئ من نار الأسى بكم جراً.
- وعيشك - كفاً مد رغبته ستر^(٢)
بملكي لها، وهي التي عظمت فخراً^(٣).
جرائدها حتى ترى جونها شقراً^(٤).
وأنبهم ذكراً وأرقمهم قذراً.
ويؤسي الفتاة الخوذ عذرتها البكر^(٥).
ولفظ، إذا ما شئت، أسمعك البحر^(٦).

- وله في الغزل الحفيف (الذخيرة ١: ٥٧ - ٥٨):

طال عمر الليل عني
يا غزالاً نقص الوذ
أنهيت العهد إذ بت
وأجتمعا في وشاح
وتعانقا كمنصني
ونجوم الليل تحكي

مذ تولفت بصدي،
د ولم يوف بعهددي.
نسا على مفرش ورد،
وانتظمتنا نظم عقد،
حي وقدانا كقد^(٧)،
ذهباً في لازورد^(٨)؟

(١) الهدوء: الحين أو المدة من الليل.

(٢) ستر: في ستر (طلباً للعيش في ستر).

(٣) الملك (بفتح الميم وكسرهما وضماً): حيازة الشيء، الزواج. - أريد بزواجك أن أزيد إلى فخري فخراً جديداً.

(٤) الجرودة: الجماعة من الخيل. حتى ترى جونها (ذات اللون الأسود) شقراً (حراء) من الدم. (من خوض المارك).

(٥) عندي صفات تحمل الحلبة (العاقلة) الثيب (التي تزوجت من قبل قيل إلى، وتجعل الفتاة البكر تنسى أنها عذراء عذبة (بفتح ففتح)...

(٦) الخلق الموطأ: الخلق الرضي (الحسن المعاشرة).

(٧) وقدانا كقد (واحد): من أبصرنا متعاقبين ظننا شخصاً واحداً.

(٨) اللازورد: لون أزرق (هنا صفة الليل).

٤- * * الذخيرة ١: ٤٨-٥٩؛ الحلة السراء ٢: ١٢-١٧؛ المعجب ٣٥؛ نفع الطيب ١:
٤٣٥-٤٣٧، ٤٨٨-٤٩٠، ٣: ٥٤٩؛ الأعلام للزركلي ٤: ١١٦ (٣: ٣٤١).

خلف بن أحمد السعدي

- ١ - هو خَلَفُ بْنُ أَحْمَدَ السَّعْدِيِّ، نِسْبَةً لِلسَّعْدِيِّينَ مِنْ إِخْدَى قُرَى الْمَهْدِيَّةِ (تونس)،
وُلِدَ سَنَةَ ٣١٨ هـ (٩٣٠ م). تَأَدَّبَ فِي إفْرِيقِيَّةِ (الْقَطَرِ التُّونِسِيِّ) ثُمَّ دَخَلَ مِصْرَ.
وكانت وفاته في زَوَيْلَةِ الْمَهْدِيَّةِ، سَنَةَ ٤١٤ هـ (١٠٢٣-١٠٢٤ م).
- ٢- لَخَلَفِ بْنِ أَحْمَدَ السَّعْدِيِّ شِعْرٌ جَيِّدٌ.

٣- مختارات من شعره

- قال خلف بن أحمد السعدي في النسيب:

هَلِ الدَّهْرُ يَوْمًا يَلِيْلِي بِجُودٍ وَأَيَّامُنَا فِي اللَّوَى سَتَعُودُ !
عُهُودٌ تَقْضَتْ وَعَيْشٌ مَضَى؛ بِنَفْسِي وَلِلَّهِ تِلْكَ الْعُهُودُ.
أَلَا قُلْ لِسُكَّانِ وَادِي الْفَضَا: هَنِيئًا لَكُمْ فِي الْجِنَانِ الْخُلُودُ
أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَلَأِ فَيْضًا، فَتَحْنُ عِطَاشٌ وَأَنْتُمْ وَرُودُ^(١)

٤- * * الأَنُمُودَج (السُّنُوسِي) ٩٧-٩٩؛ معجم الأدباء ١١: ٦٥-٦٦.

زيادة الله الطُّبْنِيّ

- ١- هو أَبُو مُضَرَّ زِيَادَةَ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَسَنِ الطُّبْنِيِّ، نِسْبَةً إِلَى طُبْنَةَ (فِي
الْمُزَاوَنَةِ)، التَّمِيمِيّ، انْتَقَلَ أَهْلُهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَاسْكَنُوا قُرْطُبَةَ.
وُلِدَ زِيَادَةُ اللَّهِ فِي قُرْطُبَةَ فِي الْأَغْلَبِ، فِي شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ ٣٣٦ (شباط-
آذار = فبراير- مارس ٩٤٨ م). وَقَدْ تَنَقَّلَ بَيْنَ بَلَاطَاتِ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ انْقَطَعَ إِلَى
الْمَنْصُورِ أَبِي أَبِي عَامِرٍ وَأَصْبَحَ نَدِيمًا لَهُ (نَفْعُ الطَّيِّبِ ٢: ٤٩٦). وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي عَاشِرِ
رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٤١٥ (٢٢ / ٥ / ١٠٢٤ م).

٢- كَانَ زِيَادَةُ اللَّهِ الطُّبْنِيُّ خَفِيفَ الرُّوحِ سَرِيعَ الْخَاطِرِ بَارِعَ النُّكْتَةِ ظَرِيفًا حَسَنَ

(١) ورود: جمع وارد (ساكن قرب الماء).

العشرة. وكان عالماً باللغة والأدب والشعر شاعراً فصيحاً ألفاظ سهل التراكيب واضح المعاني. وأكثر شعره الوصف والنسيب، وله مديح. وله كتاب اسمه «الحمام» ألفه للمنصور بن أبي عامر.

٣- مختارات من شعره

- قال زيادة الله الطنبجي يصف الحمام ويذكر حروب المنصور بن أبي عامر:
أذكر القلب بالتصاي فحنّا ساجع في أراكة قد أرنا^(١).
أخضلت ريشه السم بطل؛ ورأى الروض مؤنقاً فتغنى^(٢).
غرد بالسور فازت يداه بحبيب عليه لا يتجنّى^(٣).
بأبي عامر رأى الدين في الكف بر، على رغم أهله، ما تمنى^(٤).
ملك لم يزل برخص المذاكي وجهاد العدا مشوقاً مغمى^(٥).
- وقال في النسيب والعتاب:

عجباً أن يكون ساكن قلبي راتعاً منه في بساتين حبي،
يجازي على الوفلة بعذري؛ حسني الله، ثم حسني وحسي.
جازني كيف شئت، لا أترك الذر سب إذا كان فرط حبك ذني.

- وقال يصف حامة بحسن الصوت والبراعة في الغناء كأنها - عليه بنت زرياب المغني والعاظم المشهور^(٦) - تعلمها الألحان:

- (١) أذكر (فعل ماض) القلب (مفعول به مقدم)... ساجع (فاعل «أذكر»)- التصاي: فعل أفعال الصبا (الشباب) فمن (إليها): تمنى أن يفعل مثلاً (بعد أن تقدمت به السن). الأراكة شجرة في الحجاز تؤخذ من أغصانها المساويك. أرنا= رن: صاح (غرد).
- (٢) أخضلت: بللت. الطل: المطر الخفيف. مونق: جميل يسر العين.
- (٣) يتجنّى: يتهمة زوراً بالجنايات (الذنوب).
- (٤) رأى الانتصار والغلبة.
- (٥) ملك (هو المنصور بن أبي عامر).
- (٦) هو أبو الحسن علي بن نافع الملقب زريابا

أَدْنَتْ إِلَيَّ صَبَابًا مُمَرَّدَةً أَذْكِي الْجَوَى بَيْنَ أَضْلَاعِي تَرْنُمَهَا

كَأَنَّا مَكْنَثٌ فِي عُشْهَا زَمْنَا عَلَيَّ بِنْتُ زُرْيَابٍ تُعَلِّمُنَا.

٤- * * * الصلة ١: ١٩٢ (رقم ٤٣٧) جذوة المقتبس ٢٠٥ (الدار المصرية) ٢٢١ (رقم

٤٤٦) بغية الملتبس ٢٨٢ (رقم ٧٥٩) انباء الرواة ١٨: ٢ المغرب ١: ٩٣ نفع

الطيب ٢: ٤٩٦ كتب وشخصيات ١٦- ٢٠.

صَاعِدُ الْبَغْدَادِيِّ

١- هُوَ أَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عِيسَى الرَّبِيعِيِّ^(١) الْمُؤَصِّلِيُّ الْبَغْدَادِيُّ

الْأَنْدَلِسِيُّ الْكُفُوفِيُّ، أَصْلُهُ مِنْ بِلَادِ الْمُؤَصِّلِ. وَلَمَلَّ مَوْلَدَهُ فِيهَا كَانَ قُبِيلَ ٣٤٠ هـ (٩٥١ م).

دَخَلَ صَاعِدُ بْنُ الْحَسَنِ بَغْدَادَ وَتَلَقَّى فِيهَا اللُّغَةَ وَالْأَدَبَ عَلَى أَبِي سَعِيدِ السَّيْرَافِيِّ (ت

٣٦٨ هـ) وَأَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ (ت ٣٧٧ هـ) وَأَبِي سَلْيَانَ الْخَطَّابِيَّ.

وَفِي سَنَةِ ٣٨٠ (٩٩٠ م) جَاءَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَاتَّصَلَ بِالْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ، فَأَكْرَمَهُ

الْمَنْصُورُ ثُمَّ اسْتَوَزَرَهُ (جَعَلَهُ كَاتِبًا لَهُ). وَبَعْدَ سَقُوطِ دَوْلَةِ الْعَامِرِيِّينَ فِي قُرْطُبَةَ وَاسْتِبْدَادِ مُجَاهِدِ الْعَامِرِيِّ بِدَانِيَّةٍ (٤٠٨ هـ) انْتَقَلَ صَاعِدُ إِلَى دَانِيَّةٍ وَاتَّصَلَ بِمُجَاهِدٍ.

وَلَمَّا زَادَ الاضطرابُ فِي الْأَنْدَلُسِ (رُبَّمَا حَوْلَ ٤١٢ هـ) انْتَقَلَ صَاعِدُ إِلَى جَزِيرَةِ

صِيقَلِيَّةٍ حَيْثُ تَوَفَّى، سَنَةِ ٤١٧ (١٠٢٦ م)، وَقَدْ أَسَنَ.

٢- كَانَ صَاعِدُ الْبَغْدَادِيُّ أَدِيبًا عَالِمًا بِاللُّغَةِ وَكَاتِبًا وَشَاعِرًا. غَيْرَ أَنَّ بَرَاعَتَهُ فِي

اللُّغَةِ قَدْ غَطَّى عَلَيْهَا أَنَّهُ كَانَ يَخْتَلِقُ الرِّوَايَاتِ وَالتَّفَاسِيرَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ. وَأَمَّا شِعْرُهُ فَكَانَ عَادِيًّا إِلَّا بَعْضَ مَا فِيهِ مِنَ اللَّفْظَاتِ. وَلَمَلَّ شُهْرَتُهُ الْحَقِيقِيَّةُ تَقُومُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ

كَاتِبًا. وَيَدُو أَنَّهُ كَانَ يَهْتَمُّ بِالتَّارِيخِ وَبِالْقَصَصِ.

(١) نسبة إلى أم الربيع وأم الربيعين: مدينة الموحل.

ولصاعد كُتِبَ منها: كتابُ الفُصوص (نَحَى فيه منحى القالي في « كتاب الأُمالي »
ولكنَّهُ كان فيه دليل الأمانة في الرواية) - كتاب الجَوَّاس بن قعطل المَذْجِي مَعَ ابنة
عمِّه عَفْرَاء - كتاب المهجِّف بن غيدقان اليَثْرِي مَعَ الحِنْتُون بنت محرمة بن أنيف .

٣- مختارات من آثاره

- كتب صاعدُ البَغْدَادِي رسالةً إلى الوزير أبي جعفر الدَّب يرجوه فيها أن يَشْفَعَ
عند الخليفة سُلَيْمَانَ المستعين بالوزير عبد الله بن مسلمة، وكان سليمان قد نَكَبَ ابنَ
مُسلمة وسجنه مقيداً (وكان صاعدُ لَمَّا دخل الأندلس قد اتَّصل بابن مسلمة هذا):

.... لَمَّا جَمَعَ اللهُ طوائفَ الفضل عليك وأَذَلَّ بِكَ الأَلسُنَ وأَرْهَفَ فِيكَ
الخَوَاطِرَ^(١)، وَرَفَّرَ عَلَيْكَ طَيْرُ الآمالِ وَنُفِضَتْ إِلَيْكَ عِلَاقُ الرِّجَالِ^(٢) لَمْ أَجِدْ لَابْنَ
مُسلمة - حينَ عَضَّه الثِّقَافُ^(٣) وَضَاقَ بِهِ الحِنَاقُ وَانْقَطَعَ بِهِ الرِّجَاءُ وَكَبَا بِهِ الدَّهْرُ -
مَلْجَأً غَيْرَكَ . فعمطك على والهِ نَبَهُهُ النَحْسُ مِنْ سِنَةِ السَّعْدِ^(٤) وَأَيَقَطَنَ الآفَاتُ مِنْ
رَقْدَةِ الغَفْلَةِ..... فحنانَكَ عَلَيهِ وَعَلَيَّ فِيهِ، وَاذْكُرْ تَعَلَّقَ الآمالُ بِهِ وَتَعَلَّقَ أَمْلِي بِكَ،
وَحَاجَةُ الرُّؤسَى إِلَيْهِ وَحَاجَتُهُ إِلَيْكَ....

- حيء يوماً إلى المنصورِ بنِ أبي عامرٍ بوردةٍ في غيرِ أَيَّامِها لَمْ يَتِمَّ تَفَتُّحُهَا بَعْدُ،
فقال فيها صاعدٌ مُرتَجِلاً (راجع، فوق، ص ٣١٢):

أَتَتَكَ، أبا عامرٍ، وردةٌ يُذَكِّرُكَ الْمِسْكُ أَنْفَاسَهَا؛
كَمَازَاءٍ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ ففَطَلَتْ بِأَكْبَامِهَا رَاسَهَا^(٥)!

(١) جعل الألسن تكثر البناء عليك وجعل الخواطر تأتي بالعالي الجمَّة فيك (لكثرة فضائلك).

(٢) فُتِثَتِ الصَّلَاتُ بَيْنَ الرِّجَالِ - نظر في أيَّهم أفضل).

(٣) الثِّقَافُ أداة تقوِّمُ بها الرماح: يَمْزُونُ بالقِناة (القِصبَة) المَوْجَّةَ على النار ثم يَقْوَمُونَ اعوجاجها
بالثِّقَاف. عَضَّ بِهِ الثِّقَافُ: اشتدَّ عليه الأمر.

(٤) الوالهِ: الحزين الخائف الذي كاد الحزن (أو الخوف) يذهب بعقله. السِنَةُ (بكسر السين): الاغفاء،
النوم.

(٥) أَكْبَامُ الوُرْدَةِ: الأَوْرَاقُ المحصر (الكأس) التي تنفتح عن السُّلُتات (الأوراق الملوَّنة).

- وطلب المنصور منه أن يُعارض قصيدة أبي نواس: «أجارة يَتَيْنَا، أبوكِ
غَيُورٌ». فاعتذر إجلالاً لأبي نواس وهيبةً من ذلك فقال:

إِنِّي لَمُسْنَخِي عُسْلًا كَ مِنْ أَرْجَالِ الْقَوْلِ فِيهِ:
مَنْ لَيْسَ يُدْرِكُ بِالرَّوِيَّةِ كَيْفَ يُدْرِكُ بِالْبَدِيهِ^(١)

- من عجائب الاتفاقِ أَنَّ صاعداً أَهْدَى إِلَى المنصور بن أبي عامر ذاتَ يومٍ أَيْلًا
مُقِيداً بِجَبَلٍ، وقد سَمَاهُ «غرسيه»؛ يتفاهل بذلك أَن يَأْسُرَ المنصورُ بِنُ أَبِي عامرٍ
عَدُوَّهُ غرسيه الأَوَّلَ بِنَ شاحجه مَلِكَ قُشْتَالَةَ، وقد كتب إِلَى المنصورِ بِالْأبياتِ التالية.
وكان ذلك في أَحَدِ أَيَّامِ ربيعِ الأَوَّلِ من سنة ٣٨٥ = نَيْسَانَ - أبريل ٩٩٥ م:

يَا جِرَزَ كُلِّ مُخَوِّفٍ وَأَمَانَ كُلِّ مُشْرِدٍ وَمُعِزٍّ كُلِّ مُذَلِّلٍ،
جَدُوكَ إِن تَخْصُصْ بِهِ فَلْأَهْلِهِ؛ وَتَمِّمْ بِالْإِحْسَانِ كُلِّ مُؤَمِّلٍ^(٢)
كَالْفَيْثِ طَبَقَ فَاشْتَوَى فِي وَتِلِهِ شُعْتُ الْبِلَادِ مَعَ الرُّادِ الْمُبْقِلِ^(٣)
اللَّهُ عَوْنُكَ، مَا أَبْرَكَ بِالْهُدَى وَأَشَدَّ وَقَعَكَ فِي الضَّلَالِ الْمُخَلِّ!
مَوْلَايَ- مُؤَنِّسَ غُرْبِي، مَتَخَطِّفِي مِنْ ظُفْرِ أَيَّامِي مُنَنِّعَ مَغْطِي-
عَبْدٌ، نَشَلْتُ بِضِيْعِهِ وَغَرَسْتَهُ فِي نِعْمَةٍ، أَهْدِي إِلَيْكَ بِأَيْلٍ^(٤).
سَمِيَّتُهُ غَرْيِيَّةً وَبَعَثْتُهُ فِي حَبْلِهِ لِيُتَاحَ فِيهِ تَقَاوُلِي.

فَاتَّفَقَ أَنْ غَرَسِيهِ هَذَا جِيءَ بِهِ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ، أَسِيرًا إِلَى المنصور.

٤- * * جذوة المقتبس ٢٢٣-٢٢٧ (الدار المصرية) ٣٤٠ (رقم ٥٠٩)، بغية اللئيم ٣٠٦-٣١١

(١) الروية: التفكير والتأمل. البديهة: القول ارجحاً.

(٢) الجدوى (يبدو من القاموس أن اللفظة مذكرة): المطر العام، العطية، الكرم.

(٣) الفيث: المطر. الويل والوايل: المطر الكثير. شعت البلاد: البلاد المغيرة (قلعة سقوط المطر فيها).
المراد: المقصود (الذي يقصده الناس لرعي أنعامهم فيه، لكثرة نباته ولخصبه). المبقل: الذي يكثر فيه
البقل (النبات).

(٤) الضيع: جانب البدن. نشلت بضيعه = أخذت بضيعه، أعنته، ساعدته، أنهضته من كبوته، أنقذته من
مشكلة. الأيل: نوع من الوعول (يشبه المعزى الجبلية (١)).

(رقم ٨٥٢) معجم الأدياء ١١: ٢٨١ - ٢٨٦، الذخيرة ٤: ٨ - ١٥٦، انباه الرواة ٢: ٨٥ - ١٩٠، وفيات الأعيان ٢: ٤٨٨ - ٤٨٩، بغية الوعاة ٢٦٧ - ٢٦٨، شذرات الذهب ٣: ٢٠٦ - ٢٠٧، نفع الطيب ٣: ٧٥ - ٨٤، ٩٥ - ٩٨، بروكلمن، الملحق ١: ٢٤٥، الأعلام للزركلي ٣: ٢٧١ (١٨٦).

أحمد بن برد الأكبر

- ١- هو أبو حفص أحمد بن محمد بن برد من أهل قرطبة. وَلِدَ بُعِيدَ ٣٣٨ هـ (٩٤٧ م). كان وزيراً ورئيساً مُقَدِّماً في أيام المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢ هـ) وولَدَني من بعده عبد الملك وعبد الرحمن. وكانت وفاته سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م).
- ٢- كان أحمد بن برد الأكبر كاتباً مُتَرَسِّلاً ذا حظٍّ وافٍ من البلاغة والأدب وشاعراً مُحَسَّناً مُجِيداً، متينَ السَّبْكِ (في شعره ونثره) بديع الصنعة حَلُوَ القول. نَظَّمَ في الغزل والوصف، ولكن براعته كانت في الوصف.

٣- مختارات من آثاره

- قال أحمد بن برد الكاتب يَصِفُ طُلُوعَ الْفَجْرِ:
- تَبَّهَ فَقَدْ شَقَّ النَّهَارُ مُغْلَباً كَأَيْمِهِ عَنِ نَوْرِهِ الْحَظِيلِ النَّدَى^(١)؛
- مِدَاهُنُ تَبْرِ فِي أَنَامِلٍ فَضَّةٍ عَلَى أَذْرَعٍ مَحْرُوطَةٍ مِنْ زَبْرِجَدٍ^(٢)؛
- وَقَالَ يَصِفُ لَيْلَةَ قَمَرَاءَ فِي جَوْهَا شَيْءٌ مِنَ الضَّبَابِ الْخَفِيفِ:
- وَالْجَوُّ مِنْ عَبَقِ النِّسَمِ مُعْتَبِرٌ، وَالنَّجْمُ قَدْ أَغْفَى بِغَيْرِ نَعَاسٍ^(٣).

-
- (١) مُغْلَباً (أي لا يزال الغلس، أي سواد الليل، يخالط نوره). الكأيم جمع كرامة وهي (هنا) الكأس أي الأوراق الخضراء التي تكون غلافاً للزهرة (قبل أن تتفتح الزهرة). النور (بالتفتح): الزهر الأبيض. الحضل: المبثل بالماء من ندى الليل. والندى: الذي تجتمع عليه الندى.
 - (٢) هذه الأنوار (الأزهار البيضاء) مِدَاهُنُ (أوعية صغيرة) من تبر (ذهب، لأن قلب الزهرة يكون عادة أصفر اللون) في أَنَامِلٍ (أصابع، أي بتلات الزهرة: أوراق الزهر التي تكون عادة ملونة) فَضَّةٍ (بيضاء اللون) عَلَى أَذْرَعٍ (سوق جمع ساق، أي غصن) مَحْرُوطَةٍ (مصنوعة بنسبة واحدة) مِنْ زَبْرِجَدٍ (حجارة كريمة خضراء اللون).
 - (٣) المبقى: انتشار الرائحة الطيبة. معتبر: يشبه العنبر (أسمر اللون). والنجم قد أغفى بغير نعاس: أجبر نفسه على النوم من غير حاجة به إلى النوم (فهو من أجل ذلك يفتح عينيه وبضمها - كناية عن تَلَاوُجِ النجوم).

والبدْرُ كالمرآةِ غَيْرَ صَقَلْهَا عَبَثَ الغَوافي فيه بالأنفاس^(١)!

- من إنشاء ابنِ بردٍ الأكبر

كان عبدُ الرحمن بنُ أبي عامرٍ حاجباً لأميرِ المؤمنين هشامِ المؤيدِ بنِ الحكمِ في ولايتهِ الأولى (٣٦٦-٣٩٩ هـ) والمستبدَ بأمورِ دولته. ثم طَمِعَ في أن يكونَ رسمُ الخلافةِ أيضاً له فأجبرَ هشاماً المؤيدَ على أن يجعلَهُ ولياً للعهدِ. فاضطَرَّ هشامٌ إلى القبولِ. وقد كسب ابنُ بردٍ الأكبرُ هذه الوثيقةَ في ربيعِ الأولِ من سنةِ ٣٩٨ (أو آخر ١٠٠٧ م):

هذا ما عهدَ به هشامُ المؤيدُ بالله أميرُ المؤمنين إلى الناسِ عامّةً، وعاهد الله عليه من نفسه خاصةً... بعد أن أنعمَ النظرَ وأطالَ الاستخارةَ وأهمّه ما جعلَهُ الله إليه من الإمامةِ^(٢).... واتقى حلولَ القدرِ بما لا يُصرفُ، وخشيَ إن هَجَمَ محتومٌ ذلك عليه ونَزَلَ مقدوره به ولم يرقَ لهذهِ الأُمّةِ علماً تأوي إليه^(٣) أن يلقى ربّه تبارك وتعالى مُفرطاً ساهياً عن أدلهِ الحقِّ إليها. وتقصّى عندَ ذلك من أحياه قُريشٌ وغيرها^(٤) مَنْ يستحقُّ أن يُسندَ هذا الأمرُ إليه ويُعوَّلَ في القيامِ عليه، ممّا يستوجبُهُ دينُهُ وأمانتهِ وهذِهِ وصيائنه بعدَ أطراحِ الهوى، والتحرّيِ للحقِّ، والتزلفِ^(٥) إلى الله جلّ جلاله بما يُرضيه - وبعد أن قطعَ الأواصرَ وأسخطَ الأقاربَ^(٦) - فلم يجدْ أحداً هو أجدرُ

(١) غير صقلها = جعل صفتها غير صافية. - لأنّ النساء الجميلات يقربنهن من وجوههن فتصل أنفاسهن إليها فينشأ على صفتها شيء من بخار الماء!

(٢) أنعم النظر: دقّقه (نظر في تفاصيل الأشياء). في الأصل: أمعن. الاستخارة: طلب الخير (والتفكير فيها يريد الرجل أن يفعله). وأهمّه:..... جعل يفكر في عواقب خلو الخلافة بعده من امام عادل.

(٣) اتقى: خاف. حلول القدر (هجم الموت). بما لا يصرف: في حال لا يمكن منها التفكير بأمره المحتوم والمقدور: الموت. علم: شيء بارز عال يهتدي الناس به، ملجأ، حصن. تأوي إليه الأمة: تلجأ إليه وتحتمي به في الشدائد.

(٤) تقصّى: بحث بحثاً دقيقاً. أحياء قريش: قبائل العرب وبيوتاتهم (في الأندلس) وغيرهم (من البربر ومن المولدين: المسلمين في الأندلس من أصل أسباني).

(٥) أطراح: ترك، إهمال. الهوى (ميل النفس إلى شيء) - إلى أن يكون الخليفة المقبل عربياً أمويّاً. التحرّي: الطلب والتفتيش. التزلف: التقرب.

(٦) قطع الأواصر جمع أصرة: القراصة. أسخط: أغضب.

أَنْ يُؤَلِّيهُ عَهْدَهُ وَيُقَوِّضَ إِلَيْهِ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ، لِفَضْلِ نَفْسِهِ وَكَرَمِ خِيَمِهِ^(١) وشرف مرتبته وعلو منصبه، مَعَ تَقَاهُ وَعَفَافِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَحَزْمِهِ، مِنَ الْمَأْمُونِ الْغَيْبِ النَّاصِحِ الْجَبِيبِ أَبِي^(٢) الْمُطَرِّفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ، وَفَقَّهَ اللَّهَ؛ إِذْ كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَيْدَهُ اللَّهُ قَدْ أَبْتَلَاهُ وَاخْتَبَرَهُ وَنَظَرَ إِلَيْهِ وَاعْتَبَرَهُ^(٣) فَرَأَاهُ مُسَارِعاً فِي الْخَيْرَاتِ سَابِقاً فِي الْخَلَبَاتِ مُسْتَوِلياً عَلَى الْغَايَاتِ جَامِعاً لِلْمُثَرَّاتِ^(٤). وَمَنْ كَانَ الْمَنْصُورُ أَبَاهُ وَالْمُظَفَّرُ أَخَاهُ، فَلَا غَرَوْ أَنْ يَمْلُغَ مِنْ سَبِيلِ الْبِرِّ مَدَاهُ وَيَحْوِي مِنْ خِلَالِ الْخَيْرِ مَا حَوَاهُ^(٥).....

٤- * * يمكن أن يحصل التباس في المصادر والمراجع بين أبي حفص أحمد بن برد الجذّ هذا وأبي حفص أحمد بن برد الحفيد (ت نحو ٤٥٠ هـ- راجع تحت). جذوة المقتبس ١١١ (الدار المصرية) ١١٩ (رقم ١٩٩)؛ بغية الملتبس ١٦١ (رقم ٣٨٧)؛ البذخيرة ١٠٣: ١-١٢٣؛ المطمح ٢٤-٣٥؛ المغرب ٢٠٠-٢٠١؛ الوافي بالوفيات ٦: ١٢٦٣؛ البيان المغرب ٣: ٤٤؛ نفح الطيب ١: ٤٢٤-٤٢٦، ٣: ٢٩٣، ٥٤٥-٥٤٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٧٣٩؛ الأعلام للزركلي ١: ٩٩ (١٠٣).

حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ

١- هُوَ أَبُو عَبْدِ حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ أَبِي عَبْدِ الْأَنْدَلُسِيِّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ جَلَالَةِ وَوِزَارَةِ فِي قُرْطُبَةٍ؛ رَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ الزُّبَيْدِيِّ (ت ٣٧٩ هـ) وَأَبِي عُثْمَانَ الْقَرَّازِ وَأَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ذَكْوَانَ الْقَاضِي (ت ٤١٣ هـ).
لَمَّا جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُسْتَظْهَرُ بْنُ هِشَامٍ إِلَى الْخِلَافَةِ اسْتَوَزَرَ حَسَّانَ بْنَ مَالِكٍ،

-
- (١) الخيم: الطبيعة والأصل.
 - (٢) المأمون الغيب: الذي يحفظ عهدك ولو كنت غائبا عنه. الناصح الجيب: الذي لا يخونك في ما اتسمته عليه (والأليق أن يقال في المرأة).
 - (٣) ابتلاه: اختبره. اعتبره: قدره، نظر في جميع أحواله.
 - (٤) مسارعا في عمل الخير، سابقا (متقدما على غيره) في الخلبات (مبادي السباق) مستوليا على الغايات (يصل إلى الهدف قبل غيره من الخيل) - يشبهه بالحصان الذي يسابق الخيل. المأثرة (بضم التاء): الفعل الحميد الكريم.
 - (٥) لا غرو: لا عجب. البر: التقوى، طاعة الرجل لقومه وطلب المنفعة لهم ولو أضر ذلك به. الخلال: (هنا): النصال: جمع خملة (بفتح الحاء): المادة والطبيعة.

ولكنَّ خلافةَ المستظهر لم تَطُلْ سوى شَهْرَيْنِ أو يزيدان مِنْ سَنَةِ ٤١٤ هـ (١٠٢٣-١٠٢٤ م). ويبدو أنَّ حَسَّاناً كانَ كارهاً للوزارة في تلك الفترة، ففضى قسماً من أيام الفِتْنَةِ مُتَعَرِّلاً للحياة العامة بعيداً عن العاصمة. ويبدو أنه عادَ بعدَ ذلك إلى قُرْبَةِ وحَسَنَتِ حاله فيها.

وكانت وفاةُ حَسَّانِ بْنِ مالِكٍ في شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٤١٦ هـ^(١) وَقَدْ أَسْنَّ كَثِيراً. ورثاه أبو عامرٍ بْنُ شُهَيْدٍ (ت ٤٢٦ هـ).

٢- كان حَسَّانُ بْنُ مالِكٍ مِنْ جِلَّةِ العلماء والأدباء فقيهاً وكاتباً مُتَرَسِّلاً وشاعراً وَجَدَانِيّاً مُجِيداً؛ ومن فنونِ شعره الشكوى ووصف الطبيعة. وكان مصنفًا له كتاب رَبِيعَةٌ وَعَقِيلٌ:

دخل^(٢) حَسَّانُ بْنُ أَبِي عَبْدِةٍ يوماً على المنصور بن أبي عامرٍ (ت ٣٩٢ هـ) وبينَ يَدَيْهِ كتابُ أَبِي السَّرِيِّ^(٣) وهو يُعْجَبُ به. فخرَجَ (حَسَّانُ) مِنْ عِنْدِهِ وَعَمِلَ (مثل) هذا الكتابِ وَفَرَّغَ مِنْهُ تاليفاً ونسخاً وتصويراً، وجاء به في مِثْلِ ذلك اليومِ مِنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى وأراه (للمنصور) فسرَّ به وَوَصَّلَهُ عليه.

٣- مختارات من شعره

- لما كَثُرَ الاستبدادُ مِنَ الخليفةِ المُستَظْهِرِ، كَتَبَ إِلَيْهِ حَسَّانُ بْنُ أَبِي عَبْدِةٍ:
إذا كان مِثْلِي لا يُجَازَى بِصَبْرِهِ، فَمَنْ ذا الَّذِي يَغْدِي يُجَازَى عَلَى الصَّبْرِ؟

(١) في جذوة المقتبس (ص ١٨٤ س) وبغية الملتبس (ص ٢٥٦) ومعجم الأدباء (٧: ٢٢١-٢٢٢) وبغية الرواة (ص ٢٣٨) أنَّ حَسَّانَ بْنَ مالِكٍ تَوَفَّى قَبْلَ ٣٢٠ هـ، وهذا بلا ريب خطأ نقله بعضهم عن بعض من غير تَفَقُّصٍ إلى أنَّ حَسَّاناً كانَ في أيام المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢). والتصحيح من كتاب الصلة لابن بشكوال (ص ١٣٥).

(٢) جذوة المقتبس ١٨٤.

(٣) هو أبو السَّرِيِّ سهل بن أبي غالب الخزرجي وضع كتاباً ذكر فيه أمر الجنِّ وحكمتهم وأنسابهم وأشعارهم وزعم أنَّه باهمهم للأمين بن هرون الرشيد وَلِيَّ العهد فَغَرَّبَهُ الرشيد وابنه الأمين وزبيدة أُمِّ الأمين. وأغاد منهم (مالاً كثيراً). وله أشعار حسان وضُمِّها على الجنِّ والشياطين والسماي. و (قد) قال له الرشيد: إن كنت رأيت ما ذكرت، لقد رأيت عجيباً. وإن كنت ما رأيته، لقد وضمت أدباً. (وفيات الأعيان ٥: ٢٢١).

فكم مشهدٍ حاربتُ فيه عدوكم وأملتُ في حربي له راحة الدهر^(١)!
أخوضُ إلى أعدائكم لُجَجَ الوعى وأسري إليهم حيث لا أحد يسري^(٢).
وقد نامَ عنكم كلُّ مُستَبْطِنِ الحشا أكلُ إلى المصى نوومٌ إلى الظهر^(٣)
فا بالُ هذا الأمرِ أصبحَ ضائعاً، وأنتَ - أمينُ الله - تحكمُ في الأمرِ^(٤)!
- وقال في الشيب:

رأيتُ طالماً للشيبِ بينَ ذَوائِي وأُتِيتُ طالعاً للشيبِ بينَ ذَوائِي
وقالت: أشيبُ؟ قلتُ: صُبْحُ تجارِي وقالت: أشيبُ؟ قلتُ: صُبْحُ تجارِي
- وقال ينشوقُ إلى أهله:

سقى بلداً أهلي به وأقاربي غوادٍ بأنقالِ الحيا وروائحُ^(٥)،
وهبتُ عليهم بالعشي وبالضحى نواسمُ بَزْدٍ والظليلُ فوائحُ^(٦)!
تذكرتُهُم والنأيُ قد حالَ دونَهُم ولم أنسَ، لكنْ أوْقدَ القلبَ لافحُ^(٧).
ومما شجاني هاتِفٌ فوقَ أَيْكَةٍ ينوحُ ولم يعلمْ بما هو نائحُ^(٨).
فقلتُ: اتَّئِدْ! يكْفِيكَ أَنِّي نازِحٌ، وأن الذي أهوَأُ عَنِّي نازِحُ^(٩).
ولي صَبِيَّةٌ مِثْلُ الفِراخِ بَقْفرة مضي حاضيناها فاطَحَتْها الطوائِحُ^(١٠).

- (١) المشهد: المكان المشهود (الذي يكثر فيه الناس)، هنا: «المعركة الشديدة». وأملت (لكم) راحة طول الدهر من عدوكم.
(٢) سرى: سار في الليل (في الأوقات المصيبة).
(٣) مستبطن الحشا: كبير البطن (وليس بهذا المعنى في القاموس).
(٤) «أمين الله جملة معترضة (للنداء) - جملة - تحكم - خير - أنت -». أو تقول: أمين (بالرفع) خير أنت - جملة - تحكم - نعمت - أمين -.
(٥) الغادية: الغامة التي تأتي في الصباح. الرائحة: الغامة التي تأتي في المساء. بأنقال الحيا (المطر): بطر تقيل (كثير).
(٦) نواسم (٩) يقصد «نسم» (بفتح ففتح: مفردة): الريح الخفيفة. فوائح جمع فائحة (٩) متسعة.
(٧) النأي: البعد. اللائح واللائحة (النار أو الريح) التي تلتفح (تحرق) ما قاربها.
(٨) شجاني: حزني، أحزنتني. هاتِف: رافع صوته. الأيكة: مجتمع من الشجر الملتف.
(٩) اتَّئِد: تمهل. نازح: بعيد (عن وطنه).
(١٠) أطحمتها الطوائِح (٩). في القاموس: طلى: ذهب في الأرض وهلك. (يقصد: نزلت بها الشدائد).

إِذَا عَصَفَتْ رِيحٌ أَقَامَتْ رُؤُوسَهَا فَلَمْ يَلْقَهَا إِلَّا طُيُورٌ بَوَارِحٌ^(١).
فَمَنْ لِيَصْفَارٍ بَعْدَ فَقْدِ أَبِيهِمْ سَوَى سَانِحٍ فِي الدَّهْرِ، لَوْ عَنَّ سَانِحُ^(٢).

٤- * * جذوة المقتبس ١٨٣-١٨٤ (الدار المصرية) ١٩٦ (رقم ٣٨٠)؛ بغية الملتبس ٢٥٥-٢٥٦ (رقم ٦٦٢)؛ مطمح الأنفس ٢٦-٢٧؛ الصلة ١٥٣؛ معجم الأدباء ٧: ٢٢١-٢٢٥، بغية الوعاة ٢٣٨؛ نفع الطيب ١: ٤٣٦-٤٣٧، ٣: ٥٤٧-٥٤٩؛ الأعلام للزركلي ١٩٠: ٢ (١٧٧).

ابراهيم بن غانم الكاتب

١- هو أبو إسماعيل إبراهيم بن غانم بن عبدون الكاتب المغربي، كان مولده نحو سنة ٣٦٠ (٩٧٠-٩٧١ م). وقد أنتقل إلى مصر فعاش فيها مدة ثم عاد إلى القيروان حيث توفي سنة ٤٢١ (١٠٣٠ م).

٢- كان إبراهيم بن غانم الكاتب أديباً ناثراً وشاعراً كُتِبَ الشعر (يغلب على شعره أسلوب الكتاب: صحيح المعاني والتراكيب قليل الروق). وكان يوجز في المعاني ويسلك في النظم على أسلوب واحد ويلجأ إلى الصناعة. وأبرز فنونه المدح والهجاء والمعاني الوجدانية في المواعظ خاصة. وكانت له مشاركة في الفلسفة والهندسة.

٣- مختارات من شعره

- قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ غَانِمٍ الْكَاتِبُ فِي الْبُخْلِ وَالْبُخْلِ:

قُلْ لِلْبُخْلِ: وَإِنْ أَصْبَحْتَ ذَا سَعَةٍ، لَأَنْتَ بِالْبُخْلِ فِي ضَيْقٍ وَإِقْلَالٍ:
لَتَأْسَفَنَّ عَلَى تَرْكِ النَّدَى نَدْمًا إِذَا تَخَلَّيْتَ مِنْ أَهْلِي وَمِنْ مَالٍ^(٣).

(١) إذا عصفت ريح (حدث حركة) أقامت رؤوسها.... طيور بوارح (جمع بارح): تمر عن يمينك إلى يارك (وكان ذلك دليل الشؤم والحرمان).

(٢) السانح: الطائر الذي يمر من يارك إلى يمينك (دليل الخير والبركة). في القاموس (١: ٢٣٠): «من لي بالسانح بعد البارح أي بالبارك بعد الشؤم».

(٣) الندى: الكرم. إذا تركت الكرم (الإحسان إلى الناس) الآن ثم اتفق أن اغتفرت (في المستقبل) وتخلّيت عن أهلك (بوتهم) وعن مالك (بالفقر) فإنك لن تجد حينئذ أحداً من الناس حولك.

وَمَنْ رَأَى فِي الْمُلَى مِنْ مَالِهِ عِوَضًا
- وقال في حُسنِ الصبر:

رُبَّمَا كَانَتْ الْخَلَائِقُ- إِنْ ضَا
وَتَهَوُّنُ الْأَحْدَاثُ عِنْدَ مُعَانٍ
وَرَجْسُهُ الْمَسُورُ يُثِيرُ فِي الْأَرْ
وَالصَّبُورُ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ مَخْ
فَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ يَكْفِكَ، وَالزَّمْ

- وقال يَصِفُ النِّيلَ فِي مِصْرَ:

وَالنِّيلُ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ كَأَنَّا
يَأْتِيكَ فِي كَدَرِ الزَّوَاخِرِ مَدَّةُ
فَكَأَنَّ ضَوْءَ الْبَدْرِ فِي تَمُوجِهِ
وَكَأَنَّ نُورَ السُّرُجِ مِنْ جَنَابَتِهِ
مِثْلَ الرِّيَاضِ مُفْتَقًا أَنْوَارَهَا

صَبَّتْ بِصَفْحَتِهِ صَفِيحَةً صَيَقِلَ^(١)
بِمُثْمَلِكٍ مِنْ مَائِهِ وَمُصْنَدِلٍ^(٢)
بَرْقٌ يَمُوجُ عَلَى سَحَابٍ مُسْبِلٍ^(٣)
زُهْرُ الْكَوَاكِبِ تَحْتَ لَيْلٍ أَلِيلٍ^(٤)،
يَبْدُو لَمَعِينَ مُثَبِّهٍ وَمُمَثِّلٍ^(٥).

-
- (١) إِنَّ الَّذِي يَنْفَقُ مَالَهُ فِي سَبِيلِ الْعِلْمِ (الجد) يجد عوضاً من المال وبدلاً منه (في مكانته عند الناس).
(٢) إِذَا ضَاقَ خَلْقُ الْإِنْسَانِ أَوْ طَبِيعُهُ أَوْ صَدْرُهُ بِمُصِيبَةٍ نَزَلَتْ بِهِ، فَزَنَّ خَلِيقَتَهُ (أَوْ طَبِيعَتَهُ) تَصْبِيحَ حِينْتُهُ مُصِيبَةً دَائِمَةً عَلَيْهِ أَكْبَرَ مِنَ الْمَصَائِبِ الَّتِي تَنْزِلُ بِهِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ.
(٣) مَعَانٍ (اسم فاعل من عانى: مختبر لأُمُور الْحَيَاةِ) وَمَعَانٍ (اسم مفعول من أَعَانَ) كَانَ لَهُ فُؤَادٌ (قَلْبٌ) نَهْمٌ (شَجَاعٌ) يَعِينُهُ عَلَى تَلَقُّيِ مَصَائِبِ الدَّهْرِ.
(٤) الْأَمَلُ فِي النَّفْسِ يَسَاعِدُ عَلَى احْتِمَالِ الْأَحْدَاثِ. مِنْ قَرِيبٍ: بِسَهُولَةٍ وَسُرْعَةٍ.
(٥) السَّمِيعُ الْجَبِيبُ (هُوَ اللَّهُ).
(٦) سَطَحُ النِّيلِ هَادِيهِ أَبْيَضٌ لِأَنَّهُ صَفِيحَةٌ (قِطْعَةٌ حَدِيدٍ: سَيْفٌ) صَيَقِلَ (حَدَّادٌ).
(٧) الزَّوَخِرُ: الْمَمْتَلِئُ وَالْمُضْطَرَّبُ. الْمَدَّةُ: (هَذَا) الْفَيْضَانُ. حِينًا يَمْدُ (يَهْفِضُ) نَهْرَ النِّيلِ وَتَصْبِيحُ مِيَاهِهِ الزَّوَخِرَةَ (الكَثِيرَةَ الْمُضْطَرَّبَةَ) مَزْجُوجَةٌ بِالْكَدَرِ (بِالْأَتْرَبَةِ) يَصْبِيحُ لَهَا رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ كَالْمَسْكِ وَالصَّنْدَلِ.
(٨) الْمَسْبِلُ: الْمَرْخِي، الْمَدْلَى.
(٩) زَهْرُ الْكَوَاكِبِ: الْكَوَاكِبِ الَّتِي تَلْمَعُ. لَيْلٍ أَلِيلٍ (شَدِيدِ السَّوَادِ).
(١٠) فِي هَذِهِ الْحَالِ يَشْبُهُ الشَّاعِرُ سَطْحَ نَهْرِ النِّيلِ بِسِتَانٍ تَفْتَحُ (تَفْتَحُ) أَنْوَارُهُ (جَمْعُ نَوْرٍ يَفْتَحُ النَّوْنُ: الزَّهْرُ الْأَبْيَضُ).

والبدْرُ يَبْخُلُ ثم يَبْذُلُ رَغْبَةً أَنْ يَسْتَرِدَّ فَلْيَنْتَهْ لَمْ يَبْذُلْ^(١).

- * * - الأَنُودُج ٢٢- ٢٥؛ الوافي بالوفيات ٦: ٧٨- ٧٩؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٢٧- ١٢٨.

أبو عبد الله بن الكتّاني

١- هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الحسين المَذْجَجِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ المعروف بابن الكتّاني، وُلِدَ بِمَعِينَدَ ٣٤٠ هـ (٩٥٢ م) وسكن قُرْطُبَةَ.

أَخَذَ ابْنُ الْكَتَّانِيِّ صِنَاعَةَ الطِّبِّ عَنْ عَمِّهِ أَبِي الْوَلِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَأَخَذَ الْمُنْطِقَ وَعِلْمَ الْفَلَسَفَةِ وَالْفَلَكَ عَنْ نَفَرٍ مِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِوَيْهِ الْجَبَلِيُّ الطَّبِيبُ وَعُمَرُ بْنُ يُونُسَ بْنِ أَحْمَدَ الْحَرَّائِيَّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَفْصُونِ الْفَيْلَسُوفُ وَمُسْلِمَةُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَجْرِيطِيِّ (ت ٣٩٩ هـ)؛ وَأَخَذَ عَنْهُ ابْنُ حَزْمٍ (ت ٤٥٦ هـ).

اتَّصَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بِنِ الْكَتَّانِيِّ بِالْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ (ت ٣٩٢ هـ) وَبَابْنِهِ الْمُظْفَرِ (ت ٣٩٩ هـ) وَكَانَ طَبِيباً لَهُمَا. ثُمَّ إِنَّهُ انْتَقَلَ فِي أَوَّلِ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ فِي قُرْطُبَةَ عَلَى الْخِلَافَةِ، نَحْوَ ٤٠٠ هـ، إِلَى سَرَقُطَةَ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ قَرِيباً مِنْ سَنَةِ ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م).

٢- أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْكَتَّانِيِّ طَبِيبٌ مَاهِرٌ، وَقَدْ كَانَتْ لَهُ مُشَارَكَةٌ فِي الْمُنْطِقِ وَعِلْمِ الْفَلَسَفَةِ وَمَقْدَرَةٌ فِي الْأَدَبِ. وَمَعَ أَنَّ شِعْرَهُ عَادِيٌّ فِيهِ جَفَافُ شِعْرِ الْعُلَمَاءِ، فَإِنَّ أَطْلَاعَهُ عَلَى الشِّعْرِ وَأَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ كَانَ وَاسِعاً جَدّاً، كَمَا نَرَى مِنْ كِتَابِهِ «كِتَابُ التَّشْبِيهَاتِ» مِنْ أَشْعَارِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ، وَهُوَ مَخْتَارَاتٌ مِنَ الشِّعْرِ عَلَى الْأَغْرَاضِ: السَّمَاءِ وَالْمَطَرِ، الرَّبِيعِ وَالزَّهْرِ، الْوَرْدِ، الشَّرَابِ وَأَوْصَافِ الْخَمْرِ، الشَّعْرِ وَسَوَادِهِ وَشُقْرَتِهِ، الْعِناقِ وَالْوَدَاعِ، النِّيرانِ، الْخَيْلِ، السِّیُوفِ، الْخَوْفِ، الدَّوَاةِ وَالْقَلَمِ

(١) والبدر يبخل (يستتر بالغيم) ثم ي بذل (يظهر من خلال الغيم) رغبة أن يستره (أن يعود إلى استتاره وراء الغيوم)....

والصَّحِيفَةُ، البُخْلُ، هَجْوُ النِّسَاءِ، اللَّحَى، الشَّيْبُ وَالْهَرَمُ، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ. وَلَهُ أَيْضاً كِتَابٌ «مُحَمَّدٌ وَسُعْدَى» وَغَيْرُهُ.

٣- مختارات من آثاره

- قال مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَذْحِجِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي الْغَزَلِ وَالنَّسِيبِ وَالْخَمْرِ:

أَلَا قَدْ هَجَرْنَا الْهَجْرَ وَاتَّصَلَ الْوَصْلُ، وَبَانَتْ لِيَالِي الْبَيْنِ وَأَجْتَمَعَ الشَّمْلُ.

فَسُعْدَى نَدِيمِي وَالْمُدَامَةُ رَيْقُهَا، وَوَجَنَّتْهَا رَوْضِي وَتَقْبِيلُهَا النُّقْلُ.

- وَقَالَ فِي النَّسِيبِ:

نَأَيْتُ عَنْكُمْ بِلَا صَبْرِ وَلَا جَلَدٍ، وَصِيحْتُ: «وَاكْبِدَا!» حَتَّى مَضَتْ كَيْدِي^(١).

أَضْحَى الْفِرَاقُ رَفِيقاً لِي يُوَاصِلُنِي بِالْبُعْدِ وَالشَّجْوِ وَالْأَحْزَانِ وَالْكَمَدِ^(٢)؛

وَبِالْوُجُوهِ الَّتِي تَبْدُو فَأَنْتِئِدْهَا، وَقَدْ وَضَعْتُ عَلَى قَلْبِي يَدَيَّ بِيَدِي:

إِذَا رَأَيْتُ وَجْهَ الطَّيْرِ قُلْتُ لَهَا: لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْغُرْبَانِ وَالصَّرَدِ^(٣)!

٤- كِتَابُ التَّشْبِيهَاتِ (عَنِّي بِتَصْحِيحِهِ مُحَمَّدُ عَبْدِ الْمَعِينِ خَانَ)، كَمْبَرُودَج (تَعْرِيفُ مَجْلَدِ الْمَجْمَعِ

٢٧: ١١٨)، (تَحْقِيقُ الدُّكْتُورِ أَحْسَانِ عَبَّاسٍ)، بِيْرُوت (دَارُ الثَّقَافَةِ) ١٩٦٦ م.

* * جُذُودُ الْمُقْتَبَسِ ٤٥- ٤٦ (الدَّارُ الْمِصْرِيَّةُ) ٤٩- ٥٠ (رَقْمُ ٣٥)، بَغِيَّةُ الْمُلْتَمَسِ ٥٧ (رَقْمُ

٨١)، التَّكْمِلَةُ ١١٨، الْمُحَمَّدُونَ ٢١٠، الْمَغْرِبُ ١: ١٢٠٦، مَعْجَمُ الْأَدْبَابِ ١٨: ١٨٤-

١٨٥، الْوَاقِفِيُّ بِالْوَفَايَاتِ ٣: ١١٦، طَبَقَاتُ الْأَطْبَاءِ ٢: ٤٥، الْأَعْلَامُ لِلزُّرْكَانِيِّ ٦: ٣١٣-

٣١٤ (٨٣).

إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ

١- هُوَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفُ بِالْمُفَرِّجِي الرَّافِضِيِّ، يَدْعُو أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ

الْقَطْرِ التُّونِسِيِّ، قَتَلَهُ الْمُعِزُّ بْنُ بَادِيَسَ، سَنَةَ ٤٢٠ (١٠٢٩ م). لِأَنَّهُ كَانَ سَبَّاباً (لَا يَـ

بَكْرٍ وَعُمَرَا).

(١) نَأَيْتُ: بَعَدْتُ، ابْتَعَدْتُ. الْجَدُّ: الْإِحْتِمَالُ (الصَّبْرُ عَلَى الْبُعْدِ). حَتَّى مَضَتْ كَيْدِي: تَقَطَّعَتْ.

(٢) الشَّجْوُ: الْحُزْنُ. الْكَمَدُ: الْأَلَمُ مِنْ كِتَابِ الْحُزْنِ.

(٣) الصَّرَدُ (بَضَمٌ فَتَحٌ): طَائِرٌ كَبِيرُ الرَّأْسِ وَالْمَنْقَارِ (جَمْعُهُ صَرَدَانٌ بِكَسْرِ الصَّادِ) وَكَانُوا يَنْشَاءُونَ بِهِ كَمَا يَنْشَاءُونَ بِالْفَرَابِ.

٢- يبدو أن إسحاق بن إبراهيم كان شاعراً قديراً مُحسِناً وناقداً، وكان يتمصّب لابن هاني الأندلسي (ت ٣٦٢ هـ) إذ كان يجمع بينها الموى للدولة الفاطمية وإن لم يسلُك طريقه في المبالغات المُستهجنة والألفاظ التي تُقنع. وله شيء من الشعر الرائق.

٣- مختارات من شعره

- لإسحاق بن إبراهيم قصيدة في المدح منها (النائل: العطاء):

ثناؤك كالروض في نشره، وجودك كالقيث في قطره^(١).
وما أنا ممن يبتغي نائلاً بمدحك إذ جاء في شعره^(٢).
ولكن لساني إذا ما أردت (م) مدحاً خطرت على ذكره.
فحانت عدوك أيامه ولاقى الحوادث من دهره.
ولا عاش يوماً به آمناً ولا بلسغ السؤل في أمره.

٤- * * الأنموذج ٤٥-٤٦ الوافي بالوفيات ٣٩٨-٤٠٠.

فيما يلي، مؤخره، طبعات كتب القرّاز النحوي القيرواني ومراجع ترجمته - الواردة سابقاً ص ٣٥٤:

٤- كتاب فيه ذكر شيء من الحل (عني مجل ألفاظه طاهر النعساني وأحد قديري الكيلاني) (الناشر: مكتبة عنوان النجاح- حاة)، صيدا (مطبعة المرفان) ١٣٤١ هـ = ١٩٢٢ م.

- صرائر الشاعر: ما يجوز للشاعر عند الضرورة (تحقيق محمد زغلول سلام ومحمد مصطفى هذارة)، الاسكندرية (منشأة المعارف) ١٩٧٣ م.

- كتاب العشرات في اللغة، صيدا ١٣٣٤ هـ.

* * القرّاز القيرواني، تأليف المنجي الكمعي، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٨ م.

الأنموذج ١٢٣-١٢٨؛ إنباه الرواة ٣: ٨٤-٨٧؛ المحدثون من الشعراء ١٨٥-١٨٦؛ معجم الأدباء ١٨: ١٠٥-١٠٩؛ الوافي بالوفيات ٢: ٣٠٤-٣٠٥؛ وفيات الأعيان ٤:

٣٧٤-٣٧٦؛ بغية الوعاة ١٢٩؛ بروكلمن، الملحق ١: ٥٣٩؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٩٩ (٧١).

(١) النشر: الرائحة الطيبة. القطر: سقوط المطر.

(٢) النائل: العطاء.

الحُصْرِي صَاحِبُ زَهْرِ الْآدَابِ

١- هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن قنبر الأنصاري المعروف بالحُصْرِي^(١) القيرواني، كان على شيء من الواجهة في بلده وعلى كثير من العلم بالأدب، فكان شُبَّانُ القيروانِ يجمعون عنده ويأخذون عنه. ويبدو أنه كان يتكسَّب بالشعر أو يرتزقُ بتأليفه « حتى انثالت عليه الصلوات من الجهات » (وفيات الأعيان ١ : ٥٤). وكانت وفاته في المنصورية قُربَ القيروان سنة ٤١٣ هـ (١٠٢٢ م) وقد جاوز أُسُدَّهُ.

٢- قال ياقوت الحموي: وكان (أبو إسحاق الحصري) شاعراً نقاداً عالماً بتنزيل الكلام وتفصيل النظام يُحِبُّ المُجَانَسَةَ والمطابقة ويرغبُ في الاستعارة، تُشَبِّهُهُ بِأبي تمامٍ في أشعاره وتبَعاً لآثاره. وعنده من الطبع ما لو أرسله على سَجِيَّتِهِ لَجَرَى جَرَى الماء ورقَّ رِقَّةَ الهواء (معجم الأدباء « ٢ : ٩٥ »).

والحُصْرِي هذا^(٢) مُصَنَّفٌ تدور كُتُبُهُ على الأخبار الطريفة والأشعار اللطيفة. من كتبه: زهر الآداب وثمر الألباب^(٣) - ذيل زهر الآداب (أو: جمع الجواهر في المُلَحِّ والنوادر) - كتاب النورين (نور الظرف ونور الطرف) - المصون والدر المكنون (المصون في سِرِّ الهوى المكنون مجموع مقطعات شعرية) - المُعْشَرَاتِ^(٤).

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحُصْرِي القيرواني (معجم الأدباء ٢ : ٩٣):

(١) ابن خلكان ينسب الحصري إلى صنع الحصر وبمعناها (اجتهاداً). ويقول حسن حسني عبد الوهاب

(جمل الأدب التونسي ١١٩) أن الحصري منسوب إلى قرية الحصر قرب القيروان.

(٢) هنالك مصادر ومراجع تخطئ بين إبراهيم بن علي الحصري القيرواني صاحب كتاب «زهر الآداب»

وعلي بن الغني الحصري القيرواني الضريع صاحب قصيدة «يا ليل الصب». (وقد فعل

بروكلمن مثل ذلك عند الكلام على أسماء الكتب) فليَنفَظَنَّ الدارس إلى ذلك.

(٣) ألفه أبي الفضل المباس بن سليمان.

(٤) بروكلمن ١ : ٣١٥.

يَا هَلْ بَكَيْتَ كَمَا بَكَتْ وَرَقُ الْهَامِ فِي الْفُصُونِ^(١)؛
هَتَفْتِ سَحِيرًا وَالرُّبَى لِلْقَطْرِ رَافِعَةً الْجَفُونِ^(٢).
فكَأَنَّهَُا صَاغَتْ عَلَى شَجْوِي شَجَى تِلْكَ اللَّحُونِ^(٣)!
ذَكَرْتَنِي عَهْدًا مَضَى لِلْأَسَى مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ^(٤).
فَتَصَرَّمْتَ أَيَّامُهَا وَكَأَنَّهَُا رَجَعُ الْجَفُونِ^(٥).

- وقال في النسيب:

إِنِّي أَجِيكَ حُبًّا لَيْسَ يَلْفُهُ هَمِّي، وَلَا يَنْتَهِي فَهْمِي إِلَى صِفَتِهِ.
أَقْصَى نِهَائِي عِلْمِي فِيهِ مَعْرِفِي بِالْعَجْرِ مِنِّي عَنْ إِدْرَاكِ مَعْرِفَتِهِ.

- الشعر المطبوع والشعر المصنوع (من كتاب زهر الآداب):

الشعرُ مطبوعٌ ومصنوعٌ. فالْمَطْبُوعُ الْجَيِّدُ الطَّعِرُ مَقْبُولٌ فِي السَّعْرِ قَرِيبُ الْمِثَالِ
بَعِيدُ الْمَثَالِ، أُنِيقُ الدِّيَابِجَةِ رَقِيقُ الرُّجَاجَةِ يَدْنُو مِنْ فَهْمٍ سَامِعِهِ كَدُّنُوهُ مِنْ وَهْمٍ
صَانِعِهِ. وَالْمَصْنُوعُ مُتَّقَفُ الْكُعُوبِ مَعْتَدِلُ الْأَنْبُوبِ، يَطْرُدُ مَاكَ الْبَدِيعِ عَلَى جَنَابَاتِهِ
وَيَجُولُ رَوْنَقُ الْحُسْنِ فِي صَفَحَاتِهِ. وَحَمَلُ الصَّانِعِ شِمْرَهُ عَلَى الْإِكْرَاهِ فِي التَّعْمَلِ
بِتَنْقِيجِ الْمَبَانِي دُونَ إِصْلَاحِ الْمَعَانِي يُعْغِي آثَارَ الصَّنْعَةِ وَيُطْفِئُ أَنْوَارَ الصَّبْغَةِ!!،
وَيُخْرِجُهُ إِلَى فُسَادِ التَّمَسُّفِ وَقُبْحِ التَّكَلُّفِ. وَإِلْقَاءُ الْمَطْبُوعِ بِيَدِهِ إِلَى قَبُولِ مَا يَبْعُثُهُ
هَاجِسُهُ وَيُثَقِّفُهُ!! وَسَاوِسُهُ- مِنْ غَيْرِ إِعْمَالِ النَّظَرِ وَتَدْقِيقِ الْفِكْرِ- يُخْرِجُهُ إِلَى حَدِّ
الْمُسْتَهْدَمِ الرِّثِّ وَحَيْرِ الْمُسْتَوْخَمِ الْفَثِّ. وَأَحْسَنُ مَا أَجْرِي إِلَيْهِ وَعَوَّلَ عَلَيْهِ هُوَ
التَّوَسُّطُ بَيْنَ الْحَالِينَ وَالْمُتَزَلِّةِ بَيْنَ الْمُتَزَلِّتِينَ مِنَ الطَّبَعِ وَالصَّنْعَةِ.

(١) بكيت (يفتح التاء) للتجريد (اذ يخاطب الشاعر نفسه). الورقاء: الهامة. ورق (٢) الهام: الهام
(الرمادي اللون) (٣) البري (ولمَّه أجل صوتاً).

(٢) الجفون (كذا في الأصل)، ولمَّها الميون. (رافعة الميون) تطلب من الله سقوط المطر.

(٣) الشجا (هنا) والشجو: الحزن والهم.

(٤) منقطع القرنين (المثيل، الشبيه): عهد الشباب.

(٥) تصرَّم: انقضى. رجع الجفون (كتابة عن السرعة).

- ٤- زهر الآداب (على هامش المقد)، مصر ١٣٠٢ هـ؛ (نشره زكي مبارك)، القاهرة ١٣٤٤ هـ؛؟ (نشرة عليّ الجاوي)، القاهرة ١٩٢٥ م؛ (بتحقيق أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر)؛ (بتحقيق زكي مبارك ومحمد محيي الدين عبد الحميد)، بيروت (دار الجليل) الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م..
- ذيل زهر الآداب أو جمع الجواهر في الملح والنوادر القاهرة (المطبعة الرحمانية) بلا تاريخ؛ (حرره عبد العزيز البشري)، القاهرة ١٣٥٣ هـ.
- * * الأنموذج ١٧- ٢٠ بغية الملتبس ٢٠٩ (رقم ٥١٦)؛ معجم الأدباء ٩٤: ٢-٩٧ وفیات الأعيان ١: ٥٤-٥٥، ٣٩٤-٣٩٥، الوافي بالوفيات ٦: ٦١-٦٢ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٣٩-٦٤٠ بروكلمن ٣١٤-٣١٥، الملحق ١: ٤٧٢-٤٧٣، الأعلام للزركلي ١: ٤٤ (٥٠)؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١١٩-١٢١.

ابن درّاج القسطلّي

- ١- هو أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن درّاج، أصلُ أهله من بربر صنهاجة جاءوا إلى الأندلس في أيام الفتح مع طارق بن زياد في الأغلب، ثم استقروا في قسطلّة درّاج التي هي عند جيّان (شرق قرطبة) فيها يبدو.
- وُلِدَ ابنُ درّاج في المُحرّم من سنة ٣٤٧ (آذار- مارس ٩٥٨ م) في جيّان في الأغلب. ونحن لا نعرف شيئاً يُذكرُ عن حياته الأولى قبل أن يتّصلَ بالمنصور بن أبي عامر، سنة ٣٨٢ هـ (٩٩٢ م)، ويصبح شاعره. ومن الثابت أن ابن درّاج قد رافق المنصور بن أبي عامر في عددٍ من غزواته.
- ولما توفّي المنصور بن أبي عامر (٣٩٢ هـ = ١٠٠٢ م) خلفه - في الحجابة وفي الحجز على الخليفة هشام المُوَيْد - ابنه عبد الملك فظلَّ ابن درّاج يتمتّع بالحظوة التي كانت له من قبل. ولكن لما توفّي عبد الملك وخلفه أخوه عبد الرحمن (٣٩٨ هـ) سقطت منزلة ابن درّاج في البلاط العائري، فصبر ابن درّاج على ذلك مُكرهاً.
- ثم سقطت الدولة العائرية التي كانت مستبدّة بالخلفاء الأمويين في قرطبة وجاء سلّيان السُتَعيْن إلى الخلافة (٤٠٠ هـ) فمدحه ابن درّاج، ولكن سليمان لم يغفل بمديح ابن درّاج.

وَاتَّصَلَ ابْنُ دِرَاجٍ بِالْقَاسِمِ بْنِ حَمُودٍ (وَزِيرِ سُلَيْمَانَ الْمُسْتَعِينِ فِي قُرْطُبَةٍ) وَمَدَحَهُ وَلَكِنْ لَمْ يَنْلُ مِنْهُ شَيْئاً، فَجَاوَزَ الْبَحْرَ إِلَى سَبْتَةِ (فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى) وَمَدَحَ عَلِيَّ بْنَ حَمُودٍ (أَخَا الْقَاسِمِ بْنِ حَمُودٍ) فَلَمْ يَنْلُ مِنْهُ شَيْئاً أَيْضاً.

عِنْدَئِذٍ عَادَ ابْنُ دِرَاجٍ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَمَدَحَ خَيْرَانَ الْعَامِرِيَّ صَاحِبَ الْمَرْيَةِ (٤٠٥-٤١٩ هـ) فَأَثَابَهُ خَيْرَانُ ثَوَاباً قَلِيلاً. فَجَاءَ ابْنُ دِرَاجٍ إِلَى قُرْطُبَةٍ (٤٠٧ هـ) وَمَدَحَ الْخَلِيفَةَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْمُرْتَضَى فَلَمْ يُثِبْهُ بِشَيْءٍ. وَطَالَ تَطَوُّفُ ابْنِ دِرَاجٍ بَيْنَ بَلَلَاطِ الْعَامِرِيِّينَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحْصُلَ عَلَى فَائِدَةٍ.

وَأَخِيرًا ذَهَبَ إِلَى سَرَقُسْطَةَ وَمَدَحَ الْمُنْذِرَ بْنَ بِحْيِى التَّجِيبِيِّ (٤١٠-٤١٤ هـ) فَتَالَ عِنْدَهُ حَظْوَةً فَكَثُرَتْ مَدَائِحُهُ فِي الْمُنْذِرِ بْنِ بِحْيِى ثُمَّ فِي ابْنِهِ بِحْيِى (٤١٤-٤٢٠ هـ)؛ وَأَقْبَلَتْ الدُّنْيَا عَلَيْهِ وَاقْتَنَى الْأَرَاذِيَّ وَالضِّيَاعَ. وَيَبْدُو أَنَّ شَيْئاً مِنَ الْفُتُورِ حَدَّثَ بَيْنَ ابْنِ دِرَاجٍ وَبَيْنَ بِحْيِى فَغَادَرَ ابْنُ دِرَاجٍ سَرَقُسْطَةَ وَجَاءَ إِلَى دَانِيَّةَ (سَنَةِ ٤١٩ هـ) وَمَدَحَ أَمِيرَهَا مُجَاهِداً الْعَامِرِيَّ.

لَمْ تَطُلْ حَيَاةُ ابْنِ دِرَاجٍ بَعْدَ ذَلِكَ فَتَوُفِّيَ فِي دَانِيَّةَ فِي الْأَغْلَبِ، فِي النِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الثَّانِيَةِ مِنْ سَنَةِ ٤٢١ (٢٢ / ٦ / ١٠٣٠ م).

٢- ابْنُ دِرَاجٍ الْقَسْطَلِيُّ شَاعِرٌ فَحَلٌ مُكْثِرٌ مُطِيلٌ وَكَاتِبٌ مُرْسَلٌ بَارِعٌ. وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الشُّعْرَاءِ الْمُجِيدِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ. وَشِعْرُهُ أَعْلَى طَبَقَةٍ مِنْ نَثَرِهِ.

وَأَسْلُوبُ ابْنِ دِرَاجٍ مَطْبُوعٌ عَلَى غِرَارِ الشُّعْرِ الْمَشْرِقِيِّ مِنْ شَعْرِ أَوْلَئِكَ النَّحْوِ يَتَكَلَّفُونَ الْقَوُصَ عَلَى الْمَعَانِي وَيَتَأَنَّقُونَ فِي الصِّيَاغَةِ كَأَنِّي تَسَامُ وَالْمُتَنَبِّي حَتَّى سُمِّيَ «مُتَنَبِّيَ الْغَرْبِ». غَيْرَ أَنَّ فِي شِعْرِهِ - بَرُغْمَ ذَلِكَ كُلِّهِ - قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الْعُدُوبَةِ وَالسَّلَاسَةِ، مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْقَوُوصِ أحياناً. وَرَبَّمَا رَأَيْنَاهُ يُقَلِّدُ أَيْضاً أَبَا نُوَّاسٍ وَابْنَ الرَّومِيِّ وَابْنَ هَافِي الْأَنْدَلُسِيِّ وَغَيْرَهُمْ.

وَشِعْرُهُ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْنَا مُعْظَمُهُ مَدَائِحٌ ثُمَّ بَضْعُ قِصَائِدَ فِي الرِّثْلَةِ وَالتَّعْزِيَةِ تَبْلُغُ خَسْأً. ثُمَّ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنَ الْغَزْلِ وَالْوَصْفِ لِلطَّبِيعَةِ وَلِلْحَرْبِ مَعَ أَبْيَاتٍ مِنَ الْحِكْمَةِ مُتَفَرِّقَةٌ فِي الْقِصَائِدِ. وَابْنُ دِرَاجٍ يُكْثِرُ مِنْ وَصْفِ الْأَمْجَادِ وَيُشِيدُ بِعَظَمَةِ الْإِسْلَامِ

إشادة بارزة، ولا غَرَوْا فطبيعة الحروب التي كان العرب يَخوضونها في الأندلس في ذلك الحين كانت تَقْتَضِي ذلك.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن دَرَّاج القسطلِيُّ يمدح المنصورَ بن أبي عامر، وكان المنصورُ قد أمره بأن يُعارضَ قصيدةَ أبي نَواسٍ في مدحِ الحَصِيبِ بن عبد الحميدِ صاحبِ الحَرَّاجِ في مصرَ (أَجارةَ بَيْتَيْنَا أبوكِ غَيورُ)، فقال ابنُ دَرَّاجِ قصيدةَ منها:

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الثَّوَاءَ هُوَ التَّوَى وَأَنَّ بِيوتَ العَاجِزِينَ قُبُورُ^(١).
تُخَوِّفُنِي طُولَ السِّفَارِ، وَإِنَّهُ لَتَقْبِيلُ كَفِّ العَامِرِيِّ سَفِيرُ^(٢).
دَعِيَنِي أَرْضَ مَاءِ المَفاوِزِ أَجْنَأُ إِلَى حَيْثُ مَاءُ المَكْرُمَاتِ نَمِيرُ^(٣)،
وَأُخْتَلِسَ الأَيَّامَ خُلْسَةً فَاتَكِ إِلَى حَيْثُ لِي مِنْ غَدَرِهِنَّ خَفِيرُ^(٤)؛
فإِنَّ خَطِيرَاتِ المَخَاطِرِ ضُمْنُ لِراكِبِهَا أَنَّ الجِزَاءَ خَطِيرُ^(٥).
وَلَمَّا تَدَانَتْ لِلوَدَاعِ، وَقَدْ هَفَا بِصَبْرِي مِمَّا أَتَتْهُ وَزَفِيرُ^(٦) -
تُشَادِدُنِي عَهْدَ المَوَدَّةِ وَالهُوَى، وَفِي المَهْدِ مَبْغُومُ النِّدَاءِ صَغِيرُ^(٧)

-
- (١) الثَّوَاءُ: المكث والبقاء (في مكان واحد). التَّوَى: الهلاك.... والذين لا يرحلون بيوتهم عجزاً منهم عن الضرب في الأرض تكون بيوتهم قبوراً لهم.
- (٢) طول السفار: بعد السفر وطول مدته. سفير: وسيلة إلى تقبيل كف المنصور بن أبي عامر (لتبيل نداء وعطاباه).
- (٣) ورد الماء: شربه. المفازة: البعيدة التي يمشى فيها الهلاك وسميت مفازة للتنازل بأن الذي يسلكها يرجو له أن ينجو- يفوز ويخرج- منها. غير: صاف، عذب. - اتركيني أشق (مجزومة: من الشقاء) واتعب حتى أصل إلى المكان الذي فيه راحة وكرم.
- (٤) واطركني أغافل الأيام بجمرة وعزم لأنجو منها إلى حيث آمن على نفسي منها.
- (٥) ركوب المخاطر العظيمة يضمن للإنسان ثواباً عظيماً.
- (٦) هفا: أسرع، ذهب. الزفرة: تنفس طويل يصعده الإنسان من هم أو أسف - أينتها وزفرتها ذهباً بصري.
- (٧) المَبْغُومُ: الذي يشبه صوته البخام (صوت الظبي): طفل.

عَيْيٌ بِمَرْجُوعِ الْخِطَابِ، وَلَفْظُهُ
عَصَبَتْ شَفِيعَ النَّفْسِ فِيهِ وَقَادَنِي
لَيْثٌ وَدَعَتْ مِنِّي غَيُوراً فَإِنِّي
أَسْلَطْتُ حَرَّ الْمَاجِرَاتِ إِذَا سَطَا
وَالْمَوْتِ فِي عَيْنِ الْجَبَانِ تَلَوْنٌ،
لَهْدٍ أَقْبَنْتُ أَنَّ الْمُنَى طَوَعَ هَمِّي،
وَأَيُّ فَتَى لِلدِّينِ وَالْمُلْكِ وَالنَّدَى
مُجِيرُ الْمُهْدَى وَالِدِينِ مِنْ كُلِّ مُلْجِدٍ،
تَلَاقَتْ عَلَيْهِ مِنْ تَمِيمٍ وَيَعْرُبٍ
بِمَوْقِعِ أَهْوَاءِ النَّفْسِ خَبِيرٌ^(١)
رَوَّاحٌ لِنَدَابِ السُّرَى وَبُكُورٍ^(٢)
عَلَى عَزَمَتِي مِنْ شَجْوِهَا لَغَيُورٍ^(٣)
عَلَى حُرٍّ وَجْهِهِ وَالْأَصِيلِ هَجِيرٍ^(٤)
وَاللُّذْغَرِ فِي سَمْعِ الْجَزْيَةِ صَفِيرٍ^(٥)
وَأَنِّي بِعَطْفِ الْعَامِرِيِّ جَدِيرٍ^(٦) !
وَتَصْدِيقِي ظَنُّ الرَّاغِبِينَ نَزُورٍ^(٧) !
وَلَيْسَ عَلَيْهِ لِلضَّلَالِ مُجِيرٍ^(٨)
شُمُوسٌ تَلَالَا فِي الْعَلَا وَبُدُورٍ^(٩)

- (١) عَيْي: عاجز. بمرجوع الخطاب: ببيان الألفاظ (بالرد على الأسئلة). ولفظه بموقع أهواء النفوس خبير: تأثير لفظه يصل إلى قلوب سامعيه.
- (٢) الرواح: الرجوع في المساء، الذهاب مساء. النداب: الدأب (بفتح الدال والمهمزة)، المنابرة والاستمرار. السرى: السفر ليلاً.
- (٣) إذا كانت امرأتى قد نامت أن أسافر لأنني غيور عليها، فأنا أيضاً غيور على أن أنفذ ما أعزم عليه ولا أرجع عنه لئلا تشجى (يدخل على قلبها الحزن من ذلك).
- (٤) حرّ الوجه: ما يبدو منه عادة (ما لا يستره الإنسان عادة- كما يفعل البدوي بالكوفية التي تستر جوانب وجهه فقط). الأصيل: منتصف الوقت بين الظهر وغيباب الشمس. هجير: حرّ (بفتح الحاء).- وفي سبيل تنفيذ عزمي أعرض وجهي للحر في نصف النهار حينما يكون الأصيل حرّاً لا بطق.
- (٥) في الديوان (ص ٢٩٩) وللמות في عيش، وهو خطأ مطبعي بلا ريب ولكن لم ينبّه عليه في باب الصواب والخطأ (ص ٦٢٦) - وحينما يكون للموت صور مختلفة في عين الجبان، وحينما يبلغ الخوف قدراً عظيماً حتى تبدأ أذنا المجريه الشجاع تصفران من الخوف (تسمعان أصواتاً غير موجودة).
- (٦) حينئذ أقبنت أنني أستطيع أن أنال كل ما أعزم عليه. وهذا يجعلني أيضاً جديراً (مستحقاً) بعطاي المنصور بن أبي عامر.
- (٧) ليس هنالك رجل آخر غير المنصور بن أبي عامر ننتظر منه الدفاع عن الدين وعن الملك وننتظر منه العطايا التي تحقق آمال الطالبين مها تكن تلك الآمال كبيرة.
- (٨) هو مجير (ينقذ، يحمي) الدين من الملحدين جيماً، ولا يستطيع أحد أن ينميه من القضاء على الضلال.
- (٩) اجتمع في نسبة بنو تميم (دلالة على الكثرة والقوة) ويعرب (دلالة على قدم الجدى في أسلافه). ويعرب بن قحطان أيضاً أبو عرب اليمن (دلالة على عراقه الجدى).

من الحَمِيرَيْنِ الذين أَكْفَهُمْ
لهم بَذَلَ الدهرُ الأَيَّ قِيادَه،
وهم ضَرَبُوا الآفاقَ شَرْقاً وَمَغْرِباً
وهم نَصَرُوا حِزْبَ النُّبُوَّةِ وَالْهُدَى
أَلَا كُلُّ مَدْحٍ عَن مَدَاكَ مُقَصَّرٌ،
لقد حَاطَ أَعْلَامُ الْهُدَى بِكَ حَائِطٌ،
مُغْنٍ عَلَى بَذْلِ الرِّغَائِبِ وَاللَّهْيِ،
فَعَزَّمْتُكَ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ مُخَبِّرٌ،
- وقال يَتَغَزَّلُ (١):

وَحَشِيَّةُ اللَّفْظِ: هل يُودَى قَتِيلُكُمْ؟
إِنِّي أُرَاكَ بِقَتْلِ النَّفْسِ حَازِقَةً؛
مَا لِي وَلِلْبَرَقِ أَسْتَقْبِيهِ مِنْ ظَمَاءٍ؛
لَوْلَا الضُّلُوعُ لَطَارَ الْقَلْبُ نَحْوَكُمْ.
دَمِي مُضَاعٌ، وَجَانِي ذَاكَ عَيْنَاكَ (٢).
قولي- قَدَيْتُكَ-: مَنْ بِالْقَتْلِ أَوْصَاكَ!
هِيَهَاتَ، لَا رِيَّ إِلَّا مِنْ قُنَايَاكَ!
ضَمِي- بَعِيثُكَ- فَوْقَ الْقَلْبِ مُنَاكَ.

-
- (١) الحَمِيرَيْنِ: عرب الجنوب (دلالة على جمع المجد من عرب الشمال ومن عرب الجنوب). تهمي: تهطل: تسقط بكثرة. الندى: الكرم.
(٢) إن الدهر الذي يأبى أن يطيع أحداً من الناس انتقاد لهم طائفاً راضياً. والأَيَّام التي هي نفور (كثيرة النفرة والهرب والجفلة من الناس) هدأت على يدهم.
(٣) غرور: خديعة النفس، مطلب لا يتحقق.
(٤) الحائط: الحامي، الدافع. والمقصود بقوله: حائط وقدير «الله تعالى».
(٥) هو في بلده مستقر يعطي الناس الرغائب (جمع رغبة: الأمر المرغوب فيه) واللهم (جمع لمة- يفتح اللام أو بضماً-: العطية الجزيلة، ألف دينار، أو ألف درهم)، بينما هو يفكر (ويدبر) جميع أنحاء البلاد.
(٦) هذه الأبيات تقليد لمقطوعة للشريف الرضي (ت بغداد ٤٠٦ هـ):
يا ظلية البان ترعى في خائله لِيَهْمَكَ اليوم أن القلب مرعاك.
(٧) وحشية اللفظ: لفظها يشبه بغام (بضم الباء) بقر الوحش (الظباء). في الديوان (ص ٥٣٨): هل يودي (ينقلتين تحت الياء): يهلك، يموت. والأصوب أن نقرأ: هل يودي (بألف مقصورة): هل ندفع ديتة (بكسر الدال وفتح الياء بلا تشديد)، يدلنا على ذلك تشمة البيت: دمي مضاع.... جاني ذاك عيناك: عيناك سفكتا دمي ثم حالتا بيني وبين أن أطلب منك دية (لأنني أحبك).

أَصْلَيْتَنِي لَوْعَةَ الْمِجْرَانِ ظَالِمَةً رُحَاكِ مِنْ لَوْعَةِ الْمِجْرَانِ رُحَاكِ^(١)
 حَاشَاكَ أَنْ تَجْمَعِي حُسْنَ الصِّفَاتِ إِلَى قُبْحِ الصَّنْعِ بِمَنْ يَهْوَاكَ، حَاشَاكَ.
 إِنْ كَانَ وَادِيكَ مَتْنَوَعًا فَمَوْعِدُنَا وَادِي الْكَرَى فَلَعَلِّي فِيهِ أَلْفَاكِ^(٢) ١

- وكتب ابن درّاج القسطلّي إلى مُنْذِرِ بْنِ يَحْيَى التُّجَيْبِيِّ صَاحِبِ سَرَقُشْطَةَ
 (٤١٠-٤١٤ هـ) رسالةً منها: (الذخيرة ١: ٦٤):

حَيَّاكَ بِنَحِيَةِ الْمَلِكِ مَنْ أَحْيَا بِكَ دَعْوَةَ الْحَقِّ، وَرَدَّاكَ رِذَاءَ الْإِعْظَامِ مَنْ^(٣) أَعْلَى
 بِكَ لِيَوَاءِ الْإِسْلَامِ: مُجَرِّي الْأَقْدَارِ بِإِعْلَاءِ قَدْرِكَ وَمُصَرِّفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِإِعْزَازِ
 نَصْرِكَ، وَمُظْهِرُ^(٤) مَنْ أَطَاعَكَ عَلَى مَنْ عَصَاكَ، وَمُدْمِرُ مَنْ عَادَاكَ بِسُيُوفِ مَنْ
 وَالَاكَ. قَدْ جَعَلَ اللَّهُ أَوَّلَ أَسْمَائِكَ أَوَّلَى بِأَعْدَائِكَ وَأَقْرَبَ اعْتِرَازِكَ صَفْوًا
 لِأَوْلِيَائِكَ^(٥)، ثُمَّ سَمَّاكَ بِكَ حَاجِبُ الشَّمْسِ نُورًا وَأُنْسًا لِهَذَا الْإِنْسِ^(٦) وَنَفْسَ حَيَاةٍ لِكُلِّ
 نَفْسٍ.

- وقال يمدحُ الْمُظَفَّرَ بْنَ الْمُنْذِرِ التُّجَيْبِيِّ (٤١٤-٤٢٠ هـ) صَاحِبَ سَرَقُشْطَةَ.
 وهذه القصيدة تَبَعْدُ عَنِ التَّقْلِيدِ:

نَجُومُ الصَّبَا، أَيْنَ تِلْكَ النُّجُومُ؟ نَسِيمُ الصَّبَا، أَيْنَ ذَاكَ النِّسَمُ^(٧)؟
 أَمَا فِي التَّخِيلِ مِنْهَا ضِيَاءٌ، أَمَا فِي التَّنَشُّقِ مِنْهَا شَمَمٌ^(٨)؟

- (١) أصلاء: عرّضه لحر النار. اللوعة: حرقه في القلب، ألم من حب أو هم.
- (٢) واديك: منزلك، المكان الذي تسكنينه. وادي الكرى: النوم - إذا كنت لا تستطيع أن أزدورك في أرضك (خوفاً من أهلك) فلعلّي أراك في نومي (إذ ليس لأهلك سلطة على الرؤيا في النوم، ولا يستطيعون أن يبنموها عنّي).
- (٣) رَدَّاكَ: ألبسك. من: الذي (أي الله).
- (٤) مظهر: ناصر.
- (٥) أَوَّلَ أَسْمَائِكَ (المنذر: الذي يحمل خير الشر). اعتراؤك: انتاباك: التجبّي (المجيب؟).
- (٦) الأنس (بضم الهمزة): الحديث المفرح و(بكر الهمزة): الناس.
- (٧) نجوم (جمع نجم): أول ما ينبت من عشب الأرض). نجوم الصبا: أوائل الشباب. أين تلك النجوم: (نجوم السماء) أين أهاج شبابنا الأولى؟ أين ذاك النسيم: أين ذلك الهواء الذي كنا نتنشق في أوطاننا؟
- (٨) أليس في تخيل الإنسان لأتاهم شبابه ضياء (رؤية) لذلك الشباب الذي مضى (شعور به)؟ أليس في التنشّق (محاولة شمّ الريح من نحو الوطن) شعور بأن الإنسان قريب من وطنه أو موجود فيه؟

لَقَدْ شَطَّ رَوْضٌ إِلَيْهِ أَحْنُ، وَغَارَتْ مِيَاهُ إِلَيْهَا أَهْمُ^(١)،
لَيَالِي إِذْ لَا حَبِيبٌ يَصُدُّ، وَعَهْدِي إِذْ لَا عَذُولٌ يُلُومُ؛
وَحَمْرِي مِنْ الدَّرِّ مِنْكَ مُذَابٌ، وَرَوْضِي مِنَ السَّحَرِ دَلٌّ رَحِيمُ^(٢)؛
وَعُصْنُ شَبَابٍ عَلَاهُ الْمَشِيبُ، كَفَضُّ رِيَاضٍ عَلَاهَا الْهَشِيمُ^(٣).
فِيَا عَجَباً لِمَصْرُوفِ الزَّمَانِ، شُهِوداً لَنَا وَهِيَ فِينَا خُصُومُ^(٤)؛
فَكَيْفَ قَضَى حُكْمَ هَذَا الْقَضَاءِ، عَلَيَّ لِدَهْرِي وَهُوَ الظَّلُومُ^(٥)؟
فَنَحْنُ دِيُونُ النَّوَى، كُلَّ يَوْمٍ، عَلَى حُكْمِهِ يَقْتَضِينَا الْفَرَمُ^(٦)؛
جُوسَمٌ تَطْلُبُ بَيْنَ الْقُلُوبِ، بِأَجْنَحَةٍ رِيْشُهُنَّ الْمُهْمُومُ^(٧)؛
يَكُلُّ هَجِيرٍ لَوْ النَّارُ تَصَلَّى، جَحِيماً لِأَضْبَحَ وَهُوَ الْجَحِيمُ^(٨)؛
وَفِي كُلِّ هَجْرٍ - كَمَا قِيلَ - خَلَقَ، صَفِيرٌ يُبَاوِيهِ خَلْقٌ عَظِيمُ^(٩)؛

(١) شط: ابتعد. غار الماء: ذهب في الأرض وضاع. هام: أحب امرأة. هام بالمرأة: حنَّ (بفتح الحاء) اشتاق. أهم إليه (ليست في القاموس): اشتاق إليه.

(٢) خري (الحمر التي أضرها وأسكر بها) من الدَّرِّ (اللؤلؤ من الاسنان، أسنان الحبوب: من فمه). منك مذاب: رقيق الحبوب. في الديوان (ص ٢٧١): وروضي من السحر (بكسر السين)؛ وأرجح أنا القراءة: وروحي (بفتح الراء: الراحة والانتعاش) من السحر (بفتح السين: الصدر). الدل: الدلال، الجرأة على الزوج بتفتيح. الرخيم: (الكلام) اللين العذب.

(٣) ليس الشباب جيلاً مع الشيب أو مع الشعر الأبيض، كما أن الروض الناضر لا يكون جيلاً إذا كان فيه عشب بايس.

(٤) من المعجب أن أحداث الدهر سالتنا (في الماضي) مع أننا (في الأهل والمادة) عدو لنا.

(٥) وكيف أعاني القضاء على دهري (ووهني سعادة)، مع أن القضاء في العادة ظلوم (يظلم: يسلب الناس ما هو حق لهم)؟

(٦) نحن البشر ديون للدهر في هذه الحياة. وفي كل يوم يطلب الغريم (صاحب الدين، أي الدهر) دينه نحن يريد: بالإفطار، بالمصائب، بالموت، الخ.

(٧) إن القلوب تتمنى أمنيات عسيرة التحقيق ثم تحمل الأجسام على تحقيق هذه الأمنيات فتلقى الأجسام من جرّاء ذلك تعباً شديداً.

(٨) يسعى الإنسان إلى أن يحقق رغباته في أحوال قاسية: في هجير (حر نصف النهار) ولو أن هنالك شيئاً أشدَّ حرّاً من النار (من المحيم: جهنم) لكان هو ذلك الهجير.

(٩) وفي كل بحر عظيم يخوض فيه ذلك الإنسان الصغير. يباويه ليست في القاموس. والأقرب أن يكون =

كَانَا عَلَيْهِ نُجُومُ الثَّرَيَا تَسِيرُ وَقَدْ أُفْرَدَتْهَا النُّجُومُ (١) .
 وَفِي اسْمِ الْمَظْفَرِ فَالْ حَيَاةُ لِيَحْيَا الْغَرِيبَ بِهِ وَالْمَقِيمَ .
 يُبَشِّرُنَا بِسَنَاءِ الصَّبَاحِ ، وَتُخَيِّرُنَا عَنْ نَدَاءِ الْغُيُومِ (٢) .
 وَفِي كُلِّ نَادٍ مُنَادٍ إِلَيْكَ : هَلُمَّ إِلَى حَيْثُ يَغْنَى الْعَدِيمُ (٣) ،
 هَلُمَّ إِلَى حَيْثُ تُنْسَى الرِّزَايَا ، هَلُمَّ إِلَى حَيْثُ تُوسَى الْكُلُومُ (٤) .
 عَلَا أَعْرَقَتْ فِيكَ مِنْ عَهْدٍ عَادٍ يَدِينُ الْكَرِيمُ بِهَا وَاللَّثِيمُ (٥) .
 وَفِي كُلِّ بَرٍّ وَفِي كُلِّ بَحْرِ صِرَاطٌ إِلَيْكَ لَهَا مُنْتَقِمٌ .
 وَسَيُفْكَ لِلدَّيْنِ رُكْنٌ شَدِيدٌ ، وَحَظُّكَ فِي الْمُلْكِ حَظٌّ عَظِيمٌ .
 لَبَسَتْ إِلَيْهَا مِنَ الْمُلْكِ تَاجًا يُهْلُ الْهِلَالُ لَهُ وَالنُّجُومُ (٦)
 عَلَى حُلِيِّ حَاكَمَتِ السَّنَةَ وَأُزْدِيَّةٍ نَسَجَتْهَا الْحُلُومُ (٧) .

= « ياديه » (وهذه أيضاً ليست في القاموس، وإن جاءت في شعر الأخطل). والمقصود يدفعه أمامه يسير. والإشارة هنا إلى قول عمرو بن العاص حينما سأله عمر بن الخطاب أن يصف له البحر، فكتب إليه عمرو بن العاص: « البحر خلق كبير يركبه خلق صغير. وراكبه دود على عود. الداخِل فيه منقود، والخارج منه مولود ».

(١) الثَّرَيَا عنقود نجوم. أفردتها: عزلتها. - كان الإنسان في البحر مثل عنقود الثريا في السماء إذا لم يكن في السماء نجوم غيرها (أي شيء ضئيل جداً).

(٢) سناء (نور الصباح جزء من سناؤه: بشاشة وجهه ولطفه) والمطر غودج من كرمه.

(٣) العديم: الفقير. في الديوان (ص ٢٧٣): يغنى (بالبناء للمجهول) ويجوز أن تكون يغنى (بالبناء للمعلوم).

(٤) الرزايا جمع رزئة: مصيبة. الكلوم جمع كلم (بسكون اللام): جرح. أسا المرح: داواه.

(٥) علا = العلا، الملى: المجد والرفعة والمظنة. أعرفت: كانت عريقة (عديمة في أسلافه). يدِين: يقرّ. يدِين الكرم بها واللثيم: يقرّ (له بهذا الكرم) جميع الناس.

(٦) هلّ يهْلُ (بالبناء للمعلوم أو للمجهول) الهلال: ظهر. وهلّ الرجل: فرح. - إذا رأى الهلال والنجوم تاجك فرحن ثم رغن أصواتهن من الدهشة والحمد (لأنّ تاجك أجلّ منهن).

(٧) السناء: السُّنَاءُ والارتفاع (والشاعر يقصد النور). الحلوم جمع حلم (بالكسر): العقل. يمدح الشاعر مدحوه بكرم الأصل وبالحكمة (٤).

وللسابغات بُحورٌ تَمُورُ، وللسابغاتِ سَفِينٌ يَعمُومُ^(١)
 كَأَنَّ خَوَافِقَ أَغْلَامِهِنَّ طَيُورٌ عَلَى الْمَاءِ مِنْهَا تَحُومُ^(٢).
 فَلَا شَاءَ دَهْرُكَ مَا لَا تَشَاءُ، وَلَا رَأَى شَانِيكَ مَا لَا تَرُومُ^(٣).
 فَنَضْرُكَ أَوَّلُ مَا نَسْتَمِيدُ، وَعُمُرُكَ آخِرُ مَا نَسْتَدِيمُ^(٤).

٤- ديوان ابن درّاج القسطلي (حقّقه محمود علي مكّي)، دمشق (المكتب الإسلامي) الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م، الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ.

* * جذوة المقتبس ١٠٢-١٠٦ (رقم ١٨٦) الدار المصرية ص ١١٠-١١٤ بغية الملتصق ١٤٧-١٥٠ (رقم ٣٤٢)؛ الصلة ٤٤ (رقم ٧٧)؛ الذخيرة ١: ٥٩-١٠٣؛ الوافي بالوفيات ٨: ٤٩-٥٢؛ وفيات الأعيان ١: ١٣٥-١٣٩؛ المغرب ٢: ٦٠-٦١؛ المطرب ١٥٦-١٥٧؛ شذرات الذهب ٣: ٢١٧-٢١٩؛ نفع الطيب ٣: ١٩٥-١٩٦؛ ٣٤١-٣٤٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٤٢-٧٤٤؛ بروكلمن، الملحق ١: ٤٧٨؛ نيكل ٥٦، مختارات نيكل ٣٣-٣٤؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٠٤ (٢١١).

عصر ملوك الطوائف

يمتدُّ عصرُ ملوكِ الطوائفِ في الأندلسِ جِيلَيْنِ: من سقوطِ الخِلافةِ المُرَوَّانيةِ سَنَةً ٤٢٢ (١٠٣٧ م) إلى أَنْ قَضَى يَوْسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ^(٥) عَلَى مُلُوكِ الطَّوَائِفِ سَنَةً ٤٨٤

(١) السابغات: الدروع. تمور: تموج (كتابة عن كثر الجنود). السابحات: الخيل (٢). سفن: مراكب (كتابة عن كثرة الفرسان) (٣).

(٢) كأن الأعلام التي تحفّ فوق جيشك (لكثرتها) جماعات من الطيور فوق ماء البحر لا أعلام السفن (لأنّ السفينة يرتفع عليها علم واحد أو علمان اثنان أو ثلاثة أعلام. ولكن كثرة سفنك بكثرة أعلامها تشبه جماعات الطيور).

(٣) الشاء: العدو المبغض. رام يروم: أراد، أحبّ.

(٤) أوّل دعائنا أن ينصرك الله، وآخر دعائنا أن يديم الله بقاءك.

(٥) يوسف بن تاشفين أوّل سلاطين دولة المرابطين التي نشأت في المغرب سنة ٤٤٨ وكان لها في أوّل الأمر رئيس ليس بسلطان ثم أصبح يوسف بن تاشفين، سنة ٤٥٣، سلطاناً مستقلاً فيها. وسيرد تفصيل ذلك في صورة العصر الياسية لعصر المرابطين في الأندلس.

(١٠٧١ م). وأوائل ملوك الطوائف، في الأصل، كانوا- عند سقوط الخلافة المروانية- ولاة على مدن مختلفة فاستبدوا بما كان تحت أيديهم ثم أورثوا الحكم عليه أولادهم أو أتباعهم. وهناك نفر آخرون كانوا من قبل قد حكموا مستقلين في عدد من المدن كبنى الحجاج في إشبيلية، ولكننا لا نعدّهم في ملوك الطوائف لأنهم كانوا في الحقيقة ثائرين على سلطة المروانيين في قرطبة.

كانت كل دويلة من دويلات الطوائف تتألف من مدينة وما حولها أو من مدينتين؛ وكان ملوكها من عصابات مختلفة: عرباً وبربراً ومولدين (مسلمين إشبانيين الأصل). ثم كانوا متنافسين متخاصمين يغزو بعضهم بعضاً. وربما استعان بعضهم بالطاغية (بملك من ملوك النصارى الإسبان) على بعض. ولقد اتخذ ملوك الطوائف جميع مظاهر الدول من التلقب بالقبائل الخلافة ومن الحجابة (رئاسة الوزارة) والوزارة ومن أسباب الترف، كما كانوا يجتمعون في بلاطاتهم الأدباء والشعراء فيعديقون عليهم الأموال، يمثل ذلك كله قول ابن رشيقي (ت ٤٥٦ هـ):

مِمَّا يَزْهْدُنِي فِي أَرْضِ أُنْدَلُسِ الْقَابُ مَعْتَمِدٌ فِيهَا وَمُعْتَصِدٌ:
الْقَابُ مَمْلُوكِي فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، كَالِهَرِّ يَحْكِي أَنْتَفَاخاً صُورَةَ الْأَسَدِ!

ويصعب ضبط عدد دويلات الطوائف وضبط مدنها، فقد تولى نفر من ملوكها مدناً مختلفة في أزمنة مختلفة، وكان بعضهم- في أثناء ذلك- ينتزع بعض هذه المدن من بعض. وكذلك كان ملوك النصارى يستولون- بين الحين والحين- على عدد من هذه المدن. ولكن بإمكاننا أن نقول إن دويلات الطوائف كانت ثلاثاً وعشرين منها:

- دويلات العامريين (أعقاب المنصور بن أبي عامر ومواليه)، وكان موالي المنصور فتياً من الصقالية (البلغار) فكانوا أقدر الناس على الاستبداد بالمقاطعات المختلفة لأنهم كانوا قواداً ورؤساء حرس، بالإضافة إلى أن نفراً منهم كانوا منذ أيام المنصور نفسه ولاة على المدن التي استبدوا بها.

من أصحاب هذه الدويلات مُجاهدُ العامريُّ في دانيةَ والجَزائرُ الشرقية (ميورقة ومنورقة ويابسة)، خَلَفَهُ فيها ابْنُهُ إقبالُ الدولة علي. ومنهم عبدُ العزيز (حفيدُ المنصورِ بن أبي عامر) كان في بلنسية. ومنهم الفتى خَيْرَانُ الصَقْلِيُّ العامريُّ في المَرِيَّة. ثم انتقلت المَرِيَّةُ إلى زُهَيْرِ الصَقْلِيِّ وشيكاً، سَنَةَ ٤٣١ (١٠٤٩ م). ثم انتقلت إلى المعتصم ابن ضُحاح (مُحَمَّد بن معن)، سَنَةَ ٤٤٤ (١٠٥٢ م)، وكان أديباً شاعراً فَحَفَلَ بِلَاطُهُ بَرِجالِ الأدب.

- دويلة بني هود في سَرَقُسْطَةَ أولُهم منذرُ بنُ يحيى التُّجِيبِي، وقد طال حُكْمُهُم من ٤١٠ إلى نحو ٥٤٠ هـ = (١٠١٩ - ١١٤٥ م) لأنهم كانوا بعيدين في شَالِي الأندلس عن دولتي المُرابطين والمُوحِّدين في المغرب. وكثُرَتِ المنازعاتُ بين امرأه بني هود كما كَثُرَتْ حروبهم مَعَ ملوك الطوائف ومَعَ الإسبان فَهَلَكَ في تلك المنازعاتِ والمُحروبِ جماعاتٌ كثيرةٌ من المسلمين.

- دويلة بني ذي النون (تعريب زَنُون: اسم بربري) في طُلَيْطَلَةَ، واشهرُ ملوكها يحيى المأمون، هَلَكَ أَيْلُهَا في حروبه مَعَ ملوك الطوائف ومَعَ الإسبان خَلَقَ كثيرٌ من المسلمين.

- بنو زيري في غَرْنَاطَةَ. غَلَبَ على غَرْنَاطَةَ حَبَّوسُ بنُ مَأكِينِ بنِ زيري الصِنْهَاجِي ثُمَّ خَلَفَهُ ابْنُهُ باديسُ فاستبقى وزيراً كان لأبيه اسمُه إسماعيلُ بن التَّنْفَرَكَةِ^(١) (وكان يهودياً) فمَلَأ إسماعيلُ هذا مناصبَ الدولة بأبناءِ جِنْسِهِ فَانْتَسَبُوا

(١) يرد هذا الاسم في صور مختلفة. في البيان المغرب لابن عذاري (٣: ٢٣١، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٧٦): نغزلة بالزاي، وفي إلام الأعلام للسان الدين بن الخطيب (ص ٢٣٠) نغزلة (بالراء وباللام المشددة). والكتابان بتحقيق ليفي بروفنسال، وهو مستشرق يهودي واسع المعرفة بتاريخ الأندلس، وكان من المنتظر أن يحقق هذا الاسم في المصادر اليهودية. وورد هذا الاسم في نفع الطيب (٤: ١٣٢٢): نغذلة (وهو الصواب)، ولكن مفرس نفع الطيب لما قرأ (٣: ٣٨٧): «... ابن الفراء ... عاد إلى غرناطة واعتكف بها على مدح وزيرها اليهودي». أفرد في الفهرس المجاني سطرًا باسم ابن نغزلة (مباشرة بعد السطر الذي فيه: ابن نغذلة). وفي الإحاطة لابن الخطيب (بتحقيق محمد عبد الله عنان): ابن نغزلة (١: ٤٤٢، ٤٤٦، ٤٤٧). وقد علق عنان بمباشرة (ص ٤٤٢) ذكر فيها أن الاسم ورد في خطوطي الإحاطة «نغزلة» (بالمين والراء) وفي الذخيرة «التغزيلي» وفي البيان المغرب =

المالَ والجاه واستطالوا على المسلمين. وماتَ إسماعيلُ فخلفه في الوزارة ابنه يوسفُ فزادَ على أبيه في الإساءة إلى المسلمين فنشبت ثورة سنة ٤٥٩ (١٠٦٩ م) قُتل فيها يوسفُ وكثيرٌ من أبناء قومه.

- دويلة بني الأفطس في بَطْلَيْنُس، أشهرهم مُحَمَّدُ الْمُظْفَرُ وكان عالماً لبيباً وأديباً شاعراً وبطلاً شجاعاً.

- دَوْلَة بني عبادٍ في إشبيلية، أكبرُ دويلات الطوائف وأشهرها وأكثرها أثراً في حياة الأندلس في أيامهم (٤١٤ - ٤٨٤ هـ)، وسَلِمَ بأشياء من تاريخ دَوْلَتِهِمْ في أثناء تراجُمِ رجالِهِمْ.

في الشمال الإفريقي

لَمَّا بدأ عصرُ ملوك الطوائفِ في الأندلسِ كان لبني مَغْرَاوَة وبني يفرن (وهم من زِناتَة) دولةٌ في فاسَ (المغرب)، ولكنها كانت تحتَ نَظَرِ المَرْوانيين في الأندلس. وكان أولَ ملوكِ هذه الدولة زيري بنُ عَطِيَة المَغْرَاوِي. وتقلَّب هوى زيري بن عطية بين المَرْوانيين في الأندلسِ والفاطميين في مِصْرَ. وبعدَ قتالٍ بينه وبين المنصور بن أبي عامر عاد إلى طاعة المنصورِ والمروانيين. واستطاع زيري أن يُوسِّعَ مَلَكَةً فيضمُّ إليه جانباً من شالي غربيّ الجزائر (تاهرت وتلمسان وجوارها)، ولكنه أصيب بجراح تُوفِّيَ منها، سَنَة ٣٩١ (١٠٠٠ م).

وبعدَ زيري جاء ابنه المَعْرُ (٣٩١ - ٤١٧ هـ) ثم جاء حَمَامَة بنُ المَعْرُ (ابنُ عمِّ المعزِ آبن زيري) فاستتبَّ الأمرُ له وعظَّم مَلَكَةً وكانت وفاته سَنَة ٤٤٨ (١٠٥٦ م).

= « نغزلة (بالزاي) ثم يرجع « نغزلة » (بالعين والراء) -. والصحيح أن الاسم من جذر عبري « مجد » (بجيم فارسية) كالجذر العربي « مجد » (الأرض المرتفعة). وبما أن الدال يمكن أن تلتظ في القشطالية ذالاً (إخراج طرف اللسان من بين الأسنان)، فالاسم يمكن أن يقرأ: مجدلة أو مجدلة أو مجدلة. ويرد هذا الاسم في « تاريخ الفكر الإسباني » (ص ١٥، ١٠٧، ١٠٨): مجدلة (ولكنه في الفهرس: نغزلة). ويرد في « تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف (لاحسان عباس) والمرابطين: النغزلة (ص ١٣) والنغزلة (ص ٧٥، ١٣٦، ١٤٧، ١٤٨).

في هذه الأثناء كان الحُكم على القُطر التونسي للمعزِّ بن باديس الصنهاجي (٤٠٦-٤٥٣ هـ)، وفي عهده ازدهرت الزراعة والصناعة وازدهرت الحضارة ونمت الثروة وعمت الرفاهية وكثر العمران ونشطت الحركة الفكرية والحركة الأدبية. وعلا صيت المعز الصنهاجي فهاذنته الملوك وهاذنته من السودان (الغربي) ومن مصر ومن القسطنطينية، بين سنة ٤٢٣ وسنة ٤٢٦ (١٠٣٢-١٠٣٥ م).

بلى ذلك الحين كانت إفريقية (القُطر التونسي) لا تزال على وفاق مع الفاطميين أصحاب مصر، وكان المذهب الفاطمي (المذهب الشيعي المتطرف سياسياً ودينياً) سائداً فيها. ولكن في سنة ٤٣٥ (١٠٤٣ م) حدثت نعمة على أشياع الفاطميين ثم اتسمت فأصبحت فتنة فلم يستطع المعز وقف القتال فيها ثم اضطر إلى مجاراة الرعية في اتجاهها فخلع طاعة العبيديين (الفاطميين) ورد البلاد إلى مذهب الإمام مالك ثم حول الخطبة (الدعوة يوم الجمعة على المنابر) من الفاطميين (خلفاء القاهرة) إلى العباسيين خلفاء بغداد، سنة ٤٣٩ (١٠٤٧-١٠٤٨ م).

وغيظ الفاطميون فسرجوا إلى إفريقية عدداً من القبائل البدوية، كانت في ذلك الحين في صعيد مصر، منها بنو هلال وبنو سليم وبنو رياح وبنو زغبة- نحو أربعمائة ألف- فانساح هؤلاء في الشمال الافريقي من برقة (شرقي ليبيا) إلى القُطر التونسي ثم إلى القُطر الجزائري فتوغلوا فيه حتى بلاد مزاب في الداخل وحتى الشواطئ الشمالية الشرقية.

وجهد المعز في مقاومتهم وصدّهم فلم يستطع. وفي رمضان من سنة ٤٤٩ (خريف ١٠٥٧ م) انتشر بنو هلال «ومن انضم إليهم من يطانة السوء في أرجاء إفريقية» فعاثوا فيها فساداً وتخريباً ونهباً واستباحوا القيروان حتى أصبحت حاضيتها الزاهرة أثراً بعد عين، (خلاصة تاريخ تونس ٩٤-٩٥).

ثم نفذت هذه القبائل إلى القُطر الجزائري، سنة ٤٥٧ (١٠٦٥ م) فحرص الناصر ابن علناس، خامس ملوك الدولة الحمّادية، وكان أشهر ملوك هذه الدولة وأعلامها شأناً، وفي أيامه استفحل ملك بني حمّاد- على ردهم فلم يستطع فنجأ منهم إلى مدينة

قُسْطِنِيَّة « فَتَبِعَهُ الْمُهَالِيُّونَ وَاقْتَحَمُوا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ فَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا وَعَلَى الْقَلْعَةِ
وَالْمَسِيلَةِ وَطُبْنَةَ وَهُمْ يَنْهَبُونَ وَيَخْرِبُونَ حَتَّى تَرَكُوا الْبِلَادَ بِلَاقِعَ وَالْدِيَارَ خَرَاباً...
وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنْ أَضْرَارَ بَنِي هِلَالٍ بِالْجَزَائِرِ لَمْ تَبْلُغْ مَبْلَغَهَا فِي تُونِسَ وَطَرَابُلُسَ (لِيبيّا)
لَأَنَّ الْجَزَائِرَ لَمْ تَكُنِ الْمَقْصُودَةَ مِنْ (هَذِهِ) الْحَمَلَةِ بِالذَّاتِ » (تَارِيخُ الْجَزَائِرِ الْعَامِ ١ :
٣١٥).

وَفِي ذَلِكَ كُلِّهِ يَقُولُ ابْنُ خَلْدُونٍ فِي مَقْدَمَتِهِ (بَيْرُوت ١٩٦١ م، ص ٢٦٥):

« وَإِفْرِيقِيَّةُ وَالْمَغْرِبُ لَمَّا جَازَ إِلَيْهَا بَنُو هِلَالٍ وَبَنُو سُلَيْمٍ مِنْذُ أَوَّلِ الْمِائَةِ
الْخَامِسَةِ.... عَادَتْ خَرَاباً كُلُّهَا، يَمُدُّ أَنْ كَانَ مَا بَيْنَ السُّودَانِ وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ كُلُّهُ
عُمُرَاناً ». وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عَقَّدَ ابْنُ خَلْدُونٍ فَصْلاً عَنْوَانَهُ (ص ٢٦٣): « فِي أَنَّ الْعَرَبَ
إِذَا تَغَلَّبُوا عَلَى أَوْطَانٍ أَسْرَعَ إِلَيْهَا الْخَرَابُ ». وَابْنُ خَلْدُونٍ يَقْصِدُ بِكَلِمَةِ الْعَرَبِ
« الْبَدَوُ ».

بَدَأَتْ هَذِهِ الْفَتْرَةُ وَأَلَّ خَزْرُونٍ يَتَوَلَّوْنَ طَرَابُلُسَ وَيَتَرَدَّدُونَ بِلَوَائِهِمْ - بِحَسَبِ
مَصَالِحِهِمُ الْآتِيَّةِ - بَيْنَ الصِّنْهَاجِيِّينَ فِي الْقَيْرَوَانِ وَالْفَاطِمِيِّينَ فِي الْقَاهِرَةِ.

اسْتَعَانَ سَعِيدُ بْنُ خَزْرُونٍ بِمِصْرَ ثُمَّ اسْتَطَاعَ أَنْ يَطْرُدَ ابْنَ عَمِّهِ خَلِيفَةَ بْنِ وَرَّو مِنْ
طَرَابُلُسَ وَيَتَوَلَّاهَا مَكَانَهُ (٤٣٣ - ٤٦٦ هـ). وَفِي أَيَّامِهِ كَانَ انْسِيَاحُ بَنِي هِلَالٍ وَبَنِي
سُلَيْمٍ فِي لِيبيّا ثُمَّ فِي بَقِيَّةِ الشَّامِ الْمَغْرِبِيِّ. ثُمَّ وَجَدْنَا خَزْرُونُ بْنُ خَلِيفَةَ يَتَوَلَّى طَرَابُلُسَ
(وَلَكِنْ لَا نَعْرِفُ كَيْفَ). وَفِي أَيَّامِهِ عَادَتْ طَرَابُلُسُ عَنِ الْمَذْهَبِ الْفَاطِمِيِّ إِلَى الْمَذْهَبِ
الْمَالِكِيِّ.

وَفِي سَنَةِ ٤٥٠ (١٠٥٨ م) فَتَحَ الْمُتَنَصِّرُونَ خَزْرُونُ بْنُ سَعِيدِ طَرَابُلُسَ وَطَرَدَ مِنْهَا
ابْنَ عَمِّهِ خَزْرُونُ بْنُ خَلِيفَةَ. ثُمَّ إِنَّ خَلِيفَةَ بْنَ خَزْرُونٍ بِسَعِيدِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَوَلَّى
طَرَابُلُسَ (٤٦٠ - ٤٨٨ هـ) وَكَانَ مُسْتَبْدَافاً ظَالِماً (رَاجِعْ فِي بَنِي خَزْرُونِ « وَلاةُ
طَرَابُلُسِ » تَأْلِيفُ الطَّاهِرِ أَحْمَدِ الزَّوَاوِيِّ، بَيْرُوت ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م، ص ٨٣ وَمَا
بَعْدَ).

- أوجه الحضارة:

كان عصر ملوك الطوائف عصر تَفَكُّكٍ اجتماعيٍّ وضعفٍ سياسيٍّ، ولكنه كان أيضاً عصرَ زَهْوٍ حضاريٍّ ورقيٍّ ثقافيٍّ. إِنَّ أَوَّلَ مَا يَلْفِتُ نَظْرَنَا في عصرِ ملوكِ الطوائفِ اضطرابُ الحياةِ الاجتماعيةِ بالفتنِ الداخليةِ: بالنازعاتِ بينَ العربِ والبربرِ وبالاقتتالِ بينَ ملوكِ الطوائفِ وبالحرُوبِ بينَ المسلمينِ والنصارى. في أثناء ذلك كُلِّهِ كان السُّكَّانُ يخضعونَ لهِجْراتٍ إجباريةٍ أو اختياريةٍ: هِجْراتٍ داخليةٍ بينَ مُدُنِ الأندلسِ ينتقلون في أثناءها من مدينةٍ يَظُنُّونها أَقْلَ أَمناً أو مغانمٍ إلى مدينةٍ يَظُنُّونها أَكْثَرَ سَلامَةً وأوفرَ رِبحاً. وقد تكونُ الهِجرةُ خارجةً فَيُهاجِرُ الأندلسيون مُدُنَهُمْ إلى المَغْرِبِ، وخصوصاً حينما يستولي الإسبانُ النصارى على المُدُنِ الأندلسيةِ. ولقد نشأ في أثناء ذلك كُلِّهِ نَفَرٌ من المسلمينِ أنفسهم انتحلوا المُغامرةَ والشُّطارةَ وتَنَقَّلوا بينَ المُدُنِ المنكوبةِ يَسْلُبونَ وَيَنْهَبونَ وربما قَتَلوا وخرَّبوا.

وملوكُ الطوائفِ الذين كانت مصادِرُ أموالهم قليلةً- لضيقِ الأرضِ التي كانوا ملوكاً عليها- عَمَدُوا إلى إِثقالِ كاهلِ رعاياهم بالضرائبِ حتَّى يَتِمَكَّنُوا مِنَ الإِنْفَاقِ على وُجُوهِ تَرَفِّهِمْ من البناءِ والمُتاعِ واللَّهو وعلى الغَزْوِ، مِمَّا يَضْطَرُّ إِلَيْهِ في العادةِ عظمةُ الملوكِ.

ومَعَ هذا كُلِّهِ، فَإِنَّ الحضارةَ في عصرِ ملوكِ الطوائفِ قد آسَبحَرَتْ- على ضيقِ المكانِ وقِلَّةِ عِدَدِ السُّكَّانِ- مِمَّا يَدُلُّ على غِنَى البلادِ وخِصْبِ الأرضِ. إِنَّ الزراعةَ في الأندلسِ كانتْ عِمادَ الثروةِ الوطنيةِ. وَإِنَّ المَرَّةَ لَيَعْجَبُ حينما يَرى دولةً كدولةِ بني عَبَّادٍ في إشبيليةٍ أو دُوَيْلةٍ كدُوَيْلةِ بني ذِي النونِ في طَلِيلِطَلَّةٍ تُنشِئُ القصورَ والجَنائنَ وتَسْتَكْثِرُ من الرقيقِ وتُغالي في اقتناءِ الجواهرِ والثيابِ ويشترى أحدهمُ الجاريةَ بثَلاثَةِ آلافِ دِينَارٍ. ولم يكنِ هذا التَرَفُّ قاصراً على الحُكَّامِ، بل كانَ المحكومونَ أيضاً على مِثْلِ هذا الترفِ والإسرافِ.

وَمِمَّا في عصرِ ملوكِ الطوائفِ بارِقانِ ضِعِيفانِ: التَّشيعُ والشُّعُوبيةُ.

كانَ بنو حَمُودٍ مُلُوكُ قُرْطُبَةَ يَنْتَسِبُونَ- حَقّاً أو باطلاً- إلى بني هاشمٍ قومِ

الرسول. ومع أن هؤلاء الحموديين أنفسهم لم يُلَوِّحوا بهذا النسب كثيراً فإن نفراً من الشعراء ألحوا في المديح عليه من باب الطرافة والتجديد على الأقل، تكسباً لا اعتقاداً.

ومع أنه كان للشعبوية مسوغاتها لقلّة عدد العرب الأقحاح ولغلبة غير العرب في الأندلس، من الفرنجية خاصة، فإن الإسلام كان قد أغرق المصيبات كلها. والأندلسي كان مسلماً في الدرجة الأولى. فالعرب والعربية أو العروبة والعروبية ألفاظ تدلّ كلها في نظره ورأيه على الإسلام. ومع هذا فنحن نجد مثلاً من الشعبوية الحادة (تفضيل غير العرب على العرب) عند أبي عامر أحمد بن غرسية، وكان أصله من نصارى البشكنس (الشمال الغربي من إسبانية) عني به مجاهد العامري صاحب دانية ونشأه على الإسلام والعربية. ولابن غرسية هذا رسالة يُعطي فيها شأن قومه ويخط من شأن العرب. ولعلنا لا نجد شخصاً آخر فعل ذلك!

- أوجه الثقافة في الأندلس:

لَقِيَتِ الثقافة في الأندلس في عصر الطوائف كثيراً من الحرّية والتشجيع ولكنها لم تُرَزَقْ كثيراً من الاتّساع. إن الثقافة محتاج إلى زمن تنضج فيه شيئاً فشيئاً بخلاف الحضارة التي يُمكن أن تستبجر في الزمن القصير بعامل النقل والتقليد.

كان أبو عمرو الدائي (ت ٤٤٤ هـ = ١٠٥٣ م) أحد الأئمة في علم القرآن وتفسيره وأحد حُفَاطِ الحديث، له تصانيف كثيرة: التيسير (في القراءات السبع) - المُنْعُ (في رسم - تهجئة - المصاحف ونقطها) - طبقات القراء، الخ.

واشتهر بعلوم الحديث ابنُ غلبون الخولاني (ت ٤٤٨ هـ = ١٠٥٦ م)، وكان كثيراً من الرواية قُبُتاً دِيناً. وأشهرُ منه في ذلك ابنُ عبد البر (ت ٤٦٣ هـ = ١١٧٠ م)، ويبدو أنه كان يجمع بين المذاهب. غير أن شهرته تقوم على كتاب «الاستيعاب» (في تراجم الصحابة والتابعين).

ومن علماء هذه الفترة أبو الوليد هشام بن أحمد الكاتب المعروف بابن الوقشي

(٤٠٨ - ٤٨٩ هـ) من أهل طليطلة. كان واسع العلم بمدد من فنون المعرفة: بالحديث والفقه وباللغة والنحو وبالخطابة والبلاغة والشعر والحساب والفلك والهندسة والفرائض والمنطق، كما كان شاعراً بارعاً، له:

بَرَحَ بي أَنَّ عُلُومَ الوري إثنانِ ما إن فيها مِنْ مَزِيدٍ:
حَقِيقَةٌ يُعْجِزُ تَحْصِيلُهَا، وباطِلٌ تَحْصِيلُهُ لَا يُفِيدُ!

وكانت له تأليف منها: «نُكْتُ الكامل» للمبرّد (بنية الوعاة ٤٠٩).

ومن فُقهائه هذه الحُقبَة محمد بن عَتَّابٍ (ت ٤٦٢ هـ = ١٠٦٩ م)، وكان فقيهاً عالماً عاملاً ورِعاً عاقلاً بصيراً بالحديث وطُرقه وعالماً بالوثنائى وعِلَلِها كَتَبَها مُدَّةً في حَيَاتِهِ ولم يأخُذْ عليها من أَحَدٍ أَجْراً. وقد كان شيخَ أَهلِ الشورى في زَمَانِهِ وعليه مَدَارُ الفتوى في وقته. ولم يَقْبَلْ أَنْ يتولى القضاء.

ومنهم أبو الوليد الباجي التُوفِيُّ سَنَةَ ٤٧٤ للهجرة (راجع ترجمته)، له من الكتب: التَّسْدِيدُ إلى معرفة التوحيد- إَحْكَامُ الفُصول في أَحْكَامِ الأصول- شرحُ المَوْطَأ- مُخْتَصَرُ الْمُخْتَصَرِ في مسائل المَدُونَةِ-^(١) سُنُّ الصالحين، الخ.

رَحَلَ أبو الوليد الباجي إلى المشرق ثم عادَ فوجَدَ الأندلسَ في اضطرابٍ سياسي وفَقْهيٍّ، فحاول أن يَجْمَعَ بَيْنَ ملوكِ الطوائف بالصُلْح. ثم حَرَصَ على جِدالِ ابنِ حزمٍ في المذهبِ الظاهري الذي كان ابنُ حَزْمٍ يَنْشُرُهُ في الأندلس. كان ابنُ حزمٍ يرى أَنَّ جَمِيعَ ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف يَجِبُ أَنْ يُفْهَمَ على ظاهِرِهِ إلا إذا كان مِنْهُ ما جَرَتْ عادَةُ العربِ على فَهْمِهِ مَجَازاً ثم كان فَهْمُهُمْ له على هذه الصورة مُوافِقاً لأصولِ البلاغة العربية. وكان نَفَرٌ من الفُقهاء يَرَوْنَ في المذهبِ الظاهريِّ لابنِ حزمٍ بِذِئعةً. ولقد بادَ هذا المذهبُ (بَطَلَّ العملُ به).

وابن حزمٍ (ت ٤٥٦ هـ ١٠٦٤ م) عالمٌ وفيلسوفٌ أيضاً.

(١) المدونة: أجل كتب الفقه المالكي- راجع ترجمة سحنون (ت ٢٤٠).

فَدَّ ابنُ حزمٍ رأيَ قُدمله اليونانيين في الفلك فقال: ليس للنجوم نفوسٌ وهي لا تَعْقِلُ ولا تَعْرِفُ الغيبَ ولا هي تُدَبِّرنا في شأنٍ من الشؤون، إلّا إذا قُصِدَ بالتدبير التدبيرُ الطبيعيُّ كأثرِ حرارةِ الشمسِ فينا. وكذلك سَفَهَ قولَ اليهودِ ورأيَ نَفَرٍ من عوامِّ المسلمين الذين يزعمون أنَّ النيلَ والفُراتَ ودِجْلَةَ وجِيحونَ (نَهراً في أواسطِ آسِيَةِ شَمالِ الأفغان) أنهارٌ تَخْرُجُ من الجنةِ ثم قال: إنَّ مَخارجَ هذه الأنهارِ معروفةٌ في الأرضِ ومذكورةٌ في كتبِ الجغرافية.

ومن البارعين في العلوم الرياضية، وفي الفلك والهندسة خاصةً، الحسنُ بنُ محمدٍ بنِ حَمِيٍّ التُجِيبِي (ت ٤٥٦ هـ) وأبو الحَكَمِ الكَرَماني السَرَقُطَني (ت ٤٥٨ هـ) من أهلِ قُرطُبَةَ وكان بارِعاً في علمِ العدد (خواصَّ الأعداد) والهندسة. رَحَلَ إلى المشرق، وكان أوَّلَ من أَدْخَلَ رَسائِلَ إِيخوان الصفا^(١) إلى الأندلس. ومنهم أبو الوليد الوَقْشي (ت ٤٨٩ هـ) وقد مرَّ ذِكرُهُ قَريباً ثم أبو إسحاق إبراهيمُ بنُ يحيى التُجِيبِي النقاش المعروف بالزرقالي (ت ٤٩٣ هـ = ١٠٩٩ م) وقد أَدْخَلَ أشياءً من أَوْجِهِ التحسين على صناعةِ الاسطرلابِ وعلى تسهيلِ العملِ به. وقد حَسَبَ دَرَجَةَ مَيْلِ أَوْجِ الشمسِ بالنسبةِ إلى النجومِ الثوابتِ.

ولَمَعَ في هذا العصرِ، في الجغرافية، أبو عُبَيْدِ البَكْرِيُّ (ت ٤٨٧ هـ) - وستأتي له ترجمةٌ.

ونَجِدُ في التاريخِ «التذكرة» أو «الكتابَ المُطَفَّرِي» للمُطَفَّرِ بنِ الأَفْطَس (ت ٤٦٠ هـ) في فنونٍ مختلفةٍ (نحوَ خَمسينَ جُزْأً) لعلَّ أبرزَها التاريخُ. ثم هنالك كتابُ «الاستيعاب» لابنِ عبدِ البرِّ (ت ٤٦٣ هـ) وقد مرَّتِ الإشارةُ إليه. أمّا كَبِيرُ مُؤرَخِي هذا العصرِ - وأحدُ أكابرِ المؤرِّخين - فهو حَيَّانُ بنُ خَلْفِ بنِ حَيَّانَ (ت ٤٦٩ هـ) صاحبُ كتابِ «المقتبس»، وَنَعْرِفُ منه اليومَ ثلاثةَ أَجْزاءٍ من عَشْرَةٍ.

(١) إخوان الصفا جماعة سرية نشأت في البصرة في القرن الرابع (العاشر للميلاد). ولهم «رسائل» جمعوا فيها المعارف القديمة (العلمية والفلسفية) إلى أمامهم ثم بثّوا فيها كثيراً من آرائهم الدينية.

ولحيّانَ ترجمةً مستقلة. وهناك كتابُ «البيان الواضح في المِلِّمِ القادح» لمحمد بن علقمة (٤٢٨-٥٠٩ هـ) في تاريخ بلنسية ومصائبها على يد الإسبان النصارى.

وفي «طبقات الأطباء» (٢: ٣٥ وما بعد) أسلا كثيرة لعلّماء اشتغلوا بالطب سبقت الإشارة إلى نَقَرٍ منهم في ميدانِ الرياضيات. ثم نذكرُ من غير هؤلاء ابنَ الحياط (ت ٤٤٧ هـ) وأبا مُسلمٍ عمر بن أحمد بن خلدون (ت ٤٤٩ هـ) وعبد الله بن محمد الذهبي (ت ٤٥٦ هـ) وقد اشتغلَ بالطب والكيمياء والفلسفة. ونجّمُ هذه الحِقبة في الطب ابنُ وافدِ الأندلسي (ت ٤٦٠ هـ) كان لا يُداوي بالأدوية ما أمكنَ التداوي بالأغذية. ثم لا يُداوي بالمُرْكَب من الدواء ما أمكنتِ المداواة بالبيسطِ منه، فإذا احتاجَ إلى التركيب لم يُكثِرِ المُرْكَباتِ في الدواء.

ولم تجدِ الفلسفة تشجيعاً في الأندلس: تكلمَ ابنُ حزم (ت ٤٥٦ هـ) في المنطقي قليلاً فزجّروه وحلّوا عليه. ثم تكلمَ في نظرية المعرفة (في الجزء الخامس من كتاب «الفصل بين الأهواء والمِلل والنحل») كلاماً في زُرُوة التفكير الفلسفي المطلق حينما جعلَ المعارف (حتى المدوّدة منها من حيزِ العقل) راجعةً إلى الحواسِّ السليمة.

وألّف صاعدُ الطليطلي (٤٢٠-٤٦٢ هـ) كتابَ «طبقات الأمم» أوجَزَ فيه تاريخَ الفكر والعلم عند الأمم القديمة وعند العرب.

- الثقافة في المغرب الإفريقي:

يتراكم عصرُ ملوك الطوائف في الأندلس (٤٢٢-٤٨٨ هـ) وعصرُ المرابطين في المغرب (٤٤٨-٥٤١ هـ). ولكن بما أنَّ الثقافة السائدة كانت أندلسية النشأة أندلسية الطابع فسأخذ بالزمن الأندلسي أيضاً ونُغَلِّبُ حِقبة الطوائف على حِقبة المرابطين.

كان الغالب على الثقافة في هذه الحِقبة كثيرٌ من الفقه والنحو وقليلٌ من العلم والنقد. هنالك في هذا المنحى عبدُ الله بن ياسين (ت ٤٥١ هـ) مؤسسُ دولة المرابطين وأبوها الروحي، وقد كان فقيهاً وأديباً ناثراً كاتباً. ثم هنالك مروان بن سَمْحُون (٤٢١-٤٩١ هـ) وأبو القاسم المَعافري السبّقي (ت ٥٠٢ هـ) وأبو عبد الله التميمي

(٤٢٩-٥٠٥ هـ) وعبدُ الله بن سعيد الوُجْدِيّ (ت قبلَ ٥١٠ هـ) وأبو جعفر اللّوآقي المعروفُ بابنِ الفاسي (ت ٥١٣ هـ). وكل هؤلاء من المغرب الأقصى.

ثمَّ تحسّنُ الإشارةُ إلى ابنِ رشيقي القُيُروانيّ الأديبِ الشاعرِ الناقدِ (ت ٤٥٦ هـ)، له ترجمةٌ مستقلةٌ. وكذلك تحسّنُ الإشارةُ إلى ثلاثةٍ نَفَرٍ من القطرِ الجزائري: الطيبُ العالمُ ابنُ عمرو بنِ الوهرانيّ (من أحياء القرن الخامس) وإلى أبي القاسمِ يوسفَ بنِ علي السُكُريّ (٤٠٣-٤٦٥ هـ) وكان بارِعاً في القراءات واللُّغة والنحو، رَحَلَ إلى المشرق وتولّى التدريسَ في مدرسة نيسابورَ إلى أنْ تُوُفِّيَ. وهنالكَ أيضاً الحسنُ بنُ علي بنِ طريفِ التاهرتيّ النُحوي (ت ٥٠١ هـ).

الخصائص الفنية

كان المَغْرِبُ- في إفريقية والأندلس- مختلفاً من المشرق في وجوه كثيرة: في طبيعة الأرض وفي أجناس السُكَّان وفي التراثِ الحضاري والثقافي وفي المنازع الشخصية التي تُعَمِّلُها عواملٌ مختلفةٌ في بيئةِ الأدبِ العربي الجديدة: لا جِدَالَ في أَنَّ العربَ في المشرق كانوا أقربَ إلى جيرانِهِم المُخَالِطينَ لهم من الآراميين واليهود والأحباش (بمعاملِ القرابة العِرْقِيَّة- المظنونة على الأقلّ) ثمَّ إلى جيرانِهِم المُتَاخِينَ لهم من الروم والكرْدُ والفُرس (بمعامل الحضارة الشرقية والتراث الثقافي) من العرب في المغرب إلى جيرانِهِم المُجَدِّدُ من الرومان والقُوطِ والفرنجة، في شِبَعِ جزيرةِ الأندلس. ثمَّ إِنَّ النَصْرانيَّةَ الشرقيَّةَ في المشرق لم تكنْ شديدةَ العِدااءِ للإسلام (إذْ كان في النصرانية يومَ ظَهَرَ الإسلامُ فَرَقٌ نصرانيَّةٌ قَريبةٌ في عقائدها من العقيدة الإسلامية). أمَّا النصرانيةُ الغربيَّة (الكنيسة الكاثوليكية) التي كانتْ شديدةَ العِدااءِ للنصرانية الشرقية فإنَّها كانتْ بطبيعتها الحال أشدَّ عِدااءَ للإسلام. ولَمَّا يَتَّصَلُ بالإسلام.

لم يكنْ لهذه العناصرِ آثارٌ منظورةٌ في الأدبِ الأندلسي، ولكن كان في الأدبِ الأندلسي مظاهرٌ لا يُمكنُ تفسيرُها بجلالٍ إلَّا إذا نحنْ أولَّينا هذه العناصرَ شيئاً من العناية. وإنَّ الذي خَفَّفَ أثرَ هذه العناصرِ عاملانِ اثنانِ أساسيانِ: أولُهما أن

الإسلام. أغرقَ العصبِيَّاتِ كُلَّها، وثانيها أن طريقةَ التعليم في الأندلس كانت تقومُ على دراسةِ التُّراثِ العربي المُتقدِّم من القرآنِ والفقه والشعر الجاهليِّ والتاريخ العربي والحياة المشرقية- معَ الرحلةِ أحياناً كثيرةً إلى المشرقِ نفسه- قبلَ التَّوقُّفِ على وجهٍ من وجوه الاختصاص المُختارة. هذان العاملانِ جَعَلَا من الأندلسيِّ مُسلماً في عقيدتهِ على سَنَتٍ واحدٍ، حتى إنه لم يَسُدْ في المغربِ (من عُدُوَّةِ إفريقيةِ ومن عُدُوَّةِ أوروبةِ) إلَّا مذهبٌ واحدٌ هو المذهبُ المالكيُّ. وكذلك بَلَغَ رسوخُ اللغة العربية في النفوسِ مبلغاً جعلَ نَصارى الأندلسِ- وهم بطبيعة الحال غير عربٍ وغير بربر، بل جرمان (قوط) ولاتين وجَلِّيقيون- يتعربون ويتقنون العَرَبِيَّةَ وَيَنثَرُونَ فيها وَيَنْظِمُونَ.

بَلَغَ النِّتَاجُ الأَمرِي في عصرِ ملوك الطوائف- في مَدَى جِيلَيْنِ: نَحْوُ سِتِّينَ عاماً أو تزيدُ قليلاً- مبلغاً كبيراً في المِقدَارِ وفي البَراعةِ والتفنُّنِ والجُودَةِ. ومعَ العلم اليقِينِ بأنَّ الفنونَ الأندلسِيَّةَ ما زالتْ هي الفنونَ العباسِيَّةَ: المدحَ والرِّثاءَ والهجاءَ والغزلَ والخمرَ والوصفَ والزَّهْدَ وما إلى ذلك، ومعَ أن الأغراضَ: وصفَ الخمرِ ووصفِ القُصورِ ووصفِ الجنائنِ ووصفِ السماءِ ونجومها ظلتْ كما كُنَّا نرى عند أبي نواسٍ والبُحتَرِيِّ وابن الرومي وابن المُعْتَزِّ العباسِيِّ، فإنَّ الأندلسِيِّينَ عالجوا هذه الفنونَ وهذه الأغراضَ نفسَها مُعالِجةً جديدةً من حيثِ المِقدَارُ لا من حيثِ النوعِ: لقد أَكثَرُوا من التشخيصِ (إِضافةِ صفاتِ الأحياءِ على الكائناتِ الجامدةِ) ومن سَعَةِ الخيالِ. أمَّا فيما عدا ذَلِكَ، فإنَّ النَّفْسَ المشرقيَّةَ العربيَّةَ والأثرَ المشرقي الفارسي- مِن خِلالِ النَّفْسِ العربي- ظلَّ يَسِرُّان في الأدبِ الأندلسيِّ. من ذلك مثلاً قول المعتضد بن عباد (مختارات نيكل ٧٦):

فَإِنْ أَرَدْتُ، إِلَهِي، بِالْوَرَى حَسَنًا
فَمَلَّكَتَنِي زِمَامَ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ

وقول المعتمد بن عباد يفخر بعشيرته (الحلة السراء ٢: ١٥٦):

إن كوثروا كانوا الحصى، أو فوخروا فمن الأكاسر من بني الأحرار^(١)

ويُعزى التنوع في إنتاج الأدب الأندلسي إلى التنوع في طبيعة الأرض الأندلسية.

ولقد كان الأندلسيون أنفسهم يشعرون بهذا التنوع ويفتخرون به. نقل المقرئ (ت ١٠٤١ هـ = ١٦٣١ م) عن أبي عبيد البكري (ت ٤٨٧ هـ) قوله (نفع الطيب: ١٢٦:١):

الأندلس شامية في طبيعتها وهوائها، يانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكاها، أهوازية في عظم جبايتها، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها....

ودراسة الخصائص الفنية والفنون الأدبية في هذا العصر ليست سهلة - لِقصر هذا العصر ولأخذ عدد كبير من أدبائه من عصر الخلافة الروانية قبله ثم من عصر المرابطين بعده. من هؤلاء جميعاً: ابن الخياط الربيعي الصقلي (ت بعيد ٤٣٦ هـ) وابن حزم الأندلسي وابن رشيقي القيرواني وأبو عبد الله بن شرف القيرواني وابن زيدون (ت ٤٦٣ هـ) ثم تميم بن المزمع الصنهاجي (ت ٥٠١ هـ) وابن اللبانة وابن النحوي التوزري وابن صارة الشنتريني والأعمى التطيلي وابن عبدون وأمية بن عبد العزيز والفتح بن خاقان وابن حديس الصقلي (ت ٥٢٩ هـ).

إن كثرة ملوك الطوائف وتنافسهم في الأبهة ومظاهر الملك ثم عداوة بعضهم لبعض جعلتهم في حاجة إلى شعراء يمدحونهم رفعا لمكانتهم في عيون أعدائهم أو إغاطة لأندادهم ومنافسيهم. من أجل ذلك تقاطر الشعراء من كل طبقة وميل إلى بلاطات هؤلاء الملوك يمدحونهم تكسبا.

وكان هؤلاء طبقتين رئيسيتين: طبقة من شعراء البلاطات على الحصر مثل ابن

(١) الأكاسر جمع كسرى: لقب ملوك الفرس. الأحرار (الأبناء) أبناء الفرس الذين كانوا في صدر الإسلام وفي اليمن خاصة.

عبدون شاعرٍ بَلَّاطٍ بنى الأَنْفُسَ في بَطْلِيَّوسَ ثم طبقةً من الشعراء المتكسبين المتنقلين بين البلاطاتِ مثلَ الأَسَدِ بنِ بَلِيْطَةَ. وقد قَسَمَهُمُ إحسانُ عباسٍ (تاريخ الأدب العباسي: عصر الطوائف والمرايطين ٨٢ وما بعد): شعراء مُنتَمِنين وشُعراء جَوَّالين، ثم أضاف إلى هؤلاء عدداً آخرَ من الطبقات.

واستعملَ نفرٌ من هؤلاء الشعراء الإلحاحَ والفَلَاظَةَ والفِحَّةَ حتى إنَّ أبا الحسنِ الحُصْرِيَّ القَيروانيَّ (ت ٤٨٨ هـ) تَعَرَّضَ للمعتَمِدِ بنِ عبادٍ- والمعتمدُ أَسِيرٌ- بالمدح واعتصر منه جائزةً كان المعتَمِدُ أحمقَ بها. وفي أحيانٍ كثيرةٍ كان هؤلاء الشعراء يرضونَ بالدُّونِ من العطاء.

ومعاني المديح في الأكثر ظَلَّتِ المعاني الشرقية، وإن كانَ التعبيرُ عنها يجيء، بطبيعة الحال، مُختلفاً. قال ابنُ عَمَّارٍ يمدحُ المعتَمِدَ بنَ عبادٍ:

من لا تُوازِنُهُ الجِبَالُ رِزَانَةً، من لا تُسابقه الرياحُ إذا جرى.
أَقَمَرَتْ رُمُحُكَ من رُؤُوسِ كُمَاتِهِمْ لَمَّا رَأَيْتَ الفُصْنَ يُعْشِقُ مُثْمِرَا.
وَصَبَغْتَ دِرْعَكَ من دِمَاءِ مُلُوكِهِمْ لَمَّا عَلِمْتَ الحُسْنَ يُلْبَسُ أَحْمَرَا.

ففي البيتِ الأوَّلِ قولُ الفرزدقِ «أَحْلَمْنَا تَرْنُ الجِبَالِ رِزَانَةً». وفي البيتِ الثاني معنى مُسْلِمِ بنِ الوليد:

«يَكْسُو السِوْفَ دِمَاءَ النَّاكِثِينَ بِهِ وَيَجْعَلُ الهَامَ تِيجَانَ القَنَا الذُّبْلِ»^١
وأما البيت الثالث فمن بيت بشار:

«وَإِذَا دَخَلَسْتَ تَقَنَّمِي بِالْحُمْرِ، إِنَّ الحُسْنَ أَحْمَرُ!»

ومن توابيع المديحِ الفَخْرُ (مدحُ الإنسانِ قوَمَهُ وأهْلَهُ ونَفْسَهُ) والهِمَاسَةُ (التمدُّحُ- مدحُ النفسِ- بالأعمالِ المَجيدةِ وبالصَّبْرِ على المكاره). وقد كان الفخرُ والهِمَاسَةُ مَشْرِقِيَّينِ في خصائصهما. قال عبدُ الملكِ بنُ هُذَيْلٍ بنِ رَزِينٍ^(١):

(١) الحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ٢: - ذو الرئاستين حَمامُ الدولة أَبُو مروان عبد الملك بن هُذَيْلٍ بنِ رَزِينٍ صاحبُ السَّهْلَةِ =

شَاوَتْ أَهْلَ رَزِينٍ غَيْرَ مُخْتَلِلٍ وَهَمَّ - عَلَى مَا عَلِمْتُمْ - أَفْضَلُ الْأَمْرِ .
 قَوْمٌ إِذَا حُورِبُوا أَقْنَوْا ، وَإِنْ سُئِلُوا أَغْنَوْا ، وَإِنْ سُوْبِقُوا حَازُوا مَدَى الْكَرَمِ .
 جَادُوا فَمَا يَتَعَاطَى جُودَ أَنْعَمِهِمْ مَدُّ الْبِحَارِ وَلَا هَطَّالَةُ الدِّيمِ .
 وَمَا ارْتَقَيْتُ إِلَى الْعَلِيَا بِلَا سَبَبٍ . هِيَهَاتَ ! هَلْ أَحَدٌ يَسْمَى بِلَا قَدَمٍ ؟
 فَمَنْ يَرْمُ جَاهِدًا إِذْ رَاكَ مَزَلْتِي ، فَلْيَحْكِنِي فِي النَّدَى وَالسِّيفِ وَالْقَلَمِ !

وقال عبد الله الشُّقْرَاطِيْسِي^(١) في الحماسة:

وَكَمْ أَقْدَمْتُ لِي نَحْوَةَ الْبَاسِ فِي الْوَعَى إِذَا حَسَرَ الْأَقْوَامَ فِيهَا التَّخَلُّفُ^(٢) .
 أَصَمُّ تَصْمِيمِ الْفِرْنَدِ وَأَمْتَرِي خَلُوقَ الْمَنَايَا وَالْأَسِنَّةُ تَرْعُفُ^(٣) ،
 وَأَعْتَسِفُ الْهَوْلَ الْعَاسِ ، وَصَاحِي رَقِيقُ الطَّبَاعِضُ الْفِرَارِينَ مُرْهَفُ^(٤) !

ولعلَّ الرثاء في هذا العصر كان أَلْصَقَ بالخصائص المشرقية من كلِّ فنٍّ آخَرٍ: ذكراً لمُفَاخِرِ الْمَيِّتِ فِي الْحَيَاةِ وَمُغَالَاةٍ فِي ذَلِكَ ثُمَّ تَفَجَّعاً شَدِيداً ، وَمَا يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ مِنَ التَّأْسِي بِالْمَصَائِبِ السَّابِقَةِ وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ وَإِيرَادِ الْحِكَمِ وَالْمَوَاعِظِ . قَالَ ابْنُ اللَّبَّانَةِ يَرِثِي الْمُعْتَمِدَ بَنَ عَبَّادَ:

تَبْكِي السَّمْعُ بِدَمْعٍ رَاحِحٍ غَادٍ عَلَى الْبَهَائِلِ مِنْ أَبْنَاءِ عَبَّادٍ^(٥) :

= (شَنْمَرَةُ الشَّرْقِ: شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ) وَتَدْعَى الْيَوْمَ أَلْبَارَاتِينَ (عَلَى مَاتِي كَيْلُو مِتْرَ شَرْقِ مَدْرِيدِ وَمِائَةِ كَيْلُو مِتْرٍ إِلَى الشَّمَالِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بِلَنْسِيَّةِ).

(١) الْمَجْمَلُ فِي تَارِيخِ الْأَدَبِ التُّونُسِيِّ ١٦٦ .

(٢) أَقْرَأُ: وَكَمْ أَقْدَمْتُ بِي . إِذَا حَسَرَ الْأَقْوَامَ....: إِذَا انْهَزَمَ الْقَوْمُ فَكَانَ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي نَفْسِهِمْ .

(٣) صَمُّ السِّيفِ: قَطْعُ اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ . الْفِرْنَدِ: السِّيفِ (الشَّدِيدُ الْجَلَاءُ حَتَّى لِيَتَرَاوَسَ النُّورُ عَلَى صَفْحَتَيْهِ) . أَمْتَرَى: اسْتَخْرَجَ . الْخَلُوقَ: نَوْعَ مُرَكَّبٍ مِنَ الطَّيْلِ (الْمَطَرِ) . الْمَنَايَا جَمْعُ مَنِيَّةٍ (الْمَوْتِ) . خَلُوقَ الْمَنَايَا: الدَّمُ (؟) . السَّنَانُ: الْحَدِيدَةُ فِي أَعْلَى الرَّمْحِ . رَعَفَ يَرْعَفُ: سَالَ مِنْهُ دَمٌ .

(٤) اعْتَسَفَ الطَّرِيقَ: سَارَ فِيهِ عَلَى غَيْرِ هَدًى (بِلَا مَبَالَاةٍ - ثِقَّةٍ بِنَفْسِهِ وَشَجَاعَةٍ) . الْهَوْلُ: الْأَمْرُ الشَّدِيدُ (الْحَرْبُ) . الْعَاسِ: الشَّدِيدُ . الطَّبَاعِ جَمْعُ طَبْعَةٍ (بَضْمُ فَتْحٍ) وَالْفِرَارُ: حَدُّ السِّيفِ . الْمَعْضَبُ: الْقَاطِعُ . الْمُرْهَفُ: الرَّقِيقُ الْخَفِيفُ (الْقَاطِعُ) .

(٥) الْبَهْلُولُ (بَضْمُ الْبَاءِ): السَّيِّدُ الْجَامِعُ لَصِفَاتِ الْخَيْرِ .

على الجبال التي هُدَّتْ قواعِدها، وكانت الأرضُ منها ذات أوتاد.
يا ضيفُ، أَقْفَرِ بَيْتَ الْمَكْرُمَاتِ فَخِذْ في ضَمِّ رَحْلِكَ واجمع فضلة الزاد.
ويا مُؤَمِّلَ واديهم لَيْسَ كُنْهُهُ، خَفَّ الْقَطْلَيْنِ وَجَفَّ الزَّرْعُ بِالْوَادِي^(١).
حَانَ الْوَدَاعُ فَضَجَّتْ كُلُّ صَارِخَةٍ وصارخ من مُفْدَاةٍ ومن فادٍ^(٢).
كم سأل في الملك من دمع، وكم حملت تلك القطائع من قِطَعَاتِ أَكْبَادٍ^(٣)!

وقصيدة ابنِ عبدونٍ مشهورةٌ في ذلك، ومنها قِطْعَةٌ صالحةٌ في ترجمة صاحبها^(٤).
وليس في رثله شعراء الأندلس للمدن والقصور من جديدٍ في الموضوع (وإن كان ثمة اختلافٌ في الأحداث). من ذلك لَمَّا اسْتَوْلَى الْأَرْدُمَانِيُّونَ عَلَى حِصْنِ بَرَبَشْتَرٍ^(٥) قَالَ
الْفقيهُ الزاهدُ ابنُ المَسَالِ:

ولقد رمانا المشركونَ بِأَسْهُمٍ لم تُخْطِ، لكن شأنا الإصْهَاءِ^(٦):
هَتَكُوا بِجَنِيلِهِمْ قِصُورَ حَرِيمِهَا: لم يَنْقَ لَا جَبَلٌ وَلَا بَطْحَاءُ^(٧).
جاسوا خلال ديارهم فلهم بها في كلِّ يومٍ غارةٌ شَعَوَاءُ^(٨):
كم موضعٍ غَنِمُوهُ لم يُرْحَمَ به طِفْلٌ وَلَا شَيْخٌ وَلَا عِذْرَاءُ.

-
- (١) خَفَّ (رحل) القَطْلَيْنِ (السكن).
(٢) المُفْدَاةُ: التي تَقْدِي المِيتَ (تقول عند رأسه: أَفْدِيكَ بِنَفْسِي) تندبه. الفادي: الهامي عن غيره يندبه بنفسه.
(٣) القِطْعَةُ: قطعة من الأرض يوَلِّي عليها الحاكم من يشاء (إشارة إلى أَنَّ أبناء المعتد بن عبَّاد الذين كانوا يتولَّون مدنا أو يحدِّون في الأمراء، وكانوا كثيرين).
(٤) عبد المجيد بن عبدون (ت ٥٢٩ هـ = ١١٣٥ م) شاعر ووزير لبني الأُفْلَس من ملوك الطوائف.
(٥) (راجع نفع الطيب ٤: ٤٤٩). والأردمانيون يقال لهم أيضاً: الجيوس لأنَّهم لم يكونوا، إلى ذلك الحين، قد دخلوا في النصرانية بعد.
(٦) تاريخ الأدب الاندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٧٨. لم تخط (يقصد: لم تخطى: لم تحد عن هدفها). لكن يقصد: إذ، لأنَّ. أصمى: أصاب مقتلاً.
(٧) حريمها (كذا في الأصل) البطحاء: الأرض المستوية.
(٨) ديارهم (كذا في الأصل). الشعواء: المنتشرة: (التي تمتد إلى كل مكان).

ونحن نَعْرِفُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الشَّعْرِ الْمَشْرِقِيِّ: رَثْلُهُ الْبَصْرَةُ بَعْدَ فِتْنَةِ الزَّيْجِ لَا بِنِ الرُّومِيِّ ثُمَّ إِيَّوَانُ كَيْسَرِي لِلْبَحْتَرِيِّ وَسَوَى ذُنَيْكَ.

وَعَرَفَ هَذَا الْعَصْرُ الْأَنْدَلُسِيَّ هِجَاءَ قَالِهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مِنْهُمْ أَبُو إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيِّ وَابْنُ الْحَدَّادِ الْوَادِي آثِيَّ وَالسُّمَيْسِيرُ وَوَلَادَةُ وَمُهَجَّةُ الْقُرْطُبِيَّةُ. وَقَدْ كَانَ بَعْضُ هَذَا الْهِجَاءِ مُقْذِعًا فَاحْشًا. غَيْرَ أَنَّ الْأَدَبَ الْأَنْدَلُسِيَّ لَمْ يَعْرِفْ شِعْرَاءَ هِجَاءٍ مِنْ نَجْرِ الْحُطَيْيَةِ وَجَرِيرٍ وَبِشَارٍ وَأَبِي نُؤَاسٍ وَابْنِ الرُّومِيِّ مِنَ الَّذِينَ بَرَعُوا فِي ابْتِكَارِ الْمَعَانِي وَفِي تَصْوِيرِ الْمَعَانِبِ وَفِي تَحْلِيلِ الطَّبَاعِ. وَتَحَسَّنُ الْإِشَارَةُ إِلَى الْإِلْبِيرِيِّ (ت ٤٦٠ هـ) فِي هِجَاءِ الْيَهُودِ (كَمَا نَرَى فِي تَرْجُمَتِهِ).

وَالشُّكْوَى مِنَ الدَّهْرِ وَالْإِخْوَانِ ثُمَّ عِتَابُ الْأَقَارِبِ وَالْأَبَاعِدِ مَعْرُوفَانِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ. وَالْحَنِينُ إِلَى الْوَطَنِ ضَرْبٌ مِنَ الشُّكْوَى كَانَتْ دَوَاعِيهِ فِي الْمَغْرِبِ - وَفِي الْأَنْدَلُسِ خَاصَّةً - أَكْثَرَ مِنْهَا فِي الْمَشْرِقِ، ذَلِكَ لِأَنَّ الْحُرُوبَ الْإِسْبَانِيَّةَ كَانَتْ تُزْجِعُ النَّاسَ عَنْ أَوْطَانِهِمْ طَوْعًا وَكَرْهًا. وَأَشْهُرُ مَنْ يُشَارُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ابْنُ حَمْدِيسٍ الصِّقْلِيُّ الْمَتَوَقَّى سَنَةَ ٥٢٩. كَانَ ابْنُ حَمْدِيسٍ قَدْ انْتَقَلَ مِنْ صِقْلِيَّةَ - لَمَّا اسْتَوْلَى عَلَيْهَا النُّورْمَانُ، سَنَةَ ٤٧٠ (١٠٧٨ م) فَقَالَ أَيْبَاتُهُ الْمَشْهُورَةُ:

ذَكَرْتُ صِقْلِيَّةً وَالْأَسَى يُعَيِّجُ لِلنَّفْسِ تَذْكَارَهَا.

وَالْإِنْسَانُ يُحِبُّ وَطَنَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَكَيْفَ بِهِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْوَطَنُ جَمِيلًا عَظِيمًا. فَقَدْ اتَّفَقَ لِحَمْدِ بْنِ شَرْفٍ الْقَيْرَوَانِيِّ (ت ٤٦٠) وَلَأَبِي الْحَسَنِ الْحُمْصِيِّ (ت ٤٨٨) أَنْ يُقَارِقَا بِلَدَّاهُمَا إِلَى الْأَنْدَلُسِ، فَشَكَّوْا كِلَاهُمَا الْبُعَادَ، وَأَيْبَاتِ الْحُمْصِيِّ:

عَلَى الْعُدْوَةِ الْقُصْوَى، وَإِنْ عَفَّتِ الدَّارُ، سَلَامٌ غَرِيبٍ لَا يَتُوبُ فَيَزْدَارُ^(١).
وَحَقُّ بُكَاةِ الْعَيْنِ، وَالْقَلْبُ مُسَمَّرٌ، لَمَنْ بَاتَ مِثْلِي لَا حَبِيبٌ وَلَا جَارُ^(٢).

(١) الْعُدْوَةُ (الْجَانِبُ) الْقُصْوَى (الْأَكْثَرُ بَعْدًا): الْجَانِبُ الْإِفْرِيْقِيُّ (فِي مَقَابِلِ الْجَانِبِ الْأُورُوقِيِّ: الْأَنْدَلُسِ).
أَب: رَجَعَ. اَزْدَارَ (اَقْتَمَلَ: اَزْدُورَ: اَزْدَارَ): زَارَ.

(٢) مَسَمَّرٌ: مَشْمَلٌ، حَارٌّ (حَزِينٌ).

شفى الله داء القير وانين بعدنا؛ فقد مرّضت للقير وانين أبصار^(١).
وكيف غناه الطير في غير وكرها، وقد بعدت عنها فراخ وأوكر.
ألا يا بروقا نحن من نحو صبرة، وليس لها إلا دموعي أمطار^(٢)،
عسى فيك من ملك الحبيبات شربة ولو مثل ما يُوعى من الماء منقار^(٣)!

- الوصف:

والوصف في المشرق كان مِيزة العصر العباسي، وهو في الأندلس مِيزة الأدب الكبري، في الشعر والنثر: وصف الطبيعة بما فيها من آثار علوية (بضم العين) وسكون اللام: غمام ورياح وأمطار) وما فيها من جنائن وأنهار ومن أشجار وأزهار وأثمار، ومن حيوان، وما ينشأ فيها من مدني وقصور ومن أساطيل وسلاح وسوى ذلك. ولا حاجة إلى الاستشهاد على ذلك لأننا نراه عند كل خطوة في تاريخ الأدب الأندلسي.

وإذا نحن أردنا حلاوة اللفظ وأناقة المعنى وحدها في وصف الخمر استطعنا أن نورد نماذج كثيرة من ذلك، كقول ابن عمار (ت ٤٧٧): «أدير الرُجاجة فالنسيم قد أنبرى» أو كقول ابن حمديس (ت ٥٢٩): «قُم هاتِها من كف ذات الوشاخ» (والقطعتان كلتاها من صلب عصر الطوائف - وهما مذكورتان في ترجمتي شاعريها).

والغزل والنسيب من الوصف - والشعر إلا أقله وصف، كما يقول ابن رشيقي -. وقد عرف هذا العصر الأندلسي الغزل الصريح مؤثناً ومذكراً، كما عرف الغزل العفيف صحيحاً ومكذوباً. ولكن الغزل الأندلسي لم يعرف شاعراً قصر شعره على الغزل كعمر بن أبي ربيعة ومجنون ليلى، أو شاعراً شهّر بالغزل وحده كجميل بن مَعمر والعبّاس بن الأحنف. ولا نستطيع أن نتبين في الغزل الأندلسي جانباً لم

(١) القيروانان: مدينة القيروان ومدينة صبرة التي تسمى المنصورة، وقد كان العمران بين القيروان وصبرة متصلاً.

(٢) لاح: ظهر.

(٣) أوعى: جمع وحفظ (بقدر ما يحمل منقار الطائر من الماء: قليلاً جداً).

نجدّه في الغزل العباسي. إن قصة أبي عبد الله بن الحداد القيسي شاعر المعتصم بن صُادح مع نُورة النصرانية - والتي أراد بطرسُ البستاني^(١) أن يَجْلُوها ثم أحبَّ إحسانُ عباس^(٢) أن يجعلها مثالاً للزعة الفكرية الفلسفية في مُقابل قصيدة ابن زيدون «أضحى التناهي» التي رأى إحسان عباس أنها كَسَفَت قصيدة ابن الحداد بالشهرة الاجتماعية لابن زيدون وولادةً وبالمقدرة الشعرية لابن زيدون - لم تكن جديدةً في الأدب العربي: شاعرٌ مسلمٌ يُحبُّ فتاةً غيرَ مُسلمة.

قال بطرس البستاني:

«وكان من جرّاء اختلاط (الأندلسيين) بالنصارى أن شاعَ عندهم الغزلُ النصراني^(٣) وذكرُ الكنائس والقساوسة والصُّلبان كغزلِ ابن الحداد في نُورة النصرانية، وكان يهواها فلم تَرْضَ به بَعْلًا لاختلاف دينها عن دينه. فهامَ بها وأكثَرَ من التشبيب». ثم يُورد بطرسُ البستاني مقطوعةً لابن الحداد في نُورة هذه:

عَسَاكِ،	بِحَقِّ عِيَسَاكِ	مُرِيحِي قَلْبِي الشَاكِي.
فَلِإِنْ الْحُسْنَ قَدْ وَلَا	كِ إِحْيَايِ	وإِهْلَاكِي.
وَأَوَّلَمَنِي بِصُلْبَانِ	وَرُهْبَانِ	وَنَسَاكِ.
وَلَمْ آتِ الْكِنَائِسَ عَنْ	هَوَى فَيَهْنَ	لَوْلَاكِ!
وَهَا أَنَا مِنْكَ فِي بَلْوَى	وَلَا فَرَجَ	لِبَلْوَاكِ
وَلَا أَنْطِيعُ سِلْوَانَا	فَقَدْ أَوْتَقَسَتْ	أَشْرَاكِي.
وَكَمْ أَبْكِي عَلَيْكَ دَمًا	وَلَا تَرْتِينَ	لِلبَاكِي!
فَهَلْ تَذَرِينَ مَا تَقْضِي	عَلَى عَيْنِي	عَيْنَاكِ؟
وَمَا يُدْكِيهِ مِنْ نَارٍ	بِقَلْبِي	نُورُكِ
		الذَاكِ؟

(١) أدباء العرب ٣: ٥٨ - ٥٩.

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٦٠ - ١٦٢.

(٣) يقصد: الغزل بالنصرانيّات.

تَوِيرُهُ، إِنْ قَلَّيْتِ فَإِنَّ خَنِي أَهْوَكَ أَهْوَكَ^(١).
وَعَيْنُكَ الشَّهِيدَانِ بَأْنِي بَعْضُ قَتْلَاكَ.

هذه المقطوعة، إذا تأملتها، لا تجد فيها فناً شعرياً يسوّج الحديث عليها، إذ ليس فيها شيء من عبقرية ديك الجن الحنفي مع جاريته النصرانية وزد^(٢). وليس فيها أيضاً شيء من ذلك الحس الصادق في قصة مُذْرِكِ بْنِ عَلِيٍّ الشَّيْبَانِيَّ مع عمرو النصراني^(٣). وهي طبعاً نازلة عن العاطفة وعن الصورة اللّتين نلقاهما في قول القائل:

رَزَّارُهُ فِي خَصْرِهِ مَعْقُودٌ كَأَنَّهُ مِنْ كَيْدِي مَقْدُودٌ!

وقد توسّع الأندلسيون عند الغزل في أوصاف الطبيعة: تلك الأوصاف التي غلبت في شعرهم على كلّ فنٍّ آخر.

ويلحقُ بالغزلُ المَجُونُ، وهو الإفصاحُ عن المدارك الجنسية باللفظ الصريح كثيراً أو قليلاً. ولعلنا نجدُ اتساعَ مدى المَجُونِ والصراحة فيه، في الشعر الأندلسي، أكثر مما نجدُ منها في الشعر المشرقي. ومن الأمثلة على ذلك ولادة.

ومثل ذلك في هذا الموضع شعرُ الهزل والسُخف، وكان لها مثلٌ في المشرق. ومن أحسن الأمثلة على الهزل مع الفُحْش «الرسالة الهزلية» التي كتَبَها ابنُ زُهْدُونٍ إلى ابنِ عَبْدِوسٍ على لسانِ ولادة.

والسُخْفُ هو الإتيانُ بالمعاني المُبتذلة والتمدُّحُ بأشياء لا قيمة لها أو استحسانُ تلك الأشياء. فيمَن يشارُ إليه هنا أبو عبدِ الله مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودِ الْقُرْطُبِيِّ، من مشاهير شعراء المائة الخامسة. ويبدو (راجع المغرب ١: ١٣٤) أنه دَخَلَ على مَدُوحٍ فألقى بينَ يَدَيْهِ شِعْراً ساقطاً فلم يُعطَ عليه شيئاً ولكن صُفِعَ. فَخَرَجَ وقال:

(١) قلى بقل: أبغض.

(٢) راجع من هذه السلسلة ٢: ٢٧٢.

(٣) مثله ٢: ٥٧٢-٥٧٤.

وَحَرَجْنَا كَمَا دَخَلْنَا بِلَا قَدْ سِرٍّ، وَلَكِنْ رَبِحْتُ صَفْعَ قَفْلِهِ
وَتَحَدَّثَ مَرَّةً عَنِ الْمَطَاعِمِ فَقَالَ^(١)؛
وَإِذَا قِيلَ لِي: يَمَنْ أَنْتَ صَبٌّ؟ وَعِلَامَ انْسِكَابُ دَمْعِ الْمَآمِي؟
قُلْتُ: هَمِّي السِّكْبَاجُ وَالْجُمْلِيَا تُوْرَخْصُ الشُّوَا مَعَا بِالرَّفَاقِ^(٢).
وَجَشِيشُ السَّمِيدِ أَعَذِبُ عِنْدِي مِنْ رُضَابِ الْحَبِيبِ عِنْدَ الْعِنَاقِ^(٣).

أَدْخَلَ نَفَرٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ عَدَدًا مِنَ الْمَعَانِي الْفَلَسْفِيَّةِ فِي أَشْعَارِهِمْ. وَلَكِنَّمَا
لَا نَعُدُّ ذَلِكَ فِي شُعْرِ الْحِكْمَةِ (وَالنَّقَادُ الْعَرَبُ يَسَمُّونَهَا: الْأَدَبُ)، بَلْ فِي بَابِ «النَّظْمِ
التَّعْلِيمِيِّ» كَأَرَاغِيزِ النُّحْوِ. فَمِنْ ذَلِكَ مَثَلًا قَوْلُ ابْنِ وَهْبُونِ الْمُرْسِيِّ (ت ٤٨٣):
نَفْسِي وَجِئْتِي إِنْ وَصَفْتَهَا مَعَا أَلْ يَذُوبُ وَصَخْرَةٌ خَلْقَاءُ^(٤)
تَتَعَاقَبُ الْأَضْدَادُ مِمَّا قَدْ تَرَى جَلَبَتَ عَلَيْكَ الْحِكْمَةُ الشُّنْعَاءُ^(٥).

أَمَّا الْحِكْمَةُ الْمَأْلُوفَةُ فِي الشِّعْرِ فَهِيَ اللَّمَعَةُ الْبَارِعَةُ مِنَ الرَّأْيِ الصَّائِبِ الَّذِي يَصْدُقُ
فِي الْوَاقِعِ أَوْ يُوَاقِفُ الْمُنْطِقَ أَوْ يُوجِزُ الْاِخْتِبَارَ الْإِنْسَانِي الطَّوِيلَ. وَقِيَمَةُ الْحِكْمَةِ فِي
الشِّعْرِ أَنْ يَرِدَ الْمَعْنَى الْحَكِيمُ الْجَدِيدُ فِي التَّعْبِيرِ الْوَجِيزِ الْوَاضِحِ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَبْدِ

(١) تَارِيخُ الْأَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّ: الطَّوَائِفُ وَالْمُرَابِطُونَ ١٥٢.

(٢) فِي الْأَصْلِ: قُلْتُ بِالسِّكْبَاجِ (وَلَا يَسْتَقِيمُ بِهِمَا الْوِزْنُ) فَاجَزْتُ لِنَفْسِي أَنْ أَثْبِتَ مَا فِي الْمَثْنِ. السِّكْبَاجُ: لَحْمٌ
يَتَبَلُّ بِأَفَاوِيهِ وَبِزُورَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ. الْجُمْلِيَا (٩). الرِّخْصُ: الطَّرِيقُ. الشُّوَا: اللَّحْمُ الْمَشْوِيُّ. الرَّفَاقُ:
خَبِزٌ يَصْنَعُ رَقِيقًا (وَرَبْمَا قِيلَ لَهُ: خَبِزْ مَرْقُوقَ، خَبِزْ تَنْوَرًا، خَبِزْ صَاجًا: قِطْعَةً مِنْ حَدِيدٍ مُسْتَدِيرَةً
وَمُعَدَّةً كَأَنَّهَا قِطْعٌ مِنْ كُرَةٍ) تَحْمِزُ الرَّفَاقَ عَلَى ظَاهِرِهَا وَتَكُونُ النَّارَ تَحْتَهَا.
(٣) الْجَشِيشُ: حَبٌّ (خَنْطَةُ، قَمْحٌ) يَجْرُسُ خَشْنًا ثُمَّ يُلْقَى عَلَيْهِ لَحْمٌ أَوْ تَمْرٌ فَيُطَيِّخُ بِأَحَدِهِمَا. السَّمِيدُ: السَّمِيدُ
لِبَابِ الْبَرِّ (بِالضَّمِّ) «الْقَمْحُ».

(٤) تَارِيخُ الْأَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّ: عَصْرِ الطَّوَائِفِ وَالْمُرَابِطِينَ ١٢٧ - ١٢٨ (عَنِ الذَّخِيرَةِ) أَلْ: سَرَابٌ. خَلَقَ
(بِفَتْحٍ فَكْسَرٍ) التَّوْبَ وَالْجِلْدَ وَغَيْرَهَا: بَلِي (تَهْرًا) وَلَانَ وَأَمْلَسَ (بِتَشْدِيدِ السِّينِ). الْمَلْمُوحُ (مِنْ الْفَلَسْفَةِ
لَا مِنَ الْبَيْتِ): أَنَّ النَّفْسَ مُفَارِقَةً (لَا يَتَّفِقُ لَهَا مَا يَتَّفِقُ لِلْبَدَنِ: لَا تَهْلِكُ بِهَلَاكِهِ)، أَمَّا الْجِسْمُ (وَهُوَ مَادَّةٌ)
فَإِنَّهُ يَتَبَدَّلُ وَيَهْلِكُ (تَتَغَيَّرُ صُورَتُهُ).

(٥) إِنْ تَبَدَّلَ الصُّورَةُ عَلَى الْمَادَّةِ: مَاءٌ = بَحَارٌ = غَمَامٌ = مَاءٌ = ثَلْجٌ الْخَ هُوَ أَصْلُ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا -
«جَلَبَتِ» (فِي الْأَصْلِ) مَبْنِيَةٌ لِلْمَجْهُولِ. فَلَمَّا بَنَاهَا لِلْمَعْلُومِ أَصَحَّ - أَنْ مِثْلَ هَذَا الْعَصْفِ فِي الْمَعَانِي
وَالْتَرَاكِبِ لَا يَجْعَلُ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْمُنَظَّمَةِ «فَنَاءً فِلَسْفِيًّا» ٩٢.

النثر

النثر الأندلسي- في أسلوبه- هو النثر المشرقي، لولا ذلك التطوُّح في الخيال أحياناً كقول أبي حفص بن بُريد (ت بعيد ٤٥٠): « ما أعجبَ القلمَ يشربُ ظُلْمَةً وَيَلْفِظُ نوراً- على غَيْثِ القلمِ يَتَفَتَحُ زَهْرُ الكَلِمِ- التعليمُ فِلاحةٌ وليست كلُّ أرضٍ مُنبَتَةٌ ». ولابن بُريد هذا رسائل في تفصيل الورد وفي المناظرة بين السيف والقلم مما نراه في ترجمته .

وحاكي الأندلسيون جميع أساليب المشاركة في النثر حتَّى ما تَقَعَّرَ منه في القرابة- كقول أحدهم في العصر الذي نُوجِزُ على هذه الصَّفحاتِ خصائصه-: « لَمَنْ هذا الكلامُ الذي أَعْدَوْذَبَ مَوْرَدُهُ وَأَفْضَوْضَلَ مَنْبَتُهُ وَتَحَلَّتْ بِفِلَادَةِ الحَلَاوَةِ بِكْرُهُ وَهَدَرَ بِشَقِيقَةِ الجَزَالَةِ بِكْرُهُ ... مَفْشَرٌ قومي، اسمعوا ما سَمِعْتُهُ، وعُوا ما وَعَيْتُهُ، فَإِنَّهُ لَفَخْرٌ طَلَبَكُمْ وشرفٌ تلاصَقَ بكم » .

وتوفَّر الأندلسيون على كتابة الرسائل- إخوانيةً وديوانيةً- ولكنهم لم يخرجوا في ذلك كلَّه، من حيثُ الأسلوب، عن نمطِ المشاركة ثم لم يَبْلُغُوا إلى شيءٍ من مستوى ذلك النمطِ .

النقد الأدبي

نَهَضَ في هذا العصرُ نَقَّادٌ أَبْرَعُهُمْ وأشهرُهُمُ ابنُ رَشِيْقِ القَيْرَوَانِي (ت ٤٥٦) . وقد كان اتِّجَاهُهُ وعدَدٌ من آرائِهِ يَرْجِعَانِ إلى أستاذه عبدِ الكريمِ النَهْمَلِيِّ القَيْرَوَانِي (ت ٤٠٥) . ومعَ أَنَّ ابنَ رَشِيْقِ قدِ اسْتَفَادَ من مذاهِبِ النقدِ الواردةِ من المشرق، فإنَّ كتابه « العُمدَةُ في صناعةِ الشعرِ ونقده »، ألصقَ الكتبَ إلى ذلك الحينِ بموضوعِ النقدِ الأدبي .

وجاء في هذه الحِقْبَةُ نفرٌ آخرونَ من النُّقَّادِ مثلُ أبي القاسمِ بنِ الإفِليْ (ت ٤٤١) وله شرحٌ على ديوانِ المُتَنَبِّي ثم ابنُ حزمِ الأندلسي (ت ٤٥٦) ثم أبي الحسنِ ابنُ سيِّدَه (٣٩٨- ٤٥٨ هـ) صاحبُ كتابِ المُحَكَّمِ وكتابِ المُخَصَّصِ ثم الأعلَمِ

الشَّتَمَرِي (ت ٤٧٦) وأشهرُ ما نَعَرِفُ له « شَرْحُ الشُّعْرَاءِ السِّتَةِ » (الجاهليين) ثم مُحَمَّدُ
 ابْنُ قَتَوَجِ الحُمَيْدِي (ت ٤٨٨) صاحبُ « جُدُودِ الْمُقْتَسِرِ » وكتابُ « السَّبِيلِ إِلَى
 تَعْلَمِ التَّرْسِيلِ » ثم أَبِي بَكْرٍ عاصِمُ بْنُ أَيُوبَ البَطْلَيْوْسِيُّ (ت ٤٩٤) وله شروح على
 الأشعارِ القديمةِ ثم ابْنُ السَّيِّدِ البَطْلَيْوْسِيُّ (٤٤٤ - ٥٢١ هـ) وله « الانتصارُ مِنَّ عَدَلِ
 عَنِ الاستبصارِ » و« شَرْحُ سِقْطِ الزَّيْنِدِ » (للمعري). هؤلاء النفرُ الآخرونَ - وكلُّهُمْ
 أُنْدَلُسِيَّونَ - كانتْ لَهُمْ ملاحظاتٌ وآراءٌ في النقدِ اللَّغَوِيِّ والنقدِ النَحْوِيِّ والنقدِ
 البَيَّانِيِّ مُفَرَّقةً فِي كُتُبِهِمُ الْمُخْتَلَفَةِ. ويبدو أَنَّ « السَّبِيلَ » للحُمَيْدِي كانَ قَرِيباً جَدّاً مِنْ
 منهجِ النقدِ الأدبيِّ القائمِ على استعراضِ غَاذِجِ جِيَادٍ مِنْ فنونِ التَّرْسُلِ.

المَوْشَحُ: خصائصه ونشأته

الشعرُ العربيُّ، مِنْ حيثُ القافيةُ، ثلاثةُ أَجناسٍ: قصيدٌ وَرَجَزٌ وَمُسَمَّطٌ. وكلُّها
 قديمةٌ. فالقصيدةُ أَيْاتٌ متواليةٌ ومختومةٌ بمجموعاتٍ مُتَابِلَةٍ مِنَ الأحرفِ تُدْعَى قافيةً.
 وتكونُ هذه المجموعاتُ كُلُّها مَبْنِيَّةً عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ مَخْصُوصٍ يُسَمَّى «رَوِيّاً»^(١).
 قالتِ الحَنَسَاءُ تَرْثِي أَخَاهَا صَخْرًا:

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا، وَأُنْدِبُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ.
 وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِسِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي.

فحرفُ الرويِّ هنا هو السينُ المكسورة؛ أما القافيةُ فهي السكون على الحرفِ
 (الصحيح) قبل السينِ المكسورة مع السينِ المكسورة. أمَّا الياءُ في البيتِ الثاني بـ
 السينِ هو حرفُ إشباعِ للسينِ المكسورة.

(١) الرويُّ هو الحرفُ الذي تبنى عليه القافية في القصيدة: د، ر، ل، ن، ي، ا، الخ. أمَّا القافية فهي
 حرفُ الرويِّ مع الأحرفِ الساكنة والمتحركة السابقة عليه والتالية له والتي تكونُ ضرورةً في اتِّساقِ
 الموسيقى اللَّفْظِيَّةِ. إنَّ قوافي القصيدة الواحدة يمكنُ أَنْ تكونَ: كلام، حرام، أمام (ولكن لا يجوزُ أَنْ
 تكونَ: كلام، سليم، منام، الخ ولا تكونَ أيضاً: حرام، كلاماً، الخ، تما هو معروف في علم القافية)،
 أو بحر، بصر، صخر، نظر الخ.

والرَجَزُ في الأصلُ بَحْرٌ من بحورِ الشعرِ^(١) تُنظَّمُ عليه الأراجيزُ^(٢). والأرجوزةُ أَشْطَرُ وَتَرُ^(٣) مَبْنِيَّةٌ كُلُّهَا على حرفِ رَوِيٍّ واحدٍ. قالتِ امرأةُ أَبِي حَمزةَ الضَّبِّيِّ الحارِجِيِّ- وكانَ زَوْجُهَا قد هَجَرَهَا وجعلَ يَبِيتُ في خِيَمَةٍ مُجاوِرَةٍ لَخِيْمَتِهَا، وَهُوَ غاضِبٌ لَأَنهَا كانتِ مِثْنائًا وَلَدَتْ لَهُ عِدَّةَ بناتٍ ولم تَلِدْ لَهُ غَلامًا-:

ما لِأبي حَمزةَ لا يَأْتِينَا، يَظَلُّ في البَيْتِ الذي يَلِينَا،
غَضْبَانٌ أَلَّا نَلِدَ الْبَنِينَ؟ تالله، ما ذلِكَ في أَيْدِينَا:
وإنَّا نأْخُذُ ما أُعْطِينَا. وَنَحْنُ كالْأَرْضِ لِزَارِعِينَا
نُنَبِّتُ ما قَدْ زَرَعُوهُ فِينَا!

وتَحِيَّ أَشْطَرُ الأرجوزةِ أَيْضاً شَفْعاً^(٤)، ويكونُ لكلِّ شَطْرَيْنِ (لِلصَدْرِ وَلِلْعَجْزِ) في كُلِّ بَيْتٍ من أُبَيَّاتِها قافيةٌ على رَوِيٍّ واحدٍ. قال أبو العتاهية:

إنَّ الفَسادَ ضِدُّهُ الصَّلاحُ، يا رَبِّ جِدُّ جَرَهُ المَراحُ.
ما تَطْلُعُ الشَّمْسُ ولا تَنْبُتُ إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنِهِ عَجِيبُ.
لكلِّ شَيْءٍ مَقْدِينٌ وَجَوْهَرُ وَأَوْسَطُ وَأَصْفَرُّ وَأَكْـبَرُ.

- (١) بحور الشعر (أو أوزان الشعر) يمكن أن تكون غير متناهية في العدد لأنها في الأصل ألحان موسيقية تنشأ من نوالي الألفاظ بقدر معين على نسق مخصوص. ثم جاء الأخفش الأوسط فزاد فيها البحر السادس عشر. وليس من الضروري أن تكون هذه هي جميع الأبحر التي يمكن أن يأتي عليها الشعر العربي. وإذا نحن علمنا أن كل بحر من هذه البحور يمكن أن يأتي تاماً أو مجزئاً، وأن معظم الأضرب (جمع ضرب) بفتح فسكون: - التفعيل الأخير في الصدر) ومعظم الأعارض (جمع عروض بالفتح: التفعيل الأخير في المعجز) يمكن أن يأتي على أقدار مختلفة، وجدنا أن بحور الشعر في الحقيقة أكثر من ستة عشر مجزئاً.
- (٢) الأراجيز تنظم على بحر واحد من البحور الستة عشر.

مستغفلن مستغفلن مستغفلن مستغفلن مستغفلن مستغفلن.

(٣) مفردة: ٣، ٥، ٩، ١٧، ٤٩. الخ.

(٤) مزدوجة: ٤، ١٠، ٢٢، ٣٦. الخ.

وربما جاء الشاعر بأرجوزته مولدة^(١) فيجمل أشرها تتردد شفاً ووتراً، كما
فعل أبو العتاهية أيضاً:

ما عيشٌ مَنْ آفته بقاءه! نَصَ عَيْشاً طَيْباً فَنَاقَهُ.
إِنَّا لَنَفْنَى نَفْساً وَطَرْفَا، لَمْ يَتْرِكِ الْمَوْتُ لِلْفَنِ إِنْفَا^(٢).
وللڪـــلامِ باطنٌ وظاهرُ. في ساعةِ العدلِ يموتُ الفاجرُ.
عَلِمْتَ، يَا مُجَاشِعَ بْنَ مَسْعَدَةَ أَنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجَدَّةَ^(٣)
مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ.

يَا لِلشَّبَابِ الْمَرْحِ التَّصَالِي! رَوَائِحُ الْجَنَّةِ فِي الشَّبَابِ.
ليس على ذي النُصْحِ إِلَّا الْجُهْدُ. الشَّيْبُ زَرْعٌ حَانَ مِنْهُ الْحَصْدُ.
الْقَدَرُ نَحْسٌ وَالْوَفَاءُ سَعْدُ.

وَهِيَ الْمَقَادِيرُ، فَلَمَنِي أَوْ قَدَرَ، تَجْرِي الْمَقَادِيرُ عَلَى غَرَزِ الْإِبْر^(٤).
إِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَأَ الْقَدَرُ!

وبما أَنَّ التسميطَ يقومُ على اختلافِ القوافي والأوزانِ معاً، فسأرجئُ الكلامَ
عليه إلى حينِ الكلامِ على الأوزانِ في القصيدِ والرجزِ (كيلاً أتكلّمُ على التسميطِ -
وهو جنسُ الشعرِ القريبِ من المَوْشَحِ - في مكانين مختلفين).

أَمَّا مِنْ حَيْثُ الْوِزْنُ، فَإِنَّ مِنْ حَقِّ كُلِّ مَقْطُوعَةٍ شَعْرِيَّةٍ (من القصيدِ أو الرَجَزِ)،

(١) المولَع: الإنسان أو الحيوان: إذا أخذ فيه البرص (وهو مرض يتبدل به لون الجلد في مكان دون مكان). وقال الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ - ١٠١٦ م).

يُوكِّعُ الطَّلَّ بَرْدِنَا وَقَدْ نَسَمْتُ رُومِجْمَةَ الْفَجْرِ بَيْنَ الضَّالِّ وَالسَّمِ.

الطل: المطر الخفيف. البرد: الثوب. ولَع الطَّلَّ بَرْدِنَا: جعل بقعاً منها مبتلة وترك بقعاً فيها جافة.
(٢) نَفْساً وَطَرْفَا (لحظاً): قليلاً قليلاً.

(٣) الفراغ: قلة العمل واتساع الوقت. الجدة: الغنى، الثروة.

(٤) ذر (وذر بكسر الدال يذر بفتحها): ترك - أو ذر (اترك لومي). على غرز الإبر: بالترتيب والموالة
(على قوانين دقيقة).

طالَتْ أو قَصُرَتْ، أن تكون من بَحْرِ (على وزن) واحد، فإن «الوزن أحدُ أركانِ الشعرِ وأولَّاهَا بِهِ خُصُوصِيَّةً. وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْقَافِيَةِ وَجَالِبٌ لَهَا ضَرُورَةً: إِلَّا أَنْ تَحْتَلِفَ الْقَوَافِي»^(١) فيكون ذلك عيباً في التقفية لا في الوزن. وقد لا يكون^(٢) عيباً (في) المَخَسَّاتِ وما شاكلها^(٣).

وتفاعيلُ الشعرِ لا تأتي تامةً دائماً: مُسْتَفْعِلُنْ. فاعِلَاتُنْ، مَفَاعِيلُنْ، فَعُولُنْ إلخ بل تأتي أحياناً مقبوضةً، نحو مَفَاعِلُنْ، فَعُولُ (مكانَ مستفعلن، فعولن). وفي كثيرٍ من الأحيان يكونُ التفعيلُ المَرْحُوفُ أو المَقْبُوضُ (الناقص في أحدِ وُجُوهِه) أَجْرَى في اللَّفْظِ وأكثرُ موافقةً لِلْفَنَاءِ من التفعيلِ التامِ^(٤). ورَبَّيَا زَادَ الَّذِي يُنْشِدُ الشَّعْرَ فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ حَرْفاً أو كَلِمَةً مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْلَقَ الْإِنْشَادُ، كالَّذِي رَوَّاهُ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ^(٥):

اشدُّ حَيَازِمِيكَ لِلْمَوْتِ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا يَكِيكَ.

ولا تَجَزَّعُ مِنْ الْمَوْتِ إِذَا حَلَّ بِوَادِيكَ!

فإنَّ الأصلَ فيه: «حيازيمك للموت.....».

غيرَ أَنَّ هذه الجَوَازَاتِ كُلُّهَا في التفاعيلِ وهذا الجُزْءُ لِلْبُحُورِ وهذه الزِيَادَاتِ عَلَى الْأَبْيَاتِ لَا تُخْرِجُ الْأَبْيَاتَ مِنَ الْوِزْنِ الْخُصُوصِ.

وكان الخليلُ بْنُ أَحْمَدَ (ت ١٧٤ هـ = ٧٩٠ م) قدِ اسْتَعْرَضَ أَشْعَارَ الْعَرَبِ

(١) راجع الحاشية ص ٤١٦.

(٢) هذا التركيب: «قد لا يكون» غير فصيح، وقد أجازوه مجمع اللغة العربية بالقاهرة (أطنَّ عام ١٩٧٠).

(٣) لأنَّه في المَخَسَّاتِ والمُسَطَّاتِ أصبح قاعدة.

(٤) قلَّ أن تجد بيتاً في قصيدة تامَّ التفاعيل بلا جَوَازَاتِ، ذلك لأنَّ التفاعيل التامة تجعل الأبيات شديدة الرنوب (على وتيرة واحدة).

(٥) سواء أكانت هذه الأبيات للإمام عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ أو كان هو قد استشهد بها، فإنه قد أضاف كلمة «أشد» في أول البيت الأول. الحيزوم: الصدر. أشد حيازيمك للأمر: وطن نفسك عليه واحزم.

فاسْتَخْرَجَ مِمَّا وَقَعَ تَحْتَ نَظَرِهِ مِنْهَا خَمْسَةَ عَشَرَ بَحْرًا أَوْ وَزْنًا. وبما أَنَّ بِحَوْرَ الشِّعْرِ تَرْجُعُ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَى الْإِيقَاعِ (حُدُوثِ النَّعَمِ مِنْ تَعَاقُبِ النَّقْرِ عَلَى نَسْقٍ مَخْصُوصٍ)، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي يَأْتِلَفُ مَعَ ضُرُوبِ الْإِيقَاعِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْمُتَعَدِّدَةِ يَجِبُ أَنْ يُعَدَّ دَاخِلًا فِي الْكَلَامِ الْمُوزُونِ الْمَنْظُومِ، وَلَوْ لَمْ يَأْتِ عَلَى أَحَدِ الْأَبْجَرِ الْخَمْسَةَ عَشَرَ الَّتِي اتَّفَقَ لِلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ أَنْ يَسْتَخْرِجَهَا مِنَ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ. وَالَّذِي يُؤَكِّدُ هَذَا الْحَدْسَ أَنَّ الْأَخْفَشَ الْأَوْسَطَ (ت ٢١٥ هـ - ٨٣٠ م) قَدْ اسْتَدْرَكَ عَلَى الْخَلِيلِ بْنِ أَحَدَ بَحْرًا وَزَنَهُ «فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ» مَرَّتَيْنِ وَسَمَّاهُ الْمُنْدَارَكَ (لأنَّه تَدَارَكَ: لَجَقَّ بِهِ بَعْدَ أَنْ فَاتَ ذَلِكَ الْبَحْرُ الْخَلِيلَ، أَيْ سَبَقَهُ). ثُمَّ إِنَّ الْأَخْفَشَ اسْتَقَّ مِنَ الْمُنْدَارَكَ - بِأَنْ جَمَلَ مِنَ «فَاعِلُنْ» تَفْعِيلًا آخَرَ هُوَ «فَعِلُنْ» (بِثَلَاثِ حَرَكَاتٍ فَسُكُونٍ) - بَحْرًا مُسْتَقْلًا سَمَّاهُ الْحَنْبَبَ، لِأَنَّ تَوَالِي لَفْظِهِ يُشْبِهُ حَبَّ الْقَرَسِ^(١).

فن التسميط

التسميطُ هُوَ تَنَوُّعُ الْقَوَافِي وَالْأَوْزَانِ فِي الْمَقْطُوعَةِ الشِّعْرِيَّةِ الْوَاحِدَةِ.

بَدَأَ ابْنُ رَشِيْقٍ الْكَلَامَ عَلَى «بَابِ التَّفْقِيَةِ وَالتَّصْرِيعِ» (الْعُمْدَةُ ١: ١٤٩) بِقَوْلِهِ: «هَذَا بَابٌ يُشَكِّلُ^(٢) عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ عِلْمَهُ، وَيَلْحَقُهُ عَيْبٌ سَمَّاهُ قُدَامَةً^(٣) التَّجْمِيعَ، كَأَنَّهُ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ رَوِيَيْنِ وَقَافِيَتَيْنِ. وَرَأَيْتُ مَنْ يَقُولُ: التَّخْمِيعُ - بِالْخَاءِ (الْمُعْجَمَةِ) - كَأَنَّهُ مِنَ الْحَنْعِ^(٤) فِي الرَّجْلِ».

(١) حَبَّ الْقَرَسِ خَبِيَا: (فِي الْقَامُوسِ) أَنْ يَنْقُلَ الْقَرَسُ أَيْامَهُ وَأَهَابِرَهُ جَمِيعًا فِي الرِّكْضِ (وَالصُّورَةُ لَيْسَتْ وَاضِحَةً) وَلَعَلَّ الْحَنْبَبَ أَنْ يَنْقُلَ الْقَرَسَ فَاتَّخِذَهُ الْأَمَامِيَّتَيْنِ مَعًا وَقَاتَّخِيَهُ الْخَلْفِيَّتَيْنِ أَوْ أَنْ يَخْتَلَفَ فِي نَقْلِهَا (الْقَافِيَةُ الْأَمَامِيَّةُ الْيَمْنَى) «ثُمَّ الْخَلْفِيَّةُ الْيُسْرَى ثُمَّ الْأَمَامِيَّةُ الْيُسْرَى ثُمَّ الْخَلْفِيَّةُ الْيَمْنَى» - وَعَلَى كُلِّ فَالْحَبِّ أَشْبَهُ بِالْقَفْزِ مِنْهُ بِالرِّكْضِ الْمُسْتَمَرِّ. وَفِي تَاجِ الْعُرُوسِ (الْكُوَيْتُ ٢: ٣٢٩): «أَوْ هُوَ أَنْ يَرَاوَجَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ: أَنْ يَقُومَ عَلَى إِحْدَاهُمَا مَرَّةً وَعَلَى الْآخَرَى مَرَّةً».

(٢) أَشَكَلَ الْأَمْرَ: أَصْبَحَ غَامِضًا.

(٣) قُدَامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ (ت ٣٣٧ هـ = ٩٤٨ م) كَاتِبٌ وَأَدِيبٌ وَنَاقِدٌ لَهُ كِتَابٌ «نَقْدُ الشِّعْرِ».

(٤) فِي الْقَامُوسِ (٣: ١٩) الْحَنْعُ (بِالْفَتْحِ): الرِّجْلُ.

أما التصريح فهو أن يكون للضرب وللمروض (في مطلع القصيدة) قافيتان على روي واحد كقول المتنبي:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم، وتأتي على قدر الكرام المكارم.

وأما التجميع (أو التخميع) فذلك أن تكون القصيدة غير مُصرَّعة، أو على الأصح أن يكون المطلع قابلاً للتصريح ثم لا يُصرَّعه شاعره، كقول جميل بن مَعْمَر:

يا بُنُّ، إنك قد ملكت فأسجحي وخذي بحظك من كريم واصل.

(ولقد كان بإمكان جميل أن يقول: «... وخذي بحظك من كريم تنجحي»، فيأتي المطلع مُصرَّعاً ويظلَّ المعنى والوزن مُستقيمين. ولكنَّ جيلاً لم يفعل ذلك، بل اختار لقصيدته قافيةً لاميةً رآها، فيما يبدو، أوسع من القافية الحاثية).

ويدعو أن هذا المسلك، في المخالفة في القوافي خاصة، كان قديماً في الشعر العربي. قال ابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ أو ٤٦٣ هـ) في كتابه العُدة (١: ١٥٤ - ١٥٨):

ومن الشعر نوعٌ غريبٌ يُسمونه القَواديسي، تشبيهاً بقواديس السانية^(١)، لارتفاع بعض قوافيه في جهةٍ وانخفاضها في الجهة الأخرى. فأول من رأيته جاء به طلحة بن عبيد الله العموي^(٢) في قوله، وهو من قصيدة مشهورة طويلة^(٣):

كَم لِلدُّمَى الْأَبْكَارِ بِالْ	خَبَتَيْنِ مِنْ مَنْـ
بُهِجَتِي لِلْوَجْدِ مِنْ	تَذَكَارِهَا مَنْـ
مَعَاهُ رَعِيلُهَا	مُتَعَجِّرُ الْهَوَاطِلِ
لَمَّا نَأَى سَاكِنُهَا؛	فَأَذْمِي هَوَاطِلُـ

(١) السانية: الناعورة. القادوس: صندوق صغير يكون على دولاب أو على سلسلة يحمل فيه الماء من البشر إلى سطح الأرض.

(٢) طلحة بن عبيد الله العموي... (٢). في القاموس (٤: ٢٥) عون (بالضم) بلد ساحل اليمن.

(٣) لن أشرح الأبيات المستشهد بها في هذا الفصل (عن مقدمات التوشيح والتوشيح) لأن الغاية من هذه الأبيات شكلها الظاهر (ترتيب أسطرها وتنوع قوافيها).

وهو مربعُ الرَّجَزِ تَعَمَّدَ (الشاعر) فيه الإقواء وأوطأ^(١) في أكثره قصداً، كما فَعَلَ في البَيْتَيْنِ الأولين.

وَمِنْ الشِّعْرِ جِنْسٌ كُلُّهُ مُصَرَّعٌ، إِلَّا أَنَّهُ مُخْتَلَفُ الْأَنْوَاعِ.... فمن ذلك الشِّعْرُ الْمُسَطَّبُ، وَهُوَ أَنْ يَبْتَدِيَ الشَّاعِرُ بَيْتَ مُصَرَّعٍ ثُمَّ يَأْتِي بِأَرْبَعَةِ أَقْسِمَةٍ عَلَى غَيْرِ قَافِيَتِهِ، ثُمَّ يُعِيدُ قِسْماً وَاحِداً مِنْ جِنْسٍ مَا ابْتَدَأَ بِهِ. وهكذا إلى آخِرِ الْقَصِيدَةِ: مِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ - وَقِيلَ: إِنَّهَا مَنْحُولَةٌ^(٢):-

تَوَهَّمْتُ مِنْ هِنْدٍ مَعَالِمَ أَطْلَالٍ عَفَاهُنْ طُولَ الدَّهْرِ فِي الزَّمَنِ الْخَالِي.
مَرَابِعُ مِنْ هِنْدٍ خَلَّتْ وَمَصَانِفُ يَصْبِحُ بِمَقْنَاهَا صَدَى وَعَوَازِفُ،
وغيرها هُجُ الرِّيحِ الْعَوَاصِفُ وَكُلُّ مُسِفٍ، ثُمَّ آخِرُ رَادِفُ
بِاسْتِحْصَانِ مِنْ نَبْوِ السَّائِكِينَ هَطَالٍ.

وهكذا يَأْتِي بِأَرْبَعَةِ أَقْسِمَةٍ عَلَى أَيِّ قَافِيَةٍ شَاءَ، ثُمَّ يُكَرِّرُ قِسْماً عَلَى قَافِيَةِ اللَامِ. وَرُبَّمَا كَانَ الْمُسَطَّبُ بِأَقْلَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَقْسِمَةٍ، كَمَا قَالَ أَحَدُهُمْ:

خَيَالٌ هَاجَ لِي شَجْنَا فَبِتُّ مَكَايِدَ حَزْنَا
عَمِيدَ الْقَلْبِ مُرْتَهَنًا بِذِكْرِ اللَّهِ وَالطَّرَبِ.
سَبَّحْنِي ظَنِّيَّةٌ عَطُوبُ، كَأَنَّ رُضَابَهَا عَسْلُ،
يَنُوءُ بِخَضِرِهَا كَفَلُ ثَقِيلُ رَوَادِفِ الْحُقُوبِ.

وَرُبَّمَا جَاءَ وَفِي أَوَّلِهِ بِأَبْيَاتٍ خَمْسَةٍ عَلَى شَرْطِهِمْ فِي الْأَقْسِمَةِ - وَهُوَ الْمُتَعَارَفُ - أَوْ

(١) الإقواء: أن يخالف الشاعر في حركة الروي فيأتي به مرة مكسوراً ومرة مضموماً الخ. والإبطاء:

الالتئام بالقافية مكررة لفظاً ومعنى (القاموس)، أو تنمة البيت في البيت الذي يليه (٥).

(٢) منحولة: نظمت بعد عصر امرئ القيس ثم نسبت إليه (لو ناهلنا وقبلنا أن تكون هذه القطعة

منحولة، لظنت أقدم من ابن رشيقي وأقدم من نشأة الموشج).

أربعة. ثم يأتون بعد ذلك بأربعة أقسمه، كما قال خالد القنّاص ، أنشده الزّجاجيُّ
أبو القاسم^(١):

لَقَدْ نَكَرْتُ عَيْنِي مَنَازِلَ جِيرَانِ كَأَسْطَارِ رَقٍّ نَاهِجٍ خَلَقِي فَانَ .
تَوَهَّمْتُهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً ، فَمَا أَسْتَبِينُ الدَّارَ ، إِلَّا بِعِرْفَانِ^(٢) .
فَقُلْتُ لَهَا: حَيِّيتِ ، يَا دَارَ جِيرَتِي ، أَبِيئِي لَنَا أَنَّى تَبَدَّدَ إِخْوَانِي ،
وَأَيَّ بِلَادِ اللَّهِ رَبُّمَكَ حَالِفُوا فَإِنَّ فُؤَادِي عِنْدَ ظَنِّيَةِ جِيرَانِي .

فجاء بأربعة أبيات. ثم قال بعدها:

وَمَا نَطَقْتُ ، وَاسْتَعَجَمْتُ حِينَ كَلَّمْتُ ، وَمَا رَجَعْتُ قَوْلًا وَمَا إِنْ تَرَمَرَمْتُ .
وَكَانَ شِفَاؤِي عِنْدَهَا لَوْ تَكَلَّمْتُ إِلَيَّ ، وَلَوْ كَانَتْ أَشَارَتْ وَسَلَّمْتُ ؛
وَلَكِنَّمَا ضَمَّتْ عَلَيَّ بَيْتِيَانِ .

وهكذا إلى آخرها. وقد جاء هذا الشاعر في قصيدته بخمسة أقسمه مرة واحدة ولم
يعاودها. ولو عاودها لم يضره، وكذلك لو نقص (منها). إلا أن الاعتدال أحسن.
والقافية التي تتكرر في التسميط تُسمى عمود القصيدة. واشتقاق (التسميط)
مِنَ السِّمِطِ ، وَهُوَ أَنْ تَجْمَعَ عِدَّةَ سُلُوكٍ^(٣) فِي يَاقُوتَةٍ أَوْ خَزَرَةٍ مَا ، ثُمَّ تَنْظِمَ كُلَّ سِلَكٍ مِنْهَا
عَلَى حِدَتِهِ بِاللُّوْلُو يَسِيرًا ، ثُمَّ تَجْمَعُ السُّلُوكُ كُلُّهَا فِي زَبَرْجَدَةٍ أَوْ شَبِهَا أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ . ثُمَّ
تَنْظِمُ أَيْضًا كُلَّ سِلَكٍ عَلَى حِدَتِهِ وَتَصْنَعُ بِهِ كَمَا صَنَعْتَ أَوَّلًا إِلَى أَنْ يَتِمَّ السِّمِطُ . هَذَا
هُوَ الْمُتَعَارَفُ عِنْدَ أَهْلِ الْوَقْتِ^(٤) .

(١) الزّجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق) الهاوندي (ت ٣٤٠ هـ = ٩٥٢ م).

(٢) كذا في الأصل. اقرأ: بمرغاني (لأنّي كنت أعرف هذا المكان من قبل).

(٣) السلك (بالكسر): الخيط الذي تنظم به حبات العقد.

(٤) هذا يدل على أن التسميط كان قد أصبح واسع الانتشار في أيام ابن رشيق.

وقال أبو القاسم الزجاجي: إِنَّا سَمِيَ (التسميط) بهذا الاسم تشبيهاً بِسِمِطِ اللؤلؤ، وَهُوَ سِلْكُهُ الَّذِي يَضُمُّهُ وَيَجْمَعُهُ مَعَ تَفَرُّقِ حَبِّهِ^(١). وكذلك هذا الشعرُ لَمَّا كَانَ مُتَفَرِّقَ القوافي مُتَعَمِّقاً بِقافيةٍ تَضُمُّهُ وَتَرُدُّهُ إِلَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ الَّذِي بُنِيَ عَلَيْهِ القصيدة صار كَأَنَّهُ سِمِطٌ مُؤَلَّفٌ مِنْ أَشْيَاءٍ مُفْتَرَقَةٍ.

« ونوع آخر يُسَمَّى مُخَمَّساً، وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى بِخَمْسَةِ أَقْسِمَةٍ عَلَى قافيةٍ، ثُمَّ بِخَمْسَةِ أُخْرَى فِي وَزْنِهَا عَلَى قافيةٍ غَيْرِهَا كَذَلِكَ، إِلَى أَنْ يُفْرَغَ مِنَ الْقَصِيدَةِ. هذا هو الْأَصْلُ. وَأَكْثَرُوا مِنْ هَذَا اللَّيِّ حَتَّى أَتَوْا بِهِ بِمِصْرَاعَيْنِ مِصْرَاعَيْنِ فَقَطْ - وَهُوَ الْمُزْدَوِجُ - إِلَّا أَنْ وَزَنَهُ كُلُّهُ وَاحِدٌ، كَذَاتِ الْأَمْثَالِ وَذَاتِ الْحُلَلِ^(٢) وَمَا شَاكَلَهَا. وَلَا يَكُونُ أَقْلٌ مِنْ مِصْرَاعَيْنِ. وَكُلُّ مِشْطُورٍ أَوْ مَنُهَوَكٍ فَهُوَ بَيْتٌ^(٣). وَإِنْ قِيلَ: مُصَرَّعٌ فَهُوَ عَلَى الْمَجَازِ. وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَأْتِ مِثْلُهُ عَنِ الْعَرَبِ^(٤) فَهُوَ مِصْرَاعٌ لَيْسَ بِبَيْتٍ. وَلَمْ أَجِدْهُمْ يَسْتَعْمِلُونَ مِنْ هَذِهِ الْمُخَمَّسَاتِ إِلَّا الرَّجَزَ خَاصَّةً. فَأَمَّا الْمُسَمَّطَاتُ فَقَدْ جَاءَتْ فِي أَوْزَانٍ كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ.

(وهناك) نوعان مِنَ الرَّجَزِ، وَهُمَا الْمِشْطُورُ وَالْمَنُهَوَكُ^(٥). فَأَمَّا الْمِشْطُورُ فَهُوَ بُنِيَ

(١) يتألف عقد اللؤلؤ من حبات مختلفة الأحجام: من واسطة (حبة كبيرة في الوسط) ثم تندرج الحبات أصغر فأصغر نحو طرفي العقد. وتكون هذه الحبات مفصلة (مفصولة بمجموعات) بشذر (بفتح فسكون: جمع شذرة أو قطعة صغيرة من ذهب).

(٢) ذات الأمثال أرجوزة أبي الصنافية (ت ٢١١ هـ) وقد مرَّ الاستشهاد بمدد من أبياتها. وذات الحلال قصيدة في أمور الفلك نظم فيها شاعرهما إبان بن عبد الحميد اللاهقي (ت ٢٠٠ هـ = ٨١٥ م) عدداً من قواعد الفقه وما يتعلق بالصيام خاصة (راجع بروكلمان، الملحق ١: ٢٣٩).

(٣) في التسميط بمدد القسم الموزون (مهما يكن قصيراً) بيتاً.

(٤) العرب (هنا): العرب القدماء: الجاهليون والأمويون.

(٥) تفسير ابن رشيقي للمشطور والمنهوك يتناول القافية لا التفاعيل. وفي القاموس: المشطور ما نقصت ثلاثة أجزاء من ستنه (٢: ٥٨). وفي تاج العروس (الكويت ١٢: ١٧٢): المشطور من الرجز ما ذهب شطره، وذلك إذا نقصت ثلاثة أجزاء من ستنه. والمنهوك (القاموس ٣: ٣٢٢): من الرجز ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه «غير أن المثل الذي أورده ابن رشيقي: «بلدة فيها زور (مفاعلن مستفعلن) قد بقي ثلثاه وذهب ثلثه فقط. (أنظر الصفحة التالية).

على شَطْرِ بَيْتٍ، نَحْوَ قول أبي النجم الراجز^(١):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهَّابِ الْمُجْزِلِ أعطى فلم يَنْخَلْ ولم يُخْلِ.
وأما المنهوكُ فهو ما بُنِيَ على ثَلْثِ بَيْتٍ وَنُهْكَ بِذَهَابِ ثَلَاثِيهِ، أي أضعِفَ.
وهذا مِثْلُ قول أبي نواس:

وَبَلَدَةٌ فِيهَا زَوْرٌ صَمْرَاءُ تَحْظِي فِي صَمَرِ.
وَأَنْشَدَ الرَّجَاجِيُّ وَزْنَاً مُشْطَرّاً مُحَيَّرَ الْفُصُولِ لَا أَشْكُ (في) أَنَّهُ مُؤَكَّدٌ مُحَدَّثٌ، وهو:

سقى طَلْلاً بِجَزَوَى	هَزِمُ الْوَدْقِ أَحْوَى
عَهْدَنَا فِيهِ أَرَوَى	زَمَاناً تَمَّ أَقْوَى
وَأَرَوَى لَا كَنُودُ	وَلَا فِيهَا صُدُودُ
لَهَا طَرْفٌ صَبُودُ	وَمُبْتَنِمٌ بَرُودُ.
لِئِنْ شَطَّ الْمَزَارُ	بِهَا وَنَأَتْ دِيَارُ
فَقَلْبِي مُسْتَطَارُ	وَلَيْسَ لَهُ قَرَارُ
سُتُنِيهَـمَا ذَمُولُ	جَلَنَفَقَـهُ ذَلُولُ
إِذَا عَرَضَتْ هَجُولُ	تُقَصِّرُ مَا يَطُولُ

وهذا وَزْنٌ مُلْتَبِسٌ بِجَوْزُ أَنْ يَكُونَ مَقْطُوعاً مِنْ مُرَبِّعٍ الْوَافِرِ^(٢)، ويجوز أن يكونَ
مِنَ الْمُضَارِعِ مَقْبُوضاً مَكْفُوفاً، ذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ^(٣) وَأَنْشَدَ لِبَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ:

(١) أبو النجم الراجز (ت ١٢٠ هـ = ٧٣٨ م). والبيت الذي أورده مثلاً على المشطور: الحمد لله الوهَّابِ المجزِلِ (مستفعلن مستفعلن مستفعلن). لم ينقص من تقاعيله شيء.

(٢) [تفعيل الوافر (في الأصل): مفاعلتن مفاعيلن فاع لاتن (مرتين) وتفعيل المضارع: مفاعيلن فاعلاتن (مرتين)]. فإذا جَزَأْنَا الْوَافِرَ فَأَصْبَحَ مفاعِلَتْنِ فَعُولُنَّ تَمَّ أَدْخَلْنَا الْقَبْضَ وَالْكَفَّ عَلَى الْمَضَارِعِ أَصْبَحَ مَرْبُوعُ الْوَافِرِ (مع الجواز): مفاعيلن فَعُولُنَّ، تَمَّ أَصْبَحَ الْمَضَارِعِ (بالقبض: حذف خامس التفعيل، إذا كان ساكناً) مع ما يمكن من الجوازات العديدة، أَصْبَحَ الْمَضَارِعُ حِينَئِذٍ: مفاعيلن فَعُولُنَّ (كَأَنَّهُ مَرْبِعُ الْوَافِرِ).

(٣) الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٨ هـ = ١٠٠٨ م) له كتاب «مروض الورقة» جيد بالغ (معجم الأدباء ٦: ١٥٥).

أشاقك طيفُ مامة، بكّة، أم حامة؟

«أشاقك» مفاعل، وحقّه في أصلِ الوزنِ مفاعيلن. وقد رأيتُ جماعةً يُرَكَّبُونَ المُخَمَّساتِ والمُسَمَّطاتِ ويُكثِّرون منها. ولم أرَ مُتَقَدِّماً حاذقاً صَنَعَ شيئاً منها، لأنها دالّةٌ على عَجْزِ الشاعرِ وقِلَّةِ قوافيه وضيقِ عَطَنه^(١). ما خلا امرأ القيسَ في القصيدة التي نُسِبتَ إليه، وما أَصَحَّحُها له. وبَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ^(٢) قد كان يَصْنَعُ المُخَمَّساتِ والمُزْدَوِجاتِ عَجْثاً واستهانةً بالشعر؛ وبَشَّرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ فقد أُنشِدَ الجاحظُ له مُزْدَوِجَةً^(٣). وصَنَعَ ابْنُ الْمُعْتَمِرِ قصيدةً في ذَمِّ الصَّبوحِ^(٤) وقصيدةً في سيرة المُعْتَصِدِ رَكِبَ فيها هذا الطريقَ، لما تَقْتَضِيهِ الألفاظُ المختلفةُ الضروريةُ ولِمُرَادَةِ التوسُّعِ في الكلامِ والتَمَلُّحِ بأنواعِ السَّجْعِ. وهذا الجِنْسُ مَوْقُوفٌ على ابنِ وكيعٍ^(٥) و(على) الأميرِ تميمِ بْنِ الْمُعَرِّ^(٦) و(على) مَنْ ناسبَ طَبْعُهَا من أَهْلِ الْفَرَاغِ وأصحابِ الرُّخْصِ^(٧). وقد يَقَعُ لِبَعْضِ الشُّعراءِ البِيتانِ والثلاثةُ لها قافيةٌ واحدةٌ يَجْمَلُونَهَا

-
- (١) فلان ضيقُ العطن (مبكك الجمل): ضيق الصدر.
- (٢) بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ (ت ١٦٧ هـ = ٧٨٢ م) رأسُ المحدثين وأوَّلُ من خرج بالشعر العربي من الخصائص القديمة إلى الخصائص العباسية (في المعاني وفي شكل القصيدة).
- (٣) المزدوجة قصيدة كلَّ بيتين منها برويٌّ مستقل. بشر بن المعتمر (ت ٢١٠ هـ) من رجال الاعتزال الذين يعتمدون تفسير العقائد الدينية بالعقل. والجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) أديب موسوعي كبير ومشارك في معظم فنون المعرفة ومصنّف مكثّر.
- (٤) عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٥ هـ). الصبوح: شرب الخمر في الصباح. ركب هذا الطريق (نظم المقطعات الشعرية المختلفة القوافي).
- (٥) ابن وكيع التنبسي (ت ٣٩٣ هـ = ١٠٠٣ م) شاعر ظريف وقف شعره على الوصف والغزل ومال إلى الجون فاتخذ مذهباً في الحياة، شعره الباقي مقطعات ومزدوجات ومربعات (المربعة: أرجوزة كل بيتين منها على رويٍّ واحد في الصدرين والمجزن).
- (٦) تميم بن المعرّ الفاطمي (٣٣٧ - ٣٧٤ هـ)، من فنونه الغزل عامة، وهو يذهب مذهب أبي نواس في الجون والزندقة. وله وصف للطبيعة على مثال أوصاف ابن المعتز.
- (٧) أهل الفراغ: الذين لديهم متنوع من الوقت وليس لديهم عمل جدي يملأون وقتهم به. الرخصة (في الحياة وفي الفقه): الشذوذ عن القاعدة العامة فيما لا يبلغ إلى أن يكون نقيضاً لها.

مُعَايَاةً فَيَتَلَقَّهَا الْعَرُوضِيُّونَ^(١) كَالْأَبْيَاتِ الَّتِي تُرَوَّى لِابْنِ دُرَيْدٍ^(٢) ، (انتهى قول ابن رشيقي) .

* يبدو تماماً ذكره ابن رشيقي ما يلي :

- في الشعر العربيَّ مَجَالٌ فَسِيحٌ لِلجَوَازَاتِ فِي تَفَاعِيلِ الشَّعْرِ وَفِي اخْتِصَارِهَا وَفِي تَنْوِيعِ الْقَوَافِي (فِي الرَّجَزِ الْجَاهِلِيِّ مَثَلًا) .

- نَظَّمَ الْعَرَبُ مِنْذُ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى أَجْمَرٍ خَارِجَةٍ عَنِ الْبُحُورِ الَّتِي اسْتَخْرَجَهَا الْخَلِيلُ ابْنُ أَحَدَ . وَرَبَّمَا نَوَّعُوا الْأَجْمَرَ فِي الْمَقْطُوعَةِ الْوَاحِدَةِ .

- وَكَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ عِبَتًا وَتَمَلُّحًا عَلَى سَبِيلِ التَّسْلِيَةِ لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ هَذَا التَّصَرُّفَ فِي النِّظْمِ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ كِبَارِ الشُّعْرَاءِ (وهذا مَا يُفَسِّرُ قِلَّةَ الْمَرْوِيِّ مِنْ هَذَا النَّوعِ مِنَ الشَّعْرِ) .

- وَالتَّسْمِيْطُ الَّذِي هُوَ قَرِيبٌ جَدًّا مِمَّا سُمِّيَ ، فِيمَا بَعْدُ ، بِالْمَوْشَحِ ، قَدِيمٌ جَدًّا فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ ؛ وَلَعَلَّهُ كَانَ مِنْذُ الْجَاهِلِيَّةِ .

- ذَكَرَ ابْنُ رَشِيْقِي أَنَّ هَذِهِ الْأَجْنَاسَ الْمُخْتَلِفَةَ مِنَ النَّظْمِ كَانَتْ فِي أَيَّامِهِ (فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ لِلْهِجْرَةِ وَالثَّانِي عَشَرَ لِلْمِيلَادِ) شَائِعَةً مَأْلُوفَةً .

نشأة الموشح وتعريفه

يُجْمَعُ مَوْرَخُو الْأَدَبِ عَلَى أَنَّ الْمَوْشَحَ فِي شَكْلِهِ الْخُصُوصِ وَخُصَائِصِهِ الْمَعْرُوفَةِ ، فَنٌ أُنْدَلِسِيٌّ . وَكَذَلِكَ يَكَادُونَ يَكُونُونَ مُجْمِعِينَ ، عِنْدَ تَعْرِيفِ الْمَوْشَحِ وَوَصْفِهِ عَلَى أَنَّ أَوْفَى مَا قِيلَ فِيهِ مَا قَالَهُ ابْنُ خُلْدُونِ (الْمَقْدَمَةُ ١١٣٧ - ١١٣٨) :

(١) الْمُعَايَاةُ : الْإِتْيَانُ بِالْأَمْثَلَةِ النَّادِرَةِ الَّتِي تَعْبَا (تَسْتَمْعِي ، تَصْعَبُ) عَلَى الْآخَرِينَ . يَتَلَقَّهَا (يَتَنَاوَلُهَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ) . الْمَرْوِضِيُّونَ : الْعُلَمَاءُ الْمُؤَلَّفُونَ فِي الْعَرُوضِ (بِفَتْحِ الْعَيْنِ) : قَوَاعِدُ نَظْمِ الشَّعْرِ ، (بِحَبِّ) هَؤُلَاءِ وَأَمْثَالُهُمْ أَنْ يَجْشَدُوا فِي كُتُبِهِمْ قَوَاعِدَ وَشَوَادَّ عَنْ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ تَمَّا لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ غَيْرُهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ .

(٢) ابْنُ دُرَيْدٍ الْبَصْرِيُّ (٢٢٣ - ٣٢١ هـ) مِنْ عُلَمَاءِ الْلُغَةِ وَنَقَّادِ الشَّعْرِ .

« وأما أهل الأندلس، فلما كثر الشعر في قُطْرِهِمْ وَتَهَدَّبَتْ مَنَاحِيهِ، وَبَلَغَ التَّنْمِيقُ فيه الغاية، اسْتَحْدَثَ المتأخرون منهم فنّاً منه سَمَّوهُ بالموشَح: يَنْظِمُونَهُ أَسْهَاطاً أَسْهَاطاً. وَأَغْصَاناً أَغْصَاناً، يُكْثِرُونَ منها ومن أَعَارِضِهَا الْمُخْتَلِفَةِ وَيُسَمُّونَ المُتَمَدِّدَ منها بيتاً واحداً^(١)، ويلتزمون ذلك عِنْدَ قَوَافِي تلك الأغصانِ وَأَوْزَانِهَا فيها بعدُ إلى آخرِ القطعة، وأكثرُ ما تَنْتَهِي عِنْدَهُمْ إلى سبعةِ أبياتٍ. ويشتملُ كُلُّ بيتٍ على أغصانٍ عِدْدها بِحَسَبِ الأَغْرَاسِ والمَذاهِبِ^(٢). وَيُنْسِبُونَ فيها ويمدحون كما يُفْعَلُ في القصائد. وَتَجَاوَزُوا في ذلك إلى الغايةِ واستظرفهُ النَّاسُ جُمْلَةً، الْخَاصَّةُ وَالْكَافَّةُ، لِسهولةِ تَنَاقُلِهِ وَقُرْبِ طَرِيقِهِ.... »

فالمَوْشَحُ^(٣)، إِذَنْ، أَو التَّوَشِيحُ فَنُّ أُنْدَلُسِيٍّ، وَهُوَ « كَلَامٌ مَنْظُومٌ عَلَى وَزْنٍ مَخْصُوصٍ ». أَمَّا المَوْشَحَاتُ فَهِيَ جَمْعُ مَوْشَحَةٍ. والمَوْشَحَةُ قِطْعَةٌ شِعْرِيَّةٌ طَوِيلَةٌ فِي الْأَغْلِبِ تَتَأَلَّفُ مِنْ مَقَاطِعَ تَتَرْتَّبُ فِيهَا الْأَشْطُرُ والقَوَافِي عَلَى نَسَقٍ مَخْصُوصٍ. فَإِذَا اخْتَارَ المَوْشَّاحُ نَسَقاً مَا فِي المَقْطَعِ الْأَوَّلِ مِنْ مَوْشَحَتِهِ، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَلْتَزِمَ ذَلِكَ النِّسَقَ بِعَيْنِهِ فِي سَائِرِ مَقَاطِعِ تلك المَوْشَحَةِ.

نظريات في نشأة الموشح

هنالك عددٌ من النظريات في نشأة الموشحات منها:

(أ) النظرية الأجنبية:

يقول بالنشأ^(٤): قال ريبيرا: إن أهل الأندلس كانوا يتعلمون العربية الفصيحة لغةً رسميةً في المدارس والدواوين (وفي الإنتاج الأدبي، طبعاً)، وأما في شؤونهم اليومية فكانوا يستعملون الأعجمية . ثم يقول: « وكان هذا الازدواج في اللغة هو الأصل في نشوء طرازٍ شعريٍّ مُخْتَلَطٍ، تَمْتَرِجُ فيه مؤثراتٌ غربيةٌ وشرقية. وقد

(١) (٢) راجع، تحت: نسق الموشحات، ٤٢٩

(٣) « والحسيني (بالضغفر): ضرب (نوع) من ضروب الشعر الحديثة، وهو المعروف بالموشح، يمانية . (تاج المروس ٩: ١٨٤ .

(٤) تاريخ الفكر الأندلسي ١٤١ - ١٤٢ .

ازدرى أهل الأدب الفصيح والمُعَيَّنُونَ بِأَمْرِهِ (أي بِأَمْرِ الأدبِ الفصيح) هذا الطِّرازُ الجديدُ، بينما مضى الناس جميعاً يتناقلون مُقَطَّعَاتِهِ سِرّاً بينهم. وذاع أمرُهُ داخلَ البيوتِ وفي أوساطِ العَوَامِّ. وما زال أمرُهُ يعظُمُ والإقبالُ عليه يشتدُّ حتَّى أصبحَ في يومٍ من الأيامِ نَوْناً من الأدبِ. وقد أخذَ هذا الطِّرازُ الجديدُ من الأدبِ الشعبيِّ صورتَيْنِ: إحداهما الرَّجُلُ والثَّانيةُ الموشَحَةُ.

هذه نظريةٌ ساذجةٌ لا شكَّ في أنَّ صاحبها قد وَضَعَهَا في مَطْلَعِ حَيَاتِهِ الفِكْريةِ (وأرجو أن يُعيد القارئُ تلاوةَ الأسطر الخمسة السابقة كي يُدْرِكَ أنَّ صاحبَ هذه النظريةِ - وإنَّ كان اسمه ريبيرا الإسبانيُّ - قد غَفَلَ عن عددٍ من العوامل التاريخية واللغوية والأدبية من تلك التي تعملُ في تطوُّر الحضارةِ وفي نُشوءِ الثقافات). - ولعلَّ الاستغراب يبلُغُ ذِرْوَتَهُ إذا قرأ جملة ريبيرا: «بينما مضى الناسُ جميعاً (كذا) يتناقلون مقطعاته (أي مقطعات الموشح) سِرّاً (كذا) بينهم. وذاع أمرُهُ داخل البيوت وفي أوساط العامة. لا شك في أنَّ ريبيرا قد كتب ذلك قبل أن يتحلَّى رأسه بشيء من الشعر الأبيض!

ومن المؤسف حقاً أن يكونَ في العربِ نفرٌ قد تمسكوا بهذه النظريةِ الساذجةِ البعيدةِ عن مدركِ الاتِّساقِ في قعاقبِ أحداثِ التاريخِ وعن المنطقيِّ في تعليلِ تلك الحوادثِ وعن الواقعِ المُشَاهِدِ: كيف يرى المتعلِّقون بهذه النظريةِ أنَّ نوعاً من الأدبِ بَلَغَ نَمَاهُ في القرنِ الرابعِ (العاشر للميلاد) - أو قبلَ ذلك - كما يقولون، على يد مُقَدِّمِ آيِنِ مُعَاوِيَةَ القُبَيْرِيِّ مِنْ شُعْرِهِ الأميرِ عبدِ اللهِ المُرَوَّاثِي (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ) قد أخذ من شعرٍ أو غنلٍ بلفظةٍ لم تكن قد نشأت بعد^(١)؟

لا أريدُ الجدالَ في هذا الوجه السلي من الموضوع لأنَّني سأوردُ الأوجُهَ الإيجابيةَ بالتفصيل.

(١) أنظر، تحت: «نشأة الآداب الرومانسية».

ومع أن نفرًا من هؤلاء المتعلقين بهذه النظرية كثيراً أو قليلاً هم ممن أعرفهم وأجلهم، فإنني لا أملك استغرائي من استمرارهم في موقفهم بعد أن صدر في النظرية العربية للشعر الأوروبي دراساتٌ علميةٌ مفصلةٌ باللغات الإنكليزية والألمانية والاسبانية والفرنسية. لا أريد أن أعتقد أنهم قرأوا هذه الدراسات. ولكن أليس غريباً مُستغرباً أن يقول الفرنسيون والإيطاليون والألمان والإسبان إنهم قد أخذوا شعرهم من أزجالنا وموشحاتنا ثم يأتي نفرٌ منا فيزعمون أن موشحاتنا وأزجالنا مأخوذةٌ منهم؟

لقد تبنى هذه النظرية الاجنبية نفرٌ من العرب، منهم في لبنان مؤلفو كتاب «الادب العربي في آثار أعلامه»^(١) فقالوا (٢: ٢٣٣): «وقد تأثر شعراء الأندلس بطرق مُنشي الشعر الاسباني الأصلي، فالوا إليها في شعرهم العربي ونظموا أبياتهم ومقاطعتهم موافقةً لأصول التلحين والغناء ...»

وكذلك نعل مصطفى عوض الكريم- ولكن مع شيء كثير من الإصرار- إذ بدأ بقوله (فن الموشح ١٠٧):

«إن كثيراً من الأسئلة الحائرة لا تجد جواباً شافياً إلا إذا قبلنا النظرية القائلة بأن الموشحات ما هي إلا تقليد لشعر غنائي عجمي، وهي النظرية التي جاء بها

(١) الأدب العربي في آثار أعلامه، نصوص منتخبة وفقاً لمنهاج البكالوريا اللبنانية لخليل تقي الدين وفؤاد أفرام البستاني وواصف بارودي (١٨٩٧ - ١٩٦٢ م)، الطبعة الكاثوليكية ١٩٣٥.
 واصدر بطرس البستاني (١٨٩٥ - ١٩٦٩ م) كتابه «أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث» (بيروت ١٩٣٧) فقال (ص ٨٠) «ولم يكن للأسبانيين موسيقى راقية قبل الفتح الإسلامي. فلما افتتحت الأندلس وانتشر الغناء العربي تدهبت موسيقاهم واصطبغت بالألوان عربية بيضاء: منها أنهم اتخذوا الشبابة من آلات الغناء: وهي عربية الأصل ولهم أناشيد يسمونها Segrel وهي مأخوذة من الزجل العربي... وعندهم ربع صوت وثلاث صوت. وأجزاء الأصوات عربية لا يستعملها في أوروبا غير الإسبانين. وقطاعهم الصوتية تجري على نم واحد كالتقاطع العربية. ومن الفاظهم ما يرجع فيه الغناء غير مرة، كما يرجع لفظ بال ليل في الغناء العربي». ثم يقول بعد صفحتين (ص ٨٢): «فاتفاق منظومات التروبادور والموشحات في أكثر النواحي يجعلنا على الاعتقاد أن العرب تأثروا بالأدب الأسباني الفرنسي (كذا) كما تأثر الأسبان والفرنسيون بالأدب العربي. فأخذ العرب فكرة التحرر من نظام الأوزان في أغانيهم وأخذ أولئك (يقصد الأسبان والأفريقيين) القافية والصورة الخيالية الجميلة».

المستشرقان الإسبانان خوليان ريبيرا ومنديث بيدال وحشدا لها من الأدلة ما يجعل رفضها ضرباً من المكابرة والتعنّت.

ثم يذهب مصطفى عوض الكريم مذهب التعنّت فيقول (ص ١٠٩):

«ولكن الأستاذ نيكل يزعم أن الطروبيين هم الذين تأثروا بالموشحات ويسوق الحجج والأدلة التي تثبت رأيه ويذكر أن الموشحات فن عربي بحت ترجع أصوله إلى الشعر التقليدي المشرقي وحده».

ويتابع عوض الكريم الكلام فيقول:

«ونحن أميل إلى الرأي القائل بأن الوشاحين الأوائل قد قلدوا شعراً غنائياً عجمياً كان موجوداً أمامهم سمعوه وامتلات نفوسهم بموسيقاه وألحانه فحاولوا النظم على نهجه فجاءت الموشحات».

ب) النظرية الفنية- قال ابن خلدون في مقدمته (ص ٥٨٣ / ١١٣٧): «وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قُطْرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنسيق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فناً منه سَمَوْهُ بالموشّح ينظمونه أسباطاً أسباطاً وأغصاناً أغصاناً يُكثرون من أعاريضها المختلفة ويسمّون المُتَعَدِّد منها بيتاً واحداً، ويلتزمون ذلك عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً في ما بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما تنتهي عندهم إلى سبعة أبيات. ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراس والمذاهب. وهم ينسبون فيها ويمدحون كما يُفعل في القصائد. وتجاروا في ذلك إلى الغاية، واستظرفه الناس جُمْلَةً، الخاصة والكافة، لسهولة تناوله وقرب طريقته».

ج) نظرية تطور الأنواع الأدبية- قال ابن رشيق (العمدة ١: ١٤٩ وما بعدها):

«ومن الشعر جنسٌ كله مصرّع^(١)، إلا أنه مختلف الأنواع. فمن ذلك الشعر

(١) التصريح أن يكون صدر البيت وعجزه مقفين، كقطاع معظم القصائد.

المُسَمِّطُ، وهو أن يبتدئ الشاعر ببَيْتٍ مَصْرَعٍ ثم يأتي بأربعة أقسامٍ على غير قافيته، ثم يعيد قسماً^(١) واحداً من جنس ما ابتدأ به. وهكذا إلى آخر القصيدة... والقافية التي تتكرر في التسميط تسمى عمود القصيدة. واشتقاق (المسقط) من السِط، وهو أن تَجْمَعَ عدَّة سُلُوكٍ^(٢) في ياقوتة أو خَزَزَةٍ ما؛ ثم تَنْظِمَ كُلَّ سِلَكٍ على حِدَتِهِ باللؤلؤ يسيراً، ثم تَجْمَعَ السلوك كلها في زبرجدة واحدة أو شبهها. ثم تَنْظِمَ كل سلك على حدته وتصنع به كما صنعت أولاً إلى أن يَتِمَّ السِطُّ. وهذا هو المتعارف عند أهل الوقت^(٣). «والمسمطات جاءت في أوزان كثيرة مختلفة».

هذا الشعر المسمط قديم في الأدب العربي: كان معروفاً منذ الجاهلية، ويقال إن امرأ القيس نفسه نظم شيئاً منه^(٤).

د النظرية الموسيقية - قال ابن سناء الملك في كتابه دار الطراز (ص ٣٥ -

(٣٩):

«ومن الموشحات ما لا مدخلَ لشيءٍ منه في أوزان العرب^(٥)، وهو الكثير والجَمُّ الغفير والعدد الذي لا ينحصر. وأكثرها مَبْنِيٌّ على تَأْلِيفِ الأَرْغَنِ^(٦). ومن الموشحات قِسْمٌ أَقْفَالُهُ مَخَالِفَةٌ لأوزان أبياته مَخَالِفَةٌ تَامَّةٌ. وهذا القسم لا يَجْسُرُ على عمله إلا الراسخون في العلم من أهل هذه الصنعة. فأما من كان طَفِيلِيًّا على هذه المائدة فإنه إذا سَمِعَ هذا المَوْشَحَ ورأى مَبَايِنَةَ أوزانِ أَقْفَالِهِ لأوزانِ أبياته ظَنَّ أن ذلك جائزٌ في كل مَوْشَحٍ^(٧)، فَعَمِلَ ما لا يَجُوزُ عَمَلُهُ وما لا يُمَثِّبُهُ التَّلْحِينُ له وتَظَهَّرَ فُضِيحَتُهُ في وقتٍ غِنائِهِ، فَإِنَّ المَغْنَى بَعْضُ الآلَاتِ يَحْتَاجُ إلى أن يَغْيَرَ شَدَّ الأوتار عند خُرُوجِهِ

(١) القسم: الشطر (جمعا قسمة).

(٢) السلك هو الخيط الذي تسلك (تجمع) فيه اللؤلؤ والخمرز.

(٣) هذا يدل على أن التوشيح كان قد أصبح شائعا جداً في أيام ابن رشيق (ت ٤٦٣ هـ).

(٤) راجع المدة: ١: ١٥٠ - ١٦٠.

(٥) أوزان الشعر العربي.

(٦) الأَرغَن أو الأَرغُول (الأرغل): مزار ذو قصبين مُتَقَبَّتين إحداهما أطول من الأخرى (المعجم

الوسيط ١٤).

(٧) يسمي ابن سناء الملك وغيره من المتأخرين الموشحة «موشحاً» أيضاً.

من القفل إلى البيت ومن البيت إلى القفل . . فالموشحات إذن نشأت من حاجة المغنين إلى كلام يسايرون به الألحان . إن المشاركة كانوا إذا أعجبوا بشعرٍ دفعوه إلى مَغْنٍ يَسْكُبُ عليه لحناً موافقاً . وبما أن محور الشعر العربي المختارة محدودة ، فإن الألحان التي كانت تُسْكَبُ على المقطعات العربية ظلت أيضاً محدودة . أما الأندلسيون فكانوا يُلقون آذانهم إلى الألحان ثم يؤلفون عليها الكلمات . وبما أن الألحان التي يُمكنُ استخراجها غير متناهية نظرياً وعملياً ، فإن أوزان الموشحات التي نظمت كانت كثيرة الاختلاف عدّ منها مارتن هارتمان مائة وستة وأربعين مزيجاً سمى كل مزيج منها مجراً^(١) .

والتوشيحُ الصحيحُ فنٌ صعبٌ ، فإن على الوشّاح أن يكون موسيقياً قبل أن يكون شاعراً ، والعرفُ على الآلة الموسيقية هو الميزانُ الصحيحُ لبراعة الوشّاح . وقد شرح ابن سناء الملك ذلك ثم ضرب عليه مثلاً وقال : « وأكثرها مبنًى على تأليف الأرغن . والفناء بها على غير الأرغن مُستعارٌ وعلى سواه مجازٌ » . ومن الموشحات قسمٌ يستقلُّ به التلحينُ ولا يفتقر إلى ما يُعينه عليه وهو أكثرها ، وقسمٌ لا يحتمله التلحينُ ولا يُمشي به إلا بأن يتوكأ على لفظةٍ لا معنى لها تكون دُعامةً للتلحينِ وعُكازاً للمُغَنّي ، كقول ابن بقي :

من طالب ثار قتلي طبيبات الحُدُوجُ فتآنات الحُجُجِ ،

فإن التلحين لا يستقيم (في هذه الموشحة) إلا بأن يقول (المغني) « لا لا » بين الجزعين الجيمين من هذا القفل .

فن الموشح :

قال ابن بسام الشنتريني في الموشح كلمة جامعة هي (الذخيرة ١ : ٤٦٨ - ٤٧٠) :

« وكان أبو بكر (عبادة بن ماء السماء المتوفى نحو سنة ٤٢٢ هـ) في ذلك

العصر شيخ الصنّاعة وإمام الجماعة : سلك إلى الشعر مسلكاً سهلاً ، فقالت له غرائبه :

مرحباً وأهلاً. وكانت صنعة التوشيح التي نَجَّح أهل الأندلس طريقتها ووضعوا حقيقتها غير مرموقة البرود ولا منظومة العقود^(١). فأقام عبادة هذا مينادها وقومَ مِثلها وسينادها^(٢). فكأنها لم تسمع بالأندلس إلا منه ولا أخذت إلا عنه. واشتهر بها اشتهاراً غلب على ذاته وذهب بكثير من حسناته^(٣).

«وَهِيَ أَوْزَانٌ كَثُرَ اسْتِمَالُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ لَهَا فِي الْغَزَلِ وَالنَّسِيبِ، تُشَقُّ عَلَى سَمَاعِهَا مَصُونَاتُ الْجُبُوبِ، بِلِ الْقُلُوبِ»^(٤). وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقتنا^(٥) واخترع طريقتها- فيما بلغني- محمد بن محمود القبري الضري^(٦). وكان يصنمها على أنظار الأشعار^(٧). غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة^(٨): يأخذ اللفظ العامي والعجمي^(٩) ويُسميه المركز^(١٠) (ثم يضع عليه

(١) مرقومة (مرئية) البرود (الأثواب من الحرير): غير منوعة. ولا منظومة العقود (مرتبة): ليس لها قواعد.

(٢) المناد: المتشهي الموج. الميل: الانحراف عن الطريق القويم. السناد: اختلاف في القافية سيف (بفتح السين) وريف (بكسر السين).

(٣) ذهب بكثير من حسناته: برع أبو بكر عبادة في أكثر وجوه التوشيح.

(٤) الجيب (بفتح الجيم): مدخل الرأس من الثوب. شق الجيب كتابة عن الحزن الشديد أو الفرح الشديد.

(٥) أفقتنا: صفقنا، منطقتنا، بلادنا (الأندلس).

(٦) قبرة: بلدة في الأندلس. ومحمد محمود القبري الضري ينسب إليه ابن بسام نظم موشحات. وفي جذوة

المقتبس (ص ٨٦) وبغية الملتبس (ص ١٢١-١٢٢) أنه «أديب شاعر» - وذلك رواية عن ابن حزم

الاندلسي- ولم يذكر هناك انه نظم موشحات. وفي مقدمة ابن خلدون (ص ١١٣٨/٥٨٤) ينسب

اختراع الموشحات الى مقدم بن معافي القبري (وفي النسختين معافر القبري أو الفبريري- وذلك

خطأ) ثم في جذوة المقتبس (ص ٣٣٣) وبغية الملتبس (ص ٤٦٠): «مقدم بن معافي القبري شاعر

معروف في أيام عبد الرحمن الناصر» (٣٠٠-٣٥٠هـ). وفي نفع الطيب (٣: ٥٣٨): «..... قال

المقدم بن المعافي (بتسريف الاسمين) في رثاء سعيد بن جودي.....» (ثلاثة أبيات). ثم (٦: ٧): «.....

مقدم بن معافي (بالتنكير)....» (مقطع منقول من مقدمة ابن خلدون).

(٧) قل أن يبني الموشح على البيت الكامل (على شطرين) والمألوف أن يبني على أشطر مختلفة القوافي (والأوزان أحياناً).

(٨) الأوزان التي لم يألف العرب استعمالها (مع أنها جارية على موسيقى الشعر).

(٩) العجمي (هنا) لغة نصارى الأندلس (لاتينية مشوّهة).

(١٠) المركز: القفل أو القفلة (من حيث تعود القافية إلى المطلق).

الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان^(١). وقيل إن ابن عبد ربّه صاحب كتاب «العقد»^(٢) أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات عندنا. ثم نشأ يوسف بن هرون الرّمادي^(٣) فكان أول من أكثر فيها التضمين في المراكز^(٤): يضمن كل مركز يقف عليه في المركز خاصة. فاستمرّ على ذلك شعراء عصرنا كمكرم بن سعيد وابنّي أبي الحسن^(٥). ثم نشأ عبادة هذا فأحدث التّصغير، وذلك أنّه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان فيضمنها، كما اعتمد الرّمادي مواضع الوقف في المراكز.

«وأوزان هذه الموشحات خارجة عن غرض هذا الديوان»^(٦) إذ أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب^(٧).

نسق الموشحات

للموشحات نسقان رئيسان: النسق المُوْتَلَف والنسق المُخْتَلَف- والنسق المُوْتَلَف يكون عادةً في الموشحات التي على الأبحر المألوفة، من الرّمل في الأغلب. ويكون للموشح على النسق المُوْتَلَف مطلع ثم تليه الأبيات. ويكون كل بيت من أساطير وقفل (أو قفلة). ويحسن أن تُشير إلى ثلاث دَرَجات من الموشحات المُوْتَلَفَة: الموشحة المفردة (البسيطة) والموشحة المثناة (المزدوجة) والموشحة المركبة (المتعددة). ومثال الموشحة المفردة الموشحة المنسوبة إلى أبي بكر بن زهر.

المطلع: أيها الساقى، إليك المشتكى؛ قد دعّوناك وإن لم تسمع!

(١) أشطر مختلفة.

(٢) راجع، فوق، ص ٤٣٩.

(٣) راجع فوق، ص ٤٣٩.

(٤) المراكز (كذا في الأصل): المراكز.

(٥) مكرم بن سعيد وابنا أبي الحسن (٢).

(٦) هذا الديوان: هذا الكتاب (الدخيرة). إن علماء الشعر الأندلسيين لم ينظروا إلى الموشح نظر المجد فلا

نجد مختارات منه في العقد (مع أنّه يقال إن ابن عبد ربّه من السابقين إلى هذا الفن)، الخ.

(٧) الصحيح أن الأوزان التي بني عليها الموشح عربية (لها موسيقى الفناء العربي)، ولكنها لم تكن مألوفة

لأسباب خارجة عن نطاق هذه الحاشية.

ونديم همت في غرته
وبشرب الراح من راحته .
كلما استيقظ من سكرته

جَذَبَ الرِّقُّ إِلَيْهِ وَاتَّكَا وَسَقَانِي أَرْبَعًا فِي أَرْبَعِ .

فالطلع في الموشحة المفردة يتركب من سِطَطين لكل سِطَطٍ منها قافيةٌ مستقلة . أما البيتُ فيتركب من خمسة أساطير : ثلاثة أساطير على رَوِيٍّ واحدٍ ثم سِطَطين قافيةٌ كل سِطَطٍ منها على رَوِيٍّ السِطَطِ المقابلِ له في المطلع . وجميع الأبيات في الموشحة تُجَرِّي في البحر والترتيب والتقفية هذا المجرى .

أما الموشحةُ المثناة فتكونُ الأساطيرُ في مَطْلَعِها أربعةً ، أي مُضاعفة . ويُبنى صدرًا المَطْلَعِ على رَوِيٍّ وعَجْزاه على رَوِيٍّ آخَرَ . وكذلك يكونُ البيتُ في الموشحة المثناة مضاعفًا (ستة أساطير بِرَوِيٍّ لصدورها ورَوِيٍّ آخَرَ لِعجازها ، ثم أربعة أساطير في القفلة تُقَابِلُ بقوافيها قوافي المطلع) . - مثال ذلك موشحة إبراهيم بن سهل :

هل دَرَى ظَنِّيُ الحِمَى أن قد حَمَى	قَلْبًا صَبَّ حَلَهُ عن مَكْنَسٍ ؟
فَهُوَ فِي حَرٍّ وَخَفَقَى مِثْلًا	لَعَيَسَتْ رِيحَ الصَّبَا بِالقَبَسِ
يا بُدُورًا أَشْرَقَتْ يَوْمَ النَّوَى	غُرَّرًا تَلُكُ فِي نَهَجِ الفَرَزِ ،
ما لِنَفْسِي فِي الهَوَى ذَنْبٌ سِوَى	مِنْكُمْ الحُسْنَى وَمِنْ عَيْنِي النُّظَرِ .
أُجْتَنِي اللِّذَاتِ مَكْلُومَ المَجْوى .	والتِدَانِي من حَبِيبِي بالفِكْرِ .
كَلَّمَا أَشْكُوهُ شَوْفِي بَسَا	كَالرُّبَى بِالْمَارِضِ المُنْبَجِسِ ؛
إِذْ يُقِيمُ القَطْرُ فِيهَا مَأْمَا	وَهِيَ من بَهْجَتِهَا فِي عُرْسِ .

وأما الموشحةُ المتعددة فهي التي يكون المَطْلَعُ فيها مُركَّبًا من ستة أساطير مجزوءة (لأنها لو جاءت تامة لَطال النَّسَقُ فيها فتفقد رَوْعة النِّعَمِ) ، ويكون البيتُ فيها بالتالي ثلاثة أضعافِ البيتِ في الموشحة المفردة . فاعتبر موشحة ابن زهير التالية :

ما لِلْمَوَلَّةِ من سُكْرِهِ لَا يُفِيقُ يَا لَهُ سَكَرَانِ
من غير خيرٍ ما للكثيرِ الشَّقْوَ يندُبُ الأوطانَ.

* * *

هل تُستَعَاذُ أَيَامُنَا فِي الْخَلِيجِ وَلِيَالِينَا؟
أَوْ يُسْتَفَاذُ مِنَ النِّسَمِ الأَرِيحِ مِسْكُ دَارِينَا؟
وَإِذْ يَكَادُ حُسْنُ الْمَكَانِ الْبَهِيحِ أَنْ يُعَيِّنَا.
نَهْرٌ أَظْلَهُ دَوَّحٌ عَلَيْهِ أُنَيْقُ مُورِقُ قَيْنَانِ
وَالْمَلِكُ يَجْرِي وَعَاثٌ وَغَرِيقُ مِنْ جَنَى الرَّيْحَانِ.

ثم هنالك الموشحات ذوات النسخ المختلفة، وهي موشحات لم يتبع الوشاحون فيها قاعدة ما، بل كان كلُّ وشاح يختار من ترتيب الأشرطة ومن ترتيب القوافي ما كان يروق له أو يتفق له. من أجل ذلك قل أن تجد موشحتين على نسخ مختلف واحد، وخصوصاً إذا كان الوشاح قد تصرف في الأوزان فأتى ببحور الشعر مجزوءة على أقدار متفاوتة أو إذا خرج في موشحته عن أوزان العرب جملة. وهذا ما حمل ابن سلك الملك على أن يقول^(١):

«والقسم الثاني من الموشحات هو ما لا مدخل لشيء منه في أوزان العرب. وهذا القسم منها (من الموشحات) هو الكثير والجَمُّ الغفير، والمدد الذي لا ينحصر، والشارد الذي لا ينضبط. وكنت أردت أن أقيم لها عروضاً يكون دقراً لحسابها، وميزاناً لأوتادها وأسبابها^(٢)، فمرَّ ذلك وأغورَ لخروجها عن الحصر وانفلاتها من الكف. وما لها عروض^(٣) إلا التلحين، ولا ضرب إلا الضرب^(٤)، ولا أوتاد إلا

(١) دار الطراز.

(٢) الوند في العروض (نظم الشعر) مقطع مؤلف من ثلاثة أحرف أحدها ساكن في وسط المقطع (نحو: فيل، بحر) أو في آخره، نحو: على، فقط). والسبب مقطع من حرفين متحركين (نحو: فم، يد) أو متحرك وساكن (نحو: قد، لم، ما).

(٣) العروض (نظم الشعر): مقياس، ميزان.

(٤) ضرب (الأولى): نوع، جنس. ضرب (الثانية) حرف، نقر على الآلة الموسيقية.

الملاوي^(١)، ولا أسباب إلا الأوتار^(٢). فهذا العروض يُعرَفُ الموزونُ من المكسور،
والسالمُ من المَزْحُوفِ^(٣)».

فَمِنْ أُمَثِلَةِ النَّسَقِ الْمُخْتَلَفِ مَوْشَحَةٌ أَبِي بَكْرٍ الْأَبْيَضِ الْوَشَّاحِ (قَارِنِ الْأَوْزَانَ
وَالْعَوَافِي فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ بِمَا يُقَابِلُهَا فِي الْبَيْتِ الثَّانِي):

البيت الأول	البيت الثاني
مَا لَدَّ لِي شُرْبٌ رَاحَ	مِمَّا أَبَادَ الْقُلُوبَا
عَلَى بِسَاطِ الْأَقَاحِي،	يَمْشِي لَنَا مُسْتَرِيَا.
لَوْلَا هَضِيمُ الْوِشَّاحِ	يَا لَحَظَّهُ، رُدُّ نُوبَا.
إِذَا أَسَا فِي الصَّبَاحِ؛	وَيَا لِمَاءُ الشَّيْبَا،
أَوْ فِي الْأَصِيلِ	بَرْدٌ غَلِيلٌ
أَضْحَى يَقُولُ:	صَبَّ عَلِيلٌ
مَا لِلشَّمُولِ؟	لَا يَسْتَحِيلُ
لَطَمْتُ خَدَيَّ!	فِيهِ عَن عَهْدِي.
وَاللَّشَّانِ؟	وَلَا يَزَالُ
هَبَّتْ فَمَالُ	فِي كُلِّ حَالُ
غُضْنُ اعْتِدَالُ	يَرْجُو الْوِصَالُ
ضَمَّهُ بُرْدِي!	وَهُوَ فِي الصَّدِّ.

(١) الأوتاد جمع وتد (انظر الحاشية ٢، ص ٤٣١). الملاوي (جمع ملوي بكسر الميم): قطع من الخشب لربط الأوتار (المعجم الوسيط ٨٥٥) - لعلها المفاتيح التي تضبط بها أوتار العود يشدها على مقادير معينة.

(٢) الأسباب (راجع الحاشية ٢، ص ٤٣١). الأوتار (أوتار الآلة الموسيقية)، أي قواعد شدها.

(٣) فهذه العروض (بهذا الميزان الشعري). المكسور (الشعر الخارج عن الوزن الصحيح). المَزْحُوفُ: التفعيل الذي دخله الزحاف (بكسر الزاي): تغيير يلحق الحرف الثاني في السبب (المعجم الوسيط ٣٩١)، أي الاضطرار إلى تحريكه (إذا كان ساكناً) أو تسكينه (إذا كان متحركاً).

أجزاء الموشحة وأسمائها

للموشحة من النَّسَبِ المؤتلفِ أجزاءٌ مُتَحَيِّزَةٌ أُطْلِقَ عليها عددٌ من الأسماء. ومع أن هذه الأسماء تختلف بين كتاب وكتاب، فسأشير إلى أشهرها فيما يلي (بالإشارة إلى الموشحة المشهورة لابن زُهَيْرٍ):

(١) أَيْهَا السَّاقِي إِلَيْكَ الْمُشْكِي قَدْ دَعَوْنَاكَ وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ

(٢) وَنَدِيمِ هِمْتُ فِي غُرَّتِهِ

(٣) وَيَشْرِبُ الرَّاحِ مِنْ رَاحَتِهِ

(٤) كُلَّمَا أَسْتَيْقِظُ مِنْ سَكْرَتِهِ

(٥) جَذَبَ الرِّقَّ إِلَيْهِ وَأَتَكَ وَسَقَانِي أَرْبَعًا فِي أَرْبَعِ

تبدأ الموشحة المؤتلفة بمطلع أو مذهب (رقم ١) مستقل، وهو الذي تُبنى عليه الموشحة فيما يتعلق بالوزن وبعده الأَشْطَرُ وبالأعاريض (جمع عَرُوض: الكَلِمَةُ التي ينتهي بها كلُّ شطر، أي القافية). ويحسن أن يكون اسم كلِّ شطر في المطلع «غَرَسًا».

ثم تأتي الأساط (رقم ٢، ٣، ٤) ومعها القفل أو القفلة أو اللازمة (رقم ٥). وجميع هذه الأَشْطَرِ (رقم ٢، ٣، ٤، ٥) تسمى «بَيْتًا». أما الأساطُ وَحْدَهَا (رقم ٢، ٣، ٤) فتسمى «الدَّوْر» (لأن قوافيها تدور فتأتي في كلِّ بيتٍ مُختلفةً عَمَّا مَرَّ في الأبيات السابقة). وأما كلُّ شطرٍ في القفل فيحسُّ أن نحفظ له اسم «غُصْنٍ» (لأنه يتفرع من الغرس الذي في المطلع). والقفل أو القفلة غايتهما قفل البيت، أي ختمه. وقد يُسمَّيان «اللازمة» لأنها «تلزَّم» البيت، أي تصحبه بلا شذوذ ثم تكون قافيتها كافيتي المطلع. وأما القفل في البيت الأخير من الموشحة فيسمى المخرجة، لأنَّ الوشاح يخرجُ بها من النظم (أي ينتهي من النظم)، فهي علامة انتهاء الموشحة.

أعاريض الموشحة

الأعاريض جمع عَرُوضٍ (بفتح العين - وهي مؤنثة): اسمٌ للجزء الأخير من النصف الأول من بيت الشعر (القاموس ٢ : ٣٣٤) في القصيد، أو هي الكلمة الأخيرة في كل شطر من أشطر الموشحة (أي القافية).

وللأعاريض في الموشحة المؤتلفة (سواء أكانت مفردة المطلع أو مزدوجة المطلع أو متعددة المطلع) قواعد ثابتة لتوالي القوافي: ففي المطلع للموشحة المفردة (راجع موشحة ابن زهر، ص ٤٢٩ - ٤٣٠) وللموشحة المزدوجة (راجع موشحة ابن سهل الإشبيلي، ص ٤٣٠) قافيتان مختلفتان. أما الموشحة ذات المطلع المتعدد (راجع موشحة ابن زهر، ص ٤٣١) ففي مطلعها في العادة ثلاث قوافٍ مختلفات.

وللأسباط في الموشحة المفردة قافية واحدة مستقلة. أما الأسباط في الموشحة المزدوجة فيكون لها قافيتان مستقلتان: قافية للأسباط اليمنى (صُدور الأسباط) وقافية أخرى للأسباط اليسرى (أعجاز الأسباط).

وأما في الأفعال (وفي الخرجة) فإن القوافي تتبع في تنوعها وفي ترتيبها قوافي المطلع.

وربما تملح الوشاحون المتأخرون بإدخال ألفاظٍ أو جملٍ من العامية أو الأعجمية (لغة النصارى الإسبان) في خرجة الموشحة.

الخرجة خاصة

الخرجة أو القفل هي الأشطر الأخيرة في الموشحة، وتكون في العادة باللغة الفصحى. غير أن نقرأ من الوشاحين المتأخرين عن نشأة التوشيح قد مالوا إلى التملح بإدخال كلمة من العامية في الخرجة أو أكثر من كلمة أو إلى أن يجعلوا بعض الخرجة أو الخرجة كلها باللغة العامية. وربما جعلوا هذه الألفاظ أو الأشطر باللغة الأعجمية (لغة نصارى الأندلس، وهي لهجة رومانسية مزيج من اللاتينية العامية ومن بقايا محلية).

يَبْدُ أَنْ هَذَا التَّمْلُحُ لَيْسَ جَدِيداً مَقْصُوراً عَلَى الْوِشَاحِينَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ ، فَلَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى ذَلِكَ الشُّعْرَاءُ الْمُحَدِّثُونَ فِي مَطْلَعِ دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، فَقَدْ رَأَيْنَا الْعَبَّاسَ بْنَ الْأَحْنَفِ (ت ١٩٨ هـ = ٨١٤ م) يَقُولُ فِي طِفْلةٍ صَغِيرَةٍ:

تُنَادِي كُلُّهَا رِيْعَتٌ مِنْ الْعِرَّةِ: يَا (بَابَا)!

وَيَبْدُو أَنَّ أَبَا نَوَاسٍ (ت ١٩٩ هـ) قَدْ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا التَّمْلُحِ فَجَاءَ بِهِ أَحْيَاناً شَطِراً كَامِلاً مِنَ الْأَلْفَاظِ الْفَارْسِيَةِ فِي الْوِزْنِ الْعَرَبِيِّ ، كَقَوْلِهِ:

يَا غَاسِلَ (الطَّرْجَهَارِ) لِلخَنْدَرِيسِ الْعُقُورِ (١)،

يَا نَرْجِسِي وَهَارِي (بَدَهْ مَرَا، يَكْ بَارِي) (٢).

وظَهَرَ هَذَا التَّمْلُحُ فِي الشُّعْرِ، (وَفِي النَّثْرِ أَيْضاً) فَمَا بَعْدَ ، قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ (ت ٢٨٣ هـ = ٨٩٦ م):

أَعْجَمِي (آيِنُنْـه) عَرَبِيٌّ مَجْدُهُ يَنْتَمِي إِلَى عَدْنَانَ (٣).

وَلَكِنْ هَذَا التَّمْلُحُ كَانَ مِنْ بَابِ الْهَزْلِ لَا مِنْ بَابِ الْجِدِّ. قَالَ الْمُتَنَبِّي (ت ٣٥٤ هـ = ٩٦٥ م):

وَكَلِمَةٍ فِي طَرِيقِي خِفْتُ أَغْرِبُهَا فَيُهْتَدَى لِي ، فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى اللَّحَنِ (٤)!

وَلَا نَعْلَمُ مَتَى بَدَأَ هَذَا الْمَزَاحُ (اسْتِعْمَالُ غَيْرِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْفَصِيحَةِ فِي خُرُجَاتِ

(١) الطَّرْجَهَارَةُ (بِفَتْحِ فَسْكَوْنِ فَتْحٍ): إِنَاءٌ يَشْبِهُ الْكَأْسَ. الْخَنْدَرِيسُ (الْحُمْرُ الْقَدِيمَةُ) الْعَقَارُ (الْجَيِّدَةُ). - أَبَاهَا الرَّجُلُ الَّذِي تَقْلُ الْكَأْسُ جَيِّدًا لِيَزُولَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ آخَرَ (حَتَّى نَصَبِجَ خَلِيقَةً بَأَن نَصَبَ فِيهَا تِلْكَ الْحُمْرَ)...

(٢) الْبَهَارُ: زَهْرٌ (أَصْفَرٌ) يَنْبُتُ فِي أَوَائِلِ الرَّبِيعِ. بَدَهْ مَرَا (أَعْطَنِيهَا ، اسْقِنِي فِيهَا) بِكَ: وَاحِدٌ. بَارَهْ: نَوْبَةٌ، مَرَّةٌ. قِطْعَةٌ. يَكْ بَارِي (مَرَّةً وَاحِدَةً).

(٣) آيِنٌ: حَضَارَةٌ، سُلُوكٌ، أَسْلُوبٌ (حَيَاةٌ)، شَرِيعَةٌ، قَانُونٌ. عَدْنَانَ: جَدُّ عَرَبِ الشَّامِ.

(٤) اللَّحْنُ: تَرْكُ الْأَعْرَابِ (الْكَلَامَ بِالْعَامِيَّةِ لَا بِالْفَصْحَى) - هُمْ قَوْمٌ لَا يَحْسِنُونَ الْكَلَامَ بِالْفَصْحَى ، أَرَدَتْ أَنْ أَجَارِيَهُمْ فَلَمْ أَسْتَطِعْ لِأَنِّي مُطْبُوعٌ عَلَى الْكَلَامِ بِالْعَرَبِيَّةِ الْفَصِيحَةِ.

(الموشح). إِنَّ الطَّبَقَاتِ الأولى من الوشاحين- من الذين قيل إنهم نظموا في القرن الرابع للهجرة أو من الذين نظموا في القرن الخامس- لم تصل إلينا موشحاتهم أو لم يصل إلينا إلا عددٌ يسيرٌ من موشحاتهم. ومن مراجعة كتاب « جيش التوشيح »^(١) نجدُ خُرَجاتٍ عاميةً في الأكثر وأعجميةً في الأقل لشعراء أولهم ابن اللبانة (ت ٥٠٧ هـ = ١١١٣ م) وآخرهم ابن زهير الحفيد (ت ٥٩٥ هـ = ١١٩٩ م).

واللحنُ العاميُّ أو الأعجمي يكونُ كلمةً أو أكثرَ من كلمةٍ، ويكونُ شطراً من الخُرْجة أو يكونُ الخُرْجةَ بتمامها. ففي خُرْجة لابن بقي^(٢) (ت ٥٤٠ هـ)^(٣):

قد بَلِينَا وابْتَلِينَا. (واش) يقولُ الناسُ فينا؟^(٣)
قُمْ بنا، يا نورَ عَيْني، نَجْعَلِ الشكَّ يَقِينَا!

ولابن اللبانة (ت ٥٠٧ هـ) خُرْجةٌ عاميةٌ التركيب (جيش التوشيح، ص ٦٩):

الله زانك يا لاسمرَ زين كل عكر قد خرجت، يا شاطر في الحرب ظافر .
والخُرْجةُ حينما تكونُ بغيرِ اللغة العربية الفصيحة يُفَرَّضُ فيها أن تكونَ مُبْتَذَلَةً وفيها إسفافٌ أيضاً كقول أبي القاسم المُنْشِي- وقد كان يقودُ الأعمى التُّطيلي المتوفى نحو ٥٣٠ هـ (جيش التوشيح، ص ١١٢):

قل لي قبل نقتلك: سروالك آش حَلَو؟ الخليل الجديد أَمَا كان القديم حَلَو ؟
وإذا كانتِ الخُرْجةُ أعجميةً فإنها تكونُ على وزنِ المَوْشَحَةِ التي ترد فيها تلك الخُرْجة، كما تكون في العادة أيضاً في المعنى السَّفَاف واللفظ المُبْتَذَل.

ومن الخُرَجاتِ الأعجميةِ واحدةٌ لأبي بكرٍ بن رُحيم (وقد كان حياً سنة ٥١٥ هـ)- ولا أهُتدي لوجه المعنى فيها (جيش التوشيح، ص ١٧٩):

لمرني أو كـدش ديبب حسب سم بغا درد مسيد.

(١)

(٢)

(٣) واش (وأي شيء؟)

فَمِنْ أَيْنَ جَاءَتْ الخُرْجَاتُ الأعجميةُ إلى الموشحاتِ الفصيحة؟

لا يَحْسُنُ أَنْ نَعَالِجَ الخُرْجَاتِ الأعجميةَ في مَعزِلٍ عن الخُرْجَاتِ العاميةِ، فَإِنَّهَا كُلُّهَا تَرْجِعُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ «تَطَرُّفٍ» الْوَشَاحِ وَمِنْ مَيْلِ طَبَقَةٍ مِنَ النَّاسِ إِلَى «اسْتَظْرَافٍ» السُّخْفِ فِي مَوَاقِفِ الْجِدِّ!

وَفِي مَقْدَمَةِ نَاشِرِ كِتَابِ «جَيْشِ التَّوْشِيحِ» هَلَالِ نَاجِي مَنَاقِشَةٍ سَلِيمَةٍ صَحِيحَةٍ لِهَذِهِ الخُرْجَاتِ وَلِمَصْدَرِهَا، أَوْجَزُهَا فِيمَا يَلِي:

ذَهَبَ خَوْلِيَانُ رِييِرَا وَمِينَنْدِيْتُ بِيْدَالُ وَغَيْرُيْهِ غُومِيْثُ مِنَ الْإِسْبَانِ ثُمَّ تَابَعَهُمْ فِي رَأْيِهِمْ نَقَرُّ مِنَ الْعَرَبِ كَالدَّكْتُورِ مَصْطَفَى عَوَضِ الْكَرِيمِ مُؤَلِّفِ كِتَابِ «فَنِ التَّوْشِيحِ» إِلَى أَنَّ الخُرْجَاتِ الأعجميةَ «تُمَثِّلُ الشِّعْرَ الْغَنَائِيَّ الرَّومَانِيَّ الَّذِي سَبَقَ الْمَوْشَحَاتِ».

وَقَدْ نَقَضَ هَلَالُ نَاجِي هَذَا الرَّأْيَ بِأَدَلَّةٍ مِنْهَا:

- لَيْسَ لَدَيْنَا غَازِجٌ مِنْ ذَلِكَ الشِّعْرِ الْغَنَائِيَّ الرَّومَانِيَّ الَّذِي سَبَقَ الْمَوْشَحَاتِ.

- إِنَّ هَذِهِ الخُرْجَاتِ الأعجميةَ مَوْزُونَةٌ وَزْنَ عَرَبِيًّا

- يُؤْخَذُ بِهَا ذِكْرُهُ ابْنُ بَسَامٍ وَابْنُ سَنَاءِ الْمَلِكِ أَنَّ هَذِهِ الخُرْجَاتِ (العاميةَ والأعجميةَ) مِنْ نَظْمِ أَصْحَابِ الْمَوْشَحَاتِ أَنْفُسِهِمْ.

- إِنَّ نَفَرًا مِنَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْرِفُونَ لُغَتَيْنِ (فِي الْأَنْدَلُسِ وَفِي الْمَشْرِقِ أَيْضًا) كَانُوا أَحْيَانًا يَتَطَرَّفُونَ بِإِدْخَالِ أَلْفَاظٍ وَجُمَلٍ فِي أَشْعَارِهِمْ مِنْ غَيْرِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

الخصائص الأدبية في الموشح

أَوَّلُ خِصَائِصِ الْمَوْشَحِ عَذُوبَةُ الْأَلْفَاظِ مَعَ اسْتِعْمَالِ عَدِيدٍ مِنْهَا لِمَعَانٍ عَرَبِيَّةٍ قَلِيلَةٍ الشُّهُرَةِ فِي الْمَشْرِقِ نَحْوِ «أَكْحَلُ» بِمَعْنَى الْأَسْمَرِ^(١) وَ«سَانِيَّةُ» (النَّاعُورَةُ) وَالرَّبَضُ

(١) فِي دِيرِ الزُّورِ (عَلَى الْفَرَاتِ) يَقُولُونَ لِلْأَسْمَرِ «أَكْحَلُ». وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ لَا تَزَالُ مُسْتَعْمَلَةً فِي الْمَغْرِبِ.

(الضاحية، ظاهر المدينة). وهنالك بعض الضعف في التركيب وفي الألفاظ، نحو « أنا فيه أهيء » (في موشحة الأعمى التطيلي) مكان « به ». غير أن الوشاحين لم يستعملوا كلمات عامية ولا تركوا الإعراب. وقد احتفظ نفرٌ منهم بأسلوبٍ مشرقٍ متين. وتكثرُ في الموشحاتِ الصُّورُ الشعريةُ في التشبيه والاستعارات البارعة إلى حدِّ الرمزِ اللطيف، نحو:

وَسَلَّتْ عَلَى الْأَفْقِ يَدُ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ سَيْوَفًا مِنَ الْبَرْقِ
وَقَدْ أَضْحَكَ الزَّهَرَ بُكْلَهُ الْغَيُومُ

أما الصناعة اللفظيةُ فقليلةٌ جدًّا في الموشح.

وكان الموشح منذ نشأته الأولى فنًّا وُجدانيًّا خالصًا يُعبِّرُ عن شخصية شاعره، ولذلك كثرَ فيه الغزلُ والوصفُ والخمرُ وبَطَلَ فيه الوقوفُ على الأطلال والأغراضُ التقليدية الأخرى التي ظل الشعرُ المشرقيُّ ينوئُ بها. إلا أنَّ الوشاحين المتأخرين طَرَقُوا في موشحاتهم سائرَ فنون الشعر. قال ابن سناء الملك (دار الطراز ٣٧): « والموشحات يُعْمَلُ فيها ما يعمل في أنواع الشعر من الغزل والمدح والثناء والهجو والمُجَوْن والزهد ». وقال ابن خلدون (المقدمة ٥٨٣): « وَيُنْسَبُونَ فيها ويمدحون كما يُفْعَلُ في التصانيد ».

وَبَلِّغْتُ النظرَ أَنَّ الإِجَادَةَ في التوشيح لم تَتَّفِقْ لجميعِ الشُّعراءِ ولا لجميعِ الوشاحين، ذلك لأن التوشيح فنٌّ وُجْدَانِيٌّ خَالِصٌ وَفَنٌّ يَسْتَنْدُ، فوق ذلك، إلى الموسيقى أَسْتِنَادًا أَسَاسِيًّا. فإذا لم يكن الشاعر وُجْدَانِيًّا مَطْبُوعًا وَعَارِفًا بِأَصُولِ الموسيقى فَإِنَّ الإِجَادَةَ في الموشح لا تَتَّفِقُ لَهُ.

وكذلك لم يَعِشِ الموشحُ طويلاً، ولم يَبْرَحْ فيه المشاركةُ بِرَاعَةً تُذَكِّرُ لهم؛ بل كان طَوْرًا من أطوارِ الشعرِ أَزْدَهَرُ مُدَّةً ثُمَّ زَالَ، كما اتَّفَقَ لَفَنُ المَقَامَاتِ قَامًا. إِنَّا نَجِدُ بينَ الحَيْنِ والحَيْنِ شَاعِرًا يَنْظِمُ مَوْشِحَةً، كما رَأَيْنَا أَدْبَاءَهُ كَثِيرِينَ كَتَبُوا مَقَامَاتٍ. وَلَكِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ بَابِ التَّقْلِيدِ: إِنَّا نَرَى فِي المَوْشَحَاتِ المتأخِرةِ شَكْلَ المَوْشَحِ وَلَكِنَّا نَفْتَقِدُ

روحه ونفتقد عبقرية الوشاح الأندلسي فيه.

أوائل الوشاحين

لَمَّا ذَكَرَ ابْنُ خَلْدُونٍ فَنَّ الْمَوْشَحِ قَالَ (المقدمة ٥٨٤/١١٣٨):

«وكانَ المَختَرَعُ لَهُ بِمَجزِيرةِ الأندلسِ مُقَدَّمُ بْنُ مَعافَى القَبرِيِّ^(١) من شُعراءِ الأميرِ عبدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدٍ المَروانيِّ؛ وأَخَذَ ذلكَ عَنْهُ أَبُو عبدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ صَاحِبُ كِتابِ العِقدِ. (ولَكن) لَمْ يَظْهَرْ لَها مَعَ المُتأخِّرِينَ ذِكرٌ، وَكَسَدَتْ مُوشَحَاتُها. فَكانَ أَوَّلُ من بَرَعَ في هَذا الشَّأنِ عُبادةُ القُرَازِ شاعِرُ المَعتَصِمِ بْنِ صُهاحِرٍ صَاحِبِ المَريَّةِ.»

إِنَّ المَنتادولَ في تاريخِ الأدبِ أَنَّ مُقَدَّمُ بْنُ مَعافَى القَبرِيِّ الضَريعَ هُوَ أَوَّلُ الَّذين قِيلَ فيهِمُ إِنَّهُم نَظَّموا مُوشَحاتٍ. وَلَكن لَمْ يَصِلْ إلينا مِنْ مُوشَحاتِهِ شَيءٌ. أَمَّا ابْنُ عبدِ رَبِّهِ صَاحِبُ «العِقدِ» فَاسمُهُ أَبُو عَمَرَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ (ت ٣٢٨هـ). وَلست أَرى أَنَّهُ نَظَّمَ مُوشَحاتٍ لِسَبَبَيْنِ رَئيسَينِ:

١- لَمْ يَصِلْ إلينا مُوشَحاتٌ تُنسَبُ إِلَيهِ.

٢- كانَ ابْنُ عبدِ رَبِّهِ صَاحِبُ العِقدِ مُولِعاً بِإيرادِ أَشياءَ مِنْ شِعْرِهِ في كِتابِهِ «العِقدِ» عَندَ كُلِّ مُناسِبةٍ. وَلَمْ نَرَ أَنَّهُ أَوْرَدَ شَيْئاً مِنَ التَوشِيحِ مِنْ نَظْمِهِ. وَلو أَنَّهُ نَظَّمَ مِنْ هَذا الفَنِّ الجَديدِ الجَميلِ شَيْئاً لَأَوْرَدَ مِنْهُ عَدَداً مِنْ مَقاطِعِ شِعْرِهِ المَوْشَحِ كَما أَوْرَدَ مِنْ شِعْرِهِ المُقَصَّدِ. إِلَّا إِذا كانَ ابْنُ عبدِ رَبِّهِ يَعتَقِدُ أَنَّ ذلكَ الشِعْرَ الجَديدَ كانَ ضَرْباً مِنَ العَبَثِ لَا يَلِيقُ بِإيرادِهِ في كِتابِ بُني على الجِدا!

وهناك شاعر آخر هو يوسف بن هرون الرمادي (ت ٤٠٣ هـ = ١٠١٣ م)، وكان معاصروه يسمونه «المتني» لأنهم كانوا يرون أنه في منزلة أبي الطيب. وقد قيل إن للرمادي موشحات، ولكنها لم تصل إلينا.

أما أول من وصلت إلينا موشحاته فهو أبو بكر عبادة بن ماء السماء المتوفى في مالقة بعد شهر صفر من سنة ٤٢١ (١٠٣١ م)، وإليه يرجع الفضل في توسيع فن

(١) نسبة إلى بلدة قبرة (ياقوت ٤: ٢٩). ثم اقرأ: معافى لا معافر.

الموشح والرقميّ به. ثم جاء أبو عبادة القزّازُ ففاق أهل عصره في فن التوشيح. ونحن لا نعلم زمن القزّاز بالتأكيد، بل نعرف أنه كان شاعراً في بلاط المعتصم بن صّاحح في المريّة. والمعتصم تولى حكم المريّة في ٤٤٣ هـ (١٠٥١ م).

ثم اتسع القول في الموشح فنبلغ فيه ابن اللبّانة (ت ٥٠٧ هـ = ١١٣٣ م) والأعشى التّطيلي (ت ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ م) وابن بقيّ (ت ٥٤٠ هـ) وابن زهير (ت ٥٩٦ هـ = ١٢٠٠ م) وابن سهل الإشبيليّ (ت ٦٤٩ هـ = ١٢٥١ م) ولسان الدين بن الخطيب وابن زمرّك.

- ضعف الموشح لغوياً:

الموشح عملٌ فنيٌّ يجب أن يجري في الفكرة البارة القريّة والتعبير السهل الأنيق، وإلا لم يكن للناظم فضل. إنّ التسهيل على الناظم في تحرير الوشاح من رتبة الروي الواحد ومن أسر البحر الواحد إنّما قصد منه إتاحة الفرصة للوشاح كي يُنفق جهده في اقتناص المعنى الجميل وفي تحيّر التركيب الأنيق. فإذا لم يستطع ذلك لم يبقَ له مَسوّغ في تفضيله الموشح على القصيد.

من أجل ذلك كلّهُ لم يكن للوشاح بُدٌّ من أن يكون شعره من الناحية اللغوية ضعيفاً لأنّ عنايته تنصرف إلى المعنى واللفظ القريبين من الفهم العام. ولكن ما كان يجوز في الموشح أن يضعف حتى يصل إلى مثل قول أبي القاسم المنشي (جيش التوشيح ١١٠):

الهُوى آله معبود ديننا إلى التوحيد والجزع منا بعيد.

وإذا نظرت فكفــــــــــــــــار ولنا على الذنب إصرار
فأنا راعي الربّ وناهيك من ذنوب.

- موقف النقاد من الموشح:

إذا كانت الروايات قد جاءت بأن نقرأ من شعره القرن الرابع - كأبي عمَرَ

أحمد بن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) وكابن أخيه (واسمه وكُنيتُه أيضاً كاسم عمه وكنية عمه: أبو عمرَ أحمد بن عبد ربه)، وكالشاعر المشهور يوسف بن هرون الرُمادي (٤٠٣ هـ = ١٠١٣ م) - قد وشَّحوا، فأينَ موشحاتهم؟ وإذا كانت قد ضاعت فما سبب ضياعها؟ وهل كان ضياع الموشحات الأولى اتفاقاً أو كان إهمالاً مقصوداً نتيج من موقفٍ للوشاحين أنفسهم وللنقاد ومؤرخي الأدب؟

يرى إحسان عباس أنَّ الموشحات « نالت تقدير الأندلسيين منذ البداية.... ولكنها لم تصبح موضع تقييد وتدوين في فترة مبكرة، بل ظلت تُسمع وتُتناقل شفاهاً ». أما مصطفى عوض الكريم فكان ظالماً - حتى لا نستعمل نحن كلمة أخرى نكون بها ظالمين له - لما قال: « ومن أقوى الأدلة على أصل الموشحات الأعجمي ازدراء أنصار الشعر التقليدي من العلماء والكتاب للموشحات ونرفعهم من ايرادها ». إنه قد نسب إهمال الموشحات إلى ازدراء العلماء . ولكنه لم يقل لنا ما الذي آزدرَّوه فيه: الشكل؟ أم الأغراض؟ أم الأسلوب؟ - إلا أن يكون جاداً في قوله إن الازدراء له كان لأصله الأعجمي . وليس في زعمه هذا شيء من المنطق. إن العرب - في عصر نشأة الموشحات - كانوا قد بدأوا يأخذون العلم والفلسفة عن الأعاجم .

ولو كانت نظرية عوض الكريم صحيحة لوجب أن يزدري العرب المسلمون ما جاءهم من العلم والفلسفة عن الأعاجم لأن العلم والفلسفة كانا وثيقي الصلة عند نشأتها في بيئة أسلافنا بالدين - فيا يتعلق بالعقيدة من الفلسفة وفيما يتعلق بأوقات العبادات من العلم. ثم إن الموشح فن عربي أصيل كما سنرى بعد قليل . ولقد كان يكفي في نقض رأي عوض الكريم أن نذكر أن الدكتور شوقي ضيف (وهو الذي كتب مقدمة لكتاب عوض الكريم) قد قال (ص ٨):

« والذي لا ريب فيه أن الموشحة فن أندلسي خالص. وقد تخالف الدكتور مصطفى عوض الكريم في أنها نبتت من الأغاني الإسبانية الأعجمية.... »

ويحسُّ هنا أن نستعرض موقف نفرٍ من النقاد من الموشحات ومن روايتها في كتبهم أو إهالها قليلاً أو جملة^(١).

أما ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) فقد سبق الكلام على ما يتصل به في شأن نظمه للموشحات وفي شأن غيابها من كتابه، كتاب العقد (راجع، فوق، ص ٤٣٩). وفي أواخر القرن الخامس (أو أوائل السادس) ألف ابن سعد الخير البلسني (ت ٥٢٥ هـ) كتاباً عنوانه «مشاهير الموشحين في الأندلس» أو «نزهة الأنفس وروضة التأس في توشيح أهل الأندلس». وفي هذا الزمن نفسه أهمل الفتح بن خاقان الإشبيلي (ت ٥٢٩ هـ) إيراد شيء من الموشحات عند الترجمة لشعراء اشتهروا بالتوشيح كابن اللبابة (ت ٥٠٧ هـ) وابن باج (ت ٥٣٣ هـ) ثم أشار من بعيد إلى الموشحات بكثير من الاستهانة والتحقيق فقال في ثنايا ترجمة أبي القاسم النيشي المعروف بعصا الأعمى للملازمة لقطب التوشيح العظيم الأعمى التطيلي: «ونكَّب عن المقطع الجذل إلى الغرض الفسل. وليس من شرط كتابي هذا إثبات بدائنه ولا أن أقف جذائنه^(٢). وقد أثبت له ما هو عندي نافق ولغرضي موافق» (مطمح الأنفس ٨٨).

ومع أن ابن بسام (ت ٥٤٢ هـ) قد أبدى إعجاباً بالتوشيح والموشحات فإنه نصَّ على أنه لم يورد في كتابه «الذخيرة» شيئاً منها لأنَّ «أوزانها خارجة عن غرض الديوان (الذخيرة) إذ أكثرها على غير أعاريض العرب». وأما الحجاري (ت نحو ٥٥٠ هـ) فقد عُنيَ بالموشحات في كتابه «المُسهب» الذي تطور على يد نفر من آل سعيد فأصبح كتاب «المغرب في حلى المغرب».

ولما جعل ابن جبير (ت ٦١٤ هـ) مراثيَّه^(٣) في زوجه عاتكة (في مجموع) سمَّاه

(١) عني الدكتور مصطفى عوض الكرم في كتابه «فن التوشيح» (بيروت ١٩٩٦ م، ص ١١٠-١١٦) والدكتور إحسان عباس في كتابه «تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين (بيروت ١٩٦٢ م، ص ٢١٧-٢٢١) بهذه الناحية.

(٢) الأصوب: بجذائنه (في سبيل صحة الجمع).

(٣) تاريخ الأدب الأندلسي: الطوائف والمرابطون، ص ٢١٨.

« نتيجة وجد الجوانح في تأيين القرين الصالح » كان في هذا المجموع قصائد وموشحات.

وأورد ابن دحية الكلبي (ت ٦٣٣ هـ) في « المطرب » (ص ٢٠٤ - ٢٠٦) موشحتين لأبي بكر بن زهر مطالعاهما:

* سدن ظــــــــــــلام الشعور على أوجه كالبندور
* أيتها الساقى، إليك المشتكى: قد دَعَوْنَاكَ وإن لم تسمع

بعد أن قدّمها بالمقطع التالي:

« والذي انفرد شيخنا به وانقادت لتخيّله طباعه وأصارت النّبهاء خَوْله وأتباعه الموشحات. وهي زبدة الشعر وخلاصة جوهره وصفوته. وهي من الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على أهل المشرق وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضيء المشرق ».

ولعل المؤلف الذي اتخذ موقفاً قاسياً تجاه الموشحات كان عبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧ هـ) فقد ذكر أبا بكر بن زهر في كتابه « المعجب » (ص ٩٢) وأثنى عليه ثم قال: « ولولا أن العادة لم تجر بإيراد الموشحات في الكتب المجلّدة المجلّدة لأوردت له بعض ما بقي على خاطري من ذلك ».

هذا النص لا يمثل رأي عبد الواحد المراكشي وحده بل يدلُّ أيضاً على أن نفرأ كثيرين من المؤلفين في تاريخ الأدب لم يكونوا يألّفون رواية الموشحات إلى جانب القصائد - ربما لاعتقادهم أن تلك نازلة عن هذه! غير أن إحسان عباس يرى أن إهمال الرواية للموشحات كان قاعدة للمؤلفين السابقين على المراكشي، وأن المراكشي ظل يتمسك بهذه القاعدة من غير أن يعلم أنها قد فقدت سلطانها قبل زمنه بقرن على الأقل (٢١٨) تاريخ الأدب الأندلسي: عصر طوائف والمرابطين).

ثم جاء ابن سميد (ت ٦٨٥ هـ) فعنّى في كتاب « المغرب » بالموشحات (تقليداً للحجاري مبتدئاً هذا الديوان البارع) عنايةً ظاهرة وختم عدداً كبيراً من أقسامه بفصول مستقلة سماها « أهداباً » (أي حواشي) وخصّ بها الموشحات والأزجال أيضاً.

وتقبّل ابن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣ هـ) الموشحات في كتابه «الذيل والتكملة» قبولاً حسناً إذ وجد لها مكاناً في تراجم أصحابها. وفي أواسط القرن الثامن تكلم ابن خاتمة (ت ٧٧٠ هـ) على نفر من الوشاحين وعلى الموشح نفسه في كتابه «مزية المرية» فقال: «وهذه الطريقة (التوشيح) من مخترعات أهل الأندلس ومبتدعاتهم الآخذة بالأنفس» (أي التاركة في النفس أثراً حسناً وارتياحاً).

ولم يكتفِ لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) بأن يؤلف في التوشيح كتاباً مستقلاً هو «جيش التوشيح»، بل نظم أيضاً عدداً من الموشحات. ونستطيع أن نقول بلا حذر إن أشهر الموشحات هي موشحة لسان الدين مطلعها:

جاذكَ الغَيْثُ إذا الغيثُ همى، يا زمانَ الوصل بالأندلس.

واحتفل ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) بالموشح (التوشيح) والموشحات وخصّها بفصل من مقدمته وبرع في تعريفها وتأريخها حتى أصبح فصله هذا أساساً لكل دراسة جادة في هذا الفن الأندلسي الرائع.

وقد اعتمد المقرئ (ت ١٠٤٠ هـ) فصل ابن خلدون في التوشيح فغرف منه غرافاً (نسخ الطيب ٧: ٥ وما بعد) ثم مضى يورد الموشحات حيث وجد إيرادها متسقاً مع نهجه في التأليف.

ولكن يبدو أن النفرة من رفع الموشح إلى مرتبة القصيد ظلت واضحة جداً مدة طويلة حتى بعد سقوط الأندلس (٨٩٧ هـ = ١٤٩٢ م) فإن المقرئ يعتذر في «أزهار الرياض» (٢: ٢٢٧ - ٢٢٨) من إيراد الموشحات (ربما في كتابه: نفح الطيب وأزهار الرياض) ويقول في ذلك:

«كأنّي بمنقذٍ ليس له خيرة... يقول: ما لنا وإدخالَ الهزل (والمزاح) في مَعْرَضِ الجِدِّ الصُّرَاحِ، وما الذي أحوّجنا إلى ذكر هذا المنحى، والأليق طرْحُه كُلُّ الأطْرَاحِ؟ فنقول:.... لم تزل كتب الأعلام مشحونة بمثل هذه الأوصاف. وليس مرادهم إثارة الهزل على غيره، وإنما ذلك من باب ترويح القلب وهو أعون على

خيرهُ . وللسلف في مثل ذلك حكاياتٌ يطول جلبُها... وليس قصدنا نحن بهذا - علم الله - غرضاً فاسداً، وإنما غرضنا صحيح، وزندنا غير شحيح^(١). وليس في هذا القول للمقري مدح للموشح.

نرى مما تقدّم أن موقفَ النُّقاد من «الموشحات» كان موقفاً طبيعياً عادياً. إن «الموشح» فنٌّ من فنون الشعر نشأ في زمنٍ معينٍ لغرضٍ مخصوصٍ، ولم يكن حركةً تمثل عبقريةً أمةً كما نرى في الشعر نفسه أو في العلم أو في الفلسفة.

إن الموشحات التي وصلت إلينا نتاجُ القرن الخامس والقرن السادس ثم كثر التقليد عند الطبع على غيرِها. ثم إنها نشأت للتعبير الوجداني عن موضوعاتٍ شخصيةٍ كالغزل والخمر وبعض الوصف، تلك الأغراض التي تأتلف مع الغناء إلى حدٍّ بعيدٍ - وقد كان الغناء من الأسباب التي دعت إلى نشوء فن التوشيح.

بهذا النظر نستطيع أن نقارن موقف النُّقاد من الموشح بموقفهم من عدد من فنون الأدب وأغراضه: كالطَّرِد والمقامات أو كالرَّجَز أو كالغَزَل المذكر والمجون عامة. كلُّ هذه الفنون والأغراض نشأت ثم انقرضت بين حدثين في الزمن يتباعدان كثيراً أو قليلاً، ثم كان للنُّقاد منها مواقفٌ مختلفة.

وإذا كان الموشح قد خَبَرَ شيئاً من القُتور لدى نفرٍ من النقاد ومؤرخي الأدب فلأسبابٍ التالية:

- انطوائه عامةً على كثيرٍ من الهزل من حيث الأغراض وعلى شيءٍ من التساهل من حيث الأسلوب.

- الضعف في التركيب اللغوي والنحوي.

- اللُّجُوء في المخرَجة أحياناً إلى جُمَلٍ وتراكيبٍ عاميةٍ أو عَجَميةٍ (فِرْنَجية).

- قِلَّةُ البراعة في كثيرٍ من الموشحات بحيث أصبح مجموعُ الموشحات نازلاً في

(١) الزند: حديدة تقدح بها النار من الحجارة. وزندنا غير شحيح (بخيل): نحفظ كثيراً من القصائد، وكان بإمكاننا إيرادها مكان هذه الموشحات.

المرتبة والإجادة عن مجموع القصائد .

وبعدُ، فإذا نَفَرَّ نَفَرٌ من التقاد من الموشحات فإن نفراً آخرينَ تقبلوها قبلاً
حَسَناً، فلا مُسَوِّغَ لخلق قضية جادّة من أجل ذلك . ولكنْ بما أنَّ هذه القضية قد ثارت
فلم يكن بُدٌّ من هذه الكلمة الوافية .

راجع في النظرية العربية لنشأة الآداب الرومانسية:

Hispano-Arabic Poetry and its Relations with the Old Provençal
Troubadours, by A. R. Nykl, Baltimore 1946.

Über the Beziehungen zwischen der arabischen und frühitalianischen
Lyrik, von Silvestro Fiore, Köln 1956.

La poésie française 5 troubadours et Trouvères), par France Igly,
Collection Mellior, Marabout, Paris, Pierre Seghers, éditeurs, 1960.

رحلة الأدب العربي إلى أوروبا، تأليف محمد مفيد الشوباشي، مصر (دار المعارف)

١٩٦٨ م.

عبادة بن ماء السماء

١ - هو أبو بكر عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة بن أفلح بن الحسين بن يحيى
أبن سعيد بن قيس بن سعد بن عبادة^(١) المعروف بأبن ملك السماء، وُلِدَ في مالقة أو في
قُرطبة قِيلَ سَنَةَ ٣٠٤ هـ - ٩١٦ - ٩١٧ م - (نفع الطيب ٤ : ٢٣). أمّا دائرة
المعارف الإسلامية فيها (٣ : ٨٥٥) أَنَّ مَوْلَدَه كَانَ فِي مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ (نحو
٣٥٠ هـ = ٩٦١ م).

تَلَقَّى عُبَادَةُ بْنُ مَلِكِ السَّمَاءِ الْعَلَمَ عَلَى نَفَرٍ مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ الزَّيْدِيُّ
(٣١٦ - ٣٧٩ هـ). وَقَدْ تَكَسَّبَ بِالشَّعْر: مَدَحَ الْعَامِرِيِّينَ (أَوْلَادَ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي
عَامِرٍ) كَمَا مَدَحَ عَلِيُّ بْنُ حَمُودٍ الْفَاطِمِيَّ صَاحِبَ مَالِقَةَ فَقَالَ فِيهِ:

أَبُوكُمْ عَلِيٌّ كَانَ بِالْشَّرْقِ بَدْنُهُ مَا وَرِثْتُمْ، وَذَا بِالْغَرْبِ أَيْضاً سَمِيَهُ.
فَصَلُّوا عَلَيْهِ أَجْمَعُونَ وَسَلِّمُوا لَهُ الْأَمْرَ إِذْ وَلَّاهُ فَيْكُمْ وَلِيَّهُ^(٢)!

وكذلك مدح الوزير أبا عمر بن حزم، فيما قيل، ورثى أبا بكر بن زيدون^(٣).
وكانت وفاة عبادة بن ماء السماء في مالقة بُعيد ٤٢٢ (١٠٣١ م).

٢ - كان عبادة بن ماء السماء من فحول الشعراء وكان أبرَزَهُمْ مكانةً في زمنه،

(١) سعد بن عبادة (ت ١٤ هـ = ٦٣٥ م) كان سيّد بني الخزرج في المدينة ومن أصحاب رسول الله.

(٢) في الحديث: «من كنت مولاه فقلّي مولاه» (حديث يوم غدیر خم).

(٣) ابن حمّود هذا من ملوك الطوائف في مالقة، جاء إلى الحكم مرّتين (٤١٢ - ٤١٣ و ٤١٦ - ٤٢٧ هـ)
وكان فاطميّ الهوى والمنتمى. وقيل في عبادة بن ماء السماء إنّه كان معروفاً بالتشيع (نفع ١ : ٤٨٤).
والوزير أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم المنتجيلي توفّي سنة ٣٥١ هـ (جنوة المتنبس ١١٧). فإذا
كان عبادة قد مدحه (جنوة المتنبس ٢٧٥) - والخبران واردان في كتاب واحد - فيجب أن يكون
عبادة قد أسنّ كثيراً حتّى يكون قد اتّصل (قبل موته بإحدى وسبعين سنة) بوزير. وأمّا أبو بكر
عبد الله بن زيدون (ت ٤٠٥ هـ) فهو والد أبي الوليد أحمد بن زيدون الشاعر المشهور (ت ٤٦٣ هـ).

يُضاف إلى ذلك مشاركة في علم الغناء وفي التنجيم. ولعبادة قصيد وموشح. ويبدو أن الموشح كان قد بقي إلى أيامه بسيطاً قليل الاختلاف عما عُرف من قبل من التسيط^(١)، فكان عبادة أول من جعل الموشح شكلاً من القصيدة قائماً بنفسه، ثم أحدث التضييق^(٢). وكان مُصنفاً له كتاب «أخبار شعراء الأندلس»، قال فيه المقرئ (نفع ٣: ١٧٣) إنه كتاب حسن. وبراعة عبادة هذا إنما هي في التوشيح لا في القصيد. وشعره وصف ومدح ورناء وغزل وخمر.

٣ - مختارات من شعره

- قال عبادة بن ماء السماء في الغزل:

إنما الفتح هلال طالع لاح من أزراره في فلك^(٣)
خده شمس، وليل شعره. من رأى الشمس بدت من حلك^(٤)!

- وقال يرثي أبا بكر بن زيدون^(٥)، وكان قد توفي في ضيعة له فنقل تابوته إلى قرطبة:

أي ركن من الرياسة هيصا وجموم من المكارم غيصا^(٦)؟
حملوه من بلدة نحو أخرى كي يوافوا به ثراه الأريضا^(٧)،
مثل حمل السحاب ماء طيباً لتداوي به مكاناً مريضاً^(٨)!

(١) راجع، فوق، ص ٤١٤.

(٢) تاريخ الفكر الأندلسي ١٥٤، الطر الثاني.

(٣) الأزرار: فتحة الثوب عند العنق. الفلك: المر الذي يدور فيه الكوكب (حول الشمس).

(٤) الحلك: الظلام، شدة السواد.

(٥) راجع، فوق، ص ٤٤٧ للمؤلف الدكتور عمر الحاشية ٣.

(٦) هاض فلان الشيء: كسره. غاض الماء: غار في الأرض.

(٧) الثرى: التراب. الأريضا: الركي الرائحة، المعجب للمعين الخليلق للغير (راجع القاموس ٢: ٣٢٣).

(٨) طبيباً: كالطبيب - إعرابها: مفعول به ثان من المصدر (حمل) المضاف إلى فاعله (السحاب). وماء (مفعول به أول).

- ولعبادة بن ماء السماء موشحة في الغزل *

مَنْ وَلِيَّ * فِي أُمِّهِ أَمْرًا وَلَمْ يَغْدِلْ * * يُغْزَلِ * إِلَّا لِحَاظِ الرَّشَاءِ الْأُكْحَلِ ^(١).

جُرْتُ فِي * حُكْمِكَ فِي قَتْلِي، يَا مُسْرِفُ ^(٢)

فَأُنْصِفِ * فَوَاجِبٌ أَنْ يُنْصِفَ الْمُنْصِفُ،

وَأَرَأَيْ * فَإِنَّ هَذَا الشُّوقَ لَا يَرَأْفُ!

عَلِّيَّ * قَلْبِي بِذَاكَ الْبَارِدِ السَّلْسَلِ * * يَنْجَلِي * مَا بِفُؤَادِي مِنْ جَوَى مُشْعَلِ ^(٣).

إِنَّمَا * تَبَرُّرُ، كَيْ تُوَقَّدَ نَارَ الْفِتَنِ

صَنَاءً * مُصَوَّرًا فِي كُلِّ شَيْءٍ حَسَنٍ ^(٤).

إِنْ رَمَى * لَمْ يُخْطِرْ مِنْ دُونِ قُلُوبِ الْجِنِّ ^(٥)

كَيْفَ لِي * تَخْلُصَ مِنْ سَهْمِكَ الْمُرْسَلِ * * فَصِلِ * وَاسْتَبْقِنِي حَيًّا وَلَا تَقْتُلِ ^(٦).

يَا سَنَا * الشَّمْسِ وَيَا أَهْبَى مِنَ الْكَوْكَبِ

يَا مُنَى * النَّفْسِ وَيَا سُؤْلِي وَيَا مَطْلِي،

هََا أَنَا * حَلَّ بِأَعْدَائِكَ مَا حَلَّ بِي! ^(٧)

(١) مَنْ نَوَّلَى أَمْرًا مِنْ أُمُورِ النَّاسِ..... الرَّشَاءُ: الغزال الصغير. الأُكْحَلُ: الأسمر.

(٢) جَار: ظَلَمَ.

(٣) عَلَّلَ (فَعَلَ أَمْرًا مِنْ عَلَّ فُلَانٌ فَلَانًا: سَقَاهُ تَبَاعًا، مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ). الْبَارِدُ (الرِّيقُ الْبَارِدُ). السَّلْسَلُ: الْمَاءُ الْعَذْبُ الصَّافِي السَّهْلُ فِي الْمُرُورِ فِي الْحَنْجَرَةِ. الْجَوَى: شِدَّةُ الْحُبِّ الَّتِي تَقْضِي إِلَى حُزْنٍ شَدِيدٍ أَوْ إِلَى مَرَضٍ شَدِيدٍ.

(٤) تَبَرَّرَ أَنْتَ صَنَاءً (كَالصَّنَمِ، كَالصُّورَةِ الْجَمِيلَةِ).

(٥) الْجِنُّ (بِضْمٍ فَتَنْحِقُ) جَمْعُ جَنَّةٍ (بِالضَّمِّ): وَقَاةٌ (تُرْسٌ). الْمَقْصُودُ: إِنْ رَمَى (هَذَا الْغَزَالُ) الْحُبَّ بِسَهْمٍ مِنْ عَيْنِيهِ لَمْ يَخْطِئْهُ (بَلْ أَصَابَهُ). لَمْ يَخْطِئْهُ مِنْ دُونِ قُلُوبِ الْجِنِّ = لَمْ يَخْطِئْهُ الْقُلُوبُ مِنْ دُونِ (وَرَاءِ) الْجِنِّ.

(٦) صَلَّ (فَعَلَ أَمْرًا مِنْ وَصَلَ الْمَحْبُوبَ مَحَبَّةً): عَطَفَ عَلَيْهِ...

(٧) حَلَّ بِأَعْدَائِكَ مَا حَلَّ بِي! (أَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَنْزِلَ بِأَعْدَائِكَ (مِنْ الْحُزْنِ وَالْحَيْبَةِ) مِثْلَ الَّذِي نَزَلَ بِي (لَمَّا هَجَرْتَنِي)).

عَذَلِي * مِنْ أَلَمِ الْهَجْرَانِ فِي مَعْرَلٍ ** وَالْخَلِي * فِي الْحَبِّ لَا يَسْأَلُ عَمَّنْ بُلِي ^(١).
 أَنْتَ قَدْ * صَبَّرْتَ بِالْحُسْنِ مِنَ الرُّشْدِ غَيُّ.
 لَمْ أَجِدْ * فِي طَرَفِي حَبَكَ ذَنْباً عَلَيَّ ^(٢).
 فَاتَّبِدْ * وَإِنْ تَشَأْ قَتْلِي، شَيْئاً فَنَسِي ^(٣).
 أَجْمِلَنْ * وَوَالَنِي مِنْكَ يَدَ الْمُفْضِلِ ** فَهِيَ لِي * مِنْ حَسَنَاتِ الزَّمَنِ الْمُقْبِلِ ^(٤).
 مَا اغْتَدَى * طَرَفِي إِلَّا بَسَنًا نَاطِرِيكَ.
 وَكَذَا * فِي الْحَبِّ مَا بِي لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ.
 وَلِذَا ^(٥) * أَتَشِدُّ وَالْقَلْبُ رَهِيناً لَدَيْكَ:
 يَا عَلِيَّ * سَلَطْتَ جَفْنِيكَ عَلَى مَقْتَلِي ** فَأَبْقَى لِي * قَلْبِي وَجُدَّ بِالْفَضْلِ يَا مَوْثِلِي ^(٦).

٤ - ** جدوة المقتبس ٢٧٤ - ٢٧٥ (الدار المصرية) ٢٩٣ - ٢٩٤ (رقم ٦٦٢)، بغية
 الملتبس ٢٨٣ - ٢٨٤ (رقم ١١٢٣)، المطمح ٨٤، الصلة ٤٢٦، الذخيرة ١:
 ٤٦٨ - ٤٨٠؛ المغرب ١: ١١٥، ١٢٥؛ فوات الوفيات ١: ٢٥٤ - ٢٥٧؛ نفع
 الطبيب ١: ٢٩٤، ٤٨٤، ٤٨٦، ٤: ٢٣، ٥٢ - ١٠٩، ٥٣؛ الخ؛ دائرة المعارف
 الإسلامية ٣: ٨٥٥، الأعلام للزركلي ٤: ٣٠ (٣: ٣٥٨).

-
- (١) عذلي (لومي لك) على الألم (الذي أحدثته أنت في نفسي بسبب هجرانك لي) في معزل (بعيد عنك): لا
 فائدة من أن ألوّك لأنّ الخليّ (الذي لم يعرف الحب بعد) لا يسأل (لا يستطيع أن يدرك ما يعانيه)
 من بلي (من ابتلي بالحب).
 (٢) كلمة «طرفي» قلقة من حيث الوزن ومن حيث المعنى.
 (٢) أثبت: نأ، تمهل. إن تشأ أن تقتلني (بجك) فشيئاً شيئاً: اجعل ذلك شيئاً بعد شيء (حتى لا تكون
 الصدمة في نفسي شديدة).
 (٤) أجملن أو أجمل (فعل أمر) عاملني (حتى في هجرانك لي وفي محاولة قتلي بجبي لك) شيء من الإحسان.
 والني (كذا في الأصل). والي: تابع، نصر، حابي، أحب (ولا معنى لها هنا). ولملّ الكلمة من الخطأ
 المطبعي وصوابها وأولني منك يد المفضل (اصنع لي معروفاً، أحسن إليّ).
 (٥) في الأصل: كذا (مكررة من أول السطر السابق). والمعنى يقتضي: «لذا» (باللام لا بالكاف).
 (٦) الموثل: الملقأ.

الريقق القيرواني

١ - هو أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم القروي أو القيرواني - وكلاهما نسبة إلى مدينة القيروان - المغربي (نفع الطيب ١: ١٩٣) المعروف بالنديم الرقيق، والريقق لقب له (معجم الأدباء ١: ٢١٦). وقد تولّى ديوان الإنشاء في الدولة الصنهاجية في القيروان (بعد انتقال الدولة الفاطمية إلى مصر) مدة تزيد على عشرين سنة منذ أيام المنصور بن بلكين (٣٧٣ - ٣٨٦ هـ) فيها يبدو.

وفي سنة ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) قديم الرقيق القيرواني هدية من نصير الدولة باديس ابن زيري (٣٨٦ - ٤٠٦ هـ) إلى الحاكم بأمر الله الفاطمي (٣٨٦ - ٤١١ هـ) في مصر، فسر في مصر وطال فيها مكثه.

وكانت وفاته في القيروان نحو سنة ٤٢٥ هـ (١٠٣٣ م).

٢ - قال ابن رشيقي في الرقيق القيرواني: «هو شاعر سهل الكلام، مُحْكَمُه، لطيف الطبع قويّه تلوح الكتابة (!) على ألفاظه؛ قليل الصنعة (في الشعر)، (ولكن) غلب عليه اسم الكتابة وعلم التاريخ وتأليف الأخبار، وهو بذلك أحق الناس». ويقول ابن خلدون (المقدمة ٤): «وابن الرقيق مؤرخ إفريقية والدول التي كانت بالقيروان. ثم لم يأت بعد هؤلاء (أنداد ابن الرقيق كأي حيّان) إلا مقلد...».

وكان الرقيق القيرواني أديباً كاتباً مترسلاً وشاعراً كثيراً ومؤلفاً. وشعره سهل عذب ولكن يغلب عليه أحياناً شيء من تكلف أوجه البلاغة تشبهاً بالمشاركة.

وللريقق القيرواني تصانيف كثيرة في علم الأخبار منها: كتاب تاريخ إفريقية والمغرب (عدة مجلدات) - كتاب النساء (كبير) - كتاب نظم السلوك في مسامرة الملوك (أربع مجلدات)، ثم له كتاب الراح والارتياح (معجم الأدباء ١: ٢١٦) - معاقره الشراب (نفع الطيب ٣: ١٣٢) - قطب السرور (نفع الطيب ١: ١٣٣) في وصف الأنبهة والخمور (بروكلمن ١: ١٦١) أو في إدارة رحي أقذاح الأشربة وإثارة نشوة الأنبهة وكاسات الخمور (بروكلمن، الملحق ١: ٢٥٢).

- قال الرقيق القيرواني يذكرُ مِصرَ ويتشوقُ إلى إخوانه فيها:

هل الريحُ إن سارت مُشرقةً تُسري
فما خَطَرَتْ إلَّا بَكَيْتُ صَبَابَةً
تراني إذا هَبَتْ قَبُولاً بَنَفَرِهِمْ
وما أُنْسَ من شيءٍ خلا المهدُ دونهُ،
ليالٍ أنسناها على غُرَّةِ الصبا
لعمري لئن كانت قصاراً أعدُّها
فكم لي بالأهرامِ أو ديرٍ نُفَيَّةٍ
وكم بين بُنانِ الأسيرِ وقصره
وكم بَيتٌ في ديرِ القصيرِ مُواصِلاً
تبادرنِي بالراحِ بِكُرٍّ غريرةً
مسيحةً خُوطِيَّةَ كَلِّها انْتَشَتِ
سقى الله صوبَ القصرِ تلكَ مغانياً

تُؤدِّي تَجِيَّاتي إلى ساكني مِصرًا^(١)
وحملتُها ما ضاقَ عن حَمْلِهِ صَدْرِي.
شَمَعْتُ نَسَمَ المِلْكِ في ذلكَ النَشْرِ^(٢).
فليس بِجَنالٍ من ضَميري ولا فِكْري^(٣).
فطابتَ لَنَا إِذْ وافقتَ غُرَّةَ الدهرِ^(٤).
فلستُ بِمُعْتَدٍّ سِوَاها من العُمُرِ^(٥).
مَصايِدُ غِزْلانِ المكابِدِ والقَفَرِ^(٦).
إلى البركةِ الزهراءِ من زَهَرٍ نَضْرًا!
نَهاري بَلْبَلِي لا أَفِيقُ من السُّكْرِ،
إِذَا هَتَفَ الناقوسُ في غُرَّةِ الفجرِ^(٧)،
تَشَكَّتْ أذى الزُّنارِ من دَقَّةِ الحَصْرِ^(٨).
وإنْ غَنِيَّتْ بالنيلِ عن سُبُلِ القَطْرِ^(٩)!

- وقال يَصِفُ مِصرَ في مطلع قصيدة مدح فيها باديسَ بنَ زيري:

- (١) تسري: (تهب) ليلاً.
- (٢) قبُولاً: من الجنوب. النشر: الرائحة.
- (٣) لو نسيت كلَّ ما مرَّ بي في الزمن الحالي (الماضي) لما نسيت أهامَ اقامتي في مصر.
- (٤) الغُرَّة: أوَّلُ الشيءِ وبدؤه. غُرَّةُ الصبا: الشباب. غُرَّةُ الدهر: أقبال الدنيا على الإنسان (النجاح والثروة والصحة).
- (٥) لم ترد «مُعْتَدٌّ» في القاموس المحيط. وقد جاء في القرآن الكريم: «فا لكم عليهنَّ من عَدَّةٍ (بكسر العين) بقاء المرأة في عزلة بعد الطلاق أو بعد وفاة زوجها) تمتدونها». والشاعر قال: فلست بمُعْتَدٍّ سِوَاها: لا أعد غيرها.
- (٦) المكابِد (٢).
- (٧) القريرة: القليلة التجربة والاختبار.
- (٨) خُوطِيَّةٌ تشبه الخوط: الفصن الرفيع الطري (كناية عن الشباب ورشاقة الجسم).
- (٩) صوب القصر (كذا في الأصل). لعلها صوب القطر (المطر) فيكون المعنى: سقى الله تلك المغاني (الأماكن الممورة بالسكان) صوب القطر (المطر الكثير).

إذا ما ابنُ شَهْرٍ قد لَبَسْنَا شَبَابَهُ بدا آخرٌ من جانبِ الأفقِ يَطْلُعُ^(١)
إلى أنْ أَقَرَّتْ جِيزَةُ النَّبِيلِ أَعْيُنًا كما قَرَّ عَيْنًا ظَاغِبٌ حينَ يَرْجِعُ^(٢).
- وقال يتفرَّكُ في مقدمة قصيدة للمديح أيضاً:

أظَالِمَةُ الْعَيْنَيْنِ يَخْطِطُهَا سِحْرُ، وإن ظَلَمَ الْخَدَّانِ وَاهْتَضَمَ الْخَصْرُ^(٣).
أعوذُ بِرِدِّ مِنْ ثَنَائِكَ قَدْ ثَنَى إِلَيْكَ قُلُوبًا حَتَّى أَثْنَاهَا جَمْرُ^(٤)!

- وقال في « قطب السرور » يصف عبد الوهَّاب بنَ حسين بن جعفرِ الحاجب (نفع
الطيب ١: ١٩٣ - ١٩٤):

... كان واحدَ عصره في الغناء الرائق والأدب الرائع والشعر الرقيق واللفظ
الأنيق ورقةَ الطبع وإصابة النادر والتشبيه المصيب... وكان قد قَطَعَ عُمُرُهُ وأَفْنَى
دهرَهُ في اللهو واللَّعبِ والفُكاهة والطَّرَبِ. وكان أعلمُ الناس بضرب العود واختلاف
طرائقه وصنعة اللَّحُونِ. وكثيراً ما يقولُ المعانيَ اللطيفةَ في الأبياتِ الحسنةِ ويصوغُ
عليها الألحانَ المطربةَ البديعةَ المُعْجِبةَ اختراعاً منه وحِذْقاً. وكان له في ذلك قريحةٌ
وطبعٌ..... وكان بعيدَ الهِمَّةِ سَمِحاً بما يَجِدُ. تُغَلُّ عليه ضياعُه كلَّ عامٍ أموالاً جليلةً
فلا تحوُلُ السَّنَةُ حَتَّى يُنْفِدَ جَمِيعَ ذَلِكَ ويستسلفَ غيرَهُ.....

٤ - قطب السرور في أوصاف الخمر (تحقيق أحمد الجندي)، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي
العربي) ١٩٦٩ م.

- (١) ابن شهر: الهلال، القمر. لبسنا شبابه، لبسناه: مرَّ وانقضى. بدا آخر = بدا هلال آخر جديد (كناية عن سرعة مرور الأيام).
- (٢) الجيزة = الهجاز (الجانب الآخر من النهر). جيزة مصر: الضفة الغربية من نهر النيل جنوب القاهرة. قَرَّتْ الأعين: فرحت واطمأنَّت وسكنت. الظاعن: المرحَّل عن أهله.
- (٣) ظالمة العينين: عيناها تظلمان المحبين (تضنيهم، تغرضهم، تقتلهم). وإن ظلم الخدَّان (وإن كانت نسبة الظلم إلى العينين وحدها ظلماً للشدن، لأنَّ خَدَي هذه الفتاة يفعلان فعل عينيهما أيضاً). واهتضم الخصر (هضم حق الخصر أيضاً لأنه هو أيضاً يفعل فعل العينين). وفي الكلمة تورية (معيان)، اهتضم الخصر: أصبح هضمياً = نحيلاً.
- (٤) أعوذ: أُلجأ، احتسني. الثنايا: الأسنان. إن حرارة العشق التي يشعر بها العاشق في قلبه لا يبردها سوى قُبلة من ثغر الحبيبة.

- تاريخ افريقية والمغرب: قطعة منه (تحقيق المنجي الكمي)، تونس (الناشر: رفيق السقطي) ١٣٧٨ هـ = ١٩٦٨ م؛ جزء منه (تحقيق أحمد الجندي)، دمشق (المجمع العلمي العربي؟) ١٩٦٩ م.

★ الأنموذج ٢٧ - ١٣٤: معجم الأدياء ١: ٢١٦ - ٢٢٦؛ الوافي بالوفيات ٦: ٩٢ - ٩٦؛
نسخ الطيب ١: ١٤٤ - ١٤٥، ١٩٣ - ١٩٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣:
٩٠٢ - ٩٠٣؛ بروكلمن ١: ١٦١، الملحق ١: ٢٥٢؛ الأعلام للزركلي ١: ٥١ - ٥٢
(٥٧)؛ الجمل في تاريخ الأدب التونسي ١٢١.

أبو عامر بن شهيد

١- هو أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد، وُلِدَ في قرطبة سنة ٣٨٢ هـ (٩٩٢ م) وكان أبوه الأديب الوزير عبد الملك بن شهيد شيخاً كبيراً مريضاً يميل إلى النُكس. من أجل ذلك لم يتمتع الطفل الصغير بشيء من مال أبيه ولا جاء أبيه إلا ما كان يُبديه نحوه المنصور بن أبي عامر من الإنعام والعطف. ثم مات الأب وللطفل من العمر نحو إحدى عشرة سنة.

ومَعَ ذلك فقد نشأ أبو عامر بن شهيد جواداً عزيز النفس ثم نال قسطاً كبيراً من العلم والآداب وفاز بنصيب من عِلْم الطب. غير أنه ما كاد يبلغ مبلغ الشباب ليأخذ بحظّه من الدنيا حتّى ثارت الفتنّة في قرطبة فضاغ فيها شبابه وعِلْمه وأدبه وعُمُرهُ.

واضطّر أبو عامر بن شهيد في سبيل الحصول على الرزق إلى أن يتطوّف بِشعره للتكسّب من الذين كانوا يتنازعون الحُكْم على قرطبة وعلى عددٍ من المدن الأندلسية كهاقّة والمرية ودانية: مدَح سُلَيْمان الأمويّ الذي جاء إلى الخلافة مرتين قصيرتين (سنة ٤٠٠ ثم من أواخر ٤٠٣ إلى مطلع ٤٠٧ هـ) والمُعْتلي بن حَصَوْدِ المستبدّ بقرطبة (٤١٢ - ٤١٣ هـ). ثم إنّه وزر لعبد الرحمن المستظهر الأمويّ الذي جاء إلى الخلافة نحو شهرين (٤١٤ هـ). وأخيراً لجأ إلى بِلَاطِ الخليفة هشام المُعْتدّ (٤١٨ - ٤٢٢ هـ) - آخر الأمويّين في قرطبة - فكان جليساً له وندياً.

وظنّ أبو عامر بن شهيد أنّ حظّه من العامريّين (نسل المنصور بن أبي عامر ثم

تَوَلَّوْا حُكْمَ عَدَدٍ مِنَ الْبِلَادِ فِي تِلْكَ الْحِقْبَةِ) أوفر، فلم يتحقق ظنه حتى أن مجاهداً العامريَّ صاحبَ دَانِيَّةٍ (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ) وميورقة، في بعض تلك الفترة، قطعهُ ولم يلتفت إليه.

وكان أبو عامر بن شهيد أصم، كما كان يشكو من ضيق التنفس (الربو!). وقوي مرضه سنة ٤٢٥ هـ فبقي طريق الفراش يحتمل الآلام بصبر بالغ حتى وافته منيته في آخر جُهادي الأولى من سنة ٤٢٦ (١١/٤/١٠٣٥ م) في قرطبة.

٢- أبو عامر بن شهيد شاعرٌ ناثرٌ ناقدٌ مُكثرٌ مطيلٌ مجيدٌ ومقتدرٌ في كل ذلك، وهو قريبُ الشبهِ بشعره المشرق وعلى شعره لحةٌ من البداوة. وكان من أعلم أهل الأندلس بالأدب والشعر وأقسام البلاغة بارعاً في جميع الفنون.

وأدبه وجذابيٌّ فلسفيٌّ وعاطفيٌّ موضوعيٌّ في وقتٍ معاً، تجدُ فيه الشكوى إلى جانب الفكاهة والتشاؤم إلى جانب الدعابة. وفي أدبه أيضاً تأنقٌ وتكلفٌ أحياناً وصناعةٌ يكثرُ فيها الجُناسُ والميلُ إلى استعمالِ الغريب، كلُّ ذلك مع سرعةٍ في البديهة ومقدرةٍ على الارتجال.

وفنونُ شعره المديحُ والثناءُ والهجاءُ والوصفُ البارِعُ لمظاهر الطبيعة وللآثار العلوية خاصةً (الجو والسماء) وهو مفرغٌ باستخراج الصور الغريبة المستكرة. وله نسبٌ وغزلٌ وإخوانياتٌ. غير أننا نلمح في شعره أخذاً كثيراً من معاني أهل المشرق حتى لكانه يتعمد ذلك.

ثم له تصانيفٌ غريبةٌ عجيبةٌ منها: كشف الدك وإيضاح الشك - حانوت عطار - التوايع والزوايع^(١).

ورسالة التوايع والزوايع قصةٌ خياليةٌ جعلَ ابنُ شهيد مسرحها في وادي الجن من دُنَيَانَا هذه وجعل دليله في ذلك الوادي جنياً اسمه زهير بن نُمير من بني أشجع

(١) التابع والتابعة: الجنّي والجنّية يكونان مع الإنسان تبعاً حيث ذهب. الزوبعة اسم شيطان أو رئيس للجن.

الجَنِّ (وإنَّ شُهيدَ من بني أشجعَ أيضاً). وفي هذه القِصَّة يستعرض ابنُ شهيدَ عدداً من المُشكِلاتِ البَيانية والأدبية معَ نَفَرٍ من الجَنِّ الذين يَتَبَدَّونَ في صُورٍ مُختلفةٍ (في صور البُغال والحُمير والأوز، الخ) في أسلوبٍ قَصَصِيٍّ تَقْدِيٍّ مَرِحٍ. يَمِيلُ مَرَّةً ذاتِ المَزَلِ ومَرَّةً ذاتِ الجِدِّ. هذه الرسالة تذكِّرنا بقِصَّة أبي العلاء المَعَرِّي رسالة الغفران. غيرَ أن رسالة الغفران أشهرُ.

ويرى زكي مبارك^(١) أن رسالة التواضع والزواجع وُضِعَتْ بعدَ سَنَةِ ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) بقليل، وقيلَ (أن كَتَبَ المَعَرِّيُ رسالته بَعشرين سَنَةً أو تَزيدُ) ووجهها إلى أبي بكرٍ بنِ حَزَمٍ^(٢).

٣ - مختارات من آثاره

قال أبو عامر بن شهيد في الغزل وهو ينظر إلى معاني نفر من الشعراء المشاركة:

أَصْبَحَ شَيْمٌ أَمَ بَرَقَ بَدَا	وَسَنَى المَحبوبُ أَوْرَى أَزْنَدَا ^(٣) !
هَبْ مِنْ مَرَقَدِهِ مَنكَسِراً	مُنْبِلًا لِلْكَمِّ، مُرْخٍ لِلرِّدَا،
يَمْسَحُ النِّعْسَةَ مِنْ عَيْنِي رِشاً	صَائِدٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَسَدَا ^(٤)
أَوْرَدَتْهُ لَطْفاً آيَاتُهُ	صَفْوَةَ العَبَشِ وَأَرَعَتْهُ دَدَا ^(٥)
فَهُوَ مِنْ دَلِّ عَرَاهُ زُبْدَةٌ	مِنْ صَرِيحٍ لَمْ يَخَالِطَ زَبْدَا ^(٦)

(١) للدكتور زكي مبارك في كتابه النثر الفني في القرن الرابع (القاهرة ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٤ م، ج ٢: ص ٢٥٨ - ٢٧٠) بحث مفصل في هذه القِصَّة وفي الصلة بينها وبين رسالة الغفران.

(٢) أبو بكر بن حزم هو أخو أبي محمد بن حزم الفقيه الأديب المشهور (ت ٤٥٦ هـ). وقد توفي أبو بكرَ أن حزم قبل أخيه أبي محمد.

(٣) شيم: رؤي (فعل مبني للمجهول من «شام»). السنى: ضوء البرق. أزند جمع زند (يسكون النون): حديدة تقذف بها النار من الحجر الصوان. أوري زنداً: أشعل ناراً.

(٤) الرشأ: الغزال الصغير.

(٥) أوردته: أسقاه، أخذه إلى الماء. أرعته: تركته يرعى، أخذه إلى المرعى. الدد: اللهو. آياته (ألوان حسنة وجماله) جمعت الاهتمام به كبيراً فنشأ منتعماً.

(٦) الدل: الدلال، الفنج، تظاهر المحبوب بغير الرضا وهو راض. زبدة: غلبة، خلاصة، أحسن ما في =

قلتُ: «هَبْ لي يا حبيبي قُبْلَةً
فَأَنْشَى يَهْتَزُّ مِنْ مَنْكِبِهِ
كُلَّمَا كَلَّمَنِي قُبْلَتُهُ،
شَرِبْتُ أَعْطَافَهُ مَاءَ الصَّبَا
وَمِنْ نَسِيهِه الْبَارِعِ الَّذِي يَخَالِطُهُ مَجُونُ:

وَلَا تَمَلَّأْ مِنْ سُكْرِهِ وَنَامَ وَنَامَتْ عَيُونُ الْقَسَسِ^(١)
دَنَوْتُ إِلَيْهِ عَلَى بُعْدِهِ دُنُو رَفِيقِ دَرَى مَا أَلْتَمَسَ.
أَدَبَ إِلَيْهِ دَيْبَ الْكَرَى وَأَسْمُو إِلَيْهِ سُمُو النَّفَسِ.
وَيْتَ بِهِ لَيْلَتِي نَاعِمًا إِلَى أَنْ تَبَسَّمَ تَقَرُّ الْقَلَسِ^(٢)
أَقْبَلُ مِنْهُ بِيَاضِ الطُّلَى وَأُرَشِفُ مِنْهُ سَوَادَ اللَّعَسِ^(٣)

- وقال يَدْحَ بِحْيَى الْمُعْتَلَى بِاللَّهِ بْنِ حَمْدٍ وَيَصِفُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ شِعْرَهُ وَنَفْسَهُ وَيَشْكُو
النَّاسَ وَالْأَيَّامَ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: (وَنَلْمَحْ هُنَا حَيْنًا نَفْسَ الْمُتَنَبِّئِ وَحَيْنًا نَفْسَ أَبِي
نَوَاسٍ):

-
- = الأشياء. الصريح: الخالص الصافي (من النسب أو من الأشياء المادية). الزيد: ما يطفو على وجه
السيل (أو الشراب) تما لا قيمة له ولا فائدة منه.
- (١) تبريح: تعذيب. الصدى: العطش.
- (٢) إمَّا قَالَ قَوْلًا: إِنْ مَا قَالَ قَوْلًا: إِذَا قَالَ قَوْلًا كَلَّمَنِي كَثِيرًا فَكُنْتُ أَقْبَلُهُ حَتَّى انْتَهَى الْكَلَامَ (الكثرة ما
قُبْلَتُهُ) فَجَعَلَ يَرُدُّ (يعيد) الْكَلَامَ.
- (٣) الْأَعْطَافُ جَمْعُ عَطْفٍ (بِكسر العين): جَانِبُ الْجَسَمِ. عَرِيدُ الرَّجُلِ: أَخْرَجَهُ الْسُكْرُ عَنْ طَوْرِهِ فَقَالَ
كَلَامًا مَسِينًا أَوْ فَعَلَ أَعْمَالًا مُؤْذِيَةً.
- (٤) الْعَسَسُ: الْحَرَسُ، الْحِرَاسُ.
- (٥) الْفَلَسُ: الطَّلَامُ.
- (٦) الطُّلَى جَمْعُ طَلِيَةٍ (بضم الطاء): الْعُنُقُ، جَانِبُ الْعُنُقِ. اللَّعَسُ: السَّمَرَةُ فِي الشَّفَاةِ.

وما نسي إلا الشعرُ أثبتَهُ الهوى
أفوه به - لم آتِه متعرّضاً
فإن طال ذكري بالبحون فأنني
وهل كنتُ في المُشاق أولَ عاشقي
وإن طال ذكري بالبحون فإنها
فراقٌ وسجنٌ واشتياقٌ وذِلَّةٌ
فغنّ مُبلغَ الفتيانِ أنيَ بَعْدَهُم
مقيمٌ بدارٍ ساكنوها مِن الأذى
وقلت لصدّاحِ الحمامِ وقد بكى
ألا أيها الباكي على من تحبه،
وما زال يُنيكني وأُنكيه جاهداً
إلى أن بكى الجدرانُ من طولِ شجوننا
أطاعتُ أميرَ المؤمنين كتاباً

فسار به في العالمين فريد^(١)
لُحْسِنِ المعاني - تارة فأزيد^(٢)
شقيّ بمظلومِ الكلامِ سعيد^(٣)
هَوَتْ بِجِجَاهُ أَعْيُنٌ وَخُدودُ^(٤)
عَظَامُ لَمْ يَصْبِرْ لَهَنَ جَلِيد^(٥)
وَجَبَّارُ حَفَاطِ عَلِيٍّ عَتِيد^(٦)
مُقِيمٌ بدارِ الظالمين وَحِيد:
قِيَامٌ عَلَى جَمْرِ الحِمَامِ قُمود^(٧)
على القصرِ إلغاً والدموعُ تجود^(٨)
كِلَانَا مَعْنَى بالخلاءِ فريد^(٩)
وَلِلشُّوقِ مِنْ دُونِ الضُّلُوعِ وَقود^(١٠)
وَأَجْهَشَ بَابُ جَانِبَاءِ حَدِيد^(١١)
تَصَرَّفَ فِي الْأُمُوالِ كَيْفَ يُرِيد^(١٢)

- (١) فريد: (لا مثيل له)، يعني الشاعر بذلك نفسه.
- (٢) مع أنني لا أطلب المعاني فإن في شعري من المعاني أكثر مما في شعر غيره.
- (٣) إذا أكثر الناس من القول بأنني ماجن (خليع، هاجم على الذات)، فهذا الكلام يشقيني (يؤسفني، يحرزني) لأن فائله يقصد اهانتني. كما أنني في الوقت نفسه سعيد بهذا الكلام لأنه يدل على شابي ونشاطي.
- (٤) أضاع حِجاءَ (عقله) لَمَّا رَأَى عيونَ الحسانِ وخُدودهن.
- (٥) وإذا اشتهر عني أنني ماجن فلأن الإغراء الذي تلقاه من الحسان الجميلات لا يستطيع الإنسان أن يقاومه مهما يكن جليداً (صبوراً مالمكاً لمواطفة).
- (٦) الحفّاط: الملائكة الذين يكتبون حسنات المرء وسَيِّئَاتِهِ. جَبَّارُ حَفَاطِ (الذي يتولّى الرقابة علي من هؤلاء جَبَّارٌ لا يتساهل معي في شيء!) عَتِيد: حاضر (لا يفارقي، يرى كل ما أعمله).
- (٧) قيام على جمر الحِمَامِ قُمود: (متعرّضون للموت في كل حين!).
- (٨) يبكي على إلف (يكسر الهمزة) حبيب. على القصر (طائر الحِمَامِ الواقف على سطح القصر).
- (٩) كلانا معنى بالخلاء فريد: كل واحد منا يجب أن يكون وحده في مكان خال من الناس.
- (١٠) من دون الضلوع وقود (في طهي الضلوع اشتعال).
- (١١) الشجو: الحزن. أجْهَشَ: تهيأ للكاء (بكى). حتّى الباب الذي هو من حديد بكى حزناً علينا.
- (١٢) تصرّف في الأموال (٩): تصرّف هي بالأموال (٩).

فللمس عنها بالنهار تأخر، وللبدر عنها بالظلام صدود^(١)،
ألا إنها الأيام تلعب بالفتى: نحوس تهادى تارة وسعود.
[تقول التي عن بيتها خف مركبي:] أقربك داني أم نواك بعيد^(٢)؟
فقلت لها: أمري إلى من سمته به إلى المجد أباء له وجدود:
إلى المفتلي عاليت هني طالباً لكرته، إن الكريم يعود^(٣)؛
همام أراه جوده سبل العلى، وعلمه الإحسان كيف يسود!

- رسالة التوابع والزوابع (مطلع الفصل الأول):

تذاكرت يوماً مع زهير بن نعيم أخبار الخطبة والشعراء وما كان يألهم^(٤) من
التوابع والزوابع، وقلت: هل حيلة في لقله من اتفق منهم؟ قال: حتى أستاذن
شيخنا. وطار عني ثم انصرف^(٥) كلفح بالبصر - وقد أذن له - فقال: حل على متري
الجواد.

فصرنا عليه وسار بنا كالطائر يجتاب الجو فالجو، ويقطع الدو فالدو^(٦)؛ حتى
التمخت أرضاً لا كأرضنا، وجوّاً لا كجونا متفرع الشجر عطر الزهر. فقال لي:
حللت أرض الجن، أبا عامر! فبمن تريد أن نبدا؟ قلت: الخطبة أولى بالتقديم،
لكنني إلى الشعراء أشوق. قال: فمن تريد منهم؟ قلت: صاحب امرئ القيس.
فأمال العنان^(٧) إلى وادٍ من الأودية ذي دوح، تنكسر أشجاره وتترنم أطياره،
فصاح: يا عتبة بن نوفل، بسقط اللوى فحومل ويوم دارة جلجل^(٨)، إلا ما عرضت

(١) هي أجل من الشمس في النهار وأجل من القمر في الليل (٢) - للبدر صدود عنها (لأنه يغار منها).

(٢) الشطر الأول لأي نواس. أنعود قريباً أم أن سفرتك بعيدة؟

(٣) عاليت هني: صمدت فوق هني (لم أبال بهي لما قصدته). لكرته: (حتى يعود إلى ما عودني من كرمه).

(٤) من كان من الجن يآلف البشر (ويعيش معهم).

(٥) ثم انصرف راجعاً.

(٦) اجتاب: قطع. الدو: الفلاة، الصحراء الواسعة.

(٧) العنان: عنان الفرس. أمال العنان: عطف بنا (نحو وادي الجن).

(٨) بسقط (الباء في «بسقط» للقسم). أقم عليك اللوى فحومل ويوم دارة جلجل (سقط اللوى وحومل ودارة جلجل أماكن مذكورة في معلقة امرئ القيس).

علينا وجهك وأنشدتنا من شِعْرِكَ (م) سَمِعْتَ من هذا الإنسان وعَرَفْتَنَا كيف إجازتك له^(١).

فَظَهَرَ لَنَا فارسٌ على فرسٍ شقراءَ كأنَّها تلتهبُ، فقال: حيَّاكَ اللهُ يا زهيرُ - وحيَّا صاحِبَكَ. أهو فتَاهُم^(٢)؟ قلتُ: هو هذا؛ وأيُّ جَمْرَةٍ، يا عُنَيْبَةُ ! - وقال يتخيَّل أَنه يتحدَّثُ وصديقاً له في قبرِها (وهي أبيات كانت مكتوبة على شاهد قبره):

يا صاحبي، قُمْ فقد أَطْلُنَا، أنحن طولَ المَدَى هُجُودُ؟^(٣)
فقال لي: لَنْ نَقُومَ منها ما دام مِن فَوْقِنا الصَّعِيدُ^(٤).
تَذْكُرُ كَمْ لَيْلَةٍ نَعْمِنَا فسي ظِلُّها، والزمان عَيْدُ؟
كلُّ كَأَنَّ لم يكن تقضى وشؤمه حاضِرٌ عَتِيدُ^(٥)
حَصْلُهُ كَاتِبٌ حَفِیْظٌ وضئِهْ صادقٌ شهيدُ^(٦).
يا ويلنَا إِنْ تَنَكَّبْتُنَا رحمةً مَنْ بَطْنُهُ شديدُ^(٧).
يا ربِّ، عَفِوْا! فَأَنْتَ مَوْلَى قَصَرَ في شُكْرِه العَبِيد.

- ٤ - ديوان ابن شهيد الأندلسي (جمعه وحققه يعقوب زكي)، القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) بعد ١٩٥٨ م، (تحرير شارل بلا)، بيروت ١٩٦٣ م.
- حانوت عطار (تحقيق ابن تاويت الطنجي)، القاهرة ١٩٥١ م.
- رسالة التوايع والزوايع (صححها... بطرس البستاني)، بيروت (دار صادر) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م.

- (١) كيف إجازتك له = ما تقول في جودة شعره.
(٢) أهو فتاهم (أهذا من البشر). وأي جرة من جرات العرب! مثل يضرب للرجل القوي البارع.
(٣) فقد أطلنا = فقد أطلنا النوم. هجود: نائمون.
(٤) الصعيد: التراب (الأرض).
(٥) عتيد: حاضر، معد.
(٦) لكل إنسان في الدنيا كاتبان حفيظان عليه موكلان به يكتب أحدهما حسنات الإنسان ويكتب الثاني سيئاته. ثم يأتي كل إنسان يوم القيامة ومعه سائق به إلى الحساب وشهيد على أعماله في الدنيا.
(٧) تنكبتنا: مالت عنا، انصرفت عنا (لم يشملنا الله برحمته). من بطشه شديد = الله.

★ ★ - ابن شهيد الأندلسي: حياته وآثاره، تأليف شارل بلا (منشورات الجامعة الأردنية - كلية الآداب)، عمّان (جمعية عمّال المطابع التعاونية) بلا تاريخ (بعد ١٩٦٥ م).

جذوة المقتبس ١٢٤ - ١٢٧ (الدار المصرية) ١٣٣ - ١٣٦ (رقم ٢٣٢)؛ بغية المتنبيس ١٧٧ - ١٧٨ (رقم ٤٣٧)؛ المطيح ١٦ - ٢٢؛ الذخيرة ١: ١٩١ - ٣٣٦؛ المغرب ١: ٧٧ - ٧٨؛ إعتاب الكتاب ٢٠٣ - ٢٠٥؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٥٥٥ - ٥٦١؛ المطرب ١٥٨ - ١٦٣؛ معجم الأدباء ٢: ٢٢٠ - ٢٢٣؛ الوافي بالوفيات ٧: ١٤٤ - ١٤٨؛ خريدة الأندلس ٤٢٦ (محمد بن عبد الملك)؛ وفيات الأعيان ١: ١١٦ - ١١٨؛ شذرات الذهب ٣: ٢٣٠؛ نفح الطيب ١: ٣٨٠ - ٣٨٢، راجع ٣٥٦ - ٣٦٠، ٦٢١ - ٦٢٣؛ النثر الفني لركي مبارك ١: ٢٥٨ - ٢٧٠؛ ٢: ٤٨ - ٥٨، ٣٠٢ - ٣١٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٣٨ - ٩٤٠؛ بروكلمن، الملحق ١: ٤٧٩؛ الأعلام للزركلي ١٥٧: ١ (١٦٣)؛ داية ٢٩٣ وما بعده؛ بالنشيا ٧٣ - ٧٤، ٢٠٧.

ابن مغلّس البلنسيّ

١ - هو أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن السيد القيسي البلنسيّ الأندلسي، قرأ الأدب على أبي العلاء صاعد بن الحسن الربيعي (ت ٤١٧ هـ) ثم رحل من الأندلس إلى مصر واستوطنها.

وقيل قرأ في مصر على النجيري. ثم إنه دخل بغداد فقرأ على نفر من علمائها كما قرأ عليه جماعة من طلاب العلم. وكانت وفاته في مصر، في ٢٤ من جمادى الأولى من سنة ٤٢٧ (١٠٣٦/٣/٢٥ م).

٢ - ابن مغلّس البلنسيّ من أهل العلم باللغة والنحو مشهور. وهو شاعرٌ كثيرٌ مجيدٌ، وله ديوان. وقد كانت بينه وبين إسماعيل بن خلف معارضاة (يرد أحدهما على الآخر في قصائد).

٣ - مختارات من شعره

قال ابن مغلّس البلنسيّ في النسيب:

مريضُ الجفونِ بلا عِلّةٍ، ولكن قلبي به مُمرَضُ.

أَعَانَ السُّهَادَ عَلَى مُقْلَتِي بِفَيْضِ الدَّمْعِ فَمَا تُفَيْضُ
وَمَا زَارَ شَوْقًا، وَلَكِنْ أَتَى يُعَرِّضُ لِي أَنَّهُ مُفْرِضُ.

وقال في الحَمَامِ وما يجتمع فيه من أخلاط الناس:

وَمَنْزِلِ أَقْوَامٍ إِذَا مَا اغْتَدَوْا بِهِ تَشَابَهَ فِيهِ وَغَدُهُ وَرَيْبُهُ.
يُخَالِطُ فِيهِ الْمَرْءَ غَيْرَ خَلِيطِهِ وَيُضْحِي عَدُوَّ الْمَرْءِ وَهُوَ جَلِيسُهُ.
يُفَرِّجُ كَرْبِي إِنْ تَزَايَدَ كَرْبُهُ وَيُؤْنِسُ كَرْبِي أَنْ يُعَدَّ أَنِيهِ.
إِذَا مَا أَعَرْتُ الْمَلِمَةَ حَوْضًا تَكَاثَرَتْ عَلَى مَائِهِ أَقْمَارُهُ وَشُمُوسُهُ.

٤- ** وفیات الأعيان ٣: ١٩٣-١٩٤، جذوة المقتبس ٢٦٩ (الدار المصرية) ٢٨٨ (رقم ١٦٤٥) بغية الملتبس ٣٧١ (رقم ١٠٨٨) الصلة ١٣٥١ بغية الوعاة ٣٠٧ نفع الطيب ٢: ١٣٢-١٣٣، الأعلام للزركلي ١٣٦: ٤ (١٣).

ابن أبي الرجال

١- هو أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشَّيباني الكاتبُ المَغْرِبِيُّ القَيْرَوَانِيُّ، من أهلِ فاسَ وَلَكِنَّهُ عَاشَ مَدَّةً فِي بِلَادِ الْمَعْرِزِ بْنِ بَادِيسَ (٤٠٦-٤٥٤ هـ) وَكَانَ رَئِيسَ دِيْوَانِ الْإِسْلَامِ فِي الدَّوْلَةِ الصَّيْهَاجِيَّةِ. وَهُوَ الَّذِي لَقِّنَ الْمَعْرِزُ الْعُلُومَ. وَلَعَلَّهُ شَارَكَ الْقَوْهِيَّ فِي أَرْضَادِهِ الَّتِي كَانَ يَقُومُ بِهَا فِي بَغْدَادَ (فِي الثَّلَاثِ الثَّلَاثِ مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ - أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الْعَاشِرِ لِلْمِيلَادِ). وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٤٢٦ (١٠٣٤ - ١٠٣٥ م)، أَوْ بَعْدَ بَضْعِ سَنَوَاتٍ أُخْرَى.

٢- يَبْدُو أَنَّ ابْنَ أَبِي الرَّجَالِ كَانَ مِنْ ذَوِي الْمَيْلِ إِلَى الْعُلُومِ الرِّيَاضِيَّةِ، أَلْفَ كِتَابَ «الْبَارِعِ» فِي التَّنْجِيمِ، وَلَكِنْ كَتَابَهُ هَذَا جَاءَ غَامِضًا ضَعِيفَ التَّرْكِيبِ (كَأَكْثَرِ الْكُتُبِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ). ثُمَّ إِنَّهُ كَانَ أَدِيبًا نَاصِرًا وَشَاعِرًا مَتِينَ السَّبْكِ رَقِيقَ الْكَلَامِ، مِنْ فَنُونِهِ الْفَخْرُ وَالْحِكْمَةُ وَالْفَزْلُ وَالْعِتَابُ وَالْحَمَرُ. كَانَ ابْنُ أَبِي الرَّجَالِ بَتَاهِرَتَ فَتَذَكَّرَ أَهْلَهُ بِالْقَيْرَوَانِ فَقَالَ:

وَلِي كَيْدٌ مَكْلُومَةٌ مِنْ فِرَاقِكُمْ أَطَامِنُهَا صَبْرًا عَلَى مَا أَجْنَبْتُ.
تَمَنَّتْكُمْ شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَصَبُوءَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يُهْدِيَ لَهَا مَا تَمَنَّتْ.
وَعَيْنٌ جَفَاها النَّوْمُ وَاعْتَادَهَا الْبُكَاءُ إِذَا عَنَ ذِكْرُ الْقَيْرَوَانِ اسْتَهْلَتْ!

وقد علّق ابنُ رَشِيْقٍ على هذه الأبيات بقوله: « فلو أن أعرابياً تذكّرَ نَجْدًا فحنَّ به إلى الوطنِ أو تشوّقَ فيه إلى بعضِ السكَنِ ما حَسِبْتُهُ يزيدُ على ما أتى به هذا المولّدُ الحضري المتأخّرُ العصرِ ».

وكان ابنُ أبي الرجالِ يَعتَظُّ على الكتابِ والشُعراءِ ويأخذُ بناصِرِهِمْ: وقد ألفَ باسمه ابنُ رَشِيْقٍ مؤلّفاتٍ أدبيةً نفيسةً منها كتابُ « العُمدَة »، كما قدّم إليه ابنُ شَرَفٍ « رسائلُ الانتقادِ » (مجلد تاريخ الأدب التونسي ١٢٩).

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو الحسن عليّ بن أبي الرجال في الشكوى من الناس:

أيا ربّ، إن الناسَ لا يُصِفونني	ولم يُحِينوا قَرَضِي على حَسَناتي:
إذا ما رأوني في رَحْلي تَرَدّدوا	إليّ، وأعدائي لدى الأَرَمَاتِ.
يُتَقَاتِي ما دامت صِلاتي إليهم،	وإن عَنْهُمْ أخرُتُها فِعْداتي.
سامعٌ قلبي أن يَجِنَّ إليهم،	وأصْرِفُ عنهم - قالياً - لَحْظاتي؛
وألزِمُ نفسي الصبرَ دأباً لعلني	أعابُن ما أملتُ قبل مَهاي.
ألا إنّها الدنيا كُفافٌ وصِحّةٌ	وأمنٌ؛ ثلاثٌ من طيبِ حياتي.

- وقال في الحمر:

ألا ليت أياماً مَضَى لي نعيمها	تَكِرُّ علينا بالوصالِ وتُنِمْ.
وصفراءُ تحكي الشمسَ من عهدِ قِنَصرٍ	يَتَوَقَّعُ إليها كلُّ من يَتَكَرَّمُ؛
إذا مُرِجَتْ في الكأسِ خِلْتُ لآلئاً	تُنْثَرُ في حافاتِها وتُنْظَمُ.
جَمَعْنَا بها الأَشْثاتَ من كُلِّ لَذّةٍ،	على أنّهُ لم يُغْنِ في ذاك مَحْرَمُ!

- من كتاب البارِع:

.... ومضى جاءَتِ السُّعُودُ في الثاني عَشَرَ في تحاوِيلِ السنينِ قَوِيَتْ أَعْداءُ المولودِ وأيديهم. فإذا حَلَّتْ فيه النُحُوسُ أضعَفَتْهُمْ وأبادتهم. وإذا كان رَبُّ الثاني عَشَرَ في الطالعِ كان المولودُ شَقِيحاً كثيرَ الأعداءِ مُحارَباً وَيَلْقَى من الأعداءِ شِدَّةً في أولِ أمره؛ وفي الثاني يكونُ رَدِيءَ العيشةِ سَيِّئَ الحالِ يُكْذِبُ عليه كثيراً. وفي الثالث يُعَادِيهِ إِخْوَتُهُ وَيَلْقَى منهم شِدَّةً وَسُوءَ أحوالِهِ. وفي الرابع يُعَادِيهِ آبَاؤُهُ وَيُنَازِعُهُ أَهْلُهُ

وَتَحَرَّبُ الدار التي وُلد فيها وَيُنْقَلُ منها.

- ٤- ** المجلد في تاريخ الأدب التونسي ١٢٩ - ١٣٠ : دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٦٨٨ - ٦٨٩ : تاريخ العلوم عند العرب ١٧٨ - ١٧٩ : بروكلمن ١ : ٢٥٦ ، الملحق ١ : ٤٠١ : معجم المطبوعات العربية ١٣١ : عنوان الأريب ١ : ٥٧ - ٥٨ .

ابن خلوفا الحروري

١- هو عبد العزيز بن خلوفا الحروري^(١)، من أهل القيروان، كانت وفاته نحو ٤٣٠ هـ (١٠٣٩ م).

٢- كان ابن خلوفا الحروري ذا ذكاء نادر وكان مشاركاً في عدد من فنون العلم. غير أنه اشتهر بالنحو والقراءات وما يتعلّق بها. وشعره حسن الألفاظ والمعاني جيل الصناعة. له مديح ووصف.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن خلوفا الحروري في مديح المعزّ بن باديس^(٢):

لو يستطيع لأدخل الأموات من نُماء في ما نالت الأحياء .
سوّى رعاياه يدا إنصافه حتّى الشوامخ والوهاد سواء^(٣) .
مُتنوعُ العَزمات: ماء مُفدّق فيهم، وعنهم صخرة صماء^(٤) .
ما أنتَ بعضُ الناسِ إلّا مثلاً بعضُ الحصى الياقوتة الحمراء^(٥) .
فتحتُ لنا نُمساك كلّ بلاغة فجَرى اليراعُ وقالتِ الشراء .

(١) الحروري: الخارجي (أحد الخوارج).

(٢) الرابع من ملوك بني زيري الصنهاجيين بالقيروان (٤٠٦ - ٤٥٣ هـ).

(٣) رعاياه مفعول به. يدا انصافه فاعل. الشوامخ: الجبال العالية. الوهاد: الأراضي المنخفضة.

(٤) مفدق: كثير. لئن في معاملة قومه، شديد (صخرة) في الدفاع عنهم. (أو: هو كريم عليهم وصخرة صماء عنهم: لا يقبل فيهم ذماً).

(٥) - أنت أفضل من جميع الناس، كما أنّ الياقوت أفضل المجارة.

- ويروى له في وصف سحابة^(١):

راحتْ تذكُرُ بالنسيمِ الراحا وطفاهُ تَكْثِيرُ للجَنُوبِ جَنَاحا^(٢).
مُرْتَجَّةُ الأرجاءِ يَحْسُ سِرَها ثَقُلَ قُطْعُطيه الرِّيحِ سَراحا^(٣).
أخفى مَسالِكها الظلامُ فأوقَدَتْ من بَرَقها - كي تَهْتدي - مِصباحا.
فكانَ صَوْتُ الرعدِ خَلْفَ سَحابها حادٍ، إذا وَتَتْ الرِكاثُ صاحا^(٤).
- وقال يَصِفُ مِرْوَحةً من ريشٍ أو نَسِيجٍ تُطَوَّى وتُفْتَحُ:

ومِرْوَحةٍ إن تَأَمَّلْتها ترى فَلَكاً دائِراً في اليَدِ.
وتُطَوَّى وتُنشَرُ مِن حُسْنِها فَتُشِبُّ قُنْرَعَةَ المُذهَبِ.

٤- * * بنية الوعاة ١٣٠٧، مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٣١ - ١٣٤.

ابن الريب القيرواني

١- هو أبو علي الحسن^(٥) بن محمد بن الريب^(٦) التميمي القيرواني، أصله من تاهرت^(٧) ومولده نحو سنة ٣٨٠ (٩٩٠ م)^(٨). نشأ ابن الريب في القيروان وطلب

(١) يروي نفع الطيب (١: ٤٨٣) بيتين من هذه الأبيات لأبي عبد الله محمد بن سليمان الحنّاط (وكان سليمان

سبع المنطة في قرطبة) القرطبي الرعبي (بالتصغير) الأعشى الشاعر (ت ٤٣٧ هـ).

(٢) راحت (في المساء) تذكّرنا بطيب نسيمها الراح (الخمير). وطفاه: السحابة المشتبة (الكبيرة التي لها ذبول بارزة من أطرافها). الجنوب: ربيع الجنوب. تكسر للجنوب جناحاً: تطيع الريح في دفعها. أو: تكسر جناح الريح (لا تستطيع الريح أن تحركها).

(٣) مرتجة (متحركة بصنف) الأرجاء (الأطراف، الحوانب). يحس سيرها ثقل: يتمتع ثقلها من أن تسير. فتطويه الرياح (تتجمع الرياح وتنفخ وراهها). السراج: الترح (الاطلاق من القيد).

(٤) الحادي: الذي يسوق القافلة. وفي بيتي: تمب. الركاث (جمع ركوبة: الدابة المخصصة للركوب)

(٥) أو الحسين (راجع حاشية في نفع الطيب ٣: ١٥٦، من مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري عن ابن رشيقي).

(٦) كذا سماء حسن حسني عبد الوهاب (مجمل تاريخ الأدب التونسي، ص ٢١٤) وابن رشيقي وابن فضل الله العمري (نفع الطيب ٣: ١٥٦، الحاشية الثانية). وسماه السيوطي (بنية الوعاة ٢٣٠) ابن الريب (بالزاي أخت الراء) نقلاً عن ياقوت الحموي. وكذلك ساء عادل توبيض (تاريخ أعلام الجزائر ٩٦).

(٧) يقول حسن حسني عبد الوهاب (ص ١٢٤): «هو قيرواني صميم».

(٨) معجم أعلام الجزائر ٦٩. وقال حسن حسني عبد الوهاب: كانت وفاته (سنة ٤٣٠ هـ) وقد جاوز الحسين.

العلم فيها، وقد عُنيَ به محمد بن جعفر القزاز القيرواني (ت ٤١٢) عنايةً صحيحةً فبلغ به نهايةَ الأدب (التأديب: التعليم) ونهايةَ علمِ الخبر (التاريخ) والنسب (أنساب القبائل). وتولى ابنُ الربيب القضاءَ في تاهرت حيناً فصار يُعرفُ بالقاضي التاهرتي أيضاً.

صحبَ ابنُ الربيب بني أبي العرب فنالَ بهم وجاهةً ومكانةً: سُئلَ عبدُ الكريم النهشلي يوماً عن أشعرِ أهلِ بلده فقال: أنا ثم ابنُ الربيب. وكانت وفاةُ ابنِ الربيب في القيروان، سنةَ ٤٣٠^(١) (١٠٤٠ م).

٢- كان ابنُ الربيب القيرواني لُغويًا نحويًا وعارفًا بأنسابِ الناسِ حتى اكتسبَ لقبَ «النسابة الإفريقي». وكان أيضاً أديباً ناثراً وشاعراً مُجيداً قوياً الكلام يقول في المدح والثناء، ورُبما تكلفَ في النظم. ثم هو مصنفٌ له كتابٌ في النسب.

٣- مختارات من آثاره

- كتب ابنُ الربيب التاهرتيُّ إلى أبي المُغيرة عبد الوهاب بن حزم رسالةً يذكرُ له فيها فضلَ أهلِ الأندلس واتساعَ الثقافة والحضارة في بلادهم وهم معَ ذلك مُقَصِّرون في تحليلِ آثارِ علماهم وفي تدوينِ فضائلِ بلادهم. قال:

..... فكثرتُ في بلادكم إذ كانت قرارة كلِّ فضلٍ ومنهل^(٢) كلِّ خيرٍ ونُبْلٍ ومصدر كلِّ طُرْفَةٍ ومورد كلِّ تُحفة^(٣).... إن بارتَ تجارةً فالإنها تُحلبُ، وإن كسدتَ بضاعةً ففيها تنفقُ، معَ كثرةِ علماها ووفرةِ أدبائها وجلالةِ ملوكها ومحبتهم للعلم وأهلِهِ...

ثم هم معَ ذلك في غايةِ التقصير ونهايةِ التفريط...

(١) في بنية الوعاة: سنة ٤٢٠ هـ. وفي معجم أعلام الجزائر: ٣٤٠ - ٤٢٠ هـ.

(٢) قرارة: مكان منخفض إذا حلَّ به شيء بقي هناك. المنهل: مكان يشرب منه الناس الماء.

(٣) الطرفة: الشيء المستحدث (الجديد) العجيب. التحفة: الطرفة إذا كانت ثمينة (غالية الثمن) تستحق أن يتحف (بالبناء للمجهول) بها الناس (أن تهدي إليهم).

فَعَلِمَاؤُكُمْ مَعَ اسْتَظْهَارِهِمْ عَلَى الْعُلُومِ^(١) كُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ قَائِمٌ فِي ظِلِّهِ لَا يَبْرَحُ،
 وَرَاتِبٌ^(٢) عَلَى كُتْبِهِ لَا يَتَزَجَرُحُ. يَخَافُ إِنْ صَنَّفَ أَنْ يُعْتَفَ، وَإِنْ أَلَّفَ أَنْ يُخَالَفَ وَلَا
 يُوَالَفَ. لَمْ يُتِمِّبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ نَفْسًا فِي جَمْعِ فُضَائِلِ أَهْلِ بَلَدِهِ، وَلَمْ يَسْتَعْمَلْ خَاطِرُهُ فِي
 مَفَاخِرِ مُلُوكِهِ، وَلَا بَلٌّ قَلَمًا بِمَنَاقِبِ كُتَابِهِ وَوُزَرَائِهِ، وَلَا سَوْدٌ قُرْطَاسًا بِمَحَاسِنِ قُضَاتِهِ
 وَعِلْمَائِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَوْ أَطْلَقَ مَا عَقَلَ^(٣) الْإِغْفَالُ مِنْ لِسَانِهِ، وَبَسَطَ مَا قَبَضَ الْإِهْلَالُ مِنْ
 بَيَانِهِ، لَوَجَدَ لِلْقَوْلِ مَسَاجِدًا^(٤) وَلَمْ تَصِقْ عَلَيْهِ الْمَسَالِكُ وَلَمْ تَخْرُجْ بِهِ الْمَذَاهِبُ وَلَا اشْتَبَهَتْ
 عَلَيْهِ الْمَصَادِرُ وَالْمَوَارِدُ^(٥). وَلَكِنْ هُمْ أَحَدِهِمْ أَنْ يَطْلُبَ شَأَوٌ^(٦) مِنْ تَقَدُّمِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ
 لِيَحْزَرَ قَصَبَاتِ السَّبْقِ بِقُدْحِ ابْنِ مُقْبِلٍ بِكُظْمِ دَغْفَلٍ، وَيَصِيرَ شَجَاً فِي حَلْقِ أَبِي
 الْعَمَيْثِلِ^(٧). فَإِذَا أَدْرَكَ بُغْيَتَهُ وَاخْتَرَمَتَهُ^(٨) مَنِيتُّهُ دُفِنَ مَعَهُ أَدْبُهُ وَعِلْمُهُ، وَانْقَطَعَ
 خَبْرُهُ... وَعُلَمَاءُ الْأَمْصَارِ احْتَالُوا لِبَقَا ذِكْرِهِمْ احْتِيَالِ الْأَكْبَاسِ^(٩) فَالْفَوْا دَوَائِنَ
 بَقِيٍّ لَمْ يَبْقَ بِهَا ذِكْرٌ مُجَدَّدٌ طَوَلَ الْأَبَدِ. فَإِنْ قُلْتُ: إِنَّهُ كَانَ مِثْلُ ذَلِكَ مِنْ عُلَمَائِنَا فَالْفَوْا
 كُتُبًا لَكِنَّا لَمْ نَصِلْ إِلَيْنَا^(١٠). فَهَذِهِ دَعْوَى لَمْ يَصْغَبْهَا تَحْقِيقٌ لِأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

(١) استظهارهم: استيلاؤهم، ظفرهم.

(٢) راتب: ثابت في مكانه لا يتزجرج.

(٣) عقل: ربط.

(٤) المساجد: المجرى، الطريق.

(٥) اشتبه: غمض، خفيت. المصادر والموارِد (سير الأُمُور: أَوَائِلُهَا وَأَوَاخِرُهَا، أَسْبَابُهَا وَنَتَائِجُهَا).

(٦) الشأو: الأمد والعناية (النقطة التي يحاول أن يصل إليها المتسابقون).

(٧) حار قصبات السبق: سبق غيره وتقدم عليه (كان على السابق أن يصل إلى آخر الشوط ويتناول

هنالك قصبة قبل أن يصل إليها غيره). ابن مقبل: شاعر كان في صدر الإسلام الأول. قدح ابن

مقبل (النصيب الأكبر، الظفر التام) راجع ديوان ابن مقبل بتحقيق عزة حسن (ص ١٩ - ٢٠

من المقدمة). دغفل بن حنظلة (ت ٦٥ هـ) يضرب به المثل في معرفة الأسباب. بكظم دغفل

(وبكظم دغفل!)... أبو العميثل هو عبد الله بن خليل (ت ٢٤٠ هـ) كان حاضر البديهة سريع

الجواب مع الإجابة.

(٨) اخترمته منيته (مات باكراً).

(٩) الأكياس جمع كئيس: عاقل.

(١٠) لم تصل إلينا (أي لم تصل من الأندلس إلى المغرب).

غَيْرُ رَوْحَةٍ رَاكِبٍ أَوْ رَحْلَةً قَارِبٍ، لَوْ نَفَتْ مِنْ بَلَدِكُمْ مَصْدُورٌ^(١) لَأَسْمَعَ مِنْ يَبْلَدِنَا فِي الْقُبُورِ، فَضْلاً عَمَّنْ فِي الدُّوْرِ وَالْقُصُورِ.

- وقال من قصيدة يمدح بها مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْعَرَبِ:

وَلَمَّا التَّمَّى الْجَمْعَانِ وَاسْتَمَطَرَ الْأَسَى مَدَامَغٌ مِنَّا تُفْطِرُ^(٢) الدَّمْعَ وَالْدَّمَاءَ،
بَدَأَ مَاثَمٌ لِلْبَيْنِ غَنَى بِهِ الْهَوَى بِشَجْوٍ، وَحَنَ الشَّوْقُ فِيهِ فَارَزَمًا^(٣).
تَصَدَّتْ فَأَشْجَتْ، ثُمَّ صَدَّتْ فَأَسْلَمَتْ ضَمِيرُكَ لِلْبَلَوَى عَقِيلَةً أَسْلَمًا^(٤).

- وقال يرثي المنصورَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ أَبِي الْعَرَبِ:

بِأَقْبَرٍ، لَا تُظْلِمُ عَلَيْهِ فِطَالًا جَلَى بِغُرَّتِهِ دُجَى الْإِظْلَامِ^(٥).
أَعْجَبَ بِقِرِّ قَيْدٍ شَبِيرٍ قَدْ حَوَى لَيْثًا وَبَخَرًا نَدَى وَبَذَرَ تَمَامًا^(٦)!
- ورثى جماعة قُتِلُوا (في مَعْرَكَةٍ بعد أن قُتِلُوا مِنْ خُصُومِهِمْ خَسِينًا):

وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنَّهُمْ خِصْمٌ مَضَوْا وَقَدْ أَفْصَحُوا خَسِينٌ قَرَمًا مُسَوِّمًا^(٧).
وَكَانَ عَظِيمًا لَوْ نَحَوَّا، غَيْرَ أَنَّهُمْ رَأَوْا حُسْنَ مَا أَبْقَوْا مِنَ الذَّكْرِ أَغْطَا.

٤ - ★ الأعمودج ٦٩ - ٧٢، الذخيرة ١: ١٣٣ - ١٣٦، إنباه الرواة ١: ٣١٨ - ٣١٩،
بغية الوعاة ٢٣٠، نفع الطبيب ٢: ٣٠١ - ٣٠٢، ٣: ١٥٦، دائرة المعارف
الإسلامية ٣: ٩٠١، مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٢٤ - ١٢٧، معجم أعلام
الجزائر ٦٩.

(١) المصدور: المصاب بالسل (وبكون نفثه: نغله، بصاقه ضيقاً).

(٢) في إنباه الرواة: (١: ٩): مدامع ما غطو به الدمع والدماء!

(٣) المأم: اجتماع النساء (لنساء الموت). البين: الفراق، البعاد (كان النساء يبكين لفراقه كأنهن كنَّ في مأم). غنى به الهوى (التي بكت كانت تحبني فكان بكائها بدافع حبها لي لا بدافع حزنها علي). أررم: صوت، رفع الصوت عالياً.

(٤) تصدَّت: تعرضت (ظهرت أمامي، رأيته). أشجى: حزن وأحزن. صَدَّتْ: أعرضت (لم توافقني على طلب لي). عَقِيلَةً (امرأة كريمة من بني) أسلم.

(٥) جَلَى: كشفت. الفرة: الشعر في مقدم الرأس (هنا): الجبهة، الوجه، والفرّة توصف بالبياض.

(٦) أعجب (صيغة للمعجب): ما أعجب! قر قيد (بمقدار) شير: ضيق.

(٧) قصصه: طعنه بالرمح طعنًا متوالياً (قتله). القرم: السيد. السوم: الذي له علامة (دلالة على شرفه ومكانته في قومه).

أبو الفتوح الجرجاني

هو أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني الإسترابادي العدوي الأندلسي النحوي، أصله من جرجان؛ وكان مولده سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م).

تلقى أبو الفتوح الجرجاني علم اللغة والنحو في بغداد: روى عن عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) وعلي بن عيسى الربيعي (ت ٤٢٠ هـ) وعن عبد السلام بن الحسن البصري قرأ عليه ديوان الحماسة لأي تمام سنة ٣٧٨ هـ. أما أكثر روايته فكان عن ابن السيرافي قرأ عليه كتاب الجُمهرة لابن دريد وديوان المتنبي وغير ذلك.

ودخل الجرجاني إلى الأندلس سنة ٤٠٦ هـ (١٠١٥ - ١٠١٦ م)، ويبدو أنه لم يتصل بأحد من أمرائها قبل اتصاله بمجاهد العامري صاحب دانية (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ)؛ وكان مجاهد سائراً إلى غزو جزيرة سردانية فاصطحبه. ثم اتصل بيحيى بن علي بن حمود صاحب مالقة (٤١٢ - ٤٢٧ هـ). فالزم يحيى بن حمود ابنه (الحسن) صُحبة الجرجاني لأنه كان يُعِدُّ ابنه هذا للحكم من بعده. ثم تغير قلب يحيى على الجرجاني فذهب الجرجاني إلى بني زيري في غرناطة.

تصدّر الجرجاني، في أثناء تطوافه الكثير في الأندلس، للتدريس فأملى شرح كتاب الجمل للزجاجي وشرح ابن السيرافي لأبيات إصلاح المنطق لابن السكيت.

في سنة ٤٣٠ هـ جاء إلى حكم غرناطة باديس بن حبوس، فتأمر عليه ابن عمه يدير بن حُباسة. ويبدو أن الجرجاني ناصر يدير. فلما انكشفت المؤامرة هرب الجرجاني إلى إشبيلية فقبض باديس على زوجة الجرجاني وابنه وحسبهما في المنكب (حصن المنكب على الساحل، جنوب غرناطة). فرجع الجرجاني إلى غرناطة ليستعطف باديس فلم يَفْطَفْ عليه باديس وقتله في ٢٨ من المحرم من سنة ٤٣١ هـ (١٠٣٩/١٠/٢٠ م).

كان أبو الفتوح ثابت الجرجاني إماماً في غريب اللغة وفي علم العربية (النحو) غزير الأدب كثير الحفظ لأشعار الجاهليين والإسلاميين، عارفاً بعلم المنطق مُشاركاً في علوم التعاليم (الرياضيات والطبيعات) والنجوم وفي الأدب والحكمة. وكان أيضاً مؤلفاً له: شرح ديوان الحماسة لأي تمام - شرح كتاب الجمل للزجاجي.

٤ - ** جذوة المقتبس ١٧٣ - ١٧٤ (الدار المصرية) ١٨٤ - ١٨٥ (رقم ٣٤٤)؛ بقية
 المتص ٢٣٦ - ٢٣٧ (رقم ٦٠٢)؛ معجم الأدياء ١٤٥ : ٧ - ١٤٨؛ كتاب الصلة
 ١٢٥؛ الذخيرة ١٢٤ - ١٢٦؛ الإحاطة ٤٦٢ - ٤٦٦؛ بقية الوعاة ٢١٠
 إنباه الرواة ١ : ٢٦٣ - ٢٦٤؛ بروكلمن، الملحق ١ : ٤٠ (السطر ٢٢).

آل عباد

آل عباد يمانية (من عرب الجنوب) من بني لخم، قيل إنهم ينتسبون إلى
 اللخمين آل المنذر بن ماء السماء ملوك الحيرة. وكانت مساكنهم في الإسلام في
 العريش (بين الشام ومصر). وكان أقدم من جاء منهم إلى الأندلس نعيم وابنه عطاء
 (بكر العين وطاء مهملة بلا تشديد) - جاء مع بلج بن بشر القشيري الذي أرسله
 هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ) في جيش من أهل الشام نجدة للعرب لما ثار
 ميسرة الخارجي في جماعات من بني مضفرة البربر. ثم إن بلجاً دخل بمن معه من
 أهل الشام إلى الأندلس - في حديث طويل - في أواخر سنة ١٢٣ (٧٤١ م).

وفي الأندلس نزل نعيم وابنه عطاء في إقليم طشانة قرب إشبيلية حيث أنشأ
 أسرتها الجديدة. وكان أول من تبع في هذه الأسرة أبو القاسم محمد بن إسماعيل
 (ت ٤٣٣ هـ) ثم ابنه أبو عمرو عباد (ت ٤٦١ هـ) ثم حفيده أبو القاسم محمد
 (المتعمد بن عباد المتوفى ٤٨٨ هـ). وكان للمتعمد عدد من الأولاد منهم عبيد الله
 وي زيد ويحيى وحكم وبثينة. وجميع بني عباد المذكورين هنا قد قالوا الشعر، وأشعر
 آل عباد المتعمد، وأشعر أولاد المتعمد يزيد وبثينة.

أبو القاسم بن عباد

١ - هو القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل ذي الوزارتين بن محمد بن إسماعيل
 بن قريش بن عباد من بني لخم، قيل من نسل النعمان بن المنذر ملك
 الحيرة. كان في أول أمره قاضياً على إشبيلية في دولة بني حمود أصحاب مالقة في
 أيام القاسم بن حمود (٤٠٨ - ٤١٦ هـ). فلما وقع النزاع بين القاسم بن حمود وابن
 أخيه يحيى بن علي بن حمود وتعاقبا على العرش مرتين مرتين، انتزع أبو القاسم بن

عَبَادٍ إِشْبِيلِيَّةً وَأَسَّسَ فِيهَا مَمْلَكَةً، وَاحْتَفَظَ مُدَّةً بَلَقِبَ «حَاجِبٍ» (وزير، رئيس وزارة) ثُمَّ اتَّخَذَ لَقَبَ «الظافر». وَكَانَتْ وَفَاةُ أَبِي الْقَاسِمِ (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ) بْنِ عَبَّادٍ فِي التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ٤٣٣ (١٠٤٢/١/٢٤ م).

٢- كَانَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَبَّادٍ عَاقِلًا كَرِيمًا وَأَدِيبًا نَاشِرًا مُتَرَسِّلًا وَنَاطِقًا عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْبَرَاعَةِ فِي الْوَصْفِ وَالْفُخْرِ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَبَّادٍ يُشَبِّهُ شَجَرَةَ الْيَاسْمِينِ بِمُطَرَفٍ (تُوبٍ مِنْ حَرِيرٍ) أَخْضَرَ كَأَنَّ أَزْهَارَهَا عَلَيْهَا دِرَاهِمٌ مِنْ فِضَّةٍ:

وَيَاسْمِينٍ حَسَنَ الْمَنْظَرِ يَفُوقُ فِي الْمَرَأَى فِي الْمَحْبَرِ^(١)
كَأَنَّهُ مِنْ فَوْقِ أَغْصَانِهِ دِرَاهِمٌ فِي مُطَرَفٍ أَخْضَرَ^(٢)
- وَقَالَ يَفْتَخِرُ وَيُمْنِي نَفْسَهُ بِاتِّسَاعِ مَلِكِيهِ:

وَلَا بَدَّ مِنْ يَوْمٍ أَسْوَدَ عَلَى الْوَرَى وَلَوْ رُدَّ عَمْرُوٌّ لِلزَّمَانِ وَعَاسِرُ^(٣)
فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا فِي ضُلُوعِي كَامِرُ. وَلَا الْجُودُ إِلَّا مِنْ يَمِينِي نَاشِرُ.
فَجِيشُ الْعُلَا مَا بَيْنَ جَنْبَيَّ جَائِلُ وَبَحْرُ الثَّدْيِ مَا بَيْنَ كَفَيَّ زَاخِرُ.

٤- * * الصلة ٤٩٥-٤٩٦؛ الذخيرة ١٢: ٢-١٢٣ جذوة المقتبس ٧٥ (رقم ١٢٦)؛ بغية الملتبس ١٠٧-١٠٨ (رقم ٢٤٧)؛ الحلة السراء ٣٦: ٢-٣٩؛ البيان المغرب ٣: ٢٧٣ وما بعد؛ وفيات الأعيان (في ترجمة المتمدن) ٥: ٢٢ وما بعد؛ فوات الوفيات ١: ٢٥٤؛ الوافي بالوفيات ٢: ٢١٢-٢١٤؛ شذرات الذهب ٣: ٢٥٢-٢٥٣؛ نفع الطيب ٤: ٢٢٦-٢٢٨؛ نيكل ١٢٧؛ مختارات نيكل ٧٤-٧٥؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٦٠-٢٦١ (٣٥-٣٦).

(١) فِي الْمَرَأَى وَاهْمِرِ (الْمَنْظَرِ وَالرَّائِحَةِ).

(٢) ... دِرَاهِمٌ (بِضْ) فِي مُطَرَفٍ (تُوبٍ مِنْ حَرِيرٍ).

(٣) عَمْرُوٌّ (عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ) مَاءُ السَّهْلِ أَكْثَمُ مَلُوكِ الْيَمَنِ. وَمَلِكٌ آخَرٌ مِنَ الْفَاسَانَةِ. وَعَامِرٌ (ذُو رِهَاشٍ) أَيْضًا مِنْ مَلُوكِ الْيَمَنِ. سَأَمَكَ الْأَرْضُ وَلَوْ رَجَعَ هَذَا الْمَلِكُ (وَأَمَثَلَهَا) إِلَى الْحَيَاةِ (سَاحِضَهَا) أَيْضًا.

ابن الأَبَارِ الخَوْلَاني الشاعر

١- هو أبو جعفر أحمد بن محمد الخَوْلَاني الأندلسي الإشبيلي من أهل إشبيلية،
وُلِدَ فيها، ومن شعراء القاضي أبي القاسم بن عبادٍ كانت وفاته في إشبيلية سنة ٤٣٣
هـ (١٠٤٢ م).

٢- ابن الأَبَارِ الخَوْلَاني شاعرٌ مُجيدٌ حَسَنُ الصِّناعة له قصائدٌ ومقطعاتٌ ويظهرُ
على شعره شيءٌ من نَفَسِ المتنبي. وكانت له تصانيفٌ وفنونه الوصفُ والغزلُ مع
شيءٍ من المجون، وله مديح.

٣- مختارات من شعره

-- قال ابن الأَبَارِ الخَوْلَاني يمدح المعتضد^(١) بن عبادٍ (المغرب ١ : ٢٥٣):

مَلِكٌ إِذَا الْمَبَوَاتُ أَظْلَمَ جُنَحُهَا جَمَلَ الْحُسَامَ إِلَى الْحِمَامِ دَلِيلًا^(٢)
إِنْ كَانَتْ الْأَسْدُ الصَّوَارِي لَمْ تَخَفْ مِنْ بَأْسِهِ فَلِمَ اتَّخَذَنَ الْفِيلَا؟^(٣)
أَوْ كَانَتْ الْبَيْضُ الصَّوَارِمُ لَمْ تَهَمْ فِي حُبِّهِ فَلِمَ اكْتَسَبْنَ نُحُولًا؟

- وقال في النسيب، مع شيءٍ من المجون وشيءٍ من العِفَّة:

خَافَ الْعُيُونُ فَوَاقِنِي عَلَى عَجَلٍ مُعْطَلًا جِيدهُ إِلَّا مِنْ الْجَيْدِ^(٤)
عَاطِيَتُهُ الْكَأْسُ فَاسْتَحْيَيْتُ مُدَامَتَهَا مِنْ ذَلِكَ الشَّيْبِ الْمَسْوُولِ وَالْبَرْدِ^(٥)
حَتَّى إِذَا غَازَلْتُ أَجْفَانَهُ سِنَّةً وَصَيَّرْتُهُ يَدُ الصَّهْبِ طَوْعَ يَدِي^(٦)

(١) كذا في «المغرب». ولعله يقصد القاضي محمد بن اسماعيل بن عباد.

(٢) الهبوة: الغيرة (الثائرة في المركة). الجنح (بكسر الجيم وضمها): الجانب (القسم) من الليل. الحمام (بالكسر): الموت.

(٣) الغبل (مفرد) مكان فيه شجر كثير ملتفت (كثيف) تأوي إليه الأسود أحياناً.

(٤) الجيد: العنق. عطّل جيده (لم يزينه بالخل). الجيد (يفتح ففتح): طول العنق (وهو من شارات الجهال).

(٥) عاطيته الكأس: شربت معه الخمر. الشنب: جمال الأسنان وصفاء لونها. البرد (الحبات المتبلورة في أثناء سقوط المطر عند البرد الشديد (كتابة عن استواء شكل الأسنان). لون الخمر الجميل (الصافي) استحيا من لون أسنانه وصفائها.

(٦) السنة (بكسر السين): النعاس. غازلت أجفانه سنة (بدا النعاس يستولي عليه). الصهباء: الخمر.

أردتُ تَوْبِيدهُ خَدَيَّ وَقَلَ لَهُ : فقال: كَفُكْ عِنْدِي أَفْضَلُ الْوُسْدِ (١)
فَبَاتَ فِي حَرَمٍ لَا غَدْرَ يَدْعُرُهُ ، وَبَتْ طَمَّانٌ لَمْ أَصْدُرْ وَلَمْ أَرِدْ (٢)
بَدْرُ أَلَمٍ وَبَدْرُ التَّمِّ مُنْتَجِقٌ وَالْأَفْقُ مُخْلُوكُ الْأَرْجَلِ مِنْ حَدِّ (٣)
تَجَبَّرَ الْبَدْرُ مِنْهُ أَيْنَ مَطْلَعُهُ ، أَمَا ذَرَى اللَّيْلُ أَنَّ الْبَدْرَ فِي عَضْدِي (٤) ؟

٤- ** جذوة المقتبس ١٠٧ (الدار المصرية) ١١٥ (رقم ١٩٠)؛ بغية الملتبس ١٥٢-١٥٣ (رقم ٣٥٢) المطمح ١٠-١١؛ الذخيرة ١٠٦:٢-١١٢؛ ١٥٣-١٥٨؛ ٢٠٣، ٢٠٧-٣٩٦، ٣٩٧؛ وفيات الأعيان ١: ١٤١-١٤٢؛ الوافي بالوفيات ١: ١٣٧؛ المغرب ١: ٢٥٣؛ نفع الطيب ٣: ٤٧٧-٤٧٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧١-٦٧٢؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٠٦ (٢١٣)؛ نيكل ٢١٠.

أبو الحزم جهور

١- هُوَ أَبُو الْحَزْمِ جَهْوَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ جَهْوَرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي الْغَمَرِ بْنِ يَحْيَى كَانَ جَدُّهُ الْأَعْلَى فَارِسِيًّا مَوْلَى لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ. ثُمَّ إِنَّ جَدًّا لَهُ - يَسْمُونَهُ يَوْسُفَ بْنَ بُخْتٍ - دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ قَبْلَ مُحَمَّدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْدَّاهِلِيِّ.

وُلِدَ أَبُو الْحَزْمِ جَهْوَرٌ فِي أَوَّلِ الْحَرَمِ سَنَةَ ٣٦٤ (٩٧٤/٩/٢١ م) فِي قَرْطَبَةِ، فِي أُسْرَةٍ وَجِيهَةٍ غَنِيَّةٍ. وَقَدْ رَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ عَبَّاسِ بْنِ أَصْبَغٍ الْمَدَنِيِّ وَأَبِي مُحَمَّدٍ الْأَصْبَلِيِّ وَالْقَاضِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُقَرَّجٍ وَسَوَاهِمَ.

كَانَ أَبُو الْحَزْمِ جَهْوَرٌ مَشْهُورًا بِالتَّقْوَى وَالْفَضْلِ وَالْعَقْلِ وَمِنْ ذَوِي الْمَكَانَةِ مَسْمُوعَ الْكَلِمَةِ. وَكَانَ مِنْ وَرَثَةِ الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ، فَلَمَّا حَدَّثَتْ الْفِتْنَةُ عَلَى هِشَامِ الثَّالِثِ الْمَعْتَدِ وَثَارَتِ الْعَامَةُ وَخُلِعَ هِشَامٌ، فِي ١٢ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٤٢٢ (١٠٣١/١٢/٢ م) اجْتَمَعَ الْوُزَرَاءُ وَطَلَبُوا مِنْهُ تَهْدِئَةَ النَّاسِ فَهَتَفَ بِهِمْ فَهَذَاؤَا. وَطَلَبَ النَّاسَ إِخْرَاجَ

(١) التوسيد: وضع الرأس (للنوم) على وسادة (معدة). الوسد (بضم فسكون أو بضم ضم) جمع وسادة.

(٢) ... يعني الشاعر أنه عفت عن محبوبه الذي كان نائماً على ذراعه. ورد: ذهب إلى الماء (شرب) ...

صدر: رجع عن الماء.

(٣) بدر (غلام جميل، محبوب) ألم (زار زيارة قصيرة) وبدر التم (قمر السماء) متمق (في آخر الشهر).

محلوك: مظلم.

(٤) العضد: ما بين المرفق الكتف.

بني أمية (أمراء البيت المالِك) من قُرْطُبَة فأخرجهم أبو الحزم جَهْورٌ وَمَعَهُمْ هَشَامٌ
نَفْسُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحْدُثَ شَقَبٌ.

بعدئذ أُجْمِعَ النَّاسُ عَلَى أَنْ يَتَوَلَّى أَبُو الحزم جَهْورٌ أَمَرَ قُرْطُبَة.

وكانت وفاة أبي الحزم جَهْورِي في السادس من المُحَرَّم من سَنَةِ ٤٣٥ (الذخيرة ١ :
٦٠٤) الواقع فيه ١٥/٨/٤٣١٠ م.

٢ - كان في أبي الحزم بن جهور مزايا نادرة. كان يُصَرِّفُ الْأُمُورَ بِحِكْمَةٍ وَعَدْلٍ
وَتَجَرُّدٍ، فَمَا كَانَ يَقْضِي فِي مَسْأَلَةٍ إِلَّا إِذَا اسْتَشَارَ أَهْلَ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ. وَلَمْ يَتَسَمَّ بِلقبٍ
فوق لقب « وزير » وَهُوَ اللَّقب الذي كان له قبلُ أَنْ يَتَوَلَّى أُمُورَ قُرْطُبَة. وقد حَرَّمَ
الخمرَ وأمر بِكسرِ أوانيها في قرطبة. ثُمَّ إِنَّهُ سَاعَدَ عَلَى هُدُوءِ الْفِتْنَةِ الَّتِي كَانَتْ نَائِثَةً
فِي أَعْقَابِ الْخِلَافَةِ الْمَرْوَانِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ، فَمَا كَانَ زَعِيانٍ فِي صِغَعٍ مِنْ أَصْقَاعِ الْأَنْدَلُسِ
يَتَنَازَعَانِ عَلَى حَكْمِ بَلَدٍ أَوْ فِي أَمْرِ عَامٍ إِلَّا سَعَى إِلَى الْإِصْلَاحِ بَيْنَهُمَا. وَلَمْ تُغَيِّرْهُ الدُّنْيَا
وَلَا الثَّرْوَةُ، وَلَا غَرَّتْهُ الدُّوْلَةُ وَالْمَكَانَةُ حَتَّى إِنَّهُ ظَلَّ يُؤَدِّنُ بِنَفْسِهِ عَلَى بَابِ مَسْجِدِهِ كَمَا
كَانَ يَفْعَلُ مِنْ قَبْلُ.

وكذلك كان أبو الحزم جهورٌ فقيهاً من الشيوخ الأكابر وأديباً مُتَرَسِّلاً وشاعراً
ليس من الطبقة الأولى. وشِعْرُهُ يَدُورُ عَلَى الْوَصْفِ وَالْحِكْمَةِ وَالزُّهْدِ فِي الْأَكْثَرِ. وَكَانَتْ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي عَامِرٍ بْنِ شُهَيْدٍ (ت ٤٢٦ هـ) مَكَانَاتٌ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ أَبُو الحزم جَهْورٌ فِي الْعِتَابِ (الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١ : ٢٤٨ - ٢٤٩) :

أَسَاتٌ - لَعْمَرِي - إِذْ أَسَاتَ بِي الظَّنَا	وَالزَّمَمَتْنِي ذَنْبًا شَقَلَتْ بِهِ الدُّهْنَا
تَجَنَّبْتُ فِي عَذْلِي كَأَنِّي مُذْنِبٌ	رَوَيْدُكَ، إِنْ الْعَذْلُ قَدْ يُوجِبُ الشُّغْنَا ^(١)
فَلَا تَتَجَنَّبْ الذَّنْبَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ،	قُرْبُ تَجَنُّ يُوْرِثُ الْحَقْدَ وَالضُّغْنَا ^(٢)
وَإِنِّي أَمْرُو مَخْضُ الْمَوَدَّةِ مُخْلَصٌ	أَصَافِي خَلِيلِي بِالذِّي هُوَ بِي أَسْنَى

(١) تَجَنَّبْتُ فَلَانَ عَلَيْكَ ذَنْبًا : نَسَبْتُ إِلَيْكَ الذَّنْبَ ظُلْمًا. الْعَذْلُ : اللُّومُ. الشُّغْنَاءُ : الْحَقْدُ وَالْعَدَاوَةُ.

(٢) الضُّغْنُ : الْحَقْدُ الشَّدِيدُ.

وإن زلَّ يوماً في ودادي أقلته
وهل لي - فذتكَ النفس - دونك راحة
فبقي في ولا تعجل علي فإتني
ولا ذنب لي - فيما علمت - ولم أكن
- وقال في الرُّهْد:

قلت يوماً لدارٍ قدوم ثقاتوا:
فأجابت: هنا أقاموا قليلاً
- وله في العتاب والتقرُّيع:

يا عاتياً لي بالصُدو د، ألا ذكرتَ قبيحَ غَدرك؟
أخلّيتَ من قلبي مكا نأ كان معموراً بذكرك.
وأنا أجبك - لو وثقت - وأستديم بقاءه عُمرِكَ.

٤- ** جذوة المقتبس ٢٦ ثم ١٧٧ (الدار المصرية) ٢٧ ثم ١٨٨ - ١٨٩ (رقم ٣٦٠) بغية
الملتص ٢٤٤ (رقم ٦٢٥)، الطمع ١٤ - ١٥، الصلة ١٣٠، المغرب ١: ٥٦،
البيان المغرب ٣: ١٨٥ - ١٨٨، الحلة السراء ٢: ٣٠ - ١٣٤، نفح الطيب ١:
٣٠٢ - ٣٠٤، الأعلام للزركلي ٢: ١٣٩ (٢: ١٤١). راجع فهارس
الذخيرة (مثلاً ٢: ٥٣، ١٠٠، ٤٢، ٥١٢، ٥١٣، ٥٢٣، ٥٢٧).

تَمَامُ بنِ غالِبِ بنِ التِّيافِي

هو أبو غالبٍ تَمَامُ بنُ غالبِ بنِ عُمَرَ المعروفُ بابنِ التِّيَانِ أو ابنِ التِّيافِي (نسبةً إلى
التين وبيعه في الأغلب)، المُرْسِي القُرْطُبِي الأندلسي، كان من أهل مُرْسِيَّة. وقد كان
إماماً في اللغة ثقةً وأديباً بارعاً أميناً نزيهاً. وكان يَرُوي شعرَ أبي تَمَامٍ حبيبِ
(الطائي) فيأخذه الناسُ عنه (نفح الطيب ٣: ١٣٥). وعَرَفنا له كتابين في اللغة:
«تلقيح العين» وقد أجمعَ رواةُ الأدبِ على مدحه لأنَّه كتابٌ جامعٌ وموجزٌ في وقتٍ

(١) أقلته (عموت عن ذنبه). قارضته: بادلته. الحسناء: الحسناء.
(٢) أعنى: اهتم.

واحد، ثم كتاب «الموعب». وكانت وفاة تمام بن غالب في المِريّة، في أحد الجمادين من سنة ٤٣٦ هـ (أواخر ١٠٤٥ م).

**- جذوة المقتبس ١٧٢ (الدار المصرية) ١٨٣ (رقم ٣٤٢)؛ بغية الملتبس ٣٢٦ (رقم ٦٠٠)؛ الصلة ١٢٢-١٢٣؛ المغرب ١: ١٦٦؛ إنباه الرواة ١: ٢٥٩-٢٦٠؛ وفيات الأعيان ١: ٣٠٠-٣٠١؛ فهرست ابن خير ٣٥٩-٣٦٠؛ معجم الأدباء ٧: ١٣٥-١٣٨؛ بغية الوعاة ٢٠٩؛ نفح الطيب ٣: ١٣٥، ١٧١-١٧٢، ١٩٠؛ شذرات الذهب ٣: ٢٥٦؛ الأعلام للزركلي ٢: ٧٠ (٨٦-٨٧)؛ معجم المؤلفين ٣: ٩٢-٩٣.

مكي بن أبي طالب

١- هو أبو محمد مكي بن أبي طالب محمد (أو حموش بتشديد الميم في الأغلب: تصغير محمد) بن محمد بن مختار القيسي المقرئ. وُلِدَ في القيروان في ٢٢ من شعبان ٣٥٤ في الأغلب (٩٦٥/٨/٢٢ م) ونشأ فيها. وقد تردّد مكي بن أبي طالب بين القيروان ومصر ومكة مراراً - بين سنة ٣٦٧ وسنة ٣٩٢ هـ (٩٧٧-١٠٠١ م). في هذه الأثناء تلقى كثيراً من العلم.

ففي القيروان سمع من أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (٣١٠-٣٨٦ هـ) (٤) وأبي الحسن علي بن محمد القاسبي (٤٠٣ هـ) وغيرها. وفي مصر قرأ القرآن على المقرئ أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون الحلبي (ت ٣٨٩ هـ) وعلى ابنه طاهر (ت ٣٩٩ هـ). ثم أكمل استظهار القرآن الكريم في مصر، بعد دراسة أشياء من الحساب وغيره من العلوم والآداب، سنة ٣٧٤ هـ. أمّا في مكة فقرأ على نفر منهم: أحمد بن فiras العبّاسي ومحمد بن محمد بن جبريل العُجَبي وأبو الحسن بن زريق البغدادي ومحمد بن إبراهيم المروزي.

وفي سنة ٣٩٢ هـ (١٠٠٢ م) عاد نهائياً إلى القيروان. وفي رَجَب من السنة التالية انتقل إلى قرطبة. وفي قرطبة أقرأ القرآن في مسجد النخيلة في الرقاقين (أو الرقاقين أو الرواقين) عند باب العطارين. ثم نقله المظفر عبد الملك بن أبي عامر الحاجب (٣٩٢-٣٩٩ هـ) إلى جامع الزاهرة (راجع، فوق، ص ١٧٨) فأقرأ فيه إلى

أَن انصرفت دولة العامريين (٣٩٩ هـ = ١٠٠٩ م). في تلك السنة نقله الخليفة محمد المهدي بن هشام إلى المسجد الجامع بقرطبة فأقرأ فيه مدة الفتنة كلها (٣٩٩ - ٤٢٢ هـ).

وكانت الصلاة والخُطبة في جامع قرطبة للقاضي أبي الوليد يونس بن عبد الله المعروف بابن الصفّار (ت ٤٢٩ هـ). وكان يونس بن عبد الله كثيراً ما يستخلف مكّي ابن حموش على الخُطبة والصلاة مكانه. فلما توفّي يونس أقام أبو الحزم جمهور المستبد بأمر قرطبة (٤٢٢ - ٤٣٥ هـ) مكّي بن حموش إماماً رتباً في جامع قرطبة. وكانت وفاة مكّي بن أبي طالب حموش في قرطبة في ثاني المحرم من سنة ٤٣٧ (١٠٤٥/٧/٢٠ م).

٢ - كان مكّي بن أبي طالب إماماً عالماً بوجوه القراءات متبحراً في علوم القرآن، كما كان فقيهاً وأديباً شاعراً، ولكنه كان ضعيفاً في الخطابة ربّما تلجّج على المنبر. وكذلك كان مفكراً ينكر الخرافات ويكره الصوفية من أجل اختراعهم كثيراً من الخرافات والمحاللات. ومع أن شعره من طبقة شعر العلماء، فقد كان واضحاً سهلاً وعلى شيء من الطلاوة. وهو مؤلف كثير قيل إن له خمسة وثلاثين مصنفاً مبسوطاً في أجزاء كثيرة خمسة فمشرية فمشرين إلى سبعين جزءاً. من هذه:

تفسير القرآن - الهداية إلى بلوغ النهاية في معاني القرآن وتفسيره وأنواع علومه (سبعون جزءاً) - مشکل معاني القرآن - مشکل غريب القرآن - المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره - الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه - الإيضاح في الناسخ والمنسوخ - انتخاب كتاب الجرجاني^(١) في نظم القرآن وإصلاح غلطه (غلط

(١) الجرجاني المذكور هنا يجب أن يكون القاضي علي بن عبد العزيز (ت ٣٩٢ هـ) أو حزة بن يوسف (ت نحو ٤٢٧ هـ) أو عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١ هـ). ولم أعرّ فيها بين يدي من المراجع على كتاب لأحدهم عنوانه «نظم القرآن». غير أن لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي (٢٣٥ - ٣٢٢ هـ) كتاب «نظم القرآن» (المهرست ١٣٨، السطر ١٢١ مجمع الأدباء ٦٧: ٣، السطر ١٣ بروكلمن، الملحق ١: ٤٠٨، السطر ٥ من أسفل). وفي فهرست عن البلخي: «كان فاضلاً في العلوم القديمة والحديثة، تلا (تبع) في تصنيفاته وتأليفاته طريقة الفلاسفة، إلا أنه بأهل الأدب أشبه وإليه أقرب».

المرجاني) - الاختلاف في عدد الأعشار^(١) - كتاب تسمية (قسمة) الأحزاب^(٢) - بيان إعجاز القرآن - إعراب القرآن^(٣) - الإبانة عن معاني القرآن - الرعاية في تجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة - المَوْجَز في القراءات - اختصار (★) أحكام^(٤) القرآن - التبصرة^(٥) في القراءات - كتاب الإمامة^(٦) شرح الإدغام الكبير في المخارج - اختصار الإدغام الكبير على ألف، با، تا، ثا - كتاب الحروف المُدغمة (فرش الحروف المُدغمة) - شرح الوقف التام - الوقف على كلاً وبلى ونَعَمْ في القرآن^(٧) - منع الوقف على «إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى»^(٨) ★ - التذكرة في اختلاف القراء - البيان عن وجوه القراءات السَّبْع (ألفه ٤٢٤ هـ) - الكشوف عن وجوه القراءات وعللها - اتّفاق القُراء - التنبيه على

- (١) العشر عشر آيات من القرآن تامة المعنى تقرأ عادة في المناسبات.
- (٢) الحزب ربع الجزء من القرآن الكريم. والقرآن كله ثلاثون جزءاً.
- (٣) ورد له: شكل إعراب القرآن - إعراب مشكلات القرآن - إعراب مشكلات القرآن وذكر علله وسببه ونادره.
- (٤) الأحكام هنا تفهم على وجهين: أحكام (قواعد) أداء الألفاظ في التلاوة (وهو أبقى بالوضع) ثم الأحكام التي هي القواعد في المعاملات كالبيع والشراء والقصاص. وورد له «اختصار أحكام القرآن».
- (٥) كان مكيّ بن أبي طالب قد ألفه الموجز في القراءات «أو في القراءة سنة ٣٨٥ هـ، ثم جاء بكتاب التبصرة توسيماً لكتاب الموجز فألفها من أربع عشرة رواية من القراءات السبع المشهورة، وخصوصاً من قراءة ابن غلبون.
- (٦) الإمامة لفظ الألف بين الفتح والكسر.
- (٧) لعل مكيّ بن أبي طالب بدأ بهذا الكتاب ثم لم يَتِمَّه فإن له كتاباً في الوقف على «كلاً وبلى» فقط. ولعل هذا الكتاب يرد في المصادر المختلفة بعنوانين مختلفين، فندنا مثلاً: رسالة في حكم كلاً وبلى ونعم والوقف عليها والابتداء - شرح كلاً وبلى ونعم والوقف على كل واحدة منهما وذكر معانيها وعللها.
- (٨) هذه الألفاظ مأخوذة من آية تتعلق بمسجد الضرار، وذلك أن نقرأ من المنافقين بنوا محباب مسجد قبله (عند مدخل المدينة من الجنوب) مسجداً يريدون به أن يكون لجماعة تنافس أصحاب رسول الله ثم ادّعوا (يفتح العين) أنهم يريدون فقط أن ينشؤوا مسجداً ثانياً. وقد نزل في شجب عملهم هذا عدد من الآيات منها الآية التالية: (٩: ١٠٧، سورة التوبة): «والذين اتخذوا مسجداً ضراراً (بكسر الضاد) وكفراً وتفرقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل. وليحلفن (بضم الفاء) إن أردنا إلا الحسنى، والله يشهد إنهم لكاذبون». فالواضح هنا أن الوقف على كلمة «الحسنى» بذلك المعنى بأن يجعل بناء هذا المسجد أمراً حسناً.

أصول قراءة نافع^(١) وذكر الاختلاف عنه - أصول الطاء في القرآن والكلام وذكر مواضعها في القرآن - كتاب الياءات المشددة (المشدودة) في القرآن - منتخب الحجّة في القراءات * لأبي عليّ الفارسي^(٢) - شرح الراءات على قراءة ورش وغيره - كتاب وجوه اللبس التي لبس بها أصحاب الأنطاك في مدّ ورش^(٣) - الرسالة إلى أصحاب الانطاك في تصحيح المدّ لورش - شرح رواية الأعشى عن أبي بكر بن عاصم^(٤) - إصلاح ما أغفله ابن مسرّة في قراءات شاذّة^(٥) - الاختلاف بين أبي عمرو وحمزة^(٦) - شرح الفرق لحمزة وهشام^(٧) - الاختلاف بين قالون وأبي عمرو^(٨) - الاختلاف بين قالون وحمزة - الاختلاف بين قالون والكسائي^(٩) - الاختلاف بين قالون وعاصم - الاختلاف بين قالون وابن عامر^(١٠) - الاختلاف بين قالون وابن كثير^(١١) - التبيين بين قالون وورش - هجاء المصاحف^(١٢) - علل هجاء المصاحف - اختصار الألفات^(١٣) - الاختلاف في الرسم

- (١) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت ١٦٩ هـ) أحد القراء السبعة.
- (٢) أبو عليّ الحسن بن أحمد الفارسي (٢٨٨ - ٣٧٧ هـ) أحد الأئمّة في النحو.
- (٣) الإنطاك... (٤). ورش هو عثمان بن سعيد المصري (١١٠ - ١٩٧ هـ) من القراء.
- (٤) الأعشى هو عبد الحميد بن أبي أويس من القراء. في إنباه الرواة: «أبو بكر بن عاصم». المقصود: أبو بكر عاصم بن أبي الجود الفاري، الكوفي (ت ١٢٧ هـ).
- (٥) ابن مسرّة... (٥) القراءة الشاذّة التي لا يقرّها القراء السبعة.
- (٦) أبو عمرو بن العلاء البصري (٧٠ - ١٥٤ هـ) من أئمّة اللغة والأدب وأحد القراء السبعة. وحمزة بن حبيب بن الزيات الكوفي (٨٠ - ١٥٦ هـ) أحد القراء السبعة.
- (٧) هشام... (٧)
- (٨) قالون هو أبو موسى عيسى بن ميناء المدني (١٢٠ - ٢٢٠ هـ) أحد القراء المشهورين.
- (٩) الكسائي هو عليّ بن حمزة الكوفي (ت ١٨٩ هـ) أحد أئمّة اللغة والنحو والقراءة.
- (١٠) أبو عمران عبد الله بن عامر الشامي (ت ١١٨ هـ) أحد القراء السبعة.
- (١١) عبد الله بن كثير المكي (٤٥ - ١٣٠ هـ) أحد القراء السبعة. قالون: عيسى بن ميناء المدني (٢٢٠ هـ) أحد القراء المشهورين ومن علماء النحو.
- (١٢) هجاء المصاحف أو التهجئة أو الرسم في المصاحف (نسخ القرآن الكريم) يتبع أحياناً صوراً مخالفة للتهجئة اللفظية المعاصرة لنا، نحو بسم (باسم)، الرحمن (الرحان)، الصلوة (الصلاة)، الغدوة (الغداة) هو به (هواه)، آت (آنت)، فاعبدون (فاعبدوني) إلخ.
- (١٣) اختصار الألفات من الرسم منعاً لالتقاء أحرف الملة أو للاستغناء عنها: الرحمن (الرحان)، الشيطان (الشيطان) إبراهيم (إبراهيم)، إسحق (إسحاق).

من « هؤلاء » والحُجَّة لكلِّ فريق^(١) - تنزيه الملائكة عن الذنوب وفضلهم على بني آدم - بيان الصغائر والكبائر (من الذنوب) - الهداية (في الفقه) - الردّ على الأئمة فيما يقع في الصلاة من الخطأ واللحن في شهر رَمَضانَ وغيره - الترغيب في الصيام - كتاب فرض الحجّ على من استطاعَ إليه سبيلاً - بيان العمل في الحجّ من أول الإحرام^(٢) إلى الزيارة لقبر النبي صلى الله عليه وسلّم - إيجاب الجزاء على قاتل الصيد في الحرم^(٣) خطأ على مذهب مالك والحُجَّة في ذلك - الترغيب في النوافل^(٤) - التهجّد^(٥) في القرآن - المدخل إلى علم الفرائض (تقسيم الإرث) - كتاب ما أغفله القاضي منذر * ووهّم فيه في كتاب « الأحكام »^(٦) - شرح العارية والمرتبة^(٧) - شرح حاجة وحوائج وأصلها^(٨) - التذكرة لأصول العربية (النحو) ومعرفة العوامل - الزاهي في اللّمع الدالّة على مشتملات (مستعملات) الإعراب - الوصول إلى تذكرة الأصول لابن السراج في النحو^(٩) - مسائل الإخبار بالذي وبالألسف واللام! - كتاب دخول حروف الجرّ بعضها على بعض^(١٠) - الانتصاف في الردّ على أبي بكرٍ الأدفويّ فيما زعم من تغليطه في كتاب

- (١) هؤلاء . هاؤلاء . هؤلاء ...
- (٢) الإحرام : نية الدخول في أعمال الحجّ . وقد يكون الإحرام قبل ساعات من الوقوف بعرفة (تاسع ذي الحجة) أو قبل أيام أو أشهر .
- (٣) الحرم : منطقة مكة . وتحريم الصيد يكون في أثناء موسم الحجّ للحاجّ أو للمتمم (الحاجّ في غير أوائل ذي الحجة) .
- (٤) النوافل : العبادات غير المفروضة والتي يتطوّع المسلم بأداؤها .
- (٥) العبادة في الليل . التهجد بالقرآن (قراءته ليلاً) . قال تعالى : ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ (١٧ : ٧٩ ، سورة الإسراء) .
- (٦) القاضي منذر بن سعيد البُلوّطي الأندلسيّ (٢٧٣ - ٣٥٥ هـ) له كتاب « الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله » (والأحكام هنا : قواعد المعاملات والتفاصيل إلخ) .
- (٧) العارية (بإيهال الياء أو بتشديد ها ، جنرها عور) : ما تعطيه لغيرك على سبيل الإعارة . والمرتبة من عري : الريح الباردة .
- (٨) الحاجة مفردة هي الحاجة : ما يفتقر (يحتاج) إليه الإنسان . ولكن « حاجة » تجمع على حاجات ، أمّا « حائجة » فتجمع على حوائج .
- (٩) أبو بكر محمد بن السريّ بن السراج البغدادي (ت ٣١٦ هـ) من أئمة النحو والأدب .
- (١٠) كقولنا مثلاً : « طار المصنور من على الفنن » ، فإنّ على هنا تقوم مقام اسم أو تستعمل اسماً .

الإمامة^(١) - المواعظ النبوية - المبالغة في الذِّكْر - تحميدُ القرآن وتَهليله وتُسبيحه^(٢) - منتقى الجواهر في الدُّعاء - دعاء خاتمة القرآن - الرياض (مجموع!) - المسترضى شرح خطب ابن نباتة^(٣) - منتخب كتاب الإخوان لابن وكيع^(٤) - اختلاف العلماء في النفس والروح - المنتقى من الأخبار - إسلام الصحابة - معاني السنن القحطية والأيام - الاختلاف في الذبيح من هو^(٥) .
وهناك بضعة عشرَ كتاباً يقتصر كلُّ كتابٍ منها على آية واحدة من آيات القرآن الكريم، نحو «شرح قوله تعالى «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»^(٦) . لم أوردُها هنا .

٣ - مختارات من شعره

- قال مكيُّ بن حوشٍ في إنكار البدع والخرافات وفي الحملة على الصوفية وفي التمسك بسنة الرسول:

قُلْ لِمَنْ يَنْفِي الْمِرَا وَالْجَدَلَا	فِي الْبِرَاهِينِ وَذِكْرَ الْبُدَلَا ^(٧)
وَحِكَايَاتِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي	تُورِثُ الْعَجْزَ وَتُبْذِي الْكَسَلَا:
وَيْلَكَ، دَغْ عَنْكَ الْخُرَافَاتِ وَلَا	تُكْثِرِ الْمَرْحَ، أَخِي، وَالْمَرْزَلَا ^(٨) .
أَيِّنْ مِنْ يَمْشِي عَلَى الْمَلَا وَلَمْ	تَخْشَ مِنْهُ قَدَمَاهُ الْبَلَلَا؟

-
- (١) أبو بكر محمد بن عليّ الأدفوي المصري (٣٠٤ - ٣٨٨ هـ) من علماء التفسير والنحو.
 - (٢) التحميد (الحمد لله) والتَهليل (لا إله إلا الله) والتسبيح (سبحان الله)...
 - (٣) أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن نباتة (٣٣٥ - ٣٧٤ هـ) الحلبي، كان بارعاً في الخطب المنبرية (الدنية) وفي الحث على الجهاد.
 - (٤) ابن وكيع وكتاب الإخوان... (٥)
 - (٥) أهو إسحاق بن إبراهيم أم إسماعيل بن إبراهيم؟
 - (٦) ٥٦ : ٥٦ ، سورة الذاريات.
 - (٧) المراء: الجدل والمخالفة في الرأي. البدل (بفتح وفتح وتجمع على أبدال) تم البدل (وتجمع على بدلاء): أحد كبار الصوفية يزعمون له تأثيراً في العالم الطبيعي... للذي ينكر البراهين المعقولة تم يستشهد بأقوال أهل التصوف غير المعقولة.
 - (٨) وي: كلمة للزجر والتهديد. ويك: ويل لك! المرل بفتح ففتح: المزج (مزج الحق بالباطل).

أَوْ يَلِثُ الْمَاءُ بِالرَّمْلِ، فَإِنْ
أَوْ يَكُونُ الطَّيْرُ فِي جَوْ السَّمَاءِ،
أَوْ يَحْجُ الْبَيْتُ فِي يَوْمٍ؟ لَقَدْ
هَذِهِ الْأَخْبَارُ لَا أَصْلَ لَهَا،
أَلْفَتْهَا عَصْبَةً صُوفِيَّةً
مَنْ عَدَا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ فَقَدْ
أَنْزَلَ اللَّهُ كِتَابًا وَاضِحًا
ثُمَّ مِنْهَاجَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
فَالزَّمُوا السُّنَّةَ لَا تَبْتَدِعُوا
شَاءَ زُبْدًا رَدَّهُ أَوْ عَسَلًا^(١)
فَإِذَا أَوْمًا إِلَيْهِ نَزَلًا^(٢)
كَذَّبَ النَّاقِلُ فِي مَا نَقَلًا^(٣)
لَا وَلَا فَرَعَ لَهَا مُتَصِلًا.
تَشْتَمِي الْأَكْلَ وَتَأْبِي الْعَمَلًا.
خَالَفَ اللَّهَ وَخَانَ الرُّسُلًا^(٤).
حَسْبُنَا، لَا نَنْبَغُ عَنْهُ بَدَلًا^(٥).
فَبِهِ اللَّهُ هَدَانَا السُّبُلًا^(٦).
وَاحْذَرُوا الزَّيْغَ وَخَافُوا الزَّلَّلَا^(٧)

٤-★★ جذوة المقتبس ٣٢٩ (الدار المصرية) ٣٥١ (رقم ٨٢٠) بغية الملتبس ٤٥٥ (رقم ١٣٦٧)؛ الصلة ١٥٩٧ معجم الأدباء ١٩: ١٦٧-١٧١؛ وفيات الأعيان ٥: ٢٧٤-٢٧٧؛ إنباه الرواة ٣: ٣١٣-٣١٩؛ ابن قنفذ ٢٤٢؛ الديباج المذهب ٣٤٦؛ البلغة ٢٦٣؛ بغية الوعاة ٣٩٦-٣٩٧؛ شذرات الذهب ٣: ٢٦٠-٢٦١؛ بروكلمن ١: ٥١٥، الملحق ١: ٧١٨؛ الأعلام للزركلي ٨: ٢١٤ (٧: ٢٨٦).

ابن الحنَّاطِ الأعمى

١- هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَنَاطِ الرَّعْنِيِّ الْأَعْمَى الْقُرْطُبِيُّ، كَانَ

- (١) لت: خلط. الزبد: ما يستخرج من اللبن (السمن والزبد).
- (٢) أوما = أوما: أشار.
- (٣) يروي الصوفية مثلاً أن عمر بن الفارض كان يصلي الظهر في مكة ثم يصلي العصر (في اليوم نفسه) في المدينة.
- (٤) عدا: تجاوز - من أهل ما جاء في القرآن أو ما يقول به العلم...
- (٥) الكتاب: القرآن. حسبنا: يكفيننا. لا نبغ (مكان لا نبغي)، وردت كذلك في القرآن (١٨: ٦٤، سورة الكهف): "قال: ذلك ما كنا نبغ".
- (٦) منهاج النبي: طريقته ومسلكه.
- (٧) السة = سنة رسول الله (طريقته). الزيغ: الميل والانحراف. الزلل: الشار، السقوط.

أَبُوهُ يَبِيعُ الْخِنْطَةَ. وَلَدَ أُعْشَى^(١) ثُمَّ عَمِيٍّ مِنْ كَثْرَةِ الْمُطَالَعَةِ. وَقَدْ كَفَاهُ بَنُو ذُكْوَانَ - وَهُمْ أَبْنَاءُ أُسْرَةٍ وَجِيهَةٍ غَنِيَّةٍ فِي قَرْطَبَةِ - مَوْثَنَةِ السَّيْرِ فِي سَبِيلِ الرِّزْقِ وَجَمَلُوهُ يَتَفَرَّغُ لَطَلْبِ الْعِلْمِ.

وَكَانَ ابْنُ الْخَنْطَاطِ يَتَكَسَّبُ بِإِقْرَافِ النَّحْوِ وَشَيْءٍ مِنَ التَّطْبِيبِ وَبِمَدْحِ الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ. وَقَدْ مَدَحَ عَلِيَّ بْنَ حَمُودٍ الْمُسْتَبَدَّ بِأَمْرِ قَرْطَبَةِ (٤٠٧ - ٤٠٨ هـ) ثُمَّ مَدَحَ أَخَاهُ الْقَاسِمَ بْنَ حَمُودٍ (٤٠٨ هـ وَمَا بَعْدَهَا). وَكَانَ فِي ابْنِ الْخَنْطَاطِ شَيْءٌ مِنَ الْجُرْأَةِ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْحَقِّ فَنَافَا أَبَا عَامِرٍ بْنَ شُهَيْدٍ (٣٨٢ - ٤٢٦ هـ) مَنَاوَةً شَدِيدَةً وَاسْتَهْتَرَ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ حَتَّى نُهِيَ عَنْ قَرْطَبَةِ فَانْتَقَلَ إِلَى الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ، وَكَانَ صَاحِبَهَا وَحَاكِمَهَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ حَمُودٍ (٤٢٨ - ٤٤٠ هـ). وَلَمَّا نَفِيَ هَذَا كَانَ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ. وَمِنْ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ أَرْسَلَ ابْنُ الْخَنْطَاطِ مِدْحَةً إِلَى الْمُظَفَّرِ بْنِ الْأَفْطَسِ صَاحِبِ بَطْلَيْوَسَ.

وَقَدْ قَالَ ابْنُ حَيَّانَ فِي «الْمَتَنِ» (المغرب ١: ١٢٣): «وَفِي سَنَةِ ٤٣٧ نُحْيِي إِلَيْنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ الْخَنْطَاطِ الشَّاعِرُ الْأَدِيبُ الْقُرْطُبِيُّ...». وَبِمَا أَنَّ الْمُظَفَّرَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْحَكْمِ بَعْدَ ١٧ مِنْ جُمَادَى الثَّانِيَةِ مِنْ سَنَةِ ٤٣٧، فَمِنْ الْمَفْرُوضِ أَنَّ تَكُونَ وَفَاةَ ابْنِ الْخَنْطَاطِ فِي أَوَاخِرِ ٤٣٧ هـ (أَوَاسِطِ عَامِ ١٠٤٦ م) أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ.

٢ - كَانَ ابْنُ الْخَنْطَاطِ الْأَعْمَى مُتَقَدِّمًا فِي عُلُومِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَفِي الْبَلَاغَةِ وَفَنُونِ الْأَدَبِ مَعَ مَعْرِفَةٍ بِالْمَنْطِقِ وَشَيْءٍ مِنَ الْبَرَاةِ فِي التَّطْبِيبِ. وَكَذَلِكَ كَانَ أَدِيبًا نَازِعًا شَاعِرًا. وَشِعْرُهُ يَتَرَاوَحُ بَيْنَ الرِّقَّةِ وَالسَّلَاسَةِ ثُمَّ بَيْنَ الْمَتَانَةِ وَالْجَزَالَةِ، وَعَلَيْهِ نَفْحَةٌ دِينِيَّةٌ. وَكَذَلِكَ كَانَ هَوَاهُ مَعَ الْفَوَاطِمِ (أَبْنَاءِ فَاطِمَةَ) مِنْ بَنِي هَاشِمٍ (اعْتِقَادًا أَوْ تَكْسَبًا). وَفَنُونُهُ الْمَدِيحُ وَالْفَخْرُ (بِنَفْسِهِ وَبَشِعْرِهِ) وَالْوَصْفُ وَالطَّرْدُ (وَصَفِ الصَّيْدِ) فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ ابْنُ الْخَنْطَاطِ الْأَعْمَى قَصِيدَةً يَصِفُ الطَّبِيعَةَ فِي مَطْلَعِهَا ثُمَّ يَتَخَلَّصُ إِلَى مَدْحِ

أُعْشَى: ضَمِيفُ الْبَحْرِ (لَا يَبْرُ فِي اللَّيْلِ).

علي بن حمود العلوي (الفاطمي):

راحتْ تُذَكِّرُ بالنَّسيمِ الراحا
مَرَّتْ على التَّلَمَاتِ فَانْتَسَتْ الرُّبَى
فَانْظُرْ إلى الرُّوضِ الأريضِ وقد غدا
والنَّورُ يَنْسُطُ نَحْوَ دِيَمَتِهَا يَدَا
وَتَحَالُهُ حَيَا الحَيَا من عَرَفِهِ
رَوْضٌ يُحَاكِي الفاطميَّ شَائِلَا
وَطَفَاءُ تَكْبِيرُ للجُنُوحِ جَنَاحَا^(١)
حُلَلَا أَقَامَ لها الرِّبْعُ وشَا^(٢)
يُنْكِي الغَوادي ضاحِكَا مُرْثَا^(٣)
أَهْدَى لها سَاقِي النَّدَى أَقْدَا^(٤)
بِذِكِّيَةِ فإِذَا سَقَاءُ فَاحَا^(٥)
طَيِّبَا، وَمُرْنٌ قد حَكَاه سَاحَا^(٦)!

- وله من قصيدة في القاسم بن حمود يذكر فيها مقتل الخليفة عبد الرحمن المرتضى (٤٠٨ هـ)، وقد استبد القاسم بن حمود في أيامه بالحكم، كما يذكر فيها موت خيران الصقلي العامري (٤١٨ هـ). وكان خيران من أنصار القاسم بن حمود ثم انقلب عليه:

لَكَ الخَيْرُ: خَيْرَانٌ مَضَى لِسَبِيلِهِ؛ وَأَصْبَحَ مُلْكُ اللَّهِ في ابْنِ رَسُولِهِ^(٧)،
وَفَرَّقَ جَمْعُ الكُفْرِ، واجْتَمَعَ الْوَرَى على ابْنِ حَبِيبِ اللَّهِ بعدِ خَلِيلِهِ^(٨).

- (١) للجنوح (كذا في الدخيرة ١: ٤٤٥)، والأصوب: الجنوب (بفتح الجيم): الريح الجنوبية. راجع شرح البيت، فوق ص ٤٦٥.
- (٢) التلعة: أرض مرتفعة يسيل منها الماء إلى أرض أخرى تحتها.
- (٣) الأريض: الكرم (بالنبات). العادية: السحابة المملوءة بالمطر والقادمة في الصباح. المرنج: المسرور. الروض يبكي (بضم الياء) الغواضي (بفتح الغاء) يبكي: تظفر، وهو ضاحك (بالأزهار التي تنفتح فيه).
- (٤) النور (بالفتح): الزهر الأبيض. الدية: الغمامة الممطرة. القدح (هنا): جسم الزهرة. الندى: قطرات الماء التي تنزل في أواخر الليل. الأزهار ترتفع نحو الغيم فيسقط فيها الماء (من المطر ومن الندى) فتتملأه (رطوبة تنمشها).
- (٥) حَيَا يُعْنِي: ألقى التحية (السلام). الحيا: المطر. ذكية (رائحة ذكية: طيبة). العرف: الرائحة الطيبة. فاج: انتشر (انتشرت الرائحة). الصورة هنا بعيدة المتناول: النور (بالفتح): الأزهار البيضاء، وهنا الزهر عامة) يشكر المطر بمنع المطر شيئاً من الرائحة الذكية. وكلما زاد المطر سقى للزهر زاد الزهر في شكر المطر ووجهه قدراً أكبر من الرائحة الطيبة (وكلما كثر المطر شمر نحن بكثرة الرائحة الطيبة).
- (٦) حكي، حاكي: شابه. التماثل جمع شال (بكسر الشين: الخلق الكرم). الزمن: المطر. الساج: التساجع والتساهل. والشاعر يقصد الساحة: الجود والكرم (ويجوز أن تكون كلمة «ساج» هنا) جمع جسج للساحة.
- (٧) مضى لسبيله: مات.
- (٨) خليله (خذيّل الله) إبراهيم.

وقام لإواء النصر فوقاً مُنَعِر من العِزِّ جبريلُ إمامَ رَعيله^(١).
وأشْرَقَتِ الدنيا بنورِ خَلِيفَةٍ به لاح بدرُ الحق بعد أوفوه^(٢).
فلا تَنالِ الأَيَّامَ عَمَّا أَنتَ بِهِ، فما زالت الأَيَّامُ تأتي بُوله^(٣)!
- ومن رسالة لابن الحنَّاط كتب بها إلى المظفر بن الأفطس:

حَجَبَ اللهُ عَنِ الْحَاجِبِ الْمُظَفَّر - مَوْلَايَ وَسَيِّدِي - أَغْيُنَ النَّائِبَاتِ وَقَبَضَ دُونَهُ
أَيْدِيَّ الْحَادِثَاتِ، فَإِنَّهُ - مُذْ كَانَ - أَنْوَرُ مِنَ الشَّمْسِ ضِيَاءً وَأَكْمَلُ مِنَ الْبَدْرِ نَهَاءً،
وَأَنْدَى مِنَ الْغَيْثِ كَفًّا وَأَحْمَى مِنَ اللَّيْلِ أَنْفَاءً^(١)، وَأَسْخَى مِنَ الْبَحْرِ بَنَاءً وَأَمْضَى مِنَ
النَّصْلِ لِسَانًا^(٢)، وَأَنْجَبَهُ الْمَنْصُورُ فَجَرَى عَلَى سَنَنِهِ، وَأَذْبَهُ فَأَخَذَ بِسُنَّتِهِ^(٣). وَكَانَتْ
الرِّثَاةُ عَلَيْهِ مَوْقُوفَةً وَالسِّيَاسَةُ إِلَيْهِ مَصْرُوفَةً^(٤). قَصَرَتْ الْأَوْهَامُ عَنْ كُنْهِ^(٥) فَضْلِهِ
وَعَجَزَتْ الْأَقْلَامُ عَنْ وَصْفِهِ. غَيْرَ أَنَّ الْفَضَائِلَ لَا بُدَّ مِنْ نَثْرِهَا وَالْمَكَارِمَ لَا عُدْرَ فِي
تَرْكِ شُكْرِهَا:

فالشكر للإنسان أَرْبَحُ مُتَجَرِّبٍ لَمْ يَغْفِرِ الْخُسْرَانَ مِنْ لَمْ يَشْكُرْ^(١).
- وله رسالة يَتَهَكَّمُ فِيهَا بِأَبِي عَامِرٍ بْنِ شَهِيدٍ^(٢) جاء فيها:
الإِسْهَابُ كُفْلَةٌ^(٣) وَالْإِيجَازُ حِكْمَةٌ، وَخَوَاطِرُ الْأَلْبَابِ سِهَامٌ يُصَابُ بِهَا أَغْرَاضُ

(١) الرعييل: الجماعة القليلة من الناس (أو من الخيل) تتقدم غيرها (في الزمن أو في المكان).

(٢) الأقول: الغياب، الغروب.

(٣) السؤل = السؤل = السؤال: الطلب.

(٤) أحى (أكثر حياة) من أنف الليث (الأسد): كناية عن خوف الناس من الاعتداء عليه.

(٥) بنانا (أصابع): كناية عن الكرم. النصل: (حدّ السيف) لساناً: كناية عن براعته في الكلام وعن نفوذ أوامره.

(٦) عبد الله المنصور (ت ٤٣٧) والد أبي بكر محمد المظفر (توفي من سنة ٤٣٧ إلى سنة ٤٦٠). أنجبه: ولده. السن (بفتح ففتح): المثال والمنهاج. السن (بضم ففتح جمع سن بالضم): الطريقة، السيرة، العادة.

(٧) كأنما لا يصلح غيره للرئاسة (الإمارة، الملك) وكأنما السياسة (تدبير الأمور) قد قصد هو بها.

(٨) كنه: سر.

(٩) الذي لا يعرف أن يشكر (الناس على معروفهم إليه) سيكون خاسراً.

(١٠) راجع، فوق، ص ٤٥٤.

(١١) الإسهاب: التطويل في الكلام. الكلفة: المشقة.

الكلام^(١). وأخونا أبو عامر يُسهبُ نثراً ويطوّل نظماً، شاعراً بأنفه ثانياً من عطفه^(٢) مُتخيلاً أنّه قد أحرز السِّبَاقَ في الآداب وأوتيت فصل الخطاب^(٣). فهو يستقصّر أساتيد الأدباء ويستجهل شيوخ العلماء....

- ولابن الحنّاط في ذكر بني فاطمة الزهراء :

أبنة فاطمة رُسلُ الملا رَضِعُوا وبالسّاح غُدُوا والجود إذ قُطِعُوا.
قوم إذا حلفَ الأقوامُ أَنهمو خيرُ البرية لم يَحْنُ لَهُمْ قَسَمُ،
سما لهم من سماء المجد من شرفٍ بيتٌ تداعت إليه العُرب والعجم:
مناقبٌ سحت في كل مكرمةٍ كأنما هي في أنف الملا شَم.

- ولابن الحنّاط الكفيف قصيدة منها:

أرقتُ وقد غشى الحسامُ الهوائفُ بُنُجَرَجَ الأجزاء والليلُ عاكفُ^(٤)
أعدنَ لي الشوقُ القديم، وطاف بي على النَّاي من ذكرى المليحة طائفُ^(٥).
وما الجانبُ الشرقي من رملٍ عالٍ، بحيث استوت غيظانه والتّنائفُ^(٦)،
إذا ما تنفّى الرعدُ فوق هضابه - سقى الروض من وبلّ القامة واكفُ^(٧)
باحسن من أطلال غلوةٍ منظرًا وإن دَرَسْتَ آياتَه والمعارفُ^(٨).
خليلي، هل بالحنيف للشمّل إلفه فيأمن قلبٌ من نوى الحنيف خائفُ^(٩)
أفسي وقفه عند العقيق ملامهً على دَنفٍ شاقته تلك المواقفُ^(١٠)

(١) الغرض: الهدف. اغراض الكلام: مقاصده.
(٢) و (٣) شاعراً (رافضاً) بأنفه (كناية عن التكبر). ثانياً (دائراً) من عطفه (طرف جسمه الأعلى) كناية عن الإعجاب بنفسه. فصل الخطاب: ما كان القول فيه حكماً باتاً قاطعاً لا يحتمل الجدل.

(٤) الهاتف: المتنادي بصوت مرتفع. الليل عاكف: نازل (شديد الظلام).

(٥) النأي: البعد. الطائف: خيال يترادى للإنسان (في النوم أو في اليقظة: يفتح ففتح).

(٦) القَيْط: الأرض المطمّنة (المنخفضة، وتكون خصبة). التنف: الصحراء.

(٧) الويل: المطر الكثير. الواكف: المطر المنهل (الشديد).

(٨) آيات: علامات. معارف: أماكن ظاهرة يعرفها الناس.

(٩) الحنيف: مكان في الحجاز يكثر الشعراء من ذكره.

(١٠) العقيق: مرج قرب المدينة. الدنف: الذي قرب من الهلاك.

سقى عَرَصَاتِ الدار كلُّ مُلْتَمَةٍ من المَزْنِ تُزجِها البروقُ الخواطفُ^(١).
 كأنَّ نَشِيرَ القَطْرِ منها جواهرٌ تُفَرِّقُها للريحِ أَيْدٍ عواصفُ^(٢).
 كأنَّ ابتسامَ البرقِ فيها إذا بدتْ سيوفُ عليٍّ بالدماءِ رِواءُ^(٣).
 - يبدو أن ابنَ الحنَّاطِ لما أرسلَ مِدْحَتَهُ إلى المُطَفِّرِ بنِ الأَفطسِ أرسلَ المُطَفِّرَ
 إليه جائزةً سَنِيَّةً، فكتبَ ابنُ الحنَّاطِ إلى ابنِ الأَفطسِ:

كَتَبْتُ عَلَى البُعْدِ مُسْتَجِدِّيَا لِيَلْمِي بِأَنَّكَ لَا تَبْخَلُ.
 فجاءَ الرسولُ كما أَشْتَهِي وقد ساقَ فوقَ الذي أَمَلُ.
 وما كَانَ وَجْهَكَ ذاكَ الجميلُ لِيَفْعَلَ غَيْرَ الذي يَجْعَلُ!

٤-★★ جذوة المقتبس ٥٣ (الدار المصرية) ٥٧-٥٨ (رقم ٦٠)، بغية الملتبس ٦٧ (رقم ١٢٤)، الخريدة (الأندلس)؟ ٢: ٢٢٤-٢٢٤، الخريدة (المغرب) ٢: ٢٩٧-٣٠٨، الذخيرة ١: ٤٣٧-٤٦٨، الحمدون ٣٣٦ (٩)، الوافي بالوفيات ٣: ١٢٤، المغرب ١: ١٢١-١٢٢، نفع الطيب ١: ٤٨٣، ٣٠٣، ٣٠٣، ٢٦٣، ٢٨٨-٢٨٩، ٦١٠-٦١١، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٧٨٦، الأعلام للزركلي ٧: ٢٠ (٦: ١٤٩).

أبو المغيرة بن حزم

١- هو أبو المغيرة عبد الوهَّاب بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الرحمن (نفع الطيب ٣: ١٥٦) ابنُ محمدَ بنِ حزم. وهو ابنُ عمِّ الفقيهِ ابنِ حزمِ الظاهري (ت ٤٥٦ هـ).
 ولَدَ أبو المغيرة بنُ حزمِ في قرطبة. ومن الذين سَمِعَ منهم أبو القاسم الوهَّابي. ويبدو أن أبا المغيرة قد عاش عيشةً لهوٍ مندفعاً في الحبِّ، برَغْمِ اتِّصَالِهِ بِرِجَالِ الأندلسِ وأصحابِ الدولة فيها. فلقد نشأتَ بينه وبين جاريةٍ للمنصورِ بنِ أبي عامرٍ اسمُها أنسُ القلوبِ ناشئةٌ هوى انكشفتَ للمنصورِ فغَضِبَ في أولِ الأمرِ ثمَّ اسْتَرْضَى فَرَضِي وَوَهَبَ أنسُ القلوبِ لأبي المغيرة.

-
- (١) الرصة: الباحة أمام الدار. الملت: الدائم. المزن: المطر. تزجها: ترسلها. البرق الخاطف (الشديد اللعنان) الذي يخطف (يفتح الطاء) البصر.
 (٢) جواهر: لآلئ.
 (٣) علي بن حود التوثي ٤٠٨ هـ (٩٩). رصف: سال.

وَوَلِيَّ أَبُو الْمُغِيرَةِ بْنِ حَزْمِ الْوِزَارَةِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُسْتَظْهَرِ بْنِ هِشَامٍ (٤١٤ هـ) ثُمَّ بَدَرَ مِنْهُ مَا أَوْجَبَ الْعَتَبَ عَلَيْهِ فَهَرَبَ إِلَى بِلَادِ الشَّعْرِ (شَمَالِي الْأَنْدَلُسِ). وَتَطَوَّفَ أَبُو الْمُغِيرَةِ حِينًا بِمُلُوكِ الطَّوَائِفِ وَنَالَ عِنْدَ نَقَرٍ مِنْهُمْ حُطُوءَةً كَبِيرَةً. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي مُسْتَهْلٍ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ٤٣٨ (١٠٤٦/٧/٧ م) فِي عَسْكَرٍ يَحْمِي الْمَأْمُونِ بْنِ ذِي النُّونِ (٤٢٩-٤٦٧ هـ) بِطُلَيْطَلَةَ، غَيْرَ مُتَقَدِّمٍ فِي السَّنِّ.

٢- كَانَ أَبُو الْمُغِيرَةِ بْنِ حَزْمٍ مِنَ الْمَقْدَمِينَ فِي الْأَدَابِ وَالشَّعْرِ وَالبَلَاغَةِ، وَكَانَ شَاعِرًا فَحَلًّا وَجَدَانِيًّا مُكْثِرًا. وَكَذَلِكَ كَانَ نَائِرًا مَرْتَسَلًا رَصِينًا لِمَعَانِي مَتِينِ السَّبْكِ يَتَكَلَّفُ أَحْيَانًا، وَكَانَ مُصَنِّفًا؛ غَيْرَ أَنَّ شُهْرَةَ ابْنِ عَمِّهِ قَدْ غَطَّتْ عَلَيْهِ فَخَمَلَ ذِكْرُهُ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

قَالَ أَبُو الْمُغِيرَةِ بْنُ حَزْمٍ يَمْدَحُ بِحَمْدِ الْمَظْفَرِ بْنِ الْمُنْذَرِ التُّجَيْبِيِّ (٤١٤-٤٢٠ هـ) أَوْ الْمُنْذَرِ الثَّانِيَّ بْنَ يَحْيَى (٤٢٠-٤٣١ هـ)، وَقَدْ بَدَأَ بِغَزَلٍ وَخَتَمَ بِالْفَخْرِ بِنَفْسِهِ وَبِشِعْرِهِ:

يَتَنَا- وَبَاتَ الْمِسْكُ فِينَا وَاشِيَاءُ	بِمَكَانِنَا، وَالْحَلْيُ عَنَّا مُخْبِرًا ^(١) .
وَرَكَّتْ بِالْعَاطِظِ تُدْمِرُ كُؤُوسَهَا	فِينَا فَتَشْرِبُهَا حَلَالًا مُسْكِرًا ^(٢) .
وَاللَّيْلُ يُلْحِقُنِي سَرَابِيلُ الدُّجَى	جَهْلًا وَقَدْ عَانَقْتُ صُبْحًا مُسْفِرًا ^(٣) .
لَوْ جِئْتَنَا لَرَأَيْتَ أَعْجَبَ مَنْظَرٍ:	أَسَدٌ تَوَسَّدَ كَفَّ ظَنَبِي أَعْفَرًا ^(٤) .
إِلَّا تَرَى الْمَنْصُورَ تَحْتَ لَوَائِهِ	تَلَقَّى ابْنَهُ طَلَقَ الْجَبِينِ مُظْفَرًا ^(٥) .
لَا غَرَوْ، جِئْتُ الْبَحْرَ إِذْ أَجْلَى الْحَيَاءِ	وَرَأَيْتُ يَحْيَى حِينَ لَمْ أَرْ مُنْذِرًا ^(٦) .

(١) رائحة المسك كانت توضع (تنتشر) منا والحلى التي تتحلّى بها المحبوبة كانت ترون فيشي ذلك كله بنا (يدل على مكاننا).

(٢) رنا: أدام النظر بطرف ساكن هادئ (مستغرقاً)... كأننا نشرب من الحماظها خمرًا (ولكنها خمر محلاة مع أنها تسكر كالخمر المحرمة).

(٣) يلحقني: يفتني. سراويل (أردية، أثواب) الدجى (الظلام). جهلاً- الليل يحاول أن يترني عن العيون، وكيف يستطيع ذلك ومعى فتاة جميلة تضيء الظلام مثل الصبح المسفر (الطالع).

(٤) أسد: رجل (بطل). تَوَسَّدَ (نام على) كف ظني أعفر (غزال أسمر): فتاة جميلة.

(٥) (٦) الحياء: الطهر. أجل الحياء... لا يمكن تفسير هذين البيتين إلا إذا فصلنا في هذه المدحة: أمي في يحيى المظفر أو في ابنه المنذر الثاني.

فإذا دَعَوْنَا: من يُجِيبُ لِنَكَبَةِ؟
شَيْمٌ غَدَتُ قُرْطَ الزَّمانِ، فلم أُنَمِّ
للهِ دَرْكٌ والرَّمْحُ شَوَارِعُ
فإذا أَتَيْتُكَ مادحاً لك لم يَجِبْهُ
غَيْرِي الذي اتَّخَذَ المَدائِحَ مَكْسَباً،
أنا ما شَعَرْتُ لأنَّ أُنْبَهَ خامِلاً،
لَبِثْتُ نُجَيْبٌ، ففَلَّيْتُهَا سَيْلاً جرى (١)
حَتَّى نَطَمْتُ عَلَيْهِ شِعْرِي جَوْهَر (٢)
والبَيْضُ تَقْطَعُ لَأَمَةً وَسَنَوْرًا (٣)
شِعْرِي لَيْسَالٌ، بل أَتَاكَ لِيَفْخُرَا (٤)
وسِوَايَ مَنْ جَعَلَ القَوَايِ مَتَجَرًّا.
لكن لَأَمْنَعُ شاعِراً أَنْ يَشْعُرَا (٥).

- عقد المنصور بن أبي عامر مجلس شراپ، فلما دارت الكؤوس غنت جارية له اسمها أنس القلوب.

قَدِمَ اللَّيْلُ عِنْدَ سَيْرِ النَّهَارِ،
فَكَانَ النَّهَارُ صَفْحَةً خَدً،
وَكُنَّ الكُؤُوسُ جامِدةً مَلَكاً
نَظَرِي قَدْ جَنَى عَلَيَّ ذُنُوباً؛
وَبَدَأَ البِدْرُ مِثْلَ نِصْفِ سِوَارِ.
وَكُنَّ الظُّلَامُ خَطَّ عَذَارِ.
وَكُنَّ المُدَامُ ذَائِبُ نَارِ.
كَيْفَ مِمَّا جَنَّتْهُ عَيْنِي اعْتَذَارِي؟
يَا لَقَوْمِي، تَمَجَّبُوا مِنْ غَزَالِ
جَائِرٍ حَيٍّ مَهْجَتِي وَهُوَ جَارِي.
لَيْتَ لَوْ كَانَ لِي إِلَيْهِ سَبِيلُ
فَأَقْضِي مِنْ حُبِّهِ أَوْطَارِي.

- وكان أبو المغيرة بن حزم حاضراً فارتجل الأبيات التالية:

كَيْفَ، كَيْفَ الوُصُولُ لِلْأَقْمَارِ
لَوْ عَلِمْنَا بِأَنَّ حُبَّكَ حَقٌّ
بَيْنَ سُرِّ القَنَا وَبَيْضِ الشُّفَارِ؟
لَطَلَبْنَا الحَيَاةَ مِنْكَ بَشَارِ.
وَإِذَا مَا الْكِرَامُ هَمَّوْا بِشَيْءٍ
خَاطَرُوا بِالنُّفُوسِ فِي الْأَخْطَارِ.

(١) نجيب: قبيلة المدوح.

(٢) شيم: حصال، مكارم. قرط الزمان: مشهورة (كانها أقرط معلقة بأذن الزمن). نطمت عليه شعري جوهراً: حليت ذلك القرط بشعري.

(٣) شوارع: مشرعة (سددة نحو العدو). البيض: السيف. الأمانة: الدرع (من حديد). السور: شبه الدرع (من جلد).

(٤) ... ليسال (عطاف) بل ليفخر (بأنه مدح رجلاً عظيماً).

(٥) لأن أنبه خاملاً: أجعل رجلاً غير مشهور مشهوراً. لأمنع شاعراً أن يشعرا: لأمدحك بقصيدة بارعة لا يحسر بعدها شاعر آخر أن يقدم على مدحك (المعجزه عن أن ينظم مثلها).

غَضِبَ المنصور وأراد أن يقتلَ الجارية، فبكتَ الجارية واعتذرت بأن هذا الحبُّ كان بقضاء الله ولم تَمْلِكْ هيَ له دفعاً. حينئذٍ قال أبو المغيرة على لسانها:

أذْنِبْتُ ذَنْباً عَظِيماً فَكَيْفَ مِنْهُ أَعْتَذَرِي؟
واللهُ قَدَرٌ هَذَا وَلَمْ يَكُنْ بِأَخْتِيَارِي.
والعَفْوُ أَحْسَنُ شَيْءٍ يَكُونُ عِنْدَ اقْتِدَارِ.

- وله من رسالة يصف فيها الروض في الربيع:

... وَالْأَرْضُ قَدْ نَشَرَتْ مِلاَهَا وَسَحَبَتْ رِداءَهَا وَلَبَسَتْ جِلْبَاهَا وَتَقَلَّدَتْ سِخَاهَا^(١). وَبَرَزَ الْوَرْدُ مِنْ كِيَامِهِ وَاهْتَزَّ الرُّوضُ لِتَغْرِيدِ حَمَامِهِ؛ وَالْأَشْجَارُ قَدْ نَشَرَتْ شُعُورَهَا وَهَزَّتْ رُؤُوسَهَا، وَالذَّنْبِيَّةُ قَدْ أَبْدَتْ بَشْرَهَا وَأَمَاطَتْ عُيُوسَهَا^(٢). وَكَأَنِّي بِهَا قَدْ أَطْلَعْتُ مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ ضُروباً وَأَبْدْتُ مِنْ سَنَاها مَنْظَراً عَجِيباً، وَإِنْ كُنَّا لَا نُشَارِكُ فِي تِلْكَ إِلَّا بِالْعِيَانِ لَا بِاللِّسَانِ، وَبِالطَّرْفِ لَا بِالْكَفِّ، وَنَنَالُهَا بِالْاِخْتِلَاسِ لَا بِالْأَضْرَاسِ. وَلِلدَّهْرِ قِسْمٌ مِنْ أَقْسَامِ اللَّذَّةِ وَصِنْفٌ مِنْ أَصْنَافِ الشَّهْوَةِ... وَحَالِي حَالٌ لِلْسَّقَامِ بِهَا انْتِصَالٌ وَلِلصِّحَّةِ عَنْهَا انفِصَالٌ، يُعَيِّنُ عَلَى ذَلِكَ ضَعْفُ الْبُنْيَةِ وَفَسَادُ الْأَهْوِيَةِ وَالتَّخْلِيْطُ فِي الْأَغْذِيَةِ...

٤ - ** جذوة المقتبس ٢٧٣ (الدار المصرية) ٢٩١-٢٩٢ (رقم ٦٥٨)؛ بغية الملتمس ٣٨٠-٣٨١ (رقم ١١١٠)؛ الصلة ٣٦١-٣٦٢؛ المطمح ٣١-٣٤؛ الذخيرة ١٣٢-١٣٣؛ فوات الوفيات ٢: ١٣٣٩؛ الوافي بالوفيات ٥: ١١٩٤؛ المغرب ١: ٣٥٧؛ نفح الطيب ١: ٦١٦-٦١٨، ٦٢٠-٦٢١، ٢: ٧٩-٨١، ٣: ٤٣٥، ٤٧١، ٤٧٢، ٥٥٣-٥٥٤؛ ٧: ٤٥-٤٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٩٠، النثر الفني ٢: ٢١٨-٢٢٥؛ نيكيل ١٥٤؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٣٠. (١٧٩).

- (١) الأرض نشرت ملأها: غطت الأرض بملاء (رداء) خضراء؛ سحبت رداءها (جعلت في ذلك الملاء الأخضر بقاعاً من الورد الملون)؛ لبست جلباها: عمّ النبات والزهر جميع أقطارها؛ تقلّدت (لبست قلادة في عنقها) سخابها (السحاب عقد من قرنفل زكي الرائحة، فاحت رائحة أزهارها).
(٢) الكمام: الورق الأخضر الذي يملّف الأزهار قبل أن تتفتح. اهتزّ: تحرك طرباً. الأشجار نشرت شعورها: ثمّ خروج ورقها. هزّت رؤوسها: أصبحت أغصانها تتحرك في النسيم لأنّ عليها ورقاً. البشر (بكسر الباء): السورور. أماط: أزاح، نحى، أزال.

الأسعد بن بليطة

١ - هو أبو القاسم الأسعد بن إبراهيم بن بليطة^(١) القرطبي. وُلِدَ في قرطبة. تَرَدَّدَ بين بلاطات ملوك الطوائف يتكسَّب بالشعر، كما كان فارساً أيضاً يتكسَّب بالخدمة في ديوان الجند، فقد قالَ فيه ابنُ بَسَّامٍ في «الدخيرة»: فارسٌ جَحَلِيٌّ وشاعرٌ مَحْفِلٌ فَجَرِيٌّ في المِيزَانِينِ وارْتَوَقَ في الديوانَيْنِ. وتطوَّفَ أيضاً في بلدانِ المغرب. ولكنه معدودٌ في شعراءِ المعتصم بن صَاحِحٍ. وقد كان حياً^(٢) قبلَ سَنَةِ ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ - ١٠٤٩ م).

٢ - كان الأسعد بن بليطة ناثراً وشاعراً مُجيداً، وشعره سهلٌ عَذْبٌ وأبرزُ فنونه الوصفُ والغزلُ. وله القصيدة الطائفة البارعة (وهي تسعون بيتاً) في مدح المعتصم بن صَاحِحٍ.

٣ - مختارات من شعره

- قال الأسعد بن بليطة يمدحُ المعتصم بن صَاحِحٍ:

برامة ريسم زارني بعدما شطَا تَقَنَّنْهُ في الحُلَمِ في الشُّطَّا فاشْتَطَا^(٣)
رعى من أفانين الهوى ثَمَرَ الحشا جَنِيًّا، ولم يَرِغِ العُهودَ ولا الشُّرُطَا^(٤)

(١) من الإسبانية القديمة: بَلِيدُو (بإمالة الياء وكسر اللام المشددة): الجميل (نيكلن ١٩٦). وقال ابن خَلِّكان (٥: ٤٥): لا أعرف مِناه. وهو بلغة أعاجم الأندلس (نصارى الأندلس الذين لا يتكلمون العربية). ونقل حسين مؤنس (الحلَّة السراة ٢: ٨٣) عن دوزي أن «بليطة» من الكلمة الإسبانية «بَلِيَّتا» (بكسر الياء وتشديد اللام وإمالة الياء والألف). بمعنى البطاقة (قطعة من الورق بنحو قدر الكف). ويبدو أن تحليل نيكلن أصح.

(٢) جذوة المقتبس ١١٦٦ وفي بغية الملتبس (ص ٢٢٩): توفي في حدود ٤٤٠. وعن بغية الملتبس أخذ شوقي ضيف (المغرب ٢: ١٧. في الحاشية). ولكن إذا كان الأسعد بن بليطة قد مدح المعتصم بن صَاحِحٍ صاحب المروة (٤٤٤ - ٤٨٠ هـ) بهذه القصيدة وبغيرها (راجع وفيات الأعيان ٥: ٤٤٢) نفع الطبيب ٤: ١٠٠، ١٠١) فيجب أن يكون الأسعد بن بليطة قد عاش بعد سنة ٤٤٠ مدة طويلة.

(٣) ريم: غزال أبيض. شطَا: بعد. الشُّطَّا: جانب النهر، النهر (ومجتمع الماء).

(٤) رعى (أكل): تَمَتَّعَ. أفانين (جمع أفنون - بضم الفاء: غصن): أنواع. جَنِيًّا: جديداً، طريفاً. لم يَرِغِ: لم يحفظ.

خَيْالٌ لَمَرُومٍ غَرِيرٍ بِرَامِسَةٍ
فَأَكْسَبَنِي مِنْ خَدَّهَا رَوْضَةَ الْجَنَى
وَبَانَتْ ذِرَاعَاهَا نَجَاداً لِعَاتِنِي
وَسَلَّ اهْتِصَارِي غُصْنَهَا مِنْ مُخَصَّرٍ
وَقَدْ غَابَ كُغْلُ اللَّيْلِ فِي ذَمْعٍ فَجَرَهُ
كَأَنَّ الدُّجَى جِيشٌ مِنَ الرَّنَجِ نَافِرٌ
وَقَامَ لَهَا يَنْمَى الدُّجَى ذُو شَفِيقَةٍ
إِذَا صَاحَ أَصْفَى سَفْعُهُ لِأَذَانِهِ
كَأَنَّ أَنْوَشِرَوَانَ أَعْلَاهُ تَاجَهُ
سَبَى حَلَّةَ الطَّائِفِ حُسْنَ لِبَاسِهَا
تَوَهَّمْ عَطْفَ الصَّدْعِ نُوناً بَخْدَهَا
غَلَايِئَةً جَاءَتْ وَقَدْ جَعَلَ الدُّجَى

تَأَوَّنِي بِالرَّقْمَتَيْنِ لَدَى الْأَرْضَى (١)
وَالذَّغْنِي مِنْ صُدْعِهَا حَيَّةٌ رَقَطَا (٢)
إِذَا مَا التَّقَاهَا الْخَلْيُ غَنَى لَهَا لَفْطَا.
طَوَاهِ الضُّئِي طَيِّ الطَّوَامِيرِ فَاثْنَطَا (٣)
إِلَى أَنْ تَبْدَى الصُّبْحُ كَاللَّمَّةِ السَّمَطَا.
وَقَدْ أَرْسَلَ الْإِصْبَاحَ فِي إِثْرِهِ الْقُبْطَا (٤)
بُدِيرُ لَنَا مِنْ عَيْنِ أَجْفَانِهِ سَقَطَا (٥)
وَبَادَرَ ضَرْباً مِنْ قَوَادِمِهِ الْإِنْطَا (٦)
وَنَاطَتَ عَلَيْهِ كَفُّ مَارِيَةِ الْقَرْطَا (٧)
وَلَمْ يَكْفِهِ حَتَّى سَبَى الشَّيْئَةِ الْبَطَا (٨)
فَبَاتَتْ بِمِثْلِكَ الْخَالِ تَنْقُطُهُ نَقَطَا (٩)
لِخَاتَمٍ فِيهَا فَصٌّ غَالِيَةٌ خَطَا (١٠).

- (١) مَرُومٌ: ذو علامة (جبل). غَرِيرٌ: جبل، ناعم العيش، شاب بلا تجربة. تَأَوَّنِي: عاد إليّ (في المسامحة) مرّة بعد مرّة. الرَقْمَتَيْنِ (اسم مكان - المقصود بها هنا جبال اللفظ لا الدلالة على علم جغرافي محض). الْأَرْضَى جمع أَرْضَاة: نوع من الشجيرات.
- (٢) الرَفْطَاءُ: حَيَّةٌ مَنقُطَةٌ (خبيثة). خَصْلَةُ الشَّعْرِ عَلَى صَدْعِهَا لَدَغْنِي (عَذَّبَنِي بِالْحَبِّ).
- (٣) حَصْرُ الْفَصْنِ: شَيْءٌ بِهِ لِيَقْطِفَ مَا عَلَيْهِ. الْمُخَصَّرُ (حَصَرَهَا النَّاحِلُ). الطَّوَامِيرُ: نوع من الورق يكتب فيه ثم يلفّ كالأسطوانة.
- (٤) الْقُطْ: جبل من الناس (أقل سواداً من الرنَج): كَانَ اللَّيْلُ رَنَجِيّاً، فَلَمَّا بَدَأَ الصُّبْحُ بَطَلَ أَصْحَ اللَّيْلِ كَالنَّبْطِي.
- (٥) يَنْمَى الدُّجَى: يَبْشُرُ بِانْقِضَاءِ اللَّيْلِ. ذُو شَفِيقَةٍ: صَاحِبُ قَنْزَحَةٍ حَرَاءٍ (الدَّبَك). بُدِيرُ لَنَا الْبَحْ (٢) - الْمَلُوح (يَتَجَنَّبُ مَاءً صَافِياً). السَّقْطُ: النَّدَى. وَعَيْنُ الدِّيَكِ تَوْصَفُ بِالصَّفَاءِ.
- (٦) حِدُّ أَنْ يَصِيحَ الدِّيَكُ يَدّاً قَلِيلاً (كَأَنَّهُ يَسْمَعُ إِلَى مَاضِي صِيَاحِهِ). الْقَوَادِمُ: كِبَارُ الرِّيشِ فِي جَنَاحِ كُلِّ طَائِرٍ... ثُمَّ يَصِفُّ بِجَاحِهِ.
- (٧) كَسَرَى أَنْوَشِرَوَانَ مِنْ عَطَاءِ مُلُوكِ الْفَرَسِ. أَعْلَاهُ: جَمَلُ مَوْفِهِ، أَلْبَسَهُ. نَاطَ: عَلَّقَ. وَكَانَ لِمَارِيَةِ بَنْتِ ظَالِمِ بْنِ وَهَبٍ، وَهِيَ أَمُّ آلِ جَنْفَةِ (مُلُوكِ غَسَّانِ) قَرْطَانِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا دَرَّةٌ (تُؤَلَّفُ) بِحَجْمِ بَيْضِ الْحَمَامِ.
- (٨) يَمْشِي بِيْطُهُ وَتَتَاقِلُ يَمِيلُ يَمِيناً وَشِمالاً كَالْبَيْطَةِ (إِعْجَاباً بِنَفْسِهِ) «الشَّيْئَةِ» مَفْعُولٌ بِهِ ثَانٍ مُقَدِّمٌ. «الْبَطَا» مَفْعُولٌ بِهِ أَوَّلُ مُؤَخَّرٍ.
- (٩) - لَمَّا حَالَ أَسْوَدُ اللَّوْنِ عَلَى صَدْعِهَا كَأَنَّهُ نَقْطَةُ النَّوْنِ (بَشَبَهَ جَانِبَ صَدْعِهَا بِالنُّونِ).
- (١٠) حَوْلَ مِمَّا الصَّغِيرِ خَطٌّ أَسْرَ اللَّوْنِ (شَفَاءَ سَرٍّ). فَصٌّ (فَلَقَةٌ، قِطْعَةٌ) غَالِيَةٌ (رُوحُ الْعَطْرِ)...؟

غَدَتْ تَنْقَعُ الْمِسَاكَ فِي بَرْدِ ثَغْرِهَا
مُحِيرَةً الْعَيْنَيْنِ مِنْ غَيْرِ سَكْرَةٍ
أَرَى نَكَمَةَ الْمِسَاكِ فِي حُمْرَةِ اللَّمَى
عَسَى قَرْحٌ قَبْلَتِهِ فَاخَالَسَهُ
كَأَنَّ أَبَا يَحْيَى بَيْنَ مَغْنِ أَجَادِهَا
تَأَلَّفَ مِنْ دُرٍّ وَشَدَّرَ نَجَارُهُ
إِذَا سَارَ سَارَ الْمَجْدُ تَحْتَ لَوَائِهِ
رَفِيعُ عِمَادِ النَّارِ فِي اللَّيْلِ لِلسُّرَى
أَقُولُ لِرَكِيبٍ يَمُومُوا مَسْقَطُ النَّدى
أَيُّ الْمَجْدِ تَبْنِي لِأَيِّ مَعْنٍ مُنَاقِضاً؟
- وقال:

لَوْ كُنْتُ شَاهِدَنَا عَشِيَّةَ أَمِينَا
وَالشَّمْسُ قَدْ مَدَّتْ أَدِيمَ شَمَاعِهَا
خَلَّتِ الرِّذَاذُ بِهِ بُرَادَةً فِضَّةً
وَالْمَرْؤُ تَبْكِينَا بِعَيْنَيْ مُذْنِبٍ^(١)
فِي الْأَرْضِ تَجْنَحُ غَيْرَ أَنْ لَمْ تَقْرُبِ،
قَدْ غُرِبَلْتُ مِنْ فَوْقِ نِطْعٍ مُذْهَبٍ^(٢)

- (١) - شعرها يكتسب رائحة طيبة من مشطها (بينما كانوا بمشطون الشعر يمشط من غير حتى يكتسب الشعر رائحة طيبة).
- (٢) الاسفط: الحمر.
- (٣) المخضر: المود.
- (٤) قرح (يقصد قوس قزح). اللبياء: السمراء...
- (٥) الوكف: سيلان الماء من سقف البيت وسيلان الدمع من العين. البسط: الكرم في الإنفاق. (معنى البيت غامض) إلا إذا قصد «المجود والكرم».
- (٦) الدر: اللؤلؤ. الندر: قطع صغيرة من الذهب تسلك مع اللؤلؤ في العقد. النجار: الأصل: المجيد: الصدر. السط: الخيط الذي ينظم فيه اللؤلؤ عقداً.
- (٧) حط المسافر أحواله: نزل.
- (٨) - يشعل في الليل ناراً كبيرة، فطارقه (ضيفه) لا يخطب خطب المشواء (لا يسير في الليل على غير هدى).
- (٩) يَمُومُوا: قصدوا. مسقط الندى (حيث يكون الكرم). ولكنهم لما مروا بك ولم يزلوا عندك كانوا قد جاوزوا (خلفوا وراءهم) مكان الندى (الكرم)، أي مكانك أنت.
- (١٠) المرن تبكي بمعنى مذنب: يهطل المطر بغزارة.
- (١١) حلت: طننت. الرذاذ نقاط المطر المتفرقة التي تظل تسقط بعد المطرة الشديدة. النطع: وطاء (فراش) من لباد.

٤ - ** جذوة المقتبس ١٦٦ (الدار المصرية) ١٧٦ (رقم ٣٣٠)، بغية الملتبس ٢٢٨ (رقم ٥٨١)؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ١٦٦ - ١٦٧، ٦٧٦ - ٦٧٩؛ الخريدة (المغرب) ٢: ٢٦٢، ٢٧٠ - ٥٨٥، ٥٨٨؛ مطمح الأنفس ٨٣ - ٨٤؛ المطرب ١٢٦ وما بعد؛ المغرب ٢: ١٧؛ الحلة السراء، ٢: ٨٣، ١٦٩ - ١٧٠؛ وفيات الأعيان ٤٢: ٥ - ٤٥، ٧: ٣٤٠؛ الذخيرة ١: ٧٩٠ - ٨٠١؛ نفع الطيب ٤: ٥١ - ٥٢، ١١٠٠ نيكل ١٩٦.

أبو الوليد إسماعيل بن محمد

١ - هو أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر بن جبيب من أهل إشبيلية، كان يُلقَّب بجبيب - وقيل إن أباه كان يُلقَّب بجبيب أيضاً، وكان من أهل الرئاسة - . وُلِدَ أبو الوليد بن إسماعيل نحو سنة ٤١٠ (١٠٢٠ م). ووَزَرَ مُدَّةَ يسيرة فيما يبدو للمعتضد بن عباد (٤٣٤ - ٤٦١ هـ). وقيل إن المعتضد قتله قريباً من سنة ٤٤٠ (١٠٤٨ م).

٢ - كان أبو الوليد إسماعيل بن محمد من أهل الفهم والعلم والبلاغة. ثم هو أديبٌ كاتب وشاعر ومؤلف. وشعره سهلٌ أنيق فيه شيء من الصناعة ونُجِسَ فيه نفسٌ صفى الدين الجَلِّي (ت ٧٥٠ هـ). وأكثر شعره الوصف والغزل. وهو أكثر تكلفاً للصناعة في شعره منه في نثره. وله كتاب «البديع في وصف الربيع» جمعه من أقوال الشعراء، وقد جمعه برسم المعتضد (أي ألفه له وقدمه إليه). ويميل المؤلف في كتابه هذا إلى الكشف عن براعة الأندلسيين وتبيان عبقريتهم وابتكارهم في الأدب (في مقابل ما كان يقال فيهم من الاندفاع في تقليد المشاركة)؛ ولقد أراد أن يتابع فيه كتاب الحدائق لابن فرج الجياني (ت ٣٦٦ هـ).

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو الوليد إسماعيل بن محمد في صدر كتابه «البديع في وصف الربيع»:
فصل الربيع آرج وأبهج^(١) وأنس وأنفس وأبدع وأرفع من أن أحدَّ حُسن ذاته

(١) آرج: أكثر أرجاً (طبيب رائحة). البهجة: حسن المنظر، السرور بالنظر الحسن.

أَعَدَّ بَدِيعَ صِفَاتِهِ. وَهُوَ مَعَ سَيَاتِهِ الرَّائِقَةِ وَالْآتَةِ الْفَائِقَةِ لَمْ يُغْنِ بَتَّالِيهَا أَحَدٌ وَمَا انْفَرَدَ بِتَصْنِيفِهَا مُنْفَرِدٌ... لَكِنَّ أَهْلَ الْمَشْرِقِ، عَلَى تَأْلِيْفِهِمْ لِأَشْأَارِهِمْ وَتَثْقِيْفِهِمْ لِأَخْبَارِهِمْ - مُدَّ تَكَلَّمَ الْعَرَبُ بِكَلَامِهَا وَشَغَلَتْ بَنْثَرُهَا وَنَظَامُهَا - لَا يَجِدُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ التَّشْبِيْهَاتِ فِي هَذِهِ الْمَوْصُوفَاتِ مَا وَجَدَتْهُ لِأَهْلِ بَلَدِي^(١) عَلَى كَثْرَةِ مَا سَقَطَ مِنْهَا مِنْ يَدِي بِالْغَفْلَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا عَنْهُمْ وَقَلَّةِ التَّهَمُّ^(٢) بِهَا، وَعَلَى قَرَبِ عَهْدِ الْأَنْدَلُسِ بِمُنْتَحَلِي الْإِسْلَامِ، فَكَيْفَ بِمُنْتَحَلِي الْكَلَامِ^(٣)؟ فَكَيْفَ (لَا) يُرَى فَضْلُهُمْ وَقَدْ سَبَقُوا فِي أَحْسَنِ الْمَعَانِي مُجْتَلَى وَأَطْيَبِهَا مُجْتَنَى^(٤)، وَهُوَ الْبَابُ الَّذِي تَضَمَّنَهُ هَذَا الْكِتَابُ فَلَهُمْ فِيهِ مِنَ الْإِخْتِرَاعِ الْفَائِقِ وَالْإِبْتِدَاعِ الرَّائِقِ وَحُسْنِ التَّمْثِيلِ وَالتَّشْبِيْهِ مَا لَا يَقُومُ أَوْلَثُكَ^(٥) مَقَامَهُمْ فِيهِ.

- وَلَئِي الْوَلِيدِ نَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ الْمَذْكُورِ قِطْعَةً (كَانَ قَدْ خَاطَبَ بِهَا أَبَاهُ):
لَمَّا خَلَقَ الرَّبُّ مِنَ أَخْلَاقِكَ الْغُرَّ وَسُرَقَ زَهْرُهُ مِنْ شَيْبِكَ الزَّهْرُ^(١). وَتَاقَبَ
النَّفْسُ إِلَى الرَّاحَةِ فِيهِ وَمَالَتْ إِلَى الْإِشْرَافِ عَلَى بَعْضِ مَا يَحْتَوِيهِ، مِنَ النُّورِ^(٢) الَّذِي
كَسَا الْأَرْضَ حَلَلًا لَا يَرَى النَّاطِرُ فِي أَثْنَائِهَا حَلَلًا. فَكَأَنَّهَا نَجْمٌ نُثِرَتْ عَلَى الثَّرَى وَقَدْ
مُلِئَتْ مِسْكَاً وَعَنْبَرًا. إِنْ تَسَمَّنَتْهَا فَأَرْجَةٌ، أَوْ تَوَسَّطَتْهَا قَبْهَجَةٌ. تَرُوقُ الْعَيُونَ
أَجْنَاسُهَا وَتُحْيِي النَّفُوسَ أَنْفَاسُهَا...

- وَقَالَ يَصِفُ الرَّبُّ ثُمَّ يَتَخَلَّصُ إِلَى الْمَدْحِ:
أُبَشِّرْ فَقَدْ سَفَرَ الثَّرَى عَنْ بَشَرِهِ وَأَتَاكَ بِنَشْرٍ مَا طَوَى مِنْ نَشْرِهِ^(٣).

-
- (١) بَلَدِي (الْأَنْدَلُسِ).
(٢) التَّهَمُّ: طَلَبُ الْأَشْيَاءِ وَالْبَحْثُ عَنْهَا.
(٣) اِتَّحَلَّ: اتَّخَذَ مَحَلَّةً (دِينًا، عَادَةً). مُنْتَحَلِي الْكَلَامِ: الْبَارِعِينَ فِي النَثْرِ وَالشَّعْرِ.
(٤) الْمُجْتَلَى: الْمُنْظَرُ. الْمُجْتَنَى: الْقُطْفُ مِنَ الشَّجَرَةِ (الْقَصُودُ: طَعْمًا).
(٥) أَوْلَثُكَ: (أَيُّ: الْمَشَارِقَةِ، أَهْلُ الْمَشْرِقِ).
(٦) الْأَغَرُّ: الْأَبْيَضُ. الشَّيْمَةُ: الصِّفَةُ. الْأَزْهَرُ: الْأَبْيَضُ، اللَّامِعُ.
(٧) النُّورُ (بِالْفَتْحِ): الزَّهَرُ الْأَبْيَضُ.
(٨) سَفَرٌ: كُتِفَ. الثَّرَى: التُّرَابُ (وَجْهُ الْأَرْضِ). الْبَشَرُ: طَلَاةُ الْوَجْهِ (ارْتِيَاكُ الْإِنْسَانِ لِلْقَاءِ النَّاسِ سُرُورًا بِهِمْ). النَّشْرُ: الرَّائِعَةُ الطَّيِّبَةُ: وَأَتَاكَ بِنَشْرٍ مَا طَوَى مِنْ نَشْرِهِ (بَقِيَ مِنْهُ مَا كَانَ خَفِيًّا فِيهِ - مِنْ طَيِّبِ الرَّائِعَةِ وَجَمَالِ الْمُنْظَرِ).

مُتَحَصِّناً مِنْ حُسْنِهِ فِي مَقِيلٍ عَقَلَ الْعَيُونَ عَلَى رِعَايَةِ زَهْرِهِ (١).
 فَضَّ الرِّبِيعُ خِتَامَهُ فَبَدَا لَنَا مَا كَانَ مِنْ سَرَائِهِ فِي سِرِّهِ (٢)،
 مِنْ بَعْدِ مَا سَحَبَ السَّحَابُ ذُبُولَهُ فِيهِ وَدَرَ عَلَيْهِ أَنْفَسَ دُرِّهِ (٣).
 فَاشْكُرْ لَأَذَارِ بَدَائِعِ مَا تَرَى مِنْ حُسْنِ مَنَظَرِهِ النَّضِيرِ وَخُبْرِهِ (٤).
 شَهْرٌ كَانَ الْحَاجِبَ ابْنَ مُحَمَّدٍ أَلْقَى عَلَيْهِ مَسْحَةً مِنْ بَشَرِهِ (٥)!

- وبعث إلى أبيه وزداً (بعد أوانه) وكتب إليه مع ذلك الورد يقول:

يا من تَأَزَّرَ بِالْمَكَارِمِ وَارْتَدَى بِالْجِدِّ وَالْفَضْلِ الرَّفِيعِ الْفَاتِي،
 أَنْظُرْ إِلَى خَدِّ الرِّبِيعِ مُرْكَبًا فِي وَجْهِ هَذَا الْمِهْرَجَانِ الرَّائِي.
 وَرَدْ تَقَدَّمَ، إِذْ تَأَخَّرَ، وَاعْتَدَى فِي الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ أَوَّلَ سَابِقِ.
 وَافَاكَ مُشْتَمِلًا بِشَوْبِ حَيَاتِهِ خَجَلًا (وقد حيَّاك آخر لاحق) (٦).

٤ - البديع في وصف الربيع (نشره هنري بارس)، باريس ١٩٤٠ م، الرباط ١٩٤٩ م.
 ** جذوة القبتس ١٥٢ (الدار المصرية) ١٦٢ (رقم ٢٩٥)، بغية الملتبس ٢١٣ (رقم ٥٣٤)، الذخيرة ٢: ١٢٤ - ١٣٥، معجم الأدباء ٧: ٤٣ - ٤٤، المطرب ١٢٦،
 التكملة ١: ٤٧٤، المغرب ١: ١٢٤٥ بروكلمن ١: ٣١٩، نيكل ١٢٣ - ١٢٤،
 الأعلام للزركلي ١: ٣٢٢ (٣٢٣).

- (١) - كثرة جماله جعلت الأيدي تخاف أن تطفئه، ولكن حسنه ربط العيون بالتطلع إليه.
- (٢) - الربيع جعل الزهر يتفتح ويبيد لنا سروره الذي كان مختفياً في الأزهار حيناً كانت في براعمها.
- (٣) - سحب السحاب ذبوله (مر منخفضاً فوق الأرض، وكان مطره قريباً). ودَرَ (انهمر بكثرة). الدَرُ (اللؤلؤ). أنفَسَ: أغلى (يشبه نقط الماء الساقطة باللؤلؤ). في هذا البيت اتكاء على أي تمام بصف روضاً: فقد محبت فيه السحاب ذليلاً وقد أخلست بالنور فيه الخنايل - أخلت، بالبناء للمجهول. والنور، بفتح النون: الزهر الأبيض).
- (٤) في الواحد والعشرين من شهر آذار (مارس) يبدأ فصل الربيع. حسن المنظر من جمال الزهر. النضير: الطري المتلى، بالغاية. الخبر: الباطن الذي يعرف بالاختبار (المنفع والحقيقة من الشيء).
- (٥) البشر (راجع شرح البيت الأول). المسحة: التيه القليل - إذا كان الربيع جيلاً إلى هذا الحد فلأن الحاجب ابن محمد ألقى على الربيع شيئاً قليلاً من بشره، فكم يكون بشر الحاجب ابن محمد عظيماً؟
- (٦) شوب حياته (بلونه الأحمر). حيَّاك آخر لاحق: خجل منك لأنه تأخر في الجيء إليك (لأنه أزهز بعد جميع الأزهار).

أبو القاسم الإفريقي

هو أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريّا بن مُفَرِّج بن يحيى بن زياد بن عبد الله ابن خالد بن سعد بن أبي وقاص القرشيُّ الزُّهريُّ المعروف بالإفريقي أصله من الإفيليل، وهي قرية بالشام.

وُلِدَ أبو القاسم الإفيليُّ في قُرطبة في شَوَّالٍ من سَنَةِ ٣٥٢ (خريف عام ٩٦٤ م). وقد حَدَّثَ عن أبي بكرٍ محمد بن الحسن الرُّبَيْدِيِّ (ت ٣٧٩ هـ) بكتاب النوادر عن أبي عليٍّ القاليِّ (ت ٣٥٦ هـ). ثم تصدَّرَ للعلم في قُرطبة فكان الناسُ يقرأون عليه كُتُبَ الأدب خاصَّةً.

وبعد الفتنة في الأندلس تقَرَّبَ إلى آلِ حَمُودِ المستبدِّين بقُرطبة (٤٠٧ - ٤١٨ هـ)، وكتب في أثناء ذلك للخليفة المستكفي (٤١٤ - ٤٢٦ هـ). ثم لَحِقَتْهُ تَهْمَةٌ في دينه فَسُجِنَ في المَطْبَقِ بِمَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ (قرب قرطبة) أَيَّامَ هِشَامِ الْمُعْتَدِّ (٤١٨ - ٤٢٢ هـ) ثم أُطْلِقَ سَرَّاحَهُ.

وكانت وفاة أبي القاسم الإفيليِّ في قرطبة في ١٣ من ذي القعدة ٤٤١ (٤/٨/ ١٠٥٠ م).

كان أبو القاسم الإفيليُّ عالماً باللغة والنحو ويتكلَّم في البلاغة ومعاني الشعر والنقد، ضابطاً لأشعار العرب في الجاهلية وصدر الإسلام. ومما يؤخِّدُ عليه أنه كان إذا أخطأ مضى على عناده وأصرَّ على تخريج خطأه. له كتابُ «شرح معاني شعر المتنبي» (وليس له غيره)، وهو كتابٌ حسن جيِّد. وله شيءٌ من الشعر العاديِّ. وكذلك عانى الكتابة حيناً ولكنَّه لم ينجح (في الدواوين) لأنَّه كان يكتبُ على طريقة المعلمين المتكلمين ولم يَجِرْ في أساليب الكُتَّاب المطبوعين.

يَسْلُكُ الإفيليُّ في شرح ديوان المتنبي مسلكاً قريباً المأخوذ: يقدِّم للبيت من الشعر بشرحٍ لُفُوْهيٍّ مُوجِزٍ ثم يستعينُ على ما غَمَضَ من معاني الأبيات بالاستشهاد بأبياتٍ من القرآن الكريم وبأبياتٍ من الشعر. ثم ينثِرُ في أثناء ذلك كلَّه عدداً من الملاحظات النحويَّة. وهو قليلُ التعليقِ على الأبياتِ المشرَّحة. واهتمام الإفيليِّ باللغة، حيناً يشرِّحُ الشعرَ، أكثرَ من اهتمامه بالبلاغة. ثم إنَّ الإفيليَّ مُعْجَبٌ بالمتنبي

إعجاباً شديداً لم يُنبّه على خطإٍ له ولا أرادَ أن يأخذَ عليه هَفْوةً، بل كان يحاول تخريجَ أخطاءِ المتنبي على وجهٍ مقبولٍ ثم يلمس له الأعذارَ.

- ** جذوة المقتبس ١٤٢ - ١٤٣ (الدار المصرية) ١٥١ - ١٥٢ (رقم ٢٦٢)؛ الصلة ٩٤ - ٩٥ بغية الملتبس ١٩٩ (رقم ٤٨٥)؛ معجم الأدباء ٤: ٢ - ٤٩؛ المغرب ١: ٧٢ - ٧٣؛ انباء الرواة ١: ١٨٣ - ١٨٤؛ الوافي بالوفيات ٦: ١١٤ - ١١٦؛ وفيات الأعيان ١: ٥١؛ بغية الوعاة ١٨٦؛ البلغة ٩؛ شذرات الذهب ٣: ٣٦٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٠٦ - ٨٠٧؛ الأعلام للزركلي ١: ٥٩ (٦١ - ٦٢)؛ الداية ٩٤ - ١١٦.

أبو عمرو الداني

١- هو أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو المعروف بابن الصيرفي، كان أبوه (ت ٣٩٣) من موالى بني أمية ومن أهالي قرطبة.

وُلِدَ أبو عمرو الداني سنة ٣٧١ أو ٣٧٢ هـ (٩٨٢ م) في قرطبة وبدأ طلب العلم فيها وهو ابن أربع عشرة سنة. وقد سمع من كثيرين من علماء الأندلس في قرطبة وأستجّة وبجّانة وسرقسطة وغيرها. ثم إنه رحّل في مطلع سنة ٣٩٧ فسكن القيروان أربعة أشهر ثم انتقل إلى مصر. وفي أواخر سنة ٣٩٨ (صيف ١٠٠٨ م) حجّ. بعدئذٍ انصرف راجعاً إلى الأندلس فوصل إليها في ذي القعدة من سنة ٣٩٩ (منتصف صيف ١٠٠٩ م). في أثناء هذه الرحلة أخذ عن علماء كثيرين منهم: أحمد بن محمد بن محفوظ الجيزي المصري (ت مصر ٣٩٩ هـ) - محمد بن أحمد الكاتب البغدادي (ت ٣٩٩ هـ) - محمد بن عبد الله النجّاد (ت نحو ٤٠٠ هـ) - فارس بن أحمد الحنفي (ت مصر ٤٠١ هـ) - خلف بن إبراهيم بن خاقان المصري (ت ٤٠٢ هـ) - عبيد الله ابن سلمة اليحصبي الأندلسي^(١)، أخذ عنه عامة القرآن - محمد بن يوسف القرطبي النجّاد (ت ٤١٢ هـ).

(١) في مقدّمة أوتو برنزل (مصحح كتاب التيسير ومخرجه) أن عبيد الله بن سلمة مات في الفتنة سنة ٤٥٠. لعلّ المقصود ٤٥٠.

حلّ أبو عمرو الدائي في قرطبة يُقرئ ويؤلف إلى سنة ٤٠٣ هـ، حينما اشتدت الفتنه فيها فغادرها إلى سرقسطة حيث سكن سبعة أعوام ثم انتقل إلى دانية سنة ٤٠٩ هـ، ولكن لم يلبث أن انتقل إلى جزيرة ميورقة وبقي فيها ثمانية أعوام عاد بعدها إلى دانية واتخذها دار سكن، ذلك لأن صاحب دانية مجاهداً العامري كان ذا عناية بالقراءة والقراء فكثرت الرغبة في أيامه في ذلك. ومنذ ذلك الحين عرف أبو عمرو بلقب الدائي. وكانت وفاته في دانية في نصف شعبان من سنة ٤٤٤ (١٢/ ١٠٥٢ م)^(١).

٢- كان أبو عمرو الدائي من أهل الذكوة والحفظ والعلم والفهم كما كان حسن الخط عارفاً بقواعده. وكذلك كان مُحباً للعلوم راعياً في تحصيلها، وخصوصاً فيما يتعلق بعلوم القرآن وعلوم الحديث وروايته. وقد كان عارفاً بالفقه مُتبحراً في اللغة وفي مذاهب النحويين. وقد كانت له كتب كثيرة جداً ضاع منها كثير. فمن كتبه الباقية لنا: الإدغام الكبير - الأرجوزة في أصول السنة - الاقتصاد في رسم المصحف - الإملات - الاهتداء في الوقف والابتداء - التحديد في صناعة الإتقان والتجويد - التيسير في القراءات السبع^(٢) - طبقات القراء - الفتن والملاحم - المحتوى في القراءات الشواذ - المُقنَّع في رسم مصاحف الأمصار - النقط - المُحكَّم في نقط المصاحف - رسالة الظاءات القرآنية^(٣).

(أ) كتاب التيسير: بدأ أبو عمرو الدائي هذا الكتاب، بعد المقدمة، بذكر القراء السبعة الذين هم أصل القراءات المختلفة: عبد الله بن عامر الشامي (ت ١١٨ هـ) - عبد الله بن كثير المكي (ت ١٢٠ هـ) - عاصم بن أبي النجود الكوفي (ت ١٢٧ هـ) - أبو عمرو بن العلاء البصري (ت ١٥٤ هـ) - حمزة بن حبيب الزيات

(١) بروكلمن (١: ٥١٧، الملحق ١: ٧١٩): نصف شوال ٤٤٤ = شباط (فبراير) ١٠٥٣ (لا أرى ذلك يستقيم في الحساب).

(٢) وهو كتاب مشهور (نفع الطيب ٣: ١٨٠ - ١٨١).

(٣) يلقى هذا الكتاب في مثل من مجلة البلاغ (مكة) ١٩٧٠ (٩) راجع مجلة «فاطمة الزيت» (شوال ١٣٩٠ هـ = تشرين الأول - أكتوبر ١٩٧٠ م).

الكوفي (ت ١٥٦ هـ) - نافع بن عبد الرحمن المدني (ت ١٦٩ هـ) - علي بن حمزة الكسائي الكوفي (ت ١٨٩ هـ).

ثم ذكر الرجال الذين أخذوا عن هؤلاء السبعة ثم الذين كانوا بيننا وبين هؤلاء .
(كيف وصلت إلينا القراءات عن القراء السبعة).

بعدئذ بدأ أبو عمرو الدائي سرد الخلاف في القراءات:
(وصل إلينا القرآن الكريم تاماً في آياته وألفاظه وترتيبه كما كان في أيام رسول الله . وهناك ألفاظ وأحوال في القراءة كلها راجعة إلى الصحابة الذين أخذوا كل شيء عن الرسول صلى الله عليه وسلم). من هذه الأمور والأحوال كلها:

- الاستعاذة: أعود بالله من الشيطان الرجيم، لا خلاف في وجوب قراءتها جهراً عند كل بدء لقراءة من القرآن الكريم.

- التسمية أو البسملة: بسم الله الرحمن الرحيم، لا خلاف أيضاً في الجهر بها عند بدء قراءة القرآن. وأوجب بعضهم الجهر بها عند بدء كل سورة (ولو قرئت السور متتالية)، ماعدا سورة براءة أو التوبة فإنه لا بسملة فيها. ومنهم من يسقط التسمية بين السور عند متابعة التلاوة.

- الإمالة: ومن القراء من يميل «الألف المقصورة» (يلفظها بين الفتح والكسر)، نحو: «والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى...» أو الألف الطويلة أحياناً: «أحياكم».

- الترقيق: حق الراء المفتوحة أو المضمومة أن تُلَفَّظَ مُفَخِّمَةً. أمّا الراء المكسورة أو الساكنة بعد كسر فتحها الترقيق في اللفظ. ولكن بعضهم أمال الراء أحياناً في مثل قوله تعالى: «في الآخرة والأولى - سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا».

- تسهيل الهمزة: نحو قوله تعالى «فأكله الذيب» مكان «فأكله الذئب». أو كان يُهَيَّلُ الهمزة مطلقاً (وتلك لمة لأهل الحجاز) نحو ياخذ (مكان يأخذ)، ونحو: إِنْ يَاجُوجُ وَمَاجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ (مكان ياجوج وماجوج)، الخ.

- حذف الياء المتطرقة، كقوله تعالى: «رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاهُ» (مكان دعائي) أو «وَتَمُودُ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (مكان الوادي)».

- قرأ جمهورُ القراء: سلامٌ هيَ حتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ (بفتح اللام)، وقرأ الكِسائي «مَطْلَع» (بكسر اللام). الخ.

(ب) المُحْكَمُ في نقطِ المصاحف. المقصودُ بالنَّقْطِ هنا شيْتان: نقطُ الإعْجام ونقط الحركات: نُقْطُ الإعْجام للتفريق بين الباء والتاء والياء أو بين الجيم والحاء والهاء ثم نقط الحركات (أو الإعراب)، نحو: جَمَعَ وُجِعَ وُجِعَ أو يَجْمَعُ ولم يَجْمَعْ.

كانتِ الكِتَابَةُ العربية في أوَّل الأمر مُعْرَاةً من النقط ومن الحركات (وكذلك كُتِبَتِ المصاحف). ثم بدأ اللحنُ يتطَرَّقُ إلى أَلْسِنَةِ العرب في قراءة القرآن أيضاً. فأشار زيادُ بنُ أبيه على أبي الأسود الدُّوَلِيِّ أن يُوجد طريقةً تَمْنَعُ مثلَ ذلك اللحن. فاستنبط أبو الأسود أسلوباً من التنقيط (وضع نُقْطٍ على الأحرف) للدلالة على لفظها مُفْرَدَةً: ب، ث، ج، خ، د، ذ، س، ش الخ. أو لمعرفة الحركات الصرفية والنحوية. (وقد تطوَّر هذا التنقيط بدلالاتٍه حتَّى صار إلى ما هو معروف اليوم في كتابتنا).

ويبقى هنالك، فيما يتعلَّقُ بالمصاحف، شيءٌ هو التفريق بين التَهْجئة والرَّسْم. إنَّ الكلماتِ في المصاحف - ما عدا عدداً يسيراً منها - تُكْتَبُ في التهجئة بحسبِ لفظها نحو: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ....

ولكنَّ عدداً من تلك الكلمات «تُرْسَمُ» رَسْماً خاصاً يُخالفُ القاعدة أحياناً (من حيث اللفظ أو من حيث جلال الشكل أو الخط أو كراهة اجتماع حرفي عِلَّة وما أشبه). من ذلك:

- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (بَدَل: بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).
- الصلوة (مكان: الصلاة، لأنَّ أهل الحجاز يفخِّمون لفظها) والزكاة والغدوة؛
والشيطان (الشيطان)، داود (داوود)، المنفقين (المنافقين)، المودة (المودة)، يا يها (يا أيها).

- وبما أنَّ النَّقْطَ كان لتبيانِ لفظِ الكلمات في القرآن الكريم فقد أوجب الأئمة أن يكونَ خَطُّ الآياتِ في المصاحف مجنَّباً (بلون أسود) وأن يكونَ النَّقْطُ (للإعْجام أو للإعراب) بصيغ (بلون: أحمر أو أصفر) لكيلا يظُنَّ القارئ القليلُ الاختبار أن

هذه العلامات من القرآن فيقرأها فيختلطُ حينئذٍ الوحيُ بالعلاماتِ الاصطلاحية التي هي من وضع البشر، وخصوصاً إذا كانت تلك العلامات «لتوجيه القارئ»، نحو وقف، لا (يجب الوقف عند هذه الكلمة)، ط (وقف مُطلق: يجوز الوقف ويجوز الوصل)، ز (وقف جائز: الأفضل أن تقطع القراءة)، جـ (وقف مجوز: الأفضل أن تصل القراءة) الخ. فمن أجل ذلك فقط رأى الأئمة الأولون أن تكون جميع العلامات الموجهة لمعرفة الحروف ولمعرفة الحركات ولمعرفة مواضع الفصل والوصل بصنغ (بلون) مُخالفٍ لجبر الخطّ الأصلي في المصحف. (أمّا اليوم، وقد أصبح نصُّ القرآن محفوفاً، فإنّ المصاحف تُطبع بحبر واحد: النصّ القرآني والنقاط على الحروف وعلامات الإعراب وعلامات الوقف).

٣ - مختارات من آثاره

- مقدّمة «الحكم» لأبي عمرو الداني:

.... هذا كتابٌ علّمَ نَقَطَ المصاحف وكَيْفِيَّتَهُ^(١) على صِبْغِ التِّلَاوَةِ ومَذاهِبِ الْقِرَاءَةِ فِيمَا اتَّفَقُوا^(٢) عَلَيْهِ وفيما اختلفوا فيه، وعلى ما سَنَّهُ المَاضُونَ واستعمله الناقطون وما يُوجِبُهُ قِياسُ الْعَرَبِيَّةِ^(٣) وتُحَقِّقُهُ طَرِيقُ اللُّغَةِ، مشروحاً ذلك بأصوله وفُروعه، مُبَيَّنّاً بِعِلَلِهِ وُجُوهِهِ، مَعَ ذِكْرِ السُّنَنِ^(٤) الْوَارِدَةِ عَنِ السَّلَفِ الْمَاضِينَ والأئمةِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي النُّقْطِ وَمَنْ ابْتَدَأَ بِهِ أَوَّلًا وَمَنْ كَرِهَهُ مِنْهُمْ وَمَنْ تَرَخَّصَ فِيهِ، إلى غير ذلك مِمَّا يَنْضَافُ إِلَيْهِ وَيَتَّصِلُ بِهِ مِنْ ذِكْرِ رُسْمِ فَوَاتِحِ^(٥) السُّورِ وَرُؤُوسِ الْآيِ وَالْخُمُوسِ وَالْعُشُورِ^(٦)، وَمَنْ أَمَى ذَلِكَ....

(١) كيفية نقط المصاحف.

(٢) اتفق عليه الأئمة.

(٣) العربية: النحو.

(٤) السنن عن رسول الله (الأحاديث الشريفة).

(٥) فاتحة السورة: أولها: المقصود: ذكر اسم السورة وعدد آياتها وموضع نزولها في رأس كل سورة.

(٦) رؤوس الآي: أوائل الآيات: وضع علامات للدلالة على انتهاء الآية وبداية التي تليها. الخموس جمع خمس: مجموع من خمس آيات (توضع له علامة)، والعشور جمع عشر. وكان بعضهم يضع علامة عند كل انتهاء خمس آيات وعند انتهاء كل عشر آيات.

- من مقدّمة « كتاب التيسير في القراءات السبع » :

... أما بعد، فانكم سألتُموني - أحسنَ الله إرشادكم - أن أُصنّفَ لكم كتاباً مختصراً في مذاهب القراء السبعة بالأمصار^(١)، رَحِمَهُمُ اللهُ، يقرُبُ عليكم تناولُهُ وَيَسْهُلَ عليكم حِفْظُهُ وَيَخِفَ عليكم دَرْسُهُ (تم) يتضمّنُ من الروايات والطُرُق ما اشتهر وانتشر عند التالين^(٢) وصَحَّ وَثَبَتْ عن الأئمة المتقدمين. فأجَبْتُكم إلى ما سألتُموه وأُعْلَمْتُ نفسي في تصنيف ما رَغِبْتُموه، على النحو الذي أَرَدْتُموه، واعتمدت في ذلك على الإيجاز والاختصار وتركِ التطويل والتكرار. وقَرَّبْتُ الألفاظَ وَهَذَبْتُ التراجمَ وَنَهَيْتُ على الشيء بما يُؤدِّي عن حقيقته مِنْ غيرِ استغراقٍ لكي يُوصَلَ إلى ذلك في يُسْرٍ وَيُحَفَظَ في قُرْبٍ.

- جامعُ القولِ في النقط (الحكم ١٨ - ١٩) :

إنَّ الذي دعا السلفَ، رَضِيَ اللهُ عنهم، إلى نَقْطِ المصاحف، بعد ان كانت خاليةً من ذلك وعاريةً عنه وقتَ رَسْمِها وحين توجيهاها إلى الأمصار..... ما شاهدوه من أهلِ عصرهم - مَعَ قُرْبِهِمْ من زمن الفصاحة ومُشاهدة أهلها - من فسادِ أَلْسِنَتِهِمْ واختلافِ أَلْفاظِهِمْ وتغيُّرِ طِبَاعِهِمْ ودخولِ اللحن على كثيرٍ من خواصِّ الناسِ وَعَوَامِّهِمْ، وما خافوه مَعَ مرورِ الأيامِ وتطاوُلِ الأزمانِ من تَزْيُدِ ذلك وتضاعِفِهِ فيمن يَأْتِي من بَعْدِهِمْ - لا شك - في العلمِ والفصاحة والفَهْمِ والدِّرايةِ دون من شاهدوه، تَمَّ عَرَضَ له الفسادُ ودخل عليه اللحن، لكي يُرْجَعَ إلى نَقْطِها وَيُصارَ إلى شَكْلِها^(٣) عند دخولِ الشكوكِ وعدمِ المعرفةِ وَيتَحَقَّقَ بذلك إعرابُ الكَلِمِ وتُدْرَكَ به كَيْفِيَةُ الألفاظِ.

ثمَّ أَنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا ذلك وَقَادَهُمُ الاجتهادُ اليه بَنَوْهُ على وَصْلِ القاريءِ بالكَلِمِ دونَ

(١) مصر (بكر الميم) عاصمة المقاطعة في مقابل « العاصمة ». كانت بغداد عاصمة الدولة العباسية. أما

الكوفة والبصرة ثُمَّ دمشق والقاهرة (في أيام الدولة العبّاسية) فكانت أَمْصاراً.

(٢) التالون: القارئون (قارئو القرآن الكريم).

(٣) وضع حركة عليها.

وَقَفَّهِ عَلَيْهِ^(١). فَأَعْرَبُوا أَوَّخِرَهُنَّ لَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِشْكَالَ أَكْثَرَ مَا يَدْخُلُ عَلَى الْمُبْتَدِئِ الْمُتَعَلِّمِ، وَالْوَهْمُ أَكْثَرَ مَا يَغْرِضُ لِمَنْ لَا يُبْصِرُ الْإِعْرَابَ وَلَا يَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ فِي إِعْرَابِ أَوَّخِرِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ. فَلِذَلِكَ بَنَوْا النَّقْطَ عَلَى الْوَصْلِ دُونَ الْوَقْفِ. وَأَيْضاً فَإِنَّ الْقَارِئَ قَدْ يَقْرَأُ الْآيَةَ وَالْأَكْثَرَ^(٢) فِي نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَلَا يَقْطَعُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ كَلِمَتِهَا، فَلَا بَدَّ مِنْ إِعْرَابٍ مَا يَصِلُهُ (مَا يَصِلُ الْقَارِئُ بَيْنَهُ) مِنْ ذَلِكَ ضَرُورَةً.

قال أبو عمرو (الداني): فَأَمَّا نَقْطُ الْمَصَاحِفِ بِالسَّوَادِ مِنَ الْحَبَرِ وَغَيْرِهِ فَلَا اسْتَحْجَازُهُ، بَلْ أَتَى عَنْهُ وَأُنْكِرُهُ اقْتِدَاءً بِمَنْ ابْتَدَأَ النَّقْطَ مِنَ السَّلَفِ وَاتَّبَاعاً لَهُ فِي اسْتِعْمَالِهِ لِذَلِكَ صِبْغاً يُخَالِفُ لَوْنَ الْمِدَادِ، إِذْ كَانَ (الصَّبْغُ) لَا يُحْدِثُ فِي الْمَرْسُومِ تَغْيِيراً وَلَا تَحْلِيلًا. وَالسَّوَادُ يُحْدِثُ ذَلِكَ فِيهِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ رُبَّمَا زِيدَ فِي النُّقْطَةِ^(٣) فَتَوَهَّشَتْ لِأَجْلِ السَّوَادِ الَّذِي بِهِ تُرْسَمُ الْحُرُوفُ - أَنَّهَا حُرُوفٌ مِنَ الْكَلِمَةِ فَزِيدَ فِي تِلَاوَتِهَا لِذَلِكَ. وَلِأَجْلِ هَذَا وَرَدَّتِ الْكَرَاهِيَةُ عَمَّنْ تَقْدَمُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ فِي نَقْطِ الْمَصَاحِفِ (بِالْحَبَرِ الْأَسْوَدِ).

والذي يستعمله نَقَاطُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحْدَيْهِ مِنَ الْأَلْوَانِ فِي نَقْطِ مَصَاحِفِهِمُ الْحُمْرَةَ وَالصَّفْرَةَ لَا غَيْرَ..

٤- التيسير... حيدر آباد ١٣١٦ هـ، دهلِي (حجر) ١٣٢٨ هـ؛ (أوتو برتزل) ليبزغ ١٩٣٠ م.

- المقنع في معرفة رسم المصاحف (أوتو برتزل)، ليبزغ ١٩٣٢ م. الحكم في نقط المصاحف (عزّة حسن)، دمشق (وزارة الإرشاد والثقافة) ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م.

★★ جذوة المقتبس ٢٨٦ - ٢٨٧ (الدار المصرية) ٣٠٥ - ٣٠٦ (رقم ٧٠٢)؛ بغية المتتمس ٣٩٩ - ٤٠٠ (رقم ١١٨٥)؛ معجم الأدباء ١٢: ١٢١ - ١٢٨؛ (ترجمتان منفصلتان)؛ الصلة ٣٨٥ - ٣٨٧؛ إنباء الرواة ٢: ٣٤١ - ٣٤٢؛ الديباج المذهب ١٨٨؛ نفع الطيب ٢: ١٣٥ - ١٣٦؛ شذرات الذهب ٣: ٢٧٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣:

(١) إذا وقف القارئ على آخر الآية ألقى الحركة على الحرف الأخير منها (نحو: مالك يوم الدين * إياك نعبد... أو. مالك يوم الدين إياك نعبد).

(٢) أكثر من آية واحدة.

(٣) أقرأ: زيدت النقطة (بالحبر الأسود).

ابن الحَيَّاطِ الأندلسي

١ - هو أبو بكر يحيى بن أحمد بن الحَيَّاطِ الأندلسي، وُلِدَ نَحْوَ سَنَةِ ٣٦٨ هـ (٩٧٨ - ٩٧٩ م). وَهُوَ من تلاميذِ مَسْلَمَةَ بنِ أَحْمَدَ المَرْحُوطِي (المَجْرِيطي = المَزيدِي)، تَلَقَّى عَلَيْهِ عِلْمَ العَدَدِ والهندسة ثُمَّ مَالَ إلى عِلْمِ أَحْكَامِ النُجُومِ وَبَرَعَ فِيهِ واشتهر. وَكَانَ مُتَّصِلًا بِالْخَلِيفَةِ سُلَيْمَانَ المُسْتَعِينِ وبِالْمُأْمُونِ القَاسِمِ بنِ حَمُودِ بنِ ذِي النُونِ^(١). وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ الحَيَّاطِ الأندلسي سَنَةَ ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ - ١٠٥٦) فِي طَلَيْطَلَةَ.

٢ - كَانَ ابْنُ الحَيَّاطِ الأندلسي بارعاً فِي الهندسة والفلك وَفِي الطَّبِّ دَقِيقَ العِلاجِ، كَمَا كَانَ أَيْضاً بارعاً فِي النُحوِ وأدبياً شاعراً.

٣ - مَخْتَارَات من تَعَمَّره

قَالَ ابْنُ الحَيَّاطِ الأندلسي فِي الشُّكُوى:

لَمْ يَخْلُ من نُوبِ الزَّمَانِ أَدِيبٌ - كَلَّا - فَشَانُ النَّائِبَاتِ عَجِيبٌ^(٢).
وَعُضَارَةُ الأَيَّامِ تَأْمِي أَنْ يُرَى فِيهَا لِأَبْنَاءِ الذِّكْلِ نَصِيبٌ^(٣).
وَكَذَلِكَ من صَحْبِ اللِّيَالِي طَالِباً جَدًّا وَفَهًّا، فَاتَهُ المَطْلُوبُ^(٤)

(١) كَانَ الخَلِيفَةُ سُلَيْمَانُ المُسْتَعِينِ وَالمُسْتَبْدِ القَاسِمُ بنِ حَمُودِ فِي أَهَامِ الفِتْنَةِ (أَهَامِ الاضطرابِ فِي قُرْبَةِ) قَدْ تَدَاوَلَا مَعَ نَفَرٍ آخَرِينَ الحُكْمِ عَلَى قُرْبَةِ فِي فُرَاتٍ قَصِيرَةٍ مُتَقَطَّةٍ، بَيْنَ سَنَةِ ٤٠٠ وَسَنَةِ ٤١٦ هـ (١٠٠٩ - ١٠٢٥ م). وَالأَرْجَحُ أَنَّ ابْنَ الحَيَّاطِ كَانَ مُتَّصِلًا بِالمُسْتَعِينِ وَبِالْمُأْمُونِ مِنْ قَبْلِ سَنَةِ ٤٠٠ هـ.

(٢) النُوبُ (جَمْعُ نُوبَةٍ) وَالنَّائِبَاتِ (جَمْعُ نَائِبَةٍ): المَصَائِبُ.

(٣) الفُضَارَةُ: النِّعْمَةُ وَالسَّعَةُ فِي العِيشِ. - المَقْصُودُ: النِّعْمَةُ لَا تُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مِنْهَا نَصِيبٌ لِأَذْكَيَاءِ الأَمْنَاءِ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ.

(٤) - مِنْ قَضَى حَيَاتِهِ فِي طَلَبِ العِلْمِ بِالْجَدِّ (بِكسر الجيم: المَثَابِرَةُ) وَالفهم لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ وَقْتُ لَطَلَبِ المَالِ وَالحِطِّ.

وقال في بخيل:

لا تَكُونَنَّ مُبْرِمًا^(١) وَعَسَوفًا؛ سَلَهُ أَدَمًا، وَخَلَّ غَنَكَ الرَغِيفَا^(٢).
أَكْرَمَ الْخَبِيزَ بِالصَّيَانَةِ حَتَّى جَمَلَ الْكَفْكَ لِلْبَنَاتِ شُفُوفَا^(٣).

٤ - ★★ طبقات الأطباء ٢: ٥٠، معجم الأدباء ١٩: ٣١٣ - ٣١٤، الوافي بالوفيات ٦: ١١٤.

أم العلاء الحجارية

١ - هي أم العلاء بنتُ يوسفَ الحجارية، نِسَبَةٌ إِلَى مَدِينَةِ وَادِي الْحِجَارَةِ فِي شَالِي الْأَنْدَلُسِ، عَاشَتْ فِي الْقَرْنِ الْخَامَسِ لِلْهِجْرَةِ (الْحَادِي عَشَرَ لِلْمِيلَادِ).

٢ - كَانَتْ أُمُّ الْعَلَاءِ الْحِجَارِيَّةُ حَسَنَةَ الشُّعْرِ، وَفِي شِعْرِهَا لَفَتَاتٌ، وَفِيهِ شَيْءٌ مِنَ الضَّعْفِ.

٣ - مختارات من شعرها

كَانَ رَجُلٌ أَشِيبُ قَدْ عَشِقَ أُمَّ الْعَلَاءِ الْحِجَارِيَّةَ فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ:

الشَّيْبُ لَا يُخْدَعُ فِيهِ الصَّبَا بِحِيلَةٍ، فَاسْتَعِ إِلَى نُضْحِي
فَلَا تَكُنْ أَجْهَلُ مَنْ فِي الْوَرَى يَبِيتُ فِي الْجَهْلِ كَمَا يُضْحِي!

ولها في النسيب:

كُلُّ مَا يَصْدُرُ مِنْكُمْ حَسَنٌ، وَبَعْلِيَامَ تَحَلِّي الزَّمَنُ.
تَعَكِّفُ الْعَيْنُ عَلَى مَنْظَرِكُمْ وَبِذَكَرَاكُم تَلْدُ الْأُذُنُ^(٤).

(١) البرم: الملح في السؤال. الصوف: الشديد العنيف في المطالبة.

(٢) الأدم (بضم الهَمْزَة) جمع أدمَة (بضم الهَمْزَة أَيْضًا): الناقة السمرَاء الثمينة، السمن، الطعام المالح بالسمن. - المعنى: أطلب من هذا الرجل البخيل شيئاً ثميناً (نياقاً أو طعاماً مطبوخاً بالسمن واللحم) (لأنه يمكن أن يعتذر حينئذ اعتذاراً لطيفاً فيقول لك: ليس عندي الآن مثل هذا - ويكون صادقاً). أما إذا طلبت منه رغيفاً (والرغيف يجب أن يكون موجوداً دائماً عند جميع الناس، فلا يمكنه أن يعتذر عند منع الرغيف عنك بعذر مقبول فينتظاهر بالغضب الشديد وبسوء إليك).

(٣) الشنف (بفتح الشين) حلية صغيرة تعلّق في أعلى الأذن.

(٤) عكف على الصم: أطال الوقوف أمامه. تعكف العين على منظر كم: تنظر إليك كثيراً سروراً بكم.

مَنْ يَعْشُ دُونَكُمْ فِي عُمْرِهِ فَهُوَ فِي نَيْلِ الْأَمَانِ يُعْبَرُ.
وقالت في العتاب والاعتذار:

إِفْهَمْ مَطَارِحَ أحوالٍ وما حَكَمْتَ به الشواهدُ واعْذُرْني ولا تَلُمْ^(١)،
ولا تَكِلْني إلى عَذْرِ أُبَيَّنُهُ شَرَّ المَعَاذِيرِ ما يَحْتَاجُ لِلْكَلَمِ^(٢)!

٤ - ** - المغرب ٢: ٤٣٨ نفع الطيب ٤: ١٦٩ بغية الوعاة ٢٢.

ابن البزلياني

١ - هو أبو عبد الله محمد بن أحمد - أو ابن عامر (المغرب ١: ٤٤٤) - البزلياني،
أصله من مالقة، وهو منسوب إلى بزليانة (حصن من حصون مالقة على بحر
الرفاق - بين الأندلس والمغرب). وكان مولده في صفر من سنة ٣٩١ (الصلة ١:
٢٦٧).

عمل ابن البزلياني كاتباً أو وزيراً عند نفر من ملوك الطوائف: كان عند
حبوس صاحب غرناطة، وكانت ولاية حبوس من سنة ٤١٠ إلى سنة ٤٣٠ للهجرة.
ولما استولى المعتضد صاحب إشبيلية على أونة وشلطيش (في أقصى الجنوب الغربي
من البرتغال اليوم)، سنة ٤٤٣ هـ، جعل ابنه محمداً والياً عليها وجعل ابن
البزلياني كاتباً لابنه ووزيراً.

ثم نشأت لإسماعيل بن المعتضد ناشئة استقلال عن أبيه وأراد قتل أبيه في سبيل
ذلك - وقيل بل زعم له ذلك وزيره ابن البزلياني، فقتله المعتضد في أول ثورة ابنه
إسماعيل (الذخيرة ٢: ١٤٧ ن) - . وقد قتل المعتضد بعد ذلك بمدة قصيرة ابنه
إسماعيل، سنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٧ م).

٢ - أبو عبد الله بن البزلياني أديب كاتب مترسل، له رسائل ديوانية ورسائل

(١) مطارح أحوال: كيف تقلبت في الأحوال (المصائب التي نزلت بي). الشواهد: جمع شاهد: العلامة
الظاهرة.

(٢) - العذر الذي يحتاج إلى شرح (ولا يكون ظاهراً بنفسه ليس عذراً).

إخوانية. وأغراضه فيها المديح والعتاب والهجاء. وكانت له معرفة باللغة. ويبدو أنه كان ينظم الشعر (راجع الذخيرة ١: ٦٣٥)، إذ يقول في إحدى رسائله: «... وكما أن بركة الأشجار في الأنوار، فكذلك بركة الأدب في الرسائل والأشعار».

٣ - مختارات من آثاره

- لابن البزلياني رسالة إلى ابن مُنذر^(١) جاء فيها (الذخيرة ١: ٦٢٧):

وأتصل بي ما وقع بينك وبين المؤمن وأبي المنذر والموفق وعضد الدولة أبي الحسن^(٢)، وأنكم اضطررتم إلى إخراج كل فريق منكم النصارى إلى بلاد المسلمين^(٣). فنظرت في الأمر بعين التحصيل وتأولته بحقيقة التأويل، فعظم قلقي وكثر على المسلمين شفتي في أن يطأ أعداؤهم بلادهم ويؤيموا أولادهم ويتسع الحرق على الراقع وينقطع طمع التلاقي على الطامع. ولو لم تكن - يا سيدي - الفتنة إلا بين المسلمين والتشاجر إلا بين المؤمنين^(٤)، لكانت القارعة العظمى والداهية الكبرى. فإذا (نحن) تأيذنا بالمشركون واعتضدنا بالكافرين^(٥) وأبغناهم حرمتنا ومنحناهم قوتنا وقتلنا أنفسنا بأيدينا وأدنا إلى الندم مساعينا، كانت الدائرة أمضً والحيرة أرمضً^(٦) والفتنة أشدَّ والمحنة أهدَّ والأعمال أحبط والأحوال أسقط والأوزار أثقل والمضار أشمل. والله يُعيذنا من البوائق^(٧) ويسلك بنا أجمل

(١) و(٢) ابن منذر والمؤمن وأبي المنذر والموفق وعضد الدولة أبي الحسن يجب أن يكونوا من ملوك الطوائف وأن يكونوا أيضاً في زمن واحد. ولكن أسماء نفر من ملوك الطوائف وألقابهم وكناهم تتشابه أو تتفق. ويراجع جداول زامباور (ص ٨٩ وما بعد) لم أستطع أن أعين أصحاب هذه الأسماء تعييناً دقيقاً صحيحاً.

(٣) الشكوى من أن هؤلاء الملوك المسلمين كانوا يستميتون جيوش النصارى على قتال بعضهم بعضاً أو على قتال منافسيهم المسلمين.

(٤) لعل الأصح أن يقال: ولو لم يكن (من ذلك) إلا الفتنة بين المسلمين وإلا التشاجر بين المؤمنين. «كان» في هذه الجملة والتي بعدها «تامة» تحتاج إلى فاعل لا إلى اسم وخير.

(٥) تأيذنا واعتضدنا: استمنا.

(٦) الدائرة (المصيبة المفاجئة) أمضً (أشدَّ ألماً). أرمض (أشدَّ حرّاً).

(٧) البائقة: الشر، الداهية.

الطرائق... ولما انتظرتُ أن يُنْفِرَ ذلك الدجور^(١) وتستقرَّ تلك الأمور، (ثم) أبطلتُ عليّ ذلك ولم يعدْ من قبلكَ رسولٌ إليّ، داخلتُ عميدَ الدولة^(٢) جاري في هذه الأنباء وراوضته^(٣) في علاج هذه الأدواء. وأنت - يا سيدي - للمسلمين الحصنُ الحصينُ والسببُ المتينُ والنصيحُ الأمين، فاجرِ في جمعِ كلمَتِهِمُ والمُرَامةِ دون حوزتهم^(٤) - وله رسالةٌ إخوانيةٌ إلى، أبي جعفرِ بنِ عَبَّاسٍ^(٥) يقرّعه فيها (وقد كان زاره فلم يُوفِّه حَقَّهُ من إكرام الضيف) (الذخيرة ١: ٦٣٣):

كُلَّفُ المُرُوءة - أبُقاكَ اللهُ - صعبةٌ إلّا على الكِرام، وطُرُقُ الجَفَاء رحبةٌ لسلوك اللِّثام. والأحقُّ يرى البرَّ^(٦) خُسراناً ويمتدُّ إكرامُ الواغدين نُقصاناً، فيمنَحُ الكثيرُ من عِرْضه ويمْنَعُ اليسيرُ من عِرْضه^(٧)، ويلبَسُ دِرْعاً وهو مهتوكٌ بالطَّعن^(٨)، ويجعلُ الكبيرياء رِداءه وهو مُطرَرٌّ باللعن... وما يتكَبَّرُ متكَبِّراً إلّا من جَهْلِهِ، وعُجْبُ المرءِ أحدُ حَسَادِ عَقْلِهِ^(٩)... وجِئْتُكَ زائراً فكأنِّي جِئْتُكَ آملاً^(١٠). وأردتُ مُصافحتَكَ فما مَدَدتُ إليّ يداً. وطلبتُ مُعَانَتَكَ فخلتُكَ مُقْعِداً^(١١). وبعدَ أن هَمَمْتُ بالنهوضِ أَقْعَدَكَ الكسلُ، كأنك خُمصانةٌ أثقلها الكِفْلُ^(١٢). وجعلتُ تُشيرُ بالحاجِبِ وتُلَوِّي الشِّفَةَ

-
- (١) أسفر: انكشف (زال). الدجور: الظلام (الشدة، المهنة).
(٢) داخلت: شاركت في البحث، شاورت، حاولت معرفة رأي (فلان). عميد الدولة (٩).
(٣) راوض فلان فلاناً (حاول استقالته وإقناعه).
(٤) أجز (فعل أمر): سرّ، اسع، حاول. المرامة (أن يرمي كلَّ خصم خصمه بالسهام). و(هنا): قاتل، دافع. الحوزة: ما يملكه الإنسان.
(٥) أبو جعفر بن عباس الوزير الكاتب.
(٦) البرّ: عمل الخير والإحسان إلى الآخرين والطاعة للأغارب.
(٧) العرض (بالكسر): الشرف، ما يجب أن يدافع الإنسان عنه. (وبفتح ففتح): السلة، المائدة.
(٨) الدرع (التي تلبس في الحرب) مؤنثة: إقرأ إذن: وهي مهتوك (مقطوعة، ممزقة: لا تدفع أذى).
والدرع (ثوب للقتاة) مذكّر.
(٩) العجب (رفع الإنسان نفسه فوق مقامها) من حساد عقله (بصرف الرجل عن الاستماع بعقله؟).
(١٠) ... جئتُكَ آملاً (جئتُ إليك أطلب عطاء أو مالاً).
(١١) خلّتك (ظننتك) مقعداً (عاجزاً عن القيام على رجليك).
(١٢) الخمصانة (الفتاة النحيلة المحصر) أثقلها (منها من النهوض) الكفل: مؤخرة الإنسان (لضعفها).

وَتَدْعِي - بالجهل في كل شيء - معرفة. فما كان ضَرْكَ حِينَ أَخْلَلْتَ لَوْ أَجْلَلْتَ؟^(١)
وما كان يَسْوءُكَ حِينَ نَاطَرْتَ لَوْ أَجْمَلْتَ؟^(٢) وما كان يَنْقُصُكَ؟^(٣) حين حكمت لو عدلت؟.

٤ - * * * الذخيرة ١: ٦٢٤ - ٦٤٣، ٣: ١٤٦ - ١٤٧؛ الصلة ٢٦٧ راجع المغرب ١: ٤٤٤ - ٤٤٥.

ابن بُرْدِ الْأَصْفَرِ

١ - هو أبو حَفْصٍ أَحْمَدُ (الْأَصْفَرُ) بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي حَفْصٍ أَحْمَدَ (الْأَكْبَرِ) بْنِ بُرْدٍ مولى أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ شُهَيْدٍ.

كان أَحْمَدُ بْنُ بُرْدٍ الْأَصْفَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ جَاهٍ وَرِثَاةٍ فَقَدْ كَانَ جَدُّهُ أَحْمَدُ بْنُ بُرْدٍ الْأَكْبَرُ (٣٣٥ - ٤١٨ هـ) وَزِيْرًا فِي أَيَّامِ الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ. وَقَدْ قَرَأَ أَحْمَدُ الْأَصْفَرُ عَلَى جَدِّهِ فَنَوَّنَ الْأَدَبَ وَالْعِلْمَ كَمَا تَعَلَّمَ عَلَى يَدَيْهِ صِنَاعَةَ الْكِتَابَةِ ثُمَّ مَارَسَهَا قَبْلَ أَنْ يُتَوَفَّى جَدُّهُ (سَرَقُشْطَةَ، ٤١٨ هـ = ١٠٢٧ م).

كَانَ آلُ بُرْدٍ يَعْيشُونَ فِي قُرْطَبَةٍ. وَيَبْدُو أَنَّهُمْ تَرَكَوْهَا فِي الْحَرَمِ مِنْ سَنَةِ ٤٠٧ هـ (حَزِيرَانَ - يُونِيُو ١٠١٦ م) لَمَّا ضَيَّقَ عَلَيَّ بْنُ حَمُودٍ الْمُسْتَبْدُ بِقُرْطَبَةٍ عَلَى الَّذِينَ كَانُوا قَدْ خَدَمُوا سُلَيْمَانَ الْمُسْتَعِينَ الْأُمَوِيَّ وَفِيهِمْ جَدُّهُ أَحْمَدُ بْنُ بُرْدٍ الْأَكْبَرُ (رَاجِعِ الذَّخِيرَةَ ١: ٨٠ - ٨٢). وَالَّذِي أَرْجَحُهُ أَنَّهُمْ انْتَقَلُوا إِلَى دَانِيَّةٍ فَاتَّصَلَ أَحْمَدُ الْأَصْفَرُ بِجَاهِدِ الْعَامِرِيِّ (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ) ثُمَّ بَابْنِهِ وَخَلْفِهِ أَبِي الْأَخْوَصِ مَعْنَى (٤٣٢ - ٤٣٦ هـ). ثُمَّ إِنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى الْمَرْيَةِ، قَبْلَ ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م)، فَقَدْ قَالَ الْحَمِيدِيُّ (جَدْوَةَ ١٠٧): «وَقَدْ رَأَيْتُهُ بِالْمَرْيَةِ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِيَّةَ زَائِرًا لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ غَيْرَ مَرَّةٍ». وَقَدْ اسْتَوَزَرَهُ الْمُعْتَصِمُ بْنُ صَاحِدٍ. وَبِمَا أَنَّ الْمُعْتَصِمَ بْنَ صَاحِدٍ جَاءَ إِلَى حُكْمِ الْمَرْيَةِ سَنَةً

(١) أَخْلَلَ الرَّجُلَ فِي أَمْرٍ: قَصَرَ فِيهِ (مَادَهَا). أَجَلٌ: أَحَقَرَمَ (مَمْنُونًا).

(٢) نَاطَرَ فُلَانٌ فُلَانًا: نَاقَشَهُ. الْقَصُودُ هُنَا: طَلَبُ الْمِثَالَةِ بِهِ.

(٣) الْفَعْلُ «نَقَصَ» يَكُونُ لَازِمًا وَمَتَعَدًّا. مَا يَنْقُصُكَ؟ مَا يَنْقُصُ مِنْكَ؟ مَا تَخْسِرُ؟.

٤٤٤، فالمتنظر أن يكون ابن بُرد قد بقي في المَرِيَّة بعد ذلك مُدَّة. وكذلك صَنَّف ابنُ بردٍ كتاباً للمعتصم بن ضُاحٍ ورفعهُ إليه، ولا نَدْرِي أَفَعَلَ ذلك قبل أن يَلِيَ الوِزَارَةَ (وهذا أَقْرَبُ إلى المعقول لأنَّ مثل هذا العمل يكون لتَقَرُّبِ الإنسانِ من دَوِيِّ الجاهِ، وقلَّ ما يَنفَع بعد الوصول إلى الوِزَارَةِ) أم بعد ذلك.

ولَمَلَّ وفاةَ أَحْمَدَ بنِ بُرْدِ الْأَصْغَرِ كانت في حدود سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) أو بعد ذلك بقليل، في المَرِيَّة على الأرجح.

٢- كان أَحْمَدُ بنُ بُرْدِ الْأَصْغَرِ كاتباً بليغاً له رسائلُ سُلْطَانِيَّاتٍ ورسائلُ إِخْوَانيَّاتٍ، وهو كثيرُ التَّنَقُّقِ والتكَلُّفِ فيها. وكذلك كان شاعراً مليحَ الشعر له قصيدٌ ورجزٌ. وقيمةُ شعره إِنَّا هي في أَنَّهُ يَأْتِي بِالصِّنَاعَةِ البَارِعَةِ في التَّركيبِ البَدْوِيِّ المتين. وأكثر شعره الوصفُ. وقد اشتهرَ بِرِسالَةِ السيفِ والقلم وهي مُباراة في بيان فضلِ السيفِ وفضلِ القلم.

٣- مختارات من آثاره

- من رسالة السيف والقلم، وهي رسالة كتبها ابن برد الأصغر إلى الموفق أبي الجيش مجاهد العامري صاحب دانية والجزر الشرقية (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ):

... وَإِنَّ السِّيفَ وَالْقَلَمَ - لَمَّا كَانَا مِصْبَاحَيْنِ يَهْدِيَانِ إِلَى الْقَصْدِ مَنْ بَاتَ يَسْرِي^(١)
إِلَى الْمَجْدِ، وَسَلَّمَيْنِ يُلْجِقَانِ بِالْكَوَاكِبِ مَنْ ارْتَقَى لِسَامِيَّاتِ الْمَرَاتِبِ، وَطَرِيقَيْنِ
يَشْرَعَانِ نَهْجَ الشَّرَفِ لِمَنْ تَقَرَّى إِلَيْهِ، وَيَجْمَعَانِ شَمْلَ الْفَخْرِ لِمَنْ تَأَشَّبَ^(٢)
عَلَيْهِ... جَزَرًا أَذْيَالُ الْخَيْلِ تَفَاخُرًا وَأَشْمًا بَأَنْفِ الْكِبْرِيلِ تَنَافُرًا، وَادَّعَى كُلُّ
وَاحِدٍ مِنْهَا أَنَّ الْفَوْزَ لَقَدْحِهِ وَأَنَّ الْوَرِيَّ لَقَدْحِهِ^(٣)... وَحِينَ كَشَفَ الْجِدَالُ قِنَاعَهُ وَمَدَّ

(١) سرى يسري: مشى في الليل، (وهنا). سار بعزم وثبات.

(٢) تأشَّب: أظهر وبين. نهج: طريق واضح. تقرى البلاد وقرا البلاد: سار فيها ينظر إلى خصائصها وطرقها وأحوالها. تأشَّب: اجتمع.

(٣) أشمًا (رفعًا) بأَنْفِ الْكِبْرِيلِ: تنافرا (دعا كلُّ منهما صاحبه إلى القتال). الفوز لقده (بكسر القاف): القدر سهم عليه رقم يستخدمونه في الميسر (القمار) والقدر الفاتر (الرابع). والقدر (بفتح القاف): استخراج النار من حجر الصَّوَّان بضربه بقطعة من حديد. الوري: الإشمال والاشتغال.

الْخِصَامُ ذِرَاعَهُ... قَامَا يَتَبَارِيَانِ فِي الْمَقَالِ وَيَتَسَاجِلَانِ فِي الْخِصَالِ وَيَصِفُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا جَلَالَ نَفْسِهِ وَيَذْكُرُ فَضْلَ مَا اجْتَنِيَا مِنْ غَرْسِهِ^(١)....

فَقَالَ الْقَلَمُ: هَا! اللَّهُ أَكْبَرُ! أَتِيهَا السَّائِلُ بَدْءًا يَفْعَلُ لِسَانَكَ وَيُحَيِّرُ جَنَانَكَ^(٢) وَبَدِيَّةَ تَمَلُّ سَمْعَكَ وَتُضَيِّقُ ذَرْعَكَ^(٣): خَيْرُ الْأَقْوَالِ الْحَقُّ، وَأَحْمَدُ السَّجَايَا الصَّدَقُ. وَالْأَفْضَلُ مَنْ فَضَّلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَنْزِيلِهِ، مُقْسِمًا بِهِ لِرَسُولِهِ، فَقَالَ: «نَ، وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ»؛ وَقَالَ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾^(٤). فَجَلَّ مِنْ مُقْسِمٍ وَعَزَّ مِنْ قَسَمٍ. فَمَا تَرَانِي وَقَدْ حَلَلْتُ بَيْنَ جَفْنِ الْإِيمَانِ وَنَاطِرِهِ، وَجَلَّتْ بَيْنَ قَلْبِ الْإِنْسَانِ وَخَاطِرِهِ! لَقَدْ أَخَذْتُ الْفَضْلَ بِرُمْتِهِ وَقُدْتُ الْفَخْرَ بِأَرْمَتِهِ^(٥).

فَقَالَ السِّيفُ: عَدْنَا مِنْ ذِكْرِ الشَّرِيعَةِ إِلَى ذِكْرِ الطَّبِيعَةِ، وَمَنْ وَصَفَ الْمَلَّةَ إِلَى وَصْفِ الْخِصْلَةِ^(٦). لَا أَسِيرُ وَلَكِنْ أُلْعَبُ: قِيمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُخْسِنُ! إِنْ عَاتَيْتَ حِمْلَ نَجَادِي لَسَعِيدٍ، وَإِنْ عَصُدْتَ بَاتَ وَسَادِي لَسَدِيدٍ^(٧). وَإِنْ فَتَى اتَّخَذَنِي دَلِيلَهُ لَمَهْدِيٍّ، وَإِنْ أَمَرًا صَيَّرَنِي رَسُولَهُ لِمُعْدِيٍّ. يُشَقُّ مِنِّي الدُّجَى بِمَصْبَاحٍ، وَيُقَابَلُ كُلُّ بَابٍ بِمِفْتَاحٍ.

(١) تساجل الرجلان: تباريا وتفاخرا. ما اجتني (ما قطف) من غرسه (أشجاره): ما استفاده من جهوده.

(٢) يعقل (يربط) لسانك وينممه من الكلام (الله أكبر هو البدء الذي يفعل ذلك!). الجنان: القلب.

(٣) البديئة: الكلام الفوري بلا استعداد. يلا سمك (يدهشك) ويضيّق ذرعك (مقدار ما بين كتفيك: صدرك). يجملك تجمز عن الجواب.

(٤) ن... (مطلع السورة ٦٨، سورة القلم). والحرف «ن» هنا يمكن أن يكون معناه «حرف، كلمة» ويمكن أن يكون معناه «عبارة» (وكلا المعنيين متعلقان بالقراءة والكتابة وبفضل القلم). اقرأ... (في مطلع السورة ٩٦، سورة العلق، أول سور القرآن نزولاً على رسول الله).

(٥) بين جفن الإيمان ونَاطِرِهِ (في أسنى الأمكنة منه: في القرآن). بين قلب الإنسان وخَاطِرِهِ. في عقله (وهو خير الأمكنة فيه). برُمْتِهِ (الرزمة قطعة الجبل يربط بها البعير): كله. وقُدْتُ الفخر بأَرْمَتِهِ (جمع زمام: لجام): استأثرت به وحدي.

(٦) عَدْنَا: اجتز بنا، لنترك. الشريعة: الدين (الدفاع عن القلم بقول الدين فيه) إلى الطبيعة: إلى عمل القلم (أو السيف) وحده. ومن الملة (الدين) إلى الخصلة (الصفة الذاتية).

(٧) العاتق: ما بين العنق وطرف الكتف. النجاد: حالة السيف. العضد: ما بين المرفق إلى الكتف. بات وسادي (أصبح مقبلاً لي، حلفي). يقول السيف: من ملكتي دافعت عنه وحييته. سديد: صائب الرأي.

أَفْصَحُ وَالْبَطْلُ قَدْ خَرَسَ، وَأَبْتَسِمُ وَالْأَجْلُ قَدْ عَبَسَ (١) ...

- قال ابن برد الأصغر في الشكوى من ظلم المحبوب:

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لِمَ تَطْبَعْتَ بِظُلْمِي؟ (٢)
أَبْدَأُ تَأْتِي بِغُتْبٍ دُونَ أَنْ أَتِي بِذَنْبٍ
يَبِينُنَا فِي الْحُبِّ قُرْبَى: سَقَمُ عَيْنِكَ وَحِمْيِي!
- وقال في الشكوى من البُعَاد:

يَا مَنْ فِيهِ يَفْتَقُ الْعَنَبُ وَمَنْ لَمَّا سَكَرَ مُسَكَّرُ (٣)
صَحَّ الْمَسْوَى مِنَّا، وَلَكِنِّي أَعْجَبُ مِنْ بُعْدِ لَنَا يُقَدَّرُ (٤)
كَأَنَّا فِي فَلَكٍ دَائِرٍ فَأَنْتَ تَخْفَى وَأَنَا أَظْهَرُ (٥)!

- وقال في النسيب والخمر:

سَقَانِي - وَجَفَنُ اللَّيْلِ يَفِيلُ كَحَلِّهِ بِمِلْهِ الصَّبَاحِ وَالنَّسِيمُ رَقِيقٌ - (٦)
مُدَامًا كَذُوبِ التَّيْرِ: أَمَا نِجَارُهَا فَضَخَّمْ وَأَمَّا جِرْمُهَا فَدَقِّقْ (٧).
- وقال في وصف الطبيعة:

سَقَى جَوْفَ الرُّصَافَةِ مُسْتَهْلًا تَوَلَّفَ شَمْلَهُ أَهْدِي الرِّيحَ (٨).

(١) السيف (القوة) يفتق الدجى (سواد الليل)... ويقابل كلَّ باب بفتاح: يفصل في الشاكل ويسهل الأمور. الأجل: مدَّة الحياة الدنيا. في الحرب والأخطار حينما يهكت البطل من الدهول والخوف أفصح أنا (أي أنكلم): أنقذ البطل من الخطر. وإذا كاد المحارب أن يقتل (وكنتم أنا في يده) أبعدت عنه القتل.

(٢) أذهبك بأبي... لماذا أصبح ظلمي طبعاً فيك؟

(٣) يعقب العنبر: تفوح رائحته الطيبة (من فمه). اللي: سكرة في الشتاء. ومن لاء: تقبيل شفتيه.

(٤) - كلانا يحب صاحبه، ومع ذلك فإنَّ الدهر قدَّر لنا (حكم علينا) بالبعد (الفراق).

(٥) - كأننا موجودان على نقطتين متقابلتين في الفلك (مدار النجم أو النجوم) فلا يمكن أن نرى (من مكان واحد في الأرض) في وقت واحد.

(٦) جفن الليل يفسل كعله بام الصباح: الليل يفتح عينه (ليأتي النهار) فكأنه يأتي بام الصباح (النور) ليفسل به الكحل (سواد الليل)...

(٧) مدام: خمر. التير: الذهب. النجار: الأصل. الجرم: الجسم، المادَّة.

(٨) بطن الرصافة (وسط مدينة الرصافة). مستهل: مطر. تَوَلَّفَ شمله...: تزيده الرياح تجمعا فيكثر سقوط الماء منه (من السحاب المتجمِّع).

مَعَلَّ مَا مَثَيْتُ إِلَيْهِ إِلَّا
كَأَنَّ تَرْتَمَ الْأَطْيَارَ فِيهِ
كَأَنَّ تَثْنَى الْأَشْجَارَ فِيهِ
كَأَنَّ الْجَذُولَ النَّسَابَ نَضَلَّ
كَأَنَّ رِيَاضَهُ أَبْرَادُ وَشِي
مَشَى فِي الْبَتَّاجِي وَارْتَبَاحِي^(١)
أَغَانِي فَوْقَ أَوْتَارِ فِصَاحٍ^(٢)
عَذَارَى قَدْ شَرَبْنَ سُلَافَ رَاحٍ^(٣)
صَقِيلُ الْمَتْنِ هَزَّ إِلَى كِفَاحٍ^(٤)
تَعَطَّفُ فَوْقَ أَغْطَافٍ مِلَاحٍ^(٥)

٤ - ** الذخيرة ١: ٤٨٦ - ٥٣٥ جذوة المقتبس ١٠٧ - ١٠٨ (الدار المصرية)
١١٥ - ١١٦ (رقم ١٩٢)؛ بغية الملتبس ١٥٣ (رقم ٣٥٤)؛ معجم الأدباء ٥:
٤١ - ٤٢؛ الوافي بالوفيات ٧: ٣٥٠ - ٣٥١؛ المطرب ١٢٧ - ١٣٢؛ المغرب ١:
٨٦ - ٩١؛ نفح الطيب ٣: ٥٤٥ - ٥٤٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٤٠
الأعلام للزركلي ١: ٢٠٦ - ٢٠٧ (٢١٣).

ابن حصن الإشبيلي

١ - هو أبو الحسين علي بن غالب بن حصن الإشبيلي نشأ في إشبيلية ولم يكن فيها
من ذوي اليسار. ثم إنه اتصل بإسماعيل بن المعتضد بن عبّاد؛ ومن طريق إسماعيل
اتصل بالمعتضد. ونال ابن حصن حظوة عند المعتضد فولاه المعتضد الوزارة
والكتابة فحسنت حاله.

وفي سنة ٤٤٠ هـ أو بعدها بقليل جاء ابن زيدون إلى بلاط بني عبّاد في إشبيلية
فأصبح وزيراً للمعتضد. حينئذ نشأت بين ابن حصن وابن زيدون نفرة فحسد. جعل
ابن حصن يعرضُ بابن زيدون ثم هجاه. ولكن ابن زيدون سكت في الظاهر عن ابن

(١) الابتهاج والارتياح: الفرح والسرور.

(٢) أغان...: أغان عذبة يرافقها عزف يارح على الآلات الموسيقية.

(٣) السلاف: الخالص من الحمر (أجود الحمر). الراح: الحمر.

(٤) نضل: حديدية عريضة قاطعة (سيف). هزَّ إلى الكفاح (القتال). يشبه النهر الذي يجري متمرجاً
بنساب (كالجاية) بالسيف الذي يهزه حاملة في الهواء (فيثني لدقته).

(٥) البرد (بالضم): ثوب من الحرير. الوشي: التطريز. تعطف: استدار، استقر. الأغطاف جمع عطف
(بكسر العين): الجانب الأعلى من الجسد. ملاح جمع مليح ومليحة (جميل وجيلة).

حصن. ثم كانت مِخْنَةُ ابن حصن: كان المعتضد قد جعل ابنه إسماعيل - ولم يكن إسماعيل بِكَرَّة - ولياً للعهد. غيَّرَ أَنَّ إسماعيلَ حاولَ الغدرَ بِأبيه لِتَوَلَّى الْمُلْكَ قَبْلَ أَوَانِهِ وَشَايَعَهُ عَلَى ذَلِكَ نَفَرٌ فِيهِمْ ابْنُ حِصْنٍ.

قال ابنُ عِذَارِي (البيان المغرب ٣: ٢٤٤): « فِي سَنَةِ ٤٤٩ (١٠٥٧ م) قَتَلَ عِبَادُ الْمُعْتَضِدِ بِلَهِ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ - وَكَانَ خَلِيفَتَهُ الْمُرَشَّحَ لِمَكَانِهِ - بَعْدَ أَنْ كَانَ (إِسْمَاعِيلُ) هَمَّ بِغَدْرِهِ. فَأَخَذَهُ أَبُوهُ وَثَقَفَهُ (حَبَسَهُ مُقَيَّدًا) فِي قَصْرِهِ. فَذَهَبَ (إِسْمَاعِيلُ) إِلَى التَّنْدِيرِ عَلَيْهِ ثَانِيَةً مِنْ مَكَانِ اعْتِقَالِهِ. فَقَالَ عِبَادُ: « لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ » (وهذا حديث شريف) فَقَتَلَهُ بِيَدِهِ وَقَتَلَ الْوَزِيرَ الَّذِي وَاطَأَهُ عَلَى ذَلِكَ (وَالرَّاجِحُ أَنَّ هَذَا الْوَزِيرَ كَانَ ابْنَ حِصْنٍ) - راجع، فوق، ص ٥٠٧.

٢ - يبدو أن ابنَ حصنِ الإشبيليَّ كان شاعراً مُكثِراً أَجَادَ الْوَصْفَ وَالْفَخْرَ وَالْمَدِيحَ وَالْفَزَلَ وَالْحَمْرَ وَالْمُجُونَ. وَهُوَ مَتِينُ الْأُسْلُوبِ جَزُلُ الْأَلْفَاظِ يَطْبِيعُ عَلَى غِرَارِ الْمَشَارِقَةِ. وَكَانَ طَوِيلَ النَّفْسِ إِلَّا أَنَّ الْمَعَانِيَ الْمُبْتَكِرَةَ فِي شِعْرِهِ قَلِيلَةٌ. وَجَالُ شِعْرِهِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ حَيْثُ الصِّيَاغَةُ الْمُتِينَةُ الْمُعْبَرَةُ عَمَّا يَرِيدُ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ ابْنُ حِصْنِ الْإِسْبِيلِيَّ يَصِفُ قَرْخَ حَمَامٍ:

وَمَا هَاجَنِي إِلَّا ابْنُ وَرْقَاءَ هَاتِفٌ	عَلَى قَتَنِ بَيْنَ الْجَزِيرَةِ وَالنَهْرِ ^(١)
مُفْسَقٌ طَوَّقِي لَازِوَرْدِي كَلْكَلِي	مُوشَى الطُّلَا أَحْوَى الْقَوَادِمِ وَالظَّهْرِ ^(٢)
أَدَارَ عَلَى الْيَاقُوتِ أَجْفَانٍ لَوْلُو	وَصَاغَ مِنَ الْعُقَيَانِ طَوَّقًا عَلَى الثَّنَرِ ^(٣) .

(١) ورقاء: حمامة. قتن: غصن.

(٢) مفسق: مائل إلى الخضرة. الطوق: العقد (ريش ملون حول عنق الحمامة). لازوردي: أزرق. الكلكل: أعلى الصدر. موشى: مطرز (يختلف الألوان). الطلا جمع طلاء (بالضم): العنق أو جانب العنق. أحوى: أسمر. القوادم جمع قادمة: ريشة في طرف الجناح.

(٣) عيناها حمراوان وأجفانه بيض. العقيان: الذهب الخالص (الأصفر). يكون على جانبي منقار الحمامة لحيات مستطيلة حمراء. ويبدو أن الشاعر قد خلط بين العقيان (الذهب الأصفر) والعقيق (الحجر الكريم الأحمر).

حديدُ شَبَا المِنْقَارِ دَاجٍ كَأَنَّهُ شَبَا قَلَمٍ مِنْ فِضَّةٍ مُدٍّ فِي جِبْرِ^(١).
تَوَسَّدَ مِنْ فَرْعِ الْأَرَاكِ أُرَيْكَةً وَمَالَ عَلَى طَيِّ الْجَنَاحِ مِنَ النَّخْرِ^(٢).
وَلَمَّا رَأَى دَمْعِي مُرَاقًا أَرَاهُ بُكَائِي فَاسْتَوَى عَلَى الْفَصْنِ النَّضْرِ^(٣).
وَحِثَّ جَنَاحَيْهِ وَصَفَّقَ طَائِرًا وَطَارَ بِقَلْبِي حَيْثُ طَارَ وَلَا أَدْرِي^(٤)!

وقال يفتخر بشعره ويُعرضُ بآبِنِ زِيدُونِ ويقول في ذلك إِنَّ قِيَمَةَ شعرِهِ إِنَّمَا
هِيَ فِي مَعَانِيهِ وَإِنَّهُ لَا يُحَسِّنُ مَعَانِيَهُ بِتَفْخِيمِ إِنْشَادِ الْأَبْيَاتِ وَتَرْدِيدِهَا:

تَذَكَّرْتُ قَوْلِي لِلْقَوَافِي^(٥) فَلَمْ تَزَلْ تُسَاعِدْنِي عَفْوَاً وَلَمْ تُنْعَمْدِرِ.
فَدُونُكَ عَذْرَاءُ الْمَعَانِي ابْتَدَعْتُهَا عَوَانَ الْقَوَافِي خَيْرَةَ التَّنْخِيرِ^(٦).
إِذَا مَا الرِّوَاةُ اسْتَشْدَتْهَا تَبَرَّقَعَتْ لَهَا أَوْجُهُ مِنْ جِشْمَةٍ وَتَغَيَّرَ^(٧).
وَتَنَكَّلَ عَنْهَا شَاعِرُ الْمِصْرِ كُلِّهِ أَلَّا فَاضْحَكُنْ مِنْ شَاعِرِ الْمِصْرِ وَافْخِرِ^(٨).
وَلَسْتُ بِكَاسِيهَا مَدَى الدَّهْرِ حُلَّةً بِنَفْعَةٍ إِنْشَادٍ وَلَا مُبَكَّرِ.

- وَكَانَ مَرَّةً فِي قُرْطَبَةٍ فَذَكَرَ إِشْبِيلِيَّةَ (وَكَانَ يُقَالُ لَهَا حِمَصٌ تُشَبِّهُهَا لَهَا بِحِمَصِ

الشام):

- (١) حديد: حادّ، ماض، قاطع. الشبا جمع شباة: حدّ السيف. داج: أسود.
- (٢) تَوَسَّدَ: نام (هنا: جَمَ = وَضَعَ بَطْنَهُ عَلَى الْفَصْنِ). الْأَرَاكِ: شجر تصنع منه المساويك له غر أحمر يؤكل. أُرَيْكَةً: صَفَّةٌ، مَقْعَدٌ وَثِيرٌ (مَرِيحٌ). وَمَالَ يَمْنَحُ إِلَى جَانِبِهِ (نَامَ).
- (٣) مَرَقِي: مَسْكُوبٌ، سَائِلٌ. أَرَاهُ = رَأَاهُ: أَقْلَفَهُ وَأَزْعَجَهُ. اسْتَوَى: امْتَلَكَ، اسْتَوَى (بَهْضَ مِنْ مَجْمَعِهِ) النَّضْرُ وَالنَّاصِرُ: الْأَخْضَرُ الطَّرِيقُ.
- (٤) حِثَّ جَنَاحَيْهِ: وَالَى تَحْرِيكُهَا.
- (٥) قَوْلُ الْقَوَافِي: نَظْمُ الشُّعْرِ.
- (٦) عَذْرَاءُ الْمَعَانِي: ذَاتُ مَعَانٍ جَدِيدَةٍ مَبْتَكَّرَةٍ. عَوَانَ الْقَوَافِي أَوْ عَوَانِيهَا: مَكْرَرَةُ الْقَوَافِي (لَأَنَّ الْقَوَافِي مَعْدُودَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ الشَّاعِرُ أَنْ يَتَكَبَّرَ شَيْئًا مِنْهَا غَيْرَ الْمَوْجُودِ فِي أَحْرَفِ الْمَجَازِ). وَلَكِنَّهَا مَتَخَيَّرَةٌ (مَنْتَقَاةٌ: مَخْتَارَةٌ).
- (٧) رِوَاةُ الشُّعْرِ وَالْعِلْمَاءُ بِالشُّعْرِ يَطْلُبُونَ أَنْ يَسْمَعُوا شِعْرِي. وَلَكِنْ نَفَرًا مِنَ الشُّعْرَاءِ تَتَرَقَّعُ (تَتَنَقَّلُ) وَجُوهَهُمْ بِالْحِشْمَةِ (بِالْهَيَاءِ)، لِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَقُولُوا (مِثْلَهُ) أَوْ بِالتَّغْيِيرِ (بِالْأَصْفَرَارِ، لِأَنَّ شِعْرِي يَعْرِضُ بِهِمْ أَوْ يَعْجِزُهُمْ عَنْ قَوْلِ مِثْلِهِ).
- (٨) نَكَلَ عَنِ الشَّيْءِ: جَنَ وَتَرَاجَعَ خَوْفًا أَوْ عَجْزًا. الْمِصْرُ: الْبِلَادُ. شَاعِرُ الْمِصْرِ: الشَّاعِرُ الْمَعْرُوفُ لَهُ رَسْمِيًّا بِأَنَّهُ شَاعِرُ الدَّوْلَةِ (إِبْنُ زَيْدُونِ!) سَأَضْحِكُ أَنَا عَلَيْهِ وَأَهْزَأُ بِهِ ثُمَّ أَفْتَخِرُ بِشِعْرِي.

ذَكَرْتُكَ، يَا جَمْعُ، ذَكَرَى هَوَى
كَأَنَّكَ، وَالشَّمْسُ عِنْدَ الْغُرُوبِ،
غَدَا النُّهْرُ عِقْدُكَ، وَالطُّودُ تَا
أَمَاتَ الْحَسُودَ وَتَغْنَيْتَهُ^(١)
عُرُوسٌ مِنَ الْحُسْنِ مَنْحُوتَةٌ.
جَكَ وَالشَّمْسُ أَعْلَاهُ بِمَقُوتَةٍ.
- وَقَالَ فِي الْخَمْرِ:

قُمْ، يَا بُلَامُ، فَسَقْنِيهَا وَاطْرَبِ
مِنْ قَهْوَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَسْرَةٍ
خُضِيَّتَ بَنَانُ مُدِيرِهَا بِشُعَاعِهَا
وَاشْرَبْ - عَتَبْتُ عَلَيْكَ - إِنْ لَمْ تَشْرَبْ
فِي الْكَأْسِ تَأْتَلِقُ اثْتَلَقَ الْكُوكَبُ^(٢)
فَعَلَّ الْعَرَارَةَ فِي شِفَاهِ الرَّبْرِ!^(٣)

٤ - ** جذوة المقتبس ٣٩٥ (الدار المصرية) ٣٩٥ (رقم ٩٣٣)؛ بغية الملتبس ٥٠٦، ٣١٤ (رقم ١٢٣٢ و ١٥٢٣)؛ الذخيرة ٢: ١٥٨ - ١١٨٦، المغرب ١: ٢٤٥ - ٢٤٧؛ نفح
الطيب ٣: ٢٦٦، ٤٢٩؛ الشعر في ظلّ بني عبّاد، تأليف محمد مجيد السعيد،
النجم الأشرف (مطبعة النعمان) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م (ص ٢٩٥ - ٣٠١).

اسماعيل بن أحمد التجيبي البرقي

١ - هو * أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي المعروف بالبرقي،^(١)
من أهل القيروان، أخذ عن أبي إسحاق الحضرمي (ت ٤٥٣ هـ) تأليفه.

دخل إسماعيل بن أحمد الأندلس بعد سنة ٤٠٠ هـ (١٠١٠ م) ومكث فيها مدة،
فقد كان في مالقة سنة ٤٠٦ هـ. ثم رحل إلى ميسر نحو ٤١٤ هـ ثم زار صقلية وقضى

(١) في القاموس: عَنَّهُ (تعني) شُدَّ عَلَيْهِ وألزمه ما يعجز عن ادائه! والكلمة قلقة هنا، ولعلها قراءة خاطئة.

(٢) الأَسْرَةُ جمع سرير: صفة (بضم الصاد) أو فراش مرتفع أو مقعد مرتفع (ولا معنى لها هنا). ولقد قال عنتره في مملكته: «بزجاجة صفراء ذات أسرة» (وحاول الشراح أن يجعلوا الأسرة خطأً في الكأس؛ ولكن عنتره أيضاً ليس حجة في اللغة). اثنلق: لم وأضاء.

(٣) العرارة: بهار (رهرة صفراء) طيبة الرائحة. الربرب: القطيع من الظباء أو البقر الوحشي أو الإنسي لا واحد له. الملموح أن الطي إذا أكل من العرار تلونت شفتاه كما تلون كف الساق من لون الخمر من خلال كأسها.

(٤) البرقي نسبة إلى برقة (مقاطعة بين الاسكندرية وطرابلس الغرب: الجانب الشرقي من ليبيا اليوم).

(٥) جميع الأرقام المسبوقة بالحرف: ص (في هذه الترجمة) تشير إلى صفحات كتاب «المختار من شعر بشار».

فيها بضعة أعوام على طَرَفَيْ سَنَةِ ٤٣٠ هـ. ثم نَجَدَهُ في الإسْكَندرية سَنَةَ ٤٣٨ هـ. ويبدو أَنَّهُ في أَثناء هذا التَّجَوُّل اتَّصل بنفَرٍ منهم أَبُو القاسم سعيدُ بن أبي مَخْلَدٍ الأَرْدِي المَعْنَانِي وأبو حَسَنِ عَلِيُّ بن حُبْش^(١) الشَّيْبَانِي الأديبُ وأبو يعقوبَ النَّجَرَمِي (ت ٤٢٣ هـ) - أَخَذَ عَنْهُ كِتَابُ «أَدَبِ الْكَاتِبِ» لابن قُتَيْبَةَ (ت ٢٧٦ هـ) - وأبو القاسم عَمَّارُ (بن !) مُحَمَّدُ الإسْكَندَرَانِي وأبو القاسم عبد الرحمن بن أبي البَشَرِ (وكان مُؤَدِّباً لَهُ) وَأَخَذَ عَنْ هَؤُلَاءِ وَعَنْ سِوَاهُمْ.

وكان إسماعيلُ بنُ أَحَدَ موجوداً في جُمَادَى الثَّانِيَةِ مِنْ سَنَةِ ٤٤١ (ص: ل)^(٢).
٢- كان إسماعيلُ بنُ أَحَدَ التَّجِييُّ البرقيُّ أديباً بارعاً في معرفة الأدب والشعر خاصَّةً بِالإضافة إلى معرفته باللغة والنحو والبلاغة. وله في النثر أسلوبٌ سهلٌ رصينٌ واضحٌ متينٌ. وكان له نظمٌ عاديٌّ. ولم يتكسَّب بالأدب (ص ١٧٨). وكان مُصَنِّفاً لَهُ: شَرَحَ عَلَى «الْمَخْتَارِ مِنْ شَعْرِ بَشَّار» (صنعه بعيد ٤٢٧ هـ) - الرائق بأزهار الحقائق.

٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ آثَارِهِ

- كَيْفَ شُفِيَ إسماعيلُ بنُ أَحَدَ التَّجِييُّ البرقيُّ مِنْ مَرَضِهِ، قَالَ (ص

١٤ - ١٥):

كُنْتُ بِمَدِينَةِ مَالِقَةَ مِنْ بِلَادِ الأَنْدَلُسِ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فَاعْتَزَلْتُ بِهَا مُدَّةً انْقَطَعْتُ فِيهَا عَنِ التَّصَرُّفِ وَلَزِمْتُ الْمَنَزَلَ. وَكَانَ يُمَرِّضُنِي حِينَئِذٍ رَفِيقَانِ كَانَا مَعِي يَلْمَانِ مِنْ شُعْمِي^(٣) وَيَرْفِقَانِ بِي. وَكُنْتُ إِذَا جَنَيْتُ اللَّيْلُ اسْتَدْتُ سَهْرِي، وَخَفَقْتُ حَوْلِي^(٤) أَوْتَارَ الْعِمْدَانِ وَالطَّنَائِيرِ وَالْمَعَارِفِ^(٥) مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَاخْتَلَطَتِ الْأَصْوَاتُ بِالْفِتْنَاءِ فَكَانَ ذَلِكَ شَدِيداً عَلَيَّ وَزَائِداً فِي قَلْبِي وَتَأَلَّمِي. فَكَانَتْ نَفْسِي تَعَافُ تِلْكَ

(١) «حبش» بكون الباء أو فتحها.

(٢) قَدَّرَ الزركلي (الأعلام للزركلي ١: ٣٠٤) وفاته سنة ٤٤٥ هـ (ولمَّا بعد ذلك).

(٣) الشمت: التفرق (ثم الشمت: جمع الأمور ورثتها).

(٤) خفقت (أخرجت أصواتاً) حولي (في جوار سكني).

(٥) العود والطنبور (بالضم) والمعزف (بالكسر): آلات موسيقية وترية.

الضروب طبعاً وتكره تلك الأصوات جيلة^(١)، وأود^(٢) (أن) لو أجد مسكناً لا أسمع فيه شيئاً من ذينك^(٣)، ويتعذر علي وجوده لعلية ذلك الشأن على أهل تلك الناحية وكثرته عندهم^(٤). وإني لساهر ليلة - بعد إغفاءة في أول ليلتي، وقد سكنت تلك الألفاظ المكروهة وهدأت تلك الضروب المضطربة - وإذا ضرب خفي معتدلاً حسن لا أسمع غيره، فكان نفسي أنست به وسكنت إليه ولم تنفر منه بفارها من غيره. ولم أسمع معه صوتاً^(٥). وجعل الضرب يرتفع شيئاً فشيئاً ونفسي تتبعه وسمعي يصني إليه إلى أن بلغ في الارتفاع إلى ما لا غاية وراءه^(٦). وارثت له ونسيت الألم. وتداخلني^(٧) سرور وطرب. وخيل إلي أن أرض المنزل ارتفعت بي، وأن حيطانه تمور حوي^(٨). وأنا في كل ذلك لا أسمع صوتاً. فقلت في نفسي: أما هذا الضرب فلا زيادة عليه. فليت شعري، كيف صوت الضارب وأين يقع من ضربه^(٩)؟ ولم ألبث أن اندفعت جارية تُعني في هذا الشعر بصوت أُندي من النوار غب القطار^(١٠) وأحلى من البارد العذب على قلب الهائم الصب^(١١). فلم أملك نفسي أن قمت - ورَفِيقاي ناثمان - ففتحت الباب وتبعت الصوت، وكان قريباً مني، فاطلعت من وسط منزلي على دارٍ فسيحة، وفي وسط الدار بُستانٌ كبير، وفي وسط البُستان شرب^(١٢) نحو من عشرين رجلاً قد اصطَفُوا - وبين أيديهم شرابٌ وفاكهة وجوارٍ قيامٌ بعيدانٍ وطناير وآلاتٌ لَهُمْ ومزامير^(١٣) لا يُحرَكُنها - وجاريةٌ جالسةٌ ناحيةٌ وعودها في حجرها، وكلُّ

(١) الضروب جمع ضرب: العزف على آلة موسيقية. الجيلة: الطبع.

(٢) من ذينك الشئين (صوت العزف وصوت الغناء).

(٣) لكثرة اهتمامهم بالطرب.

(٤) الصوت: الأغنية، التشديد (بجلاف العزف).

(٥) إلى ما لا غاية وراءه (بعده، فوقه): صوت مرتفع جداً.

(٦) تداخلني: لزمي، أقام في (استقر في نفسي...).

(٧) مار يمور: اضطرب وماج.

(٨) الضارب: العازف على الآلة الموسيقية. أين يقع من ضربه؟ (أصوته جيل مثل عرفة؟).

(٩) النوار: الزهر الأبيض. القطار: المطر. أُندي من النوار: أكثر بضارة وجالاً.

(١٠) الهائم الصب: الحب الذي هام (تجبر واضطرب) من شدة الحب.

(١١) الشرب (بفتح فسكون): جماعة يشربون (الحمر) معاً.

(١٢) المزامير: آلة موسيقية من آلات النفخ (من قصب أو من أنبوب مشابه للقصبة).

يَرْمُقُهَا بِبَصَرِهِ وَيُوعِيهَا سَمْعُهُ^(١). وَأَنَا قَاتِمٌ بِحَيْثُ أَرَاهُم وَلَا يَرَوْنِي وَكُلَّمَا غَنَّتْ بَيْتًا حَفِظْتُهُ إِلَى أَنْ غَنَّتْ عِدَّةَ آيَاتٍ وَقَطَعْتُ^(٢). فَعُدْتُ إِلَى مَوْضِعِي - يَشْهَدُ اللَّهُ - وَكَأَنَّا أَنْشِطْتُ مِنْ عِقَالٍ^(٣). وَكَأَن لَمْ يَكُنْ بِي أَلَمٌ.

- وله من أبيات (ص ١٢٥ = ٢٩٥)

خِلْ بَلَدُوتُ خِلَالَهُ فَوَجَدْتُهَا	محمودة في الجهر والإسرار ^(١) .
عَلَقْتُ يَدِي مِنْهُ بِأَرْوَعٍ مَاجِدٍ	جَمَ الفضائل طيب الإخبار ^(٢) .
كَرُمْتُ أُرُوسَتَهُ، وَأَشْرَقَ وَجْهُهُ،	وَصَفْتُ خِلَاتَهُ مِنَ الْأَكْدَارِ ^(٣) .
وَشَأَى الْأَفْضَلَ وَاسْتَبَدَّ بِرُتْبَةٍ	أَعَيْتُ عَلَى الْأَدْبَاءِ وَالنُّظَارِ ^(٤) .
كَمْ سَابِقِي جَارَاهُ فِي مِضَارِهِ	فَكَبَا، وَجَازَ نَهَايَةَ الْمِضْمَارِ ^(٥) .

٤ - المختار من شعر بشار (اختيار الخالدين)^(١)، وشرحه^(٢) (اعتنى بنسخه الخ السيد محمد بدر الدين العلوي)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - مطبعة الاعتماد) ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م^(٣).

★ التكملة ١: ٢٢٨ بغية الوعاة ١٩٣، الأعلام للزركلي ١: ٣٠٤ (٣٠٩)، مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٣٧ - ١٤٠.

- (١) أوعى = وعى: حفظ (جعلها الكاتب متعديّة إلى مفعولين، وليس ذلك عملها. يقصد: أوعاها في سمه).
- (٢) قطعت الغناء، انتهت من غنائها.
- (٣) أنشطت من عقال: فكّ عني رباط.
- (٤) خلّ (صديق) بلوت (اختبرت) خلاله (صفاته).
- (٥) علقت يدي (وجدت، ظفرت). الأروع: الذكي. الشريف الخير. جم: كثير. الإخبار (يقصد: الخبر = حقيقة الإنسان، خلاف ظاهره).
- (٦) الأرومة: الأصل.
- (٧) شأى: سبق. أعيت على: استحالت، امتنعت. النظار: (المتكلمون بالمنطق).
- (٨) جرى معه (إلى الجهد) كثيرون فكبوا (يفتح الباب: سقطوا) في أثناء الطريق، وجاز (قطع المضار كله) هو إلى الهدف.
- (٩) الخالديان أخوان (أبو بكر محمد وأبو سعيد عثمان) من الأدباء الذين عاشوا في بلاط سيف الدولة في حلب، وكانا يؤلفان الكتب معاً (القرن الهجري الرابع).
- (١٠) الشرح لأسماعيل بن أحمد صاحب الترجمة.
- (١١) ليس على الكتاب تاريخ للطبع (التاريخ المثبت هو التاريخ الملحق بمقدمة الشارح).

ابن الخياط الربيعي الصقلّي

١ - لم يصل إلينا من حياة ابن الخياط هذا حوادث واضحة. إن النزر اليسير الذي نعرفه مما يتصل بحياته نقوله تخميناً من قرائن نجدّها في حياة المعاصرين له.

هو ابن الخياط (ولم يرد اسمه في فهرس « الذخيرة » ولا في فهرس « نفح الطيب » ولا في فهرس « المكتبة الصقلية العربية » التي جمعتها المستشرق الأيطالي ميخائيل أماري. وكذلك لم يرد اسمه في « خريدة القصر » - لا في قسم الأندلس ولا في قسم المغرب، ولا في فهرس تاريخ الأدب العربي للمستشرق الألماني كارل بروكلمان). وقد اكتفيت أنا في هذه الترجمة بكتاب الدكتور إحسان عباس « العرب في صقلية ».

وهو ابن الخياط الصقلّي (من جزيرة صقلية) الربيعي (بفتح ففتح: نسبة إلى قبيلة ربيعة؛ أو بفتح فسكون: نسبة إلى الربعة: وهو اسم لحيتين من العرب؛ أو نسبة إلى الربع بضم ففتح أي الفصل من الإبل يُنتج - بالبناء للمجهول - أي يُولد في الربيع).

وقد حاول الدكتور إحسان عباس أن يجعل لوفاة ابن الخياط زمناً بين حدثين: قال عن ابن الخياط (ص ٢١٠): « وهذا لا يُبعد صلته بالأمراء الكلبيين (حكام صقلية العرب) عن سنة ٣٩٠ هـ (١٠٠٠ م) بعد أن قال (ص ٢٠٩) « فإنه (أي ابن الخياط) لم يشهد صقلية في عصرها الجديد - عصر الحكم النورماني - ». والنورمان استبدوا بحكم صقلية سنة ٤٧٣ (١٠٨٠ م). ومعنى هذا أن ابن الخياط انتقل من صقلية (إلى القيروان) قبل أن ينزل فيها النورمان، وليس معنى هذا (من الجملة الأخيرة) أن ابن الخياط توفي سنة ٤٧٣. فإذا كان اتصال ابن الخياط بالأمراء الكلبيين سنة ٣٩٠ (وعمره تقديراً بين خمس وعشرين وخمس وثلاثين) ثم بقي حياً إلى ما بعد سنة ٤٧٣، فمعنى هذا أنه قد عاش مائة وعشر سنوات على الأقل.

وبما أن التاريخ الأول (في افتراض الدكتور إحسان عباس أقرب إلى الواقع، لأن الشاعر اتصل بحسبه، بالكلبيين (والدليل على ذلك قصائد مدحهم بها) فيحسن

أن يميل المؤرخ إلى تقديم وفاة ابن الحيات إلى زمن سابق على الفتح النورماني لصقلية مدة طويلة، أي إلى سنة ٤٤٠ أو سنة ٤٥٠ (١٠٤٨-١٠٥٨ م).

٢- ابن الحيات الصقليّ الرعي شاعرٌ مُجيدٌ، وشعره سهلٌ واضحٌ الأغراض قليلُ التكلّف والصّناعة، ثم هو يهتمّ بالمعاني أكثرَ من اهتمامه بالألفاظ. وأغراضُ شعره المديحُ والحماسة (وصفُ الحرب) ووصفُ الطبيعة - وهنا نجدُه شاعراً يمثُلُ صقليةً في طبيعتها، كما كان قد صوّر أحوالها السياسيّة من ضعفها ومن الفتن فيها في أماديجه وفي حماساته - ثم الأدبُ أو الحكمة مع أشياء من مدارك الفلسفة وتعايرها. وله وصفٌ للخمر وعَزَلٌ مع التحلّل من عددٍ من قيود المجتمع السليم.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن الحيات الرعيّ مدح انتصار الدولة:

ويا ربّ يومٍ له مُسمَرٌ إذا خَمَدَتْ نَارُهُ أَوْقَدًا؛
تخاف به الرّجلُ من أختيها، ولا تأمنُ اليَدُ فيه اليَدَا^(١).
ونرمي رجلاً بأعضائهم، فمَنَنْسَى تَراهُنَ أو مَوَّحَدًا^(٢).
تسرى السيْفُ عُربانَ من غِمْدِهِ وتَحَسُّبُهُ من دَمٍ مُفَمَّدًا.

- ولابن الحيات الرعيّ مقاطعٌ في الأدب تنطوي على أشياء من الحكمة تجري في عددٍ من تعاير الفلسفة:

* أرى كلّ شيءٍ له دولةٌ لحُكْمِ التّعاقِبِ فيها عملٌ^(٣).
فلا تفرَحَنَّ ولا تَحْزَنَنَّ لشيءٍ إذا ما تناهى انتقل^(٤).
* ما كانَ أَمْسِرَ فقد فاتَ الزمانُ به، وما يكونُ غَدًا في الغيبِ موعودُ.
وبينَ ذَهِينِكَ وقتٌ أنتَ صاحبُه في حالَتَيْهِ: فمذمومٌ ومحمود.

(١) مسمر: موقد (شديد الحر) يوم مسمر: معركة شديدة. كلّما خفت شدة المعركة زادها هو اشتعالاً.

(٢) المعركة شديدة إلى درجة لا يأمن فيها أحد أحداً (ولو كان من حلفائه).

(٣) قد يصاب المحارب بإحدى يديه أو رجله أو عينيه، أو فيها كليهما.

(٤) دولة: دور، فترة زمنية (لأن تعاقب الأحداث من عمل قانون طبيعي).

(٥) تنأى: بلغ نهايته. انتقل: تبدّل.

* تَمَتَّعَ بِالسَّيْفِ عَلَى شِمَالٍ،
وَمَتَّعَ مِنْ يُحِبُّكَ مِنْ تَلَاقي،
* إِنَّ سَبَّ الْمُلُوكِ مِنْ شُعْبِ الْمَوِ
إِنْ عَفَوْا عَنْكَ بِالذُّنُوبِ أَهَانُوا

فسوف يطول نومك باليمين^(١)،
فأنت من الفراق على يقين^(٢)،
ت، فأياك أن تسب الملوكة^(٣)،
ك، وإن عاقبوا بها قتلوكا.

- وقال ابن الخطاط الربيعي يمدح انتصار الدولة حين ظفر بثائر ثار عليه:

ظنَّ الإمارة طُلَّةً، فإذا بها
ومُهَنَّداتُ كالعقائِقِ ماؤُها
لا تستقرُّ العينُ فوقَ مُتُونِها
ومداعسُ اللُخيلِ يرمحُ وسَطُها،
عَقْرَى وسالمةٌ تَعَثَّرُ بالقنْصا:
طرَحَتْ فوارسُها على أَذْقَانِهم
في موطنِ سَلْبِ الحليمِ وقارِه

حرباً بكاد أوارُها يتأجج^(٤)،
مترقرقٌ ولهيبُها متأجج^(٥)،
فكأنها هي زُبُقُ مُترَجِرِج^(٦)،
من غير فارسيه، طيرٌ مُرَج^(٧)،
العسجدي وذو الخمار وأعوج^(٨)،
طرح الكعب: مُفَرَّدٌ أو مُزَوِج^(٩)،
فكأنما هو مُستَطارٌ أهوج^(١٠)،

- (١) النوم على الجانب الأيسر في الحياة (كتابة عن التمتع بالذلة...). أمّا في الموت فيسجى الميت في قبره على جانبه الأيمن.
- (٢) تلاق: اجتماع. الفراق: الموت.
- (٣) الشعب (بالضم): الفص ونحوه (وهنا: طريق، سب).
- (٤) الطلّة: العريش الذي يحمي الإنسان من الشمس أو المطر... الأوار: شدّة الاشتغال.
- (٥) المهَنَّد: السيف. العقيق: حجر كريم آخر اللون (كتابة عن كثرة الدم). ماء المهنّد: صقاله (بالكسر). لماعه (لأنه ماض: قاطع) جداً.
- (٦) إن صفحات هذه السيوف مصقولة تلمع في النور حتّى لا يستطيع البصر أن يثبت عليها.
- (٧) المدعس: الطريق الذي كثر السير عليه (كتابة عن طول المعركة. ذهاباً وإياباً: هجوماً وتقهقراً). رمح (في القاموس): أضاء، رفس (وهنا معناها: يركض بحماسة). الطمر: الفرس السريع. يرمح فوقها من غير فارسيه طيرٌ مسرج (كتابة عن أن القتلى كانوا كثيرين حتّى أن معظم الخيل كانت تجول في ميدان المعركة وليس عليها فوارسها).
- (٨) عقرى (مجرّحة) تمعّر = تمعّرت. القنّاء: الرمح. لما قتل الفوارس أصبح سلاحهم ملقى على الأرض، فالخيل في أثناء تجوالها تمعّرت به). المسجدي وذو الخمار وأعوج (من أسلّ الخيل).
- (٩) الذقن (يفتح ففتح): الوجه. الكعب: قطعة مكعبة صغيرة تستخدم في لعب الرّد. طرح الكعب (بسهولة). مفرد (فارسي قتل مطروحاً أرضاً وبعبداً عن غيره) أو مزوج (فارسان اعتنقا في القتال ثم قتل كلٌ منهما الآخر فسقطا معاً).
- (١٠) مستطار القلب: شديد الخوف. أهوج (يفعل أفعاله بلا تنظيم).

- وقال بين الوجدان والآراء الفلسفية:

ليس إلّا تنفّسُ الصُّدءِ وبُكائِي، وما غنّهُ بُكائي؟^(١)
مَنْ رَسولي إلى السُّلءِ يُؤدّي لي كتاباً إلى هلال السماء؟^(٢)
كيف يرقى إلى السماء كُثيفٌ؟ بسلُّك الجسمُ في رَقِيّ الهواءِ.^(٣)
عَجَزَ الإنسانُ أنْ تَرَقَى إليها، فمسي الجِنُّ أنْ تكونَ شِفائي.^(٤)
أم ترى الجِنَّ تنقّي شُهَبَ الرّجَمِ؟ فدَغْنِي كذا أُموتُ بدائي.^(٥)

٤-★★ راجع كتاب «العرب في صقلية»، تأليف احسان عباس، مصر (دار المعارف) ١٩٥٩ م (والصادر المثبتة فيه).

محمد بن الحسين المغربي

- ١- هو محمد بن الحسين بن أبي الفتح القرشي المغربي السوسي القيرواني المعروف بابن ميخائيل، من أهل سوسة، استوطن القيروان وتأدّب فيها. كان في أيام المير بن باديس^(١).
- ٢- كان محمد بن الحسين المغربي شاعراً رقيقاً سهّل الكلام، وكان شديد الانتقاد للشعر على مذهب قدامة الكاتب^(٢). وفنونه الغزل العفيف والصريح في الكينابات البريئة.

-
- (١) تنفّس الصُّدء (النفس العميق الطويل الحار - كناية عن الحزن). الغناء (بالفتح): الفائدة.
(٢) هو يريد أن يعرف أسرار العالم العلوي (ألمه يَكُنِي بذلك عن محبوب جميل؟).
(٣) في الفلسفة أن الجسم (مادّة كثيفة) لا ترقى (بعد الموت) إلى المَلأ الأعلى (عالم الخلود). ولكنّ النفس (وهي جوهر روحاني خفيف) يمكن أن تصعد إلى المَلأ الأعلى.
(٤) هل أستطيع أن أبلغ إلى المَلأ الأعلى من طريق الجِنِّ فأعرف من طريق الجِنِّ أخبار السماء؟
(٥) تنقّي: تخاف، تتجنّب. شهاب الرّجَم: (الجِنُّ ممنوعون من الدُّنُو من السماء، إذ يقدفون) إذا اقتربوا منها) بالشهب المشتعلة فيحترقون.
(٦) جاء المرء إلى العرش سنة ٤٠٦ هـ ثم استقلّ بالحكم، سنة ٤١٧ هـ، ونوفاً سنة ٤٥٣ هـ.
(٧) قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ).

- لِمَحْمَدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمَغْرَبِيِّ مَقَاطِعُ رُؤْيَى لَهُ مِنْهَا:

- * صَوَّرَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ مِسْكِيَّةٍ وَصَوَّرَ النَّاسُ مِنَ الطَّيْنِ.
أَبْدَعَهُ اللَّهُ - وَسُبْحَانَهُ - كَبِشَلْ حُورِ الْجَنَّةِ الْعَيْنِ^(١).
مُهَفَّفُ الْقَدِّ هَضِيمُ الْحَشَا يَكَادُ يَنْقُدُ مِنَ اللَّيْنِ^(٢).
كَأَنَّ فِي أَجْفَانِهِ، مُنْتَضِي، سَيْفَ عَلِيٍّ يَوْمَ صِفِّينَ^(٣).
* سَافِرَاتٌ عَنِ الْوُجُوهِ تُحَيِّي أَوْجَةَ الشَّرْبِ بِالَّذِي تَخْتَارُهُ^(٤).
كَالْعَذَارَى الْحِسَانِ فِي الْحَلَلِ الْحَمْدِ حَمْرٍ وَكَالْجَمْرِ طَارَ عَنْهُ شَرَارُهُ^(٥).
فِي أَوَانٍ مِنَ الرَّبِيعِ أَنْيَقِي زَهْرُهُ، مُسْتَقَلَّةٌ أَطْيَارُهُ^(٦).
زَائِرٌ نَوَّرَ الرَّبِيعَ فَجَلْنَا وَشَيْ صَنْعَاهُ أَنَّهُ نُورُهُ^(٧).
وَاكْتَسَى الْأَفْقَ بِشَرِّهِ، فَحَسِينَا مِلْكٌ دَارِينَ مَا حَوَتْ أَقْطَارُهُ^(٨).
* أَحْبَبْتُ مِنْهُ شَمَائِلًا فَوَجَدْتُهَا فِي الطَّبَعِ مِثْلَ خِلَافَتِي وَشَمَائِلِي^(٩).

- (١) الحوراء من النساء من اشتد سواد عينيها واشتد بياضها. العيناء الواسعة العينين.
(٢) مهفف القد: مشوق (فيه طول مع اعتدال وامتلاء بلا سمنة). هضم الحشا (تحليل الخصر). ينقذ: ينقطع.
(٣) كأن سيف الإمام علي منقضي (مسلول) من عيونه.
(٤) سافرات (كاشفات). الشرب: الذين يشربون (الجمهر) معاً. تختاره (بإشارة تختارها: بكأس خمر، بزهره، بحركة من يدها، الخ).
(٥) كالجمر طار عنه شراره (كناية عن شدة الاشتغال وعن النشاط).
(٦) أوان: زمان. أنيق: جميل يحبب العين. مستقلة: طائرة في الفضاء (مع أن من عادة الطيور أن تحتويه في أيام المطر وأيام البرد الشديد. فإذا بدأ الجو بالاعتدال أخذت بالطيران من مكان إلى مكان).
(٧) زائر (كناية عن الزهر) نور (أضاء). خال: ظن. ظننا أن نوار الربيع (أزهاره) وشي (نظريز) من نسج صنعاء (عاصمة اليمن المشهورة بنسج الحرير وتطريزه).
(٨) البشر: طلاقة الوجه. دارين: مكان في الشام ومكان في البحرين (أحدهما أو كلاهما مشهور بأن المسك يأتي منه). الأقطار جمع قطر (بضم القاف): الجانب، الناحية. كل جانب من الأرض (في الربيع) فيه رائحة طيبة.
(٩) الشائل جمع شال (بكر الشين): الخلق (بالضم) والطبيعة.

فَكَأَنَّنِي أَحْبَبْتُ مَنْ قَدْ شَفَّهَ حُبِّي وَرُحْتُ مُشَاكِلاً لِمُشَاكِلِي (١).
 كَمْ لَيْلَةٍ مَرَّقْتُ ثَوْبَ ظِلَامِهَا بِضَائِهِ وَقَبِلْتُ فِيهِ وَسَائِلِي (٢).
 فَكَأَنَّنِي مِنْ وَجْهِهِ فِي صُبْحِهَا، وَكَأَنَّهُ مِنِّي مَسَاطِ حَمَائِلِي (٣).
 وَالْعَيْشُ لَيْسَ يَلْدُ طَعْمَ مَذَاقِهِ حَتَّى يُشَابَ بِأَنْتُمْ أَوْ بِأَطْلِ (٤)!

٤-★★ المحمّدون من الشعراء ٢٦٢ - ٢٦٣، الوافي بالوفيات ٣: ٦.

عبد الملك بن غصن الحجاري

١- هو أبو مروان عبد الملك بن غصن الحجاري من أهل وادي الحجارة (على مقربة من مدريد، شمالاً) رَحَلَ إلى المشرق وتأدّب (على نفر من علمائه) وَحَجَّ ثم عاد إلى بلده. نال حظوةً عند ملوك الطوائف، غير أنّه فضّل صُحبة أبي عبيدة (المستبد بأمر مدينة وادي الحجارة؟) فغضب عليه المأمون بن ذي النون (٤٢٩ - ٤٦٧ هـ) صاحب طُلَيْطَلَة (ربّاً لمنافسة أبي عبيدة له ولطَمَعَ المأمون في الاستيلاء على وادي الحجارة - لقرب المسافة بين البلدين). وقد استطاع المأمون أن يَنْكَبَ عبدَ الملك الحجاري وأن يسجنه أيضاً. ولكنّ المقتدر بن هود صاحب سَرَقُسطَة (٤٣٨ - ٤٧٤ هـ) استطاع أن يَخْلُصَه، إذ شَفَعَ له عند المأمون (نفع الطبيب ٣: ٣٦٤) فأطلقَ المأمون سراحه. وكانت وفاة عبد الملك بن غصن سنة ٤٥٤ هـ (١٠٦٢ م).

٢- كان أبو مروان عبد الملك الحجاري أديباً شاعراً. وشعره عذب رقيق مُتَفَرِّقٌ بين الفخر والمدح والهجاء والاعتذار والعتاب والخمر ووصف الطبيعة والإخوانيات. وكان بارعاً في أنواع العلوم والآداب من الأدب والتاريخ خاصة.

(١) شَفَّهَ الحَبَّ: أَمَحَلَهُ وأمرضه. مُشَاكِل: مُشَابِه. مُشَاكِلٌ لِمُشَاكِلِي (أشبه محبوبي).

(٢) وَقَبِلْتُ فِيهِ وَسَائِلِي (٢) - تَمَتَّعْتُ بِمَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ (٢).

(٣) الْمَسَاطِطُ: الْمَكَانُ الَّذِي تَتَعَلَّقُ بِهِ الْأَشْيَاءُ. الْحَمَالَة (بِكسر الحاء): عِلَاقَةُ السِّيفِ فِي الْعَنْقِ. فَكَأَنَّهُ مِنِّي مَسَاطِطِ حَمَائِلِي: بِمَاقِنِي.

(٤) يُشَابَ: يَخْلَطُ. مَأْتَمٌ: ذَنْبٌ. بِأَطْلٍ: بِأَطْلٍ: عَيْتٌ (بفتح فسكون)، لَهْوٌ، لَعِبٌ، عَمَلٌ لَا فَائِدَةَ نَافِعَةَ مِنْهُ.

وكان أيضاً مؤلفاً كتب في سجنه رسالة عنوانها « رسالة السجن والمسجون والمحرزون والمحرزون » وضمّنها ألف بيت من شعره وأهداها إلى المأمون بن ذي النون (أملاً في إطلاق سراحه). وله رسالة أخرى عنوانها « العشر كلمات ».

٣ - مختارات من شعره

- كتب عبدُ الملك بنُ غصنِ الحِجاريُّ من سجنه إلى أخيه:

أَرَوَى، وَبَيْنَ ضُلُوعِي حَرِيقُ؟ وَأَشْجَى وَإِنْسَانٍ عَيْنِي غَرِيقُ^(١)؟
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ وَفِي كُلِّ حِينٍ يُحَمِّلَنِي الدَّهْرُ مَا لَا أُطِيقُ.
تَهْبِئُ الْخُطُوبُ بَوَضْلِي، فَمَا لَهْنٌ إِلَى غَيْرِ قَلْبِي طَرِيقُ.
أَيَا وَاجِدِي وَشَفِيقِي وَيَا فَرِيقاً يُبْكِيهِ مِنِّي فَرِيقُ^(٢)،
أَخُوكَ أَخُو نَكَبَاتٍ لَهَا يَرِقُّ الْعَدُوُّ، فَكَيْفَ الصَّدِيقُ؟
كَسَدْتُ وَنَظْمِي دُرٌّ نَفِيسٌ، وَضَعْتُ وَنَشْرِي مِسْكٌ عَبِيقُ.
وَمَا أَظْلَمَ الْجَهْلُ فِي مَعْشَرٍ وَفِي أَفْقِهِمِ مِنْ عُلُومِي شَرِيقُ^(٣).
وَلَوْ جَائِلِقٌ تَخَوَّلَتْهُ بِمَوْعِظَةٍ آمَنَ الْجَائِلِقُ^(٤).

- وقال يفتخر برسائله وبما ضمّنها من الشعر:

وَأَلْفُ بَيْتٍ مِنَ الْقَرِيضِ إِذَا مَاتَ جَمِيعُ الْأَنَامِ لَمْ تَمُتْ.
لَوْ أَنَّ شَعْرَ الدُّورَى يُنْظَمُ فِي عَقْدٍ لَكَانَتْ بِمَوْضِعِ السَّطَةِ^(٥).
سَائِرَةٌ حَيْثُ لَمْ يَسِرْ قَمَرٌ وَلَا سَرَتْ أَنْجُمٌ وَلَا جَرَتْ.

(١) أشجى أنا (من شجي: طرب). إنسان عيني (البؤبؤ) غريق: عيني مملوءة بالدموع (حزين).

(٢) واحدي وشقيقي (أخي الذي ليس لي أخ غيره). فريق يبكيه مني فريق: نحن شخص واحد يبكي على نفسه.

(٣) في أفقهم: في بلادهم. شريق: شارق أو مشرق (القاموس المحيط ٣: ٢٤٩). - لا يحتم ظلام الجهل على قوم إذا أشرق عليهم شيء من علمي.

(٤) لو غولت (تعهدت بالموعظة) الجائليق (رئيس النصارى) حتى يؤمن بالإسلام لآمن (كناية عن مقدرة).

(٥) السطة: الوسط (اللؤلؤة الكبيرة جداً والتي تكون في وسط المقد).

- وقال يهجو المأمونَ بنَ ذي النون:

تَلَقَّبْتَ بِالْعَامُونَ ظُلماً، وَإِنْسَى
حَرَامٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُودَ بِبِشْرِهِ،
سَطُورُ الْمُخَازِي دُونَ أَبْوَابِ قَصْرِهِ
لَأَمِنْ كَلْباً حَيْثُ لَسْتَ مُؤَمِّنَةً (١).
وَأَمَّا النَّدى فَانْدُبَ هُنَاكَ مَدْفَنَهُ (٢).
بُحْبَابِهِ لِلْقَاصِدِينَ مُعْتَوِنَةً (٣).

- وقال يصف الربيع:

بِمَا صَوَّبَ غَادِيَةَ الرَّبِيعِ الْمُطِيرِ،
مَيْدَانُ أَفْرَاسِ الصَّبَا وَمَلَاعِبُ الْ
وَاقِظِ بَيْلِكَ الْفَيْثِ فِي سَاحَاتِهِ
حَتَّى تَرَى الْفَيْطَانَ زَاهِرَةَ الرَّبِيعِ
وَتَرَى الْأَفْصَاحَ كَأَنَّهُ قَدْ شَادِنِ
وَشَقَائِقُ النُّعْمَانِ مِثْلَ الْفَيْدِ وَالطِّ
لُولَا خِفَارَتُهَا وَحَالِكُ شَفَرِهَا

بَادِرُ بَسَيْبِكَ رَسْمَ دَارِ مُقْفِرِ (٤).
أَرَامَ وَالرَّوْضِ الْأَنْبَقِ الْأَزْهَرِ (٥).
وَاسْكُبْ لَأَلْيَسُهُ عَلَيْهِ وَأَنْشُرْ (٦).
تُنْبِيكَ عَنْ عَهْدِ الزَّمَانِ الْأَزْهَرِ (٧).
غَنِّجِ تَبَسُّمَ عَنْ لَقِيطِ الْجَوْهَرِ (٨).
طَلَّ النَّدَى كَدْمَعَةً فِي مَخْجَرِ (٩).
قُلْنَا: سَبَايَا مِنْ بَنَاتِ الْأَصْفَرِ (١٠).

(١) آمن = آئني (أثني بـ).

(٢) البش: طلاقة الوجه وإظهار السرور بالناس. الندى: الكرم.

(٣) حجاب القصر عنوان للمخازي الموجودة في داخل القصر.

(٤) الصوب: المطر المتدل. الغادية: السحابة التي تطر في الصباح. السيب: الغطاء (المطر). مقفر مهجور

(صفة للأسم «رسم»: المكان الذي كانت فيه الدار قائمة).

(٥) الدار التي كانت ميداناً للهوا وملعباً (مرتعاً) للأروام (جمع رُم بكسر الراء: الغزال الأبيض): النساء

الجميلات.

(٦) لآئي: جمع لؤلؤة (كتابة عن حبات المطر التي لها شكل اللؤلؤة وقيمتها).

(٧) النبط (بالفتح): الأرض المنخفضة (تتجمع فيها المياه فتكون خصبة). تنبئك = تنبئك: تحريك.

الأزهر (مكررة في الأصل).

(٨) الأفاح جمع أفحوانة (بضم الفزة): زهر قلبه أصفر وله بتلات بيض. الشادن: الغزال الصغير (الفناء

الجميلة). الجوهر: اللؤلؤ (كتابة عن أسنانه البيض الجميلة).

(٩) الفيداء: المرأة الجميلة. الطل: الندى الذي يسقط ليلًا. الحجر (التجويف الذي تكون فيه العين):

العين.

(١٠) الحفارة (تكون بالفتح والكسر والضم وتتملّق بالحراسة) والمقصود هنا: الحفر (بفتح ففتح): الحياء.

الحالك: الأسود. بنو الأصفر: الروم.

- وقال عبدُ الملك الحجاري يصف الحمر:

يا فتيةً خيرةً قدّتهمُ من حادثاتِ الزمانِ نفسي،
شربهمُ الحمرَ في بُكورٍ ونطقهمُ عندهما بهنس،
أما تروُنَ الشّيةَ يُلقي في الأرضِ بطناً من الدّمس^(١)؟
مُقطّبٌ عابسٌ بُنادي: يومُ سرورٍ ويومُ أنس^(٢).

٤-★★ الذخيرة ٣: ٣٣١ - ٣٣٦، التكملة ١٦٠٦: المغرب ٢: ٣٣ - ٣٤، نفع الطيب ٣: ٤٢٣ - ٤٢٤، الأعلام للزركلي ٤: ٣٠٧ (١٦١).

مُحمّد بن عبد الواحد البغدادي

١- هو أبو الفضل مُحمّد بنُ عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن سليمان بن الأسود بن سُفيان الدارميّ التميميُّ البغداديّ، وُلِدَ في بغدادَ سَنَةَ ٣٨٨ (٩٩٨ م).

سَمِعَ مُحمّد بنُ عبد الواحد من أبي طاهرٍ مُحمّد بن عبد الرحمن المُخلص الدّهليّ البغداديّ (٣٠٥ - ٣٩٣ هـ) - وكان من أصحابِ الحديثِ ومُسَنِّدَ بغدادَ في أيامه^(٣). - ويبدو أن خلافاً نشأ بينه من جانب وبين أبيه وإخوته من جانبٍ آخرَ فتركَ بغدادَ وله من العُمُرِ عشرونَ سَنَةً مُتَّجِهاً شَرْقاً حتّى وصلَ إلى الهند ولَحِقَ بالسُلطانِ محمودِ الغزنويّ الذي امتدّت ولايته من سَنَةِ ٣٨٩ إلى سَنَةِ ٤٢١ وبَقِيَ معه ثمَ مَعَ ابنِهِ مسعودٍ (٤٢١ - ٤٣٢ هـ) وَوَزَرَ للسُلطانِ مسعودٍ.

تُوُفِيَ السُلطانُ مسعودٌ وخلفَهُ أخوه مودودٌ، ومُحمّد بنُ عبد الواحد في الهند. ولم يحمّد مُحمّد بعد ذلك مُقامَهُ في الهند فكَاتَبَ القائمَ العبّاسيّ فاستدعاه القائمُ. واتفقَ في

(١) بسط جمع بساط (ما يفرش على الأرض). الدمس: الحرير (الشتاء يَكسو الأرض بالنبات الأخضر؟؟). كذا في بغية الملتبس ص ٩٧ س.

(٢) مُقطّب عائد بين حاجبيه (كناية عن الغضب). يوم سرور ويوم أنس (بضمّ الهزّة: سرور بعشرة الناس)... لعلّها: «بؤس» (٢).

(٣) المسند: الذي يحفظ أحاديث رسول الله بأسانيدها: بلسان الراوي لها (ويكون في ذلك حجة يرجع الناس إليه).

ذلك الحين قَوْرَةُ الدعوة الفاطمية (وكان أمرها قد علا في مِصْرَ كثيراً) فأرادَ القائمُ العباسيُّ رجلاً يذهب إلى المَغْرِبِ لِيُفِيدَ قُلُوبَ أَهْلِ المَغْرِبِ على الفاطميين فأرسلَ في ذلك مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الواحدِ. وفي الطريقِ إلى المَغْرِبِ مرَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الواحدِ بِالْمَعْرَةِ وَلَقِيَ أَبَا الْعَلَاءِ الْمَعْرِيَّ. فسمعَ المَعْرِيَّ شيئاً من شِعرِهِ وَمَدَحَهُ عليه. وسارَ مُحَمَّدٌ إلى المَغْرِبِ فوصلَ إلى القيروانِ سَنَةَ ٤٣٩ واستطاعَ إقناعَ الْمُعِزِّ بْنِ باديسَ في أولِ الأمرِ بالانتقالِ عن دَعْوَةِ الفاطميين إلى دعوةِ العباسيين. ثم حَدَّثَ الاضطرابُ في المَغْرِبِ - وكان لابنِ عَبْدِ الواحدِ فيه يدٌ ظاهرة - وعادَ الْمُعِزُّ عن الدعوةِ العباسيةِ في سَنَةِ ٤٤٦ فأصبحَ مُقامُ ابنِ عَبْدِ الواحدِ في المَغْرِبِ صَعْباً فانتقلَ إلى الأندلسِ وتنقَّلَ بينَ بُلدانِها حتَّى استقرَّ في طُلَيْطَلَةَ في ٢٧ من جُمادى الأولى ٤٥٤ (١٠٦٨/٦/٨ م) عِنْدَ المأمونِ بنِ ذي النون. وكانت وفاةُ ابنِ عَبْدِ الواحدِ في رابعِ عَشَرَ شَوَّالٍ من سَنَةِ ٤٥٥ (١٠٦٣/٩/١١ م).

٢- لمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الواحدِ نظمٌ ونثرٌ، وكان مُكثِراً ومُطيلاً أيضاً. وشِعرُهُ ونثرُهُ يَنبُوءُ أنِ بِصِنَاعَةِ كثيرةٍ بعيدة. وأكثرُ شِعرِهِ عاديٌّ وعليه نَفْحَةٌ من الأسلوبِ القديمِ مَعَ شيءٍ من الغريبِ. وهو كثيرُ التَّرْدَادِ للأفكارِ وللتراكيبِ: أوردَ له ابنُ بَسَّامٍ (الذخيرة ٥١١: ٣ - ٥١٣) تِسْعَةً وثلاثينَ بيتاً واحداً وعِشْرُونَ منها تبدَأُ بِالْحَرْفِ المُشَبِّهِ بالفعلِ «كَانَ»، ونحنُ نَجِدُ شيئاً من هذا الترديدِ عند ابنِ هاني الأندلسيِّ أيضاً. وفي الذخيرة (٤: ٨٨) وفي نَفْحِ الطيبِ (٣: ١١٢) أن أَبَا الْعَلَاءِ الْمَعْرِيَّ قد سَمِعَ شيئاً من شِعرِ ابنِ عَبْدِ الواحدِ وحكمَ له بالإجادة. ولعلَّ إعجابَ المَعْرِيَّ كانَ راجعاً إلى كَثْرَةِ تَشَابِهِ ابنِ عَبْدِ الواحدِ وَغَرَابَةِ بعضها. وفنونُ شِعرِ ابنِ عَبْدِ الواحدِ المديحُ والمُجَاجاةُ والرِّثاءُ والفخرُ والعِتابُ والوصفُ وكثيرٌ من الغَزَلِ مَعَ شيءٍ من المُجَوِّنِ الظاهرِ. وله أيضاً طَرْدٌ (وصفٌ للضئد) وإخوانيات. وابنُ عَبْدِ الواحدِ أدخلَ كتابَ «يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ» للشَّاعِي إلى الأندلسِ.

٣- مختارات من آثاره

- كتب أبو الفضلِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الواحدِ البَغْدَادِيُّ رسالةً إلى الوزيرِ الكاتبِ أبي

المُطَرَّفُ*^(١) بن مُثَنَّى (الذخيرة ٣: ٤١٠) جاء فيها:

أَطَالَ اللهُ بقاءَ سَيِّدِي وجعلَ دَرَجَ المعالي مُستقرَّةً تحتَ قَدَمِهِ وسُرَّجَ المساعي مُسفِرةً عن بوارقِ هِمَمِهِ^(٢)، وظامئاتِ الأمانِ رَويَّةً من لُعَابِ سِنِّ قَلْبِهِ^(٣)، وَعَذَبَاتِ الإقبالِ مَنُوطَةً بِاللَّوِيَّةِ عَزَائِمِهِ وَأَرَائِهِ^(٤)... وَكُنْتُ مَرَزْتُ بِبِلَادِ شُمُوسِ الفُضائلِ في آفاقِها مَكسُوفَةٌ، وعيونُ العلمِ والآدابِ في عَرَصاتِها مَطْرُوفَةٌ^(٥)، وستائرُ الأحرارِ بين أهلِها مَهتُوكَةٌ مَكشُوفَةٌ^(٦)... نَبَعَتْ بَيْنَ أَهْلِهَا عَيُونُ الحَيَاةِ والبُهتانِ^(٧)، وَضَعُفَ حِجْلُ الدَيَانَةِ فيهِمِ والإيمانِ... فَأَبْدَلَهُمُ اللهُ مِنَ النورِ في أحوالِهِم ظلاماً، وبالحلالِ في مكاسِبِهِم حراماً. وَخَصَّ أَسعارَهُم بِالغَلَاءِ وَجَمَعَهُم بِالْفَناءِ وَلَفِيفَهُم بِالتَّشَتُّتِ والجلاءِ^(٨). وللخرابِ ما يَغْمُرُونَ^(٩)، وللقتلِ ما يَلِدُونَ وللنهبِ ما يَجْمَعُونَ ولغيرِهِم ما يَكْسِبُونَ. «وَحَاقَ^(١٠) بِهِم ما كانوا به يَسْتَهْزِئُونَ» (سورة الزمر، ٣٩: ٤٨) «وكذلك أَخَذُ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى^(١١)» وهي ظالمةٌ، إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ» (١١: ١٠٢، سورة هود). ... وَأَكْبَرْتُ أَنْ أَفَارِقَ بِلَدَ الْأَنْدَلُسِ، وَقَدْ أَظْهَرَ اللهُ فِيهِ إِحْدَى آيَاتِهِ الدَّالَّةَ عَلَى عِظَمِ مُعْجَزَاتِهِ، الناطقةُ بِصَحَّةِ بَراهِينِهِ وَبَيِّنَاتِهِ، بِسَيِّدِنَا المَأْمُونِ بْنِ ذِي النُّونِ أَطَالَ اللهُ بقاءَ سُلطانِهِ، وَقَوَّى دَعائِمَ مُلْكِهِ وَأَركانَهُ...

(*) هو أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن صيفون المعروف بابن مثنى من أهل فرطية وسكن بلنسية. وقد استوزره المأمون يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة (٤٢٧ - ٤٦٣ هـ) عدة سنين. «انتفع الناس به في أثناء وزارته لحسن دينه وسلامه باطله وظاهره ولتفكيره الهادي». وكانت وفاته في بلنسية سنة ٤٥٨ (١٠٦٦ م).

- (١) السراج: القنديل. مسفرة: منكشفة.
- (٢) من لعاب: ريق (هنا: حبر) سَنِّ قَلْبِهِ (الطرف الذي يكتب به من القلم).
- (٣) العذبة (يفتح ففتح): طرف الشيء (زائدة تتدلَّى عادة من طرف العمامة - بكر العين). منوطة: معلقة.
- (٤) مكسوفة: منقطعة. (قد حجب نورها). العرصة (يفتح ففتح): الباحة أمام الدار.
- (٥) مهتوكة بمنزلة: مكشوفة: مزاحة (كناية عن جرأة الناس على من كانت سدولة عليه: سائرة له).
- (٦) البهتان: الافتراء (اتهام الناس بما ليس فيهم).
- (٧) الجلاء (الخروج من الوطن).
- (٨) عمر الناس المكان (سكنوا فيه).
- (٩) حاق: أحاط.
- (١٠) الأخذ: العقاب، القصاص. القرية: المدينة.

- وله يَصِفُ اللَّيْلَ (الذخيرة ٣: ٥١١):

وليل تجلّى الصُّبْحُ في جَنَبَاتِهِ سنا بارق في لُجٍّ بحرٍ تَمَبَّيَا^(١).
أحاطتْ بِأَفَاقِ السَّمَاءِ خِيَامُهُ وطَبَّقَ شَرْقاً في البلادِ وَمَغْرِباً^(٢).
نَفْسُ طَوْلُهُ عَنِّي الرُّقَادَ كَأَنَّمَا يَفَارُ عَلَى الْجَفْنَيْنِ أَنْ يَتَرَكِبَا^(٣).
فَبِئْسَ أُجِيلُ الْطَّرَفَ أَرْتَادُ صُبْحَهُ كما ارتادَ ذُو الشَّوْقِ الْحَبِيبَ الْمُحِبَّ^(٤).
كَأَنَّ النُّجُومَ الزُّهْرَ فِيهِ خَرَائِدُ تُطَالِعُ مِنْ زُهْرِ الْكَوَاكِبِ رَبَّيَا^(٥).
كَأَنَّ نُرْيَاهُ أَنَامُلُ فِضَّةٍ تُقَلِّبُ تَرْساً مِنْ سَنَا اللَّيْلِ مُذْهَبَا^(٦).

- وقال يَتَشَوَّقُ إلى بلدِهِ:

أَهْمٌ بِذِكْرِ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ دَائِباً، وما بِي شَرْقٌ لِلْبِلَادِ وَلَا غَرْبُ^(٧).
وَلَكِنْ أَوْطَاناً نَأَتْ وَأَحِيَّةٌ فَقَدْتُ مَتَى أَذْكُرُ عَهْدَهُمْ أَصْبُ^(٨).
إِذَا خَطَرْتُ ذِكْرَاهُمْ فِي خَوَاطِرِي تَنَازَرُ مِنْ أَجْفَانِي اللَّوْلُؤُ الرُّطْبُ^(٩).
وَلَمْ أُنْسَ مَنْ وَدَعْتُ بِالشَّطِّ سُخْرَةً وقد غَرَّدَ الْحَادُونَ وَاسْتَعْجَلَ الرِّكْبُ^(١٠).
السَّيْفَانِ هَذَا سَائِرٌ نَحْوَ غَرْبِي، وهذا مُقِيمٌ سَارٌ عَنْ صَدْرِهِ الْقَلْبُ.

(١) اللَّجَّةُ (بالضَّم): معظم الماء (وسط البحر). تَمَبَّي: كثر عبابه (بالضَّم): أواجه.

(٢) خِيَامٌ جمع خيمة (كناية عن اتساع الفيوم). طَبَّقَ (ملاً).

(٣) أَنْ يَتَرَكِبَا (أَنْ يَرْكَبَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ: أَنْ يَنْطَبِقَا فَيَنَامَ صَاحِبُهُمَا).

(٤) الطَّرَفُ: البصر. أَرْتَادُ: أطلب. الْمُحِبَّ: المَهْجَبَا (الذي جعل على نفسه حجاباً: رفض الاجتماع بالهَبَّ).

(٥) الزُّهْرُ: اللامعة (يقصد: الكبيرة). تَطَالَعُ: تديم النظر إلى (تراعي، تمنني بـ). الرِّبْرِبُ: القطيع من الطيِّاء. الحَرِيدَةُ: المرأة الجميلة. الصورة غير واضحة.

(٦) الثَّرَيَا: عنقود نجوم فيه سبعة نجوم كبيرة (ظاهرة للمعين) ثم ألوف من النجوم الأخرى. «أنامل فضة (لعلَّ الشاعر يشير هنا إلى النجوم السبعة الكبيرة اللامعة في عنقود الثَّرَيَا). ترساً مذهباً (يشبه الليل بترس: بقرعة سوداء واسعة مذهبة: فيها نجوم تلمع صفراً وحرراً، الخ).

(٧) الشرق والغرب من بلاد الأندلس. وما بي (شوق إلى) شرق الأندلس أو غربها: إلى الأرض نفسها...

(٨) أَوْطَانُ نَأَتْ: بعدت (عني، بعدت أنا عنها). أَصْبُو: أميل (بعظم حبي).

(٩) اللَّوْلُؤُ الرُّطْبُ: النقي، الصافي اللون كناية عن الديموع.

(١٠) الشَّطُّ: جانب النهر. سحرة: قبيل الفجر. غَرَّدَ الحادي: بدأ يترنم (بغني) استمداداً للانطلاق بالأبل (البئذ بالسفر). واستعجل الركب (جمل الحادي، سائق الأبل، بحث العازمين على السفر على المجلة للبدن بالسفر).

٤-★★ جذوة المقتبس ٦٨-٦٩ (الدار المصرية) ٧٣ (رقم ١٠٥)، الصلة ١٥٦٦، بغية
 للمتنس ٩٧-٩٨ (رقم ٢٠٩)، الذخيرة ٣: ٤١٠-٤١٣، ٤: ٨٧-١١٩، نفح
 الطيب ٣: ١١١، ١١٣-١١٥.

الحسين التجيبي القرطبي

١- هو الحسين بن محمد بن الحسين بن حَيِّ التجيبي القرطبي، أخذَ عِلْمَ العددِ
 والهندسةَ والهيئةَ^(١) عن أبي عبد الله محمد بن عمرو بن محمد المعروف بابن بَرَعُوثِ
 الرياضيِّ الفلكيِّ (ت ٤٤٢ هـ). وفي سَنَةِ ٤٤٢ هـ رَحَلَ الحسينُ التجيبيُّ إلى القاهرة
 ثُمَّ إلى اليَمَنِ. وفي اليمنِ اتصلَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الصُّلَيْحِيِّ الْقَائِمِ^(٢) بالدعوة لِلْمُسْتَنْصِرِ
 الفاطمي مَعَدُّ (٤٢٧-٤٨٧ هـ) وَحَظِيَ عِنْدَهُ. ثُمَّ إِنَّ الصُّلَيْحِيَّ أَرْسَلَهُ رَسُولاً إِلَى
 الْقَائِمِ الْعَبَّاسِيِّ (٤٢٢-٤٦٧ هـ). وَتُوُفِّيَ الْحُسَيْنُ التُّجَيْبِيُّ فِي الْيَمَنِ، سَنَةَ ٤٥٦
 (١٠٦٤ م)، بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنْ بَغْدَادَ.

٢- الْحُسَيْنُ التُّجَيْبِيُّ الْقُرْطُبِيُّ أَدِيبٌ شَاعِرٌ وَعَالِمٌ بِالْهَنْدَسَةِ وَالْفَلَكَ. لَهُ زَيْجٌ
 مُخْتَصَرٌ عَلَى طَرِيقَةِ الْبِيْندِ هِنْدِ^(٣). وَشِعْرُهُ الْقَلِيلُ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْنَا مُقْطَعَاتٌ قِصَارٌ
 تَدُورُ عَلَى التَّأْمَلِ وَالْحِكْمَةِ وَفِيهَا إِشَارَاتٌ مِنَ الرِّيَاضِيَّاتِ وَالْفَلَكَ.

٣- مختارات من شعره

- قَالَ الْحُسَيْنُ التُّجَيْبِيُّ يَوَازُنُ بَيْنَ الْوَاحِدِ مِنَ الْعَدَدِ (الَّذِي هُوَ أَوَّلُ الْأَعْدَادِ وَمِنْهُ
 نَاقِي كُلِّ الْأَعْدَادِ، مَعَ أَنَّهُ فِي رَأْيِ عُلَمَاءِ الْعَدَدِ لَيْسَ مِثْلُ سَائِرِ الْأَعْدَادِ) وَاللَّهِ الَّذِي هُوَ
 أَيْضاً الْمَوْجُودُ الْأَوَّلُ (وَهُوَ سَابِقٌ عَلَى جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ وَمُخَالَفٌ لَهَا، مَعَ أَنَّهَا جَمِيعُهَا
 قَدْ جَاءَتْ مِنْهُ):

(١) الهيئة: الفلك.

(٢) عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ الصُّلَيْحِيِّ أَمِيرٍ بِمَنَى اعْتَنَقَ، سَنَةَ ٤٢٨، دَعْوَةَ الْفَاطِمِيَّيْنَ (أُمَّةٌ مِصْرَ). وَفِي سَنَةِ ٤٢٨ حَالَفَهُ
 فِي الْمَوْصِلِ (فِي الْحِجَّ) نَحْوَ سِتِّينَ نَصِيرًا عَلَى الدَّعْوَةِ لِلْمُسْتَنْصِرِ الْفَاطِمِيِّ صَاحِبِ مِصْرَ. وَفِي سَنَةِ ٤٥٥
 أَصْبَحَ مُلْكًا عَلَى الْيَمَنِ. وَتُوُفِّيَ سَنَةَ ٤٧٣.

(٣) السند هند كتاب هندي في الرياضيات والفلك.

تَأْمَلْ صُورَةَ الْعَدَدِ، فَمَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ هُدًى.
 كما الأعدادُ راجعةٌ، وإن كَثُرَتْ، إلى الأَحَدِ^(١)،
 كذلك الخَلْقُ مَرْجِعُهُمْ لِرَبِّ وَاحِدٍ صَمَدٍ^(٢).

- وله مَقْطَعَاتٌ قِصَارٌ فِي التَّأْمَلِ وَالْحِكْمَةِ:

★ ورَأَيْتُ السَّمْلَةَ كَالْبَحْرِ، إِلَّا أَنْ مَا وَسَطَهُ مِنَ الدَّرِّ طَافِي^(٣).
 فيه مَا يَمْلَأُ الْعَيُونَ كَبِيرٌ وَصَغِيرٌ مَا بَيْنَ ذَلِكَ صَافِي^(٤).
 ★ ودَعْنَهُ حَيْثُ لَا تُودَعُهُ رُوحِي وَلَكِنَّهَا تَسِيرُ مَعَهُ.
 ثُمَّ تَوَلَّى وَالْعَيُونَ لَهُ ضَيْقُ مَجَالٍ وَفِي الْقُلُوبِ سَعَةٌ.
 ★ إِذَا مَا كَثُرَتْ عَلَى صَاحِبِ وَقَدْ كَانَ يُدْنِيكَ مِنْ نَفْسِهِ^(٥).
 فَلَا بُدَّ مِنْ مَلَلٍ وَاقِعٍ يُغَيِّرُ مَا كَانَ مِنْ أَنْسِهِ.

٤-★★ معجم الأدباء ١٠: ١٥٨ - ١٦٠.

ابن حزم الكبير

١- وَلِدَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ (ت ٤٠٢ هـ) بِنِ سَعِيدِ بْنِ حَزْمٍ فِي قُرْطُبَةَ، فِي
 آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٣٨٣ (معجم الأدباء ١٢: ٢٣٧) أَوْ ٣٨٤ (وفيات
 الأعيان ٣: ٣٢٥) - يُوَافِقُ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمِيلَادِيِّ ٩٩٤/١١/١٨ أَوْ

(١) الأَحد: الواحد من العدد (قبل الاثنين). كل الأعداد تبدأ من الواحد بزيادة واحد على العدد الذي قبله ما عدا الاثنين فهو الواحد مكرراً ثم ٢+١، ٣+١، ٤+١، الخ.

(٢) الصمد: المقصود (الله). وكما أن جميع الأعداد ترجع إلى الواحد، فكذلك جميع الأشياء مرجعها (مبدأها) الله (الذي هو: واحد).

(٣) ..إلا أن ما (في) وسطه. الدرّ: اللؤلؤ. طاف: عاثم على سطح الماء. - الليل بعبته يشبه البحر، مع فارق: اللؤلؤ الذي في البحر يكون غارقاً في قمره. أما الليل (السلم) فإن ما فيها من اللؤلؤ (النجوم) طاف (سايح) على سطحها.

(٤) في السلم نجوم كبيرة وصغيرة تملأ العيون (أي كثيرة). صافي (صاف) ٢٢

(٥) كثرت على صاحب: أثقلت عليه (بالبزاريات الكثيرة أو بالمطالب الكثيرة).

٩٩٤/١١/٧ ، في بيتٍ جاءٍ وثروةً وتَرَفٍ وسلطان. غيرَ أنه لَقِيَ عَنَتًا كبيراً من جرّاء الفِتنَةِ في الأندلس، ولأن أباه كان وزيراً للمنصور بن أبي عامر الحاجب (رئيس الوزراء) الذي كان قد حَجَرَ على الخليفة هشام المؤيّد واستبدَّ بالحكمِ دونه. فلما تُوُفِّيَ المنصورُ (٣٩٢ هـ = ١٠٠٢ م) ثم استطاعَ هشامُ المؤيّد أن يحكمَ بنفسه تتبّع رجالَ دولة المنصور فلحقَ آلُ حزم من ذلك نصيبٌ وافر تشبّثوا به في البلاد. ثم زال الحكم الرواني عن الأندلس وبُيعَ عليُّ بنُ حوِجٍ بالخلافة وتغلّب على قُرطبة فأتهمَ آلُ حزم بأنهم من أنصارِ الروانيين. ولقد أضاعَ آلُ حزم في أثناء ذلك كثيراً من أموالهم وقصورهم وكتبهم.

وبعد خرابِ قُرطبة في فتنَةِ البربر انتقل ابنُ حزم إلى شاطبة، وفيها ابتدأ تأليفَ كتابه «طَوْقُ الحَمَامَةِ». وكان في سَنَةِ ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م) يعيش فيها. وفي سَنَةِ ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م) كان موجوداً في جزيرة مَيُورَقَّة لاجئاً فيها. واتفق أن رَجَعَ الفقيه أبو الوليد الباجي من المشرق فناظره مناظرةً أضرَّت به. ولما كَثُرَتْ عليه دسائسُ الفقهاء بسببِ مذهبه الظاهري اعتكفَ في تربة بلده مُنْت لِيَسْمَ حيث تُوُفِّيَ في السابعِ والعشرين من شُعبانَ من سَنَةِ ٤٥٦ (١٠٦٤/٨/١٤ م).

٢- كان ابن حزم قديراً في التفسير حافظاً للحديث، وكان فقيهاً متكلماً وعالماً لغوياً ومؤرخاً بارعاً وأديباً بليغاً ومفكراً رصيناً، ولكن الشهرة بالأدب غلبت عليه. وكتبُ ابن حزم كثيرةً متنوعة، غيرَ أن كثيراً منها قد ضاع في النكبات، في الفتنِ في قُرطبة وفي غُصْبَةِ العامة عليه، تلك الغُصْبَةُ التي أدَّتْ مِراراً إلى إتلافِ كتبه بالحرق والتزريق. فمن كتبه:

الإحكام لأصول الأحكام - أسواق العرب - رسالة في الإمامة (الخلافة) - رسالة في أمّهات المؤمنين - التحقيق في نقد مذهب محمد بن زكريا الرازي - التريب لحدّ المنطق والمُدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية - جهرة الأمثال - جهرة أنساب العرب - حِجَّةُ الوَداع - الردّ على ابن النغيلة اليهودي - رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل - طَوْقُ الحَمَامَةِ في الألفَة والألأاف (يتناول أحوالَ العشاق وما يعترهم من الحبِّ والإذعان والسُّلُو والطاعة والهَجْر وما

تقتضيه حياتهم من السفير والمراسلة وما يُنصَح حياتهم كالواشي والرقيب وما يُنهجهم كالوصل) - رسالة في الفناء الملهي أمباح هو أم محظور؟ - الفصل في الملل والأهواء والنحل (عَرَض فيه للأديان القديمة ومذاهب قدماء الفلاسفة وآراء اليهود والنصارى ومذاهب أهل الإسلام والبحث في مذهب الظاهر ومهاجة خصومه؛ وفلسفة ابن حزم: كلها منطوية في هذا الكتاب) - رسالة في فضل الأندلس - المحلى (في فروع الفقه) - مراتب الإجماع - مراتب العلوم - المفاضلة بين الصحابة - فصل في معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها. - معرفة الناسخ والمنسوخ - النبذة الكافية في أصول أحكام الدين - نَقَطُ العُروس في تواريخ الخلفاء .

ابن حزم من أتباع المذهب الظاهري وإمام هذا المذهب في أيامه. وهو يقبل كل ما نص عليه القرآن أو ورد في الأحاديث الموثوقة على ظاهر معناه، إلا أن يكون هنالك ضرورة من عقل أو حِسّ تدعو إلى صَرْفِ المعنى عن ظاهره وإلى الأخذ بالتأويل. يقول ابن حزم في الملل والنحل: «بلى الآيات كلها حق على ظاهرها لا يحل صَرْفُها عنه (٣: ١٥٢)، وإنما نتبع ما جاءت به النصوص (٣: ١٦٢). والنص لا يحل خلافه (٤: ٨٥ س)، لأن الله تعالى ينص أحياناً نصاً لا يحتمل تأويلاً (٣: ١٤٤). وكذلك الأحاديث الموثوقة (٥: ١١٣).

وصَرْفُ الآيات والأحاديث عن ظاهرها لا يجوز إلا ببرهان (٣: ٢٠٧، ٥: ٧٧)، أو بنص من قرآن أو حديث أو إجماع مُتَيَقِّن أو بضرورة من حِسّ. وعندئذٍ تجب مخالفة الظاهر والعمل بالتأويل على مقتضى البلاغة العربية.

وابن حزم مفكر في الدرجة الأولى مما جمعه - حينما ينصرف إلى النتاج الأدبي: في النثر والشعر - أديباً من الطبقة الأولى أيضاً. فكتابه «طوق الحمامة»، وإن كان في ظاهره أدباً خفيفاً يصف مظاهر الحياة الإنسانية في الألفه والألاف (في الحب والمحبين)، فإنه في حقيقته نظرة ناقبة في أعماق النفس الإنسانية والحياة الاجتماعية. وشعره متين جزل يغلُب فيه المعنى على اللفظ، ولكنه يبقى شعراً وجدانياً بعيد الأثر في النفس والفكر معاً.

- لابن حزم الأندلسي مقطعات شعرية منها حينما نكبت وأحرقت كتبه:

* لَا يَسْتَمَنَّ حَاسِدِي إِنْ نَكَبْتُ عَرْضَتَ
ذُو الْفَضْلِ كَالْتَبَرِ يُلْفَى تَحْتَ مَتَرِيَّةٍ
* سَيَكُونُ الَّذِي قُضِيَ،
فَدَعِ الْهَمَّ، يَا فَنِي،
* وَذِي عَذْلٍ فَيَمُنْ سِبَابِي حُسْنُهُ
أَفِي حُسْنٍ وَجْهَ لَاحٍ، لَمْ تَرَ غَيْرَهُ
فَقُلْتُ لَهُ: أَسْرَفْتُ فِي اللُّومِ ظُلُمًا،
أَلَمْ تَرَ أَنِّي ظَاهِرِي وَأُنْسِي
* إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا غَيْبًا فَلَا تَكُنْ
دَعْوَنِي مَنْ إِحْرَاقَ رَقٍّ وَكَاغِدٍ
فَإِنْ تُحْرِقُوا الْقِرَاطُسَ لَا تَحْرِقُوا الَّذِي
* أَنَا الشَّمْسُ فِي جَوْ الْعُلُومِ مَنِيرَةٌ
وَلَوْ أَنَّنِي مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ طَالَعِ

فالدهر ليس على حال بِمَرَكٍ^(١).
طوراً، وطوراً يُرَى تَاجاً عَلَى مَلِكٍ^(٢).
سَخِطَ الْعَبْدُ أَمْ رَضِيَ.
كُلُّ هُمْ سَيَنْقُضِي.
يُطِيلُ مَلَامِي فِي الْهَوَى وَيَقُولُ^(٣):
وَلَمْ تَدْرِ كَيْفَ الْجَهْمُ، أَنْتَ قَتِيلٌ؟^(٤)
وَعِنْدِي رَدٌّ، لَوْ أَرَدْتَ طَوِيلٌ^(٥).
عَلَى مَا بَدَأَ حَتَّى يَقُومَ دَلِيلٌ^(٦).
عَلَى حَالَةٍ إِلَّا رَضِيَتْ بِدُونِهَا^(٧).
وَقُولُوا بِعِلْمِي كَيْ يَرَى النَّاسُ مَنْ يَدْرِي^(٨).
تَضَمَّنَهُ الْقِرَاطُسُ، بَلْ هُوَ فِي صَدْرِي.
وَلَكِنْ عَيْبِي أَنْ مَطْلَبِي الْغُرْبُ^(٩).
لَجَدْتُ لِي مَا ضَاعَ مِنْ ذِكْرِي النَّهْبُ^(١٠).

- (١)... الدهر لا يترك أحداً على حال واحدة (بل ينقله من سعد إلى نحس ومن نحس إلى سعد).
- (٢) ألفي: وجد. مترية (المقصود: تراب تحت مترية: مدفون).
- (٣) عذل: لوم: سباني: أسرفي.
- (٤) أنت لم تر من هذا الشخص سوى وجهه، فلا تعرف ما حال أقسام جسمه الباقية....
- (٥) أسرف: جاوز الحد.
- (٦) أنا أثبت على الأخذ بظاهر الأمور، ولا أميل عن الظاهر (لا أتركه) حتى يقوم عندي دليل على خلالة.
- (٧) أنت تكون غيباً إذا أنت اعتقدت أنك محتاج إلى أقل مما تملك (والإنسان لا يحتاج فعلاً، إلى كل ما يطمع أن يجمعه).
- (٨) الرق (من المجلد) والكاغد (فارسية: من الورق).. لا تذكروا حادثة إحراق كتي (ولا عدد كتي قبل إحراقها) ولكن اذكروا معارفي التي أجمعها في صدري (راجع البيت التالي) فتعرفو حينئذ الذي هو عالم (من العلوم التي ينصها من صدوه) ومن ليس عالماً (يقرأ على الناس من الكتب).
- (٩) عيبي (عند الناس) أنني من الأندلس.
- (١٠) - لو كنت من أهل الشرق (ثم أحرق كتي) لانتع ذكري في الأندلس نفسها (لأن الناس هنا لا يحبون ابن بلدهم ويكرمون الذي يأتي إليهم من الشرق).

ولي نحوَ أفاقِ المِراقِ صَبابةٍ .
ولكنَّ لي في يوسفَ خيرَ أسوةٍ ؛
يقول مقالُ الحقِّ والصدقِ إنني

ولاغرو أن يستوحشَ الكلفُ الصبَّ^(١) .
وليس على من بالنبيِّ أتسى ذنبُ^(٢) .
حفيظٌ عليّ، ما على صادقٍ عتبُ^(٣) .

- ومن مقطعاته في غير ذلك :

* كَذَبَ المدَّعي هوى آتسني حتّا ،
ليس في القلبِ موضعُ لحبيبينِ ،
فكما العقلِ واحدٍ ، ليس يهوى
هو في شِرةِ المودّةِ ذو شكٍّ (م)
وكذا الدينِ واحدٌ مستقيمٌ ؛

مثلَ ما في الأصولِ كُذِّبَ ماني^(٤) -
ولا أُخِذتِ الأمورُ بشانِي^(٥) ،
غيرَ فردٍ مُباعِدٍ أو مُدانِ -
(م) بعيْدٌ من صِحَّةِ الإيمانِ
وكفورٍ من عَقْدِهِ دينانِ .

* يَعبونها عندي بشُفرةِ شِعْرها ،
يعييون لَوْنَ النورِ والتَّبرِ ، ضِلَّةٌ
وهل عاب لونَ التَّرجِسِ الغضِّ عائبٌ
وأبعدُ خلقي الله من كلِّ حِكْمَةٍ
به وَصِفْتُ ألوانُ أهلِ جَهَنَّمَ
ومنذَ لاحتِ الراياتُ سوداً تَبَقَّتْ

فقلتُ لهم: « هذا الذي زانها عندي » .
لرأيِ جهولٍ في القَوَايةِ ممتدٍّ !
ولونَ النجومِ الزاهراتِ على البعدِ ؟
مُفضَّلُ جِرمٍ فاحمٍ اللونِ مُنَوَّدٌ .
ولبسةِ بالكِ مُشْكَلِ الأهلِ عتدٌ .
نفوسُ الوري أن لا سبيلَ إلى الرشدِ^(٦)

(١) صابة : محبة . - وليس من الغريب أن يجد الإنسان وحشة (إذا كان كلفاً صبّاً : شديد التملّق والحبّ لمكان ما أن يبيل إلى ذلك المكان).

(٢) يوسف الصديق (اس يعقوب) . أسوة : قدوة . اتسّى : اقتدى ، تلى (عن مصيبتيه) . - يوسف كان يكرهه اخوته فأرادوا قتله ثم قرروا أن يلغوه في حفرة إلى جانب الطريق في أثناء سفرهم إلى مصر .

(٣) قال يوسف لفرعون: « اجعلني على خزان الأرض » ، إنّي حفيظٌ عليّ » (١٢ : ٥٥ ، سورة يوسف) وأنا أقول مثل قوله؟؟ .

(٤) ماني : صاحب مذهب الفرس والقائل بالثنوية بوجود إلهين للعالم : إله الخير أو النور وإله الشر أو الظلمة . الأصول : قواعد المنطق الأساسية (أو أصول الدين) .

(٥) لعلّه يشير إلى العقل الفاضل (عند الإسكندرانيين) عن الله . فإن الله (الأوّل ، الواحد) عندهم لا يباشر الخلق . ولكن من « الثاني » (العقل الفاضل من الأوّل تحدث سائر الفيوضات وتتنوع الموجودات) .

(٦) منذ لاحت الرايات سوداً : منذ قيام الدولة العباسية (١) لأنّ لونها اختار كان السواد مخالفة لوني أمية الذين كان شعارهم البيضاء . وكان آل حزم من أنصار الأمويين .

وقد رأى الشيب في القودين والعُدُر^(١)،
عُمرًا سواه بحكم العقل والنظر.
أخبرتني أشنع الأنباء والخبر^(٢)،
قُبَلْتُها قُبَلَةً يوماً على خطر،
تلك السُّوَيْعة بالتحقيق من عُمري!
وأعْطَيْتُ عَيْنِي عِنانَ الفَرَسِ^(٣)،
وربما جاد لي في الخُلَسِ^(٤)،
فزاد ألبلاً بقلبي اليبس^(٥)،
يبس رَمَى فيه رامٍ قبس^(٦)،
وأدخلت فيه ثم أُلْطِقَ في صدري،
إلى مُنْقَضَى يومِ القيامة والعشر:
سكنتِ شِغافَ القلبِ في ظُلمِ القبر.
وبورك مَنْ فيها وحلَّ بها السعدُ:
وأموأها شَهد وتُربتها ند^(٧)،
نَمُرُّ سريماً مثلَ لَمعةٍ بارق.
وأُسْرِعَ في سَوقي إلى الموتِ ساقِي^(٨)

* وسائل لي عَمَّا لي من العُسر،
أجبتُه: «ساعة؛ لا شيء أخْبِه»
فقال لي: «كيف ذا؟ بيْنَه لي، فَلَقَدْ
فعلتُ: «إِنَّ التي قلبي بها عَلِقُ
فما أَعُدُّ، ولو طالَتِ سِنِي، سوى
* جَرَى الحُبُّ مِنِّي مجرى النَّفْسِ
ولي سَبْدٌ لم يزل نافرأ،
فقبَلتُه طالباً راحةً
وكان فَوادي كَتَبَتِ هَشِيم
* وَدِدْتُ بَأَن القلبَ شَقُّ بُذِيَّة
فأصبحت فيه لا تَحِلِّينَ غيرَه
تعيِّن فيه ما حَيَّيتُ، فَإِنْ أُمْتُ
* لقد بُورَكْتَ أرضٌ بها أَنْتَ قاطِنٌ،
فأحجارُها دُرٌّ وسعدانُها وَرْدٌ
* فَأَيَّامَ عُمُرِ المرءِ مُتَعَةً سَاعِي
وقد آذَنْتُ نَفْسِي بتَقْوِيضِ رَحْلِها

(١) القود: الشعر السائل من جانب الرأس. العذر (بضمّين) جمع عذار (بالكسر): الشعر النابت على صفحة الخد.

(٢) الخبر (مفرد): ما ينقل من أحوال الناس. وكان حقّ الكلمة أن تكون جمعاً لأنها هنا مطبوعة على جمع ولأنّ الأوضح أن يضاف اسم التفضيل إلى جمع لا إلى مفرد، نقول: أحسن الأشياء (لإمكان الفاصلة بين أشياء متعدّدة) ولا نقول: أحسن شيء (وإن كان المؤلّدون قد فعلوا ذلك فقال المتنبي مثلاً: «وخير جليس في الزمان كتاب»)

(٣) أعطيت عيني عِنان (رسن) الفرس: أطلقت نفسي تفعل ما تريد (بالنظر بالعَيْنين فقط).

(٤) في الخُلَس (بفتح فسكون) انتهاز الأمر. والخُلَسَة (بالضم): النَهْزَة والفرصة (بالضّم فيها).

(٥) الألبيل: الاضطراب، الحرارة. اليبس (ربما بفتح وكسر: اليابس): الذي نسي الحب وفارقه الشباب - لعلَّ ابن حزم قصد بالألبيل «الاحتراق» (راجع البيت التالي).

(٦) هشيم: يابس. قبس: شيء مشتمل.

(٧) دُرٌّ: لؤلؤ. السعدان: نبت تأكله الإبل وتسمن من أكله. شهد: ندى. نيات طيّب الرائحة.

(٨) آذن: اقترَب. بتقويض رحلها (بيتها) للرحيل عن الدنيا.

وإِنِّي وَأَوَّلْتُ أَوَسِرْتُ هَارِباً مِنَ الْمَوْتِ فِي الْآفَاقِ، فَاَلْمَوْتُ لَاحِقِي ^(١).

من مقدمة « طوق الحمامة »:

... وَكَلَّفَتْنِي - أَعَزَّكَ اللَّهُ - أَنْ أَصْنِفَ لَكَ رِسَالَةً فِي صِفَةِ الْحُبِّ وَمَعَانِيهِ وَأَسْبَابِهِ وَأَعْرَاضِهِ ^(٢) وَمَا يَقَعُ فِيهِ وَلَهُ عَلَى سَبِيلِ الْحَقِيقَةِ لَا مُتَزَيِّداً وَلَا مُقْتَنِّناً ^(٣)، لَكِنْ مُورِداً لِمَا يَحْضُرُنِي عَلَى وَجْهِهِ وَيَحْسِبُ وَقُوعَهُ حَيْثُ انْتَهَى حِفْظِي وَسَمْعُ بَاعِي فِيهَا أَذْكَرُهُ. فَهَدَرْتُ إِلَى مَرْغُوبِكَ. وَلَوْلَا الْإِجْبَابُ لَكَ لِمَا تَكَلَّفْتُهُ. فَهَذَا مِنَ الْفَقْرِ. وَالْأَوَّلَى بِنَا مَعَ قِصَرِ أَغَارِنَا أَلَّا نَصْرِفَهَا إِلَّا فِيهَا نَرْجُو بِهِ رَحْبَ الْمُنْقَلَبِ وَحُسْنَ الْمَالِ غَدَاً. وَإِنْ (جَاءَ فِي الْحَدِيثِ): أَجِصُوا النُّفُوسَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَاطِلِ لِيَكُونَ عَوْناً لَهَا عَلَى الْحَقِّ... وَالَّذِي كَلَّفْتَنِي فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ ذِكْرِ مَا شَاهَدْتُهُ حَضَرْتَنِي وَأَذْرَكَتُهُ عِنَابِي وَحَدَّثَنِي بِهِ الثَّقَاتُ. فَاعْتَفِرْ لِي الْكِينَاةَ عَنِ الْأَسْمَاءِ، فَبَيَّ إِذَا عَوْرَةٌ لَا نَسْتَجِيزُ كَشْفَهَا، وَإِذَا نَحَافَظُ فِي ذَلِكَ صَدِيقاً وَدُوداً وَرَجُلًا جَلِيلًا. وَبِحَسْبِي أَنْ أُسَمِّيَ مِنْ لَا ضَرَرَ فِي تَسْمِيَّتِهِ وَلَا يُلْحَقُنَا عَيْبٌ فِي ذِكْرِهِ: إِذَا لَا شَهَارٍ لَا يُغْنِي عَنْهُ الطُّيُورُ وَتَرَكَ التَّبَيُّنَ، وَإِذَا لِرِضَا مِنَ الْمُخْبِرِ عَنْهُ بظهور خبره وقلة إنكار منه لنقله.

وسأورد في رسالتي هذه أشعاراً قلْتُهَا فِيهَا شَاهَدْتُهَا فَلَا تُنْكِرُ أَنْتَ وَمَنْ رَأَاهَا عَلَيَّ أَنِّي سَالِكٌ فِيهَا مَسَلِّكَ حَاكِي الْحَدِيثِ عَنْ نَفْسِهِ. فَهَذَا مَذْهَبُ الْمُتَحَلِّينَ بِقَوْلِ الشُّعْر... وَقَسَمْتُ رِسَالَتِي هَذِهِ عَلَى ثَلَاثِينَ بَاباً مِنْهَا فِي أُصُولِ الْحُبِّ عَشْرَةٌ. فَأَوَّلُهَا هَذَا الْبَابُ فِي عَلَامَاتِ الْحُبِّ ثُمَّ بَابُ ذِكْرِ مَنْ أَحَبَّ فِي النَّوْمِ... ثُمَّ بَابُ الْإِشَارَةِ بِالْعَيْنِ ثُمَّ بَابُ الْمِرَاسَلَةِ ثُمَّ بَابُ السَّفِيرِ. وَمِنْهَا فِي أَعْرَاضِ الْحُبِّ وَصِفَاتِهِ الْمَحْمُودَةِ وَالْمَذْمُومَةِ اثْنَا عَشَرَ بَاباً... وَهِيَ بَابُ الصَّدِيقِ الْمُسَاعِدِ ثُمَّ بَابُ الْوَصْلِ ثُمَّ بَابُ كَشْفِ السَّرِّ... ثُمَّ بَابُ الْقَدْرِ ثُمَّ بَابُ الضَّنَى ثُمَّ بَابُ الْمَوْتِ. وَمِنْهَا فِي الْآفَاتِ الدَّاخِلَةِ عَلَى الْحُبِّ، سِتَّةُ أَبْوَابٍ وَهِيَ بَابُ الْعَاذِلِ ثُمَّ بَابُ الرَّقِيبِ ثُمَّ بَابُ الْوَاشِي ثُمَّ بَابُ الْمَجْرُ... وَمِنْهَا بَابَانِ خَتَمْنَا بِهِمَا

(١) أوغلت في الآفاق (أطراف الدنيا) ابتعدت (هرباً من الموت).

(٢) العرض (يفتح ففتح) وجمعه أعراض: العلامات التي تظهر على المرض.

(٣) وفي رواية: مفتناً (بتشديد النون) أي متصرفاً في تنويع الأمور وسياقتها على وجه غريب.

الرسالة وهما بابُ الكلام في قُبْحِ الْمَعْصِيَةِ وبابُ فضلِ التَّعَفُّفِ ليكونَ خاتمةَ إيرادنا وآخرَ كلامنا الحُضُّ على طاعةِ الله عزَّ وجلَّ والأمرُ بالمعروفِ والنَّهي عنِ المنكرِ ...

- ٤ - الإحكام في أصول الأحكام، مصر (مطبعة السعادة)، ١٣٤٥ هـ؛ القاهرة (مطبعة الإمام) بلا تاريخ.
- الحلي (عنيت بنشره إدارة الطباعة المنيرية) مصر (مطبعة النهضة) ١٣٤٧ - ١٣٥٢ هـ؛ (تصحیح محمد خليل هراس) القاهرة (مطبعة الإمام) بلا تاريخ.
- الفصل (الفصل ٢) في الملل والأهواء والنحل، مصر (المطبعة الأدبية) ١٣١٧ - ١٣٢١ هـ؛ القاهرة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م)؛ (نسخة بالتصوير)، بيروت (مكتبة خياط).
- طوق الحمامة في الألفة والألاف (بتروف)، ليدن (بريل) ١٩١٤ م؛ وباعتناء (ليون برشيه) الجزائر (كاربونيل) ١٩٤٩ م؛ دمشق (مكتبة عرفة) ١٣٤٩ هـ؛ (تحقيق حسن كامل الصيرفي)، القاهرة ١٩٥٠، مصر (المكتبة التجارية الكبرى) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م؛ بيروت (دار الحياة) بلا تاريخ؛ (تحقيق نصر فريد محمد واصل، عبد العزيز محمد عزام، محمد فهمي السرجاني)، القاهرة (المكتبة التوفيقية) ١٩٧٦ م.
- الناسخ والنسخ (بهاش تنوير المقياس من تفسير ابن عباس للفيروز أبادي)، القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣١٦ هـ.
- رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل (هذه الرسالة تُلَفِّي مطبوعة بمناوين مختلفة) الإسكندرية بلا تاريخ؛ (نشره أحمد عمر الممصاني)، القاهرة (مطبعة السعادة)، بلا تاريخ؛ ١٣٢٥ هـ؛ القاهرة (مطبعة النيل) ١٣٢٣ هـ؛ (بمناية محمد هاشم الكنتي)، دمشق ١٣٢٤ هـ؛ القاهرة (المطبعة الجمالية) ١٣٣١ هـ = ١٩١٣ م؛ (اللجنة الدولية لترجمة الروائع)، بيروت ١٩٦١ م؛ بيروت (دار الآفاق الجديدة) ١٩٧٨ م؛ (اختصره محمد آدم)، القاهرة ١٩١١ م.
- جهرة أنساب العرب (نشره... أ. ليفي بروغنسال)، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٨ م؛ (تحقيق عبد السلام محمد هارون)، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٢ م.
- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات (مطبوع مع دحمان الإسلام... لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن البخاري) القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٧ هـ.
- ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل (تحرير سعيد الأفغاني) دمشق (مطبعة جامعة دمشق) ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م.
- أسواق العرب، باريس ١٩٣٥ م.

- رسائل ابن حزم (حقها إحسان عباس)، مصر (مكتبة الخانجي) وبغداد (مكتبة المتن) بلا تاريخ.
- جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى (تحقيق إحسان عباس وناصر الأسد)، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٤ م (٤).
- التقريب لحد النطق والمدخل إليه بالألفاظ العامة والأمثلة الفقهية، (تحقيق إحسان عباس)، بيروت (دار مكتبة الحياة) ١٩٥٩ م.
- ججة الوداع (حققه... ممدوح حتي)، دمشق (دار البيضة العربية) ١٩٥٠ م (٩)، الطبعة الثانية، بيروت (دار البيضة العربية) ١٩٦٠ م.
- الرد على ابن النفريلة^(١) اليهودي ورسائل أخرى (تحرير إحسان عباس)، القاهرة (مكتبة دار العروبة) ١٩٦٠ م.
- مسائل أصول الفقه (نشره محمد بن إسماعيل بن الأمير الصنعاني وجمال الدين القاسمي)، (مطبوع في مجموع الرسائل في التفسير وأصول الفقه)، دمشق (مطبعة الفيحاء) ١٣٣١ هـ.
- كتاب نقط العروس في تواريخ الخلفاء بالأندلس، القاهرة ١٩٥١ م.
- فضائل أهل الأندلس لابن حزم ولابن سعيد وللقندي (نشرها صلاح الدين المنجد)، بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٩٦٨ م.
- ★ ترجمة ابن حزم الأندلسي (من سير النبلاء للذهبي - تحقيق سعيد الأفغاني)، دمشق (مطبعة الترمي) ١٩٤١ م.
- كلمات في الأخلاق أو مداواة النفوس لابن حزم وقاسم أمين... القاهرة ١٩١٣ م.
- نظرات في اللغة عند ابن حزم، تأليف سعيد الأفغاني، دمشق (مطبعة جامعة دمشق).
- معجم فقه ابن حزم الظاهري للجنة موسوعة الفقه الإسلامي، دمشق (مطبعة جامعة دمشق) ١٩٦٦ م.
- ابن حزم: حياته وعصره وآراؤه الفقهية، تأليف محمد أبي زهرة، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٥٤ م.
- ابن حزم الأندلسي، تأليف عبد الكريم خليفة، بيروت (دار العربية للطباعة والتوزيع والنشر) - عمان (مكتبة الأقصى) ١٩٦٣ م.
- ابن حزم الموسوعي، تأليف زكريا إبراهيم، القاهرة (الدار المصرية للتأليف والترجمة) ١٩٦٦ م (أعلام العرب ٥٦).
- ابن حزم، تأليف فاروق سعد، بيروت (دار الحياة) ١٩٧٢ م ٢.

(١) راجع تحقيق صورة هذا الاسم في «ابن حزم الكبير» للمؤلف.

- ابن حزم: صورة أندلسية، تأليف طه الحاجري، القاهرة (دار الفكر العربي) بلا تاريخ.
- ابن حزم رائد الفكر العلمي، تأليف عبد اللطيف شرارة، بيروت (المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع) بلا تاريخ.
- ابن حزم الكبير، تأليف عمر فروخ، بيروت (دار لبنان) ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م.
- * * الصلة ٣٩٥-٣٩٦؛ الذخيرة ١: ١٦٧-١٨٠؛ جذوة المقتبس ٢٩٠-٢٩٤ (الدار المصرية) ٣٠٨-٣١١ (رقم ٧٠٨)؛ بغية الملتبس ٤٠٣-٤٠٥ (رقم ١٢٠٤)؛ مطمح الأنفس ٥٥-٥٦؛ معجم الأدباء ١٢: ٢٣٥-٢٥٧؛ وفيات الأعيان ٣: ٣٢٥-٣٣٠؛ المغرب ١: ٣٥٤-٣٥٧؛ المعجب ٣٢-٣٥؛ بغية الوعاة ٤٠٢-٤٠٥؛ شذرات الذهب ٢: ٢٩٩-٣٠٠؛ نفع الطيب ٢: ٧٧-٨٤، ٣: ١٥٨-١٨٦، ٥٥٥-٥٥٦؛ نيكل ٧٣-١٠٣، مختارات نيكل ٤٨-٥٩؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٩٠-٧٩٩؛ بروكلمن ١: ٥٠٥-٥٠٦، الملحق ١: ٦٠٢-٦٠٧؛ بالنشأ ٧٤-٧٧، ٢١٣-٢٣٨؛ الأعلام للزركلي ٥: ٥٩ (٤: ٣٥٤-٣٥٥)؛ الذكرى الثوية التاسعة لوفاة ابن حزم (مجلة العربي - الكويت: آب - أغسطس ١٩٦٣؛ ص ٢٠ وما بعد).

المرابطون في المغرب

بعد سُقوطِ الحِلَافَةِ الأُمويَّةِ في الأندلس انتقلتِ القُوَّةُ السياسيَّةُ مِنَ الأندلسِ إِلَى المَغْرِبِ، وَمِنَ العَرَبِ إِلَى البربر.

في مَطْلَعِ القرنِ الخامسِ للهجرةِ (الحادي عَشَرَ للميلاد) كانت قبيلةُ صِنْهاجَةَ في المغربِ الأقصى وَفيرةَ العددِ قُوَّةً الشكيمةَ، وَقَدْ اجتمعتْ حَوْلَ الأميرِ عبدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ تيفاوتِ المعروفِ بِاسمِ تاسَرَتِ اللَّمْتُوِيِّ . واستشهدَ الأميرُ عبدُ اللهِ في بعضِ غَزَوَاتِهِ فقامَ بِأمرِ صِنْهاجَةَ يحيى بنِ إبراهيمَ الكَدَّالِي. زارَ يحيى الكَدَّالِي في مَدِينَةِ القيروانِ الشيخَ أبا عمرانَ الفاسيَ وسأله أن يَبْعَثَ مَعَهُ رَجُلًا يَعْلَمُ صِنْهاجَةَ أُمُورَ الدينِ. فَدَلَّهُ أبو عمرانَ عَلَى رَجُلٍ من قبيلةٍ مَضْمُودَةٍ من بِلَدَةِ نَفيسَ في السوسِ (سِلْسِلَةِ جِبَالِ الأطلسِ) الأقصى اسْمُهُ واجاجُ اللَّمْتُي. وكانَ واجاجُ قد أَخَذَ العِلْمَ عن أبي عمرانَ الفاسيَ ثُمَّ عادَ إِلَى بِلَدِهِ وَبَنى فيها داراً لِلْعِلْمِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ سَمَّاها دارَ المُرابطِينَ. وأرسلَ واجاجُ إِلَى قبيلةِ صِنْهاجَةَ رَجُلًا من أَتباعِهِ اسْمُهُ عبدُ اللهِ بنُ

ياسين الجزولي، وذلك سنة ٤٣٠ هـ (١٠٣٩ م).

اجتمع حول عبد الله بن ياسين، في مدى أربع سنوات، بضعة آلاف نفر ساهم المرابطون. غير أنه أدرك أن الدعوة الصالحة وحدها لا تنفع، فبدأ بغزو القبائل التي لم تدخل في حركته فانتشرت عندئذ حركة المرابطين بين البربر.

وتقلّب على صنهاجة نفر من القادة حتى جاء يوسف بن تاشفين فتابع غزو القبائل وإخضاعها ثم استبدّ بأمر المرابطين وبنى مدينة مراكش (٤٥٤ هـ = ١٠٦٢ م) فدان له معظم المغرب.

كانت عناية المرابطين منصرفة إلى الفقه، وإلى الفقه على المنهج السلفي - لا ميل فيه إلى الرأي أو الجدال ولا خروجاً منه إلى علم الكلام أو إلى التصوف - حتى أن نسخاً من عدد من كتب الإمام الغزالي قد جرى إخراجها في مراكش في أيام علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) لأنها كانت ممزوجة بعلم الكلام وبالتصوف.

وبدأت منذ عهد المرابطين نهضة فكرية وعلمية (في الفلسفة والطب خاصة) ولكن لم تفتح إلا في عهد الموحدين التالي. فالحركات الثقافية تحتاج إلى زمن تنضج فيه وإلى حضارة سابقة. ونحن نعرف أن الأدب لم يلق تشجيعاً في دولة المرابطين كذلك التشجيع الذي كان يلقاه في بلاطات ملوك الطوائف، ذلك لأن المرابطين كانوا في سبيل إنشاء دولة ينعُد نظرها إلى جمع شتات بقاع الإسلام في القارة الإفريقية وفي القارة الأوروبية. وإذا نحن عدّنا نفراً من الحكام الذين عظمت آثارهم واتسعت شهرتهم مثل إدريس الأنوري (١٨٨ - ٢١٣ هـ) وأقلج بن عبد الوهاب (١٩٠ - ٢٤٠ هـ) وزيادة الله بن الأغلب (٢٠١ - ٢٢٣ هـ) والمعز الفاطمي (٣١٩ - ٣٦٥ هـ) والمعز بن باديس (٤٠٦ - ٤٥٣ هـ) ويوسف بن تاشفين (٤٥٣ - ٥٠٠ هـ) والناصر الحمادي (٤٥٤ - ٤٨١ هـ) لم نجد فيهم مثلاً يوسف بن تاشفين في اتساع الأفق والأثر السياسي الجامع والخدمة التي أدّيت للإسلام.

لما نجحت دولة المرابطين في المغرب، سنة ٤٤٨ (١٠٥٦ م) كانت الدولة الحمادية في المغرب الأوسط (الجزائر) واسعة الرقعة. وانتهر بلقين بن محمد الحمادي الفرصة

في الدولة التي لم تَقوَ بعدُ وغزا فاس، سَنَة ٤٥٤ وأخرج منها يوسف بن تاشفين. ولكن بُلُقَيْن كان شديد الوطأة على جيرانه كثير القسوة على رعاياه فعظم الحقدُ العامُ عليه فقتل غيلةً في تلك السَنَة نفسها.

وبعد بُلُقَيْن جاء الناصر بن علناس قاتل بُلُقَيْن ولم يكن أقل منه قسوة: قضى على آل رومان حكام بَسْكَرَة وغزا تونس ولكنه هُزِمَ في معركة سببة، قُرب القَيروان، سَنَة ١٤٥٨. ثم كَثُرَ الاضطرابُ عليه وثارَت قبائل بني هلالٍ وسواها من جديد، وانساحوا فيما حول القلعة وقُسْطِينَة، فأنشأ الناصر، مكان ضيعة صغيرة اسمها «بجاية»، عاصمةً جديدةً له وانتقل إليها، سَنَة ٤٦١ (١٠٦٩ م)، وسماها الناصرية.

ولم يخف الاضطرابُ في المغرب الأوسط فاستطاع يوسف بن تاشفين أن يستولي على الجانب الأكبر منه (٤٧٢ - ٤٧٥ هـ)، ولكن الدولة الحمادية ظلت قائمة في جانب صغير من ملكها الأول وهي تضعف شيئاً فشيئاً بالنزاع الداخلي، برغم أن المنصور بن الناصر استطاع أن يهزم المرابطين، سَنَة ٤٩٦ (١١٠٣ م) ويخرجهم من تِلِمْسَان.

ازدهر المغرب الأوسط في عهد الدولة الحمادية فكثرت المدارس وارتقت العلوم والفنون وقصد الناس حواضر الجزائر يفترقون منها ما شاءوا من وجوه الحضارة والثقافة، وعظم العمران واتسعت الصناعات فكثرت معامل النسيج والزراعي (السجاد) والزلاّج أو الزليج (البلاط المزخرف: القيشاني) والزجاج. وصناعة الشمع يرجع الفضل فيها إلى بجاية عاصمة الحماديين الجديدة ففيها تعلم الأوروبيون هذه الصناعة، ولذلك تسمى «الشمعة» في اللغة الفرنسية والإيطالية والإسبانية بكلمة مشتقة من اسم «بجاية»: BUJIA, BUGIA, BOUGIE (بوجي، بوجيا). بوخيا) على التوالي.

وفي تونس كانت الدولة الصنهاجية في منتصف عمرها الزماني تماماً (٣٦٢ - ٥٤٣ هـ)، ولكن في أواخر عمرها السياسي، إذ لم يكن قد بقي في سلطانها، أيام تميم بن المعز (٤٥٣ - ٥٠١ هـ) سوى سيف (شريط ضيق على الساحل) بين سوسة وقابس. أما ما بقي من البلاد فقد تقاسمه الأمراء الصغار

وشيوخ القبائل. وفي سنة ٤٨٠ (١٠٨٧ م) استولى الجنويون (الإيطاليون) على المهديّة، ثم نزل النُمران في جزيرة صقلية، سنة ٤٨٤.

وامتلاً النصف الثاني من حياة الدولة الصنهاجية في تونس بالاضطراب الداخلي، كما كثر الغزو إليها من شواطئ إيطالية وصقلية ثم كثر الغزو منها إلى تلك الشواطئ. ولكن أمرها كان إلى الزوال.

ولم تصل سلطة المرابطين، في هذه الحقة، إلى ليبيا - وحياة ليبيا السياسية يومذاك كانت تدور في مدينة طرابلس. وكان آل خزرون لا يزالون يتولون الحكم فيها.

ولكن في مطلع هذه الحقة ساقطت المقادير من مصر إلى طرابلس رجلاً تركياً مُغامراً اسمه شاه ملك (اسماني بمعنى واحد). واتفق أن أهل طرابلس كانوا مُستائنين من وإليهم خليفة بن خزرون فاستنجدوا بشاه ملك. واستطاع الطرابلسيون بمساعدة شاه ملك أن يطردوا خليفة من المدينة وقبلوا أن يتولّى الحكم فيها شاه ملك. غير أن شاه ملك أساء السيرة في الناس كثيراً وقد اتفق في ذلك الحين أن سارتميم بن المعز أمير إفريقية (تونس) إلى طرابلس فحاصرها واستولى عليها ثم حمل شاه ملك وأشياعه أسرى إلى المهديّة. وبعد شاه ملك تولّى طرابلس محمد بن خزرون بن خليفة ابن ورو فقرّب إليه شيوخ بني مطروح لما كان لهم من المكانة في طرابلس.

ولكن سرعان ما وقعت الوحشة بين محمد بن خزرون وآل مطروح فألب آل مطروح عليه القبائل وأخرجوه من المدينة، ولكن لم يستطيعوا أن يضبطوا أمرها فبقي حكمها متنازعا بين الطامعين الأقوياء مدة طويلة.

وأعظم ما اضطرب المغرب به في القرن الخامس كان النزاع في المذهب الفاطمي^(١) بين أنصاره وخصومه. إن الدولة الفاطمية في المغرب وفي المشرق (في مصر والشام) - ولم ينتقل المذهب الفاطمي إلى الأندلس - سكت مسلكتها ليس فيه من الإسلام شيء. وكذلك سلك خصومها معها مسلكتاً لا هودة فيه. وإذا كان صلاح

(١) راجع، فوق، ص ١٦٩.

الدين الأيوبي قد قضى، فبما بعد، على الدولة الفاطمية في مِصرَ من غير أن يُريقَ دماً، فإنَّ الدمَ في المغرب قد سال على جانبَي هذا النزاع أنهاراً. ولقد أطنَبَ المؤرِّخون في وصفِ هذا الصدام بين أشياع الفاطميين وخصومهم. وأجِبُ أن أوردَ هنا عدداً من الجُمَل من مَرَجِعٍ حديثٍ ليكونَ ما أوردُهُ نموذجاً لِمَا أَرَدْتُ بَيَانَهُ، لا مَتَكاً للتبَسُّط فيه والإثارة به.

قال طاهرُ أحمدَ الزواوي (أعلام ليبيا ٢١٦ - ٢١٧) عن سياسة الفاطميين في طرابلس (المغرب):

«... انتشرت بِدَعُهُمْ ومنعوا صلاةَ التراويح^(١) وصلاةَ الضُحَى^(٢).... وكان أبو الحسن عليُّ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ المنَمَّرِ أولَ من ألقى ببُطلانِ مذهبهم ونَبَذَ تقاليدَهُمُ الباطلةَ وبَدَعَهُمُ المُضَلَّلةَ.. وَهُوَ أولُ من..... أمرَ الناسَ بصلاةِ رَكْعَتَيِ الضُحَى، وكان العبيديون يقتلونَ من صَلاَهَا. وأمرَ بصلاةِ التراويحِ في رَمَضانَ وصَلاَهَا بالناسِ في طرابُلسَ. وأعادَ ما كان (العبيديون قد) أبطلوه من معالمِ دينِ الله وسُنَّةِ رسوله.»

أبو الحسنِ المنَمَّرُ الطرابلسيُّ أديبٌ مُحِيزٌ وفقيهٌ مُجَدِّدٌ وُلِدَ سَنَةَ ٣٤٨ (٩٥٩ م) وتُوفِّيَ سَنَةَ ٤٣٢ (١٠٤٠ م)، وهو من أقدم رجالِ الفِقهِ والرأيِ في طرابلس. وقد قال فيه عليُّ المِصْرَاقِيُّ (أعلام من طرابلس ٣٤): «لولا ابنُ المنَمَّرِ لاندَثَرَ مذهبُ مالكٍ في طرابلس.»

لا شكَّ في أن للمؤرِّخين مغالطَ - كما يقولُ ابنُ خَلْدُونٍ - وفي أن نفراً كثيرينَ منهم يُبالغون أحياناً كثيرةً. ولكنَّ العبيديين (الفاطميين) مالأوا الصليبيين على المسلمين وأَتَوْا بِبِدَعٍ كثيرة. ومَّا لا يَتَّفَقُ في المنطق أن يُقَتَلَ مُسْلِمٌ يُصَلِّي صلاةَ الضُحَى - وهي رَكْعَتانِ خَفِيفَتانِ يُصَلِّيها المُسْلِمُ إذا شاء بعدَ ارتفاعِ

(١) صلاة التراويح عدد من الركعات الوتر (٣، ٧، ١١، ١٧، ٢١ أو أكثر) تصلى في شهر رمضان بعد صلاة العشاء.

(٢) صلاة الضحى ركعتان من النوافل يصليها من شاء بعد ارتفاع الشمس في الصباح مقدار رمح في رأي المين. ويقال إنَّ من فرضها على نفسه وجب أن يحافظ عليها.

الشمس - ولكنّ الفقهاء ذكروا أن مَنْ فَرَضَهَا عَلَى نَفْسِهِ فَيَجِبُ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى أَدَائِهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ.

وكان الفاطميّون يعتقدون أَنَّ أَيْمَتَهُمْ آلَهُةٌ. وَحَسْبُكَ أَنْ يَكُونَ الْمِيزُ الْفَاطِمِيُّ قَدْ قَبِلَ مِنْ ابْنِ هَانِي الْأَنْدَلِسِيِّ (ت ٣٦٠ هـ) قَوْلًا هُوَ:

مَا شِئْتُ، لَا مَا شَاءَتِ الْأَقْدَارُ. فَاحْكُمْ فَأَنْتَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.
رَبِّهَا كَانَ لِبَعْضِ النَّاسِ تَفْسِيرٌ أَوْ تَعْلِيلٌ يُخَفِّفُ أَثَرَهُ هَذَا الْقَوْلِ - مِنَ النَّاحِيَةِ الْأَدْبِيَّةِ أَوْ مِنَ النَّاحِيَةِ الْفَلَسَفِيَّةِ، وَلَكِنَّ ظَاهَرَ الْقَوْلِ لَا يَقْبَلُ تَعْلِيلًا. وَهَذِهِ كَلِمَةٌ لِتَدُلُّ عَلَى صُورَةٍ لْجَانِبٍ مِنَ الْعَصْرِ فِي الْمَغْرِبِ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ، وَلَيْسَتْ لِإِثَارَةِ جَدَلٍ.

الحياة الاجتماعية والثقافية

فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ لِلْهِجْرَةِ (الْحَادِي عَشَرَ لِلْمِيلَادِ) كَانَتْ سُلْطَةُ الْخِلَافَةِ فِي بَغْدَادَ قَدْ ضَعُفَتْ مُنْذُ أَمَدٍ طَوِيلٍ وَكَانَتِ الْبِلَادُ الْإِسْلَامِيَّةُ قَدْ تَقَسَّمَتْ بَيْنَ دَوْلَاتٍ عَلَى أَقْدَارٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ السَّعَةِ وَالضِّيقِ وَمِنَ الْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ. غَيْرَ أَنَّ السَّلَاجِقَةَ الْأَتْرَاقَ الَّذِينَ أَنْشَأُوا لَأَنْفُسِهِمْ دَوْلَاتٍ مَدَّتْ سُلْطَانَتَهَا فِي الْمَشْرِقِ وَالْعِراقِ وَبِلَادِ الرُّومِ (آسِيَةِ الصَّغْرَى) قَدْ نَصَرُوا الْإِسْلَامَ وَاحْتَرَمُوا مَكَانَةَ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ. وَلَمَّا نَشِبَتِ الْحُرُوبُ الصَّلِيبِيَّةُ، فِي أَوَاخِرِ هَذَا الْقَرْنِ، سَنَةَ ٤٩١ (١٠٩٨ م)، حَمَلَ السَّلَاجِقَةُ الْجَانِبَ الْأَكْبَرَ مِنْ عَيْنِهَا.

وَفِي هَذَا الْقَرْنِ أَيْضًا كَانَتِ الْخِلَافَةُ الْمُرَوَانِيَّةُ فِي الْأَنْدَلُسِ قَدْ سَقَطَتْ مُنْذُ عَهْدِ بَعِيدٍ (٤٢٨ هـ - ١٠٣٦ م) وَقَامَتْ عَلَى انْقِاضِهَا دَوْلَاتُ الطَّوَانِفِ.

غَيْرَ أَنَّ الَّذِي حَدَّثَ فِي الْمَشْرِقِ وَفِي الْأَنْدَلُسِ، فِي هَذَا الْقَرْنِ: مَنْ تَجَرَّؤُ الْخِلَافَةِ الْجَامِعَةِ دَوْلَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، قَدْ حَدَّثَ خِلَافَتَهُ فِي الْمَغْرِبِ مِنْ قَارَةِ إفْرِيقِيَّةٍ. إِنَّ الدَّوِلَاتِ الَّتِي كَانَتْ فِي الْمَغْرِبِ - وَأَشْهُرُهَا دَوْلَةُ بَنِي زِيْرِي (فِي الْقَطْرَيْنِ التُّونِسِيِّ وَالْجَزَائِرِيِّ) وَدَوْلَةُ بَنِي حَمَادٍ (فِي الْقَطْرِ الْجَزَائِرِيِّ) ثُمَّ دَوْلَةُ مَغْرَاوَةَ وَبَنِي بَغْرَنَ (فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى) - قَدْ دَخَلَتْ كُلُّهَا، إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ، فِي دَوْلَةِ الْمُرَابِطِينَ الْجَامِعَةِ. وَسَرَى أَنَّ الْمُرَابِطِينَ قَدْ أَقَامُوا الْوَحْدَةَ السِّيَاسِيَّةَ أَيْضًا فِي الْأَنْدَلُسِ نَفْسِهَا.

ونحن نستطيع أن نقول عن المشرق إن الحركة الأدبية والعقلية قد انتقلت أيضاً من بغداد إلى الأمصار (في المشرق: شرق العراق وفي الشام).

لم يكن عهد المرابطين كله (٤٤٨ - ٥٤٣ هـ) عصر ازدهار للثقافة:
* لم يكن يوسف بن تاشفين خاصة ممن يفقه اللغة العربية أو يطرب للشعر العربي خاصة.

* إن يوسف بن تاشفين قد أدرك أنه في سبيل تأسيس دولة، ورجال الدول في مثل هذه الأطوار لا يلتفون بالآ إلى الفنون النظرية وإلى أوجه الكليات.

ومع ذلك فنحن نجد في عصر المرابطين في المغرب وفي الأندلس جماعة اتجهوا إلى العلم والثقافة. إن أمية بن عبد العزيز الداني أبا الصلت (٤٦٠ - ٥٢٩ هـ) كان من الأدباء ومن العلماء وكان له اهتمام في علم الحيل (الميكانيك) خاصة. وعاش أبو الصلت هذا في الأندلس وفي مضر. وفي هذا العصر أيضاً يمكن أن نعد ابن باجة (ت ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ م) واضع أسس الفلسفة العقلية، وقد عاش في الأندلس وفي المغرب. وحاول جابر بن أفلح الإشبيلي (ت ٥٤٠ هـ = ١١٤٥ م) تصحيح نظام بطليموس في حركات الأفلاك.

وعظمت شهرة آل زهر في الطب في عهد المرابطين، فكان منهم في هذا العهد أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن محمد (ت ٥٢٥ هـ = ١١٣١ م)، برع في الطب ولما يزل في أول شبابه: كان يرى المريض فيجس نبضه وينظر في قارورة الماء (البول) ثم يخبر المريض بما به من غير أن يسأله شيئاً. ثم كان في هذا العهد أيضاً ابنه أبو مروان عبد الملك (ت ٥٥٧ هـ = ١١٦٢ م) وكان طبيباً بارعاً لم يشتغل بغير الطب.

وكان للمرابطين أثر بعيد في غربي قارة إفريقيا، فإن التوارق (وهم من قبيلة مسوقة المغربية) امتدت في صلاتها السياسية والاجتماعية جنوباً فنشأت على أيديهم مدينة هي تنبكت، في أواخر القرن الخامس للهجرة. إن هذه المدينة العظيمة في السودان الغربي (في مالي أو مالي، قرية من نهر النيجر) قد بدأت، فيما يبدو، محطة تجارية ثم أصبحت سوقاً تجارية عامة مقصودة من أماكن بعيدة من مضر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب لأنها نقطة صالحة للانطلاق نحو الشواطئ الغربية الوسطى

من قارة إفريقية ونحو أواسطِ قارة إفريقية أيضاً.

ومنذ مطلع القرن الخامس للهجرة كان الإسلام قد بدأ ينتشر على ضفتي نهر النيجر. ومنذ ذلك الحين بدأ الدعاة المسلمون يأتون إلى مملكة السونراي على النيجر من أماكن مختلفة أبرزها ليبيا. وفي سنة ٤٠٠ (١٠١٠ م) دخل الملك «زا» - صاحب مملكة سنغاي (على ضفتي نهر النيجر) في الإسلام. وفي سنة ٤٣٥ (١٠٤٣ م) أسس أهل سنغاي عاصمة جديدة - جنى أو دينيه - ، ربما هجراً لعاصمة قديمة تسود فيها الوثنية.

وفي سنة ٤٤٨ (١٠٥٦ م) هاجم المرابطون مملكة غانة ثم فتحوا عاصمتها كومي بعد عشرين سنة. ولا نعلم السبب الذي دعا المرابطين إلى الانسحاب من عاصمة غانة (٤٨٠) للهجرة أو قبل ذلك بقليل، ربما استعداداً للمعركة الفاصلة في الزلاقة حيث قضى يوسف بن تاشفين على الجيش الإسباني واستطاع أن يُعيد إلى الأندلس شيئاً من الوحدة).

لم يُبدل انسحاب المرابطين من كومي عاصمة غانة - ومن غانة كلها أيضاً - شيئاً من مسيرة الإسلام في غربي قارة إفريقية. إن مملكة ملّى استولت على غانة فزاد فيها انتشار الإسلام.

إن الإسلام بدأ ينتشر في غربي قارة إفريقية في البقعة الممتدة بين بحيرة تشاد ونهر السنغال إلى الشاطئ الغربي وإلى الشاطئ الجنوبي: أي في حوض نهر النيجر وحوض نهر الفولتا وحوض نهر السنغال، وذلك كله ابتداءً من مطلع القرن الخامس للهجرة أو قبل ذلك بقليل. غير أن الثقافة العربية يجب أن تكون قد تأخرت عن ذلك، فليس من المعقول أن نرى هناك - منذ ذلك الطور الباكر - شعراء ينظمون باللغة العربية. ولكن هذا لا يمنع من أن يكون نفر من الفقهاء قد دونوا أشياء من الفقه أو من الحديث أو من التفسير أو من الصرف والنحو. ولا أظن أن مثل هذا كان يبلغ، في تلك الحقبة القديمة، إلى أن يُعد في الأدب.

ابن رشيقي القيرواني

١ - كان رشيقي مملوكاً رومياً من موالي الأزد ومن أهل مدينة المسيلة (المحمدية) في المغرب الأوسط (الجزائر)، وكانت صنعته الصياغة. وفي الحمديّة ولدَ ابنُه الحسنُ سنّة ٣٩٠ (١٠٠٠ م) أو قبل ذلك بقليل، فتعلّم صنعة أبيه وتادّب قليلاً.

في سنّة ٤٠٦ (١٠١٦ م) انتقل الحسنُ إلى القيروان ودرس على جماعة من أدبائها وعلمائها، وكان منهم أبو محمّد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي (وابنُ رشيقي كثيرُ الاستشهادِ بآرائه في كتاب «العمدة»). ومنهم أيضاً أبو عبد الله محمد بن جعفر القَرَازُ القيرواني (ت ٤١٢ هـ).

اشتهر ابنُ رشيقي في القيروان واتّصل بصاحبها (أميرها) المُعزُّ بن باديس، مُنذُ سنّة ٤١٠، فحظيَ عنده وأصبح من بطانته وأهل دولته. واستقلَّ ابنُ باديس بالحكم (٤١٧ هـ = ١٠٢٦ م) ثم خَلَعَ طاعةَ الفاطميين (٤٣٥ هـ) فغيظَ الفاطميون فرحوا قبائل بني هلال وقبائل بني سُليم، إلى القطر التونسي. وصَلَتْ هذه القبائلُ إلى مُعظم أراضِي المغرب ثم عاثت في القطر التونسي خاصّة فساداً كبيراً (٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م) فاشتهر ابنُ خلدون بقوله: «إِنَّ الْعَرَبَ (الْبَدَو) إِذَا اسْتَوْلُوا عَلَى بَلَدٍ أَسْرَعَ إِلَيْهِ الْخَرَابُ».

انتقل ابنُ رشيقي إلى جزيرة صِقْلِيَّة ونزل في مازَر (على الساحل الجنوبي الغربي) وبقيَ فيها إلى أن أذركته الوفاة في غُرّة ذي الحِجّة من سنّة ٤٥٦ (١٠٦٤/١١/١٤ م).

٢ - ابنُ رشيقي عالمٌ باللغة والنحو وبارعٌ في الأدب والنقد وشاعرٌ ومؤلّفٌ حسن التّأليف. ولقد غلّبَ نقدُ الشعر عليه فعُرفَ به دونَ سائر فنون العلم والأدب. وابن رشيقي شاعرٌ مقتدرٌ صحيح المعاني متين الأسلوب، غير أن العقل يَغْلِبُ في شعره على العاطفة. ومعظم معانيه مستعارة، وإن كان أحياناً يُصِيبُ الصورةَ الشّعرية.

تقوم شهرةُ ابنِ رشيقي ومكانته على كتاب «العمدة»، وهو يتألّف من قسمين في أولها نقدٌ تاريخيٌّ للشعر، وفي الثاني منها بلاغةٌ ونقدٌ (وإن كنتَ تجدُ أبواباً في القسم

الأول هي أخلق بالقسم الثاني، كما تجد في القسم الثاني أبواباً أقلّ عدداً كان يجب أن تكون في القسم الأول). فمن أبواب القسم الأول: فضل الشعر - الردّ على من يكره الشعر - شعرُ الخلفاء والصّحابة - بابٌ من رفعة الشعر (كامريء القيس) ومن وضعه (حطّ قدره) الشعر (كالنابغة) - باب التكبّ بالشعر والأنفة من التكبّ به - القدماء والمُحدّثون - المُلقّون من الشعراء والمُكثِّرون - مشاهير الشعراء - باب الشعراء والشعر: حدّ الشعر - اللفظُ والمعنى - المطبوع والمصنوع - الأوزان - القوافي - القطع والطوال - المبدأ والخروج والنهاية - الإيجاز - الفرق بين الاختراع والإبداع - المجاز - الاستعارة - التجنيس - الفرق بين التريديد والتكرار - الاستثناء: توكيد المدح بما يشبه الذمّ - السِّرقات - النسيب - المديح - الرثاء، الخ - سيرورة الشعر والحظوة عند المدوحين - باب في أصول النسب وبيوتات العرب - باب معرفة الأماكن والبلدان - باب الوصف - الخ.

وقد أشار حسنُ حُسي عبد الوهاب^(١) إلى أن ابنَ رشيقي قد آثَمَ في وضع كتاب «العُمدَة في صِناعة الشعر ونقده» بكتابِ عبد الكريم النهشلي «المُمتنع في علم الشعر وعمله». ويبدو أن ابنَ رشيقي لم يكتفِ بِمُحاكاة كتاب «المُمتنع» في الموضوعات وفي عناوينِ الفصول، بل نَقَلَ فصولاً بِرُمُتها من كتاب الممتنع إلى كتاب العمدَة.

ولا ريبَ في أن ابنَ رشيقي قد أفادَ كثيراً من آراء عبد الكريم النهشلي (وقد أكثر من ذكره عند بسطِ هذه الآراء) كما أفادَ من آراء كثيرة للنقاد الذين سبقوه. وقرّط ابنُ خلدون كتابَ «العُمدَة» فقال^(٢): «..... وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصِناعة (صناعة الشعر) واعطاه حقها. ولم يُكْتَبَ فيها قبله ولا بعده مثله». ولا ابنَ رشيقي من التصانيف أيضاً: كتاب الأغودج (في شعراء القيروان المعاصرين

(١) مجلة «الفكر» (تونس) ٤: ١٠ (جوليه - تموز ١٩٥٩ م)، ص ٨.

(٢) مقدّمة ابن خلدون ٥٧٤ (دار الكتاب اللبناني)، ص ١١٠٦.

له) - قُرَاضَةُ الذَّهَبِ فِي نَقْدِ أَشْعَارِ الْعَرَبِ (لطيف الجرم كبير الفائدة) - كتاب الغرائب والشواذ في اللغة (يذكر فيه كلَّ كلمة جاءت شاذة في بابها). وله عددٌ من الرسائل يردُّ فيها على مواطنه ومُعاصره ومُنافسه ابنِ شَرَفِ القَيرواني؛ منها: (فوات الوفيات ٢: ٢٥٥): رسالة ساجور الكلب - رسالة قطع الأنفاس - رسالة نُجُحِ الطَّلَب - رسالة رَفَعِ الإشكال ودفع المُحَال - فسحُ اللَّمَحِ ونسخ اللَّمَح - ميزان العمل في أيام الدول.

٣ - مختارات من آثاره

- من مقطعات ابنِ رَشِيقِ التي تنطوي على لَقَاتِ حِسان:

* أَحِبُّ أَخِي - وَإِنْ أَعْرَضْتُ عَنْهُ،
وَلِي فِي وَجْهِهِ تَقْطِيبُ رَاضٍ
وَرَبِّ تَقْطِيبٍ مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ،
وَإِذَا مَا خَفَفْتُ كَهْمِي الصِّبَا
وَمَا ثَقَلْتُ كِبَرًا وَطَائِي،
* وَقَائِلِي: مَا هَذَا الشُّحُوبُ وَذَا الضَّنَا؟
هَوَاكِ أَتَانِي، وَهُوَ ضَيْفٌ أَعِزُّهُ،
- وَمِنْ ذَلِكَ فِي الْخَمْرِ وَالنَّسِيبِ:

* وَمِنْ حَسَنَاتِ الدَّهْرِ عِنْدِي نَيْلَةٌ
خَلَوْنَا بِهَا نَتْنِي الْقَدَى عَنْ عُيُونِنَا
وَمِلْنَا لَتَقْبِيلِ الثُّغُورِ وَلَتَمِيمَا
مِنْ الْعُمَرِ لَمْ تَتْرُكْ لِأَيَّامِهَا ذَنْبًا.
بَلُولُوةٌ مَمْلُوءَةٌ ذَهَبًا سَكْبًا (١).
كَمِيلِ جَنَاحِ الطَّيْرِ مِثْلَتَقَطِرِ الْحَبَا.

(١) الدِّمَامُ: الخمر. أَعْيَسَ فِي وَجْهِ صَدِيقِي (وَأَنَا رَاضٍ عَنْهُ - حَبًّا بِأَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ تَمَّا هُوَ)، كَمَا أَنَّ شَارِبَ الْخَمْرِ يَعْيسُ بَعْدَ تَنَاوُلِ كُلِّ جُرْعَةٍ مِنْهَا وَهُوَ مُسْرِرٌ بِذَلِكَ.

(٢) خَفَّ الرَّجُلُ: مَالَ إِلَى السَّرُورِ.

(٣) سِيرِي أَصْبَحَ بَطِيئًا لَا لِأَنِّي ضَعِيفٌ عَنِ السَّيْرِ، بَلْ لِأَنِّي أَجْرٌ حَلًّا ثَقِيلًا (خَسَّةٌ وَأَرْبَعِينَ عَامًا).

(٤) الشُّحُوبُ: اصْفَرَارُ لَوْنِ الْوَجْهِ. الضَّنَى: النُّحُولُ مِنَ الْمَرَضِ. التَّمِيمُ: الَّذِي ذَلَّلَهُ الْحَبُّ.

(٥) الْقَدَى: الْوَسْخُ (الْمُؤَمَّمُ). الْبُولُوةُ (كَأْسٌ مِنْ بَلُورٍ). ذَهَبًا سَكْبًا (خَمْرًا خَالِصَةً صَافِيَةً).

* مِمَّا يُزْهِدُنِي فِي أَرْضِ أُنْدَلُسِ سَمَاعٌ مُقْتَسِدٍ فِيهَا وَمُعْتَصِدٌ:
أَلْقَابُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كَالِهَرِّ يَحْكِي انْتِفَاحاً صُورَةَ الْأَسَدِ!
- وَقَالَ يَصِفُ زُرَّافَةً (جَاءَتْ هَدِيَّةً إِلَى الْمَرْبِ بْنِ بَادِيسَ مِنْ مِصْرَ):

وَأَتَسَّكَ مِنْ كَسْبِ الْمَلُوكِ زُرَّافَةً شَتَّى الصِّفَاتِ لِلْوَهَا أَثْنُهُ (١).
جَمَعَتْ مَحَاسِنَ مَا حَكَّتْ فَتَنَابَتْ فِي خَلْقِهَا وَتَنَافَتْ الْأَعْضَاءُ (٢).
تَحْتَنُّهَا بَيْنَ الْخَوَافِقِ نِشْبَةً بَادٍ عَلَيْهَا الْكِبَرُ وَالْحَبْلَاءُ (٣).
وَتَمُدُّ جِيداً فِي الْمَوَاءِ يَزِينُهَا فَكَأَنَّهُ تَحْتَ اللَّوْلَاءِ لَوْلَاءُ (٤).
حَطَّتْ مَاخِرُهَا وَأَشْرَفَ صَنْدَرُهَا حَتَّى كَأَنَّ وَقُوفَهَا إِقْعَاءُ (٥).
وَكَأَنَّ فِيهِرَ الطَّيِّبِ مَنَا رَجَمَتْ بِهِ وَجْهَ الثَّرَى لَوْ لُمْتَ الْأَجْزَاءُ (٦).
وَتَغَيَّرَتْ دُونَ الْمَلَابِيسِ حَلَّةٌ عَيَّتْ لِصَنْعَةِ مِثْلِهَا صَنْعَاءُ (٧).
لَوْنَاءٌ كَلَوْنِ الذَّبْلِ إِلَّا أَنَّهُ حَلِيٍّ وَجَزَعٌ بَعْضُهُ الْجَلَاءُ (٨).
أَوْ كَالْحَبَابِ الْمُكْفَهَرَةِ خَطَطَتْ فِيهِ الْبُرُوقُ وَمِضْهَا إِيمَاءُ (٩).
أَوْ مِثْلَ مَا صَدِثَتْ صَفَائِحُ جَوْشَنَ وَجَرَى عَلَى حَافَاتِهِنَّ جَلَاءُ (١٠).

- (١) اللوناء أثناء (طيأت): خطوط لوناء متعرجة.
- (٢) شابهت حيوانات كثيرة فأخذت من كل حيوان أحسن ما فيه. تناسبت في خلقها (صورتها) كان كل عضو فيها يناسب سائر الأعضاء. وتنافت الأعضاء: تباينت (اختلفت).
- (٣) الخوافق جمع خافق: الأفق، الجهة. تحتنتها نحو الخوافق (إذا ركضت مال جسمها إلى كل جهة، فكأنها تريد أن تسير إلى كل مكان). باد: ظاهر. الكبر: الإعجاب بالنفس. الحبلاء: التكبر.
- (٤) حطت: انخفضت. أشرف: علا. الإقعاء: الاستناد إلى مؤخرة الجسم.
- (٥) الفهر: حجر مجسم قبضة اليد تسحق به الأشياء. ما رجعت به وجه الثرى (الأرض): حافرها. لو استطعنا أن نجمع الحفر التي أحدثتها حوافرها في الأرض لكان عندنا من كل حفرة إناء للمطر (١).
- (٦) عيبت (عجزت) لصنعة مثلها صنعاء (عاصمة اليمن)، وكانت مشهورة بنسج الثياب الحريرية.
- (٧) الذبل: جلد السلحفاة (غطاء السلحفاة عند ظهرها له تقاطيع نافرة، ولجلد الزرافة مثل هذه التقاطيع ولكن من لون مخالف للون جلدها الأصلي). حلي: حلى وحليه، ثوب جميل. وجزع بعضه الجلاء (غير مستقيمة في الوزن ولا واضحة المعنى).
- (٨) المكفهر المسود. البقع القاتمة في جلد الزرافة تشبه النجوم الصغيرة. والفواصل بين تلك البقع تشبه البروق الخاطفة.
- (٩) وكل بقعة قاتمة اللون مع ما حولها تشبه جوشنا (درعاً) صدناً أخذ العاملون في جلته من أطرافه.

نعمَ التجافيفُ التي اذَرَعَتْ بها من جِلْدِها لو كان فيه وقاءٌ^(١).

- وقال في الحماسة ووصف الناقة:

إليكُ يُخاضُ البحرُ فَعَمًا كأنه
ويبعثُ خلفَ النُججِ كلَّ مُنيعةٍ
من الموجفاتِ اللاهَ يَقْدِرُ بالحصي
يطيرُ اللُغَامُ الجعدُ عنها كأنه
وقد زاعَ من فضل الزمامِ ابنُ نُكبةٍ
فكيفَ تراني لو أَعِنْتَ على الغنى
وقد قَرَّبَ اللهُ المسافةَ بيننا
ولولا شقائي لم أغيَّبَ عندَ ساعةٍ
ولكنني أخطأتُ رُشدي فلم أصب؛
بأمواجِهِ جيش إلى البرِّ زاحفٌ^(٢)
تُريكُ يداها كيف تُطوى التناقضُ^(٣)
ويُرمى يَهِونُ المَهْمَةُ المُتَقَاذِفُ^(٤)
من القطنِ - أو ثلجَ الشتاء - ندائفُ^(٥)
هو السيفُ لا ما أخلصتهُ المشارفُ^(٦)
بِجَدٍّ؟ وإني للغنى لَمُشارفُ^(٧)
وأنجزني الوعدَ الزمانُ المأسوفُ^(٨)
ولا رامَ صرْفِي عن جنابِكَ صارفُ^(٩)
وقد يُخطيء الرشدَ الفتي وهو عارفُ !

- مختارات من كتاب « العمدة »:

(أ) التَكْسَبُ بالشعر:

وكانتِ العربُ (في الجاهلية) لا تتكسَّبُ بالشعر، وإنَّما يصنعُ أحدهم ما يصنعهُ

-
- (١) التجافيف جمع تحفاف (يفتح التاء أو كسرهما): شيء مثل الدرع. الوقاء: الوقاية، الحماية.
 - (٢) فَمَا: متلئًا، فائضًا (بالاء).
 - (٣) النجج: النجاج. المنيفة: التامة الطول والحسن. التنوفة: الصحراء الواسعة. كيف تطوى التناقض:
 - (٤) أوجف: أسرع في سيره. اللاه: اللوائي. يقذف (بأرجلهن) الحصى (لسرعتين وشدة جريته). المهمة: المازة (الصحراء الواسعة) المتقاذف (المهمة الذي يتقاذف المسافرين فيه: ينتقلون به من جانب إلى جانب فلا يبتدون).
 - (٥) اللغام: زبد (ريق) أنواء الإبل. الجعد: المستدير. ندائف: ما يطير من القطن عن قوس النداف.
 - (٦) زاع من فضل الزمام (ساق الناقة بمهارة!!). ابن نكبة (بضم النون: صبرة، القليل من الطعام): رجل قليل المال. أخلصته (صنعته من الحديد الخالص الجيد) المشارف (بلاد أعالي الشام التي كانت تصنع السيوف المشرفة الجيدة).
 - (٧) الجد: الخطأ. المشارف: القبل على، القريب من (الغنى).
 - (٨) المأسوف: الماطل.
 - (٩) جنابك: جنبك (المكان الذي يتزل أنت فيه).

فُكَاهَةٌ أَوْ مُكَافَأَةٌ عَنْ يَدٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَدَاءَ حَقِّهَا إِلَّا بِالشُّكْرِ إعْظَاماً لَهَا، كَمَا قَالَ أَمْرُو
الْقَيْسِ يَمْدَحُ بَنِي تَيْمٍ رَهْطَ الْمُعَلَّى:

أَقْرَ حَسَا أَمْرِي الْقَيْسِ بْنِ جَجْرِ بَنُو تَيْمٍ مَصَابِيحُ الظَّلَامِ ؛
لَأَنَّ الْمُعَلَّى أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَجَارَهُ حِينَ طَلَبَهُ الْمُنْذِرُ مِنْ مَلِكِ السَّمَاءِ لِقَتْلِهِ بَنِي أَبِيهِ الَّذِينَ
قَتَلَ بِدِيرِ مَرِينَا^(١) ...

حَتَّى نَشَأَ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ فَمَدَحَ الْمُلُوكَ وَقَبَلَ الصِّلَةَ عَلَى الشَّعْرِ وَخَصَّعَ لِلنُّعْمَانِ بْنِ
الْمُنْذِرِ - وَكَانَ قَادِراً عَلَى الْامْتِنَاعِ مِنْهُ بِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ أَوْ بِمَنْ سَارَ إِلَيْهِ مِنْ
مُلُوكِ غَسَّانَ - فَسَقَطَتْ مَنْزِلَتُهُ. وَ (لَكِنَّهُ) تَكَسَّبَ مَالاً جَسِماً حَتَّى كَانَ أَكْلُهُ وَشُرْبُهُ فِي
صِحَافِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَوَانِيهِ مِنْ عَطَاءِ الْمُلُوكِ.

وَتَكَسَّبَ زَهْرُ ابْنِ أَبِي سُلَمَى بِالشَّعْرِ بِسِيراً مَعَ هَرَمٍ بْنِ سِنَانٍ.
فَلَمَّا جَاءَ الْأَعْشَى جَعَلَ الشَّعْرَ مَنَجَرّاً يَتَجَرُّ بِهِ نَحْوَ الْبُلْدَانِ؛ وَقَصَدَ حَتَّى مَلُوكَ
الْمَجْمِ. فَأَثَابَهُ (كِسْرَى) وَأَجَزَلَ عَطِيَّتَهُ عَلِماً بِقَدْرِ مَا يَقُولُ (الْأَعْشَى) عِنْدَ (مُلُوكِ)
الْعَرَبِ، وَاقْتَدَاءَ بِهِمْ فِيهِ^(٢). عَلَى أَنَّ شَعْرَهُ لَمْ يَخْسُنْ عِنْدَهُ حِينَ فُسِّرَ لَهُ، بَلِ
اسْتَهْجَنَهُ^(٣) وَاسْتَخَفَّ بِهِ، لَكِنْ أَخْتَذَى فَعَلَ الْمُلُوكِ مَلُوكِ الْعَرَبِ (فِي الرِّغْبَةِ فِي مَدَحِ
الشُّعْرَاءِ لَهُمْ).

(ب) الْمَشَاهِيرُ مِنَ الشُّعْرَاءِ:

وَالشُّعْرَاءُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِمْ عَدَدًا. وَمِنْهُمْ مَشَاهِيرُ قَدْ طَارَتْ أَسْمَاؤُهُمْ وَسَارَ
شِعْرُهُمْ وَكَثُرَ ذِكْرُهُمْ حَتَّى غَلَبُوا عَلَى سَائِرِ مَنْ كَانَ فِي زَمَانِهِمْ. وَلِكُلِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ
طَائِفَةٌ تَفْضُلُهُ وَتَتَمَصَّبُ لَهُ. وَقَلَّ مَا يُجْتَمَعُ عَلَى وَاحِدٍ.....

(١) كَانَ الْمُنْذِرُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ مَلِكَ الْهَيْوَةِ (تَنْحُو ٥٨ قَبْلَ الْهِجْرَةِ = ٥٦٤ م) قَدْ قَتَلَ إِخْوَةَ أَمْرِي الْقَيْسِ
فِي دِيَارِ بَنِي مَرِينَا (قُرْبَ الْكُوفَةِ).

(٢) لِمَعْرِفَتِهِ بِقِيَمَةِ شَعْرِ الْأَعْشَى فِي الدِّعَاءِ وَتَقْلِيدِ الْمُلُوكِ الْعَرَبِ فِي إِعْطَاءِ الْأَعْشَى مَالاً عَلَى مَدْحِهِ لَهُمْ.

(٣) لَمَّا تَنَقَّلَتْ مَعَانِي شَعْرِ الْأَعْشَى لِكِسْرَى إِلَى اللُّغَةِ الْفَارْسِيَةِ اسْتَهْجَنَهُ: اسْتَقْبَحَهُ (وَجَدَهُ نَازِلًا عَنْ مَرْتَبَةِ
الْمَقَلِّ وَالسُّلُوكِ الصَّحِيحِ). اسْتَخَفَّ بِهِ (بِالْأَعْشَى).

وليس في المولدين أشهرُ أسماً من الحسنِ أبي نَواس؛ ثم حبيب^(١) والبُحتريُّ، ويقال إنَّها أخملاً في زمانِها خُسماءُ شاعر كلُّهم مُجيد. ثم يتبعُهما في الاشتهار ابنُ الرومي وابنُ المعتز، فطار اسمُ ابنِ المعتز حتَّى صار كالحسن في المولدين وامرئ القيس في القدماء. فإنَّ هؤلاء الثلاثة لا يكاد يجيئهم أحدٌ من الناس. ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس.

(ج) الوصف:

الشعرُ، إلّا أقلُّه، راجعٌ إلى الوصف. ولا سبيلَ إلى حصره (حصر الوصف) واستقصائه. وهو مناسبٌ للتشبيه ومشمِّلٌ عليه وليس به^(٢)، لأنَّه (أي التشبيه) كثيراً ما يأتي في أضمافه^(٣). والفرقُ بين الوصف والتشبيه أن هذا (أي الوصف) إخبارٌ عن حقيقة، وأن ذلك مجازٌ وتمثيل^(٤)... وأحسنُ الوصف ما نُعت به الشيء حتَّى يكاد يُمثِّلُه عياناً^(٥) للسامع... وقال بعضُ المتأخِّرين: أبلغُ الوصف ما قلبَ السَّمْعَ بَصَراً...

والناس يتفاضلون في الأوصاف كما يتفاضلون في سائر الأصناف. فمنهم من يُجيد وَصْفَ شيءٍ ولا يُجيد وَصْفَ آخر؛ ومنهم من يُجيد الأوصاف كلها، وإن غلبت عليه الإِجادة في بعضها كامرئ القيس قديماً، وأبي نَواسٍ في عصره، والبُحتريُّ وابنُ الروميِّ في وقتها...



- وقال يَصِفُ حالَ المسلمين حينما بدأ الإسبانُ النصارى يستولون على المُدُنِ الأندلسية ويُخرجون منها أهلها المسلمين تفتيلاً وتشريداً:

-
- (١) حبيب (بن أوس) هو أبو نَعام.
 - (٢) الوصف غير التشبيه.
 - (٣) في أضمافه (في ثناياه): في أثنائه (تأتي التشابه في أثناء الوصف). إنَّ الوصف باب كبير. أمّا التشبيه فهو جملة مفردة تتناول صورة واحدة أو جزءاً من صورة.
 - (٤) تمثيل: مقارنة (بالحقيقة).
 - (٥) عياناً (بكر العين): في رأي العين.

والمسلمون مُقْسَمُونَ تنالهم
يستصرخون فلا يُجابُ صرِيحُهُمْ.
بادؤا نفوسَهُمْ. فلَمَّا أنفدوا
خرجوا حُفَاةً عائِذِينَ بِرَبِّهِمْ
هربوا بكلِّ وليدةٍ وفطيمةٍ
فتفرَّقوا أيدي سِبا وتشتتوا
أيدي العَصاةِ بِذِلَّةٍ وهوانٍ.
حتَّى إذا سَمِعُوا من الأَزمانِ
ما جَمَعُوا من صامتٍ وصِوان^(١)
من خوفِهِمْ ومصائبِ الأَلوانِ.
وبكلِّ أَرَمَلَةٍ وكلِّ حَصانٍ^(٢)،
بعدَ اجْتاعِهِمْ على الأوطانِ^(٣).

- ٤- العمدة في صناعة الشعر ونقده، مصر ١٢٨٥ هـ، تونس والقاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م)؛ القاهرة ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٥ م (حققه محمد محيي الدين عبد الحميد) القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م؛ بيروت (دار الجيل) ١٩٧٢ م.
- قراضة الذهب (في مجموع الرسائل النادرة)، مصر (مكتبة الخانجي) ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦ م.
- شعراء القيروان من أمثلة الزمان (جمع وتعليق زين العابدين السنوسي)، تونس (دار المغرب العربي) ١٩٥١ - ١٩٧١ م.
- ديوان ابن رشيق القيرواني (عبد الرحمن ياغي)، بيروت (دار الثقافة) بلا تاريخ.
- التنف من شعر ابن رشيق وزميله ابن شرف... (جمعه عبد العزيز الميمني الراجكوتي)، القاهرة (الطبعة السلفية) ١٣٤٣ هـ.
- ★ بحث ممتع عن حياة ابن رشيق ودولة المعز بن باديس المراني القيرواني، تأليف أبي التبركات عبد العزيز الميمني الراجكوتي (منقول عن الأردية)، القاهرة بعد ١٣٤٣ هـ (١٩٢٠ م).
- بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، تأليف حسن حسني عبد الوهاب، تونس ١٣٣٠ هـ.
- حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦١ م.
- ابن رشيق الناقد الشاعر، تأليف عبد اللطيف مخلوف، القاهرة (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأبناء والنشر) ١٩٦٥ م.

- (١) بادوا نفوسهم؟؟ أنفدوا: استهلوا (أنفقوا) ما كانوا قد خزنوه. الصامت: المال الجامد (كالمصلحة والأبنية الخ). الصوان: الصندوق توضع فيه الثياب الثمينة (لصونها).
- (٢) الحصان: المرأة الشريفة النبيلة (التي لا يسها أجني).
- (٣) تفرق القوم أيدي سباً: تشتتوا (تفرقوا تفرقاً لا اجتماع بعده).

- ابن رشيقي ونقد الشعر، تأليف عبد الرؤوف مخلوف، الكويت (وكالة المطبوعات) ١٩٧٣ م.
- معجم الأدباء ٨: ١١٠ - ١٢١، الخريدة (الأندلس) ٢: ١٢١ - ١٢٥، الخريدة (المغرب) ٢: ٢٣٠ - ٢٣٣، إنباء الرواة ١: ٢٩٨ - ٣٠٤، وفيات الأعيان ٢: ٨٥ - ٨٩، المطرب ٥٧ - ٦٥، ابن الأثير ١٠: ١٥ - ١٦، بغية الوعاة ٢٢٠، شذرات الذهب ٣: ٢٩٧، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٠٣ - ٩٠٤، عنوان الأريب ٢: ٥٢ - ٥٤، مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٤٣، وما بعد بروكلمن ١: ٣٧٤، الملحق ١: ٥٣٩، الأعلام للزركلي ٢: ٢٠٤ - ٢٠٥، (١٩١)، تاريخ النقد لإحسان عباس ٤٤١ - ٤٥٩، مجلة العربي (الكويت) ٢/ ١٩٦٤ م، ص ٥٨.

عبد الملك الطنبغي

١ - هو أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله بن علي بن حسين بن محمد الطنبغي، وُلِدَ في قرطبة، في سادس ذي الحجة من سنة ٣٩٦ (١٠٠٥/٩/١٤ م). أخذ عن ابن حزم المشهور (ت ٤٥٦ هـ) وطالت صحبته له وصداقته، كما أخذ عن نفر كثيرين (راجع كتاب الصلة، رقم ٧٧٤). ورَحَلَ إلى المشرق، قيل مرتين أو أكثر، فكان في الإسكندرية سنة ٤٤٧ هـ وفي مكة ٤٤٨ هـ (ربيع ١٠٥٧ م). وقد أملى عدداً من العلوم على جعفر غفير في قرطبة.

وكانت وفاة عبد الملك الطنبغي قتلًا، في قرطبة، في ربيع الثاني من سنة ٤٥٧ (آذار - مارس ١٠٦٤ م)، قتله أهله لشدّة بُخله عليهم ولإغاضته لهم بالتهكم بهم إذا طلبوا منه حاجة. وقد اتهم ابنه بقتله.

٢ - كان عبد الملك بن زيادة الله الطنبغي هذا إماماً في الحديث والفقه والنحو والأدب وشاعراً على أساليب العرب. وكانت له صفات جميلة من التقوى وحسن المعاشرة والاستقامة، ولكنّ البخل يغطّي على جميع الفضائل التي يمكن أن يتّصف بها البخيل.

٣ - مختارات من شعره

- قال عبد الملك الطنبغي يفتخر بكثرة عدد الذين يستملون منه:

إِنِّي إِذَا خَضَرْتَنِي أَلْفُ يَخْبَرَةٍ تَقُولُ: أَخْبِرْنِي هَذَا وَخَدِّثْنِي^(١)،
صَاحَتْ بِمَقْوَنِي الْأَقْلَامُ زَاهِيَةً: «هَذِي الْمَكَارِمُ! لَا قُصْبَانُ مِنْ لَيْتِي»^(٢).

- وَكَتَبَ إِلَى ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ زَيْدُونَ الشَّاعِرَ الْمَشْهُورَ:

أَبَا الْوَلِيدِ، وَمَا شَطَّتْ بِنَا الدَّارُ وَقَلَّ مِنَّا وَمِنْكَ الْيَوْمَ زُؤَارُ^(٣)
وَيَتَنَنَا كُلُّ مَا تَذَرِيهِ مِنْ ذِمِّهِ وَلِلصَّبَا وَرَقٌّ خُضِرَ وَأَنْوَارُ^(٤)،
وَكُلُّ عَثَبٍ وَإِعْتَابٍ جَرَى فَلَهُ بِدَائِعِ حُلُوةٍ عِنْدِي وَأَثَارُ^(٥)،
فَاذْكُرْ أَخَاكَ بِحَيْرِ كُلِّهَا لَعَيْتَ بِهِ اللَّيَالِي، فَإِنَّ الدَّهْرَ دَوَّارُ!

- وَقَالَ فِي الْعَتَابِ:

لَا يُنْعِدُ اللَّهُ مَنْ قَدْ غَابَ عَنْ بَصَرِي وَلَمْ يَغِيبْ عَنِ صَمِيمِ الْقَلْبِ وَالْفِكْرِ،
أَشْتَاقُهُ كَأَشْتِيَاقِ الْعَيْنِ نَوْمَتَهَا بَعْدَ الْمَجُودِ^(٦)، وَجَذِبَ الْأَرْضَ لِلْمَطَرِ،
وَعَاتَبُونِي عَلَى بَذْلِ الْفُؤَادِ لَهُ، وَمَا دَرَوْنَا أَنَّنِي أُعْطِيتُهُ عُمْرِي!

٤ - ** مطمح الأنفس ٥٠، الصلة ٣٤٣-٣٤٥، جذوة المقتبس ٢٦٥-٢٦٦ (الدار المصرية) ٢٨٤-٢٨٥ (رقم ٦٢٩)؛ بفيه الملتبس ٣٦٦-٣٦٧ (رقم ١٠٦٥)؛ الذخيرة ١: ٥٣٥-٥٤٩ وما بعد؛ المغرب ١: ٩٢-٩٣؛ المطرب ٢١٥؛ تعريف الخلف (الجزائر) ٢: ٢٤٣-٢٤٧؛ بفيه الوعاة ٣١٢؛ نفح الطيب ٢: ٤٩٦، ٥١١؛ ٧: ٤٨-٤٩؛ تاج العروس ٩: ٢٦٧؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٠٣ (١٥٨)؛ كتب وشخصيات ٢١-٢٨.

ابن سيده

١ - هُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ (وَقِيلَ ابْنُ أَحْمَدَ أَوْ ابْنُ مُحَمَّدٍ) بْنِ سَيِّدِهِ الضَّرِيرِ الْمُرْسِيِّ، وُلِدَ فِي مُرْسِيَّةَ سَنَةِ ٣٩٨ هـ (١٠٠٨ م). وَقَدْ دَرَسَ أَوَّلًا عَلَى أَبِيهِ ثُمَّ عَلَى أَبِي الْعَلَاءِ صَاعِدِ الْبَغْدَادِيِّ وَأَبِي عَمَرَ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّلَفَنَكِيِّ.

- (١) ألف بحيرة: ألف تلميذ يأخذون عني العلم.
- (٢) العقوة: الموضع المتسع أمام الدار. القصبان جمع قصب (بالفتح): قدح ضخم (يقصد أن العلم في الحضارة أفضل من الحياة في البداوة).
- (٣) شطّ: بعد.
- (٤) الأنوار جمع نور: (يفتح النون): الزهر الأبيض.
- (٥) العتب: اللوم. الأعتاب: إرضاء الذي كان يعتب.
- (٦) المهجود: النوم (ولا يستقيم ذلك في المعنى). لعل الصواب: قبل المهجود. والمهجود أيضاً: السهر في المبادأة.

وَاتَّصَلَ ابْنُ سَيِّدِهِ بِأَبِي الْجَيْشِ الْمُؤَفَّقِ مُجَاهِدِ الْعَامِرِيِّ صَاحِبِ دَانِيَّةٍ (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ) ثُمَّ بَخَلَفَهُ أُنَى الْأَخْوَصِ مَعْنَى. وَلَمَّا جَاءَ إِقْبَالُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْحُكْمِ (٤٣٦ هـ = ١٠٤٤ - ١٠٤٥ م) وَقَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ سَيِّدِهِ جَفْوَةٌ فَهَرَّبَ ابْنُ سَيِّدِهِ عَنْ دَانِيَّةٍ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا وَمَدَحَ إِقْبَالَ الدَّوْلَةِ وَاسْتَغْفَفَهُ.

وَمَاتَ ابْنُ سَيِّدِهِ فِي دَانِيَّةٍ، فِي ٢٦ رَجَبِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ ٤٥٨ (١٠٦٦/٣/٢٥ م).
٢ - كَانَ ابْنُ سَيِّدِهِ إِمَامًا فِي اللُّغَةِ وَفِي الْعَرَبِيَّةِ (النَّحْوِ) حَافِظًا لَهَا وَعَارِفًا بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهِمْ وَمُلِمًّا بِشَيْءٍ مِنْ عُلُومِ الْحِكْمَةِ: وَكَانَ لَهُ أَيْضًا شَيْءٌ مِنَ الشُّعْرِ. وَلَابِنِ سَيِّدِهِ كُتِبَ مِنْهَا: الْمُحْكَمُ وَالْمُحِيطُ الْأَعْظَمُ (فِي اللُّغَةِ، وَهُوَ جَامِعٌ لِأَنْوَاعِ اللُّغَةِ وَمُرْتَبَّ عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ) - الْمُخَصَّصُ (فِي اللُّغَةِ، وَهُوَ مُرْتَبَّ عَلَى الْأَبْوَابِ) - كِتَابُ الْعَالَمِ (بِفَتْحِ اللَّامِ، فِي اللُّغَةِ، وَهُوَ مُرْتَبَّ عَلَى الْأَجْنَاسِ: بِدَأْءِ ابْنِ سَيِّدِهِ بِالْفَلَكَ وَخَتَمَهُ بِالذَّرَّةِ = صِغَارِ النَّمْلِ) - كِتَابُ الْعَالِمِ وَالْمُتَعَلِّمِ (مُرْتَبَّ عَلَى الْمَسْأَلَةِ وَالْجَوَابِ) - شَرْحُ إِصْلَاحِ الْمُنْطِقِ (لَاِبِنِ السَّكَيْتِ) - كِتَابُ شَاذِّ اللُّغَةِ - الْوَافِي فِي عِلْمِ أَحْكَامِ الْقَوَافِي - الْأَنْبِقُ فِي شَرْحِ الْحِمَاسَةِ - شَرْحُ مُشْكِلِ دِيَوَانِ الْمُتَنَبِّئِيِّ. وَلَهُ أَيْضًا كِتَابُ السَّمَاءِ وَالْعَالَمِ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣: ١٩٢).

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ يَمْدَحُ إِقْبَالَ الدَّوْلَةِ وَيَسْتَغْفِفُهُ:

أَلَا هَلْ إِلَى تَقْبِيلِ رَاخِئِكَ الْبُغْمَنِ سَبِيلٌ؟ فَإِنَّ الْأَمْنَ فِي ذَاكَ وَالْيَمْنُ (١).
فِيَا مَلِكَ الْأَمْلاكِ، إِنِّي مُخَلِّغٌ عَنِ الْوَرْدِ لَا عَنْهُ أَذَادُ وَلَا أَدْنَى (٢).
فَإِنْ تَنَاقُذَ فِي دَمِي لَكَ نَيْةٌ بِصِدْقِي، فَإِنِّي لَا أَحِبُّ لَهُ حَقًّا (٣).
وَمَا لِي مِنْ دَهْرِي حَيَاةً أَلْذُهَا فَتَعْتَدُّهَا نَفْسِي عَلَيَّ وَتَمَتَّتَا (٤).

(١) اليمن: البركة.

(٢) الهلاك: الذي حيل (بكسر الحاء) بينه وبين ما يريده، منع (بالبناء للمجهول) مما يريد. الورد: الشرب. أذاد: أطرد. أدنى: أقرب.

(٣) - إذا كان في نيتك أن تسفك دمي (نقتلني)، فأنا لا أريد حقن دمي (حفظ دمي: بقاى حيًّا).

(٤) - ليس لي سرور مجباني فلا تمد بقاى حيًّا نعمة منك عليّ ثم تمن عليّ إن تركتني حيًّا (افعل بي ما تشاء).

إِذَا مِثَّةَ أَرْضَتِكَ مِنَّا فَهَاتِهَا! حَبِيبُ إِلَيْنَا مَا رَضِيتَ بِهِ عَنَّا!

- من مقدمة «المخصص»:

... أما بعدُ، فإن الله عز وجل لما كَرَّمَ هذا النوعَ المَوْسُومَ بالإنسانِ وشرَّفه بما آتاه من فضيلةِ التَّنْقِطِ على سائرِ أصنافِ الحيوانِ وجعل له رَسْمًا يُمَيِّزُهُ، وفصلًا يُبَيِّنُهُ على جميعِ الأنواعِ فَيَحْوِزُهُ^(١) أَخَوَجَهُ إلى الكَشْفِ عَمَّا يَتَصَوَّرُ في النُّفُوسِ من المعاني القائمةِ^(٢) فيها المُذَرِّكةَ بالفِكرَةِ فَفَتَقَ الألسنةَ بِضُرُوبٍ من اللفظِ المحسوسِ لِيَكُونَ رَسْمًا لِمَا تَصَوَّرَ وَهَجَسَ^(٣) من ذلك في النفوسِ. فَعَلِمْنَا بِذلك أَنَّ اللغةَ اضطراريةٌ وإن كانت موضوعاتُ أَلْفَاظِها اختياريَّةً. فإن الواضِعَ الأوَّلَ المُسمَّى للأَقْلَ جُزْءًا ولِلأَكْثَرِ كُلًّا وَلِلْوَنِ الَّذِي يُفَرِّقُ شُعَاعَ البَصَرِ وَيُنْشُرُهُ بِيَاضًا، وَلِلَّذِي يَمَيِّضُهُ وَيَحْصُرُهُ سَوَادًا، لَوْ قَلَبَ هذه التَّسْمِيَةَ فَسَمَى الجُزْءَ كُلًّا وَالْكُلَّ جُزْءًا وَالبِياضَ سَوَادًا وَالسَّوَادَ بِيَاضًا لَمْ يُخِلْ بِمَوْضُوعٍ^(٤) وَلَا أَوْحَشَ أَسْأَعَنَا من مسموعٍ.

وقد اختلفوا في اللغة: أَمْتَوَاطًا عَلَيْهَا أَمْ مُلْهَمٌ إِلَيْهَا؟^(٥) وهذا موضوعٌ يَحْتَاجُ إلى فَضْلِ تَأَمُّلٍ. غَيْرَ أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّظَرِ عَلَى أَنَّ اللُّغَةَ إِنَّمَا هِيَ وَضْعٌ وَاصْطِلَاحٌ لَا وَحْيٌ وَلَا تَوْقِيفٌ^(٦).

- من مقدمة «الحكم»:

بِذِكْرِ اللَّهِ نَفْتَحُ وَبَنُورِهِ نَقْتَدِحُ^(٧)، وَبِمَا أَفَاضَهُ عَلَيْنَا مِنْ نُورِيَّةِ إلهامِهِ نَهْتَدِي،

(١) الرسم: السلوك ونمط الحياة. الفصل: النوع والهيئة. يَبَيِّنُهُ (يجعله مختلفًا من غيره). مازَهَ يُمَيِّزُهُ (يفتح

فكر): اختاره. فضَّلَهُ. حازَهُ. استولى عليه، انْصَفَ بِهِ.

(٢) يتصوَّر (تجوز بالبناء للمعلوم أو للمجهول). المعاني (مجموعة لفظاً مرفوعة محلاً على أنها فاعل أو نائب فاعل للفعل «يتصوَّر»). القائمة فيها (الموجودة في النفوس).

(٣) هجس: خطر.

(٤) لم يخل بموضوع: لم يفقد اللفظ الذي أطلق على شيء تسمى شيئاً من دلالاته.

(٥) منوَّاطاً: متَّفَقٌ عليه (بين الناس). ملهم إليها: موحى بها.

(٦) على أنه (متَّفَقون على أَنَّ أَلْفَاظَ اللغة). توقيف: التعليم، التلقين (المقصود: أول اللغة لم يكن بتعليمها جملة للناس).

(٧) اقتدح: استخرج النار من حجرها بالقدح (نقبتس أو نهدي بنور الله).

وَبِمَا سَنَ لَنَا نَبِيُّنَا الْمُقْتَنَى وَرَسُولُهُ الْمُصْطَفَى ^(١) مِنْ فُرُوضِ طَاعَتِهِ نَقْتَدِي . نَحْمَدُهُ بِآلَانِهِ
وَنُصَلِّي عَلَى عَاقِبِ أَنْبِيَائِهِ ^(٢) . وَنَسْأَلُهُ خَيْرَ مَا يَخْتِمُ وَأَفْضَلَ مَا بِهِ لِهَذِهِ النُّفُوسِ
يَخْتِمُ ^(٣) ...

أما بعدُ، أَيُّهَا الْمُسَهِّرُ طَلِبُ الْعِلْمِ لِمَجْفُونِهِ الْكَاتِبُ لِحُورِ عَيُونِهِ ^(٤)، الرَّائِعُ مِنْهُ فِي
أَزَاهِيرِ فَنُونِهِ، فَلَا فِي أَقْوَلٍ لَكَ: هِنِيئًا! فَقَدْ أُوتِيتَ بَيِّنَتَكَ ^(٥). وَشُكْرًا! فَقَدْ مُلِّكَتَ
أَمْنِيَّتَكَ ...

وَشُكْرًا لَهُ، أَيُّهَا النَّهْمُ عَلَى مَحَاسِنِ الْعُلُومِ الْبَاحِثُ عَنْ نَتَائِجِ مُقَدَّمَاتِ الْحُلُومِ ^(٦)،
فَمَا أَسْلَمَكَ لِلْوَاحِقِ الزَّمَانِ، وَلَا خَلَّى بَيْنَكَ وَبَيْنَ طَوَارِقِ الْحَدَثَانِ ^(٧)، بَلْ كَفَّاكَ مَا
كَانَ يُنَازِعُكَ مِنْ هَوَاكَ وَيُيِّرُ عَلَيْكَ مُسْتَعَذَّبَ نَوَاكٍ ^(٨): مِنْ تَصَوُّرِ التَّعَبِ بَشَدَ
الرَّحَالِ وَمَثُونَةِ التَّرْحَالِ وَلَفْحِ السَّمُومِ ^(٩) وَعَقْدِ الطَّرْفِ لَيْلًا بِسُوءِ النُّجُومِ ^(١٠)،
وَتَأْمُلِ السَّرَابِ شَوْقًا إِلَى بَرْدِ الشَّرَابِ، وَالتَّمَتُّعِ بِأَبَاطِيلِ الْخَيَالِ بَدَلًا مِنْ لَذِيذِ
مَحْصُولِ الْوِصَالِ ...

- ٤ - التَّحْصِصُ، بُولَاق (الْمَطْبَعَةُ الْكُبْرَى الْأَمِيرِيَّة) ١٣١٦ - ١٣٢١ هـ .
- الْحَكْمُ وَالْحَاطِطُ الْأَعْظَمُ فِي اللَّفْظَةِ (تَحْقِيقُ مُصْطَفَى السَّعَا وَحْسِينِ نَصَّارَ

-
- (١) الْمُقْتَنَى: التَّعَبُ . الْمُصْطَفَى: الْمُخْتَارُ .
(٢) الْأَلَاءُ: النِّعَمُ . عَاقِبُ: آخِرُ .
(٣) خَيْرَ مَا يَحْتَمُ (بِهِ الْحَيَاةُ: الْمَوْتُ عَلَى شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ) . يَحْتَمُ: يُوجِبُ، يَقْضِي .
(٤) الْمُسَهِّرُ خَيْرٌ مُقَدَّمٌ . طَلِبُ الْعِلْمِ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ . لِمَجْفُونِهِ (الْإِلَامُ زَائِدَةٌ) . لِمَجْفُونِهِ مَجْرُورَةٌ لِفِظَةِ مَنْصُوبَةٍ مَحَلًّا
عَلَى أَنَّهَا مَفْعُولٌ بِهِ لِاسْمِ الْفَاعِلِ « الْمُسَهِّرِ » . الْحُورُ فِي الْأَصْلِ جَمْعُ حَوْرَاءَ (الْمَرْأَةُ النَّاصِعَةُ الْعَيْنِينَ،
الْجَمِيلَةُ وَهِيَ، حُورُ عَيُونِهِ: خَيْرٌ مَا فِي الْعِلْمِ) .
(٥) الْبَيِّنَةُ: الطَّلِبَةُ (بِالْكَسْرِ) وَالْمَطْلَبُ .
(٦) الْحُلُومُ (جَمْعُ حَلَمٍ بِالْكَسْرِ): الْمَقُولُ . نَتَائِجُ مُقَدَّمَاتِ الْحُلُومِ: مَا يُوْجِبُهُ الْعَقْلُ مِنَ الْقَوَاعِدِ وَالْأَحْوَالِ .
شُكْرًا لَهُ (لَهُ) .
(٧) لَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ عَرَضَةً لِمَصَائِبِ الدَّهْرِ وَلَا جَمْلًا لِمَصَائِبِ الدَّهْرِ إِلَيْكَ طَرِيقًا .
(٨) يَزِيْرُ الشَّيْءَ (يَجْعَلُهُ مَرًّا) . النَّوَى هُنَا: الْمَقْصِدُ (بُلُوْغُ مَا يَقْصِدُ الْإِنْسَانُ) .
(٩) لَفْحُ السَّمُومِ (الرَّيْحُ الْحَارَّةُ): مِلَاقَةُ الْوَجْهِ وَإِحْرَاقُهُ .
(١٠) عَقْدُ الطَّرْفِ (الْبَصَرِ، الْعَيْنِ) بِسُوءِ النُّجُومِ: النِّقْطَةُ الْقَائِمَةُ عَمُودِيًّا عَلَى رَأْسِ النَّاطِلِ: أَيُّ
قَضَى اللَّيْلِ سَاهِرًا .

وغيرها) - (جامعة الدول العربية - معهد المخطوطات)، القاهرة (مصطفى الباي الحلبي) ١٩٥٨ - ١٩٦٨ م.

المخصّص لابن سيده، تأليف محمد الطالبي، تونس (الطبعة المصرية) ١٩٥٦ م.

★★ جذوة المقتبس ٢٩٣ - ٢٩٤ (الدار المصرية) ٣١١ - ٣١٢ (رقم ٧٠٩)، بغية اللئس ٤٠٥ (رقم ١٢٠٥)، الصلة ٣٩٦ - ٣٩٧، معجم الأدياء ١٢ : ٢٣١ - ٢٣٥؛ وفيات الأعيان ٣ : ٣٣٠ - ٣٣١؛ المطمح ٦٠ - ٦١؛ المغرب ٢ : ٢٥٩؛ نكت الهميان ٢٠٤ - ٢٠٥؛ الديباج المذهب ٢٠٤ - ٢٠٥؛ بغية الوعاة ٣٢٧؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٠٥ - ٣٠٦؛ نفع الطيب ٣ : ٣٨٠؛ ٤ : ٢٧ - ٢٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٩٤٠؛ بروكلمن ١ : ٢٧٦؛ الملحق ١ : ٥٤٢؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٦٩ (٤ : ٢٦٣).

ابن شرف القيرواني أبو عبد الله

١ - هو أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد محمد الجذامي المعروف بابن شرف القيرواني، لعله وُلِدَ في السنين الأخيرة من القرن الهجري الرابع.

روى ابن شرف القيرواني عن أبي الحسين القاسبي (٣٢٤ - ٤٠٣ هـ) وأبي عمران الفاسي وقرأ النحْو على أبي عبد الله محمد بن جعفر القزّاز، وأخذ العلوم الأدبية عن أبي إسحاق إبراهيم الحصري.

ونال ابن شرف حُطوة في بلاط المعزّ بن باديس في القيروان، وكان المعزّ قد استقلَّ بالحكم سنة ٤١٧ هـ (١٠٢٦ م)، ولكننا لا نعلم متى جاء ابن شرف إلى بلاط القيروان. وفي هذا البلاط التقى ابن شرف بابن رشيقي فتنافسا وتنافرا ثم تهاجبا وأقذع كل واحد منهما في هجاء الآخر، ولكن يبدو أنها لم يتقاطعا ولا تعاديا.

وفي سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) هاجم العرب (البدو) القيروان واستباحوها فانتقل المعزّ بن باديس منها إلى المهدية، وانتقل معه ابن شرف. ثم توفّي المعزّ (٤٥٣ هـ = ١٠٦١ م) وخلفه ابنه تميم، فلزمه ابن شرف مدة يسيرة فلم يجد عنده من الخطوة ما كان قد وجد عند أبيه فغادر إفريقيا (تونس) إلى جزيرة صقلية ثم انتقل، نحو سنة ٤٥٠ هـ، إلى الأندلس وسكن المرية. ثم إن نفسه نازعته إلى التردّد على بلاطات ملوك الطوائف للتكسب بشعره. وقد استقرّ حيناً في طليطلة عند

المأمون بن ذي النون (٤٢٩ - ٤٦٧ هـ) ثم انتقل إلى إشبيلية واتصل بالمُعْتَضِدِ بْنِ عَبَّاد (٤٣٤ - ٤٦١ هـ).

وكانت وفاة أبي عبد الله بن شرف الجُدَامِيِّ الْقَيْرَوَانِيِّ في إشبيلية، أول المحرم من سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧/١١/١١ م)

٢- أبو عبد الله محمد بن شرف القيرواني أديب كاتب مُرْتَسِلٌ وشاعر. أما نثره فترسل فيه تأتق وتكلف، وفيه تقليد للمقامات، وإن كان يُعالج فيه أحياناً موضوعات بعيدة عن طبيعة المقامة كما عرّفها المشرق. وأما شعره فزعم أن عذب سلس في أكثر الأحيان. وفنون شعره المدح والثناء الصادق (وخصوصاً رثاء بلديه القيروان بعد أن هاجها البدو وخربوها). وأحسن فنونه الوصف. وله هجاء فيه دُعابة تحول أحياناً إقذاعاً. ثم له غزلٌ وحكمة.

وفي معجم الأدباء (١٩، ٤٣): «ولابن شرف القيرواني من التصانيف: أبحار الأفكار جمع فيه ما اختاره من شعره ونثره، وأعلام الكلام (مجموع فيه فوائد ولطائف ومُلَحٌ مُنْتَخَبَةٌ)، ورسالة الانتقاد^(١) (وهي على طراز مقامية نقد فيها شعر طائفة من شعراء الجاهلية والإسلام)، وديوان شعر وغير ذلك». وله رسائل ومقامات.

٣- مختارات من آثاره

من مطلع «أعلام الكلام»:

هذه أحاديث صُغَتْها مُخْتَلَفَةٌ في الأنواع مُؤْتَلَفَةٌ في الأسباع، عريبات المواشم غريبات التراجم^(٢). واختلقت فيها أخباراً فصيحاً الكلام بديعيات النظام لها

(١) وله أيضاً «مسائل (أو رسائل) الانتقاد». يقول إحسان عباس (تاريخ النقد ٤٦٠ - ٤٦١): «ليس ثمة ما يمنع أن تكون أعلام الكلام رسالة في النقد، ولكن هل هي نفس الرسالة (اقرأ: الرسالة نفسها) التي تدعى مسائل (أو رسائل) الانتقاد؟». - إن ما يذكره باقوت الحموي في صدد هذا المقطع يدل على أن «أعلام الكلام» كتابٌ يختلف من رسالة الانتقاد والتي نشرت أيضاً باسم رسائل (أو مسائل) الانتقاد (راجع قسم المصادر، ص ٥٧٠).

(٢) في القاموس (٤: ١٨٦): صادفت الإبل مرعى موشاً (بضم الميم وكسر الشين) أي طيباً. والميم (بكسر الميم) وفتح السين المهملة بلا نقط) المكواة تحمل بها العلامات (على أجسام البهائم) وجمعها مواسم =

مقاصد طِرَافٍ وأسَانِيدُ طِرَافٍ يَرُوقُ^(١) الصغيرَ معناها والكبيرَ مغزاها. وعَزَوْتُهَا إلى أبي الرِّيَّان الصَّلْتِ بنِ السَّكَنِ من سَلامَانَ^(٢) - وكان شيخاً هِمّاً في اللسان وبدراً تِمّاً في البيان^(٣) - قد بَقِيَ أَحْقَاباً وَلَقِيَ أَعْقَاباً^(٤)، ثم أُلْقَتْهُ إِلَيْنَا من باديته الْأَزْمَاتُ وأورَدَتْهُ عَلَيْنَا الْعَرَمَاتُ^(٥). فَأَمْتَحَنَّا من علمه بحراً جارياً وَقَدَحْنَا من فِهمه زَنْدًا واريًا^(٦)، وأدْرْنَا من بَرِّه طَرْفًا وَاجْتَنَيْنَا من ثَمَره طَرْفًا^(٧). ونحن إذ ذاك والشبابُ مُقْتَبِلٌ، وَغَفْلَةُ الزَّمان تُهْتَبِلُ^(٨). وَاحْتَدَيْتُ فيما ذهبتُ إِلَيْهِ ووقع تعريضِي عَلَيْهِ^(٩) - من بث هذه الأحاديث - ما رَأَيْتُ الْأَوَائِلَ قد وَضَعَتْهُ في كتاب كَلِيلَةٍ

= ومياسم. وهنا عريبات المواشم (بالشين المعجمة): صفاتها عربية. غريبات التراجيم: أفعالها غريبة مستطرفة (مستحسنة).

(١) الطراف جمع ظرف: جبل الوجه خفيف الظل حسن الكلام والأفعال. أسانيد جمع إسناد (بالكسر): رواية، اتصال، إرث (هنا: أخبار نادرة مستحسنة). يروق: يعجب (راقني هذا النظر: أعجبنى فسررت به).

(٢) عزوتها: نسبتها. أبو الرِّيَّان الصلت بن السكّن (بفتح ففتح: من أسماء الرجال) بن سلامان اسم مرثعل أو مخترع (خيالي).

(٣) الشيخ الهمّ (بالكسر) الكبير الفاني. البدر المّ: الكامل. البيان: التعبير عن المقاصد (الكلام الواضح البليغ).

(٤) بقي أحقاباً (عاش مدة طويلة) ولقي أعقاباً (نسلاً كثيراً من أجيال متتابعة).

(٥) الأزمة (بفتح ففتح أو بفتح فسكون): الشدة، الضيق (الفقر، القحط). العزمات في القاموس (٤: ١٥٠): الحق (من حقوق الله). والمقصود هنا جمع عزيمة (الهمة والصبر على المشاق والجراؤة على الأعمال).

(٦) الزند قطعة من الحديد تحكّ بها قطعة من الحجر الصوّان فيقدح (من الحجر) نار وري (بفتح فكسر ففتح) الزند يورى (بفتح فسكون ففتح): قدح النار من الحجر بسرعة وثبات فهو وار. قدحنا من فهمه زنداً واريًا (المقصود: كل سؤال كان يخرج منه رأياً صائباً).

(٧) أدرنا (لطفنا على أنفسنا، وزعنا) من برّه (من خيره، من علمه ورغبته في الإفادة). طرف: جانب. قسم (شيء قليل). اجتنبنا (قطفنا، نلنا، استفدنا) الطرفة (بالضم): كل شيء جديد عجيب (مسر النفس).

(٨) مقتبل (بالبناء للمجهول): نحن نستقبله (في أول شبائنا). غفلة الزمان (عن الإساءة إلينا) تهتبل (تنتهز، تفتنم).

(٩) احتدّى: قلّد. التعريض: الإشارة من غير شرح.

ودمنة^(١) فأضافوا حِكْمَهُ إلى الطير الحَوَامِثِ ونَطَقُوا به على ألسنة الوحش والبهائم^(٢) لمتعلق به شَهَوَاتُ الأحداثِ وتُسْتَعْدَبُ بشمره أَلْفَاظُ الحُدَاثِ^(٣) ... فأقمتُ من هذا انسحو عشرين حديثاً أرجو أن يتبينَ فضلُها ولا تقصُرَ عما قبلها^(٤) ...

وجاريت أبا الريان في الشعر والشعراء^(٥) ومنازلهم في جاهليتهم وإسلامهم، وأستكشفته عن مذهبه فيهم ومذاهب طبقاته في قديمهم وحديثهم^(٦). فقال: الشعراءُ أكثرُ من الإحصاءِ وأشعارهم أبعدُ شُقَّةً من الاستقصاءِ^(٧). فقلتُ: لا أعنتُك بأكثرَ من المشهورين ولا أذاكرُ رأيك إلا في المذكورين^(٨)، مثل الضِّلِيلِ والقَتِيلِ ولبيد وعبيد والنوايعِ والعُشُو^(٩) ... ومن الطبقة المتأخرة في الزمان المتقدمة في الإحسان كإبن حَمْدَانَ والمنتبِي أَحْمَدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ عِيدَانَ^(١٠) ...

- من مقامة لابن شرف القيرواني أسماها أعلام الكلام (ص ٢٥، ٢٦):

... وأما أبو فراس بن حَمْدَانَ ففارسُ هذا المِيدَانِ، إِنْ شِئْتَ ضرباً وطعناً أو شِئْتَ لفظاً ومعنى، مَلَكٌ زَمَاناً وَمَلَكٌ أَوَاناً، أشعرُ الناسِ في المملكةِ وأشعرُهم في دُلِّ

(١) راجع، فوق، ٢: ٥٤.

(٢) الحَوَامِثُ (التي تدوم في طيرانها في الجوّ). الوحش (الحيوان الذي يعيش بعيداً عن الناس، كالأسد. والثعلب) والبهيمة (الحيوان الأليف كالبقرة والدجاجة).

(٣) الشهوة: الرغبة. الأحداث جمع حدث (يفتح ففتح): الصغير السن. الحُدَاثُ: الجماعة يتحدثون (وهو جمع على غير قياس - راجع تاج العروس، الكويت ٥: ٢١٤).

(٤) ... عما قبلها: عما سبقها (مثل كتاب كلیلة ودمنة، مثلاً).

(٥) جاريته: جريت معه، رافقته في مسيره (هنا: خاطبته، ناقشته، باحثته).

(٦) طبقاته (الذين هم في المعرفة والمكانة مثله).

(٧) الشُّقَّةُ (بالضَّم): البعد، المسافة. الاستقصاء: الاستنفاد (ذكر الأشياء كلها حتى لا تترك منها شيئاً) - أبعد شُقَّةً من (عن) الاستقصاء: يستحيل أن يحيط بها أحد.

(٨) أعنتك: ساعدتك (ذكرت لك). ذاكر لست في القاموس ولا في تاج العروس (المقصود: أتبذل الكلام معك في شيء ما). المذكور (المعروف الذي يكثر الناس ذكره).

(٩) الضِّلِيلُ (امرؤ القيس) والقَتِيلُ (طرفة بن العبد) ولبيد (بن ربيعة) وعبيد (بن الأبرص) والمعوّج أعشى (وهم عدد من الشعراء (ميمون بن قيس الجاهلي أشهرهم) راجع أسماء نفر منهم في القاموس ٤: ٣٦٣).

(١٠) ابن حمدان أبو فراس أو سيف الدولة. ابن عیدان خطأ (عیدان - بالياء التحتية بنقطتين - السقاء لقب والده. راجع ٢: ٤٥٨).

الملّكة. وله الفخريّات التي لا تُعَارَضُ والأسريّات التي لا تُناهَضُ.

وأما المُتنبّي فقد شُعِلَتْ به الألسُنُ وسَهَرَتْ في أشعاره الأعيُنُ. وكَثُرَ الناسُخُ لشعره والآخذُ لِذِكْرِهِ والفائِضُ في بحره والمُفْتَسِّحُ في قَفَرِهِ عن جُبانِهِ ودُرِّهِ. وقد طال فيه الخُلُفُ وكَثُرَ عنه الكُشْفُ. وله شِيعَةٌ تغلو في مَدْحِهِ، وعليه خوارِجُ تنّاعيا في جَرَحِهِ. والذي أقولُ إنّ له حسناتٍ وسيّئاتٍ، وحسناتُهُ أَكْثَرُ عِدْداً وأقوى مَدْداً. وغرائبه طائِرةٌ وأمّالُه سائِرةٌ، وعلمه فسيحٌ وميّزه صحيحٌ. يرومُ فيَقْدِرُ، ويَدْرِي ما يُورِدُ ويُصْدِرُ.

... وأما ابن درّاج الأندلسي القسطلّي فشاعرٌ ماهرٌ عالمٌ بما يقولُ، تشهدُ له العقولُ بأنّه المؤخّرُ بالعصرِ المُتقدّمُ في الشعرِ. حاذقٌ بوضع الكلامِ في مواضعه، لا سيّما إذا ذَكَرَ ما أصابه في الفِتْنَةِ وشكا ما ذَهاه في أيامِ المِحْنَةِ. وبالجملة فهو أشعرُ أهلِ مَغْرِبِهِ في أبعدِ زمانِهِ وأقربِهِ...

- وقال أبو عبد الله بنُ شَرَفٍ يَصِفُ أهلَ القَيروانِ وقد جَلَوْا عن القَيروانِ بعدَ أن هاجمها العرب (البدو) وخرّبوها:

تَرَحَّلَ عنها قاطنوها، فلا تَرى	يوى سائرٍ أو قاطنٍ وهو سائر ^(١) .
تَكْشَفُ الأَسْأارُ عَنْهُمْ، وَرُبَّما	أَقِيمَتْ سُتُورٌ دُونَهُمْ وَسائِر ^(٢) .
تَبَيَّتْ على فُرْشِ الحصى، وَغِطَاؤُها	دَوَارِسُ أَسْمالِ زَوَارٍ حَقائِر ^(٣) .
فَما لَيْتَ شِعَرَ القَيروانِ مَواطِنِي،	أَعائِدَةٌ فِيها اللَّيالي القِصائِر ^(٤) ؟
وَيَا رَوْحِي بالقَيروانِ وَيُكْرَتِي،	أَراجِمَةٌ رَوْحَتِها والبَواكِرِ؟
كَأَن لَمْ تَكُنْ أَيْامُنا فِيكَ طَلَقَةً	وَأَوْجَةٌ أَيْامِ الرُّورِ سَوافِر ^(٥) .

(١) القاطن: الساكن في البلد أو المنزل. وهو سائر (راحل. مهاجر).

(٢) انكشف عنه ستر (الله): افترض بين الناس وظهّرت معانيه إلخ أقيمت ستور دونهم (كناية عن حفظ كرامتهم) وسائير (كناية عن احتياجهم عن العامة لعلو منزلتهم).

(٣) فرش (بضم فـم - وهنا بضم فسكون لضرورة الشعر). الحصى: صغار الحجار. السمل (يفتح ففتح): الثوب البالي المتهرى. الدارس (المحمول): القديم المتهرى. زوار جمع زارية (؟): تكسب صاحبها عيباً (؟).

(٤) المواطن جمع موطن. قصائر جمع قصيرة.

(٥) الوجه الطلق: البشوش، الضاحك، الفرح. والوجه السافر: المشرق، المضي.

- وقال يَصِفُ لَيْلَةَ أَنْسَرَ كَانَ الْمَطَرُ فِيهَا كَثِيراً وَالْبَرْدُ شَدِيداً:

ولقد نَعِمْتُ بِلَيْلَةٍ جَمَدَ الْحَبَا فِي الْأَرْضِ فِيهَا، وَالسَّمَاءُ تَذُوبٌ^(١).
جَمَعَ الْمَشَاءِينَ الْمُصَلِّي، وَانْزَوَى فِيهَا الرَّقِيبُ كَأَنَّهُ مَرْقُوبٌ^(٢).
وَالْكَأْسُ كَاسِيَةُ الْقَمِيصِ كَأَنَّهَا قَدْرًا وَلَوْ نَأَى، مِفْصَمٌ مَخْضُوبٌ^(٣).
هِيَ وَرْدَةٌ فِي خَدِّهِ، وَبِكَأْسِهَا الذِّ (م) دُرِّيٌّ مِنْهَا عَسَجَدٌ مُصْبُوبٌ^(٤).
مِنِي إِلَيْهِ، وَمِنْ يَدَيْهِ إِلَى يَدَيَّ؛ فَالشَّمْسُ تَطْلُعُ تَارَةً وَتَغِيبُ^(٥).
- ولابن شرف في نقد الشعر:

أَوَّلُ مَا عَلَيْهِ تَعْتَمِدُ وَإِيَّاهُ تَعْتَقِدُ أَلَّا تَسْتَعِجَلَ بِاسْتِحْسَانٍ وَلَا اسْتِقْبَاحٍ وَلَا
بِاسْتِبْرَادٍ وَلَا بِاسْتِمْلَاحٍ حَتَّى تُنْعِمَ النَّظَرَ وَتُسْتَعْمِدَ الْفِكْرَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَجَلَةَ فِي كُلِّ
شَيْءٍ مَوْطِئٌ زَلُوقٌ وَمَرْكَبٌ زَهْوَقٌ^(١). فَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ مَا يَمْلَأُ لَفْظُهُ السَّمَاعَ (ثُمَّ لَا) يَرِدُ
عَلَى السَّمَاعِ مِنْهُ (إِلَّا) قَعَاقُعٌ. فَلَا يَدْعُكَ! (٢) شَاخَةٌ مَبْنَاهُ وَانْظُرْ إِلَى مَا فِي سُكْنَاهُ مِنْ
مَنْعَاهُ، فَإِنْ كَانَ فِي الْبَيْتِ سَاكِنٌ فَتِلْكَ (هِيَ) الْحَاسِنُ، وَإِنْ كَانَ خَالِياً فَاعْذُدْهُ جَسَماً
بَالِياً.

وكذلك إِذَا سَمِعْتَ أَلْفَاظاً مُسْتَعْمَلَةً وَكَلِمَاتٍ مُبْتَدَلَةً فَلَا تَعْجَلْ بِاسْتِضَاعِهَا؛ فَمِنْ
مَنْ مَعْنَى عَجِيبٍ فِي لَفْظٍ غَيْرِ غَرِيبٍ. وَالْمَعَانِي هِيَ الْأُرُوحُ، وَالْأَلْفَاظُ هِيَ الْأَشْبَاحُ؛
فَإِنْ حَسَنًا فَذَلِكَ الْحَظُّ الْمَدْحُوحُ، وَإِنْ قَبِيحًا أَحَدُهَا. فَلَا يَكُنِ الرُّوحُ!

-
- (١) الحيا: المطر. السماء (الغيوم) تذوب (تسقط ماء).
(٢) جمع المشاءين (صلاة المغرب وصلاة العشاء) لشدة البرد (كيلا يصلحها بوضوءين (٤)). انزوى: جلس بعيداً في زاوية. الرقيب: الحارس (المكلف بمراقبة الناس) كأنه مرقوب (كان أحداً يراقبه).
(٣) والكأس كاسية القميص: جدد حولها (أو فيها) نقط الحمر فكأنها (بياض زجاجها معمم امرأة بيضاء جميلة وبلون الحمر فيها مخضوبة بالحناء).
(٤) الدُرِّي: الذي يشبه الدر (اللؤلؤ): الأبيض. المسجد: الذهب.
(٥) النس (كتابة عن الحمر). تطلع تارة (مرة) تصب في الكأس. وتغيب (تسكب في أفواهنا: نشرها).
(٦) زلوق: تزلق فيه قدم البائر. زهوق: زائل (٤).
(٧) الفعقة: الصوت (الذي لا فائدة منه). يدعك (كذا في الأصل)، ولعلها: يركع (بفتح ضم فكون): يحثك، يهيجك.

- وقال في عُودِ (الآلة الموسيقية المعروفة):

سَقَى اللهُ أَرْضاً أُنبِتَتْ عُودَكَ الَّذِي زَكَّتْ مِنْهُ أَغْصَانٌ وَطَابَتْ مَقَارِسُ:
تَنْفَسِي عَلَيْهِ الطَّيْرُ وَهِيَ رَطِيبَةٌ، وَغَنَّى عَلَيْهَا النَّاسُ وَالْعُودُ يَابِسٌ^(١).

٤ - أعلام الكلام (نشره حسن حسني عبد الوهّاب) دمشق ١٩١٢؛ (الرسائل النادرة - جمعها عبد العزيز أمين الخانجي)، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦ م.
- رسالة الانتقاد (نشرها حسن حسني عبد الوهّاب)، تونس ١٣٣٠ هـ، = مسائل الانتقاد (نشرها شارل بلا)، الجزائر ١٩٥٣ م (في مجموعة الرسائل النادرة) (أنظر الكتاب السابق).

* * الصلة ٥٧١؛ الذخيرة ٢: ٦٤١ - ٤: ٦٤٣، ١٦٩ - ٢٤٥؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ١١٠ - ١١٢١؛ الخريدة (المغرب) ٢: ٢٢٤ - ٢٣٠؛ معجم الأدياء ١٩: ٣٧ - ٤٣؛ الوافي بالوفيات ٣: ٩٧ - ١٠١، فوات الوفيات ٢: ٢٥٥ - ٢٥٦؛ المغرب ٢: ٢٣٠ - ٢٣٢؛ المطرب ٦٦ - ٧١؛ جيش التوشيح ٩٧ - ١٠٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٣٦؛ بروكلمن ١: ٣١٥، الملحق ١: ٤٧٣، الجمل في تاريخ الأدب التونسي ١٥٠ وما بعده؛ عنوان الأريب ١: ٥٦ - ٥٧؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٠ (٦: ١٣٨)؛ تاريخ النقد لعبّاس ٤٦٠ - ٤٦٩؛ العربي (الكويت) ١١/١٩٦٥، ص ٤٨.

أبو حفص الهوزني

١ - هو أبو حفص عُمَرُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُمَرَ الهوزنيُّ من بيتٍ كبيرٍ مشهورٍ كانت إليه زعامةٌ إشبيليةَ قبلَ دولةِ بني عباد.

وُلِدَ أبو حفص الهوزنيُّ في رَجَبٍ من سَنَةِ ٣٩٢ (أواخرِ الربيعِ من عام ١٠٠٢ م). وقد روى الهوزنيُّ عن نفرٍ من العلماء منهم أبو القاسمِ بنِ عصفورٍ وأبو عبد الله الباجي وأبو محمدٍ الشنتجالي.

لَمَّا خَلَفَ عِبَادُ الْمُعْتَصِدُ أَبَاهُ مُحَمَّدًا في الاستبداد بإشبيلية سنة ٤٣٤ هـ، كان الهوزنيُّ ظاهرَ الرئاسة في إشبيلية رفيعَ المكانة فيها. وسرعانَ ما ثَبَتَ الْمُعْتَصِدُ حُكْمَهُ في إشبيلية فخاف الهوزنيُّ مَعَبَّةَ ذلك على نفسه واستأذنَ الْمُعْتَصِدَ بِالذَّهَابِ إِلَى الْحَجِّ.

(١) كان هذا العود (آلة الطرب) من قبل غصاً أخضر تنفّس عليه الأطيّار. وبعد أن يبس صنع الناس منه عوداً (آلة طرب) ينفثون عليها.

وفي سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٩ م) رَحَلَ الهُوَزِيُّ إلى المشرق فزار مِصْرَ ثم تابع طريقه إلى مكة. وفي أثناء رحلته التي دامت بِضْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ، فيما يبدو، سَمِعَ «صحيح البخاري» (وقيل: «سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ»). فلَمَّا عاد إلى الأندلس، قبل ٤٥٦ هـ، استأذن المعتضدَ في سُكْنَى مُرْسِيَّةَ وجعل يُحَدِّثُ بصحيح البخاري، إذ هو أوَّلُ من أدخل هذا الكتابَ إلى الأندلس. ثم إِنَّ المعتضدَ حاسَنَ الهُوَزِيَّ وسأله أن يَرْجِعَ إلى اشبيلية، فرَجَعَ إلى اشبيلية ففَوَّضَ إليه المعتضدُ شيئاً من أمور الدولة.

ولَمَّا اطْلَأَ الهُوَزِيُّ في اشبيلية غَدَرَ به المعتضدُ وقتله في قصره بيده، في مُنتَصَفِ ربيع الآخر (في الأغلب) من سنة ٤٦٠ (أواخر شباط - فبراير ١٠٦٨ م).

٢- كان أبو حفص الهُوَزِيُّ مُتَفَنِّناً في علوم كثيرة قد نال من كُلِّ علم منها قِسْطاً وافراً، كما كان كثيرَ الذكاء ثاقبَ الذهنِ صحيحَ الرأي دقيقاً في معارفه. وقد اشتهر بالحديث، ولكنه كان مجيداً للنثر والنظم أيضاً.

٣- مختارات من آثاره

- لَمَّا استولى الإسبانُ على حُصْنِ بَرِيْشْتَر (أو بيشتر)، سنة ٤٥٦ هـ، كتب أبو حفص الهُوَزِيُّ من مُرْسِيَّةَ إلى المعتضدِ بن عبادٍ رسالةً يحضُّه فيها على الجهاد، منها:

أَعْيَادُ، جَلَّ السُّرُوءُ والقَوْمُ هُجِعُ على حالةٍ من مِثْلِهَا يُتَوَقَّعُ^(١).
فَلَقَى كِتَابِي مِنْ فَرَاغِكَ سَاعَةً وان طَالُ، فالْمُوصُوفُ لِلطُّولِ مَوْضِعُ^(٢).
إِذَا لَمْ أَبْتَ الدَّاءَ رَبُّ شِكَايَةِ أَضْفَعْتُ، وَأَهْلُ لِلتَّلَامِ الْمُضَيِّعُ^(٣).

وما أخطأ السبيلَ من أتَى البيوت من أبوابها، ولا أرجأ الدليل من أناط الأُمُور بأربابها^(٤). وَلَرُبَّ أَمَلٍ بَيْنَ أَتْنَلِ الْهَازِيِرِ مُدْمِجٌ، وَمَحْبُوبٍ فِي طَيِّ الْمَكَارِهِ مُدْرَجُ^(٥).

(١) هُجِعَ جمع هاجع: نائم. يتوقع (ينتظر الخطر أو الهلاك....).

(٢) اجعل لرسالتى ساعة وإن كانت رسالتى طويلة. الموصوف (في رسالتى) الخطر من استيلاء الإسبان على حصن بيشتر موضع (أي يستحق) للطول.

(٣) أبث: أظهر، أذكر (أشكو الحزن الذي في). رب (صاحب) شكاية (القدرة على إزالة الشكوى).

(٤) أناط (علّق) الأمور بأربابها (أصحابها، القادرين على معالجتها).

(٥) قد يكون الأمل (رجاء الخير) في الهاذير (جمع محذور: ما يخاف الناس منه) مدمج (موضوع، مدخل). مدرج (مدخل).

فانتَهزَ فُرْصَتَهَا فَقَدَ بَانَ مِنْ غَيْرِكَ الْعَجْزُ، وَطَبَّقَ مَفَاصِلَهَا فَقَدَ أَمَكَّنَكَ الْحَزُّ^(١). وَلَا غَرَوُ أَنْ يُسْتَمْطَرَ الْعَامُ فِي الْجَدْبِ وَيُسْتَنْحَبَ الْحُسَامُ فِي الْحَرْبِ.

٤-★★ الذخيرة ٢: ٨١ - ١٩٤ الصلة ٣٨١ (رقم ١٨٦٣) المغرب ١: ٢٣٤ - ٢٣٥ نفع الطيب ٢: ٩٣ - ٩٤ الأعلام للزركلي ٥: ٢٠١ (٤٤)؛ نيكل ١٣٤.

أبو اسحاق الإلبيري

١- هو الأستاذ (نفع الطيب ٤: ٣١٧) أبو اسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعيد التُّجَيْبِيُّ الْغَرْنَاطِيُّ الْإِلْبِيرِيُّ، نَعَرَفُ مِنْ حَقَائِقِ حَيَاتِهِ أَنَّهُ كَانَ عَرَبِيَّ الْأَصْلِ وَأَنَّ أَوَّلَ أَهْلِهِ مِنْ سَرَقُطَةَ، كَمَا يُدَلُّ لِقَبِّهِ «التُّجَيْبِيُّ»؛ ثُمَّ إِنَّهُ كَانَ تَلْمِذَ الْفَقِيهِ الشَّاعِرِ ابْنِ أَبِي زَمْنِينَ (ت ٣٩٨ هـ).

كَانَ أَبُو إِسْحَقَ هَذَا يَسْكُنُ غَرْنَاطَةَ فِي أَيَّامِ بَادِيسَ بْنِ حَبُوسَ (٤٣٠ - ٤٦٦ هـ) وَلَمْ يَدْرِكْ عِنْدَ بَادِيسَ الْخَطْوَةَ وَلَا الْمَكَانَةَ الَّتِي كَانَ يَرْجُوهَا. وَكَانَ لِبَادِيسَ وَزِيرٌ يَهُودِي اسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ (صُمُوئِيلُ) بْنُ النَّفْدَلَةِ (ت ٤٤٧ هـ = ١٠٥٥ م) - وَالنَّفْدَلَةُ تَحْرِيفٌ مِنْ «النَّاجِدِ» بِمَعْنَى «الرَّئِيسِ» - فَاسْتَوَلَى عَلَى الْأُمُورِ. ثُمَّ خَلَفَهُ فِي الْوِزَارَةِ ابْنُ لَهُ اسْمُهُ يَوْسُفُ فَزَادَ اسْتِبْدَادُهُ بِأُمُورِ الدَّوْلَةِ. وَكَانَ لِبَادِيسَ ابْنٌ اسْمُهُ بَلْقَيْنُ يَرْشَحُهُ بَادِيسُ لِلْمَلِكِ مِنْ بَعْدِهِ. وَضَاقَ بَلْقَيْنُ بِاسْتِبْدَادِ يَوْسُفَ بْنِ صُمُوئِيلَ فَجَعَلَ يَحْضُرُ أَبَاهُ عَلَى الْإِسْتِغْنَاءِ عَنْهُ. عَلِمَ يَوْسُفُ بِذَلِكَ فَدَبَّرَ اغْتِيَالَ بَلْقَيْنِ. وَلَمَّا انْكَشَفَ أَمْرُ الْإِغْتِيَالِ زَعَمَ يَوْسُفُ أَنَّ نَفَرًا مِنْ خَدَمِهِ وَجَوَارِيهِ فَعَلُوا ذَلِكَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ وَارَادَتْهُ فَقَامَ بَادِيسُ بِقَتْلِ جَمَاعَاتٍ مِنَ الْيَهُودِ (بِتَحْرِيزٍ مِنْ يَوْسُفَ). غَيْرَ أَنَّ نَفُوذَ يَوْسُفَ زَادَ كَثِيرًا.

وَكَانَ أَبُو إِسْحَقَ الْإِلْبِيرِيُّ مِمَّنْ يَحْضُرُ بَادِيسَ وَبَنِي صَنْهَاجَةَ، قَوْمَ بَادِيسَ، وَأَهْلَ غَرْنَاطَةَ كُلَّهُمْ عَلَى الْفَتْكِ بِالْيَهُودِ. وَاسْتَطَاعَ يَوْسُفُ أَنْ يَجْعَلَ بَادِيسَ عَلَى أَنْ يُخْرِجَ أَبَا إِسْحَقَ الْإِلْبِيرِيَّ مِنْ غَرْنَاطَةَ. فَذَهَبَ أَبُو إِسْحَقَ إِلَى الْبِيرَةِ وَعَاشَ فِي دَارٍ عَلَى

(١) طَبَّقَ الْمَفْصَلَ (الْوَصْلَةَ بَيْنَ عَظْمَيْنِ) : أَحْسَنَ الْقَطْعِ. (تَدْبِيرُ الْأُمُورِ). الْحَزُّ : الْقَطْعُ.

إحدى التلال عيشة الزهد والتصوّف. وهنالك نظم قصيدة في الحَضّ على الفتك باليهود وسَرَدَ فيها جميع التهم الموجّهة إليهم وَذَكَرَ جميعَ الصور التي كان استبدادهم بالمسلمين يجري فيها. وأثرت هذه القصيدة في أهل غرناطة فناروا على اليهود فيها وقتلوا منهم مَقْتَلَةً عظيمة (قيل ثلاثة آلاف) وقُتِلَ في هذه المَعْرَكَةِ (تاسع صَفَرٍ من سَنَةِ ٤٥٩ = ١٠٦٦/١٢/٣٠ م) يوسُفُ بْنُ النَغْدَلَةِ نَفْسُهُ. وفي «أعمال الأعلام» (ص ٢٣٣) أَنَّ هذه المعركة كانت سَنَةَ ٤٦٩ أو ٤٦٥.

ويبدو أن وفاة أبي اسحاق الإلبيري كانت بعدَ ذلك مُدَّةَ يسيرة، بعدَ أَنْ تَقَدَّمتْ به السَّنُّ كثيراً.

٢- كان أبو اسحق الإلبيري فقيهاً ومُحَدِّثاً بارِعاً في علم الحديث. وكذلك كان شاعراً وَجَدَانِيّاً مُحَسَّناً يُغَرِّمُ أحياناً بالصناعة وبالجناس خاصة ويتكلّم عن الحب بتعابير الحرب والقتال، ولكن على نَهْجٍ بَدَوِيٍّ لا في سبيل الإثارة الجنسية. وأكثر شعره في الزهد والتصوّف والحِكَم تغلب عليه العاطفة الدينية وشيءٌ من التشاؤم. على أن شهرته قائمة على القصيدة التي يَحُضُّ فيها باديس بن حبّوس وقومه صِنْهَاجَةَ على الفتك باليهود. وهي قصيدة سهلة التركيب واضحة المعاني مملوءة بالصور المثيرة للنخوة والإباء من طريق المقارنة.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو اسحاق الإلبيري يُحَرِّضُ باديسَ بنَ حبّوسٍ وقومه صِنْهَاجَةَ على الفتك باليهود:

أَلَا قُلْ لِيَصْنَهَاجَةَ أَجْمَعِينَ	بُدُورِ الزَّمَانِ وَأُسْدِ الْعَرِينِ
مَقَالَةً ذِي مِقَةٍ مُشْفِقِي	يَمُدُّ النَصِيحَةَ زُلْفَى وَدِينِ ^(١)
لَقَدْ زَلَّ سَيِّدُكُمْ زَلَّةً	تَقَرُّ بِهَا أَعْيُنُ الشَّامَتِينَ.
تَخَيَّرَ كَاتِبُهُ كَافِرًا؛	وَلَوْ شَاءَ كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ^(٢) .

(١) زلفى: تقريباً (إلى الله). دعى: يأمر بها الدين.

(٢) الكاتب: الوزير.

وتأهوا، وكانوا من الأردليين.
لأردل قِرْدٍ من المُشركين.
تُصِيبُ بِظَنِّكَ نَفْسَ الْبَقِيَّةِ،
وفي الأرض تُضَرَّبُ مِنْهَا الْقُرُونُ^(١)؟
وقد بَغَضُوكَ إِلَى الْعَالَمِينَ؟
إذا كُنْتَ تَبْنِي وَهُمْ يَهْدِمُونَ؟
وَذَرُهُمْ إِلَى لَعْنَةِ الْلَاعِنِينَ^(٢).
وكادت تَمِيدُ بِنَا أَجْمَعِينَ.
فَكُنْتُ أَرَاهِمُ بِهَا عَابَثِينَ،
فَمِنْهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ لَعِينٌ.
وَهُمْ يَخْضِمُونَ وَهُمْ يَقْضِمُونَ^(٣).
وَأَنْتُمْ لِأَوْضَعِهَا لَا بَوْنَ.
وكيف يَكُونُ أَمِينًا خَوُونَ؟
فَيُقْصَى، وَيُدْتَوَّنُ إِذْ يَأْكُلُونَ.
فَمَا يُمْتَعُونَ وَمَا يُنْكُرُونَ^(٤).
وَأَنْتُمْ لِطَرِيفِهِمْ أَكْلُونَ^(٥).
وَأَجْرِي إِلَيْهَا نَعِيرُ الْعَمِيونَ^(٦).
وَنَحْنُ عَلَى بَابِهِ قَائِمُونَ.
فَلِنَا إِلَى رَبِّنَا رَاجِعُونَ.
كَمَا لِكَ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ.
وَضَحَّ بِهِ فَهُوَ كَبَشٌ سَمِينٌ.
فَقَدْ كُنْزُوا كُلَّ عِلْقٍ ثَمِينٍ^(٧).

فَعَزَّ الْيَهُودُ بِهِ وَأَتَّخَوْا
فَكَمَ مُسْلِمٍ رَاغِبٍ رَاهِبٍ
أَبَادِيْسُ، أَنْتَ أَمْرُؤُ حَادِقُ
فَكَيْفَ خَفِيَ عَنْكَ مَا يَغْبُثُونَ
وَكَيْفَ تُحِبُّ فِرَاحَ الزَّانَا
وَكَيْفَ يَتِمُّ لَكَ الْمُرْتَقَى
فَلَا تَتَّخِذْ مِنْهُمْ خَادِمًا،
فَقَدْ ضَجَّتْ الْأَرْضُ مِنْ فِسْقِهِمْ
وَأِنِّي حَلَلْتُ بِفِرْنَاطَةٍ
وَقَدْ قَسَمُوهَا وَأَعْمَالَهَا
وَهُمْ يَقْبِضُونَ جَبَايَاتِهَا،
وَهُمْ يَنْلَبِّسُونَ رَفِيعَ الْكِسَا
وَهُمْ أَمْنَاكُمُ عَلَى سِرْكُمُ،
وَيَأْكُلُ غَيْرُهُمْ دَرَهْمًا
وَقَدْ نَاهَضُوكُمُ إِلَى رَبِّكُمُ
وَهُمْ يَذْبَحُونَ بِأَسْوَاقِنَا،
وَرَحْمٌ قِرْدُهُمْ دَارَهُ
وَصَارَتْ حَوَائِجُنَا عِنْدَهُ،
وَيُضْحَكُ مِنَّا وَمِنْ دِينِنَا.
وَلَوْ قُلْتُ فِي مَالِهِ إِنَّهُ
فَبَادِرْ إِلَى ذَبْحِهِ قُرْبَةً
وَلَا تَرْفَعْ الضَّغْطَ عَنْ رَهْطِهِ

(١) وفي الأرض تضرب منها القرون: (٢).

(٢) الحادد: الكاتب (الوزير).

(٣) الحضم: أكل الشيء الطري. القضم: أكل الشيء اليابس - يأكلون الأخضر واليابس.

(٤) ناهضوكم إلى ربكم: قاوموكم وحلوكم على ما يفض بركم. ما ينكرون: لا ينكر عليهم أحد ما يفعلون.

(٥) الإطريف: الطريف (بالمالء الياء): اللحم الذي به عانة (كاللحم في الذبيحة والنقص في أعضائها. واليهود لا يأكلون مثل ذلك اللحم).

(٦) رخم داره: فرشها (بَلَطَهَا) بالرخام (البلاط الأبيض الثمين). النمر (الماء) الحلو.

(٧) الملق: الشيء النفيس.

وفرق عَراهم وخذ مالهم،
ولا تحسبن قتلهم غدرًا؛
فقد نكثوا عهدنا عندهم،
وكيف تكون لنا همة
ونحن الأذلة من بينهم،
فلا نرضَ فينا بأفعالهم
وراقب إلّاك في جزبه،
فأنت أحقّ بما يجتمعون.
بل الغدرُ في تركهم يَغثون.
فكيف نلأم على الناكثين؟
ونحن خمول وهم ظاهرون؟
كأنّا أسانبا وهم مُحينون.
فأنت رهينٌ بما يفعلون.
فحزبُ الإله هم المُفلحون!

- في نفح الطيب (٣: ٤٩١): لما مَرَضَ الفقيهُ الزاهدُ أبو اسحاق إبراهيمَ الإلبيريَّ دَخَلَ عليه الوزيرُ أبو خالدٍ هاشمُ بنُ رجاءٍ فرأى ضيقَ مَسْكَنِهِ فقال: «لو اتَّخَذْتَ غَيْرَ هذا المَسْكَنِ لكان أولى بِكَ». فقال (أبو اسحاق)، وهو آخرُ شعرٍ قاله:

قالوا: ألا تَسْتَجِدُّ بَيْتًا
فقلت: ما ذلِّكم صوابًا؛
لولا شِئنا وَلَقَعَ قَبْظُ
وعشٌ كثيرٌ لِمَنْ يَموتُ.
وَنِسوةٌ يَبْتَغِينَ سِتْرًا،
وخوفٌ لِمَنْ وَجِظُ قوتُ^(١)
تَعَجَّبَ مِنْ حُسْنِ البيوتِ!
بَنَيْتُ بُنْيَانًا عَنكِبوتِ.

- وقال يلوم الشيوخَ المتصابين، وفيها كِنَايَاتٌ بارعةٌ ملموحةٌ:

الشيب نَبَّةٌ ذا التهي فَنَتَّهَها،
فإلى متى ألهو وأخدعُ بالني؛
ما حُسْنُهُ إِلَّا التقي، لا أن يُرى
صَبًّا بِالْحَاطِظِ الجَاذِرِ والمها^(٢)؛
أَتَى يُقَاتِلُ، وهو مَفْلُولُ الشبا
كأبي الجوادِ، إذا اسْتَقَلَّ نَأَوَّها^(٣)؛
مَحَقَّ الزمانُ هِلَالَهُ فَكَأَنَّمَا
أَبْقَى لَهُ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ السُّها^(٤)؛
وَنَهَى الجَهُولَ فما اسْتَفَاقَ ولا انْتَهَى.
والشيخُ أَقْبَحُ ما يَكُونُ إذا لَهَا^(٥).

(١) لفت النار بحرّها (أحرق). القبط: الحرّ الشديد.

(٢) لها يلهو (انصرف إلى اللهو).

(٣) الجاذر جمع جَوْدَر (الغزال الصغير) والمها جمع مهاة (بقرة الوحش: نوع من الغزلان).

(٤) في هذا البيت كناية لو صرح بها لكانت قبيحة جدًا. الشبا جمع شِباء (حدّ السيف). مَفْلُولٌ = مَقْلٌ: كال (لا يقطع). كابي (ساقط على وجهه، لا يستطيع أن يقف ثابتاً) الجواد (الحصان). استقلَّ: بدأ سيره، ركب. نَأَوَّه: تحسّر.

(٥) محى نوره (بالبناء للمجهول) ذهب نوره (كما يكون القمر في آخر الشهر). السها: نجم صغير في بنات نعلنج مجاور لنجم آخر لا يكاد يراه إلّا من كان بصره حديدًا (صحيحاً قوياً).

فقد حَسِرًا يَشْتَهِي أَنْ يَشْتَهِي؛
فَقَدَّ الْإِلْدَاتِ، وَزَادَ غِيَاً بَعْدَهُمْ.
يَا وَيْحَهُ! مَا بَالُهُ لَا يَشْتَهِي

- وَقَالَ فِي إِقْبَالِ الدُّنْيَا وَإِدْبَارِهَا:

خَلِيلِي عَوْجًا بِي عَلَى مَسْقَطِ اللَّوَى
فَأَسْأَلُ عَنْ لَيْلِي تَوَلَّى بِأَنْبِسَا
لَيْلِي إِذْ كَانَ الزَّمَانُ مَسَالِيًا
وَإِذْ كُنْتُ أَسْقَى الرَّاحَ مِنْ كَفِّ الْأَغْيَدِ
أُعَانِقُ مِنْهُ الْغَصْنَ يَهْتَزُّ نَاعِمًا
وَقَدْ ضَرَبْتَ أَيْدِي الْأَمَانِ قِبَابَهَا
فَمَا شَتَّتَ مِنْ لَهْوٍ وَمَا شَتَّتَ مِنْ دَدٍ
وَمَا شَتَّتَ مِنْ عَوْدٍ يَغْنِيكَ مُفْصِحًا
وَلَكِنَّهَا الدُّنْيَا تُخَادِعُ أَهْلَهَا

لَعَلَّ رَسْمَ الدَّارِ لَمْ تَتَغَيَّرَا^(٣)
وَأَنْدُبَ أَيَّامًا تَقْضَتْ وَأَعْصَرَا.
وَإِذَا كَانَ غَصْنُ الْعَيْشِ فَيَنْأَنُ أَخْضَرَا^(٤)،
يَنَاولُنِيهَا رَائِحَةً وَمُبَكَّرَا^(٥).
وَأَلْتِمُ مِنْهُ الْبَدْرَ يَطْلُعُ مُقْبِرَا.
عَلَيْنَا، وَكَفَّ الدَّهْرَ عَنَّا وَأَقْصَرَا^(٦).
وَمِنْ مَبْسَمٍ يُجْنِيكَ عَذْبًا مَوْشَرَا^(٧).
(سِمْكَ شَوْقٍ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا)^(٨).
تَغُرُّ بِصَفْوٍ وَهِيَ تَطْوِي تَكْدُرَا.

- (١) فِي هَذَا الْبَيْتِ كُنَايَةٌ لَوْ صَرَّحَ بِهَا لَكَانَتْ أَيْضًا قَبِيحَةً جَدًّا. الْحَسِيرُ: الضَّعِيفُ الْبَصَرِ. وَحَسِرَ الْبَصِيرُ: ضَعُفَ وَتَعَبَ. وَحَسِرَ الرَّجُلُ: تَلَهَّفَ (أَرَادَ شَيْئًا وَعَجَزَ عَنْهُ)، أَعْيَا: تَعَبَ فَانْقَطَعَ (عَنِ الشَّيْءِ)، أَوْ الْعَمَلِ أَوْ الْقِيَامِ). يَشْتَهِي (يُرِيدُ، يَرْغَبُ) أَنْ يَشْتَهِيَ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ): يَمَاطِلُ مَعَامَلَةَ الْأَنْشَى. طَلَقَ: غَيْرَ مُقَيَّدٍ. الْجُمُوحُ: اسْتِبْدَادُ الْفَرَسِ بِرَاكِبِهِ لِنَشَاطِهِ وَقُوَّتِهِ.
- (٢) اللَّدَّةُ (بِكسر فَتْحِ): الْقَرَبُ (بِكسر التَّاءِ) مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ سَنَكٍ. وَاللَّدَّةُ وَالْقَرَبُ تَقَالَانِ لِلذَّكُورِ وَاللِّانَاثِ.
- (٣) عَاجٌ: مَالٌ. مَسْقَطُ اللَّوَى (وَرَدَ فِي مَعْلَقَةٍ أَمْرِيهِ الْقَيْسِ «سَقَطَ اللَّوَى»)، لَمْ تَتَغَيَّرَا = لَمْ تَتَغَيَّرِ
- (٤) قَلْبَتِ نُونِ التَّوَكِيدِ الْخَفِيفَةِ (أَلْفًا).
- (٥) فَيَنْأَنُ: مَمْتَدٌّ (الْفَيْنَانُ ذُو الشَّعْرِ الْحَسَنِ الطَّوِيلِ).
- (٦) الْأَغْيَدُ: النَّاعِمُ اللَّيْنُ (الْجَمِيلُ). رَائِحَةً (فِي الرِّوَاكِ: الْمَاءِ).
- (٧) ضَرَبْتَ أَيْدِي الْأَمَانِ عَلَيْنَا قِبَابَهَا: حَتَّنَا، جَعَلْتَنَا آمِنِينَ.
- (٨) الدَّدُ: اللَّهْوُ. مَبْسَمٍ (فَم) يُجْنِيكَ (يُعْطِيكَ، يُقَدِّمُ لَكَ) عَذْبًا (حَلَوًا، أَيْ رَهَقًا حَلَوًا) مَوْشَرَا (عَطْطًا) حِينَا تَكُونُ الْأَسْنَانُ لَصِيفٍ فِي السِّنِّ وَتَكُونُ صَحِيحَةً وَنَظِيفَةً يَبْدُو عَلَيْهَا تَأْشِيرٌ (أَيَّ خُطُوطَ).
- (٩) الْعَجَزُ (بِفَتْحِ فَضْمٍ) لَأَمْرِيهِ الْقَيْسِ - تَجَنَّدَ فِي نَفْسِهِ شَوْقٌ (إِلَى اللَّهْوِ) بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ تَرَكَ (اللَّهْوَ) مَدَّةً.

لقد أوردتني بعد ذلك كله
 وكما كابدت نفسي لها من مُلِمَّة
 خليلي ما بالي على صدق عزمي
 ووالله ما أدري لأيِّ جريمة
 ولم أك عن كَسْبِ المكارم عاجزاً
 لئن ساء تمزيقُ الزمان لدولتي
 وأبْقِظَ من نوم القَرارة نائماً
 - وقال في حال الدنيا:

تَمَرُّ لِدائي واحداً بعد واحدٍ
 وأحِلُّ موتاهم وأشْهَدُ دَفَنهم
 فها أنا في علمي بهم وجهالتي
 - وقال، وفيه شيء من الفخر:

ذروني أَجْبُ شرق البلاد وغربها
 فلستُ ككلب السوء يُرضيه مَرَبَضُ
 تحوم لكيا يُدْرِكُ الخصبَ حَوْمها
 وكنتُ إذا ما بلدةٌ لي تنكَّرتُ
 لأشفي نفسي أو أموتَ بدائي^(١)
 وعَظَمٌ، ولكنني عُقاب سماء،
 أُمَامَ أُمَامٍ أو وراء وراء،
 شَدَدْتُ إلى أخرى مطيَّ إبائي^(٢)،

(١) المورد: مكان شرب الماء. المصدر: الرجوع عن الماء (بعد الشرب أو بعد للترؤد بالماء).

(٢) المِلَّة: النازلة، العيبة. طرفي: بصري (عيني). الأسى: الحزن.

(٣) النيل (الغطا)، أنيل (اعطي أنا).

(٤) كما أن ذهاب الملك عني قد ساءني من جانب فإنه من الجانب الآخر قد علمني أن أُنمَط بأحداثه.

(٥) القَرارة: الغفلة وحداثة السن. الوري: مجموع البلهر.

(٦) تَمَرَّ (تموت).

(٧) يرنو: ينظر بتطلّع. مستيقظ يرنو بمقلة (عين) راقد (نائم): يرى بعينه من غير أن يعرف ما يرى.

(٨) ذر: دع. جاب: طاف.

(٩) المطي: ما يركبه الإنسان من الحيوان للانتقال من مكان إلى آخر. الإباء: الترفع عن الأمور الدنية.

وسرتُ ولا أُلوي على متعذّر وصممت لأُصغي إلى النُصحاء^(١)،
كشمس تبَدّت للعيون بشرق صباحاً، وفي غربِ أُصيلٍ مَلوّ.

٤ - ديوان أبي اسحاق الإلبيري (تحقيق ايليو غريسيه غومس)، مدريد، غرناطة ١٩٤٤ م،
الطبعة الثانية ١٩٥١ - ١٩٦٥ ؟

★ بغية الملتبس. ٢١، نفع الطيب ٣: ٤٩١، ٤: ٨٦، ١١٢ - ١١٣، ٣٢٢، ٣٤٥ - ٣٤٦،
دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٣٠، بروكلمن، الملحق ١: ٤٧٩ - ٤٨٠، نيكل
١٩٧ - ٢٠٠، مختارات نيكل ١٣٨ - ١٤٦ م، م ع ٤٩: ١، ص ٢١ - ٢٣، الأعلام
للزركلي (١٩٧٩ م). ١: ٧٣ - ٧٤.

ابن مَقانا

١ - هو أبو زيد عبد الرحمن بن مَقانا القَبْدَاقِيّ - نسبةً إلى قرية القَبْدَاق من
ساحل شِنْتَرَة (الذخيرة ٢: ٧٨٧) - الأَشْبُونِي البَطْلِيُونِيّ من سَكَّان بَطْلِيُونَس، ويبدو
أن أصله من القَبْدَاق في غربي الأندلس. بدأ ابن مَقانا حياته بالتكسب بالشعر: مدح
المُعْتَد بالله المروائيّ آخرَ خلفه قُرطبة (٤٦٤ - ٤٢٨ هـ) ومُنذِر بن يحيى التُجَيْبِيّ
صاحب سَرَقِسطَة (ت ٤٣٠ هـ) ومُجاهداً العامريّ (ت ٤٣٦ هـ) وإدريس بن يحيى
صاحب مَالِقَة الملقَّبَ بالعالِي بالله، وقد تولّى الإمارة مرتين من سَنَة ٤٣٤ إلى سَنَة
٤٣٨ ثم من سنة ٤٤٥ إلى سنة ٤٤٦. وارتفعت مكانة ابن مَقانا فتولّى القضاء في
بَطْلِيُونَس (راجع الحلة السراء ٢: ٩٩).

وبلغ ابن مَقانا أشدَّه نحو سَنَة ٤٣٨ (١٠٤٦ م). وفي أواخر حياته عاد إلى موطنه
في القَبْدَاق ثم كانت وفاته في مطلع النصف الثاني من القرن الخامس (في النصف
الثاني من القرن الحادي عشر للميلاد)، في الأغلب.

٢ - ابن مَقانا أديبٌ وشاعرٌ مُحسِنٌ مُجيد، وقد اشتهر بقصيدته النونية التي مدحَ
بها إدريس بن يحيى، وهي قصيدةٌ حَسَنَة مُشرقة فصيحةُ الألفاظ صحيحةُ التراكيب

(١) لا أُلوي (لا ألتفت، لا أهتم بـ). المتعذّر: الذي يتنصّل من الذنب (المقصود: الذي يلوم). صم: قصد، تقدّم، تأخر.

عَذْبَةُ التِّلَاوَةِ يَكْثُرُ فِيهَا الْاِقْتِبَاسُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. وَفَنُونَ شِعْرَهُ الْمَدِيحُ وَالْعَتَابُ وَالْوَصْفُ. وَكَانَ ابْنُ مَقَانَا فِي أَوَّلِ حَيَاتِهِ الْأَدَبِيَّةِ أَجْوَدَ شِعْراً مِنْهُ بَعْدَ كَهُولَتِهِ.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن مقانا يمدح العالي بالله إدريس بن يحيى بن حمود (٤٣٤ - ٤٣٨ هـ).

أَلْبَرِّقِ لَاحَ لِي مِنْ أُنْدَرَيْنِ ذَرَفْتُ عَيْنَاكَ بِالمَاءِ المَعِينِ^(١)
لَعِبْتُ أَسِيفَهُ عَارِيَةً كَمْخَارِيقَ بِأَيْدِي لَاعِبِينَ^(٢)
وَأَنَا جِي فِي الدُّجَى عَاذِلْتِي: وَنَيْك! لَا أَسْمَعُ قَوْلَ الْعَاذِلِينَ^(٣)
عَيَّرْتَنِي بِسَقَامٍ وَضَنَى: إِنَّ هَذَيْنِ لَزَيْنُ العَاشِقِينَ^(٤)
اسْقِنِيهَا مُرَّةً مَشْمُولَةً لَبِثْتُ فِي دَنْهَا بِضَعٍ سَنِينِ^(٥)
مَعَ فِتْيَانِ كِرَامٍ نُجُبٍ يَتَهَادَوْنَ رِيَا حِينَ المُجُونِ^(٦)
وَيُسْقَوْنَ إِذَا مَا شَرَبُوا بِأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينِ^(٧)
وَمَصَابِيحُ الدُّجَى قَدْ طُفِئَتْ فِي بَقَايَا مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جُونِ^(٨)

- (١) ورد هذا البيت مكسوراً (سقطت منه «لي») في المغرب (١: ٤١٣) وفي نفع الطيب (١: ٤٣٣).
ويقضي أن يجعل «عيناك» عيناى، فإنه أصح في المعنى وأحسن في عاطبة الملوك، يدلنا على ذلك استخدام ضمير المتكلم في الأبيات التالية للمطلع: أناجي، عيَّرتي الخ. أندرين قرية أو قرى قيل فيها إنها اشتهرت بالتمر. راجع في صيغتها اللغوية والنحوية (القاموس ٢: ١٤٠)؛ المعين: الظاهر، المرئي (وهوكون عادة كثيراً). - في الذخيرة (٢: ٧٩١): لائح (وهو صحيح في المعنى والوزن).
(٢) أسيافه (أسياف البرق): الأذرع التي ترى بين العيوم حينما يلعب البرق. الحراق: لفاقة من النسيج شبه السوط يتضارب بها الصبيان في أثناء اللعب. هذا اقتباس من قول عمرو بن كلثوم:
كَأَنَّ سَيْوَفَنَا مَنَا وَمِنْهُمْ مَخَارِيقَ بِأَيْدِي لَا عَيْنِنَا.
(٣) العاذلة: التي تلوم المحبين. وبك: وبك لك.
(٤) الضنى: الهزال (بالضم) الشديد.
(٥) مشمولة (هبت عليها ريح الشمال - بفتح الشين): باردة. الدن: إناء التمر.
(٦) المجون: التمريح في الغزل (٢).
(٧) معين (غير معين في مطلع القصيدة). خر جارية من منيع على وجه الأرض كأنهار الماء.
الشرط تضمين من القرآن الكريم (٥٦: ١٨ سورة الواقعة).
(٨) إن عدداً من النجوم قد اخفى وبقي من النجوم عدد آخر مفرق في البقع المظلمة من السماء.

وَكَاَنَّ الظِّلَّ مِنْكَ فِي الثَّرَى،
وَالنَّدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسِهِ
وَالثَّرِيَّا قَدْ هَوَتْ مِنْ أَفْقِهَا
وَكَاَنَّ الشَّمْسَ لَمَّا أَشْرَقَتْ -
وَجْهُهُ إِدْرِيسَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ
مَلِكُ ذُو هَيْبَةٍ لَكِنَّهُ
خُطَّ بِالسَّيْفِ عَلَى أَبْوَابِهِ:
فَإِذَا مَا رُفِعَتْ رَايَاتُهُ
وَإِذَا أَشْكَلَ خُطْبُ مُضِلِّ
فَبِئْسَ رَاهِ يَسَارُ الْمُعْسِرِينَ،
يَا بَنِي أَحْمَدَ - يَا خَيْرَ الْوَرَى -
نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ، فَاحْتَبَسَى
خُلُقُوا مِنْ مَلِكٍ عَذْلٍ وَتَقَى
انْظُرُونَا نَقْتَسِسَ مِنْ نُورِكُمْ،

وَكَاَنَّ الظِّلَّ دُرٌّ فِي الْفُصُونِ،
كَدُمُوعٍ أَسْبَلَتْهُنَّ الْجُفُونِ.
كَقَضِيْبٍ زَاهِرٍ مِنْ يَاسَمِينِ.
فَانْتَشَنَتْ عَنْهَا عَيُونُ النَّاطِرِينَ -
بَنِي حَمَوْدٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.
خَاشِعُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.
ادْخُلُوهَا بَسَلامٍ آمَنِينَ! (١)
خَفَقَتْ بَيْنَ جَنَاحِي جِبْرِتَيْنِ (٢).
صَدَعَ الشَّكُّ بِمَصْبَاحِ الْيَقِينِ (٣).
وَيُؤْمِنُاهُ لِيَوَاءِ السَّابِقِينَ (٤).
لَأَيُّكُمْ كَانَ وَقَدْ الْمُسْلِمِينَ (٥).
فِي الدُّجَى فَوْقَهُمُ الرُّوحُ الْأَمِينُ (٦).
وَجَمِيعُ النَّاسِ مِنْ مَاءٍ وَطِينِ.
إِنَّهُ مِنْ نُورِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧).
إِنَّهُ مِنْ نُورِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨).

- (١) الظِّلُّ (ظلام الليل) يبدو على الأرض كأنه منك (أسود اللون) مفروش. الظِّلُّ: نقط الماء التي جددت (بفعل برد الليل) على الأغصان. دُرٌّ: لؤلؤ.
- (٢) «ادخلوها بسلام آمنين» تضمين من القرآن الكريم (١٥: ٤٦، سورة المحر - بكر الحاء).
- (٣) جبرتين وجبرئيل وجبريل: الروح القدس.
- (٤) أشكل (أهم، غمض) خطب (حدث مفتح، مصيبة) معضل (لا علاج له) صدع (شق) اليقين (المعقل).
- (٥) اليسار: الغنى، الثروة. المعسر: الذي لا يجد ما ينفق. السابقون: الذين يتقدمون غيرهم في أعمال البر (في الإيمان، في التقوى، في الإحسان، الخ).
- (٦) أحمد من أسماء رسول الله. الورى: مجموع البشر. - الشاعر يرفع نسب المدوح إلى رسول الله.
- (٧) الروح الأمين = الروح القدس: جبريل. احتسبى: جلس أرضاً وضَمَّ ركبتيه إلى صدره بشملة أو بيده (وتلك جلسة الأشراف والرؤساء). - احتسبى فوقهم... ليس لهم رئيس من البشر، رئيسهم الروح الأمين (جعلهم الله ملوكاً على البشر).
- (٨) انظرونا: انظروا إلينا (لأنَّ الشاعر كان ينشد من وراء ستار، والمدوح لم يكن يراه). نقتبس: نأخذ قِيباً (قطعة من خشب مشعلة من قطعة أخرى أكبر منها): نستمد منكم نوراً أو علماً أو قوة... «انظرونا نقتبس من نوركم» اقتباس من القرآن الكريم (٥٧: ١٣، سورة الحديد).

٤ - ** الذخيرة ٢: ٧٨٦ - ١٧٩٦ جذوة المقتبس ٢٦٠ (الدار المصرية) ٢٧٩ (رقم ٦١٨)؛
 بغية اللئس ٣٥٨ - ٣٥٩ (رقم ١٠٤٤) المغرب ١: ٤١٣ نفح الطيب ١:
 ٢١٤، ٤٣٣ - ٤٣٥، ١٢٦٤: ٣ نيكل ١٠٥.

المظفر بن الأفطس

١ - هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة (وقيل: سلمة) التُجيبِيُّ الأندلسيُّ، المعروف بالمُظفَر بن الأفطس، لعلَّ أصله من البربر وإن كانت نسبته الرسمية إلى قبيلة تُجيبَ العربية. جاء المظفر هذا إلى عرش بَطْلَيْوُسَ بعد وفاة أبيه المنصور عبد الله بن محمد، في جُمادى الثانية من سنة ٤٣٧ (أو آخر ١٠٤٥ م). ولم تكن أيامه أيام هُدُوءٍ وسَلَمٍ فقد كثرت حروبه مع المعتمد بن عباد (ت ٤٨٨) ويحيى المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة (٤٢٩ - ٤٦٧ هـ) ومع الجَلّالة الذين استولوا، سنة ٤٥٦ (١٠٦٤ م) على قَلَمَرِيَّة (في البُرتغال اليوم).

وكانت وفاته المظفر سنة ٤٦٠ (١٠٦٧ - ١٠٦٨ م).

٢ - كان المظفر بن الأفطس جَمَّ المعرفة جَمَاعَةً للكتب عارفاً بالتاريخ وبالأدب أديباً شاعراً ناثراً، مُلِماً بعددٍ من العلوم. وكذلك كان ناقدًا يُفَضِّلُ الشعرَ المتين إذا كان نبيلَ المعنى. وكان كريمَ الخُلُق لا يشربُ الخمرَ ولا يُحِبُّ وَصْفَهَا في الشعر، فقد قَطَعَ لسان شاعره القَلَمَنْدَرِ لَأَنَّهُ ذَكَرَ الخمرَ بخيرٍ ودافع عن شُرْبِهَا. ثم هو مُصَنِّفٌ له تفسيرُ القرآنِ الكريمِ ثم له كتابُ التذكرةِ المعروفة باسم (الكتاب) «المُظفَرِيَّة»، نسبةً إليه. والتذكرة هذه مؤلفة على نَمَطٍ «عيون الأخبار» لابن قُتَيْبَةَ (المشريقي) وفيها أدبٌ وشعرٌ وتاريخٌ وسوى ذلك، وهو كتابٌ كبيرٌ قيلَ خمسون مجلدة (نفح ٤٤٢: ١، ٣: ١٨١، ٤٤٦: ٤) وقيل «نحو مائة مجلدة» (نفح ٣: ١٩٤).

٣ - مختارات من آثاره

- قال المظفر بن الأفطس يوماً (نفح الطيب ٤: ٤٦٦):

«والله، ما يَمْنَعُنِي من إظهار الشعر إلا كوني لا أقولُ مثلَ قولِ أبي العَشاءِ بنِ حَمْدَانَ... وقولِ أبي فِرَاسِ ابنِ عَمَّة... (ولكن) أَمِنَ هذا من قولِي:

أَنْفَتُ مِنَ الْمُدَامِ لِأَنَّ عَقْلِي أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ أَسْرِ الْمُدَامِ^(١).
وَلَمْ أَرْتَحْ إِلَى رَوْضٍ وَزَهْرٍ وَلَكِنْ لِلْحَمَائِلِ وَالْحُسَامِ^(٢).
إِذَا لَمْ أَمْلِكِ الشَّهَوَاتِ قَهْرًا، فَلَمْ أَبْنِي الشُّفُوفَ عَنِ الْأَنَامِ^(٣).

- ومن شعره (نفع الطيب ٤ : ٤٦٧) في النسيب :

يَسَا لَحْظَسُهُ، زِدْ فُتُورًا تَزِدْ عَلَيَّ اقْتِيْدَارًا.
فَاللَّحْظُ كَالسِّيفِ أَمْضَا هُ مَا يَسِرُّ غِرَارًا^(٤).

٤ - ** التكملة ١٢٨، المطرب ٢١ - ٣٣، المغرب ١ : ٣٦٤ - ٣٦٥، الوافي بالوفيات ٣ : ٣٢٣، الذخيرة راجع ٢ : ٣٣ - ٣٦، ٦٤٠ - ٦٤٦ وأماكن أخرى (راجع فهرست الجزء من الأول والثاني). البيان المغرب ٣ : ٢٢٠، ٢٣٦، راجع المغرب ١ : ٢٣، ٣٦٤، ٣٦٩، ٣٧٤، ٣٧٧، نفع الطيب ١ : ٤٤٢، ٣ : ١٨١، ١٩٤، ٣٨٠، ٣٩٨، ٤ : ٤٦٦، الاعلام للزركلي ٧ : ١٠٢ - ١٠٣ (٦ : ٢٢٨).

صاعد الطليطي

١ - هو أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي الأندلسي القرطبي الطليطي، أصله من قرطبة ومولده في المريّة، سنّة ٤٢٠ (١٠٢٩ م). وقد سكن قرطبة. وروى صاعد عن ابن حزم الكبير (ت ٤٥٦ هـ) وعن الفتح ابن قاسم وأبي الوليد الوقشي القاضي (؟) وغيرهم.
وَوَلَّى صَاعِدُ الْقَضَاءِ فِي طَلِيطَةَ اسْتَقْضَاهُ فِيهَا الْمَأْمُونُ بِحَيٍّ بَنُ ذِي النُّونِ، فَبَقِيَ فِي الْقَضَاءِ إِلَى وَفَاتِهِ فِي رَابِعِ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٤٦٢ (٦/٧/١٠٧٠ م).

-
- (١) المدام: الخمر.
(٢) الهماله (بالفتح): الدية (يكسر ففتح بلا تشديد) يدفعها قوم عن آخرين (يقصد أنه كريم). الحسام: السيف (يقصد الشجاعة في الحرب).
(٣) الشفوف (ظهور الشيء من وراء ستر رقيق). الأنام: الناس - يقصد: إذا لم استطع بإرادتي أن ابتعد عن الميوب فأنا لا أحاول النتر عن الناس (أنا ظاهر دائماً للناس لأنني لست على شيء من الشهوات الردية).
(٤) الغرار: حدّ السيف.

٢ - كان صاعدُ الطليطلي من أهل الذكوة والمعرفة وكان مؤرخاً بَعَثَةً وفعياً .
 وكان لصاعدٍ عددٌ من الكتب: جوامعُ أخبارِ الأمم من العرب والمجم - صوان
 الحكمة في طبقات الحكماء - مقالاتُ أهلِ الملل والنحل - إصلاح حركات
 النجوم - تاريخُ الأندلس - تاريخ الإسلام (ويبدو أن هذه كلها قد ضاعت). وقد
 بقيَ لنا كتابُه الموجزُ « طبقاتُ الأمم ». دَرَسَ صاعدٌ في هذا الكتاب أجناسَ البشر
 وجعلها طبقتين: طبقةٌ عُنيَتْ بالعلوم وصدرَ عنها معارفُ هي الهند والفرس
 والكلدان والعبان واليونان (القدماء) والروم (البيزنطيون) وأهلُ مِصرَ والعرب. ثم
 هنالك طبقةٌ لم تُعَنَ بالعلوم ولا صدرَ عنها شيء مفيدٌ من المعارف. من أممِ هذه
 الطبقة الصينُ والصقالبة والبربرُ والسودان وغيرُهم.

٣ - مختارات من آثاره

- قال صاعد الطليطلي في « طبقات الأمم »:

اعلم أن جميع الناس في مشارق الأرض ومغاربها وجنوبها وشمالها، وإن كانوا
 واحداً، يَتَمَيَّزُونَ بثلاثة أشياء: بالأخلاق والصور واللغات (ص ٥).

ووجدنا هذه الأمم، على كثرة فِرَقهم وتخالُفِ مذاهبهم، طبقتين: طبقة عُنيَتْ
 بالعلم فظهرت منها ضروب العلوم وصدرت عنها فنون المعارف؛ وطبقة لم تُعَنَ بالعلم
 عناية تستحق بها اسمه... وأما الطبقة التي عُنيَتْ بالعلوم فتأتي أمم: الهند والفرس
 والكلدانيون والعبانيون واليونانيون والروم وأهل المغرب والعرب (ص ٧).

وأما الطبقة التي عُنيَتْ بالعلوم فهم صفوة الله من خَلْقِهِ ونخبته من عباده لأنهم
 صَرَفُوا عنايتهم إلى نيل فضائل النفس الناطقة الصانعة لنوع الإنسان والمقومة لطبعه
 (ثم) زهدوا فيها رغب فيه الصين والترك ومن نَزَعَ مِنزَعَهُم من التنافس في أخلاق
 النفس الغضبية والتفاخر بالقوى البهيمية، إذ علموا أن البهائم تُشْرِكُهُمْ فيها
 وتفضلهم في كثير منها (ص ١٠).

.... احمد بن إبراهيم بن أبي خالد القيرواني المعروف بابن الجزار كان حافظاً للطب
 دارساً للكتب جامعاً لتأليف الأوائل حسنَ القَهم لها. وله مصنّفاتٌ حسنةٌ في الطبِّ

وغيره فمن أشهرها كُنَّاشُهُ في علم الأمراض المعروف بيزاد المسافر وكتابه في الأدوية المفردة المعروف بالاعتقاد وكتابه في الأدوية المركبة المعروف بالبُغْيَة ورسائله في النفس وفي ذكر اختلاف الأوائل فيها. وكان له أيضاً عناية بالتاريخ أدت الى أن يُؤلَّفَ فيه مختصراً حسناً سماه «كتاب التعريف بصحيح التاريخ». وكان مع هذا جميل المذهب فاضل السيرة صائناً لنفسه منقبضاً عن الملوك ذا وفرة وثروة. (ص ٦١ - ٧٢).

.... وابو عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم المعروف بالحمار السرقسطي كان متحققاً إماماً في علم النحو واللغة (وبعلم الهندسة والمنطق والموسيقى متصرفاً في سائر علوم الفلسفة). وله تأليف في الموسيقى ورسالة في تعديل العلوم وكيف درجت إلى الوجود من انقسام الجوهر والعرض. ونالته في أيام المنصور بن ابي عامر محنة شديدة مشهورة السبب أدته بعد انطلاقه من السجن الى الخروج عن الاندلس فتوفي في جزيرة صقلية (ص ٦٨).

٤ - طبقات الأمم (نشره... الأب لويس شيخو اليسوعي)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩١٢ م، مصر بلا تاريخ.

* * الصلة ٢٣٢ (رقم ٥٣٩)، بغية الملتقى ٣١١ (رقم ٨٥٢)، طبقات الأطباء ١: ٣٦، ٣٧، ٤٣، ٥٧ - ٥٨، بروكلمن ١: ٤١٩، الملحق ١: ٥٨٥ - ٥٨٦، الأعلام للزركلي ٣: ٢٧١ (١٨٦)، بالنشأ ٢٣٩ - ٢٤٠.

ابن عبد البر

١ - هو أبو عمر يوسف بن عبد البر بن محمد بن عبد البر بن عاصم النبري القرطبي، وُلِدَ في قرطبة، في ٢٤ ربيع الآخر من سنة ٣٦٨ (٩٧٨/١١/٢٩).

وفي قرطبة رَوَى ابن عبد البر الحديث عن نَفَرٍ من مشاهير العلماء منهم أبو عمر الباجي وأبو عمر الطلمنكي وأبو الوليد بن الفرّضي (ت ٤٠٣ هـ) وقد لَزِمَ ابن الفرّضي وأخذ عنه كثيراً من علم الحديث وعلم الأدب.

وسكَنَ ابن عبد البر اشبيلية وتفقّه فيها على الفقيه أبي عمر أحمد بن عبد الملك بن

هاشم الاشبيلي. ولم تعرف اشبيلية قَدَر ابن عبد البر، كما لم تعرفه قرطبة من قبل، فانتقل إلى غربي الأندلس فولاه المظفر بن الافطس صاحب بطليوس (٤٣٧ - ٤٦٠ هـ) القضاء في الإشبونة ثم في شنتين. ثم إنه تحول إلى شرقي الأندلس وسكن دانية وتقل بينها وبين بلنسية وشاطبة. وكان مرة في زيارة لشاطبة فأدركته فيها الوفاة، في آخر ربيع الآخر من سنة ٤٦٣ (١٠٧١/٢/٣ م).

٢- كان أبو عمر يوسف بن عبد البر أحفظ أهل الأندلس للحديث، كما كان فقيهاً على المذهب الظاهري ثم انتقل عنه إلى مذهب مالك. وكذلك كان عالماً بالسير والأنساب. وكان أيضاً شاعراً كثير الأنفة في شعره، ولكن شعره ينوء برصانة العلماء.

وابن عبد البر مؤلف خصب له من الكتب: الاستيعاب في معرفة الصحاب (جمع فيه أسماء أصحاب رسول الله) - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (رتبه على أسماء شيوخ الإمام مالك وعلى حروف المعجم) - الاستذكار في شرح مذاهب علماء الامصار (في ما تضمن الموطأ من معاني الرأي والآثار، شرح فيه ابن عبد البر الموطأ على وجهه ونسق أبوابه) - الدرر في اختصار المغازي والسير - الإنباه في ذكر أصول القبائل والرواة عن رسول الله - القصد الأمم في التعريف بأصول العرب والمجم - التقصي في الحديث النبوي - جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحله - الكافي في الفقه - الإنصاف في ما بين العلماء من الخلاف - العقل والعقلاء وما جاء في أوصافهم - بهجة المجالس وأنس المجالس مما يجري في المذاكرات من غرر الابيات ونوادر الحكايات (من الأمثال والأشعار والحكايات المتعلقة بمكارم الأخلاق والحلم والصدقة والعداوة والوعظ الخ).

٣- مختارات من آثاره

- توجه ابن عبد البر من دانية قاصداً المعتضد بن عباد في أشبيلية وقال له:
قصدت إليك من شرقي لغربٍ لتبصير مُقلتي ما حلَّ سمني^(١).

(١) مقلتي (فاعل للفعل تبصر)، ما (اسم موصول، مفعول به).

وَتَغْطِفُكَ الْمَكَارِمُ نَحْوَ أَضْلَى
فَإِنْ جُدُّهُ بِهِ مِنْ بَعْدِ عَفْوٍ
- وَقَالَ يَفْتَخِرُ بِعِلْمِهِ:

إِذَا فَاخَرْتَ فَافْخَرْ بِالْعُلُومِ
فَكَمْ أَمْسَيْتُ مُطَرِّحاً بِجَهْلِي،
وَكَمْ أَقْبَلْتُ مُتَّيِّداً مُهَاباً
وَرَكِبَ سَارٍ فِي شَرْقٍ وَغَرْبٍ
- وَقَالَ فِي الشُّكُوى مِنَ النَّاسِ:

تَنْكَرَ مَنْ كُنَّا نُسَرُّ بِقَرْبِهِ
وَحَقُّ لَجَارٍ لَمْ يُوَافِقْهُ جَارُهُ
بُلَيْتُ بِمِصْرَ، وَالْمَقَامُ بَبِلَةَ
إِذَا هَانَ حَرٌّ عِنْدَ قَوْمٍ أَتَاهُمْ،
وَلَمْ تُضْرَبِ الْأَمْثَالُ إِلَّا بِعَالَمٍ

- وَمِنْ مَقْدِمَةِ كِتَابِ «الاسْتِذْكَارِ»:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي - رَحِمَكَ اللَّهُ - عَنْ مَعْنَى الْعِلْمِ وَفَضْلِ طَلَبِهِ وَحَمْدِ السَّفِيِّ

-
- (١) بدع: مستغرب.
(٢) العظم الرميم: الذي تفتت من القدم (يقصد: لا تفتخر بنسك بل بملكك).
(٣) متَّيِّداً: على مهل. مهاباً (يقصد: مهيباً): ذا هيبة = اجلال واحترام مع شيء من الخوف. من ملك عظيم: كم من ملك عظيم قام نحوي يستقبلني احتراماً لي.
(٤) الركب: الجماعة يركبون الخيل (أو الإبل) ويسيرون أو يافرون معاً. العرف: الرائحة الطيبة.
(٥) الزعاف: السم الشديد. السلسل: الماء العذب.
(٦) بُلِيَ بالبناء للمجهول: جرب، امتحن. حص: اشبيلية. أخلق الثوب: صيَّره بالياً. البلاء (كذا بالأصل) البلاء، ولكن المقصود: البلى (بكسر اللام): الرثاثة وذهاب الجودة.
(٧) ونى بني: تعب. لعلها لم يئأ: لم يبتعد. أعمى: المقصود أشد أعمى: إذا انفق إن جاء رجل حر إلى قوم فهان عندهم ثم لم يرتحل عنهم فإنه أعمى جاهل.

فيه والعناية به، وعن تثبيت الحجاج^(١) بالعلم وتبيين فساد القول في دين الله بغير فهم
وتعظيم الحكم بغير حجة، وما الذي أُجيز من الاحتجاج والجدل وما الذي كُره منه،
وما الذي ذُم من الرأي^(٢) وما حُمد منه، وما يجوز من التقليد^(٣) وما حُرّم منه.
ورغبت أن أقدم لك قبل هذا الباب من آداب التعلم ما يلزم العالم والمتعلم
التخلق به والمواظبة عليه، وكيف وجه الطلب وما حُمد ومُدح فيه من الاجتهاد
والنصب^(٤) إلى سائر انواع آداب التعلم والتعليم وفضل ذلك وتلخيصه
باباً باباً مما روي عن سلف هذه الأمة - رضي الله عنهم أجمعين - لتتبع هديهم^(٥)
وتسلك سبيلهم وتعرف ما اعتمدوا عليه من ذلك مجتمعين أو مختلفين في المعنى منه.
فأجبتك إلى ما رغبت وسارعتُ فيما طلبت رجاء عظيم الثواب وطمعا في الزلفى يوم
المآب^(٦)، ولما أخذ الله عز وجل على المسؤول العالم بما سُئل عنه^(٧) من بيان ما
طلب منه وترك الكتان لما علمه. قال الله عز وجل: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ». وقال ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عِلْمًا فَلْيُفَسِّحْهُ
جاء يوم القيامة ملجأ يلجأ من نار»....

- ومن مقدمة كتاب «الانتقاء»:

.... أما بعد، فإن طائفة ممن عني بطلب العلم وحله، وعلم - بما علمه الله
- عظيم بركته وفضله سألوني، مجتمعين ومتفرقين، أن أذكر لهم من أخبار الأئمة
الثلاثة الذين طار ذكرهم في آفاق الإسلام لما انتشر عنهم من علم الحلال والحرام،
وهم: أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي المدني وأبو عبد الله محمد بن إدريس

(١) الحجاج: نصر القول بالحجة (والجدل).

(٢) الرأي: الحكم في قضايا الفقه حكماً شخصياً.

(٣) التقليد: أن يتبع إنسان إنساناً آخر في آرائه.

(٤) النصب: التعب، بذل جهد كبير.

(٥) الهدى (بالفتح) هو الهدى (بالضم).

(٦) يوم المآب (الرجوع): يوم القيامة.

(٧) إن الله تعالى إذا أتم على إنسان بعلم أوجب عليه أن ينفع الناس بذلك العلم.

الشافعي المكيّ وأبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، عُيونا وقرأ^(١) يستدلون بها على مَوْضِعِهِم من الإمامة في الديانة، و (أن) يكون ذلك مختصراً لَيْسَ هَلْ حِفْظُهُ ومعرفة والوقوف عليه والذاكرة به من ثناء العلماء بعدهم عليهم وتفضيلهم لهم وإقرارهم بإمامتهم. وقد أكثر الناس في ذلك بما يُرَغَّبُ عن كثير منه^(٢). فاقترنت بما ذكره على عُيُونِهِ دون حشوه وعلى سمينه دون غثه^(٣). وسأذكر في كتابي هذا من ذلك - إن شاء الله - ما يكفي ويشفي مع الاختصار وطرح التكرار والاختصار على ما يَجْمَلُ به التذكار ...

٤ - الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الاقطار فيما تَضَمَّنَهُ الموطأ من معاني الرأي والآثار (تحقيق علي النجدي ناصف)، القاهرة (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٧٠ م).

- الاستيعاب في معرفة الاصحاب، حيدر اباد ١٣١٨ - ١٣١٩ هـ، ١٣٢٦ هـ؛ (على هامش الإصابة لابن حجر)، القاهرة ١٣٢٣ - ١٣٢٧ هـ؛ حيدر اباد (دائرة المعارف) ١٣٣٦ هـ؛ (تحقيق علي محمد البجاوي)، القاهرة (مكتبة نهضة مصر ومطبعاتها) بلا تاريخ.

- الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء: مالك والشافعي وأبي حنيفة، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٠ هـ.

- الإنباه على الرواة (مطبوع مع «القصص والأسماء»)، النجف (المطبعة الحيدرية) ١٩٦٦ م.
- بهجة المجالس وأنس المجالس (مطبوع مع «الأدب الكبير» لابن المقفع بعنوان: (جواهر الحكماء) القاهرة ١٩٠٧ م. (تحقيق محمد مرسي الخولي) القاهرة (الدار المصرية للتأليف والترجمة) بلا تاريخ.

- مختصر بهجة المجالس، الجزائر ١٨٦٩ م.
- تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والآسانيد أو التقصّي لحديث الموطأ وشيوخ الامام مالك ...، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٠ هـ؛ نشره محمد التائب السعيد، الرباط؟ (نشرته وزارة الاوقاف المغربية) ١٣٩٢ هـ (٢).

(١) العين: الرجل الوجه في فومه، والشيء النفيس. آففة (يكسر فسكون): الجملة القصيرة التي تتضمّن نكتة (معنى منكراً أو لفظة بارعة).

(٢) وقد أكثر الناس ... كثير منه (كسب المؤلفون أشياء كثيرة عن هؤلاء الأئمة ومعظمه لا حاجة اليه) (يرعب عنه).

(٣) عيون الشيء: النفيس البارع منه. الحشو (ما يستغنى عنه). السمين من الكلام: الرصين (ما فيه محض نافع) للفت: النحيف أو الرديء أو القاسد.

- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله (نشره أحمد عمر الحمصاني)، القاهرة (مطبعة الموسوعات) ١٣٢٠ هـ؛ المدينة المنورة (المكتبة العلمية) بلا تاريخ؛ (نشره عبد الرزاق مليح آبادي)، الهند؟ (كتابخستان) ١٩٦٢ م.
- الدرر في اختصار المغازي والسير (تحقيق شوقي ضيف)، القاهرة (الجلس الأعلى للشؤون الإسلامية) ١٩٦٦ م.
- القصد والأمر في التعريف بأصول العرب والعجم، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٠ هـ؛ النجف (المكتبة الحيدرية) ١٩٦٦ م.

**** المطمح ٦١ - ٦٢؛ الصلة ٦٤٠ - ٦٤٢ (رقم ١٥٠١)؛ جذوة المقتبس ٣٤٤ - ٣٤٦ (الدار المصرية) ٣٦٧ - ٣٦٩ (رقم ٨٧٤)؛ بغية الملتبس ٤٧٤ - ٤٧٦ (رقم ١٤٤٢)؛ مطمح الأنفس ١٦١؛ الخريدة (الاندلس) ٤٧٨ - ٤٧٩؛ المغرب ٤٠٧ - ٤٠٨؛ وفيات الاعيان ٧: ٦٦ - ٧٢؛ الديباج المذهب ٣٥٧؛ شذرات الذهب ٣: ٣١٤ - ٣١٦؛ نفع الطيب ٣: ٢٣٥، ٤: ٢٨ - ٣٠، ٣٦ (راجع الفهرس أيضاً)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧٤؛ نيكل ٢٠٨ - ٢٠٩، مختارات ١٤٦ - ١٤٧؛ بروكلمن ١: ٤٥٣ - ٤٥٤، الملحق ٦٢٨ - ٦٢٩؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣١٦ - ٣١٧ (٨: ٢٤٠).**

ابن زيدون

١ - هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي، أصله أهل من بني مخزوم من قريش. تقع حياته في ثلاثة أدوار: من ولادته إلى اتصاله ببلاط بني جهور - حياته في بلاط بني جهور (٤٢٢ - ٤٤٢ هـ) - حياته في بلاط بني عباد.

(أ) ولد ابن زيدون في رصافة قرطبة، في بيت علم وجاؤه وغنى، سنة ٣٩٤ هـ (١٠٠٣ - ١٠٠٤ م)، فبدأ تلقى العلم على أبيه، وكان أبوه فقيهاً مشهوراً معروفاً بالنباهة والعلم والأدب. ولما توفي أبوه (في البيرة، سنة ٤٠٥ هـ) كفله جده لأُمّه القاضي أبو بكر محمد بن إبراهيم بن سعيد القيسي (٣٥٥ - ٤٣٢ هـ) فأخذ عن جده هذا أيضاً شيئاً من العلم. وقد كان من شيوخه (أساتذته): الفقيه القاضي أبو العباس أحمد بن عبد الله بن ذكوان (٣٤٣ - ٤١٣ هـ) وأبو بكر مسلم بن أحمد

القرطبيّ النّحوي (ت ٤٣٢ هـ). ولكن يبدو أن عبقرية ابن زيدون قد صُفِّتْ بـدراساته الخاصّة وبالاختبار في الحياة. وقد ظهر ذلك واضحاً في مرثيته لشيخه ابن ذكوان - وهو بعد في العشرين من عمره.

(ب) لما اضطرب أمرُ بني أميّة في قرطبة - قبل سقوط الخلافة نهائيّاً - وفرّ جِشَامُ الثالثُ عنها، سنةَ ٤٢٢ هـ، كان أبو الحزم جهّورُ بنُ محمّد بن جهّور وزيراً له. خاف أهلُ قرطبة من عواقب الاضطراب والفوضى ووجدوا في أبي الحزم بن جهّور حاكماً قديراً فوّلّوه أمرَ المدينة. وقد أنشأ أبو الحزم في قرطبة دُوَيْلَةً من دويلات الطوائف.

واتّصل ابنُ زيدون بالدويلة الناشئة باكراً ووَزَرَ لأبي الحزم جهّور (وزارة استشارة لا وزارة عمل). وقد كان أبو الحزم وابنُ زيدون صديقين من قبل ثم كانت لابن زيدون، من أوّل أمره، آمالٌ سياسيّة سَنَحَتْ الآنَ فرصة الوصول إلى شيء منها. بذلك قدّقت ريجُ السياسة باين زيدون في تيّار الحياة العامّة بما فيها من خصومة ومكائد. وفي هذا التيّار التّقى شِراعُ ابن زيدون - في الحياة - بشراع ولادة ابنة المستكفي.

وأعظمُ الاحداثِ أثراً في حياة ابن زيدون وفي أدبه كان اتّصاله بولادة. كانت ولادة ابنة للخليفة المستكفي من أمة له مُستَغْرَبَة من أهل مَورُورَ اسمها سَكْرَى. كان الخليفة المستكفي نفسه رجلاً جاهلاً ضعيفَ الإرادة والرأي مُنغمساً في اللهو مُستَهْتِراً به. وكانت سكرى امرأة خبيثة شريرة. أما ولادة فكانت فتاة جميلة بيضاء شقراء مائلة إلى الصُّهبة (الحُمْرة)، كما كانت ذكية متأدبة بالفنون والآداب قويّة الشخصية؛ ولكنّ جمالها وذكاءها كانا يَطْفَيَانِ على ثقافتها وأدبها. ويروى لولادة شيء من الشعر يَفْلِسُ عليه الفحشُ والاستهتار. ولما قُبِلَ المستكفي (٤١٦ هـ = ١٠٢٥ م) انفلتت ولادة من القيود الاخلاقية والاجتماعية وجعلت دارها مُنتدى لرجالِ الأدب وانصرفت إلى كثير من أسباب اللّهو.

في هذه الفترة اتّصلت ولادة باين زيدون - ويبدو أنّها كانت لذة له أو تَصَفُّرُهُ قليلاً - أغراها به أدبه وشبابه. ولقد نِعِمَ الحبيبانِ بأيّامٍ وليالي مشهورة عند الناس.

كان من المنتظر أن يقع ابن زيدون في حبّ ولادة. وكذلك كان من المنتظر أن تستجيب ولادة لدعوة الحبّ التي تمثلت في شباب ابن زيدون وفي جاهه الاجتماعي ومكانته الأدبية. ولعلّ ولادة كانت ذات آمالٍ سياسية - كإبن زيدون نفسه - فاسقها ذلك إلى أن توثق صلتها به، وخصوصاً بعد أن أصبح ابن زيدون أثيراً في بلاط بني جهور. هذا على رأي من يعتقد أن صلة ولادة بإبن زيدون قد نشأت قبل قيام الدولة الجهورية.

غير أن هذا الحبّ الذي بدأ باكراً ثم اشتعل بأشدّ ما يكون من السرعة وبأشدّ ما يكون من العنف لم يعيش في صفاته ووفائه سوى بضعة أشهر ثم أخذ يفتّر بمثل السرعة التي كان قد نشأ بها. إن قلب ولادة تغير قبل قلب ابن زيدون. ومردّد ذلك إلى عددٍ من الأسباب فيما قيل. ولكن أقرب تلك الأسباب إلى التصديق الظاهر على الأقلّ أن ابن زيدون تعلق بجارية سوداء بارعة في الغناء كانت لولادة، قيل ليثير غيرة ولادة فتعود إليه. وقد عاتبت ولادة في ذلك ابن زيدون، كما أن ابن زيدون قد أقرّ على نفسه بأن مثله إلى الجارية السوداء كان ذنباً له، ولكنه ذنب أجبرته ولادة نفسها على ارتكابه. وبعد، فنحن لا نعلم اليوم مبلغ هذا الحبّ: أكان حبّاً صريحاً للجارية السوداء نفسها أو حبّاً عذرياً لوقع غنائها في قلبه.

وحاول ابن زيدون أن يستردّ عطف ولادة ببراعته الشعرية، ولكن ولادة لم تأبه به. ولا ريب في أن حبّ ابن زيدون لولادة - برغم ما يقال فيه - قد أوحى إلى ابن زيدون أجلّ قصائده. ولقد أخطأ ابن زيدون في الطريق التي أراد أن يسلك بها إلى قلب ولادة، كما ضلّ عنتره الطريق إلى قلب عبلة لما ظنّ أن الفخر بنفسه وبقوة طعنه وضربه في ميادين القتال يقرّبه من قلب الفتاة اللعوب. إن ابن زيدون وعنتره لم يُرزقا براعة امرئ القيس وبراعة عمر بن أبي ربيعة في خطاب المحبوبة!

وأرادت ولادة أن تغيظ ابن زيدون وتجازيه غيظاً بغيظ فألقت شباك هواها على رجلٍ قليل الذكاء واسع الثراء قليل العلم عظيم الجاه هو الوزير أبو عامر بن عبدوس - وكانت في حاجة إلى رجلٍ من مثله تفرض عليه إرادتها ويطيعها في كلّ شيء - ثم قطعت صلتها بإبن زيدون مرة واحدة. غير أن تعلق ابن زيدون بولادة

ظَلَّ شَدِيداً، كَمَا أَنَّ شِعْرَهُ ظَلَّ يَفِيضُ بِذِكْرِهَا. أَمَّا هِيَ فَأَخَذَتْ فِي هِجَائِهِ هِجَاءً فَاحِشاً
 مَرّاً (راجع عدداً من أبيات هجائها في نفح الطيب ٤: ٢٠٥ - ٢٠٦).
 ثُمَّ أَطْلَتْ عَمَّةُ ابْنِ زَيْدُونَ.

كُنْزُ حُسَّادِ ابْنِ زَيْدُونَ وَخُصُومُهُ فِي بَلَاطِ بَنِي جَهْوَرٍ وَفِي خَارِجِ بَلَاطِ بَنِي جَهْوَرٍ.
 وَكَانَ أَشَدَّ هَوْلَاءِ عِدَاوَةٍ لَهُ وَأَعْظَمَهُمْ أَثَرًا الْوَزِيرُ أَبُو عَامِرٍ بْنِ عَبْدِ دُوسٍ. فَكَتَبَ ابْنُ
 زَيْدُونَ رِسَالَتَهُ الْجَدِيدَةَ وَحَاوَلَ فِيهَا أَنْ يَحْطُ مِنْ مَقَامِ ابْنِ عَبْدِ دُوسٍ فِي عِيُونِ وَلَادَةٍ.
 وَمَعَ أَنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ رَاجَتْ بَيْنَ الْأَدْبَاءِ الَّذِينَ أَخَذُوا يَتَفَكَّهُونَ بِمَا سَرَدَهُ ابْنُ زَيْدُونَ
 فِيهَا مِنْ مَعَايِبِ ابْنِ عَبْدِ دُوسٍ، فَإِنَّ وَلَادَةَ نَفْسِهَا لَمْ تَتَأَثَّرْ بِهَذَا الْأُسْلُوبِ الْجَدِيدِ: فَلَا هِيَ
 رَقَتْ لِلْمُحَبِّ الْقَدِيمِ وَلَا هِيَ نَفَرَتْ مِنَ الْحَبِّ الْجَدِيدِ. وَغِيظَ ابْنُ عَبْدِ دُوسٍ فَجَعَلَ
 يُلْصِقُ بِابْنِ زَيْدُونَ تَهْمًا مِنْهَا أَنَّهُ كَانَ مِيَالاً إِلَى رَدِّ الْحُكْمِ إِلَى بَنِي أُمِيَّةٍ - تَهْمَةٌ كَانَتْ
 شَائِعَةً يَوْمَئِذٍ - فَأَمَرَ أَبُو الْحَزْمِ جَهْوَرَ بِجَبْسِ ابْنِ زَيْدُونَ (فِي ١٤ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ
 ٤٣٣ هـ).

جَعَلَ ابْنُ زَيْدُونَ يُوَالِي الْقِصَائِدَ إِلَى أَبِي الْحَزْمِ وَإِلَى نَفَرٍ آخَرِينَ لِيَسْفَعُوا لَهُ عِنْدَ
 أَبِي الْحَزْمِ: كَتَبَ إِلَى أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي الْحَزْمِ وَإِلَى الشَّاعِرِ ابْنِ بَرْدٍ وَإِلَى شَيْخِهِ
 الْقَدِيمِ أَبِي بَكْرٍ مُسْلِمَ بْنِ أَحْمَدَ الْقُرْطُبِيِّ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَقْطِفَ قَلْبَ أَبِي الْحَزْمِ
 عَلَى ابْنِ زَيْدُونَ. وَاقْتَرَحُوا عَلَى ابْنِ زَيْدُونَ أَنْ يَهْرُبَ مِنْ سَجْنِهِ، فَلَمْ يَقْبَلْ فِي أَوَّلِ
 الْأَمْرِ، وَلَكِنَّهُ عَادَ فَقَبِلَ وَاسْتَطَاعَ الْمَهْرَبَ (بِمُسَاعَدَةِ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي الْحَزْمِ).

وَطَافَ ابْنُ زَيْدُونَ فِي قُرْطُبَةٍ مُتَخَفِياً لِمَلَلِهِ يَلْقَى وَلَادَةً فَلَمْ يَلْقَها، فَكَتَبَ إِلَيْهَا
 بِقَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ «أَضْحَى التَّنَائِي بِدِيلًا مِنْ تَدَانِينَا» فَلَمْ تَرُدَّ عَلَيْهِ. ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهَا
 بِالْقَصِيدَةِ «إِنِّي ذَكَرْتُكَ فِي الزَّهْرَاءِ مُشْتَاقًا» فَلَمْ تَرُدَّ عَلَيْهِ أَيْضًا. وَأَخِيرًا بَعَثَ
 بِقَصِيدَتِهِ الطَّائِيَةِ «شَحَطْنَا وَمَا لِلدَّارِ نَائِي وَلَا شَحَطَ» إِلَى شَيْخِهِ الْقَدِيمِ أَبِي بَكْرٍ مُسْلِمَ
 ابْنِ أَحْمَدَ يَشْكُو حَالَهُ وَيَسْتَشْفِعُ بِهِ إِلَى أَبِي الْحَزْمِ. فَتَجَحَّتِ الشَّفَاعَةُ فَاسْتَعَادَ ابْنُ زَيْدُونَ
 رِضَا أَبِي الْحَزْمِ وَاسْتَقَرَّ فِي قُرْطُبَةٍ.

وَفِي سَنَةِ ٤٣٥ هـ تُوُفِّيَ أَبُو الْحَزْمِ بْنُ جَهْوَرَ وَخَلَفَهُ ابْنُهُ أَبُو الْوَلِيدِ فِي حُكْمِ قُرْطُبَةٍ
 فَقَرَّبَ ابْنُ زَيْدُونَ. وَيَبْدُو أَنَّ ابْنَ زَيْدُونَ لَمْ يَنْسَ حَبَّ وَلَادَةٍ فَأَرَادَ أَبُو الْوَلِيدِ أَنْ

يُنْسِيَهُ ذَلِكَ الْحَبَّ فَجَعَلَهُ سَفِيرًا لَهُ عِنْدَ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ فَأَرْسَلَهُ إِلَى إِدْرِيسِ الْعَالِي بِاللَّهِ صَاحِبِ مَالِقَةَ (٤٣٤ - ٤٣٨ هـ)، فَطَالَ مُكُثُ ابْنِ زَيْدُونَ فِي مَالِقَةَ حَتَّى عَتَبَ عَلَيْهِ أَبُو الْوَلِيدِ بَنَ جَهْورٍ. وَأَرْسَلَهُ أَيْضًا إِلَى بَطْلَيْوَسَ إِلَى الْمُظَفَّرِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (٤٣٧ - ٤٦٠ هـ) وَإِلَى بَلَنْسِيَّةَ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَنْصُورِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ (٤١٢ - ٤٥٣ هـ)، فَمَا أَظَنَّ.

(ج) ثُمَّ عَادَ قَلْبُ أَبِي الْوَلِيدِ بَنَ جَهْورٍ فَتَغَيَّرَ عَلَى ابْنِ زَيْدُونَ لِأَنَّهُ نَفَرَا مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ زَيْدُونَ قَامُوا فِي قَرْطَبَةَ بِمُحَاوَلَةِ إِعَادَةِ دَعْوَةِ الْأُمَوِيِّينَ إِلَى قَرْطَبَةَ، سَنَةَ ٤٤٠ هـ. خَافَ ابْنُ زَيْدُونَ مَغَبَّةَ الرَّجُوعِ إِلَى قَرْطَبَةَ فَذَهَبَ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ وَلَحِقَ بِالْمُعْتَصِدِ عِبَادٍ (٤٣٤ - ٤٦١ هـ) فَنَالَ عِنْدَهُ حُظُوءَ كَبِيرَةٍ وَأَصْبَحَ وَزِيرًا وَنَدِيمًا وَشَاعِرًا لِلْمُعْتَصِدِ ثُمَّ لِابْنِهِ الْمُعْتَمَدِ مِنْ بَعْدِهِ.

وَلَمَّا حَدَثَتْ فِتْنَةُ الْبَاغَةِ فِي قَرْطَبَةَ (بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ) أَرْسَلَ الْمُعْتَمَدُ نَفَرًا مِنْ رِجَالِ الدَّوْلَةِ لَتَهْدِئَةَ الْخَوَاطِرِ وَجَعَلَ فِيهِمْ ابْنَ زَيْدُونَ. وَكَانَ ابْنُ زَيْدُونَ مَرِيضًا فَاسْتَعْفَى الْمُعْتَمَدُ فَلَمْ يُعْفِهِ - قِيلَ لِأَنَّهُ قَلْبُ الْمُعْتَمَدِ كَانَ قَدْ تَغَيَّرَ عَلَى ابْنِ زَيْدُونَ، وَقِيلَ إِنَّ ابْنَ مَرْتِينَ وَابْنَ عَمَّارٍ أَوْغَرَا صَدْرَ الْمُعْتَمَدِ عَلَى ابْنِ زَيْدُونَ ففَعَلَ الْمُعْتَمَدُ ذَلِكَ - اشْتَدَّ الْمَرَضُ عَلَى ابْنِ زَيْدُونَ مِنْ أَثَرِ تِلْكَ الرِّحْلَةِ ثُمَّ تَوَقَّعَ، فِي إِشْبِيلِيَّةَ، فِي نِصْفِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٤٦٣ هـ (١٨ / ٤ / ١٠٧٠ م). وَنَقَلَ جَنَائِهِ إِلَى قَرْطَبَةَ وَدْفَنَ فِيهَا.

٢ - ابْنُ زَيْدُونَ أَدِيبٌ بَارِعٌ، فَهُوَ شَاعِرٌ مُجِيدٌ مُخَسَّنٌ وَنَائِرٌ مُقْتَدِرٌ حَسَنُ التَّصَرُّفِ فِي النَّثْرِ الْمُرْسَلِ وَالنَّثْرِ الْأَتَقِ الْمَسْجُوعِ. وَابْنُ زَيْدُونَ فِي شِعْرِهِ ثُمَّ فِي نَثْرِهِ خَاصَّةً كَثِيرُ الْإِقْتِبَاسِ وَالتَّضْمِينِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالحَدِيثِ الشَّرِيفِ وَمِنَ الْأَمْثَالِ وَالْأَشْعَارِ، وَلَهُ إِشَارَاتٌ وَاضِحَةٌ إِلَى نِتَاجِ الشُّعْرَاءِ وَالنَّائِرِينَ مُنْذُ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى مُعَاصِرِهِ مِنَ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ. وَأَثَرُ الْبُحْتَرِيِّ وَاضِحٌ جِدًّا فِي شِعْرِ ابْنِ زَيْدُونَ، كَمَا أَنَّ أَثَرَ الْجَاحِظِ وَاضِحٌ جِدًّا فِي نَثْرِهِ. وَابْنُ زَيْدُونَ دِيَابِجُهُ شِعْرٌ رَاقِعٌ تَلْقَى عَلَى شِعْرِهِ وَضُوحًا وَحَلَاوَةً وَمُوسِيقَى وَتَطَهَّرَ فِيهَا الْبِرَاعَةُ فِي الصَّنَاعَةِ حَتَّى سَمَّاهُ النَّقَادُ «بُحْتَرِيَّ الْمَغْرِبِ». وَهُوَ أَفْضَلُ شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ الَّذِينَ حَافَظُوا عَلَى عُمُودِ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ، وَلِسْنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ نَظَّمَ

مُوشَعَاتٍ مَعَ أَنْ عَصَرَهُ كَانَ قَدِ امْتَلَأَ بِالْوَشَاحِينَ.

وفنونُ ابنِ زيدونٍ في شعرِهِ الْفَرْلُ والنسِيبُ (أوسعُ فنونِ شعرِهِ وأجملُها وأصدقُها تعبيراً عن نفسه وألصقُها بأحداثِ حياته) ثم المديحُ ولم تكنْ غايتهُ التَّكسُّبُ، لاستغْناء ابنِ زيدونٍ عن الكَدْحِ في سبيلِ المعاشِ، ولكنَّهُ كان يتقَرَّبُ بمديحِهِ من رجالِ الدولة وذويِ الْوَجَاهَةِ وخصوصاً لَمَّا تَزَلَّتْ بِهِ مِخْنَتُهُ ثمَّ أرادَ أَنْ يَدْفَعَهَا عَنْ نَفْسِهِ باستشفاعِ هؤلاءِ إلى الذينِ كانوا السَّبَبَ في تلكِ المِحنةِ. وله أيضاً أشْيَاءٌ في وصفِ الطَّبيعةِ وشيءٌ من الرثاءِ العاديِّ.

وابنُ زيدونٍ كاتبٌ مترسِّلٌ في أسلوبِ جَزَلٍ متينٍ ولكنَّهُ نِتَاجُ قُدْرَةٍ لَا فَيْضُ وَجْدَانٍ. وهو يميلُ إلى الصِّناعةِ ويتَّكِيءُ على السَّجعِ والموازنةِ بينَ الجملِ مَعَ شيءٍ من التَّردِيدِ. غيرَ أَنَّ السَّجعَ في رسالتهِ الهزليةِ أَكْثَرُ منه في الرسالةِ الجدِّيةِ. وفي الرِّسالتينِ كثيرٌ من الإشاراتِ التاريخيَّةِ من أسماءِ الرجالِ وأحداثِ الزَّمانِ ومن التَّلَاعِبِ بأقوالِ الشعراءِ والنَّاثِرِينَ - يُورِدُ هذهَ الأقوالَ أحياناً إيراداً أميناً أو يَنْتَرُها أحياناً ثمَّ يَسْلُكُها في خِلالِ جُمْلَةٍ - من أَجلِ ذلكِ تَغْمُضُ غَايَتُهُ في كثيرٍ من الأحيانِ حتَّى على الْمُتَقَنَّفِ الَّذِي لَمْ يُحِطْ بِأصولِ الأدبِ إِحاطَةً وافيةً. ورَبِّمَا أُلْحِقَ بِرِسالتهِ القِصارِ مقاطعٌ من الشعرِ تَطُولُ أو تَقْصُرُ. وله أيضاً كِتابُ التَّبيينِ في خِلفهِ بَنِي أُمَيَّةَ في الأندلسِ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣: ١٨٢) وقيلَ إنَّ هذا الكِتابَ لابنِهِ ابِي بَكْرٍ (راجعُ نَفْحُ الطَّيِّبِ ١: ٣٣٢ في الحاشية).

٣ - مَخْتاراتٌ من آثارِهِ

- لَمَّا هَرَبَ ابنُ زيدونٍ من سِجنِهِ كَتَبَ إلى وَلادَةِ بِهِذِهِ الْقَصِيدَةِ، وَهِيَ أَشْهُرُ مَا يَحْفَظُهُ النَّاسُ لَهُ. مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ:

أُضْحِي التَّنَائِي بِدَيْلًا مِنْ تَدَانِيَا، وَنَابَ عَنْ طَيْبِ لُقْيَانَا نَجَافِيَا.
مَنْ مَبْلُغُ الْمَبْلِسِيَا بِأَنْتَرَا حَيْمُ حُزْنًا مَعَ الدَّهْرِ لَا يَنْلِي وَيُلِينَا^(١).

(١) المَبْلِسِيَا: النَّبِيُّ أَبْلَسُونَا (قَطَعُوا حِجَّتَنَا وَحَيَرُونَا) لِأَنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسُوعَ (أَنْ نَجِدَ مَبْرَأًا) لِأَنْتَرَا حَيْمُ (لَا بَتَعَادُ هُمْ عَنَّا وَهَجَرْنَا). بَيْلَى: بِغَيٍّ (يَنْتَهِي).

أَنَّ الزمانَ الذي ما زال يُضجِكُنَا
 غِيْظَ العدى من تَساقينا الهوى فدَعَوْا
 وقد نَكُونُ وما يُخشى نَفَرُقُنا
 لم نَعْتَقِدْ بِمَدِّكُمْ إِلَّا الوفاءَ لكم
 ما حَقُّنا أَنْ تُقَرُّوا عَيْنَ ذي حد
 بِنْتُمْ وَبِنًا فَمَا أَبْتَلْتُ جَوَانِحُنَا
 نَكَادُ، حينَ تُتَاجِجُكم ضائِرُنَا،
 حَالَتِ لِفَقْدِكُمْ أَيَّامُنَا فَفَدَّتْ
 إِذْ جَانِبُ العيشِ طَلَقَ مِن تَأَلُّفِنَا
 وَإِذْ هَصَرْنَا فنَوْنِ الوصلِ دَانِيَةً
 لِيُسْقَ عَهْدُكُمْ عَهْدُ السُرورِ، فَمَا
 لَا تَحْسَبُوا نَأْيَكُمْ عَنَّا يُغَيِّرُنَا
 وَاللهِ، مَا طَلَبْتُ أَهْوَائُنَا بَدَلًا
 يَا سَارِيَّ البَرَقِ، غَادِ القَصْرَ وَأَسْقِ بِهِ
 وَهِيَ نَسِيمَ الصَّبَا، بَلَّغْ تَحِيَّتِنَا
 يَا رَوْضَةَ طَالِمًا أَجْنَتْ لَوَاحِظُنَا
 وَيَا حَيَاةَ تَمَلُّيْنَا بِزَهْرَتِهَا

أُنْسًا بِقَرَبِهِمْ قَدْ عَادَ يُنْكِنُنَا.
 بَأْنَ نَخْصُ، فَقَالَ الدَّهْرُ: آمِينَا!
 فَالْيَوْمَ نَحْنُ وَمَا يُرْجَى تَلَاقِنَا.
 رَأْيَا، وَلَمْ نَتَقَلَّدْ غَيْرَهُ دِينَا^(١).
 بِنَا، وَلَا أَنْ تُسِرُّوا كَاشِحًا فِينَا^(٢).
 شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَلَا جَفَّتْ مَآقِينَا^(٣).
 يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَسَى لَوْلَا تَأْسِينَا^(٤).
 سَوْدَا، وَكَانَتْ بِكُمْ بِيضًا لَيَالِينَا^(٥).
 وَمَوْرَدُ اللّهُ صَافٍ مِنْ تَصَانِينَا.
 قَطُوفُهَا، فَجَحَيْنَا مِنْهُ مَا شِئْنَا^(٦).
 كُنْتُمْ لِأَرْوَاحِنَا إِلَّا رِيَّاحِينَا.
 إِنَّ طَالَ، مَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَا.
 مِنْكُمْ، وَلَا أَنْصَرَفَتْ عَنْكُمْ أَمَانِينَا.
 مَنْ كَانَ صِرْفَ الهَوَى وَالْوَدَّ يَسْقِينَا^(٧).
 مَنْ لَوْ عَلَى الْبُعْدِ حَيًّا كَانَ يُحْيِينَا.
 وَرَدَا - جَلَاءَ الصَّبَا غَضًّا - وَنَسِرِينَا^(٨).
 مَنَى ضُرُوبًا وَلَذَاتِ أَفَانِينَا^(٩).

- (١) البين: العادة، السلوك.
 (٢) الكاشح: المفيض. قرئ عين فلان (سكنت): أصبح سروراً.
 (٣) ما جفت مآقينا (أطراف عيوننا): لم تنقطع عن البكاء. الجوانح: الأطراف. ما ابتلت جوانحنا: كانت الدموع تنهمر بكثرة على صدورنا، ولكن حر صدورنا (من الحزن على فراقكم كان شديداً إلى درجة كانت تجفف هذه الدموع فوراً).
 (٤) حين تتاجيكم ضائرتنا (حين نفكر بابتعادكم عنا وتمنى قريبكم من جديد). الأسى: الحزن. التأسي: الاقتداء. بغيرنا (لم يقض علينا الحزن لأننا نعرف محبين مثلنا عاملهم المحبوبون مثل المعاملة التي تعاملوننا بها الآن).
 (٥) حالت: تغيرت.
 (٦) هصر فلان الفصن: شدة إليه ليقطف ثمره.
 (٧) غاد (أذهب باكراً).
 (٨) أجنى فلان فلاناً ثمرأ (أعطاه، منحه). النسرين: الورد الأبيض. كنا قد فلنا منكم جميع أنواع السرور.
 (٩) الضرب (بفتح فسكون): النوع. الأفانين جمع أفنان جمع فنن: غصن (صنف، نوع).

لنا نُسَمِّيكَ إِجْلَالاً وَتَكْرِماً
 يَا جَنَّةَ الْخُلْدِ أَبَدْنَا بِسَلْسَلِهَا
 كَأَنَّا لَمْ نَبِتْ وَالْوَصْلُ ثَالِثُهَا
 سِرَّانَ فِي خَاطِرِ الظَّالِمِ يَكْتُمُنَا
 إِنَّا قَرَأْنَا الْأَمْسَى يَوْمَ النَّوَى سُوراً
 دُومِي عَلَى الْعَهْدِ، مَا دُئِمْنَا، مُحَافِظَةً
 فَمَا اسْتَعَضْنَا خَلِيلاً مِنْكَ يَحِبُّنَا،
 وَلَوْ صَبَا نَحْوُنَا مِنْ عُلُوِّ مَطْلَعِهِ
 أَبْلَى وَفَاءً، وَإِنْ لَمْ تَبْذُلْ صِلَةً
 عَلَيْكَ مِنَّا سَلَامُ اللَّهِ مَا بَقِيَتْ

وقد رُكِّ المُعْتَلِي عن ذاك يُغْنِينَا.
 والكُوثَرِ الْعَذْبِ رَقُوماً وَغُسْلِينَا (١)،
 والسعدُ قد غَضَّ مِنْ أَجْفَانِ وَأَشِينَا (٢):
 حَتَّى يَكَادُ لَنَا الصُّبْحُ يُفْشِينَا.
 مَكْتُوبَةً وَأَخَذْنَا الصَّبْرَ تَلْقِينَا (٣).
 فَالْحَرُّ مَنْ دَانَ إِنْصَافاً كَمَا دَبْنَا (٤).
 وَلَا اسْتَفَدْنَا حَبِيباً عَنْكَ يَثْنِينَا.
 بَدْرُ الدَّجَى لَمْ يَكُنْ، حَاشَاكَ، يُضْنِينَا (٥).
 فَالطِّيفُ يُقْنِعُنَا وَالذِّكْرُ يَكْفِينَا (٦).
 صَبَابَةٌ مِنْكَ نُخْفِيهَا فَتُخْفِينَا (٧).

- بعد لقاء ابن زيدون بولادة ثم انفصاله عنها في اليوم التالي كتب إليها « هذا

الوداع »:

وَدَّعَ الصَّبْرَ مُحِيبٌ وَدَّعَكَ ذَائِعٌ مِنْ سَرِّهِ مَا اسْتَوْدَعَكَ؛
 يَفْرَعُ السِّنَّ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ زَادَ فِي تِلْكَ الْخَطِيئَةِ إِذْ شِيعَكَ (٨).

- (١) السلسل: الماء العذب. الكوثر: ماء نهر في الجنة. الرقوم (طعام أهل جهنم) والغسلين: الصديد (القيح) الذي يخرج من الجسم عند أول احتراقه (في جهنم).
- (٢) غَضَّ: كسر، خفض. ان الوائشي المبيض لما رأى سرورنا المتبادل انكسرت نفسه ولم يستطع أن ينقل عنا أن أحداً منا لم يكن سروراً بصاحبه.
- (٣) الأمسى: الحزن. النوى: البعاد، الفراق. سوراً (كانها من القرآن الكريم) - نقرأ باستمرار لأنها فرض علينا). تلقينا: تعلماً (لطول ما صبرنا).
- (٤) دان: قضى، حكم. عاملينا بالحب كما نعاملك.
- (٥) صبا: مال (احب). اصبي: استال (اوقع في الحب). حاشاك: الاك. لو ملت إلينا انت لأمرعنا في الجبل إليك.
- (٦) في جميع المصادر التي بين يدي «أبلى» (باختلاف في التنقيط والتحريك). وجميع هذه الوجوه غامضة. فأننا اقترح «أبدي» (فعل أمر من «أبدي» : أظهر) ليكون فيه شيء من التحنيس مع «تبذلي». فيكون المعنى حينئذ: (تظاهري بشيء من الوفاء، إن لم تستطعي أن تمنحني وصلاً وفاءاً لما كنت أعاملك به من الحب من قبل). الطيف: الخيال في النوم. الذكر (هنا) ذكرك لنا.
- (٧) الصبابة (بالضمة): البقية (بقية من حبك عندي) - ومع ذلك فإن هذه البقية القليلة التي لا نحاول اظهارها للناس تكاد تخفيها عن الناس (تقتلنا).
- (٨) قرع فلان سنه: ندم. شيع فلان فلاناً: رافقه (في اثناء سفره، الخ)

يا اخا البدر سنه وسناً حفظ الله زماناً اطلَمَك^(١)،
ان يَطْلُ بَعْدَكَ ليلي فلكم بِسْتُ اشكو قِصَرَ الليل معك!
- لَمَّا فَرَّ من سجنه وتوارى في نواحي قرطبة جاء يوماً إلى الزهراء^(٢) ليتذكّر
أيامه في تلك المعاهد مع ولادة. ثم كتب إليها:

إِنِّي ذَكَرْتُكَ بِالزَّهْرَاءِ مُشْتَاقاً وَالنَّسِيمِ أَعْتِلَالٌ فِي أَصَائِلِهِ
وَالرُّوْضِ عَنْ مَائِهِ الْفِضْيَةِ مَبْتَسِمِ
يَوْمَ كَأَيَّامِ لَذَاتِ لَنَا أَنْصَرَمْتُ
نَلْهُو بِمَا يَسْتَمِيلُ الْعَيْنَ مِنْ زَهَرٍ
لَا سَكَنَ اللَّهُ قَلْباً عَنْ ذِكْرِكُمْ
لَوْ شَاءَ حَمَلِي نَسِمَ الرِّيحِ حِينَ هَفَا
بِمَا عَلَفَنِي الْأَخْطَرُ الْأَسْنَى الْحَبِيبَ إِلَى
كَانَ التَّجَارِي بِخَضِرِ الْوَدِّ مَذْزَمِنِ
فَالْآنَ أَخُحَدُ (٣) مَا كُنَّا لِعَهْدِكُمْ:

وَالْأَفْقُ طَلَقَ وَوَجْهَ الْأَرْضِ قَدْ رَاقَا^(٤)،
كَأَنَّا رَقَّ لِي فَأَعْتَلَّ إِشْفَاقَا^(٥)،
كَمَا حَلَلْتُ عَنِ اللَّيَّاتِ أَطْوَاقَا^(٦)،
بِئْسَ لَهَا - حِينَ نَامَ الدَّهْرُ - سُرَّاقَا^(٧)،
جَالِ النَّدَى فِيهِ حَتَّى مَالِ أَعْنَاقَا^(٨)،
فَلَمْ يَطِيرْ يَجْنَحُ الشُّوقِ خَفَّاقَا^(٩)،
وَاقَا^(١٠) بَقِيَ أَضْنَاءُ مَا لَاقَى
نَفْسِي إِذَا مَا أَقْتَنَى الْأَحْبَابُ أَعْلَاقَا^(١١)،
مِيدَانِ أَنْسِ جَرَيْنَا فِيهِ أَطْلَاقَا^(١٢)،
سَلَوْتُمْ وَبَقِينَا نَحْنُ عَشَّاقَا^(١٣).

-
- (١) السناء: الملو. الرقة: السنا: ضوء القمر.
(٢) الزهراء (راجع، فوق، ص ١٧٨).
(٣) طلق: (هنا) واسع (ليس فيه ضيق أو حزن). راق: صفا وحسن واصبح يسر النفس.
(٤) الاعتلال (الاولى): اللطف، الرقة. اعتل (الثانية) مرض.
(٥) اللية: اعلى الصدر. الطوق: العقد.
(٦) انصرفت: مضت. بات: قضى الليل. بتنا لها سراقاً: سرع في اغتنام اللذات فيها قبل ان تمضي.
(٧) جال: طاف، تحرك (كثر) الندى: قطرات الماء التي تتكوّن ليلاً (بعد برودة الجو). مال اعناقاً: مالت اعناقها، انحنت الازهار على عروقها. حتى نفس الزهر مثلنا (٢).
(٨) اذا كان قلبي لا يطير (يضطرب كلما جرى ذكركم) فلا جعله الله ساكناً ابداً.
(٩) الملق: الشيء النفيس (الغالي) الثمين. الاجطر: الاعلى خطراً (شرفاً وقيمة). الاسنى: العالي القدر.
(١٠) كان التجاري (الجري معاً بمحض الود..): احب بعضنا بعضاً زمناً طويلاً. الطلق (يفتح فسكون): الشوط. جرينا اطلاقاً: تمننا بالحب كثيراً.
(١١) حالي الحاضرة احمد (افضل) شيء لكم انتم: انتم نسيتم حبنا (واحببتهم آخرين) ونحن لا نزال نحبك (فاصبح لكم حبيبان مكان الحبيب الواحد).

- من رسالته الهزلية التي كتب بها إلى ابن عبدوس يهزأ به - على لسان ولادة - :
 أما بعد، أيها المصاب بعقله المورط بجهله البين سَقَطَهُ الفاحش غَلَطُهُ....
 الساقط سقوط الذباب على الشراب المتهافت تهافت الفراش على الشهاب^(١)، فإن
 العُجْبُ أكذب ومعرفة المرء نفسه أصوب^(٢). وإنك راسلتني مُستهدياً من صِلتي ما
 صَفَرْتُ منه أيدي أمثالك.... مُزِيلاً خَليلتك مرتادة.... كاذباً نفسك أنك ستَنزِلُ
 عنها إليّ وتَخْلُفُ بعدها عليّ^(٣).....

ولا شك إذ لم تَصْنُ بِكَ، ومَلَكْتَ إذ لم تَفَرَّ عليك، فإنها أَعْدَرْتُ في السِفارة لك
 وما قَصَرْتُ في النِياية عنك: زاعمة أن المروءة لَفْظٌ أنت معناه والإنسانية اسمٌ أنت
 جِسْمُهُ وهَيُولاه^(٤)؛ قاطعة أنك انفردت بالجمال واستأثرت بالكمال..... حتّى خَيَلْتُ
 أن يوسف عليه السلام حاسنك فَفَضَضْتَ منه وأن امرأة العزيز رأيتك فسلت
 عنه^(٥)، وأن قارون^(٦) أصاب بعض ما كثرت وأن.... كُليب بن ربيعة إنّا حمى المرعى
 بِعِمْرَتِكَ وَجَسَاساً أَنَا قَتَلَهُ بِأَنْفَتِكَ وَمُهْلِلاً أَنَا طَلَبْتُ نَارَهُ بِهَمَّتِكَ^(٧).... و (أَنْ)
 أَفْلَاطُون أوردَ على أرسططاليس ما نقل عنك، وبَطْلَيْمُوسَ سَوَى الاضطراب

(١) المورط بجهله: الذي يورطه (يوقعه) جهله بما لم يحسب له حساباً ثم لا يستطيع الخلاص منه. الورطة
 (بالفتح): الحفرة العميقة، الوحل.... على الشراب (الحلو).. تهاوت الفراش على الشهاب (الصوء،
 النار): اسرع (فاحترق).

(٢) العجب: الكبر والتكبر.

(٣) صفرت: خلت، فرغت (بفتح فكسر). خليلتك: عشيقتك. مرتادة: طالبة. تريد ان توهمني انك
 ستترك عشيقتك لي لاعتقها انا. تخلف هي او انت (٤).

(٤) الهيولى: المادة الاصلية في الوجود (المقصود هنا: مادة الجسد).

(٥) حاسنك: باراك، نافسك في الحسن. غض فلان من فلان: قلل من قيمته. امرأة العزيز هي زليخا
 (امراة فرعون الذي كان يوسف بن يعقوب في ايامه). سلت عنه: نسيت زوجها (اعجاباً بجمالها).

(٦) قارون: اغنى الناس في ايامه.

(٧) كان كليب بن ربيعة من العزة (القوة) انه كان عنده جرو كلب يلقيه في ارض فيها عشب. فيعوي
 ذلك الجرو فلا يجسر احد ان يرعى في مكان من تلك الارض يسمع فيه صوت ذلك الجرو. جساس بن
 مرة قتل كليب في حديث طويل. مهلهل اخو كليب طالب بئار كليب فوقعت حرب اليموس (بفتح
 الباء) ودامت العداوة فيها بين بكر وتغلب اربعين سنة.

بتَذْيِيرِكَ.... وَبُقْرَاطَ عِلْمِ الْعِلَلِ وَالْأَمْرَاضِ بِلَفْظِ حَسَّكَ^(١).... وَأَنْ صِنَاعَةَ الْأَحْلَانِ
اخْتِرَاعِكَ.... وَأَنْ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى بَارِي أَقْلَامِكَ، وَسَهْلَ بْنَ هَارُونَ مُدَوِّنَ
كَلَامِكَ، وَعَمْرَوَ بْنَ بَحْرِ مُسْتَمْلِكِكَ^(٢)، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ مُسْتَشْفِيكَ^(٣).....

لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ^(٤).
..... وَذَكَرْتَ أَنَّكَ عَلِقَ لَا يُبَاعُ مِمَّنْ زَادَ، وَطَائِرٌ لَا يَصِيدُهُ مَنْ أَرَادَ، وَغَرَضٌ
لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَنْ أَجَادَ.....

- مِنَ الرَّسَالَةِ الْجَدِّيَّةِ الَّتِي كَتَبَ بِهَا مِنَ السَّجْنِ يَسْتَعِظُ أَبُو الْحَزَمِ بْنِ جَهْوَرٍ
وَيَتَنَصَّلُ تَمَّا نَسَبَ إِلَيْهِ:

يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي الَّذِي وَدَادِي لَهُ وَاعْتَدَادِي بِهِ^(٥) وَامْتَدَادِي مِنْهُ، أَبْقَاكَ اللَّهُ
مَاضِيَّ حَدِّ الْعَزَمِ وَارِيَّ زَنْدِ الْأَمَلِ ثَابِتَ عَهْدِ النِّعْمَةِ. إِنْ سَلَبْتَنِي - أَعَزَّكَ
اللَّهُ - لِبَاسَ نَعْمَائِكَ وَعَطَلْتَنِي مِنْ حَلْيِ إِيْنَاكَ^(٦)..... وَغَضَضْتَ عَنِّي طَرْفَ حَيَاتِكَ
بَعْدَ أَنْ نَظَرْتَ الْأَعْمَى إِلَى تَأْمِيلِي لَكَ وَسَمِعَ الْأَصَمَّ ثَنَائِي عَلَيْكَ^(٧)..... فَلَا غَرَوْ، قَدْ
يَفْضُ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ، وَيَقْتُلُ الدَّوَاءُ الْمُسْتَشْفِيَّ بِهِ، وَيُؤْتِي الْحَذِيرُ مَنْ مَأْمَنِهِ وَتَكُونُ
مَنْيَّةُ^(٨) الْمُتَمَنِّي فِي أُمْنِيَّتِهِ.....

(١) افلاطون استاذ ارسطوطاليس، وها أكبر فلاسفة اليونان أو أكبر الفلاسفة. بطليموس عالم
بالرياضيات والفلك. الاضطراب أداة تشبه الزاوية يقاس بها ارتفاع النجوم فوق الافق. بقراط او
ابقرط اكبر الاطباء اليونانيين القدماء.

(٢) عبد الحميد بن يحيى وسهل بن هرون وعمرو بن بحر (المحافظ) من كبار الكتاب والنشئين العرب.

(٣) مالك بن انس فقيه اهل المدينة وقد ضرب المثل به في الفتيا (بالضم) فقيل: اهلق ومالك في المدينة؟

(٤) في الفلسفة القديمة ان الإنسان هو العالم الاصفر (ان كل ما في العالم موجود بصورة مصغرة في
الإنسان: الصورة والمادة والعناصر الأربعة.... الخ).

(٥) اعتدادي به: جملته عدة لي (استعين به في المستقبل على كل شيء).

(٦) الزند: قطعة من الحديد تقدح بها النار من حجر الصوان. وري (يفتح فكس) الزند يري (يفتح
فكس): اخرج ناراً من حجر الصوان عند القدح. عطلتني: سلبتني الحلى التي ألبسها.

(٧) في هاتين الجملتين تضمين من بيت المتن:

انا الذي نظرت الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم.

(٨) المنية: الموت.

كَلِّ المصائبِ قد تَمَرُّ على الفتي وتَهونُ غير شاتيةِ الحساد .
وَأَنِّي لَأَجْلَدُ وأُري الشامتِينَ أَنِّي لِرَبِّ الدهرِ أَتَضَعُّعٌ^(١)، فأقول^(٢): هل أنا
إِلَّا يَدٌ أَدَمَاهَا سِوَارُهَا، وَجَبِيْنُ عَضُّهُ إِكْلِيلُهُ....

هذا العَنْبُ محمودٌ عواقِبُهُ، وهذه النَبْوَةُ غَمَرَةٌ تَمُ تَجَلِي، وهذه النَكْبَةُ سَحَابَةٌ
صَيْفٍ عَن قَلِيلٍ تَقْشَعُ . وَلَنْ يَرِيَنِي مِنْ سَيِّدِي أَنْ أَبْطَأَ سَيِّئُهُ أَوْ تَأَخَّرَ - غيرَ
ضَنِينٍ - غَنَاؤُهُ فَابْطَأُ الدِّلاءَ قَيْضًا أَمْلأُهَا وَأَتَقَلُّ السَّحَابِ مَشْيًا أَحْفَلُهَا وَمَعَ
اليومِ غَدٌ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ

وأعودُ فأقول: لَيْتَ شِغْرِي، مَا هَذَا الذَّنْبُ الَّذِي لَمْ يَسْمَعْ عَفْوُكَ، وَالْجَهْلُ الَّذِي لَمْ
يَأْتِ مِنْ وَرَائِهِ جُلْمُكَ! وَلَا أَخْلُو مِنْ أَنْ أَكُونَ بَرِيئًا فَالَيْنَ الْعَدْلُ أَوْ مُسِيئًا فَالَيْنَ
الْفَضْلُ؟.....

٤ - ديوان ابن زيدون (كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة)، القاهرة // ١٩٣٢ م، ١٣٧٠ هـ
١٣٧٥ هـ (علي عبد العظيم)، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥٧ م؛ (سيد كيلاني)،
القاهرة // = شعر ابن زيدون (تحقيق كرم بستاني)، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٥١ م،
١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م بيروت (الشركة اللبنانية للكتاب) بلا تاريخ.

- الرسالة المجدبة، القاهرة ١٢٧٨ هـ = ١٨٦٢ م (أبو بكر محمد حكيم)، القاهرة
١٣٤٥ هـ.

- الرسالة الهزلية (رايسكه)، ليبسك ١٧٥٥ م؛ (هيرت)، يانا ١٧٧٧ م؛ القاهرة ١٢٧٨ هـ،
١٢٩٠، ١٣٠٥، ١٣٢١ هـ؛ (علي هامش لامية العرب للصفدي)، الاسكندرية ١٢٩٠ هـ؛
(محمد أبو الفضل ابراهيم) القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م.

★ تمام التون في شرح رسالة ابن زيدون (للصلاح الصفدي)، بغداد (مطبعة الولاية)
١٣٢٧ هـ؛ (لاين نباتة) (تحرير محمد أبي الفضل ابراهيم)، القاهرة (دار الفكر العربي)
١٩٦٤ م، ١٩٦٤ م، ١٣٨٩ (١٩٦٩ م).

- شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون (لاين نباتة)، الاستانة ١٢٧٥ هـ؛ القاهرة

(١) هاتان المملتان اقتباس من بيت ابي ذؤيب الهذلي:

وتجسدي للشامتين اريهم اني لربب الدهر لا اتضعع.

(٢) وفي المجلد التالية اقتباس من الامثال والأشعار ومن أي القرآن الكريم.

- (المطبعة الأميرية) ١٢٧٨ هـ؛ الاسكندرية ١٢٩٠ هـ؛ مصر (مطبعة الموسوعات) ١٣٢١ هـ؛ (تحرير محمد أبي الفضل ابراهيم)، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٦٤ م.
- اظهر المكنون من الرسالة الجدية لابن زيدون، تأليف مصطفى العناني، القاهرة (مطبعة المعارف) ١٣١٧، الطبعة الثالثة، القاهرة (المطبعة الرحمانية) ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٧ م.
- الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون (ابو بكر محمد بن حكيم) ..
- قطعة عن ابن زيدون (من قلائد العقيان للفتح بن خاقان) (تحرير وايرس)، ليدن (بريل) ١٨٣٠ م.
- ابن زيدون، تأليف أحمد زكي، القاهرة (مطبعة صبيح) ١٨٨٨ م، ١٩١٤ م.
- ابن زيدون، تأليف نهاد عناية، دمشق (المكتبة الهاشمية) ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٩ م.
- ابن زيدون، تأليف شوقي ضيف، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٣ م.
- ابن زيدون: عصره وحياته وأدبه، تأليف علي عبد العظيم، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٥٥، القاهرة (نهضة مصر) ١٩٥٧ م.
- ابن زيدون: حياته - عصره - أدبه، تأليف حسن جار حسين، القاهرة (المطبعة المنيرية) ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م.
- ابن زيدون، تأليف نديم مرعشلي، بيروت (دار الشرق الجديد).
- ابن زيدون: أو صفحة من مجالي الانس في ليالي الاندلس، تأليف زكي أحمد، شوقي وابن زيدون في نونيتيها، تأليف أبي القاسم محمد كرو، تونس (منشورات كتاب البعث، رقم ٢) (مطبعة الترقى) ١٩٥٦ م.
- ابن زيدون: أثر ولادة في حياته وأدبه، تأليف وليم الحازن، بيروت (دار مكتبة الحياة) ١٩٦١ م.
- ولادة وابن زيدون، تأليف عبد الرزاق مجيد الهلالي، بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٤٧ م.
- مجلة الكتاب (بغداد): عدد خاص بالذكرى الألفية لميلاد ابن زيدون (٣٩٤ - ١٣٩٤ هـ)، الرباط ١٥ - ٢٢ / ١٢ / ١٩٧٥ م، السنة التاسعة، العددان ١١ - ١٢ (تشرين الثاني وكانون الأول = نوفمبر وديسمبر ١٩٧٥ م).
- الطبع ٦٠ - ١٦١ الذخيرة ١: ٣٣٦ - ٤٤٢٨ جذوة المفتيس ١٢١ - ١٢٢ (الدار المصرية) ١٣٠ - ١٣١ (رقم ٢٢٤)، بغية الملتمس ١٧٤ - ١٧٥ (رقم ٤٢٦)، قلائد العقيان ٧٩ - ٩٣ وفيات الأعيان ١: ١٣٩ - ١٤١، ١٤٥٧، الوافي بالوفيات ٧: ٨٧ - ٩٤ اعتبار الكتاب ٣٠٧ - ٢١٤، المغرب ١: ٦٣ - ٦٩، المطرب ١٦٨ - ١٦٩، نفح الطيب ١: ٦٢٧ - ٦٣٤، ٦٦٨ - ٦٧٠، ٣: ٢٧١ - ٢٨٧، ٥٦٦ - ٥٦٥، ٤: ٩٩ - ١٠٠، ٢٠٥ - ٢١٢، ٢٦٤ - ٢٧١، شترات الذهب ٣:

٣١٢-١٣١٣ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٧٣-٩٧٤ بروكلمن ١: ٣٢٤-٣٢٥،
الملحق ١: ٤٥١؛ نيكل ١٠٦-١٢٠، مختارات نيكل ٦٢-٧٣، الأعلام للزركلي ١:
١٥١-١٥٢ (١٥٨).

غانم الخزومي

١- هو أبو محمد غانم بن وليد بن عمر^(١) بن عبد الرحمن الخزومي القرشي
الأشونى (نسبة إلى أشونة وهي حصن بالأندلس من نواحي أستجة).

روى غانم الخزومي علومه في النحو واللغة والأدب عن نفر منهم أبو عمر يوسف
ابن عبد الله بن خيثرون وأبو عبد الله بن السراج. واشتغل بالتدريس وكان قديراً
محمود الطريقة في ذلك.

وعاش غانم في مالقة مدة ونال حظوة كبيرة عند صاحبها إدريس العالي بالله
(٤٣٤-٤٣٨ هـ)، كما عاش (بعد ذلك) في غرناطة متصلاً ببلطاد باديس بن حبوس
(٤٣٠-٤٦٦ هـ).

ويبدو أن وفاة غانم الخزومي كانت نحو ٤٦٥ هـ لأنه شهد، فيما يبدو، مقتل
القاضي أبي عبد الله محمد بن الحسن بن يحيى بن الحسن الجذامي النباهي في قرطبة،
سنة ٤٦٣ هـ^(٢)، ولم يزل له ابن بسام في الذخيرة (١: ٣٤٥-٣٦١) رثاء في
باديس بن حبوس (ت ٤٦٦ هـ). ويبدو أنه عاش طويلاً.

٢- كان غانم الخزومي فقيهاً ولغوياً ونحوياً وأديباً ناثراً ناظماً، وكان مقتدراً في
تدريس هذه الفنون محمود الطريقة في ذلك.

وكان في شعره صاحب بديهة ومقتدراً. وأكثر شعره الذي بين أيدينا في المديح
والرثاء والوصف والغزل والحكمة والزهد. وكذلك له ترسل أكثره إخوانيات وبعضه
مديح في مجرى الخطابة أو الكتابة.

(١) في كتاب الصلة، ص ٤٣٣؛ غانم بن وليد بن محمد بن عبد الرحمن. وفي جذوة المقتبس، ص ٣٠٦؛ غانم
ابن الوليد بن عمر بن عبد الرحمن.

(٢) راجع كتاب قضاة الأندلس، ص ٩٣، الطر ١٣، ثم ص ٩٣، الطر الثالث.

٣ - مختارات من آثاره

- دخل غانم على باديس بن حبّوس، وكان باديسُ يجلسُ في مكان ضيق، ومع ذلك فقد وسّع لغانم مكاناً يجلسُ فيه. عند ذلك قال غانم بديهة:

صَبِرْ فؤادَكَ للمحبوب مُنزَلة؛ سَمَ الحَيَاطَ مَجَالاً للمُحِبِّينَ^(١).
ولا تُسَامِحْ بَفِيضاً في مُعَاشرَةٍ فَقَلْماً تَسَعُ الدُّنْيَا بَفِيضِينَ!
- وقال في الصبر والتجمل بالوقار:

الصبرُ أُولَى بِوِقَارِ الفَتَى من مَلِكٍ يَهْنِكُ سِتْرَ الوَقَارِ^(٢).
من لَزِمَ الصبرَ على حَالَةٍ كان على أَيَّامِهِ بالخِيَارِ
- وله في مَطْلَعِ غَزَلِيٍّ لقصيدته في مدح ادریس العالی بالله، وهذه الأبيات تقليد ظاهر لمقطوعة الشريف الرضي:

بما ظبيّة البانِ ترعى في خَائِلِهِ، لِيُهْنِكَ اليَوْمَ أَنَّ القلبَ مَرَعَاكِ.
قال غانمُ المخرومي:

لولا التَحَرُّجُ لم يُجَنَّبْ مُحَيَّاكِ؛ حُبِّيتَ عَنَّا، وَحُبِّينَا بِخَبَاكِ^(٣).
أَمَا غَزَلْتَنَا، شَسَّ الضُّحَى طُلَعَتْ على اتِّفَاقٍ قَيَّاهَا كَيَاكِ^(٤).
بَدَوْتَ في حَلَّةِ زَرْقَاهُ، وَهِيَ كَذَا. فقال قاضي الهوى: «هذي ولا ذاك».
أَظْلَمْتَنِي مِنْكِ، بما ظَمِيَاءُ، جَائِرَةٌ؛ ما كان ضَرْكَ لو أَخْطَى بِسُقْيَاكِ^(٥).
إِنِّي أَرَاكَ بِقَتْلِ النَفْسِ حَادِقَةً؛ قولي، بِفَضْلِكَ، من بالْقَتْلِ أَوْصَاكِ؟
إِنْ كَانَ وادِيكَ مَمْنُوعاً فَمَوْعِدُنَا وادي الكرى ثُمَّ تَلْقَاهَايَ وَأَلْفَاكِ^(٦).
دَمْعِي بِبَقْدَادَ مَمْدُودٌ بِدَجَلَتِهَا، وَأَنْتِ من رَوْضِ نَجْدٍ تَشْرُ رَيَّاكِ^(٧).

(١) سَمَ الحَيَاطَ: ثقب الابرة.

(٢) هُنَا: شَقٌّ، مَرْقٌ.

(٣) الْحَيَا (بتشديد الياء): الوجه. الْحَيَا (بلا تشديد): الْحَيَاةُ.

(٤) الْغَزَالَةُ: الشَّمْسُ وَالْمَرْأَةُ الْجَمِيلَةُ. السَّيَا: الْعَلَامَةُ، الْحَيْثُ.

(٥) الظَمِيَاءُ: النَّاقَةُ السَّودَاءُ، الشَّعْةُ الرَّقِيقَةُ السَّمَاءُ، الْعَيْنُ الرَّقِيقَةُ الْجَفُونُ (المرأة الجميلة).

(٦) وادِيكَ: بَلَدٌ. وادي الكرى (كتابة عن النوم).

(٧) النَشْرُ (هنا): الْإِنْتِشَارُ. الرَّيَّا: الرَّائِثَةُ الطَّيْبَةُ.

- توفي لفانم المخزومي أخوانٍ أحدهما مات غرقاً فقال غانم يرثيها بمقطوعة يقلد فيها مقطوعة غزلية لابن زيدون:

يا دمعُ، لا تَحْذُلْ وَكُنْ مُسْتَعِداً، لا تَخْشَ من صبري أن يَنْفَكُ^(١).
أخْ غريقٌ وأخٌ في الثرى، وَتَرْتَجِي السَّلْوةَ؟ ما أطمَعُ!
إنَّ جودَ العينِ - خوفَ العدى ورِقْبَةَ الحَسَادِ - لَنْ يَنْفَكُ^(٢).
يا عُمْراً، أَغَمَزْتَ قَلْبِي أَسَى وَودَّعَ (؟) صبري مثلاً ودَّعَكَ^(٣).
رُزْتُ في الدنيا بَدِي نُصْرِي؟ يا دهرُ، بَتّاً لك، ما أَفْجَمَكَ^(٤)!
- وله من رُقعةٍ خاطب بها أبا الحسن الحصري:

ما أَفْصَحَ لِسَانُكَ وَأَفْصَحَ مِيزَانُكَ وَأَوْضَحَ بَيَانُكَ وَأَنْوَرَ صَبَاحَكَ
وَأَزْهَرَ مِصْبَاحَكَ، أَيُّهَا السَّابِقُ الْمُتَمَهِّلُ فِي مِيزَانِ النَّبْلِ، وَالسَّامِقُ^(٥) الْمُتَطَوِّلُ بِفَضَائِلِ
الذِّكَاةِ وَالْفَضْلِ: أُرِخْتَنِي مِنْ غُلِّ الهمِّ فَازْدَهَنْتَنِي أَرْيَجِيَّةً^(٦)، وَأُرِخْتَنِي عَنْ ظِلِّ الغَمِّ
فَلَاخَتْ لِي شَمْسُ الأُمْنِيَةِ بِمَا أَطْلَعْتَهُ عَلَيَّ وَأَنْقَذْتَهُ مَكَارِمُكَ إِلَيَّ. فَقُلْتُ: أَعَصُرُ الشَّابِ
رَجَعَ، أَمْ كَوَكَبُ السَّعْدِ طَلَعَ، أَمْ بَارِقُ الإِقْبَالِ لَمَعَ؟ كَلَّا، وَاللَّهِ، إِنَّهَا لَمَكْرُمَةٌ فَهَرِيَّةٌ^(٧)
أَهْدَتْهَا نَفْسٌ سَخِيَّةٌ وَهَمَّةٌ عَلَيْهِ... بَلَى، وَاللَّهِ، أُرِخْتَنِي زَهَرَ الرَّبِيعِ فِي غَيْرِ أَوَانِهِ،
وَحُسْنِ الصَّنِيعِ عَلَى عَدَمِهِ فِي أَهْلِ زَمَانِهِ... فَأَنْتَ وَاحِدُ الْبَلَاغَةِ الَّذِي لَا يُجَارَى،
وَفَارِسُ الْفَصَاحَةِ الَّذِي لَا يُبَارَى.

٤- ** الصلة ٤٣٣ - ٤٣٤ (رقم ٩٨٢)، الذخيرة ١: ٨٥٣ - ٨٧٠ جذوة المقتبس
٣٠٧ - ٣٠٦ (الدار المصرية) ٣٢٥ - ٣٢٦ (رقم ٧٥٤)، بغية المتلمس ٤٢٨ (رقم
١٢٨٠)، مطمح الأنفس ٦٠ - ٦١، معجم الأدباء ١٦: ١٦٧ - ١٦٩، إنباه

- (١) المسد: المساعد. الدمع السعد هو الذي يسيل بسرعة وبكثرة.
- (٢) الرقبة: المراقبة. رقبة الحساد (رجاء الحساد أن تزول النعمة عن غيرهم).
- (٣) الأسى: الحزن. ثم اقرأ: ودَّعت صبري الخ.
- (٤) رزئت: فقدت. يدي نصري: نصرتي بكلنا يدي (بكل قوتي). بتا: قطعاً. ما أفجَمَكَ: ما أكثر انزالك
- (٥) السامق: العالي.
- (٦) ازدهنتني: أخذتني خفة (سرور) بالأريحية (الارتياح للكرم أو للعمل الجميل والسرور به).
- (٧) فهريّة: نسبة إلى فهر بن مالك من جندود العرب القدماء (عربية صحيحة).

الرواة ٢: ٣٨٩؛ الوافي بالوفيات ٨: ٣٢٤ - ٣٢٥؛ المطرب ١٨٤؛ المغرب ١: ٣١٧ - ٣١٨؛ بغية الوعاة ٣٧١؛ نصح الطبيب ٣: ٢٦٥، ٣٩٨، ٤٤٧، ٥٩٦ - ٥٩٥، ٦١٥؛ ٤: ٢٨، ٢٢٦، ١٣٣١؛ راجع نيكل ١٨٨ - ١٨٩؛ ومختارات نيكل ١١٣١؛ الأعلام للزركلي ٥: ٣٠٧ (١١٦).

أبو جعفر اللمائي

١- هو أبو جعفر أحمد بن أيوب اللمائي من أهل مالقة، كان كاتباً لدى ناصر الدين علي بن حمود صاحب مالقة (٤٠٧ - ٤٠٨ هـ) ومدبراً أموره، كما كتب لغيره (من ملوك مالقة؟). وقد علا صيته بسبب ذلك وعُلت مكانته. ويبدو أنه حصل على أملاك في غرناطة فكان يتردد عليها فيتفقد أملاكه ويזור ملوكها الصنهاجيين، في أيام باديس بن حبوس (٤٣٠ - ٤٦٦ هـ) في الأغلب، أو في أيام أبيه حبوس (٤١٠ - ٤٣٠ هـ) أيضاً.

وعرّضت لأبي جعفر اللمائي النسمة (من أمراض الصدر: الربو؟) وأزمنت فتوفي من أثرها في مالقة، سنة ٤٦٥ هـ (١٠٧٢ - ١٠٧٣ م). وقد نُقلت جثته إلى حصن الورد عند مونت ميور (الجبل الكبير) بحسب وصيته ودُفن هنالك في قبر كان قد أبتناه. وإذا كان أبو جعفر اللمائي قد راسل أبا جعفر بن عباس (ت ٤٢٧ هـ) فيجب أن يكون قد عاش سبعين سنة أو تزيد.

٢- أبو جعفر اللمائي أديب مُترسل وناثر شاعر. وشعره مدحٌ ووصف للطبيعة. ويبدو أن معظم شعره وجدائي قاله في أحوال مرضيه وفي الشكوى من الأيام. وله نسيب أيضاً.

٣- مختارات من آثاره

- كتب أبو جعفر اللمائي إلى أبي جعفر بن عباس^(١) يُعزيه بأبيه:
إن لم أجد التائبين فأجد^(٢) البكاه والحنين، وإن لم أحسن التملق والإطراء

(١) هو أبو جعفر أحمد بن عباس كان وزيراً لزهير صاحب المرية ولباديس صاحب غرناطة. وكان غنياً جداً وبغياً جداً. وقد نكبه باديس وسجنه ثم أمر بقتله، سنة ٤٢٧ هـ وهو ابن ثلاثين سنة.

(٢) التركيب خاطيء. ليس هنا مكان لربط جواب الشرط (وهو فعل مضارع بالفاء). والصواب أن =

فأحسن الإخلاص والدعاء . واتَّصَلَ في مَوْتِ الوَظِيرِ أُمِّكَ - لَقَاءَ اللَّهِ
 غُفْرَانَهُ - وَكَوْنُكَ بِفَضْلِ اللَّهِ مَكَانَهُ، فَرُوعَ جَنَّاتٍ^(١) الصَّبرِ وَأَخْرَسَ لِسَانَ الشُّكْرِ:
 بَدْرُ أَقْلٍ وَهَلَالٌ اسْتَقْلَ^(٢) . أَعْرَيْكَ وَأُسْلَيْكَ: قَدَّرَ مُصَابِكَ قَدْرُ قَوَائِكَ^(٣) . صَبْرًا جَيلاً
 عَلَيْهِ لَتُوجَرَ، وَفَعَلًا حَمِيدًا^(٤) بَعْدَهُ لَتُذَكَّرَ.....

- وقال أبو جعفر اللهاثي في علته (داء النسيمة):

عَظُمَ الْبَلَاءُ فَلَا طَبِيبَ يُرْتَجَى مِنْهُ الشِّفَاءُ، وَلَا دَوَاءَ يَنْجَعُ^(٥) .
 لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ لَمْ أَعْلِجْهَا بِهِ طَمَعُ الْحَيَاةِ؛ وَأَيُّ مَنْ لَا يَطْمَعُ^(٦) ؟
 (وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ)^(٧) .

- ودخل عليه بعض أصحابه في علته (في قترته التي مات فيها) فجعل يُرَوِّحُ
 عليه بِمِرْوَحَةٍ . فقال ارتجلاً:

رَوَّحَنِي عَائِدِي فَقُلْتُ لَهُ: مَهْ، لَا تَزِدْنِي عَلَى الَّذِي أَجِدُ^(٨) .
 أَمَا نَرَى النَّارَ، وَهِيَ خَائِدَةٌ، عِنْدَ هُبُوبِ الرِّيحِ تَتَّقِدُ؟
 - وقال (يُصَوِّرُ الرَّبِيعَ وَهُوَ يَطْلُبُ النَّدى - الْعَطَاءُ - مِنْ يَدِ بَادِيَسَ):

طَلَمْتُ طَوَالَحَ لِلرَّبِيعِ فَأَطْلَعْتُ فِي الرُّوضِ وَرَدًّا قَبْلَ جَيْنِ أَوَانِهِ^(٩) .
 حَيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُبَشِّرًا وَمُؤَمِّلًا لِلنَّبِيلِ مِنْ إِحْسَانِهِ^(١٠) .

-
- = يقال مثلاً: فإن لم أجد التأبين فأنا أجد الدعاء (فيكون جواب الشرط جملة اسمية مربوطة بالفاء).
 (١) جنان: قلب.
 (٢) بدر (رجل كبير) أفل (غاب)، وهلال (رجل شاب) استقل (طلع).
 (٣) كلما عظم مصابك باليت كان أجرك عظيماً على مقدار ذلك.
 (٤) صبراً جيلاً: أصبر صبراً جيلاً.....
 (٥) ينجع: ينفع.
 (٦) طمع الحياة (طمعاً في الحياة). وهل في الدنيا أحد لا يطمع بطول الحياة.
 (٧) البيت لأبي ذؤيب الهذلي (بضم ففتح) وهو شاعر مخضرم (ت ٢٨ هـ).
 (٨) العائد: الذي يزور المريض. مه: كف، كفي.
 (٩) طالعة: أول نبات (الربيع).
 (١٠) النبيل: العطاء.

- وقال يشكو نوائب دهره :

أَمْسَى سَقَامِي زَاجِرِي وَمُؤَنَّبِي، وَغَدَا مَشِيبِي وَاعْظِي وَمُؤَدَّبِي.
أَوْهَتْ خُطُوبُ الدَّهْرِ مِنِّي عَاتِقِي، ثِقْلًا، وَزَعَزَعَ مَنَكِبَاهُ مَنَكِي^(١).
وَهَمَّتْ سَحَائِبُهُ عَلَيَّ فَعَادَرَتْ، أَرْضِي قَرَارَةَ كُلِّ خَطْبٍ مُعْجَبِ^(٢).
يَا سَيِّدِي وَأَخِي الْوَفِيِّ، وَمَا أَخِي مِنْهُ إِلَى قَلْبِ الْإِخَاءِ بِأَقْرَبِ.
وَإِذَا غَدَا الْعِلْمُ الْمُشْرِقُ أَهْلُهُ نَسَبًا يُؤْلَفُنَا، فَتَحْنُ بِنَوَابِ
وَكُنْتُ عَنْ وَدٍّ، وَقَدْ كَتَبَ الْإِخَا بَيْنَ النَّفُوسِ صَحَائِفًا لَمْ تُكْتَبِ^(٣).
بَارِقٌ مِنْ دَمْعِ الْمَسُوقِ فَوَادُهُ وَأَرْقٌ مِنْ رَيْقِ الْحَبِيبِ وَأَعْذِبِ.
فَقَلَّلْتُ مِنْهُ فِي غَدِيرِ بِلَاغَةٍ عَذِبٍ وَمُلْتَفِ الْخَدَائِقِ مُغْشِبِ.
كَرُمْتُ مَفَارِسُهُ فَأَوَزَقْتُ فَرْعُهُ عِلْمًا وَأَتَمَرْتُ بِالْكَلَامِ الطَّيِّبِ
خَفِيتُ مَعَانِيهِ عَلَى أَوْهَامِنَا، فَالْفِكْرَ بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكَذَّبِ.

٤- ** المطمح ٢٥-٢٦: بغية الملتص ٥٠٥ (رقم ١٥٢٠) الذخيرة ١: ٦١٧-٦٢٤
المغرب ١: ٤٤٦-٤٤٧ الإحاطة ١: ٢٤٠-٢٤٣ نفح الطيب ٣: ١٩٦،
٥٤٧، ٥٩٦، ١١٥٤ نيكل ١٢٢.

أبو الحسن البَلَنُوي

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي البشر (أو البشائر) البَلَنُوي الصِّقْلِي نسبةً إلى مدينة بيلّا نووبا (باللفظ الإسباني) أو فيلاً نوفا (باللفظ الإيطالي الحديث: البلدة الجديدة)، وهي بلدة في غربيّ جزيرة صقلية. وقد كان أبو القاسم عبدُ الرحمن (والدُ أبي الحسن البَلَنُوي)، فيما يبدو، رجلاً علمياً وأدبياً وشعرياً^(١).

(١) النكب: ما بين الكتف والعنق. للدهر منكبان (هو أقوى مني).

(٢) هـا: سقط، هطل، (نزل الماء من السحاب). القرارة: المكان المنخفض تنسقر فيه الأشياء.

الخطب: المصيبة. المعجب: الداعي إلى العجب (الكبير، الشديد).

(٣) للأخاء (الصداقة) صفحات كثيرة جميلة لم يستطع أن يكتب بقلمه مثلاً.

(٤) في « المختار من شعر بشر » (الصفحة ل) أن أبا القاسم عبد الرحمن ابن أبي البشر أُنشد:

نزل المشيب بعارضي ولم يمتي. يا نفس، فازدجري عن اللذات.

ودعي الحياة لأهلها وتجهزي، يا نفس- وبك- تجهّز الأموات. =

أَمَّا مَوْلِدُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَلَنْوِيِّ فَكَانَ فِي صِغَلِيَّةَ، وَلَكِنَّا لَا نَعْرِفُ شَيْئاً مِنْ تَفَاصِيلِ حَيَاتِهِ فِيهَا. ثُمَّ إِنَّهُ هَاجَرَ مِنْهَا فِي أَوَاخِرِ عَهْدِ الْفِتْنَةِ أَوْ فِي مَطْلَعِ الْإِحْتِلَالِ النُّورِمَانِيِّ إِلَى مِصْرَ، لِأَنَّنَا نَرَى لَهُ اتِّصَالاً بِأَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْبِزْزَارِيِّ، الَّذِي اسْتَوْرَاهُ الْمُسْتَنْصِرُ الْفَاطِمِيُّ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةِ ٤٤٢ هـ إِلَى الْمُحَرَّمِ سَنَةِ ٤٥٠ هـ (١٠٥٠ - ١٠٥٨ م). وَيَبْدُو أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ الْبَلَنْوِيَّ كَانَ أَحْيَاناً فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَأَحْيَاناً فِي الْقَاهِرَةِ وَأَنَّهُ تَكَسَّبَ بِمَدْحِ الْعُظَمَاءِ وَبِشَيْءٍ مِنَ التَّدْرِيسِ. وَلَعَلَّهُ قَدْ بَقِيَ فِي الْحَيَاةِ إِلَى الثَّلَاثِ الْآخِرِ مِنَ الْقَرْنِ الْهَجْرِيِّ الْخَامِسِ (نحو ٤٦٥ هـ = ١٠٧٢ م) أَوْ إِلَى مَا بَعْدَ ذَلِكَ.

٢ - كَانَ أَبُو الْحَسَنِ الْبَلَنْوِيُّ شَاعِراً كَثِيرَ التَّقْلِيدِ لِلْمَشَارِقَةِ فِي أَغْرَاضِهِمْ وَأَسَالِيِبِهِمْ مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَمِنْ جِهَالِ الْأَسْلُوبِ، بَرُّغْمَ مَا فِي أَسْلُوبِهِ أَحْيَاناً مِنَ الضَّعْفِ. وَلَمْ يَرِدْ فِي شِعْرِهِ ذِكْرٌ لِصِغَلِيَّةَ، بَلْ كَانَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ خِصَائِصِ شِعْرَاءِ مِصْرَ فِي الْعَهْدِ الْفَاطِمِيِّ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَكْثَرَ شِعْرِهِ قَدْ قِيلَ فِي مِصْرَ، وَلَعَلَّ جَانِباً كَبِيراً مِنْ حَيَاتِهِ كَانَ أَيْضاً فِي مِصْرَ. وَفَنُونُ شِعْرِهِ الْمَدْحُ وَالْهَجَاءُ وَالرِّثَاءُ وَالْوَصْفُ وَشَيْءٌ مِنَ الْغَزْلِ.

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْبَلَنْوِيُّ بِمَدْحِ الْوَزِيرِ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ :

لَحَظَاتٌ مِنْ شَبِيهَاتِ الدُّمَى صَرَعَتْني بَيْنَ ظَلَمٍ وَلَمَى^(١)

= فَلَقَدْ نَصَحْتِكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي، وَلَقَدْ وَعِظْتِكَ إِنْ قَبِلْتَ عِظَاتِي.

وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ هَذَا مُؤَدِّباً لِأَبِي طَاهِرِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحَدِ بْنِ زِيَادَةِ اللَّهِ صَاحِبِ «الْمَخْتَارِ مِنْ شِعْرِ بَشَّارٍ». وَكَانَ التَّجَنُّبِي (ت نحو ٤٤٥ هـ) مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ (بِفِيَةِ الْوَعَاةِ ١٩٣)، وَهُوَ مِنَ الْقَيْرَوَانِ وَسَكَنَ الْمَهْدِيَّةَ وَيَعْرِفُ بِالْبَرْقِيِّ (تَكْمَلَةُ الصَّلَةِ) فَلَعَلَّ أَصْلَهُ كَانَ مِنْ بَرْقَةٍ (شَرْقِيَّ لِيْبِيَا الْيَوْمِ). وَقَدْ كَانَ عَالِماً بِالْأَدَابِ شَاعِراً بِمُجَوِّدِاً وَمِنْ الْمُصَنِّفِينَ لِلْكِتَابِ دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ، بَعْدَ سَنَةِ ٤٠٠ هـ فَكَانَ فِي مَالِقَةِ سَنَةِ ٤٠٦ هـ ثُمَّ سَارَ إِلَى مِصْرَ فَرَأَيْنَاهُ فِيهَا سَنَةَ ٤١٥ هـ. وَقَدْ اجْتَمَعَ بِهِ أَبُو مَرْوَانَ الطَّبْنَجِي فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ سَنَةِ ٤٣٨. وَرَأَى ابْنَ الْأَبَّارِ شَيْئاً يَحْطُ أَبِي طَاهِرٍ مُؤَرَّخاً فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ ٤٤١ (تَشْرِينَ الثَّانِي - نَوْفَمُبْرِ ١٠٤٩ م).

(١) الدِّمِيَّةُ: الصُّورَةُ الْمُخَيَّلَةُ (أَوْ التَّمَثَالُ الصَّغِيرُ الْجَمِيلُ، أَوْ اللَّعْبَةُ عَلَى هَيْئَةِ فَتَاةٍ جَيَّةٍ). شَبِيهَاتُ الدِّمَى: نِسَاءٌ جَمِيلَاتٌ جِدّاً. صَرَعَ: أَلْقَى (خَصَمَهُ) أَرْضاً، (قَتَلَهُ). الظَّم (بِفَتْحِ الظَّاءِ): مَاءُ الْأَسْنَانِ وَبَرِيْقَهَا (لَوْنُهَا الْأَبْيَضُ). اللَّمَى: سَمَرَةٌ فِي الشَّجَرَتَيْنِ (مِنْ مَظَاهِرِ الْجَمَالِ الْبَدَوِيِّ).

بعدَ ما قلتُ تناهتُ صَبَوِي
 لاني، أَقْصِرُ فَلَانِي كُلَّما
 بَأْي من جاءني مُعْتَذِراً
 فرأيتُ البدرَ من طَلْعَتِهِ
 زائرُ أَسألُ عنه مُقْلِي
 كيف تخفى زُورَةُ الصُّبحِ وقد
 عَجَبًا من سَقَمٍ في طَرْفِهِ
 قد أَعَارَ الكَأْسَ منه وَجَنَةً
 كيف أَعْتَدُ بَلْقِيا هاجرٍ
 لو تجاسرتُ على الفَتكِ به
 أيُّ شيءٍ ضَرَنْتِي لو أَنِنِي
 ولقد دُقْتُ بِكَاسَاتِ الهوى
 رَجَعْتَنِي مُسْتَهَاماً مُفْرَماً^(١).
 زِدْتُ لَوْماً زاد سَمِي صَمّاً^(٢).
 وَجِلاً مِمَّا جَنَاهُ نَدَمًا^(٣).
 ضاحِكًا من وجهه مُبْتَسِياً.
 هل رَأَتْهُ يَقْظَةً^(٤) أم حُلْماً؟
 فَتَحَ الرُّوضَ وَجَلَسَ الظُّلماً.
 يُورِثُ الجِسمَ وَيُشْفِي السَّقَمَ^(٥).
 وَثَنَايَا وَرَضَايَا وَفَمَا^(٦).
 قَبْلًا حَاوَلَ وَصَلِي صَرَمًا^(٧)؟
 لم أَعُدْ أَقْرَعُ سِنِّي نَدَمًا.
 كُنْتُ فِي الحِلِّ طَرَقْتُ الحَرَمًا^(٨)؟
 عَسَلًا طَوْرًا وَطَوْرًا عَلَقَمًا.

(١) الصبوة: ميل الانسان إلى الحب. تناهت: بلغت منتهاها، انتهت، بطلت (بالتقزم في السن). رجع
 (بلا تشديد) فعل لازم ومتعد. رجعتني (بلا تشديد للجيم): ردّني، أعادتني. مفرم (تشديد الحب
 والتعلق بالمحبوب) مستهام (كاد الحب يذهب بعقله).

(٢) لاني = يا لاني. أقصر: أقلل من لومك إياي.

(٣) وجلا: خائفا. جناه: أذنب فيه. ندما = نادما.

(٤) اليقظة (يجب أن تكون بفتح القاف).

(٥) سقم في طرفه: من فتور في عينيه (من الدلال والنعمة والجمال) في الأصل يورث الجسم. والبلاغة
 والشاعرية تقتضيان أن يقول الشاعر: يورث السقم (بضم السين: إذا هجر) ويشفي السقم (إذا وصل،
 أنعم على المحب).

(٦) قد أعار الكأس (الحمر) منه وجنة (لوناً أحمر جيلا كلون وجنته: حدّه) وثنايا (حبيا أبيض يعلو
 صفحة الحمر في الكأس كيباض ثناياه: أسنانه). ورضايا (طما حلوا كربيته) وفا (رائحة طيبة
 كرائحة فمه).

(٧) كيف أعتد (أحسب، أجد ربما في) لقبيا. هاجر (لقاء حبيبي الذي كان قد هجرني طويلا). صرم: قطع.

(٨) الحل: كل مكان خارج مكان الحج أو زمن الحج في مكة. الحرم (تورية) مساحة حول مكة يحرم فيها
 الصيد في أيام الحج. والحرم: المكان الذي يحرم من جسم المحبوب.

وجليس قد شئنا شخصه مذ عرفناه ملحا مبرما^(١) .
ثقل الوطأة في زورته ثم ما ودع حتى سلا .
بعض ما لاقيت منه أنه نفر الرثم الذي قد رثا^(٢) .

★ ★

وأعز الخلق طرأ عائد برئيس الرؤس اعتصا .
نحن منه في جان ورع نلبس العز ونجني النما^(٣) .
قد بلوناه على علاته فبلونا العارض المنسجا^(٤) .

٤ - ★★ بروكلن ١ : ٣١٧ ، الملحق ١ : ١٤٧٤ تاريخ الأدب العربي في صقلية (تأليف ريزيتانو) ص ١٢١ - ١٢٥ راجع الخريدة (تحقيق الدسوقي وعبد العظيم) ٤ : ١٢٨ - ١٢٩ .

الشقراطيي

١ - هو أبو محمد عبد الله بن يحيى (ت ٤٢٩ هـ) بن علي بن زكريا التوزري الشقراطيي، نسبة إلى قلعة قديمة كانت بالقرب من قفصة (في تونس) تسمى شقراطس .

وُلد الشقراطيي في توزر (جنوبي القطر التونسي) وعاش فيها . وتلقى العلم على والده وعلى غيره . وفي سنة ٤٢٩ رحل إلى المشرق وحج وزار (المدينة) . وفي أثناء رحلته (ذهاباً أو إياباً) اتفق نزول للفرينجية (الصلبيين) في مصر فاشتراك في مقاتلتهم .

(١) شئنا : أبعضنا ، كرها . شخصه (حضوره في مجلسنا) . المبرم : الذي يمل الناس منه .

(٢) نفر الرثم (الفرال الأبيض ، المحبوب) . رثم : عطف . كان المحبوب قد عزم على أن ينيلني مرادي منه ، فلما رآه هرب .

(٣) جان ورع (٢) . جان (بالفتح : القلب ، وبالكسر جمع جنة) . نجني : نطف ، نثال .

(٤) بلوناه : اخترناه . على علاته : في جميع أحواله وعلى ما كان منه من نقص أحياناً ، العارض : الحاب (الكثيف) . المنسجم : الماطل (الساط) بكثرة .

ويبدو أنه أبلى في هذا القتالِ بلاءً حسناً، إذ له في ذلك قصيدةٌ تدلُّ على متانةٍ وجمال، منها:

واسمَرَ عَسَالِ الكُمُوبِ سَقَيْتُهُ نَجِيعَ الطُّلَى والخَيْلُ تَذْمِي نُحُورُهَا^(١).
وعَادَ الشُّقْرَاطِيسِيُّ إِلَى تَوَزَّرَ فَأَفْقَى فِيهَا وَدَرَسَ. وكانتْ وفاته في ثامن ربيع الأول من سنة ٤٦٦ (١١/١١/١٠٧٣ م).

٢ - كان الشقراطيسيُّ من فقهائه بلدة تَوَزَّرَ ومن القضاة فيها، وقد برَعَ أيضاً في شيء من النثر والشعر. واشتهر ببِدِيعِيَّة (قصيدة في مدح الرسول) عُرِفَتْ بلامية الشقراطيسي، تبلغُ نحو مائة وثلاثة وثلاثين بيتاً أورد فيها الشقراطيسي أشياء من السيرة (حياة رسول الله) من أحداث وغزوات ومعجزات. وفي هذه القصيدة وجهان من أوجه الضَّعْف: المبالغة في الصناعة اللفظية (الجناس والطباق) خاصةً (تأما يجعل المعاني في أكثر الأحيان غامضة) ثم ضَعْفٌ في اللغة (في استعمال الألفاظ وفي التراكيب). ولكن لا شك في أن البوصيري (ت ٦٩٤ هـ)^(٢) قد نظَرَ إلى هذه القصيدة لما نظم قصيدته البُرْدة: «أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرانِ بذي سَلَمٍ ؟». وقد اهتم بهذه القصيدة نفرٌ كثيرون فسطَّروها أو حَسَّوها أو شَرَحوها. وكذلك أصابَ الذين انتقدوا ما فيها من الغُلُوِّ في التَّصْنِيع (أوجه البلاغة).

٣ - مختارات من شعره

- منتخبات من القصيدة الشقراطيسية:

الحمدُ لله، مَا بَاعَتْ الرِّسْلُ هَدَى بِأَحْمَدَ مَنَا أَحَدَ السُّبُلِ^(٣).
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ مِنْ بَذُوٍ وَمِنْ حَضَرٍ وَأَكْرَمُ الْخَلْقِ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَمِلٍ.
توراةُ موسى أَتَتْ عَنْهُ فَصَدَّقَهَا إِنْجِيلُ عِيسَى بِحَقٍّ غَيْرِ مُفْتَعِلٍ^(٤).

(١) أسمر: رمح. عَسَال: اللين الذي يهتز. الكُمُوب (جمع كمب): العقد التي في قناة (قصبة) الرمح. نجيع: دم. الطلا (بالضم) جمع طلاء (بالضم): المنق.

(٢) راجع، فوق، الجزء الثالث.

(٣) أحد (الأولى): محمد رسول الله واحد (الثانية): أحسن.

(٤) جاء ذكر بمئة رسول الله في التوراة وفي الانجيل.

أخبار أحياء أهل الكتب قد وردت
ضامات بولده الآفاق واتصلت
وصرح كسرى تداعى من قواعده
ونار فارس لم توقد، وما خمدت
خرت لبغته الأوثان وانبعثت
والجذع حن لأن فارقه أسفا
ما صبر من صار من عين إلى أثر
دعوت للخلق عام المحل مبتهلا،
صدعت كفيك إذ كف الغمام فما
أراق بالأرض نجسا صوب ربي
زهر من النور حلت روض أروضهم
من كل غصن نصير مورق خضير
تحية أحياء الأحياء من مضر،
عما رأوا أو رَوَوْا في الأعصر الأول.
بشرى الهواثق في الإشراق والطفل^(١).
وانقض منكر الأرجل ذا ميل^(٢).
مذ ألف عام، ونهر القوم لم يسل^(٣).
نواقب الشهب ترمي الجن بالشعل
حين تكل شجتها نوعه الشكل^(٤).
وحال من حال من حلم إلى عطل^(٥)؟
أفديك في الخلق من داع ومبتهل^(٦).
صوبت إلا بصوب الواكب المطل^(٧).
فعل بالروض نجاً رائق الخلل^(٨).
زهرأ من النور ضافي التبت مكتهل^(٩).
وكل نور نصيد مورق خصيل^(١٠).
بعد المصرة تروي السبل بالسيل^(١١).

- (١) الهاتفة: المنادية (من غير أن يراها أحد). الطفل: الوقت الذي تقترب فيه الشمس من المغيب.
- (٢) الميل (بفتح ففتح): الاعوجاج. من الأحداث التاريخية الثابتة أن أيوان (قصر) كسرى انشق (برززال) في نحو الزمن الذي ولد فيه محمد رسول الله.
- (٣) وكذلك غاض ماء بحيرة ساوة في فارس (بفعل الزلزال نفسه) وانطفت النار التي كانت تشتعل في الهيكل للعبادة.
- (٤) شجاء الأمر: حزنه وأحزنه. اللوعة: مرض الحزن أو الحب. الشكل (بفتح ففتح أو بضم فسكون): موت الأولاد.
- (٥) الحلي: ليس الحلي (من الذهب وغيره). العطل: التجرد من أسباب الزينة.
- (٦) المحل: القحط وانحباس المطر. دعوت: استسقيت (طلبت من الله أن ينزل المطر).
- (٧) صدعت: رفعت. صوبت: خففت (كفيك) بصوب الواكب المطل. بانسكاب المطر الغزير.
- (٨) أراق: صب. الشج: الانصباب الشديد (للمطر). الریق (أول المطر). نسج رائق (يعجب العين). الخلل (اللباس): كناية عن كثرة النبات والزهر على وجه الأرض.
- (٩) الزهر (بالضم): النجوم و(بالفتح) أزهار النبات. مكتهل: ناضج، واف، كثير.
- (١٠) نصير: ريح (طري) من الماء. نصيد: منظوم، مرتب. خصل: مبتل.
- (١١) تحية (من المطر). الأحياء: منازل القبائل. مضر (العرب). السبل: الطرق (السائرون على الطرق): السيل (بفتح وسكون): جريان الماء (حرك الشاعر الياء لضرورة الشعر).

دامت على الأرض سنباً غير مُقلّعة،
أعجزت بالوحي أرباب البلاغة في
سألتهم سورة في مثل حكمته
برئت من دين قوم لا قوام لهم:
يستخبرون خفي الغيب من حجر
نالوا أذى منك لولا حلم خالقهم
واستضعفوا أهل دين الله فاضطربوا
أزحت بالسيف ظهر الأرض من نفر
تركت بالكفر صدعاً غير مُلتئم،
وأقلت السيف منهم كل ذي أسف
ويوم مكة إذ أشرفت في أم
خوافق ضائق ذرع الحافقين بها

لولا دعاؤك بالإقلاع لم تزل^(١).
عصر البيان فصلت أوجه الحيل^(٢).
قتلهم عنه حين العجز حين نلي^(٣).
عقولهم من وشاق النفي في عقل^(٤).
صلد، وتزجون غوث النصر من هبل^(٥).
وحجة الله بالإعذار لم تنل^(٦).
لكل مفضل خطب فادح جلل^(٧).
أزحت بالصدق منهم كاذب العلل^(٨).
وآب عنك بقرح غير مندمل^(٩).
على الهيام حماه أجل الأجل^(١٠).
يضيّق منها فيعاج الوعث والسهل^(١١).
في قاتم من عجاج الخيل والإبل^(١٢).

- (١) سيما: سبع ليال. أطلع المطر: وقف عن السقوط. - ولولا أنك دعوت الله ليقف هطول المطر (كما كنت قد دعوت لا نزال المطر) لاستمر المطر في هطوله بلا انقطاع.
- (٢) ضلت أوجه (بالرفع) الحيل: لم يكن هنالك حيلة (وسيلة) لمباراة نظم القرآن (لأنه وحي). (وبالنصب): أرباب (أصحاب) البلاغة ضلوا (لم يهتدوا) إلى وجه يستطيعون به تقليد نظم القرآن.
- (٣) تله: كبه على وجهه. حين (موت؟) نلي: قرىء.
- (٤) العقل جمع عقال (بالكسر): الرباط.
- (٥) صلد: يابس. هبل: صنم كبير كان في مكة.
- (٦) لو لم يرد الله مجله أن يدفع عنهم الأذى لنالهم أذى منك.....
- (٧) الخطب: الحادث العظيم (المصيبة) الفادح: الثقيل. المصل: الذي لا دواء له. الجلل: الكبير.
- (٨) أزحت (أزلت) كاذب العلل: ما يتعلّلون به لبقائهم على الوثنية (٢).
- (٩) الصدع: الشق (يفتح الشين). آب: رجع. القرع (بالفتح أو الضم): الجرح. اندمل الجرح: انضم (برى).
- (١٠) الهيام: الموت - لجا من السيف نفر لأن آجالهم لم تنته، وهم بأسفون على أنهم لم يموتوا (لأن بقاءهم كان عاراً عليهم..... ٢).
- (١١) الفج (بالفتح): الطريق في الجبل، الطريق. الوعث: الطريق المسير. السهل (بفتح فسكون) الأرض اللينة (وحرك الشاعر الهاء لضرورة الشعر).
- (١٢) (المجاعات) الخوافق: اللين يذهبون في طول البلاد وعرضها. الحافقان: الأفقان (المشرق والمغرب). الذرع: القياس، المسافة، المساحة (بكسر الميم). المعجاج: القبار.

قالوا: «مَعْدٌ» قد زارتُ كتابه فويلُ مَكَّةَ من آثارِ وطائِه، فجدتُ عَفْوَاً بفضلِ العفوِ منك، ولم عاذوا بظِلِّ كَرِيمِ العفوِ ذي لَطْفٍ وحلٍّ أَمْنٍ وَيَمْنٍ منك في يَمَنٍ وأصبحَ الدينُ قد حَفَّتْ جوانِبُه قد طاعَ مُنحرفٌ منهم لِمُعترفٍ لم يَتَّقِ للفرسِ لَيْثٌ غيرَ مُفترَسٍ، ولا من التوبِ جِذَمٌ غيرَ مُنجَدمٍ، ومَلَّ بِالغَرْبِ غَرْبُ السيفِ إذ شَرَقَتْ وعادَ كُلُّ عَدُوٍّ عَزَّ جانبُه يا صفوةَ الخلقِ، قد أَصْفَيْتُ فِيكَ صفاً - قال عبد الله الشقراطيسي في الفخر:

فَلَمَّا تَجَلَّى الْفَجْرُ مِنْ طُرَّةِ الدُّجَى، وَوَلَّتْ بِأَعْيَازِ النُّجُومِ صُدُورُهَا،
تَيَمَّنْتُ أَسْدَامَ الْمِيَاهِ، وَمَجَانِمَ أَجْصَامِ الْقَضَا وَوُكُورُهَا،

- (١) محمد رسول الله. «حق» محمد التتوين (ومنه الشاعر من الصرف لضرورة الوزن). العصل جمع أعصل وعصلاء: (الناقب) المعوجة الصلبة.
- (٢) ويل أم قريش = ويل قبيلة قريش. الجوى: شدة الحزن. الهبل: التكل (موت الأولاد).
- (٣) ألم: زار زيارة خفيفة و(هنا) عدل (عاتب) عتاباً قليلاً.
- (٤) عاذوا: لجأوا إلى. مشتمل: عام، مغطى بشملة. تكون الميم في «مشتمل» مكسورة (هو مشتمل بالتوفيق) والأصوب أن تكون مفتوحة (شمله (بفتح فكسر) الله بالتوفيق).
- (٥) اليمن (بالضم): البركة، النعمة. أجابت إلى الايمان (دخل أهل اليمن في الاسلام).
- (٦) طاعه وأطاعه بمعنى: المنحرف: المائل (عن الدين) المتعرف (المقر بالإسلام). متعدل ليست في القاموس (يقصد: المائل، الجائر، المنحرف). المتعدل (السائر على الطريق العدل أو الحق: الإسلام).
- (٧) المنجفل: المطرود الشارد.
- (٨) الجذم: الأصل. منجذم: منقطع (مقطوع من أصله). المجذل: الجذم.
- (٩) غرب السيف: حده. الغرب (المغرب من الأرض). شرق: غص (امتلاً). قبل (من قبل). البيض (السيوف) والأسل (الرماح).
- (١٠) عاذ: لجأ. بذل: عطاء (عفو) غير مبتذل (لا يمنح لكل من يطلبه).
- (١١) الشوب: المزج، الخلط. الدخل: الفساد، العيب، المرض، الريبة.

بقلب ربيط الجاش مُتَّسِع الحشا على الهول مجموع الحصاة وقورها.
وأخمر عسال الكموب سقته نجيع الطلى والخيل تذمى نحورها.
وقد علم الأبطال كرتي فيهم إذا جاحم الميجله شب سيرها.

- ٤ - عبد الله الشرايطسي (في: أعلام الأفارقة)، تأليف الهادي مصطفى التوزري (نشره رابطة التضامن الأدبي بتونس)، تونس (مطبعة الترقى) ١٩٥٥ م.
- * * فهرست ابن خير ٤١٩، راجع ٥١٦؛ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٠٥٤ (صفر ١٣٩٩ / كانون الثاني - يناير ١٩٧٩)..... القصيدة الشرايطسية في مدح المصطفى (لعبد الله كنون)، ص ٨٦ - ١٠٦ ابن قنفذ ٢٥٣؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٦٣ - ١٦٧؛ عنوان الأريب ١: ٤٢ - ٤٣؛ المرحلة المغربية (جدو) ٤٠، بروكلن ١: ٣١٦، الملحق ١: ٤٧٣؛ الأعلام للزركلي (٤): ١٤٤ - ١٤٥).

ابن حيّان المؤرخ

- ١ - هو أبو مروان حيّان بن خلف بن حسين بن حيّان بن محمد بن حيّان بن وهب ابن حيّان؛ وحيّان هذا (والد وهب) كان مولى للأمير عبد الرحمن الداخل. وكذلك كان أبوه (خلف بن حسين) كاتباً للمصور بن أبي عامر، وقد أثر باتجاهه الأموي الشديد في قيام سياسة مُعادية للوَكِ الطوائف.
- وُلِدَ ابنُ حيّان سنة ٣٧٧ (٩٨٧ م) في قُرطبة ونشأ فيها، وتلقّى العلم على أبيه ثم على أبي عمرو أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحُبَابِ النَّحْوِيِّ (ت ٤٠٠ هـ) وأبي حَفْصِ عُمَرَ بنِ حُسَيْنِ بنِ نَابِلٍ (ت ٤٠١ هـ) وأبي العلاء صاعِدِ البَغْدَادِيِّ (ت ٤١٧ هـ).
- وشغَلَ ابنُ حيّانَ مَنْصِبَ صاحبِ الشرطة (أو صاحب المدينة) في قُرطبة ثم وَلِيَ الوِزَارَةَ لأبي الوليد محمد بن جَهْوَرٍ (٤٣٥ - ٤٥٠ هـ) ثم لابنه عبد الملك (٤٥٠ - ٤٦١ هـ)، ولكننا لا نعلمُ مدّةَ بقائه في الوزارة. وخالفَ ابنُ حيّانَ سياسةَ أهلِهِ فتقرَّبَ إلى بني ذي النون أصحابِ طُلَيْطَلَةَ. ولَمَّا استولى المتمدنُ عُبَادُ على إشبيلية من يد بني جَهْوَرٍ، سنة ٤٦٢ (١٠٧٠ م) كتب ابنُ حيّانَ إليه رسالةً تهنئةً.
- وقد كانت وفاة ابن حيّان في ٢٨ من ربيع الأول من سنة ٤٦٩

(٣٠/١٠/١٠٧٦ م) ودُفِنَ في مقبرة الرَبَضِ في قُرطبة.

٢- كَانَ ابْنُ حَيَّانَ رَجُلًا سِيَاسِيًّا مُتَقَلِّبَ الْهَوَى، وَلَكِنَّهُ كَانَ «مُؤَرِّخَ الْأَنْدَلُسِ وَالِدَوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِيهَا، إِمَامَ أَهْلِ الصِّنَاعَةِ (صِنَاعَةِ التَّارِيخِ) فِي هَذِهِ الْمَلَكَةِ (الْمَلَكَةِ) وَرَافِعَ الرَّايَةِ لَهُمْ فِيهَا» (مَقْدَمَةُ ابْنِ خَلْدُونِ ٥٦٥/١٠٩٠) وَاسِعَ الْأَطْلَاعِ مُوثِقَ الرِّوَايَةِ وَافَرَ الْحِطِّ مِنْ فَنُونِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ. وَكَانَتْ لَهُ كُتُبٌ عَرَفْنَا مِنْهَا: الْمَتْنِ - الْمَآثِرُ الْعَامِرِيَّةُ (أَخْبَارُ الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ) - الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى (سُقُوطُ أَبِي الْوَلِيدِ ابْنِ جَهْوَرٍ) - كِتَابُ الْمُقْتَبَسِ فِي أَخْبَارِ بَلَدِ الْأَنْدَلُسِ - كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ. وَكِتَابُ الْمُقْتَبَسِ أَجْلٌ كُتِبَهُ، وَقَدْ كَانَ فِي الْأَصْلِ عَشْرَةَ أَجْزَالٍ تَتَنَاوَلُ تَارِيخَ الْأَنْدَلُسِ مِنْذُ افْتِتَاحِهَا إِلَى أَيَّامِ الْمُؤَلَّفِ، وَلَكِنْ لَمْ يَبْقَ لَنَا مِنْهُ سِوَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ تَتَنَاوَلُ أَحْدَاثَ الْأَنْدَلُسِ مِنْ سَنَةِ ١٨٠ إِلَى سَنَةِ ٣٦٧ لِلْهِجْرَةِ (٧٩٦-٩٧٧ م) .. وَيُورِدُ ابْنُ حَيَّانَ تَارِيخَ الْأَنْدَلُسِ فِي هَذَا الْكِتَابِ عَلَى السَّنِينَ وَبِتَفْصِيلٍ وَافٍ وَدَقَّةٍ بِالْفَنِّ ثُمَّ يَسْتَطِرِدُّ عَادَةً إِلَى الْأَحْوَالِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْأَدْبِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ كَذِكْرِهِ «خَبَرَ الصَّيِّ الْمَتَفَاوِتِ الْخَلْقِ»، فَقَدْ وَلَدَ هَذَا الصَّيِّ وَغَا فِي جَسَمِهِ وَكَلَامِهِ فَوْقَ الْمُشَاهِدِ فِي الْعَادَةِ (الْمُقْتَبَسِ، دَارُ الثَّقَافَةِ - بَيْرُوتَ، ١٩٦٥ م، ص ٦٢). وَكَانَ جُلُّ اعْتِمَادِ ابْنِ حَيَّانَ فِي أَحْدَاثِ التَّارِيخِ عَلَى كِتَابَيْنِ لِأَحَدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الرَّازِيِّ (ت ٣٤٤ هـ) هَا: كِتَابُ أَخْبَارِ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ وَكِتَابُ الْاسْتِيعَابِ لِأَنْسَابِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ (وَالْكِتَابَانِ لَمْ يَصِلَا إِلَيْنَا).

٣- الْمُخْتَارُ مِنْ آثَارِهِ

- مِنْ مَنَهْجِ ابْنِ حَيَّانَ فِي تَدْوِينِ التَّارِيخِ: الْفَتْنَةُ الْبَرْبَرِيَّةُ:

... فَأَتَمَمْتُ الْبَحْثَ عَنْ ذَلِكَ عِنْدَ مَنْ بَقِيَ يَوْمُنِي مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ لَدَيْنَا، فَلَمْ أَظْفَرْ مِنْهُ إِلَّا بِمَا لَا قَدْرَ لَهُ لَزْهَدٍ مِّنْ قِبَلِنَا قَدِيمًا وَحَدِيثًا فِي هَذَا الْفَنِّ وَتَفْقِيهِمْ لَهُ عَنْ أَنْوَاعِ الْعِلْمِ وَشَرَعْتُ فِي التَّفْنِيدِ غَيْبُ ذَلِكَ التَّفْنِيدِ^(١) غَيْرَ مُخِلٍّ بِهِ، وَوَصَلْتُ الْقَوْلَ فِي مَا قَاتَنِي قَبْلُ مِنْ ذِكْرِ اتِّبَاعَاتِ تِلْكَ الْفَتْنَةِ وَأَخْبَارِ مُلُوكِهَا وَمَشْهُورِ حُرُوبِهَا نَحْنًا

(١) فَنَدَّغْلَانُ فَلَانًا (فِي الْقَامُوسِ): كَذَبَهُ وَعَجَّزَهُ وَأَبْطَلَ رَأْيَهُ. غَيْبٌ: بَعْدٌ. وَلَمَلُ التَّفْنِيدِ هُنَا: التَّفْصِيلُ

فَنَدَا فَنَدَا (مِنَ الْفَارْسِيَّةِ: بَنَدَ). لَمَلُ الْجُمْلَةِ: فَشَرَعْتُ فِي «التَّقْيِيدِ» بَعْدَ «التَّفْنِيدِ»

أَصَبْتُ^(١) به عندي تذكرة أو أخذته عن ثقة، أو وصلتني به مشاهدة أو حاشته^(٢) إلى مذاكرة، حتى نظمت أخبارها إلى وقتي، وجئت بها على وجوها وأوردتها على سبوغها^(٣) ناشراً مطاوبها ومُعلّناً بخوافيها، غير محابٍ ولا خائفٍ في الصدق عليها.... فركبتُ سنن^(٤) مَنْ تقدمني في ما جمعته من أخبار هذه الفتنة البربرية^(٥)، ونظمته وكشفت عنه، وأوعيت^(٦) فيه ذكر دولهم المضطربة وسياساتهم المنفرة وأسباب كبار الأمراء المنتزعين^(٧) في البلاد عليهم وسبب انتفاض دولهم (حالٍ فعالٍ بأيديهم) ومشهور سيرتهم وأخبارهم وما جرى في مُدِّهم وأعصارهم من الحروب والطوائف والوقائع والملاحم^(٨)، إلى ذكر مقاتل الأعلام والفرسان ووفاة العلماء والأشراف حسب ما انتهت إليه معرفتي ونالته طاقتي.

- موت زاوي بن زيري^(٩) (الذخيرة ١ : ٥٨٨):

وُنِمِّيَ إلينا عدو نفسه زاوي بن زيري موقد الفتنة بعد الدولة العامرية^(١٠). ورَدَ النبأ بمهلكه في القيروان وطنه، بعد مُنْصَرَفِهِ إليها خاملاً مغموراً بين أعظم قومه لم يرتفع له ذكر بينهم^(١١). مهلكه كان - زعموا - من طاعونة^(١٢) أصابته. فالحمد لله

(١) أصبت: وجدت.

(٢) حاش: جمع.

(٣) السبوغ: التفصيل.

(٤) السنن: الطريق، الطريقة.

(٥) البربرية: التي قام بها بربر إفريقية على عرب الأندلس.

(٦) أوعب (بالباء) وأوعى بمعنى واحد: جمع الأشياء ولم يترك منها شيئاً.

(٧) المنتزعين: الثائر.

(٨) الطائفة: المداوة، الثأر. الواقعة: الحادثة. الملحمة: المعركة الكبيرة.

(٩) زاوي بن زيري من زعماء البربر تأمر مع علي بن حمود البربري وغدرا بالخليفة سليمان المستعين فخلعاه

(سنة ٤٠٧) ثم قتلاه.

(١٠) الدولة (الوزارة) التي كان قد أنشأها المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢) واستبد فيها بأمور الخلافة ثم

خلعه فيها ولدان له وانتهت بسقوط الخلافة الأموية في قرطبة (٤٢٢ هـ)

(١١) إن غدر زاوي بن زيري لم يجعل له مكانة بين قومه البربر.

(١٢) طاعونة (بثرة أو خراج - بضم الحاء وفتح الراء بلا تشديد - تخرج للإنسان في مرض الطاعون أو في

ما يشبهه).

الْمُنْفَرِدِ بِإِهْلَاكِه الْكَفِيلِ بِقِصَاصِهِ. فَلَقَدْ كَانَ، فِي الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ وَالِاسْتِحْلَالِ لِلْمَحَارِمِ^(١) وَ (فِي) الْقِسْوَةِ، آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ^(٢). أَهَانَ اللَّهُ مَنُؤَاهُ وَلَا قَدَّسَ صَدَاهُ^(٣).

- ١- تاريخ دولة الأمير عبد الله الأموي بقرطبة (نشره منشور أنطونية)، باريس (كثرت) ١٩٣٧، ١٩٣٨ م.
- المقتبس في أخبار بلد الأندلس (تحقيق عبد الرحمن علي الحجي)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٥ م.
- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (حققه محمود علي مكّي)، بيروت (دار الكتاب العربي) ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- ★ جذوة المقتبس ١٨٨ (الدار المصرية) ٢٠٠ (رقم ٣٩٧)؛ بغية الملتبس ٢٦١؛ الذخيرة ٥٧٣ - ٦١٤؛ الصلة ١٥٠ - ١٥١؛ المغرب ١: ١١٧؛ وفيات الأعيان ٢: ٢١٨ - ٢١٩؛ إعتاب الكتاب ١٩٨؛ نفح الطيب (راجع الفهرس في أماكن كثيرة أكثرها نقول)؛ شذرات الذهب ٣: ٣٣٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٨٩ - ٧٩٠؛ بروكلمن ١: ٤١٢ - ٤١٣؛ الملحق ١: ٥٧٨؛ الأعلام للزركلي ٢: ٣٢٨؛ (٢٨٩)؛ بالنشأ ٢٠٨ - ٢١١؛ العربي (الكويت) ١٩٦٦/٣، ص ٤٨.

مُحَمَّدُ بْنُ خَلِصَةَ

١- هو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَلِصَةَ الشَّدَوِي^(١)، يُقَالُ لَهُ الْبَصِيرُ وَكَانَ أَعْمَى.

- (١) الجور: الظلم. استحلل المحارم: المرأة على فعل ما حرّمه الله (الاعتداء على نسوة لا يحملن) بضم اللام الأولى وتسكين الثانية) له.
- (٢) آية من آيات الله (نموذج نادر شاذ).
- (٣) المتوى (القبر). الصدى (الهلاك، الموت، الجنة).
- (٤) جاءت كلمة «خلصة» في المصادر المنشورة بالطبع على صور مختلفة. في القاموس (٣: ١٠٢): الخلاصة (بفتح ففتح) نبات و (بفتح ففتح أو بضم فضم): بيت كان يدعى الكعبة البانية. وفي القاموس أيضا (٤: ٢٣٩): شذونة ومنها أبو عبد الله بن خلصة (بفتح ففتح) النحوي. وقبل ذلك محمد أبو الفصل إبراهيم (إنباء الرواة ٣: ١٢٥). وأما محمد بن ناويف الطنجي (جذوة المقتبس ٥١) وإبراهيم الأبياري وطه حسين (المقتضب ٢٠) فاختراروا فتح الحاء وسكون اللام. واختار أحمد زكي (نكت الهمياز ٢٤٨) ضم الحاء وسكون اللام. ولا شك في أن احسان عباس قد توقف أمام هذه المشكلة فاخترار اهل الكلمة فلم يضبطها (نفع الطيب ٤: ١١٠، ١٥٦، ٣٠٧). أما كلمة شذونة فالشهور فيه والممول به فتح الشين وضم الذال (راجع القاموس ٤: ٢٣٩). ولكن محمد أبا الفضل إبراهيم ضبطه (إنباء الرواة ٣: ١٢٥) بفتح الشين وسكون الذال وفتح الواو اعتدلا على السماعي.

أخذ عن ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) ثم تصدّر للتدريس في دانية (بشرق الأندلس) بعد سنة ٤٤٠ هـ. وكان أيضاً يتكسّب بالشعر، وقد مدح أحمد بن سليمان بن هود لما استولى على دانية، سنة ٤٦٨ هـ (١٠٧٥ - ١٠٧٦ م). ويبدو أنه توفي سنة ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م) أو قبلها بقليل.

٢- برع محمد بن خلسة في اللغة والنحو وكان شاعراً مُجيداً فنونه المدح والغزل والوصف. وشمره عذبٌ مشرقى الديباجة فخمٌ واضحٌ حسن الصنعة مع أنه يتكلّفها أحياناً.

٣- مختارات من شعره

- قال محمد بن خلسة الشذوي في النسيب:

أمدنّف نفسٍ ذو هوى أم جليدها	غداة غدت في حلبة التين غيدها ^(١) ؟
وقد كنت منهن أكنافٌ منمعج	عباديد سادات الرجال عبيدها ^(٢) .
تبادرن أستار القباب كما بدت	بدور، ولكن البروج عقودها ^(٣) .
تخذ بالحاظ العيون خدودها،	وترهب أن تنقدّ لينا قدودها ^(٤) .
فيا لدمه الأسد تنفكها الدمي	وللصيد من غفر الظيل تصيدها ^(٥) .
وفوق الحشايا كل مرهقة الحشا	حشت كيدي ناراً بطيئاً خمودها ^(٦) .

(١) المدنف: القريب من الهلاك. الجليد: المتصبر، المتأسك. البين: البعاد، الهجر. - غداة غدت... الخ: حيناً أخذت الهبوبات يتسابقن في هجر الحب.

(٢) كنت (أحاطت) أكناف (أطراف). منمعج بفتح الميم وكسر العين (ناج المروس - الكويت - ٦: ٢٤٤). عباديد تدلّ على عدد من المعاني لا توافق المعنى المراد (راجع نايج المروس ٨: ٣٣٧ - ٣٣٨). الشاعر يقصد النساء الجميلات (كالظباء التي في وادي منمعج) الإماء المملوكات...

(٣) تسابقن ينظرن من وراء ستور القباب (الحيم الكبيرة: دلالة على غناهن وتسمعن وعلو مكانتهن في المجتمع. البروج: مجموعات نجوم (عدها اثنا عشر) كان القدماء يعتقدون أن الشمس تمر بها كلها في عام كامل.

(٤) كذا في الأصول: تخد وترهب (بالتاء فيها). ولعلها بالنون: تخد (نحرج) خدودها بالحاطنا (دلالة على نظارة وجوههن ورقنتها). تنقدّ: تهبط.

(٥) الدمية: الصورة، التمثال (المرأة الجميلة). الصيد: الرجال الأشراف الشجعان. العفر: السم.

(٦) الحشية: الفراش، الأريكة. مرهقة الحشا: ضامرة الحشا. وفوق الحشايا... (دلالة على التسم).

لَيْتَن زَعَمُوا أَنِّي سَلَوْتُ، لَقَدْ بَدَتْ
نُحُولٌ كَرَفَرَاكِ السَّرَابِ، وَعَبْرَةٌ
لِتَفْدِكَ أَكْبَادٌ ظِلًّا أَجْفَهَا
ضَنَى جَسَدِي إِنْ كَانَ يُرْضِيكَ بُرُؤُهُ،
وَلَوْلَا الْهَوَى لَمْ تَرْضَ نَفْسُ نَفْسِيَّةً
دَلَائِلُ مِنْ شَكْوَايَ عَذْلُ شُهُودَهَا:
كَمَا انْهَمَلَتْ غُرُ السَّحَابِ وَسُودُهَا^(١).
هَوَاكِ وَأَجْفَانُ جَفَاها هُجُودُهَا^(٢).
وَاتِلَافُ نَفْسِي فِي هَوَاكِ خُلُودَهَا.
هَوَانًا، وَلَكِنْ حَبُّ نَفْسٍ قُوُودَهَا^(٣).

٤-★★ الذخيرة ٣: ٣٢٢-١٣٣١ جذوة المقتبس ١: ٥٤-٥٥ (رقم ٤٩)؛ بغية الملتبس ٦٥-٦٤ (رقم ١١١)؛ الحمدون من الشعراء ٤١٠-٤١١؛ انباء الرواة ٣: ١١٢٥ نكت الحميان ٢٤٨-١٢٤٩ الوافي بالوفيات ٣: ٤٢-٤٣؛ المغرب ٢: ٣٩٣-٤٣٩؛ بغية الوعاة ٤٠؛ نفح الطيب ٤: ١٠٠-١٠١، ١٥٦.

ابن الأجدابي

١- هو أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي الطرابُلسيُّ المغربي المعروف بابن الأجدابي، نَسَبَهُ إلى أحد أجداده الذي كان من أجدابية، وهي بلدة على نحو مائة وستين كيلو متراً جنوب بنغازي (ليبيا).

وُلِدَ ابن الأجدابي في طرابلس ونشأ فيها وتعلَّم على علمائها وعلى الذين كانوا يَفِدُون إليها لأنَّهُ لم يُبَارِحْهَا قَطُّ. ولسنا نَعْرِفُ شيئاً من أحداثِ حَيَاتِهِ وَلَا نَعْرِفُ تاريخَ مَوْلَدِهِ وَوَفَاتِهِ. وإذا كان ابنُ الأجدابي هذا مُعَاصِراً لِلْقَاضِي أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ هَانِشٍ^(٤) الَّذِي تَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي طَرَابُلُسَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً

(١) عبّرة: دَمعة. في السحاب الاسود ماء كثير.

(٢) لتفدك (لتكن فداء لك). هجود: النوم.

(٣) القُوُود والقوود (من قاد): الذي يتقاد بسهولة - ولكن حبّ (محبوب) الانسان يحمل ذلك الانسان على قبول الذلّ والهوان.

(٤) نفحات النسرین والريحان ٧٢، ٨٦. ابن هانش كان قاضيا في طرابلس (المغرب) من سنة ٤٤٤ الى سنة ٤٧٦ (١٠٥٢ - ١٠٨٣ م) راجع أعلام ليبيا، ص ١٩٣.

(٤٤٤ - ٤٧٦ هـ) فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ ابْنُ الْأَجْدَائِيَّ مِنْ أَجْلِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ^(١). وَكَانَ ابْنُ الْأَجْدَائِيَّ أَحْوَلَ.

٢- يَبْدُو أَنَّ ابْنَ الْأَجْدَائِيَّ كَانَ مُلِمًّا بَعْدَ مِنْ فُنُونِ الْمَعْرِفَةِ كَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَاللُّغَةِ وَالصَّرَفِ وَالنَّحْوِ وَالْأَدَبِ وَالتَّارِيخِ وَالْحِسَابِ وَالْفَلَكَ، وَلَكِنْ شُهُرَتُهُ فِي اللُّغَةِ. ثُمَّ هُوَ مُصَنَّفٌ كَثِيرٌ، لَهُ: كِفَايَةُ الْمُتَحَفِّظِ وَنِهَايَةُ الْمُتَلَفِّظِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ^(٢) - كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى أَبِي حَفْصٍ فِي تَثْقِيفِ اللِّسَانِ - كِتَابُ فِي شَرْحِ الْأَسْمَاءِ الْمُفْتَلَّةِ بِالْبَاءِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ تَصْغِيرٍ وَتَكْسِيرٍ - كِتَابُ فِي الْعَرُوضِ (كَبِيرٍ) - كِتَابُ فِي الْعَرُوضِ (صَغِيرٍ، مُخْتَصَرٍ) - مُخْتَصَرٌ فِي عِلْمِ الْأَنْسَابِ - مُخْتَصَرُ كِتَابِ نَسَبِ قُرَيْشٍ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الزَّيْبِرِيِّ بِكَارٍ - كِتَابُ الْأَزْمَنَةِ وَالْأَنْوَاءِ - كِتَابُ الْحَوْلِ (جَمْعُ أَحْوَالٍ).

٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ آثَارِهِ

- مِنْ مَقْدَمَةِ « كِفَايَةِ الْمُتَحَفِّظِ »:

هَذَا كِتَابٌ مُخْتَصَرٌ فِي اللُّغَةِ وَمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ غَرِيبِ الْكَلَامِ، أَوْدَعْنَاهُ كَثِيرًا مِنْ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَجَنَّبْنَاهُ حَوْشِي الْأَلْفَاظِ وَاللِّغَاتِ وَأَعْرَبْنَاهُ مِنَ الشَّوَاهِدِ لِيَسْهَلَ حِفْظُهُ وَيَقْرَبَ تَنَاوُلُهُ. وَجَعَلْنَاهُ مَغْنِيًّا لِمَنْ اقْتَصَدَ فِي هَذَا الْفَنِّ وَمُعِينًا لِمَنْ أَرَادَ الْإِتْسَاعَ فِيهِ.

- مِنْ مَقْدَمَةِ كِتَابِ الْأَزْمَنَةِ وَالْأَمَكَنَةِ:

.... هَذَا كِتَابٌ مُخْتَصَرٌ أَوْدَعْنَاهُ أَبْوَابًا حَسَنَةً فِي عِلْمِ الْأَزْمَنَةِ وَأَسَاسَاتِهَا، وَالْفُصُولِ وَأَوْقَاتِهَا، وَمَنَاظِرِ النُّجُومِ وَهَيْئَاتِهَا، بِأَوْضَحٍ مَا أَمْكَنَّا مِنَ التَّبَيِّنِ وَبِأَسْهَلٍ مَا حَضَرْنَا مِنَ التَّقْرِيبِ.....

(١) فِي نَفَحَاتِ النَّسْرِينِ وَالرِّجَاجِ تَضَارَبَ فِي اثْبَاتِ تَوَارِيخِ وَلَايَةِ ابْنِ هَانَشٍ وَتَوَارِيخِ ابْنِ الْأَجْدَائِيَّ. فَصَاحِبُ نَفَحَاتِ النَّسْرِينِ وَالرِّجَاجِ يَذْكُرُ أَنَّ وَفَاةَ ابْنِ الْأَجْدَائِيَّ كَانَتْ فِي صَدْرِ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ بَعِيدَ ٦٠٠ هـ ثُمَّ يَجْعَلُهُ مُعَاصِرًا لِابْنِ هَانَشٍ. وَلَعَلَّ مَا اخْتَارَهُ الزُّرْكَالِيُّ (الْإِعْلَامُ ١: ٢٥) قَرِيبَ مِنَ الصَّوَابِ إِذْ جَعَلَ وَفَاتَهُ سَنَةَ ٤٧٠ هـ.

(٢) كِتَابُ فِي فِقْهِ اللُّغَةِ (عَلَى مِثَالِ « فِقْهِ اللُّغَةِ » لِلشَّامِيِّ).

- السَّنةُ (كتاب الأزمَنة والأمكنة، ص ٣٠):

... وَأَمَّا السَّنةُ فَهِيَ الْمُدَّةُ الْجَامِعَةُ لِلْفصولِ الأربعةِ التي هي الرَّبيعُ والصيفُ والخريفُ والشتاءُ، ومِقدارُها عندَ الرومِ والسُّريانيِّينَ اثنا عَشَرَ شَهْرًا شَمْسِيَّةً، قد اكْمَلَ الكَسْرُ في بَعْضِها فَصارَ واحداً وثلاثينَ يوماً وأُسْفِطَ من بَعْضِها فَصارَ ثلاثينَ يوماً لا غيرُ. ومِقدارُها عندَ القِبطِ اثنا عَشَرَ شَهْرًا شَمْسِيَّةً قد أُسْفِطَ الكَسْرُ من جَميعِها فَصارَ كُلُّ شهرٍ منها ثلاثينَ يوماً، وَيَزِيدُونَ على ذلكَ خَمْسَةَ أَيامٍ تُسَمَّى النَّسِيءِ عِوضاً عن الكُسُورِ التي أُسْفِطَتْ من كُلِّ شَهْرٍ.

ومِقدارُ السَّنةِ عندَ العَرَبِ اثنا عَشَرَ شَهْرًا قَمَرِيَّةً، وكذلك هي عندَ العِبرانيِّينَ واليونانيِّينَ، إلَّا أَنَّ هؤلاءِ يَزِيدُونَ في كُلِّ ثلاثِ سِنِينَ من سِنِيهِم، شَهْرًا فتكونُ الثالثةُ من سِنِيهِم أَبدأَ ثلاثةَ عَشَرَ شَهْرًا قَمَرِيَّةً يُسَمَّوْنَهَا الكِبيسةَ. وريًّا كانت زيادَتُهُم لهذا الشهرِ في مُدَّةِ سَنَتَيْنِ لأنَّهُم يَفْعَلُونَ ذلكَ في كُلِّ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً تِسْعَ مَرَّاتٍ^(١).....

- ٤- كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ، القاهرة ١٢٨٥، ١٢٨٧، ١٣١٣، (نشره أحمد عباس)، بيروت ١٣٠٥ هـ؛ (في المجموعة اللغوية - نشرها مصطفى الزرقا)، حلب ١٣٤٥ هـ.
- كتاب الأزمَنة والأمكنة (حقَّقه عَزَّةَ حسن - نشرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي الجمهورية العربية السورية: أحياء التراث القديم، رقم ٩)، دمشق (دار سيمراميس للطباعة والنشر) ١٩٦٤ م.

★ معجم الأدياء ١: ١٣٠، أنباء الرواة ١: ١٥٨، بغية الوعاة ١١٧٨، رحلة التجاني ٢٦٢-٢٦٤، المنهل العذب ١: ١٥٤-١٥٦، أعلام ليبيا ٤-٥، أعلام طرابلس ١١٦-١٢٢، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٩، تاج العروس (الكويت) ٢: ١٤١، بروكلمن ١: ٣٧٥، الملحق ١: ٥٤١، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣٣: ٣٤٩، مجلة كلية الآداب (الجامعة الليبية)، العدد الثالث ١٣٨٩ هـ= ١٩٦٩ م، ص ١٤٥-١٨٢، صوت الحق (المغرب) السنة الأولى، العدد الأول، ص ٣٣، الأعلام للزركلي ١: ٢٥. (٣٢).

(١) لأنَّ السَّنةَ الشمسيةَ في الحقيقة ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم وكسر من الساعات.

إدريس بن اليان

١ - هو أبو علي إدريس بن اليان بن سام العبدري الياسي (نسبة إلى يابسة أصغر الجزر الشرقية - شرق الأندلس) الشبيني (نسبة إلى الشبين، وهو شجر الصنوبر لأنه يكثر في بلده). أصل أهله من قسطل الغرب من عمل شنت مريّة ابن هارون من مملكة شلب حيث حكم بنو مزين من ملوك الطوائف (٤١٩ - ٤٤٤ هـ). ويبدو أن مولده كان في جزيرة يابسة. ولقد نشأ وقرأ العلم في مدينة دانية (على الساحل الجنوبي الشرقي من الأندلس). ثم طال مكثه فيها، وفيها بدأ حياته العامة وعرفت مواهبه الأدبية. بعدئذ أخذ يتردد على بلاطات ملوك الطوائف فننق شعره فيها وتكسب به: مدح ابن حمود (لعله محمد المهدي بن القاسم بن حمود صاحب الجزيرة الخضراء من سنة ٤٣١ إلى سنة ٤٤٠) ومدح ابن مقنة وزير يحيى بن حمود صاحب مالقة ومدح الموفق مجاهد العامري في دانية (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ) وابنه اقبال الدولة (٤٣٦ - ٤٦٨ هـ) ومدح المأمون بن ذي النون في طليطلة (٤٢٩ - ٤٦٧ هـ) ثم مدح المعتضد بن عباد صاحب اشبيلية (٤٣٤ - ٤٦١ هـ).

وكانت وفاة إدريس بن اليان الياسي سنة ٤٧٠ (١٠٧٧ م). وإذا نحن قبلنا أن يكون مدحه قد بدأ بابن مقنة وزير يحيى بن حمود - وكان يحيى قد حكم مالقة في فترتين بين سنة ٤١٢ وسنة ٤٢٧ (١٠٢١ - ١٠٣٥ م)، فيجب ان يكون قد عاش ثمانين سنة او تزيد.

٢ - إدريس بن اليان الياسي شاعرٌ جليل ومُكثّرٌ مُطيلٌ، نجد في شعره الوجدانيّ عذوبةً. أمّا شعره الرسمي في الفخر والمديح ففيه تقليدٌ للمشاركة في الأغراض والأسلوب. وهو مع ذلك، في الأندلس، من فحول الشعراء. ولم يكن بعد ابن درّاج (راجع، فوق، ص ٣٧٧) من يجري مجراه في متانة التركيب وعلو النفس. وقد تصرف في المديح تصرفاً حسناً، وكان يأخذ على القصيدة مائة دينار. وغزله ونسيبه حسنان. وله وصف بارع للخمر والطبيعة: وله هجاء.

٣ - مختارات من شعره

- من مشهور شعر (ادريس بن اليان) في المغرب والمشرق (نفع الطيب ٤ : ٧٥) في

الخمير:

ثَقُلْتُ رُجَاجَاتٍ أَتَنَّا فُرْعَاً حَتَّى إِذَا مُلِثْتُ بِصِرْفِ الرَّاحِ^(١)،
خَفْتُ فَكَادَتْ أَنْ تَطِيرَ بِمَا حَوَتْ، وَكَذَا الْجِسْمُ تَحِفًا بِالْأَرْوَاحِ.
- ومن أبياته المُسْتَحَسَّنة عندهم:

قُبْلَةً كَانَتْ عَلَى دَهَشٍ أَذْهَبَتْ مَا بِي مِنَ الْقَطَشِ^(٢).
وَلَهَا فِي الْقَلْبِ مَنْزِلَةٌ لَوْ عَدَّتْهَا النَّفْسُ لَمْ تَعِشْ^(٣).
طَرَفْتَنِي وَالْدَّجَى لَبِثَتْ خِلْمًا مِنْ جِلْدَةِ الْحَشِ^(٤).
وَكَأَنَّ النِّجْمَ حِينَ بَدَا دِرْهَمٌ فِي كَفٍّ مُرْتَعِشٍ.

- ومن أبياته القصيرة المُرْقِعة بالفاظها:

أَقْبَلْتُ تَهْتَزُّ كَالْفُصْنِ وَتَمْنِي كَالْحَمَامَةِ
ظَبْيَةٌ تَحْسُدُ عَيْنَيْهَا وَخَذَبُهَا الْمُدَامَةُ^(٥).

- وله في لَحْيَةٍ طَوِيلَةٍ عَرِيضَةٍ (المغرب ١ : ٤٠٠):

لَوْ أَنَّهَا دُونَ السُّلَمِ سَحَابَةٌ لَمْ تَخْتَرِفْهَا دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ^(٦).
- ومن شعره الفخم الذي يقلّد فيه المِشَارِقَةَ قوله:

لَبَيْكَ لَبَيْكَ، دَاعِي اللّهُوْ مِنْ كَثْبٍ إِلَى مُعَاطِفَةِ الْأَغْصَانِ وَالْكُثْبِ^(٧)،

(١) صرف الراح: الراج (الخمير) الخالصة (غير المزوجة بالماء).

(٢) دهش (بفتح فكس) يدهش (بفتح الهاء) دهشا (بفتح ففتح) : ذهاب العقل أو تحييره من خوف أو حب أو حياء.

(٣) عدتها: تجاوزتها.

(٤) من جلدة الحش (حية سوداء كبيرة غير سامّة) : شديدة السواد.

(٥) المدامة: الخمير.

(٦) في الاثر: ان الشخص المظلوم اذا دعا الله فلا يكون بين دعوته وبين وصولها الى الله حجاب.

(٧) كتب (الاولى): قرب. الكتب (الثانية) جمع كتيب: التلة من الرمل العظيم المستدير. الاغصان (هنا): كناية عن قدود النساء، والكتب كناية عن اوساط النساء.

إلى حدودِ بناتِ الرومِ قد بَرَزَتْ
 من كلِّ سافرةٍ عن مَشْرِيبٍ خَجَلًا
 واستضحكت عن لآلٍ أو حصَى بَرَدٍ
 يجدو بها قِتْنَةً صِيْفَتْ وَجُوهَهُمْ
 قد قارعوا دونها كلُّ ابنِ قارعةٍ
 ماذا أقولُ لِذُنْيَا لو ظَفِرْتُ بها
 ألقى الأحيَّةَ مخفوضَ الجناحِ وقد
 من حُجْبِهَا وأدارتْ أَعْيُنَ العَرَبِ،
 فيه طِرَازَانِ من ماءٍ ومن لَهَبٍ^(١).
 يكادُ يقطُرُ من مَائِيَةِ الشَّبِّ^(٢).
 من الرضا وعواليهم من الغَضَبِ^(٣).
 يَهْبُ مُنْفَعِسًا في الحربِ والحَرْبِ^(٤).
 أدْبَتْهَا غَضَبًا لِلظَّرْفِ والأَدَبِ^(٥).
 أختالَ تحت الرداءِ المصْبُ ذُو الشَّطْبِ^(٦).

- وقال في فعل الخمر بشاريها:

وَمُوسِدِينَ عَلَى الْأَكْفِ رُؤُوسَهُمْ
 مَا زِلْتُ أَتَقَبَّيْهِمْ وَأَشْرَبُ قَضَلَهُمْ
 وَالْخَمْرُ تَعْرِفُ كَيْفَ تَأْخُذُ حَقَّهَا.
 قد غَالَهُمْ في السُّكْرِ ما قد غَالَنِي^(٧).
 حَتَّى انْتَنَيْتُ وَنَالَهَا مَا نَالَـنِي.
 إِنِّي أَمَلْتُ إِنْاءَهَا فَأَمَالَنِي^(٨).

- وقال في الوصف:

وَفَتَيَانِ صَدَقِ عَرَسَا تَحْتَ دَوْحَةٍ وليس لهم الآ النَّبَاتُ فِرَاشُ^(٩)

- (١) مشرب: فم. طرازان: صفان (من الاسنان) من ماء (ريق ابيض حلوزكي الرائحة) ومن لهب (كتابة عن اشتعال العاطفة بالحب).
- (٢) حصى (حجارة) برد: جبات البرد (قطرات الماء المتجمدة والساقطة مع المطر، كتابة عن نظامتها وشدة بياضها). الشب: اللون الابيض في الاسنان.
- (٣) العاليية: صدر الرمح (اعلاه). - هم في السلم يبدو الرضا على وجوههم (للجميع) وفي الحرب يكونون في غضب شديد على الخصم.
- (٤) قارعوا دونها: قاتلوا ودافعوا (عنها). القارعة: الذاهية (المصيبة). ابن قارعة الرجل المتمرس بالدهاء والاختبار. الحرب (بفتح ففتح): السلب.
- (٥) ادبتا (عاقبتها بالضرب) غضبا (انتقاما) للظرف والادب (لأنه ليس فيها او لا ينفع فيها الظرف - الحلاوة في الكلام وفي المعاملة مع النكتة).
- (٦) مخفوض الجناح (الجناب) متواضع. ثم امشي الخيلاء (بضم ففتح) متعاطيا متكبرا، اذا كنت احل تحت ثوبي غضبا (سيفا قاطعا) ذا شطب (شقوق) لكثرة ما حاربت به. - يمتثال (فرحا) وهو ذاهب الى الحرب.
- (٧) قوم جملوا أكتهم وسادة (ناموا من السكر أو التعب في غير فراش). غالم: أهلهم، (أنتمهم، ذهب الخمر بوجعهم).
- (٨) أملت اناءها (حنيته لأصب منه الخمر: شربت ما فيه من الخمر) فأمالني (حنى رأسي من النعاس).
- (٩) عرسوا: نزلوا في الليل، باتوا. دوحة: شجرة عظيمة.

فكأنهم - والنورُ يسفسطُ فوقهم - مصابيحُ تهوي نحوهُنَّ فرأش^(١) -
 - سأله المعتضدُ أن يمدحه بقصيدة يُعارضُ بها قصيدته السينية التي مدح بها ابن
 حنود فقال له: « أشعاري مشهورة. وبناتُ صدري كريمة. فمن أرادَ أن يَنكحَ بَنكرها
 فقد عَرَفَ مهرها ».

٤ - ** الذخيرة ٣: ٣٣٦ - ٤٠٩؛ جذوة المقتبس ١٦٠ (الدار المصرية ١٧٠ (رقم ٣١٣)؛
 بغية الملتبس ٢٢٢ (رقم ٥٦٠)، الوافي بالوفيات ٨: ٣٢٧ - ٣٢٨؛ المغرب ١:
 ٤٠٠؛ الحلة السراء ٢: ١٨٤ - ١٨٥؛ نفح الطيب ٤: ٧٥، ٥: ٦٠١.

ابن عبد البر الصغير

١ - هو أبو محمد عبد الله بنُ الفقيه أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد
 البر النبري القرطبي المالكي نقول لأبي محمد: ابن عبد البر الصغير بالإضافة الى أبيه
 أبي عمر. (ت ٤٦٣ هـ).

علتُ منزلة أبي محمد بن عبد البر في الكتابة والأدب فتنافسَ في اجتذابه ملوكُ
 الطوائف، ولكن ظفِرَ به المعتضدُ عبَّاد بنُ محمد صاحبُ إشبيلية (٤٣٤ - ٤٦١ هـ).
 وفي سنة ٤٥٠ هـ كان ابن عبد البر في بلاط المعتضد وكتب الرسالة المشهورة في تبرير
 قتل إسماعيل بن المعتضد.

وبعد ذلك برزتِ العداوة بين ابن عبد البر وابن زَيْدون (لأن ابن زَيْدون وزيرَ
 المعتضد خاف على منصبه من ارتفاع منزلة ابن عبد البر عند المعتضد). ثم تغيّر
 المعتضد على ابن عبد البر. وأحسَّ ابن عبد البر الخطرَ على حياته فاستطاع أن يُغادرَ
 إشبيلية في قصّة طويلة. وبعد هربه من إشبيلية تنقّل في البلدان وكتب (عَيْنَ كاتباً)
 عن أكثر ملوك الطوائف. ثم إنّه لحق بالعامريين أصحاب دانية. وكانت وفاته سنة
 ٤٧٤ هـ (١٠٨٠ م) في الأغلب.

٢ - كان أبو محمد بن عبد البر (الصغير) كاتباً مجيداً مترسلاً رويّةً وارجعلاً.

(١) النور (بفتح النون) الزهر الأبيض.

ورسائله سُلْطَانِيَّة (ديوانية، حكومية، رسمية) وإخوانية (شخصية). وأغراضه في رسائله كلها التهنئة والتعزية ثم ما بين التهنئة والتعزية ثم في العتاب وفي الهجاء ثم في الموضوعات الدينية والموضوعات الأدبية. وهو يُكثِّر الاقتباسَ من الأمثال ومن القرآن. ثم إنه يُكثِّر الاستشهاد بالشعر، ولكن لم يُرَوْ عنه من النظم إلا أبياتُ سيرة. والصناعة عنده كثيرة ولكنه لا يُلح على السجع، فكثيرٌ من فصوله (جُمْلِه) مُطْلَقٌ.

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو محمد بن عبد البرّ في الأدب (الحكمة):

لَا تُكْثِرَنَّ تَأْمُلًا وَاحْشِنْ عَلَيْكَ عِنَانَ طَرْفِكَ^(١).
فَلَرُبَّمَا أَرْسَلْتَهُ فَرَمَاكَ فِي مَيْدَانِ حَتْفِكَ^(٢).

- ولابن عبد البرّ الصغير رسالة أنشأها ارتجالاً بحضرة المعتضد عباد بن محمد، وكان المعتضد قد قَتَلَ ابْنَه إسماعيل لما ثار عليه. وطلب المعتضد من ابن عبد البرّ أن يُنْشِئَ هذه الرسالة في شرح أسباب ذلك القتل وتسويقها (والرسالة طويلة جداً):
... وَلَمَّا وَثَبَ هَذَا اللَّعْنُ الْغَبِينُ^(٣) مِنَ الْمَهْدِ إِلَى الْمَهْدِ^(٤)، وَدَرَجَ مِنَ الْأَذْرَعِ إِلَى الْمَلِّ الْأَرْفَعِ^(٥)، وَرَأَاهُ اسْتَفْنَى وَأَثَرَى مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا^(٦)، أَشْرَاهُ ذَلِكَ وَأَبْطَرَهُ وَأَطْفَاهُ وَأَكْفَرَهُ^(٧)، وَطَلَبَ الْإِزْدِيَادَ وَأَحَبَّ الْإِنْفِرَادَ^(٨). وَقُيِّضَ لَهُ قُرْنُهُ سَوْءَ أَعْدَوُهُ

(١) العنان: الرسن، اللجام. الطرف: البصر، العين.

(٢) الحتف: الهلاك.

(٣) الغبين والمغبون: الضعيف الرئي.

(٤) من المهد (الطفولة) إلى المهد (الحكم): بسرعة (جاء إلى الحكم صغيراً).

(٥) درج من الأذرع إلى الأرفع (الأذرع: المقرف، الخسيس البني).

(٦) استفنى: أصبح غير محتاج. أثرى: غني، أصبح مالكا لأشياء كثيرة.

(٧) أشراه (بالمعنى المقصود: أبطره أي كثر فرحه بالنعمة حتى جعل يسرف في الأشياء) غير موجودة في القاموس. أطفاه: جملة ظالماً. أكفره: نسبته إلى الكفر (والمقصود: جملة يكفر بالله أو يكفر بالنعمة).

(٨) الإزدیاد من القوة والإنفرد بالحكم.

وَأَرْذَوُهُ^(١)، وَأَتَيْحَ لَهُ جُلْسُهُ مَكَرَ أَغْرَوُهُ وَأَغْوَوُهُ^(٢)، وَأَشْعَرُوهُ الاسْتِحْشَاشَ وَالنِّفَارَ وَزَيَّنُوا لَهُ الْعُقُوقَ وَالْفِرَارَ^(٣)، لِيَنْفَرِدَ - وَيَنْفَرِدُوا مَعَهُ - بِالْبَلَدِ وَلَا تَكُونَ عَلَى أَيْدِيهِمْ فِيهِ يَدٌ أَحَدٍ. فَخَرَجَ لَيْلاً بِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ خُرُوجاً شَيْعاً فَتَقَى فِيهِ قَصْرِي وَخَرَقَ بِهِ حِجَابَ سِتْرِي^(٤) يَوْمَ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ وَمَا يَلِيهَا لِتَمْلِكُهَا وَيَعِثَ فِيهَا^(٥). وَكُنْتُ غَائِباً عَلَى مَقَرِّيَّةٍ فَوَرَدْتُ وَطِيرْتُ فِي الْحَيْنِ إِلَى الْجِيَةِ^(٦) مِنْ يَصْدَهُ عَنْهَا وَيَنْعَمُ مِنْهَا. فَسَبَقَهُ الْخَبَرُ وَفَاتَهُ الْوَطَرُ^(٧)... فَوَجَّهْتُ إِلَى (هَذَا) اللَّعِينِ أَغْرَضُ عَلَيْهِ قَبُولَ عُذْرِهِ. وَسَرَبْتُ الْخَيْلَ مَعَ ذَلِكَ لِلْإِطَاحَةِ بِهِ وَحَصَرَهُ حَتَّى أَجْلَأَ ذَلِكَ إِلَى التَّنْصُلِ وَالْاعْتِدَارِ وَأَجَاءَهُ إِلَى الْإِقَالَةِ^(٨) وَالْاسْتِغْفَارِ. فَأَقْبَلْتُهُ وَعَقَوْتُ عَنْهُ وَأَغْضَيْتُ^(٩) عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ. (ثُمَّ) صَرَفْتُهُ إِلَى جَمِيعِ حَالِهِ وَمَالِهِ^(١٠). وَلَمْ أُؤَذِّنْهُ إِلَّا بِالْإِعْرَاضِ وَالْهَجْرَانِ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أُنْسَيْتُهُ مَعَ ذَلِكَ بِمَزِيدِ الْإِنْعَامِ وَالْإِحْسَانِ. فَإِذَا بِهِ كَالْحَيَّةِ لَا تُغْفِي مُدَارَاتِهَا، وَالْعَقْرَبِ لَا تُسَالِمُ شَبَاتِهَا^(١١). وَكَأَنَّهُ قَدْ اسْتَصْفَرَ مَا أَتَى وَاحْتَقَرَّ مَا جَنَى، فَزِدَّيْ وَسَدَّيْ^(١٢) مَا صَارَتْ بِهِ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتْ الْعُظْمَى^(١٣). فَلَمْ أَشْعُرْ بِهِ إِلَّا وَقَدْ أَلَفَ أَوْبَاشاً مِنْ خُجَّاسِ صَبِيَّانِ الْعَبِيدِ الْمُتَمَهِّتَيْنِ^(١٤) فِي أَدْوَانِ وَجْهِهِ التَّصْرِيفِ - إِذْ لَمْ

(١) قرأناه أصحاب قَبَضُوا (أَتَاوُوا، هَيَّأُوا، سَهَّلُوا). أَعَدَى: نَقَلَ إِلَيْهِ (الْمَرَضَ). أَرْدَى: أَهْلَكَ.

(٢) أَغْرَى: أَطْعَمَ. أَغْوَى: أَضَلَّ.

(٣) الْعُقُوقُ: عَصِيَانُ الْوَالِدَيْنِ.

(٤) فَتَقَى: شَقَّ. خَرَقَ حِجَابَ سِتْرِي: أَطْلَعَ الْأَبْدَاءَ عَلَى أَسْرَارِي وَعَلَى أَحْوَالِ أَسْرِي.

(٥) الْجَزِيرَةُ الْخَضْرَاءُ: مَقَاطِعَةٌ فِي جَنُوبِ الْأَنْدَلُسِ. يَلِيهَا: يَقَارِبُهَا، يَتِمَعُّهَا. يَعِثُ: يَفْسِدُ.

(٦) وَرَدْتُ (رَجَعْتُ إِلَى الْبَلَدِ). فِي الْحَيْنِ: حَالاً. إِلَى الْجِيَةِ (الْمَكَانِ الَّذِي هَرَبَ إِلَيْهِ).

(٧) الْوَطَرُ: الْغَايَةُ.

(٨) أَجَاءَهُ: أَجْلَأَهُ، دَفَعَهُ إِلَى. الْإِقَالَةُ (الْمَقْوُ عَنْ الْخَطَأِ).

(٩) أَغْضَى عَلَى الْأَمْرِ: سَكَتَ عَنْهُ وَصَبَرَ عَلَيْهِ.

(١٠) وَصَرَفْتُهُ إِلَى جَمِيعِ حَالِهِ وَمَالِهِ: رَدَدْتُهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَشَارِكَةِ فِي الْحُكْمِ وَإِلَى مَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الْمَالِ.

(١١) شِبَاةُ الْعَقْرَبِ: أِبْرَتِهَا. لَا تُسَالِمُ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ أَوْ لِلْمَجْهُولِ): الْعَقْرَبُ لَا تَتْرَكَ اللَّسْعَ أَوْ الضَّرْبَ بِأَبْرَتِهَا.

(١٢) زِدَّيْ: أَلْبَسَ رَدَاءً أَوْ ثَوْباً. سَدَّيْ التَّوْبِ (عِنْدَ النَّسَجِ): مَدَّ الْحَيُوطَ طَوَّالاً (لِلْمَقْصُودِ أَنَّهُ أَثَمَ حَبْكِ الْمَوَاسِرَةِ).

(١٣) مَا صَارَتْ بِهِ...: عَظُمَ ذَنْبُهُ (لَعَلَّ النَّاطِقَ يَقْتَضِي: مَا صَارَتْ بِهِ الْعُظْمَى الَّتِي كَانَتْ الصُّغْرَى).

(١٤) الْأَوْبَاشُ: الْأَخْلَاطُ مِنَ النَّاسِ وَالْمَقَلَّةِ. الْمُتَمَهِّتَيْنِ: الْمُسْتَخْدِمَيْنِ (بِقِتْحِ الدَّالِ).

يطمع اللعين أن يُساعده على هذه الفتنة من فيه أدنى رمي وأقلُّ مُسكة^(١) - ثم سفاهُم الخمرَ وسقى نفسه ليجترى ويجرهم^(٢) وبحول بينهم وبين أدنى منير^(٣) إن كان فيهم. وسلّحهم بضروب من الأسلحة المتصرّفة في أماكن الضيق والسعة. وطرقَ القصرَ في بضْعَ عشرة^(٤) منهم. وتعلّق معهم الأسوارَ والحيطانَ، وتسَمَّ بهم السُقوفَ والجدرانَ يرومُ في القضية العظمى والطامة الكبرى^(٥) التي قام دونها دفاعُ الله تعالى. فسُحِرَتْ بالحركة فخرجت. فلما وقعت عينه وأعْيُنُهُمْ عَلَيَّ تساقطوا هاربين وتطارحوا^(٦) خائفين خائبين. وإنّا كان رجاءهم^(٧) أن يجدوني في غمرة الكرى أو على غفلة من أن أسمع وأرى. ففالت، بحمدِ الله، أراجيمهم^(٨)، وضلّت أعالهم ومَساعيمهم. وأعجلتْهم عواقبُ كفرهم وتعدّيتهم. وخرَقَ اللعينُ سورَ المدينة فاراً بنفسه. وأخرجتُ الخيلَ في أثره فلحقَ غيرَ بعيدٍ، وسبقَ إليَّ في حالِ الأسير المصفود. وكذلك سائرُ الجُناة وباقِي المُصاة أظفرَ الله بهم ومكّن منهم وأعثرَ عليهم جميعهم. فلم يُفَلِتْ منهم أحدٌ، ولا فاتَ منهم بشرٌ... وحصلَ في قبضتي جميعُ الصبيان من العبيد المذكورين. وأقمتُ حدودَ الله تعالى^(٩) على الجميع منهم. وأنفذتُ حكمه العدلَ فيهم. والحمدُ لله كثيراً...

- وقال يرثي رجلاً مات مجذوماً^(١٠):

- (١) أدنى (أقل) رفق: بقية (من الحياة) ومسكة: القليل (من العقل).
- (٢) يجترى يجترىه (يقدم). يجريهم = يجبرتهم.
- (٣) الميز: الرفعة (يكسر الراء) الطلوع. والمقصود: التمييز (التفريق بالعقل بين الأمور).
- (٤) الصواب: في بضعة عشر (بفتح التاء والعين والشين والراء).
- (٥) الطامة: الداهية، المصيبة (موت المعتضد).
- (٦) تطارحوا: تناظروا وتحاوروا (والمقصود هنا: انطرحوا: ألقوا (بفتح القاف) بأنفسهم أرضاً).
- (٧) في الأصل: رجأؤهم. والصواب: رجاءهم (خير كان مقدّم، لأنّ المصدر المؤوّل « أن يجدوني » يعرب اسماً لكان لا خبراً لها).
- (٨) قال: خاب، أخطأ، ضلّ. أراجي (بتشديد الياء) جمع أرجية (بضمّ الهجمة وتشديد الياء): الشيء الذي يؤخّر (والمقصود: أمانيتهم).
- (٩) أقام الحدّ على المذنب: عاقبه بالعقاب الذي أمر الله به.
- (١٠) المجدام (بالضم): مرض ينهأ به اللحم.

مَاتَ مَنْ كُنَّا نَرَاهُ أَبَدًا سَلَّمَ الْعَقْلُ بَقِيَمِ الْجَدِيدِ
بَحَرُ عِلْمٍ مَاجٍ فِي أَعْضَائِهِ فَرَسَى فِي جِلْدِهِ بِالزَّبْدِ^(١).
كَانَ مِثْلَ السِّيفِ، إِلَّا أَنَّهُ حُذِيَ الدَّهْرُ عَلَيْهِ فَصِيدِي^(٢).

- وله من رسالة اخوانية:

... إِنْ أَخَذْتُ فِي ذِكْرِ فُضَائِلِكَ أَوْ عَطَّرْتُ كَلَامِي بِطِيبِ شَائِلِكَ فَلَسَانُ الْأَيَّامِ بِهَا
أَفْصَحُ وَلَهَا أَشْرَحُ. وَإِنْ عَدَلْتُ^(٣) إِلَى وَصْفِ مَا أَعْتَقَدُهُ فِيكَ وَأَضْمِرُهُ، وَأَطْوِيهِ مِنْ
وِدَادِي لَكَ وَأَنْشُرُهُ، فَسَاهِدُ ضَمِيرِكَ بِهِ أَنْطَقُ وَعَنْهُ أَصْدَقُ. فَلَيْسَ إِلَّا الْإِتِّفَاقُ
وَالِاصْطِلَاحُ^(٤) عَلَى مَا تَتَنَاجَى بِهِ النَفُوسُ وَالْأَرْوَاحُ.

- ولابن عبد البر الصغير رسالة وجه بها الى أبي القاسم بن خَيْرُونِ^(٥) في شأن
الْكِتَابِ وَالْكَتُبِ وَالنَّاسِ يَدْعُونَ الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ. مِنْ هَذِهِ الرَّسَالَةِ
مَا يَلِي:

... وَوَقَفْتُ عَلَى مَا جَدَدْتَهُ مِنْ مُقَابَلَةِ السِّفَرَيْنِ الْمُشْتَمِلَيْنِ^(٦) عَلَى فُنُونِ الْآدَابِ
وَصِنَاعَةِ الْكِتَابِ^(٧) وَطُرُقِ الْخِطَابِ الْجَامِعَةِ لِفَصَاحَةِ الْأَعْرَابِ^(٨) وَلُبَّابِ اللَّبَابِ.
وَبَادَرْتُ إِلَى ذَلِكَ بِدَارٍ^(٩) مِنْ عِلْمٍ أَنَّهَا نِعْمَةٌ سَابِغَةٌ مُنِخْتُهُا، وَوَصْلَةٌ وَصِلَتْهَا، لَمَّا فِي
تَأْمُلِهَا مِنَ الْإِشْرَافِ عَلَى طُرُقِ الْبَلَاغَةِ وَالْكِتَابَةِ وَصِنَاعَةِ التَّرْسِيلِ وَالْخَطَابَةِ، مَعَ مَا
يَلْزَمُنِي مِنْ حَقِّكَ أَقْضِيهِ وَوَاجِبِكَ أَتَصَرَّفُ فِيهِ وَأَوْفِيهِ^(١٠)، إِذْ أَنْتَ صِنُونُ^(١١) أَبِي

(١) فرسى في جلده بالزبد (وصف فعل المرض في الجلد).

(٢) مثل السيف (في الجلاء وبياض اللون). صدي = صدى (علاء الصدا، سواد).

(٣) عدل: مال.

(٤) فليس إلا الاتفاق الخ: لم يبق إلا أن أتكلّم بما أله الناس من الكلام في هذا الشأن.

(٥) أبو القاسم بن خيرون شاعر من دانية (شرقيّ الأندلس) كان في بلاط إقبال الدولة بن مجاهد الماربي

(المغرب ٢: ٤١٩). وقد حكم إقبال الدولة من سنة ٤٣٦ إلى سنة ٤٦٨ هـ (زامباور ٩١).

(٦) يبدو أن ابن خيرون هذا كان له كتابان أطلع عليها ابن عبد البر.

(٧) الكتاب (بتشديد التاء أو بتخفيفها) بمعنى «الكتابة».

(٨) الأعراب: البدو.

(٩) يادر بدارا (بكر الباء): أسرع.

(١٠) وقاه يوقيه: آفقه.

(١١) صنونو: النظير والمثل.

مولاي - مَدَّ اللهُ عَلَيَّ ظِلِّكُمَا وَكَبَّتْ^(١) الباغيَ عليكما والحاسدَ لكما - فكم يقرعُ سَنَمِي
 مِنْ قولِ الحاسدينَ مَنْ خَصَّ أُمِّي مولايَ بِمُعَادَاةِ أَهْلِ الجَهْلِ وَحَبَا^(٢) بِوَالَاةِ أَهْلِ
 الفضلِ. وَلَا غَرَوُ^(٣)، فَغَيْرُ غَرِيبٍ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ بِالْعُلَمَاءِ، وَلَا يَبْدِيعُ مِنْ صُنْعِ
 الذَّهَاءِ^(٤) ... وَمِنْ أَطْرَفٍ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَيَّامُ وَتَحَدَّثَتْ بِهِ الْأَنَامُ مُنَاوَاةَ جَاهِلِي
 خُسَيْرٍ لِإِمَامٍ عَادِلٍ رَئِيسٍ ... إِنَّ الْبَغَاثَ بَارِضِينَ يَسْتَنْسِرُ^(٥). وَمَا لِي تَسِرَ جَبَانٍ
 وَالْجَرِيَّ مَعَ الْعُلَمَاءِ فِي مِيدَانٍ. أَوْهَمْتُهُ نَفْسُهُ أَنَّهُ لُقِّبَ بِالْفَقِيهِ، وَذَلِكَ أَقْصَى أَمَانِيهِ.
 وَهُوَ مِنَ الْعِلْمِ أَبْعَدُ مِنَ النِّجَمِ وَمِنَ الْجَهْلِ الشَّدِيدِ أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ^(٦) ... وَآتِي
 لِيَبْلُغُنِي مَا يَأْتِي بِهِ مِنْ هَدْيَانِهِ فِي الْمُنْشُورِ وَالْمُوزُونِ^(٧)، وَتَخَطِّيهِ إِلَى الْعِرْضِ الْمَصُونِ،
 وَالنَّيْلِ^(٨) مِنْ ذَوِي الْفَضْلِ وَالِدِينَ، فَأَهُمُّ بِمُعَارَضَتِهِ ثُمَّ أُمْسِكُ عَنْهُ لِيَتَفَاهَتَهُ وَدَنَاءَتَهُ ...

٤ - ** قلائد العقيان ٢٠٦ - ٢٠٩ الذخيرة ٣ : ١٢٥ - ٢٢٦ (مع استطراد كثير)
 إعتاب الكتاب ٢٢٠ - ٢٢٢ المغرب ٢ : ٤٠٢ - ٤٠٣ البيان المغرب ٣ :
 ٢٤٤ - ٢٤٨ .

أبو الوليد الباجي

١ - هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث المالكي الأندلسي
 التجيبي الباجي، أصلُ أهلِهِ مِنْ بَطْلَيْوُسَ ثُمَّ انتقلَ جَدُّهُ إِلَى بَاجَةَ الَّتِي هِيَ قُرْبَ
 إشبيلية، وفيها وُلِدَ أَبُو الْوَلِيدِ، فِي النِّصْفِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٤٠٣
 (١٠١٣/٣/٢٨ م).

-
- (١) كبت (غاظ، أذل) الباغي (الطالم).
 (٢) حبا: منح، أعطى.
 (٣) لا غرو: لا عجب.
 (٤) ذهء: متكرر. الدهاء: عامة الناس.
 (٥) البغاث (ضمايف الطير) يستنسر (يقوى، يصبح كالنسر).
 (٦) الوريد: عرق في جانب العنق.
 (٧) المنشور (النثر) والموزون (الشعر).
 (٨) نخطبة (تقدمة، وصوله) إلى العرض (الشرف العائلي) المصون (المحفوظ)، أي بالهجماء. النيل: الخط،
 التحقير.

نشأ أبو الوليد الباجي في باجة في أسرة مُعَدِّمَةٍ ثم انتقل إلى قرطبة فبدأ تلقى العلوم فيها وهو يعيشُ عيشةً مُجْهِدَةً. وفي سنة ٤٢٦ هـ (١٠٣٥ م) رَحَلَ إلى المشرق للأخذ عن علمائه وَلِيَتَنَقَّفَ في الحديث والفقه والأدب. وقد مكثَ في المشرق ثلاثَ عَشْرَةَ سنةً: ثلاثاً منها في مكة ثم ثلاثاً في بغدادَ وسنةً في الموصل. ومكثَ حيناً في الشام. وفي أثناء رَحْلَتِهِ هذه مال إلى المذهب الأشعري. وكذلك كانت حياة أبي الوليد الباجي في المشرق مُضْنِيَةً فَقَدِ اضطرَّ إلى العَمَلِ في جِرَاسَةِ الدُّرُوبِ حَتَّى يَكْسِبَ عَيْشَهُ.

وفي سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ م) عاد أبو الوليد الباجي إلى الأندلس فأراد نشر المذهب الأشعري فيها. واتفقَ بعدَ عودته بِمُدَّةٍ يَسِيرَةٍ أَنْ دَعَاهُ ابْنُ رَشِيقٍ والي جَزِيرَةِ مَيُورَقَةِ فَلَقِيَ هُنَاكَ ابْنَ حَزْمٍ الظاهري فتناظرا في مَجْلِسٍ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ المالكي مُنَاطِرَةً عَنِيفَةً ولكن لا نَعْرِفُ شيئاً من آثارها العملية.

وبعدَ ذلك بدأتِ الدُّنْيَا تُقِيلُ على أبي الوليد الباجي فتولَّى القضاء في عَدَدٍ من المُدُنِ في شَرْقِي الأندلس، ولكنَّ كُلَّ تلكَ المُدُنِ كانتِ تَصْفُرُ عن قَدْرِهِ. غيرَ أَنَّهُ نال حُظُوَّةً كَبِيرَةً عِنْدَ الْمُقْتَدِرِ بْنِ هُوْدٍ صَاحِبِ سَرَقُسْطَةَ (٤٣٨ - ٤٧٤ هـ).

وكانتِ وُفَاةُ أبي الوليد الباجي في المَرِيَّةِ، في ١٩ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٤٧٤ (١٠٨١/١٢/٢٣ م).

٢- كَانَ أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِي أَحَدَ الْأَيْمَةِ فِي الْفِقْهِ، كَمَا كَانَ مُحَدَّثًا مُتَكَلِّمًا وَأَدِيبًا شَاعِرًا. عَلَى أَنَّ شُهْرَتَهُ تَقُومُ عَلَى مُصَنَّفَاتِهِ الَّتِي يَدُورُ مُعْظَمُهَا عَلَى عُلُومِ الْقُرْآنِ وَعُلُومِ الْفِقْهِ. فَمِنْ كُتُبِهِ: تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ - النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ - الْمَعَانِي (فِي شَرْحِ الْمُوطَأِ، فِي عِشْرِينَ جُزْأً) - الْاسْتِيفَاءُ (شَرْحُ الْمُوطَأِ) - الْمُنْتَقَى (مَخْتَصَرٌ مِنَ الْاسْتِيفَاءِ) - الْإِيْمَاءُ (مَخْتَصَرٌ مِنَ الْمُنْتَقَى) - اخْتِلَافُ الْمُوطَأَاتِ - التَّعْدِيلُ وَالتَّجْرِيعُ لِمَنْ خَرَجَ عَنِ الْبُخَارِيِّ، فِي الصَّحِيحِ - التَّسْهِيدُ إِلَى مَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ - إِحْكَامُ الْفُصُولِ فِي أَحْكَامِ الْأَصُولِ - حُدُودُ فِي الْأَصُولِ - الْإِشَارَةُ فِي الْأَصُولِ - الْمُقْتَبَسُ فِي عِلْمِ مَالِكٍ بْنِ أَنَسٍ - الْمُهَذَّبُ (فِي اخْتِصَارِ الْمُدَوَّنَةِ) - مَخْتَصَرُ الْمَخْتَصَرِ (فِي مَسَائِلِ الْمُدَوَّنَةِ) - فِرْقُ الْفُقَهَاءِ - التَّبْيِينُ لِمَسَائِلِ الْمُهْتَمِينَ (اخْتِصَارُ فِرْقِ الْفُقَهَاءِ) - السَّرَاجُ فِي تَرْتِيبِ

الحِجَاج (في المناظرة والجدال) - سُنَّ المنهاج وترتيب الحِجَاج - السُّنَّ في الدقائق والزهد (في النصيحة لولديه).

٣ - مختارات من شعره

- قال في حال الناس:

مضى زَمَنُ المِكارمِ والكِرامِ؛ سقاء الله من صَوْبِ القَمامِ!
وكان البِرُّ فِعْلاً دون قول، فصار البِرُّ نَظْماً بالكلام.
وزال النطق حتى لستَ تلقى فتى يسخو برِءٍ للسلام.
وزاد الأمرُ حتى ليس إلا سَخِيٌّ بالأذى أو بالمَلام!

- قال أبو الوليد الباجي في الدنيا والعَمَل فيها:

إذا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمَ اليَقينِ بأنَّ جَميعَ حِياتي كَساعَةٍ،
فَلِمَ لا أَكونُ ضَنيئاً بها فأَجْعَلُها في صَلاحٍ وطاعَةٍ!

- وقال في لَذَّةِ الوَداعِ:

ليسَ عِندِي شَخْصٌ النوى بِعَظيمٍ؛ فيهِ غَمٌّ وفيهِ كَنَفٌ غُومٍ:
إنَّ فيهِ اِغْتِناقَةً لِوَداعٍ وانتظاراً اِغْتِناقَةً لِقُودومٍ.

- ومات له ولدانِ فأكثَرَ من رِثائِهما؛ من ذلك قولُه في رِثاءِ ابنِهِ مُحَمَّدٍ:

أُحَمَّدُ، إنَّ كُنْتَ بَعْدَكَ صابِراً صَبَرَ السَّليمِ لما بِهِ لا يَسْلَمُ^(١)
وَرَزَيْتُ قَبْلَكَ بالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ؛ وَلَزَزُوهُ أَدهى لَدَيَّ وأَظمُّ^(٢)،
فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنِّي بِكَ لَاحِقٌ، مِن بَعْدِ ظَنِّي أَنِّي مُتَقَدِّمٌ^(٣).
لَهُ ذِكْرٌ، لا يَزالُ بِخاطِرِي، مُتَصَرِّفٌ في صَبْرِهِ مُتَحَكِّمٌ.
فإذا نَظَرْتُ فَشَخْصُهُ مُتَخَيِّلٌ، وإذا أَصَحْتُ فَصَوْتُهُ مُتَوَهِّمٌ^(٤).

(١) السليم كناية عن الذي لدغته الحية (سَمِيَ سليماً تفاؤلاً بأن يسلم) - وإن كان المعروف أنه لا يسلم.

(٢) الرزء: المصيبة الكبيرة. أدهى (أشد).

(٣) كنت ظننت، وأنا أبوك، أن أموت (كما جرت العادة) قبلك.

(٤) أصاح: استمع.

وبِكُلِّ أَرْضٍ لِي مِنْ أَجْلِكَ لَوْعَةً، وبِكُلِّ قَبْرِ وَفْقَةٍ وَتَلَوْمٍ^(١).
فإذا دعوتُ سيواكَ حادَ عَنِ اسْمِهِ، ودَعَاهُ بِاسْمِكَ، يَقُولُ بِكَ مُغْرَمٌ^(٢).

٤- **الذخيرة ٢: ٩٤ - ١١٠٥ بغية الملتبس ٢٨٩ (رقم ٧٧٧)؛ فلائد العقيان ٢١٥ - ٢١٦؛
الصلة ١٩٧ - ١٩٩؛ معجم الأدياء ١١: ٢٤٦ - ٢٥١؛ الخريدة (الأندلس) ٢:
٤٩٩ - ٥٠٠؛ وفيات الأعيان ٢: ٤٠٨ - ٤٠٩؛ فوات الوفيات ١: ٢٢٤ - ٢٢٥؛
المغرب ١: ٤٠٤ - ٤٠٥؛ الديباج المذهب ١٢٠ - ١٢٢؛ ابن قنفذ ٢٥٥؛ قضاة
الأندلس ١٩٥؛ شذرات الذهب ٣: ٣٤٤ - ٣٤٥؛ نفح الطيب ٢: ٦٧ - ٧٧،
٨٤ - ٨٥؛ ٦: ١٧٣؛ وما بعد؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٨٦٤ - ٨٦٥؛ بروكلمن ١:
٥٣٤، الملحق ١: ٧٤٣ - ٧٤٤؛ نيكل ١٠٣، مختارات نيكل ٦٠، الاعلام للزركلي ٣:
٨٦ (١٢٥).

ابن خَلَوَيْ المغربي النحوي

١- هو عبد العزيز بن خَلَوَيْ الْمَغْرِبِيِّ من أهل إفريقية (تونس) وسكان
القَيروان، كان حرورياً (من الخوارج). وقد كان في أيام باديس بن حبوس
الصنهاجيّ المستولي على إفريقية (٤٢٨ - ٤٦٥ هـ) ومُعاصراً لابن رَشِيْق (ت
٤٦٣ هـ).

تصدّر ابن خَلَوَيْ للإفادَةِ في القَيروانِ وتقدّم هنالك على كثيرين من أهل عصره.
ويبدو أنّ وفاته كانت نحو سنة ٤٧٥ هـ (١٠٨٢ م).

٢- كان ابن خَلَوَيْ الْمَغْرِبِيِّ ذَكِيّاً جَدّاً ومُلمّاً بعلوم كثيرة أبرزها القراءاتُ
والنحو. وكذلك كان شاعراً مُكثِراً مُجيداً، وكان في شعره قُوَّةٌ وحسنُ تَصَرُّفٍ في
الفنون المختلفة من مدحٍ ووصفٍ وعَزَلٍ معَ أشياء من التصنيع وتطلُّبِ أوجه البلاغة
ومعَ البراعة في انتقاء البحور المناسبة لمعانيه. قال فيه ابن رَشِيْق: «شاعرٌ مُتَقَنٌ ذو
ألفاظٍ حَسَنَةٍ ومعاني مُتَمَكِّنَةٍ، مُتَقَفٌ نواحي الكلام»، وفي شعره طَبَعٌ وعدوبة.

(١) التلوم: الانتظار (الوقوف في مكان من غير أن يدرى ماذا يريد - إن الذي يطيل الوقوف على قبر
لا ينتفع بوقوفه ولا ينفع الميت).
(٢) المقول: اللسان. - إذا أردتُ أن أنادي أحداً سبق لساني إلى اسمك فناديتك باسمك أنت.

- قال ابن خَلَوَيْهِ الْمَغْرِبِيُّ يَدْحُ الْمَرْءِ بْنِ بَادِيسٍ (ت ٤٥٤ هـ):

أَبْلَحُظِرْ طَرْفِ هَذِهِ الْأَنْفُسَةِ ! شَقِيتَ إِذْنُ، بِالْأَعْيُنِ الْأَعْضَى (١).
تَتَمَثَّلُ الْغَيْدُ الْحَسَانُ بِيَعُضٍ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ الْغَادَةُ الْحَسَنَاءُ (٢).
تَصْبُو الْجَمَادَاتُ الْمَوَاتُ لَوَجْهِهَا طَرَبًا، فَكَيْفَ النُّطْقُ الْأَحْيَاءُ ؟
سَارَتْ وَقَدْ بَنَتْ الْأَيْسَةَ حَوْلَهَا سُورًا يُجَازُ بِحَدِّهِ الْجَوَازُ (٣).
فَتَحَتْ لَنَا نَعْمًا كُلَّ بِلَاغَةٍ فَجَرَى الْيَرَاغُ وَقَالَتِ الشُّعْرَاءُ .

- وقال في الغزل:

مُرُوا أَنْ يُرَوِّحَ هَذَا الْأَسِيرُ رُ بِالْقَتْلِ، إِنْ كَانَ لَا يُطْلَقُ (٤).
أَيْتَلَفُ ذَا الْقَبْدِ: لَا رَغْبَةَ يُبَاعُ، وَلَا حِسْبَةَ يُغْتَنَقُ (٥).
وإِنِّي مَنْ فَقَرَهُ مَوْتُهُ لِأَنِّي مِنْ كَيْدِي أَنْفَقُ (٦).
لَقَدْ فَتَقْتُ يَدَ سِخْرِ الْعِيُو نِ فَتَقَا عَلَى الْعَقْلِ لَا يُرْتَقُ (٧)!

٤ - ★★ انباء الرواة ٢: ١٨٠ - ١٨٢ بغية الوعاة ٣٠٧.

-
- (١) النضو (بالكسر): التنب (يفتح فكسر)، الضعيف المنهوك، المريض. الطرف: العين، البصر. أبلحظ: طرف... الخ: أكل هؤلاء المرضى مرضوا من عيون الحسان (من الحب). فالعيون، اذن، شفاء (مصيبة، عار) على جميع أعضاء البدن.
- (٢) لا تكون المرأة الجميلة، عادة، جميلة يكل ما فيها، بل بوجهها وحده أو بعينيها وحدها... الخ. جرت عليه (على الحب).
- (٣) هذه الحسنة جميلة جداً يغاز عليها أهلها غيرة شديدة، فإذا سارت حولها (يفتح الميم) بالأسنة (الرماح) الكثيرة. الجوزاء: كوكبة (مجموع نجوم) في السماء.
- (٤) يروح (تجلب له الراحة). هذا الأسير (في الحب).
- (٥) لا رغبة (في منه) يباع ولا حسبة (احتساباً: طلباً للأجر من الله).
- (٦) أنا إذا افتقرت فإني أموت لأنني لا أنفق من مال إذا فقد كسبت غيره، بل من كيدي التي إذا ذهبت لا يمكن أن يكون لي بعدها كيد ثانية.
- (٧) إن العيون تحني علينا جنابات لا يستطيع العقل ان يتلافاهما.

الأعلم الشنتمري

١- هو أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بلقب «الأعلم الشنتمري»^(١).. ولُقِّب بالأعلم لأنَّ شَفَتَهُ العُلْيَا كانت مشقوقة شقاً واسعاً. ومَوْلِدُ الأَلم كان في شتَمَرِيَّة الغرب، سَنَّة ٤١٠ (١٠١٩ م) وفيها نشأ. وفي سَنَةِ ٤٣٣ (١٠٤١ م) جاء إلى قُرطَبَة وأخذ العلم عن أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الأفلحليّ - وقيل ساعده في شرح ديوان المتنبي (وكان قد قرأ هذا الديوان على الأفلحليّ) - وأخذ أيضاً عن أبي سهل يونس بن أحمد الحرّانيّ وأبي بكر مسلم بن أحمد. وقد انتقل إلى إشبيلية واتّصل بالمُعتمِد بن عبّاد وقرّظه ومدحه. ويبدو أنّه عاشَ مدَّةً طويلةً في إشبيلية إلى أن توفّيَ فيها ٤٧٦ (١٠٨٣ م).

٢- كان الأَلم الشنتمريُّ عالماً بالنحو خاصّةً وباللغة والشعر واسعَ الحِفْظ جيّدَ الضَبْط. وكان مُصَنِّفاً للشروح على شعرِ الشعراء خاصّةً، فمن كُتُبِهِ: شرحُ الأشعار (الدواوين) الستة (من شعر المعلقات) - شرح أشعارِ الحماسة (لأبي تمام) - شرح ديوان علقمة الفحل - النُكْت في كتاب سيبويه - عيونُ الذهب في شرح أبيات (الشواهد في) كتاب سيبويه - شرح أبياتِ الجَمَل للزجاجي - المُخْتَرَع في النحو.

٣- مختارات من آثاره

- من شرح الأَلم الشنتمريّ لمعلّقة طرَفَة:

وإن يَلْتَسِقَ الحيُّ الجَميعُ ثَلَاثِنِسي إلى ذِرْوَةِ المَجدِ الكَرِيمِ المَصْدِرِ.
نَدَامَايَ بِيضٌ كَالنَّجُومِ، وَقَيْنَةُ تَرْوَحُ عَلَيْنَا بَيْنَ بُرْدٍ وَمُجْدِرِ.

* يقول: إذا التقى الحيُّ الجَميعُ، بعدَ اقترَاقِهِم، وَجَدْتَنِي في مَوْضِعِ الشرفِ مِنْهُمْ وَعُلُوِّ المِزَلَةِ. وقولُه: «إلى ذِرْوَةِ المَجد» أي إلى ذِرْوَةِ البيت. وذِرْوَةُ كُلِّ شَيْءٍ أَعْلَاهُ. وَالْمَصْدَرُ الَّذِي يَصْنُدُ إِلَيْهِ النَّاسُ لَشَرَفِهِ وَيَلْجَأُونَ إِلَيْهِ في حَوَائِجِهِم. وَالصَّدْدُ الْقَصْدُ.

(١) هو غير الأَلم البطليوسي (بفتح الباء والطاء) إبراهيم بن محمد (أو ابن قاسم) بن إبراهيم كان بارعاً في النحو ومصنفاً له: «الجمع بين الصحاح للجوهري والغريب المصنف»، وله تاريخ بطليوس. كانت وفاته سنة ٦٣٧ هـ، وقيل ٦٤٢ أو ٦٤٦ هـ (بغية الوعاة ١٨٥، الأعلام للزركلي ١: ٦٠).

وقوله: «نداماي بيض كالنجوم»: الندامى الأصحابُ المشاربون^(١). وقوله: «بيض كالنجوم»، أي هم أعلامٌ مشاهير. ويحتملُ أن يريدَ الحسني اللون. والقينةُ المغنية. وكلُّ أمةٍ^(٢) قينة. والبرذُ ثوبٌ وشي. والمُجسّدُ الثوبُ المصبوغُ بالزعفرانِ المُشيع. والجِسادُ الزعفران^(٣). «بين بُردٍ ومُجسّد»، أي تروحُ إلينا وعليها بُردٌ ومُجسّد.

وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مَضاضَةً على النفس من وقعِ الحسامِ المهنّد. * قوله: «أشدُّ مَضاضَةً»، أي حرقةً. يقول: ظلمُ القرابةِ أشدُّ ظلمٍ على الإنسان وأبلغه، وإنّا ذلك لأن المظلومَ لا يكادُ يجِدُ^(٤) في الانتصار من قريبه، بل ينطوي على ما يلقي منه ويصْغِر. فموقعُ ذلك الظلمِ أشدُّ من وقعِ الحسام، وهو السيفُ القاطع. والمُهَنّدُ المنسوبُ إلى الهند.

- ومن شرحه لديوانِ عَلَقَمَةَ الفحل^(٥):

وما أنتَ أمّ ما ذِكْرُها رَبِيعَةٌ يُخَطُّ لها من ثمرِداءِ قَلِيبٍ^(٦)؟ * قوله: «وما أنتَ أمّ ما ذِكْرُها؟» يُعَاتَبُ نفسه وَيُنَكِّرُ عليها تَتَبُعُهُ هذه المرأةُ وقد بَعُدَتْ عن ديارِهِ وحَلَّتْ في غيرِ قبيلته. وقوله «رَبِيعَةٌ» يَعْنِي أَنَّها من قبيلةِ بني ربيعةَ بنِ مالكٍ، وهم غيرُ قبيلتهِ وعَشيرَتِهِ. وقوله: «يُخَطُّ لها من ثمرِداءِ قَلِيبٍ»، أي هي نازلةٌ في هذا الموضعِ مُقِيمَةٌ فيه. وكُنِيَ عن إقامتها بِجَفْرِ القَلِيبِ، لأنَّ من أقامَ بموضعٍ فلا بُدَّ له من مَلِكٍ يُقِيمُ عليه. وقالَ الأصمعي: يكونُ أيضاً معناه أن يكونَ كأنّها لا تَبْرَحُ منه حتّى تموتَ وتُذْفَنَ فيه، فيكونُ القَلِيبُ، على هذا، القبر. وروى

(١) المشاربون: الذين يشربون (الخمر) معاً.

(٢) الأمة: الجارية (الفتاة) تطلق على الحرّة وعلى الرقيقة.

(٣) الزعفران نبت له زهر أصفر (ماثل إلى الحمرة). المشيع: الوافر، الممتلئ.

(٤) افرأ: لا يكاد يجد (سبيلاً أو وسيلة) في الانتصار من قريبه.

(٥) علقة الفحل شاعر جاهلي عاش طويلاً: عاصر امرأة القيس (ت ٥٤٠ م) وبقي إلى ما بعد الهجرة

بثلاث سنوات (٦٢٥ م).

(٦) القليب: البئر.

ابنُ ولادٍ^(١) تُرُمَداءُ بضمَّ التاء والميم. وروايةُ أبي علي^(٢) بفتحها.

- ٤- شرح ديوان زهير (مطبوع مع «طرف عربية» - جمعها كارلو لاندبرغ)، ليدن ١٣٠٣ - ١٣٠٦ هـ.
- شرح ديوان الشعراء الستة، منش: ميونيخ ١٨٩٢ م.
- تحصيل عين الذهب في معدن جواهر الأدب في علم مجازات العرب: شرح شواهد سيبويه (مطبوع على هامش كتاب سيبويه)، القاهرة (بولاق) ١٣١٦ - ١٣١٧ هـ.
- بيروت (مؤسسة الأعلمي) الطبعة الثانية ١٩٦٧ م.
- ديوان طرفة بن العبد (اعتنى بتصحيحه.... مكس سلفسون)، شالون (برتران) ١٩٠٠ م.
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى (جع..... محمد بدر النعاني)، القاهرة (جلالي وخايجي) ١٣٢٣ هـ.
- شرح ديوان علقمة الفحل (اعتنى بتصحيحه محمد أبو شنب)، الجزائر (كربونل) ١٩٢٥ م.
- *** معجم الأدباء ٢٠: ٦٠ - ٦١ مطبع الأنفس ٦٤ - ٦٧ نكت الهيمان ٣١٣ - ٣١٤ وفيات الاعيان ٧: ٨١ - ٨٣ بغية الوعاة ٤٢٢ شذرات الذهب ٣: ٤٠٣ نفع الطيب ٤: ٧٩ - ٨٦ (المسألة الزنبورية) بروكلمن ١: ٣٧٦ - ٣٧٧، الملحق ١: ٥٤٢ - ٥٤٣ الأعلام للزركلي ٩: ٣٠٨ (٨: ٢٣٣).

ابن عمار الأندلسي

- ١- هو ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار بن الحسين بن عمار المهري، نسبة إلى مَهْرَة وهي قبيلة عربية من قُضاة، ويُقال له أيضاً الشَّلبي والأندلسي.
- وُلد ابنُ عمار سنة ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م) في قرية شَبُوسَ قُرْبَ شَلْب (في الجنوب الغربي من الأندلس).

انتقل ابنُ عمار إلى شَلْب ثم رَحَلَ إلى قُرْطُبَة في طَلَبِ العِلْمِ.

وقد بدأ ابنُ عمار حياته العملية بالتطواف في البلاد يمدحُ أشخاصاً مُختلفي

(١) ابن ولاد نحوي مصري (ت ٣٣٢ هـ).

(٢) أبو علي القالي (ت ٣٥٦ هـ).

المراتب في الهيئة الاجتماعية؛ غير أنه فيما يبدو لم يَنْلِ حِطْوَةً في بلاطٍ من بلاطات ملوك الطوائف لِكَثْرَةِ الشَّعراء في ذلك الحين. وأوَّلُ حِطْوَةٍ نالَهَا كانت لَدَى الْمُعْتَصِدِ عِبَادِ مَلِكِ إِشْبِيلِيَّةَ، وكانَ الْمُعْتَصِدُ قد حَارَبَ ابْنَ الْأَفْطَسِ مَلِكَ بَطْلَيْوَسَ وانتصر عليه فجاءَ إِلَيْهِ ابْنُ عَمَّارٍ، سَنَةَ ٤٤٥ هـ (١٠٥٣ م)، ومدحه بقصيدة رائيةً بارعة. وعَرَفَ ابْنُ عَمَّارٍ، في بلاطِ إِشْبِيلِيَّةَ، الْمُعْتَمِدَ بْنَ عِبَادِ الْمُعْتَصِدِ - وكانَ لا يزالُ أميراً - وتَوَثَّقَتِ الصَّلَةُ بَيْنَ الشَّابِّينِ الشَّاعِرَيْنِ، فقد كانَ يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا في الحَيَاةِ حُبُّ اللَّهِ وَنَزَعَةُ الطُّمُوحِ والتَّوَسُّلُ بِالْمَكَائِدِ إِلَى بُلُوغِ الْمَأْرَبِ.

وأذَرَكَ الْمُعْتَصِدُ أَنَّ حَالَ ابْنِهِ الْمُعْتَمِدِ وحالَ شاعِرِهِ ابْنِ عَمَّارٍ ذَوَاتَا خَطَرٍ على مُلْكِهِ فأحاطَها بِرَقَابَةٍ شَدِيدَةٍ؛ ثُمَّ إِنَّهُ أَبْعَدَ ابْنَ عَمَّارٍ عَنِ إِشْبِيلِيَّةَ، سَنَةَ ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م)، فمضى ابْنُ عَمَّارٍ يَتَنَقَّلُ في البلاد: زَارَ الْمَرْيَةَ ثُمَّ السَّهْلَةَ ثُمَّ اسْتَقَرَّ في سَرَقُطَّةَ عِنْدَ بَنِي هُودَ.

وفي سنة ٤٦١ هـ (١٠٦٩ م) تُوُفِيَ الْمُعْتَصِدُ فَخَلَفَهُ ابْنُهُ الْمُعْتَمِدُ فَأَسْرَعَ الْمُعْتَمِدُ بِاسْتِدْعَائِهِ صَدِيقِهِ الْقَدِيمِ ابْنَ عَمَّارٍ. وأحَبَّ ابْنُ عَمَّارٍ أَنْ يَتَوَلَّى مَدِينَةَ شَلَبَ فَوَلَّاهُ الْمُعْتَمِدُ عَلَيْهَا. ثُمَّ إِنَّ الْمُعْتَمِدَ اسْتَدْعَى ابْنَ عَمَّارٍ مِنْ شَلَبَ وَشَيْكاً وَوَلَّاهُ الْوِزَارَةَ.

وأخَذَ ابْنُ عَمَّارٍ وَالْمُعْتَمِدُ بْنُ عِبَادٍ يَضَعَانِ الْخُطَطَ لانتزاعِ الْمُدُنِ مِنْ مُلُوكِ الطوائف (راجع ترجمة الْمُعْتَمِدِ بْنِ عِبَادٍ) - وَهُمْ في ذَلِكَ يَسْتَظْهِرونَ بِمُلُوكِ الْإِسْبَانِ على إِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ - فَنشَأَ في نَفْسِ ابْنِ عَمَّارٍ نَاشِئَةٌ مِنَ الْاسْتِيدَادِ. ففي سَنَةِ ٤٧١ هـ (١٠٨١ - ١٠٨٢ م) اسْتَوَلَى ابْنُ عَمَّارٍ بِاسْمِ الْمُعْتَمِدِ على مَرْيَةَ فَأَخَذَ يَتَصَرَّفُ بِهَا وَكَأَنَّهُ مُسْتَقِلٌّ. ثُمَّ إِنَّهُ تَمَرَّدَ على الْمُعْتَمِدِ وَاسْتَبَدَّ بِالْمَدِينَةِ. ثُمَّ زَادَ طُمُوحُ ابْنِ عَمَّارٍ، وكانت أحوالُ طَلِيظَلَّةٍ مُضْطَرِبَةً، فَسَارَ مِنْ مَرْيَةَ مُحَاوِلًا الْاِسْتِيلَاءَ على طَلِيظَلَّةَ بِطَرِيقَةٍ يَمْتَرِجُ فِيهَا الْجِدَاعُ بِالْحَرْبِ فَلَمْ يَنْجَحْ. وانتَهزَ ابْنُ رَشِيقٍ، قائدُ ابْنِ عَمَّارٍ وَخَلِيفَتُهُ على مَرْيَةَ، هذهَ الْفُرْصَةَ وَاسْتَبَدَّ بِالْمَدِينَةِ. وَلَمَّا لَمْ يَسْتَطِعْ ابْنُ عَمَّارٍ أَنْ يَمُودَ إِلَى مَرْيَةَ لَجَأَ إِلَى سَرَقُطَّةَ وَعَاشَ في كَنَفِ مَلِكِهَا الْمُؤْتَمِنِ بْنِ هُودَ (٤٧٤ - ٤٧٨ هـ). وَاتَّفَقَ أَنْ تَمَرَّدَ أَحَدُ أَتْبَاعِ الْمُؤْتَمِنِ بْنِ هُودَ في حِصْنٍ مِنَ الْمُحْصُونِ، فاقترحَ ابْنُ عَمَّارٍ على الْمُؤْتَمِنِ أَنْ يُعَيِّدَ التَّائِبَ الْمُتَمَرِّدَ إِلَى الطَّاعَةِ. واستطاعَ

ابن عمار أن يُعيد تلك القلعة إلى سلطان المؤمنين. ثم تمرّد بنو سهيل في قلعة شقورة^(١) فجاء ابن عمار ليعيد هذه القلعة أيضاً إلى سلطان المؤمنين ولكنّ بني سهيل خدعوا ابن عمار وقبضوا عليه وألقوه في السجن، في ربيع الأول من سنة ٤٧٧ هـ (آب - أغسطس ١٠٨٤ م) ثم باعوه للمعتمد بن عباد، في حديث طويل، بمبلغ كبير من المال. وألقي ابن عمار في سجن إشبيلية مدة يسيرة ثم دخل عليه المعتمد بن عباد وقتله بيده.

وبرغم القسوة التي نُسبت إلى المعتمد بن عباد، فإنّ قلوب الناس لم ترق لمقتل ابن عمار، وخصوصاً بعد أن اشتهر عنه أنّه كان يُدخل ملوك الإسبان لانتزاع المدين من أيدي ملوك الأندلس حتّى يستبدّ هو يحكم تلك المدين أو حتّى يضيفها إلى ملك بني عباد أو حتّى تخرج من يد أصحابها المسلمين لتدخل في حكم الإسبان. ولقد عبّر عبد الجليل بن عبدون عن عاطفة الصداقة التي يكنّها نحو ابن عمار إلى جانب الثغور من خياناته حينما رثاه فقال:

عجباً له! أبكيه بله مدامني وأقول: لا شئت بين القائل!
٢ - كان لابن عمار الأندلسي ذلك المفرط وطموح بعيد وثقافة واسعة واختبار كثير، غير أنّه كان قليل المبالاة بالمعرف وبالمثل العليا عند السعي لتحقيق مآربه في الحياة.

وابن عمار شاعر مطبوع كثير ضاع قسم من شعره، ويُقال إنه قد أحرق هجاءه قبل موته. وشعره فصيح اللفظ متين السبك مشرقى الديباجة في الأكثر مع شيء من الرشاقة الأندلسية. وهو يعتد الصورة الحسية والتعبير الرصين عن الفكرة لإبراز أغراضه. ولا تراه يتكلّف الصناعة؛ وإذا هو فعل ذلك وآتته الصورة الحسية ثم أخطأ هو الصناعة البحت، ففي قوله مثلاً:

يَوْمَ تَكَاثَفَ غَيْمُهُ فَكَانَهُ دُونَ السَّحَابِ دُخَانُ عَوْدٍ^(٢) أَخْضَرِ

(١) شقور (كصور) بلد في الأندلس.

(٢) العود (الفن، الخطب) الأخضر لا يشمل بسهولة، ولذلك يكثر دخانه.

وَالطَّلُّ مِثْلُ بُرَادَةٍ مِنْ فِضَّةٍ مَنُشُورَةٍ فِي تَرْتَبَةٍ مِنْ عَنَبَرٍ.
وَالشَّمْسُ أحياناً تَلُوحُ كَأَنَّهَا أَمَةٌ تُعَرِّضُ نَفْسَهَا لِلْمُشْتَرِي.
لَا تَتَأْتِي لَهُ التَّوْرِيَّةُ بَيْنَ الْمُشْتَرِي (الذي يَدْفَعُ الْمَالَ فِي السِّلَعَةِ الْمَبِيعَةِ) وَبَيْنَ الْمُشْتَرِي
(الذي هُوَ كَوَكَبٌ مِنَ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ)، لِأَنَّ الْمُشْتَرِي نَجْمٌ بَعِيدٌ قَلَّ أَنْ يُرَى بِالْعَيْنِ
الْمُجَرَّدَةِ؛ وَأَمَّا إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَنْظُرَ فِي التَّوْرِيَّةِ مِنْ حَيْثُ صِلَتْهَا بِالشَّمْسِ (فِي النَّهَارِ)
فَإِنَّ هَذِهِ التَّوْرِيَّةَ تَفْقَدُ حِينَئِذٍ قِيَمَتَهَا. وَكَذَلِكَ الصُّورَةُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي غَيْرُ صَحِيحَةٍ:
إِنَّ الطَّلَّ (النَّدَى) يَكُونُ فِي اللَّيَالِي الْبَارِدَةِ جَامِداً عَلَى الْأَغْصَانِ، وَلَكِنَّهُ إِذَا سَقَطَ
عَلَى الْأَرْضِ فَيَكُونُ قَدْ ذَابَ وَاصْبَحَ مَاءً فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَبْقَى حِينَئِذٍ بَلُورَاتٍ (بُرَادَةٍ
مِنْ فِضَّةٍ) حَتَّى يَبْدُوَ وَكَأَنَّهُ قُتَاتٌ مِنَ الْفِضَّةِ مَنُشُورٌ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الْعَنَبَرِ (الْأَسْوَدِ أَوْ
الْأَسْمَرِ)!

وَفَنُونُ شِعْرِ ابْنِ عَمَّارٍ الْمَذْحُ وَالْعِتَابُ وَالْإِخْوَانِيَّاتُ وَالْهَجَاءُ وَالْوَصْفُ وَالنَّسِيبُ
وَالْفَزْلُ مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْمَجُونِ أحياناً.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ ابْنُ عَمَّارٍ الْأَنْدَلُسِيُّ يَمْدَحُ الْمُعْتَصِدَ عَبْدًا لَمَّا لَقِيَهُ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى:

أَوِرِ الزُّجَاجَةَ فَالنِّسْمُ قَدْ انْتَبَرَى، وَالنَّجْمُ قَدْ صَرَفَ الْعِيَانِ عَنِ السُّرَى^(١)،
وَالصُّبْحُ قَدْ أَهْدَى لَنَا كَافُورَهُ لَمَّا اسْتَرَدَّ اللَّيْلُ مِنْهُ الْعَنْبَرَا^(٢)،
وَالرُّؤُوسُ كَالْحَنَانِ كَسَاهُ زَهْرُهُ وَشَيْئاً، وَقَلَّدَهُ نَدَاهُ جَوْهَرَا^(٣)؛
رَوْضٌ كَانَ النَّهْرُ فِيهِ مِغْصَمٌ صَافٍ أَطْلَقَ عَلَى رِدْلِهِ أَخْضَرَا،
وَتَهْمَزُهُ رِيحُ الصَّبَا فَتَخَالُهُ سَيِّفَ ابْنِ عِبَادٍ يَبْدُو عَسْكَرَا^(٤)،
مَلَكٌ إِذَا ارْتَدَحَمَ الْمُلُوكُ بِمَوْرِدٍ وَنَحَاهُ، لَا يَرِدُونَ حَتَّى يَصْدُرَا^(٥).

- (١) النَّسْمُ قَدْ انْتَبَرَى (قَدْ بَدَأَ يَهْبُ بِلَيْلٍ عَظِيمًا، بَعْدَ أَنْ يَبْرُدَ الْجَوُّ فِي اللَّيْلِ). السُّرَى: الْمَسِيرُ لَيْلًا. النَّجْمُ قَدْ صَرَفَ الْعِيَانِ عَنِ السُّرَى: تَوَقَّفَ عَنِ الْمَسِيرِ (بَقِيَ اللَّيْلُ، تَأَخَّرَ طُلُوعُ الصُّبْحِ).
- (٢) الْكَافُورُ: مَادَّةٌ طَيِّبَةٌ الرَّائِحَةِ بَيَاضُ اللَّوْنِ. الْعَنْبَرُ: مَادَّةٌ طَيِّبَةٌ الرَّائِحَةِ سَوْدَاءُ اللَّوْنِ.
- (٣) الْوُشَى: التَّزْيِينُ، التَّطْرِيزُ، تَحْصِينُ الثَّوبِ بِنَقُوشٍ صَغِيرَةٍ. قَلَّدَهُ: جَعَلَ لَهُ قِلَادَةً، عَقْدًا (حَلِيَةً فِي الْمَنْقَى). النَّدى: قَطْرَاتُ النَّدى الَّتِي تَجْتَمِعُ فِي اللَّيْلِ عَلَى الْأَغْصَانِ. الْجَوْهَرُ: اللُّزْلُؤُ.
- (٤) الْمَوْرِدُ: الثَّرِيمَةُ (مَكَانٌ عَلَى النَّهْرِ صَالِحٌ لِلِاسْتِقَاءِ: لِأَنَّهُ يَشْرَبُ النَّاسُ مِنْهُ). نَحَاهُ: أَتَجَهَّ إِلَيْهِ. يَرِدُونَ: يَجِئُونَ إِلَى النَّهْرِ لِلشَّرْبِ. يَصْدُرُ: يَرْجِعُ عَنِ النَّهْرِ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخَذَ حَاجَتَهُ مِنَ الْمَاءِ.

أَندى على الأكبَادِ من قَطَرِ الندَى
 قَدَاحُ زَنْدِ المَجدِ: لا يَنْفَكُ من
 بَا سَائِلِي، مَا حِصْنُ إِلَّا خَاتَمُ
 لَا شَيْءَ أَقْرَأُ من شِفَارِ حُسامِهِ
 قَادَ المَوَاكِبِ كَالكُوكِبِ فَوْقَهُمْ
 مِنْ كُلِّ أَيْضَ قد تَقَلَّدَ أَيْضاً
 مَلِكُ يَرْوُكُ خَلْقَهُ أَوْ خَلَقَهُ
 أَعْلَمْتُ بِالْإِيمَانِ حَتَّى شِئْتُهُ
 فَاحِ الثَّرَى مُتَعَطِّراً بِشَائِهِ
 يَا أَيُّهَا المَلِكُ الَّذِي أَصْلُ النُّبَى
 السَّيْفِ أَنْصَحُ من زِيَادِ خُطْبَةٍ
 أَنْصَرْتُ رُمُحَكَ من رُؤُوسِ كِبَانِهِمْ
 وَصَبَّغْتُ دِرْعَكَ مِنْ دِمْلِهِ مُلُوكِهِمْ
 وَلَيْتَ وَجَدْتُ نَسِيمَ حَمْدِي عَاطِراً

وَأَلَذُّ في الأَجْفَانِ من سِنَةِ الكَرَى^(١)
 نَارِ الوَغَى إِلَّا إلى نَارِ القَرَى^(٢)
 أَبْصَرْتُ إِسْمَاعِيلَ فِيهَا خِنْصَراً^(٣)
 إِنْ كُنْتُ شَبَّهْتُ الكِتَابَ أَنْطَرَا^(٤)
 مِنْ لَأَمِيمٍ يَمِثُلُ السَّحَابِ كَنْهَوْرَا^(٥)
 عَضْبَاً، وَأُسْمَرَ قد تَقَلَّدَ أُسْمَرَ^(٦)
 كَالرُّؤُوسِ يَخْسَنُ مَنْظَرَاً أَوْ مَخْبِرَاً
 فَسَرَأَيْتُهُ فِي بُرْدَتَيْنِهِ مُصَوَّرَاً^(٧)
 حَتَّى حَبِينَا كُلُّ تُرْبٍ عَنْبِرَاً
 مِنْهُ بَوَاجُهُ يَمِثُلُ حَمْدِي أَزْهَرَاً
 فِي الحَرْبِ إِنْ كَانَتْ يَمِينُكَ يَنْبِرَاً^(٨)
 لَمَّا رَأَيْتَ الْفُضْنَ يُشَقُّ مُثْمِرَاً
 لَمَّا رَأَيْتَ الحُسْنَ يُلْبَسُ أَحْمَرَاً
 فَلَقَدْ وَجَدْتُ نَسِيمَ بِرْكَ أَعْطَرَاً

- وكتب ابنُ عَمَّارٍ إلى الأميرِ مُحَمَّدٍ المَعْتَمِدِ من سَرَ قُطْبَةِ، وَكَانَ المَعْتَصِدُ قد نَفَاهُ

من إِشْبِيلِيَّة:

- (١) أُنْدَى: أَكْثَرُ نَدَى (بِرْدَاً وَرَطُوبَةً). قَطَرِ النَّدَى: سَقُوطُ النَّدَى (راجع فوق ص ٦٤١ الحاشية ٣). السَّنَةُ (بِكسر السين) أَوَّلُ النُّومِ. الكَرَى: النُّومُ. - أَلَذُّ تَمَّا يَشْعُرُ بِهِ الْإِنْسَانُ الشَّدِيدُ التَّعَبِ وَالْحَاحَةُ إِلَى النُّومِ إِذَا بَدَأَ يَغْفُو.
- (٢) الزَنْدُ: حَدِيدَةٌ تَقْدَحُ بِهَا النَّارُ مِنْ حَجَرِ الصَّوَّانِ. قَدَاحُ زَنْدِ المَجدِ: دَائِمُ الطَّلَبِ لِمَعَالِي الْأُمُورِ. نَارِ الوَغَى: الحَرْبِ. نَارِ القَرَى: الضِّيَاءُ (الكَرَم).
- (٣) حِصْنُ: مَدِينَةُ إِشْبِيلِيَّة. إِسْمَاعِيلُ: ابْنُ المَعْتَصِدِ بْنِ عُبَادٍ. أَبْصَرْتُ إِسْمَاعِيلَ فِيهَا (فِي إِشْبِيلِيَّة) خِنْصَراً (الأَصْبَحُ الصَّغِيرَةُ فِي طَرَفِ الكَفِّ): قَادِراً عَلَى تَدْبِيرِ أُمُورِهَا (إِثَارَةٌ إِلَى اسْتِحْقَاقِهِ لَوْلَايَةِ العَهْدِ).
- (٤) أَقْرَأُ: أَحْسَنُ قِرَاءَةً (أَشَدَّ فَعْلًا وَأَتَرًّا). شِفَارِ جَمْعُ شَفْرَةٍ (بِفَتْحِ الشَّيْنِ): السَّكِّينُ العَظِيمُ، نَصْلُ السَّيْفِ. الحُسامُ: السَّيْفُ. الكِتَابُ: جَمَاعَةُ الجُنْدِ بَيْنَ مِائَةٍ وَأَلْفٍ.
- (٥) اللَّامُ جَمْعُ لَامَةٍ: الدَّرْعُ. مِثْلُ السَّحَابِ (مُتَدًّا). كَنْهَوْرُ (قَطْعُ السَّحَابِ التَّرَاكُمِ).
- (٦) أَيْضُ (أَيْضُ اللَّوْنِ، لَهُ مِجْدٌ) تَقَلَّدَ (عَلَّقَ فِي مَقْلَدِهِ: فِي عُنُقِهِ) أَيْضُ (سَيْفًا) عَضْبَاً (قَاطِعًا) وَأُسْمَرَ (أُسْمَرَ اللَّوْنِ، لَهُ قُوَّةٌ وَشِبَابٌ تَامٌ) قد تَقَلَّدَ أُسْمَرَ (رَحْمًا).
- (٧) شَامُ يَشِمُ: نَظَرَ، تَطَلَّعَ. البُرْدَةُ: الثَّوبُ.
- (٨) زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ وَآلِي البَصْرَةِ وَالكُوفَةِ مِنْ قَبْلِ مَعَاوِيَةَ، وَمِنْ المَخْطَبَاءِ المَدْعُودِينَ (راجع الجزء الأول).

عَلَيَّ وَإِلَّا مَا بَكَاهُ الْغَمَامُ؟ وَعَنِي أَتَارُ الرُّعْدُ صَرَخَةً طَالِبٍ
وَمَا لَيْسَتْ زُهْرُ النُّجُومِ حِدَادَهَا
أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْجِيَادَ فَإِنَّمَا
أُثْلِبُ؟ وَلَا تَسَابُ غَبْرَةً مُشْفِيًا!
كَسَاهَا الْحَيَا بُرْدَ الشَّبَابِ! فَإِنَّمَا
ذَكَرْتُ بِهَا عَهْدَ الصَّبَا فَكَأَنَّا
لَيْلِي. لَا أَلْوِي عَلَى رُشْدٍ لَائِمٍ
أَتَالُ سُهَادِي مِنْ عُيُونِ نَوَاعِيسٍ
وَلَيْلٍ لَنَا بِالسَّدِّ بَيْنَ مَعَاطِفٍ
بَعِثْتُ أَتَخَذُنَا الرُّوضُ جَارًا تَزُورُنَا
تُبْلَغُنَا أَنْفَاسُهُ فَتَرُدُّهَا

وَفِيَّ وَإِلَّا مَا نِيَّاحَ الْهَامِ؟
لِنَارٍ، وَهَزُّ الْبَرْقِ صَفْحَةً صَارِمًا؟
لِنَغِيرِي وَلَا قَامَتْ لَهُ فِي مَاتِمٍ.
نَاتٌ بِي عَنْ أَرْضِ الْعُلَا وَالْمَكَارِمِ.
وَجِمَصُ؟ وَلَا تَعْتَادُ زَفْرَةً نَادِمًا.
بِلَادُهَا عَقَى الشَّبَابِ تَأْتِيهِ.
فَدَخْتُ بِنَارِ الشُّوقِ بَيْنَ الْخَيَازِمِ.
عِيسَانِي وَلَا أَتَيْتِهِ عَنْ غَيِّ هَائِمٍ.
وَأَجْنِي عَذَابِي مِنْ غُصُونِ نَوَاعِمٍ.
مِنَ النَّهْرِ يَنْسَابُ انْتِيبَابُ الْأَرَاقِمِ؟
هَدَاهَا فِي أَقْدِي الرِّيَّاحِ النَّوَاسِمِ.
بِأَعْطَرِ أَنْفَاسٍ وَأَذْكَى مَنَاسِمِ.

- (١) نياح: النواح (بضم النون)، النوح (بفتح النون): البكاء على الميت. - لا أحد أشقى مني يتحقق أن تبكي عليه الغمام (تسقط على قبره الأمطار) أو تنوح الهام!
- (٢) من صوتي تعلم الرعد القصف (الصوت الشديد). ومن عزمي تعلم البرق أن ينشر أشعته كأنها السيوف شكلاً ولعناً.
- (٣) زهر النجوم: النجوم البيضاء. ليست حدادها: ظهرت في الليل محاطة بالسواد. ولا قامت (زهر النجوم: النساء الجميلات). المأتم: اجتماع النساء (في أماكن الموت).
- (٤) أ (أذكر) شلباً ولا تسيل مدامي، و (أذكر) حصاً ولا تعتادي (ترجع إلي مرة بعد مرة) زفرة (نفس حار من الحزن) نادم (عليها: على فراق اشيلية).
- (٥) كساها الحيا برد (ثوب) الشباب! (يدعو الشاعر لحمص بأن تظل شابة: زاهرة فتية). عقى الشباب (قطع) الشباب قاضي (جمع تيمية: الحمز أو الحجاب يعلق في عنق الطفل): في اشيلية انتقلت من طور الطفولة إلى طور الشباب.
- (٦) الخيازم جمع حيزوم (بفتح الحاء): جانبنا الملق، عند العنق. إذا تذكرت أيام شباني في اشيلية شمرت بنصه (بضم الغين) في حلقي.
- (٧) في تلك الأيام ما كنت استمع إلى نصيحة ولا أرجع عن انقباس في المذات. الهام: الذي يسير على غير هدى.

- (٨) لم يكن يسهرني شيء إلا عيون النساء ولا يهذبني شيء إلا قدودهن اللينة.
- (٩) السد (الحاجز على النهر). الأرقم: الثعبان، الحية الكبيرة.
- (١٠) هداها - هدايا الروض: الروائع الزكية. النواصم جمع ناصمة (!): الهبة الضعيفة من الريح.
- (١١) الذكي (بالذال أخت الدال): الساطع (الشديد) الرائحة (الطيبة). النسم: مكان هبوب الريح.

وَبَشَا وَلَا وَاشٍ يُحْسُ، كَأَنَّا
هُوَ الْعَيْشُ، لَا مَا أَشْتَكِيهِ مِنَ السُّرَى
وَصُحْبَةِ قَوْمٍ لَمْ يُهَذَّبْ طِبَاعُهُمْ
نَدَامَى وَلَا غَيْرَ السُّيُوفِ أَزَاهِرِي
وَمَا حَالُ مَنْ رَبَّتْهُ أَرْضٌ أَعَارِبَ
وَنُبْتُ إِخْوَانَ الصَّفَا تَغَيَّرُوا
لَقَدْ سَخَطُوا ظِلًّا عَلَى غَيْرِ سَاخِطٍ
إِلَى الْحَاجِبِ الْأَعْلَى، إِلَى الْعَضُدِ الَّذِي
لَهُ هِرَّةٌ فِي الْمَجُودِ مُتَضِيدَةٌ
سَا بِأَبْيِهِ ذُرْوَةُ الشَّرَفِ الَّذِي
إِذَا تَشَرَّتْ لَخْمٌ بِذِكْرَاهُ فَغَرَّهَا
أَبَى أَنْ يَرَاهُ اللَّهُ غَيْرَ مُقَلِّدٍ
إِذَا جَرَّ أَذْيَالُ الْجِيُوشِ إِلَى الْعِدَى
مُلُوكٌ مُنَاحُ الْعِزِّ فِي عَرَصَاتِهِمْ؛

حَلَّلْنَا مَكَانَ السَّرِّ مِنْ صَدْرِ كَاتِمٍ .
إِلَى كُلِّ نَفَرٍ أَهْلِي مِثْلَ طَائِمٍ (١) ،
لَقَدْ أَدْبَسَ أَوْ نَوَادِرُ عَالَمٍ (٢) .
لَدَيْهِمْ وَلَا غَيْرَ الْعُمُودِ كَأَنِّي (٣) .
وَأَلْقَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ بَيْنَ الْأَعَاجِمِ ؟
وَذَمُّوا الرِّضَا مِنْ عَهْدِي التَّنَاقُيْمِ .
عَلَيْهِمْ ، وَلَا مَوَا - ضِلَّةٌ - غَيْرَ لَاثِمِ .
تَطُولُ بَيْنَمَاهَ قِصَارُ الصَّوَارِمِ (٤) ،
تَهَرُّ إِلَى تَشْتَبِثُ شَلِّ الدَّرَاهِمِ (٥) .
أَبَاطِطُهُ سَهْلُ النَّدَى وَالْمَكَارِمِ (٦) .
طَوَتْ طَيِّبٌ مِنْ خَجَلَةٍ ذِكْرَ حَاتِمِ (٧) .
حِمَالَةَ سَيْفٍ أَوْ حِمَالَةَ غَارِمِ (٨) .
أَطَاعَتْهُ أَوْ جَرَّتْ ذُبُولُ الْهَزَائِمِ .
وَمَثْوَى الْمَعَالِي بَيْنَ تِلْكَ الْعَالَمِ (٩) .

- (١) السرى: السير ليلاً. الثغر: المكان على طرف البلاد (القريب من أرض العدو). الأهل: السكون.
الطائم: المحو (غير مسكون).
(٢) النواذر جمع نادرة: الكلمة القليلة الورد (الأشياء القليلة التي لا يعرفها إلا العلماء).
(٣) هؤلاء هم ندماني (بضم النون): الذين يصحبوني ويرافقوني (برغمي). إذا أردت أن أشم زهرته
ضربوني بالسيف. وليس لي كاتم (الكمامة في الأصل الورق الأخضر الذي يحيط بالزهرة): ستر، مأوى
(٤) إلا عمود السيف: الحبس (١).
(٥) الحاجب في الأندلس يشبه رئيس الوزارة في أيامنا. العضد: أعلى الذراع (من الكتف إلى المرفق).
تطول بينماه قصار الصوارم (السيف) كناية عن شجاعته: إذا كان السيف لا يصل إلى العدو فإنه
يدّ يده بالسيف فيصل إلى العدو.
(٦) متضيدة نسية إلى المتضد (والد المتضد بن عباد). تهز: تجعل الإنسان يهتز (يطرب).
(٧) الأبطح: مكان مجرى السيل (المكان المنخفض). الندى: الكرم. المكارم: الأعمال الحميدة.
(٨) مجد المتضد بن عباد (في قومه بني لحم) يجعل كرم حاتم طي قليلاً حتى ينجعل بنو طي من ذلك الكرم
القلي.
(٩) مقلد (حامل في عنقه) حالة سيف = سائر إلى الحرب، أو حمالة غارم (رجل عليه دين) = هو ينقذ
(بكرمه) المدينين من ديونهم .
(٩) العرصة (بفتح ففتح): الباحة أمام المنزل. المعلم: المكان (ساكن المتضد بن عباد).

أَلَكْنِي مِنْهُمْ بِاللَّامِ إِلَى قَيِّ
تَبَوُّاً مِنْ لَغَمٍ - وَنَاهِيكَ مَقْعَدًا -
أَبَا الْقَاسِمِ، أَقْبَلَهَا إِلَيْكَ فَإِنَّا
أَنَا الْعَبْدُ فِي ذَلِكَ الْخُضُوعِ لَوْ أَنِّي
وَأَنِّي - إِذَا أَنْصَفْتَ - بِغَدَاكَ خَادِمٌ
لَعَلَّ النَّبِيَّ أَقْدَى بِتَرْحَةِ رَاحِلِي
فَتَرْجِعَ أَيَّامٌ مَضَتْ وَكَانَهَا،
- وَقَالَ ابْنُ عَمَّارٍ فِي هَجَاءِ الْمُعْتَصِدِ وَابْنِهِ الْمُعْتَمِدِ (وفيات الأعيان ٢: ٣٧١):

مَسَا يُقْبَسُحُ عِنْدِي ذِكْرُ أُنْدَلُسٍ
أَسَاءُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا،
سَمَاعٌ مُفْتَضِدٌ فِيهَا وَمُعْتَمِدٌ
كَالْهَرِّ يَحْكِي انْتِفَاحًا صَوْلَةَ الْأَسَدِ.

٤ - رحلة اللبيب، الجزائر ١٩٠٤ م.

★ ابن عَمَّارٍ: ترجمة قصصية، تأليف ثروت أباطة، القاهرة (دار المعارف - سلسلة «اقرأ»، رقم ١٤٣) بلا تاريخ؛ (مطبوع مع مؤلفات ثروت أباطة)، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٥٧ م.

- مُحَمَّدُ بْنُ عَمَّارِ الْأَنْدَلُسِيِّ: دراسة أدبية تاريخية، تأليف صلاح خالص، بغداد (مطبعة الهدى) ١٩٧٥ م.

قلائد العقيان ٩٣ - ١١١؛ الذخيرة ٢: ٣٦٨ - ٤٣٣؛ خريدة (المغرب) ٢: ٧١ - ٨٣؛
المغرب ١: ٣٨٩ - ٣٩١؛ المطرب ١٦٩ - ١٧٤؛ الحلة السراء ٢: ١٣١ - ١٦٥؛
الوفاي بالوفيات ٤: ٢٢٩ - ٢٣٤؛ وفيات الأعيان ٢: ٤٢٥ - ٤٢٩؛ المعجب
١١١ - ١٢٩؛ أعمال الأعلام ١٥٩ - ١٦٢؛ نصح الطبيب ١: ٦٥٢ - ٦٥٦،

(١) أَلَكْنِي: أحمل عني (منِّي) رسالة. تهادى - تهادى: تناهت (تفتخر). جرد (الحيل القليلة الشعر) العناق (الأصيلة) الصلادم جمع صلدم (بكسر الصاد والدال): الأسد، الصلب، الشدب الحافر.

(٢) تَبَوُّاً: نزل منزلاً، اتخذ مكانة. نَاهِيكَ مقدماً: يكفيك شرفاً أن تكون في مثل هذا المقعد. مكانة المعتد بن عبَّاد في لحم كمكانة رسول الله في بني هاشم (مبالغة مكروهة).

(٣) أَبُو الْقَاسِمِ - الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ. أَقْبَلَهَا = قبل هذه القصيدة. ثَنَاؤُكَ مسكي: لا أستطيع أن أهدي إليك سكاً (شيئاً طيباً) سوى مدحي إِيَّاكَ. القوافي: القصائد. لطائمي جمع لطيمة: قافلة تحمل سكاً للتجارة من بلد إلى بلد.

(٤) أَقْدَى الْعَيْنِ: ألقى فيها القذى (ونأى بمعنى أزال منها القذى). الترحة: الحزن. سيجلوها = سيجلو القذى منها.

(٥) امْتَشَلْتُهَا: جعلتها هدفاً، تحيَّلتها.

٦٦٨ - ٦٧١ ، ٦٧٢ - ٣ : ٢٤٢ - ٢٤٤ ، ٣٢٥ - ٣٢٨ ، ٤ : ٢١٢ - ٢١٣ ،
 ٣١٣ - ٣١٤ ، ٥ : ١٨١ - ١٨٢ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٥٦ - ٣٥٧ ؛ دائرة المعارف
 الإسلامية ٣ : ٧٧٥ - ١٧٧٦ ؛ نيكل ١٥٤ - ١٦٣ ، مختارات نيكل ١٠٧ - ١١٣ ؛
 بالنشأ ٨٩ - ٩٤ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٩٩ - ٢٠٠ (٦ : ٣١٠ - ٣١١) ؛ مجلة العربي
 (الكويت) ١١/١٩٦٨ ، ص ٧١ ، ٧/١٩٧٠ ، ص ٧٦ .

ابن أرفع رأسه

١ - هو أبو بكر محمد بن أرفع رأسه^(١) ، من أهل طليطلة ، روى عن محمد بن
 ابراهيم الحشني وغيره .

كان ابن أرفع رأسه متصلاً ببيحي المأمون (٤٢٩ - ٤٦٧ هـ) من بني ذي النون
 أصحاب طليطلة . وقد تولى قضاء طلبيرة (غرب طليطلة) ، في زمن لا نعرفه . أمّا
 وفاته فلمعلها كانت في أواخر القرن الخامس للهجرة (أواخر الحادي عشر للميلاد) .

٢ - كان ابن أرفع رأسه من أهل الذهن الثاقب والعلم البارع حافظاً لرأي مالك
 ومن رؤساء المذهب في زمنه . كان شاعراً له موشحات ذاعت على السن أهل
 الأندلس . وكانت مكانته في التوشيح تلي مكانة ابن عبادة القرّاز^(٢) .

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن أرفع رأسه يمدح المأمون بن ذي النون :

دعوا الملوك وأبناء الملوك فمن	أضحى على البحر لم يشتق إلى نفر .
ما في السيطر كالأمون ذو كرم ،	فانظر لتصديق ما أسمت من خبر .
بها واحداً ما على علياه مختلف ،	مذ جاد كحك لم تحتج إلى المطر .
وقد طلعت لنا شمساً ، فما نظرت	عين إلى كوكب يهدي ولا قمر .

(١) في الصلة (ص ٣٨٥ ، رقم ٨٧٤) : أبو بكر عثمان بن عيسى بن يوسف التجيبي من أهل طليطلة ويعرف
 بابن أرفع رأسه .

(٢) مقدمة ابن خلدون ١١٣٨ . راجع ترجمة ابن عبادة القرّاز ، فوق ، ص

وقد بَدَوْتَ لَنَا وَسَطِي مُلُوكِهِمْ فَلَمْ نُعْرَجْ عَلَى شَذْرِ وَلَا دُرِّ^(١).

- وقال من موشحة:

مَنْ عَلَّقَ الْقُرْطَا فِي أُذُنِ الشِّعْرَى وَأَكْفَفَ الْمِرْطَا الْغُصْنَ النَّصْرَا^(٢)؟

★ ★ ★

قَدْ هَمْتُ فِي وَسْنَانٍ أَسْدَ الشَّرَى يَسْنِي^(٣)
بِلِحْظِهِ الْفَتَّانِ فِي مَفْرَكِ الْحَسْبِ.
أَعْلَى ظُبَا سُلْطَانٍ بِقُبْسِدَةِ الرَّبِّ^(٤)
سُبْحَانَ مَنْ أَعْطَى جُفُونَكَ النَّصْرَا وَالْقَبْضَ وَالْبَسْطَ وَالنَّهْيَ وَالْأَمْرَا^(٥).

★ ★ ★

ضَنَّ بِإِسْمَادٍ وَالشَّمْسُ تَحْكِيهِ^(٦)
مَنْ بَعْدَ مِيعَادٍ أَبْشَدَى الرِّضَا فِيهِ.
فَكَنَّانٍ إِنْشَادِي خَوْفَ تَجَنِّيهِ^(٧)
حَيْثُ قَدْ أَبْطَأَ مِنْ أَمْسِكَ الْبَدْرَا عَنِّي لَقَدْ أَخْطَأَ وَأَشْغَلَ السِّرَا^(٨).

- (١) الوسطى: الجوهرة الكبرى التي تكون في وسط العقد. وسطى ملوكهم: أعظم الملوك. لم نعرَج (لم نلتفت، لم نهم). الدرر: اللؤلؤ. الشذر: قطع صغيرة من ذهب تكون بين اللؤلؤة واللؤلؤة في العقد.
(٢) الشعري نجم كبير لامع (المحبوب الجميل). أكفف (٤). المرط: ثوب من حرير. الغصن (المحبوب ذو القامة المنتصبة كالغصن). النصر (الأخضر الريان). (من أحاط هذا الغصن بثوب من حرير).
(٣) هام: اشتدَّ حبُّه. وسنان: يحتاج إلى النوم (هنا: ناعس العينين). أسد الشرى (الجبال) تكون أشد (٤)، يقصد الرجال الأقوياء.. يسي: يأسر، يستعيد.
(٤) أعلى طباً (جمع طبية بضم ففتح: حد السيف) سلطان (٤).
(٥) القبض والبسط: القدرة على الحرمان والعطاء.
(٦) ضَنَّ: بخل. إسعاد (مساعدة): استجابة للمحب. تحكيه: تشبهه.
(٧) أنشدت فيه (تفرَّكت به) خوف أن يتجنَّى عليّ (فيدعي أنه مال عني لأنني لا أحبه).
(٨) حيث (إدأ) أبطأ (تأخر) من أمسك (الذي يشرف على: المرتبة أو المربية) البدر (المحبوب الجميل)... (ولمَّا اتَّفَقَ أن مرَّ بي جعله يتخطَّاني ولا يلتفت إلى مكاني) فأشغل السرَّ (القلب، قلبي: بلبه وحيره).

- ومن موشحاته الموشحة التالية (ونلاحظ في أعاريضها عدداً من أوجه الاختلاف في الوزن!):

خَلِمْتُ عُذْرِي وَجَعْتُ بِالْفُزْلَانِ^(١)،
مَذْبانَ عُذْرِي فِي الْأَوْجِهَ الزُّهْرِ الْجَبَانِ^(٢)،
مَنْ كُلَّ بَدْرِ يَلُوحُ فِي غَصَنِ بَانَ^(٣)،
أَوْطَفُ قَدْ أَدَارَ لَحْظاً يُصِيبُ حَبَّ الْقُلُوبِ بِسَهْمِ اخُورَارِ^(٤)،

★ ★ ★

قَضِيبُ رَنْدٍ يَمِيسُ فِي دِغْصِ رَجْرَاجِ^(٥)،
وَبَدْرِ سَفْدٍ يُرِيكَ تَحْتَ اللَّيْلِ دَاجِ^(٦)،
رُمَّانَ نَهْدٍ أَيْنَعُ فِي لَبَّاتِ عَاجِ^(٧)،
يُقْطَفُ بِأَفْكَارٍ فَوْقَ قَضِيبِ لَذَنِ رَطِيبٍ مِنْ دَوْبِ الْبَلَّارِ^(٨)،

★ ★ ★

أَوْدَى بِصَبْرِي لَأَمَّا عَبِيرٌ فِي شَفِيقِ^(٩)،

- (١) عذر (بضمّين، وحذف الشاعر الثانية للضرورة) جمع عذار (بالكسر): اللجام، أي أعلنت حبّي وبحت (بأساء) المحبوبين..
- (٢) بان: ظهر. يبدو أن «الزهر» زائدة.
- (٣) البان شجر أغصنه طويلة مستقيمة سمراء.
- (٤) أوطف: كثيف شعر الحاجبين. أدار لحظاً: جعل يتطّلع إلى كلّ جهة. يصيب حبّ القلوب (وسطها): يصيب مقتللاً. الأخورار: شدة بياض العين وشدة سوادها.
- (٥) الرند نوع من الشجر. يمس: يتألم. الدعص: الجانب المستدير من رمل أبيض. (يقصد الكفل - بفتح ففتح).
- (٦) تحت الليل داج (داجياً: مسوياً): تحت شعره الأسود الحالك.
- (٧) أبيض الثمر: نضج (بلغ تمامه). اللَّبَّة (بالفتح): أعلى الصدر. عاج: سنّ الفيل (شديد البياض).
- (٨) يقطف (أي رمان النهد) بالفكر والنظر (ويمنع منه). قضيب: قامة منتصبة. لدن: طريّ يتشنى. البلّار: البلّور (بكسر الباء وفتح اللام المشددة أو بفتح الباء وضمّ اللام المشددة. اقرأ «بلّار» «بلا لام للتعريف).
- (٩) أودى بصبري: ذهب به، أفناه. لاما (مثنى لام = ل: استدارة خصلة من الشعر على جانب الصدغ. في شفيق (على خد أحمر كشقائق النمان).

خَطَاً بالسحر في صَفَحَتَيَّ خَدَّ أُنَيْقٍ^(١) ؛
وَسِمْنَطُ ثَغْرِ قَدِّ نَمِّ بِالْمِكِّ الْفَتِيقِ^(٢) ،
وَصُفَّ بِالنُّضَارِ أَلْمَى شَنِيبُ مِثْلُ الضَّرِيبِ يُزْرِي بِالْعُقَارِ^(٣) .

★ ★ ★

حَمَانِي الظَّلْمَا مِنْ لَا بِبَالِي طُلْمَا^(٤) .
إِنْ رَاشٌ مَهْمَا أَصَابَ قَلْبِي وَأَذْمَى^(٥) .
رَضِيْتُ السُّفْمَا فِي حَبِّهِ حَطًّا وَقِسْمَا
بِمُتَلَفٍ مِدْرَارٍ مَا لِلْكُتَيْبِ حِينَ يَصُوبُ كَالْمَزْنِ أَسْرَارُ^(٦) .

★ ★ ★

أَضَاقَ ذَرْعِي بِالصَّدِّ عَنِّي يَوْمَ زَارِ^(٧) .
يَهْفُو عَنْ رَوْعِي كَطَائِرٍ فِي الْجَوْطَارِ^(٨) .
هَمٌّ بِوَقْفٍ خَافَ مِنْ إِنْسٍ فَحَارِ^(٩) .

- (١) كَانَتْ خَطَاً (خَطَاً، رَسْمًا) بِالْحَرِّ (بِقُدْرَةِ غَيْرِ بَشَرِيَّةٍ، لَهَا لَهَا الْخَافِ). أُنَيْقٌ: مُؤَنِقٌ (يُحِبُّ الْعَيْنَ).
- (٢) وَسِمْنَطُ (عَقْدٌ ثَغْرٍ (فَم): صَفَّ أَسْنَانَ. نَمِّ: وَشَى (نَقَلَ الْكَلَامَ): فَاحَ مِنْهُ. الْفَتِيقُ: الْجَدِيدُ (يَكُونُ الْمِكُّ فِي وَعَاءٍ مَخْلُوقٍ، فَإِذَا قُتِعَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ كَانَتْ رَاحَتُهُ قَوِيَّةً).
- (٣) النُّضَارُ: الذَّهَبُ. صَفَّ (سَمَطَ الثَّغْرَ - أَيْ الْأَسْنَانَ) بِالنُّضَارِ (فِي لُتَّةٍ تُشَبِّهُ الذَّهَبَ فِي صِفَاتِهَا). أَلْمَى: أَسْرَ (شَفَّةَ سَمْرَاءٍ) شَنِيبٌ: بَارِدٌ (رَيْقٌ بَارِدٌ). الضَّرِيبُ: اللَّيْنُ الَّذِي يُجْلِبُ مِنْ عَدَدٍ مِنَ النَّوَقِ فِي إِثْمِهِ وَاحِدٌ (وَالشَّاعِرُ يَقْصِدُ الضَّرْبَ - بِفَتْحٍ فَتُفْتَحُ - أَيْ الْعَمَلُ). يُزْرِي: يَعْيِبُ، يَنْتَقِصُ الْقَدْرَ. الْعُقَارُ: الْحَمَرُ (رَبِيقُهُ أَفْضَلُ مِنَ الْحَمَرِ).
- (٤) حَمَانِي: مَنَعَ عَنِّي. الظَّلْمَا (بِالْفَتْحِ): الرِّيقُ.
- (٥) رَاشٌ السَّمُ: وَضَعَ رِيشًا فِي مَوْخَرِهِ لِيَكُونَ سِيرُهُ فِي الْهَوَاءِ أَدْقَ (إِنْ نَظَرَ بِعَيْنَيْهِ إِلَى الْحَبِّ أَصَابَهُ وَآذَاهُ).
- (٦) مُتَلَفٌ (ق) لَعَلَّمَا مُتَلَفٌ: مَهْلِكٌ. مِدْرَارٌ: كَثِيرُ الدَّرِّ (بِالْفَتْحِ) الْمَطُولُ وَالسَّيْلَانُ (بِدَمْعٍ مِدْرَارَةٍ). - مَا (لَيْسَ) لِلْكُتَيْبِ (الْعَاشِقِ الْحَزِينِ لِأَنَّ مَحْبُوبَهُ قَدْ هَجَرَهُ) حِينَ يَصُوبُ (دَمْعُهُ، أَيْ يَنْحَدِرُ دَمْعُهُ: يَبْكِي) كَالْمَزْنِ (كَالْمَطَرِ) أَسْرَارُ (أَيْ أَسْرَارُ مَكْتُومَةٍ - الدَّمْعُ الْكَثِيرَةُ دَلِيلٌ عَلَى الْعُشْقِ).
- (٧) أَضَاقَ ذَرْعِي (السَّافَةُ بَيْنَ الْكُتَيْبِ: صَدْرِي): جَعَلَهُ ضَيِّقًا.
- (٨) يَهْفُو: يَسْرَعُ فِي شَيْءٍ: عَنْ رَوْعِي (اقْرَأْ: مِنْ رَوْعٍ): مِنْ خَوْفٍ.
- (٩) هَمٌّ: عَزَمَ، أَرَادَ. وَقَعَ الطَّائِرُ عَلَى النَّصْنِ: حَطَّ عَلَيْهِ.

رغرف ثم طار طير غريب حلو عجيب بالعهد غدار.
- وله موشحة (بقي منها مطلعها وخاتمتها):

العود قد ترنم بأبدع تلحين وشقت المذانب رياض البساتين^(١)
تخطُر ولا تسلّم عساك المأمون مروّع الكتائب يحیی بن ذي النون^(٢)

٤- ** المغرب ٢: ١١٨ جيش التوشیح ص ٧٣ - ٨٥ (راجع ص ٢٤٤ - ٢٤٥) نفع
الطیب ٤: ١٣٤ - ١٣٥، ٧: ٤٦ مقدمة ابن خلدون (بيروت - دار الكتاب
اللبناني) ١١٣٨ - ١١٣٩؛ نيكل ٢٠١ - ٢٠٢.

علي بن فضال

١- هو أبو الحسن علي بن فضال بن علي بن غالب بن جابر بن عبد الرحمن
التميمي الجاشمي الفرزدقي (من نسل الفرزدق) القيرواني. يبدو أنه ولد في
القيروان ثم هجر مسقط رأسه (معجم الأدباء ١٤: ٩١؛ إنباء الرواة ٢: ٢٩٩)،
باكراً ورحل إلى العراق من الغرب (البلغة ١٦٦) وطوف كثيراً في الأرض حتى
وصل إلى غزنة (الأفغان اليوم) وأقام في نيسابور ولقي فيها إمام الحرمين أبا المعالي
عبد الملك الجويني (٤١٩-٤٧٨ هـ) أستاذ أبي حامد الغزالي
(٤٥٠-٥٠٥ هـ) - وكان الغزالي لا يزال في الأغلب في نيسابور قبل أن ينتقل إلى
بغداد، ولعله رآه.

ثم عاد علي بن فضال إلى العراق وسكن بغداد وأقرأ اللغة والنحو فيها مدة
« وحدث عن جماعة من شيوخ المغرب » (بغية الوعاة ٣٤٥). ثم دخل في خدمة نظام
الملك^(٣) وكانت وفاته في بغداد، ثاني عشر ربيع الأول ٤٧٩ (٢٧/٦/١٠٨٦ م).

(١) المذنب (بكر الميم وفتح النون) سيل الماء.

(٢) مروّع الكتائب: يخيف الجيوش.

(٣) نظام الملك هو الحسن بن علي الطوسي (٤٠٨ - ٤٨٥ هـ) وكان وزيراً للسلاجقة بهمّ بالعلم والعمران،
بنى عدداً من المدارس (الجامعات) في بلاد الشرق فكانت تعرف باسم « المدارس النظامية ». قتل
قرب نهاوند (فارس). ولا ندري إذا كان ابن فضال قد دخل في خدمة نظام الملك في فارس أو أنه قد
دخل في خدمة دولة السلاجقة في بغداد.

٢ - كان عليُّ بنُ فضالٍ إماماً في النحو واللغة والتصريف والتفسير والتاريخ، كما كان شاعراً مُحَسِّناً يَرِقُّ حيناً ويبدو على شعره الجفافُ حيناً. وفنونه الحكمةُ والمديح والغزل. وهو يلجأ أحياناً إلى الصِّناعة والتَّوريةِ خاصَّةً. ثم هو مؤلِّفٌ مُكثِرٌ، له: الإكسير في علم التفسير (خسة وثلاثون مجلداً) - البرهان العميدي (في التفسير، عشرون مجلداً) - النُّكْتُ في القرآن - شرح بسم الله الرحمن الرحيم - الفصول في معرفة الأصول - المقدِّمة في النحو - شرح عُنوان الإعراب - العواملُ والهوامل (في الحروف خاصَّة) - الإشارة في تحسين العبارة - شرح معاني الحروف - إكسير الذهب في صِناعة الأدب والنحو (اقرأ: صناعة النحو والأدب) - معارف الأدب - شجرة الذهب في معرفة أئمة الأدب - العَروض - الدَّوَلُ (في التاريخ: خسة وثلاثون مجلداً).

٣ - مختارات من شعره

- قال عليُّ بنُ فضالٍ في «فقدانِ الصِّداقة من الناس»:

وَإِخْوَانٍ حَبِيبَتُهُمْ دُرُوعاً، فَكَانُوهَا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي.
وَخِلَتُهُمْ سِيَهَاماً صَائِبَاتٍ، فَكَانُوهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي.
وَقَالُوا: قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ. لَقَدْ صَدَّقُوا، وَلَكِنْ مِنْ وَدَادِي.

- وقال من قصيدة في مَدْحِ نِظَامِ الْمَلِكِ:

دَوَارِسُ آيٍ مَا تَكَادُ تُبَيِّنُ عَفَاهَنْ دَمْعٌ لِلْسَحَابِ هَتُونٌ^(١).
وَقَفْنَا بِهَا مُسْتَلْهِمِينَ فَلَمْ يَزَلْ لِسَانُ الْبَلَى عَنْ عُجْمِيهِنَّ يُبَيِّنُ^(٢)،
عَلَى حِينَ عَاصَبَتْ الصِّبَا وَهُوَ طَائِعٌ وَأَرْخَضَتْ عِلْقَى اللَّهْوِ وَهُوَ ثَمِينٌ^(٣).
سَقَى اللَّهُ حَيْثُ الطَّاعِنُونَ سَحَاباً فَقَلْبِي حَيْثُ الطَّاعِنُونَ رَهِينٌ^(٤).

(١) دوارس (أكمنة محوّة الأثر، مهدمة. آي=آيات (جمع آية) مكان تتلى فيه الآيات (٤). عفاهنّ (عفاهنّ) دمع (مطر) هتون (كثير).

(٢) البلَى: الفناء، الخراب. عجمهنّ (صمتهنّ) يبين (يعبر، يتكلّم).

(٣) اللغو: الشيء النفس. حيناً كنت شاباً قادراً على اللغو لم أكن ألهو؛ بينما كان غيري يرى أن هذا اللغو مهم جداً.

(٤) الطاعنون: الراحلون عني (أحبابي - يقصد: الطاعنات: النساء الحسان).

فَكَ صُصَّتْ أَخْدَاجُهُمْ مِنْ جَاذِرٍ أَوَانِسَ يَنْصُوهَا جَاذِرَ عَيْنٍ^(١) !
وَأَقَارِ يَمَ لَمْ يَرَ النَّاسُ قَبْلَهَا بُدُوراً تَنْشَى تَحْتَهُنَّ غُصُونُ^(٢) ،
يُجَرِّدُنَ مِنَ الْحَاظِيَيْنِ صَوَارِمًا مُهْنَدَةً أَجْفَانُهُنَّ مُتُونُ^(٣) .

٤ - معجم الأدباء ١٤ : ٩٠ - ٩٨ : الخريدة (المغرب) ١ : ٢٨٧ - ٢٨٩ ، إنباء الرواة ٢ : ٢٩٩ - ٣٠٢ بغية الوعاة ٣٤٥ ، البلغة ١٦٦ ، شذور الذهب ٣ : ٣٦٣ ، الأعلام للزركلي ٥ : ١٣٥ (٤ : ٣١٩) .

ابن جاج البطليوسي

١ - هو ابن جاجِ البَطْلَيْوْسِيُّ الصَّبَاغُ (كان يعملُ في صَنِغِ الثياب) ، وكان أُمَيَّا لا يَخْطُ ولا يقرأ الخطَّ . ولا أعلمُ إلى ما اسْتَنَدَ نِيكَلُ لَمَّا ذَكَرَ (ص ١٧٩) أَنَّهُ كان أَعْمَى .

يبدو أن حَيَاةَ ابنِ جاجِ تَمَّعَ كُلُّهَا في القرنِ الخامسِ (القرنِ الميلادي الحادي عشر) ، ويبدو أيضاً أَنَّهُ لم يَجِدْ في بِلَاطِ بَطْلَيْوْسَ عِنْدَ بني الأَفْطَسِ ما يُؤْمَلُ ، إذ كان أَمْرُ بني الأَفْطَسِ مُضْطَرِباً ، فذهب إلى إِشْبِيلِيَّةَ ومدح المُتَضَيِّدَ عِبَّاداً (٤٣٢ - ٤٦١ هـ) . ثُمَّ لَمَّا اسْتَقَرَّ أَمْرُ بني الأَفْطَسِ واستقلَّ عُمُرُ المتوَكِّلِ بالإِمَارَةِ (٤٧٣ - ٤٨٧ هـ) زارَهُ ابنُ جاجِ مادحاً . وَسَمِعَ الوزيرُ أَبُو بَكْرٍ بنَ عَمَّارِ بابنِ جاجِ قَبْلَ اشْتِهَارِهِ فَمَرَّ على حَانُوتِهِ وَهُوَ أَخَذَ بِعَمَلِهِ وَطَارَحَهُ شَيْئاً مِنَ الشِّعْرِ ثُمَّ قَدَّمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ . فَإِذَا كانَ ابنُ عَمَّارِ الَّذِي وَلِيَ الوِزَارَةَ لِلْمُعْتَمِدِ بنِ عِبَّادٍ ، مُنْذُ سَنَةٍ

(١) الحدج (بالكسر) مركب من مراكب النساء كالمهودج . الجؤذر (بضم فسكون ثم بفتح أو ضم) : الفزال الصغير (كناية النساء الحسن). الأنسة : الفتاة التي يؤنس بها . نضاها ينضوها (بتقدمها) . العينة : الواصة العينين . هنالك سرب من الحسان المتقدّمات في السن يسرن في الطليعة (كما يكون في أسراب الحيوان) .

(٢) بدر التّم (في الليلة الرابعة عشرة) . بدور (وجوه جميلة) . تَنْشَى = تَنْشَى (تتأهل) . غصون جمع غصن (كناية عن قوام الفتاة النحيلة) .

(٣) صارم : سيف . مهنّده : من صنع الهند . جنس السيف : قرابه ، بيته . ولكن أجفان هؤلاء الحسان متون (صفائح سيوف) !

٤٦١، قد لَقِيَ ابنُ جاحِرٍ قبل أن يشتهر فيجب أن يكون ابنُ جاحِرٍ قد عاشَ بعدَ ذلك مدَّةَ طويلةٍ. ففعلَ وفاته لم تَقَعْ قبلَ ٤٨٠ (١٠٨٧ م).

٢- كان ابنُ جاحِرٍ البَطْلِيُّوسِيُّ شاعراً مُحَسَّناً. ولعلَّ جهلةَ القراءةِ والكتابةِ قد تركَ شِعْرَهُ بريئاً من التكلُّفِ. ومَعَ ذلك فإنَّ صُورَةَ الشِّعْرِيةِ تُلْفِي أحياناً بارعاً. ولكن لا يجوزُ أن نُخدَعَ كثيراً بالقولِ إِنَّه كان أُمِّيًّا، لأنَّ الأُمِّيَّةَ شيءٌ والثِّقَافَةُ شيءٌ آخرٌ. ففي شِعْرِ ابنِ جاحِرٍ ما يَدُلُّ على أَنَّهُ عَرَفَ غَرِيبَ اللُّغَةِ وَوَصَفَ النَّاقَةَ وَسَيَّرَهَا عندَ الجاهليِّينَ.

٣- مختارات من شعره

- قال ابنُ جاحِرٍ البَطْلِيُّوسِيُّ في النسيبِ:

وَلَمَّا وَقَفْنَا غَدَاةَ النَّوَى وقد أَسْقَطَ البَيْنُ ما في يدي^(١)،
رَأَيْتُ الْهَوَادِجَ فِيهَا الْبُدُورُ عليها البراقعُ من عَسَجَدٍ،
وَتَحْتَ «البراقعِ» مَقْلُوبُهَا تَدِبُّ عَلَى وَرْدٍ خَدُّ نَدِي^(٢)،
نُسَالِمُ مَنْ وَطِئَتْ خَدَّهُ وتلدغُ قلبَ الشَّجِيِّ المَكْمَدُ^(٣).
- وقال يمدحُ الْمُفْتَضِلَ عَبَّادًا:

قَطَعْتَ، يَا يَوْمَ النَّوَى، أَكْبَادِي وَحَرَمْتَ عَن عَيْنِي لَذِيذَ رُقَادِي^(٤)؛
وَتَرَكْتَنِي أَرْعَى النُّجُومَ مُسَهِّدًا والنَّارُ تُضْرَمُ فِي صَمِيرِ فُؤَادِي^(٥).
فكَأَنَّمَا أَلَى الظَّلَامِ أَلِيَّةٌ: لَا يَنْجُلِي إِلَّا إِلَى مِيعَادِ^(٦).

(١) البين: البعد، البعاد. أسقط ما في يدي (جعلني حائراً).

(٢) مقولوب براقع = عقارب. (كناية عن السمر المتدلي والمترجع على الصدغ (هذا يدل على أنه كان يعرف الخط).

(٣) الشجي: الحزين. المكمد: الذي أكدمه الحزن (أغمته).

(٤) لو قال: «وحرمت عيني من لذيذ رقادى» لكان أصح في التركيب والمعنى (من غير اختلاف في الوزن).

(٥) مسهد: طائر النوم.

(٦) ألى: أقسم. أليَّة: يمين، قسم. اقرأ: إلى الميعاد (يوم القيامة).

وَلَرُبُّ خَرَقٍ قَدْ قَطَعَتْ نِيَاطَهُ
بِشِمْلَةٍ حَرَفٍ كَانَ ذَمِيلَهَا
وَالنَّجْمُ يَحْدُوها، وَقَدْ نَادَيْتُهَا:
مَلِكُ إِذَا مَا أَضْرِمَتْ نَارُ الْوَعَى
فَتَرَى الْجُسُومَ بِلَا رُؤُوسٍ تَنْثَنِي،
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُؤَمَّلُ وَالَّذِي
إِنَّ الْقَصِيدَ لَكَاسِدٌ فِي أَرْضِنَا،
فَجَلَبْتُ مِنْ شِعْرِي إِلَيْكَ قَوَافِيَا
مِنْ شَاعِرٍ لَمْ يَضْطَلْعْ أَدْبَا وَلَا
- وَقَالَ ابْنُ جَاخَ:

(إِذَا مَرَرْتَ بِرُكْبِ الْعَيْسِ حَيَّيْهَا)
يَا نَاقِ، عُوْجِي عَلَى الْأَطْلَالِ، عَلَّيْهَا
أَوْ كَيْفَ أَرْفُضُ طَيْبَ الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ،
إِنِّي لَأَكْتُمُ أَشْوَاقِي وَأَسْتُرُهَا
يَا نَاقِي، فَمَسَى أَحْبَابُنَا فِيهَا^(١).
مِنْهُمْ غَرِيبٌ يَرَانِي كَيْفَ أَبْكِيهَا
أَوْ كَيْفَ أُسْبِلُ دُمْعِي فِي مَفَانِيهَا^(٢).
جُهْدِي، وَلَكِنْ دَمَعُ الْعَيْنِ يُبْدِيهَا.

٤ - ** جذوة المقتبس ٣٨١ (رقم ٩٦٣) (الدار المصرية ٤٠٥ (رقم ٩٦٤) بغية المتن
٥٢٢ (رقم ١٥٦٢) نفع الطيب ٣: ٤٥٢ - ٤٥٣، ٦٠٨، ٤٤٣ - ٢٤٤، بغية
الوعاء ٥٢٢ نيكل ١٧٩ - ١٨٠، مختارات نيكل ١٢٣ - ١٢٤.

- (١) خرق: القفر، الفلاة الواسعة. النياط (الماسة البعيدة).
- (٢) شملة: (الناقة) السريعة. الحرف (الناقة) الضامرة (الخفيفة السريعة). الذميل: السير السريع. السرح (بضم فـ) مضمة مفردة أو جمع: السريع.
- (٣) النجم يحدها (يسوقها) تسير ليلاً. عوجي: مبلي (اقصدي). افرا: يا ناقتي...
- (٤) لو قال «تلقى» مكان «فترى» لكان أصح في الإعراب. تلقى: ملقى أرضاً، ما طرح ثم ترك لهوانه (لا قيمة له).
- (٥) في جذوة المقتبس (ص ٣٨١) أن ابن جاج قصد فخر الدولة أبا عمرو عبّاد بن محمد بن عبّاد (الملوح أنه المعتضد عبّاد صاحب إشبيلية). فلما دخل عليه، قال له (المعتضد) أجز: «إذا مررت بركب العيس حييها». فقال ابن جاج هذه الأبيات ارتجالاً.
- (٦) أسبل دمه: تركه يسيل. المثنى: المكان المسكون العامر.

ابن الحدّاد الوادي آشي^(١)

١ - هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان القيسي المعروف بابن الحدّاد الوادي آشي^(٢) - وكان لقبه « مازن » - مولده ونشأته في وادي آش. وهنالك عشق في صباه فتاة فلاحه رومية (مسيحية) اسمها جميلة ولكنه يُكنى عنها في شعره باسم « نورية » اتّصل ابن الحدّاد الوادي آشي ببلاط المعتصم بن صّاحح (٤٤٤ - ٤٨٠ هـ) في المربة وقضى فيه مُعظم حياته. واتفق مرّة أن عرض في شعره بالمعتصم بن صّاحح بالبخل فغافه ثم فر منه إلى سرقسطة ومكث عند صاحبها المقتدر بن هود سنين فلائل (٤٦١ - ٤٦٤ هـ) ولكنه عاد بعدئذٍ إلى بلاط المعتصم.

وكانت وفاة ابن الحدّاد الوادي آشي سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٨ م) أو بعدها بقليل.

٢ - كان ابن الحدّاد الوادي آشي مُتفَنّاً في علوم كثيرة ولا سيّما في علوم الأوائل (الفلسفة) وعلوم التعاليم (الرياضيات والفلك^(٣)) خاصة كما كان شاعراً فعلاً مُجيداً شديد القُوص على المعاني مُفرّماً بالتشبيهات التي تبدو مُشرقة في الشعر (بارعة المظهر) من غير أن يكون بينها وبين المعاني المقصودة صلة وثيقة بالضرورة. وفنّون شعره المديح (ومُعظم مديحه في المعتصم) والغزل والعتاب والفخر والزهد، وله هجاء مُقذع. وكذلك كان حافظاً للحديث ومؤرخاً وناقداً له كتاب في العروض مزج فيه بين الأنحاء الموسيقية وآراء الخليل بن أحمد^(٤) وردّ فيه على السرقسطي المنبوذ بالهjár^(٥) ونقد كلامه فيما يتعلّق بالأشطار.

(١) هو غير الأديب الكاتب المؤرخ والحافظ الفقيه أبي عبد الله محمد بن الحدّاد الشهير بالوادي آشي نزله تلمسان بعد سقوط غرناطة (٨٩٧ هـ = ١٤٩٣ م). انظر نفع الطيب ٦: ٢٢، ٤: ٥٠٧، ٧: ١٠٣.

(٢) راجع نفع الطيب ٧: ٢٦. قيل عرف خسوف البدر قبل مواعده، وهي الحادثة المذكورة لابن باجة المتوفى ٥٣٣ هـ (راجع نفع الطيب ٧: ٢٥).

(٣) توفى عام ١٧٠ هـ. (راجع ٢: ١١١ - ١١٦).

(٤) هو أبو عثمان سعيد بن فتحون التجيبي كان بارعاً في علوم اللغة وفي علوم الفلسفة وله في علم العروض كتاب مطوّل وكتاب مختصر وله رسائل في الفلسفة. امتحنه المنصور بن أبي عامر عنة (اتّهمه باعتقاد آراء الفلاسفة) وسجنه. ثم أطلق سراحه فانتقل إلى جزيرة صقلية، وبقي فيها إلى أن توفى (أوائل القرن الخامس). راجع الذيل والتكملة ٤: ٤٠ - ٤١، بنية الوعاة ٢٥٦، نفع الطيب ٣: ١٧٥،

٣ - مختارات من آثاره

- قال ابن الحدّاد في النسيب:

هُمْ فِي ضَمِيرِكَ، خَيَّمُوا أَمْ قَوَّضُوا، وَمَنَى جُفُونِكَ أَقْبَلُوا أَمْ أَعْرَضُوا^(١).
وَهُمْ رِضَاكَ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ سَخَطُوا كَمَا زَعَمْتَ وَثَانُكَ - أَمْ رَضُوا^(٢).
أَهْوَاهُمْ وَإِنْ اسْتَمَرَّ فَلَاهُمْ، وَبَيْنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يُحِبَّ الْمُبْغِضُ^(٣)!
- وقال بتغرّل في نُؤَيَّرَة:

وَارْتِ جُفُونِي مِنْ نُؤَيَّرَة، كَانِيهَا، نَاراً تُضِلُّ، وَكُلُّ نَارٍ تُرْشِدُ^(٤).
وَالْمَاءُ أُنْتِ، وَمَا يَصِحُّ لِقَابِضٍ، وَالنَّارُ أُنْتِ، وَفِي الْحَشَى تَتَوَقَّدُ^(٥).
- وقال في مُسَامَحَةِ الإِخْوَانِ وَتَشْبِيهِهِمْ بِالسِّرَاجِ:

سَامِحْ أَخَاكَ إِذَا أَتَاكَ بَرْزَلَةٌ، فَعُلُوصُ شَيْءٍ قَلْبًا يَتَمَكَّنُ.
فِي كُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ مُوجُودَةٌ: إِنَّ السِّرَاجَ عَلَى سَنَاءٍ يُدَخِّنُ!
- وقال يَصِفُ إعْطَاءَ الْمَدُوحِ الْبِدْرَ لِلطَّالِبِينَ (وَالْبَدْرَةُ خَمْسِمِائَةُ دِينَارٍ، وَتَكُونُ عَادَةً فِي صُرَّةٍ مُكَوَّرَةٍ):

يَدِينُ نَدَاهُ دِينَ كَفَبٍ وَحَاتَمٍ، فَعَتَمَ عَلَيْهِ، الدَّهْرَ، وَصَلَّ صَلَاتِهَا^(٦).
يُجَاهِدُ فِي ذَاتِ النَّدَى بَيْتُ مَالِهِ، وَلَا جَيْشَ إِلَّا مِنْ أَكْفَ عَفَاتِهَا^(٧).
إِذَا الْبِدْرُ انْثَالَتْ عَلَيْهِمْ حَبِيبَتُهَا، بِأَيْدِي مَوَالِيهَا، رُؤُوسَ عِيدَاتِهَا^(٨)!

(١) خَيَّمُوا أَوْ قَوَّضُوا: أَقَامُوا أَوْ رَحَلُوا (حَضَرُوا أَوْ غَابُوا). وَمَنَى جُفُونِكَ: الذَّنَى تَمَنَّى أَنْ تَرَاهُ.

(٢) الْوِثَاةُ: الَّذِينَ يَنْقُلُونَ الْأَخْبَارَ السَّيئةَ أَوْ الْمُخْتَلِفَةَ لِلْإِسَادِ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ.

(٣) الْقَلْبُ: الْبُغْضُ.

(٤) وَارَى: أَخْفَى. كَانِيهَا (يَقْصِدُ: نَاراً، حَرَارَةً، حَبّاً وَشَوْقاً وَتَلَهَّفاً إِلَى رُؤْيَا الْمَحْبُوبَةِ).

(٥) أَنْتِ تَشْبِيهِ الْمَاءِ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَبْغِضَ عَلَيْهِ (وَلَا أَنْ يَهْلِي إِلَيْكَ) وَكَالْنَّارِ وَلَكِنْ تَشْتَمِلُ فِي الْقُلُوبِ.

(٦) نَدَاهُ (جُودُهُ وَكَرَمُهُ) يَدِينُ (يَهْلِكُ، يَمُوتُ، يَسِيرُ عَلَى) دِينَ (عَادَةً) كَفَبٍ (بَنَ مَامَةِ الْأَهَادِي) وَحَاتَمٍ (الطَّائِي) كَرِيمَانَ مَشْهُورَانَ. حَتَمَ عَلَيْهِ: بَرَى مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ. الدَّهْرُ (طُولُ الدَّهْرِ) وَصَلَّ (مُوَاصَلَةً، اسْتِمْرَاراً) الصَّلَاتِ (بِكُسرِ الصَّادِ) الْمَطَايَا.

(٧) النَّدَى: الْكَرَمُ. الْعَفَاةُ (جَمْعُ عَافٍ: طَالِبُ الْمَعْرُوفِ وَالْمَطَاءِ). كَانَ بَيْتُ مَالِهِ (أَمْوَالُهُ) فِي جِهَادٍ (حَرْبٍ) فِي ذَاتِ النَّدَى (فِي سَبِيلِ النَّدَى = ضِدَّ الْبُخْلِ وَالْفَقْرِ) وَالْمَجْنُودُ هُمْ أَكْفَ (أَيْدِي) طَالِي الْمَطَاءِ.

(٨) انْثَالَتْ: انْهَمَرَتْ، انْصَبَتْ. مَوَالِيهَا: أَصْحَابُهَا (أَصْحَابُ الْبَدْرِ، الَّذِينَ يَسْتَحَقُّونَ هَذِهِ الْبَدْرَ).

- وقال ابن الحداد الوادي آشي يتغزل ثم أحسن التخلّص إلى مديح محمد بن معن (المعتمد بن صامح):

- عَجَّ بِالْجَمِيِّ حَيْثُ الْفَيَاضُ الْعَيْنِ
وَأَسْتَقْبَلْنَ أَرْجَ النِّسْرِ قَدَارُهُمْ
أَفْقٌ إِذَا مَا رُمْتَ لِحْظَ شُمُوبِهِ
أَنْتَى أَرَاغُ لَهُمْ وَبَيْنَ جَوَانِحِي
أَنْتَى نَهَابُ ضِرَابِهِمْ وَطِعَانِهِمْ
فَكَأَنَّمَا يَبِضُّ الصَّفَاحُ جَدَاوِلُ
ذَرْنِي أَسِرَّ بَيْنَ الْأَيْتَةِ وَالطَّبِي
فَلَعَلَّهُ يُرَوِّي صَدَائِي بِلِحْظِهِ
يَا رَبَّةَ الْقُرْطِ الْمُعِيرِ خُدُوقَهُ
تَوْرِيْدُ خَدِّكَ لِلصَّبَابَةِ مَوْرِدُ
فَإِذَا رَمَقْتَ قَوْحِي حَبِّكَ مُنْزِلُ
أَنْتِ الْهَوَى، لَكِنْ سُلُوَانُ الْهَوَى

فَمَسَى تَمَنُّ لَنَا مَهَاءُ الْعَيْنِ^(١)
نَدِيَّةُ الْأَرْجُلِ لَا دَارِيْنَ^(٢)
صَدَّتْكَ لِلنَّقْعِ الْمُشَارِ دُجُونُ^(٣)
شَوْقٌ يُهَوِّنُ خُطْبَهُمْ فَيَهَوِّنُ^(٤)
صَبُّ بِالْحَاطِ الْعَيُونِ طَمَعِيْنَ^(٥)
وَكَأَنَّمَا سُمِرُ الرِّمَاحِ غُصُونُ^(٦)
فَالْقَلْبُ فِي تِلْكَ الْقِيَابِ رَهِيْنُ^(٧)
وَجَّةٌ بِهِ مَاءُ الْجَمَالِ مَمَعِيْنَ^(٨)
قَلْبِي، أَمَا لِجِرَاكِ تَسْكِيْنُ؟
وَفَتَوْرَ طَرَفِكَ لِلنَّفْسِ فُتُونُ
وَإِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّهُ تَلْقِيْنُ^(٩)
قَصْدُ ابْنِ مَعْنٍ، وَالْحَدِيثُ شُجُونُ^(١٠)

- (١) عاج بالمكان: أقام. الغنضة: المكان يكثر فيه الشجر ويلتفأ. الحمى: المكان الذي لا يجسر أن يقترب منه عدو. العين (جمع عينة: الجميلة المنظر، الفاتحة على غيرها). المها: الظباء (النساء الجميلات). العين جمع عيناء (يفتح العين): المرأة الواسعة العينين.
- (٢) أرج: رايحته الطيبة المنتشرة. نديّة (نسبة إلى ندى: نوع من الطيب يستخدم بخوراً). دارين مكان في الشام فيه نباتات طيبة الرائحة.
- (٣) الأفق: البلد، الجانب من الأرض. النقع: غبار الحرب. دجن: القيوم. بلد تكثر فيه الحروب (٤).
- (٤) أنتى: كيف (لماذا). راع: أخاف (نار الحب التي في قلبي أشد خطراً من الحروب بين الجيوش).
- (٥) هاب: خاف. الضراب (بالسيف) والطمان (بالرمح). صبة: محبة.
- (٦) بيض الصفاح (صفحات الحديد: السيوف). جداول: أنهار.
- (٧) ذرني: دعني. السنان: الحديدة في رأس الرمح. الظبة (بضم ففتح): حد السيف. القبة: الخيمة الكبيرة من الجلد (تكون للقواد وللأشراف)...أسستهل السير بين المتحاربين حتى أصل إلى خيمة المحبوب.
- (٨) الصدى: العطش. معين: ماء كثير جار (عذب).
- (٩) رمق: نظر. إذا نظرت إليّ أوحيت إليّ (قول الشعر). تلقين: تعلم بالقراءة.
- (١٠) سلوان: نسيان. قصد «زيارة» ابن معن (المعتمد بن صامح). زيارته تسيني المحبوب.

فالمسحُ أجمعُ ما يُريك عيَّانه، لا ما أَرَتْهُ سَوَالِفُ وُعيون^(١)،
والروض ما اشتملت عليه سُهوْلُهُ، لا ما أَرَتْهُ أَبَاطِيعُ وَحُزُون^(٢)،
قصرُ تَبَيَّنَتِ القُصورُ قُصورُها عنه، وَفَضَلَ الأَفضَلينَ بَيْن^(٣)،
هو جَنَّةُ الدنْيَا تَبَوَّأَ ظِلَّها مَلِكٌ تَمَلَّكُهُ التَّقَى والدين^(٤)،
قَمْنِ ابنِ ذِي يَزْنٍ؟ وما غَمَدَانُهُ؟ النَقْلُ شَكٌّ والِيمانُ بَقِين^(٥)!

- وقال في النسيب (التشابه والامتعارات والكنائيات هنا كثيرة):

بَعِثْكِما، ذَاتَ الِيمينِ! فإِنَّنِي أَرَا حُ لَثْمَ الرُوحِ مِنْ عَقْدَاتِها^(١)،
فقد عِبَقَتْ رِيحُ النِّعَامِ كَأَنَّمَا سَلَامٌ سَلَّمَ رَاحَ مِنْ نَفْعَاتِها^(٢)،
وَتَنِيمةً لِلقَلْبِ المُتَمِّمِ مَنَزَلٌ؛ فَعُوجًا يَسْلِمُ عَلَى سَلَامَتِها^(٣)،
مَشَاعِرُ تَهِيَامٍ وَكَمْبَةٌ فِتْنَةٍ؛ فَوَادِي مِنْ حُجَّاجِها ودُعَاها^(٤)،

- (١) عيَّانه: شاهدهته. السالف: الشعر المتدلي من جانب الرأس. سواف وعيون كناية عن النساء الجميلات.
- (٢) الأبطح: الأرض الواسعة المستوية. الحزن (بالفتح) الأرض الصلبة بصر السير فيها. بلاد المعتم بن صراح أجل (وأفضل) من بلاد غيره....
- (٣) قصورها (تقصيرها) عنه. بين: يظهر (من تلقاء نفسه).
- (٤) تبوأ: سكن وأقام في المكان.
- (٥) سيف بن ذي يزن: ملك مشهور في اليمن. غمدان: قصر سيف بن ذي يزن. نحن نسبح عن سيف بن ذي يزن ساعاً، ولكننا نرى مجد المعتم بن صراح بعيوننا.
- (٦) استحلقتكما بحياتكما أن قتيلا بنا ذات اليمين. راح لذلك الأمر يراح: فرح (قا ١: ٢٢٥)، السطران (٥- ٦). الروح (يفتح الراء): نسم الريح. عقداتها (بضم العين وفتح القاف) جمع عقدة (بضم العين وسكون القاف): كل أرض محببة.
- (٧) النعاسي: (بضم النون): ريح الجنوب، أو ريح بين الجنوب والشرق. عبت الريح: لزقت بها رائحة الطيب. النفعة: الهبة من الرائحة الطيبة.
- (٨) تيماء بلدة في نجد (المقصود: بلد المحبوبة). المتيم: الذي تيمه (استمده) وذلكة الحب. وتيله للقلب المتيم منزل: قلبي لا يترك حب المحبوبة ولا يترك تذكرها. عوجا: ميلا (بنا)، دعانا نذهب إلى (بيت المحبوبة). السلمات (بفتح ففتح): جمع سلمة (بفتح ففتح): نوع من الشجر، أو جمع سلمة (بفتح فكس): حجر (المقصود: ديار المحبوبة).
- (٩) مشاعر جمع مشعر (المكان المقدس الذي يزار). التهيام (غير موجودة في القاموس)، مع أنها وردت في شعر كثير عزة: شدة الحب للمرأة.

فكم صَافَحْتَنِي فِي مِناها يَدُ الْمُنَى، وَكَمْ هَبَّ عَزَفَ اللَّهْوِ فِي عَرَافَتِهَا^(١).
عَهْدْتُ بِهَا أَصْنَامَ حُسْنِ عَهْدَتْنِي هَوَى عَبْدُ عَزَاها وَعَبْدُ مَنَاتِها^(٢).
أَهْلُ بِأَشْوَاقِي إِلَيْها وَأَتَقِي شَرَائِئِها فِي الْحُبِّ حَقَّ تَقَاتِها

- ٤- ** المطمح ٨٠-٨٣، الذخيرة ٢: ٦٩٢-١٧٢٩ جذوة المقتبس ٣٧٣ (رقم ٩٣٩)؛
المحمدون من الشعراء ١٠٦-١٠٨؛ الخريدة (المغرب) ٢: ٢٧١-٢٨٩؛ الخريدة
(الأندلس) ١: ١٧٧-٢٠٩؛ فوات الوفيات ٢: ٢٠٩؛ الوافي بالوفيات ٢:
٨٦-٨٨؛ التكملة ١٣٣ (رقم ٤٦١)؛ الذيل والتكملة ٦: ١٠ وما بعد؛ أزهار
الرياض ٣: ٣١٤؛ المغرب ٢: ١٤٣-١٤٥؛ الاحاطة (١٣١٩) ٢:
٢٥٠-٢٥٢؛ نفح الطيب ٣: ٢٦٣، ٥٠٢-٥٠٥، ٤: ٤٨-٥١، ٥٦،
١٠١-١٠٢، ٧: ٢٦-٢٧؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣: ٧٧٥-٧٧٦؛ نيكل
١٩٤-١٩٥، مختارات نيكل ١٣٥-١٣٨؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٠٧ (٥):
(٣١٥).

ابن الدبّاغ

- ١- هو أبو المطرّف عبد الرحمن بن فاجر من سرقسطة، كان كاتباً عند صاحبها
المقتدر بن هود (٤٣٨-٤٧٤ هـ)، ف وقعت بينهما وحشة فهرب ابن الدبّاغ ولحق
بالمعتمد بن عباد في إشبيلية (٤٦١-٤٨٤ هـ) فنال عنده حظوة وسفر^(٣) بينه وبين
المُتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس. وكان لابن الدبّاغ حُساد وأعداء، كما كان هو
أيضاً ضيق الخلق كثير التضجر من الناس. و وقعت بينه وبين ابن عمّار (قتله المعتمد
سنة ٤٧٧ هـ) عداوة فانتقل إلى المُتوكل بن الأفطس، في ٤٧٣ هـ أو بعد ذلك بقليل
(راجع الذخيرة ٣: ٢٥٢).

(١) منى (بكسر الميم) مشعر أو منسك من مناسك الحج. العرف: الرائحة الطيبة. عرفات: جبل يجتمع
عليه الحجاج للتلبية (دعاء الله).

(٢) عهدت: عرفت. عهدتني: تمودن أن يبرهنني. هوى: محب. العزى ومناة (من بنات الله عند عرب
الجاهلية).

(٣) سفر: عمل سفيراً (تردّد بين الدول في مهمات رسمية).

وكان أبو عبد الله محمد بن أئمن^(١) وزيراً لدى المتوكل - أو مستولياً على أمور الوزارة فخاف من منافسة ابن الدبّاغ فنشأت بينهما عداوة شديدة ارتحل ابن الدبّاغ بعدها إلى بلده سرقسطة. وبعد قليل قتل ابن الدبّاغ في بعض بساتين سرقسطة. وقد رثاه ابن عبدون (ت ٥٢٩ هـ).

إنّ هذه الأحداث المتلاحقة تدلّ على أن مقتل ابن الدبّاغ كان في حدود سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م).

٢- كان ابن الدبّاغ أديباً ناثراً شاعراً وكاتباً. وكان النثر أغلبَ عليه. ومُعظم رسائله إخوانيات كثيرة السجع والصناعة، وتكاد تكون كلها في الشكوى من الدهر ومن السعيايات (الذخيرة ٣: ٢٦٩). ومن رسائله المتقدمة رسالة ذكر فيها سبب خروجه عن سرقسطة (٣: ٢٧٢). أمّا شعره فسهلٌ عذب، ولكنّ معانيه عادية. والقليل المروى من شعره في الغزل والنسيب والمدح.

٣- مختارات من آثاره

- فصل من رسالة له في الشكوى (الذخيرة ٣: ٢٥٧):

كتاني، وعندي من الدهر ما يهدُّ أسره الرواسي^(١) ويُفتت الصخر القاسي. فأنا وإياه فرسا رهان^(٢): «يُجدّ نوائباً وأجيدُ صبراً»^(٣). ومن أجّلها^(٤) قلبُ محاسني مساوي^(٥)، وأوليائي أعادي، وقصدي بالبغضة من جهة المقة، واعتادي بالخيانة من حيث الثقة^(٦). فقس بهذا على ما سواه وعارضه بما عداه^(٧). ولا أطول عليك،

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أئمن كان وزيراً للمتوكل صاحب بطليوس (٤٦٠ - ٤٧٣ هـ).

(٢) الرواسي: الجبال.

(٣) فرسا رهان: متساويان في المقدرة.

(٤) يجدّ (يأتي بأشياء جديدة) نوائب (جمع نائبة: مصيبة) وأجيد صبراً (أصبر صبراً جيلاً، كثيراً). والجملة شطر من الشعر (مستشهد به هنا).

(٥) أجّلها: أعظمها، أكبرها.

(٦) قلب (عكس، تبديل) مساوي (مساوية، جمع سيئة).

(٧) المقة: الصداقة والحبّة. من حيث الثقة (في مكان الثقة).

(٨) عارضه: قارنه. بما عداه: بما تجاوزه (بغيره).

فقد غَرَّ عَلَيَّ حَتَّى شَرَّاي وَأَوْحَشَنِي حَتَّى نِيَّاي^(١) .. فها أنا أَتَهُم عِيَّاي وَأُسْتَرِيبُ مِنْ بَنَائِي^(٢) وَأُجْنِي الإِسَاءَةَ مِنْ غَرَسِ إِحْسَانِي. وَقَاتَلَ اللَّهُ الْحُطَيْيَةَ^(٣) فِي قَبْرِهِ فَلَشِدَّ مَا غَرَّ بِقَوْلِهِ:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَحْدُمُ جَوَازِيَهُ، لَا يَذْهَبُ الْمَرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ^(٤).
 مِنْ يَزْرَعِ الْخَيْرَ يَحْصُدُ مَا يُسَرُّ بِهِ. وَزَارِعُ الشَّرِّ مَنَكُوسٌ عَلَى الرَّاسِ^(٥).
 أَنَا، وَاللَّهِ، اغْتَرَزْتُ بِهِ^(٦) وَقَعَلْتُ خَيْرًا فَقَدِمْتُ جَوَازِيَهُ وَأَذْمَنْتُ عَوَائِدَهُ
 وَمَبَادِيَهُ^(٧). وَزَرَعْتُهُ فَلَمْ أَحْصُدْ إِلَّا شَرًّا وَلَا اجْتَنَيْتُ مَعَهُ إِلَّا ضَرًّا. وَهَكَذَا
 جَدِّي^(٨)، فَمَا أَصْنَعُ، وَقَدْ أُمِيَ الْقَضَاءُ إِلَّا أَنْ أَقْضِيَ عُمْرِي فِي بُؤْسٍ وَلَا أَنْفُكَ فِي
 نُحُوسٍ^(٩). وَيَا لَيْتَ بَاقِيهِ قَدْ انْصَرَمَ وَغَائِبَ الْحِمَامُ قَدْ قَدِمَ^(١٠). فَعَسَى أَنْ تَكُونَ بَعْدَ
 الْمَمَاتِ رَاحَةً مِنْ هَذَا النَّصَبِ وَسَلْوَةً عَنْ هَذِهِ الْحُطُوبِ وَالْكَرْبِ^(١١). وَدَعْ بَنَاءَ^(١٢) هَذَا
 التَّشْكِيِّ «فَالدهرُ لَيْسَ يُجْتَنَبُ مِنْ يَجْزَعُ»^(١٣)، وَلَا يُبْشَقِي عَلَى مَنْ يَتَوَجَّعُ^(١٤). وَاطَّرَحَ

- (١) كَذَا فِي الْأَصْلِ (لَمَلَّهَا: حَتَّى مِنْ نِيَّاي).
- (٢) الْعِيَانُ: الْبَصَرُ، (النَّظَرُ بِالْعَيْنَيْنِ). اسْتَرَابَ: شَكَّ. الْبَنَانُ جَمْعُ بَنَانَةٍ: طَرَفُ الْأَصَابِعِ (عَقْدُ الْأَصَابِعِ، الْأَصَابِعُ).
- (٣) الْحُطَيْيَةُ جِرُولُ بْنُ أَوْسٍ الْعَمِيسِيُّ (ت ٥٩ هـ = ٦٧٨ م). شَاعِرٌ مَخْضَرٌ (أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ) اشْتَهَرَ بِالْمَنَفِ فِي الْمَهْجَاءِ.
- (٤) الْجَوَازِي: جَمْعُ جَازِيَةٍ: الْحِزَامُ (التَّوَابُ أَوْ الْعِقَابُ). الْمَرْفُ: الْمَرْوُفُ، عَمَلُ الْخَيْرِ.
- (٥) يَبْدُو أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ لَيْسَ لِلْحُطَيْيَةِ (الذَّخِيرَةُ ٣: ٢٥٨، الْحَاشِيَةُ الثَّانِيَّة).
- (٦) بِهِ (بَيْتِ الْحُطَيْيَةِ).
- (٧) أَذْمَنْتُ الشَّيْءَ: وَجَدْتُهُ ذَمِيًّا (قَبِيحًا). الْعَوَائِدُ جَمْعُ عَائِدَةٍ: رَاجِعَةٌ (الشَّيْءُ يَفْعَلُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ). مَبَادِيَهُ: أَوَائِلُهُ (الشَّيْءُ يَفْعَلُ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى).
- (٨) جَدِّي (بِالْفَتْحِ): حَظِي.
- (٩) بُؤْسٌ = بُؤْسٌ شَدِيدٌ، الْفَقْرُ، لَا أَنْفُكَ: لَا انْقَطَعَ (أَبْقَى دَائِمًا).
- (١٠) وَيَا لَيْتَ بَاقِيهِ (بَاقِي الْعُمُرِ) قَدْ انْصَرَمَ (انْقَطَعَ، انْتَهَى) وَغَائِبَ الْحِمَامُ (بِالْكَسْرِ: الْمَوْتُ) قَدْ قَدِمَ (أَتَى، وَصَلَ).
- (١١) النَّصَبُ: التَّنْبِ. الْكَرْبَةُ (بِالضَّمِّ): الْحُزْنُ وَالْغَمُّ.
- (١٢) قَدَعَ بَنَاءَ هَذَا ... (بَنَاءٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهَا).
- (١٣) «وَالدهرُ لَيْسَ يُجْتَنَبُ ...» شَطْرُ لَأَيِّ ذَوْبٍ الْهَذَلِي (بِضَمِّ فَتْحِ): شَاعِرٌ مَخْضَرٌ (ت ٢٨ هـ).
- (١٤) فِي الْأَصْلِ «تَوَجَّعَ» (يَحْسُنُ أَنْ تَكُونَ «يَتَوَجَّعُ» لِلْسَّجْعِ مَعَ «يَجْزَعُ».

بنا^(١) هذا القول في الرياح واعْدِلْ بنا عن الجِدِّ إلى المَزَاح^(٢) .

- وقال ابن الدَّبَّاح، وقد رأى غُلَاماً وسيماً يحمل بين يديه عُصْفوراً:

يا حاملَ الطائرِ الفَرِيدِ بعثْهُ، تَهْنا المصافيرُ إن فازتْ بَلْقِيَاكَ .
تُسمي وتصبحُ مشغولاً بمُجْمَعِها في غَفْلَةٍ عن دمِ أَجْرَثِ عَيْنَاكَ^(٣) .
إذا رَأَتْكَ تَغَنَّتْ كُلُّها طَرِباً حتَّى كأنَّ طُيُورَ الجَوِّ تَهَوَّكَا .
يا لَيْتَنِي الطيرُ في كَفِّكَ مَطْعَمُهُ وشُرْبُهُ، حينَ يَظْها، من ثَنَائِكَ^(٤) .

- وله من رُقعة خاطب بها الوزيرَ الكاتبَ أبا مُحَمَّدٍ عبد الله بن عبد البر^(٥)

(الذخيرة ٣: ٣١٦):

لَمَّا أَصْبَحْتَ، أَعَزَّكَ اللهُ، في صِنَاعَةِ البِلاغةِ إِمَاماً ولأَشْتَاتِ الفضائلِ نِظَاماً^(٦)، لَمْ تَنْهَمْ - في وِدَادٍ تَدْعِيهِ واعتِلاقٍ تَبْتَغِيهِ^(٧) - مِنْ سَتِّهِ بِإِلَيْكَ هِمِّمْ أَوْ تَقَدَّمَتْ لَهُ فِيهَا قَدَمٌ^(٨)، لِأَنَّكَ المُبْتَغَى الَّذِي إِلَيْهِ يُجْرَى وَتُبْتَغَى لَدَيْهِ الرِّقْمَى وَتُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى العَلِيَا^(٩). وَأَنَا مِمَّنْ يَتَشَبَّعُ فِيكَ تَشَرُّعاً وَيُحِبُّكَ طَبْعاً لَا تَقْطَعاً^(١٠)، وَأَسْتَنْزِلُ فِي الجَمْعِ بِكَ الْأَقْدَارَ وَأَسْتَخْدُمُ^(١١) في التعلُّقِ بِأَسْبَابِكَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ لِتُلَحِّقَهُ بِالْعِتَاقِ

(١) الطَّرْحُ: (ألقى، ارم). « بنا » لا حاجة إليها.

(٢) عدل: مال.

(٣) عجمتها: غناؤها الأعجم (الذي لا يفهم).... وأنت غافل عن أن عينيك قتلنا محبين كثيرين.

(٤) يظا = يظأ (بعضش). الثنايا: الأسنان (المقصود: الريق، التقبيل).

(٥) راجع، فوق، ص ٦٢٦.

(٦) النظام: السلك الذي تجمع فيه حبات المقد.

(٧) اعتلاق: تعلق (صداقة). تبتغيه: تريده.

(٨) تقدمت له قدم (سبقت له مقدرة) له قدم: أمر ثابت.

(٩) الرقْمَى: الوسيلة، التقرب بوساطة إنسان أو شيء. العليا = العلياء: كل شيء مرتفع (هنا: الشرف).

(١٠) يتشبع: يتبع، يناصر. تشرعاً (كذا في المتن) ليست في القاموس. وفي قراءتين: تشبعاً (ص ٣١٦، الحاشية الرابعة). أصح: لعلها أيضاً تشرعاً (اسراها). التطيغ: التكلف، التظاهر بالشيء.

(١١) استنزل واستخدم (بالبناء للمضارع في الأصل). ولكن توالي الأزمنة يقتضي أن يكون هذان الفعلان بصيغة الماضي، وإلا فيجب أن تكون القراءة: يستنزل ويستخدم مطابقة للفعلين: يتشبع ويحبك قبلها ثم للفعل « تلحقه » بعدها.

السوابق^(١) وتلقَى عليه شعاعك فيشرق^(٢) في المغرب والشارق (ثم ختم ابن الدبّاغ رسالته بأبيات يمدح فيها ابن عبد البر هذا). من هذه الأبيات:

جَلَمَ لَوْ أَنَّ الدَّهْرَ حُمِلَ بِمَضَاهِ
وإذا تناوَلَتِ الرِّقَاعَ بَنَاهُ
أُنْتُكَ طَرَزَ الوُشَى فِي صَنْعِهِ^(١)
مَنْ قَبْلَهُنَّ لِأَعْيُنِ الْبُلُغْسَاءِ^(٥)
لَهُ إِذَا شَاءَ النِّظَامُ غَرَائِبُ
لَا تَدْعِيهَا فِطْنَةُ الشُّعْرَاءِ^(٦)
بَرَّرْتُ مِنَ التَّعْقِيدِ فِي تَأْلِيْفِهَا
فَأَتَتْكَ أُمْلَسٌ مِنْ زُلَالِ الْمَاءِ
مَا كُنْتُ بِالْمَدَاحِ غَيْرَكَ وَاصِلًا
لَوْ كَانَتِ الشُّعْرَى عَلَيْهِ جَزَائِي^(٧)

٤- ** قلائد العقيان ١٢٠-١٢٣ الذخيرة ٣: ٢٥١-٣١٧ المغرب ٢: ٤٤٠
الخريدة (الأندلس) ٤: ٣٤٩-١٣٥٦ الخريدة (المغرب) ٣: ٣٨٧-٣٩٣.

ابن وهبون المرسى

١- هو أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسى المعروف بالدمنغة (فوات الوفيات ٣١٣: ٢)، وُلِدَ فِي مُرْسِيَّةَ بَيْنَ سَنَةِ ٤٣٠ وَسَنَةِ ٤٤٠ هـ (١٠٣٨ - ١٠٤٨ م) فِيمَا يَبْدُو. كَانَ شَاعِرَ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عِبَادٍ وَنَدِيمًا لَهُ وَقَدْ نَالَ مِنْهُ عَطَايَا كَثِيرَةً جَزِيلَةً. وَلَمَّا غَضِبَ الْمُعْتَمِدُ عَلَى وَزِيرِهِ ابْنِ عَمَّارٍ وَقَتَلَهُ بِيَدِهِ (٤٧٧ هـ) قَالَ ابْنُ وَهْبُونٍ بَيْتًا فِيهِ حُزْنٌ عَلَى ابْنِ عَمَّارٍ وَتَقِيَّةٌ مِنَ الْمُعْتَمِدِ (الحلة السراء ٢: ١٦٠):

(١) العناق (الحبل الأصيل الكريمة) السوابق (التي تسبق غيرها).

(٢) فيشرق (في الأصل) بضمة على الغاف (والصواب بفتحة).

(٣) العائق: المسافة بين الكتف والعنق. الإعياء: التعب.

(٤) صنعاء: عاصمة اليمن. الوشي: النقش (بالألوان) والتزيين. الطرز: الشكل والنمط والجيد من كل شيء. الرقاع جمع رقعة (الرسالة). إذا تناوَلت الرقاع بنانه (أصابه): إذا كتب رسائل.

(٥) لاح يلوح: ظهر. السنا: الضوء.

(٦) النظم: الشعر.

(٧) واصلًا (٢). الشعرى اسم لنجمين (الشعرى الياضية ومطلعها جنوبي بفتح الجيم ولا نراها من نصف

الكرة الشمالي بفتح الشين ثم الشعرى الشمالية ومطلعها شمالي ولا ترى من نصف الكرة الجنوبي) يقصد: ولو كان ثوابي على مدح غيرك عظيمًا.

عَجَبًا لِمَنْ أَبْكِيهِ مِنْهُ مَدَامِي وَأَقُولُ: لَا ثَلَاثَ يَمِينٍ الْقَاتِلِ!
وعاشَ ابْنُ وَهْبُونٍ مُنْقَطِعًا إِلَى بِلَاطِ الْمَعْتَمِدِ فِي إِشْبِيلِيَّةَ، وَلَمَّا دَعَاهُ الْمُعْتَصِمُ بْنُ
صُوحِرٍ صَاحِبِ الْمَرْيَةِ (٤٤٤ - ٤٨٤ هـ) لَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِ. وَقَدْ كَانَ صَدِيقًا لِابْنِ حَمْدِيسٍ
(ت ٥٢٩ هـ) وَلِابْنِ خَفَاجَةَ (ت ٥٣٣ هـ) وَمُعْجَبًا بِالْأَعْلَمِ الشَّنْتَمَرِيِّ (ت ٤٧٦ هـ) وَقَدْ
رثاه. وَفِي سَنَةِ ٤٨٣ هـ (١٠٩٠ م) كَانَ ابْنُ وَهْبُونٍ رَاجِعًا مَعَ ابْنِ خَفَاجَةَ مِنَ الْمَغْرِبِ،
فَبِينَا كَانَا فِي الطَّرِيقِ، بَيْنَ لُورَقَّةَ وَمُرْسِيَّةَ، طَلَمْتُ عَلَيْهِمْ طَالِعَةً مِنَ الْجَنُودِ النَّصَارَى
سَلَبُوا ابْنَ خَفَاجَةَ مَا مَعَهُ وَقَتَلُوا ابْنَ وَهْبُونِ.

٢- ابْنُ وَهْبُونٍ مِنْ فِطَاحِلِ الشُّعْرَاءِ وَأَهْلِ الْأَدَبِ مَتِينُ السَّبَكِ يُجِيدُ الْقَصَائِدَ
وَالْمُقَطَّعَاتِ وَيَطْبِيعُ أَحْيَانًا شِعْرَهُ عَلَى غِرَارِ الْمَشَارِقَةِ. وَرَبَّمَا نَزَعَ إِلَى أُلُوَانِ الْبَيْئَةِ
الْأَنْدَلُسِيَّةِ. وَفَنُونُ شِعْرِهِ الْمَدِيجُ وَالطَّرْدُ (وَصِفَ الصَّيْدِ) وَالرِّثَاءُ وَالشُّكْوَى وَالْوَصْفُ
وَالغَزَلُ وَيَمِيلُ إِلَى الْغَزْلِ الْمَذْكُورِ وَالْمُجُونِ. وَلَهُ وَصْفٌ لِلْأُسْطُولِ وَتَنْنٌ بِوَقْعَةِ الزَّلَاقَةِ
(٤٧٩ هـ).

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- أُنْشَدَ الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ يَوْمًا بَيْتًا لِلْمَتَنِيِّ وَاسْتَجَادَهُ فَجَمَلَ يَرْدُدُهُ، فَقَالَ عَبْدُ
الْجَلِيلِ بْنُ وَهْبُونٍ:

لَسْنَا جَادَ شِعْرَ ابْنِ الْحُسَيْنِ فَإِنَّا نُجِيدُ الْعَطَايَا، وَاللَّهْمُ تَفْتَحُ اللَّهُ.
تَبْنَا عَجَبًا بِالْقَرِيضِ، وَلَوْ دَرَى بِأَنَّكَ تَرْوِي شِعْرَهُ لَتَأَلَّاهَا
- وَقَالَ يَصِفُ بَرَكَةً فِيهَا زَهْرٌ نَيْلُوفَرٍ:

وَبَرَكَةٌ تَنْزَهُو بِنَيْلُوفَرٍ نَسِيمُهُ يُشْبِهُ رِيحَ الْحَبِيبِ.
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ دَنَا وَقَتُّهُ وَمَالَتِ الشَّمْسُ لَمَعِينَ الْمَغِيبِ،
أَطْبَقَ جَفْنَيْهِ عَلَى إِلْفِهِ وَغَاصَ فِي الْمَاءِ حَذَارَ الرَّقِيبِ!
- وَقَالَ فِي الْغَزْلِ:

رَزَمُوا الْغَزَالَ حَكَاةً، قُلْتُ لَهُمْ: نَعَمْ! فَيَا صَدَّهْ عَنِ عَائِقِيهِ وَهَجَرِهِ.
قَالُوا: الْهَلَالُ شَبِهُهُ! فَأَجَبْتُهُمْ: إِنْ كَانَ قَيْسَ إِلَى قَلَامَةِ ظُفْرِهِ.
وَكَذَا يَقُولُونَ: الْمُدَامُ كَرِيْقِهِ! يَا رَبِّ، لَا عِلْمُوا مَذَاقَةَ ظُفْرِهِ.

- وقال في ذهاب الوفاء من الناس:

غاضَّ الوفاءَ فما تلقاه في رَجُلٍ ولا يَمُرُّ بمخلوقٍ على بالٍ
قد صارَ عندهمُ عنقه مُغْرِبَةً أو مثلاً ما حَدَّثُوا عن ألفٍ مثقالٍ.

- في نفح الطيب (٣: ٢٦٨): خَرَجَ ابنُ وهبٍ لِنَظَرِ هِلَالِ شَوَالٍ، وأبو بكر (عبد العزيز) بن القبطرنة الوزيرُ يُسايره وهو يومذاك غلامٌ يُخجلُ البدرَ.....
فارتَجَلَ عبدُ الجليلِ (بن وهبٍ):

يا هِلَالُ، اسْتَبْرِ بِوَجْهِكَ عَنِّي؛ إِنَّ مَوْلَاكَ قَابِضٌ بِشِئَالِي.
هَبْكَ تَحْكِي سَنَاهَ خَدًّا مَجْدُ، قُمْ فَجَنِّبْنِي لِقَسَدِهِ بِثَالِ!

- في معركة الزلاقة (٤٧٩ هـ = ١٠٨٦ م) طُعِنَ فَرَسُ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ فَكَبَا بِهِ
فَسَقَطَ عَنْهُ. فَقَدِمَ لَهُ أَحَدُ جُنْدِيهِ فَرَساً فَرَكِبَهُ وَقَاتَلَ عَلَيْهِ قِتَالاً شَدِيداً. فَقَالَ ابْنُ
وَهْبٍ يَمْدَحُ الْمُعْتَمِدَ بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا:

وَلَمْ يَثْبُتْ مِنَ الْأَشْيَاعِ إِلَّا شَقِيقُكَ وَهُوَ صَارِمُكَ الْحَامُ^(١)؛
يَمَانٍ فِي يَدَيِّ مَاضٍ يَمَانٍ فَلَا نَائِي الْفِرَارِ وَلَا كَهَامُ^(٢).
وَلَمْ يَخْلِكَ طِرْفُكَ، بَلْ فَوَادُ تَمَوَّدَ أَنْ يُخَاصَّ بِهِ الْحَامُ^(٣)!

٤- ** الذخيرة: ٢: ٤٧٣-٥١٩ قلائد العقيان ٢٧٨-٢٨٢ بغية المتنبي
٣٧٤-٣٧٥ (رقم ١١٠١)، الخريدة (المغرب) ٢: ٩٥-١١٠٣ المغرب ١:
٣٩١-٣٩٣، أخبار وتراجم أندلسية ١٩، المغرب ١١٨-١٢٣ فوات الوفيات
١: ٣١٣-٣١٥، أعيال الأعلام ٢٤٦، نفح الطيب ٣: ٣١٨-٣١٩، ٦٠٦، ٤:
٥٩-٦٠ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٩٦٣، نيكل ١٦٥-١٦٧.

(١) الأشياع: الأنصار، التابعون - الصارم: السيف القاطع.

(٢) يمان (الأولى) صفة للسيف (من صنع اليمن). ماض: رجل ذو عزم وإقدام. يمان (الثانية) نسبة إلى
اليمن (المعتمد بن عباد أصله من اليمن - عرب الجنوب). الفرار: حدّ السيف. ناي الفرار (ينبو أي
يرجع عن الضربة ولا يؤثر فيها). الكهام: كالأ (لا يقطع).

(٣) الطرف (بالكسر): الحصان. الحام: الموت.

الْمُعْتَصِمُ بْنُ صَاحِدٍ

١- هُوَ أَبُو يَحْيَى الْمُعْتَصِمُ مُحَمَّدُ بْنُ مَعْنٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ صَاحِدِ التُّجِيبِيِّ،
كَانَ مَوْلَدُهُ سَنَةَ ٤٢٩ (١٠٣٧ - ١٠٣٨ م) فِي مَدِينَةِ وَشَقَّةَ. وَجَاءَ إِلَى حُكْمِ الْمَرْيَةِ فِي
رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٤٤٣ (الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ ٣: ١٦٧).

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ صَاحِدٍ (جَدُّ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صَاحِدٍ) صَاحِبَ مَدِينَةِ وَشَقَّةَ مِنْذُ
أَيَّامِ الْمُؤَيَّدِ هَاشِمِ بْنِ الْحَكَمِ (٣٦٦ - ٣٩٩ هـ). وَلَمَّا قُتِلَ زُهَيْرُ الصَّفَلِيِّ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ
(٤٢٩ هـ) اسْتَوْلَى عَبْدُ الْعَزِيزِ الْعَامِرِيُّ عَلَى الْمَرْيَةِ لِأَنَّ زُهَيْرًا كَانَ مِنْ مَوَالِي
الْعَامِرِيِّينَ. وَلَكِنْ مُجَاهِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَامِرِيُّ صَاحِبَ دَانِيَةَ نَازَعَ عَبْدَ الْعَزِيزِ عَلَى
الْمَرْيَةِ. فَخَرَجَ عَبْدُ الْعَزِيزِ لِلِقَاءِ مُجَاهِدٍ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَرْيَةِ صِهْرَهُ وَوَزِيرَهُ مَعْنُ بْنُ
مُحَمَّدٍ (وَالِدُ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صَاحِدٍ)، فَخَانَهُ فِيهَا وَطَرَدَهُ عَنْهَا ثُمَّ اسْتَبَدَّ بِحُكْمِهَا سَنَةَ ٤٣٣
هـ (١٠٤١ م).

فَلَمَّا تَوَفَّى مَعْنُ، فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٤٤٣ (١٠٥٢ م) خَلَفَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ وَعُمَرُهُ
أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً فَتَوَلَّى عَمَّهُ الْوَصَايَةَ عَلَيْهِ. وَتَسَمَّى مُحَمَّدُ بْنُ مَعْنٍ بِالْمُعْتَصِمِ ثُمَّ بَلَغَ
رُشْدَهُ وَاسْتَقَلَّ بِمُلْكِهِ الصَّغِيرِ فِي الْمَرْيَةِ وَبِجَايَةِ الْأَنْدَلُسِ وَمَا حَوْلَهَا مُنْصَرِّفًا إِلَى لَذَائِهِ
غَيْرَ نَاهِضٍ إِلَى جِهَادٍ وَلَا دِفَاعٍ عَنِ الْبِلَادِ. وَبَنَى قَصْرًا عَظِيمًا جَمِيلًا سَمَّاهُ الصَّاحِدِيَّةَ
وَجَمَعَ فِيهِ نَفَرًا عَدِيدًا مِنَ الشُّعْرَاءِ كَابْنَ شَرْفِ الْبَرْجِيِّ الْقَيْرَوَانِيَّ (ت ٤٦٠ هـ) وَابْنَ
أَخْتِ غَانِمٍ - وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَعْنَرٍ الْمَالَكِيُّ - وَأَبِي حَفْصِ بْنِ الشَّهِيدِ (ت
بَعْدَ ٤٤٤ هـ) وَابْنَ الْحَدَّادِ الْوَادِيَّ أَشْجِيَّ (ت ٤٨٠ هـ) وَالسُّمَيْسِرَ الْإِلْبِيرِيَّ وَنَفَرًا مِنَ
الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي دَوْسٍ الْبَيْهَقِيُّ النَّحْوِيُّ (ت ٤٩٦ هـ) وَأَبُو عُبَيْدٍ
الْبَكْرِيُّ الْجُغُرْفَانِيَّ (ت ٤٨٧ هـ). وَكَانَ فِي آلِ الْمُعْتَصِمِ شُعْرَاءٌ مِنْهُمْ أَوْلَادُهُ عِزُّ الدَّوْلَةِ
وَرَفِيعُ الدَّوْلَةِ وَأُمُّ الْكِرَامِ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صَاحِدٍ فِي ٢٢ مِنْ رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٤٨٤
(١٠٩١/٥/١٤ م) فِي الْمَرْيَةِ. وَحِينَئِذٍ كَانَ فِي النَّزْعِ الْأَخِيرِ حَاصِرُ الْمُرَابُطُونَ الْمَرْيَةَ
وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا. فَلَمَّا سَمِعَ الْمُعْتَصِمُ اخْتِلَافَ الْأَصْوَاتِ فِي أَثْنَاءِ الْحِصَارِ قَالَ: لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ، نَقَصَ عَلَيْنَا كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْمَوْتُ!

٢ - كان المعتصم بن صَاحِدٍ أديباً مُحبّاً للعلم والأدب وأهلها، وكانَ شاعراً مُقلِّلاً يقول بديهةً وعن رويّةٍ، ويقول في المناسبات الوجدانية؛ ولكن لم يجعل الشعر وكذّه ولا شغله. وشعره سلسٌ رقيقٌ عذبٌ. وقد لفتَ المُعْتَصِمُ بنَ صَاحِدٍ الأنظارَ منذَ زَمَنِ بعيدٍ، فقد ألفَ مُحَمَّدُ بنُ أَيُوبَ الأنصاريُّ، في سَنَةِ ٥٦٨ هـ (١١٧٢ - ١١٧٣ م)، كِتَاباً في تَرْجَمَةِ المعتصم بن صَاحِدٍ للسلطانِ الملكِ الناصر صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤ - ٥٨٩ هـ) ذَكَرَ فِيهِ طرفاً من أخباره وشيئاً من أشعاره وحكى صورةَ حِصَارِهِ وَقَوْلَهُ في مرضِهِ: نُفِصَ عَلَيْنَا كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى المَوْتُ! (وفيات الاعيان ٥: ٤٤).

وكان للمعتصم بن صَاحِدٍ بِضْعَةُ أولادٍ يقولون الشعر: عَزُّ الدولة (بُعِيد ٥٠٤ هـ) ورفيع الدولة (نحو ٥٤١ هـ) - وقد أُفِرِدَ لكلِّ واحدٍ منها تَرْجَمَةٌ - ثم:

مُعِزُّ الدولة أبو جعفرٍ أَحَدُ، لَمَلَهُ بِكْرُهُ، إِذْ كَانَ قد رَشَعَهُ لِوَلَايَةِ العهد. قيل تَوَلَّى المُلْكُ بعدَ أَبِيهِ (٤٨٤ هـ) أَيَّاماً ثُمَّ تَرَكَ المَرِيَّةَ هَرَباً مِنَ المُرَابِطِينَ ولجأ إلى بِجَايَةِ (في الجزائر اليوم)، وقيلَ إِنَّ أَبَاهُ أَمَرَهُ بِذلكَ لَمَّا اسْتَوَلَى المُرَابِطُونَ على إِشْبِيلِيَّةٍ وَخَلَعُوا المُعْتَمِدَ بنَ عَبَّادٍ. وكانَ أَبُو جَعْفَرٍ أَحَدُ هذا شاعراً عَادِيّاً لَهُ (المغرب ٢: ٢٠٠ - ٢٠١):

أَتَى بِالْبَذْرِ من فوقِ القَضِيبِ فطَارَتْ مَحْوُهُ طَيْرُ القُلُوبِ^(١).
وَأَشْرَقَ مَا بَاقِيَ من ظِلَامٍ لنورٍ منه في أَفْئِ الجُيُوبِ^(٢).
وَوَلَّى بَعْدَ تَائِسٍ وَبِرٍّ كَمِثْلِ الشَّمْسِ وَلَتْ لِلْمَغِيبِ.

وَأُمُّ الكَرَامِ وَقَدْ اغْتَنَى أَبُوهَا بِتَأْدِيهَا لِمَا رَأَى من ذَكَائِهَا فَقَالَتِ الشَّعْرَ وَنَظَمَتِ قصائدَ وَمُوشَحَاتٍ. غيرَ أَن مَوْشَحَاتِهَا لم تَصِلْ إلَيْنَا. وكانت أُمُّ الكَرَامِ قد عَنَيْتْ قَتْلَ من دَانِيَةٍ مشهوراً بالجهال يُعْرَفُ بالسَّمَارِ وَتَشَوَّقَتْ إِلَيْهِ في شِعْرِهَا. فلَمَّا عَلِمَ أَبُوهَا بِذلكَ خَفِيَ أَمْرُ السَّمَارِ هذا من ذلكَ الحِينِ (أَي قُتِلَ غِيلَةً وَخَفِيَةً). وَمِمَّا قَالَتْهُ أُمُّ الكَرَامِ في التَشَوُّقِ إلى السَّمَارِ (المغرب ٢: ٢٠٢ - ٢٠٣):

(١) البذر كناية عن الوجه الجميل. القضيبي كناية عن القوام المعتدل.

(٢) الجيب: مكان التوب عند العنق (الوجه).

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ سَبِيلٌ لَخَلْوَةٍ يُنْزَهُ عَنْهَا سَمْعُ كُلِّ مُرَاقِبٍ.
وَمَا عَجَبًا، أَشْأَقُ خَلْوَةٍ مِنْ عَدَا وَمَشَاوَاهُ مَا بَيْنَ الْحَشَا وَالتَّرَائِبِ^(١).
- وَمَا قَالَتْهُ أُمُّ الْكَرَامِ بَعْدَ مَقْتَلِ السَّارِ:

يَا مَعْشَرَ النَّاسِ، أَلَا فَاعْجَبُوا بِمَا جَنَنَهُ لَوْعَةُ الْحُبِّ.
لَوْلَاهُ لَمْ يَنْزِلْ يَبْدِرُ الدُّجَى مِنْ أَفْقِهِ الْمُلُويُّ لِلتَّرْبِ^(٢).
حَسْبِي بِعَيْنِ أَهْوَاهُ، لَوْ أَنَّهُ فَارَقَنِي تَابَعَهُ قَلْبِي^(٣)!
وَكَانَ رَشِيدُ الدَّوْلَةِ - أَبُو يَحْيَى مُحَمَّدُ بْنُ عَزَّ الدَّوْلَةِ - حَفِيدُ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صَاحِدٍ
يَنْظِمُ الشَّعْرَ أَيْضًا. وَكَانَ شَعْرُهُ عَادِيًّا. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ (الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ٢: ١٩١):

صَبْرًا عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ، إِنَّ لَهُ يَوْمًا كَمَا فَتَكَ الْإِصْبَاحُ بِالظُّلَمِ.
إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مُقْتَدِرٌ، فَيَقْبُ بِهَ تَلَقَّى رُوحَ اللَّهِ مِنْ أُمِّ^(٤).
وَقَلْبًا صَبَرَ الْإِنْسَانُ مُحْتَسِبًا إِلَّا وَأَصْبَحَ فِي فَضْفَاضَةِ النِّعَمِ^(٥).

٣- مختارات من أشعاره

- ورد الشاعر النحلي على المرية في أسنانه سُودٌ بِالْيَةِ فَكَتَبَ إِلَى الْمُعْتَصِمِ يَقُولُ
مُسْتَمِيحًا وَيَذْكُرُ أَنَّ الْحُجَابَ مَنَعُوهُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ:

أَيَا مَنْ لَا يُضَافُ إِلَيْهِ ثَانٍ وَمَنْ وَرِثَ الْمُسْلَى بَابًا فَبَابًا^(١)،
أَيَجْعَلُ أَنْ تَكُونَ سَوَادَ عَيْنِي وَأُبْصِرَ دُونَ مَا أَنْعَى حِجَابًا
وَيَفْشِي النَّاسُ كُلُّهُمْ حَامًا وَأَمْشِي بَيْنَهُمْ وَخِدي غُرَابًا^(٢)!

-
- (١) التَّرائِبُ (جمع تربية): عظام الصدر العليا. ما بين الحشا والتَّرائِبِ (في قلبي).
(٢) لَوْلَاهُ - لَوْلَا الْحُبِّ. بِدَرِ الدُّجَى (كتابة عن المحبوب). لِلتَّرْبِ (للقرب).
(٣) يَكْفِينِي أَنَّهُ إِذَا فَارَقَنِي مَحْبُوبِي (بالموت) فَإِنَّ قَلْبِي يَتَّبِعُهُ (مات بموته، يرافقه ولا ينساه!).
(٤) تَلَقَّى رُوحَ اللَّهِ (مُؤَيَّدًا لَكَ مِنَ اللَّهِ) مِنْ أُمِّ (مِنْ قَرَبٍ): سَرِيعًا.
(٥) الْمُحْتَسِبُ هُوَ الَّذِي يَرْجُو الثَّوَابَ عَلَى عَمَلِهِ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ.
(٦) لَا يُضَافُ إِلَيْهِ ثَانٍ: لَيْسَ فِي الْبَشَرِ مَنْ يَدَانِيهِ فِي جَمْدِهِ وَكِرْمِهِ الْخ.
(٧) يَكُونُ النَّاسُ فَرَحِينَ فِي مِثْلِ ثِيَابِ الْعِيدِ (لَأَنَّ الْحَمَامَ مَخْتَلِفَةُ الْأَلْوَانِ زَاهِيَةِ الرِّيشِ)، وَأَكُونُ أَنَا وَحْدِي غُرَابًا (أُبْسِ ثِيَابًا سُودًا حَزِينَةً، لِأَنَّ الْغُرَابَانَ كُلَّهُمَا سُودَ).

فأرسل إليه المعتصم مالاً وثياباً وكتب إليه يقول:

وَرَدْتُ وَلَيْلَ الْبُهِيمِ مَطَارْفٌ عَلَيْكَ، وَعِنْدِي لِلصَّبَاحِ بُرُودٌ^(١)
وَأَنْتَ لَدَيْنَا، مَا بَقِيَتْ، مُقَرَّبٌ وَعَيْشُكَ سَلَالُ الْجَاهِمِ بُرُودٌ^(٢)

- وَبَلَغَ إِلَى الْمُعْتَصِمِ عَنِ الشَّاعِرِ ابْنِ عَمَّارٍ (قَتْلَهُ الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ، سَنَةَ ٤٧٧ هـ)

أَنَّهُ يَغْتَابُهُ فَقَالَ:

(وَرَزَّهَدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ) وَطُولُ اخْتِبَارِي صَاحِباً بَعْدَ صَاحِبٍ^(٣)
فَلَمْ تُرِنِي الْأَيَّامُ خِلاً تُسُرُّنِي مَبَادِيهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي الْعَوَاقِبِ^(٤)
وَلَا قُلْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مِلْسَةٍ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى الْمَصَائِبِ^(٥)

- وَقَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ:

تَمَنَّنْتُ بِالنِّعَمَاءِ حَتَّى مَلَأْتُهَا، وَقَدْ أَضْجَعْتُ عَيْنِي يَمَا سَمِنَتْهَا!
فِيَا عَجَباً، لَأَا قَضَيْتُ قَضَاءَهَا وَمَلَأْتُهَا عُفْرِي تَصَرَّمٌ وَقُتْلَهَا^(٦)

- ٤- ** قلائد العقيان ٥٣ - ٥٧؛ الذخيرة ٢: ٧٢٩ - ٧٣٦؛ المغرب ٢: ١٩٥ - ١٩٨،
الوافي بالوفيات ٥: ٤٥ - ٤٧؛ الخريدة (المغرب) ٢: ٨٣ - ٨٩؛ المطرب
٣٤ - ٣٨؛ الحلة السراء ٢: ٧٨ - ٨٨؛ وفيات الأعيان ٥: ٣٩ - ٤٥؛ البيان
المغرب ٣: ١٦٧، ١٧٣ - ١٧٥، ١٩٢؛ أعمال الأعلام ١٩٠ - ١٩٢؛ نفح
الطيب ١: ٦٦٦ - ٦٦٧، ٣: ٢٦٣ - ٢٦٤، ٣٢٨ - ٣٢٩، ٤١٢ - ٤١٣،
٥٠٣ - ٥٠٥؛ ثمرات الذهب ٣: ٣٧٢ - ٣٧٣؛ دائرة المعارف الإسلامية؛
نيكل ١٨٣ - ١٨٤، مختارات نيكل ١٢٥ وما بعده؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣٢٧.
(١٠٦).

* ترجمة «محمد بن عبادة القزّاز» (ت نحو ٤٨٨ هـ) ستأتي (لخطأ غير مقصود) على
الصفحة ٧٤٤.

- (١) المطرف: رداء من خزّ (حرير) ذو أعلام مربّعة. البرد (بضمّ الباء): ثوب رقيق من حرير.
(٢) السلال: العذب (الحلو) البارد. الجاهم: أطراف (حوض الماء). برود (بفتح الباء): بارد سيكون لك
عيش ناعم رغيد.
(٣) الشطر الأوّل للمعري، وقامه: وعلمي بأن العالمين هباء.
(٤) مباديه = مبادئه: في أوّل أمره. العاقبة: آخر الأمر.
(٥) الملمّة: المصيبة.
(٦) المعنى غامض

عبد العزيز بن أرقم

١ - هو أبو الأصبح عبد العزيز بن محمد بن أرقم النُميري الوادي آشي كان كاتباً لدى ملوك الطوائف: كَتَبَ عن مُجاهدِ العامري صاحبِ دانية (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ) إلى المُعِزِّ بن باديس ملكِ المَغْرِبِ (٤٠٦ - ٤٥٣ هـ) وعن عبدِ الملكِ بن رَزِينِ (٤٣٦ - ٤٩٦ هـ) صاحبِ السهلةِ واتَّصل بالمُعتمدِ بن عبادِ ملكِ إشبيلية (٤٦١ - ٤٨٤ هـ) وكان وزيراً للمُعْتَصِمِ بن صَاحِدِ صاحبِ المَرْيَةِ (٤٤٤ - ٤٨٤ هـ) - وقيل هو ذو الوَزارَتين (الذخيرة ١ : ٧٤٠)، كما كَتَبَ عن مُجاهدِ العامري إلى صاحبِ مِصْرَ (المستنصر أبي تَمِيمٍ مَعَدٍّ)، سنة ٤٥٢ هـ (١٠٦٠ م).

وكانت وفاة ابن أرقم هذا في أيامِ المعتمدِ بن عبادِ. ولعلَّ ذلك كان نحوَ سَنَةٍ ٤٧٥ هـ (١٠٨٢ م).

٢ - كان أبو الأصبح بن أرقم «أحدَ كُتَّابِ الجزيرة المَهْرَةِ والنَّقْدَةِ الشَّرَعَةِ» بارعاً في النثر عارفاً باللغة مُحيطاً بفنونِ من العلم. وكان له اتِّجَاهٌ دينيٌّ في الكِتَابَةِ وفي السُّلُوكِ، كثيرُ الاستشهادِ بالقرآن والحديث وبالأمثال والأشعار، حسنُ الرويَّةِ والارتجالِ كِتَابَةً وخطاباً، جدّاً وهزلاً. وكان فوق ذلك كريمَ الأخلاق كثيرَ الوفاء. كان ابنُ صَاحِبِ المَرْيَةِ قد أرسلَ أبا الأصبح بن أرقم في أمرٍ إلى المعتمدِ بن عبادِ. فأعجِبَ المعتمدُ بابنِ أرقم وأرادَ إفساده على المعتمدِ للاحتفاظ به زينةً لبِلاطه هو. فقال له ابنُ أرقم: «ما رأيتُ من صاحبي ما أكرهُ فأؤثِّرُ عندَ غيره ما أحبُّ. ولو رأيتُ (عنده) ما أكرهُ لَمَا كان من الوفاء تركي له في حينِ قَوْضِ إِلَيَّ أمره ووَقْوَ بي وحَمَلَنِي أعباء دولته».

فاستَحَسَنَ ابنُ عبادِ ذلك منه وقال له (إِذْنَ) فَاكْتُمَ عَلَيَّ.

فلَمَّا عاد ابنُ أرقم إلى صاحبه (المعتمدِ بن صَاحِدِ) سأله عن جميع ما جرى له. فقال ابنُ أرقم له:

«... وجرى لي معه (مع المعتمد) ما إنْ عَلِمْتُكَ به أنْ تَحْسَبَ فيه كالامتنانِ

والاستظهار، وتَظُنُّ أَنْ خَاطِرِي قَدْ فَسَدَ بِهِ. وَإِنْ كَتَمْتُكَ لَمْ أَوْفَّ النَصِيحَةَ حَقًّا. وَخِفْتُ أَنْ تَطْلَعَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِي فَيَحْطِيَنَّ ذَلِكَ مِنْ عَيْنِكَ وَتَحَسَبَ فِيهِ كَيْدًا. ثُمَّ إِنَّ ابْنَ أَرْقَمَ أَخْبَرَ الْمُعْتَصِمَ بِمَا كَانَ قَدْ اتَّفَقَ لَهُ مِنَ الْحَدِيثِ فِي بَلَاطِ الْمُعْتَمِدِ.

٣ - مختارات من آثاره

- كتب أبو الأصبغ عبد العزيز بن أرقم عن إقبال الدولة علي بن مُجاهدٍ صاحبِ دَانِيَّةٍ (٤٣٦ - ٤٦٨ هـ) إلى المُسْتَنْصِرِ الفاطميِّ في مُصَرِّ رسالةٍ جاء فيها:

... إِذَا كَانَتْ نِعَمُ اللَّهِ عِنْدَ الْحَضَرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ^(١) مُشْرِقَةً الْمَطَالِعِ وَرَحِيَّةَ الْأَرْجَاءِ وَالْمَرَاتِعِ، وَكَانَ أَنْصَارُهَا وَعَبِيدُهَا وَكُتَاتِبُهَا الْمَنْصُورَةُ وَجُنُودُهَا الْمَرْهُوبَةُ - فِي اجْتِمَاعِ كَلِمَتِهِمْ عَلَى طَاعَتِهَا وَاتِّفَاقِ مِنْ أَهْوَانِهِمْ فِي مُنَاصَحَتِهَا وَتَضَافُرِ^(٢) مِنْ جَمِيعِهِمْ عَلَى خِدْمَتِهَا - فَقَدْ غَلَّتْ يَدُ الْإِسْلَامِ وَاحْتَمَى عِزُّهُ أَنْ يُضَامَ وَجَانِبُهُ أَنْ يُرَامَ. وَشَمِلَتْ نِعْمَاهَا الْأَقْطَارَ وَأَمَدَّتْ أَقَاصِي الدِّيَارِ وَأَبْرَتْ عَلَى نَائِي الْمَزَارِ^(٣). فَهِيَ جُمَاعُ الدِّينِ وَرِدُّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَحْفِلُ الْمُسْلِمِينَ^(٤)... وَمِمَّا وَجَبَ التَّعْرِيفُ بِهِ مَا عَمَّ أَقْطَارَ تَقَرُّنَا وَغَشِيَ جَمَاعَ أَقْفَانَا^(٥) مِنْ تَهَالُؤِ النَّصَارَى وَتَضَافُرِهِمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْنَا بِجَمْعِ^(٦) لَا عَهْدَ لَنَا بِمِثْلِهِ مَلَأَ الْفُضَاءَ وَطَبَّقَ الْأَرْجَاءَ، وَشَعَلْنَا بِالْفِتْنَةِ^(٧) بَيْنَنَا عَنْ تَخْفِيفِ وَطَائِهِمْ وَتَضْعِيفِ سَوَرَتِهِمْ^(٨)؛ فَطَمَسُوا الْآثَارَ وَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، مَوْفُورِينَ^(٩) لَا

(١) الحضرة الإسلامية (يفسد: القاهرة التي هي عاصمة إسلامية قوية).

(٢) التضافر: الاجتماع للتعاون على أمر ما.

(٣) أبر: أحسن إلى الناس (وتفضل عليهم). ناي: بعد (بضم الباء).

(٤) جماع (بضم الجيم وتشديد الميم، أو بكسر الجيم وتسهيل الميم): أصل النية، وجماعه (مركزه، تماسكه).

الردة: المعين، الناصر. المحفل: مكان اجتماع العدد الكبير من الناس.

(٥) الثغر: (هنا) المكان الذي يهدده العدو. غشي: غطى، عم. أقفنا (الناحية التي نسكنها).

(٦) الأوب: الجهة. بجمع (بفتح الكير).

(٧) واشتغلنا بالفتنة (بحرب بعضنا بعضاً).

(٨) الوطء: الدعس بالرجل. السورة: الشدة.

(٩) طمس: محو. الآثار: البناء القائم. جاس (تردّد) خلال (بين) الديار: أفسد فيها وخرّبها. موفورين: لم يسمهم أذى.

مانع منهم ولا دافع لهم إِلَّا التَّفَاتَةُ اللهُ تعالى لأهلِ دِينِهِ بِأَنْ أَقْلَ فَاثَدَّتْهُمْ وَخَيْبَ مَرَامَهُمْ وَأَطَاشَ سِيَاهَهُمْ^(١). والحمد لله على مَنَحَتِهِ وَمِخْنَتِهِ.

- وله من رُقْعَةٍ طَوِيلَةٍ خَاطَبَ بِهَا الْفَقِيهَ أَبَا بَكْرٍ صَاحِبَ الْأَخْبَاسِ^(٢) وَشَرَحَ فِيهَا عِدَدًا مِنَ الْكَلِمَاتِ وَرَدَّتْ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ، وَكَانَ ابْنُ سَيِّدِهِ^(٣)، قَدِ انتَقَدَهَا. وَحَلَّ ابْنُ أَرْقَمَ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ عَلَى ابْنِ سَيِّدِهِ، وَعَلَى الَّذِينَ زَيْنُوا لَابْنَ سَيِّدِهِ أَنْ يَنْتَقِدَهُ. وَيَبْدُو أَنَّ أَبَا بَكْرٍ صَاحِبَ الْأَخْبَاسِ كَانَ شَيْخَ (أَسَاز) ابْنِ أَرْقَمَ. وَالرِّسَالَةُ مَصُوغَةٌ فِي قَالِبٍ مِنَ التَّهَكُّمِ. وَسَاطَرَكْ هَذِهِ الرِّسَالَةَ بِلَا شَرْحٍ، إِلَّا فِي النَّادِرِ، لِأَنَّ شَرْحَهَا يَقْتَضِي مِسَاحَةً وَاسِعَةً لَهَا فِيهَا مِنَ الْأَعْلَامِ وَأَسْمَاءِ الْكُتُبِ وَالتَّوَرِيَّاتِ وَالْإِشَارَاتِ التَّارِيخِيَّةِ:

لَمَّا كُنْتُ - أَعْرَكَ اللهُ - فِي أَكْفَ الْآدَابِ عِلْمًا وَعَلَى لِسَانِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِ قَبِيًّا^(٤)، لَا قَبْسَايَكِ الْعِلْمَ مِنْ كُتُبٍ وَوَرَاثَتِكَ إِيَّاهُ عَنْ كِلَالَةِ أَبِي^(٥). وَلَمْ تَرَكْ تَلَقَّاهُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ وَبَاهِرًا عَنْ بَاهِرٍ: لَسْتُ ابْنَ سَمْعِكَ وَلَا عَبْدَ طَمْعِكَ^(٦)، تُقَلِّدُ كَاتِبًا سَازِجًا وَتَعْتَقِدُ قَارِئًا هَازِجًا^(٧) وَتَقْبَلُ الْبَصَرَ بِلَا بَصِيرَةٍ وَتَقْفُو الْأَثَرَ عَلَى غَيْرِ وَتَبِيرَةٍ^(٨). تُرَاعِي الْحُرُوفَ وَلَا تُبَالِي التَّحْرِيفَ. وَتَتْلُو الصُّحُفَ وَلَا عَلَيْكَ بِالتَّصْحِيفِ^(٩). وَلَمْ تَقْتَصِرْ عَلَى حِفْظِ سَطُورٍ مِنْ كِتَابِ سَيِّبَوِيَّةٍ، وَ« شَرْحِ الْفَصِيحِ » لِابْنِ دَرَسْتَوِيَّةٍ، وَاسْتَظْهَارِ

(١) أَطَاشَ سِيَاهَهُمْ: جَمَعَ سِيَاهَهُمْ يَنْحَرِفُ فَلَا يَصِيبُ هَدَفَهُ. (لَمْ يَنَالُوا مَا كَانُوا قَدْ أَمَلُوا).

(٢) الْأَخْبَاسِ: الْأَوْقَافُ. صَاحِبُ الْأَخْبَاسِ: الْمَوْظَفُ الْمُشْرِفُ عَلَى إِدَارَةِ الْأَوْقَافِ. أَبُو بَكْرٍ صَاحِبُ الْأَخْبَاسِ (٤).

(٣) ابْنُ سَيِّدِهِ (أَنْظُرْ، فَوْقَ، ز، ص ٥٦٠).

(٤) قَبِيًّا: وَكِيلًا، حَافِظًا (مُقْتَدِرًا فِي اللُّغَاتِ).

(٥) الْكِلالَةُ: أَنَّ مَيُوتَ زَجَلٍ لَيْسَ لَهُ زَوْجَةٌ وَلَا أَوْلَادٌ فَيُورَثُهُ أَقَارِبُهُ (الْمَقْصُودُ: وَرِثْتُ أَدَبَ رَجُلٍ لَيْسَ لَهُ وَرِثٌ غَيْرُكَ).

(٦) لَسْتُ ابْنَ سَمْعِكَ... (لَمْ تَسْمَعْ الْعِلْمَ عَرْضًا فَقَطْ وَلَا أَنْتَ تَعْرِفُ الْأَشْيَاءَ بِالطَّبِيعِ وَحْدَهُ بِلَا تَعَلُّمٍ - بَلْ تَلَقَّيْتَ الْعِلْمَ مَنْطَلًا عَلَى شَيْوِخٍ أَوْ أَسَازِدَةٍ).

(٧) السَّازِجُ: الْبَسِيطُ (غَيْرُ الْمُتَعَفِّفِ). تَعْتَقِدُ قَارِئًا هَازِجًا (مَطْرَبًا، مُخْتَلِئًا).... (٤)

(٨) تَقْفُو (تَتَّبِعُ) الْأَثَرَ (الطَّرِيقَ الَّذِي خَطَّهُ غَيْرُكَ) عَلَى غَيْرِ وَتَبِيرَةٍ (طَرِيقَةِ مَنْظُومَةٍ).

(٩) التَّحْرِيفُ: الْخُرُوجُ عَلَى الْمَعْنَى. التَّصْحِيفُ: تَبْدِيلُ حُرُوفٍ بِحُرُوفٍ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ.

أوراق من الغريب، والتحفُّظ مع الشروق ما تنساه في المنيب. ولم تُشدَّ إلى المخرفة بفرغوريوس^(١)، ولا القطرسة بأرسطاطاليس، والفرقة بقافات أرثاطيقا وأنالوطيقا^(٢)، والصغير بسينات قاطيغوريوس وباري أرمنياس^(٣). و (لا) ضيَّعت علوم القرآن والتفنُّن في حديثه عليه السلام وصحابيته، وتفهَّم أغراضه ولغاته، واجتَنَّا زهره وثمراته. و (لا) أغفلت «الكامل» و «البيان» وتواريخ الأزمان ونوادر البلغة أهل اللسان والبيان^(٤) و (لا) أهملت أشعار العرب والمُحدثين^(٥)، إلَّا طلبك أثراً بعد عين، وقد أُرِيت على السنين^(٦). ولم تتمعدَّد أعجمياً، ولم تتبغَّد بدوياً^(٧)، ولم تكن مرةً شيبياً ومرةً قطرياً^(٨)، وتارةً طبيعياً، وتارةً فلَكياً. ولم تتربَّب حِصْراً، ولم تتشَحَّم ورماً^(٩)..... وأنت الذي أدرَّ لي غنائم الأدب وأطلع لي من كائمه كلَّ مُعْجِبٍ^(١٠)، وما كاد الشابُّ يحلَّ قِثامي، ولا الزمانُ يُطلِّعني على كائمي^(١١)... فأندب العلم وأهليه، وآرثه وحامليه، واثبك رؤومه وحيَّ طولوه وسلمَّ

(١) كتاب سيبويه في النحو، كتاب الفصح في اللغة. الغريب: الكلام القليل الدوران في حديث الناس. تشد إلى (ق). شدا من العلم بشدو (حصل منه شيئاً قليلاً). المخرفة: الكذب والتمويه على الناس البسطاء. فرغوريوس الصوري له كتاب ايساغوجي (المقدمة إلى المنطق).

(٢) ارسطوطاليس كبير فلاسفة اليونان. أرثاطيقا (علم الحساب) وأنالوطيقا (القياس) من أقسام المنطق.

(٣) قاطيغوريوس (المقولات: الألفاظ المفردة) وباري أرمنياس (المبارة، تركيب الكلمات المفردة) من أقسام المنطق (وهي من تأليف أرسطوطاليس).

(٤) اللسان (يسكون السنين): اللغة عامّة. و (يفتح اللام والسين): الفصاحة والبلاغة. البيان: المقدرة في جعل الكلام صحيحاً وواضحاً.

(٥) أشعار العرب (البدو، الجاهليين) والمحدثين (العباسيين، أهل الحضرة).

(٦) أربي على (زاد عمره على).

(٧) لم تنسب إلى العرب بينا أنت فارسي. ولم تتبغَّد (تنسب إلى بغداد، إلى الحضرة...).

(٨) شبيب بن يزيد الشيباني من الخوارج الصفرية (قتل ٧٦ هـ) وقطري بن الفجاءة (ت ٧٩ هـ) من الخوارج أيضاً. لم تبك مبدأك مرة بعد مرة.

(٩) لم تبرز في الحياة قبل أوانك ولا كان مظهرك الخارجي خلاف حقيقة أمرك.

(١٠) أدر (سكب)، - منك تلمت الأدب (الشعر والنثر). الكأمة (بكر الكاف): الكأس من النبات (الأوراق الخضر التي تكون فيها الزهرة قبل أن تنفتح).

(١١) التيمية: حرز تلمقه الأمهات في أعناق أطفالهن (حلت عنه التام: أدرك مدرك الرجال). الكائم (هنا): المستور من المقدرة الشخصية في العلم والأدب وغيرها.

عليه تسليمٌ وداعٍ وأشيقٌ لعلقهِ^(١) المصاع. واعلم أن صدعَه كصدعِ الرُّجاجةِ أعياء الصنّاع^(٢). فإيا له مَفْنَى هُجِرَ على بَرْدِ مَوَاقِعِهِ وَبَقْلًا^(٣) زُهْدٍ فيه على شرفِ موضعه... ولم يَتَّقِ إِلَّا من قَدَمَتْ نُعُوتُهُ وَحَلَاهُ، ووصفتُ حَدْوَهُ، وَحَدَّيَاهُ^(٤)، وَأَغْنَانِي. ما صَدَرَتْ^(٥) به عن إعادة ذِكْرِهِ... فَأَقْتَتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا. ومن الأمرِ المُعْجِبِ وَالخَطْبِ المُغْرِبِ^(٦) أَنَّهُمْ يَدَّعُونَ - على جهلهم وما بَيَّنْتُ من وَصْفِهِم - التُّرُوسَ في الأدب من غيرِ رِيَاةٍ، والمَنَافِةَ لِأَهْلِيهِ من غيرِ نَفَاسَةٍ، وَمُنَاقِضَةً ذَوِي العِلْمِ بِاللِّسَانِ بِالْهَذْيَانِ^(٧) حينَ آتَوْا^(٨) عَدَمَ المُتَّقِدِ وَقُودَانَ المُتَّقِدِ.

... وتفسير ما أَجْعَلْتُهُ وتفصيل ما أَنَهَمْتُهُ أوردته عليك بحلولِ العُقْدَةِ مَنْصُوءِ البُرْدَةِ^(٩). وذلك أن إقبال الدولة - أَيْدُهُ اللهُ - أمرني بإنشاء رسالتين إلى مصر. فلَمَّا عَلَتْ شُرَفَاتُهَا وَرَوَّضَتْ عَرَصَاتُهَا^(١٠)، وَرَدَّ عَلَيْهِم مِّنْهَا المُقِيمُ المُقْعِدُ^(١١). وكاد يُهْلِكُهُمُ الحَسَدُ... وطاروا طَيْرَانِ الفَرَّاشِ حَوْلَ النَّارِ وَجَالُوا جَوْلَانِ الذُّبَابِ بَيْنَ الْأَزْهَارِ، مَرَّةً يَسْتَفْتُونَ الفُقَهَاءَ، وَمَرَّةً يَسْتَشْهَدُونَ الفُهَاءَ. ومَرَّةً يَقُولُونَ: هَذَا يُسَالُ

-
- (١) أدب العلم (الآن): ابك عليه (لأنه ضاع في هذا الزمان). الطلل (مكان الخيمة بعد أن ترفع من مكانها - لم يبق من العلم إلا آثار يسيرة). العلق: الشيء النفيس.
 - (٢) الصدع: الشق. أعياء: أعجز. الصنّاع: البارع في صناعته (والزجاج إذا تكسر لا يعود إلا إذا سلك من جديد).
 - (٣) المعنى: المنزل المسكون. البقل: النبات الصالح لطعام البشر.
 - (٤) الحدو: جعل الشيء على قياس معلوم. الحديا (ما كان قريباً منك) - وصفته هو وما يتصل به.
 - (٥) صَدَرَتْ به (أوردته في صدر رسالتي).
 - (٦) المعجب (الذي يتعجب منه الناس) والخطب (المصيبة) المغرب (المستغرب عند الناس).
 - (٧) الهذيان: الكلام المضطرب الخارج على المعقول (من أثر مرض أو نحوه).
 - (٨) آتَوْا: أبصروا، علموا.
 - (٩) مَنْصُوءُ: مخلوع البردة (غير لابس ثيابه)، بصراحة.
 - (١٠) الشرفة: شبه نافذة بارزة يطلُّ الناس منها على ما هو خارج بيوتهم. رَوَّضَ: كثر التنبُّت (في المكان). العرصة (بالفتح): الباحة الواسعة أمام الدار، أو بالعراء (في الخلاء) - يقصد: لما ظهرت براعته في رسائله.
 - (١١) القيم المقعد: (الهم الذي يجعل صاحبه مضطرباً لا يستقر من الغضب أو الغزع...)

عنه إن كان يقال، وربّما كان له في مضمار اللّغة مجال^(١). (تم) يتسوّرون ويتسوّرون^(٢)، حديثُ النسبِ بعدَ البُعولِ وهَرِيفُ الإماءِ دونَ الكَفِيلِ^(٣)... فأتفق رأيهم واستمرّ هذّهم إلى سؤالِ أبي الحسنِ ابنِ سيده. فلم يُفكّرْ أبو الحسنِ في العواقب ولم ينظرْ نظراً أهلِ التجاربِ. فسَلّمَ لهم واعتَرَّ بمثلِ وشي الحَيَاتِ^(٤)، وانقاد في زِمَامِ الزّخارفِ والتّرهاتِ^(٥).... فردّ مواضعُ أنا واصِفُها وجوابُها على سرِّد^(٦)، وذاكِرها وما يجلو ارتيائها على حرِّد

- لابن أرقم مقاطع من الشعر:

نشرتْ عليك من النعم جناحا خضراء صيرت الصباح وشاحا^(٧).
تحكي بخفي قلب من عاديتَه مها تُصافح صفحها الأرواحا^(٨).
ضمنت لك النعمى برأي ظافر فترقب الفأل المثير صباحاً.
نقى الخيل يقتادها ذُبلاً خفافاً تُباري القنا الذابلاً^(٩).
ترى كل أجرد سامي التليد لي وتحسبه غصناً ماثلاً^(١٠).

- (١) ينتقدون كل لفظ (في رسائله) فإذا وجدوا فيها شيئاً صحيحاً لا مجال (موضع) للنقد فيه، قالوا (تقليلاً لثأته): «ربما كان جائزاً في اللغة».
- (٢) تسور (المجدار) نسقه. تسور: هجم على. (هنا): انتقدوا رسائي بالباطل. تسور غير موجودة في القاموس. استوروا: تشاوروا (تعاونوا على نقض رسائي).
- (٣) حديث (بالرفع - ونحوه بالنصب) النساء بعد البعول (بعد فراق أزواجهن بالموت أو بالطلاق، ويكن عادة كثيرات الكلام فيها لا ينفع). حرف الرجل: قال كلاماً غير مفهوم وغير معقول أو قال عن جهل. الأمة (بفتح ففتح): الجارية دون الكفيل (ليس معها من هو مسؤول عنها فتحدثت في كل شيء).
- (٤) وشي الحيات (ربما كان جلد الحية جيل الرقش، ولكن الحية تكون مؤذية).
- (٥) الزخرف: الكلام المنقّ بلا صفة. الترهة: الباطل.
- (٦) على سرّد: متابع (كان الجواب بسرعة). المرد: البعد عن الناس (هنا: البعد عن الحق).
- (٧) خضراء (رأية خضراء)...
- (٨) قلوب أعدائك تخفق (ترتجف خوفاً منك) مثل خفقها (تحركها هي. الأرواح جمع ربح. صنع جمع صفحة. مها (كثراً) مَتَّ الرياح أحد صفحها (وجهها).
- (٩) ذابل: نحيل. القنات: الرمح. باري: ناس. - تقود خيلاً نحيلة كأنها رماح (النحيل النحيلة تستطيع المجري بسرعة).
- (١٠) الأجرد: الحصان الخفيف الشعر (وذلك من صفاته الحسنه). التليل: العنق.

- وله مطلع موشحة:

★ مَسِيمُ الْبَهْرَمَانِ
فِي الْمُحْيَا الدُّرِّي
صَادَ قَلْبِي وَبَانَ^(١)
وَأَنَا لَمْ أَذُرْ.

٤ - ★★ الذخيرة ١: ٧٤٠، ٢: ٤٦، ٣: ١٥٠، ٣٦٠ - ٤٠٩، ٥٠٥ - ٥٠٦: التكملة
٦٢٢ (رقم ١٧٣٥)، نفع الطيب ٣: ٣٩٨ - ٣٩٩: نيكل ١٨٧، مختارات نيكل
١٢٨ - ١٢٩: الأعلام للزركلي ٤: ١٥١ (٢٥).

الراضي العبّادي

١ - هُوَ الرَّاضِي أَبُو خَالِدٍ يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ، لَعَلَّ مَوْلَدَهُ كَانَ نَحْوَ ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م). كَانَ الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ قَدْ اسْتَنْابَ مَرَّةً عَلَى مُرْسِيَّةٍ وَزِيرَهُ ابْنُ عِمَارٍ فَطَمَعَ ابْنُ عِمَارٍ مُرْسِيَّةً وَأَسْتَبَدَّ بِهَا وَخَلَعَ طَاعَةَ ابْنِ عَبَّادٍ. فَاحْتَالُ ابْنُ عَبَّادٍ فِي الْقَبْضِ عَلَى ابْنِ عِمَارٍ ثُمَّ أَرْسَلَ ابْنَهُ الرَّاضِيَّ لِتَسْلِمِ ابْنِ عِمَارٍ مِنْ يَدِ أَسِيرِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ٤٧٧ هـ.

وَتَوَلَّى الرَّاضِي عَلَى الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ (مَدِينَةٍ فِي أَقْصَى الْجَنُوبِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ). فَلَمَّا أَرَادَ يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ الْجَوَازَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ اسْتَعْدَادًا لِمَعْرَكَةِ الزَّلَاقَةِ (٤٧٩ هـ) اشْتَرَطَ أَنْ تَكُونَ الْجَزِيرَةُ الْخَضْرَاءُ لَهُ مَكَانًا لِتَجْمِيعِ جُيُوشِهِ. فَنَزَلَ الْمُعْتَمِدُ عَنِ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ وَأَمَرَ ابْنَهُ الرَّاضِيَّ أَنْ يَنْتَقِلَ وَالْيَا عَلَى رُنْدَةَ (عَلَى مَسَافَةِ بَسِيرَةٍ شِمَالِ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ). وَبَعْدَ أَنْ اسْتَوْلَى الْمُرَابِطُونَ عَلَى إِشْبِيلِيَّةٍ وَخَلَعُوا الْمُعْتَمِدَ حَاصِرُوا رُنْدَةَ. وَرَأَى الرَّاضِي أَنْ يَنْزِلَ لِلْمُرَابِطِينَ عَنْ رُنْدَةَ طَوْعًا، حِفَاطًا عَلَى حَيَاتِهِ وَحَيَاةِ أَبِيهِ، فَأَخَذَ مِنَ الْمُرَابِطِينَ مَوْثِقًا بِأَنْ يُبْقُوا عَلَيْهِ. وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا وَقَتَلُوهُ فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٤٨٤ هـ (خَرِيف ١٠٩١ م).

(١) مَسِيمٌ: ثَمَرٌ (فم). الْبَهْرَمَانُ (وَالسَّبَّةُ إِلَيْهِ بَهْرَمَانِي): بَيْتُ ذُو زَهْرٍ أَحْمَرٌ يَصْبِغُ بِهِ (يُشَبِّهُ بِذَلِكَ الشَّعْنَيْنِ). الْمُحْيَا: الْوَجْهَ. الدُّرِّي (نَسَبَةٌ إِلَى الدُّرِّ: اللَّوْثُ): الْأَبْيَضُ. بَانَ: ابْتَعَدَ (هَجَرَنِي).

٢- كان الراضي بن المعتز العبادي من أهل العلم والأدب كلفاً بالمطالعة والدراسة قرأ كتب أبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) وكتب ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ) ففهر في أصول الفقه ولكن ذهب إلى النظر والاختبار^(١). ثم إنه كان عالماً بالشرعيات واقفاً على الطبيعيات ذاكراً للعرب وأنسابها جافظاً للغة وآدابها. و«كان شاعر بن عباد بعد أبيه، غير أنه أقوى عارضة^(٢) من أبيه، وأبوه ألطف طبعاً وأرق صنماً». وشعره خلوص سلس واضح المعاني يجري على السجية لا تكاد تلمح فيه أثرًا للصنعة. وفنونه النسب والميتاب والحكمة.

٣- مختارات من شعره

- قال الراضي بن المعتز بن عباد في النسب:

مرّوا بنا أصلاً من غير ميعاد فأوقدوا نار شوقي أيّ إيقاد^(٣).
وأذكروني أياماً لمهوت بهم فيها ففازوا بإيثاري وإخادي^(٤).
لا غرو أن زاد في وجدي مرورهم، فروية الملك تذكى غلة الصادي^(٥).

- وقال يعاتب أباه المعتز، «وكان أبوه قد أنهض جماعة من إخوته دونه» (أنعم عليهم أو عهد إليهم بأمر جليل):

أعيذك أن يكون بنا خمول ويطلع غيرنا، ولنا أقول^(٦).
حنانك! إن يكن جرمي قبيحاً، فإن الصفح عن جرمي جميل.
وإن عثرت بنا قدم سفاهاً، فإنني من عثاري مستقيل^(٧).
وأحسن ما سمعت به - عزيز يُناديه فيرحمه - ذليل.

(١) النظر: تحكم العقل. الاختيار (أن الإنسان حر في أفعاله غير مجبر عليها).

(٢) قوي العارضة (المعجم الوسيط ٦٠٠): ذو قدرة على الكلام وذو بديهة (ارجال) ورأى جيد.

(٣) أصل جمع أصيل: الوقت في أواخر النهار.

(٤) فازوا بإيثاري (بتفضلي إياهم على غيرهم) واحمادي (مدحي، شكري).

(٥) لاغرو: لا عجب. الوجد: شدة الحب. يذكي: يزيد (الأمر شدة). الغلة: العطش. الصادي: المطنان.

(٦) أقول: غروب (عزل، زوال الحكم، زوال الملك).

(٧) عثر: زل (أخطأ). استقال فلان فلاناً - (طلب أن يقبله): ساعده على النهوض (يعفو عنه).

وها أنا ذا أناديكم، فهل لي
وأنت الملكُ تعفو عن كثير،
بعثتُ برُفعتي هذي رسولاً
لِتَرْحَمَهُ وأفراحاً إذا ما
بقيت لهم على عتبٍ وعُتبي،
- وقال يَصِفُ نَكَدَ أَيَّامِهِ وَيَصِفُ أحوالَ الدنيا:

هي الدارُ غادرةٌ بالرجال
وكلُّ سُورٍ بها نافدٌ،
وموعدُها أبداً كاذبٌ،
فَمَنْ رامَ منها وفاءً يدومُ
خُلِقْنَا نياماً، وظلَّتْ خيالاً.
نُعَذِّبُ منها بغيرِ اللذِيذِ
ونَزْدَادُ مَعَ ذاكَ عِشْقاً لها.
وقاطعةٌ لِحبالِ الوصالِ
وكلُّ مُقيمٍ بها لارتحالِ.
فإنْ أَنْجَزْتُهُ فبعدَ المطالِ^(١)
ومُكْتأً لها، رامَ عَيْنَ المُحالِ.
وأوشكُ شيءٍ فراقُ الخيالِ^(٢)
وتَشَرَّقَ منها بغيرِ الزُّلالِ^(٣).
ألا إِنما سَعِينا في ضلالِ.

- وخاطبه المعتمدُ بقصيدةٍ يهزأُ به فيها ويطعنُ عليه لأنَّه كان كثيرَ الانصرافِ
إلى العلمِ قليلِ الاهتمامِ بأمورِ الدولة وشؤونِ الحربِ. ومطلعُ قصيدةِ المعتمدِ:
الملكُ في طيِّ الدفاترِ، فتَحَسَّلَ عن قَوَدِ العساكرِ^(٤).

(١) الرحي: الرحمة.

(٢) الحويل (القاموس ٣: ٣٦٣، السطر الثاني من أسفل): القصد. لعلَّه يقصد: ليس له حويل بالتصغير (قوة).

(٣) أفراح (كتابة عن الأطفال).

(٤) العتب: العتاب، اللوم. العتبي: الرضا.

(٥) المطال: المثل (بالضم): قلة الوفاء بالوعد.

(٦) أوشك: أقرب.

(٧) شرق (يفتح فكراً): غص. الزلال: الماء العذب الصافي السائغ. تشرق منها (من الدنيا) بغير الزلال (بالمصائب).

(٨) ألدفر: كتاب العلم.

طُفَّ بالسَّيرِ مُسْلِمًا وَأَرْجَعُ لتوديعِ المنايِبِ^(١)
 وَاضْرِبْ بِسِكِّينِ السِّدَا مَكَانَ مَاضِي الْحَدِّ بِاتِرٍ^(٢)؛
 أَوَلَيْتَ رَسْطَالِيْسَ إِنْ ذُكِرَ الْفَلَاسَةُ الْأَكَابِرُ؟
 وَأَبُو حَنِيفَةَ سَاقِطٌ فِي الرَّأْيِ حِينَ تَكُونُ حَاضِرُ

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الرَّاضِي بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ يَتَنَصَّلُ فِيهَا مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا رَمَاهُ بِهِ أَبُوهُ وَيَعِدُّ
 بِأَنْ يَرْجَعَ إِلَى مَا يُرْضِي أَبَاهُ. مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ:

مَوْلَايَ، قَدْ أَصْبَحْتُ كَافِرُ بِجَمِيعِ مَا تَخْوِي الدِّفَاتِرُ؛
 وَقَلَّتْ سِكِّينُ الدَّوَا وَظِلَّتْ لِلْأَقْلَامِ كَاسِرُ.
 وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمُلْكَ مَا بَيْنَ الْأَسِنَّةِ وَالْبَوَاتِرِ^(٣).
 وَالْجِدُّ وَالْعَلِيلُ فِي ضَرْبِ الْعَاكِرِ بِالْعَاكِرِ،
 لَا ضَرْبَ أَقْوَالٍ بِأَفْ هَوَالٍ ضَعِيفَاتٍ مَنَاقِرِ^(٤).
 قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ، مِنْ سَفَا هِ، أَنَّهَا أَضَلُّ الْمَفَاخِرِ؛
 فَإِذَا بِهَا فَرَعٌ لَهَا وَالْجَهْلُ لِلْإِنْسَانِ عَازِرُ.
 لَا يُدْرِكُ الشَّرَفَ الْفَنَى إِلَّا بِعَالٍ وَبَاتِرِ^(٥).
 وَهَجَرْتُ مَنْ سَمَّيْتَهُمُ، وَجَعَدْتُ أَنَّهُمْ أَكَابِرُ.
 لَوْ كُنْتَ تَهْوَى مِثْلِي لَوَجَدْتَنِي لِلْعَيْشِ هَاجِرُ.
 ضَحِكَ الْمَوَالِي بِالْعَبِيدِ حِدٍ، إِذَا تَوَمَّلَ، غَيْرُ ضَائِرِ^(٦).
 إِنْ كَانَ لِي فَضْلٌ فِينَا لَكَ، وَهَلْ لَذَاكَ النُّورِ سَاتِرُ؟

(١) السَّير: العرش.

(٢) مكان: بدلا من. باتر: (سيف) قاطع.

(٣) السنان: الرمح. البواتر جمع باتر (سيف).

(٤) ضرب أقوال بأقوال: نقاش وجدال. منكر (جمع منكر؟): ما تحكم العقول بقبحه. ومناكر (مناكير؟):

جمع منكور: مجهول.

(٥) العال: الرمح.

(٦) المولى: السيد. ضائر: مضر.

أَوْ كَانَ بِي تَقْصُ فَيْدُ خِي. غَيْرَ أَنَّ الْفَضْلَ غَامِرُ^(١)
 ذَكَّرْتَ عَبْدَكَ سَاعَةً يَبْقَى لَهَا مَا عَاشَ ذَاكِرُ.
 يَا لَيْتَهَا قَدْ غَيَّبْتُ هُ عَنْدَهَا إِخْدَى الْمُقَابِرُ.
 أَتَرِيدُ مِنِّي أَنْ أَكُو نَ كَمَنْ غَدَا فِي الدَّهْرِ نَادِرُ^(٢)؟
 هِنَهَاتٍ! هَذَا مَطْمَعُ يُغَيِّبِي الْأَوَائِلَ وَالْأَوَاخِرُ.
 لَا تَنْسَ، يَا مَوْلَايَ، قَوْ لَةَ ضَارِعٍ، لَا قَوْلَ فَاخِرِ،
 ضَبَطَ الْجَزِيرَةَ عِنْدَمَا نَزَلْتُ بِمَقُوتِهَا الْعَاكِرِ^(٣)،
 أَيَّامَ ظَلَمْتُ بِهَا فَرِيدَ دَأَ لَيْسَ غَيْرَ اللَّهِ نَاصِرِ؛
 إِذْ كَانَ يُغْشِي نَاطِرِي لَمْعُ الْأَيْنَةِ وَالْبَوَاتِرِ^(٤)،
 وَيُصِمُّ أَسْمَاعِي بِهَا قَرَعُ الْحِجَارَةِ بِالْحَوَافِرِ^(٥)،
 وَهِيَ الْحُضِيضُ سُهُولَةٌ لَكِنْ ثَبَّتُ بِهَا مُخَاطِرُ.
 هَبْنِي أَسَاتُ - كَمَا أَسَا تُ - أَمَا لِهَذَا الْقَتْبِ آخِرُ؟
 هَبْ زَلَقِي لِبُنُوتِي وَاعْفِرْ، فَإِنَّ اللَّهَ غَافِرُ.

٤- ** الحلة السراء ٢: ٧٠-١٧٥ المطرب ٣٨ نفع الطيب ١: ٦٢٧، ٦٦١-٤١٦٦٢ :
 ٢٤٩-٢٥٦.

السميسر الإلبيري

١- هو أبو القاسم خَلْفُ بْنُ فَرَجٍ الْمَعْرُوفُ بَلَقِيهِ «السُّمَيْسِرُ»، أصله من إلبيرة (قُربَ غَرْنَاطَة) وسَكَنَ غَرْنَاطَة مُدَّةً مُتَّصِلًا بِصَاحِبِهَا بَادِيَسَ بْنِ حَبُوسٍ (٤٣٠-٤٦٦ هـ). تَمَّ وَقَعَتْ وَحْشَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَادِيَسَ لِبَيْتَيْنِ قَالَهُمَا فِي هَجَاءِ الْبَرَبَرِ،

(١) غير أن الفضل (فضلك) غامر (بغمري: عفوك أكبر من ذهني).

(٢) نادر: ساقط، شاذ.

(٣) المقوّة: المكان المتسع أمام الدار. العاكر (إشارة إلى الجنود الأسبان؟).

(٤) أعشى النور البصر: جعله ضعيفاً لا يرى. الأسنّة والبواتر: الرماح والسيوف.

(٥) بالحوافر: بمخافر الخيل (في الحرب).

فَهَرَبَ إِلَى الْمَرِيَّةِ لاجئاً إِلَى صَاحِبِهَا الْمُعْتَصِمِ بْنِ صُهَادِحٍ . وَيَبْدُو أَنَّ مَجِيئَهُ إِلَى الْمَرِيَّةِ كَانَ بَاكراً (قَبْلَ ٤٦٦ هـ ، بَلَا رَيْبٍ) ، كَمَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ إِقَامَتُهُ فِي الْمَرِيَّةِ قَدْ طَالَتْ حَتَّى اسْتَحَقَّ أَنْ يُسَمَّيَهُ الْمَرِّيَّ « شَاعِرَ الْمَرِيَّةِ » (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣ : ٣٩٠) . ثُمَّ بَقِيَ فِي الْمَرِيَّةِ إِلَى مَا بَعْدَ وَفَاةِ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صُهَادِحٍ ، ثَامِنَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٤٨٤ (٣٠ / ٤ / ١٠٩١ م) .

٢ - كَانَ السُّمَيْرُ شَاعِراً مَطْبُوعاً سَهْلَ الشَّعْرِ ، وَكَانَ أَفْضَلَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ حَفَلَ بِهِمْ بِلَاطُ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صُهَادِحٍ . وَهُوَ صَاحِبُ مُزْدَوِجٍ (فِي قَوَافِي الشَّعْرِ) لَعَلَّهُ قَلَدَ فِيهِ مَنْصُورُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ التَّمِيمِيِّ الْفَقِيهَ الشَّافِعِي الضَّرِيرَ (الْمُتَوَفَّى فِي بَصْرَ سَنَةِ ٣٠٦) . ثُمَّ لَهُ طَبِيعٌ وَتَصَرُّفٌ مُسْتَحْسَنٌ فِي الْمَقْطَعَاتِ لَا فِي الطُّوَلَاتِ . وَأَغْرَاضُ شِعْرِهِ الشُّكْوَى وَالزَّهْدُ وَالْحِكْمُ وَالنَّسِيبُ وَالْهَجَاءُ الْمُقَذِّعُ ، فَقَدْ كَانَ هَجَاءَهُ مُتَوَسِّطاً عَلَى النَّاسِ مُرَّ اللِّسَانِ لَمْ يَنْجُ مِنْ لِسَانِهِ هَذَا أَحَدٌ وَلَا أَوْلَئِكَ الَّذِينَ عَاشَ فِي بِلَاطِهِمْ . وَكَذَلِكَ كَانَ لَهُ إِخْوَانِيَّاتٌ . وَيَبْدُو أَنَّهُ صَنَّفَ كُتُباً ، فَقَدْ ذَكَرُوا لَهُ كِتَاباً عُنْوَانُهُ « شِفَاءُ الْأَمْرَاضِ فِي أَخْذِ الْأَعْرَاضِ » (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٤ : ١٠٨) .

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ السُّمَيْرُ فِي الدُّنْيَا وَحَقِيقَةُ مَوْقِفِ النَّاسِ مِنْهَا :

لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا وَفِي أَهْلِهَا	مُعْتَبَاتٌ قَدْ فَكَّكْنَاهَا :
مِنْ بَشَرٍ نَحْنُ ، فَمِنْ طَبْعِنَا	نُحِبُّ فِيهَا الْمَالَ وَالْجَاهَا .
دَعْنِي مِنَ النَّاسِ وَمِنْ قَوْلِهِمْ ،	فَإِنَّمَا النَّاسُ خَلَاهَا .
لَمْ تُقْبَلِ الدُّنْيَا عَلَى نَاسِكَ	إِلَّا وَبِالرَّخْبِ تَلَقَّيْنَاهَا .
وَأِنَّمَا يُعْرِضُ عَنْ وَصْلِهَا	مَنْ صَرَفَتْ عَنْهُ مُحَيَّاهَا ^(١) !

- وَقَالَ ، وَقَدْ وَقَفَ عَلَى أَطْلَالِ مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ :

وَقَفْتُ بِالزَّهْرَاءِ مُسْتَفْهِراً مُسْتَفْهِراً أَنْدَبُ أَشْثَانَا^(٢)

(١) عِيَّاهَا : وَجْهَهَا . الَّذِينَ يَزْهَدُونَ فِي الدُّنْيَا هُم (عِنْدَ السُّمَيْرِ) أَوْلَئِكَ الَّذِينَ تَكُونُ الدُّنْيَا قَدْ ضَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِخَيْرِهَا .

(٢) مُسْتَفْهِراً : مُتَبَرِّحاً . مُتَأَمِّلاً بِالْمَوَاقِبِ . أَشْثَانَاتٌ : أَشْيَاءٌ مَبْدُودَةٌ (مُتَفَرِّقَةٌ - مُتَهَدِّمَةٌ) .

فقلت: يا زهرا، ألا فازجعي. قالت: وهل يرجع من ماتا؟ فلم أزل أنكي وأنكي بها؛ كأنما أثار من قد مضى - وقال في بعبوض كانت تلدغه:

بعبوض شربن دمي قهوة وغنيتني بضروب الأغاني^(١).
كان عروقي أوتارها وجني الرباب وهن القيان^(٢)!
- وفي المربة يقول السيمس شاعرها (نفع الطيب ٣: ٣٩٠):

بشن دار المربة اليوم داراً ليس فيها لاكمي ما يجب.
بلدة لا تمار إلا بريح ربما قد تهب أو لا تهب^(٣).
- وقال يهجو البربر:

رأيت آدم في نومي فقلت له: أبا البرية، إن الناس قد حكموا
أن البرابر نسل منك. قال: إذن، حواء طالقة إن كان ما زعموا.
- وقال في سوء الظن بالبشر (وبأقاربه):

قراية سوء داء فاحيل إذا هم تبش حميدا.
ومن تكن قرحة يفیه يصبر على مصه الصديدا^(٤).
- وقال في العليل الشره وموقفه من الطبيب:

يا أكلاً كل ما اشتهاه وشاتم الطيب والطبيب،
يمار ما قد غرست تجني. فانتظر السقم عن قريب.
يجتمع الداء كل يوم: أغذية سوء كالذنوب.

- ٤-★★ الذخيرة ٢: ٨٨٢ وما بعده الخريدة (الأندلس) ٢: ١٥-١٦ المغرب ٢: ١٠٠-١٠١ المطرب ٩٣: نفع الطيب ١: ٥٢٧-٥٢٨، ٣: ٢٢٧-٢٢٨، ٢٩١، ٢٩٣، ٣٢٠-٣٢١، ٣٢٩، ٣٩٠، ٤١٢، ٤: ٢٠، ١٠٨، ١١٦ نيكل
١٩١-١٩٣، مختارات نيكل ١٣٢-١٣٥ الأعلام للزركلي ٢: ٣٥٩ (٣١١).

(١) قهوة: خر.

(٢) الرباب والربابة آلة موسيقية وترية: القيان جمع قينة (بالفتح): المرأة (الجميلة) المغنية.

(٣) تمار: تأتيا المربة (الطعام). المربة: نفر في الجنوب الشرقي من الأندلس.

(٤) يفیه: في فمه. الصديد: القيح.

ابن غرسية

١ - هو ابو عامر احمد بن غرسية أصله من البُشكنس (شمال غربي الاندلس) سبي صغيراً فاعتنق الإسلام ودخل في ولاء مجاهد العامري صاحب الجزر الشرقية ومدينة دانية. ويبدو انه قد قضى حياته كلها في دانية. وكانت وفاته بعيد سنة ٤٧٧ (١٠٨٤ م).

٢ - ابن غرسية اديب قدير في النثر ومجيد في الشعر وكانت تغلب عليه شعبية حل بها على العرب حملة شديدة سفيهة، وان كانت هذه الرسالة (في هجاء العرب) تنكشف عن معرفة بغريب اللفظة وبالأحداث التاريخية ومصادر الثقافة. والمعروف ان الشعوبيين يفضلون المسلمين على العرب (أي يفتخرون بالإسلام على الذين يتعصبون للنسب العربي). والملموح عند ابن غرسية أنه يفضل الفرس والروم واليهود على العرب، ولكنه يستر بمدح رسول الله (الذخيرة ٣: ٧١٢ - ٧١٣). ولقد فطن الذين ردوا عليه إلى ذلك فنسبوا بعضهم إلى النفاق. وقال بعضهم إنه بريء من الإسلام (ودخل في الكفر مُرتدّاً) وانه يستحق القتل على ذلك - ولكن لم يكن في الاندلس في ذلك الحين ملك قوي يستطيع أن يُقيم مثل هذا الحد: يُوقع مثل هذا القصاص).

وفي شعر ابن غرسية فخرٌ بنفسه وبأصله. غير أن شعره الذي بين أيدينا نازلٌ عن مرتبةٍ نثره (وخصوصاً من حيث المتانة) والوضوح.

ولقد ردّ على ابن غرسية نفرٌ من مُعاصريه منهم ابنُ الدودين وأبو الطيب عبدُ المنعم القرويّ ثم رجلٌ آخرٌ يدعى ابنُ عباس يبدو أنه ألّف في ذلك كتاباً. وسأوردُ أشياء من تراجم هؤلاء ومن رسائلهم في هذا الشأن، بعدَ المختارات من رسالة ابن غرسية.

٣ - مختارات من آثاره

- قال ابنُ غرسية يفتخر بأصله (المغرب ٢: ٤٠٧):

إِنْ أَصْلِي كَمَا عَلِمْتَ، وَلَكِنْ (م) لَسَانِي أَعَزُّ مِنْ سَخْبَانٍ^(١).
وَأَنَا مِنْ خَيْرِ الْمُلُوكِ بِصَدْرِ، هَلْ تَرَى بِالْقَنَاءِ صَدْرَ سِينَانٍ؟^(٢)
- ومن الرسالة الشعوبية لابن غرسية (في هَجْوِ الْعَرَبِ) يُخَاطَبُ بِهَا الْأَدِيبُ
الشَّاعِرَ أَبَا جَعْفَرٍ بْنِ الْحَرَّازِ^(٣). قَالَ (الذَّخِيرَةُ ٣: ٧٠٥ - ٧١٤):

.... كَأَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ إِنْسَانٌ إِلَّا مِنْ غَسَانٍ أَوْ مِنْ آلِ ذِي حَسَانٍ^(٤). وَإِنْ كَانَ
الْقَوْمُ أَقْنُوكَ وَمَا أَغْنُوكَ، عَلَى حَسَبِ الْمَذْكُورِ، فَمَا هَذَا الْإِعْمَالُ لِلْكُورِ وَتَرَكُ
الْوُكُورِ^(٥)؟ وَقَلَّ مَا تَأْخُذُ الشَّعْرَةَ فِي الرَّحِيلِ إِلَّا عَنِ الرَّيْجِ الْمَحِيلِ^(٦). وَلَوْ أَنَّ الْقَوْمَ
خَلَطُوكَ بِالْأَلِ لَمَّا أَلْبَأَوْكَ إِلَى الْخَبْطِ فِي الْآلِ^(٧). مَهْ مَهْ. مَنْ أَحْوَجَكَ إِلَى رُكُوبِ
الْمَهْمَةِ^(٨)؟ أَحْسَبُكَ^(٩) أَنْ أُرْزَيْتَ، وَهَذَا الْجِيلُ النَّجِيبُ اِزْدَرَيْتَ^(١٠)، وَمَا دَرَيْتَ
أَنَّهُمْ الصُّهْبُ الشُّهْبُ، لَيْسُوا بِعُرْبٍ ذَوِي أَيْتِي جُرْبٍ^(١١). بَلْ هُمْ الْقِيَاصِرَةُ
وَالْأَكَاسِرَةُ. مُجَدُّ نُجَدُّ: بُوهُمَ لَا رُعَاةَ شُؤْنِهِاتٍ وَبُوَهُمَ^(١٢). شُغِلُوا بِالْمَازِي وَالْمَرَّانِ عَنِ

- (١) أصلي كما علمت (يشكسي نصراني، ثم مولى). أعز: أقوى. حسان: خطيب عربي مشهور.
- (٢) هذا البيت مضطرب الوزن في أوله (اقرأ: وأنا خير الملك بصدر). القنأة: عصا الرمح. السنان: الحديد التي في أعلى الرمح.
- (٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحرَّاز من أهل سرقسطة وسكن ببلنسية وكان أديباً شاعراً.
- (٤) من غسان أو آل ذي حسان (من العرب أو من ملوك العرب؟).
- (٥) أقنوك: منحوك قنبة (عطية). وما أغنوك (المفروض أن يقال: وأغنوك). على حسب المذكور (كما ذكر في التاريخ). الإعمال (بالكسر): الاستخدام، السير) بالكور (رحل الناقة): السفر (الكثير). وترك (هجر) الوكور (الساكن) يشبه بيوت العرب بالوكور احتقاراً.
- (٦) الشعرة: الشعراء. الريج: المسكن. المحيل: المغير، المتبدل (المهدوم).
- (٧) القوم (قومك) خلطوك بالآل (أدخلوك في أهلهم). الخبط: السير على غير هدى. الآل: السرايا.
- (٨) مه: أكفف، توقف (عن الادعاء). المهمة: الصحراء الواسعة.
- (٩) أحسبك (الصيغة غير واضحة. اقرأ: حسبك (بكفبك) إن (بكسر الهجمة).
- (١٠) أُرْزَيْتَ (عبت غيرك) وهذا الجيل (من الناس، أي الفرس أو الروم أو الافرنج) اِزْدَرَيْتَ (احتقرتهم) أن تعلم (تحسن زيادتها هنا).
- (١١) الأصهب: الأشقر، الأحمر. الأشب: الأبيض. أيتي جمع ناقة.
- (١٢) في تاج العروس (الكويت ٩: ١٥٢) مجد (بضمّين): النياق التي تشع من المرعى. المجد (بضمّين) جمع مجود (بالفتح): نبيل، شريف. البهم (بضمّ ففتح) جمع بهمة بالضم: الشجاع. البهم (بفتح ففتح): الغنم، البهائم.

رَغِي الْبُعْرَانُ^(١)، وَجَلَبِ الْعَزَّ عَنْ حَلَبِ الْمَعَزِ. جَبَابِرَةٌ قِيَاصِرَةٌ، ذَوُو الْمَغَافِرِ
وَالدَّرُوعِ لِلتَّنْفِيسِ عَنْ رَوْعِ الْمَرُوعِ^(٢). حُجَّةُ السُّرُوحِ نَأَةُ الصُّرُوحِ^(٣). صَقُورَةٌ غَلَبَتْ
عَلَيْهِمْ شُقُورَةٌ، وَصُقُورَةُ الْخُرَّاسَانِ، لَكُنَّهُمْ خَطْبَةٌ بِالْخُرَّاصَانِ^(٤).

بُصْرٌ صَبْرٌ، قِيُولٌ عَلَى خِيُولٍ كَأَنَّهُمْ قِيُولٌ، بَنُو غَابٍ مُنْتَفُونَ مِنْ كُلِّ غَابٍ^(٥). لَمْ
تَلِدْهُمْ صَوَاحِبُ الرِّايَاتِ^(٦)، بَلْ تَبَحَّجَتْ عَنْهُمْ سَارَةُ^(٧) الْجِجَالِ وَالْكَهَالِ، رَبَّةُ
الْإِيَاةِ^(٨).... غَنُّوا بِالْإِسْتَبْرَقِ وَالسُّنْدُسِ عَنِ الْبَتِّ الْمُقِيطِ الْمُشْتِ الْجَمُوعِ مِنْ
النَّمَجَاتِ السِّتِ^(٩). طَعَامُهُمُ الْحَنِيزُ^(١٠) وَشَرَابُهُمُ النَّبِيدُ، لَا زَهِيدُ الْمُهَبِّدِ فِي
الْيَدِ^(١١)....

-
- (١) الْمَازِي: الدَّرْعُ. الْمَرَّانَةُ (بِالضَّمِّ): الرَّمْحُ الصَّلْبُ وَلَكِنْ يَنْشِي. الْبُعْرَانُ جَمْعُ بَعِيرٍ.
(٢) الْمَغْفَرُ (بِكسْرِ فَسْكَوْنٍ فَفَتْحٍ): وَقَاءٌ لِلرَّأْسِ فِي الْحَرْبِ. الرُّوعُ: الْخَوْفُ. الْمَرُوعُ: الْخَائِفُ.
(٣) السُّرُوحُ (قَطْعَانُ الْمَاشِيَةِ). نَأَةُ الصُّرُوحِ (الْقُصُورِ): الَّذِينَ يَبْنُونَ قُصُورًا عَالِيَةً.
(٤) الذَّخِيرَةُ ٣: ٧٠٦ (الْحَاشِيَةُ الْعَاشِرَةُ): أَيُ فِيهِمْ صَقُورَةُ الْخُرَّاسَانِ، وَهِيَ الصَّقَالِيَةُ مِنْ حُرْسِ الْقَصْرِ
وَكَانُوا يَلْقَبُونَ الْخُرَّاسَانَ، وَإِنَّمَا يَظْهَرُونَ فَصَاحَتَهُمْ بِالْخُرَّاصَانِ (بِالضَّمِّ أَوْ بِالْكَسْرِ) أَيُ الرِّمَاحِ (كَذَا).
صَقُورَةٌ جَمْعُ صَفَرٍ (طَائِرٌ يَصَادُ بِهِ). شُقُورَةٌ (لَيْسَتْ فِي الْقَامُوسِ). الْمَقْصُودُ «شُقْرَةٌ» (أَيُ هُمْ أَبْطَالُ
وَلَكِنْ شَقَرٌ: أَفْرَنْجٌ لَا عَرَبٌ). الْخُرَّاسَانُ أَوْ الْخُرَّاسُ: حُرْسُ صَقَالِيَةٍ اتَّخَذَهُمْ خَلْفَاءُ الْأَنْدَلُسِ، سَمَّوْا
خُرَّاسًا (لَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَتَكَلَّمُونَ الْعَرَبِيَّةَ). خَطْبَةٌ (يَقْصَدُ خَطْبَاءً). أَيُ يَحْسِنُونَ الْكَلَامَ بِالْخُرَّاصَانِ
(بِالضَّمِّ أَوْ بِالْكَسْرِ) جَمْعُ خُرَّاصٍ (بِالْكَسْرِ): الرَّمْحُ اللَّطِيفُ (الْقُصِيرُ)، أَيُ يَجِيدُونَ الْقِتَالَ.
(٥) الْغَابُ جَمْعُ غَابَةٍ. الْعَابُ: الْعَيْبُ.
(٦) كَانَتْ الْمُنْتَفَاتُ لِلرِّجَالِ يَنْصَبْنَ عَلَى مَدَاحِلِ بَيْوتِهِنَّ رَايَةً لِيَعْرِفْنَ. فِي هَذَا تَعْرِيفُ بَزِيَادٍ مِنْ أَبِيهِ،
وَكَانَتْ أُمُّهُ مِنْ صَوَاحِبِ الرَّايَةِ، ادَّعَى مَعَاوِيَةُ أَنَّ أَبَاهُ أَبَا سَفِيَّانٍ أَنَا هَا (قَبْلَ إِسْلَامِهِ) وَأَنَّ زِيَادًا كَانَ
ابْنَهُ مِنْهَا. وَقَدْ أَخْلَفَهُ مَعَاوِيَةُ، فَيَا بَعْدَ، بِنَسَبِهِ.
(٧) سَارَةُ امْرَأَةُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَأُمُّ إِسْحَاقَ أَبِي الْيَهُودِ.
(٨) أَبَا وَأَهَابَةَ (بِكسْرِ الْمَعْرَةِ فِيهَا): ضَوْءُ الشَّمْسِ وَحُسْنُهَا.
(٩) غَفِي الرِّجْلُ أَصْبَحَ غَفِيًّا وَلَيْسَ مَحْتَاجًا إِلَى شَيْءٍ. الْإِسْتَبْرَقُ وَالسُّنْدُسُ مِنَ الْحَرِيرِ. الْبَتُّ: كِسَاءٌ مِنْ
صُوفٍ أَوْ وَبرٍ. الْمُقِيطُ الْمُشْتِ (يَلْبَسُ شَتَاءً وَصَيْفًا). وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَشْطَرِ مِنَ الرِّجْلِ لِأَعْرَافِي يَذْكُرُ
أَنَّ لَهُ ثَوْبًا وَاحِدًا يَلْبَسُهُ فِي جَمِيعِ الْفُصُولِ وَقَدْ نَسَجَهُ هُوَ مِنْ سِتِّ نَمَجَاتٍ كَانَتْ عِنْدَهُ.
(١٠) الْحَنِيزُ: اللَّحْمُ السَّيْنِ.
(١١) الزَّهِيدُ: الْقَلِيلُ الْقِيَمَةِ. الْمُهَبِّدُ: الْخَنْظَلُ (ثَمَرُ نَبَاتٍ صَحْرَاوِيٍّ يَشْبَهُ الْبَطِيخَ، وَلَكِنَّهُ أَصْفَرُ حَبًّا ثُمَّ هُوَ
مَرًّا).

مَعشَرَ الْبُدَاةِ الْعُدَاةَ، اعْتَقَدْتُمْ غَلًا فَاسْتَنْتَرَمَ صِلَاً^(١).

.... أما علمتم ان الدولة النُوشَرَانِيَّةَ والدولة الأزدشيرية^(٢) بَقَرُوا أَجْوَافَكُمْ وَخَلَعُوا أَكْتَافَكُمْ^(٣) ثُمَّ عَطَفُوا وَرَأَفُوا وَمَلَكُوا الْحَيْرَةَ بِعَدِ عَظِيمِ الْحَيْرَةِ قَلَّلاً ذُلًّا^(٤) تَتَخَيَّرُونَ الْبِنَاتِ عِنْدَ الْبَيَاتِ مَبْهُورَاتٍ لَا مَبْهُورَاتٍ^(٥). فَبَرِمَ مِنْ ذَلِكَ غَسَانَكُمْ وَنَعْمَانَكُمْ^(٦). وَكَانَ بَرَمُهُ سَبَباً لِدَرْءِ أَمَانِكُمْ^(٧)، فَأَصْبَحَ بَعْدَ جَرِّ الذِّيُولِ مَدُوساً بِأَخْخَافِ الْفُيُولِ^(٨). (هَذَا) وَالْكَرَامُ بَنُو الْأَصْفَرِ^(٩) الْأَطْهَرُ الْأَطْهَرُ عَطَفْتَهُمْ عَلَيْكُمْ الرَّحِمُ الْإِبْرَاهِيمِيَّةُ وَالْعُمُومَةُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ^(١٠) وَسَمَحُوا لَكُمْ مِنَ الشَّامِ بِأَقْصَى مَكَانٍ بَعْدَ أَنْ كَانَ مِنْ سَبِيلِ الْعَرَمِ^(١١) مَا كَانَ.....

فَلَا فَخْرَ، مَعشَرَ الْعُرْبَانِ الْغُرْبَانِ^(١٢) بِالْقَدِيمِ الْمَفْرَى الْأَدِيمِ^(١٣). لَكِنْ بَابِنَ عَمْنَا الْإِسْمَاعِيلِيَّ الْحَسَبِ الْإِبْرَاهِيمِي النَّسَبِ.... بِهَذَا النَّبِيِّ أَفَاخِرُ مَنْ يَفْخَرُ وَأَكَاثَرُ مَنْ تَقَدَّمَ وَتَأَخَّرَ.... أَصْلِي عَلَيْهِ عِدَدَ الرَّمْلِ وَمَدَدَ النَّمْلِ. وَكَذَلِكَ أَصْلِي عَلَى وَاصِلِي جَنَاحِهِ، سَيُوفِهِ وَرِمَاحِهِ، صَحَابَتِهِ الْكَرَامِ عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ السَّلَامِ.

-
- (١) البداة (سكان البادية) العداة (الأعداء) اعتقدتم غلاً (حقداً). الصل: الحبة الخبيثة .
 - (٢) نسبة إلى أنو شروان وأزدشير (من ملوك الفرس).
 - (٣) كان سابور (ملك الفرس) يلقب ذا الأكتاف . لأنه كان يخلع أكتاف الأسرى.
 - (٤) قلل جمع قلال (بالضم): قليل. ذلل: مذلّلين.
 - (٥) البيات (هنا): النوم. مبهورات (حائضات، تفتصونين). مهورات (دفع مهرهن) أي تزوجتموهن حلالاً.
 - (٦) برم بكم: ملّ منكم (غسانكم ونعمانكم: الملوك الذين جعلوا بني غسان وبني النعمان حكاماً عليكم).
 - (٧) درء أمانكم (الملوح: ذهاب الأمن عنه وعنكم).
 - (٨) جرّ الذيول (ذيل الثوب): العزّ والتبختر. مدوساً بأخفاف الفيول (إشارة إلى النعمان آخر ملوك الحيرة الذي استدعاه كسرى إليه وانتقم منه بأن ألقاه تحت أقدام القبيلة فداسته).
 - (٩) بنو الأصفر: اليونان.
 - (١٠) الرحم: القرابة. إبراهيم الخليل ثم ابنه اسحاق أخو اسماعيل، فاسحاق عم العرب لأن اسماعيل أبو العرب.
 - (١١) لما انفجر سد مأرب في اليمن هاجرت قبائل يمنية كثيرة نحو العراق والشام. العرم: الشديد.
 - (١٢) العربان (البدو) الغربان (السود الألوان).
 - (١٣) المفري (المقطع) الأديم (الجلد) كناية عن الذل وكثرة اعتداء الناس (على العرب).

- وفيما يلي أشياء من الردّ على هذه الرسالة:

من الذين ردّوا على ابن غرسيه أبو جعفر أحد بن الدودين لقيّه ابن بسّام في الأشبونة (لشبونة عاصمة البرتغال اليوم)، سنة ٤٧٧ (١٠٨٤ م) واستملى منه شيئاً من نثره وشعره فأملأه - ممّا وصل إلينا - أبياتاً في الغزل المذكّر ليس فيها براعة معنوية خاصّة ولا لفظيّة. وأمّا رسالته التي ردّ بها على ابن غرسيه ففيها أشياء من المقدّرة اللغوية وصناعة البلاغة مع أشياء من المعرفة بالتاريخ والعلم. وفيما يلي مختارات من رسالة ابن الدودين (الذخيرة ٣: ٧١٥ - ٧٢٢):

اخساً، أيّها الجهول المارق والمرذول المنافق. أين أمّك، ثكلك أمّك^(١) أو ما علمت أنّما سحبت من عقالك لعقالك^(٢)، وقدمت أول قدمك لِسفك دَمِك^(٣)... (ثم) حبرت بحبرك لذهاب خبرك^(٤) فما حقيقة جوابك على خطّل خطابك الّا سلّك عن إهابك^(٥) وصلّبك على بابك، لو كان في الحضرة أقبال وحضرك رجال^(٦). لكنك بين همج هامج ورعاع مائج^(٧): «مُذَبِّين: لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء»^(٨)....

هل يجوز في التحصيل أو يصحّ في العقول أن يخمي قومك سُروح شائهم وقد أباحوا فروج نسائهم؟ أليس هذا عين المحال ومغالطة الجهال؟ فهلاً توهّمت، يا فقي، الجواب قبل الخطاب وأبصرت الورطة^(٩) قبل السقطة؟

(١) المارق (الخارج من الإسلام).

(٢) العقال: الرباط الذي يحمي الإنسان. العقّال (الرباط الذي يمنع الإنسان من الحركة).

(٣) أول ما عملته (من سب العرب): الكفر.

(٤) الخبر (حقيقة الأمر - كلامك دلّ على أنّك لم تبق سليماً).

(٥) الخطل: الفساد (فساد الرأي والعقل). سلبك (سحبك) من إهابك (جلدك): قتلك.

(٦) الحضرة: العاصمة أو المكان الذي أنت فيه. أقبال: ملوك (حقيقة). وحضرك (كان حولك) رجال (لهم رأي وعزيمة).

(٧) الهمج: جماعات الناس (كلبهايم). هامج: بلا نظام، سائبون، فوضى. رعاع: جماعات لا انتظام لها.

(٨) من القرآن الكريم (٤: ١٤٣، النساء): «مذّبين بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء».

(٩) الورطة: الحفرة العميقة، الوحل.

وأما ما قَفَقْتَ به وَوَعَوْتَ^(١) من صواحب الرايات^(٢)، فهنّ - وأبيك - بعض بنات الإيابة^(٣)، فما عُجْنَا بهنَّ عَمَّا عَوَدْتُمُوهُنَّ مِنَ الْبِغَاءِ^(٤) للاسترضاء . فَكَثُرَ معشرُ العُربَانِ من وَلَدِ سَارَتِكُمُ الْإِمَؤَانِ والعُبدَانِ^(٥) . وفيك و (في) أبيك من ذلك أصحُّ دليلٍ وأوضح بُرْهان^(٦) .

وَأَمَّا لَوَكُهُمُ الْعُرُودُ^(٧) فأوضح من السراج الوهاج في الليل الداج . لكن أَلْمِعْ بذلك لُمْعَةً تشهد بذاتها على ذواتها: وذلك أَنَّهُ قد تُحَدِّثُ أَنَّ وَلَدَانَكُمْ قد عَطَلُوا في بعضِ أَعْوَامِكُمْ سوقَ نِسَائِكُمْ . فَنَمِي^(٨) ذلك إلى مَلِيكِكُمْ فَحَكَمَ - أَكْرَمَ به من حَكَمَ - أَنْ يُبَيِّحَ النِّسَؤَانَ مِنْ أَنْفُسِهِنَّ مَا أَبَاحَ الْوِلْدَانُ (من أَنْفُسِهِمْ) . فامْتَثَلْنَ ذلك، فَانْتَقَتِ الْحَالَانِ وَنَفَقَتِ السُّوْقَانِ .

وَأَمَّا مَا عَيَّرَتْ به العربُ مِنَ الْاِغْتِذَاءِ بِالْحَيَاتِ فَكَتَفَذِيكُمُ بِالْذِمَاءِ وَالْمَيْتَاتِ وَأَمَّا فَخْرُكَ بِالْشَرَائِعِ فَمَنْ أَدْبَعَ الْبِدَائِعِ . وَأَنْتَى يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَمْ يَأْخُذْ بِهَا عَنْ نَبِيٍّ . وَلَا تَقْلُوبُهَا عَنْ حَوَارِيٍّ^(٩) إِلَى أَنْ أَصَارُوهَا فِي حَيِّزِ الْهَذْيَانِ . وَحَسْبُكَ بِهِمْ جَهْلًا أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ إِلَهًا نَبِيَّهُمْ، فَوَسَمُوهُ بِالرَّبِّ الْمَعْبُودِ وَصَيَّرُوهُ - بعدُ - مَصْلُوبَ الْيَهُودِ . فَاعْجَبْ لَجَهْلِهِ يَجْمَعُ بَيْنَ هَذَيْنِ الطَّرَفَيْنِ . وَأَعْجَبْ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ مُجْمَعُونَ عَلَى أَنَّ عِيسَى يَنْزِلُ إِلَى الْأَرْضِ لِحِسَابِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْعَرَضِ . فَمَا ظَنُّكَ يَفْعَلُ الْيَهُودِيَّةُ عَلَى مَا قَدَّمُوهُ، عَلَى زَعْمِهِمْ، إِذَا (هُوَ) نَاقَشَهُمُ الْحِسَابَ^(١٠) ؟

(١) وعوى الكلب الخ: عوى وصوت .

(٢) صواحب الرايات (انظر، فوق، ص ٦٨٥، الحاشية ٦ .

(٣) الايابة: ضوء الشمس، حسن الشمس .

(٤) البغاء: الخلف . البغاء: النكاح غير المشروع، الزنا .

(٥) كثر نسل العربان (البدو) من بنات سارة (امرأة إبراهيم وام اسحاق): اليهوديات . الاموان والعبدان: الارقاء من الاناث والذكور .

(٦) ومثابة جماعات من اليهود للعرب دليل على ذلك .

(٧) لآك الشيء: حركه في فمه كأنها يريد أن يمضغه . العرد: الصلب الشديد، عضو الرجل .

(٨) نمي: رفع (نقل الكلام إلى)

(٩) الحواري: صاحب (من أتباع الرسل خاصة) .

(١٠) ماذا يدافع اليهود عن أنفسهم إذا نزل عيسى لحساب البشر وسأل اليهود عن دعواهم قتله .

والآن تذكرت مساق أبي غبشان^(١) - وما أنسانيه إلا الشيطان^(٢) - ذلك الذي به طُننت ومن قضيته عظمته. وليس الأمر كما توهمت. وأبو غبشان إنما باع خدمته في البيت. وهبها وصنة سفينة العربي، فإن تقع (بالإضافة إليها) قضية إمامكم يهوذا^(٣) الحواري، إذ باع نبيه روح القدس بالأفلس. فكذب الله ظنه وأغوى نبيه^(٤). فدونك: ضع قضية سفينة في كفة^(٥). وفي أخرى قضية إمامكم (ثم) رجع بينهما.

وما كان أغناك، يا كُناجم^(٦). عن كشف غورات آلك الأعاجم؟ لكن ضف نظرك حداك إلى هذرك^(٧). وسوء أدبك واقى بك على عطيك. نسأل الله سترًا يمتد ووجهًا لا يسود.

* ومن الذين ردوا أيضاً على ابن غرسية أبو الطيب عبد المنعم القروي (القيرواني) المتوفى سنة ٤٩٣ (١٠٩٩ - ١١٠٠ م) دخل إلى الأندلس وحدث في الجانب الشرقي منها. ورد أبو الطيب القروي بارع جداً. ويبدو أن ثقافته العامة كانت واسعة. وفيما يلي مختارات من رسالته الطويلة في هذا الموضوع (الذخيرة ٣: ٧٢٢ - ٧٤٦):

.... أئها الفاخر بزعمه بل الفاخر برُغمه، ما هذه البسالة في الفسالة^(٨)؟ ما هذه الجسارة على الحسارة؟ لقد تجرأت ومن الملة تبرأت^(٩).... فأخبرني عنك: أما كانت

(١) أبو غبشان كان له نصب في خدمة البيت (الكعبة) فباعه في أثناء سكره.

(٢) القرآن الكريم (١٨: ٦٣، الكهف).

(٣) يهوذا الاسخريوطي كان من أتباع المسيح الاثني عشر الأوائل فخان المسيح بأن دل الجنود الرومان عليه حتى قبضوا على المسيح.

(٤) أراد اليهود ليعسى أن يقتل ويصلب، ولكن الله نجاه ورفعهم إليه.

(٥) للميزان كفتان.

(٦) كُناجم: اسم علم (فارسي). يا كُناجم (يا من يدعي نسبة الى غير العرب)

(٧) حدا: ساق، دفع. الهذر: حفظ الكلام (الكلام الفت الساقط: لا معنى له).

(٨) البسالة: الشجاعة. الفسالة: سوء الرأي (الفسولة بالضم: قلة المروءة).

(٩) الملة: الدين (الإسلام). تبرأت (تخلت عنه، وهذا مما يدل على أن الذين ردوا على ابن غرسية اعتقدوا أن رسالته الشعبية قد أخرجه من الإسلام إلى الكفر).

للعرب (عليك) يَدُ تَشْكُرُهَا وَمِنَّةٌ تَذْكُرُهَا؟ أَمَا جَبَرْتَ نَقِصَتَكَ؟ أَمَا رَفَعْتَ خَيْسَتَكَ؟ أَلَمْ تُرَبِّكْ فِينَا وَلِيداً^(١)؟ أَلَمْ تَتَّخِذْكَ تَلِيداً^(٢)؟ أَلَمْ تُنْعَنْ بِتَخْرِيجِكَ وَتَدْرِيجِكَ؟ أَمَا أَنْطَقْتَكَ بَعْدَ الْعُجْمَةِ؟ أَمَا أَسْلَقْتَكَ عَقَبَ اللَّكْنَةِ^(٣)؟ حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ كَاهِلُكَ^(٤) وَبَعِلَمَ جَاهِلُكَ، وَقَوِيَ سَاعِدُكَ وَرَقِيَ صَاعِدُكَ، كَفَرْتَ نِعْمَتَهَا لَدَيْكَ وَنَثَرْتَ عِصْمَتَهَا^(٥) مِنْ يَدَيْكَ؟ أَحِينَ فَكَّتْ أَسْرَكَ.... نَاهَضَتْهَا بِجَاهِهَا وَجَاهَضَتْهَا بِكَلَامِهَا^(٦) وَرَمَيْتَهَا بِسِهَامِهَا:

أَعْلَمُهُ الرِّمَایَةَ كُلَّ یَوْمٍ، فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي^(٧).

وَهَاتِ أَرْنَا مَفَاخِرَكَ نُزِكَ مَسَاخِرَكَ.... لَيْسَ لِلسَّخَاءِ فِي الرُّومِيَةِ اسْمٌ وَلَا لِلوَفَاءِ فِي الْعَجْمِيَةِ رَسْمٌ^(٨). أَيْنَ أَنْتَ عَنِ السُّمْرِ الْقَمَرِ^(٩): الْبَيْضُ غُرَرًا وَصِفَاحًا السُّودُ طُرَرًا وَأَوْضَاحًا^(١٠).... قِمَمٌ مِنَ الْعَانِمِ وَهِمَمٌ مِنَ الْفَانِمِ، سَعَرُوا عَلَيْكَ نَارَ الْحَرْبِ بِتِلْكَ الْأَيْتِي الْجُرْبُ فَكَسَرُوا أَكَاوِصَ تَكُمَ وَقَصَرُوا قِيَاصَ رَتَمِ.

وَالْعَرَبُ....، إِنْ فَاخَرْتَهَا فَبَغِيرِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَلَكِنْ بِالطَّعَانِ وَالضَّرَابِ.... وَمِنَ الْآيَاتِ ذِكْرُ صَوَاحِبِ الرَّايَاتِ، وَالْمُبَاضَعَةِ عِنْدَكُمْ كَالْمُرَاضَعَةِ، مَا

(١) راجع القرآن الكريم (٢٦: ١٨، الشعراء): أَلَمْ تُرَبِّكْ (الجماعة المنكلمين) فِينَا وَلِيداً...؟

(٢) التلید: القدم (اتَّخَذْتَكَ مِنْذُ زَمَنِ قَدِيمٍ؟).

(٣) أَمَا أَنْطَقْتَكَ (بالعربية) بَعْدَ الْعُجْمَةِ (الكلام الأجنبي) أَسْلَقْتَكَ (ليست في القاموس بمعنى موافق. لعلَّ المقصود: جعلت لك سليقة الكلام بالعربية). اللَّكْنَةُ: صعوبة الكلام بالعربية.

(٤) الكاهل: ما بين الكتف والعنق (كتابة عن بلوغ الرجولة والقوة).

(٥) نَثَرْتَ (خلعت) عِصْمَتَهَا (رباطها)... تَحَلَّيْتُ عَنْ أَهْلِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

(٦) نَاهَضَ: قاوم. جَاهَضَ: مانعه من بلوغ مراده، قاوم.

(٧) اسْتَدَّ نَاعِدَهُ (أصبحت يده سديدة: نصيب الهدف).

(٨) رسم: صورة (حقيقة، في مقابل «اسم»). العجمية (لغة نصارى الأندلس).

(٩) الأَقَمَرُ: الأبيض الشبه بالقمر.

(١٠) الْغَرَّةُ: مقدَّم الرأس. الصنح (بالفتح): جانب الوجه. الطَّرَّةُ: الشعر المشرف على الجبهة. الأَوْضَاحُ

(جمع لا مفرد له): كثرة الناس. أَوْ جَمَعَ وَضَحَ (بفتح ففتح): الغرة.

في الشكر^(١) عندكم نكرو تبيحون ولوج العلوج على بدور الحدوج^(٢). والزنا عندكم سنا، وفجار بينكم فجار^(٣): تقتادونهن وتستأذنونهن^(٤). فكيف أنكرت ما ذكرت وسرفت^(٥) ما عرفت وأنت على سنن تلك السنن^(٦)؟....

وعلام جئت أصلك من الأنباط وأزحت فصلك عن الأقباط^(٧)؟ ما كان ذنبهم إليك وجنايتهم عليك حتى أخرجتهم من جملة الأعاجم ونفيتهم عن جنبة أصحاب التراجم^(٨).... هذا على اتصال نسبك برومان^(٩). فإن كنت من ولد كنعان فما أبعد دارك وأشحط مزارك وأطمس آثارك^(١٠). وأما الخيل فاسمح العرب بركوبها ووئوبها، وخل بينهم وبين عيوبها^(١١).... الخيل حرث العرب وحصادها وعديتها وإرصادها^(١٢). ليست أمة من (جميع) الأمم الأعجمية تنازعها ذلك ولا تدافعها عنها: تسميها بأسمائها وتسيبها إلى آبائها وتعرفها بأصواتها وتؤثرها^(١٣) بأقواتها. وإنك لتعلم

(١) المباشرة: الصلات الجنسية. المراضة: أن يرضع الأطفال معاً (من مرضع واحدة). الشكر (يفتح فمكون): عضو المرأة. النكاح.

(٢) ولوج: دخول. الملج (الأجنبي). الحدج (بالكسر): مركب المرأة (في اليهودج).

(٣) سنا: ضوء القمر (شيء ممدوح محبوب). فجار (بالبناء على الكسر، معرفة): العجور (يقال للمرأة السيئة: يا فجار).

(٤) تقتادونهن (بالأجرة). وتستأذنونهن (بالصدقة)؟؟

(٥) سرف (يفتح فكس): اعمل، أغفل.

(٦) السن (يفتح ففتح): نهج، منهج. السنة (بالضم): الطريقة.

(٧) جث: قطع. الأنباط (فرع من الآراميين في العراق والشام) والأقباط (فرع من الأعرابيين) في مصر. والأنباط والأقباط ظلوا نصارى، وإن كان أصلهم من الأعرابيين (أشقاء العرب). لماذا تيرأت من الأنباط والأقباط وهم نصارى مثلك (في الأصل)؟

(٨) جنبة: جانب. ناحية. أصحاب التراجم (الترجمة: تاريخ حياة شخص)؟؟

(٩) رومان: الرومان (نصارى أوروپية يومذاك).

(١٠) كنعان: الأعرابيون سكان الأراضي المنخفضة الساحلية (سأهم اليونان «فينيقيين»). أشحط: أبعد. الآثار المطموسة (المحوّة النسبة).

(١١) العرب تعرف عيوب خيلها (ومعاشنها) أكثر منك.

(١٢) الحرث: الزرع. الحصاد: قطع الزرع (الخيل مبدأ عمل العرب ومنتهاه). المدّة: وسيلة العمل (السفر، الحرب الخ). الإرصاد (بكسر الهمز): اعداد الخيل للحرب أو للسباق.

(١٣) تؤثر: تفضّل.

أَنْ خَيَّلَهُمْ أَشْهُرُ مِنْ مُلُوكِكُمْ أَسْمَةً وَأَلْقَاباً وَأَطْهَرُ مِنْ نَسَائِكُمْ أَسَاءَ وَأَعْقَاباً^(١)، قالوا:
بناتُ أعوج^(٢)، وداحسٍ والغبراء، والنعماء، وحافلٍ والشقاء، وأساؤها
كثيرةٌ وألقابها شهيرة. وَلَمَّا كَانَ أَنْ تَذَكَّرَ لَنَا مِنْ خَيْلِ آبَائِكَ الْأَوَّلِينَ وَأُفْرَاسِ أَسْلَافِكَ
الْأَقْدَمِينَ فَرَساً مَشْهُوراً وَفَرَساً مَذْكُوراً. فَإِنْ أَتَيْتَ بِذَلِكَ شَهِدْنَا وَأَمَّا....

وكيف استَجَزْتَ، على فَضْلِكَ الْبَاهِرِ وَشَرَفِكَ - بِزَعْمِكَ - الظاهر، أَنْ تَسْتَعِينَ
على فخرِكَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَتَلْجَأَ فِي نَهْوَكَ إِلَى غَيْرِ الصِّدْقِ؟ هل كَانَ النُّمَانُ الْأَمَلِكُ
أَمَلَاكِ وَشَمْسُ أَفْلَاكِ: أَصْلُهُ عَرِيقٌ وَفَرْعُهُ وَرَيْقٌ^(٣). اتَّخَذَ نُمُوهُ جَبَّاراً وَدُونَ الْعَرَبِ
حِجَازاً^(٤). نَزَلَ الْحَيْرَةُ وَأَنْتُمْ لَهُ حَيْرَةٌ... قَدْ كَفَّأَكُمْ الْعَرَبُ جَمْعاً مِنْ جَلَقٍ إِلَى
صَنْمَاءٍ^(٥): يَذُبُّ عَنْكُمْ بِمَالِهِ وَاحْتِمَالِهِ^(٦) بَعْدَ عَقْدِ مُؤَكَّدٍ وَعَهْدٍ مِنْكُمْ مُؤَبَّدٍ. وَأَجَارَتْ
الْعَرَبُ مَنْ أَجَارَ وَأَغَارَتْ عَلَى مَنْ أَغَارَ. وَحَسُنْتَ حَالُ الْفُرْسِ بِكَانِهِ وَعَزَّتْ
بِسُلْطَانِهِ^(٧). فَلَمَّا شَمَّخَ عَلَى أَعْلَاجِكُمْ وَامْتَنَعَ مِنْ زَوَاجِكُمْ^(٨) - وَلَمْ تَكُنِ الْعَرَبُ تَزَوِّجُ
أَحْفَاها أَوْ يَكُونُ مِنْ أَكْفَاها^(٩). فَقَالَ لِبَاغِي السَّوَادِ: عَلَيْكَ بِبَقَرِ السَّوَادِ^(١٠).
فَاسْتَزَرَّ نُمُوهُ وَغَرَّرَ نُمُوهُ^(١١). فَكَيْفَ رَأَيْتَ غَضَبَ الْعَرَبِ لِثَارِها وَطَلَبِها لِأَوْتَارِها؟ أَلَمْ

-
- (١) أعقاب جمع عقب (بفتح فسحة): نسل.
(٢) أعوج، داحس، الغبراء الخ: أسماء خيل مشهورة.
(٣) عريق: قديم، كريم. ورقيق: كثير الورق، أخضر، جميل (كثير العدد).
(٤) جباراً: قوياً مستبداً بين يحكم. حجاز: فاصل (جعل الفرس اشارة المناذرة (أسرة النعمان) في العراق فاصلاً بين بدو شبه الجزيرة وبلاد فارس).
(٥) جلق (في حوران في الشام)، وصنماء؟ (عاصمة اليمن).
(٦) احتماله: طاقته، قدرته (بأقصى ما يستطيع).
(٧) قوياً الفرس (لأنهم آمنوا من غارات البدو على حدودهم).
(٨) طلب كسرى بن النعمان أن يرسل إليه زوجة عربية فلم يفعل النعمان ذلك.
(٩) أحفاها (أكرمها؟) أكفاها = أكفاها جمع كفؤ (ند، مماثل). كانت العرب لا توافق على زواج أحد باسرة من نساها (ولو كان كريم الأصل) إلا إذا كان مماثلاً لها.
(١٠) باغي (مستبد، ظالم = كسرى) السواد (سواد العراق: جنوب العراق). البقر: الغزلان (كناية عن النساء الجميلات). كان النعمان قد قال: «عين» (بكسر العين) الواسعة العينين من النساء، فنقلت الجملة إلى كسرى بمعنى البقرة أنثى الثور لا الغزال.
(١١) غرر: خدع.

نَصَدِّمَكُمْ بِنْدِي قَارِ^(١) صَدَمَةٌ ذِي احتقار، فأدرکتْ فَيَكُم رِضَا الرّحْمٰنِ وَأَخَذَتْ بِشَارِ النُّعْمَانِ. وَطَحَّطَحَتْ^(٢) بَنِي سَاسَانَ وَآلَ كَاسَانَ^(٣). وَلَمْ تَقُمْ لِلْفَرَسِ بَعْدَهَا قَائِمَةٌ وَلَا رَعَتْ لَهَا سَائِمَةٌ^(٤). وَلَمْ تَزَلْ (الْفَرَسُ) فِي قَوَاصِفَ تَتَقَاذِفُ وَعَوَاصِفَ تَتَرَادِفُ^(٥) حَتَّى نَعَمَ اللَّهُ أَقْتَهَا وَاسْتَأَصَلَ الْإِسْلَامَ شَاقَّتَهَا^(٦).

وَفَخَّرَتْ بِالرِّيَاضِيَّةِ وَالْأَرِيضِيَّةِ^(٧). صَدَقَتْ وَنُبِتَ عَنِّي فِي الْجَوَابِ.... وَالْمُوسِيقَى وَهُوَ عِلْمٌ فَنُونِ اللَّحُونِ بِالْمَعْجَمِ إِلَيْهِ حَاجَةٌ مُخْجِفَةٌ وَضُرُورَةٌ مُعْجِفَةٌ^(٨)، لِعَجْزِ طِبَاعِهِمْ عَنِ الْأَوْزَانِ وَقِلَّةِ اتِّسَاعِهِمْ فِي (هَذَا) الْمَيْدَانِ^(٩) لِأَنَّ لُغَاتِهِمْ قَلِيلَةٌ وَقُوَاهُمْ كَلِيلَةٌ لَا تَسْتَجِيبُ إِلَّا بِوَسَائِطَ وَلَا تَسْتَقِلُّ إِلَّا بِبَسَائِطَ^(١٠). لَيْسَ عِنْدَهُمْ شِعْرٌ مُوزُونٌ وَلَا كَلَامٌ مَرْصُوعٌ^(١١). وَلُغَةُ الْعَرَبِ وَاسِعَةٌ الْعِبَارَاتِ نَاصِعَةٌ الْإِشَارَاتِ، لَهَا الشِّعْرُ الْمَوْزُونُ وَالنَّظْمُ الْمَكْنُونُ وَالْكَلَامُ الْمَنْشُورُ وَالسَّجْعُ الْمَأْثُورُ^(١٢) وَالرَّجَزُ الْمَشْهُورُ وَالْمُزْدَوِجُ الْمَبْتُورُ وَالْمَوْشَعُ وَالْأَطْوَاقُ وَالْقَلَانِدُ فِي الْأَعْنَاقِ وَالْحِمَّاسَاتُ وَالْمَرْبَعَاتُ^(١٣)... (وَلَهُمُ) الْأَهْزَاجُ وَالْأَرْمَالُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ: كَالرَّكْبَانِي وَالْأَعْرَابِي، وَالنَّصْبِي وَالْمَدَنِي، وَالثَّقِيلُ

(١) ذو قار: معركة اجتمع فيها العرب على قتال الفرس (١٣ قبل الهجرة - ٦١٠ م) وانتصروا.

(٢) طحطح: فرق، أهلك، شتت.

(٣) آل ساسان وآل كاسان (الفرس). كاسان (ليست في القاموس).

(٤) السائقة: البهيمة ترعى في الغلاء.

(٥) قواصف (رعود) تتقاذف (يقذف بعضها بعضاً: تقع في كلِّ جانب). تترادف: تتنايع.

(٦) استأصل شاقتها (أزالها من أصلها).

(٧) الأريضية... (٢)

(٨) معجف: شديد الضرر. ضرورة (فقر) معجف (يجعل الإنسان هزلاً ناحلاً).

(٩) في هذا الميدان (الفناء).

(١٠) كليل: ضعيف. تستقل بيسائط: لا تستطيع إلا الأمور البسيطة (السهلة، الهينة).

(١١) مرصون: كامل محكم. في هذا المقطع ينظر عبد المنعم القروي إلى اللغة الأعجمية (لغة نصارى الأندلس التي كانت لا تزال في ذلك الحين لهجة قاصرة متقهقرة، من اللغة اللاتينية).

(١٢) المأثور: المروي. المكنون: المستور، الخبأ (لقيبته).

(١٣) الرجز المشهور: الذي يتألف من أشطر متوالية كلها على روي واحد. المزدوج النخ: أنواع من الأوزان والقوافي. القلادة: العقد (كتابة عن جودة القصائد العربية التي هي كالعقود التي توضع في الأعناق).

الثاني، والماخوري والسُرْجِي^(١) وَهِيَ كَثِيرَةٌ نُسِيَ مَعَهَا الْارغَن والسلياق والصنْج والكنكلة والقندورة والقِيثارة^(٢) فلا يُعْرَفْنَ ولا يُؤْلَفْنَ^(٣).

وما أَظُنَّ مَعْبَدًا والفريضَ وأشعبَ وطُونياً وابن سُرْبِجَ وابن مُحْرِزَ والمَيْلَاءَ وبُصْبُصاً^(٤) قرأوا قطُّ موسيقى ولا سمعوا بفوطيقا^(٥). فاعْرِضْ، إِنْ شِئْتَ، أَلْحَانَهُمُ المطبوعة على أوزانكم المصنوعة^(٦) (ثم) أَظْهِرْ (إِنْ اسْتَطَعْتَ) غَلَطَهُمْ فِي التَّنْغَمِ وخطأهم في التَرْثُمِ.... وقد كان منهم مَنْ إِذَا غَنَى تَنَتِ الْوُحُوشُ أَجْيَادَهَا وفارقتِ اعتيادَهَا^(٧)، وَعَطَفَتْ خُدُودَهَا وتركت سُرُودَهَا، مُصْغِيَةً إِلَيْهِ مُقْبِلَةً عَلَيْهِ^(٨). فإذا قَطَعَ عَادَتْ نِفَارَهَا وطلبتْ أوكارها. هذا فعلُ الأوابِدِ والوحوشِ الشوارد^(٩)، فما ظَنُّكَ بِالْقُلُوبِ الرقيقةِ والِفَطَنِ الرشيقَةِ؟ ولقد آلفَ الإِسْلَامِيُّونَ فِي الْأَغَانِي وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنَ الْمَعَانِي مَا إِنْ نَظَرْتَ بِعَيْنٍ وَحَكِمْتَ بِعَدَلٍ وَقَفْتَ عَلَى الْفَضْلِ فِي هَذَا الْفَصْلِ^(١٠)؛ وَلَمْ تُخَوِّجْكَ الْعَصَبِيَّةُ وَالنَّفْسُ الْفَضْصِيَّةُ^(١١) إِلَى شَهَادَةِ الزَّوْرِ وَالْجَوْرِ الْمَازُورِ^(١٢)..

★ وَمِنَ الَّذِينَ قِيلَ إِنَّهُمْ رَدُّوا عَلَى ابْنِ غَرْسِيهِ ابْنُ عَبَّاسٍ (الذخيرة ٣: ٧٤٦ - ٧٥٧) ثُمَّ يَسْبِقُ الظَّنُّ إِلَى أَنَّهُ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ عَبَّاسٍ كَاتِبُ زُهَيْرِ الْفَقِي الْمُسْتَبِدِّ

- (١) المَرْجَ والرمل (هنا): من أنواع الغناء. الركباني..... السرجي: (نسبة لابن سريج: مغن مشهور توفي ٩٨ هـ) من طرائق الغناء وأساليبه.
- (٢) الأرغَن... الخ: آلات موسيقية فرنجية.
- (٣) لا يعرفن (لا يعرفهن أحد في ذلك الحين) ولا يؤلفن (لا يستضيفها أحد إذا سمعها).
- (٤) معبد الخ: مغنون وملحنون عرب مشهورون (عزة الميلاء وبصيص مفتيتان).
- (٥) فوطيقا أو بوطيقا (غن الشعر) واسم كتاب لأرسطو في قواعد الشعر.
- (٦) المطبوعة: الطبيعية (الجارية على السليقة). المصنوعة: المصطنعة التي فيها تمكّل.
- (٧) تننت (لفتت) أجيادها (أغناها) لتستمع إلى الغناء.
- (٨) الشروود: النفار، النفور. مصغية: مائلة (مستمعة).
- (٩) الأبدية: الحيوان يقيم في أرضه (لا يقترب من مساكن الناس). الشاردة: الحيوان الذي ينفر إذا هو شمر بدنو إنسان.
- (١٠) الفضل: الزيادة (في البراعة). الفصل (جانب من الغناء: الغناء العربي).
- (١١) النفس الفضصية (في الفلسفة): العاطفية (التي بها يهضّب الإنسان ويرضى).
- (١٢) الجور: الظلم. المأزور: الذي يحمل صاحبه وزرا (ذنباً).

بأمر المَرِيَّة (راجع الذخيرة: ٣: ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٤) مُنْذُ سَنَةِ ٤١٩ (١٠٢٨ م). وكذلك خدم أبو جعفر بنُ عَبَّاسٍ هذا عبد العزيز صاحبَ بِلَنْسِيَّة كَاتِباً (ووزيراً)، وكان عبد العزيز قد تولى بِلَنْسِيَّة من سَنَةِ ٤١٢ إلى سنة ٤٢٩ (١٠٢١ - ١٠٣٧ م) - راجع الذخيرة: ٣: ٢٥٠. وفي فهرس القسم الأول من كتاب الذخيرة (ص ٩٥٤) اسم «أبو جعفر أحمد بنُ عَبَّاسٍ الوزير «مُحَالاً على «أحمد بنِ عَبَّاسٍ الوزير». ولكن الاسم المُحال عليه لا يظهر - مع الأسف - في هذا الفهرس.

وفي الإحاطة ترجمةٌ شبيهة مفصلة لابي جعفر أحمد بنِ عَبَّاسٍ بنِ زكريا الأنصاري الوزير (٢٦٧: ١ - ٢٧٠). كان مولدُ ابنِ عَبَّاسٍ هذا سَنَةِ ٣٩٧ (١٠٠٦ - ١٠٠٧ م) ثم دَخَلَ في خِدْمَةِ نَفَرٍ من ملوك الطوائف في المَرِيَّة وبِلَنْسِيَّة، في الكِتَابَةِ والوَازَرَةِ، وَجَمَعَ - على صِغَرِ سِنِّهِ ثَرَوَةً طَائِلَةً (قيل خمسمائة ألف مثقال من الذهب) ومكتبة عظيمة (قيل أربعمائة ألف مجلدٍ كامل). وأما المُجلَّدات الخرومة التي تنقصُ صَفَحَاتُ من أماكن مختلفة فيها فكانت أكثر من ذلك كثيراً). وكذلك كان ابنُ عَبَّاسٍ هذا أديباً شاعراً ناثراً حَسَنَ الكِتَابَةِ جميلَ الخطِّ، كما كان فاحشَ البُخْلِ فاحشَ الإعجاب بنفسه ومعروفاً أيضاً بسوء الخُلُوة.

وفي سَنَةِ ٤١٩ (١٠٢٨ م) توفِّي خَيْرَانُ صاحبُ مَرْسِيَّة فصار الأمرُ إلى أخيه زُهَيْرٍ (البيان المغرب ٢: ١٦٦) وكان الذي قام بهذا الترتيب بين أهل الدولة أحمد (بن عَبَّاسٍ) بنُ أبي زكريا الوزير (أعمال الأعلام ٢١٦، راجع الفهرس، ص ٣٣٩ من أجل زيادة «ابن عَبَّاسٍ»). في هذه الاثنان كان حَبُوسُ ملك غَرْنَاطَةِ قد مات (سنة ٤٢٧) وقام بالأمر بعده ابنه باديس. (البيان المغرب ٢: ١٩١). ثم وقعت الحرب بين زُهَيْرٍ وباديس (البيان المغرب ٢: ١٦٧)، وكان أبو جعفر أحمد بنُ عَبَّاسٍ هو الذي حَصَّ زُهَيْراً على هذه المُغامرة (البيان المغرب ٢: ١٧٠، ١٧١، ٢٩٣)، فالتقى الجيشان في قرية يقال لها أَلْفُونْت على نحو أربعة أميالٍ من غَرْنَاطَةِ (البيان المغرب ٢: ٢٩٣) فانهمَزَ زُهَيْرٌ ثم قُتِلَ، في آخر يومٍ من شَوَّالٍ من سَنَةِ ٤٢٩ (البيان المغرب ٢: ٢٩٣). وفي هذه المَعْرَكَةِ وَقَعَ ابنُ عَبَّاسٍ في الأسْرِ وسِيقَ إلى باديس في غَرْنَاطَةِ، فَجَنَّهُ باديسُ مدَّةً ثم قتله في سَنَةِ تسع وعشرين (البيان المغرب ٣: ١٩١) وأربعمئة.

وفي البيان المغرب ما يمكن أن يدلّ على مقتل زهير وأحمد بن عباس في يوم واحد (راجع ٣ : ١٧١ ، ١٧٢ السطر ١٠). وفي الإحاطة (١ : ٢٧٠) أن مقتل أحمد بن عباس كان في الواحد والعشرين من ذي الحجة من سنة سبع وعشرين (كذا) (وأربعمئة).

وفي « نفع الطيب » (١ : ٤٢٠ - ٤٢٣) نقلاً عن « المطمح » حديث جرى في أيام الحاجب المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢) يتناول جعفر المصحفي (قُتِلَ ٣٧٢) يُبدي الوزير أحمد بن عباس فيه رأياً. وفي « نفع الطيب » أيضاً (٣ : ٥٣٥ - ٥٣٦) كلام على أشياء من ترجمة « الوزير الكاتب أبي جعفر أحمد بن عباس وزير زهير الصقلي » وعلى أشياء من عناصر شخصيته وخصائصه الأدبية. وكذلك نجد في « نفع الطيب » (٣ : ٦١٠ - ٦١١) ذُكر مجلس يجتمع فيه أبو عامر بن شهيد (٣٨٢ - ٤٢٦ هـ) وابن بُرد الأكبر (تُوفِّيَ سنة ٤١٨) والأصغر (تُوفِّيَ سنة ٤٤٠ هـ). وحضر هذا المجلس الوزير أحمد بن عباس.

وليس في نفع الطيب ولا في الإحاطة ولا في أعمال الأعلام ذُكر لردّ للوزير أبي جعفر أحمد بن عباس على ابن غرسية. وليس من المعقول أن يكون للوزير ابن عباس هذا (ت ٤٣٩) ردّ على مقالٍ تُوفِّيَ صاحبه بعد سنة ٤٧٧ بمدة.

ويُصيب إحسان عباس (الذخيرة ٣ : ٧٥٥ ، الحاشية) في التساؤل عما إذا كان هنالك شخصان بهذه الكنية « أبي جعفر ».

إنّ الذي يبدو من الاستعراض المُفصّل الذي سبق يُجيز أن يكون هنالك أشخاص تتفق كُناههم وأساؤهم وألقابهم (في الكتابة أو الوزارة). وجبّ القرائن تدلّ على أن الوزير أبا جعفر أحمد بن عباس المقتول سنة ٤٢٩ يصُعبُ أن يكون صاحب الردّ على ابن غرسية المتوفى بعد سنة ٤٧٧.

* وفيما يلي مختارات من الردّ الذي صنعه ابن عباس - كائناً من كان ابن عباس هذا - اعتماداً على رواية ابن بسام الشنتريني في هذا الشأن (الذخيرة ٣ : ٧٤٦ - ٧٥٤).

هذا الردُّ أدنى مرتبةً من الردِّين الآخَرَيْنِ: لا يمتازُ بجديدٍ ولا يدلُّ على براعةٍ ثقافيةٍ خاصّةٍ. وهو يدورُ في الأكثرِ على الجدالِ اللُّغويِّ والشواهِدِ الأدبيةِ وعلى كثيرٍ من الإشاراتِ التاريخيةِ والعِلْميةِ (الفَلَكِيَّةِ مثلاً) والتي تُرجعُ إلى الخصائصِ اللغويةِ.

قال ابنُ عباسٍ:

عَلَيْكَ السَّلَامُ لَا السَّلَامُ - تَحِيَّةَ آلِكَ لَا هَدِيَّةَ آلِكَ^(١) - يَا ذَا الْوَسَنِ لَا اللَّسْنَ، وَاللَّكْنَ لَا الرِّكْنَ^(٢)، وَابْنَ الْمِرَاغَةِ لَا الْبَلَاغَةَ الْمُزْرِيَّ^(٣) بَوْلَاءَ مُوَالِيهِ، الْمُفْرِيَّ بِهَاجَرٍ وَقَدْ نَسِيَ أَرْقَاهُ مُوَالِيهِ^(٤).... أَمَا هَالِكٌ مَا أَضْنَاكَ وَأَمَّا لَكَ عَنِ اللَّهَجِ بِآلِ ذِي حَسَّانٍ وَحَلَلَةِ الْمَاءِ مِنْ غَسَّانٍ^(٥)؟ أَوْ مَا أَجَرَّ مِنْكَ اللِّسَانَ مَا فِي عُنُقِكَ مِنَ الْمَنِّ وَالْإِحْسَانِ^(٦)؟ عَلَى أَنَّكَ اسْتَفْنَيْتَ بَنِيكَ حِينَ أَبْقَيْتَ فَأَقْطَعْتَهُمْ مُلْكُ الْبِلَادِ وَالْحَسْبُ الْبِلَادُ^(٧) وَمَوَارِدَ الشَّرَفِ وَالْأَعْدَادِ، السَّامِينَ عَلَى الْأَنْدَادِ النَّامِينَ بِالْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ^(٨) مِنْ عَدَّانٍ عَادٍ وَعَادٍ شَدَّادٍ^(٩)... (وَالْعَرَبُ هُمْ) ذَوُو الْفِطَنِ وَالْهِمَمِ وَالْآرَاءِ وَالْمَجْدِ الْعَمِّ^(١٠) وَالْعِلْمِ بِالْأَفْلَاكِ وَالرَّصْدِ فِي الْأَحْلَاكِ^(١١).... أَخَذُوا عَلَى الْبَدْرِ ثَنَائِيَا سَفَرِهِ

-
- (١) السلام (بالكسر) جمع سلمة (بفتح فكس): الحجر. الآل: الأهل. والآل: (الأولى): مرسل الرسالة. آلِكَ (الثانية): أهلك. والمعنى المقصود غامض.
- (٢) الوسن: التعاس. اللسن: الفصاحة. حسن الحديث. اللكن: صعوبة الكلام.
- (٣) المراغة: الأتان، الهجارة. المزري العائب (المتكلم في العائب).
- (٤) الولاء: القرابة، المحبة. الموالي (بالضم): التابع، المقندي. المغربي: الحرص. هاجر: امرأة إبراهيم وأم اسماعيل (جدة العرب). الموالي (بالفتح) جمع مولى: سيد.
- (٥) هالك: أغزك. أضناك: ألزمتك الفراش من الضنى (شدّة المرض). اللهج: تكرار الكلام (المتابعة عليه (في هجاء الآخرين ٢٢)...
- (٦) إن للعرب فضلاً كبيراً عليك، ولكنك لم تذكر ذلك.
- (٧) ويبدو أنك قد استفدت من الانتساب اليهم فأبقيت (كانت فيك بقية من خير ومعرفة للجميل) فأشرت إلى اتساع ملكهم وإلى حسبهم (أعماهم الكريمة) التلاد (القديمة).
- (٨) النامين (المرتفعين).
- (٩) عدان: ساحل البحر وحافة النهر (أهل الحضرة).
- (١٠) العمم: العمم، العامّ الشامل.
- (١١) الأفلاك: مدارات الكواكب (علم الفلك). الحلك: الظلام (الليل).

وَنَقَضُوا عَنْ مَكَانٍ سَرَّهٖ ^(١) ، وَقَدَّوْا قَلَامَتَهُ مِنْ ظَفْرِهِ ^(٢) ، وَأَذَلُّوْا الدَّلُوَ بِالرِّشَاءِ
وَوَخَّلُوْا لِلْحَوْتِ سَرَبَهُ حَيْثُ شَاءَ ^(٣) ، وَقَلَّدُوا الْعَقْرَبَ إِبْرَتَهُ وَالْأَسَدَ زُبْرَتَهُ وَرَاشُوا مِنْ
الطَّائِرِ قَوَادِمَهُ وَقَصَّوْا مِنَ الْوَاقِعِ مَقَادِمَهُ ^(٤)

حَلَّوْا مِنَ الْأَرْضِ سِطَّتَهَا ^(٥) ، وَمِنْ قِلَادَةِ الدُّنْيَا وَاسِطَتَهَا ، وَبَيْنَ سَنَعِ الْأَرْضِ
وَبَصَرِهَا ^(٦) ، وَفِي جَفْنِ كِسْرَاهَا وَقَيْصَرِهَا ^(٧) لَفَاحٌ لَا يَدِينُونَ وَبِالْفَاحِ الْحُرُوبُ
يَدِينُونَ ^(٨) يَسْتَأْذِنُكُمْ الْإِتَاوَةُ فِي كُلِّ وَهْدٍ وَرُبَاوَةٍ ^(٩) وَيَوْمَ ذِي قَارٍ ، وَهُوَ أَشْهُرُ
مِنْ بَادٍ وَقَارٍ ^(١٠) : إِذْ أُسْرِوْا أَسَاوِرَتَكَ وَكُسِرُوا أَكَاسِرَتَكَ وَقَصَّوْا قِيَاصِرَتَكَ .
وَعَلَى ذِكْرِ الْبِفْلَةِ فَأَنْتُمْ لَهُ بُغَاءٌ ^(١١) : نَسَاؤُكُمْ عَلَيْهِ حَوَابِسٌ ^(١٢) ... وَلَا تَرَوْنَ ذَلِكَ مِنْ

- (١) نَابَا سَفَرُ الْبَدْرِ (حَبَابَ عَمْرِهِ) . نَفَضُوا : كَشَفُوا . بِحَنَوا . السَّرَارُ (بِالْكَسْرِ) : الْأَبْهَامُ الْأَخْبَرَةُ مِنَ الشَّهْرِ الْقَمَرِيِّ (وَيَكُونُ الْقَمَرُ فِيهَا مُسْتَسْرَأً : لَا يَظْهَرُ لِلنَّاطِرِ) .
- (٢) قَدَّوْا : قَطَعُوا . قَلَامَتُهُ : طَرَفُهُ (الْقَمَرُ حِينَمَا يَكُونُ هَلَالًا يَشْبَهُ قَلَامَةَ الظَّفْرِ . مِنْ ظَفْرِهِ : تَامَهُ : حِينَمَا يَكُونُ الْبَدْرُ تَامًا يَشْبَهُ ظَفَرَ الْإِبْهَامِ (بِالْكَسْرِ) : الْأَصْبَعُ الْغَلِيظَةُ مِنَ الْيَدِ أَوْ الرَّجْلِ .
- (٣) الدَّلُو ، الْحَوْتِ ، الطَّائِرُ ، الْخَ : مِنْ أَبْرَاجِ السَّمَاءِ (مَجَامِيعُ مِنَ النُّجُومِ حَوْلَ مَدَارِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، فِي عِلْمِ الْفَلَكَ الْقَدِيمِ) . الرِّشَاءُ : الْحَبْلُ الَّذِي يَسْتَقْبِلُ بِهِ مِنَ الْبَشَرِ .
- (٤) زُبْرَةُ الْأَسَدِ : الشَّعْرُ الْمُتَجَمِّعُ حَوْلَ كَاهِلِي الْأَسَدِ . (مِنْ (النَّسْرِ) الطَّائِرِ وَ (النَّسْرِ) الْوَاقِعِ . رَاشُوا : جَعَلُوا لَهُ رِبْشًا . الْقَادِمَةُ : الرِّبْشَةُ الْكَبِيرَةُ فِي طَرَفِ الْجَنَاحِ . الْمُقْصُودُ أَنَّهُمْ أَدْرَكُوا صُورَ هَذِهِ الْمَجَامِيعِ مِنَ النُّجُومِ (فِي رَأْيِ الْعَيْنِ) وَسَمَّوْهَا (بِفَتْحِ الْمِيمِ الْمُشَدَّدَةِ) أَسْمَاءَهَا .
- (٥) السَّلْطَةُ : الْوَسْطُ (بِفَتْحِ فَتْحَتِ) .
- (٦) بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَبَصَرِهَا (ظَاهِرَةٌ ، وَاضِحَةٌ) .
- (٧) فِي جَفْنِهِ (فِي مَكَانٍ مَزْجٍ لَهُ) .
- (٨) الْفَاحُ : الَّذِي فِيهِ مَنَاعَةٌ (إِذَا أُلْقِيَتْ النَّاقَةُ رَفَضَتْ الْفَحْلَ بَعْدَ ذَلِكَ) . وَالْقَوْمُ الْفَاحُ هُمُ الْفَنِينُ مَا دَانُوا (مَا خَضَعُوا) لِلْمُلُوكِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَلَا أَصَابَهُمْ سِي . يَدِينُونَ بِالْفَاحِ الْحَرْبُ (يَمْتَقِدُونَ بِصَوَابِ إِثَارَةِ الْحُرُوبِ) .
- (٩) يَسْتَأْذِنُكُمْ ... الْخَ : كَانَتْ قِبَاطِلُ مِنَ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَمْحُونَ قَوَافِلَ الْفَرَسِ التَّجَارِيَةِ إِذَا مَرَّتْ فِي مَنَاطِقِهِمْ وَيَأْخُذُونَ عَلَى ذَلِكَ أَتَاوَةً (خَوْفَ ، ضَرِيبَةً) . الْوَهْدُ (الْأَرْضُ الْمُنْخَفِضَةُ) وَالرُّبَاوَةُ : الرَّابِيَةُ ، التَّلَّةُ .
- (١٠) ذُو قَارٍ (رَاجِعُ ، ابْنُ الْأَثِيرِ ١ : ٤٨٢) . الْبَادِي : السَّاكِنُ فِي الْبَادِيَةِ (الْمُنْتَقِلُ) . الْقَارَ (بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ) : الْمُسْتَقَرَّ (السَّاكِنُ فِي الْحَضَرِ) .
- (١١) الْبِغَاءُ (بِالْكَسْرِ) النِّكَاحُ غَيْرُ الْمَشْرُوعِ . بُغَاءٌ : طَالِبُونَ .
- (١٢) حَوَابِسُ : مَحْبُوسَاتٌ عَلَيْهِ (لَا يَفْعَلْنَ غَيْرَهُ) .

النُّكْرُ. (أَمَّا نَسَاؤُنَا فَهِنَّ لِلطَّرَفِ قَوَاصِرُ وَعَلَى بَنِي الْعَمِّ قَوَاصِرُ^(١)) لَمْ يُحْتَضَنَ بَغِيَّةٌ وَلَا حَصْنٌ قَطُّ لِفَيْتَةٍ وَلَا إِقْرَافٍ^(٢)، بَلْ عَنْ أَشْرَافٍ فَأَشْرَافٍ....

فَحَلَّ عَنْ الْعَدْنَةِ وَالْيَزْيَةِ لَا الرَّسِيَّةِ^(٣)، فَتَفَاسَتْهُمْ نَفْسَانِيَّةٌ وَسِيَاسَتُهُمْ إِنْسَانِيَّةٌ. فَقَدْ أَعْدَرْنَا وَمَا عَدَرْنَا، وَ(لَكِنْ) نَذَرْنَا وَمَا أَنْظَرْنَا^(٤). فَالْعَصَا لِلْعَبْدِ إِنْ عَصَى، وَمِثْلُكَ مِنْ بَنِي سَهْوَانَ لَا يُوصَى^(٥). وَلَا يُقْبَلُ - وَلَا كِرَامَةٌ - مَا رَأَيْتَ فِي سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ مِنَ الْكِرَامَةِ^(٦).

٤-★★ الذخيرة ٣: ٧٠٥ وما بعد؛ المغرب ٢: ٤٠٦-٤٠٧.

ولادة المروانية

١- هي ولادة بنت الخليفة المستكفي بالله، وهو محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله ابن (الخليفة عبد الرحمن) الناصر (نفع الطيب ١: ٣٠١). وكانت أمها أمة (جارية) إسبانية (نصرانية) اسمها سكرى. وقد ورثت ولادة من أمها بشرتها البيضاء وشعرها الأصهب (المائل إلى الحمرة وعينيها الزرقاوين وجمال قوامها، كما ورثت من أبوتها كليهما ميلها إلى المرح والتفكك من قيود المجتمع والجراحة على الفساد.

ولما خلع المستكفي ثم قُتل (٤١٦ هـ) برزت ولادة للحياة العامة - وهي بعد في نحو الخامسة عشرة من العمر أو فوق ذلك قليلاً - وانفلتت من قيودها ثم استطاعت،

(١) قاصرات الطرف: حبيبات (لا يرفعن أبصارهن إلى ما لا يليق بهن). على بني العم قواصر: لا يتزوجن إلا في بني عمهن (لأنهم أكفأهن).

(٢) بغية ٢٢ غية: زنا. غابة: مطلب. (لغواية: لضلal ٢٢). إقراف: ذكر بالسوء. ولكن حصن (حين بضم فكسر) عن أشرف فأشراف (ليتزوجهن هن) ولسلمن) أشرف من الرجال.

(٣) اترك أنت الكلام في العدنية (عرب الشمال ٢٢) واليزية (عرب الجنوب) لا الرسية (٢).

(٤) أعدرنا القوم: جعلناهم يشرفون على الهلاك (أهلكاهم)، انتقمنا. نذرنا: أوجبنا (على أنفسنا قتالهم). انظرنا: أمهلنا.

(٥) السهوان: الساهي (الناسي، الغافل): من بني سهوان لا يوصى (إذا أوصيته بعمل شيء نسي، فلا فائدة من توصيته بشيء).

(٦) من أجل ذلك لا يقبل منه مديح في محمد رسول الله.

بما كان لها من الجمال والجاه والمال، أن تجعل من بيتها مُنتدى لرجال الأدب والجاه والسياسة.

في هذه الحِقبة نشأت الصِلَة بين ولادة وابن زيدون (راجع ترجمة ابن زيدون، ت ٤٦٣ هـ). غير أن حبّ ولادة لابن زيدون لم يدُم طويلاً، بينما هُيام ابن زيدون بولادة قد بقيَ على شيءٍ من العُنفِ إلى آخر حياة ابن زيدون. والذي يبدو أن ولادة قد أظهرت الميلَ إلى أبي عامرٍ أحد بن عبدوس، في أوّل الأمر، إغاطة لابن زيدون، كما كان ابن زيدون قد أظهر الميلَ إلى جاريتها السوداء إغاطة لها فيما قيل. ولكن لما أجمعت ولادة أمرها على أن تقطع صِلتها بابن زيدون قطعت صِلتها بالجمع وبالسياسة أيضاً ثمّ اطّأنت إلى العيش الهاديء في بيت ابن عبدوس بقيةً عُمُرها. وعاشت ولادة عشرين سنةً بعد ابن زيدون ثمّ ماتت - وقد تقدّمت بها السنّ وابن عبدوس كثيراً - في ثاني صفر من سنة ٤٨٤ (١٠٩١/٣/٢٦ م) في الأغلب.

٢ - كانت ولادة بنتُ المستكفي أديبةً شهيرةً (نفع ١: ٤٣٧) ومن أشهر شواعر الأندلس (نفع ٤: ٢٠٥) وإليها كتبَ ابنُ زيدون بقصيدته النونية المشهورة (نفع ٣: ٢٧٥): «أضحى التناي بديلاً من تدانينا». ولولادة أبياتٌ من الشعر يغلبُ فيها جانبُ المعنى على جانب الرّونق. هذه الأبيات وجدانية في الأكثر. ثمّ لها هجاءٌ مؤلم فاحشٌ سفيه (راجع نفع الطيب ٣: ٢٠٨ و ٤: ٢٠٥ - ٢٠٦).

٣ - مختارات من شعرها

- جعلتُ ولادةً لثوبها الرسمي (الذي تظهرُ به في المجتمعات) طِرَازاً (شِعاراً) نسجته بالذهب: جعلت على كلّ جانب منه بيتاً من البيتين التاليين:

أنا - والله - أصلحُ للمعالي وأمشي مُشيتي وأتبعُ تبيها^(١)،
وأمكن عاشقي من صَحني خدي وأعطي قُبلي من يشتهيها.

- وكتبت إلى ابن زيدون لما أولع بها بعد طول تمعّن:

(١) التيه (بفتح التاء أو كسرها): التكبر، الفخر بالنفس على الأقران.

ترَقَّبْ إذا جَنَّ الظلامُ زيارتي، فَإِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَ أَكْتَمَ لِلسَّرِّ (١).
وَيَ مِنْكَ مَا لَوْ كَانَ بِالشَّمْسِ لَمْ تَلُحْ، وَبِالنَّجْمِ لَمْ يَسِرْ (٢).
- وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ: (وَقَدْ اشْتَدَّ شَوْقُهَا إِلَيْهِ):

أَلَا هَلْ لَنَا مِنْ بَعْدِ هَذَا التَّفَرُّقِ سَبِيلٌ فَيَشْكُو كُلُّ صَبٍّ بِمَا لَقِيَ (٣)؟
وَقَدْ كُنْتُ أَوْقَاتَ التَّرَاوُرِ فِي الشِّتَا أَيْتُ عَلَى جَمْرِ مِنَ الشَّوْقِ مُحْرَقٌ (٤).
فَكَيْفَ وَقَدْ أَمْسَيْتُ فِي حَالِ قَطْعَةٍ؟ لَقَدْ عَجَلَ الْمَقْدُورُ مَا كُنْتُ أَتَّقِي (٥).
تَمُرُّ اللَّيَالِي لَا أَرَى الْبَيْنَ يَنْقُضِي وَلَا الصَّبْرَ مِنْ رِقِّ التَّشَوُّقِ مُعْتَقِي (٦).
سَقَى اللَّهُ أَرْضًا قَدْ غَدَّتْ لَكَ مَنْزِلًا بِكُلِّ سَكُوبٍ هَاطِلٍ الْوَبْلِ مُغْدِقٍ (٧)!

- وَيَبْدُو أَنَّ عَيْنَ ابْنِ زَيْدُونَ قَدْ امْتَدَّتْ إِلَى جَارِيَةِ سَوْدَاءَ لَوْلَادَةٍ، فَكُتِبَتْ وَلَادَةُ
إِلَيْهِ:

لَوْ كُنْتُ تُنْصِفُ فِي الْهَوَى مَا بَيْنَنَا لَمْ تَهَوَّ جَارِيَتِي وَلَمْ تَتَخَيَّرِ (٨)،
وَتَرَكْتَ غَضْنَاً مُشِيرًا بِجَاهِهِ وَجَنَحْتَ لِلْفُضْنِ الَّذِي لَمْ يُثْمِرْ (٩).
وَلَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنِّي بَدْرُ السَّمَاءِ لَكِنْ وَلَعْتُ لِشَقْوِي بِالْمُشْتَرِي (١٠).

-
- (١) جَنَّ الظلام (الأشياء): غطّاها وسترها (عن الميرون).
(٢) لاح يلوح: ظهر، بدا للنظر. سرى يسري: سار ليلاً.
(٣) «يشكو» حقها النصب. الباء في «بما» زائدة.
(٤) وقد كنت عند دنوّ وقت الزّيارة في الشتاء (البارد) أبيت: أفضي الليل (انتظر) على حجر (أشمر بحر شديد، مع أن الوقت شتاء).
(٥) فكيف، وأنت الآن قد قطعت زيارتك عني مرّة واحدة. اتّقى يتقّى: خاف.
(٦) البين: الفراق، البعاد.. معتقى: منقذي، مخلّصي.
(٧) تصف ولادة المطر بأنّه سكوب وهاطل (ساقط بكثرة وشدة). الوبل: المطر الكثير. المغدق: المطر الذي يغطي الأرض.
(٨) تتخيّر = تتخيّر (تفضلّها عليّ).
(٩) تركتني وأنت تستطيع الوصول إليّ (لأنني أنا أحبك) وجنحت (ملت) إلى الفصن الذي لم يثمر (لا ينفعك لأنها جاريتي وأنا أستطيع أن أحول بينك وبين الاتصال بها).
(١٠) بدر السماء: كناية عن الجهال وعن الظهور والوضوح. المشتري كوكب يصرر اكتشافه لبعده إلّا على العارفين بالفلك. وهو بعيد جداً. ثم هو كوكب نحس.

٤- ** الذخيرة ١: ٤٢٩ - ٤٣٣، الصلة ٦٥٧؛ بغية الملتبس ٥٣١ - ٥٣٢ (رقم ١٥٩٥)؛ نفع الطبيب ٤: ٢٠٥ - ٢١٢؛ المطرب ٧ - ١٠؛ نيكل، راجع ١٠٧، ١١٠٨ الأعلام للزركلي ٩: ١٣٥ - ١٣٦ (١١٨:٨). راجع أيضاً ترجمة ابن زيدون (ت ٤٦٣ هـ) ومصادرهما.

أبو عبيد البكري

١- هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري (نسبة إلى بكر بن وائل) الأندلسي من بيت شرف وإمارة: كان أباه ولاء على ولبة وشلطيش من قبيل خلفه قرطبة. فلما ضعفت الخلافة الروانية في قرطبة بالنازعات وسقطت دولة العامريين (٤٠٢ هـ) استبد آل البكري بما كان تحت أيديهم. ثم إن المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية انتزع ولبة من أبي المصعب عبد العزيز (والد أبي عبيد) بالحرب (٤٤٣ هـ) وأخذ منه شلطيش بالثراء. فانتقل عبد العزيز بأهله إلى قرطبة التي كان يحكمها بنو جهور.

وكذا أبو عبيد البكري في ولبة أو في شلطيش، في مطلع القرن الخامس (أوائل القرن الحادي عشر للميلاد). وتلقى أبو عبيد البكري أشياء من العلم على نفر من العلماء منهم أبو مروان بن حبان وأحد بن عمر بن أنس العذري (ت ٤٧٨ هـ) وأبو بكر محمد بن هشام المصنفي (ت ٤٨١ هـ) وأجاز له أبو عمر بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ). وانتقل أبو عبيد بعد موت أبيه (سنة ٤٥٦) إلى المريّة (وفيها لقي ابن أنس العذري). وفي المريّة أيضاً دخل في خدمة صاحبها المعتصم بن صّادح (٤٤٤ - ٤٨٠ هـ). وكان أبو عبيد يسافر للمعتصم: ذهب مرة في سفارة له إلى إشبيلية إلى المعتد بن عباد، فاستأله المعتد ابن عباد فبقي في إشبيلية. ويبدو أن أبا عبيد قد تقلّب بين البلدان في الأندلس، ولكن يبدو أيضاً أنه في أواخر حياته زهد في السياسة وفي المناصب وعاد إلى قرطبة ليَقِفَ وقته كله على العلم وحده.

ومرّض في أواخر أيامه ثم توفّي في شوال من سنة ٤٨٧ (خريف ١٠٩٤ م)، في قرطبة.

٢ - أبو عبيد البكري مؤلف خِصْبُ الجُهودِ له كُتُبٌ مختلفةُ الموضوعاتِ في اللغة والدين والطب والنبات. غير أنَّ شهرته إنَّما هي في كتبه الجغرافية. ومع أنَّه لم يرحل من الأندلس، فإنَّ كتبه الجغرافية جامعةٌ موثوقةٌ حسنةُ التصنيفِ والترتيب. فمن كتبه «المسالكُ والممالك» (وقد ضاعَ إلَّا فصلًا منه عن المغربِ والأندلس وما جاورها). ثمَّ له كتابٌ «مُعْجَمُ ما استعجمَ» (وهو في أسْمِ المَواضعِ في المَشْرِقِ)، وله كتابٌ في الأمثال. وللبكري أيضاً شعرٌ قليلٌ عليه مسحةٌ من حُبِّ اللّهُو.

٣ - مختارات من آثاره

- من مقدّمة فصل المقال في شرح كتاب الأمثال:

... أمّا بعدُ، فإنِّي تَصَفَّحْتُ «كتابَ الأمثالِ» لأبي عبيد القاسمِ بنِ سَلامٍ^(١) فرأيتُه قد أغفلَ تفسِيرَ كثيرٍ من تلك الأمثالِ فجاء بها مُهْمَلَةً، وأعرَضَ أيضاً عن ذكرِ كثيرٍ من أخبارِها فأوردَها مُرسَلَةً^(٢). فذكرتُ من تلك المعاني ما أشكل^(٣)، ووَصَلْتُ من تلك الأمثالِ بأخبارِها ما فَصَّلَ. وَبَيَّنْتُ ما أَهْمَلَ وَنَبَّهْتُ على ما رَيَا أَجْمَلَ^(٤)، إلى أبيات كثيرةٍ غيرِ منسوبةٍ نَسَبْتُها وأمثالٍ جَمَعْتُ غيرِ مذكورةٍ ذَكَرْتُها، وألفاظٍ عِدَّةٍ من الغريبِ فَسَّرْتُها. وعلى الله قَصْدُ السبيلِ، وهو حَسْبُنَا ونِعْمَ الوكيلُ^(٥). وقد رَبَّيْتُهُ على عِشرينَ باباً يَتَفَرَّعُ منها أبوابٌ في مَحَالِّها: في حِفْظِ اللِّهَانِ ويتفرَّعُ منه أبوابٌ في معناه - في معاييبِ المنطِقِ... - في مكارِمِ الأخلاقِ - في الجودِ والمجد - ... في المعاضِ والأموالِ - في العلمِ والمعرفة - ... في الظلمِ - ... في البخلِ وصفاته - ...

- اسم جزيرة الأندلس (من «المسالك والممالك»):

يُذَكِّرُ أَنَّ اسمَهَا القديمَ إِبَارِيَّةٌ من وادي أِبْرَةَ^(٦) ثمَّ سَمِيَتْ بعد ذلك باطقةً من

(١) أبو عبيد القاسم بن سَلامٍ المروزي (١٥٤ - ٢٢٣ هـ) له كتاب الأمثال السائرة.

(٢) مهمله ومرسلة (الملموح هنا): بلا تفسير ثم مقطوعة عن رواها وما يتعلّق بها.

(٣) أشكل: كان مشكلاً (غير واضح).

(٤) أجل: أوجز ولم يفصل.

(٥) «وعلى الله قصد السبيل» (١٦: ٩، سورة النحل): إنّ الله هو الذي يوجّهنا في الطريق السقيم الصحيح. «حسبنا...» (٣: ١٧٣، سورة آل عمران).

(٦) يبدأ في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة ويصبّ في الغرب (في المحيط الأطلسي).

وادي بيطي وهو نهر قُرْطُبَة. ثُمَّ سُمِّيَتْ إِسْبَانِيَّةً من اسم رجلٍ مَلَكَهَا في القديم كان اسمه إِسْبَانُ. وقيل إِنَّمَا سُمِّيَتْ بالإِسْبَانِ^(١) لَمَّا سَكَنُوهَا في أوَّلِ الزمان على حرمة^(٢) النهر وما والاها. وقال قومٌ: إِنَّ اسمَهَا إِنَّمَا هو في الحقيقة اشْبَارِيَّة، مُسمَّاة من أَشْبَرَشَ وهو الكوكب المعروف بالأحمر. وسُمِّيَتْ بعد ذلك بالأندلس من أسماء الأندليش الذين سَكَنُوهَا...

- جبال الأندلس (منه):

ومن الجبال المشهورة بالعِظَمِ في بلدِ الأندلس منها إلبيرة وهو جبل الثلج وهو متَّصل بالبحر المحيط المتوسط^(٣)، منتظمٌ مجبل ريةً ولاصقٌ بالجزيرة^(٤) مع البحر. ويذكرُ ساكنوه أنهم لا يزالون يَرَوْنَ الثلج نازلاً فيه شتاءً وصيفاً. وهذا الجبل يُرى من أكثر بلاد الأندلس، ويُرى من عِدْوَةِ البحر ببلاد البربر^(٥). وفي هذا الجبل أصنافُ الفواكِحِ العجيبة. وفي قَرَاهِ المتَّصلة به يكونُ أَفْضَلُ الحريرِ والكتَّانِ الذي يَفْضَلُ كِتَانُ الفَيَّومِ.

ومنها جبال البُرْت، وهو الحاجز بين بلاد الإسلام وبلاد غاليس، ومُبتدأهُ من البحر القبلي المتوسط المجاور طُرطوشةً ومنتهأهُ إلى البحر الغربي بين الإشبونة^(٦) وجَلِيْقِيَّة.

ومنها الجبل الحاجز بين بلاد إفريقية وبلاد الصقالبة.

- قال أبو عبيد البكري في الخمر:

خَلِيلِي، إِنِّي قَدْ طَرَبْتُ إِلَى الْكَاسِ وَتَقَتُّ إِلَى شَمِّ الْبَنْفَسِجِ وَالْآسِ؛

-
- (١) لعلَّ هذا الاسم جاء من شابان أو شيشان (سابان)، وهو شجر الصنوبر (أو شجر من فصيلة الصنوبر) الذي يكثر هناك.
- (٢) وفي رواية «جرية» (بكسر الجيم: مجرى).
- (٣) المقصود: البحر الأبيض المتوسط الذي يحيط بشبه الجزيرة من الشرق وبعض الجنوب.
- (٤) الجزيرة الخضراء (رأس في جنوب شبه جزيرة اسبانية).
- (٥) من المغرب (من قارة أفريقيا).
- (٦) لشبونة عاصمة البرتغال اليوم (على المحيط الأطلسي).

فقوما معي نلهو ونستمعُ الغنا ونسرُقُ هذا اليومَ سِرًّا من الناس .
فليس علينا في التعلُّل ساعة - وإن وَقَعَتْ في عُقْبِ شَعْبَان - من باس .

- وقال يصف خطَّ ابن مُقْلَةَ (الخطاطِ العَاسِي المُجيد المشهور):

خَطُّ ابْنِ مُقْلَةَ من أرعاه مقلته ودَّت جوارحُه لو أصبحت مُقْلًا^(١) .
فالدُّرُّ يَصْفُرُ لاستحسانِهِ حَسَدًا ، والورْدُ يَحْمُرُ من إبداعِهِ حَجَلًا !

- ٤

المسالك والممالك، الجزائر ١٩١١ م.

معجم ما استمع (نشره وستنفلد)، غوتجن (دويرليخ) ١٨٧٦ م؛ (حققه مصطفى السقا)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٥ - ١٩٥١ م.

- المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب (تحقيق دي سلان)، الجزائر ١٨٥٧ م؛ (نسخة بالتصوير)، المغرب (مطبعة الحكومة) وبغداد مطبعة المثنى بلا تاريخ.

- جغرافية الأندلس وأوروپة من كتاب المسالك والممالك (تحقيق عبد الرحمن علي الحجي)، بيروت (دار الإرشاد) ١٩٦٨ م.

- فصل المقال في شرح كتاب الأشغال لأبي القاسم بن سلام الهروي (حققه عبد المجيد عابدين واحسان عباس)، الخرطوم (جامعة الخرطوم) ١٩٥٨ م، ثم بيروت (دار الثقافة) ١٩٧١ م.

- سبط الآلي في شرح الأمالي (للقالي)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٦ م.

- التنبيه على أبي علي (القالي) في أماليه، القاهرة (مطبعة دار الكتب) ١٩٢٦ م، ثم ١٩٥٤ م؛ بيروت (دار الكتاب العربي) بلا تاريخ.

★★ قلائد العقيان ٢١٨ - ٢١٩؛ الذخيرة ٢: ٢٣٢ - ٢٣٨ الصلة ٢٧٧ - ٢٧٨؛ الخريدة (الأندلس) ٤: ٥٠٤ - ٥٠٦؛ الخريدة (المغرب) ٢: ٤٧٥ - ٤٧٦؛ الحلة السيرة ٢:

١٨٠ - ١٨٧؛ طبقات الأطباء ٢: ٥٢؛ المغرب ١: ٣٤٧ - ٣٤٨؛ بغية الوعاة ٢٨٥؛

نفع الطبيب ١: ٢٩٢، ٢: ٦٦٥، ٣: ١٨٤ - ١٨٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ١:

١٥٥ - ١٥٦ م؛ لعل ٢٧: ٥٢٠؛ بروكلن ١: ٦٢٧ - ٦٢٨، الملحق ١٨٧٥؛ نيكل

١٩٥، الأعلام للزركلي ٤: ٢٣٣ (٩٨)، بالنشأ ٣٠٩ - ٣١١.

(١) تمى أن تكون كلّ جراحة (عضو) في جسمه مقلة (عيناً) ينظر بها إلى ذلك الخط الجميل.

ابن العسال

١ - هو أبو محمد عبد الله بن فرَج بن غَزَلُون بن خالد الأنصاري البحصي، وُلِدَ في طَلَيْطَلَة في مطلع القرن الخامس. وتلقى ابنُ العسال العلمَ على أبيه وعلى نَفَرٍ آخرينَ منهم ابنُ عبدِ البرِّ ومَكِّي بنُ أبي طالبٍ وابنُ شَيْقِ اللّيلِ مُحَمَّدُ بنُ إبراهيمَ الأنصاريُّ ٢٢ هَدَّثَ الطَّلَبِيرِيُّ (ت ٤٥٥ هـ). ويبدو أن ابنَ العسالِ كان قد انتقل إلى طَلَيْبِرةَ لِيَسْمَعَ مِن ابنِ شَيْقِ اللّيلِ، إذ أَنَّهُ تَوَلَّى فيها القضاةَ بعدَ أبي الوليدِ الوَقْشيِّ.

ثمَّ إنَّ ابنَ العسالِ عادَ إلى طَلَيْطَلَة. ولكنَّ لَمَّا اسْتَوَلَى الإسبانُ عليها، سَنَةَ ٤٧٨ هـ، انتقلَ منها إلى غَرْنَاطَة. وكان ابنُ العسالِ يُقرئ الفقهَ والتفسيرَ. وفي غَرْنَاطَة كان يَعْطِ الناسَ في مَسْجِدِها الجامع. وفيها كانت وفاته في عاشرِ رَمَضانَ من سَنَةِ ٤٨٧ هـ (١٠٩٤/٩/٢٣ م).

٢ - أبو العسالِ البحصيُّ فقيهٌ زاهدٌ غَلَبَ عليه حِفْظُ الحديثِ والوعظ، وكانت له معرفة واسعة بالأدب والنحو والتفسير. وكان أديباً فصيحاً وشاعراً مطبوعاً، ولكنَّ وَصَلَ إلينا نَتَفٌ من شعره فقط. وكان له تأليفٌ في الوعظ.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابنُ العسالِ البحصيُّ، بعدَ سقوطِ طَلَيْطَلَة، يَرَى الخَطَرَ الداهِمَ على الأندلس من الإسبان:

يا أهلَ أُنْدَلُسَ، حُثُوا مَطِيئَكُمْ، فما المَقامُ بها إلا من القَلَطِ.
الثوبُ يَنْسِلُ من أطرافِه، وأرى ثوبَ الجزيرةِ منسولاً من الوَسَطِ
وغن بينَ عَدُوٍّ لا يُفارِقنا؛ كيفَ البقاءُ مَعَ الحَياتِ في سَفَطِ^(١).

- وله في الترهيد (نفع الطبيب ٣ : ٢٠٨ - ٢٢٨):

انظُرِ الدنْيا فإنَّ أبادَ صرَّتْها شَيْئاً يَدُومُ،
فاغْدُ منها في أمانٍ إنَّ يُساعِدُكَ النِّعمُ.

(١) السَطَط: وعاء (في الأصل ، يوضع فيه الطبيب).

وَإِذَا أَبْصَرْتَهَا مِنْكَ عَلَى كُرُو تَهْمٍ،
فَاسْأَلْ عَنْهَا وَاطْرَحْهَا وَارْتَحِلْ حَيْثُ تَقْسِمُ.
- وَقَالَ أَيْضاً:

أَعِنْدَكُمْ عِلْمٌ بَأَنِّي مُتِّمٌ؟ وَإِلَّا فَمَا بَالُ الْمَدَامِ تَنْجُمُ^(١)؟
وَمَا بَالُ عَيْنِي لَا تَغْمِضُ سَاعَةً كَأَنِّي فِي رَغْيِ الدَّرَارِيِّ مُنْجَمُ^(٢).

٤- ** الصلة ٢٧٦: المغرب ٢: ٢١ بغية الوعاة ٢٨٦: نفع الطيب ٣: ٢٠٨، ٢٢٨، ٤: ١٣٥؛ نيكل ٣١٣: مختارات نيكل ١٤٨ (وفيه أبو العسال)، ١٩٩.

أبو الحسن الحضري الضري القيرواني

١- هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري القيرواني الضري الحضري، نسبة إلى صناعة الحصر، وُلِدَ في القيروان سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) في الأغلب. وقد توفيت أمه وهو صغير لم يجاوز دوز الطفولة بعد، ثم أضرَّ (عمي). ويبدو أنه كان قد جاوز الخامسة والعشرين وقال الشعر حينما توفي أبوه قبيل ٤٤٩ هـ (١٠٥٧ م). تلقى الحضري الضري القراءات وعلوم اللغة والأدب على أساتذة منهم أبو بكر عتيق بن أحمد بن إسحاق التميمي القصري (ت في شعبان ٤٤٧ هـ) وأبو علي الحسن ابن حسن بن حمدون الجلولي وأبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الحميد.

وعاش الحضري في القيروان منصرفاً إلى التدريس وإلى قول الشعر، ولكن يبدو أنه لم يتصل بالميز بن باديس (٤٠٦-٤٥٣ هـ). وبعد هجوم العرب (البدو) على القيروان واستباحتها، سنة ٤٤٩ هـ، انتقل الحضري إلى سبتة حيث اشتغل بالتدريس أيضاً ولَمَعَ نجمه في عالم الشعر، فاستدعاه المتمدن بن عباد، وكان لا يزال أميراً، إلى إشبيلية. فلم يشأ الحضري أن يجوز إلى الأندلس، خوفاً من ركوب

(١) سجم : سال.

(٢) رمي: مراقبة، رصد) الدراري (النجوم).

البحر، فكان يُرسلُ المعتمدَ ويُرسلُ إليه غُلامه ليَحْمِلَ إليه من المعتمدِ الأموالَ والجواهر.

غير أنه عادَ فانتقلَ إلى الأندلسِ، سنةَ ٤٦٢ هـ (١٠٧٠ م)، واتَّصلَ ببِلَاطِ المعتمدِ ولكن سرعانَ ما غادره - لِسَبَبٍ لا نَعْرِفُهُ - وأخذَ يَتَطَوَّفُ ببِلَاطَاتِ ملوكِ الطوائفِ الآخرينَ: نَزَلَ في دانيةَ فَمَدَحَ أميرَها إقبالَ الدولة بنَ مُجاهدِ العامريِّ، ولَمَّا استولى المقتدرُ بنُ هودٍ أميرُ سَرَقُسطَةَ على دانيةَ وأَسَرَ إقبالَ الدولة، نحوَ سنةَ ٤٦٨ هـ (١٠٧٥ - ١٠٧٦ م) لم يَجِدِ الحُصْرِيُّ ضَيْراً في أن يمدَحَ المقتدرَ بنَ هودٍ (ت ٤٧٤ هـ). ويبدو أن الحُصْرِيَّ مَدَحَ بعدَ ذلك أبا عبدِ الرحمنِ مُحَمَّدَ بنَ طاهرٍ أميرَ مُرْسِيَّةَ (٤٥١ - ٤٧١ هـ). وكذلك مدحَ المُعْتَصِمَ بنَ صَاحِدٍ (ت ٤٨٠ هـ) أميرَ المَرْيَةِ. ولعلَّه بَقِيَ في المَرْيَةِ مُتَّصِلاً بأحدَ بنِ المعتمدِ.

في هذه الأثناء، أو بعدَ ذلك بقليل، نَجِدُ الحُصْرِيَّ في مالِقَةَ يمدَحُ القاضي أبا المُطَرِّفِ الشَّعْبِيَّ ثم يمدَحُ خَلَفَهُ في القضاء أبا مروانَ بنَ حَسُونِ (ت ٥٠٥ هـ).

ثم اضطربت أحوالُ الأندلسِ اضطراباً شديداً، لأنَّ الأمورَ كانت قد فَتَتْ بينَ ملوكِ الطوائفِ وبينَ سُلْطَانِ المُرَابِطِينَ يوسفَ بنِ تاشفينَ وبدأ المُرَابِطُونَ يَسْتَوْلُونَ على دُوَلَاتِ ملوكِ الطوائفِ. وعاد الحُصْرِيُّ من الأندلسِ إلى طَنْجَةَ، سنةَ ٤٨٣ هـ ومكثَ فيها إلى أن تُوُفِيَ سنةَ ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م).

٢- أبو الحسنِ الحُصْرِيُّ الضَّرِيرُ أديبٌ مُتَرَسِّلٌ وشاعر. على أنَّ شهرتهِ إنما هي في شعره. وَهُوَ سَهْلٌ الشعرِ سريعُ النظمِ صاحبُ بديهةٍ ذو مَعَانٍ قَريبَةٍ حَسَنَةٍ سَهْلَةٍ سَيَرورُهَا على الأُلسُنِ، غَزِيرُ المَادَّةِ اللُّغَوِيَّةِ صحيحُ الأسلوبِ ولكنَّ تراكيبَهُ تَضَعُفُ أحياناً. ثم هو متكلفٌ في تَطَلُّبِ أوجهِ البلاغةِ (في نثره وشعره) يَقلِّدُ في ذلك نفراً من المَشارقة والمعرِّيِّ (ت ٤٤٩ هـ) منهم خاصَّةً في لزومِ ما لا يَلْزَمُ على الأخصِّ (الديوان: ١٣٣):

يَا أَدِيْبًا مَلَكْتَنِي فِي يَدَيْهِ الْمَكْرُمَاتُ
لَيْسَتْ قَوْمًا دَأْبُهُمْ فِيَّ وَفِيكَ الْعَكْرُ مَا تَوَا.

وَشِعْرُهُ كُلُّهُ قَصِيدٌ (ليس له توشيحٌ أو رَجَزٌ) في قصائدٍ ومقطعاتٍ. ثم له تَحْمِيسٌ

وَمُعْشَرَاتُ (مقاطعُ تتألفُ كلُّ واحدةٍ منها من عشرة أبياتٍ) هُوَ مُبْتَكِرُهَا، وقد التزم فيها أن تكون مبادئُها كقوافيها:

زخارفُ دُنْيَانَا الأنيقة أصبحت هشيماً كما رثَ الرداءُ المُطَرَّرُ.
زمانُ الصبَا، للهِ درُّكُ، لم تَزَلْ مواعيدُ من نَهَوَى لنا فيكَ تُنَجِّزُ^(١).
زَعَمْتُمْ بأنَّ الحبَّ فيه تَذَلُّ؛ صَدَقْتُمْ! وفيهِ لِلإِلَاحِ تَعَزُّزُ.

للحَصْرِيِّ مديحٌ للتكسبِ، وربَّما أَحْسَنَ في مدحِ الذننِ يُجِيبُهُمْ. وله رثاء كثيرٌ، وخصوصاً في وطنِهِ - بعد نكبةِ القِيروان - وفي ابنِهِ عَبْدِ الْغَنِيِّ، وهجاءٌ مُرٌّ لاذِعٌ ونسيبٌ قليلٌ فيه عُدوبةٌ وِرْقَةٌ وبراعةٌ. وله أيضاً شيءٌ من الحِكْمَةِ والمواعظِ والشُّكُوى.

وآثارُ الحصريِّ الضَّريرِ:

١ - رسائلُ إخوانيةٌ وخُطَبٌ ليس فيها براعةٌ سيوى تكلُّفٍ أوجِهَ البلاغةُ بجعلِ الخُطبةِ عاطلةً (خاليةً من الإعجام: النقط على الأحرف) أو منقوطةً على جميعِ حروفِها.

٢ - مجموعاتٌ مختلفةٌ من الشعرِ:

(أ) المُعْشَرَاتُ: مقطعاتٌ في الغزلِ تتألفُ كلُّ واحدةٍ منها من عشرة أبياتٍ على جميعِ حروفِ الهجاءِ، أي مَائَتَيْنِ وَتِسْعِينَ بيتاً (باعتبار «لا» حرفاً مُستقلاً). وكلُّ مقطوعةٍ تبدأ أبياتها وتنتهي بحَرْفٍ واحدٍ وليس هذا الكتابُ للحصريِّ صاحبِ «زهر الآداب»...

(ب) اقتراحُ القريحِ واقتراحُ المريجِ: مجموعٌ من الشعرِ في رثاءِ ابنِهِ عَبْدِ الْغَنِيِّ، وقد عاشَ تِسْعَ سَنَوَاتٍ وأربعةَ أَشْهُرٍ (نحو ٤٦٦ - ٤٧٥ هـ). وفي هذا الديوانُ قصائدٌ على حروفِ الهجاءِ منها تِسْعٌ وعشرون مقطوعةً على نَمَطِ المُعْشَرَاتِ (ولكنَّهُ جعلَ كلَّ مقطوعةٍ منها خَمْسَةَ عَشَرَ بيتاً).

(١) أغزى الوعد: وفى به (حقه) - ما زلنا قادرين على أن نتمتع بما يعدنا به المحبون (ما زلنا في أول الشباب).

(ج) مُسْتَحْسَنُ الْأَشْعَارِ: قصائد في مدح المعتمد بن عباد.

(د) متفرقات مختلفة فيها القصيدة المشهورة: «يا ليل الصب متى غده؟».

٣ - مختارات من آثاره

- للحُصْرِيُّ الضَّرِيرِ قصيدةٌ طويلةٌ مَطلَعُها: يا ليل الصب متى غده! قالها في مَدَحِ الأمير أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر صاحب مُرْسِيَّة (ت ٤٥٥ هـ). في ذلك الحين كان الحُصْرِيُّ يُدْرَسُ في جامع مُرْسِيَّة فَوَسَّى جاعَةً به إلى الأمير وقالوا إِنَّه يَشْتُمُّ في مجالسه. فنظم الحُصْرِيُّ هذه القصيدة ليدفع التهمة عن نفسه أو ليتبرأ منها. والقصيدة تسعة وتسعون بيتاً منها ثلاثة وعشرون في مَطلَعِها في الغَزَل من هذه القصيدة:

يا ليل، الصب متى غده	أقيام الساعة موعده ^(١) ؟
رقد السمار فأرقه	أسف للبين يردده ^(٢) .
فبكاه النجم ورق له	ما يزعاه ويرصده ^(٣) .
كلّف بغزال ذي هيف	خوف الواشين يشرده ^(٤) .
نصبت عيناى له شركاً	في النوم فعزّ تصيده.
صنم للفتنة منتصب	أهواه ولا أتعبده.
صاح - والخمر جنى فيه -	سكران اللخطِ معرضه.
ينضو من مقتلته سناً،	وكان نعاساً يغمده ^(٥) .
فيريق دم العشاق به؛	والويل لمن يتقلده.
كلا، لا ذنب لمن قتلت	عيناه ولم تقتل يده.
يا من جحدت عيناه دمي،	وعلى خديه تورده،

(١) الصب: الحب. قيام الساعة: يوم القيامة.

(٢) السامر: الساهر بالليل يتحدث إلى رفاقه. البين: البعاد، الهجر.

(٣) رعى الرجل النجم (راقب حركته). رصده: درس مواقفه (تبدّل مواقفه في السوء).

(٤) الكلف: الشدّيد الحب. الهيف: دقة الحصر.

(٥) نضا الرجل السيف: شهره (أخرجه من بيته ليقاتل به).

خَدَاكَ قَدْ اغْتَرَفَا بَدْمِي
 إِنِّي لِأَعْيِدُكَ مِنْ قَتْلِي
 بِاللَّهِ، هَبِ الْمُشْتَاقَ كَرَى
 مَا ضَرَّكَ لَوْ دَاوَيْتَ ضَنْيَ
 لَمْ يُبْقِ هَوَاكَ لَهُ رَمَقًا،
 وَغَدَاً يَقْضِي أَوْ بَعْدَ غَدٍ؛
 الْحُبُّ أَعْفُ ذَوِيهِ أَنَا
 كَالدَّهْرِ أَجَلُ بَنِيهِ أَبُو
 فَالْيَوْمَ هُوَ الْمَلِكُ الْأَعْلَى
 هَمِينَ لَيْنٌ فِي عِزَّتِهِ،
 يَطْوِي الْأَيَّامَ وَيَنْشُرُهَا،
 تَرَكَ اللَّذَاتِ، فَهَمَّتُهُ
 وَهَدَى فِي الْخَيْرِ يُرْغِبُهُ،
 مَنْ ذَمَّ الدَّهْرَ وَزَارَكَ، يَا
 إِنْ ذَلَّ فَجِيشُكَ يَنْصُرُهُ،
 أَوْ رَاحَ إِلَى أُنْبِيَّتِهِ
 أَنْتَ الدُّنْيَا وَالسُّنَى لَنَا
 لَوْ أَنَّ الصَّخْرَ سَقَاهُ نَدَى
 أَتَرَكَ غَضِبْتَ لِمَا زَعَمُوا
 فَبَدَا مِنْ سَيْفِكَ مُبْرِقُهُ،

فَعَلَامَ جُفُونُكَ تَجَعَّدُهُ؟
 وَأَطْنُوكَ لَا تَتَعَمَّدُهُ.
 فَلَعَلَّ خَيَالِكَ يُسْعِدُهُ!
 صَبَّ يُذْنِيكَ وَتُبْمِدُهُ^(١)؟
 فَلَيْبِكَ عَلَيْهِ عُودُهُ^(٢)
 هَلْ مِنْ نَظَرٍ يَتَمَزَّوْدُهُ؟
 - غَيْرِي بِالْبَاطِلِ يُفْسِدُهُ -
 عَبْدُ الرَّحْمَنِ مُحَمَّمُهُ.
 مَوْلَى مَنْ شَاءَ وَسَيِّدُهُ؛
 لَكِنْ فِي الْحَرْبِ تَشَدُّدُهُ.
 وَيُقِيمُ الدَّهْرَ وَيُقِيمِدُهُ.
 عِلْمٌ يَرْوِيهِ وَيُسْنِدُهُ^(٣)
 وَتُقَى فِي الْمَلِكِ يُزَهِّدُهُ.
 مَلِكُ الدُّنْيَا، فَسَيَحْمَدُهُ.
 أَوْ ضَلَّ فَرَأَيْكَ يُرْشِدُهُ؛
 ظَنَّاكَ فَحَوْضُكَ يُورِدُهُ.
 وَكَرِيمُ الْعَصْرِ وَأَوْحَدُهُ.
 كَفَيْسَكَ لَا وَرَقَ جُلُوسُهُ^(٤).
 وَطَمَى مِنْ بَحْرِكَ مُزِيدُهُ^(٥)،
 وَعَلَا مِنْ صَوْتِكَ مُرْعِدُهُ!

(١) الضنى: شدة المرض (مع التحول) ..

(٢) الرمق: بقية الروح (في الجسم). العائد: الذي يزور المريض.

(٣) يرويه (عن العلماء) ويسنده (بذكر الراوي الذين قبله): علمه كثير وموثوق.

(٤) الندى: الكرم. الجلمد: الصخر القاسي.

(٥) طمى الماء في النهر أو البحر: ارتفع (كثر). المزيد: الحاجج (حينما يصبح الزبد عائقاً على الأمواج).

أَنْتَ الْمَوْلَى، وَالْعَبْدُ أَنَا؛ فَبَأَيِّ وَعَيْدِكَ تُوعِدُهُ؟
 مَا لِي ذَنْبٌ فُتِمَاقِبَنِي؛ كَذِبَ الْوَاشِي تَبَّتْ يَدُهُ (١) !
 وَلَوْ اسْتَحَقَّقْتُ مُعَاقِبَةً لِأَبَى كَرَمٍ نَتَمَوَّدُهُ.
 أَهْدَيْتُ الشَّعْرَ عَلَى شَحَطٍ وَنَدَاكَ قَرِيبٌ مَوْلَدُهُ (٢).
 مَا أَجُودَ شِعْرِي فِي خَبَسٍ! وَالشَّعْرَ قَلِيلٌ جَيْسِدُهُ (٣).
 لَوْلَاكَ تَسَاوَى بَهْرَجُهُ، فِي سَوَى الصَّرَفِ، وَعَجَبُهُ (٤)؛
 وَلَضَاعَ الشِّمْرُ لِذِي أَدَبٍ أَوْ يُنْفِقُهُ مَنْ يَنْقُدُهُ (٥) !

- وَلِلْحَضْرِيِّ الضَّرِيرِ رِسَالَةٌ يَهْجُو فِيهَا أَبَا الْحُسَيْنِ بْنِ الطَّرَاوَةِ:

..... وَزَعَمَ هَذَا الْأَهْوَجُ الْأَعْوَجُ أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ رَسْمِي وَلَا سَمِعَ بِاسْمِي؛ كَأَنَّا وَلَدٌ
 بِالْأَمْسِ أَوْ بُعِثَ مِنَ الرَّمْسِ أَوْ عَمِيَ عَنِ الشَّمْسِ. لَوْ عَلِمَ قَدَرَ نَفْسِهِ لَمْ يَجْهَلِ الْعِلْمَ،
 وَلَوْ أَرَادَ السَّلَامَةَ لَأَتَى السَّلَامَ.....

- وَمِنْ خَطْبَةٍ لَهُ عَاطِلَةٍ (غَيْرِ مُعْجَمَةٍ):

الْحَمْدُ لِلَّهِ مَالِكِ الْمُلْكِ وَلَا أَمَدَ، وَمُتَمِّكِ السَّمَاءِ وَلَا عَمَدَ (١) سَمَكَهَا وَأَطْلَعَ مُهْلَهَا،
 وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا (٢)، لَا أَمَرَ إِلَّا أَحْكَمَهُ، وَلَا مُرَادَ إِلَّا حَكَمَهُ. لَا إِلَهَ إِلَّا
 هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ، لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ.....

صَلَاحُ الْعَادَةِ أَصْلُ السَّعَادَةِ، وَالْوُدُّ مَعَ الْمَلَلِ أَسْوَأُ الْمَلَلِ (٣) ...

- وَقَالَ فِي مَوْتِ الْمُعْتَصِدِ وَخِلَافَةِ ابْنِهِ الْمُعْتَمِدِ لَهُ:

-
- (١) تَبَّتْ: انْقَطَعَتْ، حُلِكَتْ.
 (٢) الشَّحَطُ: بَعْدَ الدَّارِ وَالْمَسْكَنِ.
 (٣) الْخَبَسُ بِحَرِّ (وَزْنٍ) مِنْ مَجْزُورِ الشَّعْرِ يَنْدُرُ أَنْ تَنْظُمَ عَلَيْهِ الْقَصَائِدَ الطُّوَالَ.
 (٤) الْبِهْرَجُ: الْبَاطِلُ (أَقْطَعَةُ الْعَمَلَةِ الْمَفْشُوشَةِ الَّتِي لَا تَقْبَلُ فِي النُّوْقِ). الْمَسْجِدُ: الذَّهَبُ.
 (٥) يَنْقُدُهُ (يَشْتَرِي مِنْهُ كَثِيرًا حَتَّى يَرْجُحَ: يَكْثُرُ عَلَيْهِ الطَّلَبُ) مَنْ يَنْقُدُهُ (مَنْ يَهْرِفُ الْجَيِّدُ مِنْهُ مِنَ الرَّدِيِّه).
 (٦) الْأَمَدُ: الْمُدَّةُ. الْمَسْدُ جَمْعُ عُمُودٍ.
 (٧) سَمَكَهَا: رَفَعَهَا. الْمَهْلُ: أَطْلَعَ اللَّهُ مَهْلَ الْأَرْضِ: أَخْرَجَ مِنْهَا الْمَعَادِنَ. عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا (الْفُرْقَانُ الْكَرِيمُ ٢: ٣١، سُورَةُ الْبَقَرَةِ) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي عَلَّمَ الْإِنْسَانَ الْلُغَةَ الَّتِي يَتَكَلَّمُ بِهَا.
 (٨) الْمَلَّةُ: السِّنُّ، الشَّرِيعَةُ (الْعَادَةُ). وَالتَّائِهَ الْمُرْبُوطَةَ لَا تَعْدُ هُنَا مِنْ ذَوَاتِ النُّقْطِ.

مات عبّادٌ ولكن بقي الفرع الكريم .
فكأنّ الميّت حيّ غير أنّ الضادّ ميم^(١) .

- ٤- ** أبو الحسن الحصري القيرواني: عصره، حياته، رسائله، ديوان المتفرقات الخ، تأليف محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى، تونس (مكتبة المنار) ١٩٦٣م .
- معارضات قصيدة « يا ليل الصّب » (جمعها عيسى اسكندر المعلوف)، القاهرة (مطبعة الهلال) ١٩٢١م ؛ معارضات قصيدة الحصري (جمعها يحيى الدين رضا)، القاهرة ١٣٣٨ هـ = ١٩١٩م ، الطبعة الثانية ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٤م ؛ « يا ليل الصّب ومعارضاتها لكبار شعراء العربية »، الطبعة الرابعة، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) ١٩٥١م .
جدوة المقتبس ٢٩٦، بغية الملتبس ٤١٢ - ٤١٣؛ الذخيرة ٤: ٢٤٥ - ٢٦٤؛
الصلة ٤٤١٠، معجم الأدياء ١٤: ٣٩ - ٤١؛ وفيات الأعيان ٣: ٣٣١ - ٣٣٤؛
الحريدة (الأندلس) ٤: ٥٠ - ٥١؛ نكت الحميان ٢١٣ - ٢١٤؛ ابن قنفذ
٢٥٩ - ٢٦٠؛ بغية الوعاة ٣٤١ - ٣٤٢؛ شذرات الذهب ٣: ٣٨٥ - ٣٨٨؛ دائرة
المعارف الإسلامية ٣: ٦٤٠ - ٦٤١؛ بروكلمن ١: ٤٠٨، الملحق ١: ٤٧٩؛ مجمل
تاريخ الأدب التونسي ١٥٨؛ الأعلام للزركلي ٥: ١١٤ - ١١٥ (٤: ٣٠٠).

المعتمد بن عبّاد

- ١- هو الْمُعْتَمِدُ على الله، الظافر المؤيد، أبو القاسم محمد بن عباد بن محمد بن اسماعيل بن عباد، ولد في ربيع الأول من سنة ٤٣٢ (كانون الأول ١٠٤٠) في مدينة باجة قرب إشبيلية. وتقع حياة المعتمد السياسية والأدبية في ثلاثة أدوار:
(أ) دور الشباب - حينما كان أميراً يتبع اللهو ويغشى مجالس الأنس غير مُلْقٍ بالآ إلى تكاليف الحياة. لما بلغ المعتمد الثالثة عشرة من عمره (٤٤٥ هـ = ١٠٥٣ م) عينه والده والياً على شِلْب (في أقصى الجنوب الغربي من الأندلس) وبعث معه الشاعر أبا بكر بن عمّار نديماً ووزيراً. وكان ابن عمّار أسنّ من المعتمد بتسع سنوات. ومكث المعتمد في شلب خمس سنوات أو تزيد قليلاً ثم استدعاه والده إلى إشبيلية على أثر ما

(١) عبّاد لقبه المعتمد (بالضاد قبل الدال) وابنه محمد لقبه المعتمد (بالميم قبل الدال).

بلغه من انغماسه في الملاذِّ واندفاعه مع ابن عمار في شيء من المجون. غير أن ابن عمار بقي وزيراً للمعتضد.

(ب) دور الرجولة - حيناً بدأ والده يعهد إليه بقيادة الحملات ثم حيناً أصبح ملك إشبيلية. في مطلع هذا الدور التقي المعتضد بالجارية التي تزوجها: كان المعتضد يثزّه مع ابن عمار (٤٥١ هـ = ١٠٥٩ م) على ضفاف نهر الوادي الكبير، قرب مرج الفضة، فأخذ المعتضد بمنظر الماء المتّوَجَّ فقال:

صنع الريح على الماء زَرَدَ

وطلب من ابن عمار أن يُجيزه. فتوقف ابن عمار قليلاً. وكان على شاطئ النهر جوارٍ يملآن الماء فقالت احدها:

أَيُّ دِرْعٍ لِقَتَالِ لَوْ جَمَدُ!

فأعجب المعتضدُ بذلك تلك الجارية وبجهاها - وكان اسمُها اعتادَ جارية الرميّك بن الحجاج - فاشتراها من سيدها وتزوجها وهو لا يزال ولياً للعهد. ولم يرض المعتضد عن هذا الزواج في أول الأمر. ولكن لما ولدت الرميكية للمعتضد بكره عباداً، بعث المعتضد بالطفل وأمه إلى أبيه المعتضد. ورأى المعتضد حفيده فامتلاً حنوً وعاد إليه رضاه.

في نحو ذلك الزمن غضب المعتضد على ابن عمار فأخرجه من بلاطه. فتنقل ابن عمار في عدد من بلاطات ملوك الطوائف حتى استقر في بلاط المقتدر بن هود في سرْقُطَة.

وتوفي المعتضد في سنة ٤٦١ هـ (١٠٦٩ م) فخلفه ابنه المعتضد. وكان أول ما فعله المعتضد أن استدعى ابن عمار واستوزره. وأقام المعتضد قصوراً حول إشبيلية تزخر بالترف وتفرق في الجنات والأشجار والأزهار. واتفق أن دخل يوماً، (في نحو سنة ٤٧٤ هـ = ١٠٧٠ م) فرأى امرأته تنظر من نافذة القصر إلى شاطئ النهر. فسألها عما استأثر بانتباهها، فأشارت إلى جوارٍ كُنَّ يملآن ماء من النهر وهن حافيات يَغُصْنَ في الطين وقالت إنها تذكرت أيامها الأولى يوم كانت تعمل مثلهن. فجاء المعتضد بـ

الورد وبالمسك والسكر ثم أمر بجبلها وجعلها في باحة القصر؛ فأخذت الرميكية وبناتها الصغيرات - فيما قيل - يَسِرْنَ حافيات في هذا المزيج المُتَرْف على أنه طين. ولكن يبدو أن أفكار الرميكية كانت ذاهبة في أبعد من النظر إلى الجواري الحافيات على شاطئ النهر، ذلك أن الشاعر ابن عمار كان قد أصبح ذا نفوذ عظيم على زوجها. فقالت لزوجها ذات يوم بعد ذلك: لم أَرُ منك يوماً صالحاً. فقال لها: «ولا يوم الطين!»

(ج) المعتمد في الأسر - وعادَ العربُ في الأندلس إلى النزاع فيما بينهم، فلم يجد يوسفُ بنُ تاشفينُ بُدّاً من القضاء على ملوك الطوائف وضم بقايا الأندلس إلى دولته. وكان أن خلَعَ يوسفُ بنُ تاشفينُ المعتمدَ بنَ عبادٍ وحملَهُ أسيراً إلى حصن أغمت، قُربَ مدينةِ مَرَاكُش، هو وأفرادُ أسرته.

وكان للمعتمد ابنُ اسمه عبدُ الجبار كان قد تخفى لما أُسِرَ أبوه فلم يصلِ المرابطون إليه. فلما خَرَجَ عبدُ الجبار من مَخْبَأه، بُعيدَ سَنَةِ ٤٨٦ هـ (١٠٩٣ م) وثار في مدينة أرقش على حُكم المرابطين غَضِبَ ابنُ تاشفينَ وقيدَ المعتمدَ في سجنه. فكان ذلك مما زادَ في حُزن المعتمد وآلامه. ثم إن عبد الجبار قُتِلَ بعدَ قليل. وتُوفِّيَت الرُمَيْكِيَّةُ بعده بمدةٍ يسيرة. ثم تُوفِّيَ المعتمدُ في شَوالٍ من سَنَةِ ٤٨٨ (تشرين ١٠٩٥).

٢ - كان المعتمدُ بنُ عبادٍ من أسرةٍ من الشعراء: أسلافه شعراء وأولاده - صبياناً وبنات - شعراء، ولكنه هو كان أشعرهم قاطبةً، وأشعرَ ملوك الأندلس على الإطلاق. ونَمِصَتْ مملكةُ إشبيلية بالثروة والترف، وكان بلاطُ المعتمدِ عنوانَ ذُنُوبِ الثروة والترف فجمَعَ المعتمدُ في بلاطه هذا من الشعراء والعلماء ما لم يكن قد اجتمع مثله في بلاطٍ ما من قبل، إلا أن الشعرَ كان أغلبَ فيه على جميعِ فنونِ الأدب. ولم يَسْتَوِزِرِ المعتمدُ وزيراً إلا أن يكونَ أديباً شاعراً، وقد كان اهتمامه بالشعر فوق اهتمامه بإدارة مملكته. وكذلك كان ناقداً للشعر عارفاً به وبرجاله وبقصائده.

وشعرُ المعتمدِ بنِ عبادٍ صورةٌ لحَيَاتِهِ، وهو من هذه الناحية قِسبان: قسمٌ قاله قبلَ أسره (وهو شعرٌ مُتَرْفٌ أنيقٌ يَمِيلُ إلى التكلّف والصناعة ويَدُورُ حولَ المدح والحماسة والوصف والغزل والعتاب والرثاء، ويبرزُ بروزاً واضحاً في وصفِ مجالسِ

السرور ووصف المارك) ثم قسم قاله بعد أسره (وهو أصدق أشعاره عاطفة وأكثره أثراً في النفس - ولا ريب، فقد كان يُعبرُ في هذا الشعر عن حاله التي يختبرها في حاضريه). قال أميليو غرسيه غومس (الشعر الأندلسي ١٠٧): «فالقائد التي قالها (المتعمد بن عبّاد) في منفاه في أغات وصور فيها مرارات السجين والآلم النفس تُعدُّ من أروع ما لدينا من غرر الشعر العالمي».

٣ - مختارات من شعره

- لما كان المتعمد والياً على شلب (٤٤٠ - ٤٤٥ هـ) انغمس في اللهو انهماساً أغضب أباه المعتضد. أدرك المتعمد خطاه ومغبه هذا الخطأ على مستقبله، فكتب إلى أبيه بهذه القصيدة يمدحها به ويترضاها:

سَكَنَ فؤادَكَ لا تذهب بِكَ الفِكْرُ!	ماذا يُعيدُ عليك البَثُّ والحذر؟ ^(١)
وازجرُ جُفونَكَ لا تَرْضَ البُكاءَ لها،	واصبرِ فقد كنتَ عند الخطبِ تصطبِرُ ^(٢) .
فإن يَكُنْ قَدَرٌ قد عاقَ عن وطَرٍ،	فلا مَرَدٌ لما يأتي به القدرُ ^(٣) ؛
وإن تَكُنْ خَبِيئَةً في الدهرِ واحدةً،	فكم غَزَوْتُ ومن أشيا عِيك الظفرُ ^(٤)
مَنْ مِثْلُ قَوْمِكَ؟ مَنْ مِثْلُ الهامِ أبي	عمرو أبيضَ له مجدٌ ومُفتخر؟
سَمِيعٌ يَهَبُ الآلافَ مُبْتَدَأً	ويستقلُّ عطاياهُ ويعتذر ^(٥) .
له يدٌ كلُّ جبارٍ يُقْلها؛	لولا نداها لقلنا إنها الحجرُ ^(٦) !
يا ضيفاً يقتلُ الفرسانَ مُفترساً،	لا توهنتي فإنني النابُ والظفرُ ^(٧) .

(١) البث: الحزن.

(٢) زجر: منع. الخطب: الأمر العظيم الصعب (المصيبة).

(٣) إذا كانت إرادة الله قد عاقبت (أخرت) إنساناً عن وطره (غاية) فإنه لا يستطيع أن يبدل شيئاً من قضاء الله وقدره.

(٤) إذا كنتُ (يا والدي) قد خبت مرة واحدة (في ما أملت في أنا)، فكم من مرة قد طفرت بأعدائك في الغزوات.

(٥) السيد: الشجاع الكريم.

(٦) نداها: كرمها (وفي البيت تورية: نداها: لينها أيضاً مملوكة من القرينة «الحجر»).

(٧) الضيف: الأسد الواسع الشق. أوهته: أذهب قوته وجعله ضعيفاً. فإنني الناب والظفر (لك) ساداع في المستقبل عنك وعن مجدك.

قد أَخْلَفْتَنِي صُرُوفًا أَنْتَ تَعْلَمُهَا،
فَالنَّفْسُ جَازِعَةٌ، وَالْمِيزَانُ دَامِعَةٌ،
لَمْ يَأْتِ عَبْدُكَ ذَنْبًا يَسْتَحِقُّ بِهِ
مَا الذَّنْبُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ ذَوِي دَغَلٍ
قَوْمٌ نَصَبَتْهُمْ غِيْشٌ، وَحُبُّهُمْ
يُمَيِّزُ الْبُغْضُ فِي الْأَلْفَاظِ إِنْ نَطَقُوا،
أَجِبْ نِدَاءَ أَخِي قَلْبُ تَمَلَّكَ
لَمْ أَوْتَ مِنْ رَمَنِي شَيْئًا أَلَدُّ بِهِ:
وَلَا تَمَلِّكُنِي ذَلٌّ وَلَا خَفَرٌ،
رِضَاكَ رَاحَةٌ نَفْسِي - لَا فُجِعْتُ بِهِ -
كَمْ وَقَعَتْ لَكَ فِي الْأَعْدَاءِ وَاضِحَةٌ
مَا تَرَكْنِي الْخَمَرُ عَنْ زُهْدٍ وَعَنْ وَرَعٍ
وَأَنَا أَنَا سَاعٍ فِي رِضَاكَ، فَإِنْ

وَعَالَ مَوْرِدَ آمَالِي بِهَا كَمَدَرُ (١).
وَالصَّوْتُ مَنْخَفَضٌ وَالطَّرْفُ مَنَكَمَرُ (٢).
عَتَبًا، وَهِيَ هُوَ قَدْ نَادَاكَ بِمَنْذَرٍ.
وَقَمَى لَهُمْ عَذْلُكَ الْمَالُوفُ إِذْ عَدَرُوا (٣):
بُغْضٌ، وَنَفْعُهُمْ - إِنْ صَرَفُوا - ضَرَرُ (٤).
وَيُعْرِفُ الْحَقْدُ فِي الْأَلْفَاظِ إِنْ نَظَرُوا.
أَسَى، وَذِي مُقْلَةٍ أَوْدَى بِهَا سَهْرُ (٥).
فَلَسْتُ أَعْرِفُ مَا كَأْسٌ وَلَا وَتَرُ (٦)،
وَلَا سَبِي خَلْدِي غُنْجٌ وَلَا حَوْرُ (٧).
فَهُوَ الْقَتَادُ الَّذِي لِلدَّهْرِ أَذْخِرُ (٨).
تَفَنَّى اللَّيَالِي وَلَا يَفْنَى بِهَا الْخَبَرُ
فَلَمْ يُقَارِقْ، لَعَمْرِي، سِتْنَى الصِّفْرِ (٩).
أَخَفَقْتُ فِيهِ فَلَا يُفْسَحُ لِي الْعُمُرُ (١٠)!

-
- (١) إِنْ أَحْوَالًا لَا أَمْلِكُهَا قَدْ كَثُرَتْ حَيَاتِي. الصَّوْفُ (الْحَادِثُ الْمَوْلُومُ) غَالٍ: قَتْلُ. الْمَوْرِدُ: مَكَانُ شَرْبِ الْمَاءِ.
(٢) الطَّرْفُ: الْعَيْنُ.
(٣) الدَّغَلُ: الْعَيْبُ وَالْفَسَادُ (شَرٌّ). عَامِلَتُهُم بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ فَازْدَادُوا شَرًّا.
(٤) صَرَفَ الرَّجُلُ الْأَمْرَ: دَبَّرَهُ. حَتَّى لَوْ أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوا لَجَاءَ مِنْ مَعَاوَلَتِهِمُ النَّفْعُ ضَرَرٌ (لَأَنَّهُمْ جَهَالٌ لَا يَفَرِّقُونَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَلَا بَيْنَ النَّفْعِ وَالضَّرَرِ).
(٥) الْأَسَى: الْحُزْنُ. أَوْدَى: أَهْلَكَ.
(٦) أَوْتَ - أَوْتَى (مَبْنِيٍّ لِلْمَجْهُولِ): أَعْطَى.. مَا كُنْتُ أَعْرِفُ سَيِّئَاتِ الْكَأْسِ (الْخَمْرِ) وَالْوَتْرِ (الْقِنَاءُ = اللَّهْوُ).
(٧) الدَّلِيلُ: حَالَةُ مِنَ الْوَقَارِ مَعَ الْإِطْمِئْنَانِ (يُوحَى بِهَا إِلَى الْإِنْسَانِ بِتَفَقُّهِ بِاعْجَابِ النَّاسِ بِهِ أَوْ بِتَأَثُّرِهِ فِيهِمْ). الْخَمْرُ: اشْتِدَادُ الْحَيَاةِ (وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ الْجَمَالِ فِي النِّسَاءِ). سَبِي: أَمْرٌ. مَلَكٌ. الْخَلْدُ: الْبَالُ، النَّفْسُ. الْحَوْرُ: اشْتِدَادُ بَيَاضِ الْعَيْنِ وَاشْتِدَادُ سَوَادِهَا. الْغُنْجُ: إِيْتَانُ الْمَرْأَةِ بِأَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ مِنَ الدَّلَالِ تَحْتَبِّبُ بِهَا إِلَى زَوْجِهَا.
(٨) الْعَتَادُ: الْعَتَّةُ، مَا يَهَيِّئُهُ الْإِنْسَانُ وَيَسْتَعِدُّ بِهِ لِلْعَاقِبَةِ وَالْمَدْوَلَةِ الْخ. أَذْخِرُ: خَبَأَ (لِلْمُسْتَقْبَلِ)، كَتَبَ.
(٩) كُنْتُ أَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَقَدْ تَرَكْتُهَا الْآنَ. لَمْ أَتْرَكْهَا زَهْدًا فِيهَا (مِيلًا عَنْهَا وَكَرْهًا بِهَا) وَلَا وَرَعًا (لِلتَّقْوَى) لِأَنِّي لَا أَزَالُ صَغِيرَ النَّسْلِ، وَالزُّهْدُ وَالْوَرَعُ يَكُونَانِ عَادَةً فِي أَوَاخِرِ الْعُمُرِ.
(١٠) تَرَكْتُهَا إِرْضَاءً لَكَ. إِنْ أَخَفَقْتُ: خَبِثَ (لَمْ تَرْضَ أَنْتَ عَنِّي). فَلَا يَفْسَحُ لِي الْعُمُرُ: لَا طَالَ عُمُرِي!

- وقال يُخاطبُ أبا بكرٍ بنَ عمارٍ ويذكرُهُ أيامَها في شَلَبَ:

أَلَا حَيَّ أَوْطَانِي بِشَلَبَ، أبا بكرٍ،
وسلم على قَصْرِ الشراحيبِ عن قَيَّ
منازلُ آسادٍ وبيضِ نواعِمِ
وكم ليلةٍ قد بَتُّ أنعمُ جَنَحَها
وبيضِ وسمِرٍ فاعلاتِ بُنْجَتِي
وليلٍ بسدِّ النهرِ لَهَوًا قطعته
وباتت تُقَيِّني المدامَ بلحظها
ونظريني أوتارها، فكأنني
نصتُ بُردَها عن غصنٍ بانٍ منعمٍ

وسلن: هل عهدُ الوصالِ كما أدري (١)؟
له أبدأ شوقٌ إلى ذلك القصر (٢).
فناهيك من غيلٍ وناهيك من خدر (٣)
بُخْصِيبةِ الأردافِ مُجْدِبةِ الخصر (٤).
فعلال الصِّفاقِ البيضِ والأسلِ السمر (٥).
بذاتِ سِوارٍ مثلِ منعطفِ النهر (٦).
ومن كاسها جيناً وجيناً من الثغر.
سَمِعْتُ بأوتارِ الطلي نغمَ البتر (٧).
نضيرٍ كما أنشَقَّ الكيامُ عن الزهر (٨).

- وقال في الخمر (يصف تلالؤ الخمر بالبرق ويصف الساقية الجميلة بشمس الضحى):

رِيَمَتْ من البرق وفي كَفْها
عجبتُ منها وهي شمسُ الضُّحَى
- كان للمعتمد جارية يحبها اسمها سحر، فوقعت بينهما جَفْوة فتركت زيارته.
واتفق أن مرض المعتمد فجاءت سحر تزوره فقال:

- (١ و ٢) شَلَبَ في أقصى الجنوب الغربي من جزيرة الأندلس (في البرتغال اليوم). والشراحيب قصر في شَلَبَ.
(٣) آساد - أسود (أبطال، شجمان) وبيض: نساء جيلات. ناهيك: بكفيك. من غيل ومن خدر (من بلد هو في الوقت نفسه مسكن للأسود ومسكن للنساء الجميلات).
(٤) جَنَح الليل: قطعة منه شديدة السواد. أنعم جَنَحها (في أثناء جَنَحها: في أثناءها). غصبة: كبيرة، كثيفة. الردف (بالكسر) وسط البدن. مجدة الخصر: تحيلة الخصر.
(٥) بيض وسمر (نساء جيلات). الصكاح البيض (التيوف) والأسل السمر (الرماح).
(٦) مثل منعطف النهر: في الجبال (٩).
(٧) أوتارها = أوتار عودها. أوتار الطلي: عروق الرقية. البتر جمع أوتر (المقطوع الذنب، الخ)، وهو يقصد البواتر جمع باتر (السيف). صوت عودها ذكره صوت السيوف التي كان يسمعا في المعارك التي خاضها!
(٨) نضى: خلع. البرد: ثوب من الحرير. البان: شجر أغصانه طويلة مستقيمة سمراء (يشبه بها القوام الجميل). الكامة: الكأس (الأوراق الخضر التي تغلف الزهرة قبل تفتحها).

سأل ربي أن يهديني إلى الشكوى
إذا علةً كانت لقربك علةً،
شكوت وسخر قد أغبت زيارتي
فيما عليّ، دومي فأنت حبيبة،
وقد قرّبت من مضجعي الرثاء الأخوى^(١).
تمنيت أن تبقى بحمي وأن تقوى^(٢)،
فجاءت بها النعمى التي سميت بلوى^(٣).
ويا رب، سمعاً من ندائي والشكوى^(٤).

- وقال يصف شمعة:

وشمعة تنفي ظلام الدجى
ساهرتها، والكأس يعمى بها
ضياؤها لا شك من وجهه،
نفّي يدي العذم عن الناس^(٥)
من ريقه أشهى من الكأس.
وحرقها من حرّ أنفاسي!

- وقال في الغزل:

ثلاثة منتهما عن زيارتنا،
ضوء الجبين ووسواس الحلي وما
حب الجبين بفضل الكم تشره،
خوف الرقيب وخوف الحاسد الخنق^(٦)
تحوي معاطفها من عنبر عبق^(٧).
والحلي تزرعه، ما حيلة العرق^(٨)؟

- وقال وهو أسير مسجون في حصن أغمت، وقد حلّ عيد الفطر، يوم الخميس
في أول شوال من سنة ٤٨٥ (الرابع من تشرين الثاني ١٠٩٢)، قبل أن يقيد، يذكر
ما هو فيه من الحبس والبؤس ويتذكر ما كان فيه من قبل من النعم:

في ما مضى كنت بالأعياد مسرورا
تري بنايك في الأطوار جائعة
برزن نخوك للتسليم خاشعة
فجاءك العيد في أغمت مأسورا^(٩)
يفرزن للناس ما يملكن قطميرا^(١٠).
أبصارهن حسيرات مكاسيرا،

(١) الرثاء: الغزال الصغير. الأخوى: ذو الشقة السوداء.

(٢) إذا علة (مرض) كانت لقربك علة (سبباً).

(٣) أغبت: تركت. إن المرض الذي يسميه الناس بلوى (بلى، مصيبة) هو نعمة عندي لأنه كان سبباً في رضا محبوبي عليّ.

(٤) لندائي. في الأصل: من ندائي.

(٥) شمعة تبعد ظلام الليل مثل ما تقضي يدي (بالحود والمطاء) على الفقر من بين الناس.

(٦) الرقيب العذول الذي ينمّص على كل محبين اجتماعها. الخنق، الغاصب المغناط.

(٧) الوسواس: الصوت الخفيف. المبق: الذي تضوع (تنتشر) رائحته.

(٨) لتغرض أنها غطت وجهها (فتمت ضوءه) وخلعت حلاها (فبطل صوتها)، فكيف تستطيع أن تمنع انتشار الرائحة الطيبة منها؟

(٩) بقول الشاعر: كنت (بفتح التاء)... يحاطب نفسه (وهذا في البلاغة يسمى التجريد).

(١٠) قطمير: (في الأصل) الفشاء الرقيق الذي يطف نواة التمر، شيء يبر جداً.

بطان في الطين، والأقدام حافية،
 أظطرت في العيد لا عادت اساءته
 قد كان دهرُك إن تأمرهُ ممتلاً؛
 من بات بعدك في مُلك يُسرُّ به
 كأنها لم تطأ مسكاً وكافوراً^(١) !
 وكان فطرك للأكبَادِ تَفْطِيراً^(٢) .
 فردَّكَ الدهرُ منهُياً ومأموراً^(٣) .
 فأبنا بات بالأحلام مغروراً .

- لما حُمِلَ المعتمد أسيراً إلى المغرب ألحف الشعراء عليه بطلب النوال، فقال متأففاً:

شعراء طنجة كلهم والمغرب
 سألوا المسير من الأسير، وإنه
 لولا الحيلة وعِزَّةُ لَحْيَمِيَّة
 ذهبوا من الإغراب أبعد مذهب^(٤) .
 بسؤالهم لأحق فأعجب وأعجب^(٥)
 طي الحشا، ناغاهم في المطلب^(٦) .

- وكان المرابطون قد هاجوا قصره فنشبت بينه وبينهم مناوشة تمكن في أعقابها من النجاة. ولكن الأحداث توالَتْ وأدَّتْ إلى انقضاء عدد كبير من أنصاره عنه فتغلب المرابطون عليه وخَلَعُوهُ وأَسْرَوْهُ . فقال في ذلك:

إن يَنْلُبِ القومُ العِدى
 فالقلبُ بين ضلوعه:
 قد رُمْتُ يومَ نزالِهِم
 وبرزتُ ليس سوى القميد
 أجلي تأخراً لم يكن
 ما يَرَتْ قُطُ إلى القتا
 شيمُ الألى أنا مِنْهُمْ
 مُلْكِي، وتُلْمِني الجُمُوعُ،
 لم تُسلمِ القلبَ الضُّلُوعُ!
 ألا تُحَصِّنِي الدُّرُوعُ.
 ص على الحشا شيء دَفُوعُ.
 يهواه ذلِّي والخضوعُ.
 ل وكسان من أملي الرجوعُ.
 والأصلُ تُنبِئُهُ الفُروعُ.

وكان للمعتمد بن عباد بضعة عشر ولداً منهم: سراج الدولة أبو عمر عباد (قُتِلَ سنة ٤٦٨ هـ، وعمره ست عشرة سنة) والمأمون أبو نصير الفتح (هَلَكَ في أوائل ٤٨٤

(١) راجع قصة يوم الطين. فوق، ص ٧١٤.

(٢) تَفْطِير: تقطيع. كان تَفْطِيرُ الأكبَاد: يدعو إلى الحزن الشديد مع الإشفاق.

(٣) كنت من قبل أمر الدهر (جميع الناس) فأطاع، فأصبحت اليوم وعلي ناه وأمر (سجان).

(٤) الإغراب: السلوك المستغرب.

(٥) المسير (المال الكثير أو القليل الذي لا يملكه لأنه الآن أسير). فاعجب (من حالي كيف كانت وكيف أصبحت) ثم اعجب من حالهم كيف يبالغون وهم يعرفون حالي).

(٦) لحمة نسية إلى لحم (بني المنذر بن ماء السماء في المحيرة، وإليهم يرد آل عباد نسبهم).

هـ) والمُعْتَدُّ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ وَزَيْنُ الدَّوْلَةِ أَبُو هَاشِمٍ الْمُعَلَّى وَشَرَفُ الدَّوْلَةِ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى وَذُخْرُ الدَّوْلَةِ أَبُو المَكَارِمِ الحَكَمُ وَتَاجُ الدَّوْلَةِ أَبُو سُلَيْمَانَ الرَّبِيعُ وَعَضُدُ الدَّوْلَةِ وَمَالِكُ (راجع في مالِكِ نَفَحَ الطَّيِّبُ ٤ : ٢٤٧) وَكَانَ مَقْتُلُهُ فِي أَثْنِهَا اسْتِغْلَاةَ المُرَابِطِينَ عَلَى إِشْبِيلِيَّةَ، سَنَةَ ٤٨٤ هـ (وَلَيْسَ لِهَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ مَا يُذَكِّرُونَ بِهِ) ثُمَّ عَبْدُ الجَبَّارِ الَّذِي ثَارَ عَلَى المُرَابِطِينَ فِي جَنُوبِي الأَنْدَلُسِ فَغَضِبَ يَوْسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ وَأَمَرَ بِتَقْيِيدِ المُعْتَمِدِ فِي السِّجْنِ انتِقَاماً مِنْهُ لِفِعْلِهِ وَلَدَهُ عَبْدُ الجَبَّارِ (نَفَحَ الطَّيِّبُ ٤ : ٢١٧-٢١٨).

وأولادُ المُعْتَمِدِ الَّذِينَ طَارَ لَهُمْ ذِكْرٌ فِي الأَدَبِ: الرَّاضِي وَالرَّشِيدُ وَبُثَيْنَةُ. أَمَّا الرَّاضِي فَكَانَ شَاعِراً مُجِيداً وَقَدْ أَفْرَدَتْ لَهُ تَرْجُمَةً. وَأَمَّا بُثَيْنَةُ فَفِي مَا يَلِي شَيْءٌ مِنْ خَبَرِهَا وَشَعْرِهَا.

وُلِدَتْ بُثَيْنَةُ نَحْوَ سَنَةِ ٤٦٣ هـ (١٠٧٠ م) وَأُمُّهَا أَعْتَادُ الرُّمَيْكِيَّةِ. وَوَرِثَتْ قَوْلَ الشَّعْرِ مِنْ أُمِّهَا وَأَبِيهَا فَأَحْسَنَتْ فِيهِ بَعْضَ الإِحْسَانِ. وَكَذَلِكَ كَانَتْ قَرِيبَةً مِنْ أُمِّهَا فِي الجَمَالِ وَفِي النَادِرَةِ: فِي سُرْعَةِ الحَاطِرِ مَعَ الإِتْيَانِ بِالنُّكْتَةِ اللَطِيفَةِ البَارِعَةِ. وَفِي سَنَةِ ٤٨٤ هـ، لَمَّا اسْتَوَلَى المُرَابِطُونَ عَلَى إِشْبِيلِيَّةَ، أَخِذَتْ سَبِيَّةً فَاشْتَرَاهَا تَاجِرٌ مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مِنْ أَمْرِهَا شَيْئاً وَوَهَبَهَا لِأَبْنِهِ. وَرَفَضَتْ بُثَيْنَةُ - فِي حَدِيثِ طَوِيلٍ - أَنْ يَقَرَّبَهَا ابْنُ التَّاجِرِ الإِشْبِيلِيِّ إِلَّا بَعْدَ اسْتِشَارَةِ وَالِدِهَا وَبَعْدَ عَقْدِ شَرْعِيٍّ. وَفِي هَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ كَتَبَتْ بُثَيْنَةُ إِلَى أَبِيهَا الأَسِيرِ فِي أَغْثَاتِ (بِالمَغْرِبِ) بِالأَبْيَاتِ التَّالِيَةِ، وَهِيَ مِنَ الشِّعْرِ العَادِيِّ (نَفَحَ الطَّيِّبُ ٤ : ٢٨٤):

اسْمَعْ كَلَامِي وَاسْتَمِعْ لِقَالَتِي،	فَهِيَ السُّلُوكُ بَدَتْ مِنَ الأَجْيَادِ ^(١) .
لَا تُنْكِرُوا أَنِّي سُبَيْتٌ وَأَنْتِي	بِنْتُ لِمَلِكٍ مِنْ بَنِي عَبَّادٍ:
مَلِكٍ عَظِيمٍ قَدْ تَوَلَّى عَصْرَهُ.	وَكَذَا الزَّمَانُ يَوُولُ لِلْإِفْسَادِ ^(٢) .
لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فُرْقَةً شَلَلْنَا	وَأَذَاقْنَا طَعْمَ الأَسَى عَنْ زَادِ ^(٣) ،
قَامَ النِّفَاقُ عَلَى أَبِي فِي مُلْكِهِ؛ -	فَدَنَا الْفِرَاقُ، وَلَمْ يَكُنْ بُرَادٍ.

(١) السُّلُوكُ: الحَيْطُ (تَنْظِمُ فِيهِ حَبَاتُ اللُّؤْلُؤِ وَغَيْرُهَا). الْجِيدُ: أَعْلَى الصَّدْرِ. الْعَنْقُ.

(٢) أَلْ يَوُولُ: يَرْجِعُ، يَمُودُ.

(٣) جَمَلَ اللَّهُ الأَسَى (الْحُزْنَ) زَاداً (عُلَمَاءاً) لَنَا. أَذَقْنَا.

فخرجتُ هاربةً فحازنيَ امرؤُ
 إذ باعني بيعَ العبيدِ فضمتني
 وأرادني لِنِكَاحِ نَجْـلِ طاهرٍ
 ومضى إليك يَـسُومُ رَأْيُكَ في الرِّضَا
 فمساك، يا أبتي، تُعرِّفني به،
 وعسى رُمِيكِيَّةُ الملوكِ بفضيلها
 لم يأتِ في إعجالِه بـِـداد^(١)
 من صانعي إلّا من الإنكاد^(٢).
 حَسَنَ الخلائقِ من بني الأُنجاد^(٣)
 ولأنتَ تنظُرُ في طريقِ رَشادي^(٤).
 إن كان مِنَّ يُرتَجى لوداد.
 تدعو لنا باليُمْن والإِسعاد^(٥).

- ٤ - ديوان المعتمد بن عباد (وزارة التربية والتعليم المصرية) ؛ (تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد) ، القاهرة ١٩٥١ م ؛ المعتمد وشعره عصره (حققه محمد زهدي يكن) ، بيروت (دار يكن للنشر) ١٩٧٥ م .
- ★★ المعتمد بن عباد: الملك الجواد الشجاع، الشاعر المرزأ، تأليف عبد الوهاب عزّام، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٩ م .
- المعتمد بن عباد، تأليف علي أدهم، القاهرة (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر - أعلام العرب، رقم ٢)، بلا تاريخ .
- راجع كتب التاريخ العامة ثم فلاح العقيان ٤ - ٣٥ ؛ المطمح ١١ - ٢٢ ؛ الذخيرة ٢ : ٤١ - ٨١ ثم أماكن كثيرة في جميع الأقسام ؛ المطرب ٧ - ١٠ ؛ وفيات الأعيان ٥ : ٢١ وما بعد (ترجمة عامة لبني عباد ، وفيها استطراد كثير) ؛ الحلة السراء ٢ : ٥٢ - ٦٨ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١٨٣ - ١٨٨ ؛ أعمال الأعلام ١٥٧ - ١٧٠ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٨٦ - ٣٩١ ؛ نفع الطيب ٤ : ٩٢ - ٩٩ ، ٢١١ - ٢٢٧ ، ٢٤٥ - ٢٨٥ ، ٣٥٤ وما بعد (أخبار معركة الزلاقة ويوسف بن تاشفين وما يتصل بذلك من أخبار ملوك الطوائف عامة والمعتمد بن عباد خاصة) ؛ بروكلمن ١ : ٣١٩ - ٣٢٠ ، الملحق ١ : ٤٧٩ ؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ؛ نيكل ١٣٤ - ١٦٣ ؛ مختارات نيكل ٨٢ - ١٠٣ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٥٠ - ٥١ (٦ : ١٨١).

- (١) السداد: الصواب .
 (٢) الانكاد: قلة الخير (الحاجة إلى أسباب الحياة)، الفقر .
 (٣) النجل: الولد (ولد الرجل). النجد (يفتح فكسر أو يفتح فضم): الرجل ذو العزيمة .
 (٤) سام: طلب. تنظر في طريق رشادي (تريد لي الخير).
 (٥) رميكية، الرميكية: امرأة المعتمد وأمّ بثينة .

الحَمِيدِيُّ

١ - هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ قَتَوَحَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُمَيْدٍ بْنِ يَصَلَ الْأَزْدِيُّ، كَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ الرُّصَافَةِ (بِقَرْطَبَةِ) ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى جَزِيرَةِ مَيُورَقَّةَ. وَلَدَ الْحَمِيدِيَّ هَذَا قَبْلَ ٤٢٠ هـ.

سَمِعَ الْحَمِيدِيَّ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ أَصْبَغَ بْنِ رَاشِدٍ بْنِ أَصْبَغَ (ت ٤٤٠ هـ) ثُمَّ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَمِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْعُدْرِيِّ وَمِنْ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ، وَلَزِمَ ابْنَ حَزْمٍ (ت ٤٥٦ هـ) وَأَخَذَ عَنْهُ الْمَذْهَبَ الظَّاهِرِيَّ وَأَكْثَرَ مِنَ الرِّوَايَةِ عَنْهُ.

وَلَمَّا اشْتَدَّ الاَضْطِّهَادُ عَلَى أَتْبَاعِ الْمَذْهَبِ الظَّاهِرِيِّ رَحَلَ الْحَمِيدِيَّ عَنِ الْأَنْدَلُسِ، سَنَةَ ٤٤٨ هـ (١٠٥٦ م) فَحَجَّ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ فِي مَكَّةَ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ سَعْدِ بْنِ عَلِيٍّ الزَّنْجَانِيِّ (ت ٤٧١ هـ). ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ إِلَى مِصْرَ فَرَوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْقَتَحِ وَسَمِعَ مِنَ الضَّرَّابِ وَمِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامَةَ الْقُضَاعِيِّ (ت ٤٥٤ هـ). ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الشَّامِ فَالْعِرَاقَ: نَزَلَ فِي بَغْدَادَ ثُمَّ قَضَى مُدَّةً فِي وَاسِطَ، وَبَعْدَئِذٍ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ وَاسْتَقَرَّ فِيهَا. وَفِي بَغْدَادَ أَذْرَكَ الْخَطِيبَ الْبَغْدَادِيَّ وَرَوَى عَنْهُ. وَكَانَتْ وَفَاةُ الْحَمِيدِيِّ فِي بَغْدَادَ، فِي ١٧ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ٤٨٨ (١٩ / ١٢ / ١٠٩٥ م).

٢ - كَانَ الْحَمِيدِيُّ إِمَامًا ثِقَةً فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ وَعِلَلِهِ وَمَعْرِفَةِ مُتُونِهِ وَرَوَاتِهِ مُحِيطًا بِفَنُونِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَبِالْفِقْهِ عَامَّةً وَالفقه الظاهري خاصة. وَهُوَ الَّذِي حَمَلَ كُتُبَ ابْنِ حَزْمٍ إِلَى الْمَشْرِقِ. وَكَانَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الشِّعْرِ.

وَكَانَتْ لِلْحَمِيدِيِّ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ ضَاعَ كَثِيرٌ مِنْهَا وَبَقِيَ بَعْضُهَا. فَمِنْ أَشْهُرِهَا مَا بَقِيَ لَنَا مِنْهَا: جَدْوَةُ الْمُقْتَسِرِ فِي ذِكْرِ وِلَاةِ الْأَنْدَلُسِ وَأَسْمَاءُ رِوَاةِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِي الْفَقْهِ وَالْأَدَبِ وَذَوِي النِّبَاهَةِ وَالشُّعْرِ - الْجَمْعُ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ (جَمْعُ الْأَحَادِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَصَحِيحِ مُسْلِمٍ) - تَفْسِيرٌ غَرِيبٌ مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ - الذَّهَبُ الْمَسْبُوكُ فِي وَعْظِ الْمُلُوكِ - تَذَكُّرَةُ الْحَمِيدِيِّ (مُخْتَارَاتٌ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْأَدَبِ) - بَلَفْغَةُ الْمُسْتَعْجَلِ فِي مَعْرِفَةِ جُمْلِ مِنَ التَّارِيخِ.

- قال الحميدي في مقدمة كتابه « جذوة المقتبس » :

.... أما بعد، فإنَّ بَعْضَ مَنْ أَلْتَزَمَ (!) وَاجِبَ شُكْرِهِ عَلَى جَمِيلِ بَرِّهِ - لَمَّا وَصَلْتُ إِلَى بَغْدَادَ وَحَصَلْتُ مِنْ إِفَادَتِهِ عَلَى أَفْضَلِ مُسْتَفَادٍ - نَبَّهَنِي عَلَى أَنْ أَجْعَلَ مَا يَخْضُرُنِي مِنْ أَسْمَاءِ رِوَاةِ الْحَدِيثِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَهْلِ الْفَقْهِ وَالْأَدَبِ وَذَوِي النِّبَاهَةِ وَالشُّعْرِ وَمَنْ لَهُ ذِكْرٌ مِنْهُمْ أَوْ تَمَّ دَخْلُ إِلَيْهِمْ أَوْ خَرَجَ عَنْهُمْ، فِي مَعْنَى مِنَ مَعَانِي الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ أَوْ الرِّئَاسَةِ وَالْحَرْبِ.

فَاعْلَمْتُهُ عَنْ بُعْدِي بِمَكَانِ هَذَا الْمَطْلُوبِ وَقَلَّةِ مَا صَحَّحَنِي مِنَ الْعَرَضِ الْمَرْغُوبِ، وَأَنِّي إِنْ رُنْتُ عَلَى قَلَّةِ مَا عِنْدِي وَتَعَاطَيْتُهُ عَلَى انْقِطَاعِ مَوَادِّي وَبُعْدِي لَمْ أَخُلْ مِنْ أَحَدٍ وَجَهَنِي: إِمَّا أَنْ أَبْخَسَ الْقَوْمَ حَظَّهُمْ وَأَنْقَضَهُمْ فَأَتَعَرَّضَ لِلْإِثْمِ فِي مَا أَوْرَدْتُ وَأَقِفَ مَوْقِفَ الْإِعْتِزَالِ فِي مَا إِلَيْهِ قَصَدْتُ؛ وَإِمَّا أَنْ أَوْهِمَ مِنْ رَأْيِ قَلَّةِ جَمْعِي وَنِهَائَةِ مَا فِي وَسْطِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ إِلَّا نَزَرُ مِنَ الْأَعْدَادِ، فَأَكُونَ بَعْدَ اخْتِفَالِي لَهُمْ قَدْ قَصَرْتُ بِهِمْ، وَعِنْدَ اجْتِهَادِي فِي ذِكْرِهِمْ قَدْ أَخْلَلْتُ بِفَخْرِهِمْ. وَمَا أَرَانِي مَعَ ذَلِكَ إِلَّا مُتَّصِدًا لِمَدْمَةِ الطَّائِفَتَيْنِ..

- للحميدي مقطعات في الزهد منها:

* طريق الزهد أفضل ما طريق	وتقوى الله تالية ^(١) الحقوق.
فثق بالله يكفك، واستعينه	يُعينك ودع بُنْيَاتِ الطريق ^(٢) .
* كلام الله عز وجل قولي	وما صححت به الآثار ^(٣) ديني.
وما اتفق الجميع عليه بدءاً	وعوداً، فهو من حقِّ مبین.
* لقله الناس ليس يُفيد شيئاً	سوى الهذيان من قيل وقال.
فأقلل من لقله الناس إلا	لأخذ العلم أو إصلاح حال.

(١) ما « زائدة. تالية: تامة (٢).

(٢) بنيات الطريق: الطرق الضيقة المتفرعة من غيرها.

(٣) الآثار ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

* أَلَفْتُ النَّوَى حَتَّى أُنِسْتُ بَوَحْشَهَا وَصِرْتُ بِهَا لَا فِي الصَّبَابَةِ مُوَلَّأًا.
فَلَمْ أُخْصِرْ كَمْ رَافِقَتَهُ مِنْ مِرَافِقٍ وَلَمْ أُحْصِ كَمْ خَيْمَتُ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعًا.
وَمِنْ بَعْدِ جَنْبِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فَلَا بَدَّ لِي مِنْ أَنْ أُوَافِيَ مَضْرَعًا^(١).

٤ - جذوة المقتبس... (قام بتصحيحه محمد بن تاويت الطنجي)، القاهرة (مكتب نشر الثقافة الإسلامية) ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م، القاهرة (الدار المصرية للتأليف والنشر) ١٩٦٦ م.

★★ بنية الملتبس ٥٣٠ - ٥٣١ (رقم ١١٣)؛ المغرب ٤٦٧ - ٤٦٨؛ معجم الأدباء ١٨ : ٢٨٢ - ٢٨٦ ؛ وفيات الأعيان ٤ : ٢٨٢ - ٢٨٤ ؛ الوافي بالوفيات ٤ : ٣١٧ - ٣١٨ ؛ الحريدة (الأندلس) ٤ (الجزء الثاني) : ١٢ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٩٢ ؛ نفع الطبيب ٢ : ١١٢ - ١١٥ ، ٣ : ١٨٠ ، ١٨١ ، ٤ : ٣٣٧ - ٣٣٩ ، ٣٤٨ ؛ نيكل ٢١١ - ٢١٢ ؛ مختارات نيكل ١٤٧ - ١٤٨ ؛ بروكلن ١ : ٤١٣ ، الملحق ١ : ٥٧٨ - ٥٧٩ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢١٨ - ٢١٩ (٦ : ٣٢٧).

ابن عبد الصمد

١ - هو أبو بكر (وأبو بجر) يوسف بن أبي القاسم بن خلف بن أحمد، من نسل السَّمْعِ بن مالك الحَوْلَاقِي الذي كان والياً على الأندلس (١٠٠ - ١٠٢ هـ) من قبَلِ عُمَرَ بن عبد العزيز، أصله من كُورَةِ جِيَّانَ. وكان أهله من ذَوِي الجاهِ ومن أهلِ الكتابة والأدب.

قَسَتْ الدُّنْيَا عَلَى ابْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ حَتَّى اتَّصَلَ بِالْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ وَحَظِيَ عِنْدَهُ فَارْتَقَتْ مَنَزِلَتُهُ وَنَالَ مِنَ الْمُعْتَمِدِ عَطَايَا كَثِيرَةً. وَلَمَّا اسْتَوَلَى الْمُرَابِطُونَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ وَأَزَالُوا جَمِيعَ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ وَأَسْرَوْا الْمُعْتَمِدَ بْنَ عَبَّادٍ، يَوْمَ الْأَحَدِ فِي الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٤٨٤ (٧ / ٩ / ١٠٩١ م)، تَخَفَّى ابْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْمَغْرِبِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْتَلِ حُطُوءَ عِنْدَ الْمُرَابِطِينَ، وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّهُ عَاشَ فِي الْمَغْرِبِ بَعْدَ ذَلِكَ مُدَّةً. وَفِي عِيدِ الْأَضْحَى مِنْ سَنَةِ ٤٨٨، بَعْدَ وَفَاةِ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ بِشَهْرَيْنِ تَامَيْنِ، اتَّفَقَ أَنْ كَانَ ابْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ فِي أَغْمَاتٍ (إِحْدَى ضَوَاحِي مَدِينَةِ

(١) جوب الأرض (الجزلان فيها).

مَرَأَتْشَ، وفيها قبرُ المعتمد) فزارَ قبرَ المعتمدَ معَ الزائرين وأنشدَ عنده قصيدته المشهورة الرائعة. ولنا نعلمُ سنةَ وفاة ابن عبد الصمد، ويبدو أنه تُوُفِّي في أواخر القرن الخامس للهجرة.

٢ - كان لابن عبد الصمد نثرٌ وشعر، ولكن لم يصل إلينا من آثاره في الأغلب إلا قصيدته الدالية وهي قصيدة رائعة طويلة جداً أورد منها ابن الخطيب في كتابه «أعمال الأعلام» (ص ١٦٥ - ١٧٠) مائة وأربعة أبيات. وهي قصيدة فصيحَةُ الألفاظ سهلة التراكيب واضحة المعاني ذات تأثير في النفس. وفيها صناعة يسيرة وعددٌ من الإشارات التاريخية. وفيها رثاءٌ للمعتمد ثم فخرٌ بشعره هو.

٣ - مختارات من شعره

- في عاشر ذي الحجة من سنة ٤٨٨ (١٠/١٢/١٠٩٥) انصرف الناس من صلاة عيد الأضحى وجاء جمعٌ منهم لزيارة قبر المعتمد بن عباد، وكان فيهم ابن عبد الصمد، فوقفَ على القبر وأنشد:

مَلِكَ الملوكِ، أَسامعُ فأنادي؛	أَمْ قَدْ عَدْتُكَ عَنِ السَّامِعِ عَوادٍ ^(١) .
لَمَّا خَلَّتْ مِنْكَ القصورُ فلم تكن	فيها كما قَدْ كُنْتَ فِي الأعياد ^(٢) ،
أَقْبَلْتُ فِي هَذَا الثرى لك خاضعاً	وَتَخَذْتُ قَبْرَكَ مَوْضِعَ الإنشاد ^(٣) .
قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تُبَرِّدَ أَدْمُعِي	نيرانَ حُزْنٍ أَضْرِمْتَ بِفَوَادِي.
فإِذَا بَدَمْعِي كَلَّمَا أَجْرَيْتُهُ	زادتْ عَلَيَّ حِراوةَ الأكباد.
يا أَيُّهَا القبرُ المنيرُ، أهكذا	يُمحى ضياءُ الكوكبِ الوَقَادِ؟
ما كان ظَنِّي قَبْلَ مَوْتِكَ أَنْ أَرَى	قَبْرًا يَضُمُّ شِوَامَخَ الأطواد ^(٤) .
عَهْدِي بِمَلِكٍ وَهُوَ طَلَّقَ ضاحِكٌ	بُتَهَلَّلُ الصَّفَحَاتِ لِلْقُصَادِ ^(٥) ،

(١) مواد جمع عادية: نائية، مصيبة. عدتك: صرفتك (عن الأمر) وشغلتك.

(٢) خلت: فرغت (يكسر الراء). لم تبق القصور اليوم كما قد كنت أنت فيها من قبل.

(٣) الثرى: التراب (هذا الجانب من الأرض، البلد)، أغات (موضع قبر المعتمد).

(٤) الطود: الجبل. الشامخ: العالي.

(٥) الصفحات (صفحتا الوجه). طلق: منطلق، ضاحك، مرور. متهلل: فرح.

أَيَّامُ تَخْفِقُ حَوْلَكَ الرَايَاتُ فَوْ
وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالزَّمَانُ مُبَشِّرٌ
وَالْخَيْلُ تَمْرَحُ وَالْفَوَارِسُ تَنْحَنِي
إِذَا تَحَسَّبُ الْمُهَيْجَةُ رَوْضًا يَانِعًا
وَكَأَنَّ بَيْضَ الْمُرْهَقَاتِ عَلَى الطَّلَا
وَلَكُمْ هَزَزَتِ الْفُصْنَ مِنْ طَرْبٍ لَهَا
وَكَأَنَّهَا فِي الدِّرْعِ مِنْكَ رَبِيعَةٌ بَدِ
حَتَّى إِذَا مَا الدَّهْرُ أَظْهَرَ حِقْدَهُ،
أَلْقَتْ بِأَيْدِيهَا مِمَّا قَلَّكَ الَّتِي
وَتَهْدَمُ أَرْكَانُ كُلِّ سِيَاسَةٍ،
قَالُوا: أَضَاعَ الْحَزَمَ وَهِيَ بَوَاطِلٌ؛
وَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُ مُلْكٍ فَالْعَنَا

قِي كِتَابِ الرُّسُلِ وَالْأَجْنَادِ،
بِمَالِكَ قَدْ أذْغَعَنْتَ وَبِلَادِ،
بَيْنَ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا الْمَيَّادِ^(١)؛
وَتَرَى الْأَزَاهِرَ مِنْ ضِيَاءِ صَيْعَادِ^(٢).
وَرُقَى الْحِمَامِ عَلَى الْفُصُونِ شَوَادِ^(٣).
وَجَرَزَتْ أَذْيَالًا مِنَ الْأَزْرَادِ^(٤).
نُ مَكْدَمٍ وَالْحَارِثُ بْنُ عُبَادٍ^(٥)!
وَالدَّهْرُ لِلْأَحْرَارِ ذُو أَحْقَادِ،
مُلِثَتْ مِنَ الْعُقْبَانِ وَالْآسَادِ^(٦).
وَأَنهَدَ حَوْلَ الْمُلْكِ كُلِّ عِيَادِ.
نُورُ الْحَقَائِقِ لِلنَّوَاطِرِ بَادِ^(٧).
فِي غَايَةِ الْإِكْتَارِ وَالْإِعْدَادِ^(٨).

- (١) تنحني (١) اقرأ: تنتمي (تفتخر، تذكر أنسابها) - والانتهاء من عادة العرب في الحروب عند المبارزات). الصارم: السيف. القنات: الرمح. المياد: المتأود (ينحني ولا ينكسر).
- (٢) المهيجاء: الحرب. اليانع (من الأثمار): الناضج. الصعدة: الرمح (إذا رأيت الرماح في أثناء المعركة خيل إليك أنها أغصان مزهرة).
- (٣) المرهف: الرفيق، القاطع. البيض: السيوف. الطلاء (بضم الطاء): جانب المعنى. الوراق: الحماة. شادية: مترنمة، مغنية (أنت تحب أصوات السيوف وهي تقطع الأعناق كأنها حاتم تشدو على الأغصان).
- (٤) الفصن (هنا): الرمح. الزرد: الدرع (أنت تطرب للطن بالرمح وتنبعث في الدرع في أثناء المعركة - كما يصر الناس بتابل أغصان الأشجار والنبعث في ثيابهم النقية).
- (٥) ربيعة بن مكدّم والحارث بن عباد من الفرسان الشجعان في الجاهلية.
- (٦) العقيل (يفتح فكون فكسر): الحصن. ألفت معاللك بأيديها: استسلمت (للمدو). العقبان (كنية عن الخيل) والآساد (كنية عن الجنود).
- (٧) اتهموا المتمد بأنه كان بملادّه قد بُعد عن الاهتمام بإدارة الملك. باد: ظاهر.
- (٨) العناية: التنبؤ. الإعداد (الاستعداد، الاحتياط لما سيحدث في المستقبل). الإكتار: إكثار الكلام في اللوم (٢) - إذا أذن عمر الدولة في الانتهاء فإنها تنسقط حتماً، ولن يمنع سقوطها جهود أو لوم (راجع ابن خلدون - ت ٨٠٨ هـ).

حازتُ بنو العباسِ مُلكَ أُمِّيَّةٍ
ورأى مُعاويةَ عَلِيّاً هَالِكاً،
والدهرُ أَذْهَبَ ثُبْعاً وَجُنُودَهُ
أَنِّي لَأَعْجَبُ بَعْدَ فَقْدِكَ كَيْفَ لَا
مَنْ يَفْتَحُ الْأَمْصَارَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ؟
مَنْ يَتْرُكُ الْأَسْطَارَ فِي الْأَوْرَاقِ مِثْ
مَنْ يَفْهَمُ الْمَعْنَى الْحَقِيْقِيَّةَ، وَمَنْ
مَنْ ذَا يَرُدُّ عَلَى الْعَفَاةِ ظِلَالَهُ
هَيْهَاتَ، مَاتَ الْجُودُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
مُسَخَّ الزَّمَانِ بِأَهْلِهِ فَتَعَوَّضُوا
يَا سَاكِنَ الْقَبْرِ الَّذِي فَقَدَانَهُ
كُنَّا نُوَمِّلُ أَنْ نَرَى لَكَ عَوْدَةً
وَتَبَيْتُ خَيْلِكَ فِي مَرَابِطِهَا عَلَى

وَهُمْ ذَوُو الْأَعْدَادِ وَالْأُمْدَادِ (١)
وَعَلَى اللَّيْثِ الْهَزْبِرُ الْعَادِي (٢)
وَأَزَالَ مُلْكُ الْأَرْضِ عَنْ شَدَادِ (٣)
تُسْتَنْكَرُ الْأَسْيَافُ فِي الْأَغَادِ (٤)
مَنْ يَفْقَدُ الرِّيَاسَاتِ لِلْقَوَادِ؟
لِلْحَلِيِّ فِي اللَّبَّاتِ وَالْأَجْيَادِ (٥)
لَهُ صِدْقُ الْحَدِيثِ وَصِحَّةُ الْإِيرَادِ (٦)
وَيُبْلَغُ الْأَمَالُ كُلُّ مُرَادِ (٧)
وَأَصَابَ بَرَّ الْفَهْمِ كُلُّ كَسَادِ (٨)
مِنْ ذَلِكَ الْإِصْلَاحِ بِالْإِفْسَادِ (٩)
قَتَلَ الرَّجَاءُ وَفَتَّ فِي الْأَعْضَادِ (١٠)
تُعْطِي بِهَا الْأَيَّامُ كُلَّ قِيَادِ (١١)
وَعَدِ مِنَ الْإِتِهَامِ وَالْإِنْجَادِ (١٢)

- (١) وكان بنو أمية كثيري العدد كثيري الثروة والجنود.
(٢) الليث: الأسد. الهزبر: الأسد الضخم الكاسر. العادي (الجرمي على القتال).
(٣) تبع بن حسان ملك اليمن، كان قوياً مطفراً طال ملكه جداً (زعموا ثمانية وسبعين عاماً). شداد بن عاد ملك يمني قديم غزا البلاد (زعموا أنه وصل إلى أرمينية والمغرب).
(٤) الفصد (بالكسر): قراب (بالكسر) السيف. - ... كيف لا تسل السيوف للانتقام من أعداء المعتد.
(٥) اللية: أعلى الصدر. الجيد (بالكسر): الضيق. أدبه (شمره ونثره) جيل مثل الحلبي على النساء الحسان.
(٦) صادق في حديثه وصحيح الإيراد (النقل) لأحداث الآخرين.
(٧) العاطي: الذي يطلب المعروف (الطعام) وبحق كل أهل.
(٨) ... كسد برّ حرير) الفهم: قلّ الاهتمام بالنتائج العقلي والأدبي (هذا تعريض بيوسف ابن تاشفين الذي خلع جميع ملوك الطوائف وقيل فيه أنه كان لا يعرف اللغة العربية ولا يقبل إنشاد الشعر في حضرته).
(٩) الإصلاح الذي كان في أيام المعتد حلّ عمله الفساد في أيام يوسف ابن تاشفين.
(١٠) فتّ (كسر) في العضد (بفتح: ضم: ما بين المرفق والكتف). فتّ في عضده: أوهن قوته وأبأسه.
(١١) كنا نرجو أن تميد ملكك.
(١٢) الاتياف: النزول إلى الأرض المنخفضة. الانجاد: الصعود إلى الأرض العالية (تسيير حيوثك إلى جميع البلاد).

إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ ضَجِيمَتِكَ الَّتِي
 جَاوَزَتْهَا فِي قَبْرِهَا فَكَاثًا
 أُمُّ الْمُلُوكِ، أَمَا عَلِمْتَ بِزَائِرِ
 أَبْنَى الْعُلَا وَالْمَجْدَ فَقَدُّكُمَا الَّذِي
 لَهْفِي عَلَى تِلْكَ السَّجَايَا إِنَّهَا
 كَمْ نِعْمَةٍ خَضَرَاءُ قَدْ أَلْبَسْتَنِي
 أَخْجَلْتَنِي فِي الْجُودِ الَّذِي دَفَّقْتَ حَا
 قَدْ كُنْتُ لَا أَرْضَى الْبَحَارَ مَنَاهِلِي
 فِي دَوْلَةٍ غَرَمَهُ عِبَادِيَّةُ
 وَرِثَايَةِ نَحْمِي الْبِلَادَ، رِثِيهَا
 وَالْبَدْرُ يَرْنِي وَالشَّرِيَا مَغْقَلِي
 أَغْرَقْتَنِي فِي بَحْرِكَ الطَّامِي الَّذِي
 وَسَلَّلْتَ فِي نَضْرِي سُيُوفَ مَكَارِمِ
 عَادَتْ بِجَارًا إِذْ سَقَيْتَ ضَحَاضِحِي،

قَدْ كَانَ قُرْبُكَ أَنْتَهَا فِي النَّسَادِي (١).
 قَدْ كُنْتُمَا فِي ذَا عَلَى مِيعَادِ (٢).
 لَكَ ذِي وَفْلَا مُخْلَصِرٍ وَوِدَادِ؟
 لَيْسَتْ لَهُ الدُّنْيَا يُثَابَ حِدَادِ.
 زَهْرُ الرُّبَى مَوْثِيَّةُ الْأَبْرَادِ (٣).
 وَمَوَاهِبِ وَالْيَتَهَا وَأَيَادِ (٤)؛
 تَمْ طَيِّبِي وَفَضَحْتَ كَمَبَ إِيَادِ (٥).
 زَهْوًا وَلَا أَرْضَى السَّيَاكُ مِهَايِ (٦).
 قَلَّتْ مِنَ الْأَمْلاكَ كُلِّ عِنَادِ (٧)،
 يَوْمَاهُ: يَوْمَ نَدَى وَيَوْمَ جِلَادِ (٨)؛
 وَالصُّبْحُ سِنْفِي وَالرِّيَّاحُ جِيَادِي (٩).
 مَنَعَ الظِّمَاءَ وَرُودَ كُلِّ نَادِ (١٠).
 تَرَكْتُ سِيُوفَ الْمِندِ غَيْرَ حِدَادِ (١١).
 وَغَدْتُ هِضَابًا إِذْ رَفَعْتَ وَهَادِي (١٢).

(١ - ٢) يشير الشاعر إلى موت اعتاد (زوج المتمدن) قبله بقليل.

(٣) السجايَا: الطبايع (الأخلاق الجميلة). مَوْثِيَّةٌ: مطرزة. البرد (بالضم): ثوب من حرير.

(٤) الموهبة (الهبة) المطاء. وإلى الأشياء: جاء بها متواليه (متتابعة). الإيادي: النعم.

(٥) حاتم الطائي المشهور بالكرم. كمب بن مامة الأباذي يضرب به المثل في الكرم (وكلاهما جاهلي).

(٦) النهل: الشرب الخفيف. الزهو: الإعجاب بالنفس. السلك (الأهزل) والسالك (الرامح) مجموعتان من

النجوم. المهاد: الفراش.

(٧) الأملاك: الملوك. قَلَّتْ عِنَادُ الْمُلُوكِ (أخضعتهم).

(٨) ندى: كرم. جِلَاد: حرب.

(٩) الثريَّا: مجموع نجوم. المغقل: الحصن. الجواد: الحصان.

(١٠) الطامي: المرتفع (الكثير الفائض). الظاء جمع ظَلَمَانٍ: عطشان. الورد: الذهاب إلى الماء. الناد: الماء

القليل - كان الشعراء يأتون إليك لأنك كنت تمطي كثيراً بينما كان الآخرون يعطون قليلاً أو لا

يعطون شيئاً. (عطائك الكثير أغنى الناس عن الذهاب إلى جميع الملوك).

(١١) حداد جمع حَادٍ: ماض، قاطع - رفعت منزلي حتى خافي الأبطال ذوو السيوف.

(١٢) الضحاضح: الماء القليل. الوهدة: المكان المنخفض.

وَمَدَدْتُ كَفِّي لِلْكَوَاكِبِ قَاعِدًا
نَفَقْتُني وَالدهرُ يَبْخَسُ قِيمَتِي
وَأَقْنَسَنِي لَمَّا رَأَيْتَ حَوَا
فَالْجَفْنُ بَعْدَكَ لَيْسَ يَدْرِي مَا الْكَرَى
وَكُنْ قَلْبِي فِي مَخَالِبِ طَائِرٍ،
أَنْ لَمْ تَطِيبْ فِيكَ الْمَرَاثِي وَالشَنَا
مَا كَانَ إِلَّا الرُّوضَ مُوْشِيَّ الْحُلَى
يَهْتَرُ عِنْدَ الْحَمْدِ بِعِطْفِهِ كَمَا
يَا مَوْتُ، لَمْ تَتْرُكْ حَنِيفًا مُسْلِمًا
قَدْ كَانَ مِنْ أَعْلَى الْمُلُوكِ رِثَاةً،
يَا مَوْتُ، كَيْفَ رَأَيْتَ صَبْرَ مُحَمَّدٍ،
كَمْ رَامَ فِي رَجَبٍ لِقَاءَكَ جَاهِدًا،
أَهْوَى الشُّهُورَ سِوَاهُ فَهَوَ أَذْلَنِي
صَبْرًا جَمِيلًا، يَا بَنِيهِ، فَرُبَّمَا
إِنِّي نَظَمْتُ لَكُمْ لَإِلَىءَ قَوْلَةٍ

فَبَلَقْتُهَا لَمَّا غَدَوْتَ مَصَادِي^(١)
وَأَنْفَتَ مِنْ رُخْصِي بِهِ وَكَسَادِي^(٢)
دِثَ الْأَيَّامِ قَدْ أَسْرَفَنَ فِي إِقْعَادِي
(مِنْ) دَمْعَةٍ مُنْهَلَّةٍ وَسُهَادٍ^(٣)
وَكُنْ جَنْبِي فَوْقَ شَوْكِ قِتَادٍ^(٤)
مَنْبِي فَلَسْتُ بِطَيِّبِ الْمِيلَادِ!
سُقَيْتَ أَزَاهِرَهُ بِصَوْبِ عَهَادٍ^(٥)
يَهْتَرُ عِطْفُ الْأَمْلَدِ الْمَيَادِ^(٦)
صَغَبَ اللَّقَاءِ عَلَى ذَوِي الْأَحْقَادِ^(٧)
وَفُؤَادِهِ مِنْ أَوْزَعِ الزُّهَادِ
قَبْلَ احْتِلَالِكَ كَانَ فِي اسْتِعْدَادٍ^(٨)
وَالْحِظُّ لَيْسَ يُنَالُ دُونَ جِهَادٍ^(٩)
وَأُحِبُّ أَيَّامِي سِوَى الْآحَادِ^(١٠)
نَالِ الْمُنَى قَوْمٌ بِلَا مِعَادِ
عَرَضَتْ عَلَى الْأَيَّامِ صَفْوٌ وَدَادِي^(١١)

- (١) المصاد: مكان الصيد.
(٢) يبخس (يقفل من) قيمتي (مكانتي).
(٣) الكرى: النوم. السهاد: السهر. في الأصل: «في دمعة».
(٤) قلبي في مخالب طائر: قلق (خائف). القتاد: نبت له شوك قاس.
(٥) موشي: مطرز. العهد: المطر المتتابع. الصوب: انسكاب (المطر) بكثرة.
(٦) معطف: ثوب يلبس في الشتاء (كتابة عن المعتمد نفسه). اهتز: ارتاح (طرب، سر). العطف: الجانب الأعلى من الأشياء. الأملد: (الفصل) الناعم اللين. المياد الغايل، المنتني.
(٧) بعد موت المعتمد لم يبق في الدنيا مسلم حنيف (حقيقي).
(٨) قبل أن يدركه الموت كان يستعد ليستميد ملكه بالحرب.
(٩) في رجب من سنة ٤٨٤ استولى يوسف بن تاشفين على اشبيلية وخلع المعتمد. كان المعتمد في ذلك الحين يريد أن يموت في سبيل الدفاع عن ملكه.
(١٠) كان خلع المعتمد في يوم أحد (راجع ترجمته).
(١١) قولة: قصيدة. نظمها إظهاراً لخالص مودتي للمعتمد (مع العلم بأن دولة المرابطين لم تكن تريد ذلك).

ولقد رَتَبْتُ وما قَضَيْتُ حُقُوقَكُمْ، واللهُ يَعْلَمُ ما يُكِنُّ قُؤادي^(١).

٤-★★ فُلانْد العَقِيان ٣٤-٣٥؛ الذَخِيرَةُ ٣: ٨٠٩-٨٢١؛ المَغْرِب ٢: ٢٠٣-٢٠٤؛
الْخَرِيدَةُ (المَغْرِب) ٢: ٥٣٧-٥٣٨؛ أَعْمَالُ الأَعْلَام ١٦٥-١٧٠؛ نَفْحُ الطَّيْب ٣:
٥٣٤، ٢٢٣-٢٢٤، ٢٢٤، ٢٥٩؛ دَائِرَةُ المَعَارِفِ الإِسْلامِيَّة ٣: ١٦٧٧؛ نَيْكَل ١٥٣.

أبو مروان عبد الملك بن سراج

١- هو أبو مروان عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج، قيل إنه من ذرية سراج بن قُرَّة من صحابة رسول الله فيكون بذلك عربي النسب، ولكن الأقرب إلى الصواب أنه من موالي بني أمية في المشرق. ولعل الصحيح أن أصله من الأندلس وأنه مولى المروانيين في الأندلس. ولا ريب في أن آل سراج كانوا ذوي شهرة ومكانة كما كانوا أهل بيت ذوي خير وفضل ومن مشاهير الموالي أيضاً.

ولد عبد الملك بن سراج في قرطبة في ثاني عَشَرَ ربيع الأول من سنة ٤٠٠ (١٠٠٩/١١/٣ م). وتلقى العلم على أبيه (ت ٤٥٦ هـ) وعلى القاضي يونس بن عبد الله بن الصَّغَار (ت ٤٢٩ هـ) وإبراهيم بن محمد الإفليبي (ت ٤٤١ هـ) وأبي مروان بن حيان المؤرخ (ت ٤٦٩ هـ) ومكي بن أبي طالب القيرواني.

وكانت وفاة عبد الملك بن سراج يوم الخميس ليلة عَرَفَةَ (في ثامن ذي الحجة) من سنة ٤٨٩ هـ ودفن يوم عرفة (تاسع ذي الحجة) أو ٢٩/١١/١٠٩٦ م، في مقبرة الربض من قرطبة.

٢- كان أبو مروان عبد الملك بن سراج إماماً في اللغة غير مُدَافِعٍ وعالماً بعدد من الفنون من معاني القرآن ومعاني الحديث وغريب اللغة والنحو والأنساب والأيام (المعارك) كما كان حريصاً على إسناد الأخبار في ذلك إلى العلماء والرواة كثير الاستشهاد بآيات القرآن الكريم. وكذلك كان له نظم عاديّ منه مديح وعتاب وفخر ونسيب.

(١) رثائي كان أقلّ مما يجب عليّ. يَكُنْ: يضر بكتم، يخني.

٣ - مختارات من آثاره

- جاء عبد الملك بن محمد بن جَهْوَر - وهو ابن أبي الوليد محمد بن جمهور صاحب قرطبة (٤٣٥ - ٤٥٠ هـ) - لزيارة ابن سراج، ولم يكن ابن سراج يزوره ثم عاتبه في ذلك. فقال له عبد الملك بن سراج:

أعزك الله. أنت إذا زُرْتَنِي قال الناس: أمير زار عالماً تعظيماً للعلم واقتباساً منه. وأنا إذا زُرْتُكَ قالوا: عالمٌ زار أميراً للطمع في دنياه والرغبة في رِفْده ولا يصون علمه.

- قال أبو مروان عبد الملك بن سراج يمدح المظفر بن جمهور ويعاتبه على قلة العناية به:

أما هواك ففني أعزَّ مكان	كم صارمٍ من دونه وسنان ^(١) !
وبنو حروبٍ لم تزل تغدوهم	حتى الفطام تُدْثِيها بلبان ^(٢) .
في كلِّ أرضٍ يَضْرِبُونَ قِبَابَهُمْ،	لا يُنْمَعُونَ تَحْيِرَ الأوطان.
ولقد سَرَيْتُ وما صَحِبْتُ على السرى	غيرَ النجوم إرادةَ الكِتان ^(٣) .
ففي ليلةٍ نظرتُ إلى نَجْمِها؛	ومَقَعَهُمُ الفَمَرَاتِ غيرُ جبان ^(٤) .
قالت فتاتُهُمْ وقد نَبَّهَتْها	والليلُ مُلْقِي كلِّكِلٍ وجِران ^(٥) :
كيف اجترأتُ على تجاوزٍ من ترى	من نائمٍ حولي ومن يقظان؟
فأجبتُها إن ابن جمهور الرضا	منع المخاوف أن تحِلَّ جَنَانِي.
أتعود دُلُوي من بحور سَاحِكِمْ	صِفْراً وليست رَئَةَ الأَشْطَانِ ^(٦) ،

(١) صارم: سيف. سنان: رمح.

(٢) الثدي (بضم فكسر فتشديد) جمع ثدي (يفتح فسكون): المصو الذي يرضع منه الطفل من أمه. اللبان (بكسر اللام): الرضاع (بالكسر أو الفتح) تناول اللبن من الثدي.

(٣) سري: سار ليلاً.

(٤) - إن الذي يسير وحده في الليل لا يكون جباناً.

(٥) الكلكل: الصدر. الجران: باطن عنق البعير (الليل في أواسطه شديد الظلام).

(٦) السباح: الكرم. الشطن (يفتح ففتح): الجبل الطويل (يسحب بوساطته الماء من البئر).

ويكون رَبِّمِي مُسْتَبِيناً جَدُّهُ حتى أَهَمَّ بنجمة البلدان^(١) ؟
قَسْنِي بِنِ يَنَأَى بَرَفِ مَكَانِهِ بِنَدِيكَ الْعَالِي وَخَفَضِ مَكَانِي^(٢) .
أَمِنْ السَّوْمَةِ أَنْ يَجْلُوا بِالرَّبِّي مِنْ أَرْضِهِ وَأَجِلُّ بِالْفَيْطَانِ^(٣) ؟
إِنْ تُرَخِّصُوا خَطَرِي فَكَمْ مُغْلٍ لَهُ يَسْتَامُ فِيهِ بِأَرْفَعِ الْأَثْمَانِ^(٤) .

٤-★★ قلائد المعيان ٢١٧-٢١٨ : الصلة ٣٤٦-٣٤٧ : بغية المنتس ٣٦٧-٣٦٨ :
المغرب ١ : ١١٥-١١٦ : إنباه الرواة ٢ : ٢٠٧-٢٠٨ : الذخيرة ١ :
٨٠٨-٨١٤ : الحريدة (الاندلس) ٤ : ٥٠١-٥٠٣ : الديباج المذهب ١٥٧ : نفع
الطيب ٤ : ١٦٢-١٦٣ : غدرات الذهب ٣ : ٣٩٢-٣٩٣ : الأعلام للزركلي ٤ :
٣٠٤ (١٥٩) .

أبو الوليد الوقشي

١- هو أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام بن خالد بن سعيد الكِنَافِي المعروف
بالوقشي نسبةً إلى وَقَشَ (على مقربةٍ من طُلَيْطَلَة)، وفيها كان مولده سنة ٤٠٨
(١٠١٧ م) .

تلقَى الوقشي العلمَ على أبي عمر عُثْمَانَ بنِ أبي بكرٍ السِّفَاقِسي (ت ٤٤٠ هـ) وأبي
عمرَ أحمدَ بنِ محمد بنِ الحِذَاء (ت ٤٦٧ هـ) وأبي عمرَ الطَّلَمَنَكِي وغيرهم . وتولى
الوقشي القضاءَ في طَلَبِيرَة من أعمالِ طُلَيْطَلَة . وفي أواخرِ أيامِهِ سَكَنَ بَلَنْسِيَة مُدَّةَ
سيرةٍ ثم غادرها ، سنةَ ٤٨٧ هـ لما استولى عليها النصارى ، وانتقلَ إلى دانيةٍ وفيها
كانت وفاته في السابع والعشرين من جُمَادَى الثَّانِيَةِ من سنةَ ٤٨٩ هـ (٢٠ / ٦ /
١٠٩٦ م) .

٢- كان أبو الوليد الوقشي دَمِثَ الأخلاقِ حَسَنَ المعاشرةِ واسعَ المعرفةِ بفنون

(١) ... حَتَّى اضْطَرَّ (بالبناء للمجهول) إلى أن أَهَمَّ (أسير على وجهي من غير مقصد معروف) بنجمة
(بالذهاب إلى أماكن بعيدة)

(٢) يَنَأَى : يبعد (هنا: يَنَأَى بجانبه: ينفرد ويتكبر - لأنه رفيع المكان في بلاطكم) . النَدَى : مجتمع القوم .

(٣) الفَيْط (بالتفتح) المكان الكثير الماء (ويكون منخفضاً) . المقصود (هنا): انخفاض المنزل .

(٤) - إن جعلتم أُنْتُمْ قِيَمَتِي عِنْدَكُمْ قَلِيلَةً ، فَمِنْهَاكَ كَثِيرُونَ يَأْوُمُونَ (على ترككم ويدفعون) أعلى الأثمان .

العلم والأدب عالماً باللغة والنحو والأدب ومعاني الشعر حافظاً للحديث بارعاً في الفقه وفي الفرائض (تقسيم الإرث) قديراً في المنطق والفلسفة ومُحَقِّقاً لعلم الحساب والهندسة والموسيقى. ثم هو أديبٌ بليغٌ وشاعرٌ مُجيدٌ يحومُ على المعاني ويسوقها في التراكييب السهلة. وكانت له قصيدةٌ في رثاء بَلَنْسِيَّةَ لما استولى عليها الإسبانُ ولكن يبدو أنها لم تَصِلْ إلينا. والوقشي هذا مُصَنَّفٌ له: نُكْتُ الكامل للمبرد - المُنتخب من غريب كلام العرب - مختصرٌ في الفقه.

٣ - مختارات من شعره

- لأبي الوليد الوقشي عدد من المقطعات، منها:

- | | |
|---|---|
| ★ قد بَيَّنْتُ فيه الطبيعة أَنَّا | بدقيقِ أَعْمَالِ المهندسِ ماهرة: |
| عُنَيْتُ بِمَسِيهِ فَخَطَّتْ فَوْقَهُ | بِالْمِسْكِ خَطًّا مِنْ مُحِيطِ الدَّائِرَةِ ^(١) . |
| ★ لَا أُرْكَبُ الْبَحَرَ وَلَوْ أَنِّي | ضَرَبْتُ فِيهِ بِالْعَصَا فَاَنْفَلَقُ ^(٢) . |
| مَا إِنْ رَأَتْ عَيْنَايَ أُمُوجَهُ | فِي فِرْقٍ إِلَّا تَنَاهَى الْفِرْقُ ^(٣) . |
| ★ بَرَحَ بِي أَنْ عُلُومَ الْوَرَى | اِثْنَانِ مَا إِنْ فِيهَا مِنْ مَزِيد: |
| حَقِيقَةُ يُفْجِرُ تَحْصِيلُهَا، | وَبَاطِلُ تَحْصِيلِهِ لَا يُفِيدُ. |
| ★ عَجِبًا لِلدَّمَامِ مَاذَا اسْتَعَارَتْ | مِنْ سَجَايَا مُعَذِّبِي وَصِفَاتِهِ: |
| طِيبَ أَنْفَاسِهِ وَطَعْمَ ثَنَائِيَا | هَ وَسُكَّرَ الْعُقُولِ مِنْ لَحْظَاتِهِ، |
| وَسَنَا وَجْهَهُ وَتَوْرِيدَ خَدَيْهِ | هَ وَلُطْفَ الدِّيَابِاجِ مِنْ بَشْرَاتِهِ ^(٤) ؛ |
| والتداوي منها بها كالتداوي | بِرِضَا مِنْ هَوَيْتُ مَنْ سَطَوَاتِهِ ^(٥) . |
| وَهَيَّ مِنْ بَعْدِ ذَا عَلِيٍّ حَرَامٌ | مِثْلَ تَحْرِيمِهِ جَنَى رَشَفَاتِهِ. |

- (١) يصف شاري ذلك الشاب وأنها متحنيان فوق شفتيه انحناء مستويًا لا تمرّج فيه.
- (٢) موسى ضرب البحر بالعصا فانفلق البحر وظهرت أرضه فقطع موسى وبنو إسرائيل من مصر إلى سيناء.
- (٣) الفرق (بكسر فسكون): الموجة العالية. الفرق (بفتح ففتح): الخوف. تنامي: بلغ نهايته (في الحجم، في المقدار، الخ)، أصبح عظيمًا جدًا.
- (٤) البشرة (بفتح ففتح): ظاهر الجلد.
- (٥) التركيب هنا مقعد (المقصود: صفاته الجميلة تفرض المحب والتمتع به يشفي المحب من مرضه).

٤-★★ الصلة ٣١٧-٢١٨: بغية المتنص ٤٧٠ (رقم ١٤٢٦)، الخريدة (المغرب)
 ١٨٩: ١٩١؛ الخريدة (الأندلس) ٤: ٥٥-٥٧، المطرب ٢٢٣ وما بعده
 معجم الأدياء ١٩: ٢٨٦-٢٨٧ بغية الوعاة ٤٠٩، نفع الطبيب ٣:
 ٣٧٦-٣٧٧، ٤: ٣٧٧، ١٣٧، ١٣٨-١٦٢، ١٦٣، ٣٠٦، بروكلن ١: ٤٧٩،
 الملحق ١: ٦٦٣؛ نيكل ٣٠٨-٣٠٩، مختارات نيكل ١٨١-١٨٢؛ الأعلام
 للزركلي ٩: ٨٠-٨١ (٨: ٨٤).

ابن البين البطليوسي

١- هو أبو عبد الله محمد بن البين البطليوسي، من شعراء المائة الخامسة (المغرب
 ١: ٣٧٠)، كان يعيش في مدينة بطلْيُوسَ معاصراً لابن صارة (ت ٥١٧ هـ). ولعل
 وفاته كانت نحو سنة ٤٩٠ (١٠٩٧ م).

٢- ابن البين البطليوسي أحد الشعراء المجيدين مُستَظَرَفُ الألفاظ والمعاني
 يميل إلى طريقة ابن هاني الأندلسي (ت ٣٦٢ هـ) مشعوراً بها. وقد برع في المدح والغزل
 والنسب والوصف.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن البين البطليوسي في الغزل والنسب:

غصّبوا الصباحَ فقسّموه خُدوداً واستَوْهَبُوا قُضْبَ الأَرَاكِ قُدوداً^(١)
 ورَأَوْا حَصَى اليَاقوتِ دُونَ مَحَلِّهِمْ فاستَبَدَّلُوا مِنْهُ النُجُومَ عُقُوداً^(٢)
 واستَوْدَعُوا حَدَقَ المَها أَجْفَانِهِمْ فَبَيَّوْا بَيْنَ ضِرَاعِمَا وَأَسوداً^(٣)
 لَمْ يَكْفِ أَنْ سَلَبُوا الأَسِنَّةَ والطَّبِي حَتَّى اسْتَعَانُوا أَعْيُنًا وَنُهوداً^(٤)
 وتضَافَرُوا بِضَفَائِرِ أُنْبَدَوْا لَنَا ضَوْءَ النِّهَارِ بَلَوْنَهَا مَعْقُوداً^(٥)

(١) الأراك: شجر تتخذ من أغصانه المساويك.

(٢) الياقوت (مأخوذ من الأرض) والنجوم (في السماء).

(٣) المهاء: بقرة الوحش (نوع من الغزلان له عيون واسعة). الضرعام (الأسد).

(٤) السنان (الرمح) الطبة (بضم ففتح): حدّ السيف... حتى استعانوا بالعيون وبالنهود (على قتل
 الحيين).

(٥) تضافروا: اجتمعوا وتعاونوا.

- اجتمع ابن البَيْنِ البَطْلَيْوْسِيُّ بَابِن صَارَةَ الشَّنْزَرِي فَقَالَ لَهُ ابْنُ صَارَةَ: أَجِزْ:
هَذِي الْبَسِيطَةُ كَاعِبٌ أَبْرَادُهَا حُلُّ الرِّبْعِ وَحَلِّيْهَا الْأَزْهَارُ^(١).
فَقَالَ ابْنُ الْبَيْنِ:

وَكأنَ هَذَا الْجَوْ فِيهَا عَاشِقٌ قَدْ شَفَّهَ التَّعْذِيبُ وَالْإِضْرَارُ^(٢).
فَإِذَا شَكَا فَالْبِرْقُ قَلْبٌ خَافِقٌ، وَإِذَا بَكَى فَدُمُوعُهُ الْأَمْطَارُ.
مَنْ أَجَلِ ذِلَّةٍ ذَا وَعِزَّةٍ هَذِهِ تَبْكِي السَّمَّ وَيُضْحَكُ النَّوَارُ^(٣).

٤- ** الذخيرة ٢: ٧٩٩-٨٠٣، المغرب ١: ٣٧٠؛ رايات المبرزين ٣١ (٤)؛ الخريدة
(المغرب) ١: ١٨٥-١٨٦؛ الحمدون من الشعراء ١٩٧-١٩٨؛ نفع الطيب ٣:
٤٥٣، راجع ٤٠٣.

لَبَّونُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

١- هو ذو الوزارتين أَبُو عَيْسَى لَبَّونُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ لَبَّونَ، وَزَرَ فِي
طُلَيْطَلَةَ لِلْأُمُونِ بْنِ ذِي النُّونِ (٤٢٩-٤٦٧ هـ) ثُمَّ لِأَخِيهِ وَخَلْفِهِ بِحِمْيِ الْقَادِرِ
(٤٦٧-٤٧٨ هـ). ثُمَّ اسْتَوْلَى الْإِسْبَانُ عَلَى طُلَيْطَلَةَ (٤٧٨ هـ) فَانْتَقَلَ لَبَّونُ إِلَى
بَلَنْسِيَّةٍ وَتَوَلَّى فِيهَا الْقَضَاءَ، فِي أَيَّامِ صَاحِبِهَا الْأَمِيرِ الْمَنْصُورِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ
(٤٦٨-٤٧٨ هـ). ثُمَّ إِنَّ بِحِمْيِ الْقَادِرَ (صَاحِبَ طُلَيْطَلَةَ) اسْتَوْلَى عَلَى بَلَنْسِيَّةٍ، فِي
حَدِيثٍ طَوِيلٍ، فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ ٤٧٨ نَفْسِهَا.

وَيَبْدُو أَنَّ لَبَّونَ قَدْ فَضَّلَ وَلَايَةَ الْبُلْدَانِ عَلَى الْقَضَاءِ فَاصْبَحَ قَائِداً (وَالِيّاً) عَلَى
قَلْعَةِ عَبْدِ السَّلَامِ قُرْبَ وَادِي الْحِجَارَةِ (أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ٢٠٩)، إِلَى الشَّامِ الشَّرْقِيِّ مِنْ
مَدْرِيد. ثُمَّ إِنَّهُ اسْتَبَدَّ بِحُكْمِ مُرَيْطَطَرَ (مِنْ أَعْمَالِ بَلَنْسِيَّةٍ)، شَامَ بَلَنْسِيَّةٍ وَعَلَى السَّاحِلِ.

(١) الكاعب: الفتاة في أول صباها (حينما يبدأ ندهاها بالبروز). البسيطة (الأرض) أبرادها (البرد بالضم: ثوب من حرير). الحلة (بالضم): الثوب النفيس. الحلي (بفتح فسكون) الحلي (بضم ففتح): ما تزين به المرأة عنقها ويديها من الذهب وغيره.

(٢) شَفَّ: المرض المريض (أحله وهزله): جملة محيلاً وهزلاً.

(٣) النوار: الزهر الأبيض.

ولكن عبد الملك بن هذيل أمير السهلة (٤٣٦ - ٤٩٦ هـ) خدعه وأخذ مُربيطر منه على أن يُموّضه منها بلداً آخر. ولكن عبد الملك لم يَفِ للبون بذلك. ولم يكن لبون ميلاً إلى الكفاح فانتقل إلى شتَمرية الشرق (شرق مدريد) ليعيش في دعة.

ولعل حياة لبون قد امتدت إلى نحو سنة ٤٩٠ (١٠٩٧ م) أو إلى ما بعدها بقليل. وقيل إن وفاته كانت في شتَمرية الشرق، وقيل: بل في سرقسطة.

٢ - كان أبو عيسى لبون بن عبد العزيز أديباً ناثراً شاعراً. وفنون شعره الوصف (للخمر والزهر في الأكثر) ثم الزهد والثناء.

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو عيسى بن لبون بعد أن لحقَ بابن رزين واستقل ما كان يأخذه منه (على تخليه له عن مُربيطر):

ذروني أجِبْ شرقَ البلادِ وغربها	لأشفي نفسي أو أموتَ بدائي ^(١) .
فلستُ ككلبِ السوءِ يُرضيه مَرَبَضٌ	وعظّم، ولكنني عُقاب سماء
تحومُ لكِما يُدركُ الحِصْبَ حَوْمُها	أمامَ أمامٍ أو وراءَ وراءٍ*.
وكنْتُ إذا ما بلدةٌ لي تنكرتُ	شدتُ إلى أخرى مطيَّ إِبائي ^(٢) ،
وسيرتُ ولا ألوي على مُتَمَذِّرٍ	وصممتُ لأصغي إلى النصحاء ^(٣)
كشمسٍ تبدتُ للعيونِ بمشرقٍ	صباحاً، وفي غربٍ أصيلٍ مساء ^(٤) .

- وقال أيضاً يَكشِفُ عن الحِدة التي وَقَعَ فيها بتخليه عما كان يَمَلِكُ من البلدان:

-
- (١) ذري: دعني، اتركني. جاب الأرض: طاف فيها.
- * في بعض المصادر «أنام أمامي» وما اخترناه أصح. ولعل المقصود ما قصده أبو فراس «لنا الصدر دون العالمين أو القبر».
- (٢) المطية: الدابة يركبها الإنسان في أسفاره. شد المطية: أعدها للسفر.
- (٣) المتعذر: الذي ينتحل الأعذار لنفسه ليبرر أخطاءه. ألوي: أنفت (أخاصم). صم الرجل (مضى في رأيه لا يبالي بعلوم الآخرين).
- (٤) الأصيل (الوقت قبيل غروب الشمس).

خَلِيلِيَّ، مَا بَالِي عَلَى صِدْقِ عَزَمَتِي
فَوَاللهِ، مَا أَذْرِي لِأَيِّ جَرِيمَةٍ
وَلَمْ أَكُ عَنْ كَسْبِ الْمَكَارِمِ عَاجِزاً
لَتَيْنُ شَانَ تَمْزِيقُ الزَّمَانِ لِدَوْلَتِي،
وَأَيْقَظُ مِنْ لَيْلِ الْفَرَارَةِ نَائِماً
أَرَى مِنْ زَمَانِي وَنِيَّةً وَتَعَدُّراً^(١)!
تَجَنَّى وَلَا عَنْ أَيِّ ذَنْبٍ تَغْيِراً^(٢)؟
وَلَا كُنْتُ فِي نَيْلِ أُنَيْلٍ مُقَصِّراً^(٣).
لَقَدْ رَدَّ عَنْ جَهْلٍ كَثِيرٍ وَبَصَّراً^(٤)،
وَكَسَّبَ عِلْماً بِالزَّمَانِ وَبِالْوَرَى^(٥)!
- وَقَالَ يَصِفُ الْخَمْرَ:

يَا رَبُّ لَيْلٍ شَرَبْنَا فِيهِ صَافِيَةً
تَرَى الْفَرَاشَ عَلَى الْأَكْوَاسِ سَاقِطَةً
حِرَاءَ فِي لَوْنِهَا تَنْفِي التَّبَارِيحَا^(٦).
كَأَنَّا أَبْصَرْتُ مِنْهَا مَصَابِيحَا^(٧).
- وَلَهُ فِي الْعِتَابِ:

لِمَا اللهُ قَلْبِي كَمْ يَحِنُّ إِلَيْكُمْ، وَقَدْ بَغْتُمْ حَظِي وَضَاعَ لَذَائِكُمْ^(٨).
إِذَا نَحْنُ أَنْصَفْنَاكُمْ مِنْ نَفُوسِنَا، وَلَمْ تُنْصَفُونَا، فَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ!

- ٤-★★ قلائد العقيان ١١١-١١٥ الذخيرة ٣: ١٠٤-١٠٨ أزهار الرياض ٣:
١٢٠-١٢٣ المغرب ٢: ٣٧٦-٣٧٧ خريدة (المغرب) ٢: ٣٧٥-٣٨٠
الخريدة (الأندلس) ٤: ٣٣٢-٣٣٦ الحلة السيرة ٢: ١٦٧-١٧١ أعمال الأعلام
٢٠٩ جيش التوشيح ١٥٨-١٦٩ (راجع ٢٦٢-٢٦٥)؛ نفع الطيب راجع ١:
٦٧٢-٦٧٣، ٣: ٥٩٧، ٤: ٣١٤؛ نيكل ٢٠٢-٢٠٤.

عبد الملك بن رزين

١- هو ذو الرثاستين حُسامُ الدين أبو مروان عبدُ الملك بنُ هُدَيْل بن عبدِ الملك

- (١) الونية: التعب، الضعف. التعمد: العسر، المشقة.
(٢) تجنَّى (زماي علي): اتهمى بالذنوب والتقصير (بغير حق). ولا عن أي ذنب (ارتكبه أنا).
(٣) النيل: العطاء. أنيله: أعطيه (كرماً مني).
(٤) شان: عاب.
(٥) الفرارة (بالفتح): الفعلة، حداة السن.
(٦) التباريح: الشدائد (الخمير تنسي الإنسان ما يحيط به من المشكلات أو كذلك يزعمون).
(٧) الأكواس (يقصد بها الشاعر هنا جع كأس) وليس هذا في القاموس ولا في تاج العروس.
(٨) لما: لمن.

ابن خَلَفٍ بن لُبٍّ بن رَزِينَ، قيل إِنَّ أَصْلَ أَهْلِهِ عَرَبٌ مِنْ هَوَارَةَ، وقيل مِنْ بَرَابِرَةَ الثَّغَرِ (شَالِي الأَنْدَلُسِ)، والاسم «لُبٌّ» فِي أَعْلَى نَسَبِهِ إِسْبَاقِي مشهور.

وَلَدَ عَبْدُ الْمَلِكِ بن رَزِينَ نَحْوَ سَنَةِ ٤١٦ هـ (١٠٢٥ م). ويبدو أَن مجيئه إِلَى الْحَكْمِ بَاطِلًا (فِي الْعِشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ) حَالٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّشْقِيفِ الْمُنْظَمِ. وَكَانَ مُلْكُ آلِ رَزِينَ فِي السَّهْلَةِ مِنْ كُورَةِ شَنْتَبَرِيَّةٍ مَا بَيْنَ سَرَقُشْطَةَ وَوَادِي الْحِجَارَةِ (أَوْ شَنْتَمَرِيَّةِ الشَّرْقِ) عَلَى مَقَرَّبَةٍ مِنْ مَجْرِيطِ (مَدْرِيْد) شَرْقًا فِي شَالٍ. وَهِيَ كُورَةٌ كَثِيرَةُ الْخِصْبِ كَثِيرَةُ التَّضَارِيسِ (الْجِبَالِ وَالْأَوْدِيَةِ) وَكَثِيرَةُ الْمَاعِلِ.

وَفِي سَنَةِ ٤٩٣ جَرَتْ عَلَيْهِ مَوَازِيرَةٌ، فَإِنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَتْبَاعِهِ وَأَهْلِهِ فِيهِمْ ابْنُهُ وَصِهرُهُ خَبَطُوهُ بِالسُّيُوفِ فَأَكْثَرُوا فِيهِ الْجِرَاحَ وَلَكِنَّهُ سَلِمَ. وَقَدْ عَاقَبَهُمْ عِقَابًا شَدِيدًا بِالتَّعْذِيبِ وَالْقَتْلِ، غَيْرَ أَنَّهُ أَمَرَ بِابْنِهِ أَنْ تُقَطَعَ رِجْلُهُ وَيُتْرَكَ. وَدَامَ مُلْكُهُ سِتِينَ سَنَةً أَوْ تَزِيدُ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ عَبْدِ الْمَلِكِ بن رَزِينَ فِي تَاسِعِ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ ٤٩٦ (١١٠٣ م).

٢ - يَحْمِلُ ابْنُ عِزَّارٍ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بن رَزِينَ حِمْلَةً شَدِيدَةً (٣: ٣٠٩) فَيَقُولُ فِيهِ نَقْلًا عَنْ ابْنِ حَيَّانَ: سَبَّأَ الدَّهْرَ وَعَارُ الْعَصْرِ جَاهِلٌ خَامِلٌ قَلِيلُ النَّبَاهَةِ شَدِيدُ الْإِعْجَابِ بِنَفْسِهِ طَوِيلُ الدَّعْوَى بِمَا لَيْسَ فِيهِ، قَلِيلُ الْعِلْمِ. وَلَكِنْ لَا شَكَّ فِي أَنَّهُ كَانَ حَسَنَ الْمَاعِلَةِ لِمُنْدِهِ وَلَكِنْ قَلِيلُ الْعَطَاءِ لِلشُّعْرَاءِ (وَلَعَلَّ النِّقْمَةَ عَلَيْهِ جَاءَتْ مِنْ هُنَا). ثُمَّ إِنَّهُ كَانَ فَقْطًا قَاسِيًا فِي الْعِقَابِ قَلِيلُ الْإِهْتِمَامِ فِي السِّيَاسَةِ وَالْمُلْكِ إِلَّا بِأَمْرِ نَفْسِهِ وَمُلْكِهِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَمْ يَخْتَلَفْ مِنْ سَائِرِ مُلُوكِ الطُّوَانِفِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَعِينُونَ بِمُلُوكِ النَّصَارَى عَلَى مُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ اشْتَرَكَ مَعَ السَّيِّدِ الْقَمْبِيَاطُورِ، سَنَةَ ٤٨٧ هـ، فِي حِصَارِ بَلَنْسِيَّةِ.

وَكَانَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بن رَزِينَ أَدَبٌ مِنْ تَنْثِيرٍ وَنَظْمٍ، إِلَّا أَنَّ أَدَبَهُ كَانَ عَادِيًّا. وَمِنْ أَغْرَاضِهِ الْفَخْرُ وَالْوَصْفُ وَالْخَمْرُ وَالْأَدَبُ (الْحِكْمَةُ) وَالْفَزْلُ وَالنَّسِيبُ وَالْهَجَاءُ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- مِنْ رِسَالَةِ إِخْوَانِيَّةِ كَتَبَ بِهَا إِلَى أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن طَاهِرٍ يَطْلُبُ مِنْهُ الْوَفْدَ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ بَلَغَهُ مَا حَلَّ بِهِ مِنْ طَرْدِهِ مِنْ مُلْكِهِ:

أنت - أدامَ الله عزَّكَ - عالمٌ بالزمانِ وانقلابِهِ، عارفٌ بإعارتِهِ واستلابِهِ. ومنَ عَرَفَهُ حقَّ معرفتِهِ لم تَزِدْهُ شِدَّتُهُ إِلَّا مُفْتَبِرًا وشُكْرًا لله وتدبُّرًا. وما زِلْتُ أُلَقَّاكَ بالوَدِّ على البُعْد، فأَعْلَمُكَ بِتَقْدِيمِكَ في الأعيان وإن لم أُرَكَ بالعيان^(١). وأستخبرُ الأخبارَ فأسمعُ ما يَفْرَعُ صِفَاةَ الكَيْدِ بإحْياءِ الزمانِ^(٢) عليك وتنكُّرِهِ لَدَيْكَ... وأنا - أَعَزَّكَ اللهُ - أَعْرِضُ ما هو الأَوْفَقُ لي والأَلْبَقُ بي، عن عَزْمَةٍ مَكِينَةٍ ورَغْبَةٍ أَكِيدَةٍ: مِنِ الانتقالِ إلى جِهَتِي والانبساطِ في دولَتِي، فأَقاسِمُكَ خاصَّ ضِياعِي ومَعْلومَ أَمْلَاكِي وإن شَقَّ عَلَيْكَ الكَوْنُ بِجِهَتِي لِبَرْدِ هَوَائِهَا وبُعْدِ أَمَحَاتِهَا، فها هي شنت مَرِيَّةَ أَقْفُ طَاعَتِهَا عَلَيْكَ وَأَصْرِفُ أَمْرَهَا إِلَيْكَ^(٣). وعندي مِنَ العَوْنِ على الارتحالِ ما يَقْتَضِيهِ لك في الحال. ولكَ الفضلُ في مُراجعتِي بما يَسْتَقِرُّ عليه رَأْيُكَ...

- ولعبد الملك بن رَزِين يَصِفُ رَوْضًا:

ورَوْضٍ كَسَاهَ الطَّلُّ وشيًّا مُجَدِّدًا	فأُضْحِي مُقِيمًا لِلنَّفُوسِ وَمُفْعِدًا ^(١) .
إِذَا صَافَحَتْهُ الرِّيحُ ظَلَّتْ غُصُونُهُ	رواقصَ في خُضْرٍ مِنَ العَصْبِ مُبِيدًا ^(٢) .
إِذَا مَا أَنَسِكَابَ المَاءِ عَايَنْتَ خِلَّتَهُ	- وقد كَسَرَتْهُ رَاحَةُ الرِّيحِ - مَبْرِدًا.
وإن سَكَنْتَ عَنْهُ حَبِيتَ صَفَاةُ	حُسامًا صَقِيلًا صَايَهِ المَتَنِ جُرْدًا.
وَعَسَتْ بِهِ وَرُقُ الهَماجِمِ حَوْلَنَا	غَنَاءٌ يُنْسِينَا الفَرِيضَ وَمَعْبِدًا ^(٣) .
فلا تَجْفَوْنَ الدَّهْرَ ما دام مُسْعِدًا،	وَمُدَّ إلى ما قد حَبَاكَ بِهِ يَدًا ^(٤) .
وَحُذِّهَا مُدَامًا مِنْ غَزَالٍ كَأَنَّهُ،	إِذَا ما سَمِعَى، بِدَرْجٍ تَحْمَلُ فَرَقْدًا ^(٥) .

(١) بالعيان: برؤية العينين.

(٢) يفرع: يندق، يضرب. صفاة (صخرة) القلب. - يحزن النفس. الحى الزمان على الإنسان الخاء: مال على (شيء بشدة أو ظلم).

(٣) أصرف أمرها إليك: أجعل لك الحكم عليها (أجعلك حاكمًا عليها).

(٤) الطل: الماء الذي ينمقد من بخار الماء في الليل على الأشجار. الوشي: النقش (بالألوان والترزين). المقيم المقعد (في الأصل): الهم الشديد. المقصود هنا: كثير الطرب.

(٥) العصب: نوع من الثياب الحريرية. مائد (يتأيل).

(٦) الفريض ومعبد مفتيان من العصر الأموي أولهما يجيد الغناء الحزين.

(٧) مسعد: مساعد، نافع. حبا: أعطى.

(٨) الفرقد نجم معين. وهنا: نجم.

- وأخذ عبدُ الملك بن رَزِينِ شَطْرَ الْمُتَنَبِّي « فلا مَجْدَ في الدنيا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ »
وحلّه حلاً لطيفاً في الأبيات التالية:

من كَثُرَ الجُنْدُ يرى سَعْدَهُ يصعدُ حتّى ينتهي حدّه^(١).
ومن أذلَّ المالَ عزَّتْ به أيامُه أو نصرتْ جُنْدَه^(٢).
فاهدُمُ بناءَ البُخلِ وارفض به. من هدمَ البُخلَ بنى مجده^(٣).
لا عاش إلا جائعاً نائماً مَنْ عاش في أمواله وحده^(٤).

- وفي الذخيرة (٣: ١١٦): « ومن غريب شعر ابنِ رَزِينِ قوله » (في الهجاء):

أخسُّ مجلسٍ مفسَّرٍ ما فيه إلا الطنْزُ برُّه^(٥).
جَلَسَاوَه قَوْمٌ قَفَا لَ كُلُّهُمْ خُبْتُ وشرَّ.
ما فيهِمْ إلا دَنَسِي مِ، أو غَيِّيُّ أو مُضِرَّ.
أُسدُّ على قَلْبِ الكِرا م، وإن وَرَنْتَهُمْ فذرَّ^(٦).
هذا يَفْوْثٌ، بسل أضدَّ لُ، وذا يَعوقُ، وذاك نَسَرَّ^(٧).
ذاك المَحَلَّ كَواد عَوْ في ليس يُلْقَى فيه حرُّه^(٨).

- وقال بين الفخر والنسيب:

دعِ الدَمْعَ يُفْنِ الجَفْنَ لَيْلَةً ودَّعُوا. إذا انقلبوا بالقلب، لا كان مدمع^(٩).

- (١) حدّه (في الأصل أهدأ) منصوبة، ولا أدري وجه ذلك.
- (٢) في الأصل: انصرفت جنده (والتصحيح من الحلة السرياء ٢: ١١١).
- (٣) رفض (يفتح الفاء) يرفض (بكسر الفاء أو ضمّها): ترك الشيء. « به » لا حاجة إليها.
- (٤) النائع: المطشان، والذي يتأبل من شدة الجوع (يمكن أن تكون اتباع « جاع »).
- (٥) أخس = ما أخسّه: ما أقلّه وأتفه وأحقّره. الطنْز: الهزؤ والاستخفاف.
- (٦) الثلب: السبّ والتم. النرّ: صفار النمل.
- (٧) يفوْث ويعوق ونسر من الأصنام (كانت في الجاهلية).
- (٨) تضمين للثلب « لا حرّ بوادي عوف » (الذخيرة ٣: ١١٦، الحاشية الخامسة). راجع هذا المثل وقصته في فرائد اللآلي ١: ١٩٩ - ٢٠٠. يلقى (كذا في الأصل): يوجد (ولعل الأصح: يلقى بالفاء، وها بمعنى).
- (٩) أكثر من البكاء. إذا انقلبوا بالقلب (إذا ارتحلوا وأخذوا قلبك معهم، لأنك تحبهم) فلا كان مدمع (لم يبق بعدهم حاجة إلى البكاء أو الحزن على شيء).

سَرَوَا كَاغْتَدَاءَ الطَّيْرِ، لَا الصَّبْرُ بَعْدَهُمْ جَمِيلٌ وَلَا طَوْلُ النَّدَامَةِ يَنْفَعُ^(١).
أَضِيقُ بِجَمَلِ الْفَادَحَاتِ مِنَ النَّوَى، وَصَدْرِي مِنَ الْأَرْضِ الْبَسِيطَةِ أَوْسَعُ^(٢).
وَأَنْ كُنْتُ خَلَاعَ الْعِذَارِ، فَأَنْتِي لَيْسَتْ مِنَ الْعِلْيَاءِ مَا لَيْسَ يُخْلَعُ^(٣).
إِذَا سَلَّتِ الْأَحَاطُ سَيْفًا خَشِيتُهُ، وَفِي الْحَرْبِ لَا أُخْشَى وَلَا أُتَوَقَّعُ^(٤).

- وَقَالَ فِي الْغَزْلِ وَالنَّسِيبِ:

بِاللَّهِ، إِنْ لَمْ تَزِدْ جِرْ، يَا مُشَبَّهَ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ،
لَأَسْرَحَنَّ نَوَاطِرِي فِي ذَلِكَ الْخَدِّ النَّضِيرِ،
وَلَا كُنْتُكَ بِالْمُنَى وَلَا شَرَبْتُكَ بِالضَّمِيرِ.

٤- ** قلائد العقيان ٥٨-٦٤؛ الذخيرة ١٠٩: ٣-١٢٤؛ الحلة السراء ١٠٨: ٢-١١٥؛
المغرب ٢: ٤٢٨-١٤٣٠؛ الذيل والتكملة ٥: ٥٢؛ الخريدة (المغرب) ٢:
٣٦٠-٣٦٣؛ البيان المغرب ٣: ١٨١-١٨٢، ٣٠٩-٣١٠؛ المطرب
٣٩-٤١؛ أعيال الأعلام ٢٠٥-٢٠٧؛ نفع الطيب ٣: ٢٤٦-٢٤٧، ٤٠٧،
٤٣٢-٤٣٣، ٥٦٧-٥٦٨؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣١٤ (١٦٥-١٦٦).

ابن الودّاني

١- هو أبو الحسن علي بن أبي إسحاق إبراهيم ابن الودّاني، نسبة إلى ودّان وهي
بلدة في إفريقية (ليبيا اليوم). وكان ابن الودّاني من العرب الذين انتقلوا إلى جزيرة
صقلية وسكنوها وأصبح لهم مكانة فيها. ثم أصبح ابن الودّاني نفسه فيها من أهل
النفاة والرياسة وصار صاحب الديوان أو رئيس الكتّاب.

وكان ابن الودّاني من أحيل القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد). وفي
الخريدة (قسم المغرب ١: ٨٣) أن ابن الودّاني كان في عهد ابن رشيق (كانت)

(١) سروا: سافروا ليلاً. اغتداء الطير: خروج الطيور من أوكارها صباحاً (بأكراً جداً).

(٢) الفادح: الثقبيل. الفادحة: النازلة، المصيبة. النوى: البعد، البعاد (الفراق).

(٣) خلّاع العذار (الرسن من الرقبة): أعمل الأشياء التي يستعيا منها في العادة.

(٤) إذا نظرت إليّ العيون الجميلة خفت منها. اتوقع: انتظر (أو ينتظر مني) أن أعاف.

بينها مكاتبات». وما أن وفاة ابن رشيق كانت سنة ٤٥٦ (وفي رواية سنة ٤٦٣)، فلا يُنتظر أن يكون قد عاش إلى ما بعد سنة ٤٩٠ (١٠٩٧ م).

٢ - وصل إلينا من آثار ابن الوداعي خمسة أبياتٍ من الشعر أحبه الدارسون من أجل ثلاثةٍ منها. إنها أبياتٌ بارعةٌ في المعنى عذبةٌ في اللفظ سهلةٌ في الأداء، وفيها كلها لفظةٌ من الابتكار في الاستعارة: «من يشتري مني النجوم - شيبَ أطلَّ على سوادِ شبّابي».

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن الوداعي يصفُ ليلةً اجتمع فيها بأصحابٍ له يتحاورون في فنونٍ من الأدب:

من يشتري مني النجومَ بَلِيلِي
دارت على فَلَكَ السماء، ونحن قد
وأتى الصباحُ - فلا أتى - وكأنه
لا فرقَ بينَ نُجومها وصِحابي^(١).
دُرنا على فَلَكَ من الآداب^(٢).
شَبَّ أطلَّ على سوادِ شبّابي.
- وقال في الشيب:

وبرُغمي لَمَّا أتاني مَشِيبِي
ولعمري ما كنتُ مِمَّنْ يُحْيِي
قلتُ: أهلاً بهذا الضحوكِ القَطُوبِ^(٣).
هـ، ولكن تَمَلَّقُ المفلُوب.

٤ - ** الخريدة (المغرب) ١: ٨٢ - ٨٣؛ أعلام ليبيا ٢٠٠٤؛ أعلام من ليبيا (من طرابلس؟)، تأليف علي مصطفى المصراحي، طرابلس - ليبيا (مكتبة دار الفكر) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م، ص ٥٩ - ٧٤؛ المكتبة الصقلية ١٣٣، ٥٩١.

-
- (١) أنا أستغني عن نجوم الليل (عن الاستضاءة بها) لأن أصحابي مثل النجوم في الإضاءة والمداية.
(٢) نجوم الليل ثابتة في أفلاكها على الدوران مجتمعة. ونحن أيضاً ثابتون على الاجتماع يعامل الأدب (كأننا ندور في أفلاك ثابتة كالنجوم).
(٣) الضحوك (لأنه أبيض اللون). القطوب: العابس (لأنه يسيء إلى الإنسان بتذكير الإنسان بالمعجز وباللوث).

ابن القَرَازِ مُحَمَّد بن عبادة

١- هو أبو عبد الله مُحَمَّد بنُ عبادة المعروف بابن القَرَازِ - ويكنى أبا بكرٍ (أزهار الرياض ٢: ٢٥٢). ويُشار إليه أحياناً باسم عبادة القَرَازِ (راجع الخريدة: المغرب والأندلس ٢: ١٨٢؛ وفي نفع الطيب ٧: ٦، نقلاً عن مقدمة ابن خلدون، بيروت، المطبعة الأدبية، عام ١٩٠٠، ص ٤٨٥ ثم دار الكتاب اللبناني، عام ١٩٦١، ص ١١٣٨). وقد يَقَعُ الخلطُ فيما يُنسَبُ إليه من الشعر بينه وبين عبادة بن ماء السلم. وقد وَقَعَ مثل هذا في هذا الكتاب، فقد أثبتُّ أنا (فوق، ص ٤٤٩ - ٤٥٠) الموشحة البارعة: «مَنْ وَلِيَّ - في أمة - أمراً ولم يَعدِلْ، يُعزَلْ ...» لعبادة بن ماء السلم، استناداً إلى «فوات الوفيات» (١: ٢٥٥ - ٢٥٦). ثم هي مُثَبَّتَةٌ في «الوافي بالوفيات» (٣: ١٨٩ - ١٩٠) لابن القَرَازِ مُحَمَّد بن عبادة صاحب هذه الترجمة.

ونحن لا نكادُ نَعْرِفُ من حياة ابن القَرَازِ هذا شيئاً من التفاصيل المفيدة. إنَّ ابنَ خاتمة (٧٧٠ هـ) ذَكَرَ ابنَ القَرَازِ في كتابه «مَرْيَة المَرْيَة» فقال: «مُحَمَّد بنُ عبادة يكنى أبا بكرٍ ويُعرَفُ بالقَرَازِ (لا بابن القَرَازِ)، وأحسبُه من أهلِ مالقة ...» (أزهار الرياض ٢: ٢٥٢).

وكان ابنُ القَرَازِ مُحَمَّد بنُ عبادة متصلاً بالمعتمد بن عبادٍ. ولكن يبدو أنَّ اتِّصاله بالمُعْتَصِم بن صُهاجٍ وبابنه وَوَلِيَّ عهده كانت أوتق.

ولعلَّ وفاة ابنِ القَرَازِ كانت في سنة ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) أو بعد ذلك بقليل.

٢- كان ابنُ القَرَازِ مُحَمَّد بنُ عبادة «من مشاهير الأدباء والشعراء. وأكثر ما اشتهر اسمه وحُفِظَ نَظْمُه في أوزانِ الموشحات» (الذخيرة ١: ٨٠١). أمَّا قصائده فليست بالمكان الذي يستحقُّه، فيما يبدو، بموشحاته. وفنونُ شعره المديح والغزل. وله هجاء فيه إقذاعٌ ثم له وصف. وله أيضاً ترسلٌ فيه كثيرٌ من السهولة برغم كثرة الصناعة فيه.

٣- مختارات من آثاره

- من رسالة كتبها محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز إلى أبي بكر الخولاني المنجم (الذخيرة ١: ٨٠٢):

إن لم تَتَقَدَّمْ بَيْنَنَا مُخَاطَبَةً وَلَا جَرَتْ مُكَاتِبَةٌ، فَقَدْ عَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ وَدَادِي لَكَ مُحَضٌّ لَا يَشُوبُهُ ^(١) كَدَرٌ، وَأَنَّ ثَنَائِي عَلَيْكَ غَضٌّ يَتَضَوَّعُ ^(٢) تَضَوُّعَ الزَّهَرِ. فَحَالُ قَدْرِي ^(٣) لَوْصِفِكَ الْجَلِيلِ مُطَرَّرَةٌ بِذِكْرِكَ الْجَمِيلِ، وَتَبِجَانُهُ عَلَى مَفَارِقِ مَجْدِكَ الْأَثِيلِ ^(٤) مُرْصَعَةٌ بِلَالٍ حَمْدِكَ الْجَزِيلِ ^(٥). وَكَنتُ عِنْدَ حُلُولِكَ بِالْمَرْيَةِ قَدْ بَاشَرْتُ مِنْ أَفْعَالِكَ السَّنِيَّةِ وَشَهِدْتُ مِنْ مَحَاضِرِكَ الْحِسَانِ مَا يَكِلُ عَنْ وَصْفِهِ كُلِّ لِسَانٍ. وَمَا زِلْتُ مُنْذُ غَبَّتْ عَنْهَا - لَا غَابَ نَجْمٌ سَعْدِكَ وَلَا أَصْلَدُ وَاوِي زَنْدِكَ ^(٦) - أَذْكُرُ مَا يَثْرَكَ ^(٧) وَأُنَشِّرُ مَفَاخِرَكَ وَأُبْثُ مَا عَابَيْتُ مِنْ مَنَاقِبِكَ، كَالَّذِي يَتَمَيَّنُ مِنْ وَاجِبِكَ أَعَانَ اللَّهُ عَلَى أَدَائِهِ وَالْقِيَامِ بِأَعْبَائِهِ ^(٨)....

- وله من قصيدة (الذخيرة ١: ٨٠٤ = الوافي بالوفيات ٣: ١٨٩):، وهي في استجدك من المددوح (من آل عبد الحميد؟) ظاهر:

يَا دَوْحَةً بِظِلَالِهَا أَتَقِيًّا، بِلِمْ مَقْبَلًا أَوِي إِلَيْهِ وَالْجَاءُ ^(١)،
رَمِدَتْ جُفُونِي مِذْ حَلَلْتُ هُنَا، وَلَوْ كُحِّلْتُ بِرُؤْيَيْكَ لَكَانَتْ تَبْرَأُ.

-
- (١) المحض: الخالص الذي لا يشوبه (لا يخالطه شيء آخر).
 - (٢) الغض (من النبات): الطري الناضر. تَضَوَّعَ: انتشر (فاحت رائحته).
 - (٣) فعال قدري... حلمي.....
 - (٤) الأثيل: الأصيل (الثابت أصوله والمعروف بالثرف).
 - (٥) الجزيل: الكثير العظيم من كل شيء.
 - (٦) أصلد: أصبح صلدًا (قاسياً). واري زندك (الزند: حديدة تقذف بها النار من حجر النار. الواري: المشعل). وإذا أصلد الزند بطل تأثيره في الحجر فلا يخرج من الحجر ناراً.
 - (٧) المأثرة (بضم التاء): العمل الكريم المتوارث أباً عن جد.
 - (٨) بث: نشر، أذاع. المنقبة (بفتح فسكون ففتح): العمل الكريم. يتمين علي (يجب علي). العبه: الحمل (الثقل).
 - (٩) الدوحة: الشجرة الكبيرة. المقل: الحصن الذي يحمي من فيه.

فَعُيِّنَتْ عَنْكَ، وَإِنَّا أَنَا جَوْهَرُ
 يَا مِنْ إِذَا أَنْتَبَ الْبَرَايَا لِلثَّرَى،
 لَمْ أُخْتَرَعْ فِيكَ الْمَدِيحَ، وَإِنَّا
 أَمَّا بَنُو عَبْدِ الْحَمِيدِ فَإِنَّهُمْ
 فَخَرَّ الزَّمَانُ بِنَا لِأَنَّكَ حَاتَمٌ
 - وَقَالَ يَمْدَحُ الْمُعْتَصِمُ بْنُ صَاحِدٍ (نفع الطيب ٤: ١٠٣):

نَفْسِي الْحَبُّ عَنْ مُقَلَّتِي الْكَرَى كَمَا قَدْ نَفْسِي عَنْ يَدَيَّ الْعَدَمِ (٥)
 فَقَدْ قَرَّ حُبُّكَ فِي خَاطِرِي كَمَا قَرَّ فِي رَاحَتَيْكَ الْكَرَمِ
 وَقَرَّ سُلُوكُكَ عَنْ فِكْرَتِي كَمَا قَرَّ عَنْ عِرْضِهِ كُلُّ ذَمٍّ
 فَحَبِّي وَمَنْفَعَتُهُ بَاقِيَا نَ لَا يَذْهَبَانِ بِطُولِ الْقَدَمِ
 فَابْقِيَ لِي الْحَبُّ خَالًا وَجَدًّا وَأَبْقِيَ لَهُ الْفَخْرَ خَالًا وَعَمًّا (٦)
 - وَابْنُ الْقَرَّازِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ مَوْشَعَاتٍ مِنْهَا الْمَوْشَعَةُ التَّالِيَةُ (المغرب ٢: ١٣٦):

أَذَابَ الْخَلْدِ نَهْدُ مِنْهُذِ
 وَغُصْنُ تَلَاوُذِ فِي دَعْصِ مَلْبِدِ

عن سقم مكمد (٧)

آه!

★ ★ ★

- (١) الجوهر (اللؤلؤ) يكون عادة غيبواً في الصدف. - لما نزلت في المصائب غبت عنك كيلاً أحثك شيئاً من أنفالي (٢).
- (٢) الثرى: التراب. الضمضي: الأصل.
- (٣) زهر (بالضم): نجوم. - كان القدماء يمتدحون أن القمر أكثر ضوءاً من النجوم.
- (٤) حاتم (الطائي) كريم مشهور. والتنبّي شاعر متكلم.
- (٥) الكرى: النوم. العلم: الفقر.
- (٦) أنا ورثت حبي لك عن خالي وجدي. وأنت ورثت الفخر (المجد) عن خالك وعمك (من أسرة أمك وأسرة أبيك).
- (٧) الخلد: البال، النفس. أذاب الخلد (شئت بالي). نهدي: ثدي. منهذ (عال). تلاوذ: تقابل. الدعص: الجانب المستدير من الرمل (كناية عن ردف المرأة). ملبد: مكتمل (٢). مكمد (اسم مفعول من أكمد وكمد): يورث الغم والحزن.

فَدَعَّ عَذْلِي بِمَا مَن يَلُومُ
 فَلَوَّمْتُكَ لِي فِي الْحُبِّ لَوْمُ.
 أَقْصَى أَمَلِي ظَنِّي رَخِيمُ
 ابْتَرَّ الْجَلْسُ بِلَحْظِ مُرَقَّدُ
 وَلَمَسَةِ عَنَجْدُ، قَتْلِي قَدْ تَعَمَّدُ،
 دَمِي تَقَلَّدُ^(١)..

آه!

★ ★ ★

وَلَا أَنْبِرِي لِلْعَامِرِي
 خَيْالُ سَرَى فَنَلَّ السَّكْمِي
 شَدَوْتُ الْوَرَى شَدَوُ الشَّجِي
 الْبَدْرُ سَجَدَ وَالرِّيمُ أَسْجَدَ
 لِنَقْلِ مُحَمَّدٍ بِالْخُذِّ الْمُرْدُ.
 وَالْجَيْدِ الْأَعْيَدُ^(٢).

تاه!

٤- المغرب ٢: ١٣٤-١٣٧؛ الذخيرة ١: ٨٠١-٨٠٥؛ الخريدة (المغرب والأندلس)
 ١٨٢: ١٨٣، راجع ٣: ١٧٠٨؛ الترجمة المشار إليها في معجم الأدباء لياقوت

- (١) العذل: اللوم. لوم = لؤم. ظني: ولد الغزال أو الغزال. الرخم: اللين الصوت (صاحب الصوت الطرب). ابتَرَّ: سلب. الجلد: احتال الشاق. مرَقَّد: ناعس. اللعة: شعر الرأس الجاور للأذن (الشعر عموماً). عجد: ذهب (أشقر). تَقَلَّدَ (لبس) دمي (أَنْ تَوَرَّدَ خَذِيهِ مِنْ دَمِي الْمَفُوكِ فِي حَبِّهِ).
- (٢) انبري: عرض، تصدَّى. للعامري: قيس بن الملوح (مجنون ليلي) للمحب. سرى: سار ليلاً. الكمي: الشجاع التام عدة الحرب. شَدَوْتُ (غَنَيْتُ) الْوَرَى (للورى: للناس كلهم شَدَوُ (الحزن) الشَّجِي (الحزين). البدر والرِّيم (الغزال الأبيض كناية عن الم محبوب الجميل). سجد: خضع. أسجد: نظر بعين مسكورة (مطمئنة). محمد (هو الشعر: محمد بن عبادة). الجيد: الضيق. الأعيد: الناعم المنثني. الضمور في « تاه » يرجع إلى محمد (٢).

١٩: ١٠٥ (والصواب ١٨: ١٠٥ وما بعد) هي لمحمد بن جعفر القرّاز الفيرواني المتوفى سنة ٤١٢ للهجرة؛ قلائد العقيان (سنة أبيات حائية في ترجمة المعتمد بن عباد)؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٤٢-٤٣؛ الوافي بالوفيات ٣: ١٨٩-١٩٠؛ فوات الوفيات، راجع ١: ٢٥٥-٢٥٦؛ نفح الطيب ٣: ٤١١، ٤٩٢، ٦١٠، ٤: ١٣، ١٠٣، ٧: ٦؛ أزهار الرياض ٢: ٢٥٢، ٢٥٤.

* * * * *

يقف هذا الجزء عند أصحاب التراجم الذين شهدوا عصر ملوك الطوائف أو جانباً منه. ويبدأ الجزء التالي بتراجم الذين شهدوا عصر المرابطين في الأندلس.

فهرس هجائي لأعلام الأشخاص

لا يدخل في هذا الفهرس أسماء الأشخاص مما يرد في قسم المصادر والمراجع (القسم ٤) من كلّ ترجمة، ولا الأسماء التي ترد (عند الاستشهاد بمصدر أو مرجع، في المتن أو في الحاشية) إلّا إذا كان صاحب هذا المصدر أو المرجع قد أبدى رأياً معيّناً أو قال قولاً صريحاً في بحث ما. وكذلك لا تظهر في هذا الفهرس أسماء المؤلفين والمحررين والمحقّقين والناشرين للكتب الموجودة في ثبوت المصادر والمراجع.

إذا كان للاسم صيغة مشهورة جداً، نحو: أبي بكر الصّدّيق، أبي تمام، البحتري، ابن خلدون، فأنا أكتفي بإيراد هذه الصيغ المشهورة من غير إحالة عليها من: عبد الله بن أبي قحافة - حبيب بن أوس - الوليد بن عبيد - عبد الرحمن بن خلدون.

م = مكزّر، ح = في الحاشية، ح م = مكزّر في الحاشية فقط.
= (انظر الاسم الذي بعدها).

أ - آ

آدم ١٠٥، ٣٠٦، ٤٨٠، ٦٨٢.	ابراهيم بن أحمد الشيباني = أبو اليسر الشيباني
الأمدي - الحسن بن بشر ٣٥١.	
أبان بن عبد الحميد اللاحقي ٤١٨ ح.	ابراهيم (الأصغر) بن أحمد بن الأغلب
إبراهيم (الخليل) ١٤٧ م، ٤٨٤ م،	٦٠ م، ١٣٩ - ٤٠، ١٤٦،
٦٨٥، ٦٨٦ ح، ٦٨٨ ح، ٦٩٧ ح.	١٤٩ م، ١٥١ م، ١٥٤.

ابراهيم بن حجاج اللخمي ٢٢١ .
ابراهيم بن الأغلب (الكبير) ٦٠ ، ٦٩ ،
٧٠ ، ٧١ ، ٩٦ م ، ٨٣ - ٨٤ ،
٩٦ م .

ابراهيم بن سالم = ابن الأغلب
ابراهيم بن السري = الزجاج
ابراهيم بن سهل الأندلسي ٤٣٠ .
ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن
٩٤ .

ابراهيم بن عثمان = ابن الوزان
القيرواني = ابن الوزان القيرواني
النحوي

ابراهيم بن علي بن تميم = الحصري
صاحب زهر الآداب

ابراهيم بن غانم بن عبدون الكاتب
(٣٧٠ - ٣٧٢) .

ابراهيم بن القاسم القروي = الرقيق
القيرواني

ابراهيم بن قيس ١٢٣ .
ابراهيم بن ابن الأغلب = ابن الأغلب
ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مزين
٦٥ .

ابراهيم بن محمد الشافعي ١٤٠ .
ابراهيم - محمد أبو الفضل ٦١٨ .
أبقراط = بقراط
ابليس ١٠٥ .

ابن الأبار - أحمد بن محمد (٤٧٢) -
(٤٧٣) .

ابن الأبار - محمد بن عبد الله ٦٥ م ،
١٤٣ ح ، ٢٣٤ ، ٢٤٤ ح ، ٢٨٢ -
٢٨٣ ، ٢٨٥ ح ، ٢٩١ ح م ،
٢٩٢ (٩) .

ابن إياض = عبد الرحمن بن إياض
ابن أبان = محمد بن أبان القرطبي
ابن أبي الأزهر ١٨٧ .

ابن أبي الحباب - أحمد بن عبد العزيز
٣٢٨ (٩) ، ٦١٥ .

ابن أبي الحسن (شخصان ؟) ٤٢٩ م .
ابن أبي حنيفة النعمان المغربي
(٢٩٧ - ٢٩٩) .

ابن أبي دوس البياضي - أبو بكر محمد
٦٦٦ .

ابن أبي الرجال (٤٦٢ - ٤٦٤) ،
١٩١ م .

ابن أبي الرقاق ١٠٥ .

ابن أبي زمنين (٣٢٦ - ٣٢٨) ، ١٨١ ،
٥٧٢ .

ابن أبي زيد القيرواني (٣٠٧ - ٣٠٩) ،
١٧٥ ، ١٨١ م ، ٢٢٧ ، ٣٣٧ ،
٤٧٦ .

ابن أبي العرب ٣٤٩ م ، ٣٥٢ ، ٤٦٨ .

ابن أبي الفتح = عبد الله بن أبي الفتح
ابن أبي لبابة - محمد بن يحيى ٢٨٧ م .

- ابن أبي مطحنة ١٤٧ .
 ابن الأبيض = أبو بكر بن الأبيض
 ابن الأجدادي - إبراهيم (٦٢٠) - (٦٢٢) .
 ابن أخت العاهة = الداروني
 ابن أخت غانم = محمد بن معمر ٦٦٦ ح .
 ابن أرفع رأسه (٦٤٦ - ٦٥٠) .
 ابن أرقم - محمد بن محمد ٢٠٤ .
 ابن أصبغ - عباس ٤٧٣ .
 ابن الأصفر = زياد بن الأصفر
 ابن أضحى - أحمد بن محمد (٣٤٤) - (٢٤٦) .
 ابن أضحى - محمد ٢٤٤ .
 ابن الأعراي ١٢٩ .
 ابن الأغيش - محمد بن بشير ٢٨٦ (٢) ، ٣٢٨ .
 ابن الأغلب (إبراهيم بن سالم) = إبراهيم
 ابن الأغلب
 ابن الأغلب (إبراهيم بن محمد) ٦٠ م ، ١٣٩ - ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥١ .
 ابن الأغلب - الأغلب بن إبراهيم
 ٧٣ - ٧٢ .
 ابن الأغلب - زيادة الله (الأول) بن
 إبراهيم ٦٠ ، ٧١ - ٧٢ ، ١٧٧ .
 ابن الأغلب - زيادة الله (الثاني) بن
 عبد الله ٦٠ ، ١٥٤ ، ٢٩١ ح ، ٢٩٢ م .
 ابن الأغلب - عبد الله بن إبراهيم
 ٧٠ م ، ١٥٤ م .
 ابن الأغلب - أبو العباس محمد بن
 الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب
 ٧٢ - ٧٣ .
 ابن الأغلب - محمد (لم يتولَّ الإمارة)
 ١١٣ .
 ابن الأغلب - محمد بن زيادة الله ١١٣ .
 ابن الأغلب - يعقوب
 ابن الأفطس - أبو محمد عبد الله
 المنصور ٤٨٥ م .
 ابن الأفطس - المتوكل أبو حفص عمر
 ٦٥٢ ، ٦٥٩ - ٦٦٠ .
 ابن الأفطس - المظفر أبو بكر محمد بن
 عبد الله (٥٨١ - ٥٨٢) ، ٣٨٨ ، ٣٩٤ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥ م ، ٤٨٧ م ، ٥٨٥ ، ٥٩٣ .
 ابن الأفطس - يحيى المنصور بن محمد
 ٦٣٩ .
 ابن الأنباري - أبو بكر محمد ١٨٧ .
 ابن أين - أبو عبد الله محمد ٢٣٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٠ م .
 ابن باجّه ٤٤٢ ، ٥٤٩ ، ٦٥٥ ح .
 ابن بدر - أحمد بن إسماعيل ٢٥١ م .

- ابن برتق - عمر بن حفص ١٩٣ .
 ابن برد (الأصغر) (٥١٠ - ٥١٤)،
 ٤٠٩ .
 ابن برد (الأكبر) (٣٦٥ - ٣٦٧)،
 ٥١٠، ٢٠١ .
 ابن برغوث الرياضي - م بن عمر
 ٥٣٣ .
 ابن البزلياني (٥٠٧ - ٥١٠) .
 ابن بسّام الشنترفي ١٥٥ م، ٤٢٧ -
 ٤٢٩، ٤٣٧، ٤٤٢، ٤٩١، ٥٣٠،
 ٦٠٢، ٦٨٧، ٦٩٦ .
 ابن بقيّ - يحيى ٤٢٧، ٤٣٦، ٤٤٠ .
 ابن بنت منيع = البغوي
 ابن البيساري - أبو الفرج ٢٠٤ .
 ابن البين البطلبيوسي - محمد (٧٣٥ -
 ٧٣٦) .
 ابن ثاويت الطنجي - محمد ٦١٨ ح .
 ابن تقيّ - محمد ٢٢٣ - ٢٢٤ .
 ابن تيفاوت - عبد الله بن محمد ٥٤٣ .
 ابن جاج البطلبيوسي (٦٥٢ - ٦٥٤) .
 ابن الجنباب - أحمد بن خالد ١٨٣ .
 ابن جبير ٤٤٢ - ٤٤٣ .
 ابن الجزّار القيرواني - أحمد بن ابراهيم
 ١٩٢ - ١٩٣، ٥٨٣ - ٥٨٤ .
 ابن جنّي - عثمان ٤٦٩ .
 ابن جلجل - سليمان (٣٠٤ - ٣٠٧)،
 ١٩٢ م .
 ابن جمهور - عبد الملك (٣٢١ -
 ٣٢٢)، ٣١٨، راجع ٦١٥، ٧٣٢ .
 ابن جمهور - أبو الوليد محمد ٣٧٢،
 ٥٩٢ - ٥٩٣، ٦١٥ - ٦١٦ .
 ابن جمهور - المظفر (٢) ٧٣٢ .
 ابن جودي - سعيد
 ابن الحاجب - أبو الأصبح موسى
 (١٦٣ - ١٦٣)، ٢٠٤، ٤٩٦ م .
 ابن حيّوس (عامل تاهرت الفاطمي)
 ١٧٣ .
 ابن الحدّاد = السرقسطي المعافري
 ابن الحدّاد الوادي آشي - محمد (الفقيه)
 ٦٥٥ م ح .
 ابن الحدّاد الوادي آشي - محمد بن أحمد
 (الشاعر) (٦٥٥ - ٦٩٥)، ٤٠٤ -
 ٤٠٥، ٦٦٦ .
 ابن حدير - أحمد بن موسى ٢٠٥،
 ٢٦١، ٢٦٢ .
 ابن حدير - موسى بن محمد ٢٦١ ح .
 ابن الحدّاء - أحمد بن محمد ٧٣٣ .
 ابن حزم - أبو بكر ٤٥٦ م .
 ابن حزم - أحمد بن سعيد ٢٥٣،
 ٣٠٠، ٤٤٧ م .
 ابن حزم - عبد الوهّاب أبو المغيرة
 (٤٨٧ - ٤٩٠)، ٤٦٦ .
 ابن حزم - عليّ بن أحمد ١٤١، ٣٧٢،
 ٣٩٣ - ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٠٩ .

٤٢٨، ٤٥٦ ح، ٤٨٧، ٥٨٢، ٥٩٩. ابن خاقنة - أحمد بن علي ٤٤٤، ٧٤٤.
ابن خاقان المصري - خلف بن ابراهيم ٦٣٠، ٧٢٣ م.

ابن الحصار = ابن مضاء

ابن حصن الإشبيلي (٥١٤ - ٥١٧).

ابن حفصون - أحمد (الفيلسوف) ٣٧٢.

ابن حفصون - جعفر ٢١٨ م.

ابن حفصون - عمر = عمر بن حفصون

ابن الحكيم الأندلسي - محمد بن اسماعيل

(٢٢٤ - ٢٢٤)، ٢٠٤، (٩)، ٢٢١.

ابن حماد = عبد الرحمن بن بكر

١٥٣ م، ١٥١.

ابن حمدون (حدويه) - عبد الله ١٨٥.

ابن حمدون الجلولي - الحسن ٧٠٧.

ابن حمديس - عبد الجبار ٣٩٨، ٤٠٢،

٤٠٣، ٦٦٤.

ابن حمود - محمد المهدي بن القاسم (٩)

٦٢٦، ٦٢٣.

ابن حمود - محمد بن القاسم (آخر) ٤٨٣.

ابن حمود = المعتلي

ابن حموش ١٨٠ - ١٨١.

ابن الحنّاط - سليمان بن محمد (٤٨٢) -

٤٨٧، ٤٦٥ ح م.

ابن حيّ - التجيبي - الحسن بن محمد

ابن حيّان - خلف بن حسين ٦١٥.

ابن حيّان - حيّان بن خلف (٦١٥) -

٦١٨، ٤٥١، ٤٨٣، ٧٠٢، ٧٣١،

٧٣٨.

٤٩٨.

ابن خاقان = الفتح

ابن الخزاز - محمد بن أحمد ٨٦٤ م.

ابن الخزاز - محمد بن يحيى ٣٣٧.

ابن الخزاز - يحيى بن عبد العزيز

١٨٣.

ابن خرداذبه ١٨٨.

ابن خزرون - خليفة ٥٤٦ م.

ابن خزرون - سعيد ٣٩٠.

ابن الخطيب = عبد العزيز بن الخطيب

ابن الخطيب = لسان الدين

ابن خفاجة ٦٦٤ م.

ابن خلّكان ٣٠٠، ٣٣٨ م، ٣٧٥،

٤٩١ ح.

ابن خلدون ١١٣، ١٧٥ - ١٧٧،

١٩٨، ٢١١، ٣٠٦، ٣١٦،

٤٢١ - ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٣٨،

٤٣٩، ٤٤٤، ٤٥١، ٥٤٧، ٥٥١،

٥٥٢.

ابن خلدون - عمر بن أحمد ٣٩٥.

ابن خلصة الشذوي - محمد (٦١٨) -

(٦٢٠).

خلف بن ابراهيم = ابن خاقان

ابن خلّوف الحروري (٤٦٥ - ٤٦٨).

ابن خلّوف المغربي النحوي

(٦٣٥-٦٣٤).

ابن الحياط الأندلسي (٥٠٥-٥٠٦).
ابن الحياط الرعي الصقلي (٥٢١-٥٢٤)، ٣٩٨.

ابن خيرون - أبو القاسم ٦٣٠ م.

ابن خيرون - يوسف بن عبد الله ٦٠٢.
ابن داوود الإصفهاني ٢٨٢ م.

ابن الدباغ (٦٥٩-٦٦٣).

ابن دحية ٣٤٠، ٤٤٣.

ابن الدخيل الصيدلاني ٣٣٨.

ابن دراج القسطلّي (٣٧٧-٣٨٥)، ٦٠،
١٩٧ م، ٣٤٠، ٥٦٨، ٦٢٣.

ابن درستويه ١٨٧، ٦٧٢.

ابن دريد ١٨٦، ١٨٧، ٢٦٢، ٣٣٦،
٤٢١ م، ٤٦٩، ٢٦٢ ح (ابن زيد).

خطأ).

ابن الدودين - أحمد ٦٨٣، ٦٨٧ وما
بعد.

ابن ذكوان أحمد بن عبد الله ٣٦٧،
٥٨٩، ٥٩٠.

ابن ذي يزن = سيف بن ذي يزن
ابن رحيم - أبو بكر ٣٤٦.

ابن رزين - عبد الملك (٧٣٨-٧٤٢)،
٤٠٦-٤٠٧، ٦٧٠، ٧٣٧.

ابن رشيق (الحافظ) ٣١٢.

ابن رشيق (قائد وصاحب مرسية)
٦٣٩.

ابن رشيق القيرواني (٥٥١-٥٥٩)،

٢٦٨، ٣٩٦ م، ٣٩٨، ٤٠٣،

٤٠٩ م، ٤١٤-٤٢١، ٤٢٥-

٤٢٦، ٤٥١، ٤٦٣-٤٦٥،

٦٣٤، ٧٤٢-٧٤٣.

ابن رشيق (والي ميورقة) ٦٣٢.

ابن رومان - أبو الوليد ١٤٣-١٤٤.

ابن الرومي ١١٦، ١٩٦ م، ٢٣٤،

٣٧٨، ٣٩٧، ٤٠٢ م، ٤٣٥،

٥٥٧ م.

ابن الزبيب (ابن الريب)

ابن زرقون - محمد بن سعد ٢٩٢ م.

ابن زرياب (الزرياب) ١٣٨ ح.

ابن زريق البغدادي - أبو الحسن
٤٧٦.

ابن زكرويه = أحمد القرمطي

ابن زمرك ٤٤٠.

ابن زهر - أبو بكر ٤٢٩-٤٣١،

٤٣٣، ٤٣٤ م، ٤٣٦، ٤٤٠،

٤٤٣ م.

ابن زهر - أبو العلاء زهر ٥٤٩.

ابن زهر - أبو مروان عبد الملك

٥٤٩.

ابن الزيات = محمد بن عبد الملك

ابن زيد (= ابن دريد)

ابن زيدون - أبو بكر ٤٤٧ م،

٤٤٨ م، ٥٩٤.

ابن زيدون - أبو الوليد (٥٨٩ - ٦٠٢)، ٦، ١٩٥، ٣٩٨، ٤٠٤،
ابن سناء الملك ٤٢٧ - ٤٢٨، ٤٣٧، ٤٣٨.

ابن سهيل - حبيب بن نصر = حبيب
ابن نصر ٥٦٠ م، ٦٢٦ م، ٧٠٠ - ٧٠١.

ابن الربيب القيرواني (٤٦٥ - ٤٦٨).
ابن سراج - عبد الملك (٧٣١ - ٧٣٣).

ابن السراج - أبو بكر محمد ١٨٦ م، ٤٨٠ م.

ابن السراج - أبو عبد الله
ابن سريج ٦٩٤ م.

ابن سعد الخير البلسي ٤٤٢ -
ابن سعيد - أبو عبد الله بن الحسين ٢٨٩ م.

ابن شرف القيرواني - محمد (٥٦٤ - ٥٧٠)، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤٦٣،
٥٥٣، ٦٦٦ م.

ابن شقّ الليل - محمد بن ابراهيم ٧٠٦ م.

ابن شهيد - أبو عامر أحمد بن عبد
الملك (٤٥٤ - ٤٦١)، ١٨٩، ١٩٩ - ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٧، ٣١٨ ح، ٤٨٣،

٤٨٥ - ٤٨٦، ٥١٠، ٦٩٦ م.

ابن شهيد - أبو عمر أحمد بن عبد
الملك ٣١٨ ح.

ابن شهيد - عبد الملك (٣١٨ - ٣٢٠)،
١٨٩، ٣٢١، ٤٥٤ م.

ابن الشهيد - أبو حفص ٦٦٦ م.

ابن زيدون - أبو الوليد (٥٨٩ - ٦٠٢)، ٦، ١٩٥، ٣٩٨، ٤٠٤،

٤٠٥، ٤٧٧ ح، ٥١٤ - ٥١٥، ٥٦٠ م، ٦٢٦ م، ٧٠٠ - ٧٠١.

ابن الربيب القيرواني (٤٦٥ - ٤٦٨).
ابن سراج - عبد الملك (٧٣١ - ٧٣٣).

ابن السراج - أبو بكر محمد ١٨٦ م، ٤٨٠ م.

ابن السراج - أبو عبد الله
ابن سريج ٦٩٤ م.

ابن سعد الخير البلسي ٤٤٢ -
ابن سعيد - أبو عبد الله بن الحسين ٢٨٩ م.

ابن سعيد - علي بن موسى الغنسي ٤٤٣، ٢٨٩ م.

ابن السكيت ٢٤٩، ٤٦٩، ٥٦١ م.

ابن سلام الجمحي ٢٠٦ م.

ابن سلام الهروي ٢٤٨ ح، ٧٠٣ م.

ابن سلام بن عمر (عمرو مؤرخ إياضي ٧٤ م.

ابن السلام - محمد بن يحيى ٢٢٦ م.

ابن سلامة القضاعي - أبو عبد الله ٧٢٣ م.

ابن السليم - محمد بن اسحاق ٣١٤ م.

ابن سمعون = مروان بن سمعون

ابن السمين - يحيى بن يحيى ١٩٣ م.

- ابن صارة الشتريني ٣٩٨، ٧٣٥،
٧٣٦ م.
- ابن صيفون - عبد الرحمن بن أحد
٥٣٠ - ٥٣١.
- ابن الصغير (مؤرخ إياضي) ٧٤ - ٧٥.
- ابن الصفار - أحد بن محمد ١٩٠ -
١٩١.
- ابن الصفار - محمد بن محمد ١٩٠،
١٩١.
- ابن الصفار - يونس بن عبد الله ٤٧٦.
- ابن صلا الله - أحد ١٨٣ - ١٨٤.
- ابن صلاح - أحد ٧٠٨.
- ابن صلاح - محمد بن أحد ٦٦٦.
- ابن صلاح - أبو الأحوص من ٦٦٦.
- ابن صلاح = أم الكرام بنت
ابن صلاح - رشيد الدولة ٦٦٨.
- ابن صلاح - رفيع الدولة ٦٦٦، ٦٦٧.
- ابن صلاح = عز الدولة ٦٦٦، ٦٦٧.
- ابن صلاح = المعتصم بن صلاح
ابن صلاح = معز الدولة
- ابن طاهر - أبو عبد الرحمن ٧٣٩.
- ابن الطراوة - أبو الحسين ٧١٢.
- ابن طريف التاهري - الحسن بن علي
٢٥٥، ٣٩٦.
- ابن الطوي - أبو عبد الله ٢٠٩.
- ابن عائذ - يحيى بن مالك ٣٣٧.
- ابن عامر - أبو عمران عبد الله الشامي
٤٧٩ م، ٤٩٩.
- ابن عامر = عبد الله بن محمد بن عامر
ابن عبّاد - اسماعيل بن المعتضد ٥٠٧،
٥٠٤ - ٥١٥، ٦٢٦، ٦٢٧،
٦٤٢.
- ابن عبّاد (راجع: بشينة * بنت عبّاد)^(١)
ابن عبّاد - حكم * (ذخر الدولة أبو
المكارم) ٤٧٠، ٧٢١.
- ابن عبّاد - الربيع * (تاج الدولة أبو
سليمان) ٧٢١.
- ابن عبّاد - الرشيد * ٧٢١.
- ابن عبّاد - عبد الجبار * ٧١٥، ٧٢١.
- ابن عبّاد - عبيد الله * ٤٧٠.
- ابن عبّاد - عضد الدولة * ٧٢١.
- ابن عبّاد - الفتح * (المأمون أبو نصر)
٧٢٠.
- ابن عبّاد - مالك * ٧٢١ م.
- ابن عبّاد - محمد بن اسماعيل (أبو
القاسم) (٤٧٠ - ٤٧١)، ٤٧٢.
- ابن عبّاد - محمد (والد المعتضد)
٥٠٧..... (٢)

(١) النجوم تدلّ على أولاد المعتمد بن عبّاد (ت ٤٨٨ هـ). وكثيراً ما يقال في أشخاص أسرة آل عبّاد: «فلان بن عبّاد» بقطع النظر عن اسم والده.

- ابن عبّاد - محمّد بن المعتضد ٥٠٧ م .
 ابن عبّاد - أبو القاسم محمّد
 المعتمد = المعتمد بن عبّاد
 ابن عبّاد - المعتدّ (أبو بكر عبد الله *)
 ٧٢١ .
 ابن عبّاد - عبّاد * (سراج الدولة أبو
 عمر) ٧٢٠ .
 ابن عبّاد - المعتضد بن محمّد بن عبّاد
 ابن عبّاد - محمّد بن اسماعيل ٤٧٠ ح .
 ابن عبّاد - المعلّى * زين الدولة أبو
 هاشم ٧٢١ .
 ابن عبّاد - يحيى * شرف الدولة أبو
 بكر ٤٧٠ ، ٧٢١ .
 ابن عبّاد - يزيد * أبو خالد الراضي
 ٤٧٠ ، ٧٢١ م .
 ابن عبادة القرّاز - محمّد (٧٤٤ -
 ٧٨٨) ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٦٤٦ .
 ابن عبّاس - أبو جعفر أحد (٦٩٤ -
 ٦٩٩) ، ٦٨٣ ، ٦٩٥ (٩) .
 ابن عبّاس - أبو جعفر أحد (آخر)
 ٦٩٥ .
 ابن عبد البرّ - محمّد بن عبد الله
 (٦٢٦ - ٦٣١) ، ٢٣٠ م ،
 ٦٦٣ - ٦٦٢ .
 ابن عبد البرّ - أبو عمر يوسف
 (٥٨٤ - ٥٨٨) ، ٣٢٨ ، ٣٩٢ ،
 ٣٩٤ ، ٧٠٢ ، ٧٠٦ ، ٧٢٣ .
 ابن عبد الحكم (المؤرّخ) ٧٣ .
 ابن عبد ربّه أبو عمر أحد صاحب
 العقد (٢١٠ - ٢٢٠) ، ١٩٤ ،
 ١٩٨ - ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ -
 ٢٠٦ ، ٢٢١ ، ٢٣٦ ، ٤٢٩ ،
 ٤٣٩ - ٤٤١ .
 ابن عبد ربّه - أبو عمر أحد (ابن أخي
 صاحب العقد) ٢١١ .
 ابن عبد ربّه - سعيد بن ابراهيم
 (٢٣٥ - ٢٣٧) ، ١٨١ .
 ابن عبد السلام الحشني = الحشني
 ابن عبد الصمد - يوسف (٧٢٥ -
 ٧٣١) .
 ابن عبد العزيز = أبو بكر المنصور بن
 عبد العزيز
 ابن عبد الملك المراكشي ٢٩٠ .
 ابن عبدوس - أبو عامر أحد ٤٠٥ ،
 ٥٩١ ، ٥٩٨ ، ٧٠٠ م .
 ابن عبدون - ابراهيم بن غانم
 ابن عبدون الجلي - محمّد ١٩٠ ، ٣٧٢ .
 ابن عبدون - عبد الجليل ٣٩٨ ،
 ٤٠١ م ، ٤٠٦ ، ٦٤٠ ، ٦٦٠ .
 ابن عتّاب - محمّد ٣٩٣ .
 ابن عذارى ٢٦٩ ، ٥١٥ ، ٧٣٩ .
 ابن العريف = أبو القاسم
 ابن العسال - عبد الله بن فرج
 (٧٠٦ - ٧٠٧) ، ٤٠١ ، ٤٠٨ .

- ابن عصفور - أبو القاسم ٥٧٠ .
 ابن العطار - أحمد بن محمد ٢٣٠ .
 ابن علقمة - محمد ٣٩٥ .
 ابن عمار - أبو بكر (٦٣٨ - ٦٤٦) ،
 ٣٩٩ ، ٤٠٣ ، ٥٩٣ ، ٦٥٢ م ،
 ٦٥٩ ، ٦٦٣ م ، ٦٦٩ ، ٦٧٦ م ،
 ٧١٣ - ٧١٤ ، ٧١٨ م .
 ابن عمرو الوهرازي ٣٩٦ م .
 ابن عيذون = القالي
 ابن الغازي - محمد بن عبد الله ١٦٣ ،
 راجع ٢٢٢ - ٢٢٣ .
 ابن غانم - عبد الحميد ١٣٦ .
 ابن غريسه - أبو عامر أحد
 (٦٨٣ - ٦٩٩) ، ٣٩٢ م .
 ابن غصن الحجاري - عبد الملك
 ١٢٣ .
 ابن غلبون الخولاني (ت ٤٤٨ هـ)
 ٣٩٢ .
 ابن غلبون - طاهر بن عبد المنعم
 ٤٧٦ .
 ابن غلبون - أبو الطيب عبد المنعم
 ٤٧٦ .
 ابن الفارض - عمر ٣٥٥ .
 ابن الفاسي اللواتي - أبو جعفر ٣٩٦ .
 ابن فتحون بن مكرم - سعيد ٣٣٦ ،
 ٦٥٥ ، ٥٨٤ م .
 ابن فحلون - سعيد ٣٣٠ ، ٣٢٨ .
 ابن فرج البيساري = البيساري
 ابن فرج الجبائي - أحمد بن محمد
 (٢٨٢ - ٢٨٥) ، ٢٣٠ ، ٤٩٤ .
 ابن فرج الجبائي - سعيد ٢٣٠ .
 ابن الفرزي (٣٣٧ - ٣٣٩) ،
 ١٠٦ ح م ، ١٣٠ ح ، ١٦٣ ، ٢٩٩ ،
 ٥٨٤ .
 ابن الفرق - محمد بن عبد الله ٢٨٦ .
 ابن فضال - علي (٦٥٠ - ٦٥٢) .
 ابن فضل الله العمري ٤٦٥ ح .
 ابن فندين ١٠٩ .
 ابن قادم - محمد ١٨٥ .
 ابن قارلمان = ابن قرلمان
 ابن القبطرنة - أبو بكر عبد العزيز
 ٦٦٥ .
 ابن قتيبة الدينوري ١٥٤ ، ١٨٥ -
 ١٨٧ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٥١٨ ، ٥٨١ .
 ابن القرطبي - القاسم بن شعبان ١٨١ .
 ابن القرطبي - سعيد بن ابراهيم ١٨١ .
 ابن قرلمان - أحمد (٢٩٩) ١١٤ ح .
 ابن قرلمان - عبيد الله ٢٩٩ ح .
 ابن قرلمان - عيسى بن عبيد الله
 (١١٤ - ١١٥) ، ٢٩٩ ح .
 ابن قرلمان آخر ٢٩٩ ح .
 ابن القزاز = ابن عبادة القزاز
 (٧٤٤ - ٧٤٨) .
 ابن القزاز البربري (٣٢٨) .

ابن قزمان (قرمان) - فرج ٢٩٩ ح.

ابن قطن = عبد الملك الفهري

ابن قطن = عبد الملك المهري

ابن القوطية - محمد بن عمر (٢٨٥ -

٢٨٨)، ١٨١، ١٨٨ - ١٨٩،

٣٠٩، ٣١٢، ٣١٤، ٣٣٦ م.

ابن كثير - عبد الله ٤٧٩ م، ٤٩٩.

ابن اللباد - محمد بن أحمد ١٨١، ٣٠٧.

ابن اللبانة ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٣٦ م،

٤٤٠، ٤٤٢.

ابن لبون = لبون بن عبد العزيز

ابن ماء السماء = عبادة

ابن المثنى = ابن صبغون

ابن محرز ٦٩٤.

ابن محفوظ الجيزي - أحمد بن محمد

٤٩٨.

ابن مرتيل (شيخ المالكية) ١٤٠،

١٤١.

ابن مرتين ٥٩٣.

ابن مروان الجليقي = عبد الرحمن

ابن مزين - يحيى بن ابراهيم ١٦٣.

ابن مسرة (قارىء) ٤٧٩ م.

ابن مسرة - محمد بن عبد الله

١٩٣ - ١٩٤، ٢٢٢ م، ٢٥١،

٣٠٠.

ابن مسرة - وهب ٣٠٤.

ابن مضاء - أبو عمر أحمد ٢٠٣.

ابن معافى = مقدم بن معافى

ابن المعتز ١٩٦، ٣٩٧، ٤٢٠ م،

٥٥٧ م.

ابن مفلس البلسني (٤٦١ - ٤٦٢).

ابن مفيث الأنصاري - محمد بن عبد الله

(٢٥٣ - ٢٥٤).

ابن مفيث - محمد بن عبد الوهاب

٢٨٦.

ابن مفيث - محمد المغربي (٣٣٦ -

٣٣٧).

ابن مفرج - أبو عبد الله ٤٧٣.

ابن مقانا (٥٧٨ - ٥٨١).

ابن مقبل - تميم ٤٦٧ م.

ابن المقفع ٢١٢.

ابن مقلة ٧٠٥ م.

ابن مقنة ٦٢٣ م.

ابن منذر (سليمان صاحب دانية أو

يحيى المظفر بن هود) ٥٠٨ م.

ابن المنمر ٥٤٧.

ابن المهند ٣٥٠ م.

ابن ميثم - ادريس ١٨٩ - ١٩٠.

ابن نابل - عمر بن حسين ٦١٥.

ابن نباتة - عبد الرحيم ٤٨١ م.

ابن النجاد = محمد بن يوسف القرطبي

ابن النحاس المصري - أحمد بن محمد

٢٥٧، ٢٦١.

ابن وضّاح - محمد ٢١٠، ٢٢٢، ٢٣٢،
٢٥٠ - ٢٥١.

ابن الوقشي = الوقشي

ابن وكيع التنسي ٤٢٠ م.

ابن وكيع (ق) ٤٨١ ح.

ابن ولّاد - أحمد بن محمد ٢٥٧، ٢٦١.

ابن الوليد بن خلف = ابن رومان

ابن وهبون المرسى (٦٦٣ - ٦٦٥)،

٤٠٦.

ابن يحيى بن يحيى الليثي ٢٥٧.

ابن يوليش ١٣٨ م.

أبو الأجر الكلاي (٤٩ - ٥٠).

أبو اسحاق الالبيري (٥٧٢ - ٥٧٨)،

٤٠٢ م، ٤٠٨.

أبو الأسود الدؤلي ٣٠١، ٥٠١.

أبو بكر الصديق ٥٦، ٣٥٤، ٣٧٣.

أبو بكر بن الأبيض الوشاح ٤٣٢.

أبو بكر الخولاني المنجم ٧٤٥.

أبو بكر الزبيدي = الزبيدي

أبو بكر بن زهر = ابن زهر الحفيد

أبو بكر صاحب الأحباس ٦٧٢ م.

أبو بكر الصولي ٢٥٣.

أبو بكر المنصور بن عبد العزيز ٧٣٦.

أبو بكر بن معاوية القرشي ٣١٤.

أبو تمام ١٢٢ م، ١٢٩ م، ١٥٤،

١٦٤ ح، ١٩٥، ٢٠٤، ٢٠٦.

ابن النفذلة: النجدلة (لا النفذلة أو
النفذلة اليهودي) - اسماعيل

٣٨٧ - ٣٨٨، ٥٣٥، ٥٧٢.

ابن النحوي التوزري ٣٩٨.

ابن النقاش الزرقالي = الزرقالي

ابن هانئ - عبد الله بن محمد ٦٢٠ -

٦٢١.

ابن هاني الأندلسي (٢٦٦ - ٢٧٧)،

١٩٥، ١٩٦، ٣٤٣، ٣٧٤،

٣٧٨، ٥٣٠، ٥٤٨، ٧٣٥.

ابن هاني = أبو نواس

ابن هاني - محمد بن ابراهيم بن مفضل

٢٦٧ ح.

ابن هبيرة (شاعر) ٨٧.

ابن هذيل الكفيف ٣٤٠.

ابن هذيل بن رزين = ابن رزين - عبد

الملك

ابن هلال - عبد الله بن محمد ١٨٤.

ابن هود - أحمد بن سليمان ٦١٩.

ابن واقد ٣٩٥.

ابن وانسوس - سليمان ٧٤، ٧٥.

ابن الودّاني - علي (٧٤٢ - ٧٤٤).

ابن ورو - محمد بن خزرون بن خليفة

٥٤٦ م.

ابن الوزان القيرواني (٢٤٨ - ٢٥٠)،

٢٠٣ م.

- ٢٩٢ ، ٣٥١ ، ٣٧٨ ، ٤٧٥ ،
 ٤٩٦ ح ، ٥٥٧ م ، ٦٣٦ .
 أبو جعفر الايلي (الأبلي؟) ١٤٩ .
 أبو جعفر بن عباس (الوزير) = ابن
 عباس
 أبو جعفر اللواتي = ابن الفاسي
 أبو جعفر المروذي ٢٣٧ - ٢٣٨ .
 أبو جعفر المنصور العباسي ٥١ م ،
 ٥٤ م ، ٦١ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٩٤ ، ٩٥ .
 أبو جعفر النحاس ٣١٢ .
 أبو حاتم السجستاني ٣٣٦ .
 أبو الحزم جهور بن عبيد الله (٢٣٣ -
 ٢٣٥) .
 أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور
 (٤٧٣ - ٤٧٥) ، ٤٧٧ ، ٥٩٠ ،
 ٥٩٣ ، ٥٩٩ - ٦٠٠ .
 أبو الحسن البلنوي - علي بن عبد
 الرحمن = البلنوي
 أبو الحسن الكاتب المغربي (٣٤٨ -
 ٣٥٠) .
 أبو الحسن المنمر ١٧٥ .
 أبو حفص (ابن عم هاشم بن عبد
 العزيز) ١٢٣ م .
 أبو حفص الحوزي - عمر بن الحسن
 (٥٧٠ - ٥٧٢) .
 أبو الحكم الكرمانى = الكرمانى
 السرقطى
- أبو حنيفة النيمان بن ثابت ٧٣ ،
 ٢٤٩ ح ، ٢٧٧ ، ٥٨٨ ، ٦٧٩ .
 أبو حنيفة النيمان المغربي - محمد بن
 منصور (٢٧٧ - ٢٧٩) ، ١٨٢ -
 ٢٩٧ ح .
 أبو حيّان = ابن حيّان
 أبو الخطاب = عبد الأعلى المعافى
 ٥٢ ، ٥٥ ح ، ٦١ ، ٦٢ ، ٧٤ .
 أبو الخطّار = حسام بن ضرار ٤٣ -
 ٤٧ ، ٤٩ .
 أبو حزة الضيّ ٤١١ .
 أبو داود السجستاني ٢٣٢ م .
 أبو ذرّ الغفاري ٥٦ .
 أبو ذؤيب الهذلي ٦٠٠ ، ٦٠٦ .
 أبو ركوّة ١٧٤ .
 أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي
 ٢٩٢ ح .
 أبو الرّيان = الصلت بن السكن
 أبو زبيد الطائي ١٦٠ .
 أبو زيد الأنصاري ٣٣٦ .
 أبو السريّ = سهل بن أبي غالب
 الخزرجي
 أبو سفيان بن حرب ٦٨٥ ح .
 أبو سليمان الخطاطي ٣٧٢ م .
 أبو الشعثاء = جابر بن زين الأزديّ
 أبو الصلت - أميّة بن عبد العزيز
 ٣٩٨ ، ٥٤٩ .

- أبو طاهر الذهلي ٣١٢ .
- أبو العاصي = الحكم الرضي
- أبو عبادة القرّاز = ابن عبادة
- أبو العبّاس السّفاح ٥١ .
- أبو العبّاس العذري = العذري
- أبو عبد الله بن أبي الفتح ٧٢٣ .
- أبو عبد الله التميمي ٣٩٥ - ٣٩٦ .
- أبو عبد الله الصنعاني الشيمي ١٧٠ .
- أبو عبيدة = حسان بن مالك بن عبد الله
- أبو عبيد = البكري
- أبو عبيد - القاسم بن سلام ٢٤٨ - ٢٤٩ ح (٩) .
- أبو عبيدة - معمر بن المثنى ١٨٥ ح (٩) ، ٢٣٦ ، ٢٤٨ ح .
- أبو عبيدة (المستبدّ بمدينة وادي الحجارة) ٢٥٦ م .
- أبو الغتاهية ٤١١ - ٤١٢ ، ٤١٨ .
- أبو العرب التميمي - محمد بن أحد (٢٢٦ - ٢٢٩) .
- أبو العثائر بن حمدان ٥٨١ .
- أبو الغلاء المرّي ٦ ، ٧ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ٤١٠ ، ٥٣٠ م .
- ٤٥٦ م ، ٥٩٩ م ، ٦٦٩ .
- أبو علي الفارسي ٣٦٢ ، ٤٧٩ م .
- أبو علي القالي = القالي
- أبو عمر ميمون (الإباضي) ١٨٢ .
- أبو عمران الفاسي ١٨٢ ، ٥٤٣ م ، ٥٦٤ .
- أبو عمرو الداني (٤٩٨ - ٥٠٥) ، ١٨٠ م ، ٣٩٢ .
- أبو عمرو بن العلاء - زبّان البصري ٤٧٩ م ، ٤٩٩ .
- أبو عمرو (والد المعتضد بن عبّاد) ٧١٦ .
- أبو العميثل - عبد الله بن خليل ٤٦٧ م .
- أبو غبشان - المحترش بن حليل (بالضمّ): تاج العروس - الكويت ١٧ : ٢٨٨ (٦٨٩ م .
- أبو الفتوح الجرجاني (٤٩٩ - ٤٧٠) .
- أبو فراس الحمداني ١٤٦ م ، ٥٦٧ - ٥٨١ ، ٥٦٨ .
- أبو الفضل (الإباضي) - سهل ١٨٢ .
- أبو القاسم الزهراوي ١٩٣ م .
- أبو القاسم بن العريف (٣١٢ - ٣١٣) .
- أبو القاسم الفزاري (٢٤٦ - ٢٤٨) .
- أبو القاسم المعافري السبتي ٣٩٥ .
- أبو القاسم = المعتمد بن عبّاد ٦٤٥ م .
- أبو القاسم المنيشي = المنيشي
- أبو القاسم الوهراي ٤٨٧ .
- أبو لقمان بن يوسف الغساني ١٨٥ .
- أبو الخثي (٨٧ - ٨٨) ، ٩٧ .

- أبو مروان الجزيري (٣٢٤ - ٣٢٦).
أبو مروان الطنجي ٦٠٨ ح.
أبو مروان بن سراج = ابن سراج
أبو مسلم (في شعر) (٣٠٢ - ٣٠٣).
أبو المصعب الزهري ١٤٠ - ١٤١.
أبو المطرف عبد الله = الأصم
أبو المطرف الشمي (القاضي) ٧٠٨.
أبو معشر الفلكي ٣٠٥ م.
أبو المغيرة = ابن حزم
أبو المنيع الأعرابي ١٢١.
أبو النجم الراجز ٤١٩ م.
أبو نواس ٥٠، ٧٨ - ٧٩، ١٠٦ م،
١٠٨، ١١٦، ١١٩، ١٣٤،
١٥٢ م، ١٨٧، ١٩٥، ١٩٧ م،
٢٠٦، ٢٦٧ ح، ٣٤٠، ٣٦٤،
٣٧٧، ٣٧٩، ٣٩٧، ٤٠٢، ٤١٩،
٤٣٥، ٤٥٧، ٥٥٧ م.
أبو هلال العسكري ٣٤٣.
أبو الوليد الأعرج ٢٨٦.
أبو الوليد الباجي (٦٣٤ - ٦٣٤)،
٣٩٣، ٥٣٥.
أبو الوليد اللقيني - هشام بن أحمد
(٧٣٣ - ٧٣٥)، ٥٨٢، ٧٠٦.
أبو وهب العبّاسي (٢٤٣ - ٢٤٣).
أبو يحيى زكريا الأرجاني (الإباضي)
١٨٢.
- أبو يزيد غلد = غلد بن كيداد
أبو اليسر الشيباني (١٥٤ - ١٥٥)،
٢٩٢، ٢٩١.
أبو يوسف بن محمد (الرستمي) ١٥١.
أحمد = محمد رسول الله
أحمد بن إبراهيم اللؤلؤي (١٦٠ -
١٦١).
أحمد بن أبي طاهر طيفور ١٥٤.
أحمد بن اسماعيل بن بدر = ابن بدر
أحمد بن اسماعيل الرسي الحنفي ٢٣٩.
أحمد بن بقي بن غلد ٢٠١.
أحمد بن حنبل ١٤٠.
أحمد بن خالد (اسم لثلاثة) ٢٣٨ م.
أحمد بن زكرويه القرمطي ٢٩٠ -
٢٩١.
أحمد بن سعيد الشماخي ٧٤ - ٧٥.
أحمد بن سفيان بن سودة ١٥١،
١٥٣ م.
أحمد بن عبد الملك بن هاشم ٥٨٤ -
٥٨٥.
أحمد بن غالب ٣٠٩.
أحمد بن الفضل الدينوري ٣٠٤.
أحمد بن القاسم كنون ١٧١.
أحمد بن محمد - أبو عبد الله ٧٢٣.
أحمد بن محمد الكتّاني ٦٢٣.
الأخطل ٣٨٤ ح.

- الأخفش الأصغر ١٧٦، ١٨٧ .
الأخفش الأوسط ٤١١ ح، ٤١٤ .
إخوان الصفا ٤٩٤ م .
ادريس الأزهر - بن ادريس بن عبد
الله بن الحسن (٩٤ - ٩٧) .
ادريس الأكبر - بن عبد الله بن الحسن
٦٢ - ٦٣ ، ٩٤ م ، ٥٤٤ .
ادريس العالي - بن يحيى بن حمود
٥٧٨ - ٥٨٠ ، ٥٩٣ ، ٦٠٢ ،
٦٠٣ .
إدريس بن ميم = ابن ميم
ادريس بن اليان (٦٢٣ - ٦٢٦) .
الأدفوي - أبو بكر ٤٨٠ - ٤٨١ .
الأرجاني - أبو يحيى زكريا الإباضي
١٨٢ .
أردبست: أرتباس: أرتباش ٢٨٧ -
٢٨٨ .
أردون بن أذفونش (ملك جيليقية)
١٣٨ ح .
أرسطو: أرسطوطاليس ٥٩٨ م ،
٦٤٩ ح ، ٦٧٣ م ، ٦٧٩ .
أروى (في شعر) ٤١٩ م .
أزدشير ٦٨٦ ح .
اسحاق بن ابراهيم ٣٠٤ ، ٤٨١ ح ،
٦٨٥ ح ، ٦٨٦ ح ، ٦٩٧ ح .
أسد (السنة) بن موسى الأموي ١٠٤ .
أسد بن الفرات ٦٠ ، ١١٣ ، ١٤٦ ح ،
- ١٧٧ م ، ١٨٣ - ١٨٥ .
الأسعد بن بليطة (٤٩١ - ٤٩٤) .
الأسعد بن عبد الوارث ٣٠٤ .
أسلم بن عبد العزيز هاشم ١٨٣ .
اسحاق بن ابراهيم المغربي (٣٧٣ -
٣٧٤) .
اسحاق بن عبد الحميد الأوري ٦٢ -
٦٣ .
اسحاق الموصلي ٥٨ ، ٨٠ م .
اسماعيل بن ابراهيم ٣٤٢ م ، ٤٨١ ح .
اسماعيل بن أبي أويس ١٠٤ .
اسماعيل بن أبي المهاجر ٤١ .
اسماعيل بن أحمد التجيبي البرقي
(٥١٧ - ٥٢٠) ، ٦٠٨ ح م .
اسماعيل بن اسحاق الأزدي ٢٣٢ .
اسماعيل بن بدر (٢٥٠ - ٢٥٣) .
اسماعيل بن جعفر الصادق ١٧٠ .
اسماعيل بن محمد بن عامر (٤٩٤ -
٤٩٦) .
اسماعيل بن خلف (شاعر) ٤٦١ .
اشبان (ملك قديم) ٧٠٤ .
أشعب ٦٩٤ .
أشهب بن عبد العزيز ٢٦٥ م .
أصغ بن راشد بن أصغ ٧٢٣ .
أصغ بن الفرج ١٠٤ .
أصغ بن محمد بن السمح الغرناطي
١٩٠ - ١٩١ .

- الأصم - أبو المطرف عبد الله ١٩٩ .
الأصمي ٨٦، ١٠٦ ح، ٣٣٦ .
الأصيلي - عبد الله بن ابراهيم ١٨١، ٤٧٣ .
اعتماد الرميكية ٧١٤ - ٧١٥، ٧٢١، ٧٢٢ .
الأعراييون ٣٣ .
الأعرج - أبو الوليد
الأعشى - عبد الحميد بن أويس ٤٧٩ م .
الأعشى ميمون ١٨٧، ٥٥٦ م، ٥٦٧ م .
الأعلم البطليوسي ٦٣٦ ح .
الأعلم الشتمري (٦٣٦ - ٦٣٨)، ٤٠٩ - ٤١٠، ٦٦٤ .
الأعمى التطيلي ٣٩٤، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٤٢ م .
الأغلب بن ابراهيم - ابن الأغلب
الأغلب بن سالم ٦٠، ٦٦، ٦٧، ٦٩ .
أفلاطون ٥٩٨، ٥٩٩ ح .
أفلق بن عبد الرحمن ٢٤١ .
أفلق بن عبد الوهاب (١٠٨ - ١١٢)، ٥٤٤، ٦٢ .
الافليبي - أبو القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا (٤٩٧ - ٤٩٨)، ٤٠٩، ٧٣١، ٦٣٦ .
إقبال الدولة بن مجاهد العامري ٣٨٧، ٥٦١ - ٥٦٢، ٦٢٩، ٦٣٠ ح م، ٦٧١، ٦٧٤، ٧٠٨ م .
الأقشطين = محمد بن عاصم النحوي اقليدس ١٩٠ .
ألبارو اليهودي ٥٨ .
ألبن = يلبن
ألفونس الثالث (ملك قشتالة) ١٢٧ ح .
آلن (مؤلف) ١١٦ ح .
الألهاني = يحيى بن معمر الياس بن حبيب ٦٢ .
اليسع بن سمفو المكناسي ٦٤ م .
أم البنين الفهرية = فاطمة بنت محمد الفهري
أم العلاء بنت يوسف الحجازية (٥٠٦ - ٥٠٧) .
أمّ الكرام بنت صلاح ٦٦٦ - ٦٦٨ .
أمّ الوليد بن خلف بن رومان (رومانس) ١٤٣ - ١٤٤ .
أماري - ميخائيل ٥٢١ .
الإمام = علي بن أبي طالب
إمام بن الصمصامة بن الطرمّاح ١٢١ .
امرأة أبي حمزة الضبيّ ٤١١ .
امرأة العزيز (فرعون) ٥٨٤ .
امرو القيس ٣٣، ١٦١، ١٩٥، ٤١٦، ٤٢٠، ٤٥٩ - ٤٦٠، ٥٥٢ .

الأمين العباسي (بن الرشيد) ٣٦٨ ح م.

أمية بن عبد الرحمن الداخل ٢٧٩.

أمية بن عبد العزيز = أبو الصلت

الأنباري - محمد بن القاسم ٢٤٨ ح.

انتصار الدولة (٩) ٥٢٣، ٥٢٢.

أنس القلوب ٤٨٧ م، ٤٨٩ - ٤٩٠.

الأنطاكي (قارىء) ٤٧٩ م.

أنعم (سلف لعبد الرحمن بن زياد) ٥٢.

أنوشروان ٤٩٢ م، ٦٨٦ ح.

أورورا = صبح

أوروميوس = هرويسيس

أوس بن سعدى ٢٤٧ م.

أوغسطين = محمد بن عاصم النحوي:

الأقشطين

الأوزاعي ٨٦، ٩٣.

أوفيميوس = فيمي

أولوغيوس الراهب ٥٨.

الإيادي - علي بن محمد

إيغلي - فرانس ٤٤٦.

الأيلي = أبو جعفر

أيوب ١٤٧.

أيوب بن حبيب اللخمي ٤١ م.

أيوب بن العباس - أبو الحسن ١٠٨ -

الباجي - أبو عبد الله ٥٧٠.

الباجي - أبو عمر

الباجي = أبو الوليد الباجي

باديس بن بلقين (بلقين) المنصور بن

زيري ١٧١ م، ١٧٤، ٣٤٣،

٣٤٥، ٣٤٦، ٤٥١، ٤٥٢.

باديس بن حبوس ٣٨٧، ٤٦٩ م،

٥٧٢ - ٥٧٥، ٦٠٢ م، ٦٠٣،

٦٠٥ م، ٦٠٦، ٦٣٤، ٦٨٠ م،

٦٩٥ م.

بارودي - واصف ٤٢٤ ح.

الباروني - سليمان ٥٦، ١٠٩ ح، ١٨٢.

الباقلاني - أبو بكر ٦٧٧.

بالنشيا - أنخل جنثالث ١٣٠ ح م،

١٨٥ - ١٨٦، ٤٢٢.

البتاني ١٩٠ م.

بشينة (محبوبة جميل) ٤١٥.

بشينة بنت المعتمد بن عباد ٤٧٠،

٧٢١.

البحتري ٦، ١٥٤، ١٩٨ م، ٢٠٦،

٣٥١، ٣٩٧، ٤٠٢، ٥٥٧ م،

٥٩٣.

بجرتي الغرب (المغرب) ٦. ثم = ابن

زيدون

البخاري ٢٢٧ - ٢٢٨، ٥٧١ م،

٦٣٢، ٧٢٣.

بقي بن مخلد (١٤٠-١٤١)، ١٨١،
١٨٣، ٢١٠، ٢٣٠، ٢٥٠.

بكر بن حنّاد (١٥١-١٥٤).
البكري-أبو عبيد عبد الله بن عبد
المعز (٧٠٢-٧٠٥)، ٣٩٤،
٣٩٨، ٦٦٦.

بلج بن بشر بن عياض ٣٩، ٤٣ م،
٤٤ م، ٤٧، ٨٤، ٢٤٤، ٢٨٧ ح.
البلخي-أبو زيد أحد ٤٧٧ ح م.
بلقين (بلكين) بن باديس بن حبّوس
٥٧٢ م.

بلقين بن محمد الحمّادي ٥٤٤-٥٤٥.
بلكين بن زيري ١٧١، ١٧٤.
البّلتوني-أبو الحسن عليّ (٦٠٧-
٦١٠).

البّلتوني-أبو القاسم عبد الرحمن
٦٠٧-٦٠٨.

البنيلوني (أمير مسيحي؟) ٢١٧ م.
بنفسج بنت المنصور بن أبي عامر
٣٢٥-٣٢٦.

بهار (أم الأمير عبد الله بن محمّد) ١٥٦.
بهلول (البهلول) بن عبد الواحد
المدغري (المضغري) ٦٩-٧٠،
٩٦.

البوصيري ٤٠٨، ٦١١.
البيّافي=قاسم بن محمّد بن سيّار

البخاري=عبد الرحيم بن نصر
التميمي

البرّادي-أبو القاسم بن ابراهيم ٧٤.
البراذعي-خلف بن أبي القاسم ١٨١.
برتزل-أوتو ٤٩٨ ح.
برمودة الأوّل (ملك جيليقية) ٥٧.

بروفنسال=ليفي بروفنسال
بروكلمن ٢٠٣، ٣٥٥، ٣٧٥ ح،
٥٢١.

البريدي=محمد بن أحد
بريهة بنت يحيى التميمية ٣١٣.
البتّاني-فؤاد أفرام ٤٢٤ ح.
البتّاني-بطرس سلسيان ٤٠٤ م،
٤٢٤ ح.

بسطام بن قيس ٢٤٧ م.
السكري=يوسف بن عليّ
بشار بن برد ١٩٥، ٣٩٨، ٤٠٢،
٤٢٠ م، ٥١٧ ح، ٥١٨، ٦٠٧.

بشر بن صفوان ٤٦، ٤٧.
بشر بن المعتمر ٤٢٠.
البشكنس (أمير الجلائقة) ٢١٧ م.
بصبص ٦٩٤ م.

بطليموس ٥٤٩، ٥٩٨، ٥٩٩ ح.
البغوي-أبو القاسم عبد الله بن محمّد
١٨٦.

بقراط ٢٣٦ م، ٥٩٩ م.

بيدال - ر . مينندث ٤٢٥، ٤٣٧ .

البيساري - ابن فرج ٢٠٤ .

ت - ث

التاريخي الوراق - محمد بن يوسف

١٨٧ - ١٨٨ .

تاسرت اللتوني = عبد الله بن محمد بن

تيفاوت

تبع بن حسان ٢٧١، ٧٢٨ م .

الترمذي ٢٣٢، ٥٧١ .

تقي الدين - خليل ٤٢٤ ح .

تمام بن أبي العرب ٢٢٧ .

تمام بن تميم الدارمي ٦٩ .

تمام بن عامر بن علقمة (١٤٣ - ١٤٤) .

تمام بن علقمة (من أنصار الداخل)

١٤٣ ح .

تمام بن علقمة - أبو غالب تمام بن عامر

١٤٣ ح .

تمام بن عامر (آخر) ١٤٣ ح .

تمام بن غالب التيكاني (٤٧٥ - ٤٧٦) ،

٢٩٢ م .

تميم بن أبي العرب ٢٢٧ .

تميم بن تمام (جد أبي العرب التميمي)

٢٢٦ .

تميم بن المعز الفاطمي ٤٢٠ م .

تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي

٣٩٨، ٥٤٥ م، ٥٦٤ .

التميمي = القاسم بن عبد الله

تود (الملكة) ١١٦، ١١٨ - ١١٩ .

تميم الله بن ثعلبة ٢٤٧ ح .

ثابت بن عبد العزيز السرقسطي

١٨٥ م .

ثابت بن محمد الجرجاني = أبو الفتوح

الثعالي - عبد الملك (صاحب يتيمة

الدهر) ٥٣٠ .

ثعلب - أبو العباس ١٥٤، ١٨٧ ،

٢٤٨ ح .

ثوابة بن سلامة الجذامي ٤٤ م .

ج

جابر بن أفلح الإشبيلي ٥٤٩ .

جابر بن زيد الأزدي - أبو الشعثاء

٥٦ م .

جابر بن لبيد (والي لبيرة) ٩٧ - ٩٨ .

الجاحظ ٦، ١٧، ١٥٤، ٢١٢ ،

٤٢٠ م، ٥٩٩ م .

جالينوس ٢٣٦ م .

جبريل ٤٨٥، ٥٨٠ م .

جبلة بن حمد الصديقي ٢٢٧ .

الجرجاني = ثابت بن محمد

الجرجاني - حمزة بن يوسف ٤٧٧ -

٤٧٨ .

الجرجاني - عبد القاهر ٤٧٧ - ٤٧٨ .

الجويني - أبو المعالي ٦٥٠ .
جيجان (اسم لثلاث جوار) ١٤٤ -
١٤٥ .

جيروم = يروم الترجان

ح

حاتم الطائي ١٨٧ ، ٢١٦ م ، ٦٤٤ م ،
٦٥٦ م ، ٧٢٩ م ، ٧٤٦ .
حاتم بن محمد - أبو القاسم ٢٩٢ م .
حاجب بن زرارة ٢٤٧ م .
الحارث بن أسامة التميمي ٢٣٢ .
الحارث بن ظالم ٢٤٧ م .
الحارث بن عباد ٧٢٧ م .
الحارث بن مسكين ١٤٩ م .
الحاكم بأمر الله الفاطمي ١٧٤ ، ٤٥١ .
الحاكم النيسابوري ٢٢٧ - ٢٢٨ .
حام بن نوح ١٢٦ .
حبان بن أبي جبلة ٤٦ .
الحبيب بن رواحة ٤٨ .
حبّوس بن ماكسن بن زيري ٣٨٧ ،
٥٠٧ م ، ٦٠٥ ، ٦٩٥ .
الحبيب = محمد رسول الله
حبيب = أبو تمام
حبيب بن أحد الشطجيري ١١٧ ح .
حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب بن
أبي عبدة ٥١ ، ٦١ ، ٦٢ .

الجرجاني - علي بن عبد العزيز ٤٧٧ -
٤٧٨ .
جرير ١٨ ، ٥٠ ، ٧٢ ، ٢٠٦ ، ٤٠٢ .
جعفر = صبح
جعفر الصادق ١٧٠ م .
جعفر المصنف (٢٩٤ - ٢٩٧) ،
١٦٧ م ، ٢٨٩ - ٢٩٠ ، ٣١٤ -
٣١٦ ، ٣٤٠ م ، ٦٩٦ .
جعفر بن علي بن حمدون ٢٦٧ ، ٢٦٨ ،
٣١٥ .
جعفر بن فلاح ٢٦٧ ، ٢٧٠ - ٢٧٢ .
جعفر المصدق ١٧٠ .
جمونة = أبو الأجر الكلاي
جمال الدين - محسن ١٨٧ ح .
جيل بثينة ١٨٧ ، ٤٠٣ ، ٤١٥ .
جيلة (مشفقة ابن الحدّاد الوادي
آشي) ٦٥٥ ، ٦٥٦ .
الجنّاوي = عبد الحميد
الجنوّني - يحيى بن الخير ١٨٢ .
جهور بن عبيد الله = أبو الحزم جهور
جهور بن محمد = أبو الحزم جهور
جواد الطبيب ١٩٢ .
جودي بن عثمان (٨٥ - ٨٦) .
جوليان = يليان .
جوهر الصقلي ١٧١ - ١٧٢ ، ٢٦٧ م .
الجوهري - أبو نصر اسماعيل ٤١٩ م ،
٦٣٦ ح .

الحسن بن الربيب = ابن الربيب
القيرواني

حسن بن عبد الله = الزبيدي
الحسن العسكري ١٧٠ .

الحسن بن علي بن أبي طالب ١٧٠ ،
٣٣٧ ح م .

الحسن بن علي بن الحسين الكلبي
١٧٢ - ١٧٣ .

الحسن بن علي بن طريف = ابن طريف
التاهرتي

حسن بن محمد الغنبري = الداروني
حسن بن (القاسم بن) قنّون (كنّون)
١٧١ - ١٧٢ ، ٣١٥ م .

الحسن بن محمد بن الحميّ التجيبي ٣٩٤ .
الحسن بن هاني = أبو نواس

الحسن بن يحيى بن عليّ بن حمّود ٤٦٩ .
الحسين بن اسماعيل الهاملي ١٨٦ .
الحسين التجيبي القرطبي (٥٣٣ -
٥٣٤) .

الحسين بن عليّ بن أبي طالب ١٧٠ ،
٣٣٧ ح م .

الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن
الحسن بن عليّ ٩٤ .

الحسين بن المنصور الفاطمي ٣٦٩ .
الحسين بن الوليد = ابن العريف
النحوي

حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد
٦٥ .

حبيب بن نصر بن سهل ٢٢٦ ، ٤٣٤ ،
٤٤٠ .

حبّيبة بنت سليمان المستعين ٣٥٨ م .
حتّي - فيليب ٣١٦ .

الحجّاج السلولي ٤٧ .
الحجّاج بن يوسف ٣١٦ .

الحجاري (صاحب «المسهب») ٢٠ ،
٤٤٢ ، ٤٤٣ .

الحمرّ بن عبد الرحمن الثقفي ٤١ م .
الحمرّاني - أحمد بن يونس ١٩٢ م .

الحمرّاني - عمر بن يونس ١٩٢ م ،
٣٧٢ .

الحمرّاني - يونس ١٩١ - ١٩٢ ، ٦٣٦ .
الحرون = حمزة بن السبال

حسام بن ضرار = أبو الخطّار
حسان بن ثابت ١٨٧ .

حسان بن سعد ٢٣٠ م ، ٢٩٩ .
حسان بن مالك بن أبي عبدة (٣٦٧ -
٣٧٠) .

حسان بن مالك بن عبد الله بن جابر
٢٣٣ .

حسانة التميمية (٩٧ - ٩٨) .
الحسن بن حرب الكندي ٦٦ - ٦٨ .

الحسن (؟) بن سعد = حسان بن سعد

- الحصري- أبو اسحاق ابراهيم (٣٧٥-
٣٧٧)، ٥١٧، ٥٦٤.
الحصري- علي بن عبد الغني (٧٠٧-
٧١٣)، ٣٧٥ ح، ٣٩٩، ٤٠٢-
٤٠٣، ٦٠٤.
الحطيئة ١٨٧، ٤٠٢، ٦٦١ م.
حفصة الحجارية (٢٣٣).
الحكم بن ثابت السعدي ٦٧، ٦٨.
الحكم الربضي (بن هشام بن عبد الرحمن
الداخل) (٨٨-٩٣)، ٥٧-٥٨،
٦٤-٦٥، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٩٧-
٩٨، ١٠٦-١٠٩، ١٢٦، ١٣٥.
الحكم المستنصر (ابن عبد الرحمن
الناصر) ١٦٦-١٦٧، ١٨١،
١٨٣، ١٨٤، ١٨٧، ١٩٤ م،
٢٢٠، ٢٢٣ م، ٢٣٢، ٢٥٣،
٢٦٣، ٢٦٤، ٢٨٢ م، ٢٨٤-
٢٨٥، ٢٨٩، ٢٩٤ م، ٣٠٠-
٣٠٢، ٣١٤ م، ٣١٥، ٣١٨،
٣٤٠.
حلاوة (أم عبد الرحمن الأوسط) ٩٩.
الحمار (لقب جماعة) ٣٣٥-٣٣٦.
الحمار السرقسطي= ابن فتحون
حامة بن المعز ٣٨٨.
حدون النحوي ١٦٠.
حدونة (اقرأ: حفصة) الحجارية
٢٣٣ م.
- حدونة بنت زرياب ٨١ م.
حديس القطان ١٤٢ م، ٢٢٦.
حدين بن أبان الطبيب ١٩٢.
حزة بن حبيب الزيات (قارىء)
٤٧٩ م، ٤٩٩-٥٠٠.
حزة بن السبال الحرون ٦٩، ٧١ م.
حزة الكسائي= الكسائي
الحميدي- محمد بن فتوح (٧٣٢-
٧٣٥)، ٢٢٠، ٣١٠، ٤١٠ م،
٥١٠.
حنين بن اسحاق ١٩٢.
حواء ١٠٥، ٦٨٢.
حيان- أبو وهي (جد المؤرخ ابن
حيان) ٦١٥.
خ
خالد بن أبي عمران التجيبي ٧٣ م.
خالد بن حبيب ٤٢، ٤٣.
خالد بن حميد الزناتي ٤٣ م.
خالد بن ربيعة الإفريقي ٦٦ م.
خالد بن سعد ٢٥٣.
خالد الفريب (جد ابن أضحى) ٢٤٤.
خالد القنّاص ٤١٧.
الخالدیان- أبو بكر محمد وأبو سعيد
عثمان ٥٢٠ م.
خريش بن عبد الرحمن (٨٣-٨٤)،
٦٩.

الخوارزمي - محمد بن موسى ١٩٠ م ،
٢٩٢ م .

خيران الصقلي العامري ٣٧٨ م ،
٣٨٧ ، ٤٨٤ م ، ٦٩٥ .

د - د

الداخل - عبد الرحمن بن معاوية
الداني = أبو عمرو
الداروني (٢٣٧ - ٢٣٨) .
داود ٥٠١ .

داود بن عليّ الأصفهاني الظاهري
١٨٤ م .

الدبّ - أبو جعفر ٣٦٣ .
دعامة بن محمد ١٨٥ .

دعبل الأندلس = أحمد بن محمد
الكتاني - الحجاري

دعبل الخزاعي ١٥٢ ، ١٥٤ .
دغفل بن حنظلة ٤٦٧ م .

دي خويه ٢٨٩ .
دوزي ١٩٧ م .

ديك تيس الجنّ = أحمد بن محمد الكتاني
ديك الجنّ الحمصي ٤٠٥ .

ديسقوريدس ١٩٢ ، ٣٠٤ .
الذهبي - عبد الله بن ومحمد ٣٩٥ .

الذهلي = أبو طاهر
ذو الرمة ١٨٧ ، ٢٣٧ .

خزرون بن خليفة ٣٩٠ .

خزرون بن سعيد ٣٩٠ .

الحشني - عبد العزيز (٣٤٥ - ٣٤٦) .

الحشني - محمد بن ابراهيم ٦٤٦ .

الحشني - محمد بن الحارث (٢٦٣ -
٢٦٦) ، ٢٧٧ .

الحشني - محمد بن عبد السلام (١٤٧ -
١٤٨) ، ١٦٣ ، ٢١٠ ، ٢٢٢ ،

٢٣٢ ، ٢٥٠ ، ٣٢٨ .

الخصيب (عامل مصر) ١٥٢ ح ، ٣٧٩ .

الخصيب الكلبي اللغوي ١٦٣ .

الخطيب البغدادي - أحمد بن علي
٧٢٣ .

خلف بن أبي القاسم = البراذعي

خلف بن أحمد السعدي (٣٦٠) .

خلف بن حسين = ابن حيّان

خلف بن السمع بن أبي الخطّاب
١٠٨ م ، ١٠٩ .

خليفة بن خزرون ٥٤٦ م .

الخليل بن أحمد ٢٤٨ - ٢٤٩ ح ، ٣٠٠
٤١٣ - ٤١٤ ، ٦٥٥ .

خليل بن اسحاق (٢٢٤ - ٢٢٦) ،
١٨٥ ح .

الخنساء ١٨٧ ، ٤١٠ .

الخنّوت بنت مخزّمة ٣٦٣ .

رشيق (غلام ابن الجزّار القيرواني)

١٩٣ م.

رشيق (والد ابن رشيق القيرواني)

رضوان ١٢٥ م، ٣٤١ م.

رقيع الدولة = ابن صلاح

الرقيق القيرواني (٤٥١ - ٤٥٤).

الرمادي - يوسف بن هرون (٣٣٩ -

٣٤٢)، ١٩٩، ٣٠٩، ٤٢٩ م.

٤٣٩ م، ٤٤١.

الرميك بن الحجاج ٤١٧.

الرواسي ٨٥.

الروح الأمين = روح القدس = جبريل

روح القدس = عيسى

روح بن حاتم (والي إفريقية) ٧٤.

رولان ٥٧.

ريبيرا ٤٢٢ - ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٣٧.

ز

زا (الملك) ٥٥٠.

زاوي بن زيري ٦١٧ - ٦١٨.

الزبراكة = عيسى بن قرمان (قرمان)

زبيدة (امراة هرون الرشيد) ٣٦٨ ح.

الزبيدي (٣٠٠ - ٣٠٤)، ١٠٦ ح م،

١٠٨، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧ ح م،

٢٠٣ م، ٢٠٥ م، ٢٤٨ ح، ٢٦٢،

٢٩٩ ح، ٣١٢، ٣٢٨، ٣٦٧،

٤٤٧، ٤٩٧.

راح (أم عبد الرحمن الداخل) ٨١.

الرازي - أحمد بن محمد بن موسى

(٢٣٨ - ٢٤١)، ١٣٠ ح م، ١٨٨ م،

٦١٦.

الرازي - عيسى بن أحمد بن محمد

١٨٨ م.

الرازي - محمد بن زكريا ٥٣٥.

الرازي - محمد بن موسى (١٣٠ -

١٣١)، ١٨٨ م.

راشد (مولى إدريس الأكبر) ٦٣ م،

٦٩٤.

الراضي العبّادي بن المعتمد (٦٧٦ -

٦٨٠)، ٧٢١.

الراضي العبّاسي ٢٣٠، ٣٠٦ م.

الرباحي - محمد بن يحيى (٢٦١ -

٢٦٣)، ٢٠٥ م، ٣٠١، ٣٠٤.

الرباعي - سعيد ١٨٦.

ربيعة بن تيودولفو ٥٧، ٨٩.

ربيعة بن مكدّم ٧٢٧ م.

رداح = راح (أم عبد الرحمن الداخل)

رسطاليس = أرسطو

رسول الله = محمد رسول الله

الرسّي الحسني = أحمد بن اسماعيل

الرشيد بن المعتمد = ابن عبّاد

رشيد الدولة = ابن صلاح

الزبيدي - عبد الله بن حمود ٢٠٥ .

الزبيدي - حسن بن عبد الله ٢٨٦ .

الزبير بن بكار ٦٢١ .

الزجاج ١٨٦ ، ٣١٢ .

الزجاجي - عبد الرحمن بن اسحاق

٤١٧ - ٤١٩ ، ٦٣٦ .

زخرف (أم الحكم بن هشام الرضي)

٨٩ .

الزرقالي - ابراهيم بن يحيى النقاش

٣٩٤ .

الزركلي - خير الدين ٦٢١ .

زرياب - علي بن نافع ٥٨ ، ٨٠ - ٨١ ،

٩٩ ، ١٠٥ م ، ١١٦ ، ٣٦١ .

زكريا بن أبي زائدة ٧٣ .

زكريا الأرجاني - أبو يحيى = الأرجاني

زكي - أحمد ٦١٨ ح .

الزنجاني - أبو القاسم سعد بن علي

٧٢٣ .

الزهرابي - أبو القاسم ١٩٣ م .

زهير بن أبي سلمى ٤٩ ، ١٨٧ ، ٢٦٨ ،

٥٥٦ .

زهير (الفي العامري) الصقلي ٣٨٧ ،

٦٠٥ ، ٦٦٦ ، ٦٩٤ - ٦٩٦ .

زهير بن غير (جني) ٤٥٥ ، ٤٥٩ -

٤٦٠ .

الزواوي - طاهر أحمد ٥٤٧ .

زياد بن أبيه ٦٤٢ م ، ٦٨٥ ح .

زياد بن الأصفر ٤٢ ح ، ٥٥ ح .

زياد بن عبد الرحمن = شبطون

زيادة الله = ابن الأغلب

زيادة الله الطيني (٣٦٠ - ٣٦٢) .

زيري بن عطية المغراوي ٣٨٨ م .

زين العابدين - علي بن الحسن بن علي

١٧٠ .

زينب (وردت في شعر) ١١٧ ، ١٥٦ م ،

٢٢٥ ، ٢٥٦ .

س

سابور ٦٨٦ م .

سارة ٦٨٥ ، ٦٨٨ م .

سارة القوطية ١٨٩ ، ٢٨٥ م ، ٢٨٧ ح .

سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب

٧٣ .

سالم القرطبي (مولى هشام بن عبد

الرحمن الداخل) ٢١٠ ، ٢٣٥ .

سام بن نوح ٣٣ ح .

سحبان وائل ٦٨٤ .

سحر (جارية المعتمد بن عباد) ٧١٨ -

٧١٩ .

سحنون بن سعيد (١١٢ - ١١٤) ، ٦٠ ،

١٤٢ م ، ١٤٩ م ، ١٥١ ، ١٨٥ ،

٢٢٧ - ٢٢٩ .

سراج بن قرة (الصحابي) ٧٣١ .

السرقيطي الحمار = ابن فتحون

- السرقسطي الماعري (٣٣٥-٣٣٦).
 سعد بن عبادة ٤٤٧ ح.
 سعد بن علي الزنجاني = الزنجاني
 سعد بن مسعود التجيبي ٤٦.
 سعدى (وردت في شعر) ٣٧٣.
 سعدى (أم أوس بن سعدى) ٢٤٧ ح.
 سعيد بن أبي مغلدة الأزدي العثافي ٥١٨.
 سعيد بن اسحاق الكلبي ٢٢٧.
 سعيد بن جابر ٢٨٦.
 سعيد (بن سليمان) بن جودي (١٤٤-١٤٦)، ١٥٥ م، ١٥٦، ٤٢٨.
 سعيد بن الحداد ٢٢٧.
 سعيد بن حميد الكاتب ١٥٤.
 سعيد بن خزرون = ابن خزرون
 سعيد الرباعي = الرباعي
 سعيد (والد سحنون) ٢٢٨.
 سعيد بن عبد ربّه = ابن عبد ربّه
 سعيد بن عثمان = ابن القرّاز البربري
 سعيد بن فتحون = ابن فتحون
 سعيد بن الحداد الحمار (غير السرقسطي الماعري) ٣٣٦ ح.
 سعيد بن محمد القرطبي النحوي ٣٣٦ ح.
 سعيد بن محمد الماعري = السرقسطي الماعري
- سعيد بن منذر البلوطي (٢٥٧-٢٦١)، ١٥٥.
 السّفّاح = أبو العبّاس
 السفاسي - أبو عمر عثمان ٧٣٣.
 سفر بن عبيد الله الكلاعي ٢٨٤ م.
 سفيان الثوري ٧٣.
 سفيان بن عُيَيْنَة ٩٣، ٩٩.
 سكري (أمّ المستكني المرواني) ٦٩٩.
 سلامة بن جندل (جاهلي) ٦٧.
 سلمى (جارية أبي بكر الزبيدي) ٣٠١ م.
 سليمى (في الشعر) ٦٥٨.
 سليمان بن أبي هارون ١٨٢.
 سليمان بن خلف = أبو الوليد الباجي
 سليمان المستعين المرواني (٣٤٦-٣٤٨)، ١٦٨ - ١٦٩، ٣٣٨، ٣٦٣ م، ٣٧٧ - ٣٧٨، ٤٥٤، ٥١٠ م، ٥٥٥.
 سليمان بن جرير الشّمّاح ٩٤ م.
 سليمان بن جرير الشّمّاح (آخر) ٩٤.
 سليمان بن حسان = ابن جلجل
 سليمان بن الحكم الرضي ٨٩ م.
 سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية ٥٧، ٨٧ م، ٨٩ م.
 سليمان بن عبد الملك ٣٨ م، ٤١.
 سليمان بن موسى الكلاعي = أبو الربيع
 سليمان بن وهب الكاتب ١٥٤.

- سليمان بن يسار ٧٣ .
 السمار (عشقه أم الكرام بنت صلاح)
 ٦٦٧ - ٦٦٨ .
 السمع بن مالك الخولاني ٤١ م ، ٤٢ ،
 ٧٢٥ .
 السمعاني ٦١٨ ح
 سمفو المكناسي - أبو القاسم ٦٤ .
 السمطاري = عتيق
 السمسير الألبيري - خلف بن فرج
 (٦٨٠ - ٦٨٢) ، ٤٠٢ ، ٦٦٦ .
 سهل بن غالب الخزرجي ٣٦٨ .
 سهل - أبو الفضل (إباضي) ١٨٢ .
 سهل بن هارون ٥٩٩ م .
 سوار بن حمدون القيسي ٨٠ م .
 سيويه ٧٤ ، ٨٦ ، ١٥٩ م ، ٢٦١ م ،
 ٣٠٤ ، ٦٣٦ م ، ٦٧٢ - ٦٧٣ .
 سيد المرسلين = محمد رسول الله
 السيد القمبياطور ٧٣٩ .
 السيرافي - أبو سعيد ٣٦٢ .
 سيف الدولة ٥٢٠ ، ٥٦٧ م .
 سيف بن ذي يزن ٦٥٨ م .
 السيوطي - جلال الدين ١٠٦ ح ،
 ١٣٠ ح ، ٢٤٨ ح ، ٤٦٥ ح .
 شارب (زوج سليمان المستعين) ٣٥٨ .
 الشوابشي - محمد مفيد ٤٤٦ .
 شارلمان ٥٧ م ، ٩٠ م .
 الشافعي ١٤١ م ، ١٨٣ م ، ٢٠٣ م ،
 ٥٨٧ - ٥٨٨ .
 شاعر (صاحب الرباط) ٤١ .
 شاذي الصغير = شجول
 شاه ملك ٥٤٦ م .
 شبطون - زياد بن عبد الرحمن (٩٣ -
 ٩٤) ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٤ .
 شبيب بن يزيد الشيباني ٦٧٣ ح .
 شداد ، راجع ٦٩٩ .
 شداد بن عاد ٧٢٨ م .
 الشطجيري = حبيب بن أحمد
 الشريف الرضي ١٨ ، ٣٨١ ح ،
 ٤١٢ ح ، ٦٠٣ .
 الشعبي = أبو المطرف الشعبي
 الشقراطيسي (٦١٠ - ٦١٥) ، ٤٠٠ ،
 ٤٠٨ م .
 الشماخ = سليمان بن جرير
 الشماخي = أحمد بن سعيد
 الشر بن غير القرطي ١٠٢ .
 الشنتجالي - أبو محمد ٥٧٠ .
 شنجول = عبد الرحمن المنصور بن أبي
 عامر
 شنف (زوج سليمان المستعين) ٣٥٨ .
 الشوابشي - محمد مفيد ٤٤٦ .

ش

شارل مارتل = قارله

ص - ض

الضحّاك بن قيس ٤٧ ح.

الضراب ٧٢٣.

ضيف - شوقي ٤٤١، ٤٩١.

ط

الطائع العبّاسي ٣٠٦ م.

طارق بن زياد ٣٧ - ٤١، ١٤٣،

٢٨٧ ح، ٣١٣، ٣٧٧.

طالوت بن عبد الجبار ٥٧ - ٥٨، ٨٩.

طاهر بن عبد العزيز ٢٨٦.

طاهر بن المنصور الفاطمي ٢٦٩.

الطبري ١٤١، ١٨٩ م، ٢٨٩ م، ٢٩٠.

الطيني - محمد بن الحسين (٣٢٢ -

٣٢٤).

الطيبي - وليد بن عيسى (٢٥٤ -

٢٥٧)، ٢٠٥، ٢٠٦ م.

طرفة بن العبد ١٨٧، ١٩٥، ٥٦٧ م،

٦٣٦ - ٦٣٧.

الطرمّاح بن حكيم ١٨٧.

طروب (جارية عبد الرحمن الأوسط)

٩٩ - ١٠١.

طريف بن صالح البرغواطى ٦٢.

طريف (مولى موسى بن نصير) ٣٧.

طلحة بن عبد الله الموني ٤١٥ م.

الظلمنكي - أحمد بن محمد ٥٦٠،

٧٣٣.

صاحب الحمار = مخلد بن كيداد

صاحب الشامة = أحمد بن زكرويه

الصاحب بن عبّاد ١٩٤، ٢١٢.

صاعد بن الحسن الربيعي البغدادي

(٣٦٢ - ٣٦٥)، ٣١٢ م، ٣٢٨،

٣٣٦، ٤٦١، ٥٦٠.

صاعد الطليطلي (٥٨٢ - ٥٨٤)،

٣٩٥.

صبح (أم هشام المؤيد) ١٦٧ م، ٢٩٤،

٣١٤ - ٣١٥.

الصدقي = يونس بن عبد الأعلى

صخر (أخو الخنساء) ٣١٠ م.

الصقّار = يونس بن عبد الله

صفى الدين الحلّي ٤٩٤.

صقر قریش = عبد الرحمن الداخل

صلاح الدين الأيوبي ٦٦٧.

الصلت بن السكن بن سلامان ٥٦٦ -

٥٦٧.

الصليحي - علي بن محمد ٥٣٣ م.

صموئيل = اسماعيل بن النفذلة

الصميل بن حاتم ٤٤ - ٤٦، ٤٨ -

٥١، ٥٤، ٥٥.

الصنوبري ١٩٦.

الصولي = أبو بكر الصولي

الصيقل = عثمان بن سعيد

الطليق المرواني (٣٣١ - ٣٣٤).

طويس ٦٩٤.

طيفور - أحمد بن أبي طاهر ١٨٨.

ع

عائشة بنت أحمد (٣٣٤ - ٣٣٥).

عاج (جارية هاشم بن عبد العزيز) ٧٥،

١٣٤، ٧٩.

عاد ٦٩٩ م.

عاصم بن أبي النجود ٤٧٩ م، ٤٩٩.

عاصم بن أيوب البطليوسي ٤١٠.

عاصم بن زيد = أبو الخش

عامر ذو رياش ٤٧١ م.

عامر بن عمرو العبدي ٤٨.

عامر بن معمر بن سنان التميمي ٦٩.

عباد - أبو عمرو ٤٧٠.

عباد بن المعتمد بن عباد ٧١٤، ٧٢٠.

عبادة القرّاز = ابن عبادة

عبادة بن ماء السلم (٤٤٧ - ٤٥٠)،

٤٢٧ - ٤٢٩، ٤٣٩، ٧٤٤.

عبّاس - إحصان ١٩، ٢٨٩ - ٢٩٠،

٢٩٩ ح، ٣٩٨، ٤٠٤ م، ٤٤١ -

٤٤٣، ٥٢١ م، ٥٦٥ ح، ٦١٨ ح.

العبّاس بن الأحنف ٣١٢، ٤٠٣.

عبّاس بن فرناس (١٣٥ - ١٣٩)،

١٢٣ م.

عبّاس بن ناصح الجزيري (١٠٦ -

١٠٧).

عبّاسة (في شعر) ٣١٣.

عبد الله (في شعر) ٥٢٥.

عبد الله بن إباح ٥٥ - ٥٧، ٢٢٩ ح.

عبد الله بن إبراهيم = ابن الأغلب

عبد الله بن إبراهيم الأصيلي ١٨١.

عبد الله بن أبي زيد = ابن أبي زيد

عبد الله بن أبي سرح ٣٦.

عبد الله (البلنسي) بن عبد الرحمن

الداخل ٥٧، ٧٥، ٨٩ م.

عبد الله بن جابر (جدّ أبي الحزم بن

جهور) ٢٣٣.

عبد الله بن الجارود العبدي ٦٥، ٦٦،

٦٧ - ٦٩.

عبد الله بن حسان البحصي ٧٤.

عبد الله بن حمدون = ابن حمدون

عبد الله بن حمود الزيبيدي = الزيبيدي

عبد الله بن الزبير ٤٧ ح.

عبد الله بن سعيد الوجدي ٣٩٦.

عبد الله بن سليمان بن يخلف = يخلف

عبد الله بن الشعر (الشاعر) (١٠٢ -

١٠٣)، ١٠٠.

عبد الله بن الصّفّار ٤٢ م.

عبد الله بن طاهر بن الحسين ٧١ - ٧٢.

عبد الله بن عامر = ابن عامر الشامي

عبد الله بن عباس ٥٦.

عبد الله بن عبد الرحمن الناصر
(٢٢٩ - ٢٣١)، ١٨٣.

عبد الله بن عمرو بن الحارث ٢٤٧ ح.

عبد الله بن فروخ الفارسي ٧٣ - ٧٤.

عبد الله بن محمد البغوي = البغوي

عبد الله بن محمد الذهبي = الذهبي

عبد الله بن محمد (أمير الأندلس)

(١٥٦ - ١٥٩)، ٥٩ م، ٦٥، ٧٤،

٧٥، ١٢٤ - ١٢٦، ١٢٩، ١٣١،

١٣٥، ١٤٣ - ١٤٥، ١٥٥ م،

١٦٢ م، ١٦٦ م، ١٨٨، ٢١٠،

٢١٤، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٤٤، ٤٢٣،

٤٣٩.

عبد الله بن أبي مطحنة = ابن أبي

مطحنة

عبد الله بن محمد الأصم = الأصم

عبد الله بن محمد بن تيفاوت = ابن

تيفاوت

عبد الله بن محمد الحلنجي (الحلنجي؟)

١٦١ ح.

عبد الله بن محمد (الكاتب) ٣٤٦.

عبد الله بن محمد بن عامر المعافري

٣١٣.

عبد الله بن محمد بن مغيث = الأنصاري

عبد الله بن محمد المكفوف (النحوي)

(١٦٠)، ٢٤٩.

عبد الله بن مسلمة (الوزير) ٣٦٣.

عبد الله بن المعتز ٣٣١.

عبد الله بن موسى بن نصير ٣٨ م.

عبد الله بن ياسين الجزولي ٣٩٥،

٥٤٣ - ٥٤٤.

عبد الأعلى = أبو الخطاب الإباضي

عبد الجبار بن خالد السري (١٤٢ -

١٤٣).

عبد الجبار بن المعتمد = ابن عبّاد

عبد الحميد (٩) ٧٤٥.

عبد الحميد الجناوي - أبو عبيدة

١٠٩ م.

عبد الحميد بن غانم ١٢٦.

عبد الحميد بن يحيى (الكاتب) ٦٦،

٥٩٩.

عبد الحالق بن شبلون = ابن شبلون

عبد خزاعة = عبد الله بن طاهر بن

أحسين

عبد الرحمن بن أبي البشر ٥١٨.

عبد الرحمن بن بكر بن حمّاد = ابن حمّاد

عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبدة بن

عقبة بن نافع ٤٤ م، ٥١ م، ٥٤ -

٥٥، ٦٢، ٦٦ م.

عبد الرحمن (الأوسط) بن الحكم (٩٩ -

١٠٢)، ٥٨ م، ٦٥ م، ٧٥، ٨٠ -

٨١، ٨٧ م، ٩٧ م، ١٠٣ م،

عبد الرحمن بن مروان الجليقي ١٢٢ م،
١٢٧ م، ١٣١، ١٣٢، ١٣٩،
٣١٧.

عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن
الناصر ٣٣١.

عبد الرحمن (الداخل) بن معاوية
(٨١ - ٨٣)، ٤٦، ٤٨، ٥٤ -
٥٨، ٦٤، ٦٥، ٨١ - ٨٣، ٨٦،
٨٧ م، ١٢٢، ١٢٦، ١٤٣ ح م،
١٦٥، ٢١٤ م، ٢٨٤ ح، ٢٨٧ ح،
٤٧٣، ٦١٥.

عبد الرحمن بن ملجم ١٥٢.
عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر
١٦٨، ٣٦٥، ٣٦٦ م، ٣٧٧.
عبد الرحمن بن نافع ٤٦.

عبد الرحمن بن هشام بن عبد
الجبار = المستظهر المرواني
عبد الرحمن بن يوسف الفهري ٥٤ م،
٥٥.

عبد الرحيم بن نصر التميمي البخاري
٣٥٥ م.

عبد السلام بن الحسن البصري ٤٦٩.
عبد السلام بن سعيد = سحنون
عبد العزيز بن أرقم - أبو الأصبع بن
محمد (٦٧٠ - ٦٧٦).

عبد العزيز الحشني = الحشني - عبد
العزيز

١٠٦ م، ١٠٧، ١٠٩ م، ١١٤ -
١١٨، ١٢٦، ١٢٩، ١٣١، ١٣٥،
١٣٨، ١٤٣، ١٦٥، ١٦٦،
٢٤٠ م، ٢٦٥ م، ٢٩٩ ح.

عبد الرحمن بن خالد العتيقي ١١٣.
عبد الرحمن بن رستم الفارسي ٥٥ ح،
٦١ - ٦٢.

عبد الرحمن بن زياد (٥١ - ٥٣).
عبد الرحمن العباسي = أبو وهب
العباسي

عبد الرحمن بن عبد الحميد بن
غانم = ابن غانم

عبد الرحمن الغافقي ٤٢ م.
عبد الرحمن بن القاسم ١١٣.

عبد الرحمن بن محمد التجيبي ٣٤٠.
عبد الرحمن (المرتضى) بن محمد ١٦٩،
٣٧٨، ٤٨٤.

عبد الرحمن (الناصر) بن محمد ٥٨ م،
٥٩، ٦٥، ١٢٧ م، ١٥٧، ١٦٢،

١٦٦ - ١٦٨، ١٧٤ م، ١٧٨ -
١٨٠، ١٨٣، ١٨٨، ١٩٨،

٢٠٤ م، ٢١١، ٢١٤ - ٢٢١،
٢٣٠، ٢٣٤، ٢٤٤ - ٢٤٥،

٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٧ - ٢٥٩،
٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٨٩،

٣١٣ - ٣١٥، ٣١٨، ٣٢١،
٣٣١، ٤٢٨ ح.

- عبد العزيز بن الخطيب ٢٦٩ ح .
عبد العزيز بن خلّوف = ابن خلّوف
الحروري
عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر
٣٨٧ ، ٥٩٣ .
عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر بن
أبي عامر ٢٣٠ ، (راجع ٦٦٦ م : في
المرية) ، ٦٩٥ م .
عبد العزيز بن محمد بن عبد الحميد
٧٠٧ .
عبد العزيز أبو المصعب (صاحب ولبة
ووالد أبي عبيد البكري) ٧٠٢ م .
عبد العزيز بن موسى بن نصير ٣٨ م ،
١٣١ ح .
عبد الغنيّ (ابن أبي الحسن عليّ
الحصري الضري) ٧٠٩ م .
عبد الكريم النهشلي (٣٤٢ - ٣٤٥) ،
٢٠٥ - ٢٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤٦٦ ،
١٥٥ ، ٢٥٥ .
عبد الملك بن بشر بن عبد الملك بن بشر
ابن مروان ٦٥ م .
عبد الملك بن أبي الجعد الورفجومي
٦١ م .
عبد الملك بن ادريس = أبو مروان
الجزيري
عبد الملك بن جهور = ابن جهور
- عبد الملك بن حبيب السلمي (١٠٤ -
١٠٦) ، ٧٠ ، ٧٨ .
عبد الملك بن رزين = ابن رزين
عبد الملك بن سراج = ابن سراج
عبد الملك الطنبلي (٥٥٩ - ٥٦٠) .
عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم
٦٥ ، ١٣١ ح .
عبد الملك بن غصن الحجاري (٥٢٦ -
٥٢٩) .
عبد الملك بن قطن الفهري (والي
الأندلس) ٤٣ م ، ١٢١ ح .
عبد الملك بن قطن المهري القيرواني
(النحوي) (١٢١ - ١٢٢) ، ١٦٠ .
عبد الملك بن الماجشون ١٠٤ .
عبد الملك بن محمد بن جهور = ابن جهور
عبد الملك بن مروان ٥٦ ، ١٣١ ح ،
٤٧٣ .
عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي
عامر ١٦٨ م ، ٢٠٢ .
عبد الملك المعافري القحطاني =
المعافري
عبد الملك بن هشام الرضي ٨٩ .
عبد المليك (الملك) من أجداد المنصور
ابن أبي عامر ٣١٨ .
عبد المنعم القروي - أبو الطيّب ٦٨٣ .
عبد مناف ٢٤٧ ح .
عبد الواحد المراكشي ٤٤٣ - ٤٤٤ .

عيلة ٥٩١ .
عتيبة (اسم) ...
عتيق بن أحمد بن اسحاق القصري -
أبو بكر ٧٠٧ .
عتيق السنطاري ٢٠٩ .
عثمان بن سعيد الصيقل ٢٩٢ م .
عثمان بن عفان ٣٦ م ، ٥٦ ، ١٣١ .
عثمان بن المثني النحوي (١٢٩ -
١٣٠) ، ١٠٧ .
العجيفي - محمد بن محمد بن جبريل
٤٧٦ .
عدنان (جدّ عرب الشمال) ٤٣٥ م .
المدوي - أبو جعفر ٣٥٢ .
عديّ بن زيد ١٨٧ .
العذري - أبو العباس أحمد بن عمر
٧٠٢ م ، ٧٢٣ .
عروة بن الورد ١٨٧ .
عريب بن سعد القرطبي (٢٨٩ -
٢٩٤) ، ١٨٩ ، ١٩٢ .
عزّ الدولة = ابن صلاح
عزرائيل ١٢١ ح .
عزّة الميلاء ٦٩٤ م .
العزيز الفاطمي ٣٥١ .
عضد الدولة - أحمد بن محمد من بني
القاسم بألفنت (٩) ٥٠٨ م .
عضد الدولة بن المعتمد = بن عباد
عطاء البيّاني ٢٣٢ .

عبد الوهّاب - حسن حسني ٣٧٥ ح ،
٤٠٨ ، ٤٦٥ ، ٥٢٢ .
عبد الوهّاب بن الحسين بن جعفر
٤٥٣ .
عبد الوهّاب بن عبد الرحمن بن رسم
٦٢ .
عبدويه = عبد الله بن الجارود
عبيد بن الأبرص ٥٦٧ م .
عبيد الله بن أبي عبدة الفهري ١٧٦ .
عبيد الله بن الحبّاب ٤٢ م ، ٤٧ م ،
٤٨ .
عبيد الله بن عبّاد = ابن عبّاد
عبيد الله بن سلمة اليحصي ٤٩٨ .
عبيد الله بن قارلمان = بن قارلمان
عبيد الله (أبو عثمان) بن محمد بن الفمر
٢٣٣ - ٢٣٤ .
عبيد الله المهدي ١٦٩ - ١٧١ ، ٢٢٤ -
٢٢٦ ، ٢٣٩ م ، ٢٧٧ - ٢٧٨ ،
٢٩٢ م .
عبيد الله بن موسى الكوفي ١٠٤ .
عبيد الله بن يحيى ٢٥١ ، ٢٥٧ .
عبيدة بن عبد الرحمن (والي المغرب)
٤٦ .
العبيسي - أحمد بن فراس ٤٧٦ .
العتبي - محمد بن أحمد ١٢٤ ح ، ١٦٣ .
العتبي - محمد بن عبد العزيز (١٢٤ -
١٢٦) ، ١٢٣ .

عطاف (جدّ لآل عبّاد) ٤٧٠ م.

عفراء (المدجحية) ٣٦٣.

عقبة بن الحجاج السلوي ٤٧.

عقبة بن نافع ٣٦ م، ٤١ م.

العلاء بن سعيد بن مروان المهلي

٦٨ - ٦٩.

علقمة الفحل ٦٣٦ - ٦٣٨.

علوية ١٦١ ح.

عليّ (في شعر)...

عليّ بن أبي حنيفة النعمان (المغربي) =

ابن أبي حنيفة

عليّ بن أبي الرجال = ابن أبي الرجال

عليّ بن أبي طالب ٣٦، ٥٦، ١٥٢،

١٦٩ م، ١٧٠ م، ٢٢٥ م، ٢٢٩ ح،

٣٣٧ ح، ٤١٣ م، ٤٤٧ م، ٥٢٥ م،

٧٢٨ م.

عليّ بن الإيادي (٢٧٩ - ٢٨٢)،

٣٤٣ م.

عليّ بن أحد - أبو محمّد (من أهل

المرّة).

عليّ بن الجهم ١٥٤.

عليّ بن حبش الشيباني ٥١٨.

عليّ بن الحسين = زين العابدين

عليّ بن حمد (الناصر) ١٦٩ م، ٣٤٧ م،

٤٤٧ م، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٧ م،

٥١١، ٥٣٥، ٦٠٥، راجع ٣٧٨.

عليّ بن حمدون ٢٧١.

عليّ الرضا ١٧٠.

عليّ بن زياد العبسي (تونس) ٧٤.

عليّ بن سليمان = الأخفش الصغير

عليّ بن عيسى الربيعي ٤٦٩.

عليّ بن غالب = ابن حصن الإشبيلي

عليّ بن فضال = ابن فضال

عليّ بن محمّد القيرواني - القاسبي ١٨٢.

عليّ بن نافع = زرياب

عليّ الهنادي ١٧٠.

عليّ بن يوسف بن تاشفين ٥٤٤.

عليّة بنت زرياب ٨١، ٣٦١، ٣٦٢.

عمّار (بن) محمّد الاسكندراني ٥١٨.

عمر (في شعر) ٦٠٤.

عمر بن أبي ربيعة ١٨٧، ٤٠٣، ٥٩١.

عمر بن حفص = ابن برتق

عمر بن حفصون ٥٩، ١٤٤، ١٥٦ م،

١٦٥، ١٦٦، ٢١٨ م، ٢١٩ م،

٢٣٨.

عمر بن الخطّاب ٤٦، ٥٦ م، ١١٨ م،

٣٧٣، ٣٨٠ ح.

عمر بن خلدون = ابن خلدون

عمر بن عبد العزيز ٤١ م، ٤٢، ٤٦،

٧٢٥.

عمر المتوكّل = ابن الأفطس

عمر بن يونس = الحرّاني

عمران بن حطان ١٥٢ م.

عيسى بن يزيد الأسود ٦٢ .

غ

الغاي (النسائي) - أبو عبد (عبيد) الله

٢٥٤ م، ٢٥٤ .

الغازي بن قيس (٨٦ - ٨٧)، ٩٣ .

غالب بن عبد الرحمن الصقلي ١٦٧ م،

٣١٤ - ٣١٥ .

غالب بن فهر بن مالك ١٠٢ .

غانم بن وليد الخزومي (٦٠٢ - ٦٠٥) .

غريب الطليطلي (٩٢ - ٩٣) .

غرسية (ملك البشكنس) ٣١٦ -

٣١٧ .

غرسية بن شانجه (ملك قشطالة)

٣٦٤ م .

غوميث - أميليو غرسية ٤٣٧، ٧١٦ .

الغريض ٦٩٤، ٧٤٠ م .

الغزال = يحيى بن الحكم

الغزالي ٥٤٤، ٦٥٠ م .

الغساني = الغاي

الغساني = أبو لقمان بن يوسف

غلبون بن الحسن بن غلبون - أبو عقاب

١٥٠ ح .

غيطة ١٨٩، ٢٨٧ ح .

ف

فارس بن أحمد الحمصي ٤٩٨ .

عمران بن مجالد بن يزيد الربيعي ٦٩ ،

٢٧٠ م، ٨٣ م .

عمرو (جد هاشم بن عبد العزيز) مولى

عثمان بن عفان ١٣١ .

عمرو بن حفص ٢٦٦ .

عمرو بن العاص ٣٦، ٣٨٠ ح .

عمرو بن عامر بن ماء السماء ٤٧١ م .

عمرو بن كلثوم ٢٤٧ م، ٥٧٩ ح .

عمرو النصراني (تفرّك به مدرك بن

عليّ الشيباني) ٤٠٥ .

عمرو بن يوسف (والي طليطلة) ٥٨ .

عميد الدولة (أبو القاسم زهير صاحب

المرية) ٥٠٩ .

عنان - محمد عبد الله ٣٨٧ - ٣٨٨ ح .

عنبة بن سحيم الكلبي ٤٢ م .

عنبرة ٢٦٨، ٥٩١ م .

عنبرة الأندلس = أبو الأجر الكلابي

٤٩ .

عوض الكرم - مصطفى ٤٢٤ -

٤٢٥، ٤٣٧، ٤٤١ م، ٤٤٢ ح .

عون بن يوسف الخزاعي ١٥١ .

عيسى بن أحمد الرازي = الرازي

عيسى بن مريم ٢٣٥ ح م، ٤٠٤ ،

٦١١، ٦٨٨ م، ٦٨٩ م .

عيسى بن مزاحم ٢٨٥ م .

عيسى بن مسكين (١٤٩ - ١٥٠)،

٢٢٦ .

- فاطمة بنت محمد رسول الله ١٦٩ ،
 ١٧١ م ، ٢٢٧ م ، ٢٧٣ م ،
 ٣٣٧ ح م ، ٤٨٣ ، ٤٨٦ م .
 فاطمة بنت محمد الفهري ٦٣ .
 الفتح (في شعر) ٤٤٨ .
 الفتح بن خاقان ٣٩٨ ، ٤٤٢ .
 الفتح بن قاسم ٥٨٢ .
 الفتح بن المعتمد = ابن عباد
 فتح الله - زهير ٢٠ م .
 الفرّاء ٨٥ ، ١٨٧ .
 فرحون بن عبد الله ٣٤٠ .
 الفرزدق ١٨ ، ٥٠ ، ١٩٥ ، ٢٠٦ ،
 ٦٥٠ .
 الغرضي (ابن الغرضي؟) ١٦٣ .
 فرعون ١٤٧ ح ، ٣٥٨ ح .
 فرفوربوس الصوري ٦٧٣ م .
 فرناس (من بني سليط) ١٣٥ ح .
 الغزاري = أبو القاسم
 الفضل بن روح بن حاتم بن قبيصة ٦٥ ،
 ٦٦ ، ٦٨ - ٦٩ .
 فيتيرا = غيطشة
 الفيروزابادي ١٠٧ ح ، ١٩٨ .
 فيمي ١٧٧ م .
 فيوري - سيلفسترو ٤٤٦ .
- ق**
- القائم العباسي ٥٢٩ - ٥٣٠ ، ٥٣٣ .
 القائم الفاطمي ١٧١ ، ٢٢٤ م ، ٢٧٨ -
 ٢٨١ .
 القاسبي - علي بن محمد القيرواني ١٨٢ ،
 ٣٣٧ ، ٤٧٦ ، ٥٦٤ .
 قارلمان (= قرلمان) - عبد الله
 - أحمد
 قارله ٤٢ .
 قارون ٥٩٨ .
 قاسم بن أصبغ الببائي (٢٣٢ - ٢٣٣) ،
 ١٨١ ، ٢٣٨ ، ٢٦٣ ، ٢٨٦ ، ٢٩٩ ،
 ٣٠٠ ، ٣١٨ ، ٣٢٨ .
 قاسم بن ثابت بن عبيد العزيز
 الرقسطي ١٨٥ ح م .
 القاسم بن حنود ١٦٩ ، ٣٨٧ ، ٤٧٠ م ،
 ٤٨٣ ، ٤٨٤ م ، راجع ٥٠٥ .
 قاسم بن زرياب ٨١ .
 القاسم بن سلام = ابن سلام
 القاسم بن عبد الله (وزير عباسي)
 ٢٩٠ .
 القاسم بن عبد الله التميمي ٢٠٩ -
 ٢١٠ .
 القاسم كنون (قنون) ١٧١ .
 القاسم بن الأمير محمد بن عبد الرحمن
 الأوسط ١٢٤ - ١٢٥ .
 القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق
 ٧٣ .
 قاسم بن محمد بن سيار الببائي ١٨٣ م .

قالون ٤٧٩ م.

القالى - أبو عليّ ١٩، ١٨٥ م، ١٧٦ -
١٨٧، ٢٠١ م، ٢٤٨ م، ٢٥٨ م،
٢٨٦، ٣٠٠، ٣١٤، ٣٢٨ م،
٣٤٠ - ٣٤٢، ٣٦٣، ٤٩٧ م.

القاهر المباسي ١٦٦.

القبري - محمد بن محمود الضريب ٤٢٨ م.
القبري = مقدم بن معافى
قدامة بن جعفر ٣٤٣، ٤١٤، ٥٢٤ م.
قرلمان = قارلمان

القرّاز - أبو عثمان ٣٦٧.

القرّاز - أبو عبد الله محمد بن جعفر
(٣٥١ - ٣٥٤)، ٤٦٦، ٥٥١ م.
٥٦٤.

القرّاز = محمد بن عبادة القرّاز

قسطنطين (بطريق صقلية) ١٧٧.

قصيّ بن كلاب ٢٤٧ ح م.

قطرب ١٢٢، ٢٤٨ ح.

قطريّ بن الفجاءة ٦٧٣ ح.

قطل المذبحي ٣٦٣.

القلقاط = محمد بن يحيى القرطبي

(٢٢٠ - ٢٢٢)، ٢٠٤ م، ٢١١ م،

٢٢٣ م.

القلقاط = الرباحي - محمد بن يحيى

القلمندر (الشاعر) ٥٨١.

القمبياطور = السيّد

القوهي - أبو سهل ويجام بن رسم

١٩٠، ١٩١، ٤٦٢.

قيس بن عاصم ٢٤٧ م.

قيصر ٦٩٨ م.

ك

كافور ٣١٦.

الكتّاني - محمد بن الحسن (٣٧٢ -
٣٧٣)، ٣٢٩.

الكتّاني - محمد بن الحسين ٣٧٢.

الكرماني السرقسطي ٣٩٤.

الكسائي ٧٤، ٨٥، ٨٦، ٥٠٠، ٥٠١.

كسرى ٢٤٧ ح، ٥٥٦ م، ٦٨٦ ح،
٦٩٢ ح م، ٦٩٨ م.

الكنسياني = محمد بن عبد البرّ

كعب بن مامة ٢١٦ م، ٢٤٧ م،
٦٥٦ م، ٧٢٩ م.

الكمعي = المنجي الكمعي

كلثوم بن عياض القشيري ٤٣ م.

كليب بن ربيعة ٥٩٨.

كنزة (جارية لإدريس الأكبر) ٦٣، ٩٤.

كنّون (القاسم) = القاسم

الكوهي = القوهي

ل

لبّون بن عبد العزيز - أبو عيسى

(٧٣٦ - ٧٣٨).

لبيد ٥٦٧ م.

لذريق ٣٧ م، ١٨٩، ٢٨٧ ح.

لسان الدين بن الخطيب ٢٤٤ ح م،

٣٨٧ ح، ٤٤٠، ٤٤٤، ٧٢٦.

اللماي - أبو جعفر أحمد (٦٠٥ -

٦٠٧).

اللؤلؤي = أحمد بن ابراهيم

لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ١٠٢ ح.

الليث بن سعد ٩٣، ٩٩.

ليني بروفنسال ١١٦ ح، ٣٨٧.

ليلي (في شعر) ٣٣٠ م، ٣٤٩، ٣٦٠.

م

مارية بنت ظالم ٤٩٢ م.

مازن (لقب ابن الحداد الوادي آشي)

٦٥٥.

المازني ١٨٧، ٢٤٩.

مالك بن أنس ٤٦، ٦٠، ٧٣، ٧٤ م،

٨٤، ٨٦، ٩٣، ٩٨ م، ٩٩ م،

١٠٤، ١١٣ م، ١٤١، ١٨١ م،

١٨٤ - ١٨٥، ٢٢٧، ٢٣٢،

٢٥٨، ٢٥٨ م، ٢٩٩، ٣٠٧،

٣٠٨، ٣٨٩، ٤٧٧، ٤٨٠، ٥٤٧،

٥٨٥، ٥٨٧، ٥٩٨، ٦٣٢، ٦٤٦.

مالك بن المعتمد = ابن عباد

مالك بن المنذر الكلبي ٦٨ - ٦٩.

المأمون العباسي ٧١ م.

المأمون بن حنّ = القاسم بن حمّود

المأمون بن ذي النون = يحيى بن عليّ

ماني ٥٣٨ م.

مبارك - زكي ٤٥٦ م.

المبرد ١٥٤، ١٥٩، ١٨٥ م، ١٨٧،

٢١٢، ٧٣٤.

المتنبي ١٨، ١٩٥، ١٩٦ م، ٢٠٦،

٢٨٦، ٣٥٢، ٣٧٨، ٤١٥، ٤٣٥،

٤٣٩، ٤٦٩، ٤٧٢، ٤٩٧ -

٤٩٨، ٥٥٧، ٥٦١، ٥٦٧، ٥٦٨،

٥٩٩ ح، ٦٣٦، ٦٦٤ م، ٧٤١،

٧٤٦.

منتبّي الغرب (المغرب) ٦، ثم ابن

دراج القسطلّي ٣٧٨؛ ابن هاني

الأندلسي ٦، ٢٦٧؛ الرمادي

(٢٤٤١؟ ٢٤٣٩).

المتوكّل بن الأفطس = ابن الأفطس -

عمر

مجاهد بن مسعدة ٤١٢.

مجاهد العامري ١٨٠ م، ١٨١،

٣٦٢ م، ٣٨٧، ٣٩٢، ٤٥٥،

٤٦٩، ٤٩٩، ٥١٠، ٥١١، ٥٦١،

٥٧٨، ٦٢٣، ٦٦٦ م، ٦٧٠ م،

٦٨٣.

مجير بن سفيان (١٤٦ - ١٤٧).

مجنون ليلي ٤٠٣.

المهاملي = الحسين بن اسماعيل	محمد بن أبي دوس = ابن أبي دوس
محرز بن خلف (٣٥٤ - ٣٥٧)، ٣١٨.	البياسي
محمد رسول الله ١٢، ١٦ ح، ١٧ ح،	محمد بن أبي زيد القيرواني ١٨١.
٣٢ - ٣٤، ٤٥، ٤٦، ٥٥ م، ٥٨،	محمد بن أبي عامر = المنصور بن أبي عامر
٦٣، ٦٨ م، ٩٣ - ٩٦، ١٠٥،	محمد بن أبي العرب = ابن أبي العرب
١١٠ م، ١١١، ١٢٦، ١٢٨ -	محمد بن أحمد الإشبيلي الزاهد ٢٥٣.
١٣٨، ١٤٠ - ١٤١، ١٤٨ -	محمد بن أحمد البريدي (١٣٩ - ١٤٠).
١٤٩، ١٥٧ م، ١٦٥، ١٦٩ -	محمد بن أحمد العتي = العتي
١٧٠، ١٨٣، ١٨٤، ١٩٥، ٢٠٠،	محمد بن أحمد الكاتب البغدادي ٤٩٨.
٢٢٤ - ٢٢٥، ٢٣٥ ح م،	محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله
٢٤٥، ٢٤٧ م، ٢٥٨، ٢٧٣ ح،	٦٣ ح.
٢٧٦ ح، ٢٨٢، ٣٠١، ٣٠٢،	محمد بن اسماعيل العبّادي = ابن عبّاد
٣٠٨، ٣٣١، ٣٣٧ ح م، ٣٩٢،	محمد بن اسماعيل بن اسحاق = أبو الحسن
٤٤٧ م، ٤٧٨ م، ٤٨٠، ٤٨١،	الكاتب المغربي
٤٨٢ م، ٤٨٤، ٥٠٠ م، ٥٠٢ ح،	محمد بن اسماعيل = حمدون النحوي
٥١٢ م، ٥٤٧، ٥٦٣، ٥٨٥ م،	محمد بن اسماعيل القرطبي ٢٥٤.
٥٨٧، ٦١١ - ٦١٤، ٦٤٥ م،	محمد بن الأشعث الخزاعي (أمير
٦٨٣، ٦٨٦، ٦٩٩ م، ٧٣١،	إفريقية) ٥٥ ح، ٦٠ م، ٦١.
٧٣٣.	محمد بن أضحى = ابن أضحى
محمد بن أبان بن سيد القرطبي ١٨٥ -	محمد بن الأغلب بن ابراهيم = ابن
١٨٦.	الأغلب
محمد بن ابراهيم بن الأغلب = ابن	محمد بن الأغلب بن زيادة الله = ابن
الأغلب	الأغلب
محمد بن ابراهيم بن زياد الموّاز ١٤٩.	محمد بن أيوب الأنصاري ٦٦٧.
محمد بن ابراهيم بن سعيد القيسي ٥٨٩.	محمد الباقر (الإمام) ١٧٠.
محمد بن ابراهيم = المروذي	محمد بن بشير = المعافري

محمد بن جعفر التميمي = القزاز
القيرواني

محمد بن جهور (أبو الوليد) = ابن جهور
محمد الجواد (الإمام) ١٧٠.

محمد بن الحارث الحنفي = الحنفي

محمد بن الحسن بن الحسين المذجمي =
الكتّاني

محمد بن الحسن بن دريد = ابن دريد

محمد بن الحسين الطنبي = الطنبي

محمد (أبو الوليد) بن الحسين = الكتّاني

محمد بن الحسين المغربي (٥٢٤ - ٥٢٦).

محمد بن الحكم الأندلسي ٢٠٣.

محمد بن حمّود (محمود) ١٥٥ ح.

محمد بن حيد الطوسي ١٢٩.

محمد بن خزرون بن خليفة = ابن ورو

محمد بن زيادة الله = ابن الأغلب

محمد بن سحنون ١٤٩.

محمد بن السريّ بن السراج = ابن

السراج

محمد بن سعيد الزجاجي ١٠٥ - ١٠٦.

محمد بن سعيد المالكي ٦٣٢.

محمد بن سليمان الحنفي الكاتب ٢٩٠ -

٢٩١.

محمد بن طاهر (صاحب مرسية) ٧٠٨،

٧١٠ - ٧١٢.

محمد بن عاصم النحوي (١٥٩ - ١٦٠).

محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن
عليّ بن أبي طالب ٩٤.

محمد بن عبد الله بن الحكم ١٤٩.

محمد بن عبد الله بن عيسى = ابن أبي
زمنين

محمد بن عبد الله الفزاري = أبو القاسم
الفزاري

محمد بن الأمير عبد الله بن محمد ٥٩.

محمد بن عبد الله النجاد ٤٩٨.

محمد بن عبد البر الكسنياني ٢٥٧ -
٢٥٨.

محمد بن عبد الرحمن الأوسط ٥٩، ٧٤،

٧٦، ٧٧، ١٠٩ م، ١٢٢، ١٢٤ -

١٣٦، ١٤١، ١٤٣، ١٦٦، ١٨٣،

١٩٠، ١٩١، ٢٤١ ح، ٢٩١ ح.

محمد بن عبد الرحمن الخلّص الذهبي
٥٢٩.

محمد بن عبد الرحمن = المستكفي
المرواني

محمد بن عبد السلام الحنفي = الحنفي

محمد بن عبد العزيز العتي = العتي

محمد بن عبد الملك بن أمين = ابن أمين

محمد بن عبد الملك الزيات ٣٢٤.

محمد بن عبد الواحد البغدادي (٥٢٩ -
٥٣٣).

محمد بن عبد الوهاب بن مغيث - ابن
مغيث

محمد المهدي = محمد بن عبد الله بن الحسن
(٩)

محمد المهدي (العبّاسي) = المهدي
محمد المهدي (الأندلسي) = المهدي
الرواني

محمد المهدي المنتظر = المهدي المنتظر
محمد بن هشام المصحفي = المصحفي
محمد بن هلال ٣٠٤ .

محمد بن أبي الوليد الباجي ٦٣٣ م .

محمد بن يحيى = ابن الخزاز

محمد بن يحيى الرباحي = الرباحي

محمد بن يحيى (?) الشاعر ٢٠٤ .

محمد بن يزيد (والي المغرب) ٤١، ٣٨ م .
محمد (أبو يوسف) سادس الأئمة
الرسميين ١٥١ .

محمد بن يوسف النجّاد ٤٩٨ .

محمد بن يوسف الوراق = التاريخي
الوراق

محمود بن أبي جليل ١٣٨ م .

محمود الفزنوي ٥٢٩ .

مخلد بن كيداد ١٧٣ - ١٧٤، ٢٢٤ م ،

٢٢٧، ٢٤٦ م .

المخلص الذهبي = محمد بن عبد الرحمن

مدرک بن علي الشيباني ٤٠٥ .

المراكشي = ابن عبد الملك المراكشي

المراكشي = عبد الواحد

محمد بن عبدون الجبلي = ابن عبدون
الجبلي

محمد بن علقمة = ابن علقمة

محمد بن عيسى المعافري = المعافري

محمد بن الغازي = ابن غازي

محمد بن قادم = ابن قادم

محمد بن القاسم الأنباري = الأنباري

محمد بن القاسم بن حمود

محمد بن معاوية القرشي ٢٣٠ .

محمد بن محمد بن وشاح = ابن اللباد

محمد بن مسعود القرطبي الشاعر ٤٠٥ -

٤٠٦ .

محمد بن مطرف = ابن شخيص القرطبي

محمد المظفر بن الأفطس = ابن

الأفطس - المظفر محمد

محمد والد المعتضد العبّادي = ابن عبّاد

محمد بن المعتضد بن عبّاد = ابن عبّاد

محمد بن معمر = ابن أخت غانم

محمد بن مغيث الأنصاري = ابن مغيث

محمد بن مغيث المغربي = ابن مغيث

محمد بن مقاتل المكي ٦٠ م ، ٦٩ .

محمد (المقتول) بن عبد الله (والد عبد

الرحمن الناصر) ١٦٦ .

محمد المكتوم ١٧٠ .

محمد بن المنذر النيسابوري ٢٥٧ .

محمد بن مهدي البكري ١٤٢ م .

مسلم بن أحمد القرطبي النحوي - أبو بكر ٥٨٩ - ٥٩٠ .

مسلم بن الحجاج ٢٢٧ - ٢٢٨ .

مسلم بن عقبة المزي ٥٦ .

مسلم بن الوليد ٢٥٤ - ٢٥٦ ، ٣٩٩ .

مسلمة بن أحمد المرحيطي (المجريطي) ١٩٠ م ، ١٩١ ، ٣٧٢ ، ٥٠٥ .

مسلمة بن عبد الرحمن الداخل ٨٩ ، ١٢٥ .

مسلمة بن القاسم ٢٣٠ .

مسلمة بن الأمير محمد ١٢٥ .

المسيح = عيسى بن مريم

مشف = شف

المصحفي = جعفر بن عبد الرحمن

المصحفي - محمد بن هشام ٧٠٢ .

المصراقي - علي ٥٤٧ .

المصطفى = محمد رسول الله

المصعب بن عمران (القاضي) ٨٤ م .

مطرّف بن الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط ٥٩ ، ٧٤ -

٧٦ .

المطرّف بن محمد بن عبد الرحمن - أبو

القاسم ٧٦ .

مطرّف بن قيس ٢٥١ .

المظفرّ بن الأفطس = ابن الأفطس

المظفرّ بن جهور = ابن جهور

المرتضى العباسي ١٦٦ .

المرتضى الروافى = عبد الرحمن (المرتضى) بن محمد

مروان بن الحكم ٤٧ ح ، ٢٣٣ .

مروان بن سمحون ٣٩٥ .

مروان بن عبد الرحمن الجليقي ٢٣٨ .

مروان بن عبد الرحمن بن مروان =

الطليق الروافى

مروان بن محمد ٥١ م .

مروان بن موسى بن نصير ٣٨ .

المروذي = أبو جعفر

المروذي - محمد بن ابراهيم ٤٧٦ .

مريم الشلبية (٣٥٠ - ٣٥١) .

مزاخنة بنت مزاحم الثقفي ١٠٦ .

المستظهر (عبد الرحمن) الروافى (٣٥٧ - ٣٦٠) ، ١٦٩ ، ٣٦٧ -

٣٦٨ ، ٤٥٤ ، ٤٨٨ .

المستعين = سليمان المستعين

المستكني الروافى ١٦٩ ، ٤٩٧ ، ٥٩٠ م .

المستنصر الروافى = الحكم بن عبد الرحمن الناصر

المستنصر الفاطمي - معدّ بن علي

٥٣٢ م ، ٦٠٨ .

مسمود بن بسطام ٢٤٧ ح .

مسمود بن محمود الغزنوي ٥٢٩ م .

المظفر - عبد الملك بن محمد بن أبي
عامر ٣٢٤، ٣٢٩، ٣٣٥، ٣٦٥،
٣٦٧، ٣٧٢، ٣٧٧، ٤٧٦.
المظفر يحيى بن المنذر التجيبي ٤٨٨ -
٤٨٩.
معاقر (جدّ النصور بن أبي عامر)
٣١٨.

المعافري = عبد الله بن محمد بن عامر
المعافري = أبو القاسم السبق
المعافري - عبد الملك ٣١٣.
المعافري - محمد بن بشير المعافري
(٨٤ - ٨٥)، ١٢٤.
المعافري - محمد بن عيسى ١٤٠.
معاوية بن أبي سفيان ٥٦، ١٧٧،
٢٢٩ ح، ٦٨٥ ح م، ٧٢٨.
معاوية بن صالح الحضرمي الحمصي
٨٦، ٩٣.

معاوية بن يزيد بن معاوية ٥٦.
معبد (بن وهب) المغني ٦٩٤ م، ٧٤٠.
المعتد = هشام (المعتد) بن عبد الرحمن
المعتد بن المعتمد بن عبّاد
المعتصم بن صلاح (٦٦٦ - ٦٦٩)،
٢٨٥، ٣٨٧، ٤٠٤، ٤٣٩، ٤٤٠،
٤٩١ - ٤٩٣، ٥١٠ - ٥١١،
٦٥٥ م، ٦٦٤، ٦٧٠ - ٦٧١،
٦٨١ م، ٧٠٢، ٧٠٨، ٧٤٤،
٧٤٦.

المعتصم العبّاسي ١٥٢ م.
المعتضد بن عبّاد ٣٩٧ - ٤٠٠، ٤٧٢،
٤٩٤ م، ٥٠٧ م، ٥١٤ - ٥١٥،
٥٦٥، ٥٧٠ م، ٥٧١ م، ٥٨٥ -
٥٨٦، ٥٩٣ م، ٦٢٣، ٦٢٦ م،
٦٢٧ م، ٦٣٨ م، ٦٤٢ - ٦٤٥،
٧٠٢، ٧١٢ - ٧١٤، ٧١٦.

المعتضد العبّاسي ١٦٦، ٤٢٠.
المعتلي - يحيى بن علي بن حمّود ١٦٩ م،
٤٥٤، ٤٥٧ - ٤٥٩، ٤٦٩ م،
٤٧٠، ٦٢٣ م.

المعتمد بن عبّاد (٧١٣ وما بعد)،
٤٧٠ م، ٥٨١، ٥٩٣، ٦١٥،
٦٣٦، ٦٣٩ - ٦٤٠، ٦٤٢ -
٦٤٥، ٦٥٢ - ٦٥٤، ٦٥٩ م،
٦٦٣ - ٦٦٥، ٦٦٧، ٦٦٩ -
٦٧١، ٦٧٦ - ٦٨٠، ٧٠٢،
٧٠٧ - ٧٠٨، ٧١٠، ٧١٢.

٧٢٥ - ٧٣١، ٧٤٤.
معدّ بن اسماعيل = المعزّ لدين الله
الفاطمي

معدّ بن علي = المستنصر الفاطمي
المعريّ = أبو العلاء
المعزّ بن باديس الصنهاجي ١٧١ م،
١٩١، ٣٥٦ م، ٣٧٣، ٣٧٤ م،
٤٦٢ م، ٤٦٤، ٥٢٤ م، ٥٣٠ م،
٥٤٤، ٥٥١ م، ٥٥٤، ٥٦٤ م،

مكي بن أبي طالب (حوش) (٤٧٦) -

٤٨٢، (٧٠٦، ٧٣١).

مكي - محمود علي ١٢٦ ح.

المنتجالي - أحمد بن سعيد الصدي

٣٠٤.

المنتصر بن خزرون بن سعيد =

خزرون بن سعيد

المنجي الكمي ٣٥١ ح م.

المنذر (الأول: المنصور) بن يحيى التجيبي

٣٧٨، ٣٨٢، ٣٨٧، ٥٧٨.

المنذر (الثاني: المظفر) بن يحيى

التجيبي ٤٨٨ ح.

منذر بن سعيد البلوطي (٢٥٧) -

(٢٦١)، ١٥٥، ١٨٤، ٢٠١،

٤٨٠ م.

المنذر بن ماء السماء ٤٧٠، ٥٥٦ م.

منذر بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط

٥٩، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٢، ١٤٣،

١٤٦، ١٤٩، ١٥٩، ١٦٦، ٢١٠.

المنصور بن أبي عامر ١٦٥، ١٦٧ -

١٦٨، ١٨٠، ١٩٤، ٢٦٨ -

٢٦٩، ٢٨٩ م، ٢٩٤ - ٢٩٦،

٣٠٠ م، ٣١٢ م، ٣٢٢ - ٣٢٦،

٣٢٩، ٣٣١ م، ٣٣٥، ٣٤٠،

٣٦٠ - ٣٦٨، ٣٧٢، ٣٧٧ م،

٣٧٩ - ٣٨١، ٣٨٦ - ٣٨٨،

٤٤٧، ٤٥٤، ٤٨٧، ٤٨٩ - ٤٩٠،

٦٣٥، ٦٧٠، ٧٠٧.

المعز بن زيري بن عطية ٢٠٢ م، ٣٨٨.

معز الدولة بن صامح - أبو جعفر

أحمد ٦٦٧ م.

المعز لدين الله الفاطمي ١٦٩، ١٧١ م،

٢٦٧ م، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٤ م،

٢٧٨، ٢٩٨، ٣٤٣، ٥٤٤، ٥٤٨.

المعلّى (مدحه امرؤ القيس) ٥٥٦ م.

معمّر بن المثني = أبو عبدة

ممن بن مجاهد العامري - أبو الأحوص

٥١٠، ٥٦١.

المعوج (أديب بغدادي) ٢٠٣ - ٢٠٤.

المقتدر العبّاسي ١٦٦.

المقتدر بن هود (صاحب سرقسطة)

٥٢٦، ٦٣٢، ٦٥٥، ٦٥٩، ٧٠٨،

٧١٤.

مقدّم بن معافى القبري (مقدّم بن معافى

الفريدي، ٤٢٨ ح، خطأ في

الأصول) (١٥٥ - ١٥٦)، ٦٤ م،

١٤٥، ٤٢٣، ٤٣٩.

المقري (جدّ صاحب نفع الطيب)

٣٥٥.

المقري (صاحب نفع الطيب) ٢٨٣،

٣٩٨، ٤٤٤ م، ٤٤٨، ٦٨١.

المكتفي العبّاسي ٢٩٠ م.

مكرم بن سعيد (٢) ٤٢٩ م.

المكفوف النحوي = عبد الله بن محمد

موسى بن أبي العافية ١٧١ .
 موسى بن عيسى بن حجاج (حاج)
 الففجومي - أبو عمران
 موسى الكاظم ١٧٠ م .
 موسى بن محمد بن حدير = ابن حدير
 موسى بن محمد بن سعيد = ابن الحاجب
 أبو الأصبح
 موسى بن موسى (قائد) ١٣٨ .
 موسى بن نصير ٣٧ إلى ١٤١ ،
 ١٣١ ح م .
 الموفق (من ملوك الطوائف) ٥٠٨ م .
 مؤمن بن سعيد (١٢٢ - ١٢٤) ،
 ٨٥ ح ، ١٢٥ ، ١٣٦ ، ١٥٦ .
 مؤنس - حسين ٧٦ ح ، ٤٩١ ح .
 المؤيد (النصور) المان: عبد الرحمن
 الناصر
 ميخائيل الثاني الأثلغ ١٧٧ .
 ميسرة المدغري (المضفري) ٤٢ ، ٦٢ ،
 ٤٧٠ .
 الميلاء = عزّة الميلاء .
 ميمون العابد ٢٨٧ - ٢٨٨ .
 ميمون - أبو عمر (الإياضي) ١٨٢ .

ن

الناصفة الذبياني ٨٠ ، ١٨٧ ، ٥٥٢ ،
 ٥٥٦ .

٥٣٥ م ، ٥٨٤ ، ٦١٥ ، ٦١٧ ح ،
 ٦٥٥ ح ، ٦٨١ ، ٦٩٦ .
 المنصور بن الأفطس = ابن الأفطس
 المنصور بن بلقين (بلقين) ١٧١ ،
 ٣٤٣ ، ٤٥١ ، ٤٥٤ .
 المنصور العباسي = أبو جعفر
 المنصور بن عبد العزيز = أبو بكر بن
 عبد العزيز
 المنصور الفاطمي - اسماعيل ١٧١ .
 المنصور بن الناصر بن علناس ٥٤٥ .
 المنمر = أبو الحسن المنمر
 المنذر الأسلمي اليافى الإفريقي ٤١ م .
 المنشي - أبو القاسم ٤٤٠ ، ٤٤٢ ،
 ٤٤٦ .
 مهجة القرطبية ٤٠٢ .
 المهدي العباسي ٩٤ .
 المهدي المرواني ١٦٨ ، ١٦٩ م ، ٣٣٨ ،
 ٣٤٧ ، ٤٧٧ .
 المهدي المنتظر ١٧٠ .
 مهورية الأغلبية (١٥٠ - ١٥١) .
 المهلهل ٥٩٨ .
 المهندس - أحمد بن محمد ٣٣٧ .
 المواز - محمد بن ابراهيم بن زياد
 المؤتمن (٢) من ملوك الطوائف ٥٠٨ م .
 المؤتمن بن هود ٦٣٩ - ٦٤٠ .
 مودود بن مسعود الفزنوي ٥٢٩ .
 موسى ١٤٧ م ، ٢٤٥ ح ، ٦١١ .

- ناجي - هلال ٤٣٧ م .
 ناصح (والد عباس بن ناصح) ١٠٦ م .
 الناصر الحمّادي ٥٤٤ .
 الناصر بن علّاس ٣٨٩ - ٣٩٠ ،
 ٥٤٥ م .
 نافع بن الأزرق ٥٥ ح ، ٥٦ .
 نافع (مولى عمر بن الخطّاب) ٧٣ .
 نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ٨٦ ،
 ٤٧٩ ، ٥٠٠ .

هـ

- النباهي - محمد بن الحسن ٦٠٢ .
 النبيّ = محمد رسول الله
 النجاد = محمد بن عبد الله
 النجاد = محمد بن يوسف
 النجيرمي - أبو يعقوب ٤٦١ ، ٥١٨ .
 النحلي (شاعر) ٦٦٨ .
 النضر بن شميل ٢٤٨ .
 نظام الملك السلجوقي ٦٥٠ - ٦٥٢ .
 النعجة = حمدون النحوي
 النعمان بن المنذر - أبو قابوس ٤٧٠ ،
 ٥٥٦ ، ٦٨٦ ح ، ٦٩٢ ح ، ٦٩٣ .
 النعمان بن محمد بن منصور = أبو حنيفة
 النعمان المغربي
 نعيم (جدّ آل عبّاد) ٤٧٠ م .
 النفيلة (النفدة، النجدلة)
 النفس الزكية = محمد بن عبد الله بن
 الحسن بن الحسن
 نفطويه ١٨٧ .
- هاجر (امراة ابراهيم) ٦٩٧ م .
 هارتمان - مارتن ٤٢٧ .
 هاشم بن رجا - أبو خالد ٥٧٥ .
 هاشم بن عبد شمس ١٠٢ ح م .
 هاشم بن عبد العزيز (١٣١ - ١٣٥) ،
 ٧٩ - ٨٠ ، ١٢٢ م ، ١٢٣ م ،
 ١٢٧ ، ١٢٨ .
 هاني بن محمد بن سعدون ٢٦٦ ح .
 الهجفيف بن غيدقان ٣٦٣ .
 هرم بن سنان ٤٩ ، ٥٥٦ .
 هرويش ٣٠٥ م .
 هرون الرشيد ٦٠ م ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٧٩ ،
 ٨٣ ، ١٥٢ ح ، ٢٥٥ ح ،
 ٣٦٨ ح م .
 هشام (؟) (قارىء) ٤٧٩ م .
 هشام بن أحد الوقشي = ابن الوقشي

ورش - عثمان بن سعيد (قارىء)
م ٤٧٩.

ورّو (من آل خزرون - ليبيا) ٣٩٠.
الوقشي - أبو الحزم خلف بن عيسى
٢٨٦.

الوقشي - أبو الوليد هشام بن أحمد
٣٩٢ - ٣٩٤.

ولادة بنت المستكفي (٦٩٩ - ٧٠٢)،
١٦٩، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥ ح،
٥٩٤، ٥٩٠.

الوليد بن طريف الخارجي ٢٥٥ -
٢٥٦.

الوليد بن عبد الرحمن بن غانم (١٢٦) -
١٣٢، (١٢٨).

الوليد بن عبد الملك ٣٨ م، ١٣١ ح،
٢٣٢.

وليد بن عيسى الطبيخي = الطبيخي
الوليد بن هشام = أبو ركوة

الوليد بن هشام (من نسل بني أمية)
١٧٤.

الوهراني = أبو القاسم

ي

اليازوري - الحسن بن علي ٦٠٨.

ياقوت الحموي ٢٤٨ ح، ٣٧٥،
٤٦٥ ح، ٥٦٥ ح.

هشام الرضيّ بن عبد الرحمن الداخل
٥٧ م، ٦٤، ٧٤ - ٧٦، ٨٧ م،
٨٩، ٩٣، ١٠٢، ٢١٠، ٢٣٥.

هشام بن عبد الملك ٤٢، ٤٣، ٤٦ ح،
٤٧، ٥١، ٥٢ م، ٦٦، ١٠٢ ح م،
٢٨٥ م، ٤٧٠.

هشام المعتدّ بن عبد الرحمن المرتضى
١٦٩، ٤٥٤، ٤٧٣ م، ٤٧٤،
٤٩٧، ٥٧٨.

هشام المؤيد بن الحكم المستنصر ١٦٧ -
١٦٩، ١٩٢، ٢٩٤ م، ٣٠٠ م،
٣٠٤، ٣٠٦ م، ٣١٤ - ٣١٥،
٣٦٦ م، ٣٧٧، ٥٣٥ م، ٦٦٦.

الهشامان = هاشم بن عبد شمس ثم هشام
ابن عبد الملك

الهمداني = يوسف بن محمد

هند (وردت في شعر) ٤١٦ م.

الهوزني = أبو حفص

و

واجاج اللمطي ٥٤٣ م.

الواقدي ٧٣، ١٢٢.

الورّاق = التاريخي الورّاق

ورد النصرانية (تفرّج بها ديك الجنّ
الحمصي)

يحيى (في شعر) ١٢٠.

يحيى بن هذيل القرطبي الكفيف
(٣٠٩ - ٣١١).

يحيى بن ابراهيم الكدالي ٥٤٣ م.

يحيى بن الأفطس = ابن الأفطس

يحيى بن جعفر التونسي ٢٢٦ - ٢٢٧.

يحيى بن يحيى = ابن السمينة
يحيى بن يحيى الليثي (٩٨ - ٩٩)،
٨٩، ١٤٠.

يحيى بن حريث ٤٥.

يحيى بن حكم الفزال (١١٥ - ١٢١)،

٧٨ - ٧٩، ١٤٩، ١٩٧، ١٩٨ م.

يحيى بن عبد العزيز = ابن الجزار

القرطبي

يحيى بن علي بن حدون الأندلسي

(اقرأ: ابن الأندلسية) ٢٦٧،

٢٧٠ - ٢٧٢، ٢٧٤ وما بعد.

يحيى بن علي بن حمود = المعتلي

يحيى بن الفضل بن النعمان التميمي

٦٩.

يدير بن حباة ٤٦٩ م.

يرونم الترجان ٣٠٥ م.

يزيد بن أبي مسلم ٤٢ م.

يزيد بن الياس العبدي ٩٤.

يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ٥١،

٢٦٦، ٢٦٦ م.

يزيد بن عبد الملك ٤٢ م.

يزيد الفصيح (١٦٣ - ١٦٤).

يزيد بن مزيد الشيباني ٢٥٥ م.

يعقوب ١٤٧ ح، ٢٥١.

يعقوب بن الأغلب = ابن الأغلب

يعقوب بن حبيب - أبو حاتم ٧٤.

يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط ٧٥.

يعقوب بن المضاء (الأغلي) ٧٢ م.

بليان ٣٧ م.

يهودا الأسخريوطي ٦٨٩ م.

يوسف بن أحمد بن الدخيل = ابن

الدخيل الصيدلاني

يحيى القادر بن ذي النون ٧٣٦ م.

يحيى بن مالك = ابن عائد

يحيى المأمون بن ذي النون ٣٨٧،

٤٨٨، ٥٢٦ - ٥٢٨، ٥٣٠،

٥٣١ م، ٥٦٥، ٥٨١، ٥٨٢،

٦٢٣، ٦٤٦ - ٦٤٧، ٦٥٠،

٧٣٧.

يحيى بن مضر القيسي الأندلسي ٩٨.

يحيى بن المعتمد = ابن عباد

يحيى بن معمر الألهاني ٢٦٥ م.

يحيى بن المنذر بن يحيى التجيبي ٣٧٨،

٣٨٢، ٤١٤ - ٤١٥.

يوسف بن اسماعيل بن النغدة ٥٧٢ -
٥٧٥ .

يوسف بن مجت ٤٧٣ .

يوسف بن تاشفين ٣٨٥ - ٣٨٦ ،
٥٤٤ - ٥٤٥ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ،
٦٧٦ ، ٧٠٨ ، ٧١٥ م ، ٧٢١ ،
٧٢٨ م ، ٧٣٠ ح .

يوسف بن عبد الرحمن الفهري ٤٥ م ،
٤٨ - ٤٩ .

يوسف بن محمد - أبو حاتم الرستمي
١٥٢ م .

يوسف بن محمد الهمداني ١٨٤ .

يوسف بن هرون = الرمادي

يوسف بن يعقوب ١٤٧ ، ٢٥١ ،
٥٣٨ م ، ٥٩٨ .

يوسف بن يعقوب البصري القاضي
١٨٦ .

يونس الحرّاني = الحرّاني

يونس بن عبد الأعلى الصديقي ١٤٩ .

يونس بن عبد الله الصفّار ٧٣١ .

١٩٨١/٢/١١